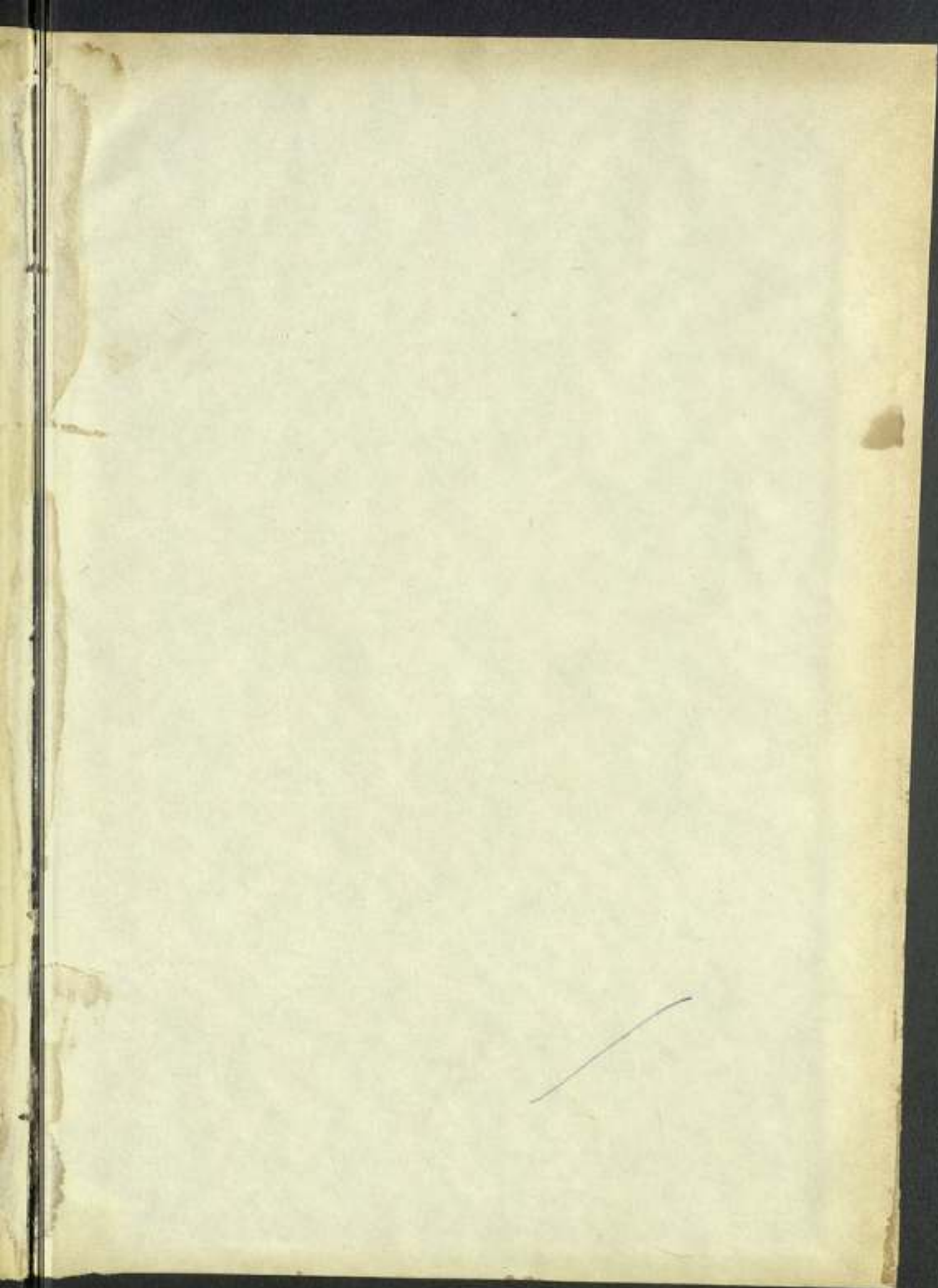




12/10/10

100-100
100-100
100-100

A.D.B. LIBRARY



297.207

I139924

v.4-5

c.1

تفسير الخازن

السنن

لباب التأويل في معاني التنزيل

لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن
المتوفى سنة ٧٢٥ هـ

وهامشه

تفسير البغوي

المعروف بمعالم التنزيل

لابي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي

المتوفى سنة ٥١٦ هـ

الجزء الرابع

الطبعة الثانية

١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م

مكتبة الطبع والنشر

شركة مكتبة وناشرية وصحفية لبنان والخليج والأردن بمسرة

(سورة الرعد) مكية إلا قوله (٢) ولا يزال الذين كفروا وقوله ويقول الذين كفروا لست برسلا وهي ثلاث وأربعون آية .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(المر) قال ابن عباس

معناه أنا الله أعلم وأرى

(تلك آيات الكتاب)

يعني تلك الأخبار التي

صنعتها عليك آيات

التوراة والإنجيل والكتب

المنقدمة (والذي أنزل

أيلا) يعني وهذا القرآن

الذي أنزل إليك (من

ربك الحق) أي هو الحق

فأعظم به فيكون محل

الذي رفعا على الابتداء

والحق خبره وقيل محله

خفص يعني تلك آيات

الكتاب وآيات الذي

أنزل إليك ثم ابتداء الحق

يعني ذلك الحق وقال

ابن عباس أراد بالكتاب

القرآن ومعناه هذه

آيات الكتاب يعني

الآن ثم قال وهذا

القرآن الذي أنزل إليك

من ربك هو الحق

(ولكن أكثر الناس

لا يؤمنون) قال مقاتل

زلت في مشركي مكة

حين قالوا إن عمدا

يقول من تلقاه نفسه

فرد قلوبهم ثم بين دلائل

ربوبيته فقال عز من

قال (الله الذي رفع

السموات بغير عمد ترونها)

يعني السوازي وأعمدا

وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ
(قرآن كريم)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تفسير سورة الرعد

قال ابن الجوزي اختلفوا في نزولها على قولين: أحدهما أنها مكية رواه أبو طلحة عن ابن عباس وبه قال الحسن ومعيد بن جبير وعطاء وقتادة . وروى أبو صالح عن ابن عباس أنها مكية إلا آيتين إحداهما قوله ولا يزال الذين كفروا تصيهم بما صنعوا قارعة والأخرى قوله ويقول الذين كفروا لست برسلا . والقول الثاني أنها مدنية رواه عطاء الخراساني عن ابن عباس وبه قال جابر بن زيد وروى عن ابن عباس أنها مدنية إلا آيتين أنزلنا بمكة وهما قوله ولو أن قرآنا سيرت به الجبال إلى آخر الآيتين وقال بعضهم المديني منها قوله هو الذي يريكم البرق إلى قوله دعوة الحق وهي ثلاث وقيل خمس وأربعون آية وثمانمائة وخمسون كلمة وثلاثة آلاف وخمسة وستة أحرف .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (المر) قال ابن عباس رضي الله عنهما معناه أنا الله أعلم وأرى وروى عطاء عنه أنه قال إن معناه أنا الله ملك الرحمن (تلك آيات الكتاب) الإشارة بتلك إلى آيات السورة المسماة بالمر والمراد بالكتاب السورة أي آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال تعالى (والذي أنزل إليك من ربك الحق) يعني من القرآن كله هو الحق الذي لا مزيد عليه ، وقيل المراد بالإشارة في قوله تلك الأخبار والقصص أي الأخبار والقصص التي قصصتها عليك يا محمد هي آيات التوراة والإنجيل والكتب الإلهية القديمة المنزلة والذي أنزل إليك يعني وهذا القرآن الذي أنزل إليك يا محمد من ربك الحق أي هو الحق ما اعتصم به وقال ابن عباس وقتادة أراد بآيات الكتاب القرآن والمعنى هذه آيات الكتاب الذي هو القرآن ثم قال والذي أنزل إليك من ربك الحق يعني وهذا القرآن الذي أنزل إليك من ربك هو الحق الذي لا شك فيه ولا تناقض (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) يعني مشركي مكة زلت هذه الآية في الرد عليهم حين قالوا إن عمدا يقوله من تلقاه نفسه ، ثم ذكر من دلائل ربوبيته وعجائب قدرته ما يدل على وحدانيته فقال تعالى (الله الذي رفع السموات بغير عمد) جمع عمود وهي الأساطين والدعام التي تكون تحت السقف وفي قوله (ترونها) قولان أحدهما أن الرؤية ترجع إلى السماء يعني وأنتم

عمود مثل آدم وعمد أيضا جمعه مثل رسول ورسول ومعناه نبي الهدى أصلا وهو الأصح يعني ليس نون

Li45-806c

من دونها دعامة تدعّمها ولا فوقها علاقة تمسكها . قال إياس بن معاوية السماء (٣) مقببة على الأرض مثل القبة

تروى السموات رفوعة بغير عمد من تحتها يعني ليس من دونها دعامة تدعّمها ولا من فوقها علاقة تمسكها والمراد نفي العمدة بالكلية قال إياس بن معاوية السماء مقببة على الأرض مثل القبة وهذا قول الحسن وقادة وجمهور المفسرين وإحدى الروايتين عن ابن عباس . والقول الثاني إن الرؤية ترجع إلى العمدة والمعنى أن لها عمدا ولكي لا تزولها أنتم ومن قال بهذا القول يقول إن عمدها على جبل قاف وهو جبل من زمرد محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة وهذا قول مجاهد وعكرمة والرواية الأخرى عن ابن عباس والقول الأول أصح ، وقوله تعالى (ثم استوى على العرش) تقدم تفسيره والكلام عليه في سورة الأعراف عما فيه كفاية (وسخر الشمس والقمر) يعني ذلكهما لمنافع خلقه فهما مقهوران بجريان على ما يريد (كل يجري لأجل مسمى) يعني إلى وقت معلوم وهو وقت فناء الدنيا وزوالها . وقال ابن عباس أراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلهما يعني أنهما يجريان في منازلهما ودرجاتهما إلى غاية ينتهيان إليها ولا يجاوزانها ، وتحقيقه أن الله تعالى جعل لكل واحد من الشمس والقمر سيرا خاصا إلى جهة بمقدار خاص من السرعة والبطء في الحركة (يدبر الأمر) يعني أنه تعالى يدبر أمر العالم العلوي والسفلي ويصرفه ويقضيه بمشيئته وحكمته على أكمل الأحوال لا يشغله شأن عن شأن وقبل يدبر الأمر بالإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة فقيه دليل على كمال القدرة والرحمة لأن جميع العالم محتاجون إلى تدبيره ورحمته داخلون تحت قهره وقضائه وقدرته (يفصل الآيات) يعني أنه تعالى بين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته . وقيل إن الدلائل الدالة على وجود الصانع قسمان : الأول الموجودات المشاهدة وهي خلق السموات والأرض وما فيها من العجائب وأحوال الشمس والقمر وسائر النجوم وهذا قد تقدم ذكره . والثاني الموجودات الخفية في العالم وهي الموت بعد الحياة والقفر بعد الغنى والضعف بعد القوة إلى غير ذلك من أحوال هذا العالم وكل ذلك مما يدل على وجود الصانع وكمال قدرته (لعلمكم ببقاء ربكم توقنوا) يعني أنه تعالى بين الآيات الدالة على وحدانيته وكمال قدرته لكي توقنوا وتصدقوا ببقائه والمنصير إليه بعد الموت لأن من قدر على إيجاد الإنسان بعد عدمه قادر على إيجاد غيره بعد موته واليقين صفة من صفات العلم وهو فوق المعرفة والدراية وهو مسكون الفهم مع ثبات الحكم وزوال الشك يقال منه استيقن وأيقن بمعنى علم . قوله تعالى (وهو الذي مد الأرض) لما ذكر الدلالة على وحدانيته وكمال قدرته وهي رفع السموات بغير عمد وذكر أحوال الشمس والقمر أردفها بذكر الدلائل الأرضية فقال وهو الذي مد الأرض أي بسطها على وجه الماء ، وقبل كانت الأرض مجتمعة فدها من تحت البيت الحرام ، ولهذا القول إنما يصبح إذا قيل إن الأرض منسطحة كالألأ كف وعند أصحاب الهيئة الأرض كرة ويمكن أن يقال إن الكرة إذا كانت كبيرة عظيمة فكل قطعة منها تشاهد ممدودة كالسطح الكبير العظيم فحصل الجمع ومع ذلك فالله تعالى قد أخبر أنه مد الأرض وأنه دحاها وبسطها وكل ذلك يدل على التسطیح والله تعالى أصدق قیلا وأبين دليلا من أصحاب الهيئة (وجعل فيها) يعني في الأرض (رواسي) يعني جبالا ثابتة يقال رسا الشيء يرسو إذا ثبت وأرماه غيره أثبته قال ابن عباس كان أبو قبيس أول جبل وضع على الأرض (وأنهارا) يعني وجعل في الأرض أنهارا جارية لمنافع الخلق (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) يعني صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلوا وحامضاً (يغشى الليل النهار)

وقبل ترونها راجمة إلى العمدة معناه لا عمد ولكن لا ترونها وزعم أن عمدها جبل قاف ، وهو محيط بالدنيا والسماء عليه مثل القبة (ثم استوى على العرش) علا عليه (وسخر الشمس والقمر) ذلكهما لمنافع خلقه فهما مقهوران (كل يجري) أي يجريان على ما يريد الله عز وجل (لأجل مسمى) أي إلى وقت معلوم وهو فناء الدنيا وقال ابن عباس أراد بالأجل المسمى درجاتهما ومنازلهما ينتهيان إليها ولا يجاوزانها (يدبر الأمر) يقضيه وحده (يفصل الآيات) بين الدلالات (لعلمكم ببقاء ربكم توقنوا) (وهو الذي مد الأرض) بسطها (وجعل فيها رواسي) جبالا ثابتة واحدها راسية قال ابن عباس كان أبو قبيس أول جبل وضع على الأرض (وأنهارا) أي وجعل فيها أنهارا (ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين) أي صنفين اثنين أحمر وأصفر وحلوا وحامضاً (يغشى الليل النهار) ويلبس الليل بضوء النهار

(إن في ذلك آيات لقوم يتفكرون) فيستدلون، والتفكر تصرف القلب في طلب معاني الأشياء (وفي الأرض قطع متجاورات) متجاورات يقرب بعضها من بعض وهي مختلفة هذه طيبة تثبت وهذه سبخة لا تثبت وهذه قليلة الربيع وهذه كثيرة الربيع (وجنات) أي بساين (من أعناب وزرع ونخيل صنوان) ردفها كلها ابن كثير وأبو عمرو وحفص ويعقوب عطفًا على الجنات وجرها الآخرون نسقا على الأعناب والصنوان جمع صنو وهو النخلات يجمعهن أصل واحد (وغير صنوان) هي النخلة المنفردة بأصلها. وقال أهل (٤) التفسير صنوان مجتمع وغير صنوان متفرق نظيره من الكلام صنوان جمع

يعني يلبس النهار ظلمة الليل ويلبس الليل ضوء النهار (إن في ذلك) يعني الذي تقدم ذكره من عجائب صنعته وغرائب قدرته الدالة على وحدانيته (آيات) أي دلالات (لقوم يتفكرون) يعني فيستدلون بالصنعة على الصانع وبالسبب على المسبب، والتفكر هو تصرف القلب في طلب الأشياء وقال صاحب المفردات التفكر قوة مطرقة لاهل إلى المعلوم والتفكر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل وذلك للإنسان دون الحيوان ولا يقال إلا فيما يمكن أن يحصل له صورة في القلب ولهذا روي وتفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله إذ كان الله منزها أن يوصف بصورة. وقال بعض الأدباء التفكر مقلوب عن التفكر لأنه يستعمل في طلب المعاني وهو فرك الأمور وبحثها طلبا للوصول إلى حقيقتها. قوله عز وجل (وفي الأرض قطع متجاورات) يعني متجاورات بعضها من بعض وهي مختلفة في الطباع فهذه طيبة تثبت وهذه سبخة لا تثبت وهذه قليلة الربيع وهذه كثيرة الربيع (وجنات) يعني بساين والجنة كل بستان ذي شجر من نخيل وأعناب وغير ذلك سمى جنة لأنه يستمر بأشجاره الأرض وإليه الإشارة بقوله (من أعناب وزرع ونخيل صنوان) جمع صنو وهي النخلات يجمعهن من أصل واحد ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في عمه العباس وعم الرجل صنو أبيه يعني أنهما من أصل واحد (وغير صنوان) هي النخلة المنفردة بأصلها فالصنوان المجتمع وغير الصنوان المتفرق (يسق بماء واحد) يعني أشجار الجنات وزروعها والماء جسم رقيق مانع به حياة كل نام وقيل في حده جوهر سيال به قوام الأرواح (وتفضل بعضها على بعض في الأكل) يعني في الطعام والحامض والعفص وغير ذلك من الطعام، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: وتفضل بعضها على بعض في الأكل قال: الدقل والترسيان والحلو والحامض أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب قال مجاهد هذا كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد وقال الحسن هذا مثل ضربه الله لقلوب بني آدم كانت الأرض طينة واحدة في يد الرحمن فسطحها فصارت قطعًا متجاورات وأنزل على وجهها ماء السماء فخرج هذه زهرتها وثمرتها وشجرها ونخرج هذه نباتها ونخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسق بماء واحد فلو كان الماء قليلا قيل إنما هذا من قبل الماء كمثل الناس خلقوا من آدم فينزل عليهم من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فخشع وتخضع وتسوق قلوب قوم فناهو ولا تسمع وقال الحسن والله ما جالس القرآن أحد إلا قام من عنده بزيادة أو نقصان قال الله تعالى: ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين

قوله صلى الله عليه وسلم في العباس «إن عم الرجل صنو أبيه» ولا فرق في الصنوان والقتوان بين التثنية والجمع إلا في الإعراب وذلك أن التثنية في التثنية مكسورة غير منوثة وفي الجمع منوثة (يسق بماء واحد) قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب يسقى بالياء أي يسقى ذلك كله بماء واحد قرأ الآخرون بالياء لقوله تعالى وجنات وتقولوا تعالى من بعد وتفضل بعضها على بعض ولم يقل به ماء والماء جسم رقيق مانع به حياة كل نام (وتفضل بعضها على بعض في الأكل) في الثمر والطعام قرأ حمزة والكسائي ويفضل بالياء لقوله تعالى يدبر الأمر يفصل الآيات وقرأ الآخرون بالتثنية على معنى ونحن نتفضل بعضها على بعض في الأكل وجاء

في الحديث وتفضل بعضها على بعض في الأكل قال الفارسي كجيد التمر والدقل والحلو والحامض قال مجاهد ولا كمثل بني آدم صالحهم وخبيثهم وأبوهم واحد قال الحسن هذا مثل ضربه الله تعالى لقلوب بني آدم كانت الأرض طينة واحدة في يد الرحمن عز وجل فسطحها فصارت قطعًا متجاورة فينزل عليها المطر من السماء فخرج هذه زهرتها وشجرها وثمرها ونباتها ونخرج هذه سبخها وملحها وخبيثها وكل يسق بماء واحد كذلك الناس خلقوا من آدم عليه السلام فينزل من السماء تذكرة فترق قلوب قوم فخشع وتخضع وتسوق قلوب فناهو قال الحسن والله ما جالس القرآن أحد إلا قام من عنده بزيادة

أو نقصان قال الله تعالى، ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خساراً (إن في ذلك) معنى ذكرت (آيات لقوم يعقلون وإن تعجب فاعجب قلوبهم) العجب تغير النفس برؤية المستبعد في العادة والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومعناه إنك إن تعجب من إنكارهم النشأة الآخرة مع إقرارهم بابتداء الخلق فعجب أمرهم وكان المشركون ينكرون البعث مع إقرارهم بابتداء الخلق من الله تعالى وقد تقرر (٥) في القلوب أن الإعادة أهون من

الابتداء فهذا موضع العجب وقبل معناه وإن تعجب من تكذيب المشركين واتخاذهم مالا يضر ولا ينفع آلهة يعبدونها وهم قد رأوا من قدرة الله تعالى ما ضرب لهم به الأمثال فعجب قلوبهم أي فتعجب أيضاً من قولهم (أئذا كنا تراباً) بعد الموت (أئذا لقي خلقاً جديداً) أي تعاد خلقاً جديداً كما كنا قبل الموت قرأ نافع والكسائي ويعقوب أئذا مستفهماً إذا بقره على الخبر ضده أبو جعفر وابن عامر وكذلك في سبحان في موضعين والمؤمنون والم سجدة وقرأ الباقون بالاستفهام فيهما وفي الصافات في موضعين هكذا إلا أن أبا جعفر يوافق نافعاً في أول الصافات ويقدم الاستفهام ويعقوب لا يستفهم الثانية وأئذا متناً - إذا لمدينون - قال الله تعالى (أولئك الذين

ولا يزيد الظالمين إلا خساراً وقولاً تعالى (إن في ذلك) يعني الذي ذكر (آيات لقوم يعقلون) يعني فيتدبرون ويتفكرون في الآيات الدالة على وحدانيته . قوله تعالى (وإن تعجب فعجب قلوبهم) العجب تبعد النفس رؤية المستبعد في العادة ، وقيل العجب حالة تعرض للإنسان عند الجهل بسبب ولهذا قال بعض الحكماء العجب مالا يعرف سببه ولهذا قيل العجب في حق الله محال لأنه تعالى علام الغيوب لا تخفى عليه خافية والخطاب في الآية للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه وإنك يا محمد إن تعجب من تكذيبهم إياك بعد أن كنت تعرف بالصادق الأمين فعجب أمرهم وقبل معناه وإن تعجب من اتخاذ المشركين مالا يضرهم ولا ينفعهم آلهة يعبدونها مع إقرارهم بأن الله تعالى خالق السموات والأرض وهو يضر وينفع وقد رأوا من قدرة الله وما ضرب لهم به الأمثال ما رأوا فعجب قلوبهم وقيل وإنك إن تعجب من إنكارهم النشأة الآخرة والبعث بعد الموت مع إقرارهم بأن ابتداء الخلق من الله فعجب قلوبهم وذلك أن المشركين كانوا ينكرون البعث بعد الموت مع إقرارهم بأن ابتداء الخلق من الله وقد تقرر في النفوس أن الإعادة أهون من الابتداء فهذا وضع التعجب وهو قولهم (أئذا كنا تراباً) يعني بعد الموت (أئذا لقي خلقاً جديداً) يعني تعاد خلقاً جديداً بعد الموت كما كنا قبله ثم إن الله تعالى قال في حقهم (أولئك الذين كفروا بربهم) وفيه دليل على أن كل من أنكر البعث بعد الموت فهو كافر بالله تعالى لأن من أنكر البعث بعد الموت فقد أنكر القدرة وأن الله على كل شيء قدير ومن أنكر ذلك فهو كافر (وأولئك الأغلال في أعناقهم) يعني يوم القيامة والأغلال جمع غل وهو طوق من حديد يجعل في العنق وقيل أراد بالأغلال ذمهم وانقيادهم يوم القيامة كما يقاد الأسير ذليلاً بالغل (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) يعني أنهم مقيدون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون (ويستعجلونك السبئية قبل الحسنة) الاستعجال طلب تعجيل الأمر قبل مجيئ وقته والمراد بالسبئية هنا هي العقوبة وبالْحسنة العافية وذلك أن مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلاً من العافية استهزاء منهم وهو قولهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (وقد خلت من قبلهم المثالات) يعني وقد مضت في الأمم المكذبة العقوبات بسبب تكذيبهم ربهم والمثلة بفتح الميم وضم التاء المثلية نعمة تنزل بالإنسان فيجعل مثلاً ليردع غيره به وذلك كالتكال وجمعه مثالات بفتح الميم وضم التاء فيهما لغتان (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم) قال ابن عباس معناه إنه لذو تجاوز عن المشركين إذا آمنوا (وإن ربك لشديد العقاب) يعني للمصرين على الشرك الذي ماتوا عليه وقال مجاهد إنه لذو تجاوز عن شركهم في تأخير العذاب عنهم وإنه لشديد العقاب إذا عاقب . قوله تعالى

كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم) يوم القيامة (وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) قوله (ويستعجلونك بالسبئية قبل الحسنة) الاستعجال طلب تعجيل الأمر قبل مجيئ وقته والسبئية هاهنا هي العقوبة والحسنة العافية وذلك أن مشركي مكة كانوا يطلبون العقوبة بدلاً من العافية استهزاء منهم يقولون اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم (وقد خلت من قبلهم المثالات) أي مضت من قبلهم في الأمم التي عصت ربها وكذبت رسلها العقوبات والمثالات جمع المثلة بفتح الميم وضم التاء مثل صدقات (وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وإن ربك لشديد العقاب

ويقول الذين كانوا لولا أنزل آية (أي على محمد صلى الله عليه وسلم) آية من ربه) أي علامة وحجة على نبوته قال الله تعالى (إنما أنت منذر) مخوف (ولكل قوم هاد) أي لكل قوم نبي يدعوهم إلى الله تعالى وقال الكلبى داع يدعوهم إلى الحق أو إلى الضلالة وقال عكرمة الهادي محمد صلى الله عليه وسلم يقول إنما أنت منذر وأنت هاد لكل قوم أي داع وقال سعيد ابن جبير الهادي هو الله تعالى . (٣٦) قوله تعالى (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) من ذكر أو أنثى سوى الخلق أو ناقص الخلق واحدا أو اثنين أو أكثر (وما تنقص الأرحام) أي ناقص (وما تزاد) قال أهل التفسير غيبض الأرحام الحيض على الحمل فإذا حاضت الحامل كان نقصانا في الولد لأن دم الحيض غذاء الولد في الرحم فإذا هرقت الدم ينقص الغذاء فينقص الولد وإذا لم تحض بزاد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقته باستمساك الدم وقيل إذا حاضت المرأة في وقت حملها ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرا فإن رأت خمسة أيام دما وضعت لتسعة أشهر وخمسة أيام فالنقصان في الغذاء والزيادة في المدة وقال الحسن غيبضا نقصانها من تسعة أشهر والزيادة زيادتها على تسعة أشهر وقيل النقصان السقوط والزيادة تمام الخلق وأقل مدة الحمل

(ويقول الذين كفروا) يعني من أهل مكة (لولا) أي هلا (أنزل عليه) يعني على محمد صلى الله عليه وسلم (آية من ربه) يعني مثل عصي موسى وناقص صالح . ذلك لأنهم لم يقنعوا بما رأوا من الآيات التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم (إنما أنت منذر) أي ليس عليك يا محمد غير الإنذار والتحذير وليس لك من الآيات شيء (ولكل قوم هاد) قال ابن عباس أمدى هو الله وهذا قول سعيد ابن جبير وعكرمة ومجاهد والضحاك والنخعي والمعنى إنما عليك الإنذار يا محمد والهادي هو الله يهدي من يشاء وقال عكرمة في رواية أخرى عنه وأبو الصحن الهادي هو رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى إنما أنت منذر وأنت هاد ، وقال الحسن وقزدة وابن زيد يعني ولكل قوم نبي يهديهم وقال أبو العالية الهادي هو العمل الصالح وقال أبو صالح الهادي هو القائد إلى الخير لا إلى الشر . قوله عز وجل (الله يعلم ما تحمل كل أنثى) لما سأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات أنبهرهم الله عز وجل عن عظيم قدرته ، وكما علمه وأنه عالم بما تحمل كل أنثى يعني من ذكر أو أنثى سوى الخلق أو ناقص الخلق واحدا أو اثنين أو أكثر (وما تنقص الأرحام) أي ناقص (وما تزاد) قال أهل التفسير غيبض الأرحام الحيض على الحمل فإذا حاضت الحامل كان ذلك نقصانا في الولد لأن دم الحيض هو غذاء الولد في الرحم فإذا خرج الدم نقص الغذاء فينقص الولد وإذا لم تحض بزاد الولد ويتم فالنقصان نقصان خلقة الولد بخروج الدم والزيادة تمام خلقة باستمساك الدم وقيل إذا حاضت المرأة في وقت حملها ينقص الغذاء وتزداد مدة الحمل حتى تستكمل تسعة أشهر طاهرا فإن رأت خمسة أيام دما وضعت لتسعة أشهر وستة أشهر وقد يولد لهذه المدة ويعيش . واختلفوا في أكثره فقال قوم أكثر مدة الحمل ستان وهو قول عائشة وبه قال أبو حنيفة وقيل إن الضحاك ولد لسنتين وقال جماعة أكثرها أربع سنين وإليه ذهب الشافعي وقال حماد بن أبي سلمة إنما سمى هرم بن حبان هرما لأنه بقي في بطن أمه أربع سنين وعند مالك أن أكثر مدة الحمل خمس سنين (وكل شيء عنده بمقدار) يعني بتقدير وحد لا يجاوزه ولا ينقص منه وقيل إنه تعالى يعلم كمية كل شيء وكيفية على كل الوجوه وقيل معناه إنه تعالى خصص كل حادث من الحوادث بوقت معين وحالة معينة وذلك عيشته الأزلية وإرادته وتقديره الذي لا يقدر عليه غيره (علم الغيب والشهادة) يعني أنه تعالى يعلم ما غاب عن خلقه وما يشاهدونه وقيل الغيب هو المعلوم والشاهد هو المرجوع وقيل الغيب ما غاب عن الحس والشاهد ما حضر في الحس (الكبير) أي العظيم الذي يصغر كل كبير بالإضافة إلى عظيمته وكبريائه فهو يعود إلى معنى كبر قدرته وأنه تعالى المستحق لصفات الكمال (المتعال)

سنة أشهر فقد يولد المولود لهذه المدة ويعيش . واختلفوا في أكثرها فقال قوم أكثرها ستان وهو قول عائشة يعني رضي الله عنها وبه قال أبو حنيفة رحمه الله وذهب جماعة إلى أن أكثرها أربع سنين وإليه ذهب الشافعي رحمه الله قال حماد بن سلمة إنما سمى هرم بن حبان هرما لأنه بقي في بطن أمه أربع سنين (وكل شيء عنده بمقدار) أي بتقدير وحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه (علم الغيب والشهادة الكبير) الذي كل شيء دونه (المتعال) المستعمل على كل شيء بقدرته . قوله تعالى

(سواء منكم من أسر القول ومن جهر به) أي يستوي في علم الله المسر بالقول والجهر به (ومن هو مستخف بالليل) أي مستر
بظلمة الليل (وسارب بالنهار) أي ذاهب في سر به ظاهر والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق قال التميمي سارب
بالنهار أي متصرف في حوائجه قال ابن عباس هو صاحب رية مستخف بالليل فإذا خرج بالنهار أرى الناس أنه يرى من
الإثم وقيل مستخف بالليل أي ظاهر من قولهم خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيت إذا كتمته وسارب بالنهار أي متوار داخل
في سر (له معقبات) أي لله تعالى ملائكة يتعاقبون فيكم بالليل والنهار فإذا صعدت ملائكة الليل جاء

في عقبها ملائكة النهار
وإذا صعدت ملائكة
النهار جاء في عقبها ملائكة
الليل والتعقيب العود بعد
السنة وإنما ذكر باللفظ
التأنيث لأن واحدها
معقب وجمعه معقبات ثم
جمع الجمع معقبات
كما قيل أبنوات سه
ورجالات بكر. أخبرنا
أبو الحسن السرخسي
أنا زاهر بن أحمد أنا
أبو إسحاق الهاشمي أنا
أبو مصعب عن مالك
عن أبي الزناد عن الأعرج
عن أبي هريرة أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
قال: يتعاقبون فيكم
ملائكة بالليل وملائكة
بالنهار ويجتمعون في صلاة
الفجر وصلاة العصر ثم
يعرج الذين باتوا فيكم

يعني المنزه عن صفات النقص المتعالي عن الخلق، وفيه دليل على أنه تعالى موصوف بالعلم
الكامل والقدرة التامة وتنزيهه عن جميع النقص. قوله تعالى (سواء منكم من أسر القول
ومن جهر به) أي مستر منكم من أخفى القول وكتمه ومن أظهره وأعلنه، والمعنى أنه قد استوى
في علم الله تعالى المسر بالقول والجهر به (ومن هو مستخف بالليل) أي مستر بظلمته (وسارب
بالنهار) أي ذاهب بالنهار في سر به ظاهر والسرب بفتح السين وسكون الراء الطريق وقال
التميمي السارب المتصرف في حوائجه. قال ابن عباس في هذه الآية هو صاحب رية مستخف
بالليل وإذا خرج بالنهار أرى الناس أنه يرى من الإثم وقيل مستخف بالليل ظاهر من قولهم
خفيت الشيء إذا أظهرته وأخفيت إذا كتمته وسارب بالنهار أي متوار دخل في السرب مستخفيا،
ومعنى الآية سواء ما أضمرت به القلوب أو نطقت به الألسن وسواء من أقدم على القبايح
مستترا في ظلمات الليل أو أتى بها ظاهرا في النهار فإن علمه تعالى محيط بالكل (له معقبات)
يعني لله ملائكة يتعاقبون بالليل والنهار فإذا صعدت ملائكة الليل عقبها ملائكة النهار
والتعقيب العود بعد السنة وإنما ذكر معقبات باللفظ التأنيث وإن كان الملائكة ذكورا لأن
واحدها معقب وجمعه معقبات ثم جمع المعقبات معقبات كما قيل أبنوات سعد ورجالات بكر
(ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: يتعاقبون فيكم ملائكة
بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة الفجر وصلاة العصر ثم يعرج الذين باتوا فيكم
فيسألهم وهو أعلم بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون
وقيل إن مع كل واحد من بني آدم ملكين ملك عن يمينه وهو صاحب الحسنات وملك عن
شماله وهو كاتب السيئات وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات فإذا عمل العبد حسنة
كتبها له بعشر أمثالها وإذا عمل سيئة قال صاحب الشاهل أصحاب اليد بن أكتبهما عليه فيقول
أنظره لعله يتوب أو يستغفر فيستأذنه ثلاث مرات فإن هو تآب منها وإلا قال أكتبهما عليه
سيئة واحدة وملك موكل بناصية العبد فإذا تواضع العبد لله عز وجل رفعه بها وإن تجبر على
الله عز وجل وضعه بها وملك موكل بعينيه يحفظهما من الأذى وملك موكل بفيه لا يدعه
يدخل فيه شيء من الهوام يؤذيه فهؤلاء خمسة أملاك موكلون بالعبد في ليله وخمسة غيرهم في
نهاره فانظر إلى عظمة الله تعالى وقدرته وكمال شفقتك عليك أيها العبد المسكين وهو قوله
تعالى (من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله) يعني يحفظون العبد من بين يديه ومن

بهم كيف تركتم عبادي فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون. قوله تعالى (من بين يديه ومن خلفه) يعني من
قدام هذا المستخفي بالليل والسارب بالنهار ومن خلفه من وراء ظهره (يحفظونه من أمر الله) يعني بأمر الله أي يحفظونه بأذن
الله مالم يجئ القدر فإذا جاء القدر خلوا عنه وقيل يحفظونه من أمر الله أي مما أمر الله به من الحفظ عنه. قال مجاهد: أمن
عبد إلا وله ملك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فما منهم شيء يأتيه بربده إلا قال ورائك إلا
شيء يأذن الله فيه فيصبيه. قال كعب الأحبار: لو أن الله عز وجل وكل بكم ملائكة يذبون عنكم في مطعمكم ومشربكم
وعوراتكم لتخطفكم الجن وقال عكرمة الآية في الأمراء وحرصهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم، وقيل الآية

المسكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيئات كما قال الله تعالى إذ بتلئى الثلثيان عن اليمين وعن الشمال قعيد وقال ابن جريج معنى يحفظونه أى يحفظون عليه من أمر الله بعنى الحسنات والسيئات وقيل الماء قله راجعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) روى جوير عن الضحك عن ابن عباس أنه قال له معقات يعنى لمحمد

وراء ظهره ، ومعنى من أمر الله بأمر الله وإذنه لم يجزى التندر فاذا جاء خلرا عنه وقيل معناه أنهم يحفظونه بما أمر الله به من الحفظ له قال مجاهد ما من عبد إلا وملاك موكل به يحفظه في نومه ويقظته من الجن والإنس والهوام فما من شيء يأتيه يؤذيه إلا قال له الملاك وراعه إلا شيء يأذن الله فيه فيصبيه وقال كعب الأحبار لولا أن الله تعالى وكلكم ملائكة لذهبون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لخطفتكم الجن وقال ابن جريج معنى يحفظونه أى يحفظون عليه الحسنات والسيئات وهذا على قول من يقول إن الآية في المسكين القاعدين عن اليمين وعن الشمال يكتبان الحسنات والسيئات ، وقال عكرمة الآية في الأمراء وحرصهم يحفظونهم من بين أيديهم ومن خلفهم والضمير في قوله له راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس في معنى هذه الآية لمحمد صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من شر الجن وطوارق الليل والنهار وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الآية في عامر بن الطفيل وأريد ابن ربيعة وكانت قصتهما على ما روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أقبل عامر بن الطفيل وأريد ابن ربيعة وهما امرئان يريدان رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه فدخلوا المسجد فاستشرف الناس لجمال عمر وكان من أجمل الناس وكان أعور فقال يا رسول الله هذا عامر ابن الطفيل قد أقبل نحوك فقال دعهم فان يرد الله به خيرا يهدى فأقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد مالي إن أسلمت قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل الأمر لي بعدك قال ليس ذلك لي إنما ذلك لي الله تعالى يحمله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وأنت على المدر قال لا قال فما تجعل لي قال أجعل لك أعتة الخيل تغزو عليها قال أو ليس ذلك لي اليوم قم معي أكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد أوصى إلى أريد بن ربيعة إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار أريد من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ إليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أريد وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أريد صاعقة في يوم صحو قائظ فأحرقتة فولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل أريد والله لأملأنها عليك خيلا جرذا وشببا مردا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يعنى الله من ذلك وإبنا قيلة يريد الأوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلوية فلما أصبح ضم إليه سلاحه فخرج له شراج في أصل أذنه أخذه منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة البعير وموت في بيت سلوية ثم ركب فرسه وجعل يركض في الصحراء وية قول ادن ياملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن أبصرت محمدا وصاحبه يعنى ملك الموت لأقتلتهما برحى فأرسل الله إليه ملكا فلطمه فأرداه في التراب ثم عاد فركب جواده حتى مات على ظهره وأجاب الله عز وجل دعاء

صلى الله عليه وسلم حراس من الرحمن من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله يعنى من شر الجن وطوارق الليل والنهار . وقال عبد الرحمن بن زيد نزلت هذه الآيات في عامر بن الطفيل وأريد ابن ربيعة وكانت قصتهما على ما روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أقبل عامر بن الطفيل وأريد ابن ربيعة وهما امرئان يريدان رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد في نفر من أصحابه فدخلوا المسجد فاستشرف الناس لجمال عمر وكان أعور فقال يا رسول الله هذا عامر ابن الطفيل قد أقبل نحوك فقال دعهم فان يرد الله به خيرا يهدى فأقبل حتى قام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا محمد مالي إن أسلمت قال لك ما للمسلمين وعليك ما على المسلمين قال تجعل الأمر لي بعدك قال ليس ذلك لي إنما ذلك لي الله تعالى يحمله حيث يشاء قال فتجعلني على الوبر وأنت على المدر قال لا قال فما تجعل لي قال أجعل لك أعتة الخيل تغزو عليها قال أو ليس ذلك لي اليوم قم معي أكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر قد أوصى إلى أريد بن ربيعة إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار أريد من خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضربه فاخترط شبرا من سيفه ثم حبسه الله تعالى عليه فلم يقدر على سله وجعل عامر يومئ إليه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أريد وما صنع بسيفه فقال اللهم اكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أريد صاعقة في يوم صحو قائظ فأحرقتة فولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل أريد والله لأملأنها عليك خيلا جردا وشببا مردا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يعنى الله من ذلك وإبنا قيلة يريد الأوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلوية فلما أصبح ضم إليه سلاحه فخرج له شراج في أصل أذنه أخذه منه مثل النار فاشتد عليه فقال غدة البعير وموت في بيت سلوية ثم ركب فرسه وجعل يركض في الصحراء وية قول ادن ياملك الموت وجعل يقول الشعر ويقول لئن أبصرت محمدا وصاحبه يعنى ملك الموت لأقتلتهما برحى فأرسل الله إليه ملكا فلطمه فأرداه في التراب ثم عاد فركب جواده حتى مات على ظهره وأجاب الله عز وجل دعاء

فاذا تجعل لي قال أجعل لك أعتة الخيل تغزو عليها قال أو ليس ذلك لي اليوم قم معي أكلمك فقام معه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عامر أوصى إلى أريد بن ربيعة إذا رأيتني أكلمه فدر من خلفه فاضربه بالسيف فجعل عامر يخاضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويراجعه ودار أريد من خلف النبي صلى الله عليه وسلم ليضربه بالسيف فاخترط من سيفه شبرا ثم حبسه الله عنه فلم يقدر على سله

وجعل امر يوي إياه فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أربد وما صنع بغيره فقتل المهمل الكفنيهما بما شئت فأرسل الله على أربد صاعقة في يوم صحو قانظ فأحرقت. وولى عامر هاربا وقال يا محمد دعوت ربك فقتل أربد والله لأملأها عليث خبيلا جردا وقتيانا مردا فقتل النبي صلى الله عليه وسلم بمنعك الله تعالى من ذلك وابنا قبيلة يربدا الأوس والخزرج فنزل عامر بيت امرأة سلوية فلما أصبح ضم عليه سلاحه وقد تغير لونه فجعل يركض في الصحراء ويقول اربز يا ملك الموت ويقول الشعر ويقول واللات لمن أبصرت محمدا وصاحبه يعني ملك الموت لأنفذتهما برحمن فأرسل الله ملكا فاطمه بجناحه فأراده في الرباب وخرجت على ركبتيه في الوقت غدة عظيمة فعاد إلى بيت السلوية وهو يقول غدة كغدة البعير وموت في بيت سلوية ثم دعا بفرسه فركبه ثم أجراه حتى مات على ظهره فأجاب الله دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم (٩) فقتل عامرا بالطعن وأربد بالصاعقة

وأرسل الله عز وجل في هذه القصة قوله سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار له معقبات من بين يديه يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله يعني تلك المعقبات من أمر الله وفيه تقديم وتأخير وقال طهذين (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) من العافية والنعمة التي أنعم بها عليهم (حتى يغيروا ما بأنفسهم) من الخال الجميلة فيعضوا ربههم (وإذا أراد الله بقوم سوءا) يعني هلاكها (فلا مرد له) يعني لا يقدر أحد أن يرد ما أنزل الله بهم من قضائه وقدره (وملهم من دونه من وال) يعني وليس لهم من دون الله من وال يلي أمرهم ونصرهم ويجمع العذاب عنهم قولا عز وجل (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا) لما خوف الله عز وجل عباده بقوله وإذا أراد الله بقوم سوءا ذكر في هذه الآية من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجه ويشبه العذاب من وجه فقال تعالى هو الذي هو الذي يريكم البرق والبرق معروف وهو له أن يظهر من خلال السحاب وفي كونه خوفا وطمعا وجوه: الأول إن عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع في نزول المطر الثاني أنه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالسافر ومن في جريته يعني يدره الثمر والرييب والقبح ونحو ذلك ويطمع فيه من له في نزول المطر تقع كالزراع ونحوه. الثالث أن المطر يخاف منه إذا كان في غير مكانه وزمانه ويطمع فيه إذا كان في مكانه وزمانه فإن من البلاد ما إذا أمطرت قحطت وإذا لم تمطر أخصبت (ويخشى السحاب الثقال) يعني بالمطر يقال أنشأ الله السحابة فنشأت أي أبدأها فبدت والسحاب جمع صحابة والسحاب نزال الماء قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ماء أولم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالي من الماء وأصل السحاب الجرو وسمى السحاب سحابا إما لجره الريح له أو لجره الماء أو لانجراره في سيره (ويسبح الرعد بحمده) أكثر المفسرين على أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسيحه. وأورد على هذا القول

رسول الله صلى الله عليه وسلم في عامر بن الطفيل فمات بالطعن وأربد بن ربيعة مات بالصاعقة وأنزل الله عز وجل في شأن هذه القصة سواء منكم من أسر القول ومن جهر به إلى قوله له معقبات من بين يديه ومن خلفه يعني لرسول الله صلى الله عليه وسلم معقبات يحفظونه من بين يديه ومن خلفه من أمر الله أي بأمر الله وقبل إن تلك المعقبات من أمر الله وفيه تقديم وتأخير تتدبره له معقبات من أمر الله يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، وقوله (إن الله لا يغير ما بقوم) خطاب لظنين عامر ابن الطفيل وأربد بن ربيعة يعني لا يغير ما بقوم من العافية والنعمة التي أنعم بها عليهم (حتى يغيروا ما بأنفسهم) يعني من الحالة الجميلة فيعضون ربههم ويحسدون نعمه عليهم فعند ذلك تحمل نعمته بهم وهو قوله تعالى (وإذا أراد الله بقوم سوءا) يعني هلاكها (فلا مرد له) يعني لا يقدر أحد أن يرد ما أنزل الله بهم من قضائه وقدره (وملهم من دونه من وال) يعني وليس لهم من دون الله من وال يلي أمرهم ونصرهم ويجمع العذاب عنهم قولا عز وجل (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا) لما خوف الله عز وجل عباده بقوله وإذا أراد الله بقوم سوءا ذكر في هذه الآية من عظيم قدرته ما يشبه النعم من وجه ويشبه العذاب من وجه فقال تعالى هو الذي هو الذي يريكم البرق والبرق معروف وهو له أن يظهر من خلال السحاب وفي كونه خوفا وطمعا وجوه: الأول إن عند لمعان البرق يخاف من الصواعق ويطمع في نزول المطر الثاني أنه يخاف من البرق من يتضرر بالمطر كالسافر ومن في جريته يعني يدره الثمر والرييب والقبح ونحو ذلك ويطمع فيه من له في نزول المطر تقع كالزراع ونحوه. الثالث أن المطر يخاف منه إذا كان في غير مكانه وزمانه ويطمع فيه إذا كان في مكانه وزمانه فإن من البلاد ما إذا أمطرت قحطت وإذا لم تمطر أخصبت (ويخشى السحاب الثقال) يعني بالمطر يقال أنشأ الله السحابة فنشأت أي أبدأها فبدت والسحاب جمع صحابة والسحاب نزال الماء قاله علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل السحاب الغيم فيه ماء أولم يكن فيه ماء ولهذا قيل سحاب جهام وهو الخالي من الماء وأصل السحاب الجرو وسمى السحاب سحابا إما لجره الريح له أو لجره الماء أو لانجراره في سيره (ويسبح الرعد بحمده) أكثر المفسرين على أن الرعد اسم للملك الذي يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسيحه. وأورد على هذا القول

(٢ - خازن بالبغوي - رابع) عنهم قوله (هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا) قيل خوفا من الصاعقة وطمعا في نفع المطر وقيل الخوف لله سافر يخاف منه الأذى أو المشقة والطمع للمقيم يرجو منه البركة والمنفعة وقيل الخوف من المطر في غير مكانه وإيائه والطمع إذا كان في مكانه وإيائه ومن البلدان ما إذا مطروا قحطوا وإذا لم يمتروا أخصبوا (ويخشى السحاب الثقال) بالمطر يقال أنشأ الله السحابة فنشأت أي أبدأها فبدت والسحاب جمع واحدا سحابا قال علي رضي الله عنه السحاب غربال الماء (ويسبح الرعد بحمده) أكثر المفسرين على أن الرعد اسم للملك يسوق السحاب والصوت المسموع منه تسيحه قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير فإن أصابته صاعقة فقل ديتة وعن عبد الله بن الزبير أنه كان إذا سمع صوت الرعد ترك الحديث وقال يحان من يسبح الرعد بحمده

والملائكة من خيفته ويقول إن هذا الوعيد لأهل الأرض شديد. وفي بعض الأخبار ويقول الله تعالى . لو أن عبادي أطيعوا لسقيتهم المطر بالليل وأطاعت عليهم الله من بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد ، وقال جوير عن الضحاك عن ابن عباس الرعد ملك موكل بالسحاب ، (١٠) بصرفه إلى حيث يؤمر وإن غور الماء في نقرة إلهامه وأنه يسبح الله تعالى

فاذا سبح لا يبقى ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح فعندما ينزل المطر (والملائكة من خيفته) أي تسبيح الملائكة من خيفة الله عز وجل وخشيته ، وقيل أراد بهؤلاء الملائكة أعوان الرعد جعل الله تعالى له أعوانا فهم خائفون خاضعون طاعون . قوله تعالى (ورسل الصواعق) جمع صاعقة وهي العذاب المهلك ينزل من البرق فيحرق من يصيبه (فيصيب بها من يشاء) كما أصاب أربد بن ربيعة قال محمد بن علي الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكور (وهم يجادلون) يخاصمون (في الله) نزلت في شأن أربد بن ربيعة حيث قال للنبى صلى الله عليه وسلم مم ربك أم من ذاكور أم من ذهاب فنزلت صاعقة من السماء فأحرقتهم ومثل الحسن عن قوله عز وجل ورسل الصواعق الآية

ما عطف عليه وهو قوله (والملائكة من خيفته) وإذا كان المعطوف مغايرا للمعطوف عليه وجب أن يكون غيره . وأجيب عنه أنه لا يبعد أن يكون الرعد إما ملك من الملائكة وإنما أفرده بالذكر تشريفا له على غيره من الملائكة فهو كقوله وملائكته وجبريل وميكال قال ابن عباس وأنبأت يهود لى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أخبرنا عن الرعد ما هو قال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوقها حيث يشاء الله لو أفا هذا الصوت الذى يسمع قال زجره السحاب حتى تنتهى حيث أمرت قالوا صدقت ، أخرجه الترمذى مع زيادة فيه المخاريق جمع مخراق وهو فى الأصل ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا وأراد به هنا آلة تزجر بها الملائكة السحاب وقد جاء تفسيره فى حديث آخر وهو صوت (١) من نور تزجر الملائكة به السحاب ، قال ابن عباس من سمع صوت الرعد فقال : سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شئ قدير فان أصابه صاعقة فعلى ديبته وكان عبد الله بن الزبير إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال سبحان من سبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وكان يقول إن الوعيد لأهل الأرض شديد. وفي بعض الأخبار أن الله تعالى يقول ولو أن عبادي أطيعوا لسقيتهم المطر بالليل وأطاعت عليهم الشمس بالنهار ولم أسمعهم صوت الرعد ، وروى جوير عن الضحاك عن ابن عباس أنه قال الرعد ملك موكل بالسحاب بصرفه إلى حيث يؤمر وإن غور الماء في نقرة إلهامه وإنه يسبح الله فاذا سبح لا يبقى ملك في السماء إلا رفع صوته بالتسبيح فعندما ينزل المطر ، وقيل إن الرعد اسم لصوت الملك الموكل بالسحاب ومع ذلك فان صوت الرعد يسبح الله عز وجل لأن التسبيح والتقدير عبارة عن تزييه الله عز وجل عن جميع الغائض ووجود هذا الصوت المسموع من الرعد وحدوثه دليل على وجود موجود خالق قادر متعال عن جميع التقصير وإن لم يكن ذلك فى الحقيقة تسبيحا ومنه قوله وإن من شئ إلا يسبح بحمده وقيل المراد من تسبيح الرعد أن من سمعه يسبح الله فلهذا المعنى أضيف التسبيح إليه وقوله والملائكة من خيفته يعنى ويسبح الملائكة من خيفة الله عز وجل وهيبته وخشيته ، وقيل المراد بهذه الملائكة أعوان السحاب جعل الله عز وجل مع الملك الموكل بالسحاب أعوانا من الملائكة وهم خاضعون خاضعون طاعون وقيل المراد بهم جميع الملائكة وحمله على العموم أولى (ورسل الصواعق) جمع صاعقة وهي العذاب النازل من البرق فيحرق من يصيبه وقيل هي السموات الشديدة النازل من الجو ثم يكون فيه نار أو عذاب أو موت وهي فى ذاتها شئ واحد وهذه الأشياء الثلاثة تنشأ منها (فيصيب بها) يعنى بالصواعق (من يشاء) يعنى فيهلك بها كما أصاب أربد بن ربيعة قال محمد الباقر الصاعقة تصيب المسلم وغير المسلم ولا تصيب الذاكور (وهم يجادلون فى الله) يعنى يخاصمون فى الله وقيل المحاداة المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة وأصله من جدلت الحبل إذا أحكمت فتلته نزلت فى شأن أربد بن ربيعة حين قال للنبى صلى الله

(١) قوله صوت لعله سوط كما يقتضيه السياق اه مصححه .

عليه

قال كان رجل من طواغيت العرب بعث لايه النبى صلى الله عليه وسلم نفرا يدعونه

إلى الله ورسوله فقال لهم أخبروني عن رب محمد هذا الذى تدعوننى إليه مم هو من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس ؟ فاستعظم القوم مقالته فانصرفوا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجلا أكفر قلبا ولا أعنى على الله منه فقال

ارجعوا اليه فرجعوا اليه فجعل لا يزيدهم على مثل مقالته الأولى وقال أجيب (١١) محمدنا إلى رب لا أراه ولا

أعرفه فانصرفوا وقالوا
يا رسول الله ما زادنا
على مقالته الأولى
وأخبث فقال ارجعوا
إليه فرجعوا اليه فبينما
هم جلوس عنده ينازعونه
ويدعونوه وهو يقول
هذه المقالة إذ ارتفعت
سحابة فكانت فوق
رءوسهم فرعدت وبرقت
ورمت بصاعقة فأحترق
الكافر وهم جلوس
فجاءوا ويسعون ليخبروا
رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاستقبلهم قوم من
أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم فقالوا لهم
أحترق صاحبكم فقالوا
من أين علمتم فقالوا
أوحى الله إلى النبي
صلى الله عليه وسلم
ويرسل الصواعق فصيب
بها من يشاء وهم
يجادلون في الله (وهو
شديد الخيال) قال على
رضي الله عنه شديد
الأخذ، وقال ابن عباس
شديد الخول، وقال
الحسن شديد الحقد وقال
مجاهد شديد القوة وقال
أبو عبيدة شديد العقوبة
وقيل شديد المكر،
والهذان والمأخذهما مرة
والغالبية (له دعوة الحق)

عليه وسلم ثم ربتك أم من ياقوت أم من ذهب فنزلت صاعقة من السماء فأحرقته ومثل
الحسن عن قوله ويرسل الصواعق الآية فقال كان رجل من طواغيت العرب بعث إليه النبي
صلى الله عليه وسلم نفرًا من أصحابه يدعونوه إلى الله وإلى رسوله فقال لهم أخبروني عن رب
محمد هذا الذي تدعونني إليه هل هو من ذهب أو فضة أو حديد أو نحاس فاستعظم القوم
كلامه فانصرفوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله ما رأينا رجلاً أكفر قلباً ولا
أنتى على الله منه فقال ارجعوا إليه فرجعوا ولم يزيدهم على مقالته الأولى شيئاً بل قال أجيب
محمدنا إلى رب لا أراه ولا أعرفه فانصرفوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول
الله ما زادنا على مقالته الأولى شيئاً بل قال أخبث فقال ارجعوا إليه فرجعوا إليه فبينما هم عنده
يدعونوه وينازعونوه وهو لا يزيدهم على مقالته شيئاً إذ ارتفعت سحابة فكانت فوق رؤوسهم
فرعدت وبرقت ورمت بصاعقة فأحترقت الكافر وهم جلوس عنده فرجعوا ليخبروا النبي
صلى الله عليه وسلم فلما رجعوا استقبلهم نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا :
لهم احترق صاحبكم قالوا من أين علمتم ذلك قالوا قد أوحى الله إلى النبي صلى الله عليه وسلم
ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء وهم يجادلون في الله . واختلوا في هذه الواو فتبيل واو
الخال فيكون المعنى فيصيب بها من يشاء في حال جداله في الله وذلك أن أربد لما جادل في الله
أهلكه الله بالصاعقة وقيل إنها واو الاستئناف فيكون المعنى أنه تعالى لما تم ذكر الدلائل قال
بعد ذلك وهم يجادلون في الله (وهو شديد الخيال) أي شديد الأخذ بالعقوبة من قولهم يحجل به
مجالاً إذا أراد به سوءاً، وقيل هو من قولهم يحجل به إذا سعى به إلى السلطان وعرضه للهلاك
وتحجل إذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه فيكون المعنى أنه سبحانه وتعالى شديد الخيال
بأعدائه حتى يهلكهم بطريق لا يعرفونه ولا يتوقعونه وقيل الخول وهو الخيلة والميم
زائدة ثم اختلفت عبارات المفسرين في معنى قوله شديد الخيال فقال الحسن معناه شديد النعمة
وقال مجاهد وقناة شديد التوبة وقال ابن عباس شديد الخول وقيل شديد العقوبة وقيل معناه
شديد الجدال وذلك أنه لما أخبر عنهم أنهم يجادلون في الله أخبر أنه أشد جدالاً منهم . قوله
تعالى (له دعوة الحق) يعني الله دعوة الصدق قال على دعوة الحق التوحيد، وقال ابن عباس
شهادة أن لا إله إلا الله قال صاحب الكشاف دعوة الحق فيها وجهان أحدهما أن تصاف الدعوة
إلى الحق الذي هو تقيض الباطل كما تصاف الكلمة إليه في قولك كلمة الحق للدلالة على أن
الدعوة ملازمة للحق محتصة به وأنها بمعزل من الباطل، والمعنى أن الله تعالى يدعى فيستجيب
الدعوة ويعطى الداعي مؤله إن كان اصلحة له فكانت دعوة ملازمة للحق لكونه حقيقاً
بأن يوجه إليه الدعاء لما في دعواته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا نفع فيه ولا جدوى فيرد
دعاه . الثاني أن تصاف إلى الحق الذي هو الله على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب
وعن الحسن الله هو الحق وكل دعاء إليه دعوة الحق . فان قلت ما وجه اتصال هذين الوصفين
بما قبلهما . قلت أما على قصة أربد فله لأن إصابته بالصاعقة كانت بدعوة رسول الله صلى
الله عليه وسلم فإنه دعا عليه وعلى صاحبه عامر بن الطفيل فأجيب فيها فكانت الدعوة
دعوة حق وأما على قوله وهم يجادلون في الله فوعيد للكفار على مجادلهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم وإجابة دعائه إن دعا عليهم وقيل في معنى الآية الدعاء بالإخلاص، والدعاء الخالص
أي لله دعوة الصدق، قال على رضي الله عنه دعوة الحق التوحيد، وقال ابن عباس شهادة أن لا إله إلا الله وقيل الدعاء

الإخلاص ، والدعاء الخالص لا يكون إلا لله عز وجل (والذين يدعون من دونه) أي يعبدون الأصنام من دون الله تعالى (لا يستجيبون لهم بشيء) (١٢) أي لا يجيبونهم بشيء يريدونه من نفع أو دفع ضرر (إلا كياسط كفيه إلى

الماء ليبلغ فاه وما هو
ببالغه) أي إلا كياسط
كفيه ليقبض على الماء
والقايض على الماء لا يكون
في يده شيء ولا يبلغ
إلى فيه منه شيء كذلك
الذي يدعو الأصنام
وهي لا تضر ولا تنفع
لا يكون بيده شيء ،
وقيل معناه كالرجل
العاشان الجالس على
شفير البئر يمد يده إلى
البئر فلا يبلغ قعر البئر
إلى الماء ولا يرتفع إليه
الماء فلا ينفعه بسط
الكف إلى الماء ودعاؤه
له ولا هو يبلغ فاه كذلك
الذين يدعون الأصنام
لا ينفعهم نداؤها
ودعاؤها وهي لا تقدر
على شيء وعن ابن عباس
كالعطشان إذا بسط
كفيه إلى الماء لا ينفعه
ذلك مالم يعرف بهما
الماء ولا يبلغ الماء فاه
مادام باسطا كفيه ، مثل
ضربه الله تخيبة الكفار
(وما دعاء الكافرين)
أصنامهم (إلا في ضلال)
يضل عنهم إذا احتاجوا
إليه كما قال « وصل عنهم
ما كانوا يقفرون » وما

لا يكون إلا لله تعالى (والذين يدعون من دونه) يعني والذين يدعونهم آله من دون الله وهي
الأصنام التي يعبدونها (لا يستجيبون لهم بشيء) يعني لا يجيبونهم بشيء يريدونه من نفع أو دفع
ضرر إن دعواهم (إلا كياسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو بالغه) يعني الاستجابة كاستجابة
الماء لمن بسط كفيه إليه يطلب منه أن يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر بسط كفيه ولا يعطشه ولا
يقدر أن يجيب دعاه أو يبلغ فاه ، وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدنائهم ولا يستطيع
إجابتهم ولا يقدر على قمعهم وقبل شبههم في قلة جلوى دعائهم لأنهم بمن أراد أن يعرف
الماء بيديه ليشربه فيسقطهما ناشرأ أصابعه فلم تلق كفاء منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شربه وقيل
إن القايض على الماء ناشرأ أصابعه لا يكون في يده منه شيء ولا يبلغ إلى فيه منه شيء كذلك
الذي يدعو الأصنام لأنها لا تضر ولا تنفع ولا يفيد منه شيء وقيل شبه بالرجل العطشان
الذي يرى الماء من بعيد بعينه فهو يشير بكفيه إلى الماء ويدعوه بإسائه فلا يأتيه أبدا هذا معنى
قول مجاهد وعن عطاء كالعطشان الجالس على شفير البئر وهو يمد يده إلى البئر فلا هو يبلغ
إلى قعر البئر ليخرج الماء ولا الماء يرتفع إليه فلا ينفعه بسط الكف إلى الماء ودعاؤه له ولا
هو يبلغ فاه كذلك الذين يدعون الأصنام لا ينفعهم ذلك وقال ابن عباس كالعطشان إذا بسط
كفيه في الماء لا ينفعه ذلك مالم يعرف بهما من الماء ولا يبلغ الماء فاه مادام باسطا كفيه وهذا مثل
ضربه الله تعالى للكفار ودعائهم الأصنام حين لا ينفعهم البتة ثم ختم هذا بقوله (وما دعاء
الكافرين) يعني أصنامهم (إلا في ضلال) يعني يضل عنهم إذا احتاجوا إليه قال ابن عباس في
هذه الآية أصواتهم محجوبة عن الله تعالى . قوله عز وجل (ولله يسجد من في السموات والأرض
طوعا وكرها) في معنى هذا السجود قولان أحدهما أن المراد منه السجود على الحقيقة وهو وضع
الجبهة على الأرض ثم على هذا القول في معنى الآية وجهان أحدهما أن اللفظ وإن كان عاما
إلا أن المراد منه الخصوص فقوله ولله يسجد من في السموات يعني الملائكة ومن في الأرض
من الإنس يعني المؤمنين طوعا وكرها ، يعني من المؤمنين من يسجد لله طوعا وهم المؤمنون
المخلصون لله العبادة وكرها يعني المنافقين الداخلين في المؤمنين وليسوا منهم فان سجدتهم لله
على كره منهم لأنهم لا يرجون على سجدتهم ثوابا ولا يخافون على تركه عقابا بل سجدتهم
وعبادتهم خوف من المؤمنين . الوجه الثاني هو حمل اللفظ على العموم وعلى هذا ففى النظم
إشكال وهو أن جميع الملائكة والمؤمنين من الجن والإنس يسجدون لله طوعا ومنهم من
يسجد له كرها كما تقدم وأما الكفار من الجن والإنس فلا يسجدون لله البتة فهنا وجه الإشكال .
والجواب عنه أن المعنى أنه يجب على كل من في السموات ومن في الأرض أن يسجد لله فعبر
بالوجوب عن الوقوع والحصول . وجواب آخر وهو أن يكون المراد من هذا السجود هو
الاعتراف بالعظمة والعبودية وكل من في السموات من ملك ومن في الأرض من إنس وجن
فإنهم يقرون لله بالعبودية والتعظيم ويدل عليه قوله تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات
والأرض ليقولن الله » . والقول الثاني في معنى هذا السجود هو الانقياد والخضوع وترك الامتناع
فكل من في السموات والأرض ساجد لله بهذا المعنى وهذا الاعتبار لأن قدرته ومشيبته نافذة

كانوا يدعون وقال الضحاك عن ابن عباس وما دعاء الكافرين ربهما إلا
في ضلال لأن أصواتهم محجوبة عن الله تعالى (ولله يسجد من في السموات والأرض طوعا وكرها)

في النكل

يعني المنافقين والكافرين الذين أكرهوا على السجود بالسيف (وظلالهم) يعني ظلال الساجدين طوعا وكرها تسجد لله عز وجل طوعا قال مجاهد ظل المؤمن يسجد طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد طوعا وهو كاره (بالغدو والآصال) يعني إذا سجد بالغدو والعشى يسجد معه ظله والآصال جمع الأصل والأصل (١٣) جمع الأصل وهو ما بين

العصر إلى غروب الشمس وقيل ظلهم أي أشخاصهم بالغدو والآصال باليكرو والعشايا وقيل سجود الظل تذييله لما أريد له . قوله تعالى (قل من رب السموات والأرض) أي خالقهما ومدبرهما فسيقولون الله لأنهم يقولون بأن الله خالقهم وخالق السموات والأرض فإذا أجابوك

في السجل فهم خاضعون . يتقادون له . وقوله تعالى (وظلالهم بالغدو والآصال) الغدوة والغداة أول النهار وقيل إلى نصف النهار والغدو بالقسم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس والآصال جمع أصل وهو العشية والآصال العشايا جمع عشية وهي ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس قال المفسرون إن ظل كل شخص يسجد لله سواء ظل المؤمن والكافر وقال مجاهد ظل المؤمن يسجد لله طوعا وهو طائع وظل الكافر يسجد لله كرها وهو كاره وقال الزجاج جاء في التفسير أن الكافر يسجد لعنبر الله وظله يسجد لله قال ابن الأباري ولا يبعد أن يخلق الله تعالى للظلال عقولا وأنهما يسجدان بها وتخشع كما جعل للجبال أفهاما حتى صبحت لله مع داود ، وقيل المراد بسجود الظلال ميلانها من جانب إلى جانب آخر وطوفاً وقصرها بسبب ارتفاع الشمس ونزولها ، وإنما خص الغدو والآصال بالذكر لأن الظلال تعظم وتكثر في هذين الوقتين ، وقيل لأنهما طرفا النهار فيدخل وسطه فيما بينهما .

(فصل)

وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة فيسن للقارئ والمستمع أن يسجد عند قراءته واستماعه هذه السجدة والله أعلم . قوله تعالى (قل من رب السموات والأرض) أي قل يا محمد ذلوا المشركين الذين يعبدون غير الله من رب السموات والأرض يعني من مالك السموات والأرض ومن مدبرهما وخالقهما فسيقولون الله لأنهم مقررون بأن الله خالق السموات وما فيها والأرض وما فيها فان أجابوك بذلك فقل أنت يا محمد الله رب السموات والأرض وقيل لما قال هذه المقالة للمشركين عطفوا عليه وقالوا أحب أنت فأمره الله أن يجيبهم بقوله (قل الله) أي قل يا محمد الله وقيل إنما جاء السؤال والجواب من جهة واحدة لأن المشركين لا يذكر أن الله خالق كل شيء فلما لم يشكروا ذلك وأجاب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الله فكأنهم قالوا ذلك أيضا ثم أزمهم الحجة على عبادتهم الأصنام بقوله (قل) أي قل يا محمد للمشركين (أفأنتخذتم من دونه) يعني من دون الله (أولياء) يعني الأصنام والولي التناصر والمعنى توليتم غير رب السموات والأرض وأنتخذتموهم أنصارا يعني الأصنام (لا يملكون) يعني وهم لا يملكون (لأنفسهم نفعا ولا ضرا) فكيف لعبيدهم ثم ضرب الله مثلا للمشركين الذين يعبدون الأصنام وللمؤمنين الذين يعبدون الله فقال تعالى (قل هل يستوى الأعمى والبصير) قال ابن عباس يعني المشرك والمؤمن (أم هل تستوى الظلمات والنور) يعني الشرك والإيمان والمعنى كما لا يستوى الأعمى والبصير كذلك لا يستوى الكافر والمؤمن وكما لا تستوى الظلمات والنور كذلك لا يستوى الكفر والإيمان وإنما شبه الكافر بالأعمى لأن الأعمى لا يهتدى سبيلا كذلك الكافر لا يهتدى سبيلا (أم جعلوا لله شركاء) هذا استنهام إنكارا يعني جعلوا لله شركاء (خلقوا كخلقهم) يعني خلقوا سموات وأرضين وشمسا وقمرًا وجبالا وبحارا وجنات وإنسا (فتشابه الخلق عليهم) من هذا الوجه والمعنى هل رأوا غير الله خلق شيئا فاشتبه عليهم خالق الله بخلق غيره وقيل إنه تعالى ونظمهم بقوله أم جعلوا لله شركاء خلقوا خلقا مثل خلقه

فقل أنت أيضا يا محمد الله ، وروى أنه قال هذا للمشركين عطفوا عليه فقالوا أحب أنت فأمره الله عز وجل فقال (قل) أنت يا محمد (الله) ثم قال الله لهم إزاء للحجة (قل أفأنتخذتم من دونه أولياء) معناه أنكم مع إقراركم بأن الله خالق السموات والأرض أنتخذتم من دونه أولياء فعبدتموها من دون الله يعني الأصنام وهم (لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضرا) فكيف يملكون لكم ، ثم ضرب لهم مثلا فقال (قل هل يستوى الأعمى والبصير) كذلك لا يستوى الكافر

والمؤمن (أم هل تستوى) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر يستوى بالياء وقرأ الآخرون بالناء لأنه لا حائل بين الفعل والاسم المؤنث (الظلمات والنور) أي كما لا يستوى الظلمات والنور لا يستوى الكفر والإيمان (أم جعلوا) أي جعلوا (الله شركاء خلقوا كخلقهم فتشابه الخلق عليهم) أي اشتبه ما خلقوه بما خلقه الله تعالى فلا يبدون ما خلق الله وما خلق آلهتهم

فتشبهه خلق الشركاء بخلق الله عندهم وهذا استفهام لا كاري أي ليس الأمر كذلك حتى يشبهه عليهم الأمر بل إذا تفكروا بعقولهم وجدوا الله تعالى هو المنفرد بخلق سائر الأشياء والشركاء مخلوقون له أيضا لا يخلقون شيئا حتى يشبهه خلق الله بخلق الشركاء وإذا كان الأمر كذلك فقد أزمتهم الحجة وهو قوله تعالى (قل الله خالق كل شيء) أي قل يا محمد هؤلاء المشركين الله خالق كل شيء مما يصح أن يكون مخلوقا وقوله الله خالق كل شيء من العموم الذي يراد به الخصوص لأن الله تعالى خلق كل شيء وهو غير مخلوق (وهو الواحد) يعني والله تعالى هو الواحد المنفرد بخلق الأشياء كلها (القهار) لعباده حتى يدخلهم تحت قضائه وقدره وإرادته . وقوله عز وجل (أنزل من السماء ماء) لما شبه الله عز وجل الكافر بالأعمى والمؤمن بالبصير وشبه الكفر بالظلمات والإيمان بالنور ضرب لذلك مثلا فقال تولى أنزل من السماء ماء يعني المطر (فسالت أودية بقدرها) أودية جمع واد وهو المنحرج بين الجبلين يسيل فيها الماء وقوله فسالت أودية فيه اتساع وحذف تقديره فسالت في الوادي فهي كما يقال جرى النهر والمراد جرى الماء في النهر فحذف في لدلالة الكلام عليه بقدرها قال مجاهد مثلها وقال ابن جريج الصغير بقدره والكبير بقدره وقبل بمقدار ماها وإنما نكر أودية لأن المطر إذا نزل لا يعم جميع الأرض ولا يسيل في كل الأودية بل ينزل في أرض دون أرض ويسيل في واد دون واد فلهذا السبب جاء هذا بالتمثيل وقال ابن عباس أنزل من السماء ماء يعني قرآنا وهذا مثل ضربه الله تعالى فسالت أودية بقدرها يريد بالأودية القلوب شبه نزول القرآن الجامع للهدى والنور والبيان بنزول المطر لأن المطر إذا نزل عم نفعه وكذلك نزول القرآن وشبه القلوب بالأودية ، لأن الأودية يستكن فيها الماء وكذلك القلوب يستكن فيها الإيمان والعرفان بركة نزول القرآن فيها وهذا خاص بالمتؤمنين لأنهم الذين اتصفوا بنزول القرآن (ق) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا ورعوا وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلأ فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فتعلم وعلم ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به ، قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله وغيره في معنى هذا الحديث وشرحه أما الكلأ فبأنه يقع على الرطب واليابس من الحشيش ، وأما قوله وكان منها أجادب فبالجمع والدال المهملة والياء الموحدة كذا في الصحيحين وهي الأرض التي لا تنبت الكلأ جمع جذب على غير قياس وقياسه أجادب واجذب ضد الخصب وقال الخطابي هي التي تمسك الماء ولم يسرع فيه التنبؤ وفي رواية المروى أخاذات بالحاء المعجمة والدال المعجمة جمع آخاذه وهي الغدير الذي تمسك الماء وقوله ورعوا كذا هو في صحيح مسلم من الرعي ، ووقع في صحيح البخاري وزرعوا بزيادة زاي من الزرع والقيعان بكسر القاف جمع قاع وهو المستوى من الأرض وقوله فذلك مثل من فقه في دين الله يروي بضم القاف وهو المشهور وروي بكسرها ومعناه فهم الأحكام وأما معنى الحديث ومقصوده فهو أن النبي صلى الله عليه وسلم ضرب مثلا لما جاء به من الهدى والزم بالأرض التي أصابها المطر قال العلماء والأرض ثلاثة أنواع وكذلك الناس لأنهم منها خلقوا ، فالنوع الأول

(قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار) ثم ضرب الله تعالى مثلا لنور الضلالت والباطل فقال عز وجل (عنى الله عز وجل (من السماء ماء) يعني المطر (فسالت) من ذلك الماء (أودية بقدرها) أي في الصغير والكبير

(فاحتمل السيل) الذي حدث من ذلك الماء (زيدا رابيا) الزبد الخبيث الذي يظهر على وجه الماء وكذلك على وجه القدر رابيا أي عاليا مرتفعا فوق الماء فلما الصافي الباقي هو الحق والذهب الزائل (١٥) الذي يتغلغل بالأشجار وجوانب

الأودية هو الباطل وقيل قوله أنزل من السماء ماء هذا مثل للقرآن والأودية مثل للقلوب يريد ينزل القرآن فاحتمل منه القلوب على قدر اليقين والعقل والشك والجهل فهذا أحد المثلين والمثل الآخر قوله عز وجل (وما يوقدون عليه في النار) والإيقاد جعل النار تحت الشيء ليذوب (بتغاء حلية) أي لطلب زينة وأراد الذهب والفضة لأن الحلية تطلب منهما (أو متاع) أي طلب متاع وهو ما ينتفع به وذلك مثل الحديد والنحاس والرصاص والصفرة تذاب فيتحكمها الأواني وغيرها مما ينفع بها (زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل) أي إذا أذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء فالباقي الصافي من هذه الجواهر مثل الحق والزبد الذي لا ينتفع به مثل الباطل (فأما الزبد) الذي علا على السيل والقدر (فيذهب) والجفاء مارى به الوادي من الزبد يقال جفأ الوادي

من أنواع الأرض الطيبة التي تنتفع بالمطر فنبت به العشب فينتفع الناس به والدواب بالشرب والرعى وغير ذلك وكذلك النوع الأول من الناس من يبلغه الهدى من غير ذلك من العلم فيحيا به قلبه ويحفظه ويعلى به ويعلمه غيره فينتفع به وينفع غيره قال مسروق صحبت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدتهم كالأخاذات لأن قلوبهم كانت واعية فصارت أوعية للعلوم بما رزقت من صفاء التهورم. النوع الثاني من أنواع الأرض أرض لا تقبل الانتفاع بنفسها لكن فيها فائدة لغورها وهي إمساك الماء لغورها لينتفع به الناس والدواب وكذا النوع الثاني من الناس لهم قلوب خائفة لكن ليس لهم أفهام ثابتة فيبقى ما عندهم من العلم حتى ينجى به الاحتياج إليه المتعطل لما عندهم من العلم فيأخذونه منهم فينتفع به هو وغيره ، النوع الثالث من أنواع الأرض أرض سبعة لا تثبت مرعى ولا تمسك ماء كذلك النوع الثالث من الناس ليس لهم قلوب حافظة ولا أفهام ثابتة فإذا بلغهم شيء من العلم لا ينتفعون به في أنفسهم ولا ينفعون غيرهم والله أعلم . وقوله تعالى (فاحتمل السيل زيدا) الزبد ما يعلو على وجه الماء عند الزيادة كالحليب وكذلك ما يعلو على القدر عند غليها والمعنى فاحتمل السيل الذي حدث من ذلك الماء زيدا (رابيا) يعني عاليا مرتفعا فوق الماء طافيا عليه وهاهنا تم المثل ثم ابتداء مثل آخر فقال تعالى (وما يوقدون عليه في النار) الإيقاد جعل الحطب في النار لتتقد تلك النار تحت الشيء ليذوب (بتغاء حلية) يعني لطلب زينة والضمير في قوله عليه يعود على الذهب والفضة وإن لم يكونا المذكورين لأن الحلية لا تطالب إلا منهما (أو متاع) يعني أو لطلب متاع آخر مما ينتفع به كالحديد والنحاس والرصاص ونحوه مما يذاب وتتخذ منه الأواني وغيرها مما ينتفع به والمتاع كل ما يتمتع به ويقال لكل ما ينتفع به في البيت كالتبغ والقدر ونحو ذلك من الأواني متاع (زبد مثله) يعني أن ذلك الذي يوقد عليه في النار إذا أذيب فله أيضا زبد مثل زبد الماء فالصافي من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي ينتفع به وهو مثل الحق . والزبد من الماء ومن هذه الجواهر هو الذي لا ينتفع به ، وهو مثل الباطل وهو قوله تعالى (كذلك يضرب الله الحق والباطل) فالحق هو الجوهر الصافي الثابت والباطل هو الزبد الطافي الذي لا ينتفع به وهو قوله (فأما الزبد فيذهب جفاء) يعني ضائعا باطلا والجفاء مارى به الوادي من الزبد إلى جرائبه وقبل الجفاء المنفرق يقال جفأت الرياح الغيم إذا فرقت والمعنى أن الباطل وإن علا في وقت فانه يضمحل ويذهب (وأما ما ينتفع الناس) يعني الماء الصافي والجوهر الجيد من هذه الأجسام التي تذاب (فيتمسك في الأرض) يعني تثبت ويبقى ولا يذهب (كذلك يضرب الله الأمثال) قال أهل التصدير والمعاني هذا مثل ضربه الله للحق والباطل والباطل إن علا على الحق في بعض الأوقات والأحوال فإن الله يحضه ويبطله ويجعل العاقبة للحق وأهله كالزبد الذي يعلو على الماء فيذهب الزبد ويبقى للماء الصافي الذي ينتفع به ، وكذلك الصقو من هذه الجواهر يتم ويذهب العلو الذي هو السكر وهو ما ينفخ الكبر مما يذاب من جواهر الأرض كذلك الحق والباطل فالباطل وإن علا في وقت فانه يذهب هو وأهله والحق يظهر هو وأهله وقيل هنا مثل لا يؤمن واعتقاده وانتفاعه بالإيمان كمثل الماء الصافي الذي ينتفع به الناس ومثل الكافر

وأجفا إذا أتى غداه وأجفأت القدر وجفأت إذا غلت وأنت زيدا فإذا سكنت لم يبق فيها شيء معناه أن الباطل وإن علا في وقت فانه يضمحل ويذهب جفاء أي منفردا يقال جفأت الرياح الغيم إذا فرقت وذابت به (وأما ما ينتفع الناس) يعني الماء والفلز من الذهب والفضة والنحاس (فيتمسك في الأرض) أي يبقى ولا يذهب (كذلك يضرب الله الأمثال)

جعل الله هذا مثالا للحق والباطل يعني أن الباطل كالكذب يذهب وتضيع الحق كالماء وانفاز يبق في القلوب وقيل هذا تسلية للمؤمنين يعني أن أمر المشركين * (١٦) كالكذب يرى في الصورة شيئا وليس له حقيقة وأمر المؤمنين كالماء المستقر في مكانه له اليقظة

وخبث اعتقاده كالكذب الذي لا ينتفع به البتة وقيل هذا مثل ضرب الله للنور الذي يحصل في قلوب العباد على ما قسم لها في الأزل لأن الوادي إذا سال كنس كل شيء فيه من النجاسات والمستفترات كذلك إذا سال وادي قلب العبد بالنور الذي قسم له على قدر إيمانه ومعرفته كنس كل ظلمة وغفلة فيه فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض يعني يذهب الباطل وهي الأخلاق المذمومة وتبقى الحقائق وهي الأخلاق الحميدة كذلك يضرب الله الأمثال . وقوله تعالى (للذين استجابوا لربهم الحسنى) وقيل اللام في الذين متعلقة بيضرب والمعنى كذلك يضرب الله الأمثال للمؤمنين الذين استجابوا لربهم يعني أجابوه إلى ما دعاهم إليه من توحيده والإيمان به ورسوله وللكافرين الذين لم يستجيبوا ، فعلى هذا يكون قوله كذلك يضرب الله الأمثال للفريقين من المؤمنين والكافرين وقيل تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الأمثال ثم استأنف بقوله للذين استجابوا لربهم الحسنى قال ابن عباس وجهه هو المفسرين يعني الجنة وقيل الحسنى هي المنفعة العظمى في الحسن وهي المنفعة الخالصة الخالية عن شوائب المضرة والانتقاع (والذين لم يستجيبوا له) يعني الكفار الذين استمروا على كفرهم وشركهم وما كانوا عليه (لو أن هم ما في الأرض جوعا ومثله معه لافتدوا به) يعني لبدلوا ذلك كله قداء لأنفسهم من عذاب النار يوم القيامة (أولئك) يعني الذين لم يستجيبوا لربهم (هم سوء الحساب) قال إبراهيم النخعي سوء الحساب أن يحاسب الرجل بذنبيه كلة لا يغفر له من شيء (وما أوامهم) في الآخرة (جهنم وبئس المهاد) القران أي بئس مامهد هم . قوله تعالى (أفن يعلم إنما أنزل إليك من ربك الحق) فؤمن به ويعمل بما فيه (كمن هو أعمى) يعني أعمى البصيرة لا أعمى البصر وهو الكافر فلا يؤمن بالقرآن ولا يعمل بما فيه قال ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في حمزة ابن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل بن هشام وقيل نزلت في عمار بن ياسر وأبي جهل فالأول هو حمزة أو عمار والثاني هو أبو جهل وحمل الآية على العموم أولى وإن كان السبب مخصوصا والمعنى لا يستوى من يبصر الحق ويتبعه ومن لا يبصر الحق ولا يتبعه وإنما شبه الكافر والجاهل بالأعمى لأن الأعمى لا يتهدى لرشد وربما وقع في مهلكة وكذلك الكافر والجاهل لا يتهديان للرشد وهما واقعان في المهلكة (إنما يتذكر أولوا الألباب) يعني إنما يتعظ ذوو العقول السليمة الصحيحة وهم الذين ينتفعون بالمواعظ والأذكار . قوله عز وجل (الذين يوفون بعهد الله) يعني الذي عاهدتم عليه وهو القيام بما أمرهم به وفرضه عليهم وأصل العهد حفظ الشيء موامراته حالا بعد حال وقيل أراد بالعهد ما أخذ على أولاد آدم حين أخرجهم من صلبه وأخذ عليهم العهد والميثاق (ولا يتفنون الميثاق) بل يوفون به فهو تأكيد لقوله الذين يوفون بعهد الله (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) قال ابن عباس يريد الإيمان بجميع الكتب والرسل يعني يصل بينهم بالإيمان ولا يفرق بين أحد منهم والأكثر على أن المراد به صلة الرحم عن عبد الرحمن بن عوف قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول

(أولوا الألباب) ذوو العقول (الذين يوفون بعهد الله) بما أمرهم الله تعالى به وفرضه عليهم فلا يخالفونه (ولا يتفنون الميثاق) وقيل أراد العهد الذي أخذ على ذرية آدم عليه السلام حين أخرجهم من صلبه (والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل) قيل أراد به الإيمان بجميع الكتب والرسل ولا يفرقون بينهما والأكثر

« إذا قطعت رحمه وصالحها قوله تعالى (ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا) على طاعة الله وقال ابن عباس على أمر الله عز وجل وقال عطاء (١٨) على المصائب والنوائب وقيل عن الشهوات وقيل عن المعاصي (ابتغاء وجه

ربهم) طلب تعظيمه أن يخالفوه (وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) يعني يؤدون الزكاة (ويدبرون بالحسنة السيئة) روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال يدفعون بالصالح من العمل السيئ من قوله «إن الحسنات يذهبن السيئات» وجاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال «إذا عملت سيئة فاعمل بحسنة حسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية» أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث أنبأنا محمد بن يعقوب الكسافي أنبأنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب حدثنا أبو الخير أنه سمع هبة بن عامر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل كان عليه درع ضيقة قد خفتته ثم عمل حسنة فانفكت حاتمته ثم عمل أخرى فانفكت أخرى حتى خرج إلى الأرض» وقال ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير إذا سفه عليهم حلدوا والسفه السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم ردا معروفا وقال الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة إلى أبواب الجنة الثمانية قلت إنما هي تسع خلال فيحتمل أنه عد تخليتين

في الأهل ومثراة في المال ومنسأة في الأثر» أخرجه الترمذي . وقوله تعالى (ويخشون ربهم) يعني أنهم مع وفائهم بعهد الله وميثاقه والقيام بما أمر الله به من صلة الرحم بخشون ربهم والخشية خوفا يشوبه تعظيمه وأكثر ما يكون ذلك من علم بما يخشى منه (ويخافون سوء الحساب) تقدم معناه (والذين صبروا) يعني على طاعة الله وقال ابن عباس على أمر الله وقال عطاء على المصائب والنوائب وقيل صبروا عن الشهوات وعن المعاصي وقيل حملة على العموم أولى فيدخل فيه الصبر على جميع النوائب والمأورات من سائر العبادات والطاعات وجميع أعمال البر وترك جميع المنهيات فيدخل فيه ترك جميع المعاصي من الحسد والحقد والغيبة وغير ذلك من المنهيات ويدخل فيه الصبر عن المباحات مثل جميع الشهوات والصبر على ما نزل به من الأمراض والمصائب وأصل الصبر حبس النفس عما يتضيه العقل أو الشرع أو عما يقتضيان حيسهاعته فالصبر لفظ عام يدخل تحته جميع ما ذكر وإنما قيد الصبر بقوله (ابتغاء وجه ربهم) لأن الصبر ينقسم إلى نوعين: الأول الصبر المذموم وهو أن الإنسان قد يصبر ليقال ما أكمل صبره وأشد قوته على ما تحمل من النوازل وقد يصبر لئلا يعاب على الخزع وقد يصبر لئلا تنسبته به الأعداء وكل هذه الأمور وإن كان ظاهرها الصبر فليعلم ذلك داخل تحت قوله «ابتغاء وجه ربهم» لأنها لغير الله تعالى. النوع الثاني الصبر الحمود وهو أن يكون الإنسان صابرا لله تعالى راضيا بما نزل به من الله طالبا في ذلك الصبر ثواب الله محسبا أجره على الله فهذا هو الصبر الداخل تحت قوله «ابتغاء وجه ربهم» يعني صبروا على ما نزل بهم تعظيما لله وطلب رضوانه (وأقاموا الصلاة) يعني الصلاة المفروضة وقيل حملة على العموم أولى فيدخل صلاة الفرض والنفل والمراد بإقامتها إتمام أركانها وهيئاتها (وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية) قال الحسن المراد به الزكاة المفروضة فإن لم يتهم بترك أداء الزكاة فالأولى أن يؤديها سرا وإن كان متبعا أداء الزكاة فالأولى أن يؤديها علانية وقيل إن المراد بالسر ما يخرج من الزكاة بنفسه والمراد بالعلانية ما يؤديه إلى الإمام وقيل المراد بالسر صدقة التطوع والمراد بالعلانية الزكاة الواجبة وحملة على العموم أولى (ويدبرون بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بالعمل الصالح العمل السيئ وهو معنى قوله «إن الحسنات يذهبن السيئات» ويدل على صحة هذا التأويل ما جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إذا عملت سيئة فاعمل بحسنة تمحها السر بالسر والعلانية بالعلانية» وروى البغوي بسنده عن عقبه بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن مثل الذي يعمل السيئات ثم يعمل الحسنات كمثل رجل عليه درع ضيقة قد خفتته ثم عمل حسنة فانفكت حاتمته ثم عمل أخرى فانفكت أخرى حتى خرج إلى الأرض» وقال ابن كيسان يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير إذا سفه عليهم حلدوا والسفه السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم ردا معروفا وقال الحسن إذا حرموا أعطوا وإذا ظلموا عفوا وإذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان خلال مشيرة إلى أبواب الجنة الثمانية قلت إنما هي تسع خلال فيحتمل أنه عد تخليتين

الحسنات كمثل رجل كان عليه درع ضيقة قد خفتته ثم عمل حسنة فانفكت عنه حاتمته ثم عمل أخرى فانفكت أخرى حتى يخرج إلى الأرض» وقال ابن كيسان معنى الآية يدفعون الذنب بالتوبة وقيل لا يكافون الشر بالشر ولكن يدفعون الشر بالخير إذا سفه عليهم حلدوا والسفه السيئة والحلم الحسنة وقال قتادة ردوا عليهم ردا معروفا نظيره قوله تعالى «وإذا

خاطبهم الجاهلون قالوا اسلاما وقال الحسن اذا حرمتوا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا قال عبد الله بن المبارك هذه ثمان
خلال شيرة الى ثمانية ابواب الجنة (اولئك لهم عقبي الدار) يعني الجنة اى عاقبتهم دار الثواب ثم بين ذلك فقال (جنات عدن)
بساتين إقامة (يدخاونها) ومن صلح من آباؤهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة (١٩) يدخلون عليهم من كل باب) قيل

بواحدة ولما ذكر الله عز وجل هذه الخلال من أعمال البر ذكر بعدها ما أعد للعاملين بها من
الثواب فقال تعالى (أولئك) يعني من أتى بهذه الأعمال (لهم عقبي الدار) يعني الجنة والمعنى إن
عاقبتهم دار الثواب (جنات عدن) بدل من عقبي الدار يعني بساتين إقامة يقال عدن بالمكان
إذا أقام به (يدخاونها) يعني الدار التي تقدم وصفها (ومن صلح من آباؤهم وأزواجهم وذرياتهم)
يعنى ومن صدق من آباؤهم بما صدقوا به وإن لم يعمل بأعمالهم قاله ابن عباس وقال الزجاج
إن الإنسان لا ينتفع بغير أعماله الصالحة فعلى قول ابن عباس معنى صلح صدق وآمن ووجد
وعلى قول الزجاج معناه أصلح في عمله قال الواحدي والصحيح ما قاله ابن عباس لأن الله
تعالى جعل ثواب المطيع سروره مما يراه في أهله حيث بشره بدخوله الجنة مع هؤلاء فدل
على أنهم يدخاونها كرامة للمطيع العامل الآتى بالأعمال الصالحة ولو كان دخولهم الجنة
بأعمالهم الصالحة لم يكن في ذلك كرامة للمطيع ولا فائدة في الوعد به إذ كل من كان صالحا
في عمله فهو يدخل الجنة . قال الإمام فخر الدين الرازى قوله تعالى وأزواجهم ليس فيه ما يدل
على التمييز بين زوجة وزوجة ولعل الأولى من مات عنها أو ماتت عنه . وروى أنه لما كثر سودة
أراد النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها فسألته أن لا يفعل ووهبت يومها لعائشة فأمسكها رجاء
أن تحشر في جملة أزواجه فهو كالدليل على ما ذكرناه . وقوله تعالى (والملائكة يدخلون
عليهم من كل باب) يعني من أبواب الجنة وقيل من أبواب القصور . قال ابن عباس يريد به التحية
من الله والتحف والهدايا (سلام عليكم) يعني يقولون سلام عليكم فأضمر القول هاهنا للدلالة
الكلام عليه (بما صبرتم) يعني يقولون لهم سلمكم الله من الآفات التي كنتم تخافونها في الدنيا
وأدخلكم بما صبرتم في دار الدنيا على الطاعات وترك المحرمات الجنة وقيل إن السلام قول
والصبر فعل ولا يكون القول ثوابا للفعل فعلى هذا يكون قوله سلام عليكم دعاء من الملائكة
لهم يعني سلمكم الله بما صبرتم قال مقاتل إن الملائكة يدخلون عليهم في مقدار كل يوم من
أيام الدنيا ثلاث مرات معهم الهدايا والتحف من الله تعالى يقولون سلام عليكم بما صبرتم ،
وروى البغوي بسنده عن أبي أمامة موقوفا عليه قال : إن المؤمن ليسكون متكئا على أريكته
إذا دخل الجنة وعنده . ساطن من خدم وعند طرف الساطين باب مبوب فيقبل الملك من
ملائكة الله يستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب فإذا بالملك يستأذن فيقول للذي يليه ملك
يستأذن ويقول الآخر كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول أقربهم إلى المؤمن
ائذنوا له ويقول الذي يليه ائذنوا له وكذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل
فيسلم ثم ينصرف (فنعم عقبي الدار) يعني فنعم العقبي الدار وقيل معناه فنعم عقبي الدار
بأنتم فيه (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) لما ذكر الله أحوال السعداء وما أعد لهم
من الكرامات والخيرات ذكر بعده أحوال الأشقياء وما لهم من العقوبات فقال تعالى
والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ونقض العهد ضد الوفاء به وهذا من صفة الكفار

من أبواب الجنة وقيل
من أبواب القصور
(سلام عليكم) أى
يقولون سلام عليكم
وقيل يقولون سلمكم
الله من الآفات التي
تخافون منها قال مقاتل
يدخاؤون عليهم في مقدار
يوم وليلة من أيام الدنيا
ثلاث كرات معهم
الهدايا والتحف من الله
عز وجل يقولون سلام
عليكم (بما صبرتم فنعم
عقبي الدار) أخبرنا
أبو بكر محمد بن عبد الله
ابن أبي توبة أنا أبو طاهر
محمد بن أحمد بن الحارث
أنا أبو الحسن محمد بن
يعقوب الكيساني أنا
عبد الله بن محمد أنا
إبراهيم بن عبد الله الخليل
ثنا عبد الله بن المبارك
عن بقيق بن الوليد حدثني
أرطاة بن المنذر قال
سمعت رجلا من مشيخة
الجنود يقال له أبو الحجاج
يقول جلست إلى أبي
أمامة فقال : إن المؤمن
ليكون متكئا على أريكته
إذا أدخل الجنة وعنده
سماطان من خدم وعند
طرف السماطين باب
مبوب فيقبل ملك من
ملائكة الله فيستأذن

فيقوم أدنى الخدم إلى الباب فإذا هو بالملك يستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن ويقول الذي يليه ملك يستأذن
كذلك حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول أقربهم إلى المؤمن ائذنوا له ويقول الذي يليه ائذنوا له وكذلك حتى
يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف (والذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه) هذا في الكفار

(ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) أي يؤمنون ببعض الأنبياء ويكفرون ببعض وقيل يقطعون الرحم (ويفسدون في الأرض) أي يعلون المعاصي (أولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار) يعني النار وقيل سوء المنقلب لأن منقلب الناس دورهم . قوله تعالى (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) (٣٠) أي يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء (وفرحوا بالحياة الدنيا)

لأنهم هم الذين نقضوا عهد الله يعني خالفوا أمره ومعنى من بعد ميثاقه من بعد ما أوثقوه على أنفسهم بالاعتراف والقبول (ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل) يعني ما بينهم وبين المؤمنين من الرحم والقرباة (ويفسدون في الأرض) يعني بالكفر والمعاصي (أولئك) يعني من هذه صفته (لهم اللعنة) يعني الطرد عن رحمة الله يوم القيامة (ولهم سوء الدار) يعني النار لأن منقلب الناس في العرف إلى دورهم ومنازلهم فالؤمنون لهم عقبى الدار وهي الجنة والكفار لهم سوء الدار وهي النار . قوله تعالى (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني يوسع على من يشاء من عباده فيغنيه من فضله ويضيق على من يشاء من عباده فيفقره ويقتر عليه وهذا أمر اقتضته حكمة الله (وفرحوا بالحياة الدنيا) يعني مشركي مكة لما بسط الله عليهم الرزق أشروا ويطروا ، والفرح لذة تحصل في القلب بنيل المشتهى . وفيه دليل على أن الفرح بالدنيا والركون إليها حرام (وما الحياة الدنيا في الآخرة) يعني بالنسبة إلى الآخرة (الإمتاع) أي قليل ذاهب قال السكابي المتاع مثل السكرجة والقصعة والقدح والقدر ينتفع بها ثم تذهب (ويقول الذين كفروا) من أهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يبضل من يشاء ويهدي إليه من أناب) أي يهدي إليه من يشاء بالإجابة وقيل رشد إلى دينه من رجع إليه بقلبه (الذين آمنوا) في محل النصب يدل من قوله من أناب (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) قال مقاتل بالقرآن والسكون يكون باليقين والاضطراب يكون بالشك (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) تسكن قلوب المؤمنين ويستقر فيها اليقين قال ابن عباس هذا في الخلف يقول إذا حلف المسلم بالله على شيء تسكن قلوب المؤمنين إليه . فان قلت أليس قد قال الله تبارك وتعالى في أول سورة الأنفال إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ، والوجل استشعار الخوف وحصول الاضطراب وهو ضد الطمأنينة فكيف وصفهم بالوجل والطمأنينة وهل يمكن الجمع بينهما في حال واحد . قلت إنما يكون الوجع عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة إنما تكون عند الوعد والثواب فالقول بوجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وعقابه وتطمئن إذا ذكرت فضل الله ورحمته وكرمه وإحسانه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات طوبى لهم) اختلف العلماء في تفسير طوبى فقال ابن عباس فرح لهم وقرة عين وقال عكرمة نعمى لهم وقال قتادة حسن لهم وفي رواية أخرى عنه إن هذه الكلمة عربية يقول الرجل للطيب وقيل تأويلها الحال المستطابة لهم وهو كل ما استطابه هؤلاء في الجنة من بقاء بلا فناء وعز بلا ذل وغنى بلا فقر وصحة بلا سقم قال الأزهري تقول طوبى لك وطوباك لحن لانقوله

يعني مشركي مكة أشروا ويطروا والفرح لذة في القلب بنيل المشتهى وفيه دليل على أن الفرح بالدنيا حرام (وما الحياة الدنيا في الآخرة إلا متاع) أي قليل ذاهب قال السكابي كمثل السكرجة والقصعة والقدح والقدر ينتفع بها ثم تذهب (ويقول الذين كفروا) من أهل مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه قل إن الله يبضل من يشاء ويهدي إليه من أناب) أي يهدي إليه من يشاء بالإجابة وقيل رشد إلى دينه من رجع إليه بقلبه (الذين آمنوا) في محل النصب يدل من قوله من أناب (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) قال مقاتل بالقرآن والسكون يكون باليقين والاضطراب يكون بالشك (ألا بذكر الله تطمئن القلوب) تسكن قلوب المؤمنين ويستقر فيها اليقين قال ابن عباس هذا في الخلف يقول إذا حلف المسلم بالله على شيء تسكن قلوب المؤمنين إليه فان

قيل أليس قد قال الله تعالى (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) فكيف تكون الطمأنينة ووجل في حالة العرب واحدة قيل الوجع عند ذكر الوعيد والعقاب والطمأنينة عند ذكر الوعد والثواب فالقول بوجل إذا ذكرت عدل الله وشدة حسابه وتطمئن إذا ذكرت فضل الله وكرمه (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) ابتداء ، وقوله (طوبى لهم) خبره . واختلفوا

في تفسير طوبى ، روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فرح لهم وقرة عين وقال عكرمة نعم ما لهم وقال قتادة حتى لم وقال معمر عن قتادة هذه كلمة عربية يقول الرجل للرجل طوبى لك أى أصبت خيرا وقال إبراهيم خبير لهم وكرامة قال الفراء أصله من الطيب والواو فيه لضمه الطاء وفيه لغتان تقول العرب طوباك وطوبى لك أى لم الطيب (وحسن مأب) أى حسن المنقلب وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس طوبى اسم الجنة بالحبيشية وقال الربيع هو البستان بلغة الهند وروى عن أنى أمامة وأبى هريرة وأبى الدرداء قالوا طوبى شجرة في الجنة تظل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير هى شجرة في جنة عدن أصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة غصن منها لم يخلق الله لونا ولا زهرة إلا وفيها منها إلا السواد ولم يخلق الله تعالى فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها ينبع من أصلها عيران (٢١) الكافور والسلسيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة

العرب وهو قول أكثر نحويين وقال سعيد بن جبير طوبى اسم الجنة بالحبيشية وروى عن أنى أمامة وأبى هريرة وأبى الدرداء أن طوبى اسم شجرة في الجنة تظل الجنان كلها وقال عبيد بن عمير هى شجرة في جنة عدن أصلها في دار النبي صلى الله عليه وسلم وفي كل دار وغرفة في الجنة منها غصن لم يخلق الله لونا ولا زهرة إلا وفيها منه إلا السواد ولم يخلق الله فاكهة ولا ثمرة إلا وفيها منها ينبع من أصلها عيران الكافور والسلسيل وقال مقاتل كل ورقة منها تظل أمة عليها ملك يسبح الله بأنواع التسبيح وروى عن أنى سعيد الخدرى أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اطوبى قال شجرة في الجنة تظلها مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها وعن معاوية بن قرة عن أنى برفعه قال وطوبى شجرة غرسها الله بيده ونفخ فيها من روحه تثبت الخلى والحلل وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة هكذا ذكر البغوى هذين الحديثين بغير سند ، وروى بسنده موقوفا عن أنى هريرة قال: إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة اقرءوا إن شئتم وظل ممدود فبلغ ذلك كعب الأبحار فقال صدق والذي أنزل التوراة على موسى والقرآن على محمد لو أن رجلا ركب فرسا أو حقة أو جذعة ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط حرما إن الله غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة وما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة فقال البغوى وبهذا الإسناد عن عبد الله بن المبارك عن الأشعث عن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أنى هريرة قال: «إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله لها تفتتى لعبدى عما يشاء فتفتق له عن فرس مسرجة بلجامها وهيئتها كما يشاء وتفتق له عن الراحلة برجلها وزمامها وهيئتها كما يشاء وعن الثياب» (ق) عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها» (ق) وعن أنى سعيد الخدرى رضى الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة» زاد البخارى في روايته «واقرءوا إن شئتم وظل ممدود» وقوله تعالى (وحسن مأب) يعنى ولهم حسن منقلب ومرجع ينقلون ويرجعون إليه في الآخرة وهى الجنة . قوله عز وجل

عليها ملك يسبح الله عزوجل بأنواع التسبيح وروى عن أنى سعيد الخدرى أن رجلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اطوبى قال شجرة في الجنة تظلها مسيرة مائة سنة ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها وعن معاوية بن قرة عن أنى برفعه «طوبى شجرة غرسها الله تعالى بيده ونفخ فيها من روحه تثبت الخلى والحلل وإن أغصانها لترى من وراء سور الجنة» أخبرنا محمد بن عبد الله بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائى أنا عبد الله بن محمود

أبنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن إسماعيل بن أبى خالد عن زياد مولى بنى مخزوم أنه سمع أباهريرة رضى الله عنه قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها اقرءوا إن شئتم وظل ممدود» فبلغ ذلك كعبا فقال صدق والذي أنزل التوراة على موسى عليه السلام والقرآن على محمد صلى الله عليه وسلم لو أن رجلا ركب حقه أو جذعة ثم دار بأصل تلك الشجرة ما بلغها حتى يسقط حرما إن الله تعالى غرسها بيده ونفخ فيها من روحه وإن أفنانها لمن وراء سور الجنة ما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة وبهذا الاسناد عن عبد الله بن المبارك عن معمر عن الأشعث بن عبد الله عن شهر بن حوشب عن أنى هريرة قال في الجنة شجرة يقال لها طوبى يقول الله عز وجل لها تفتتى لعبدى عما يشاء فتفتقت له عن فرس مسرجة وبلجامها وهيئتها كما يشاء وتفتقت له عن الراحلة برجلها وزمامها

وهيئتها كما شاء وعن الثياب . قوله تعالى (كذلك أرسلناك في أمة) أي كما أرسلنا الأنبياء إلى الأمم أرسلناك إلى هذه الأمة (قد خلعت) مضت (من قبلها أمم لتتلو) لتقرأ (عليهم الذي أوحينا إليك وهم يكفرون بالرحمن) قال قتادة ومقاتل وابن جرير الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك أن سهيل بن عمرو لما جاء إلى النبي ﷺ وانفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل يكتب باسم الله الرحمن الرحيم قالوا لانعرف الرحمن إلا صاحب الهامة يعنون مسيامة الكذاب اكتب كما كنت نكتب باسمك اللهم . فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن والمعروف أن الآية مكية (٢٢) وسبب نزولها أن أبا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو

بإله بارحمن فرجع إلى المشركين فقال إن محمداً يدعو لإلهين يدعو الله ويدعو لإله آخر يسمى الرحمن ولا يعرف الرحمن إلا رحمن الهامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى وقل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي ﷺ اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن قال الله تعالى (قل) لهم يا محمد إن الرحمن الذي أنكرتم معرفته (هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت) يعني عليه اعتمدت في أموري كلها (وإليه متاب) يعني وإليه توبتي ورجوعي . قوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) الآية نزلت في نفر من مشركي قريش منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا خيف النبي صلى الله عليه وسلم فأزهم وقبل إنه مرهم وهم جلوس فدعاهم إلى الله عز وجل فقال له عبد الله بن أبي أمية إن سمرك أن تتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تتفتح فإنا أرض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها أنهارا وعبونا لنغرس الأشجار ونزرع وتتخذ البساتين فليست كما زعمت بأهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر لنا الريح ليركبها إلى الشام لميرتنا وحوادثنا ونرجع في يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت بأهون على ربك من سليمان أو أحق لنا جدك قصيا أو من شئت من مولاتنا لتسأله عن أمرك أحق أو باطل فإن عيسى كان يحيى الموتى ولست بأهون على

(كذلك أرسلناك في أمة قد خلعت من قبلها أمم) يعني كما أرسلناك يا محمد إلى هذه الأمة كذلك أرسلنا أنبياء قبلك إلى أمم قد خلعت ومضت (لتتلو عليهم الذي أوحينا إليك) يعني لتقرأ على أمتك الذي أوحينا إليك من القرآن وشرايع الدين (وهم يكفرون بالرحمن) قال قتادة ومقاتل وابن جرير هذه الآية مدنية نزلت في صلح الحديبية وذلك أن سهيل بن عمرو لما جاء للصلح وانفقوا على أن يكتبوا كتاب الصلح قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل بن أبي طالب اكتب باسم الله الرحمن الرحيم فقالوا لانعرف الرحمن إلا صاحب الهامة يعنون مسيامة الكذاب اكتب كما نكتب باسمك اللهم . فهذا معنى قوله وهم يكفرون بالرحمن يعني أنهم ينكروونه ويجهلونه والمعروف أن الآية مكية . وسبب نزولها أن أبا جهل سمع النبي صلى الله عليه وسلم وهو في الحجر يدعو ويقول في دعائه بإله بارحمن فرجع أبو جهل إلى المشركين وقال إن محمداً يدعو لإلهين يدعو الله ويدعو لإله آخر يسمى الرحمن ولا يعرف الرحمن إلا رحمن الهامة فنزلت هذه الآية ونزل قوله تعالى وقل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أيا ما تدعوا فله الأسماء الحسنى وروى الضحاك عن ابن عباس أنها نزلت في كفار قريش حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فقال الله تعالى (قل) أي قل يا محمد إن الرحمن الذي أنكرتم معرفته (هو ربي لا إله إلا هو عليه توكلت) يعني عليه اعتمدت في أموري كلها (وإليه متاب) يعني وإليه توبتي ورجوعي . قوله تعالى (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) الآية نزلت في نفر من مشركي قريش منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا خيف النبي صلى الله عليه وسلم فأزهم وقبل إنه مرهم وهم جلوس فدعاهم إلى الله عز وجل فقال له عبد الله بن أبي أمية إن سمرك أن تتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تتفتح فإنا أرض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها أنهارا وعبونا لنغرس الأشجار ونزرع وتتخذ البساتين فليست كما زعمت بأهون على ربك من داود حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر لنا الريح ليركبها إلى الشام لميرتنا وحوادثنا ونرجع في يومنا كما سخرت لسليمان كما زعمت بأهون على ربك من سليمان أو أحق لنا جدك قصيا أو من شئت من مولاتنا لتسأله عن أمرك أحق أو باطل فإن عيسى كان يحيى الموتى ولست بأهون على

الله

الآية نزلت في نفر من مشركي مكة منهم أبو جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية

جلسوا خلف الكعبة وأرسلوا إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأنهم فقال له عبد الله بن أبي أمية إن سمرك أن تتبعك فسير جبال مكة بالقرآن فادفعها عنا حتى تتفتح فإنا أرض ضيقة لمزارعنا واجعل لنا فيها عيوناً وأنهاراً لنغرس فيها الأشجار ونزرع وتتخذ البساتين فليست كما زعمت بأهون على ربك من داود عليه السلام حيث سخر له الجبال تسير معه أو سخر لنا الريح ليركبها إلى الشام لميرتنا وحوادثنا ونرجع في يومنا فقد سخرت الريح لسليمان كما زعمت ولست بأهون على ربك من سليمان أو أحق لنا جدك قصيا أو من شئت من مولاتنا لتسأله عن أمرك أحق ما تقول أم باطل فإني عيسى كان يحيى الموتى ولست بأهون على الله منه فأزل الله عز وجل . ولو أن قرآنا سيرت به الجبال . فأذهبت عن وجه الأرض

(أو قطعت به الأرض) أي شقت فجعلت أنهارا وعبونا (أو كلم به الموتى) واختلفوا في جواب لو فقال قوم جوابه محذوف اكتفاء بمعرفة السامعين مراده وتقديره لكان هذا القرآن كقول الشاعر : فأقسم لو شيء أنا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا أراد لرددناه وهذا معنى قول قتادة قال لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم (٢٣) لفعل بقرآنكم وقال الآخرون

جواب لو مقدم وتقدير الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال كأنه قال لو سيرت به الجبال

أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا لما سبى من علمنا فيهم كما قال : وواو أن أنزلنا إليهم

الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا يؤمنوا إلا أن يشاء الله ثم قال (بل الله الأمر جميعا) أي في

هذه الأشياء إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل (أفلم يأس الذين آمنوا) قال أكثر المفسرين معناه أفلم يعلم قال الكلبي هي لغة النخع وقيل هي لغة هوازن يدل عليه قراءة ابن عباس أفلم يتبين

الذين آمنوا أنكروا الفراء أن يكون ذلك بمعنى العلم وزعم أنه لم يسمع أحدا من العرب يقول يتست بمعنى علمت ولكن معنى العلم نية مضمر وذلك أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لما سمعوا هذا من

المشركين طمعو أن يفعل الله ما سألو فبؤمنوا فنزل أفلم يأس الذين آمنوا يعني الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من إيمان هؤلاء أي لم يأسوا علما وكل من علم شيئا يتست من خلافه يقول لم يئسهم العلم (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من الكفر والأعمال الخبيثة (قارعة) أي نازلة وداهية تفرعهم بأنواع البلياء أحيانا مرة بالجذب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والأسر وقال ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها

المشركين طمعو أن يفعل الله ما سألو فبؤمنوا فنزل أفلم يأس الذين آمنوا يعني الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من إيمان هؤلاء أي لم يأسوا علما وكل من علم شيئا يتست من خلافه يقول لم يئسهم العلم (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وأعمالهم الخبيثة (قارعة) أي نازلة وداهية تفرعهم من أنواع البلاء

الله من عيسى فأنزل الله هذه الآية ولو أن قرآنا سيرت به الجبال فأذهبت عن وجه الأرض (أو قطعت به الأرض) يعني شقت فجعلت أنهارا وعبونا (أو كلم به الموتى) فأحيوا واختلفوا في جواب لو فقال قوم جوابه محذوف اكتفاء بمعرفة السامعين مراده وتقديره ولو أن قرآنا فعل به كذا وكذا لكان هذا القرآن فهو كقول الشاعر :

فأقسم لو شيء أنا رسوله سواك ولكن لم نجد لك مدفعا أراد لو شيء أنا رسوله سواك لرددناه وهذا معنى قول قتادة فإنه قال معناه لو فعل هذا بقرآن قبل قرآنكم لفعل بقرآنكم وقال آخرون جواب لو تقدم تقدير الكلام وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلم به الموتى لكفروا بالرحمن ولم يؤمنوا به لما سبى من علمنا فيهم كما قال : ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا يؤمنوا ثم قال تعالى (بل الله الأمر جميعا) يعني في هذه الأشياء وفي غيرها إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل (أفلم يأس الذين آمنوا) قال أكثر المفسرين معناه أفلم يعلم قال الكلبي هذه لغة النخع وقيل هي لغة هوازن واختلف أهل اللغة في هذه اللفظة فقال الليث وأبو عبيد لم يأس لم يعلم واستدلوا هذه اللغة بقول الشاعر :

أقول هم بالشعب إذ يأسروني ألم تياسوا أي ابن فارس زهدم يعني لم تعلموا واستدلوا عليه أيضا بقول شاعر آخر :

لم يأس الأعمام أي أنا ابنه وإن كنت عن أرض العشيرة أيما يعني لم يعلم الأعمام قال قطرب يتست بمعنى علم لغة للعرب قالوا ووجه هذه اللغة أنه إنما وقع اليأس في مكان العلم لأن علمك بالشيء موقنك به يثسك من غيره وقيل لم يرد أن اليأس في موضع كلام العرب للعلم وإنما قصد أن يأس الذين آمنوا من ذلك يقتضي أن يحصل العلم بانتفائه فاذن معنى بأسهم يقتضي حصول العلم وقال الكسائي ما وجدت العرب تقول يتست بمعنى علمت قال وهذا الحرف في القرآن من اليأس المعروف لامن العلم وذلك أن المشركين لما طالبوا رسول الله ﷺ بهذه الآيات أشرب المسلمون لذلك وأرادوا أن يظهر لهم آية ليجتمعوا على الإيمان فقال الله تعالى أفلم يأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء ويعلموا علما يقينا (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا) يعني من غير ظهور آية وقال الزجاج القول عندي أن معناه أفلم يأس الذين آمنوا من إيمان هؤلاء لأن الله لو يشاء لهدى الناس جميعا . - واصله أن في معنى الآية قولين : أحدهما أن يتست بمعنى علم . والقول الثاني أنه من اليأس المعروف وتقدير القولين ما تقدم وتمسك أهل السنة بقوله أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا على أن الله لم يشأ هداية جميع الخلائق (ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) يعني من الكفر والأعمال الخبيثة (قارعة) أي نازلة وداهية تفرعهم بأنواع البلياء أحيانا مرة بالجذب ومرة بالسلب ومرة بالقتل والأسر وقال ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثها

المشركين طمعو أن يفعل الله ما سألو فبؤمنوا فنزل أفلم يأس الذين آمنوا يعني الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من إيمان هؤلاء أي لم يأسوا علما وكل من علم شيئا يتست من خلافه يقول لم يئسهم العلم (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وأعمالهم الخبيثة (قارعة) أي نازلة وداهية تفرعهم من أنواع البلاء

المشركين طمعو أن يفعل الله ما سألو فبؤمنوا فنزل أفلم يأس الذين آمنوا يعني الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من إيمان هؤلاء أي لم يأسوا علما وكل من علم شيئا يتست من خلافه يقول لم يئسهم العلم (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وأعمالهم الخبيثة (قارعة) أي نازلة وداهية تفرعهم من أنواع البلاء

المشركين طمعو أن يفعل الله ما سألو فبؤمنوا فنزل أفلم يأس الذين آمنوا يعني الصحابة رضي الله عنهم أجمعين من إيمان هؤلاء أي لم يأسوا علما وكل من علم شيئا يتست من خلافه يقول لم يئسهم العلم (أن لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وأعمالهم الخبيثة (قارعة) أي نازلة وداهية تفرعهم من أنواع البلاء

أحيانا بالجذب وأحيانا بالسباب وأحيانا بالقتل والأسر وقال ابن عباس أراد بالقارعة السرايا التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعثهم إليهم (أو تحل) يعني السرية أو القارعة (قريبا من دارهم) وقيل أو تحل أي تنزل أنت يا محمد بنفسك قريبا من ديارهم (حتى يأتي وعد الله) قبل يوم القيامة وقبل الفتح والنصر وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه (إن الله لا يخلف الميعاد) وكان الكفار يسألون (٣٤) هذه الأشياء على سبيل الاستهزاء فأنزل الله تسلية لبيبه صلى الله عليه وسلم

(ولقد استوزي برسل من قبلك) كما استهزوا بك (فأملت للذين كفروا) أمهلتهم وأطلت لهم المدة ومنه الملوأ وهما الليل والنهار (ثم أخذتهم) عاقبتهم في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار (فكيف كان عقاب) أي عقابي لهم (أقن هو قائم على كل نفس بما كسبت) أي حافظها ورزاقها وعالم بها ومجزئها بما عملت وجوابه محذوف تقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه (وجعلوا لله شركاء) أي جعلوها لله شركاء (قل سمعتم) يعني له وقيل صفوهم بما يستحقون ثم انظروا هل من أهل لأن تعبد (ثم تثنونه) أي تخبرون الله (بما لا يعلم في الأرض) يعني أنه لا يعلم أن نفسه شريكا من خلقه وكيف يكون الخلق شريكا للخالق وهو العالم بما في السموات والأرض ولو كان لعلمه والمراد من ذلك نفي العلم بأن يكون له شريك (أم بظاهر من القول) يعني أنهم يتعلقون بظاهر من القول مسدوع وهو في الحقيقة باطل لأصل له وقيل معناه بل بظن من القول لا يعلمون حقيقته (بل زين للذين كفروا مكرهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وإنما فسر المكر بالكفر لأن مكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين في الحقيقة هو الله تعالى لأنه هو الفاعل المختر على الإطلاق لا يقدر أحد أن يتصرف في الوجود إلا بأذنه فتر بين الشيطان إلقاء الوسوسة فتقط ولا يقدر على إضلال أحد وهدايته إلا الله تعالى وبدل على هذا سياق الآية وهو قوله ومن يضل الله فإله من هاد، وقوله (وصدوا عن السبيل) قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه أنهم صدوا عن سبيل الله غيرهم أي عن الإيمان (ومن يضل الله فإله من هاد) من هاد (الوقف عليه يسكون الدال وحذف الياء في قراءة أكثر القراء) لهم عذاب في الحياة الدنيا) يعني بالقتل والأسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم (ولعذاب الآخرة أشق) يعني أشد وأغلظ

إليهم (أو تحل) يعني السرايا أو البلية (قريبا من دارهم) وقيل معناه أو تحل أنت يا محمد قريبا من دارهم (حتى يأتي وعد الله) يعني النصر والفتح وظهور رسول الله صلى الله عليه وسلم ودينه وقيل أراد بوعد الله يوم القيامة لأن الله يجمعهم فيه فيجازيهم بأعمالهم (إن الله لا يخلف الميعاد) والغرض منه تشجيع قلب النبي صلى الله عليه وسلم وإزالة الحزن عنه لعلمه بأن الله لا يخلف الميعاد. قرأه عز وجل (ولقد استهزئ برسل من قبلك) وذلك أن كفارا مكة إنما سألوا هذه الأشياء على سبيل الاستهزاء فأنزل الله هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى أنهم إنما طلبوا منك هذه الآيات على سبيل الاستهزاء وكذلك قد استهزئ برسل من قبلك (فأملت للذين كفروا) يعني فأمهلتهم وأطلت لهم المدة (ثم أخذتهم) يعني بالعذاب بعد الإمهال فعذبتهم في الدنيا بالفتح والقتل والأسر وفي الآخرة بالنار (فكيف كان عقابي) يعني فكيف كان عقابي لهم (أقن هو قائم على كل نفس بما كسبت) يعني أقن هو حافظها ورزاقها وعالم بها وبما عملت من خير وشر وبجازيها بما كسبت فيثيبها إن أحسنت ويعاقبها إن أساءت وجوابه محذوف وتقديره كمن ليس بقائم بل هو عاجز عن نفسه ومن كان عاجزا عن نفسه فهو عن غيره أعجز وهي الأصنام التي لا تنضر ولا تنفع (وجعلوا لله شركاء) يعني وهو المستحق للعبادة لاهذه الأصنام التي جعلوها لله شركاء (قل سمعتم) يعني له وقيل صفوهم بما يستحقون ثم انظروا هل من أهل لأن تعبد (ثم تثنونه) أي تخبرون الله (بما لا يعلم في الأرض) يعني أنه لا يعلم أن نفسه شريكا من خلقه وكيف يكون الخلق شريكا للخالق وهو العالم بما في السموات والأرض ولو كان لعلمه والمراد من ذلك نفي العلم بأن يكون له شريك (أم بظاهر من القول) يعني أنهم يتعلقون بظاهر من القول مسدوع وهو في الحقيقة باطل لأصل له وقيل معناه بل بظن من القول لا يعلمون حقيقته (بل زين للذين كفروا مكرهم) قال ابن عباس زين لهم الشيطان الكفر وإنما فسر المكر بالكفر لأن مكرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر منهم والمزين في الحقيقة هو الله تعالى لأنه هو الفاعل المختر على الإطلاق لا يقدر أحد أن يتصرف في الوجود إلا بأذنه فتر بين الشيطان إلقاء الوسوسة فتقط ولا يقدر على إضلال أحد وهدايته إلا الله تعالى وبدل على هذا سياق الآية وهو قوله ومن يضل الله فإله من هاد، وقوله (وصدوا عن السبيل) قرئ بضم الصاد ومعناه صرفوا عن سبيل الدين والرشد والهداية ومنعوا من ذلك والصاد المانع لهم هو الله تعالى وقرئ وصدوا بفتح الصاد ومعناه أنهم صدوا عن سبيل الله غيرهم أي عن الإيمان (ومن يضل الله فإله من هاد) من هاد (الوقف عليه يسكون الدال وحذف الياء في قراءة أكثر القراء) لهم عذاب في الحياة الدنيا) يعني بالقتل والأسر ونحو ذلك مما فيه غيظهم (ولعذاب الآخرة أشق) يعني أشد وأغلظ

لأن

في الحقيقة باطل لأصل له، وقيل بزائل من القول. قال الشاعر:

وعيرني الواشون إلى أحبها وذاك شكاة ظاهر عنك عارها أي زائل (بل زين للذين كفروا مكرهم) كيدهم وقال مجاهد شركهم وكذبهم على الله (وصدوا عن السبيل) أي صرفوا عن الدين قرأ أهل الكوفة ويعقوب وصدوا في حم المؤمن وصد بضم الصاد فيها وقرأ الآخرون بالفتح لقوله تعالى إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله (ومن يضل الله) بخذلانه إياه (قاله من هاد لهم عذاب في الحياة الدنيا) بالقتل والأسر (ولعذاب الآخرة أشق)

أشد (ومالهم من الله من واثق) مانع يمنعهم من العذاب. قوله عز وجل (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي صفة الجنة كقوله تعالى (وقد المثل الأعلى) أي الصفة العليا (تجري من تحتها الأنهار) أي صفة الجنة (٢٥) التي وعد المتقون أن الأنهار

لأن المشتقة غلظ الأمر على النفس وشدة مما يكاد يصدع القلب من شدته فهو من الشق الذي هو الصلح (ومالهم من الله) يعني من عذاب الله (من واثق) يعني من مانع يمنعهم من عذابه قوله تعالى (مثل الجنة التي وعد المتقون) أي صفة الجنة التي وعد المتقون (تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم) لا ينقطع أبدا (وظلها) يعني أنه دائم لا ينقطع أبدا وليس في الجنة شمس ولا قمر ولا ظلمة بل ظل ممدود لا ينقطع ولا يزول وفي الآية دليل على أن حركات أهل الجنة لا تنتهي إلى سكون دائم كما نعيم الجنة يفنى وينقطع وفي الآية دليل على أن الجنة لا تنهى إلى سكون دائم كما يقول أبو الهذيل واستدل القاضي عبد الجبار المعتزلي بهذه الآية على أن الجنة لم تخلق بعد قال ووجه الدليل أنها لو كانت مخلوقة لوجب أن تفتى وينقطع أكلها لقوله تعالى «كل شيء هالك إلا وجهه» فوجب أن لا تكون الجنة مخلوقة لقوله أكلها دائم يعني لا ينقطع قال ولا ينكر أن تكون في السموات جنات كثيرة تتمتع بها الملائكة ومن بعد حيا من الأنبياء والشهداء وغيرهم على ما روى إلا أن الذي نذهب إليه أن الجنة الخلد لم تخلق بعد. والجواب عن هذا أن حاصل دليلهم مركب من آيتين إحداهما قوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه والأخرى قوله أكلها دائم وظلها فإذا أدخلنا التخصيص على هذين العمومين سقط دليلهم فنخص هذين الداليلين بالدلائل الدالة على أن الجنة مخلوقة منها قوله تعالى وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين. وقوله تعالى (تلك عقي الذين اتقوا) يعني أن عاقبة أهل التقوى هي الجنة (وعقبي الكافرين النار) يعني في الآخرة. قوله عز وجل (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك) في المراد بالكتاب هنا قولان: أحدهما أنه القرآن والذين أتوه المسلمون وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد أنهم يفرحون بما يتجدد من الأحكام والتوحيد والنبوة والحشر بعد الموت بتجدد نزول القرآن (ومن الأحزاب) يعني الجماعات الذين تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار واليهود والنصارى (من ينكر بعضه) وهذا قول الحسن وقتادة. فان قلت إن الأحزاب من المشركين وغيرهم من أهل الكتاب ينكرون القرآن كله فكيف قال ومن الأحزاب من ينكر بعضه. قلت إن الأحزاب لا ينكرون القرآن بجملة لأنه قد ورد فيه آيات دالات على توحيد الله وإثبات قدرته وعلمه وحكمته وهم لا ينكرون ذلك أبدا والقول الثاني أن المراد بالكتاب التوراة والإنجيل والمراد بأهله الذين أسلموا من اليهود والنصارى مثل عبد الله بن سلام وأصحابه ومن أسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا أربعون من نجران وثلاثون من الحبشة وعشرة ممن سواهم فرحوا بالقرآن لكونهم آمنوا به وصدقوه ومن الأحزاب يعني بقية أهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر المشركين من ينكر بعضه وقيل كان ذكر الرحمن قليلا في القرآن في الابتداء فلما أسلم عبد الله بن سلام ومن معه من أهل الكتاب من اليهود والنصارى ساءهم قلة ذكر الرحمن في القرآن مع كثرة ذكره في التوراة فلما كرر الله تعالى ذكر لفظة الرحمن في القرآن فرحوا بذلك فأنزل الله تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومعنى الأحزاب يعني مشركي مكة من ينكر

(٤ - تحزون بالبعوى - رابع) فأنزل الله سبحانه وتعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك ومن الأحزاب من ينكر بعضه يعني مشركي مكة حين كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كتاب الصلح: بسم الله الرحمن الرحيم قالوا ما نعرف الرحمن إلا رحمن الرحمة يعنون مسلبة الكذاب فأنزل الله عز وجل وهم بذكر الرحمن

(قل) يا محمد (إنما أمرت أن أعبد الله ولا أشرك به إليه أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبُ) أى مرجعى (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) يقول كما أنزلنا إليك الكتاب يا محمد فأنكره الأحزاب كذلك أنزلنا إليك الحكم والدين عربيا نسب إلى العرب لأنه نزل بلغتهم فكذب به الأحزاب وقيل نظم الآية كما أنزل الكتاب على الرسل بلغاتهم فكذلك أنزلنا عليك الكتاب حكما عربيا (ولئن اتبعت أهواءهم) فى القبلة (بعد ما جاءك من العلم) مالك من الله من ولى ولا ولى) يعنى من ناصر ولا حافظ قوله تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) روى أن اليهود وقيل إن المشركين قالوا إن هذا الرجل ليست له حمة إلا فى النساء فأنزل الله تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) وجعلنا لهم أزواجا وذرية) وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله) هذا جواب

بعضه وذلك لما كتبت رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب الصلح يوم الحديبية كتب فيه بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرفت الرحمن إلا الرحمن اليامة يعنون مسيلمة الكذاب فأزل الله وهم يكفرون بالرحمن قل هو ربي، وإنما قال ومن الأحزاب من ينكروا بعضه لأنهم كانوا لا يشكرون الله وينكرون الرحمن (قل) أى قل يا محمد (إنما أمرت أن أعبد الله) يعنى وحده (ولا أشرك به) شيئا (إليه أَدْعُو) أى إلى الله وإلى الإيمان به أَدْعُو الناس (وإليه مآب) يعنى مرجعى يوم القيامة (وكذلك أنزلناه حكما عربيا) أى كما أنزلنا الكتاب على الأنبياء بلغاتهم ولسانهم أنزلنا إليك يا محمد هذا الكتاب وهو القرآن عربيا بلسانك ولسان قومك . وإنما سمى القرآن حكما لأن فيه جميع التكليف والأحكام والحلال والحرام والنقض والإبرام فلما كان القرآن سببا للحكم جعل نفس الحكم على سبيل المبالغة ، وقيل إن الله لما حكم على جميع الخلق يقول القرآن والعقل بمقتضاه سناه حكما لذلك المعنى (ولئن اتبعت أهواءهم) قال جمهور المفسرين إن المشركين دعوا رسول الله ﷺ إلى ملة آباؤهم فتوعده الله على اتباع أهوائهم فى ذلك وقال ابن السائب المراد به متابعة آباؤهم فى الصلاة لبيت المقدس (بعد ما جاءك من العلم) يعنى بأنك على الحق وأن قبلك الكعبة هى الحق وقيل ظاهر الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره وقيل هو حث للنبي صلى الله عليه وسلم على تبليغ الرسالة والقيام بما أمر به ويتضمن ذلك تحذير غيره من المكلفين لأن من هو أرفع منزلة وأعظم قدرا وأعلى مرتبة إذا حذر كان غيره ممن هو دونه بطريق الأولى (سلك من الله من ولى ولا ولى) يعنى من ناصر ولا حافظ قوله تعالى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) روى أن اليهود وقيل المشركين قالوا إن هذا الرجل يعنون النبي صلى الله عليه وسلم ليس له حمة إلا فى النساء فعابوا عليه ذلك وقالوا لو كان كما يزعم أنه رسول الله لكان مشغولا بالزهد وترك الدنيا فأجاب الله عز وجل عن هذه الشبهة وعما عابوه به بقوله عز وجل (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك يا محمد) وجعلنا لهم أزواجا وذرية) فإنه قد كان لسليمان عليه الصلاة والسلام ثلاثمائة امرأة حرة وسبعمائة امرأة مصرية فلم يقدح ذلك فى نبوته وكان لأبيه داود عليه الصلاة والسلام مائة امرأة فلم يقدح ذلك أيضا فى نبوته فكيف يعيون عليك ذلك ويعملونه قادحا فى نبوتك والمعنى (ولقد أرسلنا رسلا من قبلك) يأكلون ويشربون وينكحون وما جعلناهم ملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون (وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا باذن الله) هذا جواب لعبد الله بن أبى أمية وغيره من المشركين الذين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآيات واقترحوا عليه أن يريهم المعجزات ، وتقدير هذا الجواب أن المعجزة الواحدة كافية فى إثبات النبوة وقد أتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمعجزات كثيرة يعجز عن مثلها البشر فهم أن يقترحوا عليه شيئا وإتيان الرسول بالمعجزات ليس إليه بل هو مفوض إلى مشيئة الله عز وجل فان شاء أظهرها وإن شاء لم يظهرها (لكل أجل كتاب) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخوفهم بنزول العذاب عليهم فلما استبطئوا ذلك وقد كانوا يستعجلون نزوله أخبر الله عز وجل أن لكل قضاء قضاء كتابا قد كتبه فيه . ووقتا يقع فيه لا يتقدم ولا يتأخر . والمعنى : أن لكل أجل أجله الله كتابا قد أنبته فيه ، وقيل فى الآية تقديم وتأخير تقديره لكل كتاب أجل ومدة والمعنى أن الكتب المنزلة لكل كتاب منها وقت ينزل فيه

عبد الله بن أبى أمية ثم قال (لكل أجل كتاب) يقول لكل أمر قضاء

الله كتاب قد كتبه فيه ووقت يقع فيه وقيل لكل أجل أجله الله كتاب أثبت فيه وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره أي لكل كتاب أجل ومدة أي الكتب المنزلة لكل واحد منها وقت ينزل فيه (يمحو الله ما يشاء ويثبت) (٢٧) قرأ ابن كثير وأبو عمرو

وعاصم ويعقوب ويثبت بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد واختلفوا في معنى الآية فقال سعيد بن جبير وقتادة يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض وينسخه ولا يبده ، وقال ابن عباس يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن حليفة بن أسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا مر بالنطفة ثلثان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب أذكر أم أنثى فيقضى ربك ما يشاء فيكتب الملك ثم يقول يارب أجله فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يقول الملك يارب رزقه فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على أمر ولا ينقص » أخرجه مسلم (ق) عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين يوما ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم بعث الله ملكا بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وشقياً أو سعيداً ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » . فان قلت هذا الحديث والذي قبله صريح بأن الآجال والأرزاق مقدرة وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عما قدره الله وعلمه في الأزل فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل أن يتقلب السعيد شقياً أو الشقي سعيداً وقد صرح في فضل صلة الرحم أن صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الأحاديث وبين قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت . قلت قد تكرر بالدلائل القطعية أن الله عالم بالآجال والأرزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة للمعلوم على ما هو عليه فإذا علم الله أن زيداً يموت في وقت معين استحال أن يموت قبله أو بعده وهو قوله تعالى « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » فدل ذلك على أن الآجال لا تزيد ولا تنقص . وأجاب العلماء عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم من أنها تزيد في العمر بأجوبة الصحيح منها أن هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك ، والجواب الثاني منها أنها بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ أن عمر زيد مثلاً ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون سنة وقد علم الله في الأزل ما سيقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت أي بالنسبة لما يظهر للمخالفين من تصوير الزيادة . وأما انقلاب الشقي سعيداً أو السعيد شقياً فيتصور في الظاهر أيضاً لأن الكافر قد يسلم فينتقل من الشقاوة إلى السعادة وكذا العاصي ونحوه وقد يتوب فينتقل من الشقاوة إلى السعادة وقد يرتد المسلم والعباد بالله تعالى فيموت على ردة فينتقل من السعادة إلى الشقاوة ، والأصل في هذا الاعتبار بالخاتمة عند

(يمحو الله ما يشاء ويثبت) وذلك أنهم لما اعترضوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إن محمداً يأمر أصحابه بأمر اليوم ثم يأمرهم بخلافه غداً وما سبب ذلك إلا أنه يقوله من تلقاء نفسه أجاب الله عن هذا الاعتراض بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت قال سعيد بن جبير وقتادة يمحو الله ما يشاء من الشرائع والفرائض فينسخه ويبدله ويثبت ما يشاء من ذلك فلا ينسخه ولا يبده ، وقال ابن عباس يمحو الله ما يشاء ويثبت إلا الرزق والسعادة والشقاوة ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن حليفة بن أسيد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إذا مر بالنطفة ثلثان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ثم قال يارب أذكر أم أنثى فيقضى ربك ما يشاء فيكتب الملك ثم يقول يارب أجله فيقول ربك ما يشاء ويكتب الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزيد على أمر ولا ينقص » أخرجه مسلم (ق) عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق « إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه نطفة أربعين يوماً ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم بعث الله ملكاً بأربع كلمات يكتب رزقه وأجله وشقياً أو سعيداً ثم ينفخ فيه الروح فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها » . فان قلت هذا الحديث والذي قبله صريح بأن الآجال والأرزاق مقدرة وكذا السعادة والشقاوة لا تتغير عما قدره الله وعلمه في الأزل فيستحيل زيادتها ونقصانها وكذلك يستحيل أن يتقلب السعيد شقياً أو الشقي سعيداً وقد صرح في فضل صلة الرحم أن صلة الرحم تزيد في العمر فكيف الجمع بين هذه الأحاديث وبين قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت . قلت قد تكرر بالدلائل القطعية أن الله عالم بالآجال والأرزاق وغيرها وحقيقة العلم معرفة للمعلوم على ما هو عليه فإذا علم الله أن زيداً يموت في وقت معين استحال أن يموت قبله أو بعده وهو قوله تعالى « فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون » فدل ذلك على أن الآجال لا تزيد ولا تنقص . وأجاب العلماء عما ورد في الحديث في فضل صلة الرحم من أنها تزيد في العمر بأجوبة الصحيح منها أن هذه الزيادة تكون بالبركة في عمره بالتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه في الآخرة وصيانتها عن الضياع وغير ذلك ، والجواب الثاني منها أنها بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة في اللوح المحفوظ أن عمر زيد مثلاً ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون سنة وقد علم الله في الأزل ما سيقع من ذلك وهو معنى قوله تعالى يمحو الله ما يشاء ويثبت أي بالنسبة لما يظهر للمخالفين من تصوير الزيادة . وأما انقلاب الشقي سعيداً أو السعيد شقياً فيتصور في الظاهر أيضاً لأن الكافر قد يسلم فينتقل من الشقاوة إلى السعادة وكذا العاصي ونحوه وقد يتوب فينتقل من الشقاوة إلى السعادة وقد يرتد المسلم والعباد بالله تعالى فيموت على ردة فينتقل من السعادة إلى الشقاوة ، والأصل في هذا الاعتبار بالخاتمة عند

فالمعنى وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أم الكتاب ومثله عن ابن مسعود ، وفي بعض الآثار أن الرجل يكون قد بقى من عمره ثلاثون سنة فيقطع رحمه فترد إلى ثلاثة أيام والرجل يكون قد بقى من عمره ثلاثة أيام فيصل رحمه

فتمد إلى ثلاثين سنة . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا عبد الله
ابن صالح حدثني الليث بن سعد (٢٨) حدثني زياد بن محمد الأنصاري عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد

عن أبي الدرداء أنه قال
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وينزل الله عز
وجل في آخر ثلاث
ساعات يبقين من الليل
فينظر في الساعة الأولى
منهن في أم الكتاب الذي
لا ينظر فيه أحد غيره
فيمحو ما يشاء ويثبت
وقيل معنى الآية أن
الحفظة يكتبون جميع
أعمال بني آدم وأقوامهم
فيمحو الله من ديوان
الحفظة ما ليس فيه ثواب
ولا عقاب مثل قوله
أكلت شربت دخلت
خرجت ونحوها من كلام
هو صادق فيه ويثبت
ما فيه ثواب وعقاب هذا
قول الضحاك والكافي
وقال الكلبي يكتب القول
كله حتى إذا كان يوم
الخميس طرح منه كل
شيء ليس فيه ثواب ولا
عقاب وقال عطية عن
ابن عباس هو الرجل
يعمل بطاعة الله عز وجل
ثم يعود لمعصية الله
فيموت على ضلالة فهو
الذي يمحو والذي يثبت
الرجل يعمل بطاعة الله
فيموت وهو في طاعة
الله عز وجل فهو الذي

الموت وما يختم الله به له وهو المراد من علم الله الأزلي الذي لا يتغير ولا يتبدل والله أعلم .
وأصل المحو إذهاب أثر الكتابة وضده الإثبات فمن العلماء من حمل الآية على ظاهرها
فجعلها عامة في كل شيء يقتضيه ظاهر اللفظ فيزيد الله ما يشاء في الرزق والأجل وكذا التول
في السعادة والشقاوة والإيمان بالله والكفر وتقل نحو هذا عن عمر وابن مسعود فانهما قالا
يمحو السعادة والشقاوة ويمحو الرزق والأجل ويثبت ما يشاء . وروى عن عمر أنه كان يطوف
باليث وهو يبكي ويقول اللهم إن كنت كتبتني من أهل السعادة فأثبتني فيها وإن كنت
كتبتني من أهل الشقاوة فأمحني منها وأثبتني في أهل السعادة والمغفرة فانك تمحو ما تشاء وتثبت
وعندك أم الكتاب وروى مثله عن ابن مسعود وقد ورد في بعض الآثار وأن الرجل يكون قد
بقي من عمره ثلاثة أيام فيفصل رحمه فيمد إلى ثلاثين سنة هكذا ذكره البخاري وغيره وروى
يسنده عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ينزل الله تبارك وتعالى في ثلاث
ساعات بقرين من الليل فينظر في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه أحد غيره
فيمحو ما يشاء ويثبت ، ومن العلماء من حمل معنى الآية على الخصوص في بعض الأشياء دون
بعض فقال المراد بالمحو والإثبات نسخ الحكم المتقدم وإثبات حكم آخر عوضا عن الحكم
المتقدم ، وقيل إن الحفظة يكتبون جميع أعمال بني آدم وأقوامهم فيمحو الله ما يشاء من ديوان
الحفظة ما ليس فيه ثواب ولا عقاب مثل قول القائل أكلت ، شربت ، دخلت ، خرجت ، ونحو ذلك
من الكلام وهو صادق فيه ويثبت ما فيه ثواب وعقاب وهذا قول الضحاك . وقال الكلبي يكتب
القول كله حتى إذا كان يوم الخميس طرح منه شيء ليس فيه ثواب ولا عقاب وقال ابن عباس
هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يعود لمعصية الله فيموت على ضلاله فهو الذي يمحو والذي يثبت
هو الرجل يعمل بطاعة الله ثم يموت وهو في طاعته فهو الذي يثبت ، وقال الحسن يمحو الله
ما يشاء يعني من جاء أجله فيذهب ويثبت من لم يحيى . أجله وقال سعيد بن جبير يمحو الله ما يشاء
من ذنوب عباده فيغفرها ويثبت ما يشاء منها فلا يغفرها . وقال عكرمة يمحو الله ما يشاء من
الذنوب بالثوبة ويثبت بدل الذنوب حسنات . وقال السدي يمحو الله ما يشاء يعني القمر ويثبت
الشمس وقال الربيع هذا في الأرواح يقبضها الله عند النوم فمن أراد موته محيا ، وأمسكه ومن أراد
بقائه أثبتته وورده إلى صاحبه وقيل إن الله يثبت في أول كل سنة حكمها فإذا مضت السنة محيا
وأثبت حكمها آخر السنة المستقبل وقيل يمحو الله الدنيا ويثبت الآخرة وقيل هو في المحن والمصائب
فهى مثبتة في الكتاب ثم يمحوها بالدعاء والصدقة وقيل إن الله يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء
لا اعتراض لأحد عليه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد . فان قلت مذهب أهل السنة أن المقادير سابقة
وقد جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة فكيف يستقيم مع هذا المحو والإثبات . قلت المحو
والإثبات مما جف به القلم وسبق به القدر فلا يمحو شيئا ولا يثبت شيئا إلا ما سبق به علمه في الأزلي
وعليه يترتب القضاء والقدر .

(مسئلة) استدللت الرافضة على مذهبهم في البداء بهذه الآية قالوا إن البداء جائز على الله
وهو أن يعتد شيئا ثم يظهر له خلافه اعتقده وتمسكوا بقوله يمحو الله ما يشاء ويثبت والجواب
عن هذه المسئلة أن هذا مذهب باطل ظاهر الفساد لأن علم الله قديم أزلي وهو من لوازم ذاته

يثبت وقال الحسن يمحو الله ما يشاء أي من جاء أجله يذهب به ويثبت من لم يحيى . أجله إلى يوم أجملة الخصوصة
وعن سعيد بن جبير قال يمحو الله ما يشاء من ذنوب العباد فيغفرها ويثبت ما يشاء فلا يغفرها . وقال عكرمة يمحو الله ما يشاء من

الدلوب بالتوبة وبثبت بدل الذنوب حسنات كما قال الله تعالى «فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات» وقال السدي بحو الله ما يشاء
يعني القدر وبثبت يعني الشمس بيانه قوله تعالى «فحونا آية الليل وجعلنا (٢٩) آية النهار مبصرة» وقال الربيع هذا

في الأرواح يقبضها الله
عند النوم فمن أرموته
مخه فأمسكه ومن أراد
بقائه أثبته وردة إلى
صاحبه بيانه ، قوله عز
وجل «الله يتوفى الأنفس
حين موتها» الآية (وإنه
أم الكتاب) أي أصل
الكتاب وهو اللوح
المحفوظ الذي لا يبدل
ولا يغير وقال عكرمة
عن ابن عباس رضي
الله عنهما هما كتابان
كتاب سوى أم الكتاب
بحو منه ما يشاء وبثبت
وأم الكتاب الذي لا يغير
منه شيء وعن عطاء عن
ابن عباس قال «إن الله
تعالى لو حاء فموظا مسيرة
خمسة عام من درة
بيضاء لها دفتان من
ياقوت لله في كل يوم فيه
ثلثا وستون لحظة يحو
ما يشاء وبثبت وعنده
أم الكتاب» وسأل ابن
عباس كعبا عن أم
الكتاب فقال علم الله
ما هو خالق وما خلقه
عاملون (ولما نريك
بعض الذي نعدم) من
العذاب قبل وفاتك (أو

المخصوصة وما كان كذلك كان دخول التغيير والتبديل فيه محالاً كذا ذكره الإمام فخر الدين
الرازي في تفسير هذه الآية . وقوله تعالى (وعنده أم الكتاب) يعني أصل الكتاب وهو اللوح
المحفوظ الذي لا يغير ولا يبدل وسمى اللوح المحفوظ أم الكتاب لأن جميع الأشياء مثبتة فيه
ومنه تنسخ الكتب المنزلة وقيل إن العلوم كلها تنسب إليه وتتولد منه قال ابن عباس هما كتابان
كتاب يحو الله منه ما يشاء وبثبت ما يشاء وأم الكتاب الذي لا يغير شيء منها وروى عطية عن
ابن عباس قال إن لله لوحا محفوظا مسيرة خمسمائة عام من درة بيضاء له دفتان من ياقوتة لله فيه
كل يوم ثلثا وستون لحظة يحو الله ما يشاء وبثبت وعنده أم الكتاب وسأل ابن عباس كعبا عن أم
الكتاب فقال علم الله ما هو خالق وما خلقه وما هم عاملون (ولما نريك) يعني يا محمد (بعض
الذي نعدم) يعني من العذاب (أو تنوفيتك) يعني قبل أن نريك ذلك (فانما عليك البلاغ) يعني
ليس عليك إلا التبليغ الرسالة إليهم والبلاغ اسم أقيم مقام التبليغ (وعلينا الحساب) يعني وعلينا
أن نحاسبهم يوم القيامة فنجازيهم بأعمالهم . قوله عز وجل (أو لم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها
من أطرافها) يعني أو لم ير كفار مكة الذين سألوا عمدا صلى الله عليه وسلم الآيات أنا نأتى
الأرض يعني أرض الشرك ننقصها من أطرافها قال أكثر المفسرين المراد منه فتح دار الشرك
فإن ما زاد في دار الإسلام فقد نقص في دار الشرك والمعنى أو يروا أنا نأتى الأرض فنفتحها
لمحمد صلى الله عليه وسلم أرضا بعد أرض حوالى أراضيهم أفلا يعتبرون فيتعطون وهذا قول
ابن عباس وجماعة من المفسرين وذلك أن المسلمين إذا استواوا على بلاد الكفار
قهرا وتخريبا كان ذلك نقصانا في ديارهم وزيادة في ديار المسلمين وقوتهم وكان ذلك من أقوى
الدلائل على أن الله تعالى ينصر عبده ويعز جنده ويظهر دينه وينجز له ما وعده وقبل هو
خراب الأرض والمعنى أو لم يروا أنا نأتى الأرض نتخر بها ونهلك أهلها أفلا يخافون أن نفعل
بهم مثل ذلك ، وقال مجاهد هو خراب الأرض وقبض أهلها وعن عكرمة والشعبي نحوه وهذا
القول قريب من الأول وقال عطاء وجماعة من المفسرين نقصانها موت العلماء وذهب
الفقهاء (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
«إن الله لا يقبض العلم انتزاعا ينتزعه من الناس وفي رواية من العباد ولكن يقبض العلم بقبض
العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا»
قال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم تلمة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل
والنهار ، وقال عبد الله أيضا عليكم بالعلم قبل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله ، وقال سليمان لا يزال
الناس بخير ما بقي الأول حتى يتعلم الآخر فإذا هلك الأول ولم يتعلم الآخر هلك الناس وقيل
لسعيد بن جبيرة ما علمة هلاك الناس قال هلاك العلماء فعلى هذا القول فالمراد بالأطراف
العلماء والأشراف من الناس حكى الجوهري عن ثعلب قال الأطراف الأشراف واستدل
الواحدى لهذه اللغة بقول الفرزدق :

واسأل بنا وبكم إذا وردت منى أطراف كل قبيلة من يتبع

قال يريد أشراف كل قبيلة قال الواحدى والتفسير على القول الأول أولى لأن هذا وإن

(وعلينا حساب) الجزء يوم القيامة قوله تعالى (أو لم يروا) يعني أهل مكة الذين يسألون محمدا صلى الله عليه وسلم الآيات
(أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) أكثر المفسرين على أن المراد منه فتح ديار الشرك فإن ما زاد في دار الإسلام فقد

نقص من ديار الشرك يقول أولم يروا أنا تأتي الأرض ننقصها من أطرافها فنفتحها ل محمد أرضا بعد أرض - وإلى أرضهم أفلا يعتبرون هذا قول ابن عباس وقتادة وجماعة وقال قوم هو خراب الأرض معناه أولم يروا أنا تأتي الأرض فنخرها ونهلك أهلها أفلا يخافون أن تفعل بهم ذلك ، وقال مجاهد هو خراب الأرض وقبض أهلها وعن عكرمة قال قبض الناس وعن الشعبي مثله وقال عطاء وجماعة نقصانها موت العلماء وذهاب الفقهاء . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا (٣٥) محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا إسماعيل بن أبي أويس حدثنا مالك

عن هشام عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الله لا يقبض العلم انزاعا ينزعه من العباد ولكن يقبض العلم يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالما اتخذ الناس رؤساء جهالا فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا ، وقال الحسن قال عبد الله بن مسعود موت العالم ثلثة في الإسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار وقال ابن مسعود رضى الله عنه عليكم بالعلم قيل أن يقبض وقبضه ذهاب أهله وقال علي رضى الله عنه إنما مثل الفقهاء كمثل الأكف إذا قطعت كفت لم تعد وقال سليمان لا يزال الناس يتغير ما بقي الأول حتى يتعلم الآخر فإذا هلك الأول قبل أن يتعلم الآخر هلك الناس وقيل لسعيد بن

صح فلا يليق بهذا الموضع قال الإمام فخر الدين الرازى ويمكن أن يقال أيضا إن هلك الوجه لا يليق بهذا الموضع وتقديره أن يقال أولم يروا أن كل ما يحدث في الدنيا من الاختلاف خراب بعد عمارة وموت بعد حياة وذلك بعد عز ونقص بعد كمال وإذا كانت هذه التغييرات مشاهدة محسوسة فما الذى يؤمنهم أن يقبض الله الأمر على هؤلاء الكفرة فيجعلهم ذليلا بعد ما كانوا عزيزين ومقهورين بعد أن كانوا قاهرين وعلى هذا الوجه أيضا يجوز إبطال الكلام بما قبله . وقوله تعالى (والله يحكم لامعقب لحكمه) يعنى لا أراد لحكمه ولا ناقض لقرضائه والمعقب هو الذى يعقب غيره بالرد والإبطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لأنه يعقب غيره بالانقضاء والطلب والمعنى والله يحكم نافذا حكمه خاليا من المدافع والمعارض والمنازع لا يتعقب حكمه أحد غيره بتغييره ولا ناقض (وهو سريع الحساب) قال ابن عباس يريد سريع الانتقام ممن حاسبه للمجازاة بالخير والشر فمجازاة الكفار بالانتقام منهم ومجازاة المؤمنين بإبصال الثواب إليهم وقد تقدم بسط الكلام في معنى سريع الحساب قبل هذا (وقد مكر الذين من قبلهم) يعنى من قبل مشركى مكة من الأمم الماضية الذين مكروا بأنبيائهم والمكر إبصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر مثل ما مكر تمرود بإبراهيم وفرعون بموسى واليهود بعبسى (فله المكر جميعا) يعنى عند الله جزاء مكرهم وقال الواحدى يعنى جميع مكر الماكرين له ومنه أى هو من خلقه وإرادته فالمكر جميعا مخلوق له بيده الخير والشر وإليه الضع والضرر والمعنى أن المكر لا يضر إلا بإذنه وإرادته وفى هذا تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وأمان له من مكرهم كأنه قيل قد فعل من كان قبلهم من الكفار مثل فعلهم وصنعوا مثل صنعهم فلم يضرهم إلا من أراد الله ضرره وإذا كان الأمر كذلك وجب أن لا يكون الخوف إلا من الله لا من أحد من المخلوقين (يعلم ما تكسب كل نفس) يعنى أن جميع اكتساب العباد وتأثيراتها معلومة لله هو خالقها أو بخلاف المعلوم ممتنع الوقوع وإذا كان كذلك فكيف ما علم وقوعه فهو واجب الوقوع وكل ما علم عدمه كان ممتنع الوقوع وإذا كان كذلك فلا قدرة للعبد على الفعل والتترك فكان الكل من الله ولا يحصل ضررا إلا بإذنه وإرادته وفيه وعيد للكفار الماكرين (وسيعلم الكافر) على التوحيد وقرئ : وسيعلم الكفار على الجمع قال ابن عباس يعنى أبا جهل وقيل أراد المستهزئين وهم خمسة نفر من كفار مكة (لمن عقى الدار) والمعنى أنهم وإن كانوا جهالا بالعواقب فسيعلمون أن العاقبة الحميدة للمؤمنين ولهم العاقبة المدمومة

جدير ما علامة هلاك الناس قال هلاك علمائهم (والله يحكم لامعقب لحكمه) لا أراد لقرضائه ولا

في الآخرة ناقض لحكمه (وهو سريع الحساب) وقد مكر الذين من قبلهم) يعنى من قبل مشركى مكة ، والمكر إبصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر (فله المكر جميعا) أى عند الله جزاء مكرهم وقيل إن الله خالق مكرهم جميعا بيده الخير والشر وإليه الضع والضرر ، فلا يضر مكر أحد أحدا إلا بإذنه (يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكفار) قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو الكافر على التوحيد وقرأ الآخرون للكفار على الجمع (لمن عقى الدار) أى عاقبة الدار الآخرة حين يدخلون النار

وَيَدْخُلُ الْمُؤْمِنُونَ الْجَنَّةَ (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مَرْسَلًا قُلْ كُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) أَيْ رَسُولَ إِلَيْكُمْ (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) يَرِيدُ مُؤْمِنِي أَهْلِ الْكِتَابِ يَشْهَدُونَ أَيْضًا عَلَى ذَلِكَ قَالَ قَتَادَةُ هُوَ (٣١) عَبْدُ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَأَنْكَرَ

الشعبي هذا ، وقال
السورة مكية وعبد الله
ابن سلام أسلم بالمدينة
وقال أبو بشر قلت
لسعيد بن جبير ومن
عنده علم الكتاب أهو
عبد الله بن سلام فقال
وكيف يكون عبد الله
بن سلام وهذه السورة
مكية ، وقال الحسن
ومجاهد ومن عنده علم
الكتاب هو الله عز وجل
يدل عليه قراءة عبد الله
ابن عباس ومن عنده
بكسر الميم والذال أي
من عند الله عز وجل
وقرأ الحسن وسعيد بن
جبير ومن عنده بكسر
الميم والذال علم الكتاب
على الفعل المجهول دليل
هذه القراءة «وعلمناه
من لدنا ، علما ، وقوله
«الرحمن علم القرآن» .
(سورة إبراهيم عليه
السلام)

فِي الْآخِرَةِ حِينَ يَدْخُلُونَ النَّارَ وَيَدْخُلُ الْمُؤْمِنُونَ الْجَنَّةَ قَوْلُهُ تَعَالَى (وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مَرْسَلًا) مَا أَنْكَرَ الْكُفَّارَ كَوْنُ مُحَمَّدٍ رَسُولًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَمْرَهُ اللَّهُ يَقُولُهُ (قُلْ) أَيْ قُلْ يَا مُحَمَّدُ لَوْلَا الْكُفَّارُ الَّذِينَ أَنْكَرُوا نُبُوَّتَكَ (كُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ) الْمُرَادُ بِشَهَادَةِ اللَّهِ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَظْهَرَ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الْمَعْجَزَاتِ الْبَاهِرَاتِ وَالْآيَاتِ الْقَاهِرَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِهِ وَكَوْنِهِ نَبِيًّا مَرْسَلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ (وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ) يَعْنِي وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ أَيْضًا يَشْهَدُ عَلَى نُبُوَّتِكَ يَا مُحَمَّدُ وَصَحَّتْهَا . وَاخْتَلَفُوا فِي الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ مِنْ هُوَ فَرَوَى الْعَوْفِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُمْ عُلَمَاءُ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَالْمَعْنَى أَنَّ كُلَّ مَنْ كَانَ عَالِمًا مِنَ الْيَهُودِ بِالنُّبُوَّةِ وَمِنَ النَّصَارَى بِالْإِنْجِيلِ عِلْمٌ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرْسَلٌ مِنَ اللَّهِ لَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّلَائِلِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّتِهِ فِيهَا شَهِدَ بِذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بِهِ وَأَنْكَرَهُ مِنْ أَنْكَرَهُ مِنْهُمْ ، وَقِيلَ لَهُمْ مُؤْمِنُوا أَهْلُ الْكِتَابِ يَشْهَدُونَ أَيْضًا عَلَى نُبُوَّتِهِ قَالَ قَتَادَةُ هُوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَأَنْكَرَ الشَّعْبِيُّ هَذَا وَقَالَ هَذِهِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ أُسْلِمَ بِالْمَدِينَةِ الْمُتَوْرَةَ وَقَالَ يُونُسُ لَسَعِيدُ بْنُ جَبْرِ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ أَهْوَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ فَقَالَ كَيْفَ يَكُونُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَلَامٍ وَهَذِهِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ وَقَالَ الْحَسَنُ وَمَجَاهِدٌ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ هُوَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِدَلِّ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُعْنَى كُنِيَ بِالَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَبِالَّذِي لَا يَعْلَمُ عِلْمُ . أَيْ الْوَرُوحِ الْمَحْفُوظِ لِأَهْوَشَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ قَالَ الرَّجَاجُ الْأَشْبَهُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَشْهَدُ عَلَى صِحَّةِ حُكْمِهِ لَغَيْرِهِ وَهَذَا قَوْلٌ مُشْكَلٌ لِأَنَّ عَطْفَ الصِّفَةِ عَلَى الْمَوْصُوفِ وَإِنْ كَانَ جَائِزًا لِأَنَّهُ خِلَافُ الْأَصْلِ فَلَا يَقَالُ شَهِدَ بِهِذَا زَيْدٌ وَالْفَقِيهَةُ بَلْ يَقَالُ شَهِدَ بِهِذَا زَيْدٌ الْفَقِيهَةُ لَكِنْ يَشْهَدُ لَصِحَّةِ هَذَا الْقَوْلِ قِرَاءَةُ مِنْ قَرَأَ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ بِكُسْرِ الْمِيمِ وَالذَّالِ وَهِيَ قِرَاءَةُ ابْنِ عَبَّاسٍ وَغَيْرِهِ عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ وَالْمَعْنَى وَمَنْ عِنْدَ اللَّهِ عِلْمُ الْكِتَابِ وَدَلِيلٌ هَذِهِ الْقِرَاءَةُ قَوْلُهُ « وَعَلِمْنَا مِنْ لَدُنَّا عُلَمَاءُ وَقِيلَ مَعْنَاهُ إِنْ مِنْ عِلْمِ أَنَّ الْقُرْآنَ الَّذِي جِئْتُمْ بِهِ مَعْجِزٌ ظَاهِرٌ وَبَرَهَانٌ بَاهِرٌ لَمَا فِيهِ مِنَ النَّصِيحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَالْأَخْبَارِ عَنِ الْغُيُوبِ وَعَنِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ فَمَنْ عِلْمٌ بِهِذِهِ الصِّفَةِ كَانَ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمُرَادِهِ وَأَسْرَارِ كِتَابِهِ .
(تَفْسِيرُ سُورَةِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَعَلَى نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ)

هِيَ مَكِّيَّةٌ سِوَى آيَتَيْنِ وَهِيَ قَوْلُهُ سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى « أَلَمْ تَرَى إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا » إِلَى آخِرِ الْآيَتَيْنِ وَهِيَ إِحْدَى وَقِيلَ الْفَتَاوَانُ وَخَمْسُونَ آيَةً وَثَمَانِيَةٌ وَإِحْدَى وَسِتُونَ كَلِمَةً وَثَلَاثَةٌ آلَافٍ وَأَرْبَعِمِائَةٌ وَأَرْبَعَةٌ وَثَلَاثُونَ حَرْفًا .

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (الرَّحْمَنُ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ) يَعْنِي هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ وَالْكِتَابُ هُوَ الْقُرْآنُ الْمُنزَلُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (لَتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) يَعْنِي بِهِذَا الْقُرْآنَ وَالْمُرَادُ مِنَ الظُّلُمَاتِ الْكُفْرَ وَالضَّلَالَةَ وَالْجَهْلَ وَالْمُرَادُ مِنَ النُّورِ الْإِيمَانَ قَالَ الْإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ طَرِيقَ الْكُفْرِ وَالْبِدْعِ كَثِيرٌ وَطَرِيقُ الْحَقِّ لَيْسَ إِلَّا وَاحِدًا لِأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ لَتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ فَجَبَّرَ عَنِ الْجَهْلِ وَالْكُفْرِ وَالضَّلَالَةِ بِالظُّلُمَاتِ وَهِيَ صِبْغَةٌ جَمْعٌ وَعَبَّرَ عَنِ الْإِيمَانِ وَالْهُدَى بِالنُّورِ وَهُوَ لَفْظٌ مُفْرَدٌ وَذَلِكَ

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

(الرَّحْمَنُ كِتَابٌ) أَيْ هَذَا كِتَابٌ (أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ) يَا مُحَمَّدُ يَعْنِي الْقُرْآنَ (لَتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ) أَيْ لَتُدْعُوهُمْ مِنْ

ظلمات الضلالة إلى نور الإيمان (باذن ربهم) بأمر ربهم وقيل يعلم ربهم (إلى صراط العزيز الحميد) أي إلى دينه والعزيز هو الغالب والحميد هو المستحق (٣٢) للحمد (الله) قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر الله بالرفع على الاستنثاف وخبره

فيما بعده وقرأ الآخرون بالخفض نعتا للعزيز الحميد وكان يعقوب إذا وصل خفض وقال أبو عمرو الخفض على التقديم والتأخير تقديره إلى صراط الله العزيز الحميد (الذي له مافي السموات وما في الأرض للكافرين من عذاب شديد الذين يستحقون) مختاروا: (الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله) أي يمنعون الناس عن قبول دين الله (ويغونها عوجا) يطلبونها زيفا وميل يريد يطلبون سبيل الله جائزين عن القصد وقيل الهاء راجعة إلى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق أي بجهة الحرام (أولئك في ضلال بعيد) قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) بلغتهم ليفهموا عنه فان قيل كيف هذا وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم إلى كافة الخلق قيل بعث من العرب بلسانهم والناس تبع لهم ثم بعث الرسل إلى الأطراف يدعوهم إلى الله عز وجل ويرجمونهم بالسنتهم (فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم) ولقد أرسلنا موسى بآياتنا المراد بالآيات المعجزات التي جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام مثل العصا واليد وقلق البحر وغير ذلك

يدل على أن طرق الكفر والجهل كثيرة وأما طريق العلم والإيمان فليس إلا واحد (باذن ربهم) يعني بأمر ربهم وقيل يعلم ربهم (إلى صراط العزيز الحميد) يعني إلى دين الإسلام وهو دينه الذي أمر به عباده ، والعزيز هو الغالب الذي لا يغلب والحميد المحمود على كل حال المستحق لجميع المحامد (الله) قرئ بالرفع على الاستنثاف وخبره ما بعده وقرئ بالجزم نعتا للعزيز الحميد وقال أبو عمرو قراءة الخفض على التقديم والتأخير تقديره إلى صراط الله العزيز الحميد (الذي له مافي السموات وما في الأرض) يعني ملكا وما فيها عبده (وويل للكافرين) يعني الذين تركوا عبادة من يستحق العبادة الذي له مافي السموات وما في الأرض وعبدوا من لا يملك شيئا البتة بل هو مملوك لله لأنه من جملة خلق الله ومن جملة مافي السموات وما في الأرض (من عذاب شديد) يعني معد لهم في الآخرة ثم وصفهم فقال تعالى (الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة) يعني يختارون الحياة الدنيا ويؤثرونها على الآخرة (ويصدون عن سبيل الله) أي ومنعون الناس عن قبول دين الله (ويغونها عوجا) يعني ويطلبونها هاريجا وميلا فحذفت الجار وأوصل الفعل وقيل معناه يطلبون سبيل الله حائذين عن القصد وقيل الهاء في ويغونها راجعة إلى الدنيا ومعناه يطلبون الدنيا على طريق الميل عن الحق والميل إلى الحرام (أولئك) يعني من هذه صفته (في ضلال بعيد) يعني عن الحق وقيل يجوز أن يراد في ضلال بعيد ذي بعد أو فيه بعد لأن الضلال يبعد عن الطريق . قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) يعني بلغه قومه ليفهموا عنه ما يدعوهم إليه وهو قوله تعالى (ليبين لهم) يعني ما يأتون وما يدرون . فان قلت لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى العرب وحدهم وإنما بعث إلى الناس جميعا بدليل قوله تعالى (قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا) بل هو مبعوث إلى الثقلين الجن والإنس وهم على السنة مختلفة ولغات شتى وقوله بلسان قوله وليس قومه سوى العرب يقتضى بظاهره أنه مبعوث إلى العرب خاصة فكيف يمكن الجمع . قلت بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب وبلسانهم والناس تبع للعرب فكان مبعوثا إلى جميع الخلق لأنهم تبع للعرب ثم إنه بعث الرسل إلى الأطراف فيترجمون لهم بالسنتهم ويدعونهم إلى الله تعالى بلغاتهم وقيل يشمل أنه أراد بقومه أهل بلده وفهم العرب وغير العرب فيدخل معهم من غير جنسهم في عموم الدعوى وقيل إن الرسول إذا أرسل بلسان قومه وكانت دعوته خاصة وكان كتابه بلسان قومه كان أقرب لفهمهم عنه وقيام الحاجة عليهم في ذلك فاذا فهموه ونقل عنهم انتشر عنهم علمه وقامت التراجم ببيانه وتفهمه لمن يحتاج إلى ذلك ممن هو من غير أهله وإذا كان الكتاب بلغة واحدة مع اختلاف الأمم وتباين اللغات كان ذلك أبلغ في اجتهاد المجتهدين في تعليم معانيه وتفهم فوائده وغوامضه وأسراره وعلومه وجميع حدوده وأحكامه وقوله (فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء) يعني أن الرسول ليس عليه إلا التبليغ والتبيين والله هو الهادي المفضل بفعل ما يشاء (وهو العزيز) يعني الذي يغلب ولا يغلب (الحكيم) في جميع أفعاله . قوله عز وجل (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) المراد بالآيات المعجزات التي جاء بها موسى عليه الصلاة والسلام مثل العصا واليد وقلق البحر وغير ذلك

من بعث الرسل إلى الأطراف يدعوهم إلى الله عز وجل ويرجمونهم بالسنتهم (فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم) ولقد أرسلنا موسى بآياتنا

أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور) أي من الكفر إلى الإيمان بالدعوة (٣٣) (وذكرهم بإيام الله) قال ابن عباس

من المعجزات العظيمة الباهرة (أن أخرج قومك من الظلمات إلى النور) أي أن أخرج قومك بالدعوة من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان (وذكرهم بإيام الله) قال ابن عباس وأنى بن كعب ومجاهد وقتادة يعني بنعم الله وقال مقاتل بوقائع الله في الأمم السالفة يقال فلان عالم بأيام العرب أي بوقائعهم وإنما أراد بما كان في أيام الله من النعمة والنعمة فأخبر بذكر الأيام عن ذلك لأن ذلك كان معلوما عندهم وعلى هذا يكون المعنى عظمهم بالترغيب والترهيب والوعد والوعيد والترغيب والترغيب ، والوعد أن يذكرهم بما أنعم الله عليهم به من النعمة وعلى من قبلهم ممن آمن بالرسول فيما مضى من الأيام ، والترهيب والوعيد أن يذكرهم بأس الله وشدة انتقامه ممن خالف أمره وكذب رسوله ، وقبل بأيام الله في حق موسى أن يذكر تومعه بأيام المحنة والشدة والبلاء حين كانوا تحت أيدي القبط يسومونهم سوء العذاب فخلصهم الله من ذلك وجعلهم ملوكا بعد أن كانوا مملوكين (إن في ذلك آيات لكل صبار شكور) الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وإنما خص الشكور والعبور بالآيات وإن كان فيها عبرة للكافة لأنهم هم المستفوعون بها دون غيرهم فلهذا خصهم بالآيات فكانها ليست لغيرهم فهو كقوله «وهدي للمتقين» ولأن الانتفاع بالآيات لا يمكن حصوله إلا لمن يكون صابرا شاكرا أما من لم يكن كذلك فلا ينتفع بها البتة (وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم) لما أمر الله عز وجل موسى عليه الصلاة والسلام أن يذكر قومه بإيام الله أمثل ذلك الأمر وذكرهم بإيام الله فقال «اذكروا نعمة الله عليكم» (إذ أنجاكم من آل فرعون) أي اذكروا إنعام الله عليكم في ذلك الوقت الذي أنجاكم فيه من آل فرعون (يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم) . فان قلت قال في سورة البقرة يذبحون بغير واو وقال هنا ويذبحون بزيادة واو فما الفرق. قلت إنما حذف الواو في سورة البقرة لأن قوله يذبحون تفسير لقوله يسومونكم سوء العذاب وفي التفسير لا يحسن ذكر الواو كما تقول جاءني القوم زيد وعمرو إذا أردت تفسير القوم وأما دخول الواو هنا في هذه السورة فلأن آل فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع من العذاب غير التذبيح وبالتذبيح أيضا فقوله ويذبحون نوع آخر من العذاب لأنه تفسير العذاب (ويستحيون نساءكم) يعني يتركونهن أحياء (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) . فان قلت كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم . قلت تمكينهم وإمهالهم حتى فعلوا ما فعلوا بلاء من الله ؛ ووجه آخر وهو أذنبكم إشارة إلى الانجاء وهو بلاء عظيم لأن البلاء يكون ابتلاء بالنعمة والخنة جميعا ومنه قوله ونهلوكم بالشر والخير فتنة وهذا الوجه أولى لأنه موافق لأول الآية وهو قوله اذكروا نعمة الله عليكم . فان قلت هب أن تذبيح الأبناء فيه بلاء فكيف يكون استحياء النساء فيه بلاء . قلت كانوا يستحيونهن ويتركونهن تحت أيديهم كالإماء فكان ذلك بلاء (وإذ تأذنبكم) هذا من جملة ما قال موسى لقومه كأنه قيل اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تأذنبكم ومعنى تأذنب أي أعلم ولا يفي تفعل من زيادة معنى ليس في أفعل كأنه قيل وأذنبكم إنيانا بليغا تنفي عنده الشكوك وتزاح الشبه والمعنى وإذ تأذنبكم يقال (لئن شكرتم) يعني يا بني إسرائيل ما نحولنكم من نعمة الإنجاء وغيرها من النعم بالإيمان الخالص والعمل الصالح (لأزيدنكم) يعني نعمة إلى نعمة ولا ضاعف لكم ما أيتكم قبل شكر الموجود وصيد المفقود وقيل لئن شكرتم بالطاعة لأزيدنكم في الثواب وأصل الشكر تصور النعمة وإظهارها

وأنى بن كعب وقتادة بنعم الله وقال مقاتل بوقائع الله في الأمم السالفة يقال فلان عالم بأيام العرب أي بوقائعهم وإنما أراد بما كان في أيام الله من النعمة والخنة والنعمة فأخبر بذكر الأيام عنها لأنها كانت معلومة عندهم (إن في ذلك آيات لكل صبار شكور) الصبار الكثير الصبر والشكور الكثير الشكر وأراد لكل مؤمن لأن الصبر والشكر من خصال المؤمنين (وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم) قال الفراء العلة الجارية لهذا الواو أن الله تعالى أخبرهم أن آل فرعون كانوا يعذبونهم بأنواع العذاب غير التذبيح والتذبيح وحيث طرح الواو في يذبحون ويقتلون أراد تفسير العذاب الذي كانوا يسومونهم (ويستحيون نساءكم) يتركونهن أحياء (وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم) أي أعلم ، يقال أذنبوا بمعنى واحد مثل أوعد وتوعد (لئن شكرتم) نعمني فأمنتم وأطعمتم (لأزيدنكم) وقيل لئن شكرتم بالطاعة

لا يزيدكم في الثواب (ولئن كفرتم) (٣٤) نعمتي فجددتها ولم تشكروها (إن عدائي لشديد وقال موسى إن تكفروا

أنتم ومن في الأرض جميعا فإن الله لغني حميد) أي غني عن خلقه حميد، ودفى أفعاله لأنه فيها متفضل وعادل (لم يأتكم نبي الذين) خير الذين (من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله) يعني من كان بعد قوم نوح وعاد وثمود، روى عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنه قال بعد ما قرأ هذه الآية كذب النسابون، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أنه قال: بين إبراهيم وبين عدنان ثلاثون قرنا لا يعلمهم إلا الله تعالى، وكان مالك بن أنس يكره أن ينسب الإنسان نفسه أبا أبا إلى آدم وكذلك في حق النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه لا يعلم أولئك الآباء أحد إلا الله عز وجل (جاءتهم رسالهم بالبينات) بالبدلالات (ردوا أيديهم في أفواههم) قال ابن مسعود عضوا أيديهم غيظا وقال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم وقال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل ورددوا ما جاءوا به يقال رددت قول فلان في فيه أي كذبت وقال الكلبي يعني أن الأمم ردوا أيديهم إلى أفواه أنفسهم يعني أنهم وضعوا الأيدي على الأفواه إشارة منهم إلى الرسل أن اسكتوا وقال مقاتل ردوا أيديهم على أفواه الرسل يسكتونهم بذلك وقيل إن الأمم لما سمعوا كلام الرسل عجبوا منه وضحكوا على سبيل السخرية فمعد ذلك ردوا أيديهم في أفواههم كما يفعل الذي غلبه الضحك. القول الثاني أن المراد بالأيدي والأفواه غير الجارحين فقتيل المراد بالأيدي النعم ومعناه ردوا ما لو قبلوه لكان نعمة عليهم يقال لفلان عندي يد أي نعمة والمراد بالأفواه وتكذيبهم الرسل والمعنى كذبوهم بأفواههم ورددوا قلوبهم وقيل إنهم كفوا عن قبول ما أمروا بقبوله من الحق ولم يؤمنوا به يقال فلان رد يده إلى فيه إذا أمسك عن الجواب فلم يجب وهذا القول فيه

الفيظ قال ابن عباس لما سمعوا كتاب الله عجبوا ورجعوا بأيديهم إلى أفواههم قال مجاهد وقتادة كذبوا الرسل بعد ورددوا ما جاءوا به يقال رددت قول فلان في فيه أي كذبت وقال الكلبي يعني إن الأمم ردوا أيديهم في أفواههم

أنفسهم أي وضعوا الأيدي على الأفواه إشارة إلى الرسل أن اسكتوا وقال مماثل فردوا أيدهم على أفواه الرسل يسكتونهم
بذلال وقيل إن الأيدي بمعنى النعم معناه ردوا ما لو قبلوا كانت أيادي ونعما (٣٥) في أفواههم أي بأفواههم يعني

بالسنتهم (وقالوا) يعني
الأمم الرسل (إنا كفرنا
بما أرسلتم به وإنا لنرى
شك مما تدعوننا إليه
مريب) موجب للريبة
موقع للتهمة (قالت
رسلمهم أني الله شك)
هذا استفهام بمعنى
فني ما اعتقدوه (فاطر
السموات والأرض)
خالقهما (يدعوكم ليغفر
لكم من ذنوبكم) أي
ذنوبكم ومن صلة
(وؤخركم إلى أجل
مسمى) إلى حين استيفاء
أجالكم فلا يعاجلكم
بالعذاب (قالوا) للرسل
(إن أنتم) ما أنتم (إلا
بشر مثلنا) في الصورة
والجسم ولستم ملائكة
وإنما (تريدون) بتولكم
(أن تصدونا عما كان
يعبد آباؤنا فأنتونا بسلطان
مبين) حجة بينة على
صحة دعواكم (قالت
هم رسلمهم إن نحن إلا
بشر مثلكم ولكن الله يعين
على من يشاء من عباده)
بالنوة والحكمة (وما
كان لنا أن نأتيكم بسلطان
إلا بإذن الله وعلى الله
اليتوكل المؤمنون ومالنا
أن لا نتوكل على الله وقد

بعد لأنهم قد أجازوا بالكذب وهو أن الأمم ردوا على رسلمهم (وقالوا إنا كفرنا بما أرسلتم
به) يعني إنا كفرنا بمازعمتم أن الله أرسلكم به لأنهم لم يقرروا بأنهم أرسلوا إليهم لأنهم لو أقرروا بأن الرسل
أرسلوا إليهم لكانوا مؤمنين (وإنا لنرى شك مما تدعوننا إليه مريب) يعني يوجب الريبة أو
يوقع في الريبة والتهمة ، والريبة فلق النفس وأن لا تنظمين إلى الأمر الذي يشك فيه . فان قلت
لنهم قالوا أولا إنا كفرنا بما أرسلتم به فكيف يقولون ثانيا وإنا لنرى شك والشك دون الكفر
أو داخل فيه . قلت لنهم لما صرحوا بكفرهم بالرسل فكأنهم حصل لهم شبهة توجب لهم
الشك فقالوا إن لم تدع الجزم في كفرنا فلا أقل من أن نكون شاكين مرتابين في ذلك (قالت
رسلمهم) يعني مجيبين للأمم (أنى الله شك) يعني هل تشكون في الله وهو استفهام إنكار ونفى
لما اعتقدوه (فاطر السموات والأرض) يعني وهل تشكون في كونه خالق السموات والأرض
وخالق جميع ما فيها (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) يعني ليغفر لكم ذنوبكم إذا آمنتم
وصدقتم وحرف من صلة وقيل إنها أصل ليست بصلة وعلى هذا إنه يغفر لهم ما بينهم وبينه
من الكفر والمعاصي دون مظالم العباد (ويؤخركم إلى أجل مسمى) يعني إلى حين اقتضاء
أجالكم فلا يعاجلكم بالعذاب (قالوا) يعني الأمم مجيبين للرسل (إن أنتم) يعني ما أنتم (إلا
بشر مثلنا) يعني في الصورة الظاهرة لستم ملائكة (تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا)
يعني ما تريدون بقولكم هذا إلا صدنا عن آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها (فأنتونا بسلطان مبين)
يعني حجة بينة واضحة على صحة دعواكم (قالت لهم رسلمهم إن نحن إلا بشر مثلكم) يعني أن
الكفار لما قالوا لرسلمهم إن أنتم إلا بشر مثلنا قالت لهم رسلمهم مجيبين لهم هب إن الأمر كما
قلتم ووصفتهم فنحن بشر مثلكم لانتم كذلك (ولكن الله يعين على من يشاء من عباده) يعني
بالنوة والرسالة فيصطفي من يشاء من عباده لهذا المنصب العظيم الشريف (وما كان لنا أن
نأتيكم بسلطان إلا بإذن الله) يعني وليس لنا مع ما خصنا الله به من النوة وشرفنا به من الرسالة
أن نأتيكم بأية وبرهان ومعجزة تدل على صدقنا إلا بإذن الله لنا في ذلك (وعلى الله فليتوكل
المؤمنون) يعني في دفع شرور أعدائهم عنهم (وما لنا أن لا نترك على الله) يعني أن الأنبياء
قالوا أيضا قد عرفنا أنه لا يصيبنا شيء إلا بقضاء الله وقلده فنحن نتق به ونتوكل عليه
في دفع شروركم عنا (وقد هدانا سبلنا) يعني وقد عرفنا طريق النجاة وبيننا الرشد (ولنصبرن)
اللام القسم تقديره والله لنصبرن (على ما آذيتونا) يعني به من قول أو فعل (وعلى الله
فليتوكل المتوكلون) . فان قلت كيف كثر الأمر بالتوكل وهل من فرق بين التوكلين . قلت
نعم التوكل الأول فيه إشارة إلى استحداث التوكل والتوكل الثاني فيه إشارة إلى السعي في التثبيت
على ما استحدثوا من توكلهم وإيقانته وإدائه فحصل الفرق بين التوكلين . قوله تعالى (وقال
الذين كفروا لرسلمهم لنخرجنكم من أرضنا أو لنعودن في ملتنا) يعني ليكون أحد الأمرين
إما إخراجكم أيها الرسل من بلادنا وأرضنا وإما عودكم في ملتنا . فان قلت هذا يوم بظاهرة
أهم كانوا على ماتهم في أول الأمر حتى يعود فيها قلت معاذ الله ولكن العود هنا بمعنى
الصدور وهو كثير في كلام العرب ، وفيه وجه آخر وهو أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام

عرفنا أن لانال شيئا إلا بقضائه وقاره (وقد هدانا سبلنا) بين لنا الرشد وبصرنا طريق النجاة (ولنصبرن) اللام لام القسم
مجازه والله لنصبرن (على ما آذيتونا) وما على الله فليتوكل المتوكلين وقال الذين كفروا لرسلمهم لنخرجنكم من أرضنا أو لنعودن في ملتنا

يعنون إلا أن ترجعوا أو حتى ترجعوا إلى ديننا (فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم)
أي بعد هلاكهم (ذلك لمن خاف متقياً) أي خاف قيامه بين يدي كما قال ولمن خاف مقام ربه جنتان فأضاف قيام العبد إلى
نفسه كما تقول ندمت على ضربك أي على ضربي إياك (وخاف وعيد) أي عقابي قوله (واستفتحوا) أي استنصروا قال ابن عباس
ومقاتل يعني الأمم وذلك أنهم قالوا (٣٦) اللهم إن كان هؤلاء الرسل صادقين فعدبنا نظيره قوله تعالى واذ قالوا اللهم

قبل الرسالة لم يظهر واخلاف أمهم فلما أرساوا إليهم أظهروا مخالفتهم ودعواهم إلى الله فقالوا لهم
لقد وددنا في ملتنا فمنا منهم أنهم كانوا على ملتهم ثم خالفوهم وإجماع الأمة على أن الرسل
من أول الأمر إنما نشئوا على التوحيد لا يعرفون غيره (فأوحى إليهم ربهم) يعني أن الله تعالى
أوحى إلى رسله وأنبياؤه بعد هذه المخاطبات والمخاورات (لنهلكن الظالمين) يعني أن عقوبة
أمرهم إلى الهلاك فلا تخافوهم (ولنسكننكم الأرض من بعدهم) يعني من بعدهم (ذلك) يعني
ذلك الإسكان (لمن خاف متقياً) يعني خاف مقامه بين يدي يوم القيامة فأضاف قيام العبد إلى
نفسه لأن العرب قد تضيف أفعالها إلى أنفسها كقولهم ندمت على ضربي إياك وندمت على
ضربك مثله (وخاف وعيد) أي وخاف عذابي . قوله عز وجل (واستفتحوا) يعني واستنصروا
قال ابن عباس يعني الأمم وذلك أنهم قالوا اللهم إن كان هؤلاء الرسل صادقين فعدبنا وقال
مجاهد وتنادة واستفتح الرسل على أمهم وذلك أنهم لما أسوا من إيمان قومهم استنصروا
الله ودعوا على قومهم بالعذاب (وخاب) يعني ونحس وقيل هلك (كل جبار عنيد) والجبار
في صفة الإنسان يقال لمن تجبر بنفسه بادعاء منزلة عالية لا يستحقها وهو صفة ذم في حق
الإنسان وقيل الجبار الذي لا يرى فوقه أحداً وقيل الجبار المتعظم في نفسه المتكبر على أقرانه
والعنيد المعاند للحق ومجاذبه قال مجاهد . وقال ابن عباس هو المعرض عن الحق وقال مقاتل
هو المتكبر وقال قتادة هو الذي يأتي أن يقول لا إله إلا الله وقيل العنيد هو المعجب بما عنده
وقيل العنيد الذي يعاند ويخالف (من ورائه جهنم) يعني هي إمامه وهو صائر إليها قال أبو عبيدة
هو من الأضداد يعني أنه يقال وراء بمعنى خلف وبمعنى أمام وقال الأخفش هو كما يقال هذا
الأمر من ورائك يعني أنه سيأتيك (ويسقى) يعني في جهنم (من ماء صديد) وهو ماسك من
الجلد واللحم من التبيح جعل ذلك شراب أهل النار وقال محمد بن كعب القرظي هو ما يسيل
من فروج الزناة يسقاه الكافر وهو قوله (يتجرعه) أي يتحساه ويشربه لأمرة واحدة بل
جرعة بعد جرعة لمرارته وحرارته وكرهته وبقته (ولا يكاد يسيغه) أي لا يقدر على ابتلاعه
يقال ساغ الشراب في الحلق إذا سهل انحدره فيه قال بعض المفسرين إن يكاد يصله والمعنى
يتجرعه ولا يسيغه وقال صاحب الكشاف دخلت يكاد للمبالغة يعني ولا يقارب أن يسيغه
فكيف تكون الإساعة وقال بعضهم ولا يكاد يسيغه بعد إبطاء لأن العرب تقول ما كدت
أقوم أي قمت بعد إبطاء فعلى هذا كاد على أصلها ويست بصلة . وقال ابن عباس معناه لا يجيزه
وقيل معناه يكاد لا يسيغه ويسیغه فيقول في جوفه . عن أبي أمامة رضي الله تعالى عنه قال : قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله وتعالى ويسقى من ماء صديد يتجرعه قال يقرب إلى فيه

إن كان هذا هو الحق
من عندك فأعطر علينا
حجارة من السماء وقال
مجاهد وفتادة واستفتحوا
يعني الرسل وذلك أنهم
لما إيمان قومهم
استنصروا الله ودعوا
على قومهم بالعذاب كما
قال نوح « رب لا تذر
على الأرض من الكافرين
دياراً » وقال موسى
« ربنا اطمس على أمواتهم
واشد على قلوبهم الآية
(وخاب) خسرو وقيل
هلك (كل جبار عنيد)
والجبار الذي لا يرى
فوقه أحداً والجبرية
طلب العار بما لا غاية
وراءه وهذا الوصف
لا يكون إلا لله عز وجل
وقيل الجبار الذي يجبر
الخلق على مراده والعنيد
المعاند للحق ومجاذبه قاله
مجاهد . وعن ابن عباس
هو المعرض عن الحق .
وقال مقاتل هو المتكبر .
وقال قتادة العنيد الذي
أبى أن يقول لا إله إلا

الله (من ورائه جهنم) أي أمامه كقوله تعالى « وكان وراءهم ملك ، أي أمامهم قال أبو عبيدة هو
من الأضداد وقال الأخفش هو كما يقال هذا الأمر من ورائك يريد أنه سيأتيك وأنا من وراء فلان يعني أصل إليه وقال
مقاتل من ورائه جهنم أي بعده (ويسقى من ماء صديد) أي من ماء هو صديد وهو ما يسيل من أبدان الكفار من التبيح
والدم وقال محمد بن كعب ما يسيل من فروج الزناة يسقاه الكافر (يتجرعه) أي يتحساه ويشربه لأمرة واحدة بل جرعة
جرعة لمرارته وحرارته (ولا يكاد يسيغه) يكاد صفة أي لا يسيغه كقوله تعالى « لم يكذب برأيه » أي لم يرها قال ابن عباس لا يجيزه

وقيل معناه يكاد لا يسبغ، ويسبغه فيغلي في جوفه أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي نوبة أنا محمد بن أحمد بن الحارث أبانا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الحلال ثنا عبد الله بن المبارك عن صفوان بن عمرو عن عبد الله بن بشر عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (٣٧) «ويستقي من ماء صديد يتجرعه» قال

يقرب إلى فيه فيكرهه
فإذا أدنى منه شوى وجهه
ووقعت فروة رأسه
فإذا شربه قطع أمعاءه
حتى يخرج من دبره
يقول الله عز وجل
«وستواما جميعا فتقطع
أمعاءهم» ويقول «وإن
يستغيثوا يغاثوا بماء
كالمهل يشوى الوجوه»
(ورأيت الموت من كل
مكان) يعني يجدهم
الموت وألمه من كل مكان
من أعضائه قال إبراهيم
التيمنى حتى من تحت كل
شعرة من جسده وقيل
يأتيه الموت من قدامه
ومن خلفه ومن فوقه
ومن تحته وعن يمينه وعن
شماله (وما هو يميت)
فيستريح قال ابن جرير
تعلق بنفسه عند حنجرة
ولا تخرج من فيه فيموت
ولا ترجع إلى مكانها
من جوفه فتنتفعه الحياة
نظيرها لا يموت فيها
ولا يحيى (ومن ورائه)
أمامه (عذاب غليظ)
شديد وقيل العذاب الغليظ
البلود في النار (مثل

فيكرهه فإذا أدنى منه شوى وجهه ووقعت فروة رأسه فإذا شربه قطع أمعاءه حتى تخرج من دبره قال وسقوا ماء حميا فقطع أمعاءهم وقال «وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه» بئس الشراب وساءت مرتقا» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب. قوله وقعت فروة رأسه أي جلدة رأسه وإنما شبهها بالفروة للشعر الذي عليها. وقوله تعالى (ورأيت الموت من كل مكان وما هو يميت) يعني أن الكافر يجد ألم الموت وشدة من كل مكان من أعضائه وقال إبراهيم التيمنى حتى من تحت كل شعرة من جسده وقيل يأتيه الموت من قدامه ومن خلفه ومن فوقه ومن تحته وعن يمينه وعن شماله وما هو يميت ويستريح وقال ابن جرير تعاق نفسه عند حنجرتهم فلا تخرج من فيه فيموت ولا ترجع إلى مكانها من جوفه فتنتفعه الحياة (ومن ورائه) يعني أمامه (عذاب غليظ) أي شديد قيل هو الخلود في النار. قوله تعالى (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) هذا كلام مستأنف منقطع عما قبله وهو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره فيما نقص أو فيما تلى عليكم مثل الذين كفروا والمثل مستعار للقصة التي فيها غرابة، وقوله أعمالهم كرماد جملة مستأنفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقال أعمالهم كرماد. وقال المفسرون والقراء مثل أعمال الذين كفروا بربهم فحذفت المضاف اعتادا على ما ذكره بعد المضاف إليه وقيل يحتمل أن يكون المعنى صفة الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد كقولك في صفة زيد عرضه مصون وماله مبدول والرماد معروف وهو ما يسقط من الخطب والفحم بعد إحراقه بالنار اشتدت به الريح يعني فنتفتحه وطيرته ولم تبق منه شيئا في يوم عاصف وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح لأن الريح تكون فيه كقولك يوم بارد وحرار ليلة ماطرة لأن الحر والبرد والمطر توجد فيهما وقيل معناه في يوم عاصف الريح فحذفت الريح لأنه قد تقدم ذكرها وهذا مثل ضربه الله تعالى لأعمال الكفار التي لم ينتفخوا بها ووجه المشابهة بين هذا المثل وبين هذه الأعمال هو أن الريح العاصف تطير الرماد وتذهب به وتفرق أجزاءه بحيث لا يبقى منها شيء وكذلك أعمال الكفار تبطل وتذهب بسبب كفرهم وشركهم حتى لا يبقى منها شيء ثم اختلفوا في هذه الأعمال ما هي فقيل هي ما عملوه من أعمال الخير في حال الكفر كالصدقة وصلة الأرحام وفك الأسير وإقراء الضيف وبر الوالدين ونحو ذلك من أعمال البر والصلاح فهذه الأعمال وإن كانت أعمال بر لكنها لا تنفع صاحبها يوم القيامة بسبب كفره لأن كفره أحبطها وأبطلها كلها وقيل المراد بالأعمال عبادتهم الأصنام التي ظنوا أنها تنفعهم فبطلت وحبطت ولم تنفعهم البتة ووجه خسارتهم أنهم أنعموا بأبدانهم في الدهر الطويل لكي ينتفعوا بها فصارت وبالاعليم وقيل أراد بالأعمال الأعمال التي عملها في الدنيا وأشركوا فيها غير الله فأنها لا تنفعهم لأنها صارت كالرماد الذي ذرته الريح وصار

الذين كفروا بربهم أعمالهم) يعني مثل أعمال الذين كفروا بربهم كقوله تعالى «ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة» أي ترى وجوه الذين كذبوا على الله مسودة (كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف) وصف اليوم بالعصوف والعصوف من صفة الريح تكون فيه كما يقال يوم حار ويوم بارد لأن الحر والبرد فيه وقيل معناه في يوم عاصف الريح فحذفت الريح لأنها قد ذكرت من قبل وهذا مثل ضربه الله لأعمال الكفار يريد أنهم لا ينتفخون بأعمالهم التي عملوها

في الدنيا لأنهم أشركوا فيها غير الله كالرؤساء الذين لا يتمتع به فذلك قوله تعالى (لا يقدرون) يعني الكفار (مما كسبوا) في الدنيا (على شيء) في الآخرة (ذلك هو الضلال البعيد) قرأ حمزة والكسائي خالق السموات والأرض وفي سورة النور خالق كل دابة مضافا وقرأ الآخرون خلق على الماضي والأرض وكل بالنصب (بالحق) أي لم يخلقها باطلا وإنما خلقها لأمر عظيم (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) سواكم أطوع لله منكم (وما ذلك على الله بعزيز) منيع شديد يعني أن الأشياء تسهل في القدرة لا يصعب على الله شيء وإن جل وعظم . قوله تعالى (وبرزوا لله جميعا) أي خرجوا من قبورهم إلى الله وظهروا جميعا (فقال الضعفاء) يعني الأتباع (للذين استكبروا) أي تكبروا على الناس (٣٨) وهم القادة والرؤساء (إنا كنا لكم تبعا) جمع تابع مثل حرس وحارس

هباء لا ينفع به وهو قوله تعالى (لا يقدرون مما كسبوا) يعني في الدنيا (على شيء) يعني من تلك الأعمال والمعنى أنهم لا يجدون ثواب أعمالهم في الآخرة (ذلك هو الضلال البعيد) يعني ذلك التحسر الكبير لأن أعمالهم ضلت وهلكت فلا يرجى عودها والبعيد الذي لا يرجى عوده (لم تر أن الله خلق السموات والأرض بالحق) يعني لم يخلقها باطلا ولا عبثا وإنما خلقها لأمر عظيم وغرض صحيح (إن يشأ يذهبكم) يعني أيها الناس (ويأت بخلق جديد) يعني سواكم أطوع لله منكم والمعنى أن الذي قدر على خلق السموات والأرض قادر على إفناء قوم وإماتتهم وإيجاد خلق آخر سواهم لأن القادر لا يصعب عليه شيء وقيل هذا خطاب لكتنار مكة يريد بتمسككم بامعشر الكفار ويخلق قوما غيركم خيرا منكم وأطوع (وما ذلك على الله بعزيز) يعني بمتنع لأن الأشياء كلها سهلة على الله وإن جات وعظمت . قوله عز وجل (وبرزوا لله جميعا) يعني وخرجوا من قبورهم إلى الله ليحاسبهم وبجازيهم على قدر أعمالهم والبراز القضاء وبرز حصل في البراز وذلك أن يظهر بذاته كلها والمعنى وخرجوا من قبورهم وظهروا إلى القضاء وأورد بلفظ الماضي وإن كان معناه الاستقبال لأن كل ما أخبر الله عنه فهو حق وصدق وكان لا محالة فصار كأنه قد حصل ودخل في الوجود (فقال الضعفاء) يعني الأتباع (للذين استكبروا) وهم القادة والرؤساء (إنا كنا لكم تبعا) يعني في الدين والاعتقاد (فهل أنتم) يعني في هذا اليوم (مغنون عنا) يعني دفعون عنا (من عذاب الله من شيء) من هنا للتبعض والمعنى هل تقدرون على أن تدفعوا عنا بعض عذاب الله الذي حل بنا (قالوا) يعني الرؤساء والقادة والمتبوعين للتابعين (لو هدانا الله لهديناكم) يعني لو أرشدنا الله لأرشدناكم ودعوناكم إلى الهدى ولكن لما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا) يعني مستويان علينا الجزع والصبر والجزع أبلغ من الحزن لأنه بصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه (مالنا من محيص) يعني من مهرب ولا منجاة مما نحن فيه من العذاب قال مقاتل يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسين عام فلا يتفهم الصبر فحينئذ يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص قال محمد بن كعب القرظي بلغني أن أهل النار يستغيثون بالخزنة كما

(فهل أنتم مغنون) دفعون (عنا من عذاب الله من شيء قالوا) يعني القادة للمتبوعين (لو هدانا الله لهديناكم) أي لو هدانا الله لدعوناكم إلى الهدى فلما أضلنا دعوناكم إلى الضلالة (سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص) مقاتل يقولون في النار تعالوا نجزع فيجزعون خمسين عام فلا يتفهم الجزع ثم يقولون تعالوا نصبر فيصبرون خمسين عام فلا يتفهم الصبر فحينئذ يقولون سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص قال محمد بن كعب القرظي بلغني أن أهل النار يستغيثون بالخزنة كما

قال الله تعالى « وقال الذين في النار لخزنة جهنم ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب » فردت الخزنة عليهم « أولم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا بلى » فردت الخزنة عليهم « ادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال » فلما يسوا مما عند الخزنة زدوا يا مالك ليقبض علينا ربك « سألو الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والسنة ثلاثمائة وستون يوما واليوم كألف سنة مما تعدون ثم لحظ إليهم بعد ثمانين « إنكم ما كنون » فلما يسوا مما قبله ، قال بعضهم لبعض إنه قد نزل بكم من البلاء ما ترون فهادوا فلنصبر فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله فنفعهم فأجمعوا على الصبر فطال صبرهم ثم جزعوا فطال جزعهم فنادوا وسواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص « أي من منجاة قال فقام إبليس عند ذلك فخطبهم وذلك قوله تعالى « وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق » الآية فلما سمعوا مقالته مقتوا

أنفسهم فتودوا ولقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون قال فنادوا الثانية فأرجعنا نعمل صالحا
 إنا موقنون فرد عليهم وأوشنا لا نبينا كل نفس ههنا الآيات فنادوا الثالثة ربنا أخرنا إلى أجل قريب نجيب دعوتك وتتبع
 الرسل فرد عليهم وأو لم تكونوا أنفسكم من قبل ما لكم من زوال الآيات ثم نادوا الرابعة ربنا أخرنا نعمل صالحا
 غير الذي كنا نعمل فرد عليهم ألم نعلمكم ما يتذكر فيه من تذكركم وجاءكم النذر الآية قال فبكث عليهم ما شاء الله
 ثم ناداهم ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون فلما سمعوا ذلك قالوا الآن يرحمنا فقالوا عند ذلك ربنا غلبت
 عليه أشقوتنا وكننا قوما ضالين ربنا أخرنا منها إن عدنا فانا ظالمون فقال عند ذلك انحسوا فيها ولا تكلمون وانقطع عند ذلك الرجاء
 والدعاء عنهم فأقبل بعضهم على بعض يتفخ بعضهم في وجود بعض وأطبقت عليهم النار قوله تعالى (وقال الشيطان)
 يعني إبليس (لما قضى الأمر) أي فرغ منه فأدخل أهل الجنة الجنة (٣٥٩) وأهل النار النار وقال مقاتل يوضع

بلغني أن أهل النار يستغيثون بالخرقة كما قال الله وقال الذين في النار لخرقة جهنم ادعوا ربكم
 يخفف عنا يوما من العذاب فردت الخرزة عليهم وقالوا ألم تك تأتيكم رسلكم بالبينات قالوا
 بلى فردت الخرزة وقالوا ادعوا وما دعاء الكافرين إلا في ضلال فلما يسأوا عما عند الخرزة
 نادوا يا مالك ليقتض علينا ربك سأول الموت فلا يجيبهم ثمانين سنة والستة والثمانون وستون يوما
 واليوم كألف سنة مما تعدون ثم يجيبهم بقوله إنكم ما تكونون فلما يسأوا مما عنده قال بعضهم
 لبعض تعالوا فلنصبر كما صبر أهل الطاعة لعل ذلك ينفعنا فصبروا وطال صبرهم فلم ينفعهم
 وجزعوا فلم ينفعهم عند ذلك قالوا سواء علينا أجزعنا أم صبرنا إنما من محيص قوله تعالى
 (وقال الشيطان) يعني إبليس (لما قضى الأمر) يعني لما فرغ منه وأدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار
 النار يأخذ أهل النار في لوم إبليس وتقريره وتوبيخه فيقوم فيها خطيبا قال مقاتل يوضع له
 منبر في النار فيجتمع عليه أهل النار يومئذ فيقول لهم ما أخبر الله عنه بقوله (إن الله وعدكم
 وعد الحق) فيه إضمار تقديره فصدق في وعده (ووعدتكم فأخلفتكم) يعني الوعد وقيل يقول
 لهم إني قلت لكم لا بعث لاجنة ولا نار (وما كان لي عليكم من سلطان) يعني من ولاية وقهر
 وقيل لم آتاكم نبي قبا وعدتكم به (إلا أن دعوتكم) هذا استثناء منقطع معناه لكن دعوتكم
 (فاستجبت لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم) يعني ما كان مني إلا الدعاء وإلقاء الوسوسة وقد
 سمعتم دلائل الله وجاءتكم الرسل فكان من الواجب عليكم أن لا تلتفتوا إلى ولا تسعدوا قولي
 فلما رجحت قولي على الدلائل الظاهرة كان اللوم بكم أولى بأجابتني ومتابعي من غير حجة
 ولادليل (يا أنا مصرحك) يعني بمغيبكم ولا متفدكم (وما أنتم بمصرخي) يعني بمغيبني ولا متفاسي
 بما أنا فيه (إني كفرت بما أشركتكم من قبل) يعني كفرت بجهلكم إياي شريكاً له في عبادته
 وتبرأت من ذلك والمعنى أن إبليس جحد ما يعتقد الكفار فيه من كونه شريكاً لله وتبرأ من
 ذلك (إن الظالمين لهم عذاب أليم) روى البغوي بسنده عن عقبة بن عامر عن النبي صلى الله

له منبر في النار ففرقاه
 فيجتمع عليه الكفار
 بالآخرة فيقول لهم (إن
 الله وعدكم وعد الحق)
 فوفي لكم به (ووعدتكم
 فأخلفتكم) وقيل يقول
 لهم قلت لكم لا بعث
 ولا جنة ولا نار (وما كان
 لي عليكم من سلطان)
 ولاية وقيل لم آتاكم نبي
 قبا وعدتكم به (إلا أن
 دعوتكم) هذا استثناء
 منقطع معناه ولكن
 دعوتكم فاستجبت لي
 (فلا تلوموني ولوموا
 أنفسكم) بأجابتني
 ومتابعي من غير سلطان
 ولا برهان (ما أنا
 بمصرحك) بمغيبكم
 (وما أنتم بمصرخي)
 بمغيبني قرأ الأعمش

وحمزة بمصرخي بكسر الياء والآخرين بالنصب لأجل التضعيف ومن كسر فلا لقاء الساكتين حركت إلى الكسر
 لأن الياء أخت الكسرة وأهل النحو لم يرضوه وقيل أنه لغة بني يربوع والأصل بمصرخيني فذهبت النون لأجل
 الإضافة وأدغمت ياء الجماعة في ياء الإضافة (إني كفرت بما أشركتكم من قبل) أي كفرت بجعلكم إياي
 شريكاً في عبادته وتبرأت من ذلك (إن الظالمين) الكافرين (لهم عذاب أليم) أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبه أنبأنا
 محمد بن أحمد الحارث أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبد الله بن محمود ثنا إبراهيم بن عبد الله الحلال ثنا عبد الله
 ابن المبارك عن رشيد بن سعد أخبرني عبد الرحمن بن زياد عن دحيم الحجري عن عقبة بن عامر عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم في حديث الشفاعة ذكر الحديث ثم قال و يقول عيسى عليه السلام ذلكم النبي فأوتوني فيأذن الله لي أن أقوم
 فيثور من مجامع أطيب ريح شهيا أحد حتى أتني ربي عز وجل فيشفعني ويجعل لي نورا من شعر رأسي إلى ظهر قدمي ثم يقول
 الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فن يشفع لنا فيقولون ما هو غير إبليس هو الذي أضلنا فيأتونه فيقولون له قد وجد

المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت (٤٠) فاشفع لنا فانك أنت أصلتنا فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شهما احد م

عليه وسلم في حديث الشفاعة وذكر الحديث إلى قوله فيأتوني فيذ الله لي أن أقوم فيثور من مجلسي أطيب ريح شهما أحد حتى آتيني فيشفعني ويجعل لي نورا من رأسي إلى ظهر قدمي ثم يقول الكفار قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فمن يشفع لنا فيقولون ما هو غير إبليس هو الذي أصلنا فيأتونه فيقولون قد وجد المؤمنون من يشفع لهم فقم أنت فاشفع لنا فانك أنت أصلتنا فيقوم فيثور من مجلسه أنتن ريح شهما أحد ثم تعظم جهنم ويقول عند ذلك إن الله وعدمكم وعد الحق الآية . وقوله تعالى (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) ما شرح الله عز وجل حال الكفار الأشقياء بما تقدم من الآيات الكثيرة شرح أحوال المؤمنين السعداء وما أعد لهم في الآخرة من الثواب العظيم الجزيل وذلك أن الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم والمنفعة الخالصة إليها الإشارة دائمة بقوله وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار وكونها دائمة أشير إليه بقوله (خالدين فيها) والتعظيم حصل من وجهين أحدهما قوله (باذن ربهم) لأن تلك المنافع إنما كانت تفضلا من الله بأنعامه الثاني قوله (تحيتهم فيها سلام) فيحتمل أن بعضهم يحبي بعضا بهذه الكلمة أو الملائكة تحييم بها أو الرب سبحانه وتعالى يحبيهم ويحتمل أن يكون المراد أنهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الآفات لأن السلام مشتق من السلامة . قوله عز وجل (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) لما شرح الله عز وجل أحوال الأشقياء وأحوال السعداء ضرب مثلا فيه حكم عذبن التسمين فقال تعالى ألم تر أي بعين قلبك فتعلم علم يقين باعلاهي إياك فعل هذا محتمل أن يكون الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره فيه ويحتمل أن يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيسكون المعنى ألم تر أي الإنسان كيف ضرب الله مثلا يعني بين شهما والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولنا في شيء آخر بينهما مشابة ليقين أحدهما من الآخر ويتصور وقبل هو قول سائر لتشبيه شيء بشيء آخر (كلمة طيبة) هي قول لإياه إلا أنه في قول ابن عباس وجهه المفسرين (كشجرة طيبة) يعني كشجرة طيبة الثمرة وقال ابن عباس هي الشجرة وبه قال ابن مسعود وأنس ومجاهد وعكرمة والضحاك (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبروني عن شجرة شبه الرجل أو قال كمثل الرجل المسلم لا يتحات وورقها تؤثى أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع في نفسي أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي النخلة قال فلما قلنا قلت لعمر يا أبا عبد الله لتدكر وقع في نفسي أنها النخلة فقال ما منعك أن تتكلم فقلت لم أركم تتكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا فقال عمر لأن تكون قلنا أحب إلى من كذا وكذا وفي رواية أن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم فحدثوني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله بن عمرو وقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت أن أتكلم ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله فقال وهي النخلة وفي رواية عن ابن عباس أنها شجرة في الجنة وفي رواية أخرى عنه أنها المؤمن . وقوله (أصلها ثابت) يعني في الأرض (وفرعها) يعني أعلاها (في السماء) يعني ذاهبة في السماء (تؤثى أكلها) (كل حين باذن ربها) يعني بامر ربها والحين في اللغة الوقت يطلق

تعظم لجهنم ويقول عند ذلك إن الله وعدمكم وعد الحق الآية . قوله تعالى (وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) ما شرح الله عز وجل حال الكفار الأشقياء بما تقدم من الآيات الكثيرة شرح أحوال المؤمنين السعداء وما أعد لهم في الآخرة من الثواب العظيم الجزيل وذلك أن الثواب منفعة خالصة دائمة مقرونة بالتعظيم والمنفعة الخالصة إليها الإشارة دائمة بقوله وأدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار وكونها دائمة أشير إليه بقوله (خالدين فيها) والتعظيم حصل من وجهين أحدهما قوله (باذن ربهم) لأن تلك المنافع إنما كانت تفضلا من الله بأنعامه الثاني قوله (تحيتهم فيها سلام) فيحتمل أن بعضهم يحبي بعضا بهذه الكلمة أو الملائكة تحييم بها أو الرب سبحانه وتعالى يحبيهم ويحتمل أن يكون المراد أنهم لما دخلوا الجنة سلموا من جميع الآفات لأن السلام مشتق من السلامة . قوله عز وجل (ألم تر كيف ضرب الله مثلا) لما شرح الله عز وجل أحوال الأشقياء وأحوال السعداء ضرب مثلا فيه حكم عذبن التسمين فقال تعالى ألم تر أي بعين قلبك فتعلم علم يقين باعلاهي إياك فعل هذا محتمل أن يكون الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل معه غيره فيه ويحتمل أن يكون الخطاب فيه لكل فرد من الناس فيسكون المعنى ألم تر أي الإنسان كيف ضرب الله مثلا يعني بين شهما والمثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولنا في شيء آخر بينهما مشابة ليقين أحدهما من الآخر ويتصور وقبل هو قول سائر لتشبيه شيء بشيء آخر (كلمة طيبة) هي قول لإياه إلا أنه في قول ابن عباس وجهه المفسرين (كشجرة طيبة) يعني كشجرة طيبة الثمرة وقال ابن عباس هي الشجرة وبه قال ابن مسعود وأنس ومجاهد وعكرمة والضحاك (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أخبروني عن شجرة شبه الرجل أو قال كمثل الرجل المسلم لا يتحات وورقها تؤثى أكلها كل حين قال ابن عمر فوقع في نفسي أنها النخلة ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان فكرهت أن أتكلم فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي النخلة قال فلما قلنا قلت لعمر يا أبا عبد الله لتدكر وقع في نفسي أنها النخلة فقال ما منعك أن تتكلم فقلت لم أركم تتكلمون فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا فقال عمر لأن تكون قلنا أحب إلى من كذا وكذا وفي رواية أن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وأنها مثل المسلم فحدثوني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي قال عبد الله بن عمرو وقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت أن أتكلم ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله فقال وهي النخلة وفي رواية عن ابن عباس أنها شجرة في الجنة وفي رواية أخرى عنه أنها المؤمن . وقوله (أصلها ثابت) يعني في الأرض (وفرعها) يعني أعلاها (في السماء) يعني ذاهبة في السماء (تؤثى أكلها) (كل حين باذن ربها) يعني بامر ربها والحين في اللغة الوقت يطلق

باذن ربها) والحين في اللغة هو الوقت وقد اختلفوا في معناه ها هنا فقال مجاهد وعكرمة الحين حالها على سنة كاملة لأن النخلة تدرك كل سنة وقال سعيد بن جبيرة وقناة والحسن سنة أشهر من وقت إطلاعها إلى صرامها وروى ذلك

عن ابن عباس رضي الله عنهما وقيل أربعة أشهر ثم حين ظهورها إلى إدراكها وقال سعيد بن المسيب شهران من حين تؤكل إلى الطرام وقال الربيع بن أنس كل حين أي كل غدوة وعشية لأن ثمر النخل يؤكل أبدا ليلا ونهارا وصيفا وشتاء إما تمرا أو رطباً أو يسراً كذلك عمل المؤمن يصعد أول النهار وآخره وبركة إيمانه لا تنقطع أبداً بل تصل إليه في كل وقت والحكمة في تمثيل الإيمان بالشجرة هي أن الشجرة لا تكون شجرة إلا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل قائم وفرع عال كذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل (٤١) بالأبدان . أخبرنا أبو عبد الله محمد

ابن الفضل الحرقي أنبأنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنبأنا عبد الله ابن عمر الجوهري أنا أحمد ابن علي الكشميهني ثنا علي بن حجر ثنا إسماعيل ابن جعفر ثنا عبد الله ابن دينار أنه سمع ابن عمر يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها وإنها مثل المسلم فحدثوني ما هي قال عبد الله فوق في شجر البوادي ووقع في نفسي أنها النخلة فاستحييت ثم قالوا حدثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال هي النخلة قال عبد الله فذكرت ذلك لعمرف قال لأن تكون قلت هي النخلة كان أحب إلي من كذا وكذا ، وقيل الحكمة في تشبيهها بالنخلة من بين سائر الأشجار أن النخلة شبه

على القليل والكثير واختافوا في مقداره هذا وقال مجاهد وعكرمة الحين هنا ستة كلمة لأن النخلة تنمر في كل سنة مرة واحدة وقال سعيد بن جبير وقتادة والحسن ستة أشهر يعني من وقت طلوعها إلى حين صرامها وروى ذلك عن ابن عباس أيضاً وقال علي بن أبي طالب ثمانية أشهر يعني أن مدة حملها باطناً وظاهراً ثمانية أشهر وقيل أربعة أشهر من حين ظهور حملها إلى إدراكها وقال سعيد بن المسيب شهران يعني من وقت أن يؤكل منها إلى صرامها وقال الربيع بن أنس كل حين يعني غدوة وعشية لأن ثمر النخل يؤكل أبداً ليلا ونهاراً وصيفاً وشتاءً فيؤكل منها الجمار والطلع والباح والبسر والمنصف والرطب وبعد ذلك يؤكل الثمر اليابس إلى حين الطرى الرطب فأكلها دائم في كل وقت قال العلماء ووجه الحكمة في تمثيل هذه الكلمة التي هي كلمة الإخلاص وأصل الإيمان بالنخلة حاصل من أوجه: أحدها أن كلمة الإخلاص شديدة الثبوت في قلب المؤمن كشبوت أصل النخلة في الأرض. الوجه الثاني أن هذه الكلمة ترفع عمل المؤمن إلى السماء كما قال تعالى إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وكذلك فرع النخلة الذي هو عال في السماء. الوجه الثالث أن ثمر النخلة يأتي في كل حين ووقت وكذلك ما يكسبه المؤمن من الأعمال الصالحة في كل وقت وحين ببركة هذه الكلمة فالمؤمن كلما قال لا إله إلا الله صعدت إلى السماء ووجاهته بركتها وثوابها وخيرها ومنفعتها. الوجه الرابع أن النخلة شبيهة بالإنسان في غالب الأمر لأنها خلقت من فضلة طينة آدم وأنها إذا قطع رأسها تموت كالآدمي بخلاف سائر الشجر فإنه إذا قطع نبت وأنها لا تحمل حتى تلقح بطلع الذكر. الوجه الخامس في وجه الحكمة في تمثيل الإيمان بالشجر على الإطلاق لأن الشجرة لا تسمى شجرة إلا بثلاثة أشياء عرق راسخ وأصل ثابت وفرع قائم وكذلك الإيمان لا يتم إلا بثلاثة أشياء تصديق بالقلب وقول باللسان وعمل بالأبدان وقوله سبحانه وتعالى (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) يعني أن في ضرب الأمثال زيادة في الأفهام وتصويراً للمعاني وتذكيراً ومواعظ لمن تذكر واتعظ. قوله تعالى (ومثل كلمة خبيثة) وهو الشرك (كشجرة خبيثة) يعني الخنظل قاله أنس بن مالك ومجاهد ورواية عن ابن عباس إنها الكشوت وعنه أيضاً أنها النوم وعنه أيضاً أنها الكافر لأنه لا يقبل عمله فليس له أصل ثابت ولا يصعد إلى السماء (احتش) يعني استوصلت وقطعت (من فوق الأرض ما لها من قرار) يعني ما لهذه الشجرة من ثبات في الأرض لأنها ليس لها أصل ثابت في الأرض ولا فرع صاعد إلى السماء كذلك الكافر لا خير فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح ولا الاعتقاد أصل ثابت فهذا وجه تمثيل الكافر بهذه

(٦ - خازن بالبغوي - رابع) الأشجار بالإنسان من حيث إنها لا قطع رأسها يموت وسائر الأشجار تنشعب من جوانبها بعد قطع رموسها ولأنها تشبه الإنسان في أنها لا تحمل إلا بالتلقيح ولأنها خلقت من فضل طينة آدم عليه السلام ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم أكرموا عمتكم قبل ومن عمتنا قال النخلة، (ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون) ومثل كلمة خبيثة) وهي الشرك (كشجرة خبيثة) وهي الخنظل وقيل هي النوم وقيل الكشوت وهي العشق (احتش) يعني انقلعت (من فوق الأرض ما لها من قرار) ثبات معناه وليس لها أصل ثابت في الأرض ولا فرع

صاعد إلى السماء كذلك الكافر لا يخبر فيه ولا يصعد له قول طيب ولا عمل صالح . قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) كلمة التوحيد وهي قول لا إله إلا الله (في الحياة الدنيا) يعني قبل الموت (وفي الآخرة) يعني في القبر هذا قول أكثر المفسرين وقيل في الحياة الدنيا عند السؤال في القبر وفي الآخرة عند البعث والأول أصح أخبرنا عن عبد الواحد بن أحمد الملبحي أنبأنا أحمد بن عبد الله التميمي أن أحمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو الوليد ثنا شعبة أخبرني عن علقمة بن مرثد قال سمعت سعيد بن عبيدة عن البراء بن عازب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة . أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر ابن محمد أنبأنا محمد بن عيسى الجلودي أنبأنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنبأنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن بشار ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة بهذا الإسناد (٤٢) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت قال

الشجرة الخبيثة عن أنس قال أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بقناع عليه رطب فقال مثل كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتى أكلها كل حين أبان ربهما قال هي النخلة ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار قال هي الخنظللة أخرجه الترمذي مرفوعاً وموقوفاً ، وقال الموقوف أصح . قوله سبحانه وتعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت) لما وصف الله الكلمة الطيبة في الآية المتقدمة أخبرني في هذه الآية أنه يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت والقول الثابت هي الكلمة الطيبة وهي شهادة أن لا إله إلا الله في قول جمهور المفسرين . ولما وصف الكلمة الخبيثة في الآية المتقدمة بكلمة الشرك قال في هذه الآية ويضل الله الظالمين يعني بالكلمة الخبيثة وهي كلمة الشرك في قول جميع المفسرين وقوله (في الحياة الدنيا) يعني في القبر عند السؤال (وفي الآخرة) يعني يوم القيامة عند البعث والحساب وهذا القول واضح وبدل عليه ما روى عن البراء بن عازب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة قال نزلت في عذاب القبر زاد في رواية يقال له من ربك فيقول ربي الله ونبي محمد صلى الله عليه وسلم . أخرجه البخاري ومسلم (ق) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وأنه ليسمع قرع نعالهم إذا انصرفوا أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له أنظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة قال النبي صلى الله عليه وسلم فيهما جميعاً قال قتادة ذكر لنا أنه يفسح له في قبره ، ثم رجع إلى حديث أنس وأما المنافق وفي رواية وأما الكافر فيقول لأدرى كنت أقول ما يقول الناس فيه فيقال لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين . لفظ البخاري ومسلم بمعناه زاد في رواية أنه يفسح له في قبره سبعون ذراعاً ويملاً عليه خضراً إلى

نزلت في عذاب القبر يقال له من ربك ؟ فيقول ربي الله ونبي محمد فذلك قوله تعالى : يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت ، وأخبرنا عبد الواحد الملبحي أنبأنا أحمد بن عبد الله التميمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عياش بن الوليد ثنا عبد الأعلى ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أنه حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه أنه يسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ^{صلى الله عليه وسلم} فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد الله ورسوله فيقال له أنظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً قال قتادة وذكر لنا أنه يفسح له في قبره ، ثم رجع إلى حديث أنس قال في هذا الرجل فيقول لأدرى كنت أقول ما يقول الناس فيقال له لا دريت ولا تليت ويضرب بمطرقة من حديد ضربة فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين . أخبرنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل التميمي ثنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنبأنا أبو أحمد عبد الله بن عدى الخفاف ثنا عبد الله بن سعيد ثنا أسد بن موسى ثنا عيسى بن سعد بن كثير حدثني جدي عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : إن الميت يسمع خفق النعال إذا ولى عنه الناس مدبرين ثم يجلس ويوضع كفته في عنقه ثم يسأل ، وروى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ^{صلى الله عليه وسلم} قال : إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر التكبير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله

إلا الله وإن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له ثم فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقولان ثم كتومة العروس الذي لا يوقفه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وإن كان منافقا أو كافرا قال سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثله لا أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول ذلك فيقال للأرض اتشمي عليه فتخلثم عليه فتختلف (٤٣) أضلاعه فلا يزال فيها معذباً

يوم يبعثون وأخرجه أبو داود عن أنس قال وهذا لفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وإن المؤمن إذا وضع في قبره آتاه ملك فيقول ما كنت تعبد فان هداه الله قال كنت أعبد الله فيقول له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول هو عبد الله ورسوله فلا يسئل عن شيء بعدها فينطلق به إلى بيت كان له في النار فيقال له هذا كان مقعدك ولكن عصمك الله فأبدلك به بيتا في الجنة فبراه فيقول دعوني حتى أذهب فأبشر أهلي فيقال له اسكن وأن الكافر والمنافق إذا وضع في قبره آتاه ملك فينهضه فيقول ما كنت تعبد فيقول لا أدري فيقال له لا دريت ولا تليت فيقال له ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول ما يقول الناس فيه فيضربه بمطراق من حديد بين أذنيه فيصبح صبيحة يسمعها الخلق غير الثقلين وأخرجه النسائي أيضا عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قبر الميت أو قال إذا قبر أحدكم آتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر وللآخر التكبير فيقولان ما كنت تقول في هذا الرجل فيقول كنت أقول هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله فيقولان قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا ثم ينور له فيه ثم يقال له ثم فيقول أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقولان ثم كتومة العروس الذي لا يوقفه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله تعالى من مضجعه ذلك وإن كان منافقا فيقول سمعت الناس يقولون قولا فقلت مثلهم لا أدري فيقولان قد كنا نعلم أنك كنت تقول ذلك فيقال للأرض اتشمي عليه فتخلثم عليه فتختلف أضلاعه ، فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك أخرجه الترمذي عن البراء بن عازب قال «خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الأنصار فانتهد إلى القبر ، ولما يلحد بعد فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وجلسنا حوله كأنما على رءوسنا الطير ويده عود ينكت به في الأرض فرفع رأسه صلى الله عليه وسلم فقال تعوذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاثا زاد في رواية وقال إن الميت ليسمع خفق نعالهم إذا ولوا مديريين حين يقال له يا هذا من ربك وما دينك ومن نبيك وفي رواية يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله فيقولان له وما دينك؟ فيقول دينى الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان وما يدريك؟ فيقول قرأت كتاب الله وآمنت به وصدقت ، زاد في رواية فذلك قوله بثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ثم لقناه قال فينادى مناد من السماء إن صدق عبدي فأفرشوا له من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة فيأتيه من ربهها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره وإن كان الكافر فذكر موته قال : فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ما دينك فيقول هاه هاه لا أدري فيقولان ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدري فينادى مناد من السماء

حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك ، وروى عن البراء بن عازب ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن وقال فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه في قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الإسلام ونبي محمد فينتهرانه ويقولان له الثانية من ربك وما دينك ومن نبيك وهي آخر فتنة تعرض على المؤمن فيبعثه الله عز وجل فيقول ربى الله ودينى الإسلام ونبي محمد صلى الله عليه وسلم فينادى مناد من السماء أن صدق عبدي قال فذلك قوله تعالى وبثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنبأنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون الطبرسي في أخبرنا

أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي أنبأنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن بسطام أنبأنا أبو الحسن أحمد بن سيار القرشي ثنا إبراهيم ابن موسى الترمذي أبو إسحاق ثنا هشام بن يوسف ثنا عبد الله بن يحيى عن هاني بن مولى عثمان قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الرجل وقف عليه وقال استغفروا لأخيكم وأسألوا الله له التثبيت فإنه الآن يسأل ، وقال عمرو بن العاص في سياق الموت وهو يبكي فاذا أنا مت فلا تصحبنى نائحة ولا نار فاذا دفنتوني فسنوا على التراب سنا ثم أقموا حول قبري

قدر ما ينحر جزور ويقسم لحمه حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي قوله تعالى (ويضل الله الظالمين)
أى لا يهدى المشركين إلى الجواب (٤٤) بالصواب في القبر (ويفعل الله ما يشاء) من التوفيق والخلدان والتثبيت

وترك التثبيت قوله تعالى
(ألم تر إلى الذين بدلوا
نعمة الله كفرا) الآية
أخبرنا عبد الواحد المليحي
أنا أحمد بن عبد الله
الثعبي أنا محمد بن
إسماعيل ثنا سفيان ثنا
عمرو بن عطاء عن ابن
عباس في قوله تعالى والذين
بدلوا نعمة الله كفرا
قال هم والله كفار قريش
وقال عمرهم قريش ومحمد
صلى الله عليه وسلم نعمة
الله (وأحلوا قومهم
دار البوار) قال البوار
يوم بدر قوله بدلوا نعمة
الله أي غيروا نعمة الله عليهم
في محمد صلى الله عليه وسلم
حيث ابتعثه الله منهم كفرا
كفروا به فأحلوا أي
أنزلوا قومهم ممن تابعهم
على كفرهم دار البوار
المهلك، ثم بين دار البوار
فقتال (جهنم يصلونها)
يدخلونها (وبئس القرار)
المستقر وعن علي كرم
الله وجهه الذين بدلوا
نعمة الله كفرا هم كفار
قريش نحروا يوم بدر
وقتل عمر بن الخطاب
هم الأفجران من قريش
بنو المغيرة وبنو أمية أما
بنو المغيرة فكفبتهم وهم

أن قد كذب عبدي فافرشوا له من النار وأبسوه من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من
حرها وسومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلعه زاد في رواية ثم يقبض له أعمى أبكم
أصم معه مرزبة من حديد لو ضرب بها جبلا لصار ترابا فيضربه بها ضربة يسمعها من بين
المشرق والمغرب إلا الثقلين فيضرب ترابا ثم تعاد فيه الروح أخرجه أبو داود عن عثمان بن عفان
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا فرغ من دفن الميت وقف عليه وقال ؟ استغفروا
لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل أخرجه أبو داود عن عبد الرحمن بن ثمامة المهري قال
حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت فبكى بكاء طويلا وحول وجهه إلى الجدار وجعل
ابنه يقول ما يبكيك يا أبتاه أما بشرتك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا وكذا فأقبل بوجهه
وقال إن أفضل ما تعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، وذكر الحديث بطوله
وفيه فإذا أنا مت فلا تصحبنى نائحة ولا نار فإذا دفنته موتى فسنوا على التراب سنا ، ثم أقبلوا
حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم وأنظر ماذا أراجع به رسل ربي ،
أخرجه مسلم بزيادة طويلة فيه قيل المراد من التثبيت بالقول الثابت هو أن الله تعالى إنما يثيبهم
في القبر بسبب كثرة مواظبتهم على شهادة الحق في الحياة الدنيا ووجههم لها فن كانت مواظبتهم على
شهادة الإخلاص أكثر كان رسوخها في قلبه أعظم فينبغي للعبد المسلم أن يكثر من قول لا إله إلا الله
محمد رسول الله في جميع حالاته من قيامه وقعوده ونومه ويقظته وجميع حركاته وسكناته
فلعل الله عز وجل أن يرزقه بركة مواظبته على شهادة الإخلاص التثبيت في القبر ويسهل عليه
جواب الملكين بما فيه خلاصه من عذاب الآخرة ، نسأل الله التثبيت في القبر وحسن الجواب
وتسهيله بفضله ومنه وكرمه وإحسانه إنه على كل شيء قدير وقوله تعالى (ويضل الله الظالمين)
يعنى أن الله تعالى لا يهدى المشركين إلى الجواب الصواب في القبر (ويفعل الله ما يشاء) يعنى من
التوفيق والخلدان والهداية والأضلال والتثبيت وتركه لا اعتراض عليه في جميع أفعاله لا يسئل عما
يفعل وهم يسألون . قوله عز وجل (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا) (خ) عن ابن عباس
في قوله ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا قال هم كفار مكة وفي رواية هم والله كفار قريش
قال عمرهم قريش ونعمة الله هو محمد صلى الله عليه وسلم (وأحلوا قومهم دار البوار) قال
البوار يوم بدر وعن علي رضي الله عنه قال هم كفار قريش فجرؤا يوم بدر ، وقال عمر بن
الخطاب رضي الله عنه الأفجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية أما بنو المغيرة فقد كفبتهم وهم
يوم بدر وأما بنو أمية فقد منعوا إلى حين فقوله بدلوا نعمة الله كفرا معناه أن الله تعالى لما أنعم
على قريش بمحمد صلى الله عليه وسلم فأرسله إليهم وأنزل عليه كتابه ليخرجهم من ظلمات
الكفر إلى نور الإيمان اختاروا الكفر على الإيمان وغيروا نعمة الله عليهم وقيل يجوز أن يكون
بدلوا شكر نعمة الله عليهم كفرا لأنهم لما وجب عليهم الشكر بسبب هذه النعمة أتوا بالكفر
فكأنهم غيروا الشكر وبدلوه بالكفر وأحلوا قومهم يعنى ومن تبعهم على دينهم وكفرهم دار
البوار يعنى دار الهلاك ثم فسرهما بقوله (جهنم يصلونها وبئس القرار) يعنى المستقر (وجعلوا لله
أندادا) يعنى أمثالا وأشباها من الأصنام وليس لله تعالى ند ولا شبيه ولا مثيل تعالى الله عن الند
والشبيه والمثيل علوا كبيرا (ليضلوا عن سبيله) يعنى ليضلوا الناس عن طريق الهدى ودين الحق

يوم بدر وأما بنو أمية فتنعوا إلى حين (وجعلوا لله أندادا) أمثالا وليس لله تعالى ند (ليضلوا) قرأ (قل
ابن كثير وأبو عمرو بفتح الباء وكذلك في الحج وسورة لقمان والزمر ليضل وقرأ الآخرون بضم الهمزة على معنى ليضوا والناس) عن سبيله

(قل تمتعوا) أي قل يا محمد ولأهل الكفار تمتعوا في الدنيا أياما قليلا (فإن مصيركم إلى النار) يعني في الآخرة . قوله تعالى (قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة) يعني يقيموا الصلاة الواجبة وإقامتها إتمام أركانها (ويتفقوا مما رزقناهم) قيل أراد بهذا الإنفاق إخراج الزكاة الواجبة وقيل أراد به جميع الإنفاق في جميع وجوه الخير والبر وحمله على العموم أولى ليدخل فيه إخراج الزكاة والإنفاق في جميع وجوه البر (سرا وعلانية) يعني يتفقون أموالهم في حال السر وحال العلانية وقيل أراد بالسرا صدقة التطوع وبالعلانية إخراج الزكاة الواجبة (من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه) قال أبو عبيدة البيع هنا تقدماء يعني لأفداء في ذلك اليوم (ولا خلاق) يعني ولا خلة وهي المودة والصدقة التي تكون مخاللة بين اثنين وقال مقاتل إنما هو يوم لا بيع فيه ولا شراء ولا مخاللة ولا قرابة إنما هي الأعمال إما أن يذاب بها أو يعاقب عليها . فان قلت كيف نفي الخلة في هذه الآية وفي الآية التي في سورة البقرة وأثبتها في قوله الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين . قلت الآية الدالة على نفي الخلة محمولة على نفي الخلة الحاصلة ، بسبب ميل الطبيعة ورعونة النفس والآية الدالة على حصول الخلة وثباتها محمولة على الخلة الحاصلة بسبب محبة الله الأثره أثبتا للمتقين فقط ونفاها عن غيرهم وقيل إن ليوم القيامة أحوالا مختلفة ففي بعضها يشتغل كل خليله عن خليله وفي بعضها يتعاطف الأخلاء بعضهم على بعض إذا كانت تلك الحالة لله في محبة . قوله عز وجل (الله الذي خلق السموات والأرض وأزل من السماء ماء فأخرج من الثمرات رزقا لكم) اعلم أنه تقدم تفسير هذه الآية في مواضع كثيرة ونذكر هاهنا بعض فوائده هذه الآية الدالة على وجود الصانع المختار القادر الذي لا يعجزه شيء أرادته ، فقوله تعالى الله الذي خلق السموات والأرض إنما بدأ بذكر خلق السموات والأرض لأنها أعظم المخلوقات الشاهدة الدالة على وجود الصانع الخالق القادر المختار وأزل من السماء ماء يعني من السحاب سمي السحاب سماء لارتفاعه مشتق من السمو وهو الارتفاع وقيل إن المطر ينزل من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الأرض فأخرج به أي بذلك الماء من الثمرات رزقا لكم والثمر اسم يقع على ما يحس من الشجر وقد يقع على الزرع أيضا بدليل قوله كلوا من ثمرة إذا أثمرت وآتوا حقه يوم حصاده وقوله من الثمرات بيان للرزق أي أخرج به رزقا هو الثمرات (وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره) لما ذكر الله سبحانه وتعالى إنعامه بإزال المطر وإخراج الثمر لأجل الرزق والانتفاع به ذكر نعمته على عباده بتسخير السفن الجارية على الماء لأجل الانتفاع بها في جلب ذلك الرزق الذي هو الثمرات وغيرها من بلد إلى بلد آخر فهي من تمام نعمة الله على عباده (وسخر لكم الأنهار) يعني ذلها لكم تجرونها حيث شئتم ولما كان ماء البحر لا يفتتح به في سقى الزروع والثمار ولا في الشراب أيضا ذكر نعمته على عباده في تسخير الأنهار وتفجير العيون لأجل هذه الحاجة فهو من أعظم نعم الله على عباده (وسخر لكم الشمس والقمر داثين) الدأب العادة المستمرة دائما على حالة واحدة ودأب في السير داوم عليه ، والمعنى أن الله سخر الشمس والقمر يجريان دائما فيما يعود إلى مصالح العباد لا يفتران إلى آخر الدهر وهو انقضاء عمر الدنيا وذهابها قال ابن عباس دأبها في طاعة الله عز وجل وقال بعضهم معناه يدأبان في طاعة الله أي في مسيرهما وتأثيرهما في إزالة الظلمة وإصلاح الثبات والحيوان لأن الشمس سلطان النهار وبها تعرف فصول السنة والقمر سلطان الليل وبه يعرف انقضاء الشهور وكل ذلك بتسخير الله عز وجل وإنعامه على عباده وتسخيره لهم (وسخر لكم الليل والنهار) يعني يتعاقبان في الضياء

قل تمتعوا) عيشوا في الدنيا (فإن مصيركم إلى النار) قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة) آمنوا يقيموا الصلاة) قال القراء هذا جزم على الجزاء (ويتفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلاق) مخاللة وصدقة (الله الذي خلق السموات والأرض وأزل من السماء ماء فأخرج من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجربى في البحر بأمره) باذنه (وسخر لكم الأنهار) ذلها لكم تجرونها حيث شئتم (وسخر لكم الشمس والقمر داثين) يجريان فيما يعود إلى مصالح العباد ولا يفتران قال ابن عباس دأبها في طاعة الله عز وجل (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان في الضياء والظلمة

والظلمة والتقصان ، والزيادة وذلك من إنعام الله على عباده وتسخير له (وآتاكم من كل ماسألتوه) لما ذكر الله سبحانه وتعالى النعم العظام التي أنعم الله بها على عباده وبشرها لهم بين بعد ذلك أنه تعالى لم يقتصر على تلك النعم بل أعطى عباده من المنافع والمواد ما لا يأتي على بعضها العد والحصر والمعنى وآتاكم من كل ماسألتوه شيئا فحدث شيئا ا كفاء بدلالة الكلام على التبويض وقيل هو على التكثير يعني وآتاكم من كل شيء سألتموه وما لم تسألوه لأنه نعمه علينا أكثر من أن تحصى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) يعني أن نعم الله كثيرة على عباده فلا يقدر أحد على حصرها ولا عدها لكثرتها (إن الإنسان) قال ابن عباس يريد أبا جهل وقال الزجاج هو اسم جنس ولكن يقصد به الكافر (لظلم كفار) يعني ظلم لنفسه كفار بنعمة ربه ، وقيل الظلم الشاكر لغير من أنعم عليه فيضع الشكر في غير موضعه كفار جحد لنعم الله عليه وقيل يظلم النعمة باغفال شكرها كفار شديد الكبران لها وقيل ظلم في الشدة يشكو ويجزع كفار بالنعمة يجمع ويمنع قوله سبحانه وتعالى (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا) يعني ذا آمن يؤمن فيه وأراد بالبلد مكة . فان قلت أي فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا . قلت الفرق بينهما أنه سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها فيها ولا يخافون وسأل في الثاني أن يخرج هذا البلد من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن كأنه قال هو بلد مخوف فأجعله آمنا (واجنبي وبني أن نعبد الأصنام) يعني أبعدي وبني أن نعبد الأصنام . فان قلت قد توجه على هذه الآية إشكالات وهي من وجوه الأول أن إبراهيم دعاه به أن يجعل مكة آمنة ثم إن جماعة من الجاهلية وغيرهم قد أغاروا عليها وأخافوا أهلها . الوجه الثاني أن الأنبياء عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام معصومون عن عبادة الأصنام وإذا كان كذلك فما الفائدة في قوله اجنبي عن عبادتها . الوجه الثالث أن إبراهيم عليه السلام سأل ربه أيضا أن يجنب بنيه عن عبادة الأصنام ، وقد وجد كثير من بنيه عبد الأصنام مثل كفار قريش وغيرهم ممن ينسب إلى إبراهيم عليه السلام . قلت الجواب عن الوجه المذكورة من وجوه فالجواب عن الوجه الأول من وجهين أحدهما أن إبراهيم عليه السلام لما فرغ من بناء الكعبة دعا بهذا الدعاء والمراد منه جعل مكة آمنة من الحراب وهذا موجود بحمد الله ولم يقدر أحد على خراب مكة وأورد على هذا ما ورد في الصحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخرب الكعبة ذو السويقتين من الحبيشة أخرجاه في الصحيحين وأجيب عنه بأن قوله اجعل هذا البلد آمنا يعني إلى قرب القيام فخراب الدنيا وقيل هو عام مخصوص بقصة ذو السويقتين فلا تعارض بين النصين . الوجه الثاني أن يكون المراد اجعل أهل هذا البلد آمنين وهذا الوجه عليه أكثر العلماء من المفسرين وغيرهم وعلى هذا فقد اختص أهل مكة بزيادة الأمن في بلدهم كما أخبر الله سبحانه وتعالى بقوله ويتخطف الناس من حولهم وأهل مكة آمنون من ذلك حتى إن من التجأ إلى مكة آمن على نفسه وماله من ذلك وحتى إن الوحوش إذا كانت خارجة من الحرم استوحشت فإذا دخلت الحرم آمنت واستأنست لعلمها إنه لا يبيجها أحد في الحرم وهذا القدر من الأمن حاصل بحمد الله بمكة وحرمتها وأما الجواب عن الوجه الثاني فن وجوه أيضا . الوجه الأول أن دعاء إبراهيم عليه السلام لنفسه

الكلام على التبويض وقيل هو على التكثير نحو قولك فلان يعلم كل شيء وأناه كل الناس وأنت تريد بعضهم نظيره قوله تعالى فتحناع عليهم أبواب كل شيء وقرأ الحسن من كل بالتونين ما على اتنى يعني من كل ما لم تسألوه يعني أعطاكم أشياء ما طلبتموها ولا سألتموها (وإن تعدوا نعمة الله) أي نعم الله (لا تحصوها) أي لا تطيقوا عدها ولا القيام بشكرها (إن الإنسان لظالم لظلم كفار) أي ظالم لنفسه بالمعصية كافر ربه في نعمته وقيل الظلم الذي يشكر غير من أنعم عليه والكافر من يجحد نعمته قوله تعالى (وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمن ومن يؤمن بالله واليوم الآخر يأتى بأحسن قيامه ويؤتي من أمواله ما يحبه الله والناس يحبون الله وآبوه فلا يذم ولا يذم الله شيئا والله عليم خبير) يعني آمن من يؤمن بالله واليوم الآخر يأتى بأحسن قيامه ويؤتي من أمواله ما يحبه الله والناس يحبون الله وآبوه فلا يذم ولا يذم الله شيئا والله عليم خبير

لزيادة

من بنيه الأصنام فإين الإجابة قبل الدعاء في حق إبراهيم

لزيادة العصمة والتثبيت وأما دعاؤه لبنيه فأراد بنيه مع صلته ولم يعبد منهم أحد الصنم وقيل إن دعاءه لمن كان

مؤمننا من بليته (رب إنهم أضلن كثيرا من الناس) يعني ضل بهن كثيرا من الناس عن طريق الهدى حتى عبدوهن وهذا من المقلوب نظيره قوله تعالى إنما ذلكم الشيطان يخوف أولياءه أي يخوفهم بأوليائه وقيل نسب الأضلال إلى الأصنام لأنهم سبب فيه كما يقول القائل فتنتني الدنيا نسب الفتنة إلى الدنيا لأنها سبب الفتنة (فمن تبعني فانه مني) أي من أهل ديني وملتي (ومن عصاني فانك غفور رحيم) قال السدي معناه ومن عصاني ثم تاب وقال مقاتل بن حيان ومن عصاني فيما دون الشرك وقيل قال ذلك قبل أن يعلمه الله أنه لا يفتقر الشرك قوله تعالى (ربنا إنى أسكنت من ذريتي) أدخل من للتبويض ومجاز الآبة أسكنت من ذريتي ولدا (بواد غير ذي زرع) وهو مكة لأن (٤٧) مكة واد بين جبليين (عند بيتك المحرم) معناه محرما لأنه

ازيادة العصمة والتثبيت فهو كقوله واجعلنا مسلمين لك . الوجه الثاني أن إبراهيم عليه السلام وإن كان يعلم أن الله سبحانه وتعالى يعصمه من عبادة الأصنام إلا أنه دعا بهذا الدعاء هضما للنفس وإظهارا للعجز والحاجة والفاقة إلى فضل الله تعالى ورحمته وأن أحدا لا يقدر على نفع نفسه بشئ لم ينفعه الله به فاللهما السبب دعا لنفسه بهذا الدعاء وأما دعاؤه لبنيه وهو الوجه الثالث من الإشكالات فالجواب عنه من وجوه الأول أن إبراهيم دعا لبنيه من صلبه ولم يعبد أحد منهم صنما قط الوجه الثاني أنه أراد أولاده وأولاد أولاده الموجودين حالة الدعاء ولاشك أن إبراهيم عليه السلام قد أجيب فيهم الوجه الثالث قال الواحدى دعا لمن أذن الله أن يدعو له فكأنه قال وبني الذين أذنت لي في الدعاء لهم لأن دعاء الأنبياء مستجاب وقد كان من بنيه من عبد الصم فعلى هذا الوجه يكون هذا الدعاء من العام مخصوص . الوجه الرابع أن هذا مختص بالمؤمنين من أولاده والدليل عليه أنه قال في آخر الآية فمن تبعني فانه مني وذلك يفيد أن من لم يتبعه على دينه فليس منه والله أعلم بمراده وأسرار كتابه . وقوله تعالى (رب إنهم) وبني الأصنام (أضلن كثيرا من الناس) وهذا مجاز لأن الأصنام جمادات وحجارة لا تعقل شيئا حتى تضل من عبدها إلا أنه لما حصل الإضلال بعبادتها أضيف إليها كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم وإنما فتنوا بها واعتبروا بسببها (فمن تبعني فانه مني) يعني فمن تبعني على ديني واعتقادي فانه مني يعني المتدينين بدينى المتمسكين بحبلى كما قال الشاعر :

إذا حاولت في أسد فتجورا فاني لست منك ولست مني

أراد ولست من المتمسكين بحبلى وقيل معناه أنه منى حكمه حكى جار مجراى في القرب والاختصاص (ومن عصاني) يعني في غير الدين (فانك غفور رحيم) قال السدي ومن عصاني ثم تاب فانك غفور رحيم وقال مقاتل ومن عصاني فيما دون الشرك فانك غفور رحيم وشرح أبو بكر بن الأثيرى هذا فقال ومن عصاني فخالفني في بعض الشرائع وعقائد التوحيد فانك غفور رحيم إن شئت أن تغفر له غفرت إذا كان مسلما وذكر وجهين آخرين أحدهما أن هذا كان قبل أن يعلمه الله أنه لا يفتقر الشرك كما استغفر لأبويه وهو يقول أن ذلك غير محظور ، فلما عرفت أنهما غير مغفور لهما تبرأتهما والوجه الآخر ومن عصاني بأقامته على الكفر فانك غفور رحيم يعني أنك قادر على أن تغفر له وترحمه بأن تنقله من الكفر إلى الإيمان والإسلام وتهديه إلى الصواب . قوله عز وجل إخبارا عن إبراهيم (ربنا إنى أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم) (خ) عن ابن عباس قال أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطلقا فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفل إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها فقالت له الله أمرك بهذا قال نعم قالت إذن لا يضييعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يروونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا هؤلاء الدعوات فرفع يديه فقال ربنا إنى أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلهف أو قال يتلوى وانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليها

بحرم عنده مالا يحرم عند غيره أخيرا عبد الواحد بن أحمد المابحى أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد الله بن محمد ثنا عبد الرزاق أنانا معمر عن أيوب السخستيانى وكثير بن أن كثير بن المطلب بن أبي وداعة يزيد أحدهما على الآخر عن سعيد بن جبير قال قال ابن عباس أول ما اتخذ النساء المنطق من قبل أم إسماعيل اتخذت منطلقا لتعنى أثرها على سارة ثم جاءها إبراهيم عليه السلام وبابنها إسماعيل وهى ترضعه حتى وضعهما عند البيت عند دوحه فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بهامام

فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفل إبراهيم منطلقا فتبعته أم إسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا بهذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شئ فقالت له ذلك مرارا وجعل لا يلتفت إليها فقالت له الله أمرك بهذا قال نعم قالت إذن لا يضييعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الثنية حيث لا يروونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا هؤلاء الدعوات فرفع يديه فقال ربنا إنى أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى بلغ يشكرون وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلهف أو قال يتلوى وانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليها

ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا فلم ترى أحدا فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت بطون الوادي رفعت طرفك ودعها
ثم سمعت سعي الانسان المجهود حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا فلم ترى أحدا ففعلت
ذلك سبع مرات قال ابن عباس قال للنبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت
صوتا فقالت صه تريد نفسها (٤٨) ثم تسعت فسمعت أيضا فقالت قد سمعت إن كان عندك غوث فإذا هي

بالملك عند موضع زمزم
فبحث بعقبه أو قال
بجناحه حتى ظهر الماء
فجعلت تخوضه وتقول
بيدها هكذا وجعلت
تترقب من الماء في سقائها
وهو يفور بعد ما تعرف
قال ابن عباس قال النبي
صلى الله عليه وسلم إن رحمت
الله أم إسماعيل لو تركت
زمزم أو قال لو تعرفت
من الماء في سقائها لكانت
زمزم عينا معينا قال
فشربت وأرضعت ولدها
فقال لها الملك لا تخفوا
الضبعة وإن هناك بيت
الله يبيته هذا الغلام وأبوه
وإن الله لا يضيع أهله
وكان موضع البيت مرتفعا
من الأرض كالرابية
تأتيه السيول فأخذ عن
بيته وشماله فكانت
كذلك حتى مرت بم
رفقة من جرهم أو أهل
بيت من جرهم مقبلين
من طريق كداء فنزلوا
في أسفل مكة فرأوا طائرا
عائقا فقالوا إن هذا

لتعنى أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبانها إسماعيل وهي ترضعه حتى وضعهما عند البيت
عند دوحة فوق زمزم في أعلى المسجد وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هناك
ووضع عندهما جرابا فيه تمر وسقاء فيه ماء ثم قفل إبراهيم منتقلقا فبعثته أم إسماعيل ف
بإبراهيم إلى أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت له ذلك مرارا
وجعل لا يلتفت إليها فقالت الله أمرك بهذا قال نعم قالت إذن لا يضيعنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم
فدعا بهذه الدعوات فرفع يديه فقال رب إنى أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع حتى يلغ
يشكرون وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرّب من ذلك الماء حتى إذا نفذ ما في السقاء
عطشت وعطش ابنها وجعلت تنظر إليه يتلوى أو قال يتلبط فانطلقت كراهية أن تنظر إليه
فوجدت الصفاء أقرب جبل في الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا
فلم ترى أحدا فهبطت منه حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرفا فدعها ثم سمعت سعي الانسان المجهود
حتى جاوزت الوادي ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحدا فلم ترى أحدا ففعلت ذلك
سبع مرات قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فلذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت
على المروة سمعت صوتا فقالت صه تريد نفسها ثم تسعت فسمعت صوتا أيضا فقالت قد سمعت
أن كان عندك غوث فإذا هي بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجناحه حتى ظهر الماء
فجعلت تخوضه وتقول بيدها هكذا وجعلت تعرف من الماء في سقائها وهو يفور بعد ما تعرف وفي
رواية قدر ما تعرف قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم إن رحمت الله أم إسماعيل لو تركت
زمزم أو قال لو لم تعرف من الماء لكانت زمزم عينا معينا قال فشربت وأرضعت ولدها فقال
له الملك لا تخافي الضبعة فإن ها هنا بيتا لله تعالى يبيته هذا الغلام وأبوه وأن الله لا يضيع أهله وكان
البيت مرتفعا من الأرض كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن بيته وعن شماله فكانت كذلك حتى
مرت بمرفقة من جرهم أو أهل بيت من جرهم مقبلين من طريق كداء فنزلوا في أسفل مكة
فأروا طائرا عائقا فقالوا إن هذا الطائر ليدور على ماء لهدانا بهذا الوادي وما فيه ماء فأرسلوا
جربا أو جريين فإذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا
أن نزل عندك قالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله
عليه وسلم فأتى ذلك أم إسماعيل وهي تحب الأنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم حتى
إذا كانوا بها أهل آيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم وأنسهم وأعجبهم حين شب فلما
أدرك زوجه بامرأة منهم وماتت أم إسماعيل فجاء إبراهيم بعد ما تزوج إسماعيل يطاع تركته
أخرجه البخاري بأطول من هذا وقد تقدم الحديث بطوله في تفسير سورة البقرة وأما تفسير الآية
فقوله ربنا إنى أسكنت من ذريتي من للتبعيض أي بعض ذريتي وهو إسماعيل عليه السلام بواد غير ذي

الطائر ليدور على ماء ولهدانا بهذا الوادي وما فيه

زمزم
ماء فأرسلوا جريا أو جريين إذا هم بالماء فرجعوا فأخبروهم بالماء فأقبلوا وأم إسماعيل عند الماء فقالوا أتأذنين لنا أن نزل
عندك فقالت نعم ولكن لاحق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فأتى ذلك أم إسماعيل
وهي تحب الأنس فنزلوا وأرسلوا إلى أهلهم فنزلوا معهم حتى إذا كان أهل آيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم

ذى زرع يعنى ليس فيه زرع لأنه واد بين جبلين جبل أبي قبيس وجبل أجياد وهو وادى مكة عند بيتك المحرم سماه محرما لأنه يحترم عنده مالا يحترم عند غيره وقيل لأن الله حرمه على الجبابرة فلم ينالوه بسوء وحرم التعرض له والتهاون به وبجهرته وجعل ماحوله محرما لمكانه وشرفه وقيل لأنه حرم على الطوفان بمعنى امتنع منه وقيل سمي محرما لأن الزائرين له يحرمون على أنفسهم أشياء كانت مباحة لهم من قبل وسمى عتيقا أيضا لأنه أعتق من الجبابرة أو من الطوفان . فان قلت كيف قال عند بيتك المحرم ولم يكن هناك بيت حينئذ وإنما بناه إبراهيم بعد ذلك . قلت يحتمل أن الله عز وجل أوحى إليه وأعلمه أن له هناك بيتا قد كان في سالف الزمان وأنه سيعمر فلذلك قال عند بيتك المحرم وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذى كان ثم رفع عند الطوفان وقيل يحتمل أن يكون المعنى عند بيتك الذى جرى في سابق عدك أنه سيحدث في هذا المسكان (ربنا ليقموا الصلاة) اللام في ليقموا متعلقة بأسكنت يعنى أسكنت قوما من ذريتي وهم إسماعيل وأولاده بهذا الوادى الذى لازرع فيه ليقموا أى لأجل أن يقموا أولكى بقبوا الصلاة (فاجعل أفئدة من الناس) قال البغوى جمع الموفد (تهوى إليهم) تحن وتشتاق إليهم قال السدى رحمه الله أمل قلوبهم إلى هذا الموضع وقال ابن الجوزى أفئدة من الناس أى قلوب جماعة من الناس فلهمذا جعله جمع فؤاد قال ابن الأثيرى وإنما عبر عن القلوب بالأفئدة لقرب القلب من الفؤاد فجعل القلب والفؤاد جارحتين وقال الجوهري الأؤاد القلب والجمع أفئدة فجعلها جارحة واحدة ولفظة من في قوله من الناس للتبويض قال مجاهد لو قال أفئدة الناس لزاحمتكم فارس والروم والترك والهند وقال سعيد بن جبير لحجت اليهود والنصارى والمجوس ولكنه قال أفئدة من الناس فهم المسلمون تهوى إليهم قال الأصمعي يقال هوى هويبا إذا سقط من علو إلى أسفل وقال الفراء تهوى إليهم يريدهم كما تقول رأيت فلانا هوي هويبا معنى يربك وقال أيضا تهوى تمرع إليهم وقال ابن الأثيرى معناه تنحط إليهم وتنحدر وتنزل هذا قول أهل اللغة في هذا الحرف وأما أقوال المتسرين فقال ابن عباس يريد تحن إليهم لزيارة بيتك وقال قتادة تسرع إليهم وفي هذا بيان أن تحن الناس إليهم إنما هو لطلب حج البيت لا لأعيانهم وفيه دعاء للمؤمنين بأن يرزقهم حج البيت ودعاء لسكان مكة من ذريته بأنهم ينتفعون بمن يأتي إليهم من الناس لزيارة البيت فقد جمع إبراهيم عليه السلام في هذا الدعاء من أمر الدين والدنيا ما ظهر بيازه وعمت بركانه (وارزقهم من الثمرات) يعنى كما رزقت سكان القرى ذوات الماء والزرع فيكون المراد عمارة قرى بقرب مكة لتحصّل تلك الثمار وقيل يحتمل أن يكون المراد جلب الثمرات إلى مكة بطريق النقل والتجارة فهو كقوله تعالى يحيى إليه ثمرات كل شئ . وقوله تعالى (اعلمهم يشكرون) يعنى لعلمهم يشكرون هذه النعم التى أنعمت بها عليهم وقيل معناه لعلمهم بوحودك ويعظمونك وفيه دليل على أن تحصيل منافع الدنيا إنما هو ليستعان بها على أداء العبادات وإقامة الطاعات (ربنا إنك تعلم ما نحنى وما نعلن) يعنى إنك تعلم السر كما تعلم العلن عما لا نتفاوت فيه . والمعنى أنك تعلم أسواتنا وما يصلحنا وما يفسدنا وأنت أرحم بنا منا فلا حاجة بنا إلى الدعاء والطلب إنما ندعوك إظهارا للعبودية لك ونخشعنا لعظمتك وتذللا لعزتك وافئذارا إلى ما عندك، وقيل معناه لم مانحنى من الوجد بفرقة إسماعيل وأمه حيث أسكنتهما بواد غير ذى زرع وما نعلن

وكان أنفسهم وأعجبهم
حين سب فلما أدرك
زوجوه امرأتهم وماتت
أم إسماعيل فجاء إبراهيم
بعد ما تزوج إسماعيل
بطلع تركته ذكرنا تلك
القصة في سورة البقرة .
قوله تعالى (ربنا ليقموا
الصلاة فاجعل أفئدة
من الناس) الأفئدة جمع
الفؤاد (تهوى إليهم)
تشتاق وتحن إليهم قال
السدى معناه أمل قلوبهم
إلى هذا الموضع قال مجاهد
لو قال أفئدة الناس
لزاحمتكم فارس والروم
والترك والهند وقال
سعيد بن جبير لحجت
اليهود والنصارى والمجوس
ولكنه قال أفئدة من
الناس وهم المسلمون
(وارزقهم من الثمرات)
ما رزقت سكان القرى
ذوات الماء (لعلمهم
يشكرون ربنا إنك
تعلم ما نحنى وما نعلن)
من أمورنا ، وقال ابن
عباس ومقاتل من
الوجد بإسماعيل وأمه
حيث أسكنتهما بواد
غير ذى زرع

(وما ينحني على الله من شيء في الأرض - (٥٠) ولا في السماء) قيل هنا كله قول إبراهيم متصل بما قبله وقال الأكرمون

يعني من البكاء وقيل ما ينحني يعني من الحزن المتمكن في القلب وما نعلن يعني ما جرى بينه وبين
هاجر عند الوداع حين قالت لإبراهيم عليه السلام إلى من تكلمنا قال إلى الله قالت إذا لا يضيعنا
(وما ينحني على الله من شيء في الأرض ولا في السماء) فقيل هنا من تنمة قول إبراهيم يعني وما
ينحني على الله الذي هو عالم الغيب من شيء في كل مكان وقال الأكرمون إنه من قول الله تعالى
تصديقاً لإبراهيم فيما قال فهو كقولوه وكذلك يفعلون (الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل
وإسحاق) قال ابن عباس ولد إسماعيل لإبراهيم وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له إسحاق وهو
ابن مائة واثنى عشرة سنة وقال سعيد بن جبير بشر إبراهيم بإسحاق وهو ابن مائة وسبع عشرة
سنة ، ومعنى قوله على الكبر مع الكبر لأن هبة الولد في هذا السن من أعظم المن لأن من
اليأس من الولد فلها شكر الله على هذه المنة فقال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل
وإسحاق . فن قلت كيف جدد بين إسماعيل وإسحاق في الدعاء في وقت واحد وإنما بشر بإسحاق
بعد إسماعيل زمان طويل . قلت يحتمل أن إبراهيم عليه السلام إنما أتى بهذا الدعاء عند ما بشر
بإسحاق وذلك أنه لما عظمت المنة على قلبه هبة ولد بن عظيمين عند كبره قال عند ذلك الحمد لله
الذي وهب لي على الكبر إسماعيل وإسحاق ولا يرد على هذا ما ورد في الحديث أنه دعا بما تقدم
عند مفارقة إسماعيل وأمه لأن الذي صح في الحديث أنه دعا بقوله ربنا إني أسكنت من ذريتي إلى
قوله اللهم يشكرون إذا ثبت هذا فيكون قوله الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل
وإسحاق في وقت آخر والله أعلم بحقيقة الحال (إن ربى لسميع الدعاء) كان إبراهيم عليه السلام
قد دعا ربه وسأله الولد بتولده ورب هب لي من الصالحين فلما استجاب الله دعاءه ووجهه ماسأل
شكر الله على ما أكرمه به من إجابة دعائه فمند ذلك قال الحمد لله الذي وهب لي على الكبر
إسماعيل وإسحاق إن ربى لسميع الدعاء وهو من قولك سمع الملك كلام فلان إذا اعتد به وقبأ
(رب اجعلني مقيم الصلاة) يعني ممن يقيم الصلاة بأركانها ويحافظ عليها في أوقاتها (ومن ذريتي)
أى واجعل من ذريتي من يقيم الصلاة وإنما أدخل لفظة من التي هي للتبعض في قوله ومن
ذريتي لأنه علم بإعلام الله إياه أنه قد يوجد من ذريته جمع من الكفار لا يقيمون الصلاة
فلهذا قال ومن ذريتي وأراد بهم المؤمنين من ذريته (ربنا وتقبل دعاء) سأل إبراهيم عليه
السلام ربه أن يتقبل دعاءه فاستجاب الله لإبراهيم وقبأ دعاءه بفضله ومنه وكرمه (ربنا
اغفر لي) فإن قلت طلب المغفرة من الله إنما يكون لسابق ذنب قد سلف حتى يطلب المغفرة
من ذلك الذنب وقد ثبت عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام من الذنوب فما وجه طلب
المغفرة له . قلت المقصود منه الالتجاء إلى الله سبحانه وتعالى وقطع الطمع من كل شيء إلا
من فضله وكرمه والاعتراف بالعبودية لله تعالى والانسكال على رحمته (ولو الذي) . فإن قلت
كيف استغفر إبراهيم لأبويه وكانا كافرين . قلت أراد أنهما إن أسلما وتابا وقبأ وإنما قال
ذلك قبل أن يتبين له أنهما من أصحاب الجحيم وقيل إن أمه أسلمت فدعا لها وقبأ أراد بوالديه
آدم وحواء (وللمؤمنين) يعني واغفر للمؤمنين كلهم (يوم يقوم الحساب) يعني يوم يبدو ويظهر
الحساب وقيل أراد يوم الناس للحساب فأكتفى بذلك أى بذكر الحساب لكونه مفهوما عند
السامع وهذا دعاء للمؤمنين بالمغفرة والله سبحانه وتعالى لا يرد دعاء خليله إبراهيم عليه

بقول الله عز وجل وما
ينحني على الله من شيء
في الأرض ولا في السماء
(الحمد لله الذي
وهب لي على الكبر)
أعطاني على كبر
السن (إسماعيل وإسحق
إن ربى لسميع
الدعاء) قال ابن عباس
ولد إسماعيل لإبراهيم
وهو ابن تسع وتسعين
سنة وولد إسحق وهو
ابن مائة واثنى عشرة سنة
وقال سعيد بن جبير
بشر إبراهيم بإسحاق وهو
ابن مائة وسبع عشرة سنة
(رب اجعلني مقيم الصلاة)
يعني ممن يقيم الصلاة
بأركانها ويحافظ عليها
(ومن ذريتي) يعني اجعل
من ذريتي من يقيمون
الصلاة (ربنا وتقبل
دعاء) أى عملي وعبادتي
سمى العبادة دعاء وجاء
في الحديث الدعاء مخ
العبادة ، وقيل معناه
استجب دعائي (ربنا
اغفر لي ولو الذي) . فإن
قيل كيف استغفر لوالديه
وهما غير مؤمنين قيل قد
قيل إن أمه أسلمت
وقيل أراد أسلما وتابا
وقيل قال ذلك قبل أن
يتبين له أمر أبيه وقد

بين الله عنده خليله في استغفاره لأبيه في سورة

التوبة (وللمؤمنين) أى اغفر للمؤمنين كلهم (يوم يقوم الحساب) أى يبدو ويظهر ، وقيل أراد يوم الحساب يوم

السلام

يقوم الناس للحساب فاكتفى بذكر الحساب لكونه مفهوما . قوله تعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الغفلة
معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقيقة الأمور والآية لتسليبة المظلوم (٥١) وتهديد الظالم (إنما يؤخرهم ليوم

تشخص فيه الأبصار)

أى لا تغمض من هول

ما ترى في ذلك اليوم وقيل

ترتفع وتزول عن أماكنها

(مهطعين) قال قتادة

مسرعين قال سعيد بن

جبير الإطباع التسلان

كعدو الذئب وقال مجاهد

مدبجى النظر ، ومعنى

الإطباع أنهم لا يلتفتون

بمنا ولا شأنا ولا يعرفون

مواطن أقدامهم (مقمى

رءوسهم) أى رافعي

رءوسهم قال القتيبي

المقع الذى يرفع رأسه

ويقبل بصره على ما بين

يديه وقال الحسن وجوه

الناس يومئذ إلى السماء

لا ينظر أحد إلى أحد

(لا يرتد إليهم طرفهم)

لا ترجع إليهم أبصارهم

من شدة الظن وهي شاخصة

قد شغلهم ما بين أيديهم

(وأفتنتهم هواء)

أى خالية ، قال قتادة

خرجت قلوبهم على

صدورهم فصارت في

حناجرهم لا تخرج من

أفواههم ولا تعود إلى

مكانها فأفتنتهم هواء

لا شئ فيها ومنه منى

ما بين السماء والأرض

السلام فبنيه بشارة عظيمة لجميع المؤمنين بالمغفرة . قوله سبحانه وتعالى (ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) الغفلة
معنى يمنع الإنسان من الوقوف على حقائق الأمور وقيل حقيقة
الغفلة سهو يعترى الإنسان من قلة التحنظ والتيقظ وهذا في حق الله تعالى فلا بد من تأويل
الآية فالمقصود منها أنه سبحانه وتعالى ينتقم من الظالم للمظلوم فتيه وعيد وتهديد للظالم وإعلام
له بأن لا يعامله معاملة العاقل عنه بل يذمهم ولا يتركه مغفلا قال سفيان بن عيينة فيه تسلية
للظالم وتهديد للظالم . فان قلت تعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى
الله عليه وسلم غافلا وهو أعلم الناس به أنه لم يكن غافلا حتى قيل له (ولا تحسبن الله غافلا عما
يعمل الظالمون . قلت إذا كان المخاطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان : أحدهما
التثيت على ما كان عليه من أنه لا يحسب الله غافلا فهو كقوله ولا تكفركن من المشركين - ولا تدع
مع الله إذا آخركه وكقوله سبحانه وتعالى يا أيها الذين آمنوا آمنوا أى ائتموا على ما أنتم عليه من
الإيمان . الوجه الثاني أن المراد بالنهي عن حسابه غافلا الإعلام بأنه سبحانه وتعالى عالم بما
يفعل الظالمون ولا يخفى عليه شئ وأنه ينتقم منهم فهو على سبيل الوعيد والتهديد لهم والمعنى
ولا تحسبنه معاملهم معاملة الغافل عنهم ولكن بعاملهم معاملة الرقيب الحفيظ عليهم المحاسب
لهم على الصغير والكبير وإن كان المخاطب غير النبي صلى الله عليه وسلم فلا إشكال فيه ولا
سؤال لأن أكثر الناس غير عارفين بصفات الله فمن جوز أن يحسبه غافلا فلجعله بصفاته
(إنما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الأبصار) يقال شخص بصر الرجل إذا بقيت عيناه مفتوحتين
لا يطرهما ، وشخص البصر يدل على الحيرة والدهشة من هول ما ترى في ذلك اليوم (مهطعين)
قال قتادة مسرعين وهذا قول أبي عبيدة فعلى هذا المعنى أن الب من حال من بقي بصره شاخصا
من شدة الخوف أن يبقى واقفا باهتا فيبين الله سبحانه وتعالى في هذه الآية أن أحوال أهل
الموت يوم القيامة بخلاف الحال المعتادة فأخبر سبحانه وتعالى أنهم مع شخص الأبصار يكونون
مهطعين يعنى مسرعين نحو الدعي وقيل المهطع الخاضع للذليل الساكت (مقمى رءوسهم)
الانتاع رفع الرأس إلى فوق فأهل الموت من صفتهم أنهم رافعو رءوسهم إلى السماء وهذا
بخلاف المعتاد لأن من يتوقع البلاء فإنه يترك بصره إلى الأرض قال الحسن وجوه الناس
يوم القيامة إلى السماء لا ينظر أحد إلى أحد وهو قوله تعالى (لا يرتد إليهم طرفهم) أى لا ترجع
إليهم أبصارهم من شدة الخوف فهي شاخصة لا يرتد إليهم قد شغلهم ما بين أيديهم (وأفتنتهم
هواء) أى خالية قال قتادة خرجت قلوبهم من صدورهم فصارت في حناجرهم فلا تخرج من
أفواههم ولا تعود إلى أماكنها ومعنى الآية أن أفتنتهم خالية فارغة لانعى شبتا ولا تعقل من
شدة الخوف وقال سعيد بن جبير وأفتنتهم هواء مترددة تهوى في أجوافهم ليس
لها مكان تستقر فيه ، ومعنى الآية أن القلوب يومئذ زائلة عن أماكنها والأبصار
شاخصة والرؤوس مرفوعة إلى السماء من هول ذلك اليوم وشدة (وأندر الناس) يعنى
وخوف الناس يا محمد بيوم القيامة وهو قوله سبحانه وتعالى (يوم يأتيهم العذاب

هواء خلوه وقيل خالية لانعى شبتا ولا تعقل من الخوف وقال الأخنوخ جوف ولا عقول لها والعرب تسمى كل أجوف
خلو هواء وقال سعيد بن جبير وأفتنتهم هواء أى مترددة تمور في أفواههم ليس لها مكان تستقر فيه وحقيقة المعنى أن القلوب
زائلة عن أماكنها والأبصار شاخصة من هول ذلك اليوم (وأندر الناس) خرقهم (يوم) أى بيوم (يأتيهم العذاب) هو

يوم القيامة (فيقول الذين ظلموا) أشركوا (ربنا آخره) أمهلنا (إلى أجل قريب) هذا سؤالهم الرد إلى الدنيا أي ارجعنا إليها (نحب دعوتك وتبغ الرسل) فيجابون (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل) حلفتم في دار الدنيا (ما لكم من زوال) عنها أي لا تبعثون وهو قوله تعالى « وأنتم تعلمون بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت » (وسكنتم) في الدنيا (في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) بالكفر والعصيان يعني قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) أي عرفتم عقوبتنا إليهم (وضررنا لكم الأمثال) أي بينا أن مثلكم مثلهم (وقد مكروا مكروهم وعند الله مكروهم) أي جزاء مكروهم (وإن كان مكروهم) قرأ على ابن مسعود وإن كان مكروهم بالبدال وقرأ العامة بالون (لتزول منه الجبال) قرأ العامة لتزول بكسر اللام الأولى ونصب الثانية معناه وما كان مكروهم لتزول قال الحسن إن كان مكروهم لأضعف من أن تزول منه الجبال وقيل معناه إن مكروهم لا يزول أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت (٥٢) كذوت الجبال وقرأ ابن جريج والكسائي لتزول بفتح اللام الأولى ورفع

الثانية معناه أن مكروهم وإن عظم حتى بلغ عملا يزول الجبال لم يقدروا على إزالة أمر محمد وقال قتادة معناه وإن كان مكروهم شركهم لتزول منه الجبال وهو قوله تعالى « ونخر الجبال هدا أن دعوا لرحمن ولدا » ويحكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في معنى الآية أنها نزلت في عمرو الجبار الذي حجاج إبراهيم في ربه وذلك أنه قال إن كان ما يقول إبراهيم حقا فلا أنتهي حتى أصعد السماء فأعلم ما فيها فعمد إلى أربعة أفراخ من النور فرباها حتى

فيقول الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالشرك والمعاصي (ربنا أخرنا إلى أجل قريب) يعني أمهلنا مدة يسيرة قال بعضهم طلبوا الرجوع إلى الدنيا حتى يؤمنوا فيقتنعهم ذلك وهو قوله تعالى (نحب دعوتك وتبغ الرسل) فأجيبوا بقوله (أو لم تكونوا أقسمتم من قبل) يعني في دار الدنيا (ما لكم من زوال) يعني ما لكم عنها انتقال ولا بعث ولا نشور (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم) يعني بالكفر والمعاصي ممن كان قبلكم من كفار الأمم الخالية كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم (وتبين لكم كيف فعلنا بهم) يعني وقد عرفتم كيف كان عقوبتنا إليهم (وضررنا لكم الأمثال) يعني الأمثال التي ضربها الله عز وجل في القرآن ليتدبروها ويعتبروا بها فيجب على كل من شاهد أحوال الماضين من الأمم الخالية والقرون الماضية وعلم ماجرى لهم وكيف أهلكتها أن يعتبر بهم ويعمل في خلاص نفسه من العقاب والمهلك . قوله سبحانه وتعالى (وقد مكروا مكروهم) اختلفوا في الضمير إلى من يعود في قوله وقد مكروا فقيل يعود إلى الذين سكنوا في مساكن الذين ظلموا أنفسهم وهذا القول صحيح لأن الضمير يجب عوده إلى أقرب مذكور وقيل إن المراد بقوله وقد مكروا كفار قريش الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم ومكروهم ما ذكره الله تعالى بقوله تعالى « وإذا يمكركم بك الذين كذروا » الآية والمعنى وأنذر الناس يا محمد يوم يأتيهم العذاب يعني بسبب مكروهم بك . وقوله تعالى (وعند الله مكروهم) يعني جزاء مكروهم وقيل إن مكروهم مثبت عند الله ليجازيهم به يوم القيامة (وإن كان مكروهم لتزول منه الجبال) يعني وإن كان مكروهم لأضعف من أن تزول منه الجبال وقيل معناه إن مكروهم لا يزول أمر محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو ثابت كنبوت الجبال وقد حكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الآية قولا آخر وهو أنها نزلت في عمرو الجبار الذي حجاج إبراهيم في ربه فقال عمرو إن كان ما يقول إبراهيم حقا فلا أنتهي حتى أصعد إلى السماء فأعلم ما فيها فعمد إلى أربعة أفراخ من النور

فرباهن

شبهت واتخذ تابوتا وجعل له بابا من أعلى وبابا من

أدنى وقعد عمرو مع رجل في التابوت ونصب خشبات في أطراف التابوت وجعل على رءوسها اللحم وربط التابوت بأرجل النور وخلعها ففارق وصعدن طمعا في اللحم حتى مضى يوم وأبعدن في الهواء فقال عمرو لصاحبه افتح الباب الأعلى وانظر إلى السماء هل قربنا منها ففتح الباب ونظر فقال إن السماء كهيئتها ثم قال افتح الباب الأسفل وانظر إلى الأرض كيف تراها فنزل فقال أرى مثل اللجة والجبال مثل الدخان فطارت النور يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لصاحبه افتح الباب ففتح الأعلى فإذا السماء كهيئتها وفتح الأسفل فإذا الأرض سوداء مظلمة فودى أيها المظاغية أين تريد . قال حكيمه كان معه في التابوت غلام قد حمل معه القوس والشاب فرمى بسهم فعاد إليه السهم متلظحا بدم سمكة فقلت نفسها من بحر في الهواء وقيل طائر أصابه السهم فقال كفت شغل إله

السماء قال ثم أمر نمرود صاحبه أن يصوب الخشب وينكس اللحم ففعل فهبطت النور بالتابوت فسمعت الجبال خفيق
التابوت والنور ففزعت وظنت أنه قد حدث حدث من السماء وأن الساعة قد قامت فكادت نزول عن أمائها فذلك قوله تعالى
« وإن كان مكرهم لنزول منه الجبال » (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسوله) بالنصر لأوليائه وهلاك أعدائه وفيه تقديم
وتأخير تقديره ولا تحسبن الله مخلف رسوله وعده (إن الله عزيز ذو انتقام) (٥٣) قوله تعالى (يوم تبدل الأرض

غير الأرض والسموات)
فرباهن حتى كبرت وشبت واتخذ تابوتا من خشب وجعل له بابا من أعلى وبابا من أسفل
ثم جوع النور ونصب خشبات أربعة في أطراف التابوت وجعل على رءوس تلك الخشب
لحما أحمر وقعدوه في التابوت وأعد معه رجلا آخر وأمر بالنور فربطت في أطراف التابوت
من أسفل فجعلت النور كلما رأت اللحم رغبت فيه وطارت إليه فطارت النور يوما
أجمع حتى بعدت في اذواء فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الأعلى وانظر إلى السماء هل قربنا
منها ففتح ونظر فقال له إن السماء كهيئتها فقال له افتح الباب الأسفل فانظر إلى الأرض
كيف تراها ففعل فقال أرى الأرض مثل اللجة والجبال مثل الدخان قال فطارت النور
يوما آخر وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطير ان فقال نمرود لصاحبه افتح الباب الأعلى
ففعل فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الأسفل فاذا الأرض سوداء مظلمة فنودي أيها الطاغى
أين تريد قال عكرمة وكان معه في التابوت غلام قد حمل القوس والنشاب وأخذ معه النرس
ورمى بسهم فعاد إليه السهم ملطخا بدم سمكة فذقت بنفسها من بحر في الفواء وقبل إن طأرا
أصابه السهم فلما رجع إليه السهم ملطخا بالدم قال كفييت إله السماء ثم أمر نمرود صاحبه
أن يصوب الخشب إلى أسفل وينكس اللحم ففعل فهبطت النور بالتابوت فسمعت
الجبال خفيق التابوت والنور ففزعت وظنت أنه قد حدث حدث من السماء إن الساعة قد
قامت فكادت نزول عن أمائها فذلك قوله تعالى « وإن كان مكرهم لنزول منه الجبال » واستبعد
بعض العلماء هذه الحكاية وقال إن الخطر فيه عظيم ولا يكاد عاقل أن يقدم على مثل هذا
الأمر العظيم وليس فيه خير صحيح يعتمد عليه ولا مناسبة لهذه الحكاية بتأويل الآية البتة
(فلا تحسبن الله مخلف وعده رسوله) يعني فلا تحسبن الله يا محمد مخلف ما وعد به رسوله من النصر
وإعلاء الكلمة وإظهار الدين فانه ناصر رسوله وأوليائه ومهلك أعدائه وفيه تقديم وتأخير
تقديره ولا تحسبن الله مخلف رسوله وعده (إن الله عزيز) أي غالب (ذو انتقام) يعني من أعدائه
قوله عز وجل (يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات) ذكر المفسرون في معنى هذا
التبديل قولين أحدهما أنه تبدل صفة الأرض والسماء لآذانهما فأما تبديل الأرض فتغيير
صفتها وهيئتها مع بقاء ذاتها وهو أن تلك جبالا وتسوى وهادها وأوديتها وتذهب أشجارها
وجميع ما عليها من عمارة وغيرها لا يبقى على وجهها شيء إلا ذهب وتمدمد الأديم وأما
تبديل السماء فهو أن تنثر كواكبها وتطس شمسها وقرها ويكوران كونها تارة كالدهان
وتارة كالمهل وبهذا القول قول جماعة من العلماء ويدل على صحة هذا القول ما روى عن سهل
ابن سعد قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء
كقرصة التثي ليس بها علم لأحد أخرجاه في الصحيحين العفراء بالعين المهملة وهي البيضاء

غير الأرض والسموات)
أخبرنا إسماعيل بن
عبد القاهر أنا عبد الغافر
ابن محمد أنا محمد بن
عيسى الجلودى أنا إبراهيم
ابن محمد بن سفيان ثنا
مسلم بن الحجاج ثنا
أبو بكر بن أبي شيبة ثنا
خالد بن مخلد عن محمد
ابن جعفر بن أبي كثير
حدثني أبو حازم بن دينار
عن سهل بن سعد قال
قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم يحشر الناس
يوم القيامة على أرض
بيضاء عفراء كقرصة
التثي ليس فيها علم لأحد
وأخبرنا عبد الواحد بن
أحمد المنيحي أنا أحمد
ابن عبد الله التميمي أنا
محمد بن يوسف ثنا محمد
ابن إسماعيل ثنا يحيى بن
بكير ثنا الليث عن خالد
هو ابن يزيد عن سعيد
ابن أبي هلال عن زيد
ابن أسلم عن عطاء بن
يسار عن أبي سعيد

الخدري قال : قال النبي صلى الله عليه وسلم « تنكزن الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما
يتكفأ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة » وعن ابن مسعود في هذه الآية قال تبدل الأرض بأرض كفضة بيضاء نقية
لم يسفك فيها دم ولم تعمل فيها خطيئة وقال علي بن أبي طالب تبدل الأرض من فضة والسماء من ذهب وقال محمد بن كعب
وسعيد بن جبير تبدل الأرض خبزة بيضاء بأكل المؤمن من تحت قدميه وقيل معنى التبديل جعل السموات جنانا وجعل

الأرض نيرانا وقيل تبدل الأرض تغييرها من هيئة إلى هيئة وهي تسيب جبالها وطم أنهارها وتسوية أودينها وقلع أشجارها وجعلها قاعا صافصفا وتبدل (٥٤) السموات تغييرها عن حالها بتكوير شمسها وحسوف قرها وانتثار نجومها

إلى حمرة ولهذا شبهها بقمرية التي وهو الخبز الجيد البياض اللين المائل إلى حمرة كأن النار مبلت بياض وجهها إلى الحمرة وقوله ليس بها علم لأحد يعني ليس فيها علامة لأحد بتبدل هيئتها وزوان جبالها وجميع بنائها فلا يبقى فيها أثر يستدل به والقول الثاني هو تبدل ذوات الأرض والسماء وهذا قول جماعة من العلماء ثم اختلفوا في معنى هذا التبدل فقال ابن مسعود في معنى هذه الآية قال تبدل الأرض بأرض كالفضة بفضاء نقية لم يسفك بها دم ولم يعمل عليها خطيئة وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه الأرض من فضة والسماء من ذهب وقال أبو بن كعب في معنى التبدل بأن تصير الأرض نيرانا والسماء جنانا وقال أبو هريرة وسعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي تبدل الأرض خبزة بفضاء بأكل المؤمن من تحت قدميه عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفئ أحدكم خبزته في السفر نزلا لأهل الجنة أخرجاه في الصحيحين بزيادة فيه قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح هذا الحديث أما النزول فيضم النون والزاي ويجوز إسكان الزاي وهو ما يعد للضيف عند نزوله وأما الخبزة فيضم الخاء وقال أهل اللغة هي التلمة التي توضع في الملة يتكفئونها بالهزة بيده أي يميلها من يد إلى يد حتى تجتمع وتسوي لأنها ليست منبسطة كالرقاقة وقد حققنا الكلام في اليد في حق الله سبحانه وتعالى وتأويلها مع القطع باستحالة الجارحة عليه ليس كذلك شيء ومعنى الحديث أن الله سبحانه وتعالى يجعل الأرض كالظلمة أي الرغيف العظيم وتكون طعاما نزلا لأهل الجنة والله على كل شيء قدير . فإن قلت إذا فسرت التبدل بما ذكرت فكيف يمكن الجمع بينه وبين قوله تعالى يومئذ تحدث أخبارها وهو أن تحدث أخبارها وهو أن تحدث بكل ما عمل عليها قلت وجه الجمع بين الآيتين أن الأرض تبدل أولا صفتها مع بقاء ذاتها كما تقدم فيومئذ تحدث أخبارها ثم بعد ذلك تبدل تبدلا ثانيا وهو أن تبدل ذاتها بغيرها كما تقدم أيضا وبدل على صحة هذا التأويل ما روى عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال علي الصراط وروى عن ثوبان أن حبراً من أحرار اليهود سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض قال وهم في الظلمة دون الجسر . وقوله تعالى (وبرزوا) خرجوا من قبورهم (الله الواحد القهار) الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (وروي الخبرين يومئذ مقرنين) يعني مشدودين بعضهم إلى بعض يقال قرئت الشيء بالشيء إذا شدته معه في رباط واحد (في الأصفاذ) يعني في القيود والأغلال قال ابن عباس يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة وقال أبو زيد تفرن أيديهم وأرجلهم إلى رقابهم

دكونها مرة كالدهان ومرة كالمهل أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا علي بن مسهر عن داود وهو ابن أبي هند عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله عز وجل يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات فأين يكون الناس يومئذ يا رسول الله فقال علي الصراط وروى عن ثوبان أن حبراً من أحرار اليهود سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض قال وهم في الظلمة دون الجسر . وقوله تعالى (وبرزوا) خرجوا من قبورهم (الله الواحد القهار) الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد (وروي الخبرين يومئذ مقرنين) مشدودين

بعضهم ببعض (في الأصفاذ) في القيود والأغلال واحداً صفاً وكل من شدته شداً وثيقاً فقد صفاً . بالأصفاذ قال أبو عبيدة تقول العرب صفاذ الرجل فهو مصفاذ وصففته بالتشديد فهو مصفاذ وقيل يقرن كل كافر مع شيطانه في سلسلة بيانه قوله تعالى وحشروا الذين ظلموا وأزواجهم يعني قرناءهم من الشياطين وقيل معناه مقرنة أيديهم وأرجلهم إلى

رفاههم بالأصفاذ وبالقيود ومنه قيل للعجل قرن (سرايلهم) أي قصصهم واحدا سربال (من قطران) هو ماتنها به الإبل وقرأ
 عكرمة ويعقوب من قطران على كلمتين منوتين والنظر النحاس والأصفر المذاب والآن الذي انتهى حره قال الله تعالى بطوفون
 بينها وبين حميم آن (وتغشى وجوههم النار) أي تعلق (لجزى الله كل نفس) (٥٥) ما كسبت من خير أوشر (إن الله

بالأصفاذ وهي القيود وقال ابن قتيبة بقرن بعضهم إلى بعض (سرايلهم) يعني قصصهم واحدا
 سربال وقيل السربال كل ما لبس (من قطران) القطران دهن يتحلب من شجر الأهل والعرج
 والثوت كازفت تدخن به الإبل إذا جربت وهو الهناء يقال هنأت البعير أهؤه بالهناء وهو
 القطران قال الزجاج وإنما جعل اسم القطران سرايل لأنه يبالغ في اشتعال النار في الجلود ولو أراد
 الله المبالغة في إحراقهم بغير ذلك لقدر ولكنه حذرهم مما يعرفون وقرأ عكرمة ويعقوب من
 قطران على كلمتين منوتين فالنظر النحاس المذاب والآن الذي انتهى حره (وتغشى وجوههم
 النار) يعني تعلقها وتجلها (لجزى الله كل نفس ما كسبت) يعني من خير أوشر (إن الله سريع
 الحساب) يعني إذا حسب عبادته يوم القيامة (هذا بلاغ للناس) يعني هذا القرآن فيه تبليغ
 وموعظة للناس (ولينذروا) يعني وليخوفوا بالقرآن ومواعظه وزواجره (وليعلموا أنما هو إله
 واحد) يعني وليستدلوا بهذه الآيات على وحدانية الله تعالى (وليدكر أولوا الأبواب) يعني
 وليتعض بهذا القرآن وما فيه من المواعظ أولوا العقول والأفهام الصحيحة فانه موعظة لمن
 اتعض والله أعلم بمراده وأسرار كتابه :

(تفسير سورة الحجر)

مكية باجماعهم وهي تسع وتسعون آية وسبعمائة وأربع وخمسون كلمة وألفان وسبعمائة
 وستون حرفا .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله سبحانه وتعالى (الآن تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) تلك إشارة إلى ما تضمنته
 السورة من الآيات والمراد بالكتاب وبالقرآن المبين الكتاب الذي وعده الله محمدا صلى
 الله عليه وسلم وتكبير القرآن للتفخيم والتعظيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا
 وفي كونه قرآنا وأي قرآن كأنه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان وقيل أراد
 بالكتاب التوراة والإنجيل لأنه عطف القرآن على الكتاب والمعطوف غير المعطوف عليه وهذا
 القول ليس بالقوى لأنه لم يجر للتوراة والإنجيل ذكر حتى يشار إليهما وقيل المراد بالكتاب
 القرآن وإنما جاء بهما بوصفين وإن كان الموصوف واحدا لما في ذلك من الفائدة وهي التضمين
 والتعظيم والمبين الذي يبين الحلال من الحرام والحق من الباطل (ربما) قرى بالتحفيف والتشديد
 وهما لغتان ورب للتأنيل وكم للتكثير وإنما زيدت مامع رب ليبلغ الفعل تقول رب رجل
 جامعي وربما جامعي زيد وإن شئت جعلت ما بمنزلة شيء كأمك قلت رب شيء فتكون المعنى
 رب شيء (يود الذين كفروا) وقيل ما في ربما بمعنى حين أي رب حين يود يعني يتمنى الذين
 كفروا لأن التمني هو تشبه حصول ما يوده واختلف المفسرون في الوقت الذي يتمنى الذين كفروا
 (لو كانوا مسلمين) على قولين أحدهما أن ذلك يكون عند معاينة العذاب وقت الموت فحينئذ
 يعلم الكافر أنه كان على الضلال فيتمنى لو كان مسلما وذلك حين لا ينفعه ذلك التمني قال

سريع الحساب هذا) أي
 هذا القرآن (بلاغ) أي
 تبليغ وعظة (لناس
 وينذروا) وليخوفوا (به)
 وليعلموا إنما هو إله
 واحد) أي ليستدلوا بهذه
 الآيات على وحدانية الله
 (وليدكر أولوا
 الأبواب) أي ليتعض
 أولوا العقول .
 (سورة الحجر) مكية
 وهي تسعة وتسعون آية
 (بسم الله الرحمن الرحيم)
 (الآن) منناه أنا الله أرى
 (تلك آيات الكتاب)
 أي هذه آيات الكتاب
 (قرآن) أي وآيات قرآن
 (مبين) أي بين الحلال
 من الحرام والحق من
 الباطل فان قيل لما ذكر
 الكتاب ثم قال وقرآن
 مبين وكلاهما واحد قلنا
 في قيل كل واحد منهما
 يفيد فائدة أخرى فان
 الكتاب ما يكتب والقرآن
 ما يجمع بعضه إلى بعض
 وقيل المراد بالكتاب
 التوراة والإنجيل
 وبالقرآن هذا الكتاب

(ربما) قرأ أبو جعفر وزافع وحاصم بتحفيف الباء والباقون بتشديد الباء وهما لغتان ورب للتأنيل وكم للتكثير ورب تدخل
 على الاسم وربما على الفعل يقال رب رجل جامعي وربما جامعي رجل وأدخل ما هنا للفعل بعدها (يود) يتمنى (الذين كفروا لو
 كانوا مسلمين) واختلفوا في الحالة التي يتمنى الكافر فيها الإسلام قال الضحاك حالة المعاينة وقيل يوم القيامة والمشهور أنه

الضحك هو عند حالة المعايبة والقول الثاني إن هذا التقى يكون في الآخرة وذلك حين يعاينون أهوال يوم القيامة وشدائده وما يصيرون عليه من العذاب فحينئذ يتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين وقال الزجاج أن الكافر كلما رأى حالا من أهوال العذاب ورأى حالا من أهوال المسلم ود لو كان مسلما وقيل إذا رأى الكافر أن الله تعالى يرحم المسلمين ويشنع بعضهم في بعض حين يقول من كان من المسلمين فليدخل الجنة فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين والقول المشهور أن ذلك انتهى حين يخرج الله المؤمنين من النار عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا اجتمع أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن في النار من أهل الأنبياء ألسنهم مسلمين قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وأنتم معنا في النار قالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغفرها الله لهم بفضل رحمته فبأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذكره البغوي بغير سند وكذا ذكره ابن الجوزي وقال وإليه ذهب ابن عباس في رواية عنه عن أنس بن مالك وبجاهد وعطاء وأبو العالية وإبراهيم يعني النخعي . فإن قلت رب إنما وضعت للتليل وتمنى الذين كفروا لو كانوا مسلمين يكثر يوم القيامة فكيف قال ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين . قلت : قال صاحب الكشاف هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعناك مستند على فعلك وربماندم الإنسان على فعله ولا يشكون في تدممه ولا يقصدون تقليله وإنكهم أرادوا لو كان الندم مشكوكا فيه أو كان قليلا لحق عليك أن لا تفعل هذا الفعل لأن العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل منه كما يتحرزون من الكثير وقال غيره إن هذا القليل أبلغ في التهديد ومعناه يكفبك قليل الندم في كونه زاجرا لك عن هذا الفعل فكيف بكثيره وقيل أن شغلهم بالعذاب لا يفرعهم للندامة وإنما يحظر ذلك بيانهم . فإن قلت رب لا تدخل إلا على الماضي فكيف قال ربما يود وهو في المستقبل قلت لأن المترقب في أخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه كأنه قال ربما ود . قوله سبحانه وتعالى (ذرهم يأكلوا ويتمتعوا) يعني دح يا محمد هؤلاء الكفار يأكلوا في دنياهم ويتمتعوا بلذاتها (ويلههم الأمل) يعني ويشغلهم طول الأمل عن الإيمان والأخذ بطاعة الله تعالى (فسوف يعلمون) يعني إذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا فيه تهديد ووعيد لمن أخذ بحظه من الدنيا ولذاتها ولم يأخذ بحظه من طاعة الله عز وجل وقال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد آخر فتنى بينا العيش بين تهديدين وهذه الآية منسوخة بآية القتال وفي الآية دليل على أن إتيان التلذذ والتمتع في الدنيا يؤدي إلى طول الأمل وليس ذلك من أخلاق المؤمنين قال علي بن أبي طالب إنما أخشى عليكم اثنين طول الأمل وإتيان الهوى فإن طول الأمل يلبس الآخرة وإتيان الهوى يصد عن الحق (وما أهلكنا من قرية) يعني من أهل قرية وأراد إهلاك الاستئصال (إلا ولما كتاب معلوم) أي أجل مضروب ووقت معين لا يتقدم العذاب عليه ولا يتأخر عنه ولا يأتيهم إلا في الوقت الذي حاطم في اللوح المحفوظ (ماتسبق من أمة أجلها) من زائدة في قوله من أمة كقولك ما جاءني من أحد وقيل هي على أصلها لأنها تصيد التبويض إلى هذا الحكم فيكون ذلك في إفادة عموم النبي أكد ومعنى الآية

أهل النار في النار ومعهم من شاء الله من أهل القبلة قال الكفار لمن في النار من أهل القبلة ألسنهم مسلمين قالوا بلى قالوا فما أغنى عنكم إسلامكم وأنتم معنا في النار فقالوا كانت لنا ذنوب فأخذنا بها فيغفرها الله لهم بفضل رحمته فبأمر بكل من كان من أهل القبلة في النار فيخرجون منها فحينئذ يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين . قال قيل كيف قال ربما يود للتليل وهذا التقى يكثر من الكفار قلنا قد تذكر ربما للتكثير أو أراد أن شغلهم بالعذاب لا يفرعهم للندامة وإنما يحظر ذلك بيانهم أحيانا (ذرهم) يا محمد يعني الذين كفروا (يأكلوا) في الدنيا (ويتمتعوا) من لذاتها (ويلههم) يشغلهم (الأمل) عن الأخذ بحظهم من الإيمان والطاعة (فسوف يعلمون) إذا وردوا القيامة وذاقوا وبال ما صنعوا وهذا تهديد ووعيد وقال بعض أهل العلم ذرهم تهديد وفسوف يعلمون تهديد آخر فتنى بينا العيش بين

تهديدين والآية نسختها آية القتال (وما أهلكنا من قرية) أي من أهل قرية (إلا ولما كتاب معلوم) أي من صلة أي ماتسبق أمة أي أجلها من صلة أي ماتسبق أمة

مشركي مكة (يا أيها
الذي نزل عليه الذكر)
أي القرآن وأرادوا به
محمدنا صلى الله عليه وسلم
(إنك لجنون) وذكروا
تنزيل الذكر على سبيل
الاستهزاء (لوما) هلا
(تأتينا بالملائكة) شاهدين

لك بالصدق على ما تقول
إن الله أرسلك (إن كنت
من الصادقين) أنك نبي
(ما نزل الملائكة) قرأ
أهل الكوفة غير
أبي بكر بنو نين الملائكة
فصب وقرأ أبو بكر
بالتاء رصمها وفتح الزاي
الملائكة رفع وقرأ
الباقون بالتاء وفتحها
وفتح الزاي الملائكة
رفع (إلا بالحق) أي
بالعذاب ولو نزلت
يعني الملائكة لعجلوا
بالعذاب (وما كانوا
إذ منظرين) أي مؤخرين
وقد كان الكفار يظلمون
إزال الملائكة عيانا
فأجابهم الله تعالى هذا
ومعناه أنهم لو نزوا
عيانا لزال عن الكفار
الإمهال وعذبوا في الحال
(إنا نحن نزلنا الذكر)
يعني القرآن (وإنا له
لحافظون) أي نحفظ
القرآن من الشياطين أن
يزيدوا فيه أو ينقصوا

أن الرجل المضروب لهم وهو وقت الموت أو نزول العذاب لا يتقدم ولا يتأخر وهو قوله
سبحانه وتعالى (وما يستأخرون) وإنما أدخل الهاء في أجلها لإرادة الأمة وإخراجها من قوله
وما يستأخرون لإرادة الرجال . قوله عز وجل (وقالوا) يعني مشركي مكة (يا أيها الذي نزل
عليه الذكر) يعني القرآن وأرادوا به محمدنا صلى الله عليه وسلم (إنك لجنون) إنما نسبوه إلى
الجنون لأنه صلى الله عليه وسلم كان يظهر عند نزول الوحي عليه ما يشبه الغشي فظنوا أن ذلك
جنون فلهذا السبب نسبوه إلى الجنون وقيل إن الرجل إذا جمع كلاما مستغريا من غيره فرميا
نسبه إلى الجنون ولما كانوا يستبعدون كونه رسولا من عند الله وأتى بهذا القرآن العظيم أنكروه
ونسبوه إلى الجنون وإنما قالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر على طريق الاستهزاء وقيل معناه
يا أيها الذي نزل عليه الذكر في زعمه واعتقاده واعتماد أصحابه وأتباعه إنك لجنون في إدعائك
الرسالة (لوما) قال الزجاج والقراء لوما ولولا لفظان ومعناهما هلا يعني هلا (تأتينا بالملائكة)
يعني يشهدون لك بأنك رسول من عند الله حقا (إن كنت من الصادقين) يعني في قولك وإدعائك
الرسالة (ما نزل الملائكة إلا بالحق) يعني بالعذاب أو وقت الموت وهو قوله تعالى (وما كانوا
إذا منظرين) يعني لو نزلت الملائكة إليهم لم يمهلوا ولم يؤخروا ساعة واحدة وذلك أن كفار
مكة كانوا يظلمون من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يزالوا الملائكة عيانا فأجابهم الله عز
وجل بهذا والمعنى لو نزوا عيانا لزال عن الكفار الإمهال وعذبوا في الحال إن لم يؤمنوا
ويصدقوا (إنا نحن نزلنا الذكر) يعني القرآن أنزلناه عليك يا محمد وإنما قال سبحانه وتعالى
إنا نحن نزلنا الذكر جوابا لقولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر فأخبر الله عز وجل أنه هو الذي
نزل الذكر على محمد صلى الله عليه وسلم (وإنا له لحافظون) الضمير في له يرجع إلى الذكر
يعني وإنا للذكر الذي أنزلناه على محمد لحافظون يعني من الزيادة فيه والنقص منه والتغيير
والتبديل والتحريف . فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الأشياء كلها لا يقدر أحد من جميع
الخلق من الجن والإنس أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة وهذا مختص
بالقرآن العظيم بخلاف سائر الكتب المنزلة فإنه قد دخل على بعضها التحريف والتبديل والزيادة
والنقصان ولما تولى الله عز وجل حفظ هذا الكتاب بآي مصونا على الأبد محروسا من الزيادة
والنقصان وقال ابن السائب ومقاتل الكتابة في له راجعة إلى محمد صلى الله عليه وسلم يعني
وإنا محمد لحافظون ممن أراده بسوء فهو كقوله تعالى « والله يعصمك من الناس » ووجه هذا
القول أن الله سبحانه وتعالى لما ذكر الإنزال والمنزل دل ذلك على المنزل عليه وهو محمد
صلى الله عليه وسلم فحسن صرف الكتابة إليه لكونه أمرا معلوما إلا أن القول الأول أصح
وأشهر وهو قول الأكثرين لأنه أشبه بظاهر التنزيل ورد الكتابة إلى أقرب مذكور أولى
وهو الذكر وإذ قلنا أن الكتابة عائدة إلى القرآن وهو الأصح فاختلوا في كيفية حفظ الله
عز وجل للقرآن فقال بعضهم حفظه بأن جعله معجزا باقيا مابينا للكلام البشر فمعجز الخلق
عن الزيادة فيه والنقصان منه لأنهم لو أرادوا الزيادة فيه والنقصان منه لتغير نظمهم وظهر
ذلك لكل عالم عاقل وعلموا ضرورة أن ذلك ليس بقرآن وقال آخرون إن الله حفظه وصانه
من المعارضة فلم يقدر أحد من الخلق أن يعارضه وقال آخرون بل أعجز الله الخلق عن

قبلك) أي رسلا (في شيع
الأولين) أي في الأمم
والقرون الماضية والشيع
هم القوم المتفقة المتفقة
كلمتهم على رأى واحد
(وما يأتيهم من رسول
إلا كانوا به يستهزئون)
كما فعلوا بك ذكره
تسلياً للنبى صلى الله
عليه وسلم (كذلك
نسلكه) أي كما سلكتنا
الكفر والتكذيب
والاستهزاء بالرسول في
قلوب شيع الأولين
كذلك نسلكه فدخله
(في قلوب المحرمين) يعنى
مشركي مكة قريش وفيه
رد على القدرية (لا يؤمنون
به) يعنى لا يؤمنون بحمد
صلى الله عليه وسلم
وبالقرآن (وقد خلت)
مضت (سنة الأولين)
أي ذوات الله تعالى
الإهلاك فيمن كذب
لرسول من الأمم الخالية
يخوف أهل مكة (ولو
فتحنا عليهم) يعنى على
الذين يقولون لو ماتنا
بالملائكة (بابا من السماء
فظلوا فيه يعرجون)
فظلت الملائكة يعرجون
فيه وهم روثها عيانا هنا
قول الأكثرين وقال
الحسن معناه فضل هؤلاء
الكفار يعرجون فيه أي

إبطاء وإفساده بوجه من الوجوه فقبض الله له العلماء الراشدين يحفظونه ويذهبون عنه إلى آخر
الدهر لأن دواعي جماعة من الملاحدة واليهود متوفرة على إبطائه وإفساده فلم يقدروا على
ذلك بحمد الله تعالى قواه سبحانه وتعالى (ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين) لما نجراً
كفار مكة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وخاطبوه بالسفاهة وهو قومه إنك لنجنون
وأساءوا الأدب عليه أخبر الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن عادة الكفار
في قديم الزمان مع أنبيائهم كذلك فلك بالحمد أسوة في الصبر على أذى قومك بجميع الأنبياء
ففيه تسلياً للنبى صلى الله عليه وسلم وفي الآية محذوف تقديره ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك
بالحمد فحذف ذكر الرسل لدلالة الإرسال عليه وقوله تعالى في شيع الأولين الشيعة هم القوم
المتفقة المتفقة كلمتهم وقال الفراء الشيعة هم الأتباع وشيعة الرجل أتباعه وقيل الشيعة من
يتقوى بهم الإنسان وقوله في شيع الأولين من باب إضافة الصفة إلى الموصوف (وما يأتيهم
من رسول إلا كانوا به يستهزئون كذلك نسلكه في قلوب المحرمين) السلوك الفاذ في الطريق
والدخول فيه والسلك إدخال الشيء في الشيء كادخال الخيط في الخيط ومعنى الآية كما سلكتنا
الكفر والتكذيب والاستهزاء في قلوب شيع الأولين كذلك نسلكه أي ندخله في قلوب
المحرمين يعنى مشركي مكة وفيه رد على القدرية والمعتزلة وهي آية في ثبوت القدر لمن
أذعن للحق ولم يعاند قول الواحدى قال أصحابنا أضاعت الله سبحانه وتعالى إلى نفسه إدخال
الكفر في قلوب الكفار وحسن ذلك منه فمن آمن بالقرآن فليست حسنة وقال الإمام فخر الدين
الرازى احتج أصحابنا بهذه الآية على أنه تعالى يخلق الباطل والضلال في قلوب الكفار فقالوا
قوله كذلك نسله أي كذلك نسلك الباطل والضلال في قلوب المحرمين وقالت المعتزلة لم يجر
للضلال والكفر ذكر فيما قيل هذا اللفظ فلا يمكن أن يكون الضمير عائداً إليه وأجيب عنه
بأنه سبحانه وتعالى قال ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون فالضمير في قوله كذلك
نسلكه عائداً إليه والاستهزاء بالأنبياء كفر وضلال فثبت قولنا أن المراد من قوله كذلك
نسلكه في قلوب المحرمين أنه الكفر والضلال . قوله تعالى (لا يؤمنون به) بحمد صلى الله
عليه وسلم وقيل بالقرآن (وقد خلت سنة الأولين) فيه وعيد وتهديد لكفار مكة يخوفهم أن
ينزل بهم مثل ما نزل بالأمم الماضية المكذبة للرسول والمعنى وقد مضت سنة الله باهلاك من
كذب الرسل من الأمم الماضية فاحذروا بأهل مكة أن يصيبكم مثل ما أصابهم من العذاب
(ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون) يعنى ولو فتحنا على هؤلاء الذين قالوا
لو ماتنا تبتنا بالملائكة باباً من السماء فظلوا يقال ظل فلان يفعل كذا إذا فعله بالنهار كما يقال
بات يفعل كذا إذا فعله بالليل فيه يعنى في ذلك الباب يعرجون يعنى يصعدون والمعارج المصاعد
وفي المشار إليه بقوله فظلوا به يعرجون قولان : أحدهما أنهم الملائكة وهو قول ابن عباس
والضحاك والمعنى لو كشف عن أبصار هؤلاء الكفار فرأوا باباً من السماء مفتوحاً والملائكة
تصعد فيه لما آمنوا . والقول الثاني أنهم المشركون وهو قول الحسن وقتادة والمعنى فظل المشركون
يصعدون في ذلك الباب فيظنون في ملكوت السموات وما فيها من الملائكة لما آمنوا لعنادهم
وكفرهم ولقالوا إنا صحرنا وهو قوله تعالى (لقالوا إنما سكرت أبصارنا) قال ابن عباس سدت
أبصارنا مأخوذ من سكر النهر إذا حبس ومنع من الجرى وقيل هو من سكر الشراب والمعنى

وقال قتادة أخذت وقال الكلابي عمت وقرأ ابن كثير سكرت بالتخفيف أى حست ومنعت النظر كما يسكر النهر
لحبس الماء (بل نحن قوم مسحورون) أى عمل فينا السحر فسحرنا محمد (٥٩) قوله تعالى (ولقد جعلنا في السماء

البروج) والبروج هي
النجوم الكبار مأخوذة
من الظهور يقال تبرجت
المرأة أى ظهرت
وأراد بها المنازل التي
تنزلها الشمس والقمر
والكواكب السيارة وهي
الثنا عشر برجاً الحمل
والثور والجدوزاء
والسرطان والأسد
والسنبله والميزان
والعقرب والقوس والجدى
والدلو والحوت وقال
ابن عطية هي قصور
في السماء عليها الحرس وقال
(وزينها) أى السماء
بالشمس والقمر والنجوم
(لناظرين وحفظناها)
من كل شيطان رجيم)
مرجوم وقيل ملعون قال
ابن عباس كانت الشياطين
لا يحبون عن السموات
وكانوا يدخلونها ويأتون
بأخبارها فيلقون على
الكهنة ما سمعوا فلما ولد
عيسى عليه السلام منعوا
من ثلاث سموات فلما
ولد محمد صلى الله عليه
وسلم منعوا من السموات
أجمع فما منهم من أحد
يريد استراق السمع إلا
رمى بشهاب فلما منعوا
من تلك المقاعد ذكروا
ذلك لإبليس فقال لقد

أن أبصارهم حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع للرجل السكران من تغيير العقل
وفساد النظر وقيل سكرت بمعنى غشيت أبصارنا وسكنت عن النظر وأصله من السكر يقال
سكرت عينه إذا تحيرت وسكنت عن النظر (بل نحن قوم مسحورون) يعنى سحرنا محمد وعمل
فينا سحره وحاصل الآية أن الكفار لما طالبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينزل عليهم
الملائكة فيروهم عياناً ويشهدوا بصدقه أخبر الله سبحانه وتعالى أنه لو حصل لهم هذا
وشاهدوه عياناً لما آمنوا ولقالوا سحرنا لما سبق لهم في الأزل من الشقاوة . قوله سبحانه وتعالى
(ولقد جعلنا في السماء بروجاً) يعنى البروج التي تنزلها الشمس في مسيرها واحداها برج وهي
بروج الفلك الاثنا عشر برجاً وهي الحمل والثور والجدوزاء والسرطان والأسد والسنبله والميزان
والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت وهذه البروج مقسومة على ثمانية وعشرين منزلاً
لكل برج منزلان وثلاث منزل وقد تقدم ذكر منازل القمر في تفسير سورة يونس وهذه
البروج مقسومة على ثلثمائة وستين درجة لكل برج منها ثلاثون درجة تقطعها الشمس في كل
سنة مرة وبها تم دورة الفلك ويقطعها القمر في ثمانية وعشرين يوماً قال ابن عباس في هذه الآية
يريد بروج الشمس والقمر يعنى منازلها وقال ابن عطية هي قصور في السماء عليها الحرس وقال
الحسن ومجاهد وقاتادة هي النجوم العظام قال أبو إسحاق يريدون نجوم هذه البروج وهي نجوم
على ما صورت به وسميت وأصل هذا كله من الظهور (وزينها) يعنى السماء بالشمس والقمر
والنجوم (لناظرين) يعنى المعبرين المستدلين بها على توحيد خالقها وصانعها وهو الله الذي
أوجد كل شيء وخلقه وصوره (وحفظناها) يعنى السماء (من كل شيطان رجيم) أى مرجوم
فيعلى يعنى متعول وقيل ملعون . طرود من رحمة الله قال ابن عباس كانت الشياطين لا يحبون
عن السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها إلى الكهنة فيقولون لهم فلما ولد عيسى عليه
السلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات أجمع
فما منهم من أحد يريد أن يسترق السمع إلا رمى بشهاب فلما منعوا من تلك المقاعد ذكروا ذلك
لإبليس فقال لقد حدثت في الأرض حدث فبعثهم ينظرون فوجدوا رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتلو القرآن فقالوا هذا والله حدث (إلا من استرق السمع) هذا استثناء منقطع معناه لكن
من استرق السمع (فأتبعه) أى لحقه (شهاب مبین) والشهاب شعلة من نار ساطع سمى الكوكب
شهاباً لأجل ما فيه من البريق شبه شهاب النار قال ابن عباس في قوله إلا من استرق السمع يريد
الخطفة اليسيرة وذلك أن الشياطين يركب بعضهم بعضاً إلى السماء يسترقون السمع من الملائكة
فيرمون بالكواكب فلا تخطيء أبداً فمنهم من تقتله ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو
حيث يشاء الله ومنهم من تجلده فيصير غولاً يضل الناس في البوادي (خ) عن أبي هريرة أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال : إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعوا لقوله
كأنه سلساة على صفوان فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الذي قال الحق وهو العلى
الكبير فيسمعها مسترقو السمع ومسترقو السمع هكذا بعضهم فوق بعض ووصف سفيان
بكنهه فحذفها وبدد بين أصابعه فيسمع الكلمة فيلقها إلى من تحته ثم يلقها الآخر إلى من تحته

حدثت في الأرض حدث قال فبعثهم فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو القرآن فقالوا هذا والله
حدث (إلا من استرق السمع) لكن من استرق السمع (فأتبعه شهاب مبین) والشهاب الشعلة من النار وذلك أن الشياطين

بركب بعضهم بعضا إلى السماء الدنيا ويسترقون السمع من الملائكة فيرمون بالكواكب فلا تخطيء أبدا فمنهم من تقتله
ومنهم من تحرق وجهه أو جنبه أو يده أو حبه يشاء الله ومنهم من تحمله فيصير غولا يضل الناس في البوادي أخبرنا
عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله (٣٠) النعمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا الحميدي ثنا سفيان

ثنا عمرو قال سمعت
عكرمة يقول سمعت
أبا هريرة يقول أن نبي
الله صلى الله عليه وسلم
قال وإذا قضى الله الأمر
في السماء ضربت الملائكة
بأجنحتها خضعانا لقوله
كأنه سائلة على صفوان
فاذا فرغ عن قلوبهم
قالوا إذا قال ربكم قالوا
الذي قال الحق وهو العلي
الكبير فيسمعها مسترقو
السمع ومسترقو السمع
مكذبا بعضهم فوق بعض
ووصف سفيان بكفه
فحرفها ويدين أصابعه
فيسمع أحدهم الكلمة
يلقبها إل من تحت ثم
يلقبها الآخر إلى من تحت
حتى يلقبها علي لسان
الساحر أو الكاهن
فربما أدركه الشهاب قبل
أن يلقبها وربما ألقاها
قبل أن يدركه فيكذب
معه مائة كذبة فيقال
أليس قد قال لنا يوم
كذا وكذا يكون كذا
وكذا فيصدق بذلك
الكلمة التي سمعت من
السماء أخبرنا عبد الواحد

(فصل)

اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم أم لا على قولين: أحدهما أنها لم تكن ترمى بالنجوم قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه
وسلم وإنما ظهر ذلك في بدء أمره فكان ذلك أساسا لنبوته صلى الله عليه وسلم وبدل على
صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم في طائفة من
أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ وقد حبل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم
الشهب أخرجاه في الصحيحين فظاهر هذا الحديث يدل على أن هذا الرمي بالشهب لم يكن
قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم فلما بعث حدث هذا الرمي وبعضه ما روى أن يعقوب بن
المغيرة بن الأحنس بن شريق قال أول من فرغ للرمي بالنجوم هذا الحى من ثقيف وأنهم
جاءوا إلى رجل منهم يقال له عمرو بن أمية أحد بني علاج وكان أهدي العرب فقالوا له ألم
تر ما حدث في السماء من القذف بالنجوم فقال بلى ولكن انظروا فإن كانت معالم النجوم
التي يهتدى بها في البر والبحر ويعرف بها الأنواء من الصيف والشتاء لما يصلح الناس من
معايشهم هي التي يرمى بها فهو والله طي الدنيا وهلاك الخلق الذين فيها وإن كانت نجوما غيرها
وهي ثابتة على حافها فهذا الأمر أراد الله من الخلق قال الزجاج وبدل على أنها كانت بعد
مولد النبي صلى الله عليه وسلم أن شعراء العرب الذين ذكروا البرق والأشياء المسرعة لم يوجد
في شعرهم ذكر الكواكب المنقضة فما حدثت بعد مولده صلى الله عليه وسلم استعدت
الشعراء ذكرها قال ذو الرمة :

كأنه كوكب في أثر عفرية مسوم في سواد الليل منقضب

والقول الثاني إن ذلك كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولكن لما بعث
شدد وغلظ عليهم قال معمر قات للزهري أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية قال نعم قلت
أفرايت قوله وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فقال غلظت وشدد أمرها حين بعث محمد
صلى الله عليه وسلم وبدل على صحة هذا القول ما روى عن ابن عباس قال أخبرني رجل من
أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من الأنصار أنهم بينما هم جلوس ليلة مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم إذ رمى بنجم واستدار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنتم تقولون
في الجاهلية إذا رمى بمثل هذا قالوا كنا نقول وأد الليلة رجل عظيم أو مات رجل عظيم فقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياة ولكن ربنا تبارك اسمه
إذا قضى أمرا سبح حملة العرش ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم حتى يبلغ التسييح إلى

أهل

المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف

ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن أبي مريم ثنا الليث ثنا ابن جعفر عن محمد بن عبد الرحمن عن عروة بن الزبير عن عائشة
رضي الله عنها زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : إن الملائكة تنزل في العنان ، وهو

السحاب فتذكر الأمر الذي قضى في السماء فتسرق الشياطين السبع فتسبغه فتوحى إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم واعلم أن هذا لم يكن ظاهرا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكره شاعر من العرب قبل زمان النبي صلى الله عليه وسلم وإنما ظهر في بدء أمره وكان ذلك أساسا لنبوته وقال يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس بن شريق أن أول من فزع الرمي بالنجوم هذا الحي من قتيب وأنهم جاءوا إلى رجل (٦١) منهم يقال له عمرو بن أمية أحد

بنو عجلج وكان أهدي
العرب يقالوا له لم تر
ما حدث في السماء من
القذف بالنجوم قال بلى
فانظروا فإن كانت
معالم النجوم التي بهندي
بهاق البر والبحر وتعرف
بها الأتواء من الصيف

أهل هذه السماء ثم قال الذين يلون حملة العرش لحملة العرش ماذا قال ربكم فيخبرونهم بما
قال فيستخبر بعض أهل السماء بعضا حتى يبلغ الخبر هذه السماء الدنيا فتخطف الجن السبع
فيقتفونه إلى أولياهم ويرمون فاجاءوا به على وجهه فهو حتى ولكبهم يقتفون فيه وزيدون
أخرجه مسلم وقال ابن قتيبة أن الرجم كان قبل مبعثه ولكن لم يكن في شدة الحراسة مثل
بعد مبعثه قال وعلى هذا وجدنا الشعر القديم قال بشر بن أبي حازم وهو جاهلي :
فالعبر برهقها الغبار وجحشها ينقض خلفهما اقتضاض الكوكب
وقال أوس بن حجر وهو جاهلي :

فانقض كالدر ينعمه تقع يثور تخاله طنيا

والشامع لما يصلح الناس
من معايشهم هي التي
يرمي بها فهم والله طي
الدنيا وهلاك الخلق الذي
فيها وإن كانت نجومها
غيرها وهي والله ثابتة
على حالها فهذا لأمر
أراده الله تعالى بهذا
الخلق قال عمر رقت
للزهرى أكان يرمي
بالنجوم في الجاهلية قال
نعم قلت أفرايت قوله
تعالى وأنا كنا نقعد منها
مقاعد للسبع الآية قال
غلظ وشدد أرها حيث
بعث محمد صلى الله
عليه وسلم وقال ابن
قتيبة إن الرجم كان
قبل مبعثه ولكن لم يكن
في شدة الحراسة فصار

والجمع بين هذين القولين أن الرمي بالنجوم كان موجودا قبل مبعث النبي صلى الله عليه
وسلم فلما بعث شدد ذلك وزيد في حفظ السماء وحراستها صوتا لأخبار الغيوب والله أعلم .
قوله سبحانه وتعالى (والأرض مددناها) يعني بسطناها على وجه الماء كما يقال أنها دحيت من
تحت الكعبة ثم بسطت هذا قول أهل التفسير وزعم أرباب الهيئة أنها كرة عظيمة بعضها في
الماء وبعضها خارج عن الماء وهو الجزء المعمور منها واعتدروا عن قوله تعالى والأرض مددناها
بأن الكرة إذا كانت عظيمة كان كل جزء منها كالسطح العظيم فثبت بهذا الأمر أن الأرض
ممدودة بمسوفة وأنها كرة ورد هذا أصحاب التفسير بأن الله أخبر في كتابه بأنها ممدودة وأنها
مبسوفة ولو كانت كرة لأخبر بذلك والله أعلم بمراده وكيف مد الأرض (والقينا فيها راسي)
يعني جبالا ثوابت وذلك أن الله سبحانه وتعالى لما خلق الأرض على الماء مادته ورجنت فأنبتها
بالجبال (وأنبتنا فيها) أي في الأرض لأن أنواع النبات المنتفع به تكون في الأرض وقيل الضمير
يرجع إلى الجبال لأنها أقرب مذكور لقوله تعالى (من كل شيء موزون) وإنما يوزن ما تولد
في الجبال من المعادن وقال ابن عباس وسعيد بن جبير موزون أي معلوم وقال مجاهد وعكرمة
أي مقدور فعلى هذا يكون المعنى معلوم القدر عند الله تعالى لأن الله سبحانه وتعالى يعلم القدر
الذي يحتاج إليه الناس في معايشهم وأرزاقهم فيكون إطلاق الوزن عليه مجازا ، لأن الناس
لا يعرفون مقادير الأشياء إلا بالوزن وقال الحسن وعكرمة وإن زيد أنه عنى بالشئ الموزون
كالذهب والفضة والرصاص والحديد والكحل ونحو ذلك مما يستخرج من المعادن لأن هذه
الأشياء كلها توزن وقيل معنى موزون متناسب في الحسن والهيئة والشكل تقول العرب فلان
موزون الحركات إذا كانت حركاته متناسبة حسنة وكلام موزون إذا كان متناسبا حسنا بعيدا
من الخطأ والسخف وقيل إن جميع ما ينبت في الأرض والجبال نوعان أحدهما ما يستخرج من
المعادن وجميع ذلك موزون والثاني النبات وبعضه موزون أيضا وبعضه مكبل وهو يرجع إلى

شدة الحراسة والاهتمام بالرجم بعد مبعثه وقيل إن النجم ينقض فيرمى الشياطين ثم يعود إلى مكانه والله أعلم
قوله تعالى (والأرض مددناها) بسطناها على وجه الماء يقال إنها مسيرة خمسمائة سنة في مثلها دحيت من تحت الكعبة
(والقينا فيها راسي) جبالا ثوابت وقد كانت الأرض تميد إلى أن أرساها الله بالجبال (وأنبتنا فيها) أي في الأرض
(من كل شيء موزون) بقدر معلوم وقيل يعني في الجبال وهي جواهرها من الذهب والفضة والحديد والنحاس وغيرها

حتى الزرنيخ والكحل كل ذلك يوزن وزنا وقال ابن زيد هي الأشياء التي توزن وزنا (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة قيل أراد بها المطاعم والمشارب والملابس وقيل ما يعيش به آدمي في الدنيا (ومن لستم له برازقين) من الدواب والأنعام أي جعلنا لكم وكفيناكم رزقها ومن الآية بمعنى ما كقولته تعالى فمنهم من يمشي على بطنه وقيل من في موضعها لأنه أراد الممالك مع الدواب وقيل من في محل الخفض عطفاً على الكاف والميم في لستم (وإن من شيء) أي وما من شيء (إلا عندنا خزائنه) أي مفاتيح خزائنه وقيل أراد به المطر (وما ننزله إلا بقدر معلوم) لكل أرض حد مقدر ويقال لا تنزل من السماء قطرة إلا ومعها ملك يسوقها حيث يريد الله عز وجل ويشاء وعن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال في العرش مثال جميع ما خلق (٦٢) الله في البر والبحر وهو تأويل قوله تعالى وإن من شيء إلا عندنا خزائنه

الوزن لأن الصاع والمد مقدران بالوزن (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة وهو ما يعيش به الإنسان مدة حياته في الدنيا من المطاعم والمشارب والملابس ونحو ذلك (ومن لستم له برازقين) يعني الدواب والوحش والطيور أنتم منتفعون بها ولستم لها برازقين لأن رزق جميع الخلق على الله ومنه قوله تعالى وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها وتكون من في قوله تعالى ومن لستم بمعنى ما لأن من لمن يعقل وما لمن لا يعقل وقيل يجوز إطلاق لفظة من على من لا يعقل كقوله تعالى فمنهم من يمشي على بطنه وقيل أراد بهم العبيد والخدم فتكون من على أصلها ويدخل معهم ما لا يعقل من الدواب والوحش (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) الخزان جمع خزانة وهي اسم للكان الذي يخزن فيه الشيء للحفظ يقال خزن الشيء إذا أخزته فقول الله عز وجل (ومن لستم له برازقين) الخزان وقيل أراد بالخزان المطر لأنه سبب الأرزاق والمعاش لبني آدم والدواب والوحش والطيور ومعنى عندنا أنه في حكمه وتصرفه وأمره وتدبيره قوله تعالى (وما ننزله إلا بقدر معلوم) يعني بقدر التكفاية وقيل إن لكل أرض حدا ومقدارا من المطر يقال لا تنزل من السماء قطرة مطر إلا ومعها ملك يسوقها إلى حيث يشاء الله تعالى وقيل إن المطر ينزل من السماء كل عام بقدر واحد لا يزيد ولا ينقص ولكن الله يعطر قوماً ويحرم آخرين وقيل إذا أراد الله بقوم خيراً أنزل عليهم المطر والرحمة وإذا أراد بقوم شراً صرف المطر عنهم إلى حيث لا ينتفع به كالكبير أرى والتقفار والرمال واليهام ونحو ذلك. وحكي جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده أنه قال في العرش تمثال جميع ما خلق الله في البر والبحر وهو تأويل قوله وإن من شيء إلا عندنا خزائنه (وأرسلنا الرياح لواقح) قال ابن عباس يعني للشجر وهو قول الحسن وقتادة وأصل هذا من قولهم لفتح الناقة وألقحها التحل إذا أتى إليها الماء فحملته فكذلك الرياح كالفتح للتحل للسحاب وقال ابن مسعود في تفسير هذه الآية يرسل الله الرياح لتلقح السحاب فتحمل الماء فتسج في السحاب ثم تمر به فتدر كما تدر اللقحة وقال عبيد بن عمير يرسل الله الرياح المبشرة فتتم الأرض قائم يرسل المبيرة فتثير السحاب ثم يرسل المؤلف فتؤلف السحاب بعضها إلى بعض فتجعلها ركاباً ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر وقال أبو بكر بن عياش لا تنقطر قطرة من السحاب إلا بعد أن

(وأرسلنا الرياح لواقح) أي حوامل لأنها تحمل الماء إلى السحاب وهو جمع لافحة يقال ناقة لافحة إذا حملت الولد قال ابن مسعود يرسل الله الريح فتحمل الماء فيمر به السحاب فيدر كما تدر اللقحة ثم تعطر وقال أبو عبيدة أراد بالواقح الملاقح واحداً ملقحة لأنها تلحق الأشجار قال عبيد بن عمير يرسل الله الريح المبشرة فتتم الأرض قائم يرسل الله المبيرة فتثير السحاب ثم يرسل المؤلف فتؤلف السحاب بعضها إلى بعض فتجعلها ركاباً ثم يرسل اللواقح فتلقح الشجر وقال أبو بكر بن عياش لا تنقطر قطرة من السحاب إلا بعد أن

تعمل الرياح الأربع فيه فالصبا تهبجه والشمال تجمعها والجنوب تدره والديبور تفرقه فانزلنا وفي الخبر إن اللاح رياح الجنوب وفي بعض الآثار ما هبت ربيع الجنوب إلا وبعث عينا غدقة وأما الريح العقيم فإنها تأتي بعذاب ولا تلقح أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال ثنا أبو العباس الأصم أنا الربيع الشافعي أنا من لا أتهم بحديثه ثنا العلاء بن راشد عن عكرمة عن ابن عباس قال ما هبت ربيع قط إلا جئت النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم وقال وأرسلنا الرياح لواقح وقال يرسل الرياح مبشرات قرأ حمزة وحده ولرسلنا الريح لواقح على الوحدة والوجه أن الريح يراد بها الجنس والكثرة ولهذا وصفت بالجمع في قوله

لواقيح وقرأ الباقون الرياح بالألف على الجمع ووجهه ظاهر وذلك أنها وصفت بقوله لواقيح وهي جماعة فيلبي أن يكون الموصوف أيضا جماعة ليوافق قوله (فأززلنا من السماء ماء فأسقيناكموه) أي جعلنا المطر لكم سقيا يقال أسقى فلانا إذا جعل له سقيا وسقاه إذا أعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ماء ولينا (٦٣) إذا كان أسقيه فاذا جعلوا له ماء

لشرب أرضه ودوابه
تقول العرب أسقيته
(وما أنتم له بخازنين)
يعني المطر في خزائنكم
وقال سفيان ثمانين
(وإننا لنحن نحى ونميت)
ونحن الوارثون) بأن نميت
جميع الخلائق فلا يبقى
حتى سوانا والوارث من
صفات الله عز وجل
قبل الباقي بعد فناء الخلق
وقيل معناه أن مصير
الخلق إليه (ولقد علمنا
المستقدمين منكم ولقد
علمنا المتأخرين) قال
ابن عباس أراد بالمستقدمين
الأموات والمستأخرين
الأحياء قال الشعبي الأولين
والآخرين وقال عكرمة
المستقدمون من خلق
الله والمستأخرون من لم
يخلق الله قال مجاهد
المستقدمون القرون الأولى
والمستأخرون أمة محمد
صلى الله عليه وسلم
وقال الحسن المستقدمون
في الطاعة والخير
والمستأخرون المبطلون
عنها وقبل المستقدمون
الصفوة في الصلاة
والمستأخرون فيها
وذلك أن النساء كن

فأززلنا من السماء ماء قال أبو بكر بن عياش لا تنظر قطرة من السماء إلا بعد أن تعدل الرياح الأربع فيها فالصبا تهيج السحاب والشمال تجمعها والجنوب تدره والدبور تفرقه وقال أبو عبيد لواقيح هنا بمعنى ملاقيح جمع ملقحة حذفت الميم وردت إلى الأصل وقال الزجاج يجوز أن يقال لها لواقيح وإن ألتحمت غيرها ، لأن معناها النسبة كما يقال درهم وازن أي ذو وزن واعترض الواحدى على هذا فقال هذا ليس بمعنى لأنه كان يجب أن يصح اللاقح بمعنى ذات لفتح حتى يوافق قول المفسرين وأجاب الرازي عنه بأن قال هذا ليس بشيء لأن اللاقح هو المنسوب إلى اللقحة ومن أفاد غير اللقحة فله نسبة إلى اللقحة وقال صاحب المرددات لواقيح أي ذات لفتح وقيل إن الريح في نفسها لاقيح لأنها حاملة للسحاب والدليل عليه قوله تعالى حتى إذا أقلت سحابا ثقالا أي حلت فعلى هذا تكون الريح لاقيحة بمعنى حاملة لتحمل السحاب وقال الزجاج ويجوز أن يقال للريح لفتح إذا أتت بالخبر كما قيل لما عقيم إذا لم تأت بخبر وورد في بعض الأخبار أن الملقح الرياح الجنوب وفي بعض الآثار ما هبت رياح الجنوب إلا واتبع عينا غدقة (ق) وعن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا عصفت الرياح قال اللهم إني أسألك خيرها وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به وروى البيهقي بسنده إلى الشافعي إلى ابن عباس قال ما هبت رياح قط إلا جئت النبي صلى الله عليه وسلم على ركبتيه وقال اللهم جعلها رحمة ولا تجعلها عذابا اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا قال ابن عباس في كتاب الله عز وجل إنا أرسلنا عليهم ريحا صرنا فأرسلنا عليهم الريح العقيم وقال وأرسلنا الرياح لواقح وقال يرسل الرياح مبشرات وقوله سبحانه وتعالى (فأززلنا من السماء ماء) يعني المطر (فأسقيناكموه) يعني جعلنا لكم المطر سقيا يقال أسقى فلانا إذا جعل له سقيا وسقاه إذا أعطاه ما يشرب وتقول العرب سقيت الرجل ماء ولينا إذا كان لسقيه فاذا جعلوا له ماء لشرب أرضه أو ماشيته يقال أسقيناه (وما أنتم له) يعني للمطر (بخازنين) يعني إن المطر في خزائننا في خزائنكم وقيل وما أنتم له ثمانين (وإننا لنحن نحى ونميت) يعني بيدنا إحياء الخلق وإماتهم لا يقدر على ذلك أحد إلا الله سبحانه وتعالى لأن قوله تعالى وإننا لنحن يفيد الحصر يعني لا يقدر على ذلك سوانا (ونحن الوارثون) وذلك بأن نميت جميع الخلق فلا يبقى أحد سوانا فيقول ملك كل مالك مويتي جميع ملك المالكين لنا والوارث هو الباقي بعد ذهاب غيره والله سبحانه وتعالى هو الباقي بعد ذهاب غيره والله سبحانه وتعالى هو الباقي بعد فناء خلقه الذين أمتهم بما آتاهم في الحياة الدنيا لأن وجود الخلق وما آتاهم كان ابتداءه منه تعالى فاذا فني جميع الخلق رجوع الذي كانوا يملكونه في الدنيا على الخلق إلى مالكه على الحقيقة وهو الله تعالى وقيل مصير الخلق إليه . قوله عز وجل (ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المتأخرين) عن ابن عباس قال كانت امرأة تصلي خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحسن الناس فكان بعض الناس يتقدم حتى يكون في الصف الأول لتلايها ويتأخر بعضهم حتى

تخرجن إلى صلاة الجماعة فيقفن خلف الرجال وربما كان من الرجال من في قلبه رية فيتأخر إلى آخر صفوف الرجال ليقترب من النساء ومن النساء من كانت في قلبها رية فتتقدم إلى أول صفوف النساء لتقترب من الرجال فنزلت هذه الآية وقال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء

آخرها وشرها اولها وقال الأوزاعي أراد المصلين في أول الوقت والمؤخريين إلى آخره وقال مقاتل أراد بالمستقدمين والمستأخريين في صف القتال وقال ابن عيينة (٦٤) أراد من يسلم ومن لا يسلم (وإن ربك هو يحشرهم أنه حكيم عليم) على ما علم

بكون في الصف المؤخر فاذا ركع نظر من تحت إبطيه فأنزل الله عز وجل ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستأخريين أخرجه الترمذي وقال فيه وقد روى عن ابن الجوزي نحوه ولم يذكر فيه عن ابن عباس وهذا أشبه أن يكون أصح قال البغوي وذلك أن النساء كن يخرجن إلى الجماعة فيقفن خواف الرجال فرجما كان من الرجال من في قلبه ريبة فيتأخر إلى آخر صف الرجال ومن النساء من في قلبها ريبة فتقدم إلى أول صف النساء لتتقرب من الرجال فنزلت هذه الآية فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم خير صفوف الرجال أولها وشرها آخرها وخير صفوف النساء آخرها وشرها أولها أخرجه مسلم عن أبي هريرة . وقال ابن عباس أراد بالمستقدمين من خلق الله وبالمستأخريين من لم يخلق الله تعالى بعد وقال مجاهد المستقدمون القرون الأولى والمستأخرون أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الحسن المستقدمون بعني في الطاعة والخير والمستأخرون بعني فيهما وقال الأوزاعي أراد بالمستقدمين المصائب في أول الوقت وبالمستأخريين المؤخريين فما إلى آخره وقال مقاتل أراد بالمستقدمين وبالمستأخريين في صف القتال وقال ابن عيينة أراد من يسلم أولا ومن يسلم آخره وقال ابن عباس في رواية أخرى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم حرض على الصف لأول فازدحموا عليه وقال قوم كانت بيوتهم قاصية عن المسجد لئيبين دورنا ونشترى دورا قريبة من المسجد حتى ندرك الصف المقدم فنزلت هذه الآية ومعناها إنما تجزون على النيات فاطمأنا وأوسكنا فيكون معنى الآية على القول الأول المستقدم للفقوى والمستأخر للذنار وعلى القول الأخير المستقدم لطلب الفضيلة والمستأخر للعلل ومعنى الآية أن علمه سبحانه وتعالى محيط بجميع خلقه مقدمهم ومتأخرهم طائعهم وعاصيهم لا يخفى عليه شيء من أحوال خلقه (وإن ربك هو يحشرهم إنه حكيم عليم) بعني على ما علم منهم وقيل إن الله سبحانه وتعالى بعيت الكل ثم يحشرهم الأولين والآخريين على ما ماتوا عليه (م) عن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بعث كل عبد على ما مات عليه قوله سبحانه وتعالى (ولقد خلقنا الإنسان) بعني آدم عليه السلام في قول جميع المفسرين سمي إنسانا لظهوره وإدراك البصر إياه وقيل من النسيان لأنه عهد إليه ففسى (صلصال) بعني من الطين اليابس إذا نقرته سمعت له صلصلة أي صوتا قال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذي إذا نضب عنه الماء تشقق فاذا حرك تشقق وقال مجاهد هو الطين المتين واختاره الكسائي وقال هو من صل اللحم وأصل إذا أنتن (من حمأ) والحمأ الطين المتين الأسود (مسنون) أي متغير قال مجاهد وقادة هو المتين المتغير وقال أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سنفت الماء إذا أصيبته قال ابن عباس هو التراب المبتل المتين جعل صلصالا كالفضار والجمع بين هذه الأقاويل على ما ذكره بعضهم إن الله سبحانه وتعالى لما أراد خلق آدم عليه السلام قبض قبضة من تراب الأرض قبلها بالماء حتى اسودت وأنتن ريحها وتغيرت وإليه الإشارة بقوله : إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم إن ذلك التراب بله بالماء وجره حتى اسودت وأنتن ريحه وتغير وإليه الإشارة بقوله : من حمأ مسنون ثم ذلك الطين الأسود المتغير صورته صورة إنسان أجوف فلما جفت وبس كانت تدخل فيه الريح فتسمع له صلصلة بعني صوتا وإليه الإشارة بقوله من صلصال كالفضار وهو الطين

منهم وقيل بعيت الكل ثم يحشرهم الأولين والآخريين أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن أنا أبو سعيد الصيرفي ثنا أبو العباس الأصم ثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من مات على شيء بعته الله عليه قوله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان) بعني آدم عليه السلام سمي إنسانا لظهوره وإدراك البصر إياه وقيل من النسيان لأنه عهد إليه ففسى (من صلصال) وهو الطين اليابس الذي إذا نقرته سمعت له صلصلة أي صوتا قال ابن عباس هو الطين الحر الطيب الذي إذا نضب عنه الماء تشقق فاذا حرك تشقق وقال مجاهد هو الطين المتين واختاره الكسائي وقال هو من صل اللحم وأصل إذا أنتن (من حمأ) والحمأ الطين المتين الأسود (مسنون) أي متغير قال مجاهد وقادة هو المتين المتغير وقال

أبو عبيدة هو المصبوب تقول العرب سنفت الماء أي صببته قال ابن عباس هو التراب المبتل المتين جعل صلصالا كالفضار وفي بعض الآثار وأن الله عز وجل خمر طينة آدم تركه حتى صار متغيرا أسود ثم خلق منه آدم عليه السلام

(والجان خلقناه من قبل) قال ابن عباس هو أبو الجن كما أن آدم أبو البشر. وقال قتادة هو إبليس خلق قبل آدم ويقال الجان أبو الجن وإبليس أبو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون ويحيون ويموتون. وأما الشياطين فليس منهم مسلمون ويموتون إذا مات إبليس وذكر وهب أن من الجن من يولد لهم ويأكلون ويشربون بمنزلة (٦٥) الآدميين ومن الجن من هم بمنزلة

الريح لا يأكلون ولا يشربون ولا يتوالدون (من نار السموم) والسموم ریح حارة تدخل مسام الانسان فقتله يقال السموم بالنهار والحرور بالليل وعن الكلبى عن أبى صالح السموم نار لادخان لها والصواعق تكون منها وهى نار بين السماء وبين الحجاب فإذا أراد الله أن يحدث أمرا خرق الحجاب فهوت إلى ما أمرت به فالهدة التى تسمعون من خرق ذلك الحجاب فى خرق نار السموم هب النار وقيل من نار السموم أى من نار جهنم. وعن الضحاك عن ابن عباس قال كان إبليس من حى من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نار السموم وخلق الجن الذين ذكروا فى القرآن من نار من مارج من نار فأما الملائكة فانهم خلقوا من النور قوله تعالى (وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشرا) أى

اليابس إذا تفخر فى الشمس ثم نفخ فيه الروح فكان بشرا سويا قوله تعالى (والجان خلقناه من قبل) يعنى من قبل آدم عليه السلام قال ابن عباس الجان أبو الجن كما أن آدم أبو البشر وقال قتادة هو إبليس وقيل الجان أبو الجن وإبليس أبو الشياطين وفي الجن مسلمون وكافرون يأكلون ويشربون ويحيون ويموتون كجنى آدم. وأما الشياطين فليس فيهم مسلمون ولا يموتون إلا إذا مات إبليس وقال وهب إن من الجن من يولد له ويأكلون ويشربون بمنزلة الآدميين ومن الجن من هو بمنزلة الريح لا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون وهم الشياطين والأصح أن الشياطين نوع من الجن لا شترا كههم فى الاستتار سموا جينا لتواربهم واستتارهم عن الأعين من قولهم جن الليل إذا ستر والشيطان هو العاقب المتمرد الكافر والجن منهم المؤمن ومنهم الكافر (من نار السموم) يعنى من ریح حارة تدخل مسام الانسان من لطفها وقوة حرارتها فقتله ويقال للريح الحارة التى تكون بالنهار السموم وللريح الحارة التى تكون بالليل الحرور وقال أبو صالح السموم نار لادخان لها والصواعق تكون منها وهى نار بين السماء والحجاب فإذا حدث أمر خرق الحجاب فهوت إلى ما أمرت به فالهدة التى تسمعون من خرق ذلك الحجاب وهذا على قول أصحاب الحديث أن الكرة الرابعة تسمى كرة النار وقيل من نار السموم يعنى من نار جهنم وقال ابن سعد هذه السموم جزء من سبعين جزء من السموم التى خالق منها الجان وتلاهذه الآية. وقال ابن عباس كان إبليس من حى من الملائكة بسمون الجان خلقوا من نار السموم وخلق الجن الذين ذكروا فى القرآن من مارج من نار وخالقت الملائكة من النور. قوله عز وجل (وإذ قال ربك للملائكة) أى واذا ذكر يا محمد إذ قال ربك للملائكة (إني خالق بشرا) سمى الآدمى بشرا لأنه جسم كسيف ظاهر البشرة ظاهر الجسد (من صلصال من حمأ مسنون) تقدم تفسيره (فإذا سويته) يعنى عدلت صورته وأتممت خلقه (ونفخت فيه من روحي) النسخ عبارة عن إجراء الريح فى تجاويف جسم آخر ومنه نفخ الروح فى النشأة الأولى وهو المراد من قوله : ونفخت فيه من روحي وأضاف الله عز وجل روح آدم إلى نفسه على سبيل التشرية والتشريف لما كما يقال بيت الله وناق الله وعبد الله ومبأى الكلام على الروح فى تفسير سورة الإسراء عند قوله ويستأونك عن الروح ، إن شاء الله تعالى (فقعوا له ساجدين) الخطاب للملائكة الذين قال الله لهم إني خالق بشرا أمرهم بالسجود لآدم بقوله فقعوا له ساجدين. وكان هذا السجود تحية لاسجود عبادة (فوجد الملائكة كلهم) يعنى الذين أمروا بالسجود لآدم (أجمعون) قال مسيبويه هذا تأكيد بعد تأكيد وسئل المبرد عن هذه الآية فقال لو قال فسجد الملائكة لاحتمال أن يكون سجد بعضهم فلما قال كلهم لزم إزالة ذلك الاحتمال فظهر بهذا أنهم سجدوا بأمرهم ثم عند هذا بى احتمال آخر وهو أنهم سجدوا فى أوقات متفرقة أو فى دفعة واحدة فلما قال أجمعون ظهر أن الكل سجدوا دفعة واحدة ولما حكى الزجاج هذا القول عن المبرد قال قول الخليل وسيبويه أجود

(٩ - خازن بالبغوى - رابع) سأخلق بشرا (من صلصال من حمأ مسنون فإذا سويته) عدلت صورته وأتممت خلقه (ونفخت فيه من روحي) فصار بشرا حيا ، والروح جسم لطيف يحيا به الانسان وأضافه إلى نفسه تشريفا (فقعوا له ساجدين) سجدوا تحية لاسجود عبادة (فوجد الملائكة) الذين أمروا بالسجود (كلهم أجمعون) فان قيل لم قال كلهم أجمعون وقد حصل المنصود بقوله فسجد الملائكة قلنا زعم الخليل وسيبويه

أنه ذكر ذلك تأكيدا وذكر المبرد أن قوله فسجد الملائكة كان من المحتمل أنه سجد بعضهم فلذا ذكر كلهم ليؤول هذا الإشكال ثم كان يحتمل (٦٦) أنهم سجدوا في أوقات مختلفة فزال ذلك الإشكال بقوله أجمعون . وروى

لأن أجمعين . معرفة فلا تكون حالا روى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن الله سبحانه وتعالى أمر جماعة من الملائكة بالسجود لآدم فلم يفعلوا فأرسل الله عليهم نارا فأحرقتهم . ثم قال لجماعة أخرى اسجدوا لآدم فسجدوا (إلا إبليس أن يكون مع الساجدين) يعني مع الملائكة الذين أمروا بالسجود لآدم فسجدوا (قال) يعني قال الله (يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال) يعني إبليس (لم أكن لأسجد لبشر خلقتني من صلصال من حمأ مسنون) أراد إبليس أنه أفضل من آدم لأن آدم طين الأرض وإبليس نار الأصل . والنار أفضل من الطين فيكون إبليس في قياسه أفضل من آدم ولم يدر الخبيث أن التنزل فيا فضاه الله تعالى (قال فأخرج منها) يعني من الجنة وقيل من السماء (فانك رجيم) أي طريد (وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين) قيل إن أهل السموات يلعنون إبليس كما يلعن أهل الأرض فهو ملعون في السموات والأرض فان قلت إن حرق إبليس إلى لانتها الغاية فهل ينقطع اللعن عنه يوم الدين الذي هو يوم القيامة . قلت لا بل يزداد عذابا إلى اللعنة التي عليه كأنه قال تعالى وإن عليك اللعنة فقط إلى يوم الدين . ثم ترداد معها بعد ذلك عذابا دائما مستمرا لا انقطاع له (قال رب فأنظرني) يعني أخرني (إلى يوم يبعثون) يعني يوم القيامة وأراد بهذا السؤال أنه لا يموت أبدا لأنه إذا أمهل إلى يوم القيامة ويوم القيامة لا يموت فيه أحد لزم من ذلك أنه لا يموت أبدا فلهذا السبب سأل الإنظار إلى يوم يبعثون فأجابته الله سبحانه وتعالى بقوله (قال فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) يعني الوقت الذي يموت فيه جميع الخلائق وهو النفخة الأولى فيقال إن مدة موت إبليس أربعون سنة وهو ما بين النفختين ولم تكن إجابة الله تعالى إياه في الإمهال إكراما له بل كان ذلك الإمهال زيادة له في بلائه وشقائه وعذابه . وإنما سمي يوم القيامة بيوم الوقت المعلوم لأن ذلك اليوم لا يعلمه أحد إلا الله تعالى فهو معلوم عنده وقيل إن جميع الخلائق يموتون فيه فهو معلوم بهذا الاعتبار وقيل لما سأل إبليس الإنظار إلى يوم يبعثون أجابه الله بقوله فانك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم يعني اليوم الذي عرفت وسألت الإنظار إليه (قال رب بما أغويتني) الباء للقسم في قوله بما وما مصدرية وجواب القسم (لأزيتن) والمعنى فباغواك إياي لأزيتن لهم في الأرض وقيل هي باء السبب . يعني بسبب كوني غاويا لأزيتن (لهم في الأرض) يعني لأزيتن لهم حب الدنيا ومعاصبك (ولأغويتهم أجمعين) يعني بالفناء الوسوسة في قلوبهم وذلك أن إبليس لما علم أنه يموت على الكفر غير مغفور له حرص على إضلال الخلق بالكفر وإغوائهم ثم استثنى فقال (إلا عبادك منهم المخلصين) يعني المؤمنين الذين أخلصوا لك التوحيد والطاعة والعبادة ومن فتح اللام من المخلصين يكون المعنى إلا من أخلصته وأصطنفته لتوحيدك وعبادتك . وإنما استثنى إبليس المخلصين لأنه علم أن كيدته ووسوسته لا تعمل فيهم ولا يقبلون منه وحقبة الإخلاص فصل الشيء خالصا لله عن شائبة الغير فكل من أتى بعمل من أعمال الطاعات فلا يخلو إما أن يكون مراده بتلك الطاعات وجه الله فقط أو غير الله أو مجموع الأمرين . أما ما كان لله تعالى فهو الخالص المقبول وأما ما كان لغير الله فهو الباطل المردود وأما من كان مراده مجموع الأمرين

عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه أن الله عز وجل قال لجماعة من الملائكة اسجدوا لآدم فلم يفعلوا فأرسل الله عليهم نارا فأحرقتهم ثم قال لجماعة أخرى اسجدوا لآدم فسجدوا (إلا إبليس أن يكون مع الساجدين قال) يعني قال إبليس (يا إبليس مالك ألا تكون مع الساجدين قال) لم أكن لأسجد لبشر خلقتني من صلصال من حمأ مسنون) أرادني أفضل منه لأنه طين وأنا نارى والنار تاكل الطين (قال فأخرج منها) أي من الجنة (فانك رجيم) طريد (وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين) قيل إن أهل السموات يلعنون إبليس كما يلعن أهل الأرض فهو ملعون في السماء والأرض (قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون) أراد الخبيث أن لا يموت من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) أي الوقت الذي يموت فيه الخلائق وهو النفخة الأولى ويقال إن مدة

موت إبليس أربعون سنة وهي ما بين النفختين ويقال إنه لم تكن إجابة الله تعالى إياه في الإمهال إكراما له فان بل كانت زيادة في بلائه وشقائه (قال رب بما أغويتني) أضللتني وقيل خيبتني من رحمتك (لأزيتن لهم في الأرض) حب الدنيا ومعاصبك (ولأغويتهم) أي لأضلهم (أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين) المؤمنين الذين أخلصوا لك بالطاعة والتوحيد

ومن فتح اللام أى من أخلصته بتوحيدك فهديته واصطفيته (قال) الله تعالى (هذا صراط على مستقيم) قال الحسن معناه صراط إلى مستقيم قال مجاهد الحق يرجع إلى الله تعالى وعليه طريقه ولا يعوج عليه شئ وقال الأخفش يعنى على الدلالة على الصراط المستقيم قال الكسائى هذا على التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك على (٦٧) أى لا تقلت منى كما قال عز وجل «إن ذلك لمرصاده

فإن ترجح جانب الله تعالى كان من المخلصين الناجحين وإن ترجح الجانب الآخر كان من المالكين لأن المثل يقابله المثل فيبقى القدر الزائد وإلى أى الجانبين رجح أخذ به (قال) يعنى قال الله تبارك وتعالى (هذا صراط على مستقيم) قال الحسن معناه هذا صراط إلى مستقيم وقال مجاهد الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه لا يعرج إلى شئ وقال الأخفش معناه على الدلالة على الصراط المستقيم وقال الكسائى هذا على طرق التهديد والوعيد كما يقول الرجل لمن يخاصمه طريقك على أى لا تقلت منى وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقيل هذا عائد إلى الإخلاص والمعنى أن الإخلاص طريق على وإلى يؤدى إلى كرامتى ورضوانى (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) أى قوة وقدرته وذلك أن إبليس لما قال لأزوين لهم فى الأرض ولأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين أوهم بهذا الكلام أن له سلطانا على غير المخلصين فبين الله سبحانه وتعالى أنه ليس له سلطان على أحد من عبده سواء كان من المخلصين أو لم يكن من المخلصين قال أهل المعانى ليس لك عليهم سلطان على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان تلقبهم فى ذنب يضيق عنه عفوى وهؤلاء خاصته أى الذين هدامم واجتباهم من عباده (إلا من أتىك من العاوين) يعنى إلا من أتبع إبليس من العاوين فإن له عليهم سلطنة بسبب كونهم متقاربن له فى أمرهم به (وإن جهنم لم وعدهم أجمعين) يعنى موعده إبليس وأتباعه وأشياعه (ها) يعنى لجهنم (سبعة أبواب) يعنى سبع طبقات . قال علي بن أبي طالب تدرون كيف أبواب جهنم هكذا ووضع إحدى يديه على الأخرى أى سبعة أبواب بعضها فوق بعض . قال ابن جرير النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم جزء مقسوم) يعنى لكل دركة قوم يسكنونها والجزء بعض الشئ وجزأته جعلته أجزاء والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يجزئها أى سبع أجزاء فبدخل كل قسم منهم دركة من النار والسبب فيه أن مراتب الكفر مختلفة فذلك اختلقت مراتبهم فى النار . قال الضحاك فى الدركة الأولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفى الثانية النصارى وفى الثالثة اليهود وفى الرابعة الصابئون وفى الخامسة الجوس وفى السادسة أهل الشرك وفى السابعة المنافقون فذلك قوله سبحانه وتعالى «إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار» عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمى أو قال على أمة محمد صلى الله عليه وسلم» أخرجه الترمذى وقال حديث غريب قوله سبحانه وتعالى (إن المتقين فى جنات وعيون) المراد بالمتقين الذين اتقوا الشرك فى قول جمهور المفسرين وقيل هم الذين اتقوا الشرك والمعصى والجنات والبساتين والعيون والأنهار الجارية فى الجنات وقيل يحتمل أن تكون هذه العيون غير الأنهار النكبار التى فى الجنة وعلى هذا فهل يختص كل واحد من أهل الجنة بعون

وقيل معناه على استقامته بالبيان والبرهان والتوفيق والهداية وقرأ ابن سيرين وقتادة ويعقوب على من العلو أى رفيع وعبر بعضهم عن رفيع أن يقال مستقيم أن يقال (إن عبادى ليس لك عليهم سلطان) أى قوة قال أهل المعانى يعنى على قلوبهم وسئل سفيان بن عيينة عن هذه الآية فقال معناه ليس لك عليهم سلطان تلقبهم فى ذنب يضيق عنه عفوى وهؤلاء نية الله الذين هدامم واجتباهم إلا من أتىك من العاوين وإن جهنم لم وعدهم أجمعين) يعنى موعده إبليس ومن تبعه (ها سبعة أبواب) أى سبع أبواب بعضها فوق بعض وإن الله وضع الجنان على العرض ووضع النيران بعضها فوق بعض من ابن جرير النار سبع دركات أولها جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية (لكل باب منهم جزء مقسوم) أى لكل دركة قوم يسكنونها وقال الضحاك فى الدركة الأولى أهل التوحيد الذين أدخلوا النار يعذبون فيها بقدر ذنوبهم ثم يخرجون منها وفى الثانية النصارى وفى الثالثة اليهود وفى الرابعة الصابئون وفى الخامسة الجوس وفى السادسة أهل الشرك وفى السابعة المنافقون فذلك قوله تعالى «إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار» وروى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل السيف على أمى أو قال على أمة محمد» قوله تعالى (إن المتقين فى جنات وعيون)

أى فى بساتين وأنهار (ادخلوها) أى يقال لهم ادخلوا الجنة (سلام) أى بسلامة (آمنين) من الموت والخروج والآفات (وزعنا)
أخرجنا (مافى صدورهم من غل) هو الشحناء والعداوة والحقد والحسد (إخوانا) نصب على الحال (على سرر) جمع سرر
(مقابلين) يقابل بعضهم بعضاً (٣٨) لا ينظر أحد منهم إلى قفا صاحبه وفى بعض الأخبار أن المؤمن فى الجنة إذا

ود أن يلتقى أخاه المؤمن
سار سزير كل واحد
منهما إلى صاحبه فليتقيان
ويتحدثان (لا يمسهم)
لا يصيبهم (فيها نصب)
أى تعب (وما هم منها
مخرجين) هذه أنص
آية فى القرآن على الخلود
قوله تعالى (نبي عبادى
أنى أنا الغفور الرحيم) قال
ابن عباس يعنى لمن تاب
منهم ووى « أن النبي
صلى الله عليه وسلم خرج
يوماً على نقر من أصحابه
وهم يضحكون فقال
أضحكون وبين أيديكم
النار فنزل جبريل بهذه
الآية وقال يقول لك ربك
يا محمد لم تقتطع عبادى
من رحمتى (وأن عذابي
هو العذاب الأليم) قال
تتادة بأفنا أن نبي الله
صلى الله عليه وسلم قال
« لو يعلم العبد قدر حق
الله لما تورع عن حرام
ولو يعلم قدر عذابه لبيع
نفسه وأخبرنا عبد الواحد
المليحي أنا أحمد بن
عبد الله النخعي أنا محمد
ابن يوسف ثنا عبيدة بن
سعيد ثنا يعقوب بن

أو تجرى هذه العيون من بعضهم إلى بعض وكلا الأمرين محتمل فيحتمل أن كل واحد من أهل
الجنة يختص بعيون تجرى فى جناته وقصوره ودوره فينتفع بها هو ومن يختص به من حوره
وولدانه ومحتمل أنها تجرى من جنات بعضهم إلى جنات بعض لأنهم قد طهروا من الحسد والحقد
(ادخلوها) أى يقال لهم ادخلوها والقائل هو الله تعالى أو بعض ملائكته (بسلام آمنين) يعنى
ادخلوا الجنة مع السلامة والأمن من الموت ومن جميع الآفات (وزعنا مافى صدورهم من غل)
الغل الحقد الكامن فى القلب ويطلق على الشحناء والعداوة والبغضاء والحقد وكل هذه
الخصال المذمومة داخلة فى الغل لأنها كامنة فى القلب يروى أن المؤمنين يجلسون على باب الجنة
فيقتص بعضهم من بعض ثم يؤمر بهم إلى الجنة وقد نقيت قلوبهم من الغل والغش والحقد
والحسد (إخوانا) يعنى فى المحبة والمودة والمخالطة وأيس المراد منه إخوة النسب (على سرر)
جمع سرر قال بعض أهل المعانى السرير مجلس رفيع عال مهيباً للسرور وهو مأخوذ منه لأنه
مجلس سرور وقال ابن عباس على سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير
مثل صنعاء إلى الجيبة (مقابلين) يعنى يقابل بعضهم بعضاً لا ينظر أحد منهم فى قفا صاحبه وفى
بعض الأخبار أن المؤمن فى الجنة إذا أراد أن يلتقى أخاه المؤمن سار سرير كل واحد منهما
إلى صاحبه فيلتقيان ويتحدثان (لا يمسهم فيها) يعنى فى الجنة (نصب) أى تعب ولا إعياء (وما هم
منها) يعنى من الجنة (مخرجين) هذا نص من الله فى كتابه على خلود أهل الجنة فى الجنة والمراد
منه خلود بلا زوال وقاء بلا فناء وكمال بلا نقصان وفوز بلا حرمان . قوله سبحانه وتعالى
(نبي عبادى أنى أنا الغفور الرحيم) قال ابن عباس يعنى لمن تاب منهم وروى « أن النبي صلى الله
عليه وسلم خرج على أصحابه وهم يضحكون فقال أضحكون وبين أيديكم النار فنزل جبريل
بهذه الآية وقال يقول لك ربك يا محمد تم تقتطع عبادى وذكره البيهقي بغير سند (وأن عذابي
هو العذاب الأليم) قال قتادة بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « لو يعلم العبد قدر عتق الله
لما تورع عن حرام ولو يعلم العبد قدر عذابه لبيع نفسه» يعنى لقتل نفسه (خ) عن أبي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله سبحانه وتعالى خلق خلقاً يوم خلقها
مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأدخل فى خلقه كلهم رحمة واحدة ، فلو يعلم
الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم يئأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله
من العذاب لم يأمن من النار» وفى الآية لطائف منها أنه سبحانه وتعالى أضاف العباد إلى نفسه
بقوله نبي عبادى وهذا تشرىف وتعظيم لهم ألا ترى أنه لما أراد أن يبشرنا بمحمدنا صلى الله عليه
وسلم ليلة المعراج لم يزد على قوله « سبحانه الذى أسرى بعبده ليلاً» فكل من اعترف على نفسه
بالعبودية لله تعالى فهو داخل فى هذا التشرىف العظيم ومنها أنه سبحانه وتعالى لما ذكر الرحمة
والمغفرة بالغ فى التأكيد بالفاظ ثلاثة أولها قوله أنى وثانيها أنا وثالثها إدخال الألف واللام فى
الغفور الرحيم وهذا يدل على تغليب جانب الرحمة والمغفرة . ولما ذكر العذاب لم يقل إنى أنا

عبد الرحمن عن عمرو بن أبي عمرو عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول « إن الله خلق الرحمة يوم خلقها مائة رحمة فأمسك عنده تسعا وتسعين رحمة وأرسل فى خلقه كلهم
رحمة واحدة فلو يعلم الكافر بكل الذى عند الله من الرحمة لم يئأس من الجنة ولو يعلم المؤمن بكل الذى عند الله من العذاب

المعذب

لم يأمن من النار، قوله تعالى (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) أي عن الضيافة والضيف اسم يقع على الواحد والاثني والجمع والمذكر
والمؤنث وهم الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى ليبروا إبراهيم بالولد وبهلكوا قوم لوط (إذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال)
إبراهيم (إنا منكم وجاءون) خائفون لأنهم لم يأكلوا طعامه (قالوا لا توجل) (٣٩) لا تخف (إنا نبشرك) قرأ حمزة

وحده نبشرك بفتح
النون وإسكان الباء
وضم الشين وتخفيفها
وقرأ الباقون نبشرك بضم
النون وفتح الباء
وكس الشين وتشديد بها
(بغلام علم) أي غلام
في صغره علم في كبره
يعني إسحاق فتعجب
إبراهيم عليه السلام من
كبره وكبر امرأته (قال
أبشركموني) أي بالولد
(على أن مسني الكبر)
أي على حال الكبر
قاله على طريق التعجب
(فم تبشرون) فبأي
شي تبشرون قرأ نافع
بكسر النون وتخفيفها
أي تبشرون وقرأ ابن
كثير بكسرها وتشديد
النون أي تبشروني
أدغمت نون الجمع في
نون الاضافة وقرأ
الآخرون بفتح النون
وتخفيفها (قالوا بشرا لا
بإتي) أي بالصدق
(فلا تكن من القانطين
قال ومن يفتظ) قرأ أبو
عمرو والكسائي ويعقوب

المعذب وما وصف نفسه بذلك بل قال وأن عذابي هو العذاب الأليم على سبيل الإخبار ومنها
أنه سبحانه وتعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يبلغ عباده هذا المعنى فكأنه أشهد رسوله
على نفسه في التزام المغفرة والرحمة. قوله سبحانه وتعالى (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) هذا
معطوف على ما قبله أي وأخبر يا محمد عبادي عن ضيف إبراهيم. وأصل الضيف الميل بالذئب
إلى كذا إذا ملت إليه والضيف من مال إليك نزولاً وبك وصارت الضيافة متعارفة في القرى وأصل
الضيف مصدر ولذلك استوى فيه الواحد والجمع في عامة كلامهم وقد يجمع فيقال أضياف
وضيوف وضيغان وضيف إبراهيم هم الملائكة الذين أرسلهم الله سبحانه وتعالى ليبروا إبراهيم
بالولد وبهلكوا قوم لوط (إذ دخلوا عليه) يعني إذ دخل الأضياف على إبراهيم عليه السلام
(فقالوا سلاما) أي نسلم سلاما (قال) يعني إبراهيم (إنا منكم وجاءون) أي خائفون وإنما خاف إبراهيم
منهم لأنهم لم يأكلوا طعامه (قالوا لا توجل) يعني لا تخف (إنا نبشرك بغلام علم) يعني أنهم
بشروه بولد ذكر غلام في صغره علم في كبره وقيل علم بالأحكام والشرائع والمراد به إسحاق
عليه السلام فلما بشروه بالولد عجب إبراهيم من كبره وكبر امرأته (قال أبشركموني) يعني
بالولد (على أن مسني الكبر) يعني على حالة الكبر قاله على طريق التعجب (فم تبشرون) يعني
فبأي شيء تبشرون وهو استفهام بمعنى التعجب كأنه عجب من حصول الولد على الكبر (قالوا
بشركنا بالحق) يعني بالصدق الذي قضاه الله بأن يخرج منك ولدا ذكرا، تكبر ذريته وهو
إسحاق (فلا تكن من القانطين) يعني فلا تكن من الآيسين من الخير والقنوط هو الإياس من
الخير (قال) يعني إبراهيم (ومن يفتظ من رحمة ربه إلا الضالون) يعني من يياس من رحمة
ربه إلا الضالون وفيه دليل على أن إبراهيم عليه السلام لم يكن من القانطين ولكنه استبعد
حصول الولد على الكبر فظنت الملائكة أن به قنوطا فنفى ذلك عن نفسه وأخبر أن القانط
من رحمة الله تعالى من الضالين لأن القنوط من رحمة الله كبيرة كالأمن من مكر الله ولا يحصل
إلا عند من يجهل كون الله تعالى قادرا على ما يريد ومن يجهل كونه سبحانه وتعالى عالما
بجميع المعلومات فكل هذه الأمور سبب للضلالة (قال) يعني إبراهيم (فأخطبكم) يعني فإشأنكم
وما الأمر الذي جئتم فيه (أيها المرسلون) والمعنى ما الأمر الذي جئتم به سوى ما بشركموني
به من الولد (قالوا) يعني الملائكة (إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعني لهلكوا قوم مجرمين (إلا آل
لوط) يعني أشباعه وأتباعه من أهل دينه (إنا لمنجوهم أجمعين إلا امرأته) يعني امرأة لوط
(فدرنا) يعني قضينا وإنما أسند الملائكة القدر إلى أنفسهم وإن كان ذلك لله عز وجل
لاختصاصهم بالله وقربهم منه كما تقول خاصة الملك نحن أمرنا ونحن فعلنا وإن كان قد فعلوه
بأمر الملك (إنها لمن الغابرين) يعني لمن الباقين في العذاب والاستثناء من النفي إثبات ومن الإثبات

بكسر النون والآخرون بفتحها وهما الغتان فقط يقنط ويقنط أي من يياس (من رحمة ربه إلا الضالون) أي الضالسون
والقنوط من رحمة الله كبيرة كالأمن من مكره (قال) إبراهيم لهم (أخطبكم) ما شأنكم (أيها المرسلون) قالوا إنا أرسلنا إلى قوم
مجرمين (مشركين) (إلا آل لوط) أتباعه وأهل دينه (إنا لمنجوهم أجمعين) خفف الجيم حمزة والكسائي وشده الباقون (إلا
امرأته) أي امرأة لوط (فدرنا) قضينا (إنها لمن الغابرين) الباقين في العذاب والاستثناء من النفي إثبات ومن الإثبات نفي

فاستثنى امرأة لوط من التاجين فكانت ملحقة بالخالكين قرأ أبو بكر قدرنا هاهنا وفي سورة التمل بتخفيف الدال والباءون
يتشددها (فلما جاء آل لوط المرسلون قال) لوط لم (إنكم قوم منكرون) أى أنا لا أعرفكم (قالوا بل جئناك بما كانوا
به يمترون) أى يشكون فى أنه نازل (٧٠) بهم وهو العذاب لأنه كان يوعدهم بالعذاب ولا يصدقونه (وأتيناك بالحق)

باليقين وقيل بالعذاب
(وإنما لصادقون فأسر
بأهلك بقطع من الليل واتبع
أدبارهم) أى خلفهم
(ولا يلتفت منكم أحد)
حتى لا يرتاعوا من
العذاب إذا نزل بقومهم
وقيل جعل الله ذلك
علامة لمن ينجو من آل
لوط (وامضوا حيث
تؤمرون) قال ابن عباس
يعنى الشام وقال مقاتل
يعنى زغر وقيل الأردن
(وقضينا إليه ذلك الأمر)
أى وقضينا إلى آل لوط
ذلك الأمر أى أحكنا
الأمر الذى أمرنا فى قوم
لوط وأخبرناه (أن دابر
هؤلاء) يدل عليه قراءة
بدا الله وقتاله إن دابر هؤلاء
يعنى أصلهم (مقطوع)
مستأصل (مصبحون)
إذا دخلوا فى الصباح
(وجاء أهل المدينة) يعنى
مدوم (يستبشرون)
بأضياف لوط أى يبشرون
بعضهم بعضا طمعا
ركوب الفاحشة منهم
(قال) لوط لقومه (إن

تفى فاستثناء امرأة لوط من التاجين يلحقها بالخالكين (فلما جاء آل لوط المرسلون) وذلك
أن الملائكة عليهم السلام لما بشروا إبراهيم بالولد وعرفوه بما أرسلوا به ساروا إلى لوط وقومه
فلما دخلوا على لوط (قال إنكم قوم منكرون) وإنما قال هذه الملائكة لوط لأنهم دخلوا عليه
وهم فى زى شبان مردان حسان الوجوه فخاف أن يهجم عليهم قومه فهذا السبب قال هذه
المقالة وقيل إن السكره ضد المعرفة فقوله إنكم قوم منكرون يعنى لأعرفكم ولا أعرف من
أى الأقوام أنتم ولا لأى غرض دخلتم على فعند ذلك (قالوا) يعنى الملائكة (بل جئناك بما كانوا
فيه يمترون) يعنى جئناك بالعذاب الذى كانوا يشكون فيه (وأتيناك بالحق) يعنى باليقين الذى
لا شك فيه (وإنما لصادقون) يعنى فيما أخبرناك به من إهلاكهم (فأسر بأهلك) بقطع من الليل
يعنى آخر الليل والقطع القطعة من الشيء وبعض (واتبع أدبارهم) يعنى واتبع آثار أهلك وسر
خلفهم (ولا يلتفت منكم أحد) يعنى حتى لا يرى ما نزل بتومه من العذاب فبرئاع بذلك ، وقيل المراد
الإسراع فى السير وترك الالتفات إلى ورائه والاهتمام بما خافه كما تقول امض لشأنك ولا تعرج
على شىء وقيل جعل ترك الالتفات علامة لمن ينجو من آل لوط وكلا يتخلف أحد منهم فيقاله
العذاب (وامضوا حيث تؤمرون) قال ابن عباس يعنى إلى الشام وقيل الأردن ، وقيل إلى حيث
بأمركم جبريل وذلك أن جبريل أمرهم أن يسبروا إلى قرية معينة ، ما عمل أهلها عمل قوم لوط
(وقضينا إليه ذلك الأمر) يعنى وأوحينا إلى لوط ذلك الأمر الذى أحكنا به على قومه وفرغنا منه
ثم لأنه سبحانه وتعالى فسر ذلك الأمر الذى قضاه بقوله (أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) يعنى
أن هؤلاء القوم يستأصلون عن آخرهم ، والعذاب وقت الصبح وإنما بهم الأمر الذى قضاه عليهم
أولا وفسر ثانياً تفخيا له وتعظيما لشأنه (وجاء أهل المدينة) يعنى مدينة سدوم وهى مدينة قوم لوط
(يستبشرون) يعنى يبشرون بعضهم بعضا بأضياف لوط والاستبشار إظهار القرح والسرور وذلك
أن الملائكة لما نزلوا على لوط ظهر أمرهم فى المدينة وقيل إن أمرته أخبرتهم بذلك وكانوا شبانا
مردا فى غاية الحسن ونهاية الجمال فجاء قوم لوط إلى داره طمعا منهم فى ركوب الفاحشة (قال)
يعنى قال لوط لقومه (إن هؤلاء ضيبي) وحق على الرجل لإكرام ضيفه (فلا تفضحون) يعنى فيهم
يقال فضحه بفضحه إذا ظهر من أمره ما يلزمه العار بسببه (واتقوا الله) يعنى خافوا الله فى أمرهم
(ولا تحزون) يعنى ولا تحجلون (قالوا) يعنى قوم لوط الذين جاءوا إليه (أو لم تنهك عن العالمين)
يعنى أو لم تنهك عن أن تضيف أحدا من العالمين وقيل معناه أو لم تنهك أن تدخل الغريباء إلى بيتك
فأنا نريد أن نركب منهم الفاحشة وقيل معناه ألسنا قد نهبناك أن تكلمنا فى أحد من العالمين إذا
قصدها بالفاحشة (قال) يعنى قال لوط لقومه الذين قصدوا أضيافه (هؤلاء بناتى) أزواجكم إياهن
إن أسلمتم فأنوا الحلال ودعوا الحرام وقيل أراد بالبنات نساء قومه لأن النبي كالوالد لأمته (إن
كنتم فاعلين) يعنى ما أمركم به (لعمرك) الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس معناه

وحياتك

هؤلاء ضيبي) وحق على الرجل لإكرام ضيفه (فلا تفضحون) فيهم (واتقوا

الله ولا تحزون) ولا تحجلون (قالوا أو لم تنهك عن العالمين) أى لم تنهك عن أن تضيف أحدا من العالمين وقيل لم تنهك أن
تدخل الغريباء بالمدينة فأننا نركب منهم الفاحشة (قال هؤلاء بناتى) أزواجهم إياكم إن أسلمتم فأنوا الحلال ودعوا الحرام (إن كنتم
فاعلين) ما أمركم به وقيل أراد بالبنات نساء قومه لأن النبي كالوالد لأمته قال الله تعالى (لعمرك) يا محمد أى وحياتك

(لهم لئى سكرتهم) حيرتهم وضلالهم (يعمهون) يرددون وقال قتادة يلعبون روى عن أبى الجوزاء عن ابن عباس أنه قال ما خلق الله نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما أقسم الله تعالى (٧١) بحياة أحد إلا بحياته (فأخذتهم

الصيحة مشرقين)

أى حين أضاءت

الشمس فكان ابتداء

العذاب حين أصبحوا

ولتمامه حين أشرقوا

(فجعلنا عاليها سافلها

وأمطرنا عليهم حجارة

من سجيل إن فى ذلك

آيات للمتوسمين) قال

ابن عباس للناظرين

وقال مجاهد للمتوسمين

وقال قتادة للمتوسمين

وقال مقاتل للمتوسمين

(ولها) يعنى قرى قوم

لوط (لسبيل مقيم) يعنى

بطريق واضح . وقال

مجاهد بطريق معلم ليس

بخفى ولا زائلا (إن فى ذلك

آية للمؤمنين وإن كان)

وقد كان (أصحاب

الأيكة) الغيضة (لظالمين)

لكافرين واللام للتأكيد

وهم قوم شعيب عليه

السلام كانوا أصحاب

غيان وشجر ملتفت

وكانت عامة شجرهم

الدوم وهو المقل (فاتقننا

منهم) بالعذاب وذلك

أن الله سلط عليهم الحر

سبعة أيام ثم بعث الله

نوحا فالنجوا إليها تسون

الروح فبعث عليهم

منها نارا فأحرقتم فذلك

وحياتك يا محمد وقال ما خلق الله نفسا أكرم عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما أقسم بحياة أحد إلا بحياته والعمر والعمر واحد وهو اسم لمدة عمارة بدن الإنسان بالحياة والروح وبقائه مدة حياته قال النحويون ارتفع لعمرك بالابتداء والخير محذوف والمعنى لعمرك قسمي فحذفت الخبر لأن فى الكلام دلالة عليه (لهم لئى سكرتهم) يعنى فى حيرتهم وضلالهم وقيل غفلتهم (يعمهون) يعنى يرددون متحيرين وقال قتادة يلعبون (فأخذتهم الصيحة مشرقين) يعنى حين أضاءت الشمس فكان ابتداء العذاب الذى نزل بهم وقت الصبح وتمامه وانتهاه حين أشرفت الشمس (فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل) تقدم تفسيره فى سورة هود (إن فى ذلك) يعنى الذى نزل بهم من العذاب (آيات للمتوسمين) قال ابن عباس للناظرين وقال قتادة للمتوسمين والمعبرين وقال مقاتل للمتوسمين وقال مجاهد للمتوسمين وبعضه هذا التأويل ماروى عن أبى سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال واثقوا قراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله ثم قرأ إن فى ذلك آيات للمتوسمين وأخرجه الترمذى وقال حديث غريب. القراسة بالكسر اسم من قولك تفرست فى فلان الخير وهى على نوعين أحدهما ما دل عليه ظاهر الحديث ، وهو ما يوقعه الله فى قلوب أوليائه فيعلمون بذلك أحوال الناس بنوع من الكرامات وإصابة الخلدس والنظر والظن والتثبت ، والنوع الثانى ما يحصل بدلائل التجارب والخلق والأخلاق تعرف بذلك أحوال الناس أيضا وللناس فى علم القراسة تصانيف قديمة وحديثة قال الزجاج حقيقة المتوسمين فى اللغة المثبتين فى نظرهم حتى يعرفوا سمة الشيء وصفته وعلامته فى المتوسم الناظر فى سمة الدلائل تقول توسمت فى فلان كذا أى عرفت ومم ذلك وممته (ولها) يعنى قرى قوم لوط (لسبيل مقيم) يعنى بطريق واضح قال مجاهد بطريق معلم ليس بخفى ولا زائلا والمعنى أن آثار ما أنزل الله بهذه القرى من عذابه وغضبه لسبيل مقيم ثابت لم يدثر ولم يخف والذين يمرون عليها من الحجاز إلى الشام يشاهدون ذلك ويرون أثره (إن فى ذلك) يعنى الذى ذكر من عذاب قوم لوط وما أنزل بهم (آية للمؤمنين) يعنى المصدقين بما أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم (وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين) يعنى كان أصحاب الأيكة وهى الغيضة واللام فى قوله لظالمين للتأكيد وهم قوم شعيب عليه السلام كانوا أصحاب غياض وشجر ملتفت وكان عامة شجرهم المقل وكانوا قوما كافرين فبعث الله عز وجل إليهم شعيبا رسولا فكذبوه فأهلكهم الله فهو قوله تعالى (فاتقننا منهم) يعنى بالعذاب وذلك أن الله سبحانه وتعالى سلط عليهم الحر سبعة أيام حتى أخذوا بنفوسهم وقربوا من اذلاك فبعث الله سبحانه وتعالى نوحا فالتجوا إليها واجتمعوا تحتها يلبسون الروح فبعث الله عليهم نارا فأحرقهم جميعا (ولها) يعنى مدينة قوم لوط ومدينة أصحاب الأيكة (ليامام ميين) يعنى طريق واضح مستبين لمن مر بهما وقيل الضمير راجع إلى الأيكة ومدين لأن شعيبا كان مبعوثا إليها وإنما سمي الطريق إماما لأنه يؤم ويتبع ولأن المسافر يأتى به حتى يصير إلى الموضع الذى يريد . قوله عز وجل (ولقد كذب أصحاب الحجر المرسلين) قال المفسرون الحجر اسم واد كان يسكنه ثمود وهو معروف بين المدينة النبوية والشام وآثاره موجودة باقية يمر عليها ركب الشام إلى الحجاز وأهل الحجاز إلى الشام وأراد المرسلين صالحا قوله تعالى (فأخذهم عذاب يوم الظلة) (ولها) يعنى مدينة قوم لوط وأصحاب الأيكة (ليامام ميين) بطريق واضح مستبين قوله تعالى (ولقد كذب أصحاب الحجر) وهى مدينة ثمود قوم صالح وهى بين المدينة والشام (المرسلين) أراد صالحا وحده وإنما ذكر

بلفظ الجمع لأن من كذب رسولا فقد كذب الرسل كلهم (وآياتنا) يعني الناقة وولدها والبئر والآية في الناقة خر وجهان من الصخرة وكبرها وقرب ولادها وغزارة لبنها (فكانوا عندها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) من الخراب ووقوع الجبل عليهم (فأخذتهم الصيحة) يعني صيحة العذاب (مصبحين) أي داخلين في وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) من الشرك والأعمال الخبيثة. أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي ثنا عبد الله بن محمود أنبأنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن معمر بن الزهري أنا سالم بن عبد الله عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه لما مر بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكين أن (٧٢) يصيبكم مثل ما أصابهم قال وتمتع بردائه وهو علي الرحل وقال عبد الرازق

عن معمر ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى اجتاز الوادي، قوله تعالى (وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وإن الساعة) يعني القيامة (لآتية) يجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته (فاصفح الصفيح الجميل) فأعرض عنهم واعف عفوفا حسنا نسختها آية القتال (إن ربك هو الخلاق العليم) بخلفه قوله تعالى (ولقد آتيناك سبعا من المثاني) قال عمرو بن قاعة الكتاب وهو قول تنادة وعطاء والحسن وسعيد بن جبيرة. أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا آدم بن أبي زيد

وحده وإنما ذكره بلفظ الجمع للتعظيم أو لأنهم كذبوه وكذبوا من قبله من الرسل (وآياتنا) يعني الناقة وولدها والآيات التي كانت في الناقة خر وجهان من الصخرة وعظم جنتها وقرب ولادها وغزارة لبنها وإنما أضاف الآيات إليهم وإن كانت لصالح، لأنه مرسل إليهم بهذه الآيات (فكانوا عنها) يعني عن الآيات (معرضين) يعني تاركين لها غير ماثمتين إليها (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين) خوفًا من الخراب أو أن يقع عليهم الجبل أو السقف (فأخذتهم الصيحة) يعني العذاب (مصبحين) يعني وقت الصبح (فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون) يعني من الشرك والأعمال الخبيثة (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ولما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر قال لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم أن يصيبكم ما أصابهم إلا أن تكونوا باكين ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى جاوز الوادي، قوله سبحانه وتعالى (وما خلقتنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) يعني لإظهار الحق والعذاب وهو أن يثاب المؤمن المصدق ويعاقب الجاحد الكافر الكاذب (وإن الساعة لآتية) يعني وإن القيامة لتأتي ليجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته (فاصفح الصفيح الجميل) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي فأعرض عنهم يا محمد واعف عنهم عفوفا حسنا واحتمل ما تلقي من أذى قومك وهذا الصفيح والإعراض مفسوخ بآية القتال وقيل فيه بعد لأن الله سبحانه وتعالى أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يظهر الخلق الحسن وأن يعاملهم بالعفو والصفح الخالي من الجزع والخوف (إن ربك هو الخلاق العليم) يعني أنه سبحانه وتعالى خلق خلقه وعلم ما هم فاعلوه وما يصلحهم. قوله عز وجل (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم) قال ابن الجوزي سبب نزولها أن سبع قوافل وافت من بصرى وأذرعات ليهود قريظة والنضير في يوم واحد، فيها أنواع من البر والطيب والجواهر فقال المسلمون لو كانت هذه الأموال لنا لتقويتنا بها وأنفقناها في سبيل الله فأنزل الله هذه الآية وقال قد أعطيتم سبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل وبدل على صحة هذا قوله لا تمدن عينيك الآية قال الحسن بن الفضل قلت وهذا القول ضعيف أو لا يصح لأن هذه السورة مكية باجماع أهل التفسير وليس فيها من المثاني شيء ويهود قريظة والنضير

ثنا سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أم القرآن هي السبع المثاني كانوا

(والقرآن العظيم) وعن ابن مسعود قال السبع المثاني هي فاتحة الكتاب والقرآن العظيم سائر القرآن واختلفوا في أن الفاتحة لم سميت مثاني فقال ابن عباس والحسن وقادة لأنها تنفي في الصلاة فتقرأ في كل ركعة وقيل لأنها مقسومة بين الله وبين العبد بنصفين فصفا ثناء ونصتها دعاء كما روينا عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يقول الله قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين، وقال الحسين بن الفضل سميت مثاني لأنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة كل مرة معها سبعون ألف ملك وقال مجاهد سميت مثاني لأن الله تعالى استثنىها وأدخرها لهذه الأمة فما أعطاها غيرهم وقال أبو زيد البلخي سميت مثاني لأنها تنفي أهل الشر عن الفسق من قول العرب ثبتت عنائي وقيل لأن أولها ثناء وقال سعيد بن جبيرة عن ابن عباس إن السبع المثاني هي السبع

الطوال أولها سورة البقرة وآخرها الأنفال مع التوبة وقال بعضهم سورة يونس بدل الأنفال أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي ثنا أبو محمد الحسن بن أحمد الخلدی (٧٣) أنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد

وعبد الله بن محمد بن مسلم قال أنبأنا هلال بن العلاء ثنا حجاج بن محمد عن أيوب بن عتبة عن يحيى بن كثير عن شداد بن عبد الله عن أبي أسماء الرحبي عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن الله تعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المثني مكان الإنجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفضل» وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال «أوتي النبي صلى الله عليه وسلم السبع الطوال وأعطي موسى سنا فلما أتى الألواح رفع ثنانياً وفي أربع» قال ابن عباس وإنما سميت السبع الطوال مثاني لأن الفرائض والحدود والأمثال والخبر والشعر والعبر والخبر نثيت فيها وقال طاوس القرآن كله مثاني قال الله تعالى «الله أنزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني» وسمى القرآن مثاني لأن الأنبياء

كانوا بالمدينة وكيف يصح أن يقال أن سبع قوافل جاءت في يوم واحد فيها أموال عظيمة حتى تمتاها المسلمون فأنزل الله هذه الآية وأخبرهم أن هذه السبع آيات هي خير من هذه السبع القوافل والله أعلم وفي المراد بالسبع المثاني أقوال أحدها أنها فاتحة الكتاب وهذا قول عمر وعلي وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية الأكثرين عنه وأبي هريرة والحسن وسعيد بن جبير وفي رواية عنه ومجاهد وعطاء وقتادة في آخرين ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحمد لله رب العالمين أم القرآن وأم الكتاب والسبع المثاني» أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي (ق) عن أبي سعيد بن المعلى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني» و«القرآن العظيم الذي أوتيته» أخرجه البخاري وفيه زيادة أما السبب في تسمية فاتحة الكتاب بالسبع المثاني فلأنها سبع آيات ياجمع أهل العلم واختلفوا في سبب تسميتها بالمثاني فقال ابن عباس والحسن وقتادة لأنها تنثني في الصلاة تقرأ في كل ركعة وقيل لأنها مقسومة بين العبد وبين الله نصفين فنصفها الأول ثناء على الله ونصفها الثاني دعاء ويدل على صحة هذا التأويل ما روى عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يقول الله تبارك وتعالى قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين» الحديث المذكور في فضل الفاتحة وقيل سميت مثاني لأن كلماتها مشابة لمثل قوله الرحمن الرحيم إياك نعبد وإياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين فكل هذه ألفاظ مشابة وقال الحسن بن الفضل لأنها نزلت مرتين مرة بمكة ومرة بالمدينة معها سبعون ألف ملك وقال مجاهد لأن الله سبحانه وتعالى امتثناها وادخرها لهذه الأمة فلم يعطها لغيرهم. وقال أبو زيد البلخي لأنها تنثني أهل الشر عن الشر من قول العرب تثبت عثاني وقال ابن الزجاج سميت فاتحة الكتاب مثاني لإشتمالها على الثناء على الله تعالى وهو حمد الله وتوحيده وملكه وإذا ثبت كون الفاتحة هي السبع المثاني دل ذلك على فضلها وشرفها وأنها من أفضل سور القرآن لأن أفرادها بالذكر في قوله تعالى ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم مع أنها جزء من أجزاء القرآن وإحدى سور لا بد وأن يكون لاختصاصها بالشرف والفضيلة القول الثاني في تفسير قوله سبعاً من المثاني أنها السبع الطوال وهذا قول ابن عمر وابن مسعود وفي رواية عنه وابن عباس وفي رواية عنه وسعيد بن جبير وفي رواية عنه السبع الطوال هي سورة البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف. واختلفوا في السابعة فقيل الأنفال مع براءة لأنها كالسورة الواحدة ولهذا لم يكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم وقيل السابعة هي سورة يونس ويدل على صحة هذا القول ما روى عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن الله سبحانه وتعالى أعطاني السبع الطوال مكان التوراة وأعطاني المثني مكان الإنجيل وأعطاني مكان الزبور المثاني وفضلني ربي بالمفضل» أخرجه البغوي بإسناد العجلي؛ قال ابن عباس وإنما سميت السبع الطوال مثاني لأن الفرائض والحدود والأمثال والخبر والهبر نثيت فيها وأورد على هذا القول أن هذه السور الطوال غالبها مندييات فكيف يمكن تفسير هذه الآية بها وهي مكية وأجيب عن هذا الإيراد بأن الله سبحانه وتعالى حكم في سابق علمه بأنزال هذه السورة على النبي صلى الله عليه

(١٠ - خازن بالبغوي - رابع) والقصاص نثيت فيه وعلى هذا القول المراد بالسبع سبعة أسباع القرآن فيكون تقديره على هذا وهي القرآن العظيم وقيل الواو مقحمة مجازة وتقد آتيناها سبها من المثاني والقرآن العظيم

قوله تعالى (لا تمدن عينيك) يا محمد (إلى ما تمنى به أزواجنا) أصنافا (منهم) أي من الكفار متمنيا لها فهي الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم عن الرغبة في الدنيا ومزاحمة أهلها عليها (ولا تحزن عليهم) أي لا تنغم على ما فاتك من مشاركتهم في الدنيا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد (٧٤) ابن عبد الله التميمي أن أبو جعفر أحمد بن محمد بن المقرئ ثنا عيسى

ابن نصر أنبأنا عبد الله بن المبارك أنا جهم بن أوس قال سمعت عبد الله بن أبي مرزوق ومعه عبد الله بن أبي مرزوق في موكبته فقال لابن أبي مرزوق إنني لأشتهي مجالستك وحديثك فلما مضى قال ابن مرزوق سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بهمة فالك لا تدري ما هو لاق بعد موته إن له عندنا قاتلا لا يموت فبلغ ذلك وهب ابن منبه فأرسل إليه وهب أبا داود الأعور فقال يا أبا فلان ما قاتلا لا يموت قال ابن أبي مرزوق النار أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفر السرخسي أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه ثنا أبو الحسن بن أبي إسحاق ثنا إبراهيم بن عبد الله الهيثمي أنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بتعمته فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته إن له عند الله قاتلا لا يموت قيل وما هو قال النار (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فليتنظر إلى من هو أسفل منه لفظ البخاري وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم قال عوف بن عبد الله بن عتبة كنت أصعب الأغنياء فما كان أحد أكثرهما مني كنت أرى دابة خيرا من دابتي وثوبا خيرا من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت القراء فاسترحت وقوله سبحانه وتعالى (وانخفض جناحك) يعني ابن جنانك (للمؤمنين) وارق بهم للمناهة الله سبحانه وتعالى عن الالتفات إلى الأغنياء من الكفار أمره بالتواضع واللين والرفق بقراء المسلمين

ابن نصر أنبأنا عبد الله بن المبارك أنا جهم بن أوس قال سمعت عبد الله بن أبي مرزوق ومعه عبد الله بن أبي مرزوق في موكبته فقال لابن أبي مرزوق إنني لأشتهي مجالستك وحديثك فلما مضى قال ابن مرزوق سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بهمة فالك لا تدري ما هو لاق بعد موته إن له عندنا قاتلا لا يموت فبلغ ذلك وهب ابن منبه فأرسل إليه وهب أبا داود الأعور فقال يا أبا فلان ما قاتلا لا يموت قال ابن أبي مرزوق النار أخبرنا أبو منصور محمد بن عبد الملك المظفر السرخسي أنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن الفضل الفقيه ثنا أبو الحسن بن أبي إسحاق ثنا إبراهيم بن عبد الله الهيثمي أنا وكيع عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تغبطن فاجرا بتعمته فانك لا تدري ما هو لاق بعد موته إن له عند الله قاتلا لا يموت قيل وما هو قال النار (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والخلق فليتنظر إلى من هو أسفل منه لفظ البخاري وسلم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم قال عوف بن عبد الله بن عتبة كنت أصعب الأغنياء فما كان أحد أكثرهما مني كنت أرى دابة خيرا من دابتي وثوبا خيرا من ثوبي فلما سمعت هذا الحديث صحبت القراء فاسترحت وقوله سبحانه وتعالى (وانخفض جناحك) يعني ابن جنانك (للمؤمنين) وارق بهم للمناهة الله سبحانه وتعالى عن الالتفات إلى الأغنياء من الكفار أمره بالتواضع واللين والرفق بقراء المسلمين

أن لا تزدروا نعمة الله عليكم وقيل هذه الآية متصلة بما قبلها ، وذلك أنه لما من الله تعالى عليهم بالقرآن ناه عن الرغبة في الدنيا روى أن سفيان بن عيينة تأول قول النبي صلى الله عليه وسلم وليس منا من لم يتغن بالقرآن أي من لم يستغن بالقرآن وتأويل هذه الآية قوله تعالى (وانخفض جناحك) يعني ابن جنانك (للمؤمنين) وارق بهم والجناحان وغيرهم

من ابن آدم جانباه (وقل لني أنا النذير المبين كما أنزلنا على المقتسمين) قال القراء مجازة أنزلتم عذابا كعذاب المقتسمين حتى
عن ابن عباس أنه قال هم اليهود والنصارى (الذين جعلوا القرآن عضين) جزوه فجعله أعضاء فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه
وقال مجاهد هم اليهود والنصارى قسموا كتابهم ففرقوه وبدلوه وقيل (٧٥) المقتسمون قوم اقتسموا القرآن فقال

بعضهم صحر وقال
بعضهم شعر وقال
بعضهم كذب وقال
بعضهم أساطير الأولين
وقيل الاقتسام هو أنهم
فرقوا القول في رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فقالوا ساحر كاهن شاعر
وقال مقاتل كانوا ستة
عشر رجلا بعثهم الوليد
ابن المغيرة أيام الموسم ،
فاقتسموا عقاب مكة
وطرقها وقعدوا على
نقائها فيقولون لمن جاء
من الحجاج لا تغتروا
بهذا الرجل الخارج الذي
يدعى النبوة منا وتقول
طائفة منهم إنه مجنون
وطائفة إنه كاهن وطائفة
إنه شاعر والوليد قاعد
على باب المسجد نصيبه
حكما فإذا سئل عنه قال
صدق أولئك يعني
المقتسمين وقوله عضين
قيل هو جمع عضو
مأخوذ من قولهم عضيت
الشيء تعصيته إذا فرقته
ومعناه أنهم جعلوا القرآن
أعضاء فقال بعضهم صحر
وقال بعضهم كهانة وقال
بعضهم أساطير الأولين
وقيل هو جمع عضة يقال
عضة وعضين مثل برة

وغيرهم من المؤمنين (وقل أي وقل لهم يا محمد (إني أنا النذير المبين) لما أمر الله تعالى رسوله
صلى الله عليه وسلم بالزهد في الدنيا والتواضع للمؤمنين أمره بتبليغ ما أرسل به إليهم والندارة
تبليغ مع تحوير والمعنى إني أنا النذير بالعقاب لمن عصاني المبين بين التثارة (كما أنزلنا على
المقتسمين) يعني أنزلتم عذابا كعذاب أنزلناه بالمقتسمين ، قال ابن عباس أراد بالمقتسمين
اليهود والنصارى وهو قول الحسن ومجاهد وقناة سموا بذلك لأنهم آمنوا ببعض القرآن وكفروا
ببعضه فما وافق كتبهم آمنوا به وما خالف كتبهم كفروا به وقال عكرمة أنهم اقتسموا سور
القرآن فقال واحد منهم هذه السورة لي وقال آخر هذه السورة لي وإنما فعلوا ذلك استهزاء به
وقال مجاهد إنهم اقتسموا كتبهم فآمنوا ببعضها وكفروا ببعضها وكثر آخرون منهم بما آمن
به غيرهم وقال قناة وابن السائب أراد بالمقتسمين كفار قريش سموا بذلك لأن أقوالهم تقسمت
في القرآن فقال بعضهم إنه صحر وزعم بعضهم أنه كهانة وزعم بعضهم إنه أساطير الأولين
وقال ابن السائب سموا بالمقتسمين لأنهم اقتسموا عقاب مكة وطرقها وذلك أن الوليد بن المغيرة
بعث رهطا من أهل مكة قيل ستة عشر وقيل أربعين فقال لهم انطلقوا فترقوا على عقاب مكة
وطرقها حيث يمر بكم أهل الموسم فاذا سألوكم عن محمد فليقل بعضكم أنه كاهن وليقل بعضكم
أنه شاعر وليقل بعضكم أنه ساحر فاذا جاءوا إلى صدقتكم فذهبوا وقعدوا على عقاب مكة
وطرقها يقولون لمن مر بهم من حجاج العرب لا تغتروا بهذا الخارج الذي يدعى النبوة منا
فانه مجنون كاهن وشاعر وقعد الوليد بن المغيرة على باب المسجد الحرام فاذا جاءوا وسألوه
عما قال أولئك المقتسمون قال صدقوا . وقوله سبحانه وتعالى (الذين جعلوا القرآن عضين)
(خ) عن ابن عباس في قوله تعالى الذين جعلوا القرآن عضين قال هم اليهود والنصارى جزوه
أجزاء آمنوا ببعض وكفروا ببعض ، قيل هو جمع عضة من قولهم عضيت الشيء إذا فرقته
وجعلته أجزاء وذلك لأنهم جعلوا القرآن أجزاء مفرقة فقال بعضهم هو صحر وقال بعضهم هو
كهانة وقال بعضهم هو أساطير الأولين وقيل هو جمع عضة وهو الكذب والبهتان وقيل
المراد به العضة وهو السحر يعني أنهم جعلوا القرآن سحرا (فوربك لنسألنهم أجمعين) أقسم الله
بنفسه أنه يسأل هؤلاء المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين (عما كانوا يعملون) يعني عما كانوا
يقولونه في القرآن وقيل عما كانوا يعملون من الكفر والمعاصي وقيل رجع الضمير في نسألنهم
إلى جميع الخلق المؤمن والكافر لأن اللفظ عام فتحمله على العموم أولى قال جماعة من أهل
العلم عن لاله لإلا الله عن أنس وعن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لنسألنهم أجمعين عما كانوا
يعملون قال من قول لاله إلا الله أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقال أبو العالية يسأل
العباد عن خلتين عما كانوا يعملون وماذا أجابوا المرسلين . فان قلت كيف الجمع بين قوله
لنسألنهم أجمعين وبين قوله فيومثلا لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان . قلت : قال ابن عباس
لا يسألهم هل عملتم لأنه أعلم به منهم ولكن يقول لم عملتم كذا واعتمده قطرب فقال السؤال

وبرين وعزة وعزين وأماها عضية ذهبهاؤها الأصلية كما تقصو من الشفة وأصها شففة ، بدليل أنك تقول في التصغير شففة
والمراد بالعضة الكذب والبهتان وقيل المراد بالعضين العضة ، وهو السحر يريد أنهم سموا القرآن سحرا (فوربك لنسألنهم
أجمعين) يوم القيامة (عما كانوا يعملون) في الدنيا قال محمد بن إسماعيل قال عدة من أهل العلم عن قول لاله إلا الله . فان قيل

كيف الجوع بين هذه الآية وبين قوله تعالى فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان قيل قال ابن عباس لا يسألهم هل علم الله
أعلم بهم منهم ولكن يقول لم علم كذا وكذا واعتمده قطرب فقال السؤال ضربان سؤال استعمال وسؤال توبيخ فتعالي
فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان يعني استعمالا وقوله لفسألهم أجمعين يعني توبيخا وتقريبا وقال عكرمة عن ابن عباس
في الآيتين أن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف مختلفة يسألون في بعض المواقف ولا يسألون في بعضها نظير ذلك قوله تعالى هذا
يوم لا ينطقون وقال في آية أخرى ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قوله تعالى (فاصدع بما تؤمر) قال ابن عباس أظهره
ويروي عنه أمضه وقال الضحاك (٧٦) أعلم وقال الأنخفش أفرق أي أفرق بالقرآن بين الحق والباطل وقال سيبويه

ضربان سؤال استعمال وسؤال توبيخ فتعالي فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان يعني
سؤال استعمال وقوله لفسألهم أجمعين سؤال توبيخ وتقريع وجواب آخر وهو حروى عن
ابن عباس أيضا أنه قال في الآيتين أن يوم القيامة يوم طويل فيه مواقف فيسألون في بعض
المواقف ولا يسألون في بعضها نظيره قوله سبحانه وتعالى هذا يوم لا ينطقون وقال تعالى في آية
أخرى ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون قوله سبحانه وتعالى (فاصدع بما تؤمر) قال ابن
عباس أظهره ويروي عنه أمضه وقال الضحاك أعلم وأصل الصدع الشق والفرق أي أفرق بالقرآن
بين الحق والباطل وأمر النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآية بإظهار الدعوة وتبليغ الرسالة إلى
من أرسل إليهم قال عبد الله بن عبيدة مازال النبي صلى الله عليه وسلم مستخنيا حتى نزلت
هذه الآية فخرج هو وأصحابه (وأعرض عن المشركين) أي أكف عنهم ولا تلتفت إلى لومهم
على إظهار دينك وتبليغ رسالة ربك وقيل أعرض عن الاهتمام باستهزائهم وهو قوله سبحانه
وتعالى (إنما كفتناك المستهزئين) أكثر المفسرين على أن هذا الإعراض منسوخ بآية القتال وقال
بعضهم ما للفسخ وجه لأن معنى الإعراض ترك المبالاة بهم والالتفات إليهم ، فلا يكون
منسوخا وقوله تعالى (إنما كفتناك المستهزئين) يقول الله عز وجل لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
فاصدع بما أمرك به ولا تخف أحدا غير الله ولا تخف أحدا غير
الله ولا تخف أحدا غير
الله عز وجل فإن الله
كافيتك من عاداك كما
كفناك المستهزئين وهم
خمس نفر من رؤساء
قريش الوابد بن المغيرة
الغزوي وكان رأسهم
والعاص بن وائل السهمي
والأسود بن عبدالمطلب
ابن الحارث بن أمية بن
عبد العزى بن زمة
وكان رسول الله صلى

أقص بما تؤمر وأصل
الصدع الفصل والفرق
أمر النبي صلى الله عليه
وسلم في هذه الآية بإظهار
الدعوة ويروي عن عبد الله
ابن عبيدة قال كان
مستخفيا حتى نزلت هذه
الآية فخرج هو وأصحابه
(وأعرض عن المشركين)
نسختها آية القتال (إنما
كفتناك المستهزئين) يقول
الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم فاصدع بأمر
الله ولا تخف أحدا غير
الله عز وجل فإن الله
كافيتك من عاداك كما
كفناك المستهزئين وهم
خمس نفر من رؤساء
قريش الوابد بن المغيرة
الغزوي وكان رأسهم
والعاص بن وائل السهمي
والأسود بن عبدالمطلب
ابن الحارث بن أمية بن
عبد العزى بن زمة
وكان رسول الله صلى

الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم اعم بصره
وأثكله بولده والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة
والحارث بن قيس بن الطلائع فأتى جبريل النبي
صلى الله عليه وسلم والمستهزئون يطوفون بالبيت فقام جبريل
فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله فقال قد كفتبه
وأوما إلى ساق الوابد فر رجل من خزاعة نبال بريش
نباله وعليه برد يمان وهو يجر إزاره فتعلقت شظية من النبل
بإزار الوابد فنعه

الكبر

الله عليه وسلم قد دعا عليه فقال اللهم اعم بصره
وأثكله بولده والأسود بن عبد يغوث بن وهب بن عبد مناف بن زهرة
والحارث بن قيس بن الطلائع فأتى جبريل النبي
صلى الله عليه وسلم والمستهزئون يطوفون بالبيت فقام جبريل
فقال جبريل يا محمد كيف تجد هذا فقال بئس عبد الله فقال قد كفتبه
وأوما إلى ساق الوابد فر رجل من خزاعة نبال بريش
نباله وعليه برد يمان وهو يجر إزاره فتعلقت شظية من النبل
بإزار الوابد فنعه

أخص رجليه وقال قد كفيته فخرج على راحلته ومعه إنان له يتزده فنزل شعبا من تلك الشعاب فوطئ على شبرقة فدخلت
منها شوكة في أخص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا شيئا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عتق البعير فأتته
مكانه ومر به الأسود بن المطلب فقال جبريل كيف تجد هذا قال عبد سوء فأشار بيده إلى عينيه وقال قد كفيته فعنى قال
ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فعنى فذهب ضوء بصره ورجعت عيناه فجعل يضرب برأسه الجدار حتى هلك
وفي رواية الكلبي أنه جبريل وهو قاعد في أصل شجرة ومعه غلام له (٧٧) فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب

وجهه بالشوك فاستغاث

بغلامه فقال غلامه

لا أرى أحدا يصنع بك

شيئا غير نفسك حتى

مات وهو يقول قتلتني

رب محمد ومر به الأسود

ابن عبيد يغوث فقال

جبريل كيف تجد هذا

يا محمد قال بش عبد الله

علي أنه ابن خالي فقال

قد كفيته، وأشار إلى بطنه

فاستسقى بطنه فأت

حيث وفي رواية الكلبي

أنه خرج من أهله فأصابه

السوم فأسود حتى عاد

حيثي فأفاني أهله فلم يعرفوه

وأغلقوا دونه الباب حتى

مات وهو يقول قتلتني

رب محمد ومر به

الحارث بن قيس فقال

جبريل كيف تجد هذا

يا محمد فقال عبد سوء

فأومأ إلى رأسه وقال قد

كفيته فانتحط قيحا

فقتله وقال ابن عباس

أنه أكل حوتا مالحا

فأصابه العطش فلم

الكبر أن يطأني رأسه فيزعاها وجعلت تضربه في ساقه فخذشه فمضت فمات ومر بهما العاص
ابن وائل السهقي فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بش عبد الله، فأشار جبريل إلى
أخص قدمه وقال قد كفيته فخرج العاص على راحلة يتزده ومعه ابنه فنزل شعبا من تلك
الشعاب فوطئ على شبرقة فدخل منها شوكة في أخص رجله فقال لدغت لدغت فطلبوا فلم يجدوا
شيئا وانتفخت رجله حتى صارت مثل عتق البعير فأتته مكانه ومر بهما الأسود بن المطلب
فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فأشار جبريل بيده إلى عينيه وقال قد كفيته
فعنى قال ابن عباس رماه جبريل بورقة خضراء فأذهب بصره ووجعت عينه فجعل يضرب
برأسه الجدار حتى هلك وفي رواية الكلبي قال أنه جبريل وهو قاعد في أصل شجرة ومعه
غلام له وفي رواية فجعل ينطح رأسه بالشجرة ويضرب وجهه بالشوك فاستغاث بغلامه فقال
له غلامه ما أرى أحدا يصنع بك شيئا غيرك فمات وهو يقول قتلتني محمد ومر بهما الأسود بن
عبيد يغوث فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال بش عبد الله علي أنه خالي فقال
قد كفيته وأشار إلى بطنه فاستسقى بطنه فأت وفي رواية الكلبي أنه خرج من أهله فأصابه سموم
فأسود وجهه حتى صار حبيثا فأفاني أهله فلم يعرفوه وأغلقوا دونه الباب فمات وهو يقول قتلتني
رب محمد ومر بهما الحارث بن قيس فقال جبريل كيف تجد هذا يا محمد فقال عبد سوء فأومأ
جبريل إلى رأسه وقال قد كفيته فانتحط قيحا فقتله وقال ابن عباس أنه أكل حوتا مالحا
فأصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انتحط بطنه فمات فذلك قوله تعالى إنا كفييناك المستهزئين
يعني بك وبالقرآن (الذين يجعلون مع الله إذا آخر فسوف يعلمون) يعني إذا نزل بهم العذاب
ففيه وعيد وتهديد. قوله سبحانه وتعالى (ولقد تعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) يعني بسبب
ما يقولون وهو ما كانوا يسمعون من الاستهزاء به واتمول الفاحش والجيلية البشرية تأتي ذلك
فيحصل عند سماع ذلك ضيق الصدر فعند ذلك أمره بالتسبيح والعبادة وهو قوله (فسبح
بحمد ربك) قال ابن عباس فصل بأمر ربك (وكن من الساجدين) يعني من المتواضعين لله
وقال الضحاك فسبح بحمد ربك قل سبحان الله وحمده وكن من الساجدين يعني من المصلين
روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة قل بعض العارفين من
المحققين أن السبب في زوال الحزن عن القلب إذا أتى العبد بهذه العبادات أنه يتصور باطنه ويشرق
قلبه وينفسح صدره فمذ ذلك يعرف قدر الدنيا وحفارتها فلا يلتفت إليها ولا يتأسف
على قوتها فيزول الهم والحزن عن قلبه وقال بعض العلماء إذا نزل بالعبد مكروه ففزع

يزل يشرب عليه من الماء حتى انتحط بطنه فمات فذلك قوله تعالى إنا كفييناك المستهزئين بك وبالقرآن (الذين يجعلون مع الله
إذا آخر فسوف يعلمون) وقبل استهزأهم واقتسامهم هو أن الله لما أنزل في القرآن سورة البقرة وسورة النحل وسورة النمل
وسورة العنكبوت كانوا يجتمعون ويقولون استهزاء يقول هذا في سورة البقرة ويقول هذا في سورة النحل ويقول هذا في
سورة العنكبوت فأنزل الله تعالى (ولقد تعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك) قال ابن عباس فصل بأمر
ربك (وكن من الساجدين) من المصلين المتواضعين وقال الضحاك فسبح بحمد ربك، قل سبحان الله وبحمده وكن من

الساجدين يعني من المصلين . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) أي الموت الموقن به وهذا معنى ما ذكر في سورة مريم وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا أخبرنا المطهر بن علي القارسي أنا محمد بن إبراهيم الصالحى أنا عبد الله محمد بن جعفر بن الشيخ الحافظ ثنا أمية بن محمد الصواف البصرى ثنا محمد بن يحيى الأزدي ثنا أبي رالميثم بن خارجة قال ثنا إسماعيل بن عياش عن شرحبيل بن مسلم عن أبي مسلم الخولاني عن جبير بن نفير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما أوحى الله إلى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إلى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» وروى عن عمر رضى الله عنه قال نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى مصعب (٧٨) بن عمر مقبلا وعليه إهاب كدش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه

وسلم انظروا إلى هذا الذي قد نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذيانه بأطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها أو شربت له بمائتي درهم فدعاه حب الله ورسوله إلى ما رونه والله أعلم .

(سورة النحل)
مكية مائتان وثمان وعشرون آية إلا قوله تعالى وإن

عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به إلى آخر السورة .
(بسم الله الرحمن الرحيم)
(أنى) أى جاء ودنا وقرب (أمر الله) قال بن عرفة تقول العرب أتاك الأمر وهو متوقع بعد أى أنى أمر الله وعده (فلا تستعجلوه) وقوعا أمر الله قال

إلى الصلاة فكانه يقول : يا رب إنما يجب على عبادتك سواه أعطيتنى ما أحب أو كفيئتني ما أكره فأنا عبدك وبين يديك فافعل بي ما تشاء . قوله تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يعني الموت الموقن به الذى لا يشك فيه أحد والمعنى واعبد ربك فى جميع أوقاتك ومدة حياتك حتى يأتيك الموت وأنت فى عبادة ربك وهذا مثل قوله تعالى فى سورة مريم «وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا» روى البغوى بسنده عن جبير بن نفير قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما أوحى الله إلى أن أجمع المال وأكون من التاجرين ولكن أوحى إلى أن سبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» وعن عمر قال نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصعب بن عمر مقبلا وعليه إهاب كدش قد تنطق به فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا إلى هذا الذى نور الله قلبه لقد رأيته بين أبويه يغذيانه بأطيب الطعام والشراب ولقد رأيت عليه حلة شراها أو قال شربت له بمائتي درهم فدعاه حب الله ورسوله إلى ما رونه ذكره البغوى بغير سند والله أعلم بمراده وأسرار كتابه .

(تفسير سورة النحل)

مكية إلا قوله تعالى وإن عاقبتهم فاعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به إلى آخر السورة فإنها نزلت بالمدينة فى قتل حمزة قاله ابن عباس وفى رواية أخرى عنه أنها مكية غير ثلاث آيات . نزلت بالمدينة وهى قوله تعالى ولا تشكروا بمهد الله ثمنا قليلا إلى قوله يعلمون وقال قتادة هى مكية إلا خمس آيات وهى قوله والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا وقوله ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا وقوله تعالى وإن عاقبتهم إلى آخر السورة زاد مقاتل وقوله من كفر بالله من بعد إيمانه الآية وضرب الله مثلا قرية كادت آمنة مطمئنة الآية وقيل كان يقال لسورة النحل سورة النعم لكثرة تعداد النعم فيها وهى مائة وثمان وعشرون آية وألفان وثمانمائة وأربعون كلمة وسبعة آلاف وسبعمائة وسبعة أحرف .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله سبحانه وتعالى (أنى أمر الله) يعنى جاء ودنا وقرب أمر الله تقول العرب أتاك الأمر وهو متوقع الخبىء بعد ما أتى ومعنى الآية أنى أمر الله وعدنا (فلا تستعجلوه) يعنى وقوعا والمراد

الكلبى وغيره المراد منه القيامة . قال ابن عباس لما نزلت قوله تعالى اقربت الساعة قال به الكفار بعضهم لبعض إن هذا يزعم أن القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى تنظروا ما هو كأن فلما لم ينزل شيء قالوا ما نرى شيئا فنزل قوله اقرب للناس حسابهم فأشفقوا فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما تخوفنا به فأنزل الله تعالى أنى أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رءوسهم وظنوا أنها قد أتت حقيقة فنزلت فلا تستعجلوه فاطمأنوا والاستعجال طلب الشيء قبل حينه ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم «بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بأصبعه وإن كادت لتسبقنى» . قال ابن عباس كان بعث النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة ولما مر جبريل عليه السلام : أهل السموات مبعوثا إلى محمد صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالأمر

ها هنا عقوبة المكذبين والعذاب بالسيف وذلك أن النضر بن الحارث : قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر (٧٩) يوم بدر صبرا (سبحانه وتعالى عما

به يحى القيامة قال ابن عباس لما نزل قوله سبحانه وتعالى اقتربت الساعة وانشق القمر قال الكفار بعضهم لبعض إن هذا الرجل يزعم أن القيامة قد قريت المسكوا عن بعض ما كنتم تعملون حتى ننظر ما هو كائن فلما رأوا أنه لا ينزل شيء قالوا ما نرى شيئا فنزل قوله تعالى اقترب للناس حسابهم فأشفقوا فلما امتدت الأيام قالوا يا محمد ما نرى شيئا مما نخوفنا به فنزل أنى أمر الله فوثب النبي صلى الله عليه وسلم ورفع الناس روعهم وظنوا أنها قد أتت حقيقة فنزل فلا تستعجلوه فاطمأنوا والاستعجال طلب يحى الشيء قبل وقته ولما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين ويشير بأصبعه يمد يدهما أخرجهما في الصحيحين من حديث سهل بن سعد (ق) عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل إحداهما على الأخرى وضم السبابة إلى الوسطى وفي رواية بعثت في نفس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الأخرى قال ابن عباس كان بعث النبي صلى الله عليه وسلم من أشراط الساعة ولما مر جبريل بأهل السموات مبعوثا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قالوا الله أكبر قامت الساعة وقال قوم المراد بالأمر هنا عقوبة المكذبين وهو العذاب بالقتل بالسيف وذلك أن النضر ابن الحارث قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو اتنا بعذاب أليم فاستعجل العذاب فنزلت هذه الآية وقتل النضر يوم بدر صبرا (سبحانه وتعالى عما يشركون) يعنى تنزه الله وتعظيم بالأوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون . قوله سبحانه وتعالى (ينزل الملائكة بالروح) يعنى بالوحي (من أمره) وإنما سمي الأمر روحا لأنه نحا القلوب من موت الجهالات وقال عطاء بالنبوة وقال قتادة بالرحمة وقيل الروح هو جبريل والياء يعنى مع يعنى ينزل الملائكة مع الروح وهو جبريل (على من يشاء من عبادة) يعنى على من يصفطيه من عبادة للنبوة والرسالة وتبليغ الوحي إلى الخلق (أن أنذروا) يعنى بأن أعلموا (أنه لا إله إلا أنا فاتقون) أى فخافون وقيل معناه مروا بقول لا إله إلا الله متذرين معنى مخوفين بالقرآن (خلق السماوات الأرض بالحق تعالى عما يشركون) تقدم تفسيره (خلق الإنسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين) يعنى أنه جدل بالباطل بين الخصومة نزلت في أبي بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث فجاءه به عظم رميم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال تزعم أن الله يحيى هذا العظم بعد ما رم فنزلت فيه هذه الآية ونزل فيه أيضا قوله تعالى قال من يحيى العظام وهى رميم والصحيح أن الآية عامة في كل ما يقع من الخصومة في الدنيا ويوم القيامة وحملها على العموم أولى وفيها بيان القدرة وأن الله خلق الإنسان من نطفة فقدره فصار جبارا كثيرا لخصومة وفيها كشف قبيح ما فعله الكفار من جحدم نعم الله تعالى مع ظهورها عليهم . قوله عز وجل (والأنعام خلقها) لما ذكر الله سبحانه وتعالى أنه خلق السموات والأرض ثم أتبعه بذكر خلق الإنسان ذكر بعده ما ينفع به في سائر ضروراته ولما كان أعظم ضرورات الإنسان إلى الأكل واللباس للذين يقوم بهما بدن الإنسان بدأ بذكر الحيوان المنتفع به في ذلك وهو الأنعام فقال تعالى والأنعام خلقها وهى الإبل والبقر والغنم قال الواحدى تم الكلام عند قوله والأنعام خلقها ثم ابتدأ فقال تعالى (لكم فيها دفء) قال : ويجوز أيضا أن يكون تمام الكلام عند قوله لكم ما قد رم كما قال جل ذكره وضرب لنا مثلا ونسى خلقه نزلت فيه أيضا والصحيح أن الآية عامة ونبيها بيان القدرة وكشف قبيح ما فعلوه من جحود نعم الله مع ظهورها عليهم قوله تعالى (والأنعام خلقها) يعنى الإبل والبقر والغنم (لكم فيها دفء)

يشركون) معناه تعاطف بالأوصاف الحميدة عما يصفه به المشركون (ينزل الملائكة) قرأ العامة بضم الياء وكسر الزاى والملائكة نصب وقرأ يعقوب بالبناء وفتحها وفتح الزاى والملائكة رفع ينزل الملائكة (بالروح) بالوحي سماه روحا لأنه يحيى به القلوب والحق . قال عطاء بالنبوة وقال قتادة بالرحمة قال أبو عبيدة بالروح يعنى مع الروح وهو جبرائيل (من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا) أعلموا (أنه لا إله إلا أنا فاتقون) وقيل معناه مروهم بقول لا إله إلا الله متذرين مخوفين بالقرآن إن لم يقولوا وقوله فاتقون أى فخافون (خلق السماوات والأرض بالحق تعالى عما يشركون) أى ارتفع عما يشركون (خلق الإنسان من نطفة فاذا هو خصيم) جدل بالباطل (مبين) نزلت في أبي بن خلف الجمحي وكان ينكر البعث جاءه عظم رميم فقال أتقول إن الله تعالى يحيى هذا بعد

ما قد رم كما قال جل ذكره وضرب لنا مثلا ونسى خلقه نزلت فيه أيضا والصحيح أن الآية عامة ونبيها بيان القدرة وكشف قبيح ما فعلوه من جحود نعم الله مع ظهورها عليهم قوله تعالى (والأنعام خلقها) يعنى الإبل والبقر والغنم (لكم فيها دفء)

وغيرها (ومنها تأكلون) يعني لحومها (ولكم فيها جمال) زينة (حين تريحون) أي حين تردونها بالعشي من مراعيها إلى مباركها التي تأوى إليها (وحين تسرحون) أي تخرجونها بالغداة من مرايحها إلى مسارحها وقدم الرواح لأن المنافع تؤخذ منها بعد الرواح وماسكها يكون أعجب بها إذا راحت (وتحمل أنفالكم) أحمالكم (إلى بلد) آخر غير بلدكم قال عكرمة البلد مكة (لم تكونوا بالغربة إلا بشق الأنفس) أي بالمشقة والجهد والشق النصف أيضا أي لم تكونوا بالغية إلا بتقصان قوة النفس وذهاب نصفها، وقرأ أبو جعفر بشق بفتح الشين وهما لغتان مثل رطل ورطل (إن ربكم لرموف رحيم) بخلفه حيث جعل لكم هذه المنافع (والخيل) يعني وخلق الخيل وهي اسم جنس لا واحد له من لفظه كالإبل والنساء والسماء (والبغال والحمير لركبوها وزينة) يعني وجعلها زينة لكم مع

ثم ابتداء فقال تعالى فيها دفء قال صاحب النظم أحسن الوجهين أن يكون الوقف عند قوله خلقها ثم يبدأ بقوله لكم فيها دفء والدليل عليه أنه عطف عليه قوله ولكم فيها جمال والتقدير لكم فيها دفء ولكم فيها جمال. وما كانت منافع هذه الأنعام منها ضرورية ومنها غير ضرورية بدأ الله سبحانه وتعالى بذكر المنافع الضرورية فقال تعالى لكم فيها دفء وهو ما يستدقأ به من اللباس والأكسية ونحوها المتخذة من الأصوائت والأوبار والأشعار الحاصلة من النعم (ومنافع) يعني القسل والدر والركوب والحمل عليها وسائر ما ينفع به من الأنعام (ومنها تأكلون) يعني من لحومها. فإن قلت قوله تعالى ومنها تأكلون يفيد الحصر لأن تقديم الظرف مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها. قلت الأكل من هذه الأنعام هو الذي يعتمده الناس في معاشهم وأما الأكل من غيرها كالذجاج والبط والأوز وصيد البر والبحر فقير معتد به في الأغلب وأكله يجرى مجرى التفكه به فخرج ومنها تأكلون مخرج الأغلب في الأكل من هذه الأنعام. فإن قلت مضعة الأكل مقدمة على منفعة اللباس فلم أخرج منفعة الأكل وقدم منفعة اللباس. قلت منفعة اللباس أكثر وأعظم من منفعة الأكل فلهذا قدم على الأكل. وقوله سبحانه وتعالى (ولكم فيها) أي في الأنعام (جمال) أي زينة (حين تريحون وحين تسرحون) الإراحة رد الإبل بالعشي إلى مرايحها حيث تأوى إليه بالليل ويقال سرح القوم ليلهم تسريحا إذا أخرجوها بالغداة إلى المرعى قال أهل اللغة وأكثر ما تكون هذه الراحة أيام الربيع إذا سقط الغيث ونبت العشب والكلأ وخرجت العرب للنجعة وأحسن ما تكون الدوم في ذلك الوقت فن الله سبحانه وتعالى بالتجمل بها فيه كما من الانتفاع بها لأنه من أغراض أصحاب المواشي بل هو من معظمها لأن الرعاة إذا سرحوا النعم بالغداة إلى المرعى وروحوها بالعشي إلى الألفية والبيوت يسمع للإبل رغاء وللشاة نغاء يجاب بعضها بعضا فعند ذلك يفرح أربابها بها وتتجمل بها الألفية والبيوت ويعظم وقعها عند الناس. فإن قلت لم قدمت الإراحة على التسريح. قلت لأن الجمال في الإراحة وهو رجوعها إلى البيوت أكثر منها وقت التسريح لأن النعم تقبل من المرعى ملأى البطون حافلة الصروع فيفرح أهلها بها بخلاف تسريحها إلى المرعى فإنها تخرج جائعة البطون ضامرة الصروع من اللبن ثم تأخذ في التفريق والانتشار للرعى في البرية فثبت بهذا البيان أن التجمل في الإراحة أكثر منه في التسريح فوجب تقديمه. وقوله سبحانه وتعالى (وتحمل أنفالكم) الأثقال جمع ثقل وهو متاع السفر وما يحتاج إليه من آلات السفر (إلى بلد) يعني غير بلدكم قال ابن عباس يريد من مكة إلى اليمن وإلى الشام وإنما قال ابن عباس هذا القول لأنه خطاب لأهل مكة وأكثر تجاراتهم وأسفارهم إلى الشام واليمن وحمله على العموم أولى لأنه خطاب عام فدخول الكفاة فيه أولى من تخصيصه ببعض الخطابين (لم تكونوا بالغية) يعني بالغى ذلك البلد الذي تفصلونه (إلا بشق الأنفس) يعني بالمشقة والجهد والعناء والتعب والشق نصف الشيء والمعنى على هذا لم تكونوا بالغية إلا بتقصان قوة النفس وذهاب نصفها (إن ربكم لرموف رحيم) يعني بخلفه حيث خلق لهم هذه المنافع. قوله سبحانه وتعالى (والخيل والبغال والحمير لركبوها) هذه الآية عطف على ما قبلها والمعنى وخلق هذه الحيوانات لأجل أن تركبوها والخيل اسم جنس لا واحد له من لفظه كالإبل والرهط والنساء (وزينة) يعني وجعلها زينة مع المنافع التي فيها.

المنافع التي فيها واحتج بهذه الآية من حرم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الآية فقال هذه للركوب وإليه ذهب (فصل الحكم ومالك وأبو حنيفة. وذهب جماعة إلى إباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشرح وعطاء ومعيد بن جبير وبه قال الشافعي

وأحمد وإسحاق ومن أباحتها قال ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحرير بل المراد منه تعريف الله عبادة نعمه وتبنيهم على كمال قدرته وحكمته واحتجوا بما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد (٨١) بقوله عبد الله التميمي أنا محمد بن يوسف

ثنا محمد بن إسماعيل
ثنا سليمان بن حرب
حماد بن زيد عن عمرو
هو ابن دينار عن محمد
ابن علي عن جابر رضي
الله عنه قال «نهى النبي
صلى الله عليه وسلم يوم
خيبر عن لحوم الحمير
ورخص في لحوم الخيل»
أخبرنا أبو الفرج المظفر
ابن إسماعيل التميمي
أنا أبو القاسم حمزة بن
يوسف السهمي أنا
أبو أحمد عبد الله بن
عدي الحافظ ثنا الحسن
ابن الفرج ثنا عمرو بن
خالد ثنا عبد الله بن
عبد الكريم عن عطاء
ابن أبي رباح عن جابر
أنهم كانوا يأكلون لحوم
الخييل على عهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ونهى عن لحوم البغال
والحمير وروى عن
المقدام بن معدي كرب
عن خالد بن الوليد أن
رسول الله صلى الله
عليه وسلم نهى عن
أكل لحوم الخيل والبغال
والحمير وإسناده ضعيف
(ويخلق ما لا تعلمون)
قبل يعني ما أعد الله في
الجنة لأهلها وفي النار
لأهلها مما لم تره عين
ولا سمعته أذن ولا خطر

(فصل)

احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل وهو قول ابن عباس وتلا هذه الآية وقال هذه للركوب وإليه ذهب الحكم ومالك وأبو حنيفة رحمهم الله واستدلوا أيضا بأن منفعة الأكل أعظم من منفعة الركوب فلما لم يذكره الله تعالى علمنا تحريم أكله فلو كان أكل لحوم الخيل جائزا لكان هذا المعنى أولى بالذكر لأن الله سبحانه وتعالى خص الأنعام بالأكل حيث قال ومنها تأكلون وخص هذه بالركوب فقال لتركبوها فعلمنا أنها مخلوقة للركوب لا للأكل وذهب جماعة من أهل العلم إلى إباحة لحوم الخيل وهو قول الحسن وشریح وعطاء وسعيد بن جبیر وإليه ذهب الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وأحمد وإسحاق واحتجوا على إباحة لحوم الخيل بما روى عن أسماء بنت أبي بكر الصديق أنها قالت «نحرنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا فأكلناه» وفي رواية قالت «ذبحنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا ونحن بالمدينة فأكلناه» أخرجه البخاري ومسلم (ق) عن جابر «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن لحوم الحمير الأهلية وأذن في الخيل» وفي رواية قال «أكلنا زمن خيبر لحوم الخيل وحمير الوحش ونهى النبي صلى الله عليه وسلم عن اللحم الأهل» هذه رواية البخاري ومسلم وفي رواية أبي داود قال «ذبحنا يوم خيبر الخيل والبغال والحمير وكنا قد أصابتنا مغمصة فنهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن البغال والحمير ولم ينهنا عن الخيل» وأجاب من أباح لحوم الخيل عن هذه الآية بأن ذكر الركوب والزينة لا يدل على أن منفعتها محتصة بذلك وإنما خص هاتان المنفعتان بالذكر لأنهما معظم المقصود قالوا ولهذا سكنت عن حمل الأثقال على الخيل مع قوله في الأنعام وتحمل أثقالكم ولم يلزم من هذا التحريم حمل الأثقال على الخيل وقال البغوي ليس المراد من الآية بيان التحليل والتحرير بل المراد منها تعريف الله عبادة نعمه وتبنيهم على كمال قدرته وحكمته والدليل الصحيح المتتمد عليه في إباحة لحوم الخيل أن السنة مبيحة للكتاب ولما كان نص الآية يقتضي أن الخيل والبغال والحمير مخلوقة للركوب والزينة وكان الأكل مسكوتا عنه دار الأمر فيه على الإباحة والتحرير فوردت السنة بإباحة لحوم الخيل وتحريم لحوم البغال والحمير فأخذنا بها جمعا بين النصين والله أعلم وقوله تعالى (ويخلق ما لا تعلمون) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الحيوانات التي ينتفع بها الإنسان في جميع حالاته وضرورياته على سبيل التفصيل ذكر بعدها ما لا ينتفع به الإنسان في الغالب على سبيل الإجمال لأن مخلوقات الله عز وجل في البر والبحر والسموات أكثر من أن تحصى أو يحيط بها عقل أحد أو فهمه فلها ذكرها على الإجمال وقال بعضهم ويخلق ما لا تعلمون يعني مما أعد الله لأهل الجنة في الجنة ولأهل النار في النار مما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقال قتادة في قوله ويخلق ما لا تعلمون يعني السوس في النبات والدود في الفواكه . قوله سبحانه وتعالى (وعلى الله قصد السبيل) القصد استقامة الطريق يقال طريق قصد وقاصد إذا أدرك إلى مطلوبك وفي الآية حذف تقديره وعلى الله بيان قصد السبيل وهو بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل معناه وعلى الله بيان طريق الحق بالآيات والبراهين

(١١ - خازن بالبغوي - رابع) على قلب بشر وقال قتادة يعني السوس في النبات والدود في الفواكه قوله تعالى (وعلى الله قصد السبيل) يعني بيان طريق الهدى من الضلالة وقيل بيان الحق بالآيات والبراهين والقصد الصراط

والجائر منهاد من الزيادة والنصرانية وسائر ملل الكفر . قال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع او الفرائض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السبيل السنة ومنها جائر الأهواء والبدع دليله قوله تعالى وأن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل (ولو شاء لهداناكم أجمعين) نظره قوله تعالى ولو شقنا لآيينا كل نفس هداية قوله (هو الذى أنزل من السماء ماء لكم منه شراب) تشربونه (ومنه شجر) أى من ذلك الماء شرب أشجاركم وما أقبلتكم (فيه) يعنى فى الشجر (تسيمون) ترعون مواشيتكم (بنبت لكم به) أى بنبت الله لكم به يعنى بالماء الذى أنزل وقرأ أبو بكر عن عاصم نبت بالنون (الزرع والزيتون والنخيل والأعناب) ومن كل الثمرات إن فى ذلك آية لقوم يتفكرون وسخر لهم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات مذلللات (بأمره) أى بأذنه وقرأ حفص عن عاصم والنجوم مسخرات بالرفع على الابتداء (إن

(ومنها جائر) يعنى ومن السبل سبيل جائر عن الاستقامة بل هو معوج فالقصد من السبيل هو دين الإسلام والجائر منها دين اليهودية والنصرانية وسائر ملل الكفر وقال جابر بن عبد الله قصد السبيل بيان الشرائع والفرائض وقال عبد الله بن المبارك وسهل بن عبد الله قصد السنة ومنها جائر الأهواء والبدع (ولو شاء لهداناكم أجمعين) فيه دليل على أن الله تعالى ماشاء هداية الكفار وما أراد منهم الإيمان لأن كلمة لو تنفيذ انتفاء الشيء لانتهاء غيره فقوله ولو شاء لهدايتكم هداكم أجمعين وذلك يفيد أنه تعالى ماشاء هدايتهم فلا جرم ما هداهم . قوله عز وجل (هو الذى أنزل من السماء ماء) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمته على عباده بخلق الحيوانات لأجل الانتفاع والزينة عقيب بذكر إزال المطر من السماء وهو من أعظم النعم على العباد فقال هو الذى أنزل من السماء يعنى والله الذى خلق جميع الأشياء هو الذى أنزل من السماء ماء يعنى المطر (لكم منه) يعنى من ذلك الماء (شراب) يعنى تشربونه (ومنه) يعنى ومن ذلك الماء (شجر) الشجر فى اللغة ماله ساق من نبات الأرض ونزل الواحدى عن أهل اللغة أنهم قالوا الشجر أصناف ما جل وعظم وهو الذى يبقى على الشتاء وما دق وهو صنفان أحدهما تبقى له أدوحة فى الشتاء وينبت فى الربيع ومنها ما لا يبقى له ساق فى الشتاء كاليقول وقال أبو إسحاق كل ما ينبت على وجه الأرض فهو شجر وأشد قطعها اللحم إذا عز الشجر أراد أنهم يسقون الخيل اللبن إذا أجلت الأرض وقال ابن قتيبة فى هذه الآية يعنى الكلاء ومعنى الآية أنه ينبت بالماء الذى أنزل من السماء ما ترعى الراعية من ورق الشجر لأن الإبل ترعى كل الشجر (فيه) يعنى فى الشجر (تسيمون) يعنى ترعون مواشيتكم يقال أصمت السائمة إذا خلتها ترعى ومسامت هى إذا رعت حيث شاءت (بنبت لكم) أى بنبت الله لكم وقرئ به ينبت على التعظيم لكم (به) أى بذلك الماء (الزرع والزيتون والنخيل والأعناب) ومن كل الثمرات) لما ذكر الله فى الحيوان تفصيلاً وإجمالاً ذكر فى الثمار تفصيلاً وإجمالاً فبدأ بذكر الزرع وهو الحب الذى يفتات به كالحنطة والشعير وما أشبهها لأن به قوام بدن الإنسان ونفى بذكر الزيتون لما فيه من الأدم والدهن والبركة وثالث بذكر النخيل لأن ثمرتها غذاء وفاكهة وختم بذكر الأعناب لأنها شبه النخلة فى المنفعة من التفكه والتغذية ثم ذكر سائر الثمرات إجمالاً لينبه بذلك على عظيم قدرته وجزيل نعمته على عباده ثم قال تعالى (إن فى ذلك) يعنى الذى ذكر من أنواع الثمار (آية) يعنى علامة دالة على قدرتنا ووجدانيتنا (لقوم يتفكرون) يعنى فيما ذكر من دلائل قدرته ووجدانيته (وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم) تقدم تفسيره فى صورة الأعراف (مسخرات) يعنى مذلللات مقهورات تحت قهره وإرادته وفيه رد على الفلاسفة والمنجمين لأنهم يعتقدون أن هذه النجوم هى القعالة المنتصرة فى العلم السفلى فأخبر الله تعالى أن هذه النجوم مسخرات فى نفسها مذلللات (بأمره) يعنى بأمر ربه مقهورات تحت قهره بصرها كيف يشاء ويختار وأنها ليس لها تصرف فى نفسها فضلاً عن غيرها ولما ذكر الله سبحانه وتعالى أنه خلق هذه النجوم وجعلها مسخرات لمنافع عباده ختم هذه الآية بقوله (إن فى ذلك آيات لقوم يعقلون) يعنى أن كل من كان له عقل صحيح سليم علم أن الله سبحانه وتعالى هو الفعال المختار وأن جميع الخلق تحت قدرته وقهره وتسخيرها لما أراد منكم (وما أذركم فى الأرض) يعنى وما خلق لكم فى الأرض وصخر لأجلكم من الدواب والأنعام

فى ذلك آيات لقوم يعقلون وما ذرا) خلق لكم) لاجلكم ي وسخر ما خلق لأجلكم (فى الأرض) من الدواب والأشجار

١٤

والنهار وغيرها (مختلفا) نصب على الحال (أوانه إن في ذلك آية لقوم يذكرون) يعتبرون (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا) يعني السمك (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) يعني التؤلؤ والمرجان (وترى الفلك مواخر فيه) جوارى فيه قال قتادة مقبلة ومدبرة وهو أنك ترى سفينتين إحداهما تقبل والأخرى (٨٣) تدبر تجريان بريح واحدة ،

وقال الحسن مواخر والأشجار والنهار (مختلفا أوانه) يعني في الخلقة والمهيئة والكيفية واختلاف ألوان المخلوقات مع كثرتها حتى لا يشبه بعضها بعضا من كل الوجود فيه دليل قاطع على كمال قدرة الله والمثلث ختم هذه الآية بآية بآية تعالى (إن في ذلك آية لقوم يذكرون) يعني فيه تبرؤ بذلك . قوله سبحانه وتعالى (وهو الذي سخر لكم البحر) لما ذكر الله سبحانه وتعالى الدلائل الدالة على قدرته ووحدانيته من خلق السموات والأرض وخلق الإنسان من نطفة وخلق سائر الحيوان والنبات وتسخير الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من آثار قدرته ووجائب صنعته وذكر إنعامه في ذلك على عباده ذكر بعد ذلك إنعامه على عباده بتسخير البحر لهم نعمة من الله عليهم ، ومعنى تسخير البحر لعباده جعله بحيث يتمكن الناس من الانتفاع به إما بالركوب عليه أو بالغوص فيه أو الصيد منه فذكر هذه الثلاثة الأقسام من أنواع الانتفاع به فقال تعالى وهو الذي سخر البحر (لأنها كانت حيا) فبدأ بذكر الأكل لأنه أعظم المقصود لأن به قوام البدن وفي ذكر الطير مزيدا فالدالة على كمال قدرة الله تعالى وذلك أن السمك لو كان كله مالحة لما عرف به من قدرة الله تعالى ما يعرف بالطير لأنه لما خرج من البحر الملح الزعاق الحيوان الطيرى الذى لحمه في غاية العذوبة علم أنه إنما حدث بقدرة الله وخلقه لا بحسب الطبع وعلم بذلك أن الله قادر على إخراج الضمد من الضد . المنفعة الثانية قوله تعالى (وتستخرجوا منه حلية تلبسونها) يعني التؤلؤ والمرجان كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لأن زينة النساء بالحلى وإنما هو لأجل الرجال فكان ذلك زينة لهم . المنفعة الثالثة قوله تعالى (وترى الفلك) يعني السفن (مواخر فيه) يعني جوارى فيه قال قتادة مقبلة ومدبرة وذلك أنك ترى سفينتين إحداهما تقبل والأخرى تدبر تجريان بريح واحدة وأصل الخمر في اللغة الشق يقال خمرت السفينة خمرا إذا شقت الماء بجؤجؤها وقال مجاهد تخمر الرياح السنن يعني أنها إذا جرت يسمع لها صوت قال أبو عبيدة يعني من صوائخ والمخروصوت هبوب الريح عند شدتها وقال الحسن مواخر يعني مواقر أى مملوءة متاعا (وليتبعوا من فضله) يعني الأرياح بالنجارة في البحر (ولعلكم تشكرون) يعني إنعام الله عليكم إذا رأيتم نعم الله فيها سخر لكم (وألقى في الأرض رواسي) يعني جبالا ثقلا (أن تميد بكم) يعني لثلا تميل وتضطرب بكم والميد هو اضطراب الشيء العظيم كالأرض وقال وهب لما خلق الله سبحانه وتعالى الأرض جعلت تمور وتنحرف فقالت الملائكة إن هذه غير مقرة أحدا على ظهرها فأصبحوا وقد أرسيت بالجبال فلم تنر الملائكة ثم خافت الجبال (وأنها) يعني وجعل فيها أنهارا لأن في ألقى معنى الجعل فقوله سبحانه وتعالى وأنها معطوف على وألقى ولما ذكر الله الجبال ذكر بعدها الأنهار لأن معظم عيون الأنهار وأصوفا تكون من الجبال (وسبلا) يعني وجعل فيها طرقا مختلطة تسلكونها في أسفاركم والتردد في حوائجكم من بلد إلى بلد ومن مكان إلى مكان (لعلكم تهتدون) يعني يتلك السبل إلى ما تريدون فلا تضلون (وعلامات) يعني وجعل فيها علامات تهتدون بها في أسفاركم قال بعضهم ثم الكلام عند قولهم علامات ثم ابتداء (وبالنجم هم يهتدون) وقال محمد

ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال فلم تنر الملائكة ثم خلقت الجبال (وأنها وسبلا) أى وجعل فيها أنهارا وطرقا مختلفة (لعلكم تهتدون) إلى ما تريدون فلا تضلون (وعلامات) يعني معالم الطرق قال بعضهم ها هنا تم الكلام ثم ابتداء (وبالنجم هم يهتدون) قال محمد بن كعب والكلبي أراد بالعلامات الجبال والجبال تكون علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد أراد بالكل النجوم منها ما يكون علامات ومنها ما يهتدون به قال السدي أراد بالنجوم الثريا وبنات نعش والفرقدن

ظهرها فأصبحت وقد أرسيت بالجبال فلم تنر الملائكة ثم خلقت الجبال (وأنها وسبلا) أى وجعل فيها أنهارا وطرقا مختلفة (لعلكم تهتدون) إلى ما تريدون فلا تضلون (وعلامات) يعني معالم الطرق قال بعضهم ها هنا تم الكلام ثم ابتداء (وبالنجم هم يهتدون) قال محمد بن كعب والكلبي أراد بالعلامات الجبال والجبال تكون علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد أراد بالكل النجوم منها ما يكون علامات ومنها ما يهتدون به قال السدي أراد بالنجوم الثريا وبنات نعش والفرقدن

ابن كعب والكلبي أراد بالعلامات الجبال والنجوم فالجبال علامات النهار والنجوم علامات الليل وقال مجاهد أراد بالكل النجوم فمنها ما يكون علامات ومنها ما يهتدى به وقال السدي أراد بالنجم الثريا وبنات نعش والنقار قد ين والجدي فهذه يهتدى بها إلى الطريق والقبلة وقال قتادة إنما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة السماء ومعالم الطريق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به . قوله سبحانه وتعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) لما ذكر الله عز وجل من عجائب قدرته وغرائب صنعته وبديع خلقه ما ذكر على الوجه الأحسن والترتيب الأكمل وكانت هذه الأشياء المخلوقة المذكورة في الآيات المتقدمة كلها دالة على كمال قدرة الله تعالى ووحدانيته وأنه تعالى هو المنفرد بخلقها جميعا قال على سبيل الإنكار على من ترك عبادته واشتغل بعبادة هذه الأصنام التي لا تنضر ولا تنفع ولا تقدر على شيء . « أفمن يخلق » يعني هذه الأشياء الموجودة المرئية بالعيان وهو الله تعالى الخالق لها كمن لا يخلق » يعني هذه الأصنام العاجزة التي لا تخلق شيئا البتة لأنها جمادات لا تقدر على شيء فكيف يليق بالعقل أن يشتغل بعبادتها ويترك عبادة من يستحق العبادة وهو الله خالق هذه الأشياء كلها ولهذا المعنى ختم هذه الآية بقوله (أفلا تذكرون) يعني أن هذا القدر ظاهر غير خافت على أحد فلا يحتاج فيه إلى دقيق الفكر . والنظر بل مجرد التذكر فيه كفاية لمن فهم وعقل واعتبر بما ذكره بقى في الآية سؤالان الأول قوله كمن لا يخلق المراد به الأصنام وهي جمادات لا تعقل فكيف يعبر عنها بلفظة من وهي لمن يعقل والجواب عنه أن الكفار لما سموا هذه الأصنام آلهة وعبدها أجرت مجرى من يعقل فزعمهم ألا ترى إلى قوله بعد هذا والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا مخاطبهم على قدر زعمهم وعقولهم السؤال الثاني قوله أفمن يخلق كمن لا يخلق المقصود منه إلزام الحجية على من عبد الأصنام حيث جعل غير الخالق مثل الخالق فكيف قال على سبيل الاستفهام أفمن يخلق كمن لا يخلق والجواب عنه أنه ليس المراد منه الاستفهام بل المراد منه أن من خلق الأشياء العظيمة وأعطى هذه النعم الجزية كيف يسوى بينه وبين هذه الجمادات الخسيسة في التسمية والعبادة وكيف يليق بالعقل أن يترك عبادة من يستحق العبادة لأنه خالق هذه الأشياء الظاهرة كلها ويشتغل بعبادة جمادات لا تخلق شيئا البتة والله أعلم . وقوله تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) يعني أن نعم الله على العبد فيما خلق الله فيه من صحة البدن وعافية الجسم وإعطاء النظر الصحيح والعقل السليم والسمع الذي يفهم به الأشياء وبطش اليدين وسعي الرجاين إلى غير ذلك مما أنعم به عليه في نفسه وفيما أنعم به عليه مما خلق له من جميع ما يحتاج إليه من أمر الدين والدنيا لا تحصى حتى لو رام أحد معرفة أدنى نعمة من هذه النعم لعجز عن معرفتها وحصرها فكيف بنعمة العظام التي لا يمكن الوصول إلى حصرها لجميع الخلق فذلك قوله تعالى (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) يعني ولو اجتهدتم في ذلك وأتعبتم نفوسكم لا تعدون عليه (إن الله لغفور) يعني لتقصيركم في القيام بشكر نعمته كما يجب عليكم (رحيم) يعني بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بسبب التقصير والمعاصي (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون) يعني أن الكفار مع كفرهم كانوا يسرون أشياء وهو ما كانوا يمتكرون بالنبي صلى الله عليه وسلم وما يعلنون يعني وما يظهرون من إنذاته فأخبرهم الله عز وجل أنه عالم بكل أحوالهم سرها وعلانيتها لا تخفى عليه خافية وإن دقت وخفيت ، وقيل إن الله سبحانه وتعالى

والجدي يهتدون بها إلى الطرق والقبلة وقال قتادة إنما خلق الله النجوم لثلاثة أشياء لتكون زينة للسماء ومعالم للطرق ورجوما للشياطين فمن قال غير هذا فقد تكلف ما لا علم له به (أفمن يخلق) يعني الله تعالى (كمن لا يخلق) يعني الأصنام (أفلا تذكرون وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور) لتقصيركم في شكر نعمه (رحيم) بكم حيث وسع عليكم النعم ولم يقطعها عنكم بالتقصير والمعاصي (والله يعلم ما تسرون وما تعلنون)

والذين تدعون من دون الله (يعني الأصنام وقرأ عاصم ويعقوب يدعون بالياء (لايخلقون شيئا وهم يخلقون أموات) أي الأصنام (غير أحياء وما يشعرون) يعني الأصنام (أيان) متى (يعنون) والقرآن يدل على أن الأصنام تبعث وتجعل فيها الحياة فتبرأ من عابديها وقيل ما يدري الكفار عبدة الأصنام متى يعنون (٨٥) قوله تعالى (لنحكم إله واحد فالذين

لما ذكر الأصنام وذكر عجزها في الآية المتقدمة ذكر في هذه الآية أن الإله الذي يستحق العبادة يجب أن يكون عالما بكل المعلومات سرها وعلاقتها وهذه الأصنام ليست كذلك فلا تستحق العبادة ثم وصف الله هذه الأصنام بصفات فقال تعالى (والذين تدعون من دون الله) يعني الأصنام التي تدعونها آلهة من دون الله (لايخلقون شيئا وهم يخلقون) فان قلت قوله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة أفن يخلق كمن لا يخلق يدل على أن هذه الأصنام لا تخلق شيئا فقوله سبحانه وتعالى لا يخلقون شيئا وهم يخلقون هذا هو نفس المعنى المذكور في تلك الآية فما فائدة التكرار. قلت فائدته أن المعنى المذكور في الآية المتقدمة أنهم لا يخلقون شيئا فقط والمذكور في هذه الآية أنهم لا يخلقون شيئا وإلهم مخلوقون كغيرهم فكان هذا زيادة في المعنى وهو فائدة التكرار (أموات) أي جمادات ميتة لأحياء فيها (غير أحياء) يعني كغيرها والمعنى لو كانت هذه الأصنام آلهة كما تزعمون لكانت أحياء غير جائز عليها الموت لأن الإله الذي يستحق أن يعبد هو الحي الذي لا يموت وهذه أموات غير أحياء فلا تستحق العبادة فن عبدها فقد وضع العبادة في غير موضعها. وقوله (وما يشعرون) يعني هذه الأصنام (أيان يعنون) يعني متى يعنون وفيه دليل على أن الأصنام تجعل فيها الحياة وتبعث يوم القيامة حتى تبرأ من عابديها وقيل معناه ما يدري الكفار الذين عبدوا الأصنام متى يعنون. قوله سبحانه وتعالى (لنحكم إله واحد) يعني أن الذي يستحق العبادة هو إله واحد وهذه أصنام متعددة فكيف تستحق العبادة (فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم مسكرة) يعني جاهدة لهذا المعنى (وهم مستكبرون) يعني عن اتباع الحق لأن الحق إذا تبين كان تركه تكبرا (لأجرم) يعني حقا (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) لأنه لا يجب المستكبرين) يعني عن اتباع الحق (م) عن ابن مسعود أن النبي ﷺ قال «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس» قوله بطر الحق هو أن يجعل ما جعله الله حقا من توحيدته وعبادته باطلا وهذا على قول من جعل أصل البطر من الباطل ومن جعله من الخيرة فعنه يتحجر عند سماء الحق فلا يقبله ولا يجعله حقا وقيل البطر التكبر يعني أنه يتكبر عند سماع الحق فلا يقبله وقوله وغمط الناس يقال غمطت حتى فلان إذا احتذرته ولم تره شيئا وكذا معنى غمضته أي انتقصت به وازدريته. قوله عز وجل (وإذا قيل لهم) يعني هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم كفار مكة الذين اقتسموا عقابها وطرقها إذا سألهم الحاج الذين يقدمون عليهم (ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) يعني أحاديثهم وأباطيلهم (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة) اللام في يحملوا لام العاقبة وذلك أنهم لما وصفوا القرآن بكونه أساطير الأولين كانت عقابهم بذلك أن يحملوا أوزارهم يعني ذنوب أنفسهم وإنما قال سبحانه وتعالى كاملة لأن البلايا التي أصابتهم في الدنيا وأعمال البر التي عملوها في الدنيا لا تكفر عنهم شيئا يوم القيامة بل يعاقبون بكل أوزارهم قال الإمام فخر الدين الرازي وهذا يدل على أنه

لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم مسكرة) (جاهدة) وهم مستكبرون) متعظمون (لأجرم) حقا (أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون) إنه لا يحب المستكبرين) أخبرنا أبو سعيد بكر ابن محمد بن محمد بن يحيى البسطامي أنا أبو الحسن عبد الرحمن ابن إبراهيم بن سحنون أنا أبو الفضل سفيان بن محمد الجوهري ثنا علي ابن الحسن بن أبي عيسى الحلالي ثنا يحيى بن حماد ثنا شعبة عن أبيان بن ثعلب عن فضيل العقيمي عن إبراهيم النخعي عن علقمة ابن قيس عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ولا يدخل النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان» فقال رجل يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا قال إن الله جميل يحب الجمال الكبر بطر الحق وغمط الناس» (وإذا قيل لهم) يعني

ذؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة وهم مشركو مكة الذين اقتسموا عقابها إذا سأل منهم الحاج (ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين) أحاديثهم وأباطيلهم (ليحملوا) أي ليجعلوا (أوزارهم) ذنوب أنفسهم (كاملة) وإنما ذكر الكمال، لأن البلايا التي تلحقهم في الدنيا وما يفعلون فيها من الحسنات لا تكفر عنهم شيئا (يوم القيامة

بنيانهم من أصولها (فخر عليهم السقف) يعني أعلى البيوت (من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) من مأمئهم
(ثم يوم القيامة يجزيهم) يعنيهم بالعذاب (ويقول ابن شركاى الدين كنتم (٨٧) تشاقون فيهم) تخالفون المؤمنون

فيهم ، ما لهم لا يحضرونكم
فيدفعون عنكم العذاب
وكسر نافع النون من
تشاقون على الإضافة
والآخرون بفتحها قال
الذين أوتوا العلم (وهم
المؤمنون) إن الخزي
الخوان (اليوم والسوء)
أى العذاب (على الكافرين
الذين تنو فاهم الملائكة)
يقبض أرواحهم ملك
الموت وأعوانه قرأ حمزة
ينو فاهم بالياء وكذا ما بعده
(ظالمى أنفسهم) بالكسر
ونصب على الحال أى
في حال كفرهم (فألقوا
السلم) أى استسلموا
وانقادوا وقالوا (ما كنا
نعلم من سوء) شرك
فقال لهم الملائكة (بلى
إن الله علم بما كنتم
تعملون) قال عكرمة
عنى بذلك من تنل من
الكفار ييدر (فادخلوا)
أى قال لهم ادخلوا
(أبواب جهنم خالدين
فيها فبئس مشوى المشكبين)
عن الإيمان (وقبل للذين
اتقوا) وذلك أن أحياء
العرب كانوا يبعثون
أيام الموسم من يأتيهم
نخبر النبي صلى الله

الله سبحانه وتعالى إن مكر بأخركم فأهلكه الله بكم ومنه المثل السائر على السنة الناس : من حفر
بئرا لأخيه أوقعه الله فيه . وقوله تعالى (فخر عليهم السقف من فوقهم) معنى سقط عليهم
السقف فأهلكهم وقوله من فوقهم لا أكيد لأن السقف لا يخر إلا من فوقهم وقبل يحتمل أنهم
لم يكونوا تحت السقف عند سقوطه فلما قال من فوقهم علم أنهم كانوا تحته وأنه لما خر عليهم
أهلكوا وماتوا تحته (وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون) معنى في مأمئهم وذلك أنهم لما اعتدوا
على قوة بنيانهم وشدته كان ذلك اليذيان سبب هلاكهم (ثم يوم القيامة يجزيهم) معنى يبيّنهم
بالعذاب وفيه إشارة بأن العذاب يحصل لهم في الدنيا والآخرة لأن الخزي هو العذاب مع الخوان
(ويقول) معنى ويقول الله لهم يوم القيامة (ابن شركاى) معنى في زعمكم واعتقادكم (الذين كنتم
تشاقون فيهم) معنى كنتم تعادون وتخالفون المؤمنون وتخاضعونهم في شأنهم لأن المشاققة عبارة عن
كون كل واحد من الخصمين في شق غير شق صاحبه والمعنى ما لهم لا يحضرون معكم ليدفعوا
عنكم ما نزل بكم من العذاب والخوان (قال الذين أوتوا العلم) معنى المؤمنون وقبل الملائكة (إن
الخزي) معنى الخوان (اليوم) معنى في هذا اليوم وهو يوم القيامة (والسوء) معنى العذاب (على
الكافرين) وإنما يقول المؤمنون هذا يوم القيامة لأن الكفار كانوا يستهزئون بالمؤمنين في الدنيا
ويشكرون عليهم أحوالهم فاذا كان يوم القيامة ظهر أهل الحق وأكرموا بأنواع الكرامات
وأهين أهل الباطل وعذبوا بأنواع العذاب فعند ذلك يقول المؤمنون إن الخزي اليوم والسوء
على الكافرين وفائدة هذا القول إظهار الشكامة بهم فيكون أعظم في الخوان والخزي قوله تعالى
(الذين تنو فاهم الملائكة) يقبض أرواحهم الملائكة وهم ملك الموت وأعوانه (ظالمى أنفسهم)
يعنى بالكفر (فألقوا السلم) معنى استسلموا وانقادوا لأمر الله الذى نزل بهم وقالوا (ما كنا
نعلم من سوء) يعنى شركاى وإتعا قالوا ذلك من شدة الخوف (بلى إن الله علم بما كنتم تعملون)
يعنى فلا فائدة لكم في إنكاركم قال عكرمة عنى بذلك ما حصل من الكفار يوم بدر (فادخلوا)
أى فيقال لهم ادخلوا (أبواب جهنم خالدين فيها) معنى مقيمين فيها لا يخرجون منها وإنما قال ذلك
لهم ليكون أعظم في الغم والحزن وفيه دليل على أن الكفار بعضهم أشد عذابا من بعض (فلبئس
مشوى المشكبين) معنى عن الإيمان قوله عز وجل (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا)
وذلك أن أحياء العرب كانوا يبعثون إلى مكة أيام الموسم من يأتيهم نخب النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا جاء الوافد سأل للذين كانوا يقعدون على طرقات مكة من الكفار فيقولون هو ساحر
كاهن شاعر كذاب مجنون وإذ لم تلقه خيرا لك فيقول الوافد أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي
من دون أن أدخل مكة فالتقاء فيدخل مكة فيرى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسألهم
عنه فيخبرونه بصدقه وأمانته وأنه نبي مبعوث من الله عز وجل فذلك قوله سبحانه وتعالى وقبل
للذين اتقوا يعنى اتقوا الشرك وقول الزور والكذب ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا يعنى أنزل خيرا
فان قلت لم رفع الأول وهو قوله أساطير الأولين ونصب الثانى وهو قوله قالوا خيرا قلت ليحصل
الفرق بين الجوابين جواب المنكر الجاحد وجواب المقر المؤمن وذلك أنهم لما سألوا الكفار عن

عليه وسلم فاذا جاء يسأل الذين قعدوا على الطرق عنه فيقولون ساحر كاهن شاعر كذاب مجنون ولو لم تلقه خيرا فيقول
السائل أنا شر وافد إن رجعت إلى قومي من دون أن أدخل مكة فالتقاء فيدخل مكة فيرى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم
فيخبرونه بصدقه وأنه نبي مبعوث فذلك قوله وقبل للذين اتقوا (ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) ثم ابتداء فقال

المنزّل على النبي صلى الله عليه وسلم عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين وليس هو من الإنزال في شيء لأنهم لم يعتقدوا كونه منزلاً ولما سألوا المؤمنين على المنزّل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفاً معقولاً للإنزال فقالوا خيراً أي أنزل خيراً وتم الكلام عند قوله خيراً فهو وقف تام ثم ابتدأ بقوله تعالى (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) يعني للذين أتوا بالأعمال الصالحة الحسنة ثوابها حسنة مضاعفة من الواحد إلى العشرة إلى السبعمائة إلى أضعاف كثيرة وقال الضحّاك هي النصر والفتح وقال مجاهد هي الرزق الحسن فعلى هذا يكون معنى الآية للذين أحسنوا ثواب إحسانهم في هذه الدنيا حسنة وهي النصر والفتح والرزق الحسن وغير ذلك مما أنعم الله به على عباده في الدنيا ويدل على صحة هذا التأويل قوله تعالى (ولدار الآخرة خير) يعني ما لهم في الآخرة مما أعد الله لهم في الجنة خير مما يحصل لهم في الدنيا (ولنعم دار المتقين) يعني الجنة وقال الحسن هي الدنيا لأن أهل التقوى يتزودون منها إلى الآخرة والقول الأول أولى وهو قول جمهور المفسرين لأن الله فسّر هذه الدار بقوله (جنات عدن) يعني بساكني إقامة من قولهم عدن بالمكان أي أقام به (يدخلونها) يعني تلك الجنات لا يدخلونها منها ولا يخرجون منها (تجرى من تحتها الأنهار) يعني تجري الأنهار في هذه الجنات من تحت دور أهلها وقصورهم ومساكنهم (لهم فيها) يعني في الجنات (ما يشاءون) يعني ما تشتهي الأنفس وتلذذ الأعين مع زيادات غير ذلك وهذه الحالة لا تحصل لأحد إلا في الجنة لأن قوله لهم فيها ما يشاءون لا يفيد الحصر وذلك يدل على أن الإنسان لا يجد كل ما يريد في الدنيا (كذلك يجزي الله المتقين) أي هكذا يكون جزاء المتقين ثم عاد إلى وصف المتقين فقال تعالى (الذين توفاهم الملائكة طيبين) يعني مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية أقوالهم وأفعالهم وقيل إن قوله طيبين كلمة جامعة لكل معنى حسن فيدخل فيه أهم أفعالهم وأقوالهم وقيل معناه إن أوقاتهم تكون واجتنبوا كل ما نهوا عنه من المكروهات والمحرّمات مع الأخلاق الحسنة والحاصل الحميدة والمباعدة من الأخلاق المذمومة والحاصل المكروهة القبيحة وقيل معناه إن أوقاتهم تكون طيبة سهلة لأنهم يبشرون عند قبض أرواحهم بالرضوان والجنة والكرامة فيحصل لهم عند ذلك الفرح والسرور والابتهاج فيسهل عليهم قبض أرواحهم ويطيب لهم الموت على هذه الحالة (يتولون) يعني الملائكة لهم (سلام عليكم) يعني تسلم عليهم الملائكة أو تبايعهم السلام من الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون) يعني في الدنيا من الأعمال الصالحة - فإن قلت كيف الجمع بين قوله تعالى ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون وبين قوله صلى الله عليه وسلم (لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا إلا أن يتفعدني الله بفضله ورحمته) أخرجه في الصحيحين من حديث أبي هريرة. قلت قال الشيخ محيي الدين النووي رحمه الله في شرح مسلم اعلم أن مذهب أهل السنة أنه لا يثبت بالعدل ثواب ولا عقاب ولا إيجاب ولا تحريم ولا غير ذلك من أنواع التكليف ولا يثبت هذه الأشياء كلها ولا غيرها إلا بالشرع ومذهب أهل السنة أيضاً أن الله سبحانه وتعالى لا يجب عليه شيء بل العالم كله ملكه والدنيا والآخرة في سلطانه يفعل فيهما ما يشاء فلو عذب المطيعين والصالحين أجمعين وأدخلهم النار كان ذلك عدلاً منه وإذا أكرمهم ورحمهم وأدخلهم الجنة فهو أفضل منه ولو نعم الكافرين وأدخلهم الجنة كان ذلك له ومنه فضلاً ولكنه سبحانه وتعالى أخبر وخبره صادق أنه لا يفعل هذا

(للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) كرامة من الله قال ابن عباس هي تضعيف الأجر إلى العشر وقال الضحّاك هي النصر والفتح وقال مجاهد هي الرزق الحسن (ولدار الآخرة) أي ودار الحال الآخرة (خير ولنعم دار المتقين) قال الحسن هي الدنيا لأن أهل التقوى يتزودون فيها للآخرة وقال أكثر المفسرين هي الجنة ثم فسرها فقال (جنات عدن يدخلونها تجري من تحتها الأنهار لهم فيها ما يشاءون كذلك يجزي الله المتقين الذين توفاهم الملائكة طيبين) مؤمنين طاهرين من الشرك قال مجاهد زاكية أفعالهم وأقوالهم وقيل معناه إن أوقاتهم نفع طيبة سهلة (يقولون) يعني الملائكة لهم (سلام عليكم) وقيل معناه يبلغونهم سلام الله (ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون)

بل يغفر للمؤمنين ويدخلهم الجنة برحمته ويعذب الكافرين ويدخلهم النار عدلا منه . وأما
المعتزلة فيثبتون الأحكام بالعقل ويوجبون ثواب الأعمال ويوجبون الأصلاح في خبط طويل
ثم ، تعالى الله عن اختراعاتهم الباطلة المناهضة لنصوص الشرع وفي ظاهر هذا الحديث دلالة
لأهل الحق أنه لا يستحق أحد الثواب والجنة بطاعته . وأما قوله سبحانه وتعالى ادخلوا الجنة
بما كنتم تعملون . وتلك الجنة التي أورشتموها بما كنتم تعملون ونحوها من الآيات التي تدل على أن
الأعمال الصالحة يدخل بها الجنة فلا تعارض بينها وبين هذا الحديث بل معنى الآيات أن
دخول الجنة بسبب الأعمال والثوابين للاخلاص فيها وقبولها برحمة الله تعالى وفضله فيصح
أنه لم يدخل الجنة بمجرد العمل وهو مراد الحديث ويصح أنه دخل بالأعمال أي بسببها وهي
من الرحمة والفضل والمنة والله أعلم بمراده قوله تعالى (هل ينظرون) يعني هؤلاء الذين أشركوا
بالله ووجدوا نبوتك يا محمد (لا أن تأتيهم الملائكة) يعني لقبض أرواحهم (أو يأتي أمر ربك)
يعني بالعذاب في الدنيا وهو عذاب الاستئصال وقيل المراد به يوم القيامة (كذلك فعل الذين
من قبلهم) يعني من الكفر والتكذيب (وما ظلمهم الله) يعني بتعذيب إياهم (ولكن كانوا
أنفسهم يظلمون) يعني باكتسابهم المعاصي والكفر والأعمال القبيحة الخبيثة (فأصابهم سيئات
ما عملوا) يعني فأصابهم عقوبات ما اكتسبوا من الأعمال الخبيثة (وحاق بهم ما كانوا به
يستنزفون) والمعنى ونزل بهم جزاء استنزافهم (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من
دونه من شيء ونحن ولا آباؤنا) يعني أن مشركي مكة قالوا هذا على طريق الاستنزاف والحاصل
أنهم تمسكوا بهذا القول في إزكار النبوة فقالوا لو شاء الله منا الإيمان لحصل جنت أو لم
نجي وما و شاء الله منا الكفر لحصل جنت أو لم نجى . وإذا كان كذلك فالكل من الله فلا فائدة في بعث
رسل إلى الأمم والجواب عن هذا أنهم لما قالوا إن الكل من الله فكأن بعث الرسل عبثا كان هذا اعتراضا
على الله تعالى وهو جار مجرى طلب العلة في أحكام الله وفي أفعاله وهو باطل لأن الله سبحانه وتعالى يفعل
ما يشاء ويحكم ما يريد فلا اعتراض لأحد عليه في أحكامه وأفعاله ولا يجوز لأحد أن يقول له لم فعلت
هذا ولم تفعل هذا وكان في حكم الله وسننه في عباده إرسال الرسل إليهم ليأمرهم بعبادة الله
تعالى وينهونهم عن عبادة غيره وأن الهداية والإصلاح إليه فمن هداة فهو المهتدي ومن أضله
فهو الضال وهذه سنة الله في عباده أنه يأمر الكل بالإيمان به وينهاهم عن الكفر . ثم إنه سبحانه
وتعالى يهدي من يشاء إلى الإيمان ويضل من يشاء فلا اعتراض لأحد عليه . ولما كانت سنة الله
قديمة ببعث الرسل إلى الأمم الكافرة المكذبة كان قول هؤلاء لو شاء الله . اعبدنا من دونه
من شيء ونحن ولا آباؤنا جهلا منهم لأنهم اعتقدوا أن كون الأمر كذلك يمنع من جواز بعث
الرسل وهما الاعتقاد باطل فلا جرم استحقوا عليه الذم والوعيد . وأما قوله تعالى (ولا جرما
من دونه من شيء) يعني الوصاية والسائبة والحام والمعنى فلولا أن الله رضيها لنا لغير ذلك
ولهذا لنا إلى غيره (كذلك فعل الذين من قبلهم) يعني أن من تقدم هؤلاء من كفار مكة ومن
الأمم الماضية كانوا على هذه الطريقة وهذا الفعل الخبيث فأنكار بعثة الرسل كان قديما في الأمم
الخالية (فهل على الرسل إلا البلاغ المبين) يعني ليس إليهم هداية أحد إنما عليهم تبليغ ما أرسلوا
به إلى من أرسلوا إليه (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا) يعني كما بعثنا فيكم محمدا صلى الله عليه
وسلم رسولا (أن اعبدوا الله واجتنبوا الطغوت) يعني أن الرسل كانوا يأمرونهم بأن يعبدوا

وهو كل معبود من دون الله (فمنهم من هدى الله) أي هداه الله إلى دينه (ومنهم من حقت عليه الضلالة) أي وجبت بالقضاء السابق حتى مات على كفره (فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) أي مآل أمرهم وهو خراب منازلهم بالعذاب والملاك (إن تحرص (٩٠) على هداهم) يا محمد (فإن الله لا يهدي من يضل) قرأ أهل الكوفة يهدي بفتح

الله وأن يجتنبوا عبادة الطاغوت وهو اسم كل معبود من دون الله (فمنهم) يعني من الأمم الذين جاءتهم الرسل (من هدى الله) يعني هداه الله إلى الإيمان به وتصديق رسوله (ومنهم من حقت عليه الضلالة) يعني ومن الأمم من وجبت عليه الضلالة بالقضاء السابق في الأزل حتى مات على الكفر والضلال وفي هذه الآية آية دليل على أن الهادي والمضل هو الله تعالى لأنه المتصرف في عباده فيهدي من يشاء ويضل من يشاء لا اعتراض لأحد عليه بما حكى به في سابق عليه (فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين) يعني فسيروا في الأرض معتبرين متفكرين اتعرفوا مآل من كذب الرسل وهو خراب منازلهم بالعذاب والملاك ولتعرفوا أن العذاب نازل بكم إن أصررتم على الكفر والتكذيب كما نزل بهم . قوله سبحانه وتعالى (إن تحرص على هداهم) الخطاب للذي يتلقى يعني إن تحرص يا محمد على هدى هؤلاء ولإيمانهم وتجهد كل الاجتهاد (فإن الله لا يهدي من يضل) قرئ بفتح الياء وكسر الدال يعني لا يهدي الله من أضله وقيل معناه لا يهدي من أضله الله وقرئ بضم الياء وفتح الدال ومعناه من أضله الله فلا هادي له (وما لهم من ناصرين) أي مانعين بمنعوتهم من العذاب (وأقسموا بالله جهداً بما لهم من ناصرين) أي مانعين بمنعوتهم من العذاب (وأقسموا بالله جهداً بما لهم من ناصرين) قال ابن الجوزي سبب نزولها أن رجلاً من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فأتاه بتقاضاه فكان فيما تكلم به المسلم والذي أرجوه بعد الموت فقال المشرك إنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت وأقسم بالله أن لا تبعث الله من يموت فزلت هذه الآية قاله أبو العالية . وتقرير الشبهة التي حصلت للمشركين في إنكار البعث بعد الموت أن الإنسان ليس هو إلا هذه البنية المخصوصة فإذا مات وتفرقت أجزاؤه وبلى امتنع عوده بعينه لأن الشيء إذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فثابه وعدمه فهذا هو أصل شبهتهم ومعتقدم في إنكار البعث بعد الموت فذلك وكذبهم في قولهم فقال تعالى (بلى) يعني بلى بيمينهم بعد الموت لأن لفظة بلى إثبات لما بعد النفي . والجواب عن شبهتهم أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وأوجده من العدم ولم يك شيئاً فالذي أوجده بقدرته ثم أعدهم قادر على إيجادهم بعد إعدامه لأن النشأة الثانية أهون من الأولى (وعدا عليه حقاً) يعني أن الذي وعد به من البعث بعد الموت وعد حق لا يخلف فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يفهمون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء (ليبين لهم الذي يختلفون فيه) يعني من أمر البعث ويظهر لهم الحق الذي لا يخلف فيه (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) يعني في قولهم لابعث بعد الموت (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) يعني أن الله سبحانه وتعالى قادر إذا أراد أن يحيي الموتى ويبيئهم للحساب والجزاء فلا تعب عليه في إحيائهم وبعثهم إنما يقول لشيء أراده كمن فيكون على ما أراد لأنه القادر الذي لا يعجزه شيء أراده (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تبارك وتعالى بشتعني ابن آدم وما يبغني له

الياء وكسر الدال أي لا يهدي الله من أضله وقيل معناه لا يهدي من أضله الله وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الدال يعني من أضله الله فلا هادي له كما قال من يضل الله فلا هادي له (وما لهم من ناصرين) أي مانعين من العذاب قوله تعالى (وأقسموا بالله جهداً بما لهم من ناصرين) أي مانعين من العذاب (وأقسموا بالله جهداً بما لهم من ناصرين) قال ابن الجوزي سبب نزولها أن رجلاً من المسلمين كان له على رجل من المشركين دين فأتاه بتقاضاه فكان فيما تكلم به المسلم والذي أرجوه بعد الموت فقال المشرك إنك لتزعم أنك تبعث بعد الموت وأقسم بالله أن لا تبعث الله من يموت فزلت هذه الآية قاله أبو العالية . وتقرير الشبهة التي حصلت للمشركين في إنكار البعث بعد الموت أن الإنسان ليس هو إلا هذه البنية المخصوصة فإذا مات وتفرقت أجزاؤه وبلى امتنع عوده بعينه لأن الشيء إذا عدم فقد فنى ولم يبق له ذات ولا حقيقة بعد فثابه وعدمه فهذا هو أصل شبهتهم ومعتقدم في إنكار البعث بعد الموت فذلك وكذبهم في قولهم فقال تعالى (بلى) يعني بلى بيمينهم بعد الموت لأن لفظة بلى إثبات لما بعد النفي . والجواب عن شبهتهم أن الله سبحانه وتعالى خلق الإنسان وأوجده من العدم ولم يك شيئاً فالذي أوجده بقدرته ثم أعدهم قادر على إيجادهم بعد إعدامه لأن النشأة الثانية أهون من الأولى (وعدا عليه حقاً) يعني أن الذي وعد به من البعث بعد الموت وعد حق لا يخلف فيه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) يعني لا يفهمون كيف يكون ذلك العود والله سبحانه وتعالى قادر على كل شيء (ليبين لهم الذي يختلفون فيه) يعني من أمر البعث ويظهر لهم الحق الذي لا يخلف فيه (وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين) يعني في قولهم لابعث بعد الموت (إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون) يعني أن الله سبحانه وتعالى قادر إذا أراد أن يحيي الموتى ويبيئهم للحساب والجزاء فلا تعب عليه في إحيائهم وبعثهم إنما يقول لشيء أراده كمن فيكون على ما أراد لأنه القادر الذي لا يعجزه شيء أراده (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تبارك وتعالى بشتعني ابن آدم وما يبغني له

أن

تكن فيكون أخبرنا حسان بن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر

محمد بن محمد بن محمش الزياتي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي ثنا عبد الرزاق أنا معمر بن همام بن منبه ثنا أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قال الله كذبتني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمني

عبدى ولم يكن له ذلك فاما تكذيبه إياى أن يقول لن يعيدنا كما بدأنا وأما (٩١) شتمه إياى أن يقول اتخذ الله

أن يشتمنى ويكذبنى وما ينبغي له أن يكذبنى أما شتمه إياى فيقول إن لى ولدا وأما تكذيبه
إياى فقوله ليس يعيدنى كما بدأتى ، وفى رواية كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك وشتمنى ولم يكن
له ذلك أما تكذيبه إياى فقوله لن يعيدنى كما بدأتى وليس أول الخلق بأهون على من إعادته
وأما شتمه إياى فقوله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا
أحد ، وقوله تعالى (والذين هاجروا فى الله من بعد ما ظلموا) يعنى أودوا وعذبوا نزلت فى بلال
وصهيب وخباب وعابس وجبير وأبى جندل بن سهيل أخذهم المشركون بمكة فجعلوا
يعذبونهم ليرجعوا عن الإسلام إلى الكفر وهم المستضعفون . فأما بلال فكان أصحابه يخرجونه
إلى بطناء مكة فى شدة الحر ويشدونهم ويجعلون على صدره الحجارة وهو يقول أحد أحد فاشترأه
منهم أبو بكر الصديق وأعتقه واشترى معه مئة نقر آخرين وأما صهيب فقال لهم لى رجل
كبير إن كنت معكم فلن أضعكم وإن كنت عليكم فلا أضركم فاشترى نفسه بماله فباعوه منه
فمر به أبو بكر الصديق فقال يا صهيب ربح البيع . وأما باقهم فأعطوهم بعض ما يريدون
فخلوا عنهم وقال قتادة هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظلمهم أهل مكة فأخرجوهم
من ديارهم حتى لحق طائفة بالحبيشة ثم يؤأهم الله المدينة بعد ذلك فجعلها لهم دار هجرة
فهاجروا إليها وجعل لهم أنصارا من المؤمنين فأوهم ونصروهم وواسوهم وهذه الآية تدل
على فضل المهاجرين وفضل الهجرة وفيه دليل على أن الهجرة إذا لم تكن لله خالصة لم يكن
لها موقع وكانت بمنزلة الانتقال من بلد إلى آخر ومنه حديث والأعمال بالنيات وفيه من كانت
هجرتة إلى الله ورسوله فهجرتة إلى الله ورسوله ومن كانت هجرتة إلى دنيا بصيها أو امرأة
ينكحها فهجرتة لى ما هاجر إليه الحديث أخرجاه فى الصحيحين من رواية عمر بن الخطاب
وقوله تعالى (لنبؤأنهم فى الدنيا حسنة) يعنى لنبؤأنهم تبوئة حسنة وهو أنه تعالى أنزلم المدينة
وجعلها لهم دار هجرة والمعنى لنبؤأنهم فى الدنيا دارا حسنة أو بلدة حسنة وهى المدينة روى
عن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه كان إذا أعطى الرجل من المهاجرين عطاء يقول له
تخذ هذا بآرك الله لك فيه هذا ما وعدك الله فى الدنيا وما ادخر لك فى الآخرة أفضل ثم يقول
هذه الآية وقيل معناه ليحسن إليهم فى الدنيا بأن يفتح لهم مكة ويمكنهم من أهلها الذين ظلموهم
وأخرجوهم منها ثم ينصرهم على العرب قاطبة وعلى أهل الشرق والمغرب وقيل المراد بالحسنة
فى الدنيا التوفيق والهداية فى الدين (ولأجر الآخرة أكبر) يعنى أعظم وأفضل وأشرف مما
أعطاهم فى الدنيا (لو كانوا يعلمون) قيل الضمير يرجع إلى الكفار لأن المؤمنين يعلمون
ما لهم فى الآخرة والمعنى لو كان هؤلاء الكفار يعلمون أن أجر الآخرة أكبر مما هم فيه من
نعم الدنيا لرغبوا فيه وقيل إنه راجع إلى المهاجرين والمعنى لو كانوا يعلمون ما أعد الله لهم
فى الآخرة ازادوا فى الجهد والاجتهاد والصبر على ما أصابهم من أذى المركبين (الذين صبروا)
يعنى فى الله على ما نالهم من الأذى والمكروه فهو صفة مدح يعنى صبروا على العذاب ومفارقة
الوطن وعلى الجهاد وبذل الأنفس والأموال فى سبيل الله (وعلى ربهم يتوكلون) يعنى فى أمورهم
كلها قال بعضهم ذكر الله الصبر والتوكل فى هذه الآية وهما مبدأ السلوك إلى الله تعالى ومنتهاه
أما الصبر فهو قهر النفس وحبسها على أعمال البر وسائر الطاعات واحتمال الأذى من الخلق
والصبر عن الشهوات المباحات والمحرمات والصبر على المصائب وأما التوكل فالانقطاع عن

ولدا وأنا الصمد لم
ألد ولم أولد ولم يكن لى
كفوا أحد ، وقوله تعالى
(والذين هاجروا فى الله
من بعد ما ظلموا) عذبوا
وأودوا فى الله نزلت فى
بلال وصهيب وخباب
وعمار وعابس وجبير
وأبى جندل بن سهيل
أخذهم المشركون بمكة
فعدبواهم وقال قتادة
هم أصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ظلمهم أهل
مكة وأخرجوهم من
ديارهم حتى لحق منهم
طائفة بالحبيشة ، ثم يؤأ
الله لهم المدينة بعد ذلك
فجعلها لهم دار هجرة
وجعل لهم أنصارا من
المؤمنين (لنبؤأنهم فى
الدنيا حسنة) وهو أنه
أنزلم المدينة روى أن عمر
ابن الخطاب كان إذا
أعطى الرجل من المهاجرين
عطاء يقول خذ بآرك الله
لك فيه هذا ما وعدك
الله فى الدنيا وما ادخر
لك فى الآخرة أفضل ثم
تلا هذه الآية وقيل معناه
لنحسن إليهم فى الدنيا
وقيل الحسنة فى الدنيا
التوفيق والهداية (ولأجر
الآخرة أكبر لو كانوا
يعلمون) وقوله ولو
كانوا يعلمون بنصرف إلى المشركين لأن المؤمنين كانوا يعلمونه (الذين صبروا) فى الله على ما نالهم (وعلى ربهم يتوكلون)

عليه وسلم وقالوا الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا فهلا بعث إلينا ملكا (فاستأوا أهل الذكر) بمعنى مؤمنى أهل الكتاب (إن كنتم لاتعلمون بالبينات والزبر) واختلفوا في الجلب للباء في قوله بالبينات قبل هي راجعة إلى قوله وما أرسلنا وإلا بمعنى غير مجازه وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر غير رجال يوحى إليهم ولم يبعث ملائكة وقيل تأويله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحى إليهم أرسلناهم بالبينات والزبر (وأزلنا إليك الذكر لتبين لأمم ما نزلنا إليك بالذكر لتبين لأمم ما نزلنا إليك بالذكر الوحي وكان النبي صلى الله عليه وسلم مبينا للوحي وبيان الكتاب يطلب من السنة (والمعلم يتفكرون أفامن الذين مكروا) عملوا (السيئات) من قبل يعنى نمرود بن كنعان وغيره من الكفار (أن يخسف الله بهم الأرض لو يأثمهم العذاب من حيث لايشعرون أو يأخذهم بالعذاب (في تغلبهم) تصرفهم في الأسفار

الخلق بالكلية والنوح إلى الحق تعالى بالكلية فالأول هو مبدأ السلوك إلى الله تعالى والثاني هو آخر الطريق ومنتهاه (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا فوحى إليهم) نزلت هذه الآية جوابا لمشركي مكة حيث أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا الله أعظم وأجل من أن يكون رسوله بشرا فهلا بعث ملكا إلينا فأجابهم الله عز وجل بقوله وما أرسلنا من قبلك يا محمد إلا رجالا يعنى مثلك نوحى إليهم والمعنى أن عادة الله عز وجل جارية من أول مبدأ الخلق أنه لم يبعث إلا رسولا من البشر فهذه عادة مستمرة وسنة جارية قديمة (فاستأوا أهل الذكر) يعنى أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى وإنما أمرهم الله بسؤال أهل الكتاب لأن كفار مكة كانوا يعتقدون أن أهل الكتاب أهل علم وقد أرسل الله إليهم رسلا منهم مثل موسى وعيسى وغيرهم من الرسل وكانوا يشركوا مثلهم فاذا سألوهم فلا بد وأن يخبروهم بأن الرسل الذين أرسلوا إليهم كانوا بشرا فاذا أخبروهم بذلك زالت الشبهة عن قلوبهم (إن كنتم لاتعلمون) الخطاب لأهل مكة يعنى إن كنتم يا هؤلاء لاتعلمون ذلك (بالبينات والزبر) اختلفوا في المعنى الجلب لهذه الباء فقيل المعنى وما أرسلنا من قبلك بالبينات والزبر إلا رجالا يوحى إليهم أرسلناهم بالبينات والزبر وقيل المذكر بمعنى العلم في قوله فاستأوا أهل الذكر يعنى أهل العلم والمعنى فاستأوا أهل الذكر الذى هو العلم بالبينات والزبر إن كنتم لاتعلمون أنتم ذلك . والبينات والزبر اسم جامع لكل ما يتكامل به أمر الرسالة لأن مدار أمر الرسول على المعجزات الدالة على صدقه وهى بالبينات وعلى بيان الشرائع والتكاليف وهى المراد بالزبر يعنى الكتب المنزلة على الرسل من الله عز وجل (وأزلنا إليك الذكر) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم يعنى وأزلنا عليك يا محمد الذكر الذى هو القرآن وإنما سماه ذكرا لأن فيه مواعظ وتنبها للغافلين (لتبين للناس ما نزل إليهم) يعنى ما أجمل إليك من أحكام القرآن وبيان الكتاب يطلب من السنة والمبين لذلك المجمل هو الرسول صلى الله عليه وسلم ولهذا قال بعضهم متى وقع تعارض بين القرآن والحديث وجب تقديم الحديث لأن القرآن مجمل والحديث مبين بدلالة هذه الآية والمبين تقدم على المجمل وقال بعضهم القرآن منه محكم ومنه متشابه فالمحكم يجب أن يكون مبينا والمتشابه هو المجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله تعالى لتبين للناس ما نزل إليهم محمول على ما أجمل فيه دون المحكم البين المفسر (ولعلمهم يتفكرون) يعنى فيما أنزل إليهم فيعملوا به (أفامن الذين مكروا السيئات) فيه حذف تقديره المنكرات السيئات وهم كفار قريش مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبأصحابه وبالغوا في أذيتهم والمكر عبارة عن السعى بالفساد على سبيل الإخفاء وقيل المراد بهذا المكر السعى في أذى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل المراد بالذين مكروا السيئات نمرود ومن هو مثله والصحيح أن المراد بهم كفار مكة (أن يخسف الله بهم الأرض) يعنى كما خسفت بقرون من قبلهم (أو يأثمهم العذاب من حيث لايشعرون) يعنى أن العذاب يأتيهم بغتة فيهلكهم فجاءه كما أهلك قوم لوط وغيرهم (أو يأخذهم في تغلبهم) يعنى في تصرفهم في الأسفار فإنه سبحانه وتعالى قادر على إهلاكهم في السفر كما هو قادر على إهلاكهم في الحضر وقال ابن عباس يأخذهم في اختلافهم وقال ابن جريج في إقبالهم وإدبارهم يعنى أنه تعالى قادر على أن يأخذهم في ليلهم ونهارهم وفي جميع أحوالهم

الفاهم بمعجزين) السابقين الله (أو يأخذهم على تخوف) والتخوف التقص أي يقص من أطرافهم ونواحيهم شيئا بعد شيء حتى يهلك جميعهم يقال تخوفه الدهر وتخوضه إذا تقصه وأخذ ماله وحشمه ويقال هذا لغة بني هزبل وقال الضحاك والكلبي هو من الخوف أي أن يعذب طائفة ليتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل (٩٣) ما أصابهم (فإن ربكم لرؤوف

(فاهم بمعجزين) يعني بسابقين الله أو يفوتونه بل هو قد در عليهم (أو يأخذهم على تخوف) قال ابن عباس ومجاهد يعني على تقص قال ابن قتيبة التخوف التقص ومثله الشخون يقال تخوفه الدهر وتخوفه إذا انتقصه وأخذ ماله وحشمه ويقال هذه لغة هذيل فعلى هذا القول يكون المراد به أنه يتقص من أطرافهم ونواحيهم الشيء بعد الشيء حتى يهلك جميعهم وقيل هو على أصله من الخوف فيحتمل أنه سبحانه وتعالى لا يأخذهم بالعذاب أولا بل يخوفهم ثم يعذبهم بعد ذلك وقال الضحاك والكلبي هو من الخوف يعني يهلك طائفة فيتخوف الآخرون أن يصيبهم مثل ما أصابهم والحاصل أنه سبحانه وتعالى يخوفهم بخسف يحصل في الأرض أو بعذاب ينزل من السماء أو بآفات تحدث دفعة أو بآفات تحدث قليلا قليلا إلى أن يأتي الهلاك على آخرهم ثم إنه سبحانه وتعالى ختم الآية بقوله (فإن ربكم لرؤوف رحيم) يعني أنه سبحانه وتعالى لا يعجل بالعقوبة والعذاب. قوله سبحانه وتعالى (أو لم يروا) قرئ بالياء على خطاب الحاضرين والياء على الغيبة (إلى ما خلق الله من شيء) يعني من جسم قائم له ظل وهذه الرؤية لما كانت بمعنى النظر وصلت بالي لأن المراد منها الاعتبار والاعتبار لا يكون إلا بنفس الرؤية التي يكون معها نظر إلى الشيء ليتأمل أحواله ويتفكر فيه فيعتبر به (يتفثو ظلالة) يعني تميل وتدور من جانب إلى جانب فهي من أول النهار على حال ثم تنقلص ثم تعود في آخر النهار إلى حالة أخرى ويقال للظل بالعشي فيء لأنه من فاء بنيء إذا رجع من المغرب إلى المشرق والفاء الرجوع قال الأزهري تفتؤ الظلال رجوعها بعد انتصاف النهار فالتفتؤ لا يكون إلا بالعشي وما انصرفت عنه الشمس والظل يكون بالغداة وهو ما لم تله الشمس وقوله ظلالة جمع ظل وإنما أضاف الظلال وهو جمع مفرد وهو قوله من شيء لأنه يراد به التكررة ومعناه الإضافة إلى ذوى الظلال (عن اليمين والشمال) قال العلماء إذا طلعت الشمس من المشرق وأنت متوجه إلى القبلة كان ظلك عن يمينك فإذا ارتفعت الشمس واستوت في وسط السماء كان ظلك خلفك فإذا مالت الشمس إلى الغروب كان ظلك عن يسارك وقال الضحاك أما اليمين فأول النهار وأما الشمال فأخر النهار وإنما وحد اليمين وإن كان المراد به الجمع للإيجاز والاختصار في اللفظ وقيل اليمين راجع إلى لفظ الشيء وهو واحد والشمال راجع إلى المعنى لأن لفظ الشيء يراد به الجمع (سجدا لله) في معنى هذا السجود قولان أحدهما أن المراد به الاستسلام والافتقار والخضوع يقال سجد اليعرب إذا طأطأ رأسه ليركب وسجدت النخلة إذا مالت لكثرة الجمل والمعنى أن جميع الأشياء التي لها ظلال فهي متقادة لله تعالى مستسلمة لأمره غير متمتعة عليه فيما صر لها من التفؤ وغيره وقال مجاهد إذا زالت الشمس سجد كل شيء لله والقول الثاني في معنى هذا السجود أن الظلال واقعة على الأرض ملتصقة بها كالساجد على الأرض فلما كانت الظلال شبه شكلها شكل الساجدين أطلق الله عليها هذا اللفظ وقيل ظل كل شيء ساجد لله سواء كان ذلك الشيء يسجد لله أولا ويقال إن ظل الكافر ساجد

رحيم) حين لم يعجل بالعقوبة قوله (أو لم يروا) إلى ما خلق الله من شيء) قرأ حمزة والكسائي بالياء على الخطاب وكذلك في سورة العنكبوت والآخرون بالياء خبرا عن الذين مكروا السيئات إلى ما خلق الله من شيء من جسم قائم له ظل (يتفتؤ) قرأ أبو عمرو ويعقوب بالياء والآخرون بالياء (ظلالة) أي تميل وتدور من جانب إلى جانب فهي من أول النهار على حال ثم تنقلص ثم تعود في آخر النهار إلى حال أخرى سجدا لله فيلأها ودورها سجدتها لله عز وجل ويقال للظل بالعشي فيء لأنه فاء أي رجع من المغرب إلى المشرق فالفاء الرجوع والسجود الميل يقال سجدت النخلة إذا مالت قواها عز وجل (عن اليمين والشمال) قال قتادة والضحاك: أما اليمين

فأول النهار والشمال آخر النهار تسجد الظلال لله ، وقال الكلبي الظل قبل طلوع الشمس عن يمينك وعن شمالك وقدامك وخلفك وكذلك إذا غابت فإذا طلعت كان من قدامك وإذا ارتفعت كان عن يمينك ثم بعده كان خلفك فإذا كان قبل أن تغرب الشمس كان عن يسارك فهلما تفتؤه وتقلبه وهو يسجد لله وقال مجاهد إذا زالت الشمس سجد كل شيء

قوله وقيل المراد من الظلال سجود الأشخاص فان قبيل لم وحده اليمين وجمع الشبائل قبيل من شأن العرب في اجتماع العلامتين
الاكتفاء بواحدة كقوله تعالى «ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم» وقوله «يخرجهم» من الظلمات إلى النور» وقيل اليمين يرجع
إلى قوله ما خلق الله ولفظ ما واحد والشبائل جمع يرجع إلى المعنى (وهم داخرون) صاغرون (وقه يسجد ما في السموات وما
في الأرض) إنما أخبر بما لغاية ما لا يعقل على من يعقل في العدد والحكم للأغلب كتغليب المذكر على المؤنث (من دابة) أراد
من كل حيوان يدب ويقال (٩٤) السجود الطاعة ولأشياء كلها طاعة لله عز وجل من حيوان وجماد قال الله

تعالى «قلنا أتينا طائعين»
وقيل سجود الأشياء تذللها
وتسخرها لما أرادت له
وسخرت له وقيل سجود
الجمادات وما لا يعقل
ظهور أثر الصنع فيه
على معنى أنه يدعو الغافلين
إلى السجود عند التأمل
والتدبر فيه قال الله تعالى
«وسريهم آياتنا في الآفاق»
(والملائكة) خص
الملائكة بالذكر مع
كونهم من جملة ما في
السموات والأرض
تسريفا ورفعاً لشأنهم ،
وقيل لخروجهم من
الموصوفين بالدبيب إذ
لم أجنحة يطيرون بها
وقيل أراد وقه يسجد
ما في السموات من الملائكة
وما في الأرض من دابة
وتسجد الملائكة (وهم
لا يستكبرون يخافون
ربهم من فوقهم) كقوله
وهو القاهر فوق عباده
(ويقولون ما يؤمنون)

الله وهو غير ساجد لله (وهم داخرون) أي صاغرون أذلاء والداخر الصاغر الذي يفعل ما تأمره
به شاء أم أبي وذلك أن جميع الأشياء منقادة لأمر الله تعالى. فان قلت الظلال ليست من العقلاء
فكيف عبر عنها بلفظ من يعقل وجمعها بالواو والتون . قلت لما وصفها الله سبحانه وتعالى
بالطاعة والانتقياد لأمره وذلك صفة من يعقل عبر عنها بلفظ من يعقل وجاز جمعها بالواو
والتون وهو جمع العقلاء قوله عز وجل (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة)
قال العلماء السجود على نوعين سجود طاعة وعبادة كسجود المسلم لله عز وجل وسجود انتقياد
وخضوع كسجود الظلال فقوله والله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة يحتل
النوعين لأن سجود كل شيء بحسب فسجود المسلمين والملائكة لله سجود عبادة وطاعة وسجود
غيرهم سجود انتقياد وخضوع وأتى بلفظ ما في قوله ما في السموات وما في الأرض للتغليب لأن
ملا يعقل أكثر ممن يعقل في العدد والحكم للأغلب كتغليب المذكر على المؤنث
ولأنه لو أتى عن التي هي للعقلاء لم يكن فيها دلالة على التغليب بل كانت متناولة للعقلاء
خاصة فأتى بلفظ ما ليس لـ الكمال ولفظة الدابة مشتقة من الدبيب وهو عبارة عن الحركة
الجسمانية فالدابة اسم يقع على كل حيوان جسماني يتحرك ويدب فيدخل فيه الإنسان لأنه مما
يدب على الأرض ولهذا أفرد الملائكة في قوله (والملائكة) لأنهم أولوا أجنحة يطيرون بها
أو أفردهم بالذكر وإن كانوا من جملة من في السموات لشرفهم وقيل أراد والله يسجد ما في
السموات من الملائكة وما في الأرض من دابة فسجود الملائكة والمسلمين للطاعة وسجود
غيرهم تذليلها وتسخيرها لما خلقت له وسجود ما لا يعقل وسجود الجمادات يدل على قدرة
الصانع سبحانه وتعالى فيدعوا الغافلين إلى السجود لله عند التأمل والتدبر (وهم لا يستكبرون)
يعني الملائكة (يخفون ربهم من فوقهم) هو كقوله وهو القاهر فوق عباده . وقه تقدم تفسيره
(ويقولون ما يؤمنون) عن أبي ذر قال رسول الله ﷺ «إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون
أطت السماء وحق لها أن تغط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجدا والله
لو تعلمون ما أعلم لضحككم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلتذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى
الصعدات تجأرون إلى الله تعالى قال أبو ذر لو ددت أني كنت شجرة تعضده أخرجه الترمذي
وقال عن أبي ذر موقوفا .

(فصل)

وهذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للتأريء والمستمع أن يسجد عند قراءتها

أحمد الملبحي أنا محمد بن سمعان ثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم الشعراني ثنا محمد بن يحيى الذهلي ثنا عبيد الله بن موسى وسماعها
العيسى ثنا إسرائيل عن إبراهيم بن مهاجر عن مجاهد عن مورق عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إني أرى ما لا
ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تغط والذي نفسي بيده موضع أربع أصابع إلا وفيه ملك يسجد
الله وأوتعدون ما أعلم لضحككم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلتذتم بالنساء على الفرشات ولصعدتم إلى الصعدات تجأرون قال
أبو ذر يا ليتني كنت شجرة تعضده رواه أبو عيسى عن أحمد بن منيع عن أبي أحمد الزبيرى عن إسرائيل وقال إلا وملك واضع

وسماعها . قوله سبحانه وتعالى (وقال الله لا تتخذوا إلهين اثنين) لما أخبر الله عز وجل في الآية
المتقدمة أن كل ما في السموات والأرض خاضعون لله متقادون لأمره عابدون له وأنهم في ملكه
وتحت قدرته وقبضته نهى في هذه الآية عن الشرك وعن اتخاذ إلهين اثنين فقال «وقال الله
لا تتخذوا إلهين اثنين» قال الزجاج ذكر الاثنين توكيدا لقوله إلهين وقال صاحب النظم فيه
تقديم وتأخير تقديره لا تتخذوا اثنين إلهين يعني أن الاثنين لا يكون كل واحد منهما إله ولكن
اتخذوا إلهًا واحدًا وهو قوله تبارك وتعالى (إنما هو إله واحد) لأن الإلهين لا يكونان إلا متساويين
في الوجود والقدم وصفات الكمال والقدرة والإرادة فصارت الاثنينية منافية للإلهية وذلك
قوله تعالى إنما هو إله واحد يعني لا يجوز أن يكون في الوجود إلهان اثنان إنما هو إله واحد
(فايأى فارهبون) يعني فخافون والرهب مخافة مع حزن واضطراب وإنما نقل الكلام من الغيبة
إلى الحضور وهو من طريق الالتفات لأنه أبلغ في الترهيب من قوله فإياه فارهبوا فهو من
بديع الكلام وبلغه وقوله فإيأى فارهبون يفيد الحصر وهو أن لا يهرب الخلق إلا منه ولا
يرغبون إلا إليه وإلى كرمه وفضله وإحسانه (وله ما في السموات والأرض) لما ثبت بالدليل
الصحيح والبرهان الواضح أن إله العالم لا شريك له في الإلهية وجب أن يكون جميع المخلوقات
عبيدا له وفي ملكه وتصرفه وتحت قدرته فذلك قوله تعالى وله ما في السموات والأرض يعني
عبيدا وملكا (وله الدين واصبا) يعني واه العباد والطاعة وإخلاص العمل دائما ثابتا والواصب
الدائم قال ابن قتيبة ليس من أحد يدان له ويطاع إلا انقطع ذلك لسبب في حال الحياة أو
بالموت إلا الحق سبحانه وتعالى فإن طاعته واجبة أبدا ولأنه المتعم على عباده المالك لهم فكانت
طاعته واجبة دائما أبدا (أفغير الله تتقون) يعني أنكم عرفتم أن الله واحد لا شريك له في ملكه
وعرفتم أن كل ما سواه محتاج إليه فبعد هذه المعرفة كيف تخافون غيره وتتقون سواه فهو
استفهام بمعنى التعجب وقيل هو استفهام على طريق الإنكار قوله عز وجل (وما بكم من
نعمة فمن الله) يعني من نعمة الإسلام وصحة الأبدان وسعة الأرزاق وكل ما أعطاكم من مال
أو ولد فكل ذلك من الله تعالى إنما هو المتفضل به على عباده فيجب عليكم شكره على جميع
إنعامه . ولما بين في الآية المتقدمة أنه يجب على جميع العباد أن لا يخافوا إلا الله تعالى بين في هذه
الآية أن جميع النعم منه فلا يشكر عليها إلا إياه لأنه هو المتفضل بها على عباده فيجب عليهم
شكره عليها (ثم إذا مسكم الضر) أي الشدة والأمراض والأسقام (فأليه تجأرون) يعني إليه
تستغيثون وتصيحون بالدعاء ليكشف عنكم ما نزل بكم من الضرر والشدة وأصل
الجؤار هو رفع الصوت الشديد ومنه جؤار البقر والمعنى أن النعم لما كانت كلها ابتداء منه
فإن حصل شدة وضر في بعض الأوقات فلا يلجأ إلا إليه ولا يدعى إلا إياه ليكشفها فإنه هو
القادر على كشفها وهو قوله تعالى (ثم إذا كشف الضر عنكم) يعني ثم إذا أزال الشدة والبلاء
عنكم (إذا فرق منكم) يعني طائفة وجماعة منكم (بربهم يشركون) يعني أنهم يضيفون كشف
الضر إلى العوائد والأسباب ولا يضيفونه إلى الله عز وجل فهذا من جملة شركهم الذي كانوا
عليه وإنما قسمهم فريقين لأن فريق المؤمنين لا يرون كشف الضر إلا من الله تعالى ثم قال
تعالى (ليكفروا بما آتيناكم) قيل إن هذه اللام لام كي ويكون المعنى على هذا أنهم إنما أشركوا
بالله ليجهلوا نعمه عليهم في كشف الضر عنهم وقيل إنها لام العاقبة والمعنى عاقبة أمرهم هو

جبهته ساجدا لله قوله
تعالى (وقال الله
لا تتخذوا إلهين اثنين
إنما هو إله واحد فإيأى
فارهبون وله ما في
السموات والأرض
وله الدين) الطاعة
الإخلاص (واصبا) دائما
ثابتا معناه ليس من أحد
يدان له ويطاع إلا
انقطع ذلك عنه بزوال
أوهلاك غير الله عز وجل
فإن الطاعة تدوم له ولا
تقطع (أفغير الله تتقون)
أي تخافون استفهام على
طريق الإنكار قوله
تعالى (وما بكم من نعمة
فمن الله) أي وما يكن بكم
من نعمة فمن الله (ثم إذا
مسكم الضر) التقط
والمرض (فأليه تجأرون)
تصيحون وتصيحون
بالدعاء والاستغاثة (ثم
إذا كشف الضر عنكم
إذا فريق منكم يربهم
يشركون ليكفروا)
ليجهلوا (بما آتيناكم)
وهذه اللام تسمى لام

كفرهم بما آتيناهم من النعماء وكشفنا عنهم الضر والبلاء (فتمتعوا) لفظه أمر والمراد منه التهديد والوعيد يعنى فعيشوا في اللذة التي آتتكم في المدة التي ضربها الله لكم (فسوف تعلمون) يعنى عاقبة أمركم إلى ماذا تصير وهو نزول العذاب بكم. قوله سبحانه تعالى (ويجعلون لما لا يعلمون نصيبا) قبل الضمير في قوله لما لا يعلمون عائد إلى المشركين يعنى أن المشركين لا يعلمون وقبله لأنه عائد إلى الأصنام يعنى أن الأصنام لا تعلم شيئا البتة لأنها جماد والجماد لا علم له ومنهم من رجح القول الأول لأن نبي العلم عن الحى حقيقة وعن الجماد مجاز فكان عود الضمير إلى المشركين أولى ولأنه قال لما لا يعلمون فجمعهم بالواو والنون وهو جمع لمن يعقل ومنهم من رجح القول الثاني قل لنا إذا قلنا أنه عائد إلى المشركين احتجنا فيه إلى إضمار فيكون المعنى ويجعلون يعنى المشركين لما لا يعلمون أنه إله ولا إله حتى نصيبا وإذا قلنا إنه عائد إلى الأصنام لم يفتح إلى هذا الإضمار لأنها لا علم لها ولا فهم وقوله (مما رزقناهم) يعنى أن المشركين جعلوا للأصنام نصيبا من حروثهم وأنعامهم وأموالهم التي رزقهم الله وقد تقدم تفسيره في سورة الأنعام (تالله) أقدم بنفسه على نفسه أنه يسألهم يوم القيامة وهو قوله تعالى (لتسألن عما كنتم تفترون) يعنى عما كنتم تكذبون في الدنيا في قولكم إن هذه الأصنام آلهة وإن لها نصيبا من أموالكم وهذا التفات من الغيبة إلى الحضور وهو من بديع الكلام وبلغه (ويجعلون لله البنات) هم خزاعة وكثانة قالوا الملائكة بنات الله وإنما أطلقوا لفظ البنات على الملائكة لاستئثارهم عن العيون كالنساء أو لدخول لفظ التأنيث في تسميتهم (سبحانه) نزه الله نفسه عن الولد والبنات (ولهم ما يشتهون) يعنى ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون يعنى البنين (وإذا بشر أحدهم بالأنثى) البشارة عبارة عن الخبر السار الذى يظهر على بشرة الوجه أثر الفرح به ولما كان ذلك الفرح والمرور بوجبان تغير بشرة الوجه كان كذلك الحزن والغم يظهر أثره على الوجه وهو الكودة التي تملأ الوجه عند حصول الحزن والغم فثبت بهذا أن البشارة لفظ مشترك بين الخبر السار والخبر الحزن فصح قوله وإذا بشر أحدهم بالأنثى (ظل وجهه مسودا) يعنى متغيرا من الغم والحزن والغيظ والكراهة التي حصلت له عند هذه البشارة والمعنى أن هؤلاء المشركين لا يرضى أحدهم بالبنت الأنثى أن تنسب إليه فكيف يرضى أن ينسبها إلى الله تعالى فقيه تكبى لهم وتوبيخ . وقوله سبحانه تعالى (وهو كظيم) يعنى أنه ظل ممثلا غما وحزنا (يتوارى من القوم من سوء ما بشره) يعنى أنه يخفى من ذلك القول الذى بشر به وذلك أن العرب كانوا في الجاهلية إذا قربت ولادة زوجة أحدهم توارى من القوم إلى أن يعلم ما ولد له فإن كان ولدا ابتهج وسر بذلك وظهر وإن كانت أنثى حزن ولم يظهر أياما حتى يفسكها يصنع بها وهو قوله تعالى (أيمنسكه على هون) يعنى على هوان وإنما ذكر الضمير فى أيمنسكه لأنه عائد إلى ما بشر به فى قوله وإذا بشر أحدهم (أم يدسه فى التراب) يعنى أم يخفى الذى بشر به فى التراب والدمس إخفاء الشيء فى الشيء قال أهل التفسير إن مضر وخزاعة ونميا كانوا يدفنون البنات أحياء والسبب فى ذلك إما خوف الفقر وكثرة العيال ولزوم الفقة أو الخمية فيخافون عليهن من الأسر ونحوه أو طمع غير الأكله فهن فكان الرجل من العرب فى الجاهلية إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحيها تركها حتى إذا كبرت ألبسها جبة من صوف أو شعر وجعلها ترعى الإبل والغم فى البادية وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا عذارت

أى عيشوا في الدنيا المدة التي ضربها لكم (فسوف تعلمون) عاقبة أمركم هذا وعيد لهم (ويجعلون لما لا يعلمون) له حقا أى الأصنام (نصيبا مما رزقناهم) من الأموال وهو ما جعلوا للأوثان من حروثهم وأنعامهم فقالوا هذا لله زعمهم وهذا لشركائنا ثم رجح من الخبر إلى الخطاب فقال (تالله لتسألن) يوم القيامة (عما كنتم تفترون) فى الدنيا (ويجعلون لله البنات) وهم خزاعة وكثانة قالوا الملائكة بنات الله تعالى (سبحانه) وهم ما يشتهون (أى ويجعلون لأنفسهم البنين الذين يشتهونهم فيكرن ما فى محل النصب ويجوز أن يكون على الابتداء فيكون ما فى محل الرفع (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا) متغيرا من الغم والكراهية (وهو كظيم) وهو ممثلا حزنا وغبضا فهو يكظمه أى يمسكه ولا يظهره (يتوارى) أى يخفى (من القوم من سوء ما بشر به) من الحزن والعار ثم يفسك (أيمنسكه) ذكر الكناية ردا على ما (على هون) أى هوان (أم يدسه فى التراب) أى يخفيه فيئده وذلك أن مضر وخزاعة ونميا كانوا يدفنون

البنات أحياء خوفا من الفقر عليهن وطبع غير الأكفأ فيهن وكان الرجل من العرب إذا ولدت له بنت وأراد أن يستحيها
ألبسها جبة من صوف أو شعر وتركها ترعى له لإبل والغنم في البادية وإذا أراد أن يقتلها تركها حتى إذا صارت سداسية قال
لأمها زينبها حتى أذهب بها إلى إحمامها وقد حضر لها بئرا في الصحراء فإذا بلغ (٩٧) بها البئر قال لها أنظري إلى هذه

البئر فيدفعها من خلفها
في البئر ثم يهيل على رأسها
التراب حتى يستوى
البئر بالأرض فذلك
قوله عز وجل (أبمسكه
على هون أم يدمه في
التراب) وكان صعصعة
عم الفرزدق إذا أحس
بشيء من ذلك وجه إلى
والد البنت لإبلا يحييها
بذلك فقال الفرزدق

يفتخر به :
وعمي الذي منع
الوائدات
فأحيا الوئيد فلم
يواد

(الأساء ما يحكمون)
بئس ما يقضون فالبنت
ولأنفسهم البنين نظيره
ألكم الذكر وله لأبني
تلك إذا قسمة ضيزى
وقيل بئس حكمهم
وأد البنات (للذين
لا يؤمنون بالآخرة)
يعني هؤلاء الذين يصفون
الله البنات ولأنفسهم
البنين (مثل السوء) صفة
السوء من الاحتياج إلى
الولد وكراهية الإناث
وقتلن خوف الفقر

سداسية قال لأمها زينبها حتى أذهب بها إلى إحمامها ويكون قد حضر لها حفرة في الصحراء
فإذا بلغ بها تلك الحفرة قل لها أنظري إلى هذه البئر فإذا نظرت إليها دفعها من خلفها في تلك
البئر ثم يهيل التراب على رأسها وكان صعصعة عم (١) الفرزدق إذا أحس بشيء من ذلك
وجه بابل إلى والد البنت حتى يحييها بذلك فقال الفرزدق يفتخر بذلك .
وعمي الذي منع الوائدات فأحيا الوئيد فلم يواد

عن ابن مسعود قال . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الوائدة والمؤودة في النار أخرجه
أبو داود . وقوله تعالى (الأساء ما يحكمون) يعني بئس ما يصنعون ويقضون حيث يجعلون لله الذي
خلقهم البنات وهم يستكفون منهم ويعملون لأنفسهم البنين نظيره قوله سبحانه وتعالى (ألكم
الذكر وله الأئني تلك إذا قسمة ضيزى) وقيل معناه (الأساء ما يحكمون في وأد البنات) للذين
لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء) يعني صفة السوء من احتياجهم إلى الولد الذكر وكراهتهم للإناث
وقتلن خوف الفقر (وقه المثل الأعلى) أي الصفة العليا المقدسة وهي أنه التوحيد وأنه المنزه عن
الولد وأنه لا إله إلا هو وأن له جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء السرمدى
وغير ذلك من الصفات التي وصف الله بها نفسه وقال ابن عباس مثل السوء النار والمال
الأعلى شهادة أن لا إله إلا الله (وهو العزيز) أي الممتنع في كبريائه وجلاله (الحكيم) يعني
في جميع أفعاله قوله (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم) يعني بسبب ظلمهم فيعاجلهم بالعقوبة
على ظلمهم وكفرهم وعصيانهم . فان قلت الناس اسم جنس يشمل الكل وقد قال تعالى
في آية أخرى (قد ظلم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) فقسهم في تلك الآية
ثلاثة أقسام فجعل الظالمين قسما واحدا من الثلاثة . قلت قوله (ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم
عام مخصوص بتلك الآية الأخرى لأن في جنس الناس الأنبياء والصالحين ومن لا يطاق عليه
اسم الظلم وقيل أراد بالناس الكفار فقط بدليل قوله (إن الشرك لظلم عظيم) وقوله (ماترك
عليها) يعني على الأرض كناية عن غير مذكور لأن الدابة لا تدب إلا على الأرض (من دابة)
يعني أن الله سبحانه وتعالى لو يؤاخذ الناس بظلمهم لأهلك جميع الدواب التي على وجه
الأرض قال قتادة وقد فعل الله ذلك في زمن نوح عليه السلام فأهلك من كان على وجه الأرض
إلا من كان في السفينة مع نوح عليه السلام وروى أن أبا هريرة سمع رجلا يقول إن الظالم لا يضر
إلا نفسه فقال بئس ما قلت إن الحبارى تموت هزلا بظلم الظالم وقال ابن مسعود إن الجعل
تعذب في جحرها يذنب ابن آدم وقيل أراد بالدابة الكافر بدليل قوله (إن شر الدواب عند
الله الذين كفروا) وقيل في معنى الآية (ولو يؤاخذ الله الآباء الظالمين بسبب ظلمهم لا تناطع
(١) قوله صعصعة عم كذا بالنسخ التي بأيدينا والصواب جد وكذا قوله (وعمي الذي)

الصواب وجدى الذي كما هو مقرر في كتب الأدب اه .

(١٣ - خازن بالبغوي - رابع)
إلاه و قيل جميع صفات الجلال والكمال من العلم والقدرة والبقاء وغيرها من الصفات قال ابن عباس مثل السوء النار
والمثل الأعلى شهادة أن لا إله إلا الله (وهو العزيز الحكيم) ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم (فيعاجلهم بالعقوبة على كفرهم
وعصيانهم) (ماترك عليها) أي على الأرض كناية عن غير مذكور (من دابة) قال قتادة في الآية قد فعل الله ذلك من زمن

نوح فأهلك من على الأرض إلا من كان في سفينة نوح عليه السلام روى أن أبا هريرة سمع رجلا يقول إن الظالم لا يضر إلا نفسه فقال بشس ماقلت إن الحباري تموت في وكرها بظلم الظالم وقال ابن مسعود إن الجعل لتعذب في جحرها بذنب ابن آدم وقيل إن معنى الآية لو يؤخذ الله آباء الظالمين بظلمهم انقطع النسل ولم توجد الأبناء فلم يبق في الأرض أحد (ولكن يؤخرهم إلى أجل) بمهلهم بحلمه (٩٨) إلى أجل (مسمى) إلى منتهى آجالهم وانقطاع أعمارهم (فاذا جاء أجلهم

لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) قوله عز وجل (ويجعلون لله ما يكفرون) لأنفسهم يعني البنات (ونصف) أي تقول (ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى) يعني البنين محل إن نصب يدل عن الكذب قال بمان يعني بلحسنى الجنة في المعاد يقولون نحن في الجنة إن كان محمد صادقا بالوعد في البعث (لاجرم) حقا قال ابن عباس بلى (أنهم النار) في الآخرة (وأهم مفرطون) قرأ نافع بكسر الراء أي مسرفون وقرأ أبو جعفر بتشديد الراء وكسرها أي مضيعون أمر الله وقرأ الآخرون بفتح الراء وتخفيفها أي منسيون في النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبيرة مبعدون وقال مقاتل متروكون قال قتادة معجلون إلى النار قال القراء مقدمون إلى النار

النسل ولم توجد الأبناء فلم يبق في الأرض أحد (ولكن يؤخرهم) يعني بمهلهم بفضله وكرمه وحلمه (إلى أجل مسمى) يعني إلى انتهاء آجالهم وانقضاء أعمارهم (فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) يعني لا يؤخرون ساعة من الأجل الذي جعله الله لهم ولا يتقصون عنه وقيل أراد بالأجل المسمى يوم القيامة والمعنى ولكن يؤخرهم إلى يوم القيامة فيعذبهم فلا يستأخرون عنه ساعة ولا يستقدمون (ويجعلون لله ما يكفرون) يعني لأنفسهم وهي البنات (وتصف ألسنتهم الكذب أن لهم الحسنى) يعني ويقولون أن لهم البنين وذلك أنهم قالوا لله البنات ولنا البنون وهذا القول كذب منهم وافتراء على الله وقيل أراد بالحسنى الجنة والمعنى أنهم مع كفرهم وقولهم الكذب يزعمون أنهم على الحق وأن لهم الجنة وذلك أنهم قالوا إن كان محمد صادقا في البعث بعد الموت فإن لنا الجنة لأننا على الحق فأكذبهم الله تعالى فقال (لاجرم أن لهم النار) يعني في الآخرة لا الجنة (وأهم مفرطون) قرئ بكسر الراء مع التخفيف يعني مسرفون وقرئ بكسر الراء مع التشديد يعني مضيعون لأمر الله وقرأة الجمهور بفتح الراء مع تخفيفها أي منسيون في النار قاله ابن عباس وقال سعيد بن جبيرة ومقاتل متروكون وقال قتادة معجلون إلى النار وقال القراء مقدمون إلى النار والفرط ما تقدم إلى الماء قبل القوم ومنه قوله ^{عنه} ^{عنه} أنا فرطكم على الحوض أي متقدمكم (ناله لقد أرسلنا إلى أم من قبلك) يعني كما أرسلناك إلى هذه الأمة لقد أرسلنا إلى أم من قبلك فكان شأنهم مع رسالهم التكذيب ففيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فزين لهم الشيطان أعمالهم) يعني أعمالهم الخبيثة من الكفر والتكذيب والمزين في الحقيقة هو الله تعالى هذا مذهب أهل السنة وإنما جعل الشيطان آلة بالقاء الوسوسة في قلوبهم وليس له قدرة أن يضل أحدا أو يهدي أحدا وإنما له الوسوسة فقط فمن أراد الله شقاوته سلطه عليه حتى يقبل وشوسته (فهو وليهم) أي ناصرهم (اليوم) ومن كان الشيطان وليه وناصره فهو مخذول مغلوب مقهور وإنما سماه وليا لهم لطاعتهم إياه (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) يعني في أمر الدين والأحكام فتبين لهم الهدى من الضلال والحق من الباطل والحلال من الحرام (وهدى ورحمة) يعني وما أنزلنا عليك الكتاب إلا بيانا وهدى ورحمة (لقوم يؤمنون) لأنهم هم المنتفعون به قوله سبحانه وتعالى (والله أنزل من السماء ماء) يعني المطر (فأحيا به) يعني بالماء (الأرض) يعني بالنبات والزرع (بعدموتها) يعني يبسه ووجدوتها (إن في ذلك لآية) يعني دلالة واضحة على كمال قدرتنا (لقوم يسمعون) يعني سماع إنصاف وتدبر وتفكر لأن سماع القلوب هو النافع لاسماع الآذان فمن سمع آيات الله أي القرآن بقلبه وتدبرها وتفكر فيها انتفع ومن لم يسمع

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم وأنا فرطكم على الحوض أي متقدمكم (ناله لقد أرسلنا إلى أم من قبلك) كما أرسلنا بقلبه إلى هذه الأمة (فزين لهم الشيطان أعمالهم) الخبيثة (فهو وليهم) ناصرهم (اليوم) وقرينهم سماه وليا لهم لطاعتهم إياه (ولهم عذاب أليم) في الآخرة (وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه) من الدين والأحكام (وهدى ورحمة لقوم يؤمنون) أي ما أنزلنا عليك الكتاب إلا بيانا وهدى ورحمة فالهدى والرحمة عطف على قوله لتبين (والله أنزل من السماء ماء) يعني المطر (فأحيا به الأرض) بالنبات (بعدموتها) يبوستها (إن في ذلك لآية لقوم يسمعون) سماع القلوب لاسماع الآذان

(وإن لكم في الأنعام لعبرة) لعظة (نسيبكم) بفتح النون هاهنا وفي المؤمنين قرأ نافع وابن عامر وأبو بكر ويعقوب والياقون بضها
وهما لغتان (مما في بطونه) قال القراء رد الكناية إلى النعم والنعم والأنعام واحد (٩٩) ولفظ النعم مذكر قال أبو عبدة

والأخفش النعم يذكر
ويؤنث فن أنت فالنعي
الجمع ومن ذكر فلحكم
اللفظ قال الكسائي رده
إلى ما يعنى في بطون
ما ذكرنا، وقال المؤرخ
الكناية مردودة إلى
البعض والجزء كأنه قال
نسيبكم مما في بطونه اللبن
إذ ليس لكلها لبن
واللبن فيه مضممر (من
بن فرث) وهو ماني
الكرش من الثفل فإذا
خرج منه لا يسمى فرثا
(ودم لبنا خالصا) من
الدم والقرث ليس عليه
لون دم ولا رائحة فرث
(سائغا للشاربين) هنيئا
يجرى على السهولة في
الخلق وقيل إنه لم يعض
أحدا باللبن قط قال ابن
عباس إذا أكلت
الداية العلف واستقر في
كرشها وطحنته كان
أسفله الفرث وأوسطه
اللبن وأعلاه الدم والكبد
مسلطة عليها تقسمها
بتقدير الله تعالى فيجري
الدم في العروق واللبن
في الضرع ويبقى الفرث
كما هو (ومن ثمرات
التخيل والأعناب)
يعنى ولكم أيضا عبرة

بقره لم يذفع بالآيات (وإن لكم في الأنعام لعبرة) يعنى إذا تفكرتم فيها عرفتم كمال قدرتنا
على ذلك (نسيبكم مما في بطونه) الضمير عائذ إلى الأنعام وكان حقه أن يقال مما في بطونها
واختلف النحويون في الجواب فقيل إن لفظ الأنعام مفرد وضع لإفادة الجمع فهو بحسب
اللفظ مفرد فيكون ضميره ضمير الواحد وهو مذكر وبحسب المعنى جمع فيكون ضميره
ضمير الجمع وهو مؤنث فلهمنا المعنى قال هنا مما في بطونه وقال في سورة المؤمنين مما في بطونها
وهذا قول أبي عبدة والأخفش وقال الكسائي إنه رده إلى ما ذكر يعنى مما في بطون ما ذكرنا
وقال غيره الكناية مردودة إلى البعض وفيه إضمار كأنه قال نسيبكم مما في بطونه الآن فأضمر
اللبن إذ ليس لكلها لبن (من بين فرث) وهو ماني الكرش من الثفل فإذا خرج منها لا يسمى
فرثا (ودم لبنا خالصا) يعنى من الدم والقرث ليس عليه لون الدم ولا رائحة الفرث قال ابن
عباس إذا أكلت الداية العلف واستقر في كرشها وطحنته كان أسفله فرثا وأوسطه لبنا وأعلاه
دما فالكبد مسلطة عليه تقسمه بتقدير الله سبحانه وتعالى فيجري الدم في العروق واللبن
في الضروع ويبقى الثفل كما هو (سائغا للشاربين) يعنى هنيئا سهلا يجرى في الخلق بسهولة قبل
إنه لم يعض أحد باللبن قط هذا قول المفسرين في معنى هذه الآية وحكى الإمام فخر الدين
الرازي قول الحكماء في ذلك فقال ولتقاتل أن يقول الدم واللبن لا يتولدان في الكرش البتة
والدليل عليه الحسن فإن هذه الحيوانات تدمج ذبجا متواليا وما رأى أحد في كرشها دما ولا
لبن بل الحق أن الحيوان إذا تناول الغداء وصل ذلك العلف إلى معدته إن كان إسانا وإلى
كرشها إن كان من الأنعام وغيرها فإذا طبخ وحصل المضم الأول فيه فإما كان منه صافيا
انجذب إلى الكبد وما كان كثيفا نزل إلى الأمعاء ثم ذلك الذى حصل في الكبد ينطبخ فيها
ويصير دما وهو المضم الثاني ويكون ذلك مخلوطا بالصفراء والسوداء وزيادة المائة فأما الصفراء
فتذهب إلى المرارة وأما السوداء فتذهب إلى الطحال وأما المائة فتذهب إلى الكلبة ومنها
إلى المثانة وأما الدم فيذهب في الأوردة وهي العروق الباقية من الكبد وهناك يحصل المضم
الثالث وبين الكبد وبين الضرع عروق كثيرة فينصب الدم من تلك العروق إلى الضرع والضرع لحم
غددى رخو أبيض فيثلب الله عز وجل ذلك الدم عند انصبابه إلى ذلك اللحم الغددى الرخو
الأبيض فيصير الدم لبنا فهنا صورة تكون اللبن في الضرع فاللبن إنما يتولد من بعض أجزاء
الدم والدم إنما يتولد من بعض الأجزاء اللطيفة من الأشياء المأكولة الحاصلة في الكرش
فاللبن تولد أولا من الفرث ثم من الدم ثانيا ثم صفاء الله سبحانه وتعالى بقارته فجعله لبنا
خالصا من بين فرث ودم وعند تولد اللبن في الضرع يخلق الله عز وجل بلطف حكيمته في حلقة
الذى تقبها صفرا ومسام ضيقة فيجعلها كالمصفاة للبن فيكل ما كان أظنفا من اللبن خرج
بالمص أو الحلب وما كان كثيفا احتبس في البدن وهو المراد بقوله خالصا يعنى من شوائب
كدورة الدم والفرث سائغا للشاربين يعنى جازيا في خلوقهم سهلا للبدن هنيئا مريئا قوله
عز وجل (ومن ثمرات التخيل والأعناب) يعنى ولكم أيضا عبرة فيها نسيبكم ونزقكم من
ثمرات التخيل والأعناب (تتخذون منه) الضمير في منه يرجع إلى ما تقدروه ولكم من ثمرات التخيل
والأعناب ما تتخذون منه (سكرا ورزقا حسنا) قال ابن مسعود وابن عمر والحسن وسعيد

فيا نسيبكم ونزقكم من ثمرات التخيل والأعناب (تتخذون منه) والكناية في منه عائذة إلى ما يحلوه أى ما تتخذون منه
(سكرا ورزقا حسنا) قال قوم السكر الحمر والرزق الحسن الخلل والزبيب والتمر والرب قانوا وهذا قبل تحريم الخمر وإلى

ابن جبير ومجاهد وإبراهيم وابن أبي ليلى والرجاج وابن قتيبة السكر الحمر سميت بالمصغر من قولهم سكر سكرًا وسكرًا والرزق الحسن ما يتخذ من ثمرات النخيل والأعناب مثل الدبس والتمر والزبيب والنخل وغير ذلك . فإن قلت الحمر محرمة فكيف ذكرها الله عز وجل في معرض الإنعام والإمتنان ؟ قلت قال العلماء في الجواب عن هذا إن هذه السورة مكية وتحرم الحمر إنما نزل في سورة المائدة وهي مدنية فكان نزول هذه الآية في الوقت الذي كانت الحمر فيه غير محرمة وقيل إن الله عز وجل نبه في هذه الآية على تحريم الحمر أيضا لأنه مزيينها وبين الرزق الحسن في الذكر فوجب أن يقال الرجوع عن كونه حسنا يدل على التحريم وروى العوفي عن ابن عباس أن السكر هو الخلل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر هو النبيذ وهو نقيع التمر والزبيب إذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعي ومن يبيع شرب النبيذ ومن يجرمه بقول المراد من الآية الإخبار لا الإحلال وأولى الأقاويل أن قوله تتخذون منه سكرًا منسوخ مثل ابن عباس عن هذه الآية فقال السكر ما حرم من ثمراتها والرزق الحسن ما حل قلت القول بالنسخ فيه نظر لأن قوله ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرًا ورزقا حسنا خير والأخبار لا يدخلها النسخ ومن زعم أنها منسوخة رأى أن هذه الآية زالت بمكة في وقت إياحة الحمر ثم إن الله تبارك وتعالى حرّمها بالمدينة فحكم على هذه الآية بأنها منسوخة وقال أبو عبيدة في معنى الآية السكر الطعم يقال هذا سكر لك أي طعم لك وقال غيره السكر ماسد الجوع من قولهم سكرت النهر أي سدته والتمر والزبيب مما يسد الجوع وهذا شرح قول أبي عبيدة أن السكر الطعم (إن في ذلك) يعني الذي ذكر من إنعامه على عباده (آية) يعني دلالة وحجة واضحة (لقوم يعقلون) يعني أن من كان عاقلا استدلل بهذه الآية على كمال قدرة الله تعالى ووجدانيته وعلم بالضرورة أن هذه الأشياء خالقا ومدبرا قادرا على ما يريد . قوله سبحانه وتعالى (وأوحى ربك إلى النحل) لما ذكر الله سبحانه وتعالى دلائل قدرته وعجائب صنعته الدالة على وحدانيته من إخراج اللبن من بين فرث ودم وإخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات النخيل والأعناب ذكر في هذه الآية إخراج العسل الذي جعله شفاء للناس من دابة ضعيفة وهي النحلة فقال سبحانه وتعالى وأوحى ربك إلى النحل الخطاب فيه للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به كل فرد من الناس ممن له عقل وتفكير يستدل به على كمال قدرة الله ووجدانيته وأنه الخالق لجميع الأشياء المدبر لها بلطف حكيمته وقدرته وأصل الوحي الإشارة السريعة وذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز والتعريض وقد يكون بصوت مجرد ويقال للكلمة الإلهية التي يلقها الله إلى أنبيائه وحي وإلى أوليائه إلهام وتسخير الطير لما خلق له ومنه قوله تعالى (وأوحى ربك إلى النحل) يعني أنه نخرها لما خلقها له وألمها رشدها وقدر في أنفسها هذه الأعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلاء من البشر وذلك أن النحل تبني بيوتها على شكل مسدس من أضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض بمجرد طباعها ولو كانت البيوت مدورة أو مثلثة أو مربعة أو غير ذلك من الأشكال لكان فيما بينها خلل ولما حصل المقصود فألمها الله سبحانه وتعالى أن تبنيها على هذا الشكل المسلس الذي لا يحصل فيه خلل وفرجة خالية ضائعة وألمها الله تعالى أيضا أن تجعل عليها أميرا كبيرا ناقل الحكم فيها وهي طبيعته وتمثل أمره ويكون هذا الأمير أكبرها جثة وأعظمها

هذا ذهب ابن مسعود وابن عمر وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد وقال الشعبي للسكر ما شربت والرزق الحسن ما أكلت وروى العوفي عن ابن عباس أن السكر هو الخلل بلغة الحبشة وقال بعضهم السكر النبيذ المسكر وهو نقيع التمر والزبيب إذا اشتد والمطبوخ من العصير وهو قول الضحاك والنخعي ومن يبيع شرب النبيذ ومن حرم يقول المراد من الآية الإخبار لا الإحلال وأولى الأقاويل أن قوله تتخذون منه سكرًا منسوخ روى عن ابن عباس قال السكر ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما حل وقال أبو عبيدة السكر الطعم يقال هذا سكر لك أي طعم (إن في ذلك آية لقوم يعقلون) وأوحى ربك إلى النحل

خلقة ويسمى بعسوب النحل يعني ملكها كذا حكاه الجوهرى وألمها الله سبحانه وتعالى أيضا أن جعلت على باب كل خلية بوابا لا يمكن غير أهلها من الدخول إليها وألمها الله سبحانه وتعالى أيضا أنها تخرج من بيوتها وتدور وترعى ثم ترجع إلى بيوتها ولا تفصل عنها ولما امتاز هذا الحيوان الضعيف بهذه الخواص العجيبة الدالة على مزيد الذكاء والقطنة دل ذلك على الإلهام الإلهي فكان ذلك شبيها بالوحي ولذلك قال تبارك وتعالى وأوحى ربك إلى النحل والنحل زنبور العسل ويسمى الدبر أيضا قال الزجاج يجوز أن يقال سمى هذا الحيوان نحلا لأن الله سبحانه وتعالى نحل الناس العسل الذي يخرج من بطونها بمعنى أعطاهم وقال غيره النحل يذكر ويؤنث وهي مؤنثة في لغة الحجاز وكذا أنها الله تعالى فقال (أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون) بمعنى يبنون ويفقون وذلك أن النحل منه وحشى وهو الذى يسكن الجبال والشجر ويأوى إلى الكهوف ومنه أهلى وهو الذى يأوى إلى البيوت ويرببه الناس عندهم وقد جرت العادة أن الناس يبنون للنحل الأماكن حتى تأوى إليها وقال ابن زيد أراد بالذى يعرشون الكروم (ثم كلى من كل الثمرات) بمعنى من بعض الثمرات لأنها لا تأكل من جميع الثمار فلفظة كل هاهنا ليست للعموم (فاسلكى سبل ربك) بمعنى الطرق التى أهدى الله أن تسلكها وتدخلى فيها لأجل طلب الثمرات (ذللا) قيل إنها نعت للسبل بمعنى أنها مدللة لك الطرق مسهلة لك مسالكها قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان تسلكه وقيل الذلل نعت للنحل بمعنى أنها مدللة مسخرة لأربابها مطيعة منقادة لهم حتى أنهم يتقلونها من مكانها إلى مكان آخر حيث شاءوا وأرادوا لا تستعصى عليهم (يخرج من بطونها شراب) بمعنى العسل (مختلف ألوانه) بمعنى ما بين أبيض وأحمر وأصفر وغير ذلك من ألوان العسل وذلك على قدر ما تأكل من الثمار والأزهار ويستحب في بطونها عسلا بقدره الله تعالى ثم يخرج من أفواهها يسيل كاللعاب وزعم الإمام فخر الدين الرازى أنه رأى في بعض كتب الطب أن العسل طل من السماء ينزل كالترنجبين فيقع على الأزهار وأوراق الشجر فنجمعه النحل فتأكل به فيه وتدخر بعضه في بيوتها لأنفسها لتتغذى به فإذا اجتمع في بيوتها من تلك الأجزاء الطلية شيء كثير فذلك هو العسل وقال هذا القول أقرب إلى العقل لأن طبيعة الترنجبين تقرب من طبيعة العسل وأيضا فإنا نشاهد أن النحل تتغذى بالعسل وأجاب عن قوله تعالى يخرج من بطونها بأن كل تجويف في داخل البدن يسمى بطنا فقوله يخرج من بطونها بمعنى من أفواهها وقول أهل الظاهر أولى وأصح لأننا نشاهد أنه يوجد في طعم العسل طعم تلك الأزهار التى تأكلها النحل وكذلك يوجد لونها وريحها وطعمها فيه أيضا ويعتقد هنا قول بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم له أكلت مغافير قال لا قالت فما هذه الريح التى أجدهمك قال سقتنى - قصة شربة عسل قالت جرمت نحلة العرفط شجر الطلح وله صمغ يقال له المغانير كريحه الرائحة فغنى جرمت نحلة العرفط أكلت ورحت من العرفط الذى له الرائحة الكريهة فثبت بهذا الدليل صحة قول أهل الظاهر من المفسرين وأنه يوجد في طعم العسل ولونه وريحه طعم ما يأكله النحل ولونه وريحه لاما قاله الأطباء من أنه طل لأنه لو كان طلا لكان على لون واحد وطبيعة واحدة وقوله إن طبيعة العسل تقرب من طبيعة الترنجبين فيه نظر لأن مزاج الترنجبين معتدل إلى الحرارة وهو ألطف من السكر ومزاج العسل حار يابس في الدرجة الثانية فيبينهما

أى ألمها وقدمت في أنفسها ففهمته والنحل زنبور العسل واحدها نحلة (أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر وما يعرشون) يبنون وقد جرت العادة أن أهلها يبنون لها الأماكن فهى تأوى إليها قال ابن زيد هى الكروم (ثم كلى من كل الثمرات) ليس معنى الكل العموم وهو كقوله تعالى وأوتيت من كل شيء (فاسلكى سبل ربك) فادخلى طرق ربك (ذللا) قيل هى نعت لطرقت بقول هى مدللة للنحل مسهلة المسالك. قال مجاهد لا يتوعر عليها مكان سلكته وقال آخرون الذلل نعت النحل أى مطيعة منقادة بالتسخير يقال إن أربابها يتقلونها من مكان إلى مكان ولها بعسوب إذا وقف وقفت وإذا سارت (يخرج من بطونها شراب) بمعنى العسل (مختلف ألوانه)

في قوله فيه شفاء للناس يعني القرآن لأنه شفاء من أمراض الشرك والجهالة والضلالة وهو هدى ورحمة للناس والقول الأول أصح لأن الضمير يجب أن يعود إلى أقرب المذكورات وأقربها قوله تعالى يخرج من بطونها شراب وهو العسل فهو أولى أن يرجع الضمير إليه لأنه أقرب مذكور . وقوله سبحانه وتعالى (إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون) يعني فيعتبرون ويستدلون بما ذكرنا على وحدانيتنا وقدرتنا . قوله عز وجل (والله خلقكم) يعني أوجدكم من العدم وأخرجكم إلى الوجود ولم تكونوا شيئا (ثم يتوفاكم) يعني عند انقضاء آجالكم إما صبيانا وإما شبانا وإما كهولا (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) يعني أرداه وأضعفه وهو الهرم قال بعض العلماء عمر الإنسان له أربع مراتب أولا من التشوه والنماء وهو من أول العمر إلى بلوغ ثلاث وثلاثين سنة وهو غاية سن الشباب وبلوغ الأشد ثم المرتبة الثانية من الوقوف وهو من ثلاث وثلاثين سنة إلى أربعين سنة وهو غاية القوة وكمال العقل ثم المرتبة الثالثة من الكهولة وهو من الأربعين إلى الستين وهذه المرتبة يشرع الإنسان في النقص لكنه يكون نقصا خفيا لا يظهر ثم المرتبة الرابعة من الشيخوخة والانحطاط من الستين إلى آخر العمر وفيها يتبين النقص ويكون الهرم والخرف وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه أرذل العمر خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون سنة وقال قتادة تسعون سنة (ق) عن أنس قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اللهم إني أعوذ بك من العجز والنكسل والبخل والهرم والبخل وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنه الغيا والممات . وفي رواية أخرى عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو بهذه الدعوات اللهم إني أعوذ بك من البخل والنكسل وأرذل العمر وعذاب القبر وفتنة الغيا والممات . وقوله تعالى (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) يعني الإنسان يرجع إلى حالة الطفولية بنسيان ما كان علم بسبب الكبر وقال ابن عباس لكي يصير كالصبي الذي لا عقل له وقال ابن قتيبة معناه حتى لا يعلم بعد علمه بالأمر شيئا لشدة هرمه وقال الزجاج المعنى وإن منكم من يكبر حتى يذهب عقله خرفا فيصير بعد أن كان عالما جاهلا ليربكم الله من قدرته أنه كما قدر على إيمانه وإحيائه أنه قادر على نقله من العلم إلى الجهل هكذا وجدته متفولا عنه ولو قال ليربكم من قدرته أنه كما قدر على نقله من العلم إلى الجهل أنه قادر على إحيائه بعد إيمانه ليكون ذلك دليلا على صحة هذا البعث بعد الموت لكان أجود قال ابن عباس ليس هذا في المسلمين لأن المسلم لا يزداد في طول العمر والبقاء إلا كرامة عند الله وعقلا ومعرفة وقال عكرمة من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر حتى لا يعلم بعد علم شيئا وقال في قوله (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات هم الذين قرءوا القرآن) وقال ابن عباس في قوله تعالى ثم ودناه أسفل سافلين يريد الكافرين ثم استثنى المؤمنين فقال تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وقوله تعالى (إن الله عليم) يعني بما صنع بأوليائه وأعدائه (قدبر) يعني على ما يريد قوله تعالى (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق) يعني أن الله سبحانه وتعالى بسط على واحد وضيق وقبر على واحد وكثر لواحد وقل على آخر وكما فضل بعضكم على بعض في الرزق كذلك فضل بعضكم على بعض في الخلق والخلق والعقل والصحة والسقم والحسن والقبح والعلم والجهل وغير ذلك فهم متفاوتون ومتباينون في ذلك كله وهذا مما اقتضته الحكمة

شفاء لما في الصدور
ورد في عنه أنه قال « عليكم
بالشفاء من القرآن والعسل »
(إن في ذلك لآية لقوم
يتفكرون) فيعتبرون
(والله خلقكم ثم يتوفاكم)
صبيانا أو شبانا أو كهولا
(ومنكم من يرد إلى
أرذل العمر) أرذله قال
مقاتل يعني الهرم قال
قتادة أرذل العمر تسعون
سنة روى عن علي قال
أرذل العمر خمس وسبعون
سنة وقيل ثمانون سنة
(لكيلا يعلم بعد علم شيئا)
لكيلا يعلم بعد عقله
الأول شيئا (إن الله
عليم قدبر) أنا عبد الواحد
المليحي ثنا أحمد النعماني
ثنا محمد بن يوسف ثنا
محمد بن إسماعيل ثنا
موسى بن إسماعيل ثنا
هارون بن موسى ثنا أبو
عبد الله الأعمش عن شعيب
عن أنس بن مالك أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
كان يدعو وأعوذ بك
من البخل والنكسل وأرذل
العمر وعذاب القبر وفتنة
الدجال وفتنة الغيا
والممات . (والله فضل
بعضكم على بعض في
الرزق)

مالا يملك لهم رزقا من السموات) يعنى المطر (والأرض) يعنى النبات (شيئا) قال الأخفش هو بدل من الرزق معناه أهم لا يملكون من أمر الرزق شيئا قليلا ولا كثيرا وقال الفراء نصب شيئا (١٠٥) بوقوع الرزق عليه أى لا يبرق

شيئا (ولا يستطيعون)

ولا يقدرّون على شيء

بذكر عجز الأصنام عن

ايصال نفع أو دفع ضرر

(فلا تضرّوا الله الأمثال)

يعنى الأشباه فنشبهونه

بخلقهم وتجعلون له شريكا

فأنه واحد لا مثل له

(إن الله يعلم وأنتم

لا تعلمون) خطأ

ما تضرّبون من الأمثال

ثم ضرب مثلا للمؤمن

والكافر فقال جل ذكره

(ضرب الله مثلا عبدا

مملوكا لا يقدر على

شيء) هذا مثل الكافر

رزقه الله ما لا فم يقدم

فيه خيرا (ومن رزقناه

منا رزقا حسنا فهو يفتق

منه سرا وجهرا) هذا

مثل المؤمن أعطاه الله

ما لا فعمل فيه بطاعة الله

وأنفق في رضاه الله

سرا وجهرا فأنا به الله

عليه الجنة (هل يستويون)

ولم يقل هل يستويان

لمكان من وهو اسم

يصلح للواحد والاثنين

والجمع وكذلك قوله

لا يستطيعون بالجمع

لأجل من معناه هل

يستوى هذا الفقير

البخيل والغنى السخي

كذلك لا يستوي الكافر

مالا يملك لهم رزقا من السموات والأرض) يعنى الأصنام التى لا تقدر على إنزال المطر الذى فى السموات - زائنه ولا يقدرّون على إخراج النبات الذى فى الأرض معدنه (شيئا) يعنى لا يملك من الرزق شيئا قليلا ولا كثيرا وقيل معناه يعبدون ما لا يبرق شيئا (ولا يستطيعون) يعنى ولا يقدرّون على شيء بذكر عجز الأصنام عن إيصال نفع أو دفع ضرر (فلا تضرّوا الله الأمثال) يعنى لا تشبهوا الله بخلقهم فإنه لا مثل له ولا شبهة ولا شريك من خلقه لأن الخلق كلهم عبده وفى ملكه فكيف يشبه الخالق بالخلق أو الرازق بالمرزوق أو القادر بالعاجز (إن الله يعلم) يعنى ما أنتم عليه من ضرب الأمثال له (وأنتم لا تعلمون) خطأ ما تضرّبون له من الأمثال . قوله تعالى (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) ومن رزقناه منا رزقا حسنا) لأنهم الله سبحانه وتعالى عن ضرب الأمثال لقلة علمهم ضرب هو سبحانه وتعالى لنفسه مثلا فقال تعالى مثلكم فى إشرأكم بالله الأوثان ، كمثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر كريم مالك قادر قدر رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف يشاء فصرخ العقل يشهد بأنه لا تجوز التسوية بينهما فى التعظيم والإجلال فلما لم تجز التسوية بينهما مع استوائهما فى الخلقة والصورة البشرية فكيف يجوز لله قل أن يسوى بين الله عز وجل الخالق القادر على الرزق والإفصال وبين الأصنام التى لا تملك ولا تقدر على شيء البتة. وقيل هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر والمراد بالعبد المملوك الذى لا يقدر على شيء هو الكافر لأنه لما كان محروما من عبادة الله وطاعته صار كالعبد الذليل الفقير العاجز الذى لا يقدر على شيء وقيل إن الكافر لما رزقه الله مالا فلم يقدم فيه خيرا صار كالعبد الذى لا يملك شيئا والمراد بقوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا المؤمن لأنه لما اشتغل بطاعة الله وعبوديته والإنفاق فى وجود البر والخير صار كالحر المالك الذى يفتق سرا وجهرا فى طاعة الله وابتغاء مرضاته وهو قوله سبحانه وتعالى (فهو يفتق منه سرا وجهرا) فأنا به الله الجنة على ذلك . فان قلت لم قال عبدا مملوكا لا يقدر على شيء وكل عبد هو مملوك وهو غير قادر على التصرف . قلت إنما ذكر المملوك لتمييز من الحر لأن اسم العبد يقع عليهما جديعا لأنهما من عباد الله وقوله لا يقدر على شيء احتراز به عن المملوك المكاتب والمأذون له فى التصرف لأنهما يقدران على التصرف واحتج الفقهاء بهذه الآية على أن العبد لا يملك شيئا (هل يستويون) ولم يقل هل يستويان يعنى هل يستوى الأحرار والعبيد والمعنى كما لا يستوى هذا الفقير البخيل والغنى السخي كذلك لا يستوى الكافر العاصى والمؤمن الطائع وقال سطاء فى قوله عبدا مملوكا هو أبو جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا هو أبو بكر الصديق ثم قال تعالى (الحمد لله) حمد الله نفسه لأنه المستحق لجميع الحمد لأنه المتعم المتفضل على عباده وهو الخالق الرازق لاهذه الأصنام التى عبدها هؤلاء فإنها لا تستحق الحمد لأنها جماد عاجزة لا يد لها على أحد ولا معروفة فتحمد عليه إنما الحمد الكامل لله لا لغيره فيجب على جميع العباد حمد الله لأنه أهل الحمد والثناء الحسن (بل أكثرهم) يعنى الكفار (لا يعلمون)

(١٤ - خازن بالبغوى - رابع) العاصى والمؤمن المطيع وروى ابن جريج عن عطاء فى قوله تعالى عبدا مملوكا أى

أبو جهل بن هشام ومن رزقناه منا رزقا حسنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه ثم قال (الحمد لله بل أكثرهم

لا يعلمون) يقول ليس الأمر كما يقولون ما للأوثان عندهم من بد ولا معروفت فتحمد عليه إنما الحمد الكامل لله عز

وجعل لأنه المنعم والمخالق والرازق ولكن أكثر الكفار لا يعلمون ثم ضرب مثلا للأصنام فقال (وضرب الله مثلا رجلا
أحدهما أبكم لا يقدر على شيء (١٠٦) وهو كل على مولاه) كل نمل ووبال على مولاه ابن عمه وأهل ولايته

يعني أن الحمد لله لاهذه الأصنام (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) هو الذي ولد أخرس
فكل أبكم أخرس وليس كل أخرس أبكم والأبكم الذي لا يفهم ولا يفهم (لا يقدر على شيء)
هو إشارة إلى العجز التام والنقصان الكامل (وهو كل على مولاه) أي تقبل على من يلي أمره
ويعوله وقيل أصله من الغلظ وهو تقيض الحدة يقال كل السكين إذا غلظت شفرته وكل اللسان
إذا غاظ فلم يقدر على النطق وكل فلان عن الأمر إذا ثقل عليه فلم ينبعث فيه فقوله وهو كل
على مولاه أي غليظ تقبل على مولاه (أينا بوجهه) أي حيثما يرساه ويصرفه في طلب حاجة أو كفاية
مهم (لايات بخير) يعني لايات بنجح لأنه أخرس عاجز لا يحسن ولا يفهم (هل يستوى) يعني من
هذه صفته (هو) يعني صاحب هذه الصفات المذمومة (ومن يأمر بالعدل) يعني ومن هو سليم
الحواس نفاع ذو كفايات ذورشد ودبابة يأمر الناس بالعدل والخير (وهو) في نفسه (على صراط
مستقيم) يعني على سيرة صالحة ودين قويم فيجب أن يكون الأمر بالعدل عالما قادرا مستقيما في
نفسه حتى يتمكن من الأمر بالعدل وهذا مثل ثاب ضربه الله نفسه ولما يفيض على عباده من
إنعامه ويشملهم به من آثار رحمته وأنطافه وللأصنام التي هي أموات جماد لا تنفع ولا
تسمع ولا تنطق ولا تعقل وهي كل على عابديها لأنها محتاج إلى كلفة الحمل والنقل والخدمة وقيل
كل المثلين للمؤمن والكافر والمؤمن هو الذي يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم والكافر هو
الأبكم القليل الذي لا يأمر بخير فعلى هذا القول تكون الآية على العموم في كل مؤمن وكافر وقيل
هي على الخصوص فالذي يأمر بالعدل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على صراط
مستقيم والذي يأمر بالظلم وهو أبكم أبو جهل وقيل الذي يأمر بالعدل عثمان بن عفان ، وكان له
مولى يأمره بالإسلام وذلك المولى يأمر عثمان بالإمسك عن الإنفاق في مسيل الله تعالى فهو الذي
لايات بخير وقيل المراد بالأبكم الذي لايات بخير أبي بن خلف والذي يأمر بالعدل حمزة وعثمان
ابن عفان وعثمان بن مظعون (ولله غيب السموات والأرض) أخبر الله عز وجل في الآية عن
كمال علمه وأنه عالم بجميع الغيوب فلا تخفى عليه خافية ولا يخفى عليه شيء منها وقيل النبي
هنا هو علم قيام الساعة وهو قوله (وما أمر الساعة) يعني في قيامها والساعة هي الوقت الذي
يقوم الناس فيه لموقف الحساب (إلا كلمح البصر) يعني في السرعة ولمح البصر هو انطباقي جفن
العين وفتحها وهو طرف العين أيضا (أو هو أقرب) يعني أن لمح البصر يحتاج إلى زمان وحركة
والله سبحانه وتعالى إذا أراد شيئا قال له كن فيكون في أسرع من لمح البصر وهو قوله (إن
الله على كل شيء قدير) فيه دليل على كمال قدرة الله تعالى وأنه سبحانه وتعالى مهما أراد
شيئا كان أسرع ما يكون قال الزجاج ليس المراد أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر ولكنه
سبحانه وتعالى وصف سرعة القدرة على الإتيان بها متى شاء ، لا يعجزه شيء . قوله عز وجل
(والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) تم الكلام هنا لأن الإنسان خلق في أول
الخطرة ومبدئها خاليا عن العلم والعرفة لا يهتدى سبيلا ثم ابتداء فقال تعالى (وجعل لكم السمع
والأبصار والأفئدة) يعني أن الله سبحانه وتعالى إنما أعطاكم هذه الحواس لتنتقلوا بها من الجهل

(أينا بوجهه) يرسله
(لايات بخير) لأنه لا يفهم
ما يقال له ولا يفهم عنه
هذامثل الأصنام لا تسمع
ولا تنطق ولا تعقل وهو
كل على مولاه عباده
يحتاج إلى أن يحمله
ويضعه ويخدمه (هل
يستوى هو ومن يأمر
بالعدل) يعني الله فإنه
قادر مستكلم بأمر بالتوحيد
(وهو على صراط مستقيم)
قال الكافي يعني يدللكم
على صراط مستقيم وقيل
هو رسول الله صلى الله
عليه وسلم يأمر بالعدل
وهو على صراط مستقيم
وقيل كل المثلين للمؤمن
والكافر برويه عطية
عن ابن عباس قال عطاء
الأبكم أبي بن خلف
ومن يأمر بالعدل حمزة
وعثمان بن عفان وعثمان
ابن مظعون وقال مقاتل
نزلت في هاشم بن عمرو
ابن الحرث بن ذريرة القرشي
وكان قليل الخير يعادى
رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقيل نزلت في عثمان بن
عثمان ومولاه كان عثمان
ينفق عليه وكان مولاه
يكره الإسلام (والله غيب
السموات والأرض وما
أمر الساعة) في قرب
كونها إلا (كلمح البصر)

إذا قال له كن فيكون (أو هو أقرب) بل هو أقرب (إن الله على كل شيء قدير) نزلت في الكفار الذين يستعجلون القيامة إلى
استهزاء (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) قرأ الكسائي بطون وبيوت أمهاتكم بكسر المعزة وقرأ حمزة بكسر الميم والمهزة
والباقون بضم المعزة وفتح الميم (لا تعلمون شيئا) تم الكلام ثم ابتداء فقال جل وعلا (وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة)

لأن الله تعالى جعل هذه الأشياء لهم قبل الخروج من بطون الأمهات وإنما أعطاهم العلم بعد الخروج (لعلكم تشكرون) نعمه من كون السمع والأبصار والأفئدة قبل الخروج إذ يسمع الطفل ويبصر (١٠٧) ولا يعلم وهذه الجوارح من

غير هذه الصفات كما تقدم كما قال فيمن لا يسمع الحق ولا يبصر العبر ولا يعقل الثواب وضم بكم على فهم لا يرجعون لا يشكرون نعمه (لم يروا) قرأ ابن عامر وحزمة ويعقوب بالتاء والبايون بالياء لقوله ويعبدون (إلى الطير مسخرات) مذللات (في جوارح السماء) وهو الهواء بين السماء والأرض روى كعب الأحبار أن الطير ترفع اثني عشر ميلا ولا ترفع فوق هذا وفوق الجوارح السكاك وفوق السكاك السماء (ما مسكهن) في الهواء (إلا آفة) إن في ذلك آيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم التي هي من الحجر والمدر (سكنا) أي مسكنا تسكونه (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) يعني الخيام والقباب والنساطيط والأخبية والنساطيط من مكان آخر وهي البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوهما ، والقسم الثاني ما يمكن نقله من مكان إلى مكان آخر وهي الخيام والنساطيط المتخذة من جلود الأنعام وإليها الإشارة بقوله تعالى (تستخفونها) يعني تخف عليكم حملها (يوم ظعنكم) يعني في يوم سيركم ورحيلكم في أسفاركم وظعن البادية هو لطلب ماء أو مرعى ونحو ذلك (ويوم إقامتكم) يعني وتخف عليكم أيضا في إقامتكم وحضركم ، والمعنى لا تنقل عليكم في الحالتين (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الكناية عائدة إلى الأنعام ، يعني ومن أصواف الضأن وأوبار الإبل وأشعار المعز (أثاناً) يعني تتخذون أثاناً الأثان متاع البيت الكبير وأصله من أث إذا كثرت تكاثفت وقيل للمال أثان إذا كثرت قال ابن عباس أثاناً يعني مالا وقال مجاهد متاعاً وقال القتيبي الأثان المال أجمع من الإبل والغنم والعيبد والمتاع وقال غيره الأثان هو متاع البيت من الفرش والأكسية

إلى العلم فجعل لكم السمع لتسمعوا به نصوص الكتاب والسنة وهي الدلائل السمعية لتستدلوا بها على ما يصلحكم في أمر دينكم وجعل لكم الأبصار لتبصروا بها بحجاب مصنوعاته وغرائب مخلوقاته فتستدلوا بها على وحدانيته وجعل لكم الأفئدة لتعقلوا بها وتفهموا معاني الأشياء التي جعلها دلائل وحدانيته وقال ابن عباس في هذه الآية يريد لتسمعوا وما أعظ الله وتبصروا وما أنعم الله به عليكم من إخراجكم من بطون أمهاتكم إلى أن صرتم رجالا وتعقلوا عظمة الله وقيل في معنى الآية والله خلقكم في بطون أمهاتكم وسواكم وصوركم ثم أخرجكم من الضيق إلى السعة وجعل لكم الخواص آلات لإزالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقى إلى ما يسعدكم به في الآخرة . فان قلت ظاهر الآية يدل على أن جعل الخواص الثلاث بعد الإخراج من البطون وإنما خلقت هذه الخواص للإنسان من جملة خلقه وهو في بطن أمه . قلت ذكر العلماء أن تقديم الإخراج وتأخير ذكر هذه الخواص لا يدل على أن خلقها آتيا بعد الإخراج لأن الواو لا توجب الترتيب ولأن العرب تقدم وتأخر في بعض كلامها وأقول لما كان الانتفاع بهذه الخواص بعد الخروج من البطن فكأنما خلقت في ذلك الوقت الذي ينتفع بها فيه وإن آتت قد خلقت قبل ذلك . وقوله تعالى (لعلكم تشكرون) يعني إنا أنعم عليكم بهذه الخواص لتستعملوها في شكر من أنعم بها عليكم (لم يروا إلى الطير مسخرات) يعني مذللات (في جوارح السماء) الجوارح النضاء الواسع بين السماء والأرض وهو الهواء قال كعب الأحبار إن الطير ترفع في الجوارح اثني عشر ميلا ولا ترفع فوق ذلك (ما مسكهن) إلا الله (يعني في حال قبض أجنحتها وبسطها واصطفافها في الهواء وفي هذا حث على الاستدلال بها على أن ما مسخرها سخرها ومذلها ذلها ومسكها أمسكها في حال طيرانها ووقوفها في الهواء وهو الله تعالى (إن في ذلك آيات لقوم يؤمنون) وإنما خص المؤمنين بالذكر لأنهم هم الذين يعتبرون بالآيات ويتفكرون فيها وينتفعون بها دون غيرهم . قوله سبحانه وتعالى (والله جعل لكم من بيوتكم) يعني التي هي من الحجر والمدر (سكنا) يعني مسكنا تسكونونه والسكن ما سكنت إليه وفيه من ألف أو بيت (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) يعني الخيام والقباب والأخبية ، والنساطيط المتخذة من الأدم والأنطاع . واعلم أن المساكن على قسمين أحدهما ما لم يمكن نقله من مكان إلى مكان آخر وهي البيوت المتخذة من الحجارة والخشب ونحوهما ، والقسم الثاني ما يمكن نقله من مكان إلى مكان آخر وهي الخيام والنساطيط المتخذة من جلود الأنعام وإليها الإشارة بقوله تعالى (تستخفونها) يعني تخف عليكم حملها (يوم ظعنكم) يعني في يوم سيركم ورحيلكم في أسفاركم وظعن البادية هو لطلب ماء أو مرعى ونحو ذلك (ويوم إقامتكم) يعني وتخف عليكم أيضا في إقامتكم وحضركم ، والمعنى لا تنقل عليكم في الحالتين (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الكناية عائدة إلى الأنعام ، يعني ومن أصواف الضأن وأوبار الإبل وأشعار المعز (أثاناً) يعني تتخذون أثاناً الأثان متاع البيت الكبير وأصله من أث إذا كثرت تكاثفت وقيل للمال أثان إذا كثرت قال ابن عباس أثاناً يعني مالا وقال مجاهد متاعاً وقال القتيبي الأثان المال أجمع من الإبل والغنم والعيبد والمتاع وقال غيره الأثان هو متاع البيت من الفرش والأكسية

إقامتكم) في بلدكم لا تنقل عليكم في الحالين (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) يعني أصواف الضأن وأوبار الإبل وأشعار المعز والكناية راجعة إلى الأنعام (أثاناً) قال ابن عباس مالا قال مجاهد متاعاً قال القتيبي الأثان المال جميعه من

الإبل والغنم والعبيد والمتاع وقال غيره هو متاع البيت من الفرش والأكسية (ومتاعا) بلاغا ينتفعون بها (إلى حين) يعني إلى حين الموت وقيل إلى حين (١٠٨) تبلى (والله جعل لكم مما خلق ظللا) تستظلون بها من شدة الحر وهي

ظللال الأبنية والأشجار (وجعل لكم من الجبال أكتانا) يعني الأسراب والغيران واحدها كمن (وجعل لكم سراييل) قصا من السكتان والقرن والقطن والصوف (تقيكم) تمنعكم (الحر) قال أهل المعاني أراد الحر والبرد اكتفاء بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه (وسراييل تقيكم بأسمكم) يعني الدروع والبأس الحرب يعني تقيكم في بأسمكم السلاح أن يصيبكم (كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون) تخلصون له الطاعة قال عطاء الخراساني إنما أنزل القرآن على قدر معرفتهم فقال وجعل لكم من الجبال أكتانا وما جعل لهم من السهول أكثر وأعظم ولكنهم كانوا أصحاب جبال كما قال ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها لأنهم أصحاب وير وشعر ، وكما قال وينزل من السماء من جبال فيها

ونحو ذلك (ومتاعا) يعني وبلاغا وهو ما يتمتعون به (إلى حين) يعني إلى حين يبلى ذلك الأثاث وقيل إلى حين الموت . فإن قات أي فرق بين الأثاث والمتاع حتى ذكره بواو العطف والعطف يوجب المغايرة فهل من فرق ؟ قلت الأثاث ما أكثر من آلات البيت وحواله وغير ذلك فيدخل فيه جميع أصناف المال والمتاع ما ينتفع به في البيت خاصة فظهر الفرق بين الأثاثين والله أعلم (والله جعل لكم مما خلق ظللا) يعني جعل لكم ما تستظلون به من شدة الحر والبرد وهي ظللال الأبنية والجدران والأشجار (وجعل لكم من الجبال أكتانا) جمع كمن وهو ما يستكن فيه من شدة الحر والبرد كالأسراب والغيران ونحوها وذلك لأن الإنسان إما أن يكون غنيا أو فقيرا فإذا سافر احتاج في سفره ما يقيه من شدة الحر والبرد فأما الغني فيستصحب معه الخيام في سفره ليستكن فيها وإليه الإشارة بقوله (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) وأما الفقير فيستكن في ظللال الأشجار والحيطان والكهوف ونحوها وإليه الإشارة بقوله والله جعل لكم مما خلق ظللا وجعل لكم من الجبال أكتانا ولأن بلاد العرب شديدة الحر وحاجتهم إلى الظلال وما يدفع شدته وقوته أكثر فلهذا السبب ذكر الله هذه المعاني في معرض الامتنان عليهم ، لأن النعمة عليهم فيها ظاهرة (وجعل لكم سراييل تقيكم الحرب) يعني وجعل لكم قصا وثيابا من القطن والكتان والصوف وغير ذلك تمنعكم من شدة الحر قال أهل المعاني والبرد ما كتني بذكر أحدهما لدلالة الكلام عليه (وسراييل تقيكم بأسمكم) يعني الدروع والجواشن وسائر ما يلبس في الحرب من السلاح والبأس الحرب يعني تقيكم في بأسمكم السلاح أن يصيبكم . قال عطاء الخراساني إنما نزل القرآن على قدر معرفتهم فقال تعالى وجعل لكم من الجبال أكتانا وما جعل لهم من السهول أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب جبال كما قال ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها وما جعل لهم من القطن والكتان أكثر ولكن كانوا أصحاب صوف ووبر وشعر وكما قال تعالى وينزل من السماء من جبال فيها من برده وما أنزل من الثلج أكثر ولكنهم كانوا لا يعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وما جعل لهم مما ينزل من البرد أكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر . وقوله سبحانه وتعالى (كذلك) يعني كما أنعم عليكم بهذه النعم (يتم نعمته عليكم) يعني نعم الدنيا والدين (لعلكم تسلمون) يعني لعلكم يا أهل مكة تخلصون لله الواحداني والرؤية والعبادة والطاعة وتعلمون أنه لا يقدر على هذه الإنعامات إلا الله تعالى (فإن تولوا) يعني فإن أعرضوا عن الإيمان بك وتصديقك يا محمد وآتروا ما هم فيه من الكفر والذات الدنيوية فإنا وبال ذلك عليهم لعلكم (فإنما عليك البلاغ المبين) يعني ليس عليك في ذلك عتب ولا سمة تقصير إنما عليك البلاغ وقد فعلت ذلك ثم ذمهم الله تعالى بقوله (يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها) قال السدي نعمة الله يعني محمدا صلى الله عليه وسلم أنكروه وكذبوه وقيل نعمة الله هي الإسلام لأنه من أعظم النعم التي أنعم الله بها على عباده ، ثم إن كفار مكة أنكروه وجحدوه وقال مجاهد وقتادة نعمة الله ما عدد عليهم في هذه السورة من النعم يقرؤون بأنها من الله ثم إذا قيل لهم صدقوا وامثلوا أمر الله فيها ينكرونها ويقولون وربناها عن آباءنا . وقال الكلبي إنه لما ذكر هذه النعم قالوا هذه نعم كلها من الله تعالى لكنها بشفاعتنا آفنتنا وقيل هو قول الرجل أولا

فلان

من برده وما أنزل من الثلج أكثر ، ولكنهم كانوا

لا يعرفون الثلج وقال تقيكم الحر وما تنزل من البرد أكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر (فإن تولوا) فإن أعرضوا فلا يلحقك في ذلك عتب ولا سمة تقصير (فإنما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمة الله) قال السدي يعني محمدا صلى الله عليه وسلم (ثم ينكرونها)

يكذبون به وقال قوم هي الاسلام وقال مجاهد وقتادة يعني ما عد لهم من النعم في هذه السورة يقولون انها من الله ثم اذا قيل لهم تصدقوا وامثلوا الامر الله فيها ينكرونها فيقولون ورثناها من آباؤنا (١٠٩) وقال الكلبي هو انه لما ذكر لهم

هذه النعمة قالوا نعم هذه كلها من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقال عوف بن عبد الله هو قول الرجل لولا فلان لكان كذا وكذا ولولا فلان لما كان كذا (واكثرهم الكافرون) الجاحدون قوله عز وجل (ويوم نبعث من كل امة شهيدا) يعني رسولا (ثم لا يؤذن للذين كفروا) في الاعتذار وقيل في الكلام أصلا (ولاهم يستعيبون) يسترضون يعني لا يكفونون أن يرضوا ربهم لأن الآخرة ليست بدار تكليف ولا يرجعون إلى الدنيا فينبون وحقيقة المعنى في الاستعاب أنه تعرض لطلب الرضا وهذا الباب منسد في الآخرة على الكفار (وإذا رأى الذين ظلموا) كفروا (العذاب) يعني جهنم (ولا يخفف عنهم ولا هم ينظرون) وإذا رأى الذين أشركوا (يوم القيامة) شركاءهم (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذي كنا ندعوا من دونك) يعني أربابا وكنا نعبدهم ونخضع لهم (فألقوا) يعني الأصنام (إليهم) يعني إلى عابديها (القول إنكم لكاذبون) يعني أن الأصنام قالت للكفار إنكم لكاذبون يعني في تسميتنا آلهة وما دعوناكم إلى عبادتنا. فان قلت: الأصنام جماد لا تتكلم فكيف يصح منها الكلام؟ قلت لا يبعد أن الله سبحانه وتعالى لما بعثها وأعادها في الآخرة خلق فيها الحياة والنطق والعقل حتى قالت ذلك والمقصود من إعادتها وبعثها أن تكذب الكفار ويراها الكفار وهي في غاية الدقة والحفارة فيزدادون بذلك غما وحسرة (وألقوا) يعني المشركين (إلى الله يومئذ السلم) يعني أنهم استسلموا له وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيئا (وضل عنهم) يعني وزال عن المشركين (ما كانوا يضفرون) يعني ما كانوا يكذبون في الدنيا في قوتهم إن الأصنام تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) يعني ضموا مع كفرهم أنهم منعوا الناس عن الدخول في الإيمان بالله ورسوله (زدناهم عذابا فوق العذاب) يعني زدناهم هذه الزيادة بسبب صلحهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الأصلي، واختلفوا في هذه الزيادة ما هي فقال عبد الله بن مسعود عتارب ما أنياب كأمثال النخل الطوال

فلان لكان كذا ولولا فلان لما كان كذا وتبيل إنهم يعترفون بأن الله أنعم بهذه النعم، ولكنهم لا يستعملونها في طلب رضوانه ولا يشكرونها عليها (وأكثرهم الكافرون) إنما قال الله سبحانه وتعالى وأكثرهم الكافرون مع أنهم كانوا كلهم كافرين لأنه كان فيهم من لم يبلغ بعد حلاله التكليف فعبر بالأكثر عن البالغين وقيل أراد بالأكثر الكافرين الحاضرين المعاندين وقد كان فيهم من ليس بمعاندين وإن كان كافرا وقيل إنه عبر بالأكثر عن الكل لأنه قديما أكثر ويراد بالجمع قوله سبحانه وتعالى (ويوم نبعث من كل أمة شهيدا) لما ذكر الله سبحانه وتعالى نعمه على الكافرين وإنكارهم لها وذكر أن أكثرهم كافرون أتبعه بذكر الوعيد لهم في الآخرة فقال تعالى (ويوم نبعث من كل أمة شهيدا) يعني رسولا وذلك اليوم هو يوم القيامة والمراد بالشهداء الأنبياء يشهدون على أممهم بإنكار نعم الله عليهم وبالكفر (ثم لا يؤذن للذين كفروا) يعني في الاعتذار وقيل لا يؤذن لهم في الكلام أصلا وقيل لا يؤذن لهم بالرجوع إلى دار الدنيا فيعتذروا ويتوبوا وقيل لا يؤذن لهم في معارضة الشهود بل يشهدون عليهم ويقرونهم على ذلك (ولاهم يستعيبون) الاستعاب طلب العتاب والمعتبة هي الغلظة والموجدة التي يجدها الإنسان في نفسه على غيره والرجل إنما يطلب العتاب مع خصمه ليزيل ما في نفسه عليه من الموجدة والغضب ويرجع إلى الرضا عنه وإلا لم يطلب العتاب منه دل ذلك على أنه ثابت على غضبه عليه ومعنى الآية أنهم لا يكفونون أن يرضوا ربهم في ذلك اليوم لأن الآخرة ليست دار تكليف ولا يرجعون إلى الدنيا فينبون ويرجعوا ويرضوا ربهم فالاستعاب التعرض لطلب الرضا وهذا باب منسد على الكفار في الآخرة (وإذا رأى الذين ظلموا) يعني ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي (العذاب) يعني عذاب جهنم (فلا يخفف عنهم) يعني العذاب (ولاهم ينظرون) يعني لا يؤخرون ولا يمهلون (وإذا رأى الذين أشركوا) يعني يوم القيامة (شركاءهم) يعني أصنامهم التي كانوا يعبدونها في الدنيا (قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذي كنا ندعوا من دونك) يعني أربابا وكنا نعبدهم ونخضع لهم (فألقوا) يعني الأصنام (إليهم) يعني إلى عابديها (القول إنكم لكاذبون) يعني أن الأصنام قالت للكفار إنكم لكاذبون يعني في تسميتنا آلهة وما دعوناكم إلى عبادتنا. فان قلت: الأصنام جماد لا تتكلم فكيف يصح منها الكلام؟ قلت لا يبعد أن الله سبحانه وتعالى لما بعثها وأعادها في الآخرة خلق فيها الحياة والنطق والعقل حتى قالت ذلك والمقصود من إعادتها وبعثها أن تكذب الكفار ويراها الكفار وهي في غاية الدقة والحفارة فيزدادون بذلك غما وحسرة (وألقوا) يعني المشركين (إلى الله يومئذ السلم) يعني أنهم استسلموا له وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيئا (وضل عنهم) يعني وزال عن المشركين (ما كانوا يضفرون) يعني ما كانوا يكذبون في الدنيا في قوتهم إن الأصنام تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) يعني ضموا مع كفرهم أنهم منعوا الناس عن الدخول في الإيمان بالله ورسوله (زدناهم عذابا فوق العذاب) يعني زدناهم هذه الزيادة بسبب صلحهم عن سبيل الله مع ما يستحقونه من العذاب على كفرهم الأصلي، واختلفوا في هذه الزيادة ما هي فقال عبد الله بن مسعود عتارب ما أنياب كأمثال النخل الطوال

(فألقوا) يعني الأوثان (إليهم القول) أي قالوا لهم (إنكم لكاذبون) في تسميتنا آلهة ما دعوناكم إلى عبادتنا (وألقوا) يعني المشركين (إلى الله يومئذ السلم) استسلموا وانقادوا لحكمه فيهم ولم تغن عنهم آلهتهم شيئا (وضل) وزال (عنهم) ما كانوا يفترون) من أنها تشفع لهم (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) منعوا الناس عن طريق الحق (زدناهم عذابا فوق العذاب)

أحسن من علانيته والقحشاء والمنكر أن تكون علانيته أحسن من سريرته (يعظكم لعظكم تذكرون) لعظكم تعظون قال ابن مسعود أجمع آية في القرآن هذه الآية وقال أيوب عن عكرمة إن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد إن الله يأمر بالعدل إلى آخر الآية فقال له يا ابن أخي أعد فعاد عليه فقال إن له والله لخلوة (١١١) وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه

لمشمر وإن أسفله لمعديق وما هو بقول البشر . قوله تعالى (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) والعهد هاهنا هو البين قال الشعبي العهد بيمين وكفارته كفارة البين (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) تشديدها فتحتوا فيها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) شهيدا بالوفاء (إن الله يعلم ما تفلعون) واختلّفوا فيمن نزلت هذه الآية وإن كان حكمها عاما قيل نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم الله بالوفاء بها وقال مجاهد وقتادة نزلت في حلف أهل الجاهلية ثم ضرب الله مثلا لنقض العهد فقال (ولا تكونوا كالتى نقضت غزها من بعد قوة) أحسن بعد غزله وإحكامه قال الكلبي ومقاتل هي امرأة خرقاء حمقاء من قريش يقال لها ربيعة بنت عمرو ابن سعد بن كعب بن زيد بن مناة بن تميم وكانت بحجر وكانت بها وسوسة وكانت قد اتخذت مغزلا بقدر ذراع

عينة في هذه الآية العدل استواء السر والعلانية والإحسان أن تكون سريرته أحسن من علانيته والقحشاء والمنكر والبغى أن تكون علانيته أحسن من سريرته وقال بعضهم إن الله سبحانه وتعالى ذكر من الأمور ثلاثة أشياء ومن المنيات ثلاثة أشياء فذكر العدل وهو الإنصاف والمساواة في الأقوال والأفعال وذكر في مقابلته القحشاء وهي ما قبح من الأقوال والأفعال وذكر الإحسان وهو أن تغفو عن ظلمك وتحسن إلى من أساء إليك وذكر في مقابلته المنكر وهو أن تنكر إحسان من أحسن إليك وذكر إنباء ذي القربى ، والمراد به صلة القرابة والتودد إليهم والشفقة عليهم وذكر في مقابلته البغى وهو أن يتكبر عليهم أو يظلمهم حتى وهم ثم قال تعالى (يعظكم لعظكم تذكرون) يعنى إنما أمركم بما أمركم به ونهاكم عما نهاكم عنه لكي تتعظوا وتتذكروا فتعملوا بما فيه رضا الله تعالى قال ابن مسعود إن أجمع آية في القرآن خير وشر هذه الآية ، وقال أهل المعاني لما قال الله تعالى في الآية الأولى ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء بين في هذه الآية الأمور به والمنهى عنه على سبيل الإجمال فما من شيء يحتاج إليه الناس في أمر دينهم مما يجب أن يؤتى أو يترك إلا وقد شتمت عليه هذه الآية وروى عكرمة أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ على الوليد بن المغيرة إن الله يأمر بالعدل إلى آخر الآية فقال له يا ابن أخي أعد على فأعادها عليه فقال له الوليد والله إن له لخلوة وإن عليه لطلاوة وإن أعلاه لمشمّر وإن أسفله لمعديق وما هو بقول البشر . قوله عز وجل (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) لما ذكر الله سبحانه وتعالى في الآية المتقدمة الأمور والمنيات على سبيل الإجمال ذكر في هذه الآية بعض ذلك الإجمال على التفصيل فبدأ بالأمر بالوفاء بالعهد لأنه أكد الحقوق فقال تعالى (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم) نزلت في الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام فأمرهم بالوفاء بهذه البيعة وقيل المراد منه كل ما يلتزمه الإنسان باختياره ويدخل فيه الوعد أيضا لأن الرعد من العهد وقيل العهد هاهنا البين قال الفيتيبي العهد بيمين وكفارته كفارة بيمين فعلى هذا يجب الوفاء به إذا كان فيه صلاح أما إذا لم يكن فيه صلاح فلا يجب الوفاء به لقوله صلى الله عليه وسلم ومن حلف بيمين ثم رأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه فيكون قوله وأوفوا بعهد الله من العام الذي خصصته السنة وقال مجاهد وقتادة نزلت في حلف أهل الجاهلية ويشهد لهذا التأويل قوله صلى الله عليه وسلم كل حلف كان في الجاهلية لم يزد الإسلام إلا شدة (ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها) يعنى تشديدها فتحتوا فيها وفيه دليل على أن المراد بالعهد غير البين لأنه أعم منها (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) يعنى شهيدا بالوفاء بالعهد (إن الله يعلم ما تفلعون) يعنى من وفاء العهد ونقضه ثم ضرب الله سبحانه وتعالى مثلا لنقض العهد فقال تعالى (ولا تكونوا) يعنى في نقض العهد (كالتى نقضت غزها من بعد قوة) يعنى من بعد إرماه وإحكامه قال الكلبي ومقاتل هذه امرأة من قريش يقال لها ربيعة بنت عمرو ابن سعد بن كعب بن زيد بن مناة بن تميم وكانت بحجر وكانت بها وسوسة وكانت قد اتخذت مغزلا بقدر ذراع

زيد مناة بن تميم وتلقب بحجر وكانت بها وسوسة وكانت اتخذت مغزلا بقدر ذراع وصنارة مثل الإصبع وفلكة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف والشعر والوبر وتأمّر جواربها بذلك فكان يغزل من النداءة إلى نصف النهار فإذا انتصف النهار أمرت أن ينقض جميع ما غزلت فهذا كان رأيها ومعناه أنها لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقص

فكذلك أتم إذا نقضتم العهد لا كفضم عن العهد ولا حين عاهدتم وفيه به (أنكأنا) يعني أنقاضا واحدا نكث وهو ما نقض بعد القتل عز لا كان أو حبلا (تدخلون أيمانكم دخلا بينكم) أي دخلا وخيانة وخديعة والدخل ما يدخل في شيء * للفساد وقيل الدخل والدغل أن (١١٣) يظهر الوفاء ويبطن النقض (أن تكون) أي لأن تكون (أمة هي أربي)

أي أكثر وأعلى (من أمة) قال مجاهد وذلك أنهم كانوا يجالسون الحلفاء فإذا وجدوا قوما أكثر منهم وأعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الأكره فعناه طلبتم العز بنقض العهد بأن كانت أمة أكثر من أمة فنهاهم الله عن ذلك (إنما يبلوكم الله به) يختبركم الله بأمره إياكم بالوفاء بالعهد (وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) في الدنيا (ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة) على ملة واحدة وهي الإسلام (ولكن يضل من يشاء) بخلافه إياهم عدلانته (ويهدى من يشاء) بتوفيقه إياهم فضلا منه (ولتستلن عما كنتم تعملون) يوم القيامة (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) ففسادا (بينكم) فتفرون بها الناس فيسكنون إلى أيمانكم ويؤمنون ثم تنقضونها (فتزل قدم بعد ثبوتها) فتهلكوا بعد ما كنتم آمنين والعرب تقول لكل ميتلى بعد عافية أو

وصنارة مثل الإصبع وفلسفة عظيمة على قدرها وكانت تغزل الغزل من الصوف أو الشعر أو الوبر وتأمّر جواربها بالغزل فكان يغزل من الغداة إلى نصف النهار ، فإذا انتصف النهار أمرت بنقض جميع ما غزلت فكان هذا دأبها والمعنى أن هذه المرأة لم تكف عن العمل ولا حين عملت كفت عن النقض فكذلك من نقض العهد لا تركه ولا حين عاهد وفيه (أنكأنا) جمع نكث وهو ما ينقض من الغزل أو الحبل بعد القتل (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) يعني دخلا وخيانة وخديعة والدخل ما يدخل في الشيء على سبيل الفساد وقيل الدخل والدغل أن يظهر الرجل الوفاء بالعهد ويبطن نقضه (أن تكون) يعني لأن تكون (أمة هي أربي من أمة) يعني أكثر وأعلى من أمة قال مجاهد وذلك أنهم كانوا يجالسون الحلفاء فإذا وجدوا قوما أكثر من أولئك وأعز نقضوا حلف هؤلاء وحالفوا الأكره والمعنى أنكم طلبتم العز بنقض العهد لأن كانت أمة أي جماعة أكثر من جماعة فنهاهم الله عن ذلك وأمرهم بالوفاء بالعهد لمن عاهدوا وحالفوا (إنما يبلوكم الله به) يعني يختبركم بما أمركم به من الوفاء بالعهد وهو أعلم بكم (وليبين لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون) يعني في الدنيا فيطيب الطائع الحق ويعاقب المسيء المخالف قوله سبحانه وتعالى (ولو شاء الله لجمعكم أمة واحدة) يعني على ملة واحدة ودين واحد وهو دين الإسلام (ولكن يضل من يشاء) يعني بخلافه إياه عدلانته (ويهدى من يشاء) بتوفيقه إياه فضلا منه وذلك مما اقتضته الحكمة الإلهية لا يستلن عما يفعل وهم يستلون ، وهو قوله تعالى (ولتستلن عما كنتم تعملون) يعني في الدنيا فيجازي المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء بأسائه أو يغفر له . قوله عز وجل (ولا تتخذوا أيمانكم دخلا بينكم) يعني خديعة وفسادا بينكم فتفرون بها الناس فيسكنون إلى أيمانكم ويؤمنون ثم تنقضونها وإنما كرر هذا المعنى تأكيدا عليهم وإظهارا لعظم أمر نقض العهد قال المفسرون وهذا في نهي الذين يابغوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإسلام فنهاهم عن نقض عهده لأن الوعيد الذي بعده وهو قوله سبحانه وتعالى (فتزل قدم بعد ثبوتها لا يابق بنقض عهد غيره وإنما يابق بنقض عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الإيمان به ويشريعه وقوله (تزل قدم بعد ثبوتها) مثل يذكر لكل من وقع في بلاء ومحنة بعد عافية ونعمة أو سقط في ورطة بعد سلامة تقول العرب لكل واقع في بلاء بعد عافية زلت قدمه والمعنى فتزل أقدامكم عن محجة الإسلام بعد ثبوتها عليها (وتذوقوا السوء) يعني العذاب (بما صدقتم عن سبيل الله) يعني بسبب صدقكم غيركم عن دين الله وذلك لأن من نقض العهد فتمد علم غيره بنقض العهد فيكون هو أقدمه على ذلك (ولكم عذاب عظيم) يعني بنقضكم العهد (ولا تشعروا بهمهد الله ثمنا قليلا) يعني ولا تنقضوا عهودكم وتطلبوا بنقضها عوضا من الدنيا قليلا ولكن أوفوا بها (إنما عند الله) يعني فإن ما عند الله من الثواب لكم على الوفاء بالعهد (هو خير لكم) يعني من عاجل الدنيا (إن كنتم تعلمون) يعني فضل ما بين العوضين ثم

ساقط في ورطة بعد سلامة زلت قدمه (وتذوقوا السوء بما صدقتم عن سبيل الله) قيل معناه سهلتم طريق نقض بين العهد على الناس بنقضكم العهد (ولكم عذاب عظيم) يعني لا تشعروا بهمهد الله ثمنا قليلا) يعني لا تنقضوا عهودكم تطلبون بنقضها عرضا قليلا من الدنيا ولكن أوفوا بها (إنما عند الله هو) من الثواب لكم على الوفاء بالعهد (خير لكم إن كنتم تعلمون)

اضل ما بين العوضين ثم بين ذلك فقال (ما عندكم ينفد) أي الدنيا وما فيها ينفى (١١٣) (وما عند الله باق ولنجزين)

قرأ أبو حمزة وابن كثير وعاصم بالنون والياقون بالياء (الذين صبروا) على الوفاء في السراء والضراء (أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) أخبرنا أبو عبد الله محمد ابن الفضل الحرق أبا الحسن الطيسنوفى أنا عبد الله بن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشمهيني ثنا علي بن حجر ثنا إسماعيل بن جعفر ثنا عمرو بن أبي عمرو مولى المطلب عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومن أحب دنياه أضرب بدينه ومن أحب آخرته أضرب بدينه فأثروا ما يبقى على ما ينفى ، قوله تعالى (من عمل صالحا من ذكرا أو أنثى وهو مؤمن) قلت هو منهم صالح على الإطلاق لا وعين إلا أنه إذا ذكر وأطلق كان الظاهر تناوله للذكر دون الأنثى فقيل من ذكر أو أنثى على التبيين ليعلم الوعد للوعين جميعا وجواب آخر وهو أن هذه الآية واردة بالوعد بالثواب والمبالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم والرحمة إثباتا للتأكيد وإزالة أوهام التخصص وقوله وهو مؤمن جعل الإيمان شرطاً في كون العمل الصالح موجبا للثواب (فلنحيينه حياة طيبة) قال سعيد بن جبيرة وعطاء بن رزق الخليل وقال مقاتل هي العيش في الطاعة وقيل هي حلاوة الطاعة وقال الحسن هي التناعة وقيل رزق وم بيوم واعلم أن عيش المؤمن في الدنيا وإن كان فقيراً أطيب من عيش الكافر وإن كان غنياً لأن المؤمن لا يعلم أن رزقه من عند الله وذلك بقية بره وتقديره وعرف أن الله حسن كريم متفضل لا يفعل إلا الصواب فكان المؤمن راضياً عن الله ورضياً بما قدره الله له ورزقه إياه وعرف أن له مصلحة في ذلك القبر الذي رزقه إياه فاستراح نفسه من النكد والحرص فطلب عيشه بذلك وأما الكافر أو الجاهل بهذه الأصول الحريص على طلب الرزق فيكون أبداً في حزن وتعب وعناء وحرص وكمد ولا يتال من الرزق إلا ما قدر له فظفر بهذا أن عيش المؤمن القوي أطيب من غيره وقال السدي الحياة الطيبة إنما تحصل في القبر لأن المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة في قوله فلنحيينه حياة طيبة هي الجنة وروى العوفي عن الحسن قال لا تطيب لأحد الحياة إلا في الجنة لأنها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا قمع وملك بلا هلك وسعادة بلا شقاء فثبت بهذا أن الحياة الطيبة لا تكون إلا في الجنة ولقوله في سياق الآية (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) لأن ذلك الجزاء إنما يكون في الجنة . قوله عز وجل (فإذا قرأت القرآن فاستمعوا له يا أيها الذين آمنوا لعلكم تتقون) الحديث في الآية عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أمته لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن غير محتاج إلى الاستعاذة وقد أمر بها فغيره أولى بذلك والما كان الشيطان ساعياً في إلقاء الوسوسة في قلوب بني آدم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك ، فلهذا السبب أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة حتى تكون مصونة من وسواس الشيطان عن جبر بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمر ولا أدري أي صلاة هي قال الله أكبر كثيراً ثلاثاً والحمد لله كثيراً ثلاثاً وسبحان الله بكراً وأصلياً ثلاثاً أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نقضته ونقضته وهمزته قال نقضته الكبر ونقضته السحر وهمزته الوقة أخرجه أبو داود الموقوفة الجنون والقاء في قوله فاستمعوا بالله للتعقيب فظاهر لفظ الآية يدل على أن الاستعاذة بعد القراءة وإليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول أبي هريرة وإليه ذهب مالك وجماعة

بين ذلك فقال تبارك وتعالى (ما عندكم ينفد) يعني من متاع الدنيا ولذاتها ينفى ويذهب (وما عند الله باق) يعني من ثواب الآخرة ونعيم الجنة (ولنجزين الذين صبروا) يعني على الوفاء بالعهد على السراء والضراء (أجرهم) يعني ثواب صبرهم (بأحسن ما كانوا يعملون) عن أبي موسى الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومن أحب دنياه أضرب بآخرته ومن أحب آخرته أضرب بدينه فأثروا ما يبقى على ما ينفى ، وقوله سبحانه وتعالى (من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن) فإن قلت من عمل صالحاً يقيد له وم فما فائدة الذكر والأنثى . قلت هو مبهم صالح على الإطلاق لا وعين إلا أنه إذا ذكر وأطلق كان الظاهر تناوله للذكر دون الأنثى فقيل من ذكر أو أنثى على التبيين ليعلم الوعد للوعين جميعاً وجواب آخر وهو أن هذه الآية واردة بالوعد بالثواب والمبالغة في تقرير الوعد من أعظم دلائل الكرم والرحمة إثباتاً للتأكيد وإزالة أوهام التخصص وقوله وهو مؤمن جعل الإيمان شرطاً في كون العمل الصالح موجباً للثواب (فلنحيينه حياة طيبة) قال سعيد بن جبيرة وعطاء بن رزق الخليل وقال مقاتل هي العيش في الطاعة وقيل هي حلاوة الطاعة وقال الحسن هي التناعة وقيل رزق وم بيوم واعلم أن عيش المؤمن في الدنيا وإن كان فقيراً أطيب من عيش الكافر وإن كان غنياً لأن المؤمن لا يعلم أن رزقه من عند الله وذلك بقية بره وتقديره وعرف أن الله حسن كريم متفضل لا يفعل إلا الصواب فكان المؤمن راضياً عن الله ورضياً بما قدره الله له ورزقه إياه وعرف أن له مصلحة في ذلك القبر الذي رزقه إياه فاستراح نفسه من النكد والحرص فطلب عيشه بذلك وأما الكافر أو الجاهل بهذه الأصول الحريص على طلب الرزق فيكون أبداً في حزن وتعب وعناء وحرص وكمد ولا يتال من الرزق إلا ما قدر له فظفر بهذا أن عيش المؤمن القوي أطيب من غيره وقال السدي الحياة الطيبة إنما تحصل في القبر لأن المؤمن يستريح بالموت من نكد الدنيا وتعبها وقال مجاهد وقتادة في قوله فلنحيينه حياة طيبة هي الجنة وروى العوفي عن الحسن قال لا تطيب لأحد الحياة إلا في الجنة لأنها حياة بلا موت وغنى بلا فقر وصحة بلا قمع وملك بلا هلك وسعادة بلا شقاء فثبت بهذا أن الحياة الطيبة لا تكون إلا في الجنة ولقوله في سياق الآية (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) لأن ذلك الجزاء إنما يكون في الجنة . قوله عز وجل (فإذا قرأت القرآن فاستمعوا له يا أيها الذين آمنوا لعلكم تتقون) الحديث في الآية عليه وسلم ويدخل فيه غيره من أمته لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن غير محتاج إلى الاستعاذة وقد أمر بها فغيره أولى بذلك والما كان الشيطان ساعياً في إلقاء الوسوسة في قلوب بني آدم وكانت الاستعاذة بالله مانعة من ذلك ، فلهذا السبب أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالاستعاذة عند القراءة حتى تكون مصونة من وسواس الشيطان عن جبر بن مطعم أنه رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمر ولا أدري أي صلاة هي قال الله أكبر كثيراً ثلاثاً والحمد لله كثيراً ثلاثاً وسبحان الله بكراً وأصلياً ثلاثاً أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نقضته ونقضته وهمزته قال نقضته الكبر ونقضته السحر وهمزته الوقة أخرجه أبو داود الموقوفة الجنون والقاء في قوله فاستمعوا بالله للتعقيب فظاهر لفظ الآية يدل على أن الاستعاذة بعد القراءة وإليه ذهب جماعة من الصحابة والتابعين وهو قول أبي هريرة وإليه ذهب مالك وجماعة

(١٥) - خازن بالهغوى - رابع) لأحد إلا في الجنة (ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون) قوله سبحانه وتعالى (فإذا قرأت القرآن) أي إذا أردت قراءة القرآن (فاستمعوا بالله من الشيطان الرجيم) كقوله تعالى (إذا قمتم إلى الصلاة

فاغسلوا والاستعاذة سنة عند قراءة القرآن وأكثر العلماء على أن الاستعاذة قبل القراءة وقال أبو هريرة بعدها ولفظه أن يقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (١١٤) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن

ابن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجهم أنا شعبة عن عمرو بن مرة سمعت عاصبا عن ابن جبير بن مطعم عن أبيه أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي قال فكبر فقال الله أكبر كبيرا ثلاث مرات والحمد لله كبيرا ثلاث مرات وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاث مرات اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم من همزه ولزده ونفخه ونفثه قال عمر ونفخه الكبر ونفثه الشعر وهمزه الموتة والموتة الجنون والاستعاذة بالله هي الاعتصام به (إله ليس له سلطان) حجة وولاية (على الدين آمنوا على ربهم يتوكلون) قال سفيان ليس له سلطان على أن يحملهم على ذنب لا يغفر (إنما سلطانهم على الذين يتولونهم) يطيعونه ويدخون في ولايته (والذين هم به

وداود الظاهري قالوا لأن قارئ القرآن يستحق ثوابا عظيما وربما حصلت الوسواس في قلب القارئ هل حصل له ذلك الثواب أم لا فإذا استعاذ بعد القراءة اندفعت تلك الوسواس وبقي الثواب محصا فأما مذهب الأكثرين من الصحابة والتابعين ، ومن بعدهم من الأئمة وفقهاء الأمصار فقد اتفقوا على أن الاستعاذة مقدمة على القراءة قالوا ومعنى الآية إذا أردت أن تقرأ القرآن فاستعد بالله ومثله قوله سبحانه وتعالى وإذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الخ ومثله من الكلام إذا أردت أن تأكل فقل بسم الله وإذا أردت أن تسافر فتأهب وأبضا فان الوسوسة إنما تحصل في أثناء القراءة فتقديم الاستعاذة على اقراءة لتذهب الوسوسة عنه أولى من تأخيرها عن وقت الحاجة إليها وما هب عطاء أنه تجب الاستعاذة عند قراءة القرآن سواء كانت في الصلاة أو في غيرها واتفق سائر الفقهاء على أن الاستعاذة سنة في الصلاة وغيرها وقد تقدمت هذه المسئلة والخلاف فيها في أول سورة الفاتحة والاعتصام بالله والاتجاه إليه من شر الشيطان ووسوسته والمراد من الشيطان إبليس وقيل هو اسم جالس يطلق على المردة من الشياطين لأن لهم قدرة على إلقاء الوسوسة في قلوب بني آدم بأقدار الله إياهم على ذلك (إله ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من الشيطان فكان ذلك أوهم أن له قدرة على الصبر في أيدان بني آدم فأزال الله سبحانه وتعالى هذا الوهم بقوله إنه ليس له سلطان يعني ليس له قدرة ولا ولاية على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون قال سفيان ليس له سلطان على أن يحمله على ذنب لا يغفر ويظهر من هذا (١) أن الاستعاذة إنما تنفذ إذا حضر بقلب الإنسان كونه ضعيفا وأنه لا يمكنه التحفظ من وسوسة الشيطان إلا بعصمة الله ولهذا قال المحققون لا حول عن معصية الله إلا بعصمة الله ولا قوة على طاعة الله إلا بتوفيق الله ثم قال تعالى (إنما سلطانه على الذين يتولونه) يعني يطيعونه ويدخلون في ولايته يقال توليته إذا أطعته وتوليت عنه إذا عرضت عنه (والذين هم به مشركون) يعني بالله وقيل الضمير في به راجع إلى الشيطان والمعنى هم من أمه مشركون بالله قوله سبحانه وتعالى (وإذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل) وذلك أن المشركين من أهل مكة قالوا إن محمدا يسخر بأصحابه بأمرهم اليوم بأمر وينهاهم عنه غدا ما هو إلا مفتر يتنوله من تلقاء نفسه فأنزل الله هذه الآية والمعنى وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكما آخر والله أعلم بما ينزل اعتراض دخل في الكلام والمعنى والله أعلم بما ينزل من التامخ وما هو أصلح لخلفه وبما يغير ويبدل من أحكامه أي هو أعلم بجميع ذلك مما هو من مصالح عباد وهذا نوع توبيخ وتزريع للكفار على قولهم للنبي صلى الله عليه وسلم وهو قوله تعالى (قالوا إنما أنت مفر) أي نختلفه من عندك والمعنى إذا كان الله تعالى أعلم بما ينزل فما بالهم يفسون محمدا إلى الأقران والكذب (١) قوله ويظهر من هذا ، اسم الإشارة راجع لما ذكره قبل قول سفيان كما يعلم من النسخة فإنه لم يذكر في هذا المحل قول سفيان وذكر ما قبله وما بعده وعبارة صحيحة بخلاف ما هنا فإنه يوجه رجوع اسم الإشارة لقول سفيان وهو غير ظاهر اهـ .

مشركون) أي بالله مشركون وقيل الكناية راجعة إلى الشيطان ولاجل ويجازه الذين هم من أجله مشركون بالله (وإذا بدلنا آية مكان آية) يعني وإذا نسخنا حكم آية فأبدلنا مكانه حكما آخر (والله أعلم بما ينزل) أعلم بما هو أصح لخلفه فيما يغير ويبدل من أحكامه (قالوا إنما أنت مفر) مخدق وذلك

إن المشركين قالوا إن محمداً يسخر بأصحابه يأمرهم اليوم ويأمر وينهاهم عنه غداً ما هو إلا مفتر يتقوله من تلقاء نفسه قال الله (بل أكثرهم لا يعلمون) حقيقة القرآن وبيان الناسخ والمنسوخ (قل نزله) يعني القرآن (روح القدس) جبريل (من ربك بالحق) بالصدق (ليثبت الذين آمنوا) أي ليثبت قلوب المؤمنين ليزدادوا إيماناً وبقيناً (وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) آدمي وما هو من عند الله واختلقوا (١١٥) في هذا البشر قال ابن عباس كان رسول

لأجل التبديل والنسخ وإنما فائدة ذلك ترجع إلى مصالح العباد كما يقال إن الطيب بأمر المريض يشرب دواء ثم بعد ذلك ينهيه عنه ويأمره بغيره لما يرى فيه من المصلحة (بل أكثرهم لا يعلمون) يعني لا يعلمون فائدة الناسخ وتبديل المنسوخ (قل) أي قل لهم يا محمد (نزله) يعني القرآن (روح القدس) يعني جبريل صلى الله عليه وسلم أضيف إلى القدس وهو الظاهر كما يقال حاتم الجود وطاعة الخير والمعنى الروح المقدس المطهر (من ربك) يعني أن جبريل نزل بالقرآن من ربك يا محمد (بالحق ليثبت الذين آمنوا) يعني ليثبت بالقرآن قلوب المؤمنين فيزدادوا إيماناً وبقيناً (وهدى وبشرى) يعني وهو هدى وبشرى (للمسلمين) قوله عز وجل (ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) وذلك أن كفار مكة قالوا إنما يتعلم هذه القصص وهذه الأخبار من إنسان آخر وهو آدمي مثله وليس هو من عند الله كما يزعم فأجابهم الله بقوله ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر واختلقوا في ذلك البشر من هو فقال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانياً أعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج فكانوا يقولون إنما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاماً لبني المغيرة يقال له يعيش وكان يقرأ الكتب فقالت قريش (إنما يعلمه بشر) يعني يقرئ غلاماً لبني المغيرة يقال له يعيش فكان يقرأ الكتب؟ فقالت قريش إنما يعلمه يعيش وقال محمد بن إسحاق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة إلى غلام رومي نصراني عبد بعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال عبيد الله بن مسلمة كان لنا عبدان من أهل عين النخري يقال لأحدهما يسار ويكنى أبا فكيهة ويقال للآخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة ، وكانا يقرآن التوراة والإنجيل بمكة فربما مر بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهما يقرآن فيقف ويستمع قال الضحاك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا آذاه الكفار يتعد إليهما فيروح بكلامهما ، فقال المشركون إنما يتعلم محمد منهما وقال الفراء قال المشركون إنما يتعلم محمد من عائش المماوك كان لحويطب بن عبد العزى كان نصرانياً وقد أسلم وحسن إسلامه وكان أعجمياً ، وقيل هو عداس غلام عتبة بن ربيعة والحاصل أن الكفار اتهموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إنما يتعلم هذه الكلمات من غيره ثم أنه يضيفها لنفسه ويزعم أنه وحى من الله عز وجل وهو كاذب في ذلك فأجاب الله عنه وأنزل هذه الآية تكذيباً لهم فيما رموا به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكذب فقال تعالى (لسان الذي يلحدون إليه) يعني يميلون ويشيرون إليه (أعجمي) يعني هو أعجمي والأعجمي هو الذي لا يفصح في كلامه وإن كان يسكن البادية ومنه سمي زياد الأعجم لأنه كان في لسانه عجمة مع أنه كان من العرب والعجمي منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً بالعربية والأعرجي الذي يسكن البادية والعربي الذي يسكن الأمصار من بلاد العرب

الله صلى الله عليه وسلم يعلم قينا بمكة اسمه بلعام وكان نصرانياً أعجمي اللسان فكان المشركون يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل عليه ويخرج فكانوا يقولون إنما يعلمه بلعام وقال عكرمة كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرئ غلاماً لبني المغيرة يقال له يعيش وكان يقرأ الكتب فقالت قريش (إنما يعلمه بشر) يعني يقرئ غلاماً لبني المغيرة يقال له يعيش وكان يقرأ الكتب فقالت قريش (إنما يعلمه بشر) يعني يقرئ غلاماً لبني المغيرة يقال له يعيش فكان يقرأ الكتب؟ فقالت قريش إنما يعلمه يعيش وقال محمد بن إسحاق كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها بلغني كثيراً ما يجلس عند المروة إلى غلام رومي نصراني عبد لبعض بني الحضرمي يقال له جبر وكان يقرأ الكتب وقال عبيد الله بن مسلم الحضرمي

كان لنا عبدان من أهل عين النخري يقال لأحدهما يسار ويكنى أبا فكيهة ويقال للآخر جبر وكانا يصنعان السيوف بمكة وكانا يقرآن التوراة والإنجيل فربما مر بهما النبي صلى الله عليه وسلم وهما يقرآن التوراة فيقف ويستمع قال الضحاك وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا آذاه الكفار يتعد إليهما ويستريح بكلامهما فقال المشركون إنما يتعلم محمد منهما فزلت هذه الآية قال الله تعالى تكذيباً لهم (لسان الذي يلحدون إليه) أي يميلون ويشيرون إليه (أعجمي) الذي لا يفصح وإن كان ينزل بالبادية والعجمي

ملسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً والأعرابي البدوي والعربي ملسوب إلى العرب وإن لم يكن فصيحاً (وهذا لسان عربي مبين) فصيح وأراد باللسان القرآن والعرب تقول اللغة لسان وروى أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهدى الله) لا يرشدهم الله (ولهم عذاب أليم) ثم أخبر الله تعالى أن الكفار هم المفترون فقال (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون) لا محمد صلى الله عليه وسلم فإن قيل قد قال إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون فما معنى قوله وأولئك هم الكاذبون قيل إنما يفتري الكذب أخبار عن فعلهم وهم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وأنت كاذب أي كذبت في هذا القول ومن عادتلك الكذب أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو حفص (١١٦) عمر بن أحمد الجوهري أنا جدي أبو بكر محمد بن عمر بن حفص أنا أبو بكر

وهو ملسوب إلى العرب (وهذا لسان عربي مبين) يعني بين الفصاحة والبلاغة ووجه الجواب هو أن الذي يشيرون إليه رجل أعجمي في لسانه عجمة تمنعه من الإتيان بفصيح الكلام ومحمد صلى الله عليه وسلم جاءكم بهذا القرآن الفصيح الذي عجزتم أنتم عنه ، وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة فكيف يقلر من هو أعجمي على مثله وأين فصاحة هذا القرآن من عجمة هذا الذي يشيرون إليه فثبت بهذا البرهان أن الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وحى أوحاه الله إليه وليس هو من تعليم الذي يشيرون إليه ولا هو أتى به من تلقاء نفسه بل هو وحى من الله عز وجل إليه وروى أن الرجل الذي كانوا يشيرون إليه أسلم وحسن إسلامه (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعني لا يصدقون أنها من عند الله (لا يهدى الله) يعني لا يرشدهم ولا يوفقههم للإيمان (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة ثم أخبر الله سبحانه وتعالى أن الكفار هم المفترون فقال تعالى (إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) يعني إنما يقدم على فرية الكذب من لا يؤمن بآيات الله فهو رد لقول كفار قريش إنما أنت مفتر (وأولئك هم الكاذبون) يعني في قولهم إنما يعلمه بشر لا محمد صلى الله عليه وسلم . فإن قلت قد قال تبارك وتعالى إنما يفتري الكذب فما معنى قوله تعالى وأولئك هم الكاذبون والثاني هو الأول . قلت قوله سبحانه وتعالى إنما يفتري الكذب إخبار عن حال قولهم ، وقوله وأولئك هم الكاذبون نعت لازم لهم كقول الرجل لغيره كذبت وأنت كاذب أي كذبت في هذا القول ومن عادتلك الكذب وفي الآية دليل على أن الكذب من أفحش الذنوب الكبار لأن الكاذب المفتري هو الذي لا يؤمن بآيات الله روى البغوي بإسناد الثعلبي عن عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله تعالى إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله . قوله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عمار وذلك أن المشركين أخذوه وأباه بأسرا وأمه سمية وصهبيا وبلالا وخبابا وسلمنا فعذبوهم فأما سمية فأنها ربطت بين بعيرين ووجي ، قابها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما

محمد بن الفرج الأزرق ثنا سعيد بن عبد الحميد ابن جعفر ثنا يعلى بن الأشدق عن عبد الله بن جراد قال قلت يا رسول الله المؤمن يزني قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يسرق قال قد يكون ذلك قلت المؤمن يكذب قال لا قال الله إنما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره) قال ابن عباس نزلت هذه الآية في عمار وذلك أن المشركين أخذوه وأباه بأسرا وأمه سمية وصهبيا وبلالا وخبابا وسلمنا فعذبوهم فأما سمية فأنها ربطت بين بعيرين ووجي ، قابها بحربة فقتلت وقتل زوجها ياسر وهما

أول قتيلين قتلوا في الإسلام وأما عمار فإنه أعظم ما أرادوا بلسانه مكرها قال قتادة أخذ بنو المغيرة عمارا وخطوه في بئر ميمون وقالوا له اكفر بمحمد فتابعهم على ذلك وقلبه كاره فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن عمار اكفر فقال كلاب عمارا ملي إمانا من قرته إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وراءك قال شرب رسول الله نلت منك وذكرت آلتهم بخير قال كيف وجدت فأبكت قال طمنا بالإيمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال إن عادوا لك فقد لهم بما قلت فزلت هذه الآية قال مجاهد نزلت في ناس من أهل مكة آمنوا فكتب إليهم بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن هاجروا فأنزلناكم منا حتى تهاجروا إلينا فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش في الطريق فقتلوا ففكروا كارهين وقال مقاتل نزلت في جبرمولى عامر بن الحضرمي أكرهه سيده على الكفر فكبر مكرها (وقوله مضئ بالإيمان) ثم أسلم مولى

ووجي

ووجىء قلبها بحرية فقتلت وقتل زوجها ياسر فهما أول قتيلين قتلوا في الإسلام وأما عمار فإنه أعطاهم بعض ما أرادوا بلسانه مكرها . قال قتادة أخذ بنوا المغيرة عمار وغطوه في بئر ميمون وقالوا له اكفر بحمد فبايعهم على ذلك وقلبه كاره وأنجز رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمارا كفر فقالوا كلا إن عمارا ملىء إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه فأتى عمار رسول الله ﷺ وهو يبكي فقال له رسول الله ﷺ ما وراءك قال شر يا رسول الله قلت منك وذكرت فقال كيف وجدت قلبك قال مطمئنا بالإيمان فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال إن عادوا لك فعد لهم بما قلت فنزلت هذه الآية . وكان مجاهد نزلت في أناس من أهل مكة آمنوا فكتب إليهم بعض أصحاب النبي ﷺ أن هاجروا إلينا فإنا لا نراكم منا حتى تهاجروا فخرجوا يريدون المدينة فأدركتهم قريش في الطريق فقتلهم عن دينهم فكفروا كارهين وهذا القول ضعيف لأن الآية مكية وكان هذا في أول الإسلام قبل أن يؤمروا بالهجرة وقال مقاتل نزلت في جبر مولى عامر بن الحضرمي أكرهه سيده على الكفر فكفره بكرها وقلبه مطمئن بالإيمان ثم أسلم عامر بن الحضرمي مولى جبر وحسن إسلامه وهاجر إلى المدينة والأولى أن يقال إن الآية عامة في كل من أكره على الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان ، وإن كان السبب خاصا . فان قلت المسكروه على الكفر ليس بكافر الا يصبح استثناءه من الكفر فامعنى هذا الاستثناء في الامن أكرهه . قلت المسكروه لما ظهر منه بعد الإيمان ماشابه ما يظهر من الكفر طوعا صح هذا الاستثناء لهذه المشابهة والمشاكلة والله أعلم .

(فصل في حكم الآية)

قال العلماء يجب أن يكون الإكراه الذي يجوز له أن يتلفظ معه بكلمة الكفر أن يعذب بعذاب لا طاقة له به مثل التخويف بالذتل والضرب الشديد والإيلاطات القوية مثل التحريق بالنار ونحوه قال العلماء أول من أظهر الإسلام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعة أبو بكر وخباب وصهيب وبلال وعمار وأبو ياسر وأمه سمية فأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فنتعه الله من أذى المشركين بعنه أبي طالب وأما أبو بكر فنتعه قومه وعشيرته وأخذ الآخرون وأيسوا أذراع الحديد وأجاسوا في حر الشمس بمكة فأما بلال فكانوا يعذبونه وهو يقول أحدا حد حتى اشتراه أبو بكر وأنته وقتل ياسر وسمية كما تقدم وقال خباب لقد أوقدوا لي نارا ما أظفأها إلا وذلك ظهري وأجسوا على أن من أكره على الكفر لا يجوز له أن يتلفظ بكلمة تصريحا بل يأتي بالمعاريض وبما وهم أنه كفر ولو أكره على التصريح يباح له ذلك بشرط طمأنينة القلب على الإيمان غير معتقد مايقوله من كلمة الكفر ولو صبر حتى قتل كان أفضل لأن ياسرا وسمية قتلا ولم يتلفظا بكلمة الكفر ولأن بلالا صبر على العذاب ولم يلم على ذلك قال العلماء من الأفعال ما يتصور الإكراه عليها كشرب الخمر وأكل لحم الخنزير والميتة ونحوها فمن أكره بالسيف أو القتل على أن يشرب الخمر أو يأكل الميتة أو لحم الخنزير أو نحوها جاز له ذلك لقوله تعالى ولا تظفوا بأيديكم إلى التهلكة وقيل لا يجوز له ذلك ولو صبر كان أفضل ومن الأفعال ما لا يتصور الإكراه عليه كالزنا لأن الإكراه يوجب الخوف الشديد وذلك يمنع انتشار الآلة فلا يتصور فيه لإكراه واختلاف العلماء في طلاق المسكروه فقال الشافعي رضي الله تعالى عنه وأكثر العلماء لا يقع طلاق المسكروه وقال أبو حنيفة يقع . حجة

عامر بن الحضرمي
وحسن إسلامه وهاجر
جبر مع سيده

(ولكن من شرح بالكفر صدرا) أى فتح صدره بالكفر بالقبول فاختاره (فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم)
وأجمع العلماء على أن من أكرده على كلمة الكفر يجوز له أن يقول بلسانه وإذا قال بلسانه غير معتقد لا يكون كفرا وإن
أى أ يقول حتى يقتل كان أفضل واختلاف أهل العلم في طلاق المكره فذهب أكثرهم إلى أنه لا يقع (ذلك بأنهم استحبوا)
آثروا (الحياة الدنيا على الآخرة) (١١٨) وأن الله لا يهدي القوم الكافرين) لا يرشدكم (أولئك الذين طبع الله

على قلوبهم وسمعهم
وأبصارهم وأولئك هم
الغافلون) عما يراد بهم
(لاجرم) أى حقا أنهم
في الآخرة هم الخاسرون)
أى المنيونون (ثم إن ربك
للذين هاجروا من بعد
ما فتوا) عذبوا ومنعوا
من الإسلام فنتهم
المشركون (ثم جاهدوا
وصبروا) على الإيمان
والهجرة والجهاد (إن
ربك من بعدها) من
بعد تلك الفتنة والغفلة
(لغفور رحيم) نزلت
في عياش بن أبي ربيعة
أخى أبي جهل من
الرضاعة وفى أبي جندل
ابن سهيل بن عمرو
والوليد بن الوليد بن
المغيرة وسلمة بن هشام
وعبد الله بن أبي أسيد
الثقي فنتهم المشركون
فأعطوهم بعض ما أرادوا
ليسلموا من شهرهم
ثم إنهم هاجروا بعد ذلك
وجاهدوا وقال الحسن
وعكرمة نزلت في عبد الله

الشافعي ومن وافقه . قوله سبحانه وتعالى ولا إكراه في الدين ولا يمكن أن يكون المراد نفي ذاته
لأن ذاته موجودة فوجب حملها على نفي أثره والمعنى أنه لا أثر له ولا عبرة به وتوله تعالى
وقليه مطمئن بالإيمان ، فيه دليل على أن محل الإيمان هو القلب (ولكن من شرح بالكفر
صدرا) يعنى فتحه ووسعه لقبول الكفر واختاره ورضى به (فعليهم غضب من الله ولهم
عذاب عظيم) يعنى في الآخرة (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة) يعنى يكون ذلك
الإقدام على الارتداد إلى الكفر لأجل أنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة (وأن الله
لا يهدي القوم الكافرين) يعنى لا يرشدكم إلى الإيمان ولا يوفقهم للعمل به (أولئك الذين طبع
الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم) تقدم تفسيره (وأولئك هم الغافلون) يعنى عما يراد بهم
من العذاب في الآخرة وهو قوله سبحانه وتعالى (لاجرم أنهم في الآخرة هم الخاسرون) يعنى
أن الإنسان إنما يعمل في الدنيا ليربح في الآخرة فإذا دخل النار بان خسارته وظهر غيبه لأنه
ضبيع رأس ماله وهو الإيمان ومن ضيع رأس ماله فهو خاسر . قوله عز وجل (ثم إن ربك
للذين هاجروا من بعد ما فتوا) يعنى عذبوا ومنعوا من الدخول في الإسلام فنتهم المشركون
(ثم جاهدوا وصبروا) على الإيمان والهجرة والجهاد (إن ربك من بعدها) يعنى من بعد الفتنة
التي فتنها (لغفور رحيم) نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة وكان أخا أبي جهل من
الرضاعة وقيل كان أخاه لأمه وفى أبي جندل بن سهيل بن عمرو والوليد بن الوليد بن المغيرة
وسلمة بن هشام وعبد الله بن أسد الثقي فنتهم المشركون وعذبوهم فأعطوهم بعض ما أرادوا
ليسلموا من شهرهم ثم إنهم بعد ذلك هاجروا وجاهدوا وقال الحسن وعكرمة نزلت هذه
الآية في عبد الله بن أبي سرح كان قد أسلم وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان
فارتد ولحق بدار الحرب فلما كان يوم فتح مكة أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله فاستجاره
عثمان وكان أخاه لأمه فأجاره رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وحسن إسلامه وهذا القول
إنما يصح إذا قلنا أن هذه الآية مدنية نزلت بالمدينة فتكون من الآيات المدنية في السور
المكيات والله أعلم بحقيقة ذلك قوله سبحانه وتعالى (يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها)
يعنى تخاصم وتحتج عن نفسها أى بما أسلفت من خير وشر واشتغلت بالمجادلة لا تتفرغ إلى
غيرها . فإن قلت النفس هى نفس واحدة وليس لها نفس أخرى فما معنى قوله كل نفس
تجادل عن نفسها . قلت إن النفس قد يراد بها بدن الإنسان وقد يراد بها مجموع ذاته وحقيقته
فالنفس الأولى هى مجموع ذات الإنسان وحقيقته والنفس الثانية هى بدنه فهى عينها وذاتها
أيضا والمعنى يوم تأتي كل إنسان يجادل عن ذاته ولا يهيمه غيره ومعنى هذه المجادلة الاعتذار

ابن سعد بن أبي سرح وكان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم فاستزله الشيطان
فلحق بالكفار فأمر النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة بقتله فاستجاره عثمان وكان أخاه لأمه من الرضاعة فأجاره رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم إنه أسلم وحسن إسلامه فأنزل الله هذه الآية وقرأ ابن عامر فتنا بفتح الفاء والتاء ورده إلى من
أسلم من المشركين فتنا المسلمين (يوم تأتي كل نفس تجادل) تخاصم وتحتج (عن نفسها) بما أسلفت من خير وشره شغلا بها

لا يخرج إلى غيرها (وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون) روى أن عمر (١١٩) بن الخطاب قال لكعب الأحبار

خوفه قال يا أمير المؤمنين
والذي نفسي بيده لو
واقبت يوم القيامة بمثل
عمل سبعين نبيا لأنت
عليك ساعات وأنت
لا تهلك إلا نفسك وإن
لجهنم زفرة لا يبقى ملك
مقرب ولا نبي مرسل
منتخب إلا وقع جاثيا
على ركبته حتى إبراهيم
خليل الرحمن يقول :
يارب لا أسألك إلا نفسي
وإن تصديق ذلك الذي
أنزله الله عليكم يوم تأتي
كل نفس تجادل عن
نفسها وروى عكرمة
عن ابن عباس في هذه
الآية قال ما تزال الخصومة
بين الناس يوم القيامة
حتى تخاصم الروح الجسد
فتقول الروح يارب لم
يكن لي أيد أبطش بها
ولارجل أمشي بها ولا
أعين أبصر بها فنجني
وعذبه ويقول الجسد
يارب خلقتني كالخشب
لم تبطش يدي ولم تمس
رجلي ولم تبصر عيني
فجاء هذا كشعاع النور
فيه نطق لساني وأبصرت
عيني وبطشت يدي
ومشت رجلي قال فيضرب
الله لهما مثلا فقال إنما
مثلكما مثل أعمى ومقعد
دخلا حائطا فيه ثمار

بما لا يقبل منه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين ونحو ذلك من الاعتذارات (وتوفى كل نفس ما عملت) يعنى جزاء ما عملت في الدنيا من خير أو شر (وهم لا يظلمون) يعنى لا يتقصون من جزاء أعمالهم شيئا بل يوفون ذلك كاملا من غير زيادة ولا نقصان روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لكعب الأحبار خوفا فقال يا أمير المؤمنين والذي نفسي بيده لو واقبت القيامة بمثل عمل سبعين نبيا لأنت عليك ساعات وأنت لا يهلك إلا نفسك وإن زفرة ما يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبته حتى إبراهيم خليل الرحمن يقول يارب لا أسألك إلا نفسي وإن تصديق ذلك فيما أنزل الله تعالى يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وروى عكرمة عن ابن عباس في هذه الآية قال ما تزال الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى تخاصم الروح الجسد فتقول الروح يارب لم تكن لي أيد أبطش بها ولارجل أمشي بها ولا عين أبصر بها ويقول الجسد يارب أنت خلقتني كالخشب ليست لي يد أبطش بها ولا رجل أمشي بها ولا عين أبصر بها فجاء هذا الروح كشعاع النور فيه نطق لساني وبه أبصرت عنائي وبه مشت رجلاي فضرب الله لهما مثلا أعمى ومقعد دخلا حائطا يعنى بستانا فيه ثمار فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا يناله فحمل الأعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب . قوله عز وجل (وضرب الله مثلا قرية) المثل عبارة عن قول في شيء يشبه قولاً في شيء آخر بينهما مشابة ليبيّن أحدهما الآخر ويصوره وقيل هو عبارة عن المشابهة لغيره في معنى من المعاني أى معنى كان وهو أعم الألفاظ الموضوعات للمشابهة قال الإمام فخر الدين الرازى المثل قد يضرب بشيء موصوف بصفة معينة سواء كان ذلك الشيء موجوداً أو لم يكن وقد يضرب بشيء موجود معين فهذه القرية التى ضرب الله بها هذا المثل يحتمل أن تكون شيئاً مفروضاً ويحتمل أن تكون قرية معينة وعلى التقدير الثانى فتلك القرية تحتل أن تكون مكة أو غيرها والأكثر من المفسرين على أنها مكة والأقرب أنها غير مكة لأنها ضربت مثلا لمكة ومثل مكة يكون غير مكة وقال الزمخشري في كتابه الكشاف وضرب الله مثلا قرية أى جعل القرية التى هذه حالها مثلا لكل قوم أنعم الله عليهم فأبطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فأنزل الله بهم نقمته فيجوز أن تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وأن تكون في قرى الأولين قرية كانت هذه حالها فضرب الله مثلا لمكة إنذاراً من مثل عاقبتها وقال الواحدي ضرب المثل ببيان المشبه والمشبه به وما هنا ذكر المشبه به ولم يذكر المشبه لوضوحه عند المخاطبين والآية عند عامة المفسرين نازلة في أهل مكة وما امتحنوا به من الخوف والجوع بعد الأمن والنعمة بشكذبيهم النبي صلى الله عليه وسلم لم فتقير الآية ضرب الله مثلا لتقربيتكم أى بين الله لها شها ثم قال قرية فيجوز أن تكون القرية بدلا من مثلا لأنها هى الممثل بها ويجوز أن يكون المعنى ضرب الله مثلا مثل قرية نحذف المضاف هذا قول الزجاج والمفسرون كلهم قالوا أراد بالقرية مكة يعنون أنه أراد مكة في تمثيلها بقرية صفتها ما ذكر وقال ابن الجوزى في هذه القرية قولان أحدهما أنها مكة قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والجدهور وهو الصحيح والثانى أنها قرية أوسع الله على أهلها حتى كانوا يستنجون بأبرز نبعث الله عليهم الجوع قاله الحسن وأقول هذه الآية نزلت بالمدينة في قول مقاتل وبعض المفسرين وهو الصحيح لأن الله سبحانه وتعالى وصف هذه القرية بصفات ستة كانت هذه الصفات موجودة في أهل مكة فضربها الله مثلا لأهل المدينة فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا يري ولا يناله فحمل الأعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب قوله تعالى (وضرب الله مثلا قرية

فالأعمى لا يبصر الثمر والمقعد لا يري ولا يناله فحمل الأعمى المقعد فأصابا من الثمر فعليهما العذاب قوله تعالى (وضرب الله مثلا قرية

كانت آمنة (يعني مكة كانت (١٢٠) آمنة لاجها ولا يغار عليها (مطمئنة) قارة باهاها لا يخزنون إلى

الانتقال للانتجاع كما يحتاج إليه سائر العرب (يأتيها رزقها رغدا من كل مكان) يحمل إليها من البر والبحر نظيره تجي إليه ثمرات كل شيء (فكثرت بأنعم الله) جمع النعمة وقيل جمع نعاء مثل بأساء وليؤس (فأذاقها الله لباس الجوع) ابتلاهم الله بالجوع سبع سنين وقطعت العرب عنهم الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا وأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعهن وهو الوبر يعالج بالدم حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فبرى شبه دخان من الجوع ثم إن رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا هذا هيك عادت الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا هذا هيك عادت الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمل الطعام للناس إليهم وهم بعد مشركون وذكر اللباس لأن ما أصابهم من المزال والشحوب وتغير ظاهريهم عما كانوا عليه من قبل كاللباس

يخزرون أن يصنعوا مثل صنيعهم فيصيبهم ما أصابهم من الجوع والخوف ويشهد لصحة ما قلت أن الخوف المذكور في هذه الآية في قوله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف هو البعث والسرايا التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعنها في قول جميع المفسرين لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالقتال وهو بمكة وإنما أمر بالقتال لما هاجر إلى المدينة فكان يبعث البعث والمرايا إلى حول مكة يخوفهم بذلك وهو بالمدينة والله أعلم بمراده وأما تفسير قوله تعالى وضرب الله مثلا قريبة يعني مكة (كانت آمنة) يعني ذات أمن لا يهاج أهلها ولا يغار عليهم (مطمئنة) يعني قارة بأهلها لا يخزنون إلى الانتقال عنها للانتجاع كما كان يخزنون إليه سائر العرب (يأتيها رزقها رغدا) يعني واسعا (من كل مكان) يعني يحمل إليها الرزق والميرة من البر والبحر نظيره قوله سبحانه وتعالى تجي إليه ثمرات كل شيء وذلك بدعوة إبراهيم عليه السلام وهو قوله وورزق أهله من الثمرات (فكثرت) يعني هذه الثرية والمراد أهلها (بأنعم الله) جمع نعمة والمراد بها سائر النعم التي أنعم الله بها على أهل مكة فلما قابلوا نعم الله التي أنعم بها عليهم بالجوع والكفر لاجرم أن الله تعالى انتقم منهم فقال تعالى (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) وذلك أن الله سبحانه وتعالى ابتلاهم بالجوع سبع سنين فقطع عنهم المطر وقطعت عنهم العرب الميرة بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جهدوا فأكلوا العظام المحرقة والجيف والكلاب الميتة والعهن وهو الوبر يعالج بالدم ويخاطبه حتى يؤكل حتى كان أحدهم ينظر إلى السماء فبرى شبه الدخان من الجوع ثم إن رؤساء مكة كلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك وقالوا ما هذا هيك عادت الرجال فما بال النساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس في حمل الطعام إليهم وهم بعد مشركون والخوف يعني خوف بعوث النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كان يعنها للانتجاع فكانت تطيف بهم وتغير على من حولهم من العرب فكان أهل مكة يخافونهم . فان قلت الإذاعة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والإذاعة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة إيقاعها عليه وهو أن اللباس لا يذوق بل يلبس فيقال كسأهم الله لباس الجوع أو يقال فأذاقهم الله طعم الجوع قلت قال صاحب الكشف أما الإذاعة فقد تجرت عندهم مجرى الحقيقة أشوعها في الألبان والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البيوس والضرب وأذاقه العذاب شبه ما يدرك من أثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر البشع . وأما للباس فقد شبه به لاشتماله على اللباس ما غشي الإنسان والتلبس به من بعض الحوادث . وأما إيقاع الإذاعة على لباس الجوع والخوف فلأنه لما وقع عبارة عما ينشئ منها ويلايس فكانه قيل فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ثم ذكر بعده من علم المعاني والبيان ما يشهد لصحة ما قال وقال الإمام فخر بن الرازي جوابه من وجوه الأول أن الأحوال التي حصلت لهم عند الجوع نوعان أحدهما أن المذوق هو الطعام فلما فقدوا الطعام صاروا كأنهم يدوقون الجوع والثاني أن ذلك الجوع كان شديدا كما لا يفصّر كأنه أحاط بهم من كل الجهات فأشبه اللباس والحاصل أنه حصل لهم في ذلك الجوع حالة تشبه المنقوع وحالة تشبه الملبوس فاعتبر الله كلا الاعتبارين فقال فأذاقها الله لباس الجوع والخوف الوجه الثاني أن التقدير إن الله عرفها أو لباس الجوع والخوف إلا أنه تعالى عبر عن التعريف بلفظ الإذاعة وأصل الذوق بالضم ثم قد يستعار فوضع موضع التعرف وهو الاختيار تقول

ناظر

لهم (والخوف) يعني بعوث النبي صلى الله عليه وسلم وسراياه التي كانت تطيف بهم

ناظر نلانا وذوق ما عنده قال الشاعر :

وهن يذوق الدنيا فاني طعمتها وسبق إلينا عذابها وعذابها

ولباس الجوع والخوف ما ظهر عليهم من الضمور وشحوب اللون ونهكة البدن وتغيير
الحل وكسوف البال كما تقول تعرفت سوء أُر الجوع والخوف على فلان كذلك يجوز أن
تقول ذقت لباس الجوع والخوف على فلان . الوجه الثالث أن يحمل لفظ النوق واللبس على
المداسة فصار التقدير فأذاقها الله مساس الجوع والخوف ثم قال تعالى (بما كانوا يصنعون)
ولم يقل بما صنعت لأنه أراد أهل القرية والمدني فملنا بهم ما فعلنا بسبب ما كانوا يصنعون
وهذا مثل أهل مكة لأنهم كانوا في الأمن والطمأنينة والخصب ثم أنعم الله عز وجل عليهم
بالمنة العظيمة وهي إرسال محمد صلى الله عليه وسلم وهو منهم فكفروا به وكذبوه وبالغوا
في إيذائه وأرادوا قتله فأخرجه الله من بينهم وأمره بالهجرة إلى المدينة وسلط على أهل مكة
البلاء والشدائد والجوع والخوف كل ذلك بسبب تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وخروجه من بين أظهرهم . قوله سبحانه وتعالى (ولقد جاءهم) يعني أهل مكة (رسول منهم)
يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يعرفون نبيه ويعرفونه قبل النبوة وبعدها (فكذبوه فأخذهم
العذاب) يعني الجوع والخوف وقبل القتل يوم بدر والنزول الأول أولى لما تقدم في الآية (وهم
ظالمون) يعني كفروا (فكلموا بما رزقكم الله) في مخاطبتهم بهذا قولان أحدهما أنهم المسلمون
وهو قول جمهور المفسرين والثاني أنهم هم المشركون من أهل مكة قال الكلبي لما اشتد الجوع
بأهل مكة كلم رؤسائهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا إنك إنما عادت الرجال فإنا
بالنساء والصبيان فأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أن يحملوا الطعام إليهم حكاه
الواحدى وغيره والنزول الأول هو الصحيح قال ابن عباس فكلموا بأكثر المؤمنين مما رزقكم
الله يريد الغنائم (حلالا طيبا) يعني أن الله سبحانه وتعالى أحل الغنائم لهذه الأمة وطيبها لحم
ولم تحل لأحد قبلهم (واشكروا نعمة الله) يعني التي أنعم بها عليكم (إن كنتم إياه تعبدون إنما
حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن الله
غفور رحيم) تقدم تفسير هذه الآية وأحكامها في سورة البقرة فلم نعد هنا وقوله تعالى (ولا
تقولوا لما تصف أئمتكم الكذب) يعني ولا تقولوا لأجل وصفكم الكذب (هذا حلال وهذا حرام)
حرام) يعني أئمتكم محملون وتحرمون لأجل الكذب لا لغيره فليس لتحليلكم وتحريمكم معنى وسبب
إلا الكذب فقط فلا تفعلوا ذلك قال مجاهد يعني البحيرة والسائبة وقال ابن عباس يعني قومهم
ما في بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وذلك أن العرب في الجاهلية كانوا
يحملون أشياء ويحرمون أشياء من عند أنفسهم وينسبون ذلك إلى الله تعالى وهو قوله تعالى (اشكروا
على الله الكذب) يعني لا تقولوا إن الله أمرنا بذلك فتكذبوا على الله لأن وصفهم الكذب هو
افتراء على الله ثم توعد المذنبين للكذب فقال سبحانه وتعالى (إن الذين يفترون على الله الكذب
لا يفلحون) يعني لا ينجون من العذاب وقيل لا يفوزون بخير لأن الفلاح هو الفوز بالخير والنجاح
ثم بين أن ما هم فيه من نعيم الدنيا يزول عنهم عن قريب فقال تعالى (متاع قليل) يعني متاعهم
في الدنيا متاع قليل فإنه لا يبقاء له (ولهم عذاب أليم) يعني في الآخرة (وعلى الذين هادوا) يعني
اليهود (حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعني ما سبق ذكره وبيانه في سورة الأنعام وهو قوله

(بما كانوا يصنعون)

ولقد جاءهم رسول منهم)

محمد صلى الله عليه

وسلم (فكذبوه فأخذهم

العذاب وهم ظالمون

فكلموا بما رزقكم الله

حلالا طيبا واشكروا

نعمة الله إن كنتم إياه

تعبدون إنما حرم عليكم

الميتة والدم ولحم الخنزير

وما أهل لغير الله به فمن

اضطر غير باغ ولا عاد

فإن الله غفور رحيم)

قوله تعالى (ولا تقولوا

لما تصف أئمتكم

الكذب) أي لا تقولوا

لوصف أئمتكم أو

لأجل وصفكم الكذب

أي أئمتكم محملون وتحرمون

لأجل الكذب لا لغيره

(هذا حلال وهذا حرام)

يعني البحيرة والسائبة

(لتفتروا على الله الكذب)

فتقولون إن الله أمرنا

بهذا) إن الذين يفترون

على الله الكذب

لا يفلحون) لا ينجون

من عذاب الله (متاع

قليل) يعني الذي هم

فيه متاع قليل أو لهم

متاع قليل في الدنيا

(ولهم عذاب أليم) في

الآخرة (وعلى الذين

هادوا حرمنا ما قصصنا

عليك من قبل) يعني في سورة الأنعام وهو قوله تعالى وعلى

تعالى ، وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر ، الآية (وما ظلمناهم) يعنى بتحريم ذلك عليهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يعنى إنما حرمنا عليهم ما حرمنا بسبب ذنبهم وظلمهم أنفسهم ونظيره قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم . وقوله تعالى (ثم إن ربك للذنب عملوا سوءا بجهالة) المقصود من هذه الآية بيان فضل الله وكرمه وسعة مغفرته ورحمته لأن سوء لفظ جامع لسكل فعل قبيح فيدخل تحته الكفر وسائر المعاصي وكل ما لا ينبغي وكل من عمل سوءا فإتاما يفعاه بالجهالة لأن العاقل لا يرضى بفعل القبيح فن صدر عنه فعل قبيح من كفر أو معصية فإتاما يصدر عنه بسبب جهله إما لجهله بقدر ما يرتب عليه من العقاب أو لجهله بقدر من يعصيه فثبت بهذا إن فعل سوءا إنما يفعل بجهالة ثم إن الله تعالى وعد من عمل سوءا بجهالة ثم تاب وأصلح العمل في المستقبل أن يتوب عليه ورحمه وهو قوله تعالى ثم تابوا من بعد ذلك يعنى من بعد عمل ذلك سوءا (وأصلحوا) يعنى أصلحوا العمل في المستقبل وقيل معنى الإصلاح الاستقامة على التوبة (إن ربك من بعدها) يعنى من بعد عمل سوءا بالجهالة والتوبة منه (لغفور) يعنى لمن تاب وآمن (رحيم) يعنى بجميع المؤمنين والتائبين . قوله سبحانه وتعالى (إن إبراهيم كان أمة) حكى ابن الجوزى عن ابن الأبارى أنه قال هذا مثل قول العرب فلان رحمة وفلان علامة ونسابة يقصدون بهذا التأنيث قصد التناهي في المعنى الذى يصفونه به والعرب توقع الأسماء المهمة على الجاء عو على الواحد كقوله تبارك وتعالى «فنادته الملا بكه» وإنما ناداه جبريل وحده وإنما سمي إبراهيم صلى الله عليه وسلم أمة لأنه اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والأخلاق الحميدة ما اجتمع في أمة ومنه قول الشاعر :

ليس على الله بمستنكر أن يجمع العالم في واحد

ثم للمفسرين في معنى هذه اللفظة أقوال أحدها قول ابن مسعود الأمة معلم الخير يعنى أنه كان معلما للخير ياتم به أهل الدنيا الثاني قال مجاهد إنه كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار فلهذا المعنى كان أمة واحدة ومنه قوله صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل «بعثه الله أمة وحده» وإنما قال فيه هذه المقالة لأنه كان قد فارق الجاهلية وما كانوا عليه من عبادة الأصنام الثالث قال قتادة ليس من أهل دين إلا وهم يتأونوه ويرضونوه وقيل الأمة فعلة بمعنى مفعولة وهو الذى يؤتم به وكان إبراهيم عليه السلام إما ما يقتدى به دليله قوله سبحانه وتعالى «إني جاعلك للناس إماما» وقيل إنه عليه السلام هو السبب الذى لأجله جعلت أمته ومن تبعه ممتازين عن سواهم بالتوحيد لله والدين الحق وهو من باب إطلاق المسبب على السبب وقيل وإنما سمي إبراهيم عليه السلام أمة لأنه قام مقام أمة في عبادة الله (قانتا لله) يعنى مطيعا لله وقيل هو القائم بأوامر الله (حنيفا) مسلما يعنى مقيا على دين الإسلام لا يميل عنه ولا يزول وهو أول من اختنن وضحي وأقام مناسك الحج (ولم يك من المشركين) يعنى أنه عليه السلام كان من الموحدن المخلصين من صغره إلى كبره (شاكرا الأنعمه) يعنى أنه كان شاكرا لله على أنعمه التى أنعم بها عليه (اجتباؤه) أى اختاره لتبوته واصطفاه لخلته (وهده إلى صراط مستقيم) يعنى هداه إلى دين الإسلام لأنه الصراط المستقيم والدين القويم (وآييناه في الدنيا حسنة) يعنى الرسالة والخلعة وقيل هى لسان الصدق والثناء الحسن وقال مقاتل بن حيان يعنى الصلاة عليه في قول هذه الأمة اللهم صل على محمد وعلى آل

فحرمنا عليهم بغيرهم (ثم إن ربك للذنب عملوا سوءا بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحوا) يعنى بالإصلاح الاستقامة على التوبة (إن ربك من بعدها) أى من بعد الجهالة (لغفور رحيم) قوله تعالى (إن إبراهيم كان أمة) قال ابن مسعود الأمة معلم الخير أى كان معلم الخير ياتم به أهل الدنيا وقد اجتمع فيه من الخصال الحميدة ما اجتمع في أمة . قال مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار قال قتادة ليس من أهل دين إلا يتولونه ويرضونه (قانتا لله) مطيعا له وقيل قائما بأوامر الله تعالى (حنيفا) مستقيا على دين الإسلام وقيل مخلصا (ولم يك من المشركين) شاكرا لأنعمه اجتباؤه اختاره (وهده إلى صراط مستقيم) أى إلى دين الحق (وآييناه في الدنيا حسنة) يعنى الرسالة والخلعة وقيل لسان الصدق والثناء الحسن وقال مقاتل بن حيان يعنى الصلاة عليه في قول هذه الأمة اللهم صل على محمد وعلى آل

محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم وقيل أولادا أبرارا على الكبر

وقيل القبول العام في جميع الأمم (وإنه في الآخرة لمن الصالحين) (٩٢٣) مع آياته الصالحين في الجنة

في التشهد اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وقيل إنه آتاه أولادا أبرارا على الكبر (وإنه في الآخرة لمن الصالحين) يعني في أعلى مقامات الصالحين في الجنة وقيل معناه وإنه في الآخرة لمع الصالحين يعني الأنبياء في الجنة فتكون من بمعنى مع ولما وصف الله عز وجل إبراهيم عليه السلام بهذه الصفات الشريفة العالية أمر الله سبحانه وتعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم باتباعه فقال تعالى (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم) يعني دينة وما كان عليه من الشريعة والتوحيد قال أهل الأصول كان النبي صلى الله عليه وسلم مأمورا بشريعة إبراهيم إلا ما نسخ منها وما لم ينسخ صار شرعا له وقال أبو جعفر الطبري أمره باتباعه في التبوي من الأوثان والتدين بدين الإسلام وهو قوله (حنيفا) مسلما (وما كان من المشركين) تقدم تفسيره وقوله تعالى (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) يعني إنما فرض تعظيم السبت على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس قال أمرهم موسى بتعظيم يوم الجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما فاعبدوه في يوم الجمعة ولا تعملوا فيه شيئا من صنعكم وستة أيام لصنعكم فأبوا عليه وقالوا لا نريد إلا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق وهو يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام أيضا بيوم الجمعة فقالت النصارى لا نريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الأحد فأعطى الله عز وجل الجمعة لهذه الأمة فقبلوها فبورك لهم فيها (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا فاختلوا فيه وأوتينا من بعدهم فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلوا فيه فهذا الله له فهم لنا فيه تبع فغدا لليهود وبعد غد للنصارى وفي رواية مسلم ونحن الآخرون الأولون يوم القيامة ونحن أول من يدخل الجنة وفي رواية أخرى له قال وأضل الله عن الجمعة من كان قبلنا فكان لليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد فجاء الله بنا فهدانا ليوم الجمعة فجعل الجمعة والسبت والأحد وكذلك هم لنا تبع يوم القيامة ونحن الآخرون في الدنيا الأولون يوم القيامة المقضى لهم قبل الخلائق قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم قال العلماء في معنى الحديث نحن الآخرون في الزمان والوجود السابقون في الفضل ودخول الجنة فتدخل هذه الأمة الجنة قبل سائر الأمم وقوله بيد أنهم يعني غير أنهم أو إلا أنهم وقوله فهذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلوا فيه فهذا الله له قال القاضي عياض الظاهر أنه فرض عليهم تعظيم يوم الجمعة بغير تعيين ووكل إلى اجتهادهم لإقامة شرائعهم فيه فاختلف أحبارهم في تعيينه ولم يهدم الله له وفرضه على هذه الأمة مينا ولم يكلمهم إلى اجتهادهم ففازوا بفضيلته قال يعني القاضي عياض وقد جاء أن موسى عليه السلام أمرهم بيوم الجمعة وأعلمهم بفضله فناظروه أن السبت أفضل فقبل لعدهم قال القاضي ولو كان منصوبا عليه لم يصح اختلافهم فيه بل كان يقول خالفوا فيه قال الشيخ محيي الدين النووي ويمكن أن يكبروا أمروا به صريحا ونص على عينه فاختلوا فيه هل يلزم تعيينه أم لهم إبداله فأبدلوه وغلطوا في إبداله قال الإمام فخر الدين الرازي في قوله تعالى «على الذين اختلفوا فيه» يعني على نبيهم مومنين حيث أمرهم بالجمعة فاختاروا السبت فاختلافهم في السبت كان اختلافا على نبيهم في ذلك اليوم أي لأجله وليس معنى قوله اختلفوا فيه أن اليهود اختلفوا فتمم من قال أمرهم موسى بالجمعة فقال تفرغوا لله في كل سبعة أيام يوما فاعبدوه يوم الجمعة ولا تعملوا فيه لصنعكم وستة أيام لصنعكم

وفي الآية تقديم وتأخير
عجازه وآتيه في الدنيا
والآخرة حسنة وإنه لمن
الصالحين (ثم أوحينا
إليك) يا محمد (أن اتبع
ملة إبراهيم حنيفا)
حاجا مسلما (وما كان
من المشركين) وقال أهل
الأصول كان النبي صلى
الله عليه وسلم مأمورا
بشريعة إبراهيم إلا
ما نسخ في شريعته وما لم
ينسخ صار شرعا قوله
تعالى (إنما جعل السبت
على الذين اختلفوا فيه)
أي خالفوا فيه قبل معناه
إنما جعل السبت لعنة
على الذين اختلفوا فيه
وقيل معناه ما فرض الله
تعظيم السبت وتحرره
إلا على الذين اختلفوا
فيه يعني اليهود فقال
قوم هو أعظم الأيام لأن
الله تعالى فرغ من خلق
الأشياء يوم الجمعة ثم
سبت يوم السبت وقال
قوم بل أعظم الأيام
يوم الأحد لأن الله تعالى
ابتدأ فيه خلق الأشياء
فاختاروا تعظيم غير
ما فرض الله عليهم وقد
افترض عليهم تعظيم يوم
الجمعة . قال الكلبي

فأبوا وقالوا لا يريد إلا اليوم الذي فرغ الله فيه من الخلق يوم السبت فجعل ذلك اليوم عليهم وشدد عليهم فيه ثم جاءهم عيسى عليه السلام بيوم الجمعة فقالوا (١٢٤) لا يريد أن يكون عيدهم بعد عيدنا يعنون اليهود فاتخذوا الأحد فأعطى

الله الجمعة هذه الأمة فقبلوها ويوركلم فيها أخبرنا أبو علي حسان ابن سعيد المنبجي أنا أبو طاهر محمد بن محمد ابن محمد الزيادي ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القفطان ثنا أحمد بن يوسف السلمي أنا أنا عبد الرزاق أنا معمر بن همام بن منبه قال ثنا أبو هريرة عن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ونحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناهم من بعدهم ثم هذا يومهم الذي فرض الله عليهم يعني يوم الجمعة فاختلفوا فيه فهدانا الله له والناس لنا فيه تبع اليهود غنا والنصارى بعده قال الله تعالى إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه قال قتادة الذين اختلفوا فيه هم اليهود ، استحله بعضهم وحرمه بعضهم (وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعني في أمر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازى المحققين بالثواب والمبطلين بالعقاب . قوله عز وجل (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) يعني ادع إلى دين ربك يا محمد وهو دين الإسلام بالحكمة يعني بالمقالة الحسنة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعني وادعهم إلى الله بالترغيب والترهيب وهو أنه لا يخفى عليهم أنك تتصحبهم وتفقد ما ينفعهم (وجادلهم بالتي هي أحسن) يعني بالطريقة التي هي أحسن طرق الجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف وقيل إن الناس اختلفوا وجعلوا ثلاثة أقسام الأول هم العلماء الكاملون أصحاب العقول الصحيحة والبصائر الناقية الذين يطلبون معرفة الأشياء على حقائقها فهؤلاء المشار إليهم بقوله ادع إلى سبيل ربك بالحكمة يعني ادعهم بالدلائل القطعية الباقية حتى يعلموا الأشياء بحقائقها حتى يتصفوا وينفعوا الناس وهم خواص العلماء

بالسبت ومنهم من لم يقل به لأن اليهود اتفقوا على ذلك وزاد الواحدى على هذا فقال وهذا مما أشكل على كثير من المتسرين حتى قال بعضهم معنى الاختلاف في السبت أن بعضهم قال هو أعظم الأيام حرمة لأن الله فرغ فيه من خلق الأشياء وقال الآخرون بل الأحد أفضل لأن الله سبحانه وتعالى ابتداء فيه بخلق الأشياء وهذا غلط لأن اليهود لم يكونوا فريقين في السبت وإنما اختار الأحد النصارى بعدهم بزمان طويل . فان قلت إن اليهود إنما اختاروا السبت لأن أهل الملل اتفقوا على أن الله خلق الخلق في ستة أيام وبدأ بالخلق والتكوين في يوم الأحد وتم الخلق يوم الجمعة وكان يوم السبت يوم فراغ . فقالت اليهود نحن نوافق ربنا في ترك العمل في هذا اليوم فاختاروا السبت لهذا المعنى وقالت النصارى إنما بدأ خلق الأشياء في يوم الأحد فنحن نجعل هذا اليوم عيدنا لهذا المعنى وهذا الوجهان معقولان فما وجه فضل يوم الجمعة حتى جعله أهل الإسلام عيداً . قلت يوم الجمعة أفضل الأيام لأن كمال الخلق وتماه كان فيه وحصول التمام والكمال يوجب الفرح والسرور فجعل يوم الجمعة عيداً لهذا الوجه وهو أولى ووجه آخر وهو أن الله عز وجل خلق فيه أشرف خلقه وهو آدم عليه السلام وهو أبو البشر وفيه تاب عليه فكان يوم الجمعة أشرف الأيام لهذا السبب ولأن الله سبحانه وتعالى اختار يوم الجمعة لهذه الأمة وادخره لهم ولم يختاروا لأنفسهم شيئاً وكان ما اختاره الله لهم أفضل مما اختاره غيرهم لأنفسهم وقال بعض العلماء بعث الله موسى بعظيم يوم السبت ثم نسخ بيوم الأحد في شريعة عيسى عليه السلام ثم نسخ يوم السبت ويوم الأحد بيوم الجمعة في شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فكان أفضل الأيام يوم الجمعة كما أن محمداً صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء وفي معنى الآية قول آخر قال قتادة الذين اختلفوا فيه اليهود استحله بعضهم وحرمه بعضهم فعلى هذا القول يكون معنى قوله إنما جعل السبت أى وبال السبت ولعنته على الذين اختلفوا فيه وهم اليهود فأحلهم بعضهم فاصطادوا فيه فلعنوا ومسحوا قرده وخنزير في زمن داود عليه السلام وقد تقدمت القصة في تفسير سورة الأعراف وبعضهم ثبت على تحريمه فلم يسطد فيه شيئاً وهم الناهون والقول الأول أقرب إلى الصحة . وقوله تعالى (وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون) يعني في أمر السبت فيحكم الله بينهم يوم القيامة فيجازى المحققين بالثواب والمبطلين بالعقاب . قوله عز وجل (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) يعني ادع إلى دين ربك يا محمد وهو دين الإسلام بالحكمة يعني بالمقالة الحسنة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة والموعظة الحسنة يعني وادعهم إلى الله بالترغيب والترهيب وهو أنه لا يخفى عليهم أنك تتصحبهم وتفقد ما ينفعهم (وجادلهم بالتي هي أحسن) يعني بالطريقة التي هي أحسن طرق الجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف وقيل إن الناس اختلفوا وجعلوا ثلاثة أقسام الأول هم العلماء الكاملون أصحاب العقول الصحيحة والبصائر الناقية الذين يطلبون معرفة الأشياء على حقائقها فهؤلاء المشار إليهم بقوله ادع إلى سبيل ربك بالحكمة يعني ادعهم بالدلائل القطعية الباقية حتى يعلموا الأشياء بحقائقها حتى يتصفوا وينفعوا الناس وهم خواص العلماء

مواظع القرآن وقيل الموعظة الحسنة هي الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب وقيل هو قول اللين من الرقيق من غير تعليظ ولا تعنيف (وجادلهم بالتي هي أحسن) وادعهم وناظرهم بالخصومة التي هي أحسن أى أعرض عن

أدام ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء إلى الحق نسختها آية القتال (إن ربك) (١٢٥) هو أعلم بمن ضل عن سبيله

وهو أعلم بالمهتدين وإن
عاقبتهم فعاقبوا بمثل
ما عوقبتهم به) هذه الآيات
نزلت بالمدينة في شهادة
أحد وذلك أن المسلمين
لما رأوا ما فعل المشركون
بقتلهم يوم أحد من
تقيير البطون والمثلة السيئة
حتى لم يبق أحد من قتل
المسلمين إلا مثل به غير
حنظلة بن الراهب فإن
أباه أبا عامر الراهب
كان مع أبي سفيان
فتركوا حنظلة لذلك فقال
المسلمون حين رأوا
ذلك لئن أظهرنا الله
عليهم لزيدين على
صنيعهم ولئن لم نهم
لم يفعلها أحد من العرب
بأحد فوقف رسول الله
صلى الله عليه وسلم على
عم حمزة بن عبد المطلب
وقد جدعوا أنفه وأذنه
وقطعوا مذا كبره
ويثروا بطنه وأخذت
هند بنت عتبة قطعة
من كبده فضغتها ثم
استرطبتها لتأكلها فلم
تلبث في بطنها حتى رمت
بها فبلغ ذلك النبي صلى
الله عليه وسلم فقال أما
أنا لو أكلتها لم تدخل
النار أبدا إن حمزة
أكرم على الله تعالى

من الصحابة وغيرهم. القسم الثاني هم أصحاب القنطرة السليبة والخلقة الأصلية وهم غالب الناس
الذين لم يبلغوا حد الكمال ولم ينزلوا إلى حضيض نقصان فهم أوساط الأقسام وهم المشار
إليهم بقوله والموعظة الحسنة أى ادع هؤلاء بالموعظة الحسنة القسم الثالث هم أصحاب جندال
وخصام ومعاينة وهؤلاء المشار إليهم بقوله وجادلهم بالتي هي أحسن حتى ينقادوا إلى الحق
ويرجعوا إليه وقيل المراد بالحكمة القرآن يعنى ادعهم بالقرآن الذى هو حكمة وموعظة حسنة
وقيل المراد بالحكمة النبوة أى ادعهم بالنبوة والرسالة والمراد بالموعظة الحسنة الرفق واللين
في الدعوة وجادلهم بالتي هي أحسن أى أعرض عن أذاهم ولا تقصر في تبليغ الرسالة والدعاء
إلى الحق فبلى هذا القول قال بعض علماء التفسير هنا منسوخ بآية السيف (إن ربك هو
أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين) يعنى إنما عليك يا محمد تبليغ ما أرسلت به إليهم
ودعاهم بهذه الطرق الثلاثة وهو أعلم بالفريقين الضال واليهتدى فيجازى كل عامل بعمله
قوله سبحانه وتعالى (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) نزلت هذه الآية بالمدينة في سبب
شهداء أحد وذلك أن المسلمين لما رأوا ما فعل المشركون بقتل المسلمين يوم أحد من تقيير
البطون والمثلة السيئة حتى لم يبق أحد من قتل المسلمين إلا مثل به غير حنظلة بن أبي عامر
الراهب وذلك أن أباه أبا عامر الراهب كان مع أبي سفيان فتركوا حنظلة لذلك فقال المسلمون
حين رأوا ذلك لئن أظهرنا الله عليهم لزيدين على صنيعهم ولئن لم نهم لم يفعلها أحد
من العرب بأحد فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمه حمزة بن عبد المطلب وقد جدعوا أنفه
وأذنه وقطعوا مذا كبره ويثروا بطنه وأخذت هند بنت عتبة قطعة من كبده فضغتها ثم
استرطبتها لتأكلها فلم تنزل في بطنها حتى رمت بها فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال
أما إننا لو أكلتها لم تدخل النار أبدا حمزة أكرم على الله من أن يدخل شيئا من جسده النار
فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عمه حمزة نظر إلى شيء لم ينظر إلى شيء قط
كان أوجع لقلبه منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحمته الله عليك فأنك ما علمنا
ما كنت إلا فعلا للخيرات وصولا للرحم ولولا حزن من بعدك عليك لسرفى أن أدعك
حتى تحتر من أفواج شتى أما والله لئن أظهرنى الله بهم لأمثلن بسبعين منهم مكانك فأنزل الله
عز وجل (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) الآية فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل
نصبر وأمسك عما أراد وكفر عن يمينه عن أبي بن كعب قال لما كان يوم أحد أصيب من
الأنصار أربعة وستون رجلا ومن المهاجرين ستة منهم حمزة فثلوا بهم قتالت الأنصار لئن
أصبتنا منهم يوما مثل هذا لزيدين عليهم قال فلما كان يوم فتح مكة أنزل الله عز وجل (وإن
عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) فقال رجل لا قرئ بعد اليوم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كنفوا عن القوم إلا أربعة» أخرجه الترمذى وقال حديث
حسن غريب وأما تفسير الآية فتقوله تعالى (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) معنى القوم
الأول باسم الثانى للمزاوجة في الكلام والمعنى إن صنع بكم سوء من قتل أو مثله ونحوها فقابلوه
بمثله ولا تزيدوا عليه فهو كقولهم «جزاء سيئة سيئة مثاها» أمر الله برعاية العدل والإنصاف
في هذه الآية في باب استيفاء الحقوق يعنى إن رغبت في استيفاء القصاص فتقتصوا بالمثل ولا
تزيدوا عليه فإن استيفاء الزيادة ظلم والظلم ممنوع منه في عدل الله وشرعه ورحمته وفي الآية
من أن يدخل شيئا من جسده النار فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حمزة نظر إلى شيء لم ينظر

إلى شيء قط كان أوجع لقلبه منه فقال النبي صلى الله عليه وسلم رحمة الله عليك أبا السائب فانك ما علمتك إلا أفعالا للخيرات
وصولاً للرحم وأولاً حزن من بعدك عليك لسرني أن أدعك حتى تحب من أفواج شتى أما والله لئن أظفرتني الله بهم لأمتن
بسبعين منهم مكانك فأزل الله (١٣٦) تعالى وإن عاقبتم فاعقبوا الآية (ولئن صبرتم لحو خير للصابرين) أي ولئن

دليل على أن الأولى ترك استيفاء القصاص وذلك بطريق الإشارة والرمز والتعريض بأن الترك
أولى فإن كان لابد من استيفاء القصاص فيكون من غير زيادة عليه بل يجب مراعاة المماثلة
ثم انتقل من طريق الإشارة إلى طريق التصريح فقال تعالى (ولئن صبرتم لحو خير للصابرين)
يعني ولئن عفوتم وتركتم استيفاء القصاص وصبرتم كان ذلك العفو والصبر خيراً من استيفاء
القصاص وفيه أجر للصابرين والعافين .

(فصل)

اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين أحدهما أنها نزلت قبل براءة
فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يقاتل من قاتله ولا يبدأ بالقتال ثم نسخ ذلك وأمر بالجهاد
وهذا قول ابن عباس والضحاك فعلى هذا يكون معنى قوله ولئن صبرتم عن القتال فلما أعز
الله الإسلام وكثر أهله أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بالجهاد ونسخ هذا بقوله أقتلوا
المشركين حيث وجدتموهم الآية القول الثاني أنها أحكمت وأنها نزلت فيمن ظلم ظلاماً فلا
يجل له أن ينال من ظلمه أكثر مما نال منه الظالم وهذا قول مجاهد والشعبي والنخعي وابن
سيرين والوري قال بعضهم الأصح أنها محكمة لأن الآية واردة في تعلم حسن الأدب في كيفية
استيفاء الحقوق وفي القصاص وترك التعدي وهو طلب الزيادة وهذه الأشياء لا تكون منسوخة
فلا تعلق لها بالنسخ والله أعلم . قوله عز وجل (واصبر وما صبرك إلا بالله) الخطاب لرسول
الله صلى الله عليه وسلم أمر الله سبحانه وتعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر وأعلمه أن
صبره بتوقيفه ومعونته (ولا تحزن عليهم) يعني على الكافرين وإعراضهم عنك وقيل معنى
الآية ولا تحزن على قتلى أحد وما فعل بهم فانهم أفضوا إلى رحمة الله ورضوانه (ولا تك
في ضيق مما يحكرون) يعني ولا يضيعن صبرك يا محمد بسبب مكرهم فإن الله كافيك وناصرك
عليهم قرىء في ضيق بفتح الصاد وكسرهما فليل لغتان وقال أبو عمر والضيق بالفتح الغم
وبالكسر الشدة وقال أبو عبيد الضيق بالكسر في قلة المعاش وفي المسكن وإنما ما كان
في القلب والصدر فانه بالفتح وقال القتيبي الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين
فعلى هذا يكون صفة كأنه قال سبحانه وتعالى ولاتك في أمر ضيق من مكرهم قال الإمام
فخر الدين الرازي هذا الكلام من المقلوب لأن الضيق صفة والصفة تكون حاصلة في الموصوف
ولا يكون الموصوف حاصلاً في الصفة فكان المعنى فلا يكن الضيق حاصلاً قبلك إلا أن الفائدة
في قوله ولاتك في ضيق هي أن الضيق إذا عظم وقوى صار كالشيء المحيط بالإنسان من كل
جانب كالقبيب المحيط به فكانت الفائدة في ذكر هذا اللفظ بهذا المعنى (إن الله مع الذين
اتقوا) أي اتقوا المثلة والزيادة في القصاص وسائر المناهي (والذين هم محسنون) يعني بالعفو
عن الجاني وهذه المعية بالعون والفضل والرحمة يعني إن أردت أيها الإنسان أن أكون معك
بالعون والفضل والرحمة فكن من المتقين المحسنين وفي هذا إشارة إلى التعظيم لأمر الله والشفقة

عفوتم لحو خير للعافين
فقال النبي صلى الله عليه
ومسلم بل نصبر وأمسك
عما أراد وكفر عن
يمينه قال ابن عباس
والضحاك كان هذا
قبل نزول براءة حين
أمر النبي صلى الله عليه
ومسلم بقتال من قاتله
ومنع من الابتداء بالقتال
فلما أعز الإسلام وأهله
نزلت براءة وأمروا
بالجهاد ونسخت هذه
الآية قال النخعي والثوري
ومجاهد وابن سيرين
الآية محكمة نزلت في
من ظلم بظلامه فلا يجل
له أن ينال من ظلمه
أكثر مما نال الظالم منه
أمر بالجزاء والعفو ومنع
من الاعتداء ثم قال
لنبيه صلى الله عليه وسلم
(واصبر وما صبرك
إلا بالله) أي بمعونة الحال
وتوقيفه (ولا تحزن
عليهم) في إعراضهم
عنك (ولا تك في ضيق
مما يحكرون) أي مما فعلوا
من الأفاعيل قرأ ابن
كثير هاهنا وفي الغل ضيق

بكسر الصاد وقرأ الآخرون بفتح الصاد قال أهل الكوفة هما لغتان مثل
رطل ورطل وقال أبو عمرو والضيق بالفتح الغم وبالكسر الضيق في قلة المعاش وفي المساكن
فأما ما كان في القلب والصدر فانه بالفتح وقال ابن قتيبة الضيق تخفيف ضيق مثل هين وهين ولين ولين فعلى هذا هو
صفة كأنه قال ولا تسكن في أمر ضيق من مكرهم (إن الله مع الذين اتقوا) المناهي (والذين هم محسنون) بالعون والنصرة .

(سورة الإسراء) مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية . (بسم الله الرحمن الرحيم) (١٢٧) (سبحان الذي أمرني)

بعبدته ليلا) سبحان
الله تنزهه الله تعالى من
كل سوء ووصف
بالبراءة من كل نقص
على طريق المبالغة
وتكون سبحان بمعنى

التعجب أسرى بعبدته
أي سيرة وكذلك سرى
به والعبد هو محمد
صلى الله عليه وسلم (من
المسجد الحرام) قيل كان
الإسراء من مسجد مكة

روى قتادة عن أنس
عن مالك بن صعصعة
أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال بينا أنا
في المسجد الحرام في
الحجر بين الثام
واليقظان إذ أتاني
جبريل بالبراق فذكر
حديث المعراج وقال

قوم عرج به من دار أم
هاني بنت أبي طالب
ومعنى قوله من المسجد
الحرام أي من الحرم
قال مقاتل كانت ليلة
الإسراء قبل الهجرة
بسنة ويقال كان في رجب
وقيل كان في رمضان

(إلى المسجد الأقصى)
يعني بيت المقدس وسمى
أقصى لأنه أبعد المساجد
التي تزار وقيل لبعده
من المسجد الحرام (الذي باركنا حوله)

على خلق الله قال بعض المشايخ كمال الطريق صدق مع الحق وخلق مع الخلق وكمال الإنسان
أن يعرف الحق لذاته والخير لأجل أن يعدل به وقبل لمريم بن حبان عند الموت أوص فقال
إنما الوصية في المال والأعمال ولكن أوصيك بخواتيم سورة النحل والله أعلم بمرادك وأسرار
كتابه .

(تفسير سورة الإسراء)

(فصل في نزولها)

قال ابن الجوزي هي مكية في قول الجماعة إلا أن بعضهم يقول فيها مدني فروى عن
ابن عباس أنه قال هي مكية إلا ثمان آيات من قوله سبحانه وتعالى وإن كادوا ليفتنونك إلى
قوله نصيرا وهذا قول قتادة وقال مقاتل فيها من المدني وقل رب أدخلني مدخل صدق - الآية
وقوله تعالى إن الدين أوتوا العلم من قبله - وقوله إن ربك أحاط بالناس - وقوله تعالى وإن كادوا
ليفتنونك - وقوله تعالى ولولا أن ثبتناك والي تليها - وهي مائة وعشر آيات وقيل وإحدى عشرة
آية وخمسة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة وستون حرفا .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (سبحان الذي أسرى بعبدته ليلا) روى ابن الجوزي عن النبي صلى الله
عليه وسلم أنه سئل عن تفسير سبحان الله فقال تنزيهه الله عن كل شيء هكلما ذكره بغير
سند وقال النحويون سبحان اسم علم على التسييح يقال سبحت الله تسييحا فالتسييح هو
المصدر وسبحان الله علم للتسييح وتفسير سبحان الله تنزيهه الله عن كل سوء ونقيصة وأصله
في اللغة التباعد فمعنى سبحان الله بعده ونزاهته عن كل ما لا يليق والذي أسرى به يقال سرى به
وأسرى به لغتان بعبدته أجمع المقسرون والعلماء والمتكلمون أن المراد به محمد صلى الله عليه
وسلم لم يختلف أحد من الأمة في ذلك وقوله يعبدته أضافة تشرية وتعظيم وتبجيل وتضخيم
وتكريم ومنه قول بعضهم :

لا تدعى إلا بعبادها فإنه أشرف أسماني

قيل لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الدرجات العالية والرتب الرفيعة ليلة المعراج
أوحى الله عز وجل إليه يا محمد بم شرفتك قال رب حيث نسبتني إلى نفسك بالعبودية فأزل
الله سبحانه وتعالى سبحان الذي أسرى بعبدته ليلا . فإن قلت الإسراء لا يكون إلا بالليل فما
معنى ذكر الليل . قلت أراد بقوله ليلا بلفظ التذكير تقليل مدة الإسراء وأنه أسرى به في بعض
ليلة من مكة إلى الشام مسيرة شهر أو أكثر فدل تذكير الليل على البعضية (من المسجد الحرام)
قيل كان الإسراء من نفس مسجد مكة وفي حديث مالك بن صعصعة أن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال بينا أنا في المسجد الحرام في الحجر وذكر حديث المعراج وميأتي بكأله فيما بعد
وقيل عرج به من دار أم هاني بنت أبي طالب وهي بنت عمه أخت علي رضي الله تعالى عنه
فعل هذا أراد بالمسجد الحرام الحرم (إلى المسجد الأقصى) يعني إلى بيت المقدس سمي أقصى
لبعده عن المسجد الحرام أو لأنه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (الذي باركنا حوله) يعني بالأشجار
والأحجار والنهار وقيل سماه مباركنا لأنه مقر الأنبياء ومهبط الملائكة والوحي وقيلة الأنبياء قيل
نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وإليه تحشر الخلق يوم القيامة . فإن قلت ظاهر الآية يدل على
من المسجد الحرام (الذي باركنا حوله) بالأشجار والنهار وقال مجاهد سماه مباركنا لأنه مقر الأنبياء

عبدى ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنانة اللؤلؤ وإذا ترابها المسك ، قال ابن شهاب فأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا
دجاجة لأبصارى كانا يقولان قال النبي صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه صريف الأقلام . قال
ابن حزم وأنس قال النبي صلى الله عليه وسلم ففرض الله على أمي (١٣١) خمسين صلاة وروى معمر عن

قدوة عن أنس أن النبي
صلى الله عليه وسلم أتى
بالزقاق ليلة أسرى به
ملجما مسرجا فاستصعب
عليه فقال له جبريل
أمحمد تفعل هذا فما
ركبك أحد أكرم على
الله منه فارقض عرقا
وقال ابن بريده عن
أبيه قال قال النبي صلى
الله عليه وسلم لما انتهينا
إلى بيت المقدس قال
جبريل بأصبعه فخرق بها
الحجر وشده بالبراق
أنا عبد الواحد المليحي
أنا أحمد بن عبد الله
النعمي ثنا محمد بن
يوسف ثنا محمد بن
إسماعيل حدثني محمود
أنا عبد الرزاق أنا
معمر عن الزهري أخبرني
سعيد بن المسيب عن
أبي هريرة قال : قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم ليلة أسرى بي لقيت
موسى ، قال فنعته فإذا
هو رجل حسبته قال
مضطرب رجل الرأس

بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت يا جبريل من هذا قال هذا آدم وهذه الأسودة عن
يمينه وعن شماله نسمة بنيه فأهل اليمن أهل الجنة والأسودة التي عن شماله أهل النار فإذا نظر
قبل يمينه ضحك وإذا نظر قبل شماله بكى قال ثم عرج بي جبريل حتى أتى السماء الثانية فقال
لحازنها افتح فقال له حازنها مثل ما قال خازن السماء الدنيا ففتح قال أنس بن مالك فذكر
أنه وجد في السموات آدم وإدريس وعيسى وموسى وإبراهيم ولم يثبت كيف منازلهم غير أنه
ذكر أنه قد وجد آدم في السماء الدنيا وإبراهيم في السماء السادسة قال فلما مر جبريل ورسول
الله بإدريس قال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قال ثم مرقت من هذا قال هذا إدريس
قال ثم مررت بموسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قال فقلت من هذا قال هذا
موسى قال ثم مررت بعيسى فقال مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح قلت من هذا قال هذا
عيسى بن مريم قال ثم مررت بإبراهيم فقال مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح قال قلت من
هذا قال هذا إبراهيم قال ابن شهاب وأخبرني ابن حزم أن ابن عباس وأبا حبة الأنصاري
كانا يقولان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عرج بي حتى ظهرت لمستوى أسمع فيه
صريف الأقلام قال ابن حزم وأنس بن مالك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ففرض الله
على أمي خمسين صلاة قال فرجعت بذلك حتى مررت بموسى فقال موسى ماذا فرض ربك
على أمتك قال قلت فرض عليهم خمسين صلاة قال لي موسى فراجع ربك فإن أمتك لا تطيق
ذلك قال فراجعت ربي فوضع شظرها قال فرجعت إلى موسى فأخبرته قال راجع ربك فإن
أمتك لا تطيق ذلك قال فراجعت ربي فقال هي خمس ومن خمسون لا يبدل القول لدى قال
فرجعت إلى موسى فقال راجع ربك فقلت قد استحييت من ربي قال ثم انطق بي جبريل
حتى أتى سدرة المنتهى فمشيا ألوان لأدري ما هي قال ثم أدخلت الجنة فإذا فيها جنانة اللؤلؤ
وإذا ترابها المسك (ق) عن شريك ابن أبي نمر وأنه سمع أنس بن مالك يقول ليلة أسرى برسول
الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم
في المسجد الحرام فقال أولهم أنهم هو فقال أولهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم
فكانت تلك الليلة فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك
الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلهوه حتى احتلموه فوضعوه عند بئر زمزم فتولاه
منهم جبريل فشق جبريل ما بين نحره إلى لبتة حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء
زمزم بيده حتى أتى جوفه ثم أتى بطست من ذهب فيه نور من ذهب عثوا إيماننا وحكمة
نحشا به صدره ولغاد يده يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا فضرب
أبا مع أبوابها فناداه أهل السماء من هذا قتال جبريل قالوا ومن معك قال معي محمد قالوا
وقد بعث إليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا يستبشر به أهل السماء لا يعلم أهل السماء ما يريد

كانه من رجال شتوة قال ولقيت عيسى فنعته النبي صلى الله عليه وسلم فقال ربيعة أحمر كأنما خرج من ديماس
يعني الحمام ورأيت إبراهيم وأنا أشبه ولده به قال وأتيت باناء بين أحدهما لين والآخر فيه خر فقبيل لي خذ أيهما شئت
فأخذت اللين فشرته فقيل لي هديت الفطرة وأصبحت الفطرة أما أنك لو أخذت الحمر لغوت أمتك أنا عبد الواحد المليحي
ثنا أحمد بن عبد الله النعمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا الحميدي ثنا سفيان ثنا عمرو بن عكرمة عن

الله به في الأرض حتى يعلمهم فوجد في السماء الدنيا آدم عليه السلام فقال له جبريل هذا أبوك آدم فسلم عليه ورد عليه السلام وقال مرحبا وأهلا بابني نعم الابن أنت فإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان فقال ما هذان النهران يا جبريل قال هذان النيل والفرات عنصرهما ثم مضى به في السماء فإذا هو بنهر آخر عليه قصر من لؤلؤ وزبرجد فضرب بيده فإذا هو مسك أذفر قال ما هذا يا جبريل قال هذا الكوثر الذي خبأ لك ربك ثم عرج إلى السماء الثانية فقالت الملائكة له مثل ما قالت له الأولى من هذا قال جبريل قالوا ومن معك قال محمد قالوا وقد بعث إليه قال نعم قالوا مرحبا به وأهلا ثم عرج به إلى السماء الثالثة وقالوا له مثل ما قالت الأولى والثانية ثم عرج به إلى الرابعة فقالوا له مثل ذلك ثم عرج به إلى الخامسة فقالوا له مثل ذلك كل سماء فيها أنبياء قد سماهم فوعيت منهم إدريس في الثانية وهارون في الرابعة وآخر في الخامسة ولم أحفظ اسمه وإبراهيم في السادسة وموسى في السابعة بتفضيل كلام الله فقال موسى رب لم أظن أن يرفع علي أحد ثم علا به فوق ذلك بما لا يعلمه إلا الله حتى جاء سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة فتدلى فكان منه قاب قوسين أو أدنى فأوحى إلى الله فيها أوحى إليه خمسين صلاة على أمتك كل يوم وليلة ثم هبط حتى بلغ موسى فاحتبسه موسى فقال يا محمد ماذا عهد إليك ربك قال عهد إلى خمسين صلاة كل يوم وليلة قال إن أمتك لا تستطيع ذلك فارجع فليخفف عنك ربك عنهم فانثقت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كأنه يستشير به في ذلك فأشار إليه جبريل أن نعم إن شئت فعلا به إلى الجبار تعالى فقال وهو مكانه يارب خفف عنا فإن أمتي لا تستطيع هذا فوضع عنه عشر صلوات ثم رجع إلى موسى فاحتبسه فلم يزل يردده موسى إلى ربه حتى صارت خمس صلوات ثم احتبسه موسى عند الخمس فقال يا محمد والله لقد راودت بني إسرائيل قومي على أدنى من هذا فضعفوا فتركوه فأمتك أضعف أجسادا وقلوبا وأبدانا وأبصارا وأسماعا فارجع فليخفف عنك ربك كل ذلك يلتفت النبي صلى الله عليه وسلم إلى جبريل عليه فلا يكره ذلك جبريل فرفعه عند الخامسة فقال يارب إن أمتي ضعفاء أجسادهم وقلوبهم وأسماعهم وأبدانهم فخفف عنا فقال الجبار يا محمد قال لبيك وسعديك قال إنه لا يبذل القول لذي كما فرضت عليك في أم الكتاب قال فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون في أم الكتاب وهي خمس عليك فرجع إلى موسى فقال كيف فعلت قال خفف عنا أعطانا بكل حسنة عشر أمثالها قال موسى قد والله راودت بني إسرائيل على أدنى من ذلك فتركوه ارجع إلى ربك فليخفف عنك أيضا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا موسى قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه قال فاهبط بسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام هذا لفظ حديث البخاري وأدرج مسلم حديث شريك عن أنس الموقوف عليه في حديث ثابت البناني المسند فذكر من أول حديث شريك طرفا ثم قال وساق الحديث نحو حديث ثابت قال مسلم وقدم وأخر وزاد ونقص وليس في حديث ثابت من هذه الألفاظ إلا ما توردته على نصه أخرجه مسلم وحده وهو حدثنا حماد بن سلمة وعن ثابت البناني عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه قال فركبته حتى أتيت بيت

ليلة أسرى به إلى بيت المقدس قال والشجرة الملعونة في القرآن قال هي شجرة الزقوم أنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عبد العزيز بن عبد الله حدثني سابقان عن شريك ابن عبد الله قال سمعت أنس بن مالك يقول ليلة أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم من مسجد الكعبة أنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو قائم في المسجد الحرام فقال أولهم أيهم هو فقال أوسطهم هو خيرهم فقال آخرهم خذوا خيرهم فكانت تلك الليلة لم يرحم حتى أتوه ليلة أخرى فيها يرى قلبه أو تنام عيناه ولا يتام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم فلم يكلموه حتى احتملوه ووضعوه عند بئر زمزم فشق جبريل ما بين نحره إلى بئته حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده وساق حديث المعراج بقصته فقال وإذا هو في السماء الدنيا بنهرين يطردان قال

هذا النيل والفرات عنصرهما واحد ثم مضى به إلى السماء

الدنيا فاذا هو بنهر آخر عليه قصر من ثواب وزر جرد فضرب يده فاذا هو (١٣٣) مسك أذفر قال ما هذا يا جبريل

قل هذا الكوثر الذي
خبأ لك ربك وساق
الحديث وقال ثم عرج
بنا إلى السماء السابعة
وقال : قال موسى رب
لم أظن أن ترفع علي
أحدًا ثم علا به فوق ذلك
بما لا يعلمه إلا الله حتى
جاء سدرة المنتهى ودنى
الجبار رب العزة فتلى
حتى كان منه قاب
قوسين أو أدنى فأوحى
إليه فيها أوحى إليه خمسين
صلاة كل يوم وليلة
وقال فلم يزل يردده
موسى إلى ربه حتى
صارت إلى خمس صلوات
ثم احتبس موسى عند
الخمس فقال يا محمد
والله لقد راودت بني
إسرائيل قومي على
أدنى من ذلك فضعفوا
عنه وتركوه فأمنتك
أضعف قلوبا وأجسادا
وأبدانا وأبصارا وأسماعا
فارجع فليخفف عنك
ربك كل ذلك يلتفت
النبي صلى الله عليه وسلم
إلى جبريل ليشرح عليه
ولا يكره ذلك جبريل
فرقه عند الخامسة
فقال يا رب إن
أمتي ضعفاء أجسادهم
وقلوبهم وأسماعهم وأبصارهم

المقدس قال فربطته بالحلقة التي ربطها الأنبياء قال ثم دخلت فضليت فيه ركعتين ثم خرجت
فجاءني جبريل باناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل عليه السلام اخترت
الفطرة قال ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك
قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فاذا أنا بآدم فرحب بي ودعا لي بخير
ثم عرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل من أنت قال جبريل قيل ومن معك قال
محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فاذا أنا بابني الخالة عيسى بن مريم وبني
ابن زكريا فرحباني ودعوا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء الثالثة فاستفتح جبريل فقيل من أنت
قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فاذا أنا
بيوسف عليه السلام فاذا هو قد أعطى شطر الحسن قال فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا
إلى السماء الرابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل
وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فاذا أنا يادريس فرحب ودعا لي بخير قال الله تعالى
ورفعناه مكانا عليا ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل
قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فاذا أنا بهرون فرحب
ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فاستفتح جبريل قيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فاذا أنا بموسى فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج بنا إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل فقيل من هذا قال جبريل قيل
ومن معك قال محمد قيل وقد بعث إليه قال قد بعث إليه ففتح لنا فاذا أنا إبراهيم عليه السلام
مسندا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يدرون إليه ثم
ذهب بي إلى سدرة المنتهى وإذا ورقها كأذان النيلة وإذا ثمرها كالقلال فلما غشينا من أمر
الله ما غشي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها فأوحى إلي ما أوحى ففرض
علي خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال ما فرض ربك علي أمنتك قلت
خمسين صلاة قال ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمنتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت
بني إسرائيل وخبرتهم قال فرجعت إلى ربي فقالت يا رب خفف علي أمتي فحط عني خمسا
فرجعت إلى موسى فقالت قد حط عني خمسا قال إن أمنتك لا تطيق ذلك فارجع إلى ربك فاسأله
التخفيف قال فلم أزل أرجع بين ربي تبارك وتعالى وبين موسى حتى قال يا محمد إنهن خمس
صلوات كل يوم وليلة لكل صلاة عشر فذلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها
كتبت له حسنة فان عملها كتبت له عسرا ومن هم بسنة فلم يعملها لم تكتب شيئا فان عملها
كتبت سبئة واحدة قال فنزلت حتى انتهت إلى موسى فأخبرته قال ارجع إلى ربك فاسأله
التخفيف فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت إلى ربي حتى استحييت منه وهذه
رواية مسلم وأخرجه الترمذي مختصرا وفيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى بالبراق ليلة
أسرى به ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل أبعثك تفعل هكذا ما ركبتك أحد
أكرم على الله منه فارفض عراه وأخرجه النسائي مختصرا والمعنى واحد وفي آخره قال فرجعت
إلى ربي فأسأله التخفيف فقال إنني يوم خلقت السموات والأرض فرضت عليك وعلى أمتك

فخفف عنهم فقال الجبار يا محمد قال ليك وسعدك قال إنه لا يبدل القول لدى كما فرضت عليك في أم الكتاب

فكل حسنة بعشر أمثالها فهي خمسون (١٣٤) في أم الكتاب وهي خمس عليك فقال موسى ارجع لي ربك

خمسین صلاة فخمس بخمسين فقم بها أنت وأمنتك فعرفت أن أمر الله جرى بقول حم فلم ارجع .

(فصل)

قال البغوی قال بعض أهل الحديث ما وجدنا للخزري ومسلم في كتابهما ما شينا لا يتعمل محررا إلا حديث شريك بن أبي نمر عن أنس وأحال الأمر فيه على شريك وذلك أنه ذكر فيه إن ذلك كان قبل الوحي واتفق أهل العلم على أن المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثنتي عشرة سنة وفيه أن الجبار تبارك وتعالى دنا فتدلى وذكرت عائشة أن الذي تدلى هو جبريل عليه السلام قال البغوی وهذا الاعتراض عندي لا يصح لأن هذا كان رؤيا في النوم أراه الله ذلك قبل أن يوحى إليه بدليل آخر الحديث فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي وقبل الهجرة بسنة تحقيرا لرؤياه التي رآها من قبل كما أنه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية ستة مت من الهجرة ثم كان تحقيرها سنة ثمان ونزل قوله سبحانه وتعالى لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وقال الشيخ محي الدين النووي رحمه الله تعالى في كتابه شرح مسلم قد جاء من رواية شريك في هذا الحديث أوهام أنكرها عليه العلماء وقد نبه مسلم على ذلك بقوله قدم وأخر وزاد ونقص منها قولا وذلك قبل أن يوحى إليه وهو غلط لم يوافق عليه فان الإسراء أقل ما قيل فيه أنه كان بعد مبعث صلى الله عليه وسلم بخمسة عشر شهرا وقال الحرابي كانت ليلة الإسراء ليلة سبع وعشرين من شهر ربيع الآخر قبل الهجرة بسنة وقال الزهري كان ذلك بعد مبعث صلى الله عليه وسلم بخمس سنين وقال ابن إسحاق أسرى به صلى الله عليه وسلم وقد فشا الإسلام بمكة والقبائل قال الشيخ محي الدين وأشبهه الأقوال قول الزهري وابن إسحاق وأما قوله في رواية شريك وهو نائم وفي الرواية الأخرى بينما أتاعد البيت بين النائم واليقظان فندم يحتج به من يجعلها رؤيا نوم ولا حجة فيه إذ قد يكون ذلك حالة أول وصول الملك إليه وليس في الحديث ما يدل على كونه نائما في القصة كلها هذا كلام القاضي عياض وهذا الذي قاله في رواية شريك وأن أهل العلم قد أنكروها قد قاله غيره وقد ذكر البخاري في رواية شريك هذه عن أنس في كتاب التوحيد من صحيحه وأنى بالحديث مطولا قال الحافظ عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر هذه الرواية هذا الحديث بهذا اللفظ من رواية شريك بن أبي نمر عن أنس قد زاد فيه زيادة مجهولة وأنى فيه بالفاظ غير معروفة . روى حديث الإسراء جماعة من الحفاظ المتقين والأئمة المشهورين كابن شهاب وثابت البديوي وقتادة يعني عن أنس فلم يأت أحد منهم بما أتى شريك وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث قال والأحاديث التي تقدمت قبل هذا هي المعول عليها .

(فصل)

في شرح بعض ألفاظ حديث المعراج وما يتعلق به كانت ليلة الإسراء قبل الهجرة بسنة يقال كانت في رجب ويقال في رمضان وقد تقدم زيادة على هذا القدر في الفصل الذي قبل هذا واختلف الناس في الإسراء برسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل إنما كان ذلك في المنام والحق الذي عليه أكثر الناس ومعظم السلف وعمامة الخلف من المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمشككين أنه أسرى بروحه وجسده صلى الله عليه وسلم وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى سبحانه الذي أسرى بعبده ليلا ولفظ العبد عبارة عن مجموع الروح والجسد والأحاديث

فليخفف عنك أيضا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد والله استحييت من ربي مما اختلفت إليه قال فاهبط بسم الله فاستيقظ وهو في المسجد الحرام وروى مسلم هذا الحديث مختصرا عن هارون بن سعيد الأيلي عن ابن وهب عن سليمان بن بلال قال شيخنا الإمام رضي الله عنه قد قال بعض أهل الحديث ما وجدنا لمحمد بن إسماعيل ومسلم في كتابيهما شيئا لا يثبت محررا إلا هذا وأحال الأمر فيه إلى شريك بن عبد الله وذلك أنه ذكر فيه أن ذلك قبل أن يوحى إليه واتفق أهل العلم على أن المعراج كان بعد الوحي بنحو من اثنتي عشرة سنة قبل الهجرة بسنة وفيه أيضا أن الجبار دنا فتدلى وذكرت عائشة أن الذي تدلى جبريل عليه السلام قال شيخنا الإمام رضي الله عنه وهذا الاعتراض عندي لا يصح لأن هذا كان رؤيا في النوم أراه الله عز وجل قبل الوحي بدليل آخر الحديث قال فاستيقظ وهو في المسجد الحرام ثم عرج به في اليقظة بعد الوحي قبل الهجرة بسنة تحقيرا

برؤياه من قبل كما أنه رأى فتح مكة في المنام عام الحديبية سنة ست من الهجرة (١٣٥) ثم كان تحفيقه سنة ثمان

الصحيفة التي تقدمت تدل على صحة هذا القول لمن طالعتها وبحث عنها وحكى محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن حذيفة أنه قال كل ذلك كان رؤيا وأنه ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما أسرى بروحه وحكى هذا القول عن عائشة أيضا وعن معاوية نحوه والصحیح ما عاينه جمهور العلماء من السلف والخلف والله أعلم بقوله صلى الله عليه وسلم أثبت بالبراق هو اسم للدابة التي ركبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به واشتقاقه من البرق لسرعته أو لشدة صفائه وبياضه ولعانه وتلألؤه ونوره والحلقة باسكان اللام ويجوز فتحها والمراد بربط البراق بالحلقة الأخذ بالاحتياط في الأمور وتعاطي الأسباب وإن ذلك لا يقدح في التوكل إذا كان الاعتماد على الله تعالى وقوله جاءني جبريل باناء من خر وإناء من لبن فاخترت اللبن فيه اختصار والتقدير قال لي اختر فاخترت اللبن وهو قول جبريل اخترت الفطرة يعني فطرة الإسلام وجعل اللبن علامة للفطرة الصحيحة السليمة لكونه سهلا طيبا سائغا للشاربين وأنه سليم العقب بخلاف الحمر فانها أم الخباثت وجالبة لأنواع الشر قوله ثم عرج في حتى أتى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقبل من أنت قال جبريل فيه بيان الأدب لمن استأذن وأن يقول أنا فلان ولا يقول أنا فانه مكروه وفيه أن للسماء أبوابا وبوابين وأن عليها حرسا وقول بواب السماء وقد أرسل إليه وفي الرواية الأخرى وقد بعث إليه معناه للإسراء وصعوده السماء وليس مراده الاستمهام عن أصل البعثة والرسالة فان ذلك لا يفتى عليه إلى هذه المدة هذا هو الصحيح في معناه وقيل غيره وقوله فاذا أنا بآدم وذكر جماعة من الأنبياء فيه استحباب لقاء أهل الفضل والصلاح بالبشر والترحيب والكلام اللين الحسن وإن كان الزائر أفضل من المزور وفيه جواز مدح الإنسان في وجهه إذا أمن عليه من الإعجاب وغيره من أسباب الفتنة وقوله فاذا أنا براهيم مستندا ظهره إلى البيت المعمور فيه دليل على جواز الاستناد إلى القبلة وتحويل ظهره إليها وقوله ثم ذهب في إلى السدرة هكذا وقع في هذه الرواية السدرة بالألف واللام وفي باقي الروايات إلى سدرة المنتهى قال ابن عباس وغيره من المفسرين سميت بذلك لأن علم الملائكة ينتهي إليها ولم يجاوزها أحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابن مسعود سميت بذلك لكونها ينتهي إليها ما يهبط من فوقها وما يصعد من تحتها من أمر الله عز وجل وقوله وإذا ثمرها كالقلائل هو بكسر القاف جمع قلة بضمها وهي الجرة الكبيرة التي تسع قربين أو أكثر قوله فرجعت إلى ربي قال الشيخ محيي الدين النووي معناه رجعت إلى الموضع الذي ناجيته فيه أولا فناجيته فيه ثانيا وقوله فلم أزل أرجع بين موسى وبين ربي معناه وبين موضع مناجاة ربي عز وجل . قلت وأما الكلام على معنى الرؤية وما يتعلق بها فانه سيأتي إن شاء الله تعالى في تفسير سورة والنجم عند قوله تعالى ثم دنا فتدلى قوله ففرض الله سبحانه وتعالى على أمي خمسين صلاة إلى قوله فوضع شطرها وفي الرواية الأخرى فوضع عنى عشرا وفي الأخرى خمسا ليس بين هذه الرواية منافاة لأن المراد بالشرط الجزء وهو الخمس وليس المراد منه التنصيف وأما رواية العشر فهي رواية شريك ورواية الخمس رواية ثابت البناني وقادة وهما أثبت من شريك فلما رادحط عنى خمسا إلى آخره ثم قال هي خمس وهن خمسون يعني خمسين في الأجر والثواب لأن الحسنة بعشر أمثالها واحتج العلماء بهذا الحديث على جواز نسخ الشيء قبل فعله وفي أول الحديث أنه شق صدره صلى الله عليه وسلم

ونزل قوله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق وروى أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وكان يذى طوى قال يا جبريل أن قومي لا يصدقوني قال يصدقك أبو بكر وهو الصديق قال ابن عباس وعائشة رضي الله عنهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كانت ليلة أسرى بي أصبحت بمكة فضقت بأمرى وعرفت أن الناس يكذبونى فروى أنه عليه الصلاة والسلام قد معتزلا حزينا فر به أبو جهل فجلس إليه فقال له كالمستهزئ هل استفتدت من شئ قال نعم إني أسرى في الليلة قال إني أين قال إني بيت المقدس قال ثم أصبحت بين ظهرائنا قال نعم فلم ير أبو جهل أنه يشكر ذلك مخافة أن يوحده الحديث قال أتحدث قومك بما حدثتني به قال نعم قال أبو جهل يا معشر بني كعب ابن لؤي هله وإقال فانقضت إليه المجالس فجاءوا حتى جلسوا إليها قال فحدث قومك بما حدثتني قال نعم إني أسرى في الليلة قالوا إني أين قال إني بيت المقدس

قالوا ثم أصبحت بين ظهرانيها (١٣٦) قال نعم قال فمن بين مصفق ومن بين واضع يده على رأسه متعجبا

للكذب وارعد ناس
ممن كان آمن به وصدقه
وسعى رجل من المشركين
إلى أبي بكر فقال هل
لك في صاحبك يزعم
أنه أسرى به الليلة إلى
بيت المقدس قال أو قد
قال ذلك قال نعم قال
لئن كان قال ذلك لقد
صدق قالوا وتصدق
أنه ذهب إلى بيت
المقدس في ليلة وجاء
قبل أن يصبح قال نعم
إني لأصدق بما هو أبعد
من ذلك أصدق بخبر
السياء في عبودية أرواحه
فلذلك سمى أبو بكر الصديق
قال وفي القوم من قد أتى
المسجد الأقصى فقال
أهل تستطيع أن تتعت
لنا المسجد الأقصى
قال نعم قال فذهبت
أنعت وأنعت فآزلت
أنعت حتى التبس على
بعض النعت قال فجاء
بالمسجد وأنا أنظر إليه
حتى وضع دون دار عقيل
فنعت المسجد وأنا أنظر
إليه فقال القوم أما النعت
فوالله لقد أصاب ثم قالوا
يا محمد أخبرنا عن غيرنا
فهي أم لينا فهل لتيت
منها شيئا قال نعم مررت
على غير بنى فلان وهي
بالروحاء وقد أضلوا
بغيرا لهم وهم في طلبه وفي رحالهم قدح من ماء فحطشت فأخذته فشربته ثم وضعت كما كان

ليلة المعراج وقد شق أيضا في صغره وهو عند حليلة التي كانت ترضعه فالمراد بالشق الثاني
زيادة التطهير لمن يراد به من الكرامة ليلة المعراج وقوله أتيت بطست من ذهب قد يتوهم
متوهم أنه يجوز استعمال إزاء الذهب لنا وليس الأمر كذلك لأن هذا الفعل من فعل الملائكة
وهو مباح لهم استعمال الذهب أو يكون هذا قد كان قبل تحريمه وقوله ممثلة إيماننا وحكمة
فأفرغها في صدري . فان قلت الحكمة والإيمان معان والإفراغ صفة الأجسام فما معنى ذلك
قلت محتمل أنه جعل في الطست شيء يحصل به كمال الإيمان والحكمة وزيادتهما فسمى إيماننا
وحكمة لكونه سببا لهما وهذا من أحسن الحجاز وقوله في صفة آدم عليه السلام فإذا رجل
عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة هو جمع سواد وقد فسره في الحديث بأنه نسم بذية يعنى
أرواح بذية وقد اعترض على هذا بأن أرواح المؤمنين في السماء وأرواح الكفار تحت الأرض
السفلى فكيف تكون في السماء والجواب عنه أنه محتمل أن أرواح الكفار تعرض على آدم عليه السلام وهو
في السماء فوافق وقت عرضها على آدم مرور النبي صلى الله عليه وسلم فأخبر بما رأى وقوله فإذا نظر عن يمينه
ضحك وإذا نظر عن شماله بكى فيه شفقة الوالد على أولاده وسروره وفرحه بحسن حال المؤمن
منهم وحزنه على سوء حال الكفار منهم وقوله في إدريس مريحا بالنبي الصالح والأخ الصالح
قد اتفق المؤرخون على أن إدريس هو أختوخ وهو جد نوح عليهما السلام فيكون جد النبي صلى
الله عليه وسلم كما أن إبراهيم جده فكان ينبغي أن يقول بالنبي الصالح والابن الصالح كما قال آدم
وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام فالجواب عن هذا أنه قيل أن إدريس المذكور هنا هو إلياس وهو
من ذرية إبراهيم فإليس هو جد نوح هذا جواب القاضي عياض قال الشيخ محيي الدين ليس
في الحديث ما يمنع كون إدريس أبا لنيينا محمد صلى الله عليه وسلم وإن قوله الأخ الصالح محتمل
أن يكون قاله تطفأ وتادبا وهو أخ وإن كان أبا لأن الأنبياء أخوة والمؤمنين أخوة والله أعلم .

(فصل)

في ذكر الآيات التي ظهرت بعد المعراج الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم وسباق
أحاديث تتعلق بالإسراء قال البغوي روى أنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة أسرى به وكان
بذي طوى قال يا جبريل إن قومي لا يصدقوني قال بصدقك أبو بكر وهو الصديق قال ابن
عباس وعائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما كانت ليلة أسرى في إلى السماء أصبحت
بمكة فضقت بأمرى وعرفت أن الناس يكذبونى فروى أنه صلى الله عليه وسلم قعد معتزلا حزينا
فمر به أبو جهل فجلس إليه فقال كالمستزىء هل استفتدت من شيء قال نعم أسرى في الليلة
قال إلى أين قال إلى بيت المقدس قال أبو جهل ثم أصبحت بين أظهرنا قال نعم فلم ير أبو جهل أن ينكر
ذلك بخافة أن يجهده الحديث ولكن قال أتحدث قومك بما حدثني به قال نعم قال أبو جهل
يا معشر بني كعب بن لؤي هلموا فانتفضت المجالس وجاءوا حتى جلسوا إليهما قال حدث
قومك بما حدثني قال نعم أسرى في الليلة قالوا إلى أين قال إلى بيت المقدس قالوا ثم أصبحت
بين أظهرنا قال نعم قال فبقي الناس بين مصفق وبين واضع يده على رأسه متعجبا وارعد
أناس ممن كان قد آمن به وصدقه وسعى رجل من المشركين إلى أبي بكر فقال له هل لك
في صاحبك يزعم أنه أسرى به الليلة إلى بيت المقدس قال أو قد قال ذلك قال نعم قال لئن
كان قال ذلك لقد صدق قالوا أو تصدقه أنه ذهب إلى بيت المقدس وجاء في ليلة قبل أن

يصبح قال نعم إني أصدقه بما هو أبعد من ذلك أصدقه بخبر السماء في غدوة أو روضة فلذلك
سمى أبو بكر الصديق قال وكان في القوم من أتى المسجد الأقصى قالوا هل تستطيع أن تتعت
لنا المسجد قل نعم قال فذهبت أنعت حتى التيس على قال فجيء بالأسجد وأنا أنظر إليه
حتى وضع دون دار عقيل فنعت المسجد وأنا أنظر إليه فقال القوم أما التعت فو الله لقد
أصاب فيه ثم قالوا يا محمد أخبرنا عن عيرنا فهي أهم إلينا هل لقيت منها شيئا قال نعم
مررت بعير بني فلان وهي بالروحاء وقد أضلوا بعيرا وهم في طلبه وفي رحا لم قلع من ماء
فقطشت فأخذته فشربته ثم وضعته كما كان فسلوا هل وجدوا الماء في القديح حين رجعوا
قالوا هذه آية قال ومررت بعير بني فلان وفلان راكبان قعودا لهما بذي
مضى فرمى بفلان فانكسرت يده فسلوهما عن ذلك قالوا وهذه آية أخرى قالوا فأخبرنا عن
عيرنا قال مررت بها بالنعيم قالوا فما عدتها وأحماها وهيئتها فقال كنت في شغل عن ذلك ثم
مثلت له بعدتها وأحماها وهيئتها ومن فيها وكانوا بالخزورة قال نعم هيئتها كذا وكذا وفيها
فلان وفلان يقدمها جمل أورق عليه غراران محيطتان تطلع عليك عند طلوع الشمس قالوا
وهذه آية ثم خرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون والله لقد قص محمد شيئا وبينه حتى أتوا
كداء فجلسوا عليه فجعلوا ينظرون متى تطلع الشمس فيكذبونه إذ قال قائل منهم هذه
الشمس قد طلعت وقال آخر وهذه العير قد طلعت يقدمها بعير أورق فيها فلان وفلان كما
قال فلم يؤمنوا وقالوا هذا سحر مبین (م) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتنني عن أشياء
من بيت المقدس لم أنبتها فكربت كربة ما كربت مثلها قط قال فرغمه الله أنظر إليه ما يسألوني
عن شيء إلا أنبأتهم به وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي فاذا رجل ضرب
جمعا كأنه من رجال شعوة وإذا عيسى بن مريم قائم يصلي أقرب الناس به شيئا عروة بن
سعود الثقيني وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني به نفسه صلى الله عليه وسلم
فحذت الصلاة فأمتهم فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل يا محمد يا محمد هذا لك صاحب
النار فلم عليه فأنفت إليه فبدأني بالسلام (ق) عن جابر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما كذبتني قريش قت إلى الحجر فجلى الله إلى بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن
آياته وأنا أنظر إليه زاد البخاري في رواية له ما كذبتني قريش حين أسرى بي إلى بيت المقدس
وذكر الحديث (م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أتيت على موسى ليلة
أسرى بي عند الكتيب الأحمر فاذا هو قائم يصلي في قبره عن ربيعة قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لما أتيتنا إلى بيت المقدس قال جبريل كذا بأصبعه فخرق به الحجر وشد
به البراق وأخرجه الترمذي فان قامت كيف رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى يصلي
في قبره وكيف صلى بالأنبياء في بيت المقدس ثم وجدتم على مراتبهم في السموات وسلموا
عليه وترحبوا به وكيف تصح الصلاة من الأنبياء بعد الموت وهم في الدار الآخرة قلت أما
صلاة صلى الله عليه وسلم بالأنبياء في بيت المقدس يحتمل أن الله سبحانه وتعالى جمعهم له
ليصلي بهم ويعرفوا فضله وتقدمه عليهم ثم إن الله سبحانه وتعالى أراه إياهم في السموات
على مراتبهم ليعرف هو مراتبهم وفضلهم وأما مروءة موسى وهو قائم يصلي في قبره عند

راكبان قعودا لهما بذي
مضى فرمى بفلان فانكسرت
يده فسلوهما عن ذلك
قالوا هذه آية قالوا
فأخبرنا عن عيرنا نحن
متى نجى قال مررت
بها بالنعيم قالوا فما عدتها
وأحماها وهيئتها ومن
فيها فقال نعم هيئتها كذا
وكذا وفيها فلان وفلان
يقدمها جمل أورق عليه
غراران محيطتان تطلع
عليك عند طلوع الشمس
قالوا وهذه آية أخرى ثم
خرجوا يشتدون نحو
الثنية وهم يقولون والله
لقد قص محمد شيئا
وبينه حتى أتوا كدى
فجلسوا عليه فجعلوا
ينظرون متى تطلع
الشمس فيكذبونه إذ
قال قائل منهم والله هذه
الشمس قد طلعت وقال
آخر وهذه والله الأبل
قد طلعت يقدمها بعير
أورق فيها فلان وفلان
كما قال لهم فلم
يؤمنوا وقالوا إن هذا
الإسحار مبین أنا إسماعيل
ابن عبد القاهر أنبأنا
عبد الغافر بن محمد أنبأنا
محمد بن عيسى الجلودي
أنبأنا إبراهيم بن محمد
ابن سفيان ثنا مسلم بن

عن عبد الله بن الفضل عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أثبتها قال فكبرت كريبا ما كبرت مثله قط قال فرفعه الله لي أنظر إليه ما يسألوني عن شيء إلا أنبأتهم به ولقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فإذا موسى قائم يصلي فاذا رجل ضرب جعدا كأنه من رجال شنوءة وإذا عيسى قائم يصلي أقرب الناس به شها عروة بن مسعود الثقفي وإذا إبراهيم قائم يصلي أشبه الناس به صاحبكم يعني نفسه فجاءت الصلاة فأتممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لي قائل يا محمد هذا مالك صاحب النار فلم عليه فالتفت إليه فبدأني بالسلام قوله عز وجل (وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبنى إسرائيل أن لا) بأن لا (تتخذوا من دوني كتيلا) ربا كتيلا قرأ أبو عمرو لا يتخذوا بالياء لأنه خبر عنهم والآخرون بالتاء يعني قلنا لهم لا يتخذوا (ذرية من حملنا) قال مجاهد هذا نداء يعني ياذرية من حملنا (مع نوح) في السفينة فأنجيناهم من الطوفان (لأنه كان عبدا شكورا) كان نوح عليه السلام إذا أكل طعاما أو شرب شرابا أو لبس ثوبا قال الحمد لله فسمى عبدا شكورا أي كثير الشكر قوله عز وجل (وقضينا لى بنى إسرائيل في الكتاب) الآيات روى مفيان بن سعيد الثوري عن منصور بن المعتمر عن ربعي بن خراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن بنى إسرائيل لما اعتلدوا وقتلوا الأنبياء بعث الله عليهم ملك فارس يختصر وكان الله ملكه سبعمائة سنة فسار إليهم حتى دخل (١٣٨) بيت المقدس فحاصرها وفتحها حتى قتل على دم يحيى بن زكريا عليه السلام

سبعين ألفا ثم سبي أهلها وأولاد الأنبياء وسلب حل بيت المقدس واستخرج منها سبعين ألفا ومائة ألف عجلة من حل قتل يارسول الله كان بيت المقدس عظيما قال أجل بناء سليمان بن داود من ذهب وفضة وياقوت وزرجد وكان عمده ذها أعطاه الله ذلك وسخر له الشياطين بأثوته

الكليب الأحمر فيحتمل أنه كان بعد رجوعه من المعراج وأما صلاة الأنبياء وهم في الدار الآخرة فهم في حكم الشهداء بل أفضل منهم وقد قال الله سبحانه وتعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أو تاتوا بل أحياء في الآخرة فإن الله تعالى قال ودعواهم فيها سبحانه اللهم ورد الذكر والدعاء وذلك من أعمال الآخرة فإن الله تعالى قال ودعواهم فيها سبحانه اللهم ورد في الحديث أنهم يلهمون التسبيح كما يلهمون النفس ويحتمل أن الله سبحانه وتعالى خصهم بخصائص في الآخرة كما خصهم في الدنيا بخصائص لم يخص بها غيرهم : منها أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أنه رآهم يلبون ويحجون فكذلك الصلاة والله أعلم بالحقائق . قوله سبحانه وتعالى (وآتينا موسى الكتاب) يعني التوراة (وجعلناه) يعني الكتاب (هدى لى إسرائيل أن لا يتخذوا) يعني وقلنا لهم لا يتخذوا (من دوني وكيلا) يعني ربا كتيلا (ذرية) يعني ياذرية (من حملنا مع نوح إنه كان عبدا شكورا) يعني أن نوحا كان كثير الشكر وذلك أنه كان إذا أكل طعاما أو شرب شرابا أو لبس ثوبا قال الحمد لله فسماه الله عبدا شكورا لذلك . قوله عز وجل (وقضينا لى بنى إسرائيل في الكتاب) :

بهذه الأشياء في طرفه حين فسار بها يختصر حتى نزل بابل فأقام بنو إسرائيل في يده مائة سنة يستعبدونهم المحوس يعني وأبناء المحوس فيهم الأنبياء ثم إن الله رحمهم فأوحى لى ملك من الملوك فارس يقال له كورش ، وكان مؤمنا أن يسير إليهم ليستنقذ بقايا بنى إسرائيل فسار كورش لى إسرائيل وحل بيت المقدس حتى رده إليه فأقام بنو إسرائيل مطيعين لله تعالى مائة سنة ثم إنهم عادوا في المعاصي فسلط الله عليهم ملكا يقال له انطيانوس فغزا بنى إسرائيل حتى أتاهم بيت المقدس فسبي أهلها وأحرق بيت المقدس وقال لهم يا بنى إسرائيل إن عدتم في المعاصي عدنا عليكم بالسبي فعادوا فسلط الله عليهم ملك رومية يقال له فانس بن استياوس فغزاهم في البر والبحر فسباهم وسبي حل بيت المقدس وأحرق بيت المقدس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا من صفة حل بيت المقدس ويرده المهدي لى بيت المقدس هو ألف وسبعمائة سفينة يرمى بها على بابها حتى تنقل لى بيت المقدس وبها يمدح الله الأولين والآخرين قال محمد بن إسحاق كانت بنو إسرائيل فيهم الأحداث والذنوب وكان الله في ذلك متجاوزا عنهم محسنا إليهم وكان أول منازل بهم بسبب ذنوبهم كما أخبر على لسان موسى عليه السلام أن ملكا منهم كان يدعى صدقة وكان الله تعالى إذ ملك الملك عليهم بعث معه نبيا يسدده ويرشده لا ينزل عليهم الكتب إنما يأمرون باتباع التوراة والأحكام التي فيها فلما ملك ذلك الملك بعث الله معه شعيا بن أصفيا وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وشعيا هو الذي بشر بعيسى ومحمد عليهما السلام فقال أشري أو رسمت الآن يأتيك ركب الحمار ومنى بعده صاحب

البعير فلذلك ذلك الملك بنى إسرائيل وبيت المقدس زمانا طويلا فلما انتفض ملكه عظمت فيهم الاحداث وشعباء معه بعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل معه سبائة ألف راية فأقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه قرحة فجاء النبي شعيبا وقال له يا ملك بنى إسرائيل إن سنجاريب ملك بابل قد نزل بك هو وجنوده بسبائة ألف راية وقد هابهم الناس وفرقوا فكبر لك على الملك فقال يا بني الله فعل أتاك وحي من الله فها حدث فتخبرنا به كيف بفعل الله بنا ويسنجاريب وجنوده فقال لم يأتني وحي فيبيناهم على ذلك أوحى الله إلى شعيبا النبي أن أتت ملك بنى إسرائيل، فقرأه أن يوصي وصيته ويستخلف على ملكه من يشاء من أهل بيته فأتى شعيبا ملك بنى إسرائيل صديقه فقال له إن ربك قد أوحى إلى أن أمرك أن توصي وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فلما قال شعيبا لصديقه أقبل على القبلة فصلى ودعا وبكى فقال وهو يبكي وينزع إلى الله بقلب مخلص اللهم رب الأرباب وإله الآلهة يا قدوس المتقدس يا رحمن يا رحيم يا معروف الذي لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني بعلمي وفعلتي وحسن قضائي على بني إسرائيل وذلك كله كن منك وأنت أعلم به مني سرى وعلايتي لك وأنت الرحمن فاستجاب له وكان عبدا صالحا فأوحى الله تعالى إلى شعيبا أن يخبر صديقه أن ربه قد استجاب له ورحمه وأخر له أجله خمس عشر سنة وأنجاه من علوه سنجاريب فأناه شعيبا فأخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الحزن وخر ساجدا لله وقال يا لهي وإله آبائي لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذي تعطي الملك لمن تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير عالم الغيب والشهادة أنت الأول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين وأنت الذي أجيبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع رأسه أوحى الله إلى شعيبا أن قل للملك صديقه فيأمر عبدا من عبيده فيأتيه بما التين فيجعل له قرحة فيشفي فيصبح وقد برأ ففعل وشئ وقال الملك لشعباء سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله لك - يا قل له إن قد كتبتك عدوك وأنجيتك (١٣٩) منهم وأنهم سيصبحون موتى

يعنى أعلمناهم

كلهم إلا سنجاريب وخمسة نفر من كتابه أحدهم يختصر فلما أصبحوا جاء صارخ فصرخ على باب المدينة يا ملك بنى إسرائيل إن الله قد كفلك عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك الخمس سنجاريب في القتل فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فأدركه الطلب في مغارة وخمسة نفر من كتابه أحدهم يختصر فجاءهم في الجوامع ثم أتوا بهم إلى ملك بنى إسرائيل فلما رأهم خر ساجدا لله من حين طاعت الشمس إلى العصر ثم قال يا سنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال سنجاريب له قد أتاني خبر ربكم ونصره إياكم ورحمته التي يرحمكم بها قبل أن أخرج من بلادى فلم أطع مرشدا ولم يلتفتي في الشقوة إلا قللة عثلي ولو سمعت أو عقلت ما غررتكم فقال صديقه الحمد لله رب العالمين الذي كفاناكم بما شاء وإن ربنا لم ييقتك ومن معك الكرامتك على ربك ولكنه إنما أبغاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذابا في الآخرة ولنخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم فتندروا من بعدكم ولو لا ذلك لقتلكم ولدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لوفقات ثم إن ملك بنى إسرائيل أمر أمير حرمه فقلدت في رقابهم الجوامع فطافت بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وإيلينا وكان يرزقهم كل يوم خبزين من شعير لاكل رجل منهم فقال سنجاريب لملك بنى إسرائيل القتل خير مما تفعل بنا فأمر بهم الملك إلى سجن القتل فأوحى الله إلى شعيبا عليه السلام إن قل لملك بنى إسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه ليندروا من وراءهم وليكرههم وليحملهم حتى يباغوا بلادهم فيبلغ شعيبا الملك ذلك ففعل الملك صديقه ما أمر به فخرج سنجاريب ومن معه حتى قلعوا بابل فما قدموا جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه ومحرته يا ملك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحى الله إلى نبيهم فلم تطعنا وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم وكان أمر سنجاريب تخويفا لهم ثم كفاهم الله تذكرة وعبرة ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف يختصر ابن ابنه على ما كان عليه جاءه وعمل عمله فابث سبع عشرة سنة ثم قبض الله ملك بنى إسرائيل صديقه فرج أمر بنى إسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا ونبيهم شعيبا معهم ولا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قاله الله لشعباء قم في قومك حتى أوحى على لسانك فلما قام النبي شعيبا أتاه الله على لسانه بالوحي فقال : يا أسماء ائتمعي ويا أرض أنصتي فإن الله يريد أن يقص شأن بنى إسرائيل الذين رباهم بنعمته

واصطفاهم انفسه وخصهم بكرامته وفضاهم على عبادته وهم كالغيم الضائعة التي لا راعي لها فآوي شاردتها وجمع ضالتها وجبر
 كسرهما وداوى مريضها وأمن مهزولها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضها حتى لم يبق
 منه عظم صحيح يجير إليه آخر كسبر فويل لهذه الأمة الخاطئة التي لا يدرون أني جاءهم الحين أن البعير بما يذكر وطنه فينتابم وأن
 الحمار لما ذكر الأري الذي شيع عليه فيراجعه وأن الثور بما يذكر المرج الذي سمن فيه فيقتابه وأن هؤلاء القوم لا يلدكرون من
 حيث جاءهم الخبر وهم أولوا الأبواب والعقول ليسوا يبقروا ولا حمبر وإني ضارب لهم مثلا فليس معوه وقل لهم كيف ترون في
 الأرض كانت خرابا زمانا موانا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوي فقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوي
 أو أن يقال ضيع وهو حكيم فأحاط عليها جدارا وشيد فيها قصورا وأتبط نهرها ، وصنف فيها غراسا من الزيتون والرمان
 والنخيل والأعناب وأوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه قبا دارأى وهمة حفيظا قويا أميناً فلما اطلعت جاء طلوعها خروبا
 فلو باست الأرض هذه فترى أن يهدم جدارها وقصرها ويدفن نهرها ، يقبض قبورها ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول
 مرة خرابا موانا لا عمران فيها قال الله قل لهم فان الجدار ديني وأن القصر شريعتي وأن النهر كتابتي وأن القيم نبيي وأن الغراس هم
 وأن الحرب التي أطلع الغراس أعمالهم الحبيثة وإني قد قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وأذه مثل ضربته لهم يتقربون إلى
 بذبح البقر والغنم وليس ينالني اللحم ولا آكله ويدعون أن يتقربوا إلى بالقوى والكف من ذبح الأنفس التي حرمتها فأيديهم
 مخصوبة منها وثيابهم منزلة بدعائها يشيدون في البيوت مساكن أو يطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها
 ويؤفون في المساجد وزينونها وتخربون عقولهم وأخلاقهم ويفسدونها فأى حاجة لي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها وأى
 حاجة لي إلى تزويق المساجد ولست أدخلها إنما أمرت برفعها لأذكر وأسبح فيها يقولون صفا فلم يرفع صيادنا ، وصلينا فلم
 تدر صلواتنا وتصدقنا فلم ترك صلواتنا ودعونا بمثل حين الحمام ويكينا بمثل عواء الذئب في كل ذلك لا يستجاب لنا
 قال الله فاسألهم ما الذي يمتنعون أن (١٤٠) أستجب لهم ألست أسمع السامعين وأبصر الناظرين وأقرب المخبيين
 وأرحم الراحمين فكيف أرفع صيادهم وهم يلبسونه بتوله الزور ويتقوون عليه بطامة الحرام أم كيف

وأخبرناهم فيها

آتيناهم

يتصدقون بأموال غيرهم ، إنما أجر عليها أهلها المغصوبين أم كيف
 أسجيب دعاءهم وإنما هو قول بالسنة بهم بلا فلي والندل من ذلك بعيد إنما استجيب للداعي اللين وإنما أسمع قول المستعفف
 الممكن وأن من علامة رضا رضا المساكين يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي أنها أقويبل منقولة وأحاديث متوارثة
 ونائب مما يؤمن بالحرة والكهنة وزعموا أنهم لو شاموا أن يأتيوا بحديث مثله فعلوا قالوا ولو شاموا أن يطلعوا على علم الغيب بما
 يوحى إليهم الشياطين اطلعوا وأنى قد قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء أثبتته وختمته على نفسي وحملت ذنوبه أجيالا
 ووجلا لا بد أنه واقع فان صدقوا فيها ينتحلون من علم الغيب فليخبروك متى أنفذه أو في أي زمان يكون وإن كانوا يقدررون على
 أن يأتيوا بما يشامون فليأتوا بمثل هذه الأندرة التي بها أمضيت فاني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وإن كانوا يدرون
 على أن يؤلفوا ما يشامون فليؤاوا بمثل الحكمة التي بها أدر أمر ذلك القضاء إن كانوا صادقين ، وإني قد قضيت يوم خلقت
 السموات والأرض أن أجعل البيوة في الأجراء وأن أجعل الملك في الرعاء والعز في الأذلاء والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء
 والدم في الجهالة والحكمة في الأميين فسألهم متى هذا ومن القائم بهذا ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون وإني
 باعث لذلك نبيا أيا أمينا ليس أعمى من عميان ولا ضال من ضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا متزين
 بالفحش ولا قول لاختنا أسدده بكل جليل وأهب له كل خلق كرم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى صميره والحكمة
 معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه والإسلام ملتقه والحمد
 دينه وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر بعد الفلة
 وأغنى به بعد العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأولف به بين قلوب مختلفة وأهواء متشتتة وأم متفرقة ، وأجعل أمته خير أمة
 أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر فوحيدا إلى وإيمانا وإخلاصا لي يصلون قياما وقعودا وركعا وسجودا
 ويقالون في صهيل صفوفا وزحوافا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوانى ألهمهم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد

والشهابيل والمدحة والتمجيد في مسيرهم وبجالسهم ومضاجعهم ومناقبهم ومثواهم بكبرون وبهلون ، ويقدمون على رموس
الأشراف ويطهرون لى الوجوه والأطراف ويعقدون لى الثياب على الأكتاف قربانهم دماهم وأناجيلهم في صلبورهم رهبان
بالليل ليوث بالنهار ذلك فضلى أوتيه من أشاء وأنا ذو التفضل العظيم ، فلما فرغ شعبياء من مقاتله عنوا عليه ليقتلوه فهرب
منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخل فيها فأدركه الشيطان فأخذ مهدبة من ثوبه فأراهم إياها ، فوضعوا المشار في وسطها
فنشروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها واستخلف الله على بنى إسرائيل بعد ذلك رجلا منهم ، يقال له ناشية بن أموص
ويبعث لهم أرمياء بن حلقيا نبيا وكان من سبط هارون وذكروا ابن إسحاق أنه الخضر واسمه أرمياء سمي الخضر لأنه
جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهى تبهز خضراء فبعث الله أرمياء إلى ذلك الملك ليسدده ويرشده ثم عظمت الأحداث
في بنى إسرائيل وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم فأوحى الله إلى أرمياء إن ائت قومك من بنى إسرائيل ، فاقصص عليهم
ما أمرك به وذكرهم نعمتى وعرقهم بأحداثهم فقال أرمياء يارب إني ضعيف إن لم تقوى عاجزان لم تبغنى مخلول إن لم تنصرنى
قال الله تعالى أولم تعلم أن الأمور كلها تصدر عن مشيئتي وأن القلوب والألسنة بيدى ألقها كيف شئت إني معك ولن يعص
إليك شئ معى فقام أرمياء فيهم ولم يدر ما يقول فأطمه الله عز وجل في الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب
المعصية وقال في آخرها عن الله تعالى وإني حلفت بعزتي لأقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولأسطن عليهم جبارا قاسيا
ألبسه الهية وأنزع من صدره الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله إلى أرمياء إني مهلك بنى إسرائيل بياض
ويافث من أهل بابل على ما ذكرنا في سورة البقرة فسلط الله عليهم يختصر يخرج في سبائة ألف راية ودخل بيت المقدس
بجنوده ووطئ الشام وقتل بنى إسرائيل حتى أفنهم وخرّب بيت المقدس وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم
يقلّفوه في بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملأوه ثم أمرهم أن يجمعوا من في بلدان بيت المقدس كلهم فاجتمع عنده كل صغير
وكبير من بنى إسرائيل فاختر منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت غنائم (١٤١) جنده وأراد أن يقسمها فيهم
قلت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنمنا كلها وأقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين
اخترتهم من بنى إسرائيل اقسمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب كل رجل
منهم أربعة غلجان وفرق من بقى من بنى إسرائيل ثلاث فرق فلما أفر بالشام وثلثا سبي وثلثا قتل وذهب بناشية
بيت المقدس وبالصبيان السبعين الألف حتى أقدمهم بابل فكانت هذه الواقعة الأولى التي أنزل الله بنى إسرائيل بظلمهم
فلذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد ، يعنى يختصر وأصحابه ثم أن يختصر
أقام في سلطانه ماشاء الله ثم رأى رؤيا أعجبه إذ رأى شيئا أصابه فأنساه الله الذى رأى فدعا دانيال وحزانيا وعزازيا
وميشائيل وكانوا من ذرارى الأنبياء وسألهم عنها قالوا أخبرنا بها تخبرك بتأويلها قال ما ذكرها أولئ لم تخبروني بها وتأويلها
لأنزعن أكتافكم فخرجوا مع عنده فدعوا الله وتضرعوا إليه فأعلمهم الله بالذى رأى وسألهم عنه فجاؤه وقالوا رأيت غملا
قدماء وساقاه من فخار وركبناه وفخذه من نحاس وبطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنته من حديد قال صدقتم
قالوا فيبينا أنت تنظر إليه وقد أعجبك أرسل الله تعالى صخرة من السماء فدقته فهى التي أنسكتها قال صدقتم قال فتأويلها
قالوا تأويلها أنك رأيت ملك الملوك فبعضهم كان ألين ملكا وبعضهم كان أحسن ملكا وبعضهم كان أشبه ملكا الفخار
أضعفه ثم فوقه الححاس أشد منه ثم فوق الححاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل والذهب أحسن من الفضة وأفضل ثم
الحديد ملكك فهو أشد وأعز مما كان قبله والصخرة التي رأيت أرسل الله من السماء فدقته نبي يبعثه الله من السماء فيدق ذلك
أجمع ويصير الأمر إليه ثم إن أهل بابل قالوا ليختصر أرباب هؤلاء الغلمان من بنى إسرائيل الذين كنا سألناك أن تعطيناهم
فما قالوا قد أنكرونا نساءنا منذ كانوا معنا لقد رأينا نساءنا انصرفت عنا وجوههن إليهم فأخرجهم من بين أظهرنا
أو اقتلهم قال شأنكم بهم فمن أحب منكم أن يقتل من كان في يده فيفعل ذلك فلما قربهم للقتل بكوا إلى الله تعالى وقالوا
يارب أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعده الله أن يجيبهم فقتلوا يختصر لإل من استبق منهم دانيال وحزانيا وعزازيا وميشائيل
ثم أراد الله هلاك مختصر انبعث وتبظ فقال لمن في يده من بنى إسرائيل أرايتم هذا البيت الذى خربته والناس الذين قتلتم
منهم وما هذا البيت قالوا هذا بيت الله وهؤلاء أهله كانوا من ذرارى الأنبياء فظلموا وتعدوا فسلط عليهم بذنوبهم وكان

آتيانهم من الكتاب

ربهم رب السموات والارض ورب الخلق كلهم بكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا اهلكهم الله وسلط عليهم غيرهم
 فاستكبر وظن انه يجبروته فعل ذلك بنى اسرائيل قال فآخبروني كيف لي ان اطلع الى السماء العليا فاقتل من فيها واتخذها
 ملكا لي فاني قد فرغت من الارض قالوا ما يقدر عليها احد من الخلائق قال لتعلمن او لا تعلمنكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا
 الى الله تعالى فبعث الله تعالى عليه بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت بأم دماغه فما كان يقصر ولا يسكن حتى يوجأ له
 رأسه على أم دماغه فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه ليرى الله العباد قدرته وينجي الله من يثق
 من بنى اسرائيل في يديه فردهم الى الشام فبنوا فيه وكثروا حتى كانوا على أحسن ما كانوا عليه ويزعمون أن الله تعالى أحيا
 أولئك الذين قتلوا فلحقوا بهم ثم إنهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم عهد من الله تعالى وكانت التوراة قد احترقت
 وكان عزير من من السبايا الذين كانوا ببابل فرجع الى الشام يبكي عنها ليلا ونهارا وقد خرج من الناس فهو كذلك إذ
 أقبل إليه رجل فقال يا عزير ما يبكيك قال أبكى على كتاب الله وعهده الذي كان بين أظهرنا الذي لا يصلح أمر دنيانا وآخرتنا
 غيره قال أفتحب أن يرده إليك قال نعم قال ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعدك هذا المكان غدا فرجع عزير
 فصام وتطهر وطهر ثيابه ثم عمد إلى المكان الذي وعده فجاس فيه فأثابه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان ملكا بعثه الله إليه
 فسقاه من ذلك الإناء فماتت التوراة في صدره فرجع إلى بنى اسرائيل فوضع لهم التوراة فأجوه حتى لم يجبوا حبه شيئا قط
 ثم قبضه الله وجعلت بنو اسرائيل بعد ذلك يحدون الأحداث ويعود الله عليهم وبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا
 يقتلون حتى كان آخر من بعث الله فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت آل داود فأتى زكريا وقيل
 قتل زكريا فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له خردوش فسار إليهم
 بأهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رموس جنوده يدعى بيورزاذان صاحب الفيل فقال إني
 كنت حلقت بالهي لئن أنا ظفرت (١٤٢) على أهل بيت المقدس لأقتلهم حتى تسيل دماهم في وسط عكبري
 إلا أني لأجد أحدا أقتله فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم بيورزاذان ودخل بيت المقدس

أنهم سيفسدون

فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلي فسأهم عنه فقال يا بنى اسرائيل

وهو

ماشأن هذا الدم يغلي أخبروني خيره قالوا هذا دم قربان انا قربنا فلم

يقبل منا فذلك يغلي ولقد قربناه منذ ثمانمائة سنة القربان يتقبل منا إلا هذا فقال ما صدقتموني فقالوا لو كان كأول زماننا
 لتقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة والوحي فذلك لم يقبل منا فذبح منهم بيورزاذان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين
 رجلا من رموسهم فلم يهدأ فأمر بسبعائة غلام من غلمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فأمر بسبعائة آلافت من شبيهم وأزواجهم
 فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بيورزاذان أن الدم لا يهدأ قال لهم يا بنى اسرائيل ويلكم أصدقوني واصبروا على أمر ربكم
 فقد طال مملككم في الارض تفعلون فيها ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافع نار أنثى ولا ذكر إلا قتلت فلما رأوا الجهد
 منه وشدة اقتل صدقوا الخبر فقالوا إن هذا الدم دم نبي كان ينهانا عن أمور كثيرة من صخط الله فلو أنا أطلعناه فيها لكان
 أرشد لنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه فقتلناه فهذا دم فقال لهم بيورزاذان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن
 صدقتموني بمثل هذا انتقم ربكم منكم فلما رأى بيورزاذان أنهم صدقوه خرسا جدا وقال لمن حوله أغلقوا أبواب المدينة
 وأخرجوا مع كان هاهنا من جيش خردوش وخلفاء بنى اسرائيل قال يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك ما قد أصاب قومك
 من أهلك وما قتل منهم فاهدا بأذن ربك قبل أن لا أتق من قومك أحدا فهذا الدم باذن الله تعالى ورفع بيورزاذان عنهم القتل
 وقال آمنت بالذي آمنت به بنو اسرائيل وأيقنت أنه لا رب غيره وقال لبنى اسرائيل أن خردوش أمرني أن أقتل منكم حتى
 تسيل دماكم وسط عسكره وإني لست أستطيع إذ أعصيه قالوا له افعل ما أمرت به فأمرهم فحفروا خندقا وأمر بأموهم
 من الخيل والبعال والحمر والإبل والبقر والغنم فذبحها حتى سال الدم في العسكر وأمر بالقتل الذين قتلوا قبل ذلك فطرحوا
 على ما قتل من مواشيهم فلم يظن خردوش إلا أن مافي الخندق من دماء بنى اسرائيل فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى بيورزاذان
 أن أرفع عنهم القتل ثم انصر فضلى بابل وقد أتى بنى اسرائيل أو كاد أن يغنيهم وهي الواقعة الأخيرة التي أنزل الله ببنى
 اسرائيل وذلك قوله لتفسدن في الارض مرتين فكانت الواقعة الأولى مختصر وجنوده والأخرى خردوش وجنوده وكانت

أعظم الوقتين فلم يشم لهم بعد ذلك راية وانتقل الملك بالشام ونواحيها إلى الروم واليونانية إلا أن بقايا بني إسرائيل همروا
 وكانت لهم الرياسة ببيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا في نعمة إلى أن بدلوا وأحدثوا الأحداث فسلط الله
 عليهم ططبوس بن اسطيانوس الرومي فأخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة
 فلا يبق أحدهم إلا وعليه الصغار والجزية وبني بيت المقدس خرابا إلى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه فعمره المسلمون بأمره
 وقال قتادة بعث الله عليهم جالوت في الأولى فسبي وقتل وخرب ثم رددنا لكم الكرة عليهم يعني في زمان داود فإذا جاء
 وعد الآخرة بعث الله عليهم مختصر فسبي وخرب ثم قال وعسى ربكم أن يرحمكم فعاد الله عليهم بالرحمة ثم عاد القوم بشر
 ما بضررتهم فبعث الله عليهم ماشاء من نعمته وعقوبته ثم بعث الله عليهم العرب كما قال «وإذ نأذن ربك ليعمّن عليهم إلى
 يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب فهم في العذاب إلى يوم القيامة وذكر السدي بإسناده أن رجلا من بني إسرائيل رأى
 في النوم أن خراب بيت المقدس على يدي غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل يدعى مختصر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم
 فأقبل ليسأل عنه حتى نزل على أمه وهو محتطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب فألقاها ثم قعد فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم
 فقال أشتري بهذا طعاما وشرابا فاشتري بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمرا فأكلوا وشربوا وفعل في اليوم الثاني كذلك
 وفي اليوم الثالث كذلك ثم قال إني أحب أن تكتب لي أمانة إن أنت ملكت يوما من الدهر فقال أئسخر مني؟ فقال إني
 لأئسخر منك ولكن ما عليك أن تتخذها عندي يدا فكتب له أمانة وقال أرايت إن جئت والثامن حولك قد حالوا بيني
 وبينك قال ترفع صهيفتك على قصبه فأعرفك فكتب له وأعطاه ثم إن ملك بني إسرائيل كان يكرم يحيى بن زكريا ويدني
 مجلسه برأيه هو ابنة امرأته وقال ابن عباس ابنة أخيه فسأل يحيى بن زكريا عن تزويجها فنهاه عن نكاحها فبلغ ذلك أمها
 فتحقدت على يحيى بن زكريا وعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقا قاحمرا وطبتها وألبستها الحلج وأرسلتها
 إلى الملك وأمرتها أن تسقيه الخمر فان أرادها عن نفسها أبت عليه حتى (١١٣) يعطيها ما سألته فإذا أعطها
 سألت رأس يحيى بن زكريا أن يؤتي به في طست ففعلت ذلك فلما أرادها قالت لأفعل حتى
 تعطيني ما أسألك قال فما تسأليني قالت رأس يحيى بن زكريا أن يؤتي به في هذا الطست
 وهو قوله تعالى
 فقال ويحك سليمان غير هذا فقالت ما أريد إلا هذا فلما أبت عليه بعث فأتى برأسه حتى وضع بين يديه والرأس
 يتكلم ويقول ويل لك لآنجل لك ويكرر ذلك فلما أصبح إذا دمه يغلي فأمر بترأب فألني عليه فرقى الدم يعني صعد
 الدم يغلي ويلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك يغلي فبعث صحابين ملك بابل جيشا إليهم وأمر عليهم
 مختصر فسار مختصر وأصحابه حتى بلغوا ذلك المكان فلما سمعوا به تحصنوا منه في مدائنهم فلما اشتد عليهم
 المقام أراد الرجوع فخرجت إليه عجوز من عجايز بني إسرائيل فقالت تريد أن ترجع قبل فتح المدينة قال نعم قد طال
 مقامى وجاع أصحابي قالت أرايت إن فتحت لك المدينة تعطيني ما أسألك فتقتل من أمرتك بقتله وتكف إذا أمرتك أن تكف
 قال نعم قالت إذا أصبحت تقسم جندك أربعة أرباع ثم أقم على كل زاوية ربعاً ثم ارفعوا أيديكم إلى السماء فنادوا إنا نستفتحك
 يا الله بدم يحيى بن زكريا فانها سوف تساقط ففعلوا فنساقطت المدينة ودخلوا من جوانبها فقالت كف يدك وانطلقت به إلى
 دم يحيى بن زكريا وقالت اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفا حتى سكن فلما سكن قالت كف الآن يدك فان
 الله لم يرض إذا قتل نبي حتى يقتل من قتله ومن رضى بقتله فأناه صاحب الصحيفة بصحيفته فكف عنه وعن أهل بيته فخرّب
 بيت المقدس وطرح فيه الجيف وأعانه على خرابه الروم من أجل أن بنى إسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا وذهب معه بوجوه بني
 إسرائيل وذهب بدانيال وقوم من أولاد الأنبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم بابل وجد صحابين قدم مات فتملك مكانه
 وكان أكرم الناس عنده دانيال وأصحابه فحسداهم الجوس ووشوا بهم إليه وقالوا له إن دانيال وأصحابه لا يعبدون إلهك ولا
 يأكلون ذبيحتك فسأهم هائلوا أجل إن النار يا نعبده ولستنا نأكل من ذبيحتكم فأمر الملك بخد فخدمهم فألقوا فيه وهم ستة وأتى
 معهم بسبع ضار لياكلهم فذهبوا ثم راحوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفرش ذراعيه معهم ولم يخدم منهم أحدا ووجدوا
 معهم رجلا سابعاً فقال ما هذا السابع إنما كانوا ستة فخرج السابع وكان ملكاً فلطمه لطمه فصار في صورة الوحش ومسخه

الله سبع سنين وذكر وهب ان الله مسح مختصر ذرا في الطيور ثم مسحه ثورا في الدواب ثم مسحه اسدا في الوحوش فكان مسحه سبع سنين وقلبه في ذلك قلب انسان ثم رد الله اليه ملكه فآمن فستل وهب اكان مؤنفا فقال وجدت اهل الكتاب اختلفوا فيه فمنهم من قال مات مؤمنا ومنهم من قال احرق بيت الله وكتبه وقتل الانبياء فغضب الله عليه فلم يقبل توبته وقال السدي ثم ان مختصر لما رجع الى صورته بعد المسخ ورد الله اليه ملكه كان دانيال واصحابه اكرم الناس عليه فحسداهم الخوس وقالوا ليختصر ان دانيال اذا شرب الخمر لم يملك نفسه ان يبول وكان ذلك فيهم عار فاجعل لهم طعاما وشرابا فاكلوا وشربوا وقال للبواب انظر اول من يخرج لبول فاضر به بالطير زين فان قال انا مختصر فقتل كذبت مختصر امرني بذلك فكان اول من قام لبول مختصر فلما رآه البواب شد عليه فقال ويحك انا مختصر فقال كذبت مختصر امرني فقتله هذا ما ذكره في المبتدا الا ان رواية من روى ان مختصر غزي بنى اسرائيل عند قتلهم يحيى بن زكريا غلط عند اهل السير بل هم يجمعون على ان مختصر انما غزي بنى اسرائيل عند قتلهم شعيبا في عهد ارميا ومن وقت ارميا ونحريب مختصر بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا اربعة امانه واحدى وستون سنة وذلك انهم كانوا يعدون من لدن تحريب مختصر بيت المقدس الى حين عمارته في عهد كايوس بن اخشورش ابن اصبهيد بابل من قبل يهن (١٤٤) بن اسفنديار سبعين سنة ثم من بعد عمارته الى ظهور الاسكندر على بيت

المقدس ثمان وثمانون سنة ثم من بعد ذلك الى قتل يحيى بن زكريا ثمانية وستون سنة والصحيح من ذلك ما ذكر محمد بن اسحاق قوله عز وجل وقضينا الى بنى اسرائيل في الكتاب اى اعدناهم واخبرناهم بما اتيناهم من الكتاب انهم سيفسدون والقضاء على وجهه يكون امرا كقوله وتضى ربك ويكون حكما كقوله وان ربك

(لتفسدن في الارض مرتين) وقال ابن عباس وقصيدا عليهم في الكتاب فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ واللام في لتفسدن لام القسم تقديره والله لتفسدن في الارض يعنى بالمعاصي والمراد بالارض ارض الشام وبيت المقدس (ولتعلن) يعنى ولتستكبرن ولتظلمن الناس (علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما) يعنى اولى المرتين قبل افسادهم في المرة الاولى هو ما خالفوا من احكام التوراة وركبوا من المحارم وقيل افسادهم في المرة الاولى قتلهم شعيبا في الشجرة وارتكابهم المعاصي (بعثنا عليكم عبادا لنا) يعنى جالوت وجنوده وهو الذى قتله داود وقيل هو سبجاريب وهو من اهل نينوى وقيل هو مختصر البتايلى وهو الاصم (اولى باس شديد) يعنى ذوى بطش وقوة في الحرب (فجاسوا خلال الديار) يعنى طافوا بين الديار وسطها يطلبونكم ليتاؤمكم (وكان وعدا مفعولا) يعنى قضاء كائنا لازما لا خلف فيه (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) يعنى رددنا لكم الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم من ذنوبكم ورجعتم عن الفساد (وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا) يعنى اكثر عددا (ان احسنتم احسنتم لانفسكم) يعنى لها ثوابها وجزاء اجسانها (وان اساتم فلها) يعنى فعلها ايساها (فاذا جاء وعد الآخرة) يعنى المرة الآخرة من افسادكم وهو قصدكم قتل عيسى فخلصه الله منهم ورفع له قتلوا زكريا ويحيى عليه السلام فسلط عليهم الفرس والروم

يقضى بينهم ويكون خاتما كقوله وقضاهن سبع سموات وقال ابن عباس فسوهم وقادة بنى وقضينا عليهم فالى بمعنى على والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ (لتفسدن) لام القسم مجازوه والله لتفسدن (في الارض مرتين) بالمعاصي والمراد بالارض ارض الشام وبيت المقدس (ولتعلن) ولتستكبرن ولتظلمن الناس (علوا كبيرا فاذا جاء وعد اولاهما) يعنى اولى المرتين قال قتادة افسادهم في المرة الاولى ما خالفوا من احكام التوراة وركبوا المحارم وقال محمد بن اسحاق افسادهم في المرة الاولى قتل شعيبا بين الشجرة وارتكابهم المعاصي (بعثنا عليكم عبادا لنا) قال قتادة : يعنى جالوت الخزرى وجنوده وهو الذى قتله داود وقال سعيد بن جبير يعنى سبجاريب من اهل نينوى وقال ابن اسحاق مختصر البتايلى واصحابه وهو الاظهر (اولى باس) ذوى بطش (شديد) في الحرب (فجاسوا) اى طافوا وداروا (خلال الديار) وسطها يطلبونكم ويقتلونكم والجوس حالب اشئى بالاستقصاء قال الفراء جاسوا قتلواكم بين بيوتكم (وكان وعدا مفعولا) قضاء كائنا لا خلف فيه (ثم رددنا لكم الكرة) يعنى الرجعة والدولة عليهم (وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا) عددا اى من ينفر معهم وعاد البلد احسن مما كان (ان احسنتم احسنتم لانفسكم) اى لها ثوابها (وان اساتم فلها) اى فعلها كقوله تالى فسلام لك اى عليك وقيل فلها الجزاء والعقاب (فاذا جاء وعد الآخرة) اى المرة الآخرة من افسادكم وذلك قصدكم قتل عيسى عليه السلام حين

فسبواهم وقتلواهم وهو قوله تعالى (ليسوءوا وجوهكم) يعنى ليحزنوكم وقرىء بالنون أى ليسوء
الله وجوهكم (وليدخلوا المسجد) يعنى بيت المقدس ونواحيه (كما دخلوه أول مرة) يعنى
وقت إفسادهم الأول (وليتبروا ما علوا تبرا) يعنى وليهلكوا ما غلبوا عليه من بلاد بنى
إسرائيل إهلاكا . (ذكر القصة فى هذه الآية)

رفع وقتلهم يحيى بن
زكريا عليهما السلام
فسلط الله عليهم الفرس
والروم خردوش وطيطوس
حتى قتلوهم وسبواهم
وقطعوا عن ديارهم
فذلك قوله تعالى (ليسوءوا
وجوهكم) أى تحزن
وجوهكم وسوء الوجه
بإدخال الغم والحزن
قرأ الكسائى ويعقوب
للسوء بالتون وفتح الهززة
على التعظيم كقوله وقضينا
وبعثنا وقرأ ابن عامر
وحمزة وأبو بكر بالياء
وفتح الهززة على التوحيد
أى ليسوء الله وجوهكم
وقيل ليسوء الوعد وجوهكم
وقرأ الباقون بالياء وضم
الهززة على الجمع أى
ليسوء المهاد أولوا البأس
العديد وجوهكم
(وليدخلوا المسجد)
يعنى بيت المقدس
ونواحيه (كما دخلوه
أول مرة وليتبروا)
وليهلكوا (ما علوا)
أى ما غلبوا عليه من
بلادكم (تبرا)

قال محمد بن إسحاق كانت بنو إسرائيل فيهم الأحداث والذنوب وكان الله فى ذلك متجاوزا
عنهم ومحسنا إليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم أن ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان
الله إذا ملك عليهم الملك بعث معه نبيا لبيدده ويرشده ولا ينزل عليهم كتابا إنما يؤمرون
باتباع النوراة والأحكام التى فيها فلما ملك صديقة بعث الله معه شعيا وذالك قبل بعث
زكريا ويحيى وشعيا هو الذى بشر بعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم فقال أبشرى أورشلين
الآن يأتيتك راجب الحمار ومن بعده صاحب البعير فلك ذلك الملك يعنى صديقة بنى إسرائيل
وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه عظمت الأحداث فيهم وكان معه شعيا فبعث الله
سنجاريب ملك بابل ومعه ستائة ألف راية فلم يزل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس
والملك مريض من قرحة كانت فى ساقه فجاء شعيا النبي إليه وقال يا ملك بنى إسرائيل إن
سنجاريب ملك بابل قد نزل بك هو وبنوده ستائة ألف راية وقد هاهم الناس وفرقوا منهم
فكبر ذلك على الملك وقال يأتى الله هل أتاك من الله وحى فيها حدث فتخبرنا به وكيف يفعل
الله بنا ويسنجاريب وبنوده فقال شعيا لم يأتى وحى فى ذلك فبينما هم على ذلك أوحى الله
للى شعيا النبي أن انت ملك بنى إسرائيل فره أن يوصى وصيته ويستخلف على ملكه من
يشاء من أهل بيته فأتى شعيا ملك بنى إسرائيل وقال إن ربك قد أوحى لى أن أمرك أن توصى
وصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعيا
صديقة الملك أقبى على القبلة فضلى ودعا فقال وهو يبكى ويتضرع لى الله تعالى بقلب مخلص
اللهم رب الأرباب وإله الآلهة يا قدوس يا من تقدم يا رحمن يا رحيم بارء وفى يامن لا تأخذه
سنة ولا نوم اذكرنى بعملى وفعلى وحسن قضائى على بنى إسرائيل وذلك كله كان منك وأنت
أعلم به منى سرى وعلائقى لك فاستجاب الله له وكان عبدا صالحا فأوحى الله لى شعيا أن
يخبر صديقة أن ربه قد استجاب له ورحمه وأخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه من
عدوه سنجاريب فأتاه شعيا فأخبره فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانتقطع عنه
الحزن وخر ساجدا لله وقال إلهى وإله آبائى لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت
أنت الذى تعطى الملك من تشاء وتزعج الملك من تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء
عالم الغيب والشهادة أنت الأول والآخى والظاهر والباطن وأنت رحيم وتستجيب دعوة
المضطرين أنت الذى أجبته دعوتى ورحمت نضرعى فلما رفع رأسه أوحى الله لى شعيا أن
قل لى الملك صديقة فيامر عبدا من عبيده فيأتىه بما التين فيجعله على قرحته فيشفى فيصبح وقد
برأ ففعل ذلك فشئى فقال الملك لشعيا سل ربك أن يجعل لنا عالما بما هو صانع بعدونا هذا قال الله
لشعيا قل لى قد كفيتك عدوك وأتيتك منهم وانهم سيصبحون موتى كلهم إلا سنجاريب
وعمسة نفر من كتابه أحدهم بخنصر فلما أصبحوا جاء صارخ يصرخ على باب المدينة يا ملك
بنى إسرائيل إن الله قد كفاك عدوك فانخرج فان سنجاريب ومن معه هلكوا فخرج الملك

والشمس سنجاريب فلم يوجد في الموتى فبعث الملك في طلبه فأدركه الطلب في مفازة ومعه خمسة نفر من كتابه أحدهم مختصر فجعلوهم في الجوامع ثم أتوا بهم الملك فلما رأهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس إلى العصر ثم قال لسنجاريب كيف رأيت فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال سنجاريب قد أتاني خير ربكم ونصره إياكم ورحمته التي برحمكم بها قبل أن أخرج من بلادى فلم أطع مرشدا ولم يلقني في الشقوة إلا قلة عقلى ولو سمعت أو عقلت ما غزوتكم فقال الملك صديقة الحمد لله رب العالمين الذي كفاناكم بما شاء وإن ربنا لم يمتنعك ومن معك لكرامتك عليه ولكنه إنما أبتاك ومن معك لتزدادوا شقوة في الدنيا وعذابا في الآخرة ولتخبروا من وراءكم بما رأيت من فعل ربنا بكم فتنذروا من بعدكم ولولا ذلك لقتلك ومن معك ولدمك ودم من معك أهون على الله من دم قراد لو قتلت ثم إن ملك بني إسرائيل أمر أمير حرمه أن يقذف في رقابهم الجوامع ففعل وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وإيلياء وكان يبرز فهم في كل يوم يخبرين من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب للملك صديقة القتل خير مما نحن فيه وما نفعل بنا فأمر بهم إلى السجن فأوحى الله إلى شعيباء النبي أن قل لملك بني إسرائيل يرسل سنجاريب ومن معه ليتنروا من وراءهم وليكرمهم وليحملهم حتى يبلغوا بلادهم فيبلغ ذلك شعيباء للملك ففعل وخرج سنجاريب ومن معه حتى قدموا بابل فلما قدم جمع الناس فأخبرهم كيف فعل الله تعالى بخنوده فقال له كهانه وسحرته يامالك بابل قد كنا نقص عليك خبر ربهم وخبر نبيهم ووحى الله إلى نبيهم فلم نطعنا وهي أمة لا يستطيعها أحد مع ربهم وكان أمر سنجاريب نحويفا لبني إسرائيل ثم كفاهم الله تعالى ذلك تذكرة وعبرة ثم أن سنجاريب لبث بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف على ملكه مختصر ابن ابنه فعمل بعمله وقضى نقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله الله ملك بني إسرائيل صديقة فرج أمر بني إسرائيل وتنافسوا الملك حتى قتل بعضهم بعضا وشعباء نبيهم معهم لا يقبلون منه فلما فعلوا ذلك قال الله لشعباء قم في قومك حتى أوحى على لسانك فلما قام أطلق الله لسانه بالوحي قتال يا سماء اسمعي ويا أرض أنتصني فان الله يريد أن يقص شأن بني إسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده وهم كالغنم الضائعة التي لا راعي لها فأوى شاردتها وجمع ضالتها وجبر كبيرها ودأوى مريضها وأمن مهزوطا وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضها بعضا حتى لم يبق منها عظم صحيح يعجز إليه آخر فويل لهذه الأمة الخاطئة الذين لا يدرون أنى جاءهم الحين إن البعير مما يذكر وطنه فينتابه وأن الحمار مما يذكر الأري الذي يشبع عليه فيراجعه وأن الثور مما يذكر المرج الذي سمن فيه فينتابه وإن هؤلاء القوم لا يدكرون من حيث جاءهم الخبير وهم أولو الألباب والعقول ليسوا بيقر ولا حير وإني ضارب لهم مثلا فليس هو قل كيف ترون في أرض كانت خرابا زمانا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوى فاقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه وهو قوى أو يقال ضيع وهو حكيم فأحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأبطل فيها نهرا ووصف فيها غراسا من الزيتون والرمان والتخيل والأعناب وألوان الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه قبا ذا رأى وهمة حفيظا قويا أمينا فلما أطلعت جاء طلوعها خروبا فقالوا بثت الأرض هذه فترى أن يهدم جدارها

وقصرها ويدفن نهرها ويقبض قيمها ويحرق غراسها حتى تصير كما كانت أول مرة خرابا
 مواتا لا عمران فيها قال الله تعالى قل لهم الجدار ديني والقصر شريعتي وإن النهر كتابي وأن
 القيم نبيي وأن الغراس هم وأن الخروب الذي أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وإني قد قضيت
 لهم قضاءهم على أنفسهم وأنه مثل ضربته فم يتقربون إلى بلديح البقر والغنم وليس بغالي
 اللحم ولا آكله ويدعون أن يتقربوا إلى بالنقوى والكف عن ذبح الأنفس التي حرمها
 وأيديهم مخصوبة منها وثيابهم متزملات بدمائها يشيدون لي البيوت مساجد ويظهرون أجوافها
 وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها ويلوثون لي المساجد وزينونها ويخربون عقولهم
 وأخلاقهم ويفسدونها فاي حاجة لي إلى تشييد البيوت ولست أسكنها وأي حاجة لي إلى تزويق
 المساجد ولست أدخلها إنما أمرت برفعها لأذكر وأسبح فيها يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا
 وصلينا فلم تنور صلاتنا وتصدقنا فلم تزي صدقتنا ودعونا بمثل حنين الحمام ويكينا بمثل عواء الذئاب
 في كل ذلك لا يستجاب لنا قال الله فاسألهم ما ندى يمنعني أن أستجيب لهم ألت أسمع السامعين
 وأبصر الناظرين وأقرب الجيبين وأرحم الراحمين فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بقول
 الزور ويتقون عايه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم صاغية لي من بخاري
 وبخادي ويتنكح محارمي أم كيف تركوا عندي صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم إنما
 أجر عليها أهلها المغضوبين أم كيف أستجيب لهم دعاءهم وإنما هو قولهم بألسنتهم والقول
 من ذلك بعيد وإنما أستجيب للداعي اللين وإنما أسمع قول المستضعف المستكين وإن من
 علامة رضاي رضي المساكين يقولون لما سمعوا كلامي وبلغتهم رسالتي إنها أقاويل منقولة
 وأحاديث متواترة وتأليف مما تولى السحرة والكهنة وزعموا أنهم لو شاؤوا أن يأتوا بحديث
 مثله فعلوا ولو شاؤوا أن يطلعوا على علم الغيب بما توحى إليهم الشياطين اطلعوا وإني قد
 قضيت يوم خلقت السموات والأرض قضاء الله وحتمته على نفسي وجعلت دونه أجلا مؤجلا
 لا بد أنه واقع فإن صدقوا فيما يتحلون من علم الغيب فليخبروك متى أتقده أو في أي زمان
 يكون وإن كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤون فليأتوا بمثل هذه القدرة التي بها أمضيت
 فإني مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وإن كانوا يقدرون على أن يؤلفوا ما يشاؤون
 فيؤلفوا مثل هذه الحكمة التي أدبر بها ذلك القضاء إن كانوا صادقين وإني قد قضيت يوم
 خلقت السماء والأرض أن اجعل النبوة في الأجراء وأن اجعل الملك في الرعاء والعز في الأذلاء
 والقوة في الضعفاء والغنى في الفقراء والعلم في الجهلة والحكمة في الأميين فسلهم متى هذا
 زمن القائم بهذا ومن أعوان هذا الأمر وأنصاره إن كانوا يعلمون وإني باعث لذلك نبيا أميا
 ليس أعمى من عميان ولا ضالا من ضالين وليس بفظ ولا غليظ ولا صاحب في الأسواق
 ولا مترين بالفحش ولا قول لنا أسدده بكل جليل وأحب له كل خلق كريم أجعل السكينة
 لبامه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معوله والصدق والوفاء طبيعته والعبود والمعروف
 خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى إمامه والإسلام ملته وأحمد اسمه أهدي به بعد الضلالة
 وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد الشكرة وأكثر به القلة وأغنى به بعد
 العيلة وأجمع به بعد الفرقة وأولف به بين قلوب مختلفة وأهواء منشئة وأمم متفرقة وأجعل
 أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر توحيداني وإيماناني وإخلاصنا

لي يصلون قياما وقعودا وركعا وسجودا ويقفون في سبيل صوفوا وزحوا فوا يخرجون من ديارهم
 وأموالهم ابتغاء مرضاتي لهمم التكبير والتوحيد والتسبيح والتحميد والتليل والمدحة والتمجيد
 لي في مسيرهم وبجاسهم ومضاجعهم ومقالبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤوس
 الأشراف يطهرون لي الوجوه والأطراف ويعقدون لي الثياب على الأنصاف قربانهم دماؤهم
 وأنجيلهم في صدورهم رهيان بالليل ليوت بالنهار ذلك فضلي أوتيته من أشياء أنا ذوالفضل
 العظيم فلما فرغ شعبا من مقاتله عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقبته شجرة فانطلقت له
 فدخل فيها فأدركه الشيطان فأخذ بهدبة من ثوبه فأراهم إياها فوضعوا المنشار في وسطها
 ففسروها حتى قطعوها وقطعوه في وسطها واستخلف الله على بني إسرائيل بعد ذلك رجلا
 منهم يقال ناشة بن أموص وبعث لهم أرمياء بن حلقيا نبيا وكان من سبط هرون بن عمران
 وذكر ابن إسحاق أنه الخضر واسمه أرمياء سمى الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهي
 تهتز خضراء فبعث الله أرمياء إلى ذلك الملك ليرشده ويرشده ثم عظمت الأحداث في بني إسرائيل
 وركبوا المعاصي واستحلوا المحارم فأوحى الله إلى أرمياء أن ائت قومك من بني إسرائيل فاقصص
 عليهم ما أمرك به وذكرهم نعمي وعرفهم بأحداثهم فقال أرمياء يارب إني ضعيف إن
 لم تقوني عاجز إن لم تبغني عذول إن لم تنصرني قال الله تعالى أو لم تعلم أن الأمور كلها تصدر
 عن مشيقتي وأن القلوب والألسنة بيدي أقلبها كيف شئت إني معك ولن يصل إليك شيء
 معي فقام أرمياء فيهم ولم يدبر ما يقول فألهمه الله عز وجل في الوقت خطبة بليغة بين لهم فيها
 ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال في آخرها عن الله عز وجل وإني جللت بعزتي لأقضي
 لهم فنة يتحير فيها الخليم ولأسلطان عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأنزع من صدره الرحمة
 يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله إلى أرمياء أني مهلك بني إسرائيل بياض وياض
 من أهل بابل فسلط الله عليهم مختصر فخرج في ستمائة ألف راية ودخل بيت المقدس بجنوده
 ووطى الشام وقتل بني إسرائيل حتى أفناهم وخرّب بيت المقدس وأمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم
 ترسه ترابا ثم يقذفه في بيت المقدس ففعلوا ذلك حتى ملئوه ثم أمرهم أن يجمعوا من في يادان بيت المقدس
 كلهم فاجتمع عنده كل صغير وكبير من بني إسرائيل فاختر منهم سبعين ألف صبي فلما خرجت
 غنائم جنده وأراد أن يقسمها فيهم قالت له الملوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها وأقسم
 بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني إسرائيل فقسّمهم بين الملوك الذين كانوا معه فأصاب
 كل رجل منهم أربعة غلمان وفرق من بقي من بني إسرائيل ثلاث فرق ثلثا أقرهم بالشام وثلثا
 سباهم وثلثا قتلهم وذهب باناث بيت المقدس وبالصبيان السبعين ألفا حتى أعدمهم بابل فكانت
 هذه الواقعة الأولى التي أنزل الله عز وجل ببني إسرائيل بظلمهم فذلك قوله سبحانه وتعالى فإذا جاء وعد
 أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولى بأس شديده يعني مختصر وأصحابه ثم إن مختصر أقام في سلطانه
 ماشاه الله ثم رأى رؤيا عجيبة إذ رأى شيئا أصابه فأنساه الذي رأى فدعا دانيال وحنايا
 وعزارييا ومشائيل وكانوا من فرارى الأنبياء وأسأهم عنها فقالوا أخبرنا بها نخبرك بتأويلها
 فقال ما أذكرها ولن لم نخبروني بها وتأويلها لأزع عن أكتافكم فخرجوا من عنده فدعوا
 الله وتضرعوا إليه فأعلمهم الله بالذي سألم عنه فجاؤوه قالوا رأيت تمثالا قدماء وساقاه من
 فخار وركبته وفخذاه من نحاس وباطنه من فضة وصدره من ذهب ورأسه وعنقه من حديد

قال صدقتم قالوا فبينما أنت تنظر إليه وقد أعجبك أرسل الله صخرة من السماء فدقته فهي
التي أنستكها قال صدقتم فما تأويلها قالوا تأويلها أنك رأيت الملوك بعضهم كان ألبن ملكا
وبعضهم كان أحسن ملكا وبعضهم كان أشد ملكا والفضار أضعفه ثم فوقه النحاس أشد
منه ثم فوق النحاس الفضة أحسن من ذلك وأفضل والذهب أحسن من الفضة وأفضل ثم
الحديد ملكك فهو أشد وأعز مما قبله والصخرة التي رأيت أرسل الله من السماء فدقته فنبى
بعث الله من السماء فيدق ذلك أجمع ويصير الأمر إليه ثم إن أهل بابل قالوا لئلا نختصر رأيت
هؤلاء الغلمان من بني إسرائيل الذين سألتك أن تعطيتناهم ففعلت فإنا قد أنكرنا نساءنا منذ
كانوا معنا لقد رأينا نساءنا انصرفن وجوههن عنا إليهم فأخرجهم من بين أظهرنا أو اقتلهم
فقال شأنكم بهم فمن أحب منكم أن يقتل من كان في يده فليفعل فلما قربوهم للقتل بكوا
وتضرعوا إلى الله عز وجل وقالوا ياربنا أصابنا البلاء بذنوب غيرنا فوعدهم الله أن يحببهم
فقتلوا إلا من كان منهم مع مختصر منهم دانيال وحنانيا وعزارييا وميشائيل ثم لما أراد الله تعالى
هلاك المختصر انبعث فقال لمن في يده من بني إسرائيل رأيت هذا البيت الذي خربت والناس
الذي قتل منكم وما هذا البيت قالوا هو بيت الله وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الأنبياء
فظلموا وتعدوا فسلطت عليهم بذنوبهم وكان ربهم رب السموات والأرض ورب الخلائق
كلهم يكرمهم ويعزهم فلما فعلوا ما فعلوا أهلكتهم وساط عليهم غيرهم فاستكبر وتبخر وظن
أنه يجبروته فعل ذلك يبني إسرائيل قال فأخبروني كيف لي أن أطاع إلى السماء العليا فأقتل
من فيها وأتخذها لي ملكا فإني قد فرغت من أهل الأرض قالوا ما يقدر عاينها أحد من الخلائق
قال لتعلمن أو لا تعلمنكم عن آخركم فبكوا وتضرعوا إلى الله تعالى فبعث الله عز وجل عليه
بقدرته بعوضة فدخلت منخره حتى عضت أم دماغه فما كان يقدر ولا يسكن حتى يوجأ له
رأسه على أم دماغه فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة على أم دماغه ليرى الله
العباد قدرته ونجى الله من بني من بني إسرائيل في يده وردهم إلى الشام فبوا فيه وكثروا حتى
كانوا على أحسن ما كانوا عليه ويزعمون أن الله سبحانه وتعالى أحيا أولئك الذين قتلوا فاحضوا
بهم ثم إنهم لما دخلوا الشام دخلوها وليس معهم من الله عهد كانت التوراة قد احترقت
وكان عزيز من السبائيا الذين كانوا ببابل فلما رجع إلى الشام جعل يبكي ليله ونهاره وخرج
عن الناس فبينما هو كذلك إذ جاءه رجل فقال له يا عزيز ما يبكيك قال أبكي على كتاب الله
وعهده الذي كان بين أظهرنا الذي لا يصلح ديننا وآخرتنا غيره قال أفتحب أن يرد إليك قال
نعم قال ارجع فصم وتطهر وطهر ثيابك ثم موعذك هذا المكان غدا فرجع عزيز فصام وتطهر
وطهر ثيابه ثم عمد إلى المكان الذي وعده فجلس فيه فأتاه ذلك الرجل باناء فيه ماء وكان
ملكاً بعث الله إليه فسقاه من ذلك الإناء فثلث التوراة في صدره فرجع إلى بني إسرائيل فوضع
ثم التوراة فأحبوه حباً لم يحبوا حبه شيئاً قط ثم قبضه الله تعالى وجعلت بنو إسرائيل بعد ذلك
يحدثون الأحداث ويعود الله عليهم ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى
كان آخر من بعث إليهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من بيت آل
داود فزكريا مات وقيل قتل وقصدوا عيسى ليقتلوه فرفعه الله من بين أظهرهم وقتلوا يحيى
فلما فعلوا ذلك بعث الله عليهم ملكاً من ملوك بابل يقال له خردوش فسار إليهم بأهل بابل

حتى دخل عليه الشام فلما ظهر عليهم أمر رأسا من رؤساء جنوده يقال له بيورزاذان صاحب
القتل فقال له إني قد كنت حلفت بالهي لئن أنا ظفرت على أهل بيت المقدس لأقتلهم حتى
يسيل الدم في وسط عسكري إلا أن لا أجد أحدا أقتله فأمره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم
أن بيورزاذان دخل بيت المقدس فقام في البقعة التي كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها
دما يغلي فسألهم عنه فقال يابني إسرائيل ما شأن هذا الدم يغلي أخبروني خبره فقالوا هذا دم
قربان لنا قربناه فلم يقبل ما فلدناك يغلي ولقد قربنا القربان من ثمانمائة سنة فتقبل منا إلا هذا
فقال ما صدقته وني فقالوا لو كان كأول زماننا لتقبل منا ولكن قد انقطع منا الملك والنبوة
والوحي فلذلك لم يقبل منا فذبح بيورزاذان منهم على ذلك الدم سبعمائة وسبعين روحا من
رؤسهم فلم يهدأ الدم فأمر سبعمائة غلام من علمانهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فأمر بسبعة
آلاف من شبيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بيورزاذان أن الدم لا يهدأ قال
لهم يابني إسرائيل ويلكم اصدقوني واصبروا على أمر ربكم فتد طالما ملككم في الأرض
تفعلون ما شئتم قبل أن لا أترك منكم نافع نار من ذكر ولا أنثى إلا قتلتها فدارأوا الجهد وشدت
القتل صدقوه الخير فقالوا إن هذا دم نبي كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله تعالى فو
كنا أطلعناه كنا أرشدنا وكان يخبرنا عن أمركم فلم تصدقه فقتلناه فهنا دمه فقال لهم بيورزاذان
ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتموني بل مثل هذا بنتم ربكم منكم فلما علم
بيورزاذان أنهم صدقوه خرسا جدا وقال لمن حوله أغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان
ها هنا من جيش خردوش وخلا في بني إسرائيل ثم قال يحيى بن زكريا قد علم ربي وربك
ما أصاب قومك من أجلك ومن قتل منهم فأهدأ بأذن ربك قبل أن لا أبقى من قومك أحدا
إلا قتلته فهذا الدم بأذن الله تعالى ووقع بيورزاذان عنهم القتل وقال آمنت بما آمنت به بنو
إسرائيل وأيقنت أنه لا زب غيره وقال لبني إسرائيل إن خردوش أمرني أن أقتل منكم حتى
تسيل دماؤكم وسط عسكره وإني لا أستطيع أن أعصيه قالوا له افعل ما أمرت به فأمرهم فحضروا
خندقا وأمرهم بأموالهم من الخيل والبعال والحمير والإبل والقر والغنم فذبحها حتى سال الدم
في العسكر وأمر بالقتل الذين قبلوا قبل ذلك فطرحوه على ما قبل من المواشي فلم يقطن خردوش
إلا أن ما في الخندق من دماء بني إسرائيل فلما بلغ الدم عسكره أرسل إلى بيورزاذان أن أرفع
عنهم القتل ثم انصرف إلى بابل وقد أفنى بني إسرائيل أو كاد أن يفنيهم وهي الواقعة الأخيرة
التي أنزل الله ببني إسرائيل في قوله لتفسدن في الأرض مرتين فكانت الواقعة الأولى يختصر
وجنوده والأخرى خردوش وجنوده وكانت أعظم الوقعتين فلم تقم لهم بعد ذلك راية وانقل
الملك بالشام ونواحيها إلى الروم واليونانيين إلا أن بقايا بني إسرائيل كثروا وكانت لهم الرياسة
بيت المقدس ونواحيها على غير وجه الملك وكانوا في نعمة إلى أن بدلوا وأحدثوا الأحداث
فسلط الله عليهم ططوس بن أسبانيوس الرومي فحرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله عنهم
الملك والرياسة وضربت عليهم الذلة والمسكنة فما لبثوا في أمة إلا وعلمهم الصغار والجزية وبني
بيت المقدس خرابا إلى خلافة عمر بن الخطاب فعمره المسلمون بأمره وقيل في سبب قتل
يحيى عليه السلام أن ملك بني إسرائيل كان يكرمه ويدني مجلسه وأن الملك هوى بنت امرأته
وقال ابن عباس ابنة أخيه فسأل يحيى تزويجها فنهاه عن نسكاحها فبلغ ذلك أمها فحدثت على

(عسى ربكم) يا بني اسرائيل (أن يرحمكم) بعد انتقامه منكم فيرد الدولة إليكم (وإن عدتم عدنا) أي إن عدتم إلى المعصية عدنا إلى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله عليهم محمدا صلى الله عليه وسلم فهم يعطون الجزية عن يدهم صاغرون (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) معنا ومجسما من الحصر وهو الخبس قال الحسن حصيرا أي فراشا وذهب إلى الحصر الذي يبسط ويفرش (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) أي إلى الطريقة (١٥١) التي هي أصوب وقيل إلى الكلمة

التي هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلا الله (ويبشر) يعني القرآن (المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم) بأن لهم (أجرا كبيرا) وهو الجنة (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) وهو النار قوله تعالى (ويدع الإنسان) حذف الواو لفظا لاستقلال اللام الساكنة كقوله سندع الزبانية وحذف في الخط أيضا وهي غير محذوفة في المعنى ومعناه ويدعو الإنسان على ماله وولده ونفسه (بالشر) فيقول عند الغضب اللهم العنه وأهلكه ونحوهما (دعاه بالخير) أي كدعائه ربه أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاه على نفسه ملك ولكن الله لا يستجيب غضاه (وكان الإنسان عجولا) بالدعاء على ما يكره أن

يجي و٤٠٠ حين جلس الملك على شرايه فألبسها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبسها الخلى وأرسلها إلى الملك وأمرتها أن تسقيه فان هو راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما سألته فاذا أعطاها ما سألته سألت رأس يحيى بن زكريا وأن يؤتيه في طست ففعلت فلما راودها قالت لا أفعل حتى تعطيني ما سألتك قال فما تسألني قالت رأس يحيى بن زكريا في هذا الطست فقال ويحك سألني غير هذا ما أريد غير هذا فلما أبت عليه بعث فألقى رأسه حتى وضع بين يديه والرأس يتكلم يقول لا يعمل لك فلما أصبح إذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقى عليه فرقى الدم يغلي فلا زال يغلي ويأقي عليه التراب وهو يغلي حتى بلغ سور المدينة وهو في ذلك برقى ويغلي وسلط الله عليهم ملك بابل فخرّب بيت المقدس وقتل سبعين ألفا حتى سكن دمه قوله عز وجل (عسى ربكم أن يرحمكم) يعني يا بني اسرائيل بعد انتقامه منكم فيرد الدولة إليكم (وإن عدتم) أي إلى المعصية (عدنا) أي إلى العقوبة قال قتادة فعادوا فبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم عليهم فهم يعطون الجزية عن يدهم صاغرون (وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا) أي مجسما من الحصر الذي هو مجلس الخبس وقيل فراشا من الحصر الذي يبسط ويفرش . قوله تعالى (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم) أي إلى الطريقة التي هي أصوب وقيل إلى الكلمة التي هي أعدل وهي شهادة أن لا إله إلا الله (ويبشر) يعني القرآن (المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا) يعني الجنة (وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما) يعني النار في الآخرة (ويدع الإنسان) أي على نفسه وولده وماله (بالشر) يعني قوله عند الغضب اللهم أهلكه اللهم العنه ونحو ذلك (دعاه بالخير) أي كدعائه ربه أن يهب له النعمة والعافية ولو استجاب الله دعاه على نفسه لملك ولكن الله لا يستجيب بفضله وكرمه (وكان الإنسان عجولا) أي بالدعاء على ما يكره أن يستجاب له فيه وقال ابن عباس ضجرا لاصبر له على سراء ولاضراء. قوله تعالى (وجعلنا الليل والنهار آيتين) أي علامتين دلتين على وحدانيتنا وفي معنى الآية قولان أحدهما أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار وهو أنه جعلهما دليلين للحق على مصالح الدنيا والدين أما في الدين فلأن كل واحد منهما مضاد للآخر مغاير مع كونهما متعاقبين على الدوام ففيه أقوى دليل على أن لهما مدبرا يديرهما ويقدرهما بالمقادير المخصوصة وأما في الدنيا فلأن مصالح اليجاد لأنتم إلا بهما في الليل يحصل السكون والراحة وفي النهار يحصل التصرف في المعاش والكسب والقول الثاني أن يكون المراد وجعلنا نرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر (فحونا آية الليل) أي جعلنا الليل محجور الضوء مطدوسا مظلملا لا يستبان فيه شيء (وجعلنا آية النهار مبصرة) أي تبصر فيه الأشياء رؤية

يستجاب له فيه قال جماعة من أهل التفسير وقال ابن عباس ضجرا لاصبر له على السراء والضراء قوله عز وجل (وجعلنا الليل والنهار آيتين) أي علامتين دلتين على وجودنا ووحديتنا وقدرتنا (فحونا آية الليل) قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزءا ونور القمر كذلك فحما من نور القمر تسعة وستين جزءا فجعلها مع نور الشمس حكى أن الله تعالى أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور وسأل ابن الكواكب عليا عن الدواد الذي في القمر قال هو أثر الخو (وجعلنا آية النهار مبصرة) منيرة مضيئة يعني يبصرها قال السكسائي تقول

العرب أبصر النهار إذا أضاء بحيث يبصر بها (لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب) أي لو ترك الله الشمس والقمر كما خلقتهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يدر وقت الحج ولا وقت حلول الآجال ولا وقت السكون والراحة (وكل شيء فصلناه تفصيلا) قوله عز وجل (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه) قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه (١٥٢) أيها كان وقال الكلبى ومقاتل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسبه به

وقال الحسن يذمه وشومه وعن مجاهد ما من مولود إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد وقال أهل المعاني أراد بالطائر ما قضى الله عليه أنه عامله وما هو صائر إليه من معادة أو شقاوة سمى طائرا على عادة العرب فيما كانت تتعامل ونشأ به من سوانح الطير وارجحها وقال أبو عبيدة والقيسي أراد بالطائر حظه من الخير والشر من قوسهم طار سهم فلان بكذا وكذا وخص العتق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق وغيرهما مما يزين أو يشين فجرى كلام العرب بتشبيه الأشياء اللازمة إلى الأعتاق (ونخرج له) يقول الله تعالى ونحن نخرج (يوم القيامة كتابا) وقرأ الحسن ومجاهد ويعقوب ويخرج له بفتح الباء وضم الراء معناه ويخرج له الطائر

بينه قال ابن عباس جعل الله نور الشمس سبعين جزءا ونور القمر كذلك فحما من نور القمر تسعة وستين جزءا فجعلها مع نور الشمس وحكى أن الله أمر جبريل فأمر جناحه على وجه القمر ثلاث مرات فطمس عليه الضوء وبقي فيه النور وسأل ابن الكواء عليا عن السواد الذي في القمر فقال هو آر الخو (لتبتغوا فضلا من ربكم) أي لتوصلوا ببياض التمار إلى استبانة أعمالكم والتصرف في معاشكم (ولتعلموا) أي باختلاف الليل والنهار (عدد السنين والحساب) أي ما يحتاجون إليه ولولا ذلك لما علم أحد حساب الأوقات ولتعطلت الأمور ولو ترك الله الشمس والقمر كما خلقتهما لم يعرف الليل من النهار ولم يدر الصائم متى يفطر ولم يعرف وقت الحج ولا وقت حلول الديون المؤجلة . واعلم أن الحساب يبنى على أربع مراتب الساعات والأيام والشهور والسنين فالعدد للسنين والحساب لما دونها من الشهور والأيام والساعات وليس بعد هذه المراتب الأربعة إلا التكرار (وكل شيء فصلناه تفصيلا) يعني وكل شيء تقتفرون إليه من أمر دينكم ودنياكم قد بيناه بياننا شافيا واضحا غير ملتبس قيل إنه سبحانه وتعالى لما ذكر أحوال آتبي الليل والنهار وهما من وجه دليلان قاطعان على التوحيد ومن وجه آخر نعمتان من الله تعالى على أهل الدنيا وكل ذلك تفضل منه فلا جرم قال وكل شيء فصلناه تفصيلا قوله عز وجل (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه) قال ابن عباس عمله وما قدر عليه فهو ملازمه أيها كان وقيل خيره وشره معه لا يفارقه حتى يحاسب به وقيل ما من مولود إلا وفي عنقه ورقة مكتوب فيها شقي أو سعيد وقيل أراد بالطائر ما قضى عليه أنه عامله وما هو صائر إليه من معادة أو شقاوة وقيل هو من قولك طار له سهم إذا خرج يعني ألزمناه طار له من عمله لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه والعتق في قوله في عنقه كناية عن اللزوم كما يقال جعلت هذا في عنقك أي قلدتك هذا العمل وألزمك الاحتفاظ به وإنما خص العتق من بين سائر الأعضاء لأنه موضع القلائد والأطواق والغل مما يزين أو يشين فإن كان عمله خيرا كان له كالقلادة أو الخلق في العتق وهو ما يزينه وإن كان عمله شرا كان له كالغل في عنقه وهو ما يشينه ويخرج له يقول تبارك وتعالى (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) قيل بسطت للإنسان صحيفتان و وكل به ملكان يحفظان عليه حسناته وسيئاته فإذا مات طويت الصحيفتان وجعلتا معه في عنقه فلا ينشران إلا يوم القيامة (اقرأ كتابك) أي يقال له اقرأ كتابك قيل يقرأ يوم القيامة من لم يكن قارئاً (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) أي محاسباً قال الحسن لقد عدل عليك (١) من جعلك حسيب نفسك وقيل يقول الكافر (١) قوله عدل عليك هكذا في الأصل الطبع وفي بعض النسخ إليك سيدك عليك وفي الخطيب عدل والله في خلقك من الخ . وفي الكشاف : يا ابن آدم أنصفك والله من الخ اه مصححه .

يوم القيامة كتابا وقرأ أبو جعفر يخرج بالياء وضمها وفتح الراء (يلقاه) قرأ ابن عامر وأبو جعفر يلقاه بضم الباء وفتح اللام وتشديد القاف يعني يأتي الإنسان ذلك الكتاب أي يؤامر أو يقرأ الباقيون بفتح الباء خفيفة أي يراه (منشورا) وفي الآثار أن الله تعالى يأمر الملك بطلي الصحيفة إذا تم عمر العبد فلا تنشر إلا في يوم القيامة (اقرأ كتابك) أي يقال له اقرأ كتابك قوله تعالى (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا) محاسباً قال الحسن لقد عدل عليك من جعلك حسيب

نفسك لأن كذا أن ثم أي أ بمعنى إنك ح أن غير ولا لإقا سبه منه أنه وف إذا أمر أي تدم بنت شر قالت للعر قوله من سنة مائة وضح له م لا إله قالت (من) سنة القادم

لنفسك قال فتادة سيقراً يومئذ من لم يكن قارئاً في الدنيا (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه) لها ثوابه (ومن ضل فالتما بضل عليها) لأن عليها عقابه (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل حاملة حمل أخرى من الآثام أي لا يؤخذ أحد بذنب أحد (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) إقامة للحجة وقطعا للعذر وفيه دليل على أن ماوجب وجب بالسمع لا بالعقل (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) قرأ مجاهد أمرنا بالتشديد أي سلطانا شرارها فعصوا وقرأ الحسن وفتادة ويعقوب أمرنا بالمد أي أكثرنا وقرأ الباقر بالقصر مخففا أي أمرناهم بالطاعة فعصوا ويحتمل أن يكون معناه جعلناهم أمراء ويحتمل أن تكون بمعنى أكثرنا يقال أمرهم الله أي كثّرهم الله وفي الحديث «خير المال مهرة» (١٥٣) مأمورة أي كثيرة النسل ويقال

منه أمر القوم يأمرون أمرا إذا كثروا وليس من الأمر بمعنى الفعل فان الله لا يأمر بالفحشاء واختار أبو عبيدة قراءة العامة وقال لأن المعاني الثلاثة تجتمع فيها معنى الأمر والإمارة والكثرة مترفيها منعميها وأغنياءها (ففسقوا فيها فحق عليها القول) وجب عليها العذاب (قدمناها تدميرا) أي خربناها وأهلكنا من فيها أخبرنا عبد الواحد الملبحي أنا أحمد بن عبد الله الشعبي ، ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيى بن بكر ثنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب عن عروة بن الزبير أن زيب بنت أبي سلمة حدثته عن أم حبيبة بنت أبي سفيان عن زيب بنت

إنك لست بظلام للعبيد فاجعلني أحاسب نفسي فيقال له اقرأ كتابك كفي بنفسك اليوم عليك حسبا . قوله سبحانه وتعالى (من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها) يعني أن ثواب العمل الصالح مختص بفاعله وعقاب الذنب مختص بفاعله أيضا ولا يتعدى منه إلى غيره وهو قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أي لا تحمل حاملة ثقل أخرى من الآثام ولا يؤخذ أحد بذنب أحد بل كل أحد مختص بذنبه (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) إقامة للحجة وقطعا للعذر وفيه دليل على أن ماوجب إنما وجب بالسمع لا بالعقل . قوله سبحانه وتعالى (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها) في معنى الآية قولان أحدهما أن المراد منه الأمر بالفعل ثم إن لفظ الآية يدل على أنه تعالى إذا أمرهم فقال أكثر المفسرين معناه أنه تعالى أمرهم بالأعمال الصالحة وهي الإيمان والطاعة وفعل الخير والقوم خالفوا ذلك الأمر وفسقوا والقول الثاني أمرنا مترفيها أي أكثرنا فساقتها يقال أمر القوم إذا كثروا وأمرهم الله إذا كثروهم ومنه الحديث «خير المال مهرة مأمورة» أي كثيرة التاج والنسل فعلى هذا قوله تعالى أمرنا ليس من الأمر بالفعل . والمترف هو الذي أبطرت له النعمة وسعة العيش (ففسقوا فيها) أي خرجوا عما أمرهم الله به من الطاعة (فحق عليها القول) أي وجب عليها العقاب (قدمناها تدميرا) أي أهلكناها إهلاك استئصال والدمار الإهلاك والخراب (ق) عن أم المؤمنين زيب بنت جحش «أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فرعا يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها قالت زيب قلت يا رسول الله أتهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثرت الحيت» وقوله ويل للعرب ويل كلمة يقال لمن وقع في هلكة أو أشرف أن يقع فيها وقوله إذا كثرت الحيت أي الشر قوله تعالى (وكم أهلكنا من القرون) أي المكذبة (من بعد نوح) وهم عاد وثمود وغيرهم من الأمم الخالية يخوف الله بذلك كفار قريش قال عبد الله بن أبي أوفى القرن عشرون ومائة سنة فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول قرن يزيد بن معاوية في آخره وقبل القرن مائة سنة وروى عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشر المازني «أن النبي صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا» قال محمد بن القاسم مازلنا تعدله حتى تمت له مائة سنة ثم مات وقبل القرن ثمانون سنة وقبل أربعون (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا)

(٢٠ - خازن بالبعوى - رابع) جحش «أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فرعا وهو يقول لا إله إلا الله ويل للعرب من شر قد اقترب فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وحلق بأصبعه الإبهام والتي تليها قالت زيب فقلت يا رسول الله أتهلك وفينا الصالحون قال نعم إذا كثرت الحيت» وقوله (وكم أهلكنا من القرون) أي المكذبة (من بعد نوح) يخوف كفار مكة (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) قال عبد الله بن أبي أوفى القرن مائة وعشرون سنة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول قرن وكان في آخره يزيد بن معاوية وقبل مائة سنة ، وروى عن محمد بن القاسم عن عبد الله بن بشر المازني «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وضع يده على رأسه وقال سيعيش هذا الغلام قرنا» قال

محمد بن القاسم فما زلنا نعد له حتى تم له مائة سنة ثم مات قال الكافي القرن ثمانون سنة وقيل أربعون سنة (من كان يريد العاجلة) يعني الدنيا أي الدار العاجلة (عجلنا له فيها ما شاء) من البسط والتقدير (لمن يريد) أن تفعل به ذلك أو إهلاكه (ثم جعلنا له) في الآخرة (جهنم يصلها) (١٥٤) يدخل نارها (مذموما مدحورا) مطرودا مبعدا (ومن أراد الآخرة

يعني أنه علم بجميع المعلومات راء لجميع المزيات لا يخفى عليه شيء من أحوال الخلق . قوله عز وجل (من كان يريد العاجلة) أي الدار العاجلة يعني الدنيا (عجلنا له فيها ما شاء) أي من البسط أو التقدير (لمن يريد) أن تفعل به ذلك أو إهلاكه وقيل في معنى الآية عجلنا له فيها ما شاء لمن يريد أي القدر الذي نشاء تعجله له في الدنيا لا الذي يشاء هو ولمن يريد أن تعجل له شيئا قدرناه له وهذا ذم لمن أراد بعمله ظاهر الدنيا ومنفعتها وبيان أن من أرادها لا يدرك منها إلا ما قدر له (ثم جعلنا له) أي في الآخرة (جهنم يصلها) أي يدخلها (مذموما مدحورا) أي مطرودا مبعدا . قوله سبحانه وتعالى (ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها) أي عمل لها عملها (وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) أي مقبولا قيل في الآية ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا إرادة الآخرة بعمله بأن يعتقد بها همه ويتجاني عن دار الغرور والسعي فيها كلف من الفعل والترك والإيمان الصحيح الثابت وعن بعض السلف الصالح من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله إيمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية . قوله عز وجل (كلا نعد هؤلاء هؤلاء) أي نعد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة (من عطاء ربك) أي يرزقهما جميعا ثم يختلف بهما الحال في المال (وما كان عطاء ربك) رزق ربك (محظورا) ممنوعا عن عبادة فالمراد من العطاء العطاء في الدنيا وإلا فلا حظ للكفار في الآخرة (أنظر) يا محمد كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق والعمل الصالح في درجات منافع الآخرة (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) يعني أن تفاضل الخلق في درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع الآخرة أكبر وأعظم فإن نسبة التفاضل في درجات الآخرة إلى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة إلى الدنيا فإذا كان الإنسان تشتد رغبته في طلب الدنيا فلأن تقوى وتشتد رغبته في طلب الآخرة أولى لأنها دار المقامة . قوله تعالى (لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل أيها الإنسان مع الله الها آخر وهذا أولى (فتقعد مذموما) أي من غير حمد (مخدولا) أي بغير ناصر قوله سبحانه وتعالى (وقضى ربك) أي وأمر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه وأوجب ربك وقيل معناه الحكم والجزم وقيل ووصى ربك وحكى عن الضحاك أنه قرأها ووصى ربك وقال إنهم ألقوا الواو بالصاد فصارت قافا وهي قراءة علي وابن مسعود قال لإمام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لأنه يفتح باب أن التحريف والتغيير قد تطرق إلى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الأمان على القرآن وذلك يخرج عن كونه حجة ولا شك أنه طعن عظيم في الدين (لا تعبدوا إلا إياه فيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق لأن العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعليل لا يثنى إلا بمن له الإنعام والإفضال على عباده ولا منعم إلا الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره (وبالوالدين إحسانا) أي وأمر بالوالدين إحسانا أي رايهما وعطفنا عليهما وإحسانا إليهما (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) معناه أنهما يبلغان

وسعى لها سعيها) عمل عملها (وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا) مقبولا (كلا نعد هؤلاء هؤلاء) أي نعد كلا الفريقين من يريد الدنيا ومن يريد الآخرة (من عطاء ربك) أي يرزقهما جميعا ثم يختلف بهما الحال في المال (وما كان عطاء ربك) رزق ربك (محظورا) ممنوعا عن عبادة فالمراد من العطاء العطاء في الدنيا وإلا فلا حظ للكفار في الآخرة (أنظر) يا محمد كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق والعمل الصالح في درجات منافع الآخرة (وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا) يعني أن تفاضل الخلق في درجات منافع الدنيا محسوس فتفاضلهم في درجات منافع الآخرة أكبر وأعظم فإن نسبة التفاضل في درجات الآخرة إلى التفاضل في درجات الدنيا كنسبة الآخرة إلى الدنيا فإذا كان الإنسان تشتد رغبته في طلب الدنيا فلأن تقوى وتشتد رغبته في طلب الآخرة أولى لأنها دار المقامة . قوله تعالى (لا تجعل مع الله الها آخر) الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد غيره وقيل معناه لا تجعل أيها الإنسان مع الله الها آخر وهذا أولى (فتقعد مذموما) أي من غير حمد (مخدولا) أي بغير ناصر قوله سبحانه وتعالى (وقضى ربك) أي وأمر ربك قاله ابن عباس وقيل معناه وأوجب ربك وقيل معناه الحكم والجزم وقيل ووصى ربك وحكى عن الضحاك أنه قرأها ووصى ربك وقال إنهم ألقوا الواو بالصاد فصارت قافا وهي قراءة علي وابن مسعود قال لإمام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير هذا القول بعيد جدا لأنه يفتح باب أن التحريف والتغيير قد تطرق إلى القرآن ولو جوزنا ذلك لارتفع الأمان على القرآن وذلك يخرج عن كونه حجة ولا شك أنه طعن عظيم في الدين (لا تعبدوا إلا إياه فيه وجوب عبادة الله والمنع من عبادة غيره وهذا هو الحق لأن العبادة عبارة عن الفعل المشتمل على نهاية التعظيم ونهاية التعليل لا يثنى إلا بمن له الإنعام والإفضال على عباده ولا منعم إلا الله فكان هو المستحق للعبادة لا غيره (وبالوالدين إحسانا) أي وأمر بالوالدين إحسانا أي رايهما وعطفنا عليهما وإحسانا إليهما (إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما) معناه أنهما يبلغان

قال الربيع ابن أنس وأوجب ربك قال مجاهد وأوصى ربك وحكى عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأ ووصى ربك وقال إنهم ألقوا الواو بالصاد فصارت قافا (لا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا) أي وأمر بالوالدين إحسانا براهما وعطفنا عليهما (إما يبلغن عندك الكبر) قرأ حمزة والكسائي بالألف على التثنية فعلى هذا قوله (أحدهما أو كلاهما)

كلا
الباق
وناف
والأ
وسن
إلى
سب
تعا
سنة
إلى
يقا
قل
تم
أي
وق
(
)
مف
القا
الدر
ول
رس
بال
في
عل
في
ص
م
رغ
(م
في
عب
حم
الدر
ابن
نا

كلام مستأنف كقوله تعالى «ثم عموا وصموا كثير منهم» وقوله وأسروا النجوى الذين ظلموا وقوله الذئب ظلموا ابتداء وقرأ
الباقون بياض على التوحيد (فلا تقل لهما أف) فيه ثلاث لغات قرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بفتح الفاء وقرأ أبو جعفر
ونافع وحفص بالكسر والتنوين والباقون بكسر الفاء غير منون ومعناها واحد وهي كلمة كراهية قال أبو عبيدة أصل الثفت
والأف الوسخ على الأصابع إذا فتلتها وقيل الأف ما يكون في المغاين من الوسخ والثفت ما يكون في الأصابع وقيل الأف
وسخ الأذن والثفت وسخ الأظفار وقيل الأف وسخ الظفر والثفت ما رفعت (١٥٥) بيدك من الأرض من شيء

حقيز (ولا تهرهما) ولا

ترجرهما (وقل لهما قولا

كرهما) حسنا جميلا لينا

قال ابن المسيب كقول

العبد المذنب للسيد القظ

وقال مجاهد لا تسميها

ولا تكنهما وقل لهما يا ابتاه

يا أمهاه وقال مجاهد في هذه

الآية أيضا إذا بلغا عندك

من الكبر ما يبولان فلا

تتقنرهما ولا تنقل لهما

أف حين تيمط عنهما

الخلاء والبول كما كانا

يمطانه عنك صغيرا

(واخفض لهما جناح

الذئب) أي أذن جانبك

لهما واخفض لهما قال

عروة ابن الزبير أذن

لهما حتى لا تمتنع عن

شيء أحبها (من

الرحمة) من الشفقة

(وقل رب ارحمهما كما

ربياني صغيرا) أراد إذا

كانا مسلمين قال ابن

عباس هذا منسوخ

بقوله «ما كان للنبي

والذين آمنوا أن يستغفروا

للمشركين» أخبرنا

إلى حالة الضعف والعجز فيصيران عندك في آخر العمر كما كنت عندهما في أول العمر واعلم أن الله
سبحانه وتعالى لما ذكر هذه الجملة كلف الإنسان في حق الوالدين خمسة أشياء الأول قوله
تعالى (فلا تقل لهما أف) وهي كلمة تضرر وكراهية وقيل إن أصل هذه الكلمة أنه إذا
سقط عليك تراب أو رماد ونفخت فيه تزيهه تقول أف ثم إنهم توسعوا بذكر هذه الكلمة
إلى كل مكروه يصل إليهم والثاني قوله (ولا تهرهما) أي تزرهما عما يتعاطيانها مما لا يعجبك
يقال نهره وانهره بمعنى . فان قلت المنع من التأنيف أبلغ من المنع من الانتهاز فما وجه الجمع
قلت المراد من قوله ولا تقل لهما أف المنع من إظهار الضجر بالقليل والكثير والمراد من قوله ولا
تهرهما المنع من إظهار الخائف في القول على سبيل الرد عليها الثالث قوله (وقل لهما قولا كريما)
أي حسنا جميلا لينا كما يقتضيه حسن الأدب معهما وقيل هو يا أمهاه يا ابتاه وقيل لا يكتفيها
وقيل هو أن يقول لهما كقول العبد الذليل المذنب للسيد القظ الغليظ الرابع قوله عز وجل
(واخفض لهما جناح الذئب) أي أذن لهما جناحك واخفضه لهما حتى لا تمتنع عن شيء أحبها
(من الرحمة) أي من الشفقة عليهما لكبرهما وافتنارهما اليوم إليك كما كنت في حال الصغر
مفتقرا إليهما الخامس قوله سبحانه وتعالى (وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا) أي وادع
الله لهما أن يرحمهما برحمته الباقية وأراد به إذا كانا مسلمين فأما إذا كانا كافرين فإن
الدعاء منسوخ في حقهما بقوله سبحانه وتعالى «ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين
ولو كانوا أولى قربى» وقيل يجوز الدعاء لهما بأن يهديهما الله إلى الإسلام فإذا هداهما فقد
رحمهما وقيل في معنى هذه الآية إن الله سبحانه وتعالى بالغ في الوصية بهما حيث افتتحها
بالأمر بتوحيده وعبادته ثم شفعه بالإحسان إليهما ثم ضيق الأمر في مراتبهما حتى لم يرخص
في أدنى كلمة تسوؤهما وأن يذل ويخضع لهما ثم ختمها بالأمر بالدعاء لهما والترحم
عليهما .

(فصل)

في ذكر الأحاديث التي وردت في بر الوالدين (ق) عن أبي هريرة قال جاء رجل إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحبتي قال أمك ثم أمك ثم أبوك
ثم أذنك (م) عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رغم أنفه رغم أنفه
رغم أنفه قيل من يا رسول الله قال من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة
(م) عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لن يجزي ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه
فيعتقه» (ق) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

عبد الواحد المليحي أنا أبو مسعود محمد بن محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا

حميد بن زنجويه ثنا سليمان بن حرب ثنا حماد بن زيد عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن يعني السلمى عن أبي

الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الوالد أوسط أبواب الجنة فأحفظ إن شئت أوصييع» أخبرنا أبو طاهر محمد

ابن محمد بن علي الزراد أنا أبو بكر محمد بن إدريس الجرجاني أنا أبو الحسن علي بن الحسين الماليني أنا الحسن بن سفيان

ثنا يحيى بن حبيب بن عدي ثنا خالد بن الحارث عن معبد عن يعلى بن عطاء عن أبيه عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ

قال ورضا الله في رضا الوالد ومخط الله في مخط الوالد أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو سعيد محمد بن موسى البصرى أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفار ثنا أبو جعفر محمد بن غالب بن تمام الضبي ثنا عبد الله بن مسلمة ثنا عبد العزيز بن مسلم عن يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن أبي سعيد الخدرى قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة منان ولا عاق ولا مدمن خمره أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن نامويه الأصفهاني أنا أبو سعيد أحمد بن زياد البصرى أنا الحسن بن محمد بن الصباح ثنا ربهى بن علي بن عبد الرحمن بن إسحاق عن سعيد بن أبي سعيد المقبرى عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل على ورغم أنف رجل (١٥٦) أتى عليه شهر رمضان فلم يفقر له ورغم أنف أمرى أدرك أبويه

الكفر فلم يدخله الجنة»
(ربكم أعلم بما في نفوسكم)
من بر الوالدين وعقوقهما
(إن تكونوا صالحين)
أرارا مطيعين بعد
تقصير كان منكم في
القيام بما لزمكم من حق
الوالدين وغير ذلك (فانه
كان للأوابين) بعد
المعصية (غفورا) قال
سعيد ابن جبير في هذه
الآية هو الرجل يكون
منه البادرة إلى أبويه
لا يريد به إلا الخير فانه
لا يؤاخذ به قال سعيد
ابن المسيب الأواب
الذى يذنب ثم يتوب
ثم يذنب ثم يتوب قال
سعيد ابن جبير الرجاء
إلى الخير وعن ابن عباس
قال هو الرجاء إلى الله
فما يحزنه وينوبه وعن
سعيد بن جبير عن ابن

فاستأذنه في الجهاد فقال أحى والداك قال نعم قال فمهما فجاهد وعنه أن رسول الله ﷺ
قال «رضا الرب في رضا الوالدين ومخط الرب في مخط الوالدين» أخرجه الترمذى مرفوعا وموقوفا
قال وهو أصح عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «الوالد أوسط
أبواب الجنة فان شئت فضيع ذلك الباب أو احفظه» أخرجه الترمذى وقال حديث صحيح
(م) عن عبد الله بن مسعود قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم «أى الأعمال أحب إلى
الله تعالى قال الصلاة لوقتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد في سبيل الله
تعالى». قوله سبحانه وتعالى (ربكم أعلم بما في نفوسكم) أى من بر الوالدين واعتقاد ما يجب لهما
من التوقير وعدم عقوقهما (إن تكونوا صالحين) أى أرارا مطيعين قاصدين الصلاح والبر
بعد تقصير كان منكم في القيام بما لزمكم من حق الوالدين أو غيرهما أو قيل فرط منكم في حال
الغضب وعند حرج الصدر وما لا يخلو منه البشر مما يؤدى إلى أذاهما ثم أنبتم إلى الله واستغفرت
ما فرط منكم (فانه كان للأوابين) للتوابين (غفورا) قال سعيد بن جبير في هذه الآية هو
الرجل تكون منه البادرة إلى أبويه لا يريد بذلك إلا الخير فانه لا يؤاخذ بهما وقال سعيد بن
المسيب الأواب الذى يذنب ثم يتوب وعنه أنه الرجاء إلى الخير وقال ابن عباس الأواب
الرجاء إلى الله فيما يحزنه وينوبه وعنه أنهم المسبحون وقيل هم المصلون وقيل هم الذين يصلون
صلاة الضحى بدل عليه ماروى عن زيد بن أرقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على
أهل قباء وهم يصلون الضحى فقال «صلاة الأوابين إذا رمضت الفضال» أخرجه مسلم قوله إذا
رمضت الفضال يريد ارتفاع الضحى وأن تحصى الرمضاء وهو الرمل بجر الشمس فتبرك الفضال
من الحر وشدة إحراقه أخفافها والفضال جمع فضيل وهى أولاد الإبل الصغار وقيل الأواب
الذى يصل بين المغرب والعشاء بدل عليه ماروى عن ابن عباس قال إن الملائكة لتتحف
بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهى صلاة الأوابين. قوله سبحانه وتعالى (وأت ذا القرنين حقه
والمسكين وابن السبيل) قيل الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم أمره الله سبحانه وتعالى
أن يؤتى أقاربه حقوقهم وقيل إنه خطاب للكل وهو أنه سبحانه وتعالى وصى بعد بر الوالدين

عباس قال هم المسبحون دليله قوله «يا جبال أوبى منه» قال قتادة هم المصلون. قال عون العقيلي هم الذين يصلون بالقرابة
صلاة الضحى أخبرنا أبو الحسن طاهر بن الحسين الدورق الطوسى أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب أنا أبو النضر محمد بن محمد
ابن يوسف ثنا الحسن بن سفيان ثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا وكيع عن هشام صاحب الدستوائى عن قتادة عن القاسم بن
عوف عن زيد بن أرقم قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أهل قباء وهم يصلون صلاة الضحى فقال صلاة الأوابين
إذا رمضت الفضال من الضحى وقال محمد بن المنكدر الأواب الذى يصل بين المغرب والعشاء وروى عن ابن عباس أنه قال
أن الملائكة لتتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهى صلاة الأوابين قوله تعالى (وأت ذا القرنين حقه) يعنى صلة
الرحم وأراد به قرابة الإنسان وعليه الأكرهون وعن علي بن الحسين أراد به قرابة الرسول ﷺ (والمسكين وابن السبيل

ولا تبذر تذبذرا) أى لا تنفق مالك فى المعصية وقال مجاهد لو أنفق الإنسان ماله كله فى الحق ما كان تذبذرا ولو اتفق مدا فى باطل كان تذبذرا ومثل ابن مسعود عن التبذير فقال إنفاق المال فى غير حقه قال شعبة كنت أمشى مع أبى إسحاق فى طريق الكوفة فأتى على دار بنيت بجنب وأجر فقال هذا التبذير وفى قول عبد الله إنفاق المال فى غير حقه (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) أى أولياءهم والعرب تقول لكل ملازم سنة قوم هو أخوهم (وكان الشيطان ١٥٧) لربه كفورا) جمودا انعمه

(وإما تعرض عنهم) نزلت فى مهجع وبلال وصهيب وسلم وخباب كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم فى الأخايين ما يحتاجون إليه ولا يجد فيعرض عنهم حياة منهم ويمسك عن القول فزّل وأما تعرض عنهم يعنى وإن تعرض من هؤلاء الذين أمرت أن تؤتيهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك (فقل لهم قولاً ميسوراً) لينا وهى العدة أى عدم وعدا جميلا وقبل القول الميسور أن تقول رزقنا الله وإياك (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) قال جابر ، أتى صبي فقال يا رسول الله إن أبى تستكسبك درعا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلقبسه فقال لى ساعة إلى ساعة يظهر كذا فقد إلبنا وقتا آخر فعاد إلى أمه فقالت قل له إن أبى تستكسبك الدرع الذى عليك فدخل رسول

بالقرابة أن يؤتوا حقهم من صلة الرحم والمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاوضة ونحو ذلك وقيل إن كانوا محاربين وهو موسر لزمه الإنفاق عليهم وهو مذهب أبى حنيفة وقال الشافعى رضى الله تعالى عنه لا تنزم النفقة إلا لوالد على ولده أو ولد على والديه فحسب وقيل أراد بالقرابة قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقدم الكلام على المسكين وابن السبيل (ولا تبذر تذبذرا) أى لا تنفق مالك فى المعصية وقيل لو أنفق الإنسان ماله كله فى الحق لم يكن مبذرا ولو أنفق درهما أو مدا فى باطل كان مبذرا ومثل ابن مسعود عن التبذير فقال إنفاق المال فى غير حقه وقيل هو إنفاق المال فى العماراة على وجه السرف وقيل إن بعضهم أنفق نفقة فى خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير فى السرف فقال لا سرف فى الخير (إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين) يعنى أولياءهم وأصدقاؤهم لأنهم يطيعونهم فيما يأمرونهم به من الإسراف وقيل أمثالهم فى الشر وهذا غاية المذمة لأنه أشرف من الشياطين والعرب تقول لكل من هو ملازم سنة قوم هو أخوهم (وكان الشيطان لربه كفورا) أى جمودا للنعمة فما يقبض أن يطاع لأنه يدعو إلى مثل عمله . قوله عز وجل (وإما تعرض عنهم) نزلت فى مهجع وبلال وصهيب وسلم وخباب كانوا يسألون النبي صلى الله عليه وسلم فى الأخايين ما يحتاجون إليه ولا يجد فيعرض عنهم حياة منهم ويمسك عن القول فزّل هذه الآية والمعنى وإن تعرض عن هؤلاء الذين أمرت أن تؤتيهم (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) أى انتظار رزق من الله ترجوه أن يأتيك (فقل لهم قولاً ميسوراً) أى لينا جميلا أى عدم وعدا طيبا يطيب به قلوبهم وقيل هو أن يقول رزقنا الله وإياكم من فضله . قوله سبحانه وتعالى (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) قال جابر أتى صبي فقال يا رسول الله إن أبى تستكسبك درعا ولم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلقبسه فقال للصبي من ساعة إلى ساعة يظهر كذا فعد إلبنا وقتا آخر فعاد إلى أمه فقالت قل له إن أبى تستكسبك الدرع الذى عليك فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم داره وسلم داره ونزع قبضة وأعطاه وقعد عربانا فأذن بلال بالصلاة وانتظره فلم يخرج فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عربانا فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآية ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك أى لا تمسك يدك عن النفقة فى الحق والخير كما أغلولة يده لا يقدر على مدها (ولا تبسطها) أى بالعطاء (كل البسط) أى فتعطى جميع ما عندك وقيل هذا تمثيل لمنع الشحيح وإعطاء المسرف أمر بالاعتصام الذى هو بين الإسراف والتبذير (فتتعد ملوما) أى عند الله لأن السرف غير مرضى عنده وقيل ملوما عند نفسك وأصحابك أيضا يلومونك على تضييع المال بالكلية وقيل يلومك سائلوك على الإمساك إذا لم تعظمهم (محسورا) أى منقطعاً لاشئ عندك تنفقة وقيل محسورا أى نادما

الله صلى الله عليه وسلم داره فزنع قبضه فأعطاه إياه وقعد عربانا فأذن بلال بالصلاة فانتظروه فلم يخرج ، فشغل قلوب أصحابه فدخل عليه بعضهم فرآه عربانا فأنزل الله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك يعنى ولا تمسك يدك عن النفقة فى الحق كما أغلولة يده لا يقدر على مدها (ولا تبسطها) بالعطاء (كل البسط) فتعطى جميع ما عندك (فتتعد ملوما) يلومك سائلوك بالإمساك إذا لم تعظمهم والملوم الذى أتى بما يلوم نفسه أو يلوم غيره (محسورا) منقطعاً لاشئ عندك تنفقه ، يقال

حسرتة بالمسئلة إذا الخفت عليه ودابة حسيرة إذا كانت كالة رازحة قال قتادة محسورا نادما على ما ارط منك (إن ربك
بيسط) يوسع (الرزق لمن يشاء ويقدر) أي يقتر ويضيق (إنه كان بعباده خبيرا بصيرا) قوله تعالى (ولا تقتلوا أولادكم خشية
إملاق) فقر (نحن نرزقهم وإياكم) وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يتدون بناتهم خشية الفاقة فنها عن وأخبروا أن رزقهم
ورزق أولادهم على الله تعالى (١٥٨) (إن قتلهم كان خطأ كبيرا) قرأ ابن عامر وأبو جعفر خطأ بفتح الخاء

والطاء مقصورا وقرأ
ابن كثير بكسر الخاء
ممدودا وقرأ الآخرون
بكسر الخاء وجزم
الطاء ومعنى الكل واحد
أي إنما كبير (ولا تقربوا
الزنا إنه كان فاحشاً وساء
سيلاً ولا تقتلوا النفس
التي حرم الله إلا بالحق)
وحققها مروينا أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال
ولا يحل دم امرئ مسلم
إلا بأحدى ثلاث رجل
كفر بعد إيمانه أو زنى
بعد إحصائه أو قتل
نفسا بغير نفس فيقتل
بها (ومن قتل مظلوما
فقد جعلنا لوليهِ سلطاناً)
أي قوة وولاية على القاتل
بالقتل قاله مجاهد وقال
الضحاك سلطانه هو أنه
يتخير فإن شاء استفاد
منه وإن شاء أخذ الدية
وإن شاء عفا عنه (فلا
يسرف في القتل) قرأ
حمزة والكسائي فلا
تسرف بالهاء يخاطب ولي
القتيل وقرأ الآخرون

على ما فرط منك ثم صلى رسول الله ﷺ عما كان يرهقه من الإضافة بأن ذلك ليس لهوان
بك عليه ولا يبخل منه عليك فقال تعالى (إن ربك يبسط) أي يوسع (الرزق لمن يشاء ويقدر)
أي يقتر ويضيق وذلك لمصلحة العباد (إنه كان بعباده خبيرا بصيرا) يعني أنه سبحانه وتعالى
عالم بأحوال جميع عباده وما يصلحهم فالتفاوت في أرزاق العباد ليس لأجل البخل بل
لأجل رعاية مصالح العباد . قوله عز وجل (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق) أي فاقة وفقر
(نحن نرزقهم وإياكم) وذلك أن أهل الجاهلية كانوا يتدون بناتهم خشية الفاقة أو يخافون
عليهم من النهب والغارات أو أن ينكحوهن لغبر أكفء لشدة الحاجة وذلك عار شديد
عندهم فنهاهم الله عن قتلهن وقال نحن نرزقهم وإياكم يعني أن الأرزاق بيد الله فكما أنه فتح
أبواب الرزق على الرجال فكذلك يفتحها على النساء (إن قتلهم كان خطأ كبيرا) أي إنما
كبيراً (ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشاً) أي قبيحة زائدة على حد القبح (وساء سيلاً) أي
بئس طريقاً طريقه وهو أن تغضب امرأة غيرك أو أخته أو بنته من غير سبب والسبب ممكن
وهو الصهر الذي شرعه الله تعالى قبل إن الزنا يشتمل على أنواع من المفاسد منها المعصية
وإيجاب الحد على نفسه ومنها اختلاط الأنساب فلا يعرف الرجل ولد من هو ولا يقوم أحد
بتربيته وذلك يوجب ضياع الأولاد وانقطاع النسل وذلك يوجب خراب العالم . قوله عز
وجل (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) الأصل في القتل هو الحرمة المغلظة وحل
القتل إنما ثبت بسبب عارض فلما كان كذلك نهى الله عن القتل على حكم الأصل ثم استثنى
الحالة التي يحصل فيها حل القتل وهي الأسباب العرضية فقال إلا بالحق أي إلا بأحدى ثلاث
كما روى عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يحل دم امرئ مسلم يشهد
أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بأحدى ثلاث التيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه
المفارق للجماعة أخرجاه في الصحيحين (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً) أي قوة
وولاية على القاتل بالقتل وقيل سلطانه هو أنه يتخير فإن شاء استفاد منه وإن شاء أخذ الدية
وإن شاء عفا (فلا يسرف في القتل) أي الولي قال ابن عباس لا يقتل غير القاتل وذلك أنهم
كانوا في الجاهلية إذا قتل منهم قتيلا لا يرضون بقتل قاتله حتى يقتل أشرف منه وقيل معناه إذا
كان القاتل واحدا فلا يقتل به جماعة بل واحد بواحد وكان أهل الجاهلية إذا كان المقتول
شريفا فلا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه وقيل معناه أنه لا يمثل
بالقاتل (إنه كان منصورا) قيل الضمير راجع للمقتول فلما يعني أنه منصور في الدنيا بإيجاب
القود على قاتله وفي الآخرة بتكفير خطاياهم وإيجاب النار لقاتله وقيل الضمير راجع إلى ولي

بالياء على الغالب أي لا يسرف الولي في القتل واختلفوا في هذا الإسراف الذي منع منه ولي القاتل
فقال ابن عباس وأكثر المفسرين معناه لا يقتل غير القاتل وذلك أنهم كانوا في الجاهلية إذا قتل منهم قتيلا لا يرضون بقتل قاتله
حتى يقتل أشرف منه وقال سعيد بن جبير إذا كان القاتل واحدا فلا يقتل جماعة بدل واحد، وكان أهل الجاهلية إذا كان المقتول
شريفا لا يرضون بقتل القاتل وحده حتى يقتلوا معه جماعة من أقربائه وقال قتادة معناه لا يمثل بالقاتل (إنه كان منصورا)
فأهاه راجعة إلى المقتول في قوله (ومن قتل مظلوما يعني أن المقتول منصور في الدنيا بإيجاب القود على قاتله وفي الآخرة بتكفير

لخطاياهم وإيجاب النار أفتانله هذا قول مجاهد وقال قتادة الهاء راجعة إلى ولي المقتول معناه أنه منصور على القاتل باستيفاء
انقصاص منه أو الدية وقيل في قوله فلا يسرف في القتل إنه أراد به القاتل المعتدى يقول لا يعتدى بالقتل بغير الحق فإنه إن
فعل ذلك فولى المقتول منصور عليه باستيفاء انقصاص منه (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا
بالعهد) بالآيتين بما أمر الله به والانتها عما نهى الله عنه ، وقيل أراد بالعهد ما يترمه الإنسان على نفسه (إن العهد كان
مستولا) عنه وقال السدي كان مطلوباً وقيل العهد يسأل عن صاحب العهد فيقال فيها نقضت كالموودة تسأل فيم قتل
(وأوفوا الكيل إذا كلفم وزنوا بالقسط) قرأ حمزة والكسائي وحفص (١٥٩) بالقسط ، بكسر القاف والباقون

بضمه وهما لغتان وهو
الميزان صغيرا كان أو
كبيرا أي ميزان العدل
وقال الحسن هو القبان
قال مجاهد هو رومي
وقال غيره هو عربي
مأخوذ من القسط وهو
العدل أي وزنوا بالعدل
(المستقيم ذلك خير
وأحسن تأويلا) أي عاقبة
(ولا تقف ما ليس لك به
علم) قال قتادة لا تنقل
رأيت ولم تره وسمعت
ولم تسمعه وعلمت ولم
تعلمه وقال مجاهد لا ترم
أحد بما ليس لك به علم
قال القتيبي لا تتبعه بالحدس
والظن وهو في اللغة اتباع
الأثر يقال قذرت فلانا
أفوه وقضيت وأقضيت إذا
اتبعت أثره وبه سميت
القافية لتبعيةهم الآثار قال
القتيبي هو مأخوذ من
القفو كأنه يقفو الأمور
أي يكون في إقائها
يتبعها ويتعرفها
وحقيقة المعنى لا تتكلم

المقتول معناه إنه كان منصوراً على القاتل باستيفاء انقصاص منه أو الدية وقيل في قوله فلا
يسرف في القتل أراد به القاتل المعتدى بالقتل بغير الحق فإنه إن فعل ذلك فولى القاتل منصور
عليه باستيفاء انقصاص منه . قوله سبحانه وتعالى (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن)
أي بالطريقة التي هي أحسن وهي تمهيتها وحفظه عليه (حتى يبلغ أشده) وهو بلوغ النكاح
والمراد بلوغ الأشد كمال عقله ورشده بحيث يمكنه القيام بمصالح ماله وإلالم ينفك عنه
الحجر (وأوفوا بالعهد) أي الآيتين بما أمر الله به والانتها عما نهى الله عنه وقيل أراد بالعهد
ما يترمه الإنسان على نفسه (إن العهد كان مستولا) أي عنه وقيل مطلوباً وقيل العهد يسأل
فيقال فيم نقضت كالموودة تسأل فيم قتل . قوله عز وجل (وأوفوا الكيل إذا كلفم) المراد
منه إتمام الكيل (وزنوا بالقسط المستقيم) قيل هو الميزان صغيرا كان أو كبيراً من ميزان
الدرهم إلى ما هو أكبر منه وقيل هو القبان قيل هو رومي وقيل سرياني والأصح أنه عربي
مأخوذ من القسط وهو العدل أي وزنوا بالعدل المستقيم واعلم أن التفاوت الحاصل بسبب
نقصان الكيل والوزن قليل والوعيد الحاصل عليه شديد عظيم فوجب على العاقل الاحتراز
عنه وإنما عظم الوعيد فيه لأن جميع الناس محتاجون إلى المعاولات والبيع والشراء فالشارع
بالغ في المنع من التطفيف والنقصان سعياً في إبقاء الأموال على أربابها (ذلك خير وأحسن
تأويلا) أي أحسن عاقبة من آل إذا رجع وهو ما يتول إليه أمره . قوله سبحانه وتعالى (ولا
تقف) أي ولا تتبع (ما ليس لك به علم) أي لا تنقل رأيت ولم تر وسمعت ولم تسمع وعلمت
ولم تعلم وقيل معناه لا ترم أحد بما ليس لك به علم وقيل لا تتبعه بالحدس والظن وقيل هو
مأخوذ من القفا كأنه يقفو الأمور ويتبعها ويتعرفها والمراد أنه لا يتكلم في أحد بالظن (إن
السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولا) معناه يسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده
وقيل يسأل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء فعلى هذا ترجع الإشارة في أولئك إلى الأعضاء
وعلى القول الأول ترجع إلى أربابها عن شكل بن حميد قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم
فقلت يا نبي الله علمني تعويداً أتعوذ به قال فأخذ بيدي ثم قال قل أعوذ بك من شر سمعي وشر
بصري وشر إزادي وشر لساني وشر قلبي وشر مني قال فحفظتها أخرجه أبو داود والنسائي
والترمذي وقال حديث حسن غريب قوله وشر مني يعني ما هو وذكره . قوله عز وجل

أما الإنسان بالحدس والظن (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مستولا) قيل معناه يسأل المرء عن سمعه وبصره
وفؤاده وقيل يسأل السمع والبصر والفؤاد عما فعله المرء وقوله كل أولئك أي كل هذه الجوارح والأعضاء ، وعلى القول
الأول يرجع أولئك إلى أربابها أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو طاهر أحمد بن محمد بن الحسن أنا أبو علي حامد بن محمد
الرفاء ثنا أبو الحسن علي بن عبد العزيز أنا الفضل بن دكين ثنا سعيد بن أوس العباسي حدثني بلال بن يحيى العميمي أن شتر
ابن شكل أخبره عن أبيه شكل بن حميد قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله علمني تعويداً أتعوذ به قال
فأخذ بيدي ثم قال قل اللهم إني أعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر لساني وشر قلبي وشر مني قال فحفظتها ، قال سعيد

المنى ماؤه (ولا تلمس في الأرض مرحا) أي بطرا وكبرا وخيلاء (إنك لن تحرق الأرض) أي ان تظلمها بكبرك حتى تبلغ آخرها (وان تبلغ الجبال طولاً) أي لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك معناه أن الإنسان لا ينال بكبره وطره شيئاً كمن يريد خرق الأرض ومطاوله الجبال لا يحصل على شيء وقيل إن الذي يمشى مختالاً يمشى مرة على عقبه ومرة على صدور قدميه فقيل له إنك لن تنقب الأرض إن مشيت على عتيبك ولن تبلغ الجبال طولاً إن مشيت على صدور قدميك أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزازي أنا أبو الهيثم (١٦٠) بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا سفيان بن وكيع ثنا أبي عن المسعودي

(ولا تلمس في الأرض مرحا) أي بطرا وكبرا وخيلاء (إنك لن تحرق الأرض) أي لن تقطعها بكبرك حتى تبلغ آخرها (وان تبلغ الجبال طولاً) أي لا تقدر أن تطاول الجبال وتساويها بكبرك والمعنى أن الإنسان لا ينال بكبره وطره شيئاً كمن يريد خرق الأرض ومطاوله الجبال لا يحصل على شيء وقيل إن الذي يمشى مختالاً يمشى مرة على عقبه ومرة على صدور قدميه فقيل له إنك لن تنقب الأرض إن مشيت على عتيبك ولن تبلغ الجبال طولاً إن مشيت على صدور قدميك عن علي قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى كأنما ينحط من صلبه أخبرنا أبو محمد الجورجاني أنا أبو القاسم الخزازي أنا أبو الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة بن سعيد ثنا أبو هيثم عن أبي بن هرون عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له إذا لنجد أنفسنا وإنه لغير مكترث أخبرنا الترمذي قوله لغير مكترث أي شاق والاكترث الأمر الذي يشق على الإنسان (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً) أي ما ذكر من الأمور التي نهى الله عنها فيما تقدم. فان قلت كيف قيل سيئه مع قوله مكروهاً. قلت قيل فيه تقديم وتأخير تقديره كل ذلك كان مكروهاً سيئه عند ربك وقوله مكروهاً على التكرير لاعلى الصفة أي كل ذلك كان سيئه وكان مكروهاً وقيل إنه يرجع إلى المعنى دون اللفظ لأن السيئة الذنب وهو مذكور. قوله سبحانه وتعالى (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من الأوامر والنواهي في هذه الآيات (مما أوحى إليك ربك من الحكمة) أي إن الأحكام المذكورة في هذه الآيات شرائع واجبة الرعاية في جميع الأديان والمثل لا تقبل النسخ والإبطال فكانت بحكمة وحكمة بهذا الاعتبار وقيل إن حاصل هذه الآيات يرجع إلى الأمر بالتوحيد وأنواع البر والطاعات والإعراض عن الدنيا والإقبال على الآخرة وذلك من الحكمة قيل إن هذه الآيات كانت في ألواح موسى عليه السلام أولها ولا تجعل مع الله إلهاً آخر قال الله سبحانه وتعالى وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة واعلم أن الله سبحانه وتعالى افتتح هذه الآيات بالأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك وختمها به والمقصود منه التثنية على أن كل قول وعمل يجب أن يكرر فيه التوحيد لأنه رأس كل حكمة وملاكها ومن علمه لم يضره شيء ثم إنه سبحانه وتعالى ذكر

عن عثمان بن مسلم بن هرمز عن نافع بن خنبر ابن مطعم عن علي قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مشى بتكفاً تكفوا كأنما ينحط من صلبه أخبرنا أبو محمد الجورجاني أنا أبو القاسم الخزازي أنا أبو الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا قتيبة بن سعيد ثنا أبو هيثم عن أبي بن هرون عن أبي هريرة رضي الله عنه قال ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأن الشمس تجري في وجهه وما رأيت أحداً أسرع في مشيه من رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنما الأرض تطوى له إذا لنجد أنفسنا وإنه لغير مكترث (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً) قرأ ابن عامر

وأهل الكوفة برفع الهمزة وضم الهاء على الإضافة ومعناه كل الذي ذكرنا من قوله «وقضى ربك ألا تعبدوا» في الآية إلا إياه كان سيئه أي سي ما عدنا عليك عند ربك مكروهاً لأن فيما عدنا أموراً حسنة كقوله وآت ذا القربى حقه وانخفض لها جناح الذل وغير ذلك وقرأ الآخرون سيئه منصوبة منونة يعني كل الذي ذكرنا من قوله ولا تقبلوا أولادكم إلى هذا الموضع سيئه لاحسنه فيه إذ الشكل يرجع إلى المنهى عنه دون غيره ولم يقل مكروهاً لأن فيه تقدماً وتأخيراً تقديره كل ذلك كان مكروهاً سيئه وقوله مكروهاً على التكرير لاعلى الصفة مجازة كل ذلك كان سيئه وكان مكروهاً راجع إلى المعنى دون اللفظ لأن السيئة الذنب وهو مذكور (ذلك) الذي ذكرناه (مما أوحى إليك ربك من الحكمة) وكل ما أمر الله به أو نهى الله عنه فهو حكمة

(ولا يجعل مع الله إلها آخر) مخاطب النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الآيات والمراد منه الأمة (فتلقى في جهنم ملوما ملحورا) مطرودا مبهدا من كل خير قوله عز وجل (أفأصفاكم ربكم) أي اختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة يعني اختاركم (بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا) لأنهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله (إنكم لتقولون قولا عظيما) مخاطب مشركي مكة (ولقد صرفنا في هذا القرآن) يعني الصبر والحكم والأمثال والأحكام والحجج والإعلام والتشديد للكثير والشكرير (ليذكروا) أي ليتذكروا ويتمتعوا وقرأ حمزة والكسائي باسكان (١٦١) الذال وضم الكاف وكذلك

في الفرقان (وما يزيدهم)

تصرفنا وتذكيرنا

وتكبرنا (إلا نفورا)

ذهابا وتباعدا عن الحق

(قل) يا محمد هؤلاء

المشركين (لو كان معي

آلهة كما يقولون) قرأ

حفص وابن كثير يقولون

بالياء وقرأ الآخرون

بالتاء (إذا لا يتفوا)

اطلبوا يعني الآلهة (إلى

ذي العرش مبيلًا) بالمبالغة

والقهر ليزيلوا ملكه

كفعل ملوك الدنيا بعضهم

بعض وقيل معناه لطلبوا

إلى ذي العرش مبيلًا

بالتقرب إليه قال قتادة

لعرقوا الله بفضلته وابتغوا

ما يقرهم إليه والأول

أصح ثم زره نفسه فقال

عز من قائل (سبحانه

وتعالى عما يقولون)

حمزة والكسائي يقولون

بالتاء والآخرون بالياء

(علوا كبيرا تسبح له

السموات السبع والأرض

في الآية الأولى أن الشرك يجب أن يكون صاحبه مذموما مخذولا وقال في هذه الآية (ولا يجعل مع الله إلها آخر فتلقى في جهنم ملوما ملحورا) والفرق بين المذموم والمولود أما كونه مذموما فمعناه أن يذكر له أن الفعل الذي أقدم عليه قبيح ومنكر فهذا معنى كونه مذموما ثم يقال له لم فعلت هذا الفعل القبيح وما الذي حملك عليه وهذا هو اللوم والقرق بين المخذول والمذحور أن المخذول هو الضعيف الذي لا ناصر له والمذحور هو المبعد المطرود عن كل خير . قوله سبحانه وتعالى (أفأصفاكم ربكم) يعني أفخصكم واختاركم فجعل لكم الصفوة ولنفسه ما ليس بصفوة (بالبنين) يعني اختصكم بأفضل الأولاد وهم البنون (واتخذ من الملائكة إناثا) لأنهم كانوا يقولون الملائكة بنات الله مع علمهم بأن الله سبحانه وتعالى هو الموصوف بالكمال الذي لا نهاية له وهذا يدل على نهاية جهل القائمين بهذا القول (إنكم لتقولون قولا عظيما) مخاطب مشركي مكة يعني بإضافتهم إليه الأولاد وهي خاصة بالأجسام ثم إنهم يفضلون عليه أنفسهم حيث يجعلون له ما يكرهون لأنفسهم يعني البنات . قوله سبحانه وتعالى (ولقد صرفنا في هذا القرآن) يعني العبر والحكم والأمثال والأحكام والحجج والإعلام والتشديد في صرفنا للكثير والتكبرير (ليذكروا) أي ليتعظوا ويعتبروا (وما يزيدهم) أي تصرفنا وتذكيرنا (إلا نفورا) أي تبعادا عن الحق (قل) أي قل يا محمد هؤلاء المشركين (لو كان معي آلهة كما يقولون إذا لا يتفوا) أي لطلبوا يعني هؤلاء الآلهة (إلى ذي العرش مبيلًا) أي بالمبالغة والقهر ليزيلوا ملكه كفعل ملوك الدنيا بعضهم بعض وقيل معناه لتقربوا إليه وقيل معناه لتعرفوا إليه فضله فابتغوا ما يقرهم إليه والأول أصح ثم زره نفسه فقال عز وجل (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا) معنى وصفه بذلك المبالغة في البراءة والبعد عما يصفونه . قوله عز وجل (تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن) يعني الملائكة والإنس والجن (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) قال ابن عباس وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقيل جميع الحيوانات والنباتات وقيل إن الشجرة تسبح والاسطوانة لتسبح وقيل إن التراب يسبح ما لم يبطل فاذا ابتل ترك التسبيح وإن الخرزة تسبح ما لم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت التسبيح وإن الورقة تسبح ما دامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح وإن الثوب يسبح ما دام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وإن الثوب يسبح ما دام جليدا فاذا اتسخ ترك التسبيح وإن الوحش والطيور لتسبح إذا صاحت فاذا سكنت تركت التسبيح وقيل وإن من شيء جماد

(ومن فيهن) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص

(٢١ - بخازن بالبغوي - رابع)

ويعقوب تسبح بالتاء وقرأ الآخرون بالياء للحائل بين الفعل والتأنيث (وإن من شيء إلا يسبح بحمده) روي عن ابن

عباس أنه قال وإن من شيء إلا يسبح بحمده وقال قتادة يعني الحيوانات والنباتات ، وقال عكرمة الشجرة تسبح

والاسطوانة لتسبح وعن المقدم بن معد يكره قال إن التراب يسبح ما لم يبطل فاذا ابتل ترك التسبيح وإن الخرزة تسبح

ما لم ترفع من موضعها فاذا رفعت تركت التسبيح وإن الورقة تسبح ما دامت على الشجرة فاذا سقطت تركت التسبيح

وإن الثوب ليسبح ما دام جليدا فاذا وسخ ترك التسبيح وإن الثوب ليسبح ما دام جاريا فاذا ركد ترك التسبيح وإن الوحش

والطير تسبح إذا صاححت فإذا سكنت تركت التسبيح وقال إبراهيم النخعي وإن من شيء جماد حتى لا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف وقال مجاهد كل الأشياء تسبح لله حيا كان أو ميتا أو جمادا وتسبحها سبحان الله وبحمده أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن المثنى أنا أبو أحمد الزبير أنا إسرائيل عن منصور عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال «كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاءوا باناء فيه ماء قليل فأدخل يده في الإناء ثم قال حتى على الطهور المبارك (١٣٢) والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من أصابع رسول الله صلى الله

عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وقال بعض أهل المعاني تسبح السموات والأرض والجمادات وسائر الحيوانات سوى العقلاء ما دامت تدل بظيف تركيبها وعجيب هبتها على خالقها فيصير ذلك بمنزلة التسبيح منها والأول هو المنقول عن السلف. واعلم أن الله تعالى علماني الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي أن يوكل علمه إليه (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي لا تعلمون تسبيح ماعدا من يسبح بلغاتكم والسنتكم (إنه كان حليبا غفورا وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجبا مستورا) يحجب قلوبهم عن فهمه

أوحى إلا يسبح بحمده حتى صرير الباب ونقيض السقف وقيل كل الأشياء تسبح الله حيوانا كان أو جمادا وتسبحها سبحان الله وبحمده ويدل على ذلك ما روى عن ابن مسعود قال «كنا نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقل الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاءوا باناء فيه ماء قليل فأدخل يده صلى الله عليه وسلم في الإناء ثم قال: حتى على الطهور المبارك والبركة من الله فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل» أخرجه البخاري (م) عن جابر بن سمرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن بحمكة حجرا كان يسلم على ليلى بعثت وإني لأعرفه الآن» (خ) عن ابن عمر قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحول إليه فحن الجذع فأناه فسبح عليه وفي رواية «أنزل فاحتضنه وسار بشي» في هذه الأحاديث دليل على أن الجماد يتكلم وأنه يسبح وقال بعض أهل المعاني تسبيح السموات والأرض والجمادات والحيوانات سوى العقلاء بل إن الحال بحيث تدل على الصانع وقدرته ولطيف حكمته فكأنها تدل على ذلك وبصير لها بمنزلة التسبيح والقول الأول أصح كما دلت عليه الأحاديث وأنه منقول عن السلف. واعلم أن الله تعالى علما في الجمادات لا يقف عليه غيره فينبغي أن يوكل علمه إليه. وقوله تعالى (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) أي لا تعلمون ولا تفقهون تسبيحهم ماعدا من يسبح بلغاتكم ولسانكم (إنه كان حليبا غفورا) أي حيث لم ماجلكم بالعقوبة على غفائكم وجهلكم بالتسبيح. قوله عز وجل (وإذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجبا مستورا) أي يحجب قلوبهم عن فهمه والانتفاع به وقيل معناه مستورا عن أعين الناس فلا يروونه كما روى عن سعيد بن جبير أنه قال «لما نزلت تبث بدا أي لب جاءت امرأة أبي لب ومعه حجر والنبي ﷺ مع أبي بكر فلم تره فقالت لأبي بكر أين صاحبك لقد بلغني أنه هجرني فقال لها أبو بكر والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ رأسه فقال أبو بكر ما رأيتك يا رسول الله قال لا لم يزل ملك بيني وبينها» (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أي أغطية (أن يفقهوه) أي أثلا يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) أي أثلا لثلا يسمعه (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده) يعني إذا قلت لا إله إلا الله وأنت تتلو القرآن (ولوا على أذانهم ففورا)

والانتفاع به. قال قتادة وهو الأئمة والمستور بمعنى السائر

كقوله «وكان وعده مأثبا» مفعول بمعنى فاعل وقيل مستور عن أعين الناس فلا يروونه وقسمه بعضهم بالحجاب عن الأعين الظاهرة كما روى عن سعيد بن جبير أنه لما نزلت تبث بدا أي لب جاءت امرأة أبي لب ومعه حجر والنبي ﷺ مع أبي بكر فلم تره فقالت لأبي بكر أين صاحبك لقد بلغني أنه هجرني فقال لها أبو بكر والله ما ينطق بالشعر ولا يقوله فرجعت وهي تقول قد كنت جئت بهذا الحجر لأرضخ رأسه فقال أبو بكر ما رأيتك يا رسول الله قال لا لم يزل ملك بيني وبينها يسترني» (وجعلنا على قلوبهم أكنة) أغطية (أن يفقهوه) كراهية أن يفقهوه وقيل لثلا يفقهوه (وفي آذانهم وقرا) لثلا لثلا يسمعه (وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده) يعني إذا قلت لا إله إلا الله وأنت تتلوه (ولوا على أذانهم ففورا)

جمع

جمع نافر مثل قاعد وقعود وجالس وجالوس أى نافرين (نحن أعلم بما يستمعون به) قيل به صلة أى يطلبون سمعه (إذ يستمعون إليك) وأنت تقرأ قرآن (وإذ هم نجوى) يتناجون فى أمرك قبل ذور نجوى فبعضهم يقول هو مجنون وبعضهم يقول كاهن وبعضهم يقول ساحر وبعضهم يقول شاعر . (إذ يقول الظالمون) يعنى الوليد بن المغيرة وأصحابه (إن تبعون إلا رجلا مسحورا) مطبوبا وقال مجاهد مخلدوعا وقيل مصروفا عن الحق بقول ما سحرك عن كذا أى ماصرفك عنه وقال أبو عبيدة أى رجلاه صخر والسر الرثة أى أنه بشر مثلكم تغذى معللا بالطعام والشراب يأكل ويشرب قال الشاعر :

أرانا موضعين لأمر غيب ويسحر بالطعام وبالشراب أى يغذى ويعلل (١٦٣) (أنظر) يا محمد كيف ضربوا

لك الأمثال (الأشياء

فقالوا شاعر وساحر

وكامن ومجنون (فضلوا)

فحاروا وحادوا (فلا

يستطيعون سبيلا) أى

وصولا إلى طريق الحق

(وقالوا أفذاكنا عظاما

ورفانا) بعد الموت قال

مجاهد ترابا ، وقيل

حطاما والرقت كل

ما يكسر ويبلى من كل

شئ كالفتات والحطام

(أننا لمبعوثون خلقا جديدا)

قل لهم يا محمد (كونوا حجارة) أى فى الشدة (أو حديد)

أى فى القوة وليس هذا بأمر إلزام بل هو أمر تعجيزى أى استشعروا فى قلوبكم أنكم حجارة

أو حديد فى القوة (أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) قيل يعنى السماء والأرض والجبال لأنها أعظم

الخلقات وقيل يعنى به الموت لأنه لا شئ فى نفس ابن آدم أكبر من الموت ومعناه

لو كنتم الموت بعينه لأميانتم ولأبعثنكم (فسيقولون من يعيدنا) أى من يعيدنا بعد الموت (قل الذى

فطركم) أى خلقكم (أول مرة) فمن قدر على الإنشاء قدر على الإعادة (فسيفغضون إليك

رؤوسهم) أى يحركونها إذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول (ويقولون متى هو) يعنى البعث

والقيامة (قل عسى أن يكون قريبا) أى هو قريب (يوم يدعوكم) أى من قبوركم إلى موقف

القيامة (فتستجيبون لحمده) قال ابن عباس بأمره وقيل بطاعته وقيل مقرين بأنه خالقهم

وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فأنهم يبعثون حامدين

(وتظنون إن لبثتم) أى فى الدنيا وقيل فى القبور (إلا قليلا) وذلك لأن الإنسان لو مكث فى الدنيا

وفى القبر ألوفا من السنين عد ذلك قليلا بنسبة مدة القيامة والخلود فى الآخرة وقيل لهم

جمع ذفر (نحن أعلم بما يستمعون به) أى من الجزء بك والقرآن وقيل معناه نحن أعلم بالوجه الذى يستمعون به وهو الكذب (إذ يستمعون إليك) أى وأنت تقرأ القرآن (وإذ هم نجوى) أى وما يتناجون به فى أمرك وقيل معناه ذور نجوى بعضهم يقول هو مجنون وبعضهم يقول كاهن وبعضهم يقول ساحر أو شاعر (إذ يقول الظالمون) يعنى الوليد بن المغيرة وأصحابه (إن تبعون إلا رجلا مسحورا) أى مطبوبا وقيل مخلدوعا وقيل معناه أنه صخر فجن وقيل هو من السحر وهو الرثة ومعناه أنه بشر مثلكم يأكل ويشرب قال الشاعر :

أرانا موضعين لأمر غيب ونسخر بالطعام وبالشراب

أى يغذى بهما (أنظر كيف ضربوا لك الأمثال) أى الأشياء فقالوا ساحر شاعر كاهن مجنون (فضلوا) أى فى جميع ذلك وحاروا (فلا يستطيعون سبيلا) أى إلى طريق الحق (وقالوا أفذاكنا عظاما) أى بعد الموت (ورفانا) أى ترابا وقيل الرفات هى الأجزاء المنفتحة من كل شئ تكسر (أننا لمبعوثون خلقا جديدا) فيه أنهم استبعدوا الإعادة بعد الموت والبل فقال سبحانه وتعالى ردا عليهم (قل) أى قل لهم يا محمد (كونوا حجارة) أى فى الشدة (أو حديد) أى فى القوة وليس هذا بأمر إلزام بل هو أمر تعجيزى أى استشعروا فى قلوبكم أنكم حجارة أو حديد فى القوة (أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) قيل يعنى السماء والأرض والجبال لأنها أعظم الخلقات وقيل يعنى به الموت لأنه لا شئ فى نفس ابن آدم أكبر من الموت ومعناه لو كنتم الموت بعينه لأميانتم ولأبعثنكم (فسيقولون من يعيدنا) أى من يعيدنا بعد الموت (قل الذى فطركم) أى خلقكم (أول مرة) فمن قدر على الإنشاء قدر على الإعادة (فسيفغضون إليك رؤوسهم) أى يحركونها إذا قلت لهم ذلك مستهزئين بما تقول (ويقولون متى هو) يعنى البعث والقيامة (قل عسى أن يكون قريبا) أى هو قريب (يوم يدعوكم) أى من قبوركم إلى موقف القيامة (فتستجيبون لحمده) قال ابن عباس بأمره وقيل بطاعته وقيل مقرين بأنه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد وقيل هذا خطاب مع المؤمنين فأنهم يبعثون حامدين (وتظنون إن لبثتم) أى فى الدنيا وقيل فى القبور (إلا قليلا) وذلك لأن الإنسان لو مكث فى الدنيا وفى القبر ألوفا من السنين عد ذلك قليلا بنسبة مدة القيامة والخلود فى الآخرة وقيل لهم

إنه الموت فإنه ليس فى نفس ابن آدم شئ أكبر من الموت أى ولو كنتم الموت بعينه لأميانتم ولأبعثنكم (فسيقولون من يعيدنا) من يعيدنا بعد الموت (قل الذى فطركم) خلقكم (أول مرة) ومن قدر على الإنشاء قدر على الإعادة (فسيفغضون إليك رؤوسهم) أى يحركونها إذا قلت لهم ذلك مستهزئين بها (ويقولون متى هو) أى البعث والقيامة (قل عسى أن يكون قريبا) أى هو قريب لأن عسى من الله واجب . نظيره قوله تعالى وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا (يوم يدعوكم) من قبوركم إلى موقف القيامة (فتستجيبون لحمده) قال ابن عباس بأمره وقال قتادة بطاعته وقيل مقرين بأنه خالقهم وباعثهم ويحمدونه حين لا ينفعهم الحمد (وتظنون إن لبثتم) فى الدنيا أو فى القبور (إلا قليلا) لأن الإنسان لو مكث ألوفا من السنين فى الدنيا أو فى القبور عد ذلك قليلا فى مدة القيامة والخلود قال قتادة يستحقرون مدة الدنيا فى جنب القيامة

قوله تعالى (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) قال الكلبي كان المشركون يؤذون المسلمين فشكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزل الله تعالى وقل لعبادي يقولوا للكافرين التي هي أحسن ولا يكافئوهم بسنهمهم قال الحسن يقول له يهديك الله وكان هذا قبل الإذن في الجهاد والقتال وقيل نزلت في عمر بن الخطاب شتمه بعض الكفار فأمره الله بالعفو وقيل أمر الله المؤمنين بأن يقولوا وبفعلوا (١٦٤) التي هي أحسن أي الخلة التي هي أحسن وقيل الأحسن كلمة الإخلاص

لا إله إلا الله (إن الشيطان ينزغ بينهم) أي يفسد ويلقى العداوة بينهم (إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا) ظاهر العداوة (ربكم أعلم بكم إن يشأ برحمة) يوفقكم فتؤمنوا (أو إن يشأ يعذبكم) بميتكم على الشرك فتعذبوا قاله ابن جرير وقال الكلبي إن يشأ برحمة فينجيكم من أهل مكة وإن يشأ يعذبكم يسلمهم عليهم (وما أرسلناك عليهم وكيفا) حفيظا وكفيلا قبل نسخها آية القتال (وربك أعلم عن في السموات والأرض) أي ربك العالم عن في السموات والأرض يجعلهم مختلفين في صورهم وأخلاقهم وأحوالهم وملئكمهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) قيل جعل أهل السموات والأرض مختلفين كما فضل بعض النبيين على بعض قال قتادة في هذه الآية اتخذ الله إبراهيم خليلا وكلم الله موسى تكليلا

يستحرون مدة الدنيا في جنب القيامة . قوله سبحانه وتعالى (وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن) وذلك أن المشركين كانوا يؤذون المسلمين فشكوا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأزل الله عز وجل وقل لعبادي يقولوا يعني للكفار التي هي أحسن أي لا يكافئوهم على سفههم بل يقولون لهم يهديك الله وكان هذا قبل الإذن في القتال والجهاد وقيل نزلت في عمر ابن الخطاب وذلك أنه شتمه بعض الكفار فأمره الله بالعفو وقيل أمر الله المؤمنين أن يقولوا وبفعلوا الخلة التي هي أحسن وقيل الأحسن كلمة الإخلاص لا إله إلا الله (إن الشيطان ينزغ بينهم) أي يفسد ويلقى العداوة بينهم (إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا) أي ظاهر العداوة . قوله عز وجل ربكم أعلم بكم (إن يشأ برحمة) أي يوفقكم للإيمان فتؤمنوا (أو إن يشأ يعذبكم) أي عيبتكم على الشرك فتعذبوا، وقيل معناه إن يشأ برحمة فينجيكم من أهل مكة أو إن يشأ يعذبكم أي يسلمهم عليكم (وما أرسلناك عليهم وكيفا) أي حفيظا وكفيلا قيل نسختها آية القتال (وربك أعلم بمن في السموات والأرض) يعني أن علمه غير مقصور عليكم بل علمه متعلق بجميع الموجودات والمعدومات ومتعلق بجميع ذات الأرضين والسموات ويعلم حال كل أحد ويعلم ما يليق به من المصالح والمفاسد وقيل معناه أنه عالم بأحوالهم واختلاف صورهم وأخلاقهم وملئهم وأديانهم (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) وذلك أنه اتخذ إبراهيم خليلا وكلم موسى تكليلا وقال لعيسى كن فكان وآتى سليمان ملكا لا ينبغي لأحد من بعده وآتى داود زبوراً وذلك قوله تعالى (وآتينا داود زبوراً) وهو كتاب أنزله الله على داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وثناء على الله تعالى وتحميد وتمجيد ليس فيه حلال ولا حرام ولا فرائض ولا حدود ولا أحكام . فإن قلت لم خص داود في هذه الآية بالذكر دون غيره من الأنبياء . قلت فيه وجوه: أحدها أن الله تعالى ذكر أنه فضل بعض النبيين على بعض ثم قال تعالى وآتينا داود زبوراً وذلك أن داود أعطى مع النبوة الملك فلم يذكره بالملك وذكر ما آتاه من الكتاب تنبيها على أن الفضل المذكور في هذه الآية المراد به العلم بالملك والمال . الوجه الثاني أن الله سبحانه وتعالى كتب له في الزبور أن محمدا خاتم الأنبياء وإن أمته خير الأمم فلهذا خصه بالذكر . الوجه الثالث أن اليهود زعمت أن لاتبى بعد موسى ولا كتاب بعد التوراة فكذبهم الله بقوله وآتينا داود زبوراً ومعنى الآية أنكم لن تشكروا تفضيل النبيين فكيف تشكرون تفضيل النبي صلى الله عليه وسلم وإعطاءه القرآن وأن الله آتى موسى التوراة وداود الزبور وعيسى الإنجيل فلم يبعد أن يفضل محمدا صلى الله عليه وسلم على جميع الخلائق ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام . قوله عز وجل (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وذلك

وقال لعيسى كن فيكون وآتى سليمان ملكا عظيما لا ينبغي لأحد من بعده وأتى داود زبوراً كما قال (وآتينا داود زبوراً) والزبور كتاب علمه الله داود يشتمل على مائة وخمسين سورة كلها دعاء وتمجيد وثناء على الله عز وجل وليس فيها حرام ولا حلال ولا فرائض ولا حدود معناه أنكم لم تشكروا تفضيل النبيين فكيف تشكرون فضل النبي صلى الله عليه وسلم وإعطاءه القرآن وهذا خطاب مع من يقر بتفضيل الأنبياء عليهم السلام من أهل الكتاب وغيرهم قوله عز وجل (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) وذلك أن المشركين أصابهم قحط شديد حتى أكلوا الكلاب والجيف فاستغاثوا بالنبي صلى الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل هم الصفا ذهابا وأن ينحى الجبال عنهم فيزرعوا فأوحى الله تعالى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم إن شئت أن أستأني بهم فقلت وإن شئت أن أوتيتهم ما سألتوا فقلت فإن لم يؤمنوا أهلكتهم كما أهلكت من كان قباهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا بل استأني بهم فأزل الله عز وجل وما منعنا أن نرسل بالآيات التي سألتها كقار قریش إلا أن كذب به الأولون فأهلكناهم فإن لم يؤمن قومك بعد إرسال الآيات أهلكتناهم لأن من شأنا في الأمم إذا سألتها الآيات ثم لم يؤمنوا بعد إتيانها أن نهلكهم ولا نهمهم وقد حكمتنا بما نهال هذه الأمة في العذاب فقال جل ذكره بل الساعة موعدهم والساعة أدهى وأمر ثم قال (وآتيناهمود الناقه مبصرة) (١٦٦) مضببة بينة (فظلوا بها) أي جعلوا بها أنها من عند الله كما قال

وما كانوا أبابا يأتون بظلمون
أي ينجحون وقيل ظلموا
أنفسهم بتكذيبها يريد
فعاجلناهم بالعقوبة (وما
نرسل بالآيات) أي
العبر والدلالات (إلا
تخويفا) للعباد ليؤمنوا
قال قتادة إن الله تعالى
يخوف الناس بما شاء
من آياته لعلهم يرجعون
قوله عز وجل (وإذ قلنا
لك إن ربك أحاط
بالناس) أي هم في قبضته
لا يتقدرون على الخروج
عن مشيئته فهو حافظك
ومانه لك منهم فلا تهمهم
وامض إلى ما أمر الله به
من تبليغ الرسالة كما
قال والله يعصمك من
الناس) (وما جعلنا الرؤيا
التي أريناك إلا فتنة
للناس) فالأكثر على
أن المراد منه ما رأى النبي
صلى الله عليه وسلم ليلة
المعراج من العجائب

لما أرسلت فأهلكوا فقال تعالى (وآتيناهمود الناقه مبصرة) أي بيدة وذلك لأن آثار إهلاكهم في بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم (فظلوا بها) أي جعلوا بها من عند الله وقيل فظلوا أنفسهم بتكذيبها فعاجلناهم بالعقوبة (وما نرسل بالآيات) المقترحة (إلا تخويفا) أي وما نرسل بالآيات إلا تخويفا من نزول العذاب فإن لم يخافوا وقع عليهم وقيل معناه وما نرسل بالآيات يعني العبر والدلالات إلا تخويفا أي إنذارا بعذاب الآخرة إن لم يؤمنوا فإن الله سبحانه وتعالى يخوف الناس بما شاء من آياته لعلهم يرجعون . قوله عز وجل (وإذ قلنا لك) أي وأذكر يا محمد إذ قلنا لك (إن ربك أحاط بالناس) أي إن قدرته محبطة بهم فهم في قبضته وقدرته لا يتقدرون على الخروج من مشيئته وإذا كان الأمر كذلك فهم لأية روى على أمر من الأمور إلا بقضائه وقدره وهو حافظك وما نعت منهم فلا تهمهم وامض لما أمرك من التبليغ للرسالة فهو يذصرك ويحركك على ذلك (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس) الأكثر من المفسرين على أن المراد منها ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج من العجائب والآيات قال ابن عباس هي رؤيا عين أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج وهي ليلة أسرى به إلى بيت المقدس أخرجه البخاري وهو قول سعيد بن جبیر والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج وغيرهم والعرب تقول رأيت بعيني رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أنكروا بعضهم ذلك وكذبوا فكانت فتنة للناس وازداد المخلصون إيمانا وقال قوم أسرى بروحه دون جسده وهو ضعيف وقال قوم كان له معراجان معراج رؤية عين في اليقظة ومعراج رؤيا منام وقيل أراد بهذه الرؤيا ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه فعجل المسير إلى مكة قبل الأجل فصده المشركون فرجع إلى المدينة فكان رجوعه في ذلك العام بعد ما أخبر أنه يدخلها فتنة لبعضهم ثم دخل مكة في العام المقبل وأنزل الله عز وجل لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق، وقيل إن النبي ﷺ رأى في المنام أن ولد الحكيم أمية يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة فسأه ذلك . فان اعترض معترض على هذا التفسير وقال السورة مكية وهاتان الواقعتان كانتا بالمدينة أجيب بأنه لا إشكال فيه فإنه لا يبعد أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى ذلك بمكة ثم كان ذلك حقيقة بالمدينة (والشجرة الملعونة في القرآن)

والآيات قال ابن عباس هي رؤيا عين أرى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وهو قول سعيد بن جبیر والحسن ومسروق وقتادة ومجاهد وعكرمة وابن جريج والأكثرين والعرب تقول رأيت بعيني رؤية ورؤيا فلما ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس أنكروا بعضهم ذلك وكذبوا وكان فتنة للناس وقال قوم أسرى بروحه دون بدنه وقال بعضهم كان له معراجان معراج رؤية بالعين ومعراج رؤيا بالقلب وقال قوم أراد بهذه الرؤيا ما رأى النبي صلى الله عليه وسلم عام الحديبية أنه دخل مكة هو وأصحابه فعجل المسير إلى مكة قبل الأجل فصده المشركون فرجع إلى المدينة وكان رجوعه في ذلك العام بعد ما أخبر أنه يدخلها فكان رجوعه فتنة لبعضهم حتى دخلها في العام المقبل فأزل الله تعالى ولقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق) (والشجرة الملعونة في القرآن) يعني شجرة الرقوم مجازة والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن والعرب تقول لكل

طعام كربه طعام ملعون وقيل معناه الملعون أكلها ونصب الشجرة عطقا على الرؤيا أي وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة للافئنة للناس فكانت الفتنة في الرؤيا ما ذكرنا والفتنة في الشجرة الملعونة من وجهين : أحدهما أن أبا جهل قال إن ابن أبي كبشة يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنه ثبت فيها شجرة ونعاهون أن النار تحرق الشجرة . والثاني أن عبد الله بن الزبير قال إن محمدا يخوفنا بالزقوم ولا تعرف الزقوم إلا الزبد والمر وقال أبو جهل يا جارية تعالي فزقينا فأنت بالنار والزبد فقال يا قوم تزقوا فإن هذا ما يخوفكم به . صد فوصفها الله تعالي في الصافات وقيل الشجرة الملعونة هي التي تلتوى على الشجر فتخذه يعني الكشوث (ونحو فهم فما يزيدهم) الخويف (إلا طغيانا كبيرا) أي تمردا (١٦٧) وعتوا عظيما قوله عز وجل :

(وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأأمر أن أسجد لمن خلقت طينا) أي خلقت من طين أنا جئت به وذلك ما روى عن سعيد ابن جبيرة عن ابن عباس أن الله تعالى بعث إبليس حتى أخذ كفا من تراب الأرض من عذبا ومالحها فخلق منه آدم فمن خلقه من العذب فهو سعيد وإن كان ابن كافر من ومن خلقه من المالح فهو شقي وإن كان ابن نبي (قال) يعني إبليس (أرأيتك) أي أخبرني والكاف للكاف لئلا أكيد الخطابية (هذا الذي كرمت على) أي فضلته على (لئن أخرجت) أمهلتني (لئلي يوم القيامة لأحتسبن

يعني شجرة الزقوم التي وصفها الله تعالي في سورة الصافات والعرب تقول لكل طعام كربه طعام ملعون والفتنة فيها أن أبا جهل قال إن ابن أبي كبشة يعني النبي صلى الله عليه وسلم توعدكم بنار تحرق الحجارة ثم يزعم أنه ثبت فيها شجرة وتعلمون أن النار تحرق الشجر وقيل إن عبد الله بن الزبير قال إن محمدا يخوفنا بالزقوم ولا تعرف الزقوم إلا الزبد والنار فقال أبو جهل يا جارية تعالي فزقينا فأنت بزبد وتزقوا فقال يا قوم تزقوا فإن هذا ما يخوفكم به محمد فأزل الله سبحانه وتعالى حين عجزوا أن يكون في النار شجرة إنا جعنا لها فتنة للظالمين الآيات . فان قلت أين لعنت شجرة الزقوم في القرآن . قلت لعنت حيث لعن الكفار الذين يأكلونها لأن الشجرة لأذنب لها حتى تلعن وإنما وصفت بلعن أصحابها على الجحاز وقيل وصفها الله تعالي باللعن لأن اللعن الإبعاد من الرحمة وهي في أصل جهنم في أبعد مكان من الرحمة وقال ابن عباس في رواية عنه إن الشجرة الملعونة هي الكشوث الذي يلتوى على الشجر والشوك فيجفغه (ونحوهم فما يزيدهم) أي الخويف (إلا طغيانا كبيرا) أي تمردا وعتوا عظيما قوله سبحانه وتعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس قال أأأمر أن أسجد لمن خلقت طينا) أي من طين وذلك أن آدم خلق من تراب الأرض من عذبا وملحها فمن خلق من العذب فهو سعيد ومن خلق من المالح فهو شقي (قال) يعني إبليس (أرأيتك) الكاف للمخاطب والمعنى أخبرني (هذا الذي كرمت على) أي فضلته على (لئن أخرجت) أي أمهلتني (إلى يوم القيامة لأحتسبن ذريته) أي لأستأصلنهم بالاضلال وقيل معناه كيف شئت وقيل لأستولين عليهم بالإغواء (إلا قليلا) يعني المعصومين الذين استثناهم الله تعالي في قوله « إن عبادي ليس لك عليهم سلطانة » (قال) الله تعالي (أذهب) أي امض لشأنك وليس هو من الذهاب الذي هو ضد الخبيء (فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم) أي جزؤك وجزاء أتباعك (جزاء موفورا) أي مكلا . قوله سبحانه وتعالى (واستغفر) أي استخف واستزل واستعجل وأزعج (من استطعت منهم) أي من ذرية آدم (بصوتك) قال ابن عباس معناه بدعائك إلى معصية الله وكل داع إلى معصية الله فهو من جند إبليس وقيل أراد بصوتك الغناء والمزامير واللهو واللعب (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) أي أجمع عليهم مكابذك وحيائك واحشهم على الإغواء وقيل معناه استعن

ذريته) أي لأستأصلنهم بالاضلال يقال احتنك الجراد التروع إذا أكله كله وقيل هو من قول العرب حنك الذبابة يحنك إذا شد في حنكها الأسفل حبلا يفودها أي لأقودنهم كيف شئت وقيل لأستولين عليهم بالإغواء (إلا قليلا) يعني المعصومين الذين استثناهم الله عز وجل في قوله إن عبادي ليس لك عليهم سلطانة (قال) الله (أذهب فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم) أي جزاؤك وجزاء أتباعك (جزاء موفورا) وافرأ مكلا يقال وفرته أوفره وفرأ وقوله (واستغفر) واستخف واستعجل (من استطعت منهم) أي من ذرية آدم (بصوتك) قال ابن عباس وقتادة بدءك إلى معصية الله وكل داع إلى معصية الله فهو من جند إبليس قال الأزهري معناه ادعهم دعاء تستغفرهم به إلى جانبك أي تستخفهم وقال مجاهد بالغناء والمزامير (وأجلب عليهم بخيلك ورجلك) قبل أجمع عليهم مكابذك وخبيلك يقال أجلبوا وجلبوا إذا صاحوا يقرل صح بخيلك

ورجلك واحشهم عليهم الإغواء قال مقاتل استمعن عليهم ركبان جندك ومشاهم والجميل الركبان والرجل المشاة قال أهل
التفسير كل راكب ورائس في معاصي الله فهو من جند إبليس وقال مجاهد وقتادة إن له خيلا ورجلا من الجن والإنس وهو
كل من يقاتل في المعصية والرجل والراجلة واحد يقال راجل ورجل مثل تاجر وتجروراكب وركب وقرأ حفص
ورجلك بكسر الجيم وهما لغتان (وشاركهم في الأموال والأولاد) فالمشاركة في الأموال كل ما أصيب من حرام أو أنفق
في حرام هذا قول مجاهد والحسن وسعيد بن جبيرة وقال عطاء هو الربا وقال قتادة هو ما كان المشركون يجرمونه من الأنعام
كالحبيرة والسائبة والوصيلة والحام وقال الضحاك هو ما كانوا يذبحونه لأهنتهم وأما الشركة في الأولاد فروى عن ابن عباس
أنها الموعودة وقال مجاهد والضحاك هم (١٦٨) أولاد الزنا وقال الحسن وقتادة هو أنهم هودوا أولادهم ونصروهم

ومجسومهم وعن ابن عباس
رواية أخرى هو تسميتهم
الأولاد عبد الحارث
وعبد شمس وعبد العزى
وعبد الدار ونحوها
وروى عن جعفر بن
عمرو إن الشيطان يقعد
على ذكر الرجل فإذا
لم يقل بسم الله أصاب
معه امرأته وأزول في
فرجها كما ينزل الرجل
وروى في بعض الأخبار
إن فيكم مغربين قيل
وما المغربون قال الذين
يشارك فيهم الجن وروى
أن رجلا قال لابن عباس
إن امرأتى استيقظت
وفي فرجها شعلة من نار
قال ذلك من وطء الجن
وفي الآثار أن إبليس لما
أخرج إلى الأرض قال
يارب أخرجتني من الجنة

عليهم ركبان جندك ومشاهم يقال إن له خيلا ورجلا من الجن والإنس فكل من قاتل أو
مشى في معصية الله فهو من جند إبليس وقيل المراد منه ضرب المثل كما نقول للرجل الخبث
في الأمر جنتنا بخيلك ورجلك (وشاركهم في الأموال والأولاد) أما المشاركة في الأموال فكل
مال أصيب من حرام أو أنفق في حرام ، وقيل هو الربا ، وقيل هو ما كانوا يذبحونه لأهنتهم
ويجرمونه كالحبيرة والسائبة والوصيلة والحام . وأما المشاركة في الأولاد فروى عن ابن عباس
أنها الموعودة وقيل أولاد الزنا وعن ابن عباس أيضا هي تسميتهم أولادهم بعبد العزى
وعبد الحارث وعبد شمس ونحوه وقيل هو أن يرغبوا أولادهم في الأديان الباطلة الكاذبة كاليهودية
والنصرانية والمجوسية ونحوها وقيل إن الشيطان يقعد على ذكر الرجل وقت الجماع فإذا لم
يقبل بسم الله أصاب معه امرأته وأزول في فرجها كما ينزل الرجل . وروى في بعض الأخبار أن
فيكم مغربين قال وما المغربون قال الذين شارك فيهم الجن وعن ابن عباس أنه سأله رجل
فقال إن امرأتى استيقظت وفي فرجها شعلة نار قال ذلك من وطء الجن (وعدمهم) أي منهم
الجميل في طاعتك وقيل قل لهم لاجنة ولانار ولابعث وذلك أن الشيطان إذا دعا إلى المعصية
فلا بد أن يقرر أولا أنه لا مضرة في فعلها البتة وذلك لا يمكن إلا إذا قال له لا معاد ولاجنة ولا
نار ولا حياة بعد هذه الحياة فيقرر عند المدعو أنه لا مضرة البتة في هذه المعاصي وإذا فرغ من
هذا النوع قرر عنده أن هذا الفعل يفيد أنواعا من اللذة والسرور ولا حياة للإنسان في الدنيا
إلا به فهذا طريق الدعوة إلى المعصية ثم ينفره عن فعل الطاعات وهو أنه يقرر عنده أن لاجنة
ولانار ولاعقاب فلا فائدة فيها ، وقيل معنى عدمهم أي شناعة الأصنام عند الله وإيثار العاجل
على الأجل . فإن قلت كيف ذكر الله هذه الأشياء بصيغة الأمر والله سبحانه وتعالى يقول
إن الله لا يأمر بالفحشاء . قلت هذا على طريق التهديد كقوله تعالى اعملوا ما شئتم وكقول القائل
اجتهد جهديك فسترى ما ينزل بك . وقوله سبحانه وتعالى (وما يعدهم الشيطان إلا غرورا)
أي يزينا الباطل بما يظن أنه حق واعلم أن الله سبحانه وتعالى لما قال وعدمهم أردفه بما هو

لأجل آدم فسلطني عليه وعلى ذريته قال أنت مسلط فقال لا أستطيعه إلا بك فزدي قال استغزز من استطعت زاجر
منهم بصوتك الآية فقال آدم يارب سلطت لإبليس على وعلى ذريتي وإني لا أستطيعه إلا بك قال لا يولد لك ولد إلا وكنت
به من يفظونه قال زدني قال الحسنه بعشر أمثالها والسببة بمنالها قال زدني قال التوبة معروضة مادام الروح في الجسد
فقال زدني قال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم الآية . وفي الخبر أن إبليس قال يارب بعثت أنبياء وأنزلت كتبيا فما قرأتني
قال الشعر قال فما كنتاني قال الوشم قال ومن رسل قال الكهنة قال وأين مسكني قال الحمامات قال : وأين مجلسي قال
الأسواق قال فما طعمي قال ما لم يذكر عليه اسمي قال ما شرابي قال كل مسكر قال وما حيلاتي قال النساء قال وما أذاني
قال المزامر قوله عز وجل (وعدمهم) أي أخذ منهم الجميل في طاعتك وقيل قل لهم لاجنة ولانار ولابعث (وما يعدهم
الشيطان إلا غرورا) والغرور تزيين الباطل بما يظن أنه حق . فإن قيل كيف ذكر الله هذه الأشياء وهو يقول إن الله لا يأمر

بالمحشاء قبل هذا على طريق التهديد كقوله تعالى **اعملوا ما شئتم** ، وكتول القائل **أفعل ما شئت فسترى** . قوله (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلًا) أي حافظًا ومن يوكل الأمر إليه . (١٦٩) قوله عز وجل (ربكم الذي يرزقكم التلكم) أي يسوق ويجري لكم التلكم (في البحر لتبتغوا من فضله) لتطلبوا من رزقه (إنه كان بكم رحيمًا وإذا مسكم الضر) الشدة وخوف الغرق (في البحر ضل) أي بطل وسقط (من تدعون) من الآلة (إلا إياه) إلا الله فلم تجدوا معيًّا سواه (فلما نجاكم) أجاب دعاءكم وأنجاكم من هول البحر وأخرجكم (إلى البر أعرضتم) عن الإيمان والإخلاص والطاعة كفروا منكم لنعمة (وكان الإنسان كفورًا أفأنتم) بعد ذلك (أن يخسف بكم) يغور بكم (جانب البر) ناحية البر وهي الأرض (أو يرسل عليكم حاصبا) أي يطرر عليكم حجارة من السماء وقال أبو عبيدة والقتبي الحاصب الريح التي ترمي بالحصاب وهي الحصى الصغير (ثم لانتجدوا لكم وكيلًا) قال قتادة مانعا (أم أمتم أن يعيدكم فيه) يعني في البحر (تارة) مرة (أخرى فمرسل عليكم قاصفا من الريح) قال ابن عباس

زاجر عن قبول وعده بقوله وما يعدهم الشيطان إلا غرورا والسبب فيه أنه إنما يدعو إلى قضاء الشهوة وطلب الرياسة ونحو ذلك ولا يدعو إلى معرفة الله تعالى ولا إلى عبادته وتلك الأشياء التي يدعو إليها خيالية لاحقيقة لها ولا تحصل إلا بعد متاعب ومشاق عظيمة وإذا حصلت كانت سريرة الذهاب والانقضاء وينبغي الموت والمهرم وغير ذلك وإذا كانت هذه الأشياء بهذه الصفة كانت الرغبة فيها غرورا (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان) يعني : باده الأنبياء وأهل الفضل والصلاح لأنه لا يقدر على إغوائهم (وكفى بربك وكيلًا) أي حافظًا والمعنى أنه سبحانه وتعالى لما أمكن إبليس أن يأتي بما يقدر عليه من الوسوسة كان ذلك سببا لحصول الخوف في قلب الإنسان فقال تعالى وكفى بربك وكيلًا أي فالله سبحانه وتعالى أقدر منه وأرحم بعباده فهو يدفع عنهم كيد الشيطان ووسوسه وبعضهم من إغوائه وإضلاله وفي بعض الآثار أن إبليس لما أخرج إلى الأرض قال يارب أخرجتني من الجنة لأجل آدم فسألني عليه وعلى ذريته قال أنت مسلط قال لا أستطيعه إلا بك فزدني قال استغزز من استطعت منهم الآية فقال آدم يارب سلطت إبليس على وعلى ذريتي وإني لا أستطيعه إلا بك قال لا يولد لك ولد إلا وولدت به من يخضه قال رب زدني قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها قال رب زدني قال التوبة معروضة مادام الروح في الجسد قال رب زدني فقال يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية وفي الخبر قال إبليس يارب بعثت أنبياء وأنزلت كتبًا فما قرأت قال الشعر قال فما كتابتي قال الوشم قال ومن رسل قال الكهنة قال أي شيء مطعمي قال ما لم يذكر عليه اسمي قال فما شرابي قال كل مسكر قال وأين مسكني قال الحمامات - قال - وأين مجلسي قال في الأسواق قال وما حباتي قال النساء قال وما أذاني قال المزمار . قوله (ربكم الذين يرزقكم) أي يسوق ويجري (لكم التلكم) أي السفن (في البحر لتبتغوا من فضله) أي لتطلبوا من رزقه بالأرباح في التجارة وغيرها (إنه كان بكم رحيمًا) أي حيث يسر لكم هذه المنافع والمصالح وسهلها عليكم (وإذا مسكم الضر في البحر) أي الشدة وخوف الغرق في البحر (ضل من تدعون) أي ذهب عن أوهامكم وخواتمكم كل من تدعون في حوادثكم من الأصنام وغيرها (إلا إياه) أي إلا الله وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا ينظر ببالكم غيره لأنه القادر على إعانتكم ونجاتكم (فلما نجاكم) أي أجاب دعاءكم وأنجاكم من هول البحر وشدته وأخرجكم (إلى البر أعرضتم) أي عن الإيمان والإخلاص والطاعة وكفرتم النعمة وهو قوله تعالى (وكان الإنسان كفورًا) أي جحودًا (أفأنتم) أي بعد إنجاتكم (أن يخسف بكم جانب البر) أي تغوره والمعنى أن الجهات كلها له وفي قدرته برا كان أو بحرا بل إن كان الغرق في البحر ففي جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لأنه يغيب تحت الثرى كما أن الغرق يغيب تحت الماء (أو يرسل عليكم حاصبا) أي يطرر عليكم حجارة من السماء كما أمطرناها على قوم لوط (ثم لانتجدوا لكم وكيلًا) أي مانعا وناصرًا (أم أمتم أن يعيدكم فيه) أي في البحر (تارة) أي مرة (أخرى فمرسل عليكم قاصفا من الريح) قال ابن عباس وهي الريح الشديدة وقيل الريح التي تقصف كل شيء من شجر وغيره (فيغرقكم بما كفرتم) أي بكفركم النعمة وإعراضكم حين أنجبناكم (ثم لانتجدوا لكم علينا به تبعًا) التبع المطالب والمعنى أنا

(٢٢) - خازن بالنبوي - رابع) أي عاصفا وهي الريح الشديدة وقال أبو عبيدة هي الريح التي تقصف كل شيء أي دقة وتحطه وقال القتبي هي التي تقصف الشجر أي تكسره (فيغرقكم بما كفرتم) ثم لانتجدوا لكم علينا به تبعًا ناصرًا ولا

ثأراً وثيبع بمعنى تابع أى تابعا مطابا بالثأر وقيل من يتبعنا بالإنكار قرأ ابن كثير وأبو عمرو أن تحسفت وترسل وتعيد ثم
فترسل فتفرقكم بالنون فيهن لقوله علينا وقرأ الآخرون بالياء لقوله إلا إياه وقرأ أبو جعفر ويعقوب فتفرقكم بالناء يعنى
الريح قوله عز وجل (ولقد كرمنا بنى آدم) روى عن ابن عباس أنه قال هو أنهم يأكلون بالأبدى وغير الآدمى يأكل بفيه
من الأرض وروى عنه أنه (١٧٠) قال بالعقل وقال الضحاك بالناطق وقال عطاء بتعديل القامة وامتدادها

والأواب منسكة على
وجوهها وقيل بحسن
الصورة وقيل الرجال
باللحي والنساء بالنواب
وقيل بأن سخر لهم سائر
الأشياء وقيل بأن منهم
خير أمة أخرجت للناس
(وحدهم في البر والبحر)
أى حملناهم في البر على
النواب وفى البحر على
السفن (ورزقناهم من
الطيبات) يعنى لذيق
المطاعم والمشارب قال
مقاتل السمن والزبد
والتمر والحلوى وجعل
رزق غيرهم لا ينجى
(وفضلناهم على كثير
ممن خلقنا تفضيلا)
وظاهر الآية أنه فضلهم
على كثير ممن خلقهم
لاعلى الكل وقال
قوم فضلوا على جميع
الخلق إلا على الملائكة
وقال الكلبي فضلوا على
الخلق كلهم إلا على
طائفة من الملائكة
جبريل وميكائيل
وإسرافيل وملك الموت
وأشباهم . وفى تفضيل

تفعل مانفعل بكم ثم لا ينجدون لكم أحدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا لكم ودركا للثأر من جهتنا
وقيل معناه من يتبعنا بالإنكار علينا . قوله تعالى (ولقد كرمنا بنى آدم) قال ابن عباس هو
أهم يأكلون بالأبدى وغير الآدمى يأكل بفيه من الأرض وقال أيضا بالعقل وقيل بالنطق
والتمييز والخط والقهم وقيل باعتدال القامة وامتدادها وقيل بحسن الصورة وقيل الرجال باللحي
والنساء بالنواب وقيل بتسليطهم على جميع مافى الأرض وتسخيرهم لهم وقيل بحسن تدبيرهم
أمر المعاش والمعاد وقيل بأن منهم خير أمة أخرجت للناس (وحملناهم في البر) أى على الإبل
والخيل والحمر (والبحر) أى وحملناهم فى البحر على السفن وهذا من مؤكدات التكريم
لأن الله تعالى سخر لهم هذه الأشياء لينتفعوا بها ويستعينوا بها على مصالحهم (ورزقناهم من
الطيبات) يعنى لذيق المطاعم والمشارب وقيل الزبد والتمر والحلوى وجعل رزق غيرهم مما
لا ينجى وقيل أن جميع الأغذية إما نباتية وإما حيوانية ولا يتغذى الإنسان إلا بأطيب القسمين
بعد الطبخ الكامل والنضج التام ولا يحصل هذا لغير الإنسان (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا
تفضيلا) واعلم أن الله تعالى قال فى أول الآية ولقد كرمنا بنى آدم وفى آخرها وفصلناهم ولا
يد من الفرق بين التكريم والتفضيل وإلازم التكرار والأقرب أن يقال إن الله تعالى كرم
الإنسان على سائر الحيوان بأموه خلقية ذاتية طبيعية مثل العقل والنطق والخط وحسن الصورة
ثم إنه سبحانه وتعالى عرفه بواسطة ذلك العقل والفهم اكتساب العقائد الصحيحة والأخلاق
الفاضلة فالأول هو التكريم والثانى هو التفضيل ثم قال سبحانه وتعالى على كثير ممن خلقنا
تفضيلا ظاهر الآية يدل على أنه فضل بنى آدم على كثير ممن خلق لا على الكل فقال قوم
فضلوا على جميع الخلق إلا على الملائكة وهذا مذهب المعتزلة وقال الكلبي فضلوا على
الخلق كلهم إلا على طائفة من الملائكة مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزائيل وأشباهم
وقيل فضلوا على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم . فان قلت كيف تصنع بكثير . قلت
يوضع الأكثر موضع الكل كقوله تعالى «بلقون السمع وأكثروهم كاذبون» أراد كلهم وفى
الحديث عن جابر يرفعه قال «لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يارب خلقتهم ياكلون
ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا ولنا الآخرة فقال تعالى لا أجعل من خلقته يدي ونفخت
فيه من روحي كمن قلت له كمن فكان» وقيل بالتفضيل وهو الأولى والراجع أن خواص بنى
آدم وهم الأنبياء أفضل من خواص الملائكة وعوام الملائكة أفضل من عوام البشر من بنى آدم
وهذا التفضيل إنما هو بين الملائكة والمؤمنين من بنى آدم لأن الكفار لا حرمة لهم قال الله
سبحانه وتعالى «إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية» وعن أبى هريرة رضى

الملائكة على البشر اختلاف فقال قوم فضلوا على جميع الخلق وعلى الملائكة كلهم وقد يوضع الله
الأكثر موضع الكل كما قال تعالى «هل أتيتكم على من تنزل الشياطين» إلى قوله تعالى «وأكثرهم كاذبون» أى كلهم وفى الحديث
عن جابر يرفعه قال «لما خلق الله آدم وذريته قالت الملائكة يارب خلقتهم ياكلون ويشربون وينكحون فاجعل لهم الدنيا
ولنا الآخرة فقال تعالى لا أجعل من خلقته يدي ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كمن فكان» ، والأولى أن يقال عوام
المؤمنين أفضل من عوام الملائكة وخواص المؤمنين أفضل من خواص الملائكة قال الله تعالى «إن الذين آمنوا وعملوا

الصالحات أولئك خير البرية» وروى عن أبي هريرة أنه قال «المؤمن أفضل وأكرم على الله مع الملائكة الذين عنده» قوله تعالى (يوم ندعو كل أناس بأمامهم) قال مجاهد وقتادة بنديهم وقال أبو صالح والضحاك بكتابهم الذي أنزل عليهم وقال الحسن وأبو العالية بأعمالهم وقال قتادة أيضا بكتابهم الذي فيه أعمالهم بدليل سياق الآية فمن أوتي كتابه بيمينه ويسمى الكتاب إماما كما قال عز وجل «وكل شيء أحصيناه في إمام مبين» وعن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس رضي الله عنهما بإمام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا إلى ضلالة أو هدى قال الله تعالى «وجعلناهم أئمة يهدون

يدعون إلى النار» وقيل بمعبودهم وعن سعيد بن المسيب قال كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر وقال محمد بن كعب بإمامهم قيل يعني بأمامهم وفيه ثلاثة أوجه من الحكمة أحدها لأجل عيسى عليه السلام، والثاني لشرف الحسن والحسين والثالث لئلا يفتضح أولاد الزنا (فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم ولا يظلمون قتيلا) أي لا ينقص من حقوقهم قدر قتيلا (ومن كان في هذه أعمى) اختلفوا في هذه الإشارة فقال قوم هي راجعة إلى النعم التي عددها الله تعالى في هذه الآيات من قوله ربكم الذي يرزقكم التلك إلى قوله تفضيلا يقول ومن كان منكم في هذه النعم التي قد عاين أعمى (فهو في) أمر

الله تعالى عنه قال المؤمن أكرم على الله تعالى من الملائكة الذين عنده . قوله عز وجل (يوم ندعو كل أناس بأمامهم) أي بنبيهم وقيل بكتابهم الذي أنزل عليهم وقيل بكتاب أعمالهم وعن ابن عباس بإمام زمانهم الذي دعاهم في الدنيا إما إلى هدى وإما إلى ضلالة وذلك أن كل قوم يجتمعون إلى رئيسهم في الخير والشر وقيل بمعبودهم وقيل بإمامهم جمع أم يعني بأمامهم والحكمة فيه رعاية حق عيسى عليه السلام وإظهار شرف الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهما وأن لا يفتضح أولاد الزنا (فمن أوتي كتابه بيمينه فأولئك يقرءون كتابهم) فإن قلت لم يخص أصحاب اليمين بقراءة كتابهم مع أن أصحاب الشمال يقرءونه أيضا . قلت الفرق أن أصحاب الشمال إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على مشكلات عظيمة فيستولى عليهم الخجل والدهشة فلا يقدرون على إقامة حروفه فتكون قراءتهم كلا قراءة وأصحاب اليمين إذا طالعوا كتابهم وجدوه مشتملا على الحسنات والطاعات فيقرءونه أحسن قراءة وأبينها (ولا يظلمون قتيلا) أي ولا يفتضون من ثواب أعمالهم أدنى شيء (ومن كان في هذه أعمى) المراد عمى القلب والبصيرة لا عمى البصر والمعنى ومن كان في هذه الدنيا أعمى أي عن هذه النعم التي قد عددها في هذه الآيات المتقدمة (فهو في الآخرة) أي التي لم تعين ولم تر (أعمى وأضل سبيلا) قاله ابن عباس وقيل معناه ومن كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو في الآخرة أعمى أي أشد عمى وأضل سبيلا أي أخطأ طريقا وقيل معناه ومن كان في الدنيا كافرا ضاللا فهو في الآخرة أعمى لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته . قوله سبحانه وتعالى (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك) قيل في سبب نزولها أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستلم الحجر الأسود فتنعه قريش وقالوا لاندعك حتى تلم بالهنا وتمسها فحدث نفسه ما على أن أفعل ذلك والله يعلم إنى لما كاره بعد أن يدعوني أستلم الحجر وقيل طلبوا منه أن يذكر آياتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه فأنزل الله هذه الآية وقال ابن عباس قد وفد نقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نبياعك على أن تعطيتنا ثلاث خصال قال وما هن قالوا لا تحبي في الصلاة أي لا تنحني ولا تكسر أصنامنا بأيدينا وأن تمنعنا باللات سنة من غير أن نعبدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا خير في دين لا ركوع فيه ولا سجود وأما أن لا تكسروا أصنامكم بأيديكم فذلك لكم وأما الطاغية يعني اللات والعزى فاني غير ممنوعكم بها قالوا يا رسول الله إنا نحب أن نسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان خشيت أن تقول

(الآخرة) التي لم يعين ولم ير (أعمى وأضل سبيلا) يروي هذا عن ابن عباس . وقال الآخرون هي راجعة إلى الدنيا يقول من كان في هذه الدنيا أعمى القلب عن رؤية قدرة الله وآياته ورؤية الحق فهو في الآخرة أعمى أي أشد عمى وأضل سبيلا أي أخطأ طريقا وقيل من كان في هذه الدنيا أعمى عن الاعتبار فهو في الآخرة أعمى عن الاعتذار وقال الحسن من كان في الدنيا ضاللا كافرا فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلا لأنه في الدنيا تقبل توبته وفي الآخرة لا تقبل توبته وأما بعض القراء هذين الحرفين ، وفتحهما بعضهم وكان أبو عمرو يكسر الأول ويفتح الثاني فهو في الآخرة أشد عمى لقوله وأضل سبيلا قوله عز وجل (وإن كادوا ليفتنونك عن الذي أوحينا إليك) الآية اختلفوا في سبب نزولها قال سعيد بن جبيرة كان النبي صلى الله عليه وسلم يستلم الحجر الأسود فتنعه

فربهم وقالوا لاندعك حتى تلم بأهلنا ونمسا فحدث نفسه ماعلى أن أفعل ذلك والله تعالى يعلم آتى لها كاره بعد أن يدعوني حتى
أستلم الحجر وقيل طلبوا منه أن يمس آلهتهم حتى يسلموا ويتبعوه فحدث نفسه بذلك فأزل الله هذه الآية قال ابن عباس قدم
وقد تقيف على النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا نبايعك على أن تعطينا ثلاث خصال قال وما هن قالوا أن لا ننحنى أى فى الصلاة
ولا نكسر أصنامنا بأيدينا وأن نمتعا باللات سنة من غير أن نعبدها فقال النبي صلى الله عليه وسلم «لا خير فى دين لا ركوع فيه
ولا سجود» وأما أن لا تكسروا أصنامكم بأيديكم فذلك لكم وأما الطاغية يعنى اللات والعزى فأتى غير ممتعك بها فقالوا يا رسول الله
إننا نحب أن تسمع العرب أنك أعطيتنا ما لم تعط غيرنا فان خشيت أن تقول العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرنى بذلك
فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فطمع القوم فى سكوتهم أن يعطيهم ذلك فأزل الله عز وجل هذه الآية « وإن كادوا
ليفتنونك وليصرفونك عن الذى أوحينا (١٧٣) إياك (لتفتري) لتختلق (علينا غيره وإذا) لو فعلت ما دعوك إليه

العرب أعطيتهم ما لم تعطنا فقل الله أمرنى بذلك فسكت النبي صلى الله عليه وسلم فطمع القوم
فى سكوتهم أن يعطيهم ذلك فأزل الله تعالى « وإن كادوا أى هموا ليتمنونك أى ليصرفونك عن
الذى أوحينا إياك (لتفتري) أى لتختلق وتبتعث (علينا غيره) أى ما لم تقبله (وإذا) أى لو فعلت
ما دعوك إليه (لا تخذوك خليلا) أى والوك ووافوك وصافوك (وأولا أن يبتناك) أى على الحق
بعصمتنا إياك (لقد كدت تركزن) أى تميل (إليهم شيئا قليلا) أى قريت من الفعل . فان قلت
كان النبي صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف يجوز أن يقرب مما طلبوه . قلت كان ذلك
خاطر قلب ولم يكن عزا وقد عفا الله تعالى عن حديث النفس وكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول بعد ذلك اللهم لا تنكئنى إلى نفسى طرفة عين » والجواب الصحيح هو أن الله سبحانه
وتعالى قال ولولا أن يبتناك وقد ثبته الله فلم يركزن إليهم (إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف
الممات) أى لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف الحياة وضعف عذاب الممات يعنى ضعفنا لك
العذاب فى الدنيا والآخرة (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) أى ناصرا يمنعك من عذابنا . قوله
سبحانه وتعالى (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها) قيل هذه الآية مدنية
وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة وذلك حسدا فأثروه
فقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بأرض أنبياء وإن أرض الأنبياء الشام وهى الأرض
المقدسة وكان بها إبراهيم والأنبياء عليهم السلام فان كنت نبيا مثلهم فأنت الشام وإنما تمنعك
من الخروج إليها مخافة الروم وإن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله فمسكر النبي صلى
الله عليه وسلم على ثلاثة أميال من المدينة وفى رواية إلى ذى الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه
فيخرج فأزل الله هذه الآية فالأرض هنا أرض المدينة وقيل الأرض أرض مكة والآية مكية
والمعنى هم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالخروج للهجرة فخرج

(لا تخذوك خليلا) أى
والوك وصافوك (ولولا
أن يبتناك) على الحق
بعصمتنا (لقد كدت
تركن) أى تميل (إليهم
شيئا قليلا) أى قريبا من
الفعل . فان قيل كان النبي
صلى الله عليه وسلم معصوما فكيف
يجوز أن يقرب مما طلبوه
وما طلبوه كفر قيل كان
ذلك خاطر قلب ولم
يكن عزا وقد عفا الله
عز وجل عن حديث
النفس قال قتادة كان
النبي صلى الله عليه وسلم
يقول بعد ذلك اللهم
لا تنكئنى إلى نفسى طرفة
عين والجواب الصحيح
هو أن الله تعالى قال ولولا
أن يبتناك لقد كدت

بفعله

تركن إليهم شيئا قليلا وقد ثبته الله ولم يركزن وهذا مثل

قوله تعالى « ولولا فضل الله ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلا » وقد تفضل فلم يتبعوا (إذا لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات)
أى لو فعلت ذلك لأذقناك ضعف الحياة وضعف عذاب الممات يعنى أضعفنا لك العذاب فى الدنيا والآخرة وقيل الضعف
هو العذاب سمى ضعفا لتضعف الأمم فيه (ثم لا تجد لك علينا نصيرا) أى ناصرا يمنعك من عذابنا . قوله تعالى (وإن كادوا
ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها) اختلفوا فى معنى الآية فقال بعضهم هذه الآية مدنية . قال الكلبي لما قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة كره اليهود مقامه بالمدينة حسدا منهم فأثروه وقالوا يا أبا القاسم لقد علمت ما هذه بأرض الأنبياء فان
أرض الأنبياء الشام وهى الأرض المقدسة وكان بها إبراهيم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام فان كنت نبيا مثلهم فأنت الشام وإنما
تمنعك من الخروج إليها مخافتك الروم وأن الله سيمنعك من الروم إن كنت رسوله فمسكر النبي صلى الله عليه وسلم على ثلاثة
أميال من المدينة وفى رواية إلى ذى الحليفة حتى يجتمع إليه أصحابه ويخرج فأزل الله هذه الآية والأرض هاهنا هى المدينة وقال

محمد وقتادة الأرض أرض مكة والآية مكية هم المشركون أن يخرجوه منها فكفهم الله عنه حتى أمره بالهجرة فخرج بهم
وهذا اليتق بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وقيل هم الكفار كلهم أرادوا أن يستنزوه من أرض العرب
باجتماعهم وتظاهرهم عليه ففتح الله عز وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينالوا منه ما أملوا والاستنزاز هو الإزعاج بسرعة
(وإذا لا يلبثون خلفك) أي بعدك وقرأ ابن عامر وحزمة والكسائي وحفص ويعقوب خلافاً اعتبروا بقوله تعالى وفرح
المخلفون بمقدمهم خلافاً رسول الله ومعناها واحد (إلا قليلاً) أي لا يلبثون بعدك إلا قليلاً حتى يهلكوا فعلى هذا القول الأول
مدة حياتهم وعلى الثاني ما بين خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة إلى أن قتلوا بيدر. قوله عز وجل (سنة من قد أرسلنا
قبلك من رسلنا) أي كسنتنا فانتصب بحذف الكاف وسنة الله في الرسل إذا (١٧٣) كذبهم الأمم أن لا يعذبهم مادام
نبيهم بين أظهرهم فإذا

بنفسه وهذا اليتق بالآية لأن ما قبلها خبر عن أهل مكة والسورة مكية وقيل هم المشركون
كلهم وأرادوا أن يستنزوه من أرض العرب باجتماعهم وتظاهرهم عليه ففتح الله رسول الله ولم
ينالوا منه ما أملوه والاستنزاز الإزعاج (وإذا لا يلبثون خلفك إلا قليلاً) أي لا يلبثون بعد
إخراجك إلا زماناً قليلاً حتى يهلكوا. قوله سبحانه وتعالى (سنة من قد أرسلنا قبلك من
رسلنا) يعني أن كل قوم أخرجوا رسولهم من بين أظهرهم فسنة الله أن يهلكهم وأن لا يعذبهم
مادام نبيهم بينهم فإذا خرج من بين أظهرهم عذبهم (ولا نجد لسنة تحويل) أي تبديلاً. قوله
سبحانه وتعالى (أقم الصلاة لدلوك الشمس) روى عن ابن مسعود أنه قال دلوك الغروب
وهو قول النخعي ومقاتل والضحاك والسدي قال ابن عباس وابن عمر وجابر هو زوال
الشمس وهو قول عطاء وقتادة ومجاهد والحسن وأكثر التابعين ومعنى اللفظ يجمعهما لأن
أصل دلوك الميل والشمس تميل إذا زالت وإذا غربت والحمل على الزوال أولى القولين لكثرة القائلين
به وإذا حملناه عليه كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة
الظهر والعصر (إلى غسق الليل) أي ظهور ظلمته وقال ابن عباس يبدو الليل وهذا يتناول
المغرب والعشاء (وقرآن الفجر) يعني صلاة الفجر سمي الصلاة قرآناً لأنها لا تجوز إلا بالقرآن
(إن قرآن الفجر كان مشهوداً) أي يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار (خ). عن أبي هريرة
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمعة صلاة أحدكم وحده
خمس وعشرين جزءاً وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول أبو
هريرة أقرعوا إن شئتم إن قرآن الفجر كان مشهوداً قال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره
هذا دليل قطعي على أن التغليس أفضل من التنوير لأن الإنسان إذا شرع فيها من أول
الصبح ففي ذلك الوقت الظلمة باقية فتكون ملائكة الليل حاضرين ثم إذا امتدت الصلاة
بسبب ترتيل القرآن وتكثيرها زالت الظلمة وظهر الضوء وحضرت ملائكة النهار أما إذا ابتداء
بهذه الصلاة في وقت الإسفار فهناك لم يبق أحد من ملائكة الليل إلا يحصل المعنى المذكور

كانت الآية جامعة لمواقيت الصلاة كلها فدلوك الشمس يتناول صلاة الظهر والعصر وإلى غسق الليل يتناول المغرب والعشاء
وقرآن الفجر هو صلاة الصبح. قوله عز وجل (إلى غسق الليل) أي ظهور ظلمته وقال ابن عباس يبدو الليل وقال قتادة وقت
صلاة المغرب وقال مجاهد غروب الشمس (وقرآن الفجر) يعني صلاة الفجر سمي الصلاة قرآناً لأنها لا تجوز إلا بقرآن
وانتصاب القرآن من وجهين أحدهما أنه عطف على الصلاة أي وأقم قرآن الفجر قاله القراء قال أهل البصرة على الإغراء أي
وعليك قرآن الفجر (إن قرآن الفجر كان مشهوداً) أي يشهده ملائكة الليل وملائكة النهار أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي
أحمد بن عبد الله النعماني أن أبانا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو الهيثم أن أبانا شعيب عن الزهري أخبرني سعيد بن
السيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبانا هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول تفضل صلاة الجمعة على صلاة
أحدكم وحده خمس وعشرين جزءاً وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر ثم يقول أبو هريرة أقرعوا إن شئتم

عائشة فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر فقال يا عائشة إن عيني ثنمان ولا ينام قلبي وأخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الإسفرائيني أنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق أنا يونس بن هارون بن عبد الأعلى . أنا ابن وهب أخبرني يونس وابن أبي ذئب وعمرو بن الحارث أن ابن شهاب أخبرهم عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشر ركعة يسلم من كل ركعتين ويوتر بواحدة فيسجد السجدة قدر ما يقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه فإذا سكث المؤذن من أذان الفجر وتبين له النجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة فيخرج . وبعضهم يزيد على بعض أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطوسى أنا عبد الرحمن بن منيب أنا يزيد بن هارون أنا حميد الطويل عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال وما كنا نشاء أن نرى (١٧٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم

في الليل مصليا إلا رأيناه
ولا نشاء أن نراه نائما
إلا رأيناه وقال كان
يصوم من الشهر حتى نقول
لا يفطر منه شيئا ويفطر
حتى نقول لا يصوم منه شيئا
قوله عز وجل (عسى
أن يعثبك ربك مقاما
محمودا) عسى من الله
تعالى واجب لأنه لا بدع
أن يعطى عباده أو يفعل
بهم ما أطمعهم فيه والمقام
المحمود هو مقام الشفاعة
لأتمته لأنه محمده فيه
الأولون والآخرون
أخبرنا عبد الواحد
ابن أحمد المليحي أنا
أبو منصور محمد بن محمد
ابن سمعان أنا أبو جعفر
محمد بن أحمد بن
عبد الجبار الرضائي ثنا
حميد بن زنجويه أنا

قبلهما ثم صلى ركعتين دون اللتين قبلهما ثم صل ركعتين دون اللتين قبلهما ثم أوتر فذلك ثلاث عشرة ركعة لنفذاً لآية داود (ق) وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان قالت ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره على أكثر من إحدى عشرة ركعة يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن ثم يصلى ثلاثاً قالت عائشة فقلت يا رسول الله أتنام قبل أن توتر فقال يا عائشة إن عيني ثنمان ولا ينام قلبي (ق) عنها قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيما بين أن يفرغ من صلاة العشاء إلى الفجر إحدى عشر ركعة يسلم بين كل ركعتين ويوتر بواحدة ويسجد سجدتين قدر ما يسجد ويقرأ أحدكم خمسين آية قبل أن يرفع رأسه فإذا سكث المؤذن من صلاة الفجر وتبين له الفجر قام فركع ركعتين خفيفتين ثم اضطجع على شقه الأيمن حتى يأتيه المؤذن للإقامة (خ) عنها قالت وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل افتتح صلاته بركعتين خفيفتين . عن عوف بن مالك الأشجعي قال قلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقام فقرأ سورة البقرة لا يمر بآية رحمة إلا وقف وسأل ولا يمر بآية عذاب إلا وقف وتعود ثم ركع بقدر قيامه في ركوعه سبحانه ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة ثم سجد بقدر قيامه ثم قال في سجوده مثل ذلك ثم قام فقرأ بآل عمران ثم قرأ سورة النساء أخرجه أبو داود والنسائي . عن عائشة قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بآية من القرآن ليلة أخرجه الترمذي (ق) عن الأسود قال سألت عائشة كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل قالت كان ينام أوله ويقوم آخره فيصلى ثم يرجع إلى فراشه فإذا أذن المؤذن وثب فإن كانت به حاجة اغتسل وإلا توضأ وخرج . عن أنس قال ما كنا نشاء أن نرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل مصليا إلا رأيناه ولا نشاء أن نراه نائما إلا رأيناه أخرجه النسائي . زاد في رواية غيره قال وكان يصوم من الشهر حتى نقول لا يفطر منه شيئا ويفطر حتى نقول لا يصوم منه شيئا . وقوله عز وجل (عسى أن يعثبك ربك مقاما محمودا)

عبد الله بن يزيد المقرئ أنا حيوة عن كعب بن عرفة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على فانه من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا ينبغي أن تكون إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هوفى سألني الوسيلة حلت عليه الشفاعة . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا علي بن عياش ثنا سعيد بن أبي حمزة عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومن قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة . أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيرى أنا حاجب بن أحمد الطوسى أنا عبد الرحمن بن منيب أنا يعلى عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم إن لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي وهي نائلة منكم إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل قال وقال الحجاج بن منهال ثنا همام بن يحيى ثنا قتادة عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ويحس المؤمنون يوم القيامة حتى يهتموا بذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فربحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الناس خلقتك الله بيده وأسكنتك جنته وأجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يربحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب أكله (١٧٦) من الشجرة وقد نهي عنها ولكن اتوا نوحا أول نبي بعثه الله إل أهل

الأرض فيأتون نوحا فيقول است هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب مؤالته ربه بغير علم ولكن اتوا إبراهيم خليل الرحمن قال فيأتون إبراهيم فيقول إني لست هناكم ويذكر كذبات كذبهن ولكن اتوا موسى عبدا آتاه الله التوراة وكلمه وقربه نبياً قال فيأتون موسى فيقول إني لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب قتله النفس ولكن اتوا عيسى عبداً ورسله وروح الله وكلمته قال فيأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن اتوا محمدا عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال فيأتوني فأستأذن علي ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت

أجمع المفسرون على أن عصى من الله واجب وذلك لأن لفظة عصى تقيد الإطعام ومن أطمع إنساناً في شيء ثم أحرمه كان ذلك عاراً عليه والله أكرم من أن يطمع أحداً ثم لا يعطيه ما أطمعه فيه والمقام المحمود هو مقام الشفاعة لأنه عمده فيه الألوون والآخرون (ق) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « أن لكل نبي دعوة مستجابة وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي فهي نائلة منكم إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئا » (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا على من صلى على صلاة صلى الله عليه بها عشرا ثم سلوا الله لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لي الوسيلة نحت عليه الشفاعة » (م) عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته حلت له شفاعتي يوم القيامة » (ق) عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وفي رواية فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا فربحنا من مكاننا فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو البشر خلقتك الله بيده وأسكنتك جنته وأجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يربحنا من مكاننا هذا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن اتوا نوحا أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتون نوحا فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن اتوا إبراهيم الذي اتخذ الله خليلاً فيأتون إبراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن اتوا موسى الذي كلمه الله وأعطاه التوراة قال فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحي ربه منها ولكن اتوا عيسى روح الله وكلمته فيأتون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ولكن اتوا محمدا صلى الله عليه وسلم وعلمه عليه وطمع الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيأتوني فأستأذن علي ربي تعالى فيؤذن لي فإذا أنا رأيته وقعت ساجدا فيدعني « إنا لله فيقال يا محمد ارفع رأسك قل تسمع سل تعطه اشفع تشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحدي لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم

ساجدا فيدعني ماشاء الله أن يدعني فيقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ثم أشفع فيحدي لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثانية فأستأذن علي ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فأرفع رأسي فأثني على ربي بثناء وتحميد يعلمنيه ، ثم أشفع فيحدي لي حدا فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود الثالثة فأستأذن علي ربي في داره فيؤذن لي عليه فإذا رأيته وقعت ساجدا فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقول ارفع محمد وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه قال فأرفع رأسي فأثني

على ربي بثناء وتحميد يعلمه ثم أشفع فيحدي لي حدا فأخرج فأدخلهم الجنة قال فتادة وقد سمعته يقول فأخرج فأخرجهم
من النار وأدخلهم الجنة حتى ما يبقى في النار إلا من قد حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود ثم تلا هذه الآية عسى أن يعطك
ربك مقاما محمودا قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم وبهذا الإسناد قال حدثنا محمد بن إسماعيل
ثنا سليمان بن معمر ثنا حماد بن زيد ثنا معبد بن هلال العنزي قال ذهبنا إلى أنس بن مالك فذكر حديث الشفاعة بمعناه
وقال فاستأذن علي ربي فيؤذن لي ويلهمني محامدا أحمد به لا تخضرنى (١٧٧) الآن فأحمده بتلك المحامد وأخر له

ساجدا . فيقال يا محمد
ارفع رأسك وقل تسمع
وسل تعطه واشفع أشفع
فأقول يارب أمي أمي
فيقال انطلق فأخرج
من كان في قلبه مثقال
شعيرة من إيمان فأنطلق
فأفعل ثم أعود فأحمده
بتلك المحامد ثم أخرج له
ساجدا فذكر مثله وقال
فيقال لي انطلق فأخرج
من كان في قلبه مثقال
ذرة أو خردلة من إيمان
قل فأنطلق فأفعل ثم
أعود فأحمده بتلك
المحامد ثم أخرج له ساجدا
فذكر مثله ثم يقال
انطلق فأخرج من كان
في قلبه أدنى أدنى
مثقال حبة من خردل
من إيمان فأنطلق فأفعل
فلما خرجنا من عند
أنس مررنا بالحسن فسلمنا
عليه فحدثنا بالحديث
إلى هذا الموضع
فقال هيه فقلنا لم زدنا
على هذا فقال لقد حدثني
وهو يومئذ جميع منذ
عشرين سنة كما حدثكم

لجنة ثم أعود فأقع ساجدا فيدعني ماشاء الله أن يدعني ثم يقال لي ارفع يا محمد رأسك قل تسمع وسل
تعطه اشفع أشفع فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمه ربي ثم أشفع فيحدي لي حدا فأخرجهم من النار
وأدخلهم الجنة قال فلا أدري في الثالثة أوفى الرابعة قال فأقول يارب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن
أي من وجب عليه الخلود وفي رواية البخاري ثم تلا هذه الآية عسى أن يعطك ربك مقاما محمودا
قال وهذا المقام المحمود الذي وعده نبيكم صلى الله عليه وسلم زاد في رواية فقال النبي صلى الله
عليه وسلم يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما وزن شعيرة ثم يخرج
من النار من قال لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما وزن برة ثم يخرج من النار من قال
لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما وزن ذرة قال يزيد بن زريع في حديث شعيرة ذرة وفي
رواية من إيمان مكان خير وفي حديث معبد بن هلال العنزي عن أنس في حديث الشفاعة
وذكر نحوه وفيه فأقول يارب أمي أمي فيقال انطلق فمن كان في قلبه أدنى أدنى من مثقال
حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار فأنطلق فأفعل قال فلما خرجنا من عند أنس
مررنا بالحسن فسلمنا عليه فحدثنا بالحديث إلى هذا الموضع فقال هيه فقلنا لم زدنا على
هذا فقال لقد حدثني وهو يومئذ جميع منذ عشرين سنة كما حدثكم ثم قال ثم أعود في الرابعة
فأحمده بتلك المحامد ثم أخرج له ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع لك وسل
تعط واشفع أشفع فأقول يارب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله قال ليس ذلك لك أو قال ليس
ذلك إليك ولكن وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله قوله
وهو يومئذ جميع أي مجتمع الذهن والرأي عن أبي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر ويدي إياه الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ
آدم فمن سواه إلا تحت لوائي وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر قل فيفزع الناس
ثلاث فرعات فيأتون آدم فيقولون أنت أبونا اشفع لنا إلى ربك فيقول إني أذنبت ذنبا عظيما
فأهبطت به إلى الأرض ولكن اتبوا نوحا فيأتون نوحا فيقول إني دعوت على أهل الأرض
دعوة فأهلكوا ولكن اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقول إني كذبت ثلاث كذبات
ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مني كذبة إلا ما حل بها عن دين الله ولكن اتبوا
موسى فيأتون موسى فيقول قد قتلت نفسا ولكن اتبوا عيسى فيأتون عيسى فيقول إني عبدت
من دون الله ولكن اتبوا محمدا فيأتوني فأطاق معهم قال ابن جدعان قال أنس فكأنني
أنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأخذ بحلقه باب الجنة فأقعقها فيقال من هذا
فيقال محمد فيفتحون لي ويقولون مرحبا فأخر ساجدا فيلهمني الله من الثناء والحمد فيقال

(٢٣ - عازن بالبغوي - رابع) ثم قال ثم أعود الرابعة فأحمده بتلك المحامد ثم أخرج له ساجدا فيقال يا محمد
ارفع رأسك وقل تسمع وسل تعطه واشفع أشفع فأقول يارب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله فيقول وعزتي وكبريائي
وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله وروى عن عبد الله بن عمر قال إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق
نصف الأذن فيبئس لهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد صلى الله عليه وسلم فيشترع ليقضي بين الخلق فيمشي حتى
يأخذ بحلقه الباب فيومئذ يبعثه الله مقاما محمودا بحمد أهل الجمع كلهم وأخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي

أنا أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد بن مأمون ثنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا محمد بن حنوية ثنا سعيد بن سليمان ثنا منصور بن أبي الأسود ثنا الليث بن الربيع عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أولهم خروجاً إذا بعثوا وأنا قائلهم إذا وفدوا وأنا خطيبهم إذا أُنصتوا وأنا شفيعهم إذا حبسوا وأنا مبشرهم إذا أسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي يطوف على ألف خادم كأنهم لؤلؤ بيض مكنون (١٧٨) أولؤلؤ مشور أخبرنا إسحاق بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد

ابن عيسى الجلودى ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج حدثني الحكم بن موسى ثنا معقل بن زياد عن الأوزاعي حدثني أبو عمر حدثني عبد الله بن فروخ حدثني أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع والأخبار في الشناعة متواترة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع باتفاق أهل السنة وروى عن يزيد بن صبيب الفقيه قال كنت قد شغفتي رأى من رأى الخوارج وكنت رجلاً شاباً فخرجنا في عصابة يزيد الخج فررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله يحدث القوم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر حديث الجهنميين

لي أرفع رأسك وصل تعطه واشفع تشفع وقل بسمع لقولك وهو المقام المحمود الذي قال الله سبحانه وتعالى عسى أن يعثلك ربك مقاماً محموداً قال سفيان ليس عن أنس غير هذه الكلمة فأخذ بحلقة باب الجنة فقامت فبقال من هذا فيقال محمد فيفتحون لي ويرحبون فيقولون مرحباً فأخر ساجداً فيلهمني الله من الثناء والحمد وأخرجه الترمذي قوله ما حل المباحة الخاصة والمخالفة والمعنى أنه عليه الصلاة والسلام خاصم وجادل عن دين الله بتلك الألفاظ التي صدرت منه وقوله فاقعتمها أي أحرکها حركة شديدة والقعقة حكاية أصوات الترس وغيره مما له صوت عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا وفدوا وأنا مبشرهم إذا أسوا ولواء الحمد يومئذ بيدي وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا فخره أخرجه الترمذي زاد في رواية غير الترمذي وأنا مستشفعهم إذا حبسوا الكرامة والمفاتيح يومئذ بيدي يطوف على خدام كأنهم بيض مكنون أو لؤلؤ مشور (م) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من تنشق عنه الأرض وأول شافع وأول مشفع زاد الترمذي قال وأنا أول من تنشق عنه الأرض فأكسى حلة من حلل الجنة ثم أقوم عن يمين العرش فليس أحد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري عن عبد الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما قال إن الشمس تدنو يوم القيامة حتى يبلغ العرق نصف الأذن فيبهاهم كذلك استغاثوا بآدم ثم بموسى ثم بمحمد عليه أفضل الصلاة فيشفع ليقضى بين الخلائق فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب فيؤمئذ يبعثه الله مقاماً محموداً بحمدته فيه أهل الجمع كلهم (م) عن يزيد بن صبيب قال كنت قد شغفتي رأى من رأى الخوارج فخرجنا في عصابة ذوى عدد يزيد أن نحج ثم نخرج على الناس قال فررنا على المدينة فاذا جابر بن عبد الله جالس إلى صارية يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا هو قد ذكر الجهنميين فقالت يا صاحب رسول الله ما هذا الذي يحدثوننا والله يقول إنك من تدخل النار فقد أخرجته وكلاماً أرادوا أن يخرجوا منها أعيديها فيها فما هذا الذي تقولون قال أنقرأ القرآن قلت نعم قال فاقراً ما قبله إنه في الكرامة ثم قل فهل سمعت بمقام محمد الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال فإن مقام محمد صلى الله عليه وسلم المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار قال ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه قال وأخاف أن لا يكون أحفظ ذلك قال غيره أنه قد زعم أن قوماً يخرجون من النار بعد أن يكونوا فيها قال يعني فيخرجون كأنهم عبيدان السماسم قال فيدخلون نهاراً

فقلت له يا صاحب رسول الله ما هذا الذي يحدثون والله عز وجل يقول إنك من تدخل النار فقد أخرجته وكلاماً أرادوا أن يخرجوا منها أعيديها فيها فقال لي يا فتى أنقرأ القرآن قلت نعم قال هل سمعت بمقام محمد المحمود الذي يبعثه الله فيه قلت نعم قال إنه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج من النار ثم نعت وضع الصراط ومر الناس عليه وإن قوماً يخرجون من النار بعد ما يكونون فيها قال فرجعنا وقلنا أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن أبي وائل عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الله عز وجل اتخذ إبراهيم خليلاً وإن صابكم خليل الله وأكرم الخلق على الله ثم قرأ عسى أن يعثلك ربك مقاماً محموداً وعن جهم بن قيس قال

يعتك ربك مقاماً محمداً قال يجلسه على العرش وعن عبد الله بن سلام قال يقعد على الكرسي قوله عز وجل (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) المراد من المدخل والمخرج الإدخال والإخراج واختلف أهل التفسير فيه فقال ابن عباس والحسن وقتادة أدخلني مدخل صدق المدينة وأخرجني مخرج صدق من مكة نزلت حين أمر النبي ﷺ بالهجرة وقال الضحاك وأخرجني مخرج صدق من مكة آمناً من المشركين وأدخلني مدخل صدق مكة ظاهراً عليها بالفتح وقال مجاهد أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقد تمت بما وجب علي من حقها مخرج صدق وعن الحسن أنه قال أدخلني مدخل صدق الجنة وأخرجني (١٧٩) مخرج صدق من مكة . وقيل أدخلني في طاعتك

وأخرجني من المناهي وقيل معناه أدخلني حيث ما أدخلتني بالصدق وأخرجني بالصدق أي لا تجعلني ممن يدخل بوجه ويخرج بوجه فإن ذا الوجهين لا يكون أميناً ووجهها عند الله ووصف الإدخال والإخراج بالصدق لما يشول إليه الخروج والدخول من النصر والعز ودولة الدين كما وصف القدم بالصدق فقال إن لهم قدم صدق عند ربهم (واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً) قال مجاهد حجة بيّنة وقال الحسن ملكاً قوياً تنصرف به على من ناوأني وعزا ظاهراً أقيم به دينك فوعده الله لينزع

من أمهار الجنة فيغتسلون فيه فيخرجون منه كأنهم القراميطس فرجعنا قتلنا وبحكم أترون هذا الشيخ يكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجعنا فلا والله ما خرج غير رجل واحد أو كما قال والأحاديث في الشفاعة كثيرة وأول من أنكرها عمرو بن عبيد وهو مبتدع بانفاق أهل السنة وروى أبو وائل وعن ابن مسعود أنه قال إن الله اتخذ إبراهيم خليلاً وإن صاحبكم خليل الله وأكرم الخلق عليه ثم قرأ عيسى أن يعتك ربك مقاماً محمداً قال يقعد على العرش وعن مجاهد مثله وعن عبد الله بن سلام قال يقعد على الكرسي . قوله عز وجل (وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق) المراد منهما الإدخال والإخراج قال ابن عباس معناه أدخلني مدخل صدق المدينة وأخرجني مخرج صدق من مكة نزلت حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة وقيل معناه أخرجني من مكة آمناً من المشركين وأدخلني مكة ظاهراً عليها بالفتح وقيل أدخلني في أمرك الذي أرسلتني به من النبوة مدخل صدق وأخرجني من الدنيا وقد تمت بما وجب علي من حق النبوة مخرج صدق وقيل معناه أدخلني في طاعتك مدخل صدق وأخرجني من المناهي مخرج صدق وقيل معناه أدخلني حيناً أدخلتني بالصدق وأخرجني بالصدق ولا تجعلني ممن يخرج بوجه ويدخل بوجه فإن ذا الوجهين لا يكون أميناً عند الله (واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً) أي حجة بيّنة وقيل ملكاً قوياً تنصرفني به على من عاداني وعزا ظاهراً أقيم به دينك فوعده الله لينزع عن ملك فارس والروم وغيرهما ويجعله له أوجب دعاءه فقال له والله يعصمك من الناس وقال يظهره على الدين كله وقال وعده الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض الآية . قوله تعالى (وقل جاء الحق) يعني الإسلام والقرآن (وزهق الباطل) أي الشرك والشيطان (إن الباطل كان زهوقاً) أي مضى حلاً غير ثابت وذلك أن الباطل وإن كان له دولة وقوة في وقت من الأوقات فهو سريع الزوال والذهاب والزوال (ق) وعن عبد الله بن مسعود قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وكان حول البيت ثلثمائة وستون صنماً فجعل يطعن بها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً - جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعبد - قوله تعالى (ونزل من القرآن ما هو شفاء

ملك فارس والروم وغيرهما فيجعله له قال فتادة علم نبي الله صلى الله عليه وسلم أن لاطاقة له بهذا الأمر إلا بسلطان نصير فسأل سلطاناً نصيراً كتاب الله وحدوده وإقامة دينه قوله عز وجل (وقل جاء الحق) يعني القرآن (وزهق الباطل) أي ذهب الشيطان قال قتادة هو قال السدي الحق الإسلام والباطل الشرك وقيل الحق عبادة الله والباطل عبادة الأصنام (إن الباطل كان زهوقاً) ذاهباً يقال زهقت نفسه أي خرجت أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله التميمي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا صدقة بن الفضل ثنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد عن أبي معمر عن عبد الله قال دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة صنم فجعل يطعن بها بعود في يده ويقول جاء الحق وزهق الباطل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعبد . قوله عز وجل (ونزل من القرآن ما هو شفاء

ورحمة للمؤمنين) قبل من ليس لتبويض ومعناه ونزل من القرآن ما هو كله شفاء أى بيان من الضلالة والجهالة بئين به المختلف، ويتضح به المشكل ويستثنى به من الشبهة ويهتدى به من الخيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها ورحمة للمؤمنين (ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) لأن الظالم لا يفتنع به والمؤمن يفتنع به فيكون رحمة له وقيل زيادة الخسارة للظالم من حيث أن كل آية تنزل (١٨٠) يتجدد منهم تكذيب ويزداد لهم خسارة قال قتادة لم يجالس هذا القرآن

أحد إلا قام عنه بزيادة من في قوله تعالى من القرآن لبيان الجنس والمعنى نزل من هذا الجنس الذى هو القرآن ما هو شفاء أى بيان من الضلالة والجهالة بئين به المختلف فيه ويتضح به المشكل ويستثنى به من الشبهة ويهتدى به من الخيرة وهو شفاء القلوب بزوال الجهل عنها وقيل هو شفاء للأمراض الباطنة والظاهرة وذلك لأنها تنقسم إلى نوعين (١) أحدهما الاعتقادات الباطنة والثاني الأخلاق المدمومة أما الاعتقادات الباطنة فأشدها فساد الاعتقادات الفاسدة في الذات والصفات والنبوات والقضاء والقدر والبعث بعد الموت فالقرآن كتاب مشتمل على دلائل المذهب الحق في هذه الأشياء وأبطال المذاهب الفاسدة لا جرم كان القرآن شفاء لما في القلوب من هذا النوع وأما النوع الثاني وهو الأخلاق المدمومة فالقرآن مشتمل على التنفير منها والإرشاد إلى الأخلاق المحمودة والأعمال الفاضلة فثبت أن القرآن شفاء من جميع الأمراض الباطنة وأما كونه شفاء من الأمراض الجسدية فلأن التبرك بقراءته يدفع كثيرا من الأمراض يدل عليه ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم في فاتحة الكتاب وما يلزمك أنها رقية (ورحمة للمؤمنين) لما كان القرآن شفاء للأمراض الباطنة والظاهرة فهو جدير بأن يكون رحمة للمؤمنين (ولا يزيد الظالمين إلا خسارا) لأن الظالم لا يفتنع به والمؤمن يفتنع به فكان رحمة للمؤمنين وخسارة للظالمين وقيل لأن كل آية تنزل يتجدد لهم تكذيب بها فيزداد خسارهم قال قتادة لم يجالس القرآن أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان قضاه الله الذى قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا. قوله سبحانه وتعالى (وإنما أنا على الإنسان) أى بالصحة والسعة (أعرض) أى عن ذكرنا ودعائنا (ونأى بجانبه) أى تباعد منا بنفسه أى ترك التقرب إلى الله بالدعاء وقال عطاء تعظم وتكبر ويكسر النون والهمزة حمزة والكسائي وفتح النون ويكسر الهمزة أبو بكر وقرأ أبو عامر وأبو جعفر وذاك مثل جاء قيل هو بمعنى نأى وقيل ناء من النوء وهو النهوض والقيام (وإذا مسه الشر) الشدة والضر (كان يتوسا) أى آيسا قنوطا وقيل معناه إنه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فإذا تأخرت الإجابة يئس فلا يبغي للمؤمن أن يدع الدعاء ولو تأخرت الإجابة. قوله عز وجل (قل كل) أى كل أحد (يعمل على شاكته) قال ابن عباس على ناحيته وقيل الشاكاة الطريقة أى على طريقته التى جبل ذاتها وفيه وجه آخر وهو أن كل إنسان يعمل على حسب جوهر نفسه فإن كانت نفسه شريفة طاهرة صدرت عنه أفعال جديلة وأخلاق زكية طاهرة وإن كانت نفسه كدرة خبيثة صدرت عنه أفعال خبيثة فاسدة رديئة (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أى أوضح طريقا وأحسن مذهبا واتباعا للحق. قوله سبحانه وتعالى (ويستولونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) (ف) عن عبد الله بن مسعود (١) قوله لأنها تنقسم إلى نوعين أى الأمراض الغير الجسدية. بدليل قوله بعد وأما كونه شفاء من الأمراض الجسدية والعبارة في الفخر الرازى بغاية التهذيب فليراجع

أحد إلا قام عنه بزيادة أو نقصان قضى الله الذى قضى شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين إلا خسارا قوله تعالى (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض) عن ذكرنا ودعائنا (ونأى بجانبه) أى تباعد منا بنفسه أى ترك التقرب إلى الله بالدعاء وقال عطاء تعظم وتكبر ويكسر النون والهمزة حمزة والكسائي وفتح النون ويكسر الهمزة أبو بكر وقرأ أبو عامر وأبو جعفر وذاك مثل جاء قيل هو بمعنى نأى وقيل ناء من النوء وهو النهوض والقيام (وإذا مسه الشر) الشدة والضر (كان يتوسا) أى آيسا قنوطا وقيل معناه أنه يتضرع ويدعو عند الضر والشدة فإذا تأخرت الإجابة يئس ولا يبغي للمؤمن أن يئس من الإجابة وإن تأخرت فيدع الدعاء قوله عز وجل

(قل كل يعمل على شاكته) قال ابن عباس على ناحيته قال الحسن وقتادة على نيته وقال مقاتل على خلقته قال قال الفراء على طريقته التى جبل عليها وقال القتيبي على طبيعته وجبلته وقيل على السبيل الذى اختاره لنفسه وهو من الشكل يقال لست على شكلي ولا شاكلي وكلها لغات متقاربة تقول العرب طريق ذو شواكل إذا تشعبت منه الطرق ومجاز الآية كل يعمل على ما يشبهه كما يقال فى المثل كل امرئ يشبه فعله (فربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلا) أوضح طريقا قوله تعالى: (ويستولونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) الآية أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي

أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا قيس بن حفص ثنا عبد الواحد يعني ابن زياد ثنا الأعمش عن إبراهيم عن
علقمة عن عبد الله قال بيانا أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم في حرح المدينة وهو يتوكأ على عسيب معه فر بنظر من
اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه لا يجيء فيه بشيء تكرهونه فقال بعضهم لسألته فقام
رجل منهم فقل يا أبا القاسم ما الروح فسكت فقلت إنه يوحى إليه فقلت فلما أتجمل عنه وقال ويستلونك عن الروح قل
الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا وفي رواية وما أوتوا من العلم إلا قليلا قال الأعمش هكذا في قرأتنا وروى
عن ابن عباس أنه قال إن قريشا قد اجتمعوا وقالوا إن محمدا نشأ فينا بالأمانة والصدق وما اتهمناه بكذب ، وقد ادعى
ما ادعى فابعثوا نفرا إلى اليهود بالمدينة وأسألوهم عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة إليهم فقالت اليهود ساوه عن ثلاثة
أشياء فإن أجاب عن كلها أو لم يجيب عن شيء منها فليس بنبي وإن أجاب عن اثنين ولم يجيب عن واحدة فهو نبي فسأوه عن
ثلاثة فقلوا في الزمن الأول ما كان من أمرهم فإنه كان لهم حديث عجيب (١٨١) وعن رجل بلغ شرق الأرض

وغربها ما خبره وعن
الروح فسألوه فقال النبي
صلى الله عليه وسلم أخبركم
بما سألتكم غدا ولم يقل إن
شاء الله فابتدأ الوحي قال
بجاهد إنني عشرة ليلة
وقيل خمسة عشر يوما
وقال عكرمة أربعين يوما
وأهل مكة يقولون
وعدنا محمد غدا وقد
أصبحنا لا ننجبرنا بشيء
حتى حزن النبي صلى الله
عليه وسلم من مكث
الوحي وشق عليه ما يقوله
أهل مكة ثم نزل جبريل
بقوله «ولا تقولن لشيء
إني فاعل ذلك غدا

قل بيانا أنا أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتوكأ على عسيب معه فر بنظر من اليهود
فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال بعضهم لا تسألوه بسمعكم ماتكرهون فقاموا
إليه وفي رواية فقام إليه رجل منهم فقال يا أبا القاسم الروح فسكت وفي رواية فقالوا حدثنا
عن الروح فقام ساعة ينتظر الوحي وعرفت أنه يوحى إليه تأخرت حتى صعد الوحي قال
ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فقال بعضهم لبعض
قد قلنا لكم لا تسألوه وفي رواية وما أوتوا من العلم إلا قليلا قال الأعمش هكذا في قرأتنا
العسيب جريد النخل وسعفه وقال ابن عباس أن قريشا اجتمعوا وقالوا إن محمدا نشأ فينا
بالأمانة والصدق وما اتهمناه بكذب قط وقد ادعى ما ادعى فابعثوا نفرا إلى اليهود بالمدينة
وأسألوهم عنه فانهم أهل كتاب فبعثوا جماعة إليهم فقالت اليهود سلوه عن ثلاثة أشياء فإن
أجاب عن كلها أو لم يجيب عن شيء منها فليس بنبي وإن أجاب عن اثنين ولم يجيب عن واحدة
فهو نبي فسألوه عن ثمانية فقدوا في الزمن الأول ما كان شأنهم فإنه كان لهم حديث عجيب
وعن رجل بلغ مشرق الأرض ومغربها ما خبره وعن الروح قال فسألوا النبي صلى الله عليه
وسلم فقال أخبركم بما سألتكم غدا ولم يقل إن شاء الله فابتدأ الوحي قال بجاهد إنني عشرة يوما
وقيل أربعين يوما وأهل مكة يقولون قد وعدنا محمد غدا وقد أصبحنا لا ننجبرنا بشيء حتى
حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكث الوحي وشق عليه ما يقوله أهل مكة ثم نزل
جبريل عليه السلام بقوله تعالى «ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله» ونزل
في الفتية «أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا» ونزل فيمن بلغ المشرق
والمغرب قوله ويستلونك عن ذي القرنين ونزل في الروح ويستلونك عن الروح قل الروح

إلا أن يشاء الله ونزل في الفتية أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا ونزل فيمن بلغ الشرق والغرب
ويستلونك عن ذي القرنين ونزل في الروح ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي واختلقت في الروح الذي وقع السؤال
عنه فروى عن ابن عباس أنه جبريل وهو قول الحسن وقادة وروى عن علي أنه قال ملك له سبعون ألف وجه لكل وجه سبعون
ألف لسان يسبح الله تعالى بكلماتها وقال بجاهد خلق على صور بني آدم لهم أيد وأرجل وروس وأيسوا بملائكة ولا ناس
يأكلون الطعام وقال سعيد بن جبير لم يخلق الله تعالى خلقا أعظم من الروح غير العرش لو شاء أن يتبع السموات السبع
والأرضين السبع ومن فيها بلقمة واحدة لعل صورة خلقه على صورة خلق الملائكة وصورة وجهه على صورة آدميين يقوم
يوم القيامة عن يمين العرش وهو أقرب الخلق إلى الله عز وجل اليوم عند الحجب السبعين وأقرب إلى الله يوم القيامة وهو ممن
يشنع لأهل التوحيد ولولا أن بينه وبين الملائكة ستران نور لا حترق أهل السموات من نوره وتبيل الروح هو القرآن وقيل
المراد منه عيسى عليه السلام فإنه روح الله وكلمته ومعناه أنه ليس كما يقوله اليهود ولا كما يقوله النصارى وقال قوم هو الروح

المركب في الخلق الذي يحيى به الإنسان وهو الأصح وتكلم فيه قوم فقال بعضهم هو الدم الأرى أن الحيوان إذا مات لا يفوت منه شيء إلا الدم وقال قوم هو نفس (١٨٢) الحيوان بدليل أنه يموت باحتباس النفس وقال قوم هو عرض وقال

قوم هو جسم لطيف وقال بعضهم الروح معنى اجتماع فيه النور والطيب والعلو والعلم والبقاء ألا ترى أنه إذا كان موجودا يكون الإنسان موصوفا بجميع هذه الصفات فإذا خرج ذهب الكل وأولى الأقاويل أن يوكل علمه إلى الله عز وجل وهو قول أهل السنة قال عبد الله بن بريدة أن الله لم يطلع على الروح ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا وقوله عز وجل قل الروح من أمر ربي قيل من علم ربي (وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) أي في جنب علم الله قبل هذا خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم وقيل خطاب لليهود لأنهم كانوا يقولون أوتينا التوراة وفيها العلم الكثير وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلم معنى الروح ولكن لم يخبر به أحدا لأن ترك أخباره به كان علما لنبوته والأول أصح لأن الله عز وجل استأثر بعلمه قوله تعالى (ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك) ومعناه أنا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك إن شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه من الصدور والمصاحف فلم نترك له آرا وبيوت كما كنت ماندرى ما الكتاب (ثم لا نجد لك به علينا وكبيلا) معناه لا نجد بعد الذهاب به من يتوكل علينا باسترداده عليك وإعادته محفوظا مستورا (إلا رحمة من ربك) معناه إلا أن يرحمك ربك فيرده عليك وقيل هو على الاستثناء المنقطع معناه لكن رحمة من ربك تركته غير مذهب وهو كلام الله عز وجل. قلت المراد منه محو ما في المصاحف وإذهاب ما في الصدور وقال عبد الله بن مسعود أقرءوا القرآن قبل أن يرفع فانه لا تقوم الساعة حتى يرفع وقيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسرى عليه إلا لا يرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئا ولا يجدون مما في المصاحف شيئا ثم يفيضون في الشعر

معناه أنا كما منعنا علم الروح عنك وعن غيرك لو شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك يعني القرآن ثم لا نجد لك به علينا وعن وكبيلا) أي من يتوكل برد القرآن إليك (إلا رحمة من ربك) هذا استثناء منقطع معناه ولكن لا نشاء ذلك رحمة من ربك

(إن فضله كان عليك كبيرا) فإن قيل كيف يذهب القرآن وما كلام الله عز وجل قبل المراد منه محوه من المصاحف وإذهاب ما في الصدور وقال عبد الله بن مسعود: أقرموا القرآن قبل أن يرفع فإنه لا تقوم الساعة حتى يرفع. قيل هذه المصاحف ترفع فكيف بما في صدور الناس قال يسري عليه ليلا يرفع ما في صدورهم فيصبحون لا يحفظون شيئا ولا يجدون في المصاحف شيئا ثم يقرضون في أشعروا عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ولما يوم الساعة حتى يرجع القرآن من حيث نزل له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول الرب مالك وهو أعلم فيقول يارب أنتى ولا يعمل بي قوله جل وعلا (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) لا يقدر على ذلك (ولو كان بعضهم) (١٨٣) لبعض ظهورها (عونا ومظاهرا) نزلت حين قال الكفار لو

نشاء لقنمنا هذا فكذبهم الله تعالى فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات المبالغة لا يشبه كلام الخلق لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقا لأتوا بمثله قوله عز وجل (ولقد صرفنا غير مخلوق) لأنه لا يشبه كلام الخلق لأنه غير مخلوق ولو كان مخلوقا لأتوا بمثله قوله عز وجل (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) من كل وجه من العبر والأحكام والوعود والوعيد والقصص وغيرها (فأني أكثر كفووا) جحدوا وقالوا لن نؤمن لك (لن نصدقك) حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) قرأ أهل الكوفة ويعقوب تفجر بفتح التاء وضم الجيم مخفقا لأن ينبوع واحد وقرأ الباقون

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال ولا تقوم الساعة حتى يرفع القرآن من حيث نزل له دوى حول العرش كدوى النحل فيقول الرب مالك فيقول يارب أنتى ولا يعمل بي (إن فضله كان عليك كبيرا) أي بسبب بقاء العلم والقرآن عليك وجهك سيد ولد آدم وختم النبيين بك وإعطائك المزام المحمود. قوله سبحانه وتعالى (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) أي لا يقدر على ذلك (ولو كان بعضهم لبعض ظهورها) أي نزلت حين قال المشركون لو نشاء لقنمنا مثل هذا فكذبهم الله عز وجل فالقرآن معجز في النظم والتأليف والإخبار عن الغيوب وهو كلام في أعلى طبقات البلاغة لا يشبه كلام الخلق لأنه كلام الخالق وهو غير مخلوق ولو كان مخلوقا لأتوا بمثله. قوله عز وجل (ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) أي رددنا وكررنا من كل معنى هو كالمثل في غرابه وحسنه وأبيل معناه من كل وجه من العبر والأحكام والوعود والوعيد والقصص وغيرها (فأني أكثر الناس إلا كفورا) أي جحدوا. قوله سبحانه وتعالى (وقالوا لن نؤمن لك) أي لن نصدقك (حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) لما تبين إعجاز القرآن وانقضت إياه معجزات أخر وبينات ولزمهم الحجة وغلوا أخلوا يتغالون باقتراح الآيات فقالوا لن نؤمن لك روى عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والضرب بن الحرث وأبا البختري بن هشام والأسود بن عبد المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنها ابني الحجاج اجتمعوا بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلوه وخصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلوك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن أنه بداهم في أمره بدء وكان حربصا يحب رشدهم حتى جلس إليهم فقالوا يا محمد إنا بعثنا إليك لتعذر فيك وإنا والله لانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعيت الدين وسفهت الأحلام وشتمت لإلهة وفرقت الجماعة وما بقي من قبيح إلا وقد جثته فيما بيننا وبينك فان كنت جثت بهذا الحديث تطلب به مالا جهنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا وإن كنت تريد الشرف

بالشديد من التفجير وانفقوا على تشديد قوله فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا لأن الأنهار جمع والتشديد يدل على التكثير ولقوله تفجيرا من بعد وروى عكرمة عن ابن عباس أن عتبة وشيبة ابني ربيعة وأبا سفيان بن حرب والضرب بن الحرث وأبا البختري بن هشام والأسود بن عبد المطلب وزمعة بن الأسود والوليد بن المغيرة وأبا جهل بن هشام وعبد الله بن أبي أمية وأمية بن خلف والعاص بن وائل ونبيها ومنها ابني الحجاج اجتمعوا ومن اجتمع معهم بعد غروب الشمس عند ظهر الكعبة فقال بعضهم لبعض ابعثوا إلى محمد فكلوه وخصموه حتى تعذروا فيه فبعثوا إليه أن أشراف قومك قد اجتمعوا لك ليكلوك فجاءهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سريعا وهو يظن أنه بدأهم في أمره بدء وكان عليهم حربصا يحب رشدهم حتى جلس إليهم فقالوا يا محمد إنا بعثنا إليك لتعذر فيك وإنا والله لانعلم رجلا من العرب أدخل على قومه

ما أدخلت على قومك لقد شتمت الآباء وعبت الدين وسفهت الأحلام وشتمت الأئمة وفرقت الجماعة فما بقي أمر فيسبح
إلا وقت جنته فيما بينك وبيننا فإن كنت جئت بهذا الحديث تطلب به مالا جعلنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا
وإن كنت تطلب الشرف سودناك علينا وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الأمر الذي بك رثى تراه حتى قد
غلب عليك لا نستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه أو نعدرك فيك وكانوا يسمون التابع من الجن الرثى
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قولون ما جئتمكم بما جئتمكم به لطلب أموالكم ولا الشرف عليكم ولا الملك عليكم
ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة

(١٨٤)

رسولنا علينا وإن كنت تريد ملكا ملكناك علينا وإن كان هذا الذي بك رثى تراه قد غلب
عليك لا نستطيع رده بذلنا لك أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه ونعدرك فيك وكانوا
يسمون التابع من الجن الرثى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قولون ما جئتمكم
بما جئتمكم به لطلب أموالكم ولا للشرف عليكم ولا للملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا
وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم فإن
تقبلوا مني فهو حظكم من الدنيا والآخرة وإن تردوه علي أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني
وبينكم فقالوا يا محمد إن كنت غير قابل متاما عرضنا عليك فقد علمت أنه ليس أحد أضيقت
بلادنا ولا أشد عيشا منا فسل لنا ربك الذي بعثك فليسبر عنا هذه الجبال التي قد ضيقت علينا
ويوسط لنا بلادنا ويفجر لنا فيها الأنهار كأنهار الشام والعراق وليبعث لنا من مضى من آباؤنا
وليكن منهم قصي بن كلاب فإنه كان شيخا صدوقا فسنألهم عما نقول أحق هو أم باطل
فإن صدقتك صدقتك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا بعثت فبلغتكم ما أرسلت به فإن تقبلوه
فهو حظكم وإن تردوه أصبر لأمر الله تعالى قالوا فإن لم تفعل هذا فسل لنا ربك أن يبعث
ملكنا يصدقك وسله أن يجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من ذهب وفضة يعينك بها على
ما تريد فإنك تقوم بالأسواق وتشمس المعاش كما نلتهم فقال ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني
بشيرا ونذيرا قالوا فأسقط السماء كما زعمت إن ربك إن شاء فعل فقال ذلك إلى الله إن شاء
فعل ذلك بكم وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام معه عبد الله بن أبي أمية وهو ابن عمته عاتكة بنت
عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فم تزلنا منهم ثم سألوك لأنفسهم
أمورا يعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم
تفعل فوالله ما أؤمن لك أبدا حتى تتخذ إلى السماء مرقى ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها فتأتي بفسخة
منشورة معك ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وأيم الله لو فلت ذلك لظننت أن
لا أصدقك فأنصرت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا لما رأى من مبعثهم فأنزل الله تعالى :
« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أي عيوننا

رثى ونصحت لكم فإن
تقبلوا مني فهو حظكم
في الدنيا والآخرة وأن
تردوه علي أصبر لأمر
الله حتى يحكم الله بيني
وبينكم فقالوا يا محمد إن
كنت غير قابل منا
ما عرضنا عليك فقد
علمت أنه ليس أحد
أضيقت منا بلادنا ولا أشد
عيشا منا فسل لنا ربك
الذي بعثك فليسبر عنا
هذه الجبال التي قد
ضيقت علينا ويوسط لنا
بلادنا ويفجر فيها أنهارا
كأنهار الشام والعراق
وليبعث لنا من مضى
من آباؤنا وليكن منهم
قصي بن كلاب فإنه كان
شيخا صدوقا فسنألهم
عما نقول أحق هو أم
باطل فإن صدقتك
صدقتك فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم

ما هذا بعثت فقد بلغتكم ما أرسلت به فإن تقبلوه مني فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه أصبر
لأمر الله قالوا فإن لم تفعل هذا فسل لنا ربك أن يبعث لنا ملكا يصدقك وسله أن يجعل لك جنات وقصورا وكنوزا من ذهب
وفضة يعينك بها عما تراك فإنك تقوم بالأسواق وتشمس المعاش كما نلتهم فقالوا ما بعثت بهذا ولكن الله بعثني بشيرا
ونذيرا قالوا فأسقط السماء كما زعمت أن ربك لو شاء فعل فقال ذلك إلى الله إن شاء فعل فقال ذلك إلى الله إن شاء
فعل ذلك بكم وقال قائل منهم لن نؤمن لك حتى تأتينا بالله والملائكة قبيلا فلما قالوا ذلك قام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقام معه عبد الله بن أبي أمية وهو ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال يا محمد عرض عليك قومك ما عرضوا فم تزلنا
منهم ثم سألوك لأنفسهم أمورا يعرفون بها منزلتك من الله فلم تفعل ثم سألوك أن تعجل ما تخوفهم به من العذاب فلم
تفعل فوالله ما أؤمن لك أبدا حتى تتخذ إلى السماء مرقى ترقى فيه وأنا أنظر حتى تأتيها فتأتي بفسخة منشورة معك
ونفر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وأيم الله لو فلت ذلك لظننت أن لا أصدقك فأنصرت رسول الله صلى الله عليه وسلم
إلى أهله حزينا لما رأى من مبعثهم فأنزل الله تعالى : « وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا ، أي عيوننا

أبدا حتى تتخذ إلى السماء صلما ترقي فيها وأنا أنظر حتى تأتيها وتأتي بلسخة منشورة معك ولقر من الملائكة يشهدون لك بما تقول وأيم الله لو فعلت ذلك لظننت أن لا صدقك ، فأنصرت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله حزينا لما رأى من مبادئهم فأنزل الله تعالى وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض يعني أرض مكة ينبوعا أي عيوننا (أو تكون لك جنة) بستان (من نخيل وعنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا) تشقيقا (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بفتح السين أي قطعها وهي جمع كسفة وهي القطعة والجانب مثل كسرة وكسرو قرأ الآخرون بسكون السين على التوحيد وجمعه أكساف وكسوف أي تسقطها طبقا واحدا وقيل أراد جانبها علينا وقيل معناه أيضا القطع وهي جمع التكسير مثل سدرة وسدر وفي الشعراء وسبا كسفا بالفتح حفص وفي الروم ساكنة أبو جعفر وابن عامر (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) قال ابن عباس كقبلا أي يكفلون بما تقول وقال الضحاك (١٨٥) ضامنا وقال مجاهد هو جمع

القبيلة أي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة وقال قتادة عيانا أي نراهم متابلة أي معاينة وقال الفراء هو من قول العرب لقبيت فلانا قبيلة وقبيلة أي معاينة (أو يكون لك بيت من زخرف) أي من ذهب وأصله الزينة (أو ترقى) أي تصعد (في السماء ولن نؤمن لرقيك) حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) أمرنا فيه باتباعك وهذا قول عبد الله بن أبي أمية (ولن نؤمن لرقيك) لصعودك (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) أمرنا فيه باتباعك (سبحان ربنا) وقرأ ابن كثير وابن عامر قال يعني محمدا وقرأ الآخرون على الأمر أي قل يا محمد (هل كنت

(أو تكون لك جنة من نخيل وعنب) أي بستان فيه نخيل وعنب (فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا) أي تشقيقا (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) أي قطعها (أو تأتي بالله والملائكة قبيلا) قال ابن عباس كقبلا أي يكفلون بما تقول وقيل هو جمع القبيلة أي بأصناف الملائكة قبيلة قبيلة يشهدون لك بصحة ما تقول وقيل معناه نراهم مقابلة عيانا (أو يكون لك بيت من زخرف) أي من ذهب وأصله الزينة (أو ترقى) أي تصعد (في السماء ولن نؤمن لرقيك) أي لأجل رقيك (حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه) أمرنا فيه باتباعك وهذا قول عبد الله بن أبي أمية (قل) أي قل يا محمد (سبحان ربنا) أمره بتزييه وتمجيده وفيه معنى التعجب (هل كنت إلا بشرا رسولا) أي كسائر الرسل لأنهم وكان الرسل لا يؤتون قومهم إلا بما يظهره الله عليهم من الآيات فإين أمر الآيات إليهم وإنما هو إلى الله تعالى وأراد أن ينزل ما طلبوا لفعل ولكن لا ينزل الآيات على ما اقترحه البشر وما أنا إلا بشر وليس ما سألتم في طوق البشر واعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه وما أشبهها من الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي أعزهم مما اقترحوه والقوم عامتهم كانوا متعتين ولم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد الله تعالى عليهم سؤالهم قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) أي الوحي والمعنى وما منعهم الإيمان بالقرآن ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم إلا شبهة تلجلجت في صدورهم هي إنكارهم أن يرسل الله البشر وهو قوله تعالى (إلا أن قالوا) أي جهلا منهم (أبعث الله بشرا رسولا) وذلك أن الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لأنك بشر وهلا بعث الله إلينا ملكا فأجابهم الله بقوله (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنن) أي مستوطنين مقيمين فيها (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) أي من جنسهم لأن الجففس إلى الجففس أميل (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) أي على أي رسوله إليكم وإني قد بلغت ما أرسلت به إليكم وإنكم كذبتهم وعدتكم (إنه كان بعباده) يعني المنادين والمنذرين (خبيرا بصيرا) أي عالما بأحوالهم فهو مجازيهم وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ووعد للكفار (ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه)

(٢٤ - خازن بالغوى - رابع) (إلا بشرا رسولا) أمره بتزييه وتمجيده على معنى أنه لو أراد أن ينزل ما طلبوا لفعل ولكن الله لا ينزل الآيات على ما يقترحه البشر وما أنا إلا بشر وليس ما سألتم في طوق البشر واعلم أنه الله تعالى قد أعطى النبي صلى الله عليه وسلم من الآيات والمعجزات ما يغني عن هذا كله مثل القرآن وانشقاق القمر وتفجير العيون من بين الأصابع وما أشبهها والقوم عامتهم كانوا متعتين لم يكن قصدهم طلب الدليل ليؤمنوا فرد الله عليهم سؤالهم قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلا أن قالوا) (أبعث الله بشرا رسولا) أراد أن الكفار كانوا يقولون لن نؤمن لك لأنك بشر وهلا بعث الله إلينا ملكا فأجابهم الله تعالى (قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنن) مستوطنين مقيمين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) من جنسهم لأن القلب إلى الجففس أميل منه إلى غير الجنس (قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم) أي رسوله إليكم (إنه كان بعباده خبيرا بصيرا) ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم أولياء من دونه

يهدونهم (ولحشرهم يوم القيامة على وجوههم) أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا الحسن بن شجاع الصوفى المعروف بابن
الموصلى أبانا أبو بكر بن الهيثم ثنا جعفر بن محمد الصائغ ثنا حسين بن محمد ثنائيفيان عن قتادة عن أنس أن رجلا قال يا رسول
الله كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة قال النبي صلى الله عليه وسلم إن الذى أمشاه على رجله قادر على أن يمشيه على
وجهه وجاء فى الحديث أنهم يتنون بوجوههم كل حذب وشوك (عميا وبكأوصيا) فان قيل كيف وصفهم بأنهم عمى وبكم وصم
وقد قال «ورأى المحرمون النار» وقال (١٨٦) «دعوا هنالك ثبورا» وقال «سمعوا لها تعظيضا وزفيرا» أثبت لهم الرؤية

أى يهدونهم وفيه أيضا تسمية للنبي صلى الله عليه وسلم وهو أن الذين حكم لهم بالإيمان والهداية
وجب أن يصيروا مؤمنين ومن سبق لهم حكم الله بالضلال والجهل استحال أن ينة لمبوا عن ذلك
(ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم) (ق) وعن أنس أن رجلا قال يا رسول الله قال الله الذى يحشرون
على وجوههم إلى جهنم أيحشر الكافر على وجهه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس الذى
أمشاه على الرجلين فى الدنيا قادرا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة قال قتادة حين بلغه بلى
وعزة ربنا وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة
أصناف صنفا مشاة وصنفا ركباناً وصنفا على وجوههم قيل يا رسول الله وكيف يحشرون على
وجوههم قال إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما إنهم يتنون
بوجوههم كل حذب وشوك» أخرجه الترمذى الحذب كل ما ارتفع من الأرض (عميا وبكأ وصم)
وقد قال الله تعالى «ورأى المحرمون النار» وقال «دعوا هنالك ثبورا» وقال «سمعوا لها تعظيضا وزفيرا»
فأثبت لهم الرؤية والكلام والسمع . قلت فيه أوجه أحدها قال ابن عباس معناه عميا لا يبصرون
ما يبصرهم بكما لا ينطقون بحجة صما لا يسمعون ما يبصرهم الوجه الثانى قيل معناه يحشرون على
ما وصفهم الله وتعالى ثم تعاد إليهم هذه الأشياء الوجه الثالث قيل معناه هذا حين يقال لهم
احسنوا فيها ولا تكلمون فيصرون بأجمعهم عميا وبكأ وصما لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون
(أما وهم جهنم كما نخب) أى سكن طيبا وقيل ضعفت وهدأت من غير أن يوجد نقصان فى إبلام
الكفار لأن الله سبحانه وتعالى قال لا يفتقر عنهم وقيل معناه أرادت أن تخبوا (زدناهم سعيرا)
أى وقودا وقيل معناه خبت أى تضجرت جلودهم واحترقت أعينهم إلى ما كانوا عليه وزيد
فى سعير النار لتحرقهم (ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا) لما ذكر الوعيد المتقدم قال ذلك
جزاؤهم بما كفروا يعنى ذلك العذاب جزاؤهم بسبب كفرهم بآياتنا (وقالوا أنذا كنا عظاما
ورفانا أننا لمبعوثون خلقا جديدا) أجابهم الله ورد عليهم بقوله (أو لم يروا أن الله الذى خلق
السموات والأرض) أى فى عظمتها وشدهتها (قادر على أن يخلق مثلهم) أى فى صغرهم وضعفهم
(وجعل لهم أجلا) أى وقتا لعذابهم (لأريب فيه) أى لاشك فيه أنه يأتيهم قبل الموت وقيل
يوم القيامة (فأبى الظالمون إلا كفورا) أى جحودا وعنادا (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة
ربى) أى خزائن نعمه ورزقه وقيل أن خزائن الله غير متناهية والمعنى لو أنكم تملكون من النعم
خزائن لانهاية لها (إذا لمسكنم) أى لبخاتم وحيسم (خشية الإنفاق) والفقر والتفاد وهذا

والكلام والسمع ؛ قيل
يحشرون على ما وصفهم
الله ثم تعاد إليهم هذه
الأشياء وجواب آخر
قال ابن عباس عميا
لا يرون ما يبصرهم بكما
لا ينطقون بحجة صما
لا يسمعون شيئا يبصرهم .
وقال الحسن هذا حين
يساقون إلى الموقف إلى
أن يدخلوا النار . وقال
مقاتل هذا حين يقال
لهم احسنوا فيها ولا
تكلمون يبصرون
بأجمعهم عميا وبكأ وصما
لا يرون ولا ينطقون
ولا يسمعون (أما وهم
جهنم كما نخب) قال
ابن عباس كلما سكنت
أى سكن طيبا وقيل
معناه خبت أى تضجرت
جلودهم وقال قتادة
ضعفت وقيل هو الهدو
من غير أن يوجد نقصان
فى ألم الكفار لأن الله
تعالى قال لا يفتقر عنهم
وقيل كلما خبت أى
أرادت أن تخبوا
(زدناهم سعيرا) أى وقودا
وقيل المراد من قوله

كلما خبت أى تضجرت جلودهم واحترقت أعينهم إلى ما كانوا عليه وزيد فى سعير النار لتحرقهم مبالغة

(ذلك جزاؤهم بأنهم كفروا بآياتنا وقالوا أنذا كنا عظاما ورافنا أننا لمبعوثون خلقا جديدا) فأجابهم الله تعالى فقال (أو لم يروا أن الله
الذى خلق السموات والأرض) فى عظمتها وشدهتها (قادر على أن يخلق مثلهم) فى صغرهم وضعفهم نظيره قوله تعالى «الذى خلق السموات
والأرض أكبر من خلق الناس» (وجعل لهم أجلا) أى وقتا لعذابهم (لأريب فيه) أنه يأتيهم قبل الموت وقيل هو يوم القيامة
(فأبى الظالمون إلا كفورا) أى جحودا وعنادا (قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربى) أى نعمته وقيل رزق ربى (إذا لمسكنم)
لبختم وحيسم (خشية الإنفاق) أى خشية الفاقة قاله قتادة وقيل خشية التفاديقال أنفق الرجل أى ألقى وذهب ماله ونفق الشيء

أى ذهب وقيل لأمسكم عن الإنفاق خشية الفقر (وكان الإنسان قنورا) أى بجيلا ممسكا عن الإنفاق قوله عز وجل (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أى دلالات واضحات فهي الآيات التسع قال ابن عباس والضحاك هي العصا واليد البيضاء والعقده التي كانت بلسانه فحلها وفتى البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال عكرمة وقتادة ومجاهد وعطاء هي الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد والسنون ونقص الثمرات وذكر محمد بن كعب القرظي الطمس والبحر بدل السنين ونقص من الثمرات قال فكان الرجل منهم مع أهله في فراشه وقد صار احجرين والمرأة منهم قائمة تحبز وقد صارت حجرا وقال بعضهم هن آيات الكتاب أخرنا أبو سعيد أحمد بن (١٨٧) إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق

أحمد بن محمد بن إبراهيم
الثعلبي أخبز في الحسن بن
محمد الثقفى أنا هارون
ابن محمد بن هرون
الطاردي أنبأنا يوسف
ابن عبدالله بن ماهان ،
ثنا الوائد الطيالسي ثنا
شعبة عن عمرو بن مرة
عن عبدالله بن مسلمة
عن صفوان بن عسال
المرادى أن يهوديا قال
لصاحبه تعال حتى
نسأل هذا النبي فقال
الآخر لا تنقل نبي فإنه لو
سمع صارت له أربعة أعين
فأقياه فسألاه عن هذه
الآية ولقد آتينا موسى
تسع آيات بينات فقال
لا تشركوا بالله شيئا ولا
تقتلوا النفس التي حرم
الله عز وجل (فقال له
فرعون إني لأظنك يا موسى
مسخورا) قال ابن عباس
مخدوعا وقيل مطبوعا أى
مضروبك وقيل معناه ساحرا
معطى علم السحر فهذه
العجائب التي تفعلها من
سحرك (قال موسى) لقد علمت
(خطابا لفرعون قال ابن عباس
علمه فرعون ولكنه عانده

مبالغة عظيمة في وصفهم بهذا الشيء (وكان الإنسان قنورا) أى ممسكا بجيلا . فان قلت قد يوجد في جفلس الإنسان من هو جواد كريم فكيف وصفه بالبخل قلت الأصل في الإنسان البخل لأنه خلق محتاجا والمحتاج لا بد وأن يجب ما يدفع به عنه ضرر الحاجة ويمسكه لنفسه إلا أنه قد يبود لأسباب خارجة مثل أن يجب المدحة أو رجاء ثواب فثبت بها أن الأصل في الإنسان البخل . قوله تعالى (ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات) أى دلالات واضحات قال ابن عباس هي العصا واليد البيضاء والعقده التي كانت بلسانه فحلها وفتى البحر والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقيل عوض فاق البحر واليد السنون ونقص من الثمرات وقيل الطمس والبحر بدل السنين والنقص قيل كان الرجل منهم مع أهله في القراش وقد صار احجرين والمرأة قائمة تحبز وقد صارت حجرا وقد وروى أن عمر بن عبدالعزيز سأل محمد بن كعب القرظي عن الآيات فذكر منها الطمس فقال عمر هذا يجب أن يكون الفقيه ثم قال يا غلام أخرج ذلك الجراب فأخرجه فاذا فيه بيض مكسر نصفين وجوز مكسر نصفين ونوم وحمص وعلس كلها حجارة وقيل التسع آيات هي آيات الكتاب وهي الأحكام يدل عليه ما روى عن صفوان بن غسان أن يهوديا قال لصاحبه تعال حتى نسأل هذا النبي فقال الآخر لا تنقل نبي فإنه لو سمع صارت له أربعة أعين فأقياه فسألاه عن هذه الآية ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات فقال لا تشركوا بالله شيئا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا تزنوا ولا تأكلوا الربا ولا تسحرروا ولا تمشوا بالبريء إلى سلطان ليقتله ولا تسرفوا ولا تقذفوا المحصنات ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت فقبلا يده وقالوا تشهد إنك نبي قال فما يمنعكم أن تبعوني قالوا إن داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي وإنما نخاف إن اتبعناك أن تقتلنا اليهود (فاسأل) يا محمد (بنى إسرائيل) يجوز الخطاب معه والمراد غيره ويجوز أن يكون مخاطبه وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم (إذ جاءهم) يعنى جاء موسى إلى فرعون بالرسالة من عند الله عز وجل (فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسخورا) قال ابن عباس مخدوعا وقيل مطبوعا أى مضروبك وقيل معناه ساحرا معطى علم السحر فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك (قال موسى) لقد علمت (خطابا لفرعون قال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عانده

إلى سلطان ليقتله ولا تسرفوا ولا تقذفوا المحصنة ولا تفروا من الزحف وعليكم خاصة اليهود أن لا تعدوا في السبت قبلا يده وقالوا تشهد أنك نبي قال فما يمنعكم أن تبعوني قالوا إن داود دعا ربه أن لا يزال في ذريته نبي وإنما نخاف إن اتبعناك أن يقتلنا اليهود قوله عز وجل (فاسأل) يا محمد (بنى إسرائيل إذ جاءهم) موسى يجوز أن يكون الخطاب معه والمراد غيره ويجوز أن يكون مخاطبه عليه السلام وأمره بالسؤال ليتبين كذبهم مع قومهم (فقال له فرعون إني لأظنك يا موسى مسخورا) أى مطبوعا مضروبك قاله الكاظمي وقال ابن عباس مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق وقال الفراء أبو عبيدة ساحرا فوضع المفعول موضع الفاعل وقال محمد بن جرير معطى علم السحر فهذه العجائب التي تفعلها من سحرك (قال موسى) لقد علمت (فقرأ العامة بفتح التاء

فخطابا لفرعون وقرأ الكسائي بضم التاء وروى ذلك عن علي وقال لم يعلم انجيليث أن موسى على الحق ولو علم لآمن ولكن موسى هو الذي علم وقال ابن عباس علمه فرعون ولكنه عاند قال الله تعالى ووجدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلواه وهذه القراءة وهي نصب التاء أصح في المعنى وعليه أكثر القراء لأن موسى لا يخرج عليه بعلم نفسه ولا يثبت عن علي رفع التاء لأنه روى عن رجل من مراد عن علي وذلك الرجل مجهول ولم يتمسك بها أحد من القراء غير الكسائي (ما أنزل هؤلاء) هذه الآيات التسع (لأرب السموات والأرض بصائر) جمع بصيرة أي يبصر بها (وإني لأظنك يا فرعون مشبورا) قال ابن عباس ملعونا وقال مجاهد هالكا وقال قتادة مهلكا وقال القراء أي مصر وفا ممنوعا عن الخير يقال مائترك عن هذا الأمر أي مامنعك وصرفك عنه (١٨٨) (فأراد أن يستغزهم) أي أراد فرعون أن يستغزهم موسى وبني إسرائيل

أي يخرجهم (من الأرض) يعني أرض مصر (فأغرقناه ومن معه جميعا) ونجينا موسى وقومه (وقلنا من بعد من بعده) أي من بعد هلاك فرعون (لبنى إسرائيل اسكنوا الأرض) يعني أرض مصر والشام (فاذا جاء وعد الآخرة) يعني يوم القيامة (جننا بكم لفيما) أي جميعا إلى موقف القيامة والنفيت الجمع الكثير إذا كانوا مختلفين من كل نوع فبهم المؤمن والكافر والبر والفاجر وقيل أراد بوعد الآخرة نزول عيسى من السماء . قوله سبحانه وتعالى (وبالحق أنزلناه وبحق نزل) يعني أنا ما أردنا بانزال القرآن إلا تقريره لاحق فلما أردنا هذا المعنى فكذلك وقع وحصل وقيل معناه وما أنزلنا القرآن إلا بالحق المقتضى لإنزاله وما نزل إلا ملتبسا بالحق لاشتتاله على الهداية إلى كل خير (وما أرسلناك إلا مبشرا) يعني بالجنة للمطيعين (ونذيرا) أي تحوفا بالنار للعاصين . قوله عز وجل (وقرآنه فرقناه) أي فصلناه وبيناه وقيل فرقنا به بين الحق والباطل وقيل معناه أنزلناه نحو ما لم ينزل مرة واحدة بدليل قوله تعالى (لتقرأه على الناس على مكث) أي على تودة وترسل في ثلاث وعشرين سنة (ونزلناه تنزيلا) أي على حسب الحوادث (قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) فيه وعيد وتهديد (إن الذين أوتوا العلم من قبله) قيل هم مؤمنوا هل الكتاب الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وأبي ذر وغيرهم (إذا يتلى عليهم) يعني القرآن (يخرون للأذقان) قال ابن عباس أراد بها الوجوه (سجدوا) أي يقعون على الوجوه سجدا (ويقولون سبحان ربنا) أي تعظيما لربنا لأجازه ما وعد في الكتب المنزلة من بركة محمد صلى الله عليه وسلم (إن كان وعد ربنا لمفعولا) أي كائنا واقعا (ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم

وهاهنا لفوا جميعا) وبالحق أنزلناه وبحق نزل) يعني القرآن (وما أرسلناك إلا مبشرا) للمطيعين خشوعا (ونذيرا) للعاصين (وقرآننا فرقناه) قيل أنزلناه نحو ما لم ينزل مرة واحدة بدليل قراءة ابن عباس وقرآننا فرقناه بالتشديد وقراءة العامة بالتخفيف أي فصلناه وقيل بيناه وقال الحسن معناه فرقنا به بين الحق والباطل (لتقرأه على الناس على مكث) أي على تودة وترسل في ثلاث وعشرين سنة (ونزلناه تنزيلا) قل آمنوا به أو لا تؤمنوا) هذا على طريق الوعيد والتهديد (إن الذين أوتوا العلم من قبله) قيل هم مؤمنوا أهل الكتاب وهم الذين كانوا يطلبون الدين قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلموا بعد مبعثه مثل زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان الفارسي وأبي ذر وغيرهم (إذا يتلى عليهم) يعني القرآن (يخرون للأذقان) أي يسقطون على الأذقان قال ابن عباس أراد بها الوجوه (سجدوا) ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا) أي كائنا واقعا (ويخرون للأذقان يبكون) أي يقعون على الوجوه يبكون والبكاء مستحب عند قراءة القرآن (ويزيدهم

زول القرآن (خشوعا) خضوعا لربهم نظيره قوله تعالى وإذا تلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا أخبرنا أحمد ابن عبد الله الصالحى أنا أبو عمرو بن بكر بن محمد المزي ثيا أبو بكر محمد بن عبد الله الجنيد ثنا الحسن بن الفضل البجلي أنا عاصم عن علي بن عاصم ثنا المسعودى هو عبد الرحمن بن عبد الله عن محمد بن عبد الرحمن مولى أبي طلحة عن أبي عيسى بن طلحة عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلبح النار من بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في منخري مسلم أبدا أخبرنا أبو القاسم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري أنا أبو القاسم عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن أنا أبو أحمد بن بكر بن محمد بن حمدان ثنا محمد بن يونس الكرمي أنا نانا عبد الله بن محمد الباهلي ثنا أبو حبيب الغنوي ثنا بهز (١٨٩) بن حكيم عن أبيه عن جده قال سمعت رسول الله صلى

خشوعا) أى خضوعا لربهم وقيل يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين فالبكاء مستحب عند قراءة القرآن عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يلبح النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع ولا يجتمع على عبدى غبار في سبيل الله ودخان جهنم أخرجه الترمذي والنسائي وزاد النسائي في منخري مسلم أبدا الولوح الدخول والمنخر الأنف عن ابن عباس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عيناك لا تسهما النار عين بكى من خشية الله وعين باتت تحرس في سبيل الله أخرجه الترمذي قوله عز وجل (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فجعل يقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال أبو جهل إن محمدا يهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين فأنزل الله هذه الآية ومعناه أنهم إسمان لله تعالى فسموه بهذا الإسم أو بهذا الإسم (أياما تدعوا) ماصلة ومعناه أى هذين الاسمين سميتم وذكرتم أومن جميع أسماءه (فله الأسماء الحسنى) يعنى إذا حسنت أسماءه كلها فهذان الإسمان منها ومعنى كونها حسنى أنها مشتملة على معاني التقديس والتعظيم والتمجيد (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) (ق) عن ابن عباس في قوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مخنفت بمكة وكان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تبارك وتعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك أى بقراءتك فيسمع المشركون فسبوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم وابتغ بين ذلك سبيلا زاد في رواية وابتغ بين ذلك سبيلا أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقيل نزلت الآية في الدعاء وهو قول عائشة والنخعي ومجاهد ومكحول (ق) عن عائشة ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قالت نزل ذلك في الدعاء وقيل كان أعراب من بني تميم إذا سلم رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا اللهم ارزقنا مالا وولدا يجهرون بذلك فأنزل الله عز وجل ولا تجهر بصلاتك أى لا ترفع صوتك بقراءتك ودعواتك ولا تخافت بها الخفاضة خفض الصوت والسكوت (وابتغ) أى اطلب (بين ذلك سبيلا) أى طريقا وسطا بين الجهر والاختفاء عن أبي قتادة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وحرمت النار على ثلاثة أعين عين بكى من خشية الله وعين سهرت في سبيل الله وعين غضت عن محارم الله قوله جل وعلا (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) قال ابن عباس سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ذات ليلة فجعل يبكي ويقول في سجوده يا الله يا رحمن فقال أبو جهل إن محمدا يهانا عن آلهتنا وهو يدعو إلهين فأنزل الله تعالى هذه الآية ومعناه أنهما إسمان لواحد (أياما تدعوا) قبل ماصلة معناه أياتدعوا من هذين الاسمين ومن جميع أسماءه (فله الأسماء الحسنى) ولا تجهر بصلاتك

ولا تخافت بها) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا نانا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أنا يعقوب بن إبراهيم ثنا هشيم ثنا أبو بشر عن معبد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها قال نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم مخنفت بمكة كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن فاذا سمعه المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به فقال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ولا تجهر بصلاتك أى بقراءتك فيسمع المشركون فسبوا القرآن ولا تخافت بها عن أصحابك فلا تسمعهم (وابتغ بين ذلك سبيلا) وهذا الإسناد عن محمد بن إسماعيل قال ثنا مسدد عن هشيم عن أبي بشر بإسناده مثله وزاد وابتغ بين ذلك سبيلا أسمعهم ولا تجهر حتى يأخذوا عنك القرآن وقال قوم نزلت الآية في الدعاء وهو قول عائشة رضى الله عنها والنخعي ومجاهد ومكحول أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد

ابن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا طاق بن غنم ثنا زائدة عن هشام عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها
 «ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها» قالت نزل ذلك في الدعاء وقال عبد الله بن شداد كان أعراب من بني تميم إذا سلم النبي ﷺ
 قالوا اللهم ارزقنا ما لا وولدا فيجهرون بذلك فأنزل الله هذه الآية ولا تجهر بصلاتك أي لا ترفع صوتك بقراءةك أو بدعائك
 ولا تخافت بها والخافتة خفض الصوت والسكوت وابتغ بين ذلك سبيلا أي بين الجهر والإخفاء أخبرنا أبو عثمان سعيد بن
 إسماعيل الضبي أنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الخزازي أنا أبو العباس محمد بن أحمد الخبزي ثنا أبو عيسى الترمذي ثنا محمود
 ابن غيلان ثنا يحيى بن إسماعيل ثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الله بن أبي رباح الأنصاري عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال
 لأبي بكر ومررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض صوتك فقال إني أسمت من ناجيت فقال ارفع قليلا وقال لعمر مررت
 بك وأنت تقرأ وأنت ترفع صوتك فقال إني أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان فقال اخفض قليلا (وقيل الحمد لله الذي لم يتخذ
 ولدا) أمر الله نبيه صلى الله (١٩٠) عليه وسلم بأن يحمده على وحدانيته ومعنى الحمد لله هو الثناء عليه بما هو أهله

قال الحسين بن الفضل
 معناه الحمد لله الذي
 عرفني أنه لم يتخذ ولدا
 (ولم يكن له شريك
 في الملك ولم يكن له ولي
 من الدن) قال مجاهد لم
 يذل حتى يحتاج إلى ولي
 يتعزز به (وكبره
 تكبيرا) أي وعظمه عن
 أن يكون له شريك أو
 ولي أخبرنا الإمام أبو علي
 الحسين بن محمد القاضي
 أنا الإمام أبو الطيب
 سهل بن محمد بن سليمان
 ثنا أبو العباس الأصم
 ثنا محمد بن إسماعيل
 الصفاني ثنا نصر بن حماد
 أبو الحرث الوراق ثنا

مررت بك وأنت تقرأ القرآن وأنت تخفض من صوتك فقال إني أسمت من ناجيت فقال
 ارفع قليلا وقال لعمر مررت بك وأنت تقرأ وأنت ترفع من صوتك فقال إني أوقظ الوسنان
 وأطرد الشيطان فقال اخفض قليلا أخرجه الترمذي (وقيل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا) أمر
 الله نبيه صلى الله عليه وسلم بأن يحمده على وحدانيته وقيل معناه الحمد لله الذي عرفني أنه لم
 يتخذ ولدا وقيل إن كل من له ولد فهو يمسك جميع النعم لولده وإذا لم يكن له ولد أفاض
 نعمه على عبيده وقيل إن الولد يقوم مقام والده بعد انقضائه والله عز وجل يتعالى عن جميع
 النقائق فهو المستحق لجميع الخامد (ولم يكن له شريك في الملك) والسبب في اعتبار هذه
 الصفة أنه لو كان له شريك لم يكن مستحقا للحمد والشكر وكذا قوله (ولم يكن له ولي من
 الدن) ومعناه أنه لم يذل فيحتاج إلى ناصر يتعزز به (وكبره تكبيرا) أي وعظمه عن أن يكون
 له ولد أو شريك أو ولي وقيل إذا كان منزها عن الولد والشريك والولي كان مستوجبا لجميع
 أنواع الخامد عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أول ما يدعى إلى الجنة
 يوم القيامة الذين يحمدون الله في السراء والضراء» عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم الحمد لله رأس الشكر ماشكر الله عبد لا يحمده» عن جابر بن عبد الله أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال «إن أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل الذكر لا إله إلا الله» أخرجه
 الترمذي وقال حديث حسن غريب عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 «أحب الكلام إلى الله أربع لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضررك بأيمن
 بدأت» أخرجه مسلم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه .

شعبة عن حبيب بن أبي ثابت قال سمعت سعيد بن جبيرة يحدث عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه (تفسير
 وسلم «أول ما يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحمادون الذين يحمدون الله في السراء والضراء» أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي
 أخبرنا أحمد بن عبد الله النعمي أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسن بن بشر أنا إسماعيل بن محمد الصقار أنا
 أحمد بن منصور الرمادي أنا أبو عبد الرزاق عبد الرزاق ثنا معمر بن قنادة أن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمد
 لله رأس الشكر ماشكر الله عبد لا يحمده» أخبرنا أبو الفضل بن زياد بن محمد الحنفي ، أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد
 الأنصاري أنا أبو محمد يحيى بن محمد بن صاعد ثنا يحيى بن خالد بن أيوب الخزومي ، ثنا موسى بن إبراهيم بن كثير بن بشر
 الخزازي الأنصاري عن طلحة بن حراش عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن أفضل الدعاء الحمد لله وأفضل
 الذكر لا إله إلا الله» أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم عبد الله بن أبي محمد بن عبد العزيز
 البغوي ثنا علي بن الجعد ثنا زهير بن منصور عن هلال بن بشار عن الربيع بن خثيم عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم «أحب الكلام إلى الله تعالى أربع لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله لا يضررك بأيمن بدأت» .

(سورة الكهف مكية وهي مائة وإحدى عشرة آية) (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) أتى الله على نفسه بانعامه على خلقه وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لأن إنزال القرآن عليه كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم (ولم يجعل له عوجا قيبا) فيه تقديم وتأخير معناه أنزل على عبده الكتاب قيبا ولم يجعل له عوجا قيبا أى مستقيما قال ابن عباس عدلا وقال (١٩١) الفراء قيبا على الكتب كلها أى

مصدقا لها تامخا لشرائعها

وقال قتادة ليس على

التقديم والتأخير بل معناه

أنزل على عبده الكتاب

ولم يجعل له عوجا ولكن

جعل قيبا قوله عز وجل

ولم يجعل له عوجا أى

مختلفا على ما قال الله

تعالى ولو كان من عند

غير الله لوجدوا فيه

اختلافا كثيرا وقيل

معناه لم يجعله مخلوقا

وروى عن ابن عباس

في قوله قرآنا عربيا غير

ذى عوج أى غير مخلوق

(لينذر بأما شديدا)

أى لينذر ببأس شديد

(من لدنه) أى من عنده

(ويبشر المؤمنين الذين

يعملون الصالحات أن

لهم أجرا حسنا) أى

الجنة (ما كتبت فيه

أبدا) أى مقيمين فيه

(ولينذر الذين قالوا

اتخذ الله ولدا ما لهم به

من علم ولا آياتهم)

أى قالوه عن

(نفس سورة الكهف)

وهي مكية وآياتها مائة وإحدى عشر آية وكلماتها ألف وخمسمائة وسبع وسبعون كلمة

وحرروفها ستة آلاف وثلاثمائة وستون حرفا

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

قوله عز وجل (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) أتى الله سبحانه وتعالى على نفسه بانعامه على خلقه وعلم عباده كيف يشنون عليه ويحملونه على أنجزل نعمائه عليهم وهي الإسلام وما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذى هو سبب نجوتهم وفوزهم وخص رسوله صلى الله عليه وسلم بالذكر لأن إنزال القرآن كان نعمة عليه على الخصوص وعلى سائر الناس على العموم (ولم يجعل له عوجا) أى لم يجعل له شيئا من العوج قط والعوج فى المعانى كالعوج فى الأعيان والمراد نى الاختلاف والتناقض عن معانيه وقبل معناه لم يجعله مخلوقا روى عن ابن عباس فى قوله تعالى (قرآنا عربيا غير ذى عوج) قال غير مخلوق (قيبا) أى مستقيما وقال ابن عباس عدلا وقيل قيبا على الكتب كلها مصدقا لها وتامخا لشرائعها (لينذر بأما شديدا) معناه لينذر الذين كفروا بأما شديدا وهو قوله سبحانه وتعالى يعذاب بئس (من لدنه) أى من عنده (ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا) يعنى الجنة (ما كتبت فيه) أى مقيمين فيه (أبدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم) أى بالولد واتخاذة يعنى أن قولهم لم يصدر عن علم بل عن جهل مفرط. فان قلت اتخذ الله ولدا فى نفسه محال فكيف قيل ما لهم به من علم. قلت انتفاء العلم قد يكون للجهل بالطريق الموصل إليه وقد يكون فى نفسه محالا لا يستقيم تعاق العلم به (ولا آياتهم) أى ولا أسلافهم من قبل (كبرت) أى عظمت (كلمة تخرج من أفواههم) أى هذا الذى يقولونه لانهكهم به عقولهم وفكرهم البتة لكونه فى غاية الفساد والبطلان فكأنه يجرى على لسانهم على سبيل التقايد (إن يقولون إلا كذبا) أى ما يقولون إلا كذبا قيل حقيقة الكذب أنه الخبر الذى لا يطاق الخبر عنه وزاد بعضهم مع علم قائله أنه غير مطابق وهذا القيل باطل لأن الله سبحانه وتعالى وصف قولهم بالآيات الولد بكونه كذبا مع أن الكثير منهم يقولون ذلك ولا يعلمون كونه باطلا فعلمنا أن كل خبر لا يطاق الخبر عنه فهو كذب والكذب خلاف الصدق وقيل هو الانصراف عن الحق إلى الباطل ورجل كذاب وكذوب إذا كان كثير الكذب. قوله عز وجل (فلعلك باخع نفسك) أى قاتل نفسك (على آياتهم) أى من بعدهم (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) يعنى القرآن (أسنا) أى حزنا وقيل غيظا (إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة ذا) أى ما يصلح أن يكون زينة

جهل لاعن علم (كبرت) أى عظمت (كلمة) نصب على التمييز يقال تقديره كبرت الكلمة كلمة وقيل من كلمة فحذفت من

فانصب (تخرج من أفواههم) أى تظهر من أفواههم (إن يقولون) أى يقولون (إلا كذبا فلعلك باخع نفسك) قاتل نفسك (على

آياتهم) من بعدهم (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) أى القرآن (أسنا) أى حزنا وقيل غضبا (إنا جعلنا ماعلى الأرض زينة لها) فإن قيل

أى زينة فى الحيات والعقارب والشبابين قيل فيها زينة على معنى أنها تدل على وحدانية الله تعالى وقال مجاهد أراد به الرجل

خاصة هم زينة الأرض وقيل أراد بهم العلماء والصلحاء وقيل الزينة بالنبات والأشجار والأنهار كما قال حتى إذا أخذت

الأرض زخرفها وازيلت (لنبلوهم) لتختبرهم (أيهم أحسن عملا) أي أصلح عملا وقيل أيهم أترك للدنيا (وإنما لجاعلون ما عليها صعيدا جززا) فالصعيد وجه الأرض ، وقيل هو التراب جززا يابساً أملس لا ينبت شيئا يقال جززت الأرض إذا أكل نباتها قوله تعالى (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أي هم عجب من آياتنا وقيل معناهم ليسوا بأعجب من آياتنا فإن ما خلقت من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم والكهف هو الغار في الجبل واختلفوا في الرقيم قال سعيد بن جبير هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم وهذا أظهر الأقاويل ثم وضعوه على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة فعلى هذا يكون الرقيم بمعنى المرقوم أي المكتوب والرقيم الكتابة وحكى عن ابن عباس أنه قال هو اسم للوادي الذي فيه أصحاب الكهف وعلى هذا هو من رقة الوادي وهو جانبه وقال كعب الأحبار هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه الكهف ثم ذكر الله قصة أصحاب الكهف فقال (إذ أوى الفتية إلى الكهف) أي صاروا إليه واختلفوا في سبب (١٩٢) مصيرهم إلى الكهف فقال محمد بن إسحاق ومحمد بن يسار مرج أهل

الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطفئت فيهم الملوكة حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكين بعبادة الله وتوحيده فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت وقتل من مخالفه وكان ينزل قري الروم ولا يترك في قرية نزلها أحد إلا فتنه حتى يعبد الأصنام ويذبح للطواغيت أو

لها ولأهلها من زخرفت الدنيا وما يستحسن منها وقيل يعني النبات والشجر والأنهار وقيل أراد به الرجال خاصة فهم زينة الأرض وقيل أراد به العلماء والصلحاء وقيل جميع ما في الأرض هو زينة لها . فإن قلت أي زينة في الحيات والمعقارب والشياطين . قلت ينبتا كونها تدل على وحدانية الله تعالى وكمال قدرته وقيل إن جميع ما في الأرض ثلاثة معدن ونبات وحيوان وأشرف أنواع الحيوان الإنسان قبيل الأولى أن لا يدخل في هذه الزينة المكلف بدليل قوله تعالى (لنبلوهم) فمن بلو يجب أن لا يدخل في ذلك ومعنى لنبلوهم تختبرهم (أيهم أحسن عملا) أي أصلح عملا وقيل أيهم أترك للدنيا وأزهد فيها (وإنما لجاعلون ما عليها) أي من الزينة (صعيدا جززا) يعني مثل أرض لا نبات فيها بعد أن كانت خضراء معشبة والصعيد وجه الأرض وقيل هو التراب والجزز الأملس اليابس الذي لا ينبت فيه شيء قوله سبحانه وتعالى (أم حسبت) أي أظننت يا محمد (أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أي هم عجب من آياتنا وقيل معناهم ليسوا بأعجب آياتنا فإن ما خلقتنا من السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب منهم والكهف الغار الواسع في الجبل والرقيم هو لوح كتب فيه أسماء أصحاب الكهف وقصصهم ثم وضع على باب الكهف وكان اللوح من رصاص وقيل من حجارة وعن ابن عباس أن الرقيم اسم الوادي الذي فيه أصحاب الكهف وقال كعب الأحبار هو اسم للقرية التي خرج منها أصحاب الكهف وقيل اسم للجبل الذي فيه أصحاب الكهف ثم ذكر الله عز وجل قصة أصحاب الكهف فقال عز من قائل (إذ أوى الفتية إلى الكهف) أي

نزل مدينة أصحاب الكهف وهي أفسوس

صاروا

فلما نزلها كبر على أهل الإيمان فاستخفوا منه وهربوا في كل وجه وكان دقيانوس حين قدمها أمر أن يتبع أهل الإيمان فيجمعوا له واتخذ شرطا من الكفار من أهلها يتبعون أهل الإيمان في أماكنهم فيخربونهم إلى دقيانوس فيخربهم بين القتل وبين عبادة الأوثان والذبح للطواغيت فمنهم من يرغب في الحياة ومنهم من يأتي أن يعبد غير الله فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعباد والقتل فيقتلون ويقطعون ، ثم يربط ما قطع من أجسامهم على سور المدينة من فواحشها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة فلما رأى ذلك الفتية حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من أشرف الروم وكانوا ثمانية نفر بكوا وتضرعوا إلى الله وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والأرض لئن ندعو من دونه إما لقد قلنا إذا شططا إن عبدنا غيره . اكشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة وارفع عنهم هذا البلاء حتى يعلنوا عبادتك فبينما هم على مثل ذلك وقد دخلوا في مصلي لهم أدركهم الشرط فوجدوهم وهم سجود على وجوههم ويكون ويتضرعون إلى الله فقالوا لهم ما خلفكم عن أمر الملك انطلقوا إليه ثم خرجوا فرجعوا أمرهم إلى

دقيانوس فقالوا تجمع الناس للذبح لأثتك وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يستنزهون بك ويعصون أمرك فلما سمع بذلك بعث إليهم
 فألقى بهم تفيض أعينهم من الدمع مغمرة وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح لأنتم الذين تعبد في الأرض وتعملوا
 أنفسكم أموة لسادات من أهل مدينتكم اختاروا إما أن تذبحوا لأنتم وإما أن أتلكم فقال مكساحينا وهو أكبرهم سنا إن لنا لها
 ملاء السوات والأرض عظيمة لن ندعو من دونها إله إلا إله الخلد والتكبير والتسبيح من أنفسنا خالصا أبدا إياه تعبد وإياه
 نسأل النجاة والخير فأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا فاصنع بنا ما بدالك وقال أصحاب مكساحينا لدقيانوس مثل ما قال مكساحينا
 فلما فاء ذلك أمر فزغ عنهم لبوسا كان عليهم من لبوس عظامهم ثم قال سأفرغ لكم فأبجز لكم ما أوعدتكم من العقوبة وما
 يتعنى أن أعجل ذلك لكم ، إلا إنى أراكم شيئا جديدة أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تذكرون فيه
 وتراجعون عقولكم ثم أمر بحلقة كانت عليهم من ذهب وفضة فمزعت عنهم ثم أمرهم فأخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس إلى
 مدينة سوري مدينتهم قريبا منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية خروجهم بادروا قدومه وخافوا إذا قدم مدينتهم أن يذكر بهم
 فأتمروا بينهم أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويترددوا بما بقي ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة
 في جبل يقال له غناوس فيمكثون فيه ويعبدون الله حتى إذا جاء دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم ما شاء فلما قال ذلك
 بعضهم لبعض عد كل فتي منهم إلى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها ثم انطلقوا بما بقي معهم وأتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا
 ذلك الكهف فلبثوا فيه قال كعب الأحبار مروا بكاتب فتبعهم فظنوه فعل ذلك مرارا فقال لهم الكلب يا قوم ما تريدون مني
 لا تخشون جاني أنا أحب أحب الله فناءوا حتى أحرسكم وقال ابن عباس هربوا ليلا من دقيانوس وكانوا سبعة فروا براع معه
 كلب فتبعهم على دينهم وتبعه كلبه فخرجوا من البلد إلى الكهف وهو قريب من البلد قال ابن إسحاق فلبثوا فيه ليس لهم عمل
 إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتكبير والتحميد ابتغاء وجه الله وجعلوا تفقتهم إلى فتي منهم يقال له تمليخا فكان يبتاع لهم
 أرزاقهم من المدينة سرا وكان من أجملهم وأجلدهم وكان إذا دخل المدينة (١٩٣) يضع ثيابا كانت عليه حسانا
 ويأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستاعدون فيها ثم يأخذ ورقة فينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاما
 وشرابا ويتجسس لهم الخبر هل ذكر هو وأصحابه بشيء ثم يرجع إلى أصحابه فلبثوا بذلك ما لبثوا ثم

صاروا إليه ،

(٢٥ - خازن بالقبوى - رابع)

قدم دقيانوس المدينة فأمر عظماء أهلها فذبحوا للطواغيت ففرغ من
 ذلك أهل الإيمان وكان تمليخا بالمدينة يشتري لأصحابه طعامهم فرجع إلى أصحابه وهو بيكي ومنه طعام قليل وأخبرهم أن الجزار
 قد دخل المدينة وأنهم قد ذكروا والله سوا مع عظماء المدينة ففرغوا ووقعوا سجودا يدعون الله ويتضرعون إليه ويتمودون من
 الفتنة ثم إن تمليخا قال لهم يا إخوتاه ارفعوا رؤوسكم وأطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤوسهم وأعينهم تفيض من الدمع
 فطعموا وذلك عند غروب الشمس ثم جاسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله على
 آذانهم النوم في الكهف وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف فأصابه ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون وتفقتهم عند رؤوسهم فلما
 كان من الغد فقدم دقيانوس فتمسهم فلم يجدهم فقال لبعضهم لندساءني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد آمنوا ظنوا إن في
 غضبا عليهم لجهلهم ما جهلوا من أمرى ما كنت لأحمل عليهم إن هم تابوا وعبدوا آلهتى فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق أن
 ترحم قوما فجرة مرده عصاة قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاءوا لرجعوا في ذلك الأجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك
 غضب غضبا شديدا ثم أرسل إلى آبائهم فألقى بهم فسألم عنهم فقال أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا له أما نحن
 فلم نعصك فلم تقتلنا بتوم مرده قد ذهبوا بأموالنا فأهلكوها في أسواق المدينة ثم انطلقوا وارتقوا إلى جبل يدعى بمخلوس فلما
 قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل لا يندرى ما يصنع بالفتية فألقى الله في نفسه أن يأمر بالكهف فيسند عليهم وأراد الله أن يكرمهم
 ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فأمر دقيانوس
 بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم في الكهف يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروا قبرا لهم وهو يظن
 أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفي الله أرواحهم وفاة النوم وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشيتهم ما غشيتهم
 يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم إن رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما اسم أحدهما يندروس والآخر
 روناس اتعرا أن يكتم شأن الفتية وأنسابهم وأسمائهم وخبرهم في لوحين من رصاص ويجعلهما في نابوت من نحاس ويجعلهما

التابوت في البنيان وقالوا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم حين يقرأها
 الكتاب خبرهم ففعلوا وبنياء عليه فبقي دقيانوس مابقي ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك ،
 وقال عبيد بن عمير كان أصحاب الكهف فتيانا مطوقين مسورين ذوى ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا في عهد
 لهم عظيم فيزى وموكب وأخرجوا معهم آهتهم التي يعبدونها وقد قدفت الله في قلوب الفتية الإيمان وكان أحدهم وزير الملك
 فآمنوا وأخفى كل واحد منهم إيمانه فقالوا في أنفسهم نخرج من بين أظهر هؤلاء القوم لا يصيبنا عقاب يجرهمم فخرج شاب
 منهم حتى انتهى إلى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر
 ذلك ثم خرج الآخر فاجتمعوا في مكان فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد بكم صاحبه إيمانه مخافة على نفسه ثم
 قالوا ليخرج كل فتي فيخلو بصاحبه ثم يقشي كل واحد منكم سره إلى صاحبه ففعلوا فاذا هم جميعا على الإيمان وإذا كهف
 في الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأوروا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم
 فناموا ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا ووقفهم قومهم فطلبوهم فعسى الله عليهم آثارهم وكهفهم فكتبوا أسماءهم وأنسابهم
 في لوح فلان وفلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم في شهر كذا في سنة كذا في مملكة فلان بن فلان ووضعوا اللوح في خزانة الملك
 وقالوا ليكون هذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن وقال وهب بن منبه جاء أحد حوارى عيسى عليه السلام إلى مدينة
 أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقبل له إن على بابها صنفا لا يدخلها أحد إلا يسجد له فكره أن يدخلها فأتى حماما قريبا
 من المدينة فكان يؤجر نفسه من الحمام ويعمل فيه ورأى صاحب الحمام في حمامه البركة واجتمع عليه فتية من أهل
 المدينة فجعل يجرهم خبر السماء والأرض وخبر الآخرة حتى آمنوا وصدقوه وكان شرط صاحب الحمام أن الليل لا يحول
 بيني وبينه ولا بين الصلاة أحد وكان على ذلك حتى أتى ابن الملك بامرأة فدخل بها الحمام فغيره الحوارى وقال أنت ابن
 الملك وتدخل مع هذه فاستحيا (١٩٤) وذهب فرجع مرة أخرى فقال له مثل ذلك فسيه وانتهره ولم يلتفت إلى

مقاتته حتى دخلا مدافعا في الحمام وأتى الملك فقبل له قتل صاحب الحمام ابنك فانتس فلم يقدر عليه
 وهرب فقال من كان يصحبه فسوا الفتية فانتسوا فخرجوا من المدينة فرأوا بصاحب لهم على

مثل إيمانهم فانطلق معهم ومعهم كلب حتى آواهم الليل إلى الكهف
 فدخلوه وقالوا نبئت هنا الليلة ثم نصيبح إن شاء الله تعالى قرون وأيام فضرب الله على آذانهم فخرج الملك في أصحابه
 يبتغونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف لما أراد رجل منهم دخوله أربع فلم يظن أحد أن يدخله فقال قائل منهم أليس
 لو قدرت عليهم قتلهم قال بلى قال فإن عليهم باب الكهف واطركهم فيه يموتون جوعا ففعل قال وهب فغير بعد ما سدوا
 عليهم باب الكهف زمان بعد زمان ثم إن راعيا أدركه المطر عند الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف وأدخلت غنمي
 فيه من المطر فأكنهم من المطر فلم يزل يعالجه حتى فتح ورد الله عليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا وقال محمد بن
 إسحاق ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له بيدروس فلما ملك بقي في ما يركه ثمانى وستين سنة فتحزب الناس في
 ملكه فكانوا أحزبا منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فيكفى
 وتضرع إلى الله وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ويقولون لآحياة إلا حياة الدنيا
 وإنما تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد فجعل بيدروس يرسل إلى من يظن فيهم خيرا وأتهم أئمة في الخلق فجعلوا يكذبون
 بالساعة حتى كادوا أن يغولوا الناس عن الحق وملة الحوارين فلما رأى ذلك الملك الصالح دخل بيته وأغلقه عليه ولبس
 مسحاً وجعل تحتة ومادا فجلس عليه فدأب إليه ونهاره زمانا يتضرع إلى الله تعالى ويبكى كاه ويقول أيرب قد ترى
 اختلاف هؤلاء أبعث إليهم آية تبين لهم بطلان ما هم عليه ثم إن الرحمن الرحيم الذي يكره هلكة العباد أراد أن يظهر
 الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعهده
 الصالح ياروس ويتم نعمته عليهم وأن يجمع من كان يتدد من المؤمنين فأتى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي فيه الكهف
 وكان اسم ذلك الرجل أو لباس أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف فيبنى به حظيرة لغنمه فاستأجر غلامين فجعلوا
 ينزعان تلك الحجارة ويبنيان تلك الحظيرة حتى نزعوا ما على فم الكهف وفتحا باب الكهف وحجهم الله عن الناس بالرعب
 فلما فتحا باب الكهف أذن الله ذو القنطرة والسلطان محبي الموتى الفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فرحين مسفرة

وجعلوه مأواهم ،

والفتية

وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعنهم التي كانوا يستيقظون فيها إذا أصبحوا من ليالهم
ثم قاموا إلى الصلاة فصاوا كالأبي كانوا يفعلون لا يرى في وجوههم ولا ألوانهم شيء يذكرونه كهيئتهم حين رقنوا وهم
يرون أن دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفاقهم أبانا ما الذي قال الناس في شأننا عشية أمس
عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم رقنوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد تخيل لإيهم أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون حتى
يتساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبتم نياما قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم ثم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك في
أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا التمستم في المدينة فلم توجدوا وهو يريد أن يؤتى بكم اليوم فتلججون للطواغيت أو يقتلكم فما
شاه الله بعد ذلك فعل فقال لهم مكر لا يبا إخوانه أعلموا أنكم ملاقوا الله فلا تسكروا بعد إيمانكم إذا دعاكم عدو الله ثم
قالوا لتمليخا انطلق إلى المدينة فسمع ما يقال لنا بها وما الذي يذكر عند دقيانوس وتلطف ولا تشعرن بك أحدا وابتع لنا
طعاما فالتنا به وزدنا على الطعام الذي جئنا به فقد أصبحنا جوعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي
كان يتذكر فيها وأخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم والتي ضربت بطابع دقيانوس فكانت كخفاف الربيع والربيع أول
ما ينتج من ولد الضأن في الربيع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بياب الكهف رأى الحجارة مزروعة عن باب الكهف
فعجب منها ثم مر ولم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخفيا بصعدن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه ولا يشعر
أن دقيانوس وأهل قد ملكوا قبل ذلك ثلاث مائة سنة فلما أتى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة
تكون لأهل الإيمان إذ كان الإيمان ظاهرا فيها فلما رآها عجب وجعل ينظر إليها مستخفيا وجعل ينظر يمينا وشمالا ثم
ترك ذلك الباب فتحول إلى باب آخر من أبوابها فرأى مثل ذلك فجعل يتخيل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى
ناسا كثيرا محدثين لم يكن يراهم قبل ذلك فجعل يمشى ويتعجب ويتخيل إليه أنه حيران ثم رجع إلى الباب الذي أتى منه
فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول باليت شعري ما هذا أما عشية (١٩٥) أمس فكان المسلمون يجتوبون
هذه العلامة ويستخفون بها وأما اليوم فإنها ظاهرة لعل نائم ثم يرى أنه ليس بنائم فأخذ كساءه فجعله
على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشى بين ظهراني سوقها فيسمع ناسا يملأون باسم عيسى بن مريم

والفتية جمع فتى

فزاده فرقا ورأى أنه حيران فقام مستندا ظهره إلى جدار من جدر المدينة وقال في نفسه والله ما أدري ما هذا أما
عشية أمس فليس على ظهر الأرض إنسان يذكر عيسى بن مريم إلا قتل وأما الغداة فاستمعهم وكل إنسان يذكر اسم
عيسى ولا يخاف أحدا ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف ، والله ما أعرف مدينة قرب مدينتنا
فقام كالخيران ثم أتى في فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى قال اسمها أفسوس فقال في نفسه لعل في مسا أو أمرا
أذهب عقلي والله يحق لي أن أسرع الخروج منها قبل أن أخزى فيها أو يصيبني شر فأهلك ثم إنه أفاق فقال
والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفتنني لكان أكيس في فداننا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت
معه فأعطاهما رجلا منهم فقال بعني بهذه الورق طعاما فأخذها الرجل فنظر إلى ضرب الورق ونقشها فمعب منها ثم طرحها
إلى رجل آخر من أصحابه فنظر إليها فجعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل ويتعجبون منها ثم جعلوا يتشاورون بينهم
ويقول بعضهم لبعض إن هذا أصاب كئزا حبيبتنا في الأرض منذ زمان ودهر طويل فلما رآهم تمليخا يتشاورون من أجله
فرق فرقا شديدا وجعل يرتعد ويظن أنهم قد قطنوا به وعرفوه وأهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقيانوس وجعل
أناس آخرون يأتونه فيتعرفونه فلا يعرفونه قال لهم وهو شديد الفزق منهم أفضلوا على قد أخذتم ورق فامسكوها وأما
طعامكم فلا حاجة لي به فقالوا له من أنت يا فتى وما شأنك والله لقد وجدت كئزا من كنوز الأولين وأنت تريد أن تخفيه
مننا فانطلق معنا وأرنا وشاركنا فيه نخف عليك ما وجدت فانك إن لم تفعل فأت بك إلى السلطان فنسلمك إليه فيقتلك فلما
سمع قولهم قال في نفسه قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه فقالوا يا فتى إنك والله لا تستطيع أن تكتم ما وجدت فجعل
تمليخا لا يدرى ما يقول لهم وما يرجع لإيهم وفرق حتى ما يخبر إليهم شيئا فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه فطرحوه في
عنقه ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة حتى سمع به من فيها وقيل قد أخذ رجل معه كئزا فاجتمع إليه أهل المدينة صغيرهم
وكبيرهم فجعلوا ينظرون إليه ويقولون والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما رأناه فينا قط وما نعرفه قط فجعل تمليخا

لا يدري ما يقول لهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق فسكت فلم يتكلم وكان مستيقنا أن أباه وإخوته بالمدينة وإن حبه ونسبه من أهل المدينة من عظماء أهلها وأنهم سيأتونه إذا سمعوا به فينا هو قائم كالحيران ينتظر من يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم إذا اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيس المدينة ومدبرها اللذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر طنطيبوس فلما انطلق به إليهما ظن تمليخا أنه ينطلق به إلى دقيانوس الجبار فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما يسخرون من الخبيثين وجعل تمليخا يبكي ثم رفع رأسه إلى السماء فقال في نفسه اللهم إله السماء وإله الأرض أفرغ اليوم على صبرا وأولج معن روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يبكي ويقول في نفسه فرق بيني وبين إخوتي يا ليتهم يعلمون ما تقيت يا ليتهم يأتوني فتقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فإنا كنا توائنا لكوننا معا لا تكفر بالله ولا نشرك به شيئا فرق بيني وبينهم فلن يروني ولن أراهم أبدا وكنا توائنا أن لا تفرق في حياة ولا موت أبدا يحدث به نفسه تمليخا فما يجبر أصحابه حين يرجع إليهم حتى انتهوا إلى الرجلين الصالحين أريوس وطنطيبوس فلما رأى تمليخا أنه لا يذهب به إلى دقيانوس أفاق وذهب عنه البكاء فأخذ أريوس وطنطيبوس الورق فنظر إليها وعجبا منها ثم قال له أحدهما أين الكنز الذي وجدت باقى فقال تمليخا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق آباءى ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأنى وما أقول لكم فقال أحدهما فمن أنت فقال تمليخا أما أنا فنكنت أرى أنى من أهل هذه المدينة فقالوا ومن أبوك ومن يعرفك فيها فأبأهم باسم أبيه فلم يجدا أحدا يعرفه ولا أباه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدرك تمليخا ما يقول لهم غير أنه تكس بصره إلى الأرض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون ، وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحقق نفسه عمدا لكي يفلت منكم فقال له أحدهما ونظر إليه نظرا سديدا أنظن أنا أرسلك وتصدقك بأن هذا مال أبيك ونقش هذا الورق وضربها أكثر من ثلثمائة سنة وإنما أنت غلام شاب أنظن أنك تأسكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شحط كما ترى وحولك سرة (١٩٦) أهل المدينة وولادة أمرها وخزائن هذه البلدة بأيدينا وإيس

عندنا من هذا الضرب درهم ولادينار وإني لأظننى سأمر بك فتعذب عذابا شديدا ثم أوتفك حتى تعرف بهذا الكنز الذى وجدته فلما قال ذلك قال لهم تمليخا أنبئوني عن شئء أسألكم عنه فان فعلتم صدقتم عما عندى قالوا سل لانكنتك شيئا قال لهم ما فعل الملك دقيانوس

قالوا لا نعرف اليوم على وجه الأرض ملك يسمى دقيانوس ولم يكن لإملاك هلك منذ زمان ودهر طويل وهلكت بعده قرون كثيرة فقال تمليخا إني إذا لحيران وما يصدقنى أحد من الناس بما أقول لقد كنا فتية على دين واحد وهو الإسلام وإن الملك أكرهنا على عبادة الأوثان والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فذنا ، فلما انبئنا خرجت لأشترى لهم طعاما وأنجس الأخبار فاذا أنا كما ترون فانطلقوا معي إلى الكهف أريكم أصحابي فلما سمع أريوس ما يقول تمليخا قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم على يدي هذا الذى فانطلقوا بنا معه برنا أصحابه فانطلق مع أريوس وطنطيبوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف ليظفروا إليهم ولما رأى الفتية أصحاب الكهف تمليخا قد احتبس عنهم بطعامهم وشرايبهم عن القدر الذى كان يأتي به ظنوا أنه قد أخذ فذهب به إلى ملكهم دقيانوس فينبأهم بظنون ذلك ويتخوفونه إذ سمعوا الأصوات وجلب الخليل مصعدة نحوهم فظنوا أنهم رسل الجبار دقيانوس بعث إليهم ليؤتى بهم فقاموا إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض وأوصى بعضهم بعضا وقالوا انطلقوا بنا ذات أخانا تمليخا فإنه الآن بين يدي الجبار ينتظر متى نأتيه فينبأهم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهراني الكهف لم يروا إلا أريوس وأصحابه وقفا على باب الكهف وسبقهم تمليخا فدخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم سألوه عن شأنه فأخبرهم وقص عليهم القصة والتبأ كله فمرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على أثر تمليخا أريوس فرأى تابوتا من نحاس مخنوما بختم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجلا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما أن مكسلبينا ومخسلبينا وتمليخا ومرطونس وكشطلونس وبيرونس وديموس وبيطوس والكلب اسمه قطمير كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يقتلهم عن دينهم فدخلوا هذا الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وإذا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمه من بعدهم إن عثر عليهم فلما قرأوه وعجبوا وحمدوا الله الذى أراهم آية البعث فيهم ثم عرفوا

وهو الظرفى من الشباب

(فقالوا)

أصواتهم بحمد الله وتسيبحة ثم دخلوا على الفتية إلى الكهف فوجدوهم جلوسا بين ظهرانيهم مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر أريوس وأصحابه بصودا وحمدوا الله الذي أراهم آية من آياته ، ثم كلم بعضهم بعضا وأبأهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم دقيانوس ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا يريدوا إلى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل لعلك تنظر إلى آية من آيات الله جعلها الله في ملكك وجعلها آية للعالمين لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا للبعث فاعجل إلى فتية بعثهم الله عز وجل وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلاث مائة سنة فلما أتى الملك الخبر رجع إليه عقله ، وذهب عنه غم فقال أحمدك الله رب السموات والأرض وأعبدك وأسبح لك تطولت على ورحمتي لم تنطفئ التور الذي كنت جعلته لآبائي والعبد الصالح بيدروس الملك فلما نبأ به أهل المدينة ركبوا إليه وساروا معه حتى أتوا مدينة أفسوس فنلقاهم أهل المدينة وساروا معه حتى صعدوا نحو الكهف فلما رأى الفتية بيدروس فرحوا به وخروا سجدا على وجوههم وقام بيدروس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه ثم قال الفتية (١٩٧) لييدروس : نستودعك الله

والسلام عليك ورحمة

الله وبركاته حفظك

الله وحفظ ملكك

وفيك باله من ذر

الإنس والجن فيينا

الملك قائم إذ رجعوا إلى

مضاجعهم فناموا وتوفى

الله تعالى أنفسهم وقام

الملك إليهم فجعل

ثيابهم عليهم وأمر أن

يجعل كل رجل منهم

في تابوت من ذهب فلما

أسمى ونام أتوه في المنام

فقالوا له إننا لم نخلق من

ذهب ولا من فضة ولكننا

خلقنا من تراب وإلى

التراب نصير فاتركنا كما

(فقالوا ربنا آتانا من لدك رحمة) أي رحمة من خزائن رحمتك وجلالت فضلك وإحسانك وهب لنا الهداية والنصر والأمن من الأعداء (وهي لنا) أي أصلح لنا (من أمرنا) رشدا أي حتى نكون بسببه راشدين مهديين وقيل معناه واجعل أمرنا رشدا كله

(ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم إليه)

قال محمد بن إسحاق ومحمد بن يسار مرج أمر أهل الإنجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت الملوك حتى عبدوا الأصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله وتوحيده وكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه وكان ينزل قرى الروم فلا يترك في قرية نزل أحد إلا فتنه عن دينه حتى يعبد الأصنام أو يقتله فلما نزل مدينة أصحاب الكهف واسمها أفسوس استخفى منه أهل الإيمان وهربوا في كل وجه فاتخذ شرطا من الكفار وأمرهم أن يتبعوهم فجعل أولئك الشرط يتبعون أهل الإيمان في أما كتبهم ويخرجونهم إلى دقيانوس فيخبرهم بين القتل وبين عبادة الأصنام فنتهم من يرغب في الحياة ومنهم من يبلى أن يعبد غير الله فيقتل فلا رأى ذلك أهل الشدة في الإيمان جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ويقطعون ويجعل ما قطع من أجسادهم على أسوار المدينة وأبوها فلما عظمت الفتنة وكثرت ورأى ذلك الفتية حزنا حزنا شديدا فقاموا واشتغلوا بالصلاة والصيام والصدقة والتسبيح والدعاء وكانوا من أشرف الروم وهم ثمانية نفر وبكوا وتضرعوا إلى الله عز وجل وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والأرض فن ندعو من دونه إلها لقد قلنا إذا شططا ، اكتشف عن عبادك المؤمنين هذه الفتنة

كما في الكهف على التراب حتى يعثنا الله منه فأمر الملك حينئذ بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجبههم الله حين خرجوا من عندهم بالرب فلم يقدر أحد على أن يدخل عليهم فأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عبدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة وقيل إن تملحها لما حمل إلى الملك الصالح قال له الملك من أنت قال أنا رجل من أهل هذه المدينة وذكر أنه خرج أمر أو منذ أيام وذكر منزله وأقوا ما لم يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع أن فتية فقدوا في الزمن الأول وأن أسماءهم مكتوبة على اللوح بالخزانة فدعا باللوحة وقد نظر في أسماءهم فإذا هو من أولئك القوم وذكر أسماء الآخرين فقال تملحها هم أصحابي فلما سمع الملك ذلك ركب ومن معه من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تملحها دهوني حتى أدخل على أصحابي فأبشروهم فأنهم إن رأوكم معي أربعتهم فدخل فبشروهم فقبض الله أرواحهم وأمى عليهم أنهم فلم يهتدوا إليهم مرة ثانية وذلك قوله عز وجل إذ رأى الفتية إلى الكهف أي صاروا إلى الكهف يقال آوى فلان إلى موضع كذا أي اتخذ منزلا إلى الكهف وهو غار في جبل مخولس واسم الكهف خبوم (فقالوا ربنا آتانا من لدك رحمة) ومعنى الرحمة الهداية في الدين وقيل الرزق (وهي لنا) يسر لنا (من أمرنا) رشدا أي ما لتؤمن من خير رضاك وما فيه رشدا .

وأرفع عنهم البلاء حتى يعملوا عبادتك ، فبينما هم على ذلك وقد دخلوا مصلاهم أدركهم الشرط فوجدوهم سجودا يبكون ويتضرعون إلى الله عز وجل فقال لهم الشرط ماخطبكم عن أمر الملك ثم انطلقوا إلى الملك فأخبروه بخبر الفتية فبعث إليهم فأتى بهم تقيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب فقال لهم ما منعكم أن تشهدوا الذبح لآلهتنا التي تعبد في الأرض وتجعلوا أنفسكم أسوة أهل مدينتكم اختاروا إما أن تذبحوا لآلهتنا وإما أن أقتلكم فقال مكسبا بنا وهو أكبرهم إن لنا إلهة ملء السموات والأرض عظمته لن ندعوا من دونه إله أبدا له الحمد والشكر من أنفسنا خالصا أبدا إياه نعبد وإياه نسأل النجاة والخير فأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا اصنع بنا ، ابدا لك وقال أصحابه مثل ذلك فلما سمع الملك كلامهم أمر بزئع ثيابهم وحلية كانت عليهم من الذهب والفضة وقال سأفرغ لكم وأجز لكم ما أوعدتمكم من العقوبة وما معنى أن أعجل ذلك لكم إلا أني أراكم شبانا حديثي أمتانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تذكرون فيه فترجعون إلى عقولكم ثم أمرهم فأخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس إلى مدينة أخرى قريبة منه لبعض أموره فلما رأى أئمة خروجه يادروا وخافوا إذا قدم أن يذكروهم فأتمروا بينهم وانفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقي ثم ينطلقوا إلى كهف قريب من المدينة في جبل يقال له ينجاوس (١) فيسكنوا فيه ويعبدوا الله حتى إذا جاء دقيانوس أنه فيصنع بهم ما يشاء فلما انفقوا على ذلك عمد كل فتي منهم إلى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها وانطلقوا بما بقي معهم وأتبعهم كلب كان لهم حتى أتوا ذلك الكهف فسكنوا فيه وقال كعب الأحبار مروا بكلب فتبعهم فطرده فعدا ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ما تريدون متى لا تخشوا مني أنا أحب أحب الله عز وجل فناموا حتى أحرسكم وقال ابن عباس هربوا من دقيانوس وكانوا سبعة ففروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم وتبعهم الكلب فخرجوا من البلد إلى الكهف قال ابن عباس فلبثوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد ابتغاء لوجه الله عز وجل وجعلوا نفقتهم إلى فتي منهم اسمه تملبخا فكان يبتاع لهم أرزاقهم من المدينة سرا وكان من أجملهم وأجلدهم وكان إذا دخل المدينة لبس ثيابا رثة كثياب المساكين ثم يأخذ ورقة فينطلق إلى المدينة فيشتري لهم طعاما وشرايبا ويتجسس لهم الخير هل ذكر هو وأصحابه بشيء ثم يرجع إلى أصحابه فلبثوا بذلك ما شاء الله أن يلبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة وأمر عظماء أهلها أن يلبجوا للطواغيت ففرغ من ذلك أهل الإيمان وكان تملبخا بالمدينة يشتري لأصحابه طعاما ففرجهم إلى أصحابه وهو يبكي ومعه طعام قليل فأخبرهم أن الجبار قد دخل المدينة وأنهم قد ذكروا والتسوا مع عظماء المدينة فترعوا ووقعوا سجودا يدعون الله ويتضرعون إليه ورتبه وذون من الفتنة فقال لهم تملبخا يا إخوتاه ارفوا رؤوسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤوسهم وأعينهم تفيض من الدمع وذلك عتة غروب الشمس ثم جالسوا يتحدثون ويلذكرون بعضهم بعضا فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله عز وجل على آذانهم في الكهف وكلهم باسط ذراعيه بباب الكهف فأصابه ما أصابهم وهم مؤمنون موقنون ونفقتهم عند رؤوسهم فلما كان من الغد تفقدتهم دقيانوس واتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض عظماء المدينة لقد سامني شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد ظنوا أن في غضبا عليهم لجهلهم (١) قوامه يتجلوس هكذا في بعض النسخ وفي بعضها جلوس وفي حياة الحيوان منجلوس من هـ .

ما جهلوا من أمرى ما كنت لأجهل عليهم إن هم تابوا وعبدوا آلهتى فقال عظماء المدينة ما أنت
 بخبير أن ترحم قوما فجرة مردة عصاة قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاءوا لرجعوا في ذلك
 الأجل ولسكنهم لم يتوبوا فلما قالوا ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل إلى آبائهم فأنى بهم فقال
 أخبروني عن أبنائكم المردة الذين عصوني فقالوا أما نحن لم نعصك فلم نمتلنا بقوم مردة إنهم
 ذهبوا بأموالنا وأهلكوا في أسواق المدينة ثم انطلقوا إلى جبل يدعى بنجلوس فلما قالوا له
 ذلك خلا سبيلهم وجعل ما يدري ما يصنع بالفتية فألقى الله سبحانه وتعالى في نفسه أن يأمر بسد
 باب الكهف عليهم وأراد الله عز وجل أن يكرمهم بذلك ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم
 وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور فأمر دقيانوس بالكهف فسد
 عليهم وقال دعوهم كما هم في كهفهم يموتون جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذى اختاروه قبرا
 لهم وهو يظن أنهم أبقاظ يعلمون ما يصنع بهم وقد توفى الله عز وجل أرواحهم وفاة نوم وكلهم
 باسط ذراعيه بباب الكهف قد غشبه ما غشبهم يتقلبون ذات اليمين وذات الشمال ثم إن رجلين
 مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتبان إيمانها اسم أحدهما بيدروس واسم الآخر روناس اختا
 أن يكتبتا شأن هؤلاء الفتية وأسماءهم وأنسابهم وأخبارهم في لوحين من رصاص ويجعلهما
 في تابوت من نحاس ويجعل التابوت في البنيان وقال لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين
 قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ الكتاب فعلا ذلك وبينا عليه وبقيا دقيانوس
 ما بقى ثم مات هو وقومه وقرون بعده كثيرة وخلفت الملوكة بعد الملوك وقال عبيد بن عمير كان
 أصحاب الكهف فتينا معاوقين مسورين ذوى ذوائب فخرجوا في عيدهم عظيم في زى وموكب
 وأخرجوا معهم آلهتهم التى كانوا يعبدونها وكان معهم كلب صيدهم وكان أحدهم وزير الملك
 فقدذف الله سبحانه وتعالى الإيمان في قلوبهم فآذوا وأخنى كل واحد إيمانه وقال في نفسه أخرج
 من بين أظهر هؤلاء القوم لثلا يصيبى عقاب بجرههم فخرج شاب منهم حتى انتهى إلى ظل
 شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر قرأه جالساً وحده فرجا أن يكون على مثل أمره وجلس إليه من
 غير أن يظهره على أمره ثم خرج آخر فخرجوا جميعا فاجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم
 وكل واحد بكم إيمانه من صاحبه مخافة على نفسه ثم قالوا ليخرج كل فتية فيخلوا ويفشى
 كل واحد سره إلى صاحبه ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا على الإيمان وإذا الكهف في جبل عظيم
 قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأروا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته فدخلوا الكهف
 ومعهم كلب صيد فاموا ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا فقدم قومهم وطلبوهم فعسى الله عليهم
 آثارهم وكهفهم فكتبوا أسماءهم وأنسابهم في لوح فلان وفلان وفلان أبناء ملوكنا فقددناهم
 في شهر كذا في سنة كذا في مملكة فلان ابن فلان الملك ووضعوا اللوح في خزانة الملك وقالوا
 ليكون هؤلاء شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن قال محمد بن إسحاق ثم ملك أهل
 تلك البلاد رجل صالح يقال له بيدروس فلما ملك بقى ملكه ثمانى وستين سنة فتحزب الناس
 في ملكه فكانوا أحزبا منهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر
 ذلك على الملك الصالح وتضرع إلى الله وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون
 على أهل الحق ويتولون لأحياة الإلحادية الدنيا وإنما تبعث الأرواح دون الأجساد وجعل
 بيدروس الملك يرسل إلى من يظن فيهم خيرا وأتم أئمة في الخلق فلم يقبلوا منه وجعلوا

يكذبون بالساعة حتى كادوا يخرجون الناس عن الحق وملة الحوارين فلما رأى ذلك الملك
 الصالح دخل بيته وأغلق بابه عليه ولبس مسحاً وجعل تحت رماذاً فجلس عليه فدأب ليله
 ونهاره يتضرع إلى الله تعالى ويبكي ويقول رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين
 لهم بطلان ما هم عليه ثم إن الله سبحانه وتعالى الرحمن الرحيم الذي بكره هلكة عباده أراد
 أن يظهر على القبية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا
 أن الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيب لعبده الصالح بيدرؤس ويتم نعمته عليه وأن يجمع من
 كان تدد من المؤمنين فألقى الله سبحانه وتعالى في نفس رجل من أهل ذلك البلد الذي فيه
 ذلك الكهف وكان اسمه أولياس أن يهدم ذلك البنيان الذي على فم الكهف ويبني به حظيرة
 لغنمه فاستأجر غلامين فجعل يزرعان تلك الحجارة وبينان بها تلك الحظيرة حتى نزع ما كان
 على باب الكهف وفتح باب الكهف وحجهم الله تعالى عن الناس بالرعب فلما فتح باب
 الكهف أذن الله سبحانه وتعالى ذو القدرة والسطان محي الموتى للقتية أن يجلسوا بين ظهراني
 الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا
 من ساعتهم التي كانوا يستيقظون منها إذا أصبحوا من ليلتهم ثم قاموا إلى الصلاة فصلاوا كما كانوا
 يفعلون لا يرى في وجوههم ولا ألوانهم شيء يشكرونه وأنهم كهيئتهم حين رقدوا وهم يرون
 أن دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا تملخوا صاحب نفقتهم أنبئنا عما قال الناس
 في شأننا عشية أمس عند هذا الجدار وهم يظنون أنهم قد رقدوا كيعض ما كانوا يرقدون فيه
 خيل إليهم أنهم قد ناموا أطول مما كانوا ينامون حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبتم
 نياماً قالوا لبتنا يوماً أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبتم وكل ذلك في أنفسهم يسبر فقال لهم
 تملخوا قد التمستم في المدينة وهو يريد أن يؤذي بكم اليوم فذبخوا للطواغيت أو يقتلكم فإشاه الله
 بعد ذلك فعل فقال لهم مكسلينا بالإخوانه اعلمو أنكم ملاقوا الله فلا تكفروا بعد إيمانكم إذا
 دعاكم عند الله ثم قالوا تملخوا انطلق إلى المدينة فسمع ما يقال إياها وما الذي يذكر فينا عند
 دقيانوس وتلطف ولا تشمرن بك أحداً وابتع لنا طعاماً فأتنا به وزدنا على الطعام الذي جئنا به
 فقد أصبحنا جوعاً ففعل تملخوا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها
 وأخذ ورقاً من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربيع
 فانطلق تملخوا خارجاً فلما مر باب الكهف رأى الحجارة مزروعة عن باب الكهف فعجب
 منها ثم مر ولم يبال بها حتى أتى باب المدينة مستخنياً يصد عن الطريق تخوفاً أن يراه أحد من أهلها
 فيمر فمولا يشعراً دقيانوس وأهلها هلكوا قبل ذلك بثلاث مائة سنة فلما أتى تملخوا باب المدينة رفع
 بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة كانت لأهل الإيمان إذ كان أمر الإيمان ظاهراً فيهما فلما
 رآها عجب وجعل ينظر إليها يمينا وشمالاً ثم ترك ذلك الباب ومضى إلى باب آخر فرأى مثل ذلك
 فخيّل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى أشخاصاً كثيرة محدثين لم يكن رأيهم قبل
 ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيّل إليه أنه حيران ثم رجع إلى الباب الذي في مئة فجعل يتعجب
 بينه وبين نفسه ويقول ياليت شعري ما هذا أما عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة
 في هذه المدينة ويستخفون بها واليوم ظاهرة لعل قائم حالم ثم يرى أنه ليس بنائم فأخذ كساءه
 فجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي في أسواقها فسمع أساطين يقولون باسم عيسى ابن مريم

فزاده ذلك تعجبا ورأى أنه حيزان فقام مسندا ظهره إلى جدار من جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما أدري ما هذا أما عشية أمس فليس كان على الأرض من يذكر عيسى ابن مريم للاقتل وأما اليوم فأسمع كل إنسان يذكر عيسى ابن مريم لا يخاف ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرفت والله ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالخيران ثم لقي قتي فقال له ما اسم هذه المدينة يافتي فقال اسمها أفسوس فقال في نفسه لعل في مسا أو أمرا أذهب عتلي والله يحق لي أن أسرع الخروج قبل أن يصيبني فيها شر فأهلك فضي إلى الذين يتعاون الطعام فأخرج لهم الورق التي كانت معه وأعطاهم رجلا منهم وقال له بعني بهذه الورق طعاما فأخذها الرجل ونظر إلى ضرب الورق ونقشها فمعجب منها فناولها رجلا آخر من أصحابه فنظر ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل ويتعجبون منها ويتشاورون بينهم ويقول بعضهم لبعض إن هذا أصاب كنزا خبيثا في الأرض منذ زمان طويل فلما رأهم تملیخا يتحدثون فيه فرق فرقا شديدا وخاف وجعل يرحل ويظن أنهم قد فطنوا به وعرفوه وأنهم إنما يريدون أن يذهبوا به إلى ملكهم دقيانوس وجعل أناس يأتونه ويتعرفونه فلا يعرفونه فقال لهم وهو شديد الخوف منهم أفضلوا علي قد أخذتم ورقی فأسكوها وأما طامكم فلا حاجة لي به فقالوا له يافتي من أنت وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين وأنت تريد أن تخنیه منا انطلق معنا وأرنا ما شاركنا فيه تخفف عليك ما وجدت وإنك إن لم تفعل نحمالك إلى السلطان فنسلمك إليه فيقتلك فلما سمع قولهم قال والله قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه فقالوا له يافتي إنك والله لا تستطيع أن تكتم ما وجدت وجعل تملیخا ما يدري ما يقول لهم وخافت حتى لم يجر على لسانه لإيهم شيء فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كسائه فطرحوه في عنقه وجعلوا يسحبونه في سكك المدينة حتى سمع به من قبا وقيل قد أخذ رجل معه كنز فاجتمع عليه أهل المدينة وجعلوا ينظرون إليه ويقولون والله ما هذا القتي من أهل هذه المدينة وما رأينا فيها قط وما نعرفه وجعل تملیخا لا يدري ما يقول لهم وكان متيقنا أن أباه وإخوته بالمدينة وأنه من عظماء أهلها وأنهم سيأتونه إذا سمعوا به فبينا هو قائم كالخيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم إذ اختطفوه وانطلقوا به إلى رئيسي المدينة ومدبريها اللذين يدبران أمرها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر طنطيطوس فلما انطلقوا به إليهما ظن تملیخا أنه إنما ينطلق به إلى دقيانوس الجبار فجعل يلنث يمينا وشمالا وهو يبكي والناس يسخرون منه كما يسخرون من المحتنون ثم رفع رأسه إلى السماء وقال اللهم إله السماء وإله الأرض أفرغ علي اليوم صبيرا وأولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يقول في نفسه فرقوا بيني وبين إخوتي باليتهم يعلمون ما لقيت وباليتهم يأتونني فتقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فإنا قد كنا توائمتنا على الإيمان بالله وأن لا نشرك به أحدا أبدا ولا نفرق في حياة ولا موت فلما انتهى إلى الرجلين الصالحين أريوس وطنطيطوس ورأى أنه لم يذهب إلى دقيانوس أفاق وذهب عنه البكاء وأخذ أريوس وطنطيطوس الورقة ونظرا إليها وعجبا منها وقال أين الكنز الذي وجدت يافتي فقال تملیخا ما وجدت كنزا ولكن هذا ورق أبائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن والله ما أدري ما شأنني وما أقول لكم فقال له أحدهما ممن أنت فقال تملیخا أما أنا فكنت أرى أتى من أهل هذه المدينة فقيل له ومن أبوك ومن يعرفك بها فأخبرهم باسم أبيه فلم يوجد من يعرفه ولا

أباه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تثبتنا بالحق فلم يار تملينا ما يقول غير أنه نكث
بصره إلى الأرض فقال بعض من حوله هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه
يحدث نفسه عمدا لكي ينقلت منكم فقال له أحدهما ونظر إليه نظرا شديدا أنظن إنا نرسلك
ونصدقك بأن هذا مال أبيك ونقش هذه المدينة وضربها وهذه الورقة أكثر من ثلاث مائة سنة
وأنت غلام شاب أنظن أنك تأفكنا وتسخر بنا ونحن شيوخ شحط وحولك سرة هذه المدينة
وولادة أمرها وخزانة هذه المدينة بأيدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار وإنني
لأظنني سأمر بك فتعذب عذابا شديدا ثم أوتقك حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته فقال
لهم تملينا أخبروني عما أسألكم عنه فإن أنتم صاقتكم عندي فقالوا له سل لا نكتفك
شيئا قال فما فعل الملك دقيانوس فقال ما تعرف على وجه الأرض من اسمه دقيانوس ولم يكن
إلا ملك هلك في الزمان الأول وله دهر طويل وهلك بعده قرون كثيرة فقال تملينا أني إذا
لخيران وما يصدقني أحد من الناس فيها أقول لقد كنا فتية على دين الواحد وأن الملك أكرهنا
على عبادة الأصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فأتينا إلى الكهف الذي في جبل
بنجلوس فتمنا فيه فلما انتبهنا خرجت لأشترى لأصحابي ملعاما وأنجس الأحجار فاذا أنا معكم
كما ترون فانطلقوا معي إلى الكهف أريكم أصحابي فلما سمع أريوس قول تملينا قال يا قوم
لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله عز وجل لكم علي يد هذا الفتى فانطلقوا بنا معه حتى
يرينا أصحابه فانطلق أريوس وطنطوبوس ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو
أصحاب الكهف لينظروا إليهم فلما رأى الفتية أصحاب الكهف تملينا قد احتبس عنهم
بطعامهم وشرابهم عن القدر الذي كان يأتي فيه ظنوا أنه قد أخذ وذهب به إلى ملكهم
دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفونه إذ سمعوا الأصوات وجلبة الخيل مصعدة فظنوا أنهم
رسل الجبار دقيانوس بعث بهم إليهم ليؤتيهم فقاموا إلى الصلاة وسلم بعضهم على بعض
وأوصى بعضهم بعضا قالوا انطلقوا بناتنا أخانا تملينا فانه الآن بين يدي الجبار وهو ينتظرنا
حتى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس على هذه الحالة إذ هم بأريوس وأصحابه وقوا على
باب الكهف فسبهم تملينا ودخل وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم سأله عن خبره
فقص عليهم الخبر كله فعرفوا أنهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمن الطويل وإنما أوقفوا
ليكونوا آية للناس وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة لا ريب فيها ثم دخل على أريوس
أريوس قرأى تابوتا من نحاس محتوما بخاتم فضة فوقف على الباب ودعا جماعة من عظماء أهل
المدينة وأمر بفتح التابوت بحضرتهم فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما مكلمتنا
ومخشلتنا وتمليخا ومرطونس وكشطلونس وبيرونس وديموس ويطيبوس وقالوس والكلب
اسمه قطير كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس مخافة أن يفتنهم عن دينهم فدخلوا هذا
الكهف فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وإنا كتبنا شأنهم ونخبرهم
ليعلمه من بعدهم إن عثر بهم فلما قرأوه عجبوا وحمدوا الله سبحانه وتعالى الذي أراهم آية
تدلهم على البعث ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسيبحة ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم
جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر أريوس وأصحابه بحمد الله وحمدوا الله سبحانه
وتعالى الذي أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وأخبرهم الفتية عن الذي لقوا من ملكهم

وقال ابن عباس رشنا
 أى مخرجا من الغار
 فى سلامة (فصربنا على
 آذانهم) أى أغمناهم
 وألقينا عليهم النوم
 وقيل معناه منعنا نفوذ
 الأصوات إلى مسامعهم
 فان النائم إذا سمع
 الصوت يفتيه (فى
 الكهف سنين عددا)
 أى أغمناهم سنين معدودة
 وذكر العدد على سبيل
 التأكيد وقيل ذكره
 يدل على الكثرة فان
 القليل لا يعد فى العادة
 (ثم بعثناهم) يعنى من
 نومهم (لنعلم) أى علم
 المشاهدة (أى الحزبين)
 أى الطائفتين (أحصى
 لما لبثوا أمدا) وذلك أن
 أهل القرية تنازعوا فى
 مدة لبثهم فى الكهف
 واختلفوا فى قوله أحصى
 لما لبثوا أحفظ لما مكثوا
 فى كهفهم أياما أمدا أى
 غاية ، وقال مجاهد
 عددا ونصبه على التفسير
 (نحن نقص عليك)
 نقرأ عليك (نبأهم) خبر
 أصحاب الكهف (بالحق)
 بالصدق (لأنهم فتية)
 شيان (آمنوا بربه)
 وزدناهم هدى (إيماننا
 وبصيرة (وربطنا)
 ناشد (على قلوبهم) بالصبر والتثبيت وقويتهم بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة

دقيانوس ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريدا إلى ملكهم الصالح بيدروس أن عجل لملك
 تنظر إلى آية من آيات الله جعلها الله على ملكك للناس آية لتكون لهم نورا وضياء وتصديقا
 للبعث وذلك أن فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ ثلاث مائة سنة وأكثر فلما أتى الملك الخبر
 رجع عقله إليه وذهب همه وقال أحمدهم رب السموات والأرض وأعبدك وأسبح
 لك تطولت على ورحمتى ولم تطفىء النور الذى جعلته لأبائى وللعبد الصالح بيدروس الملك ثم
 أخبر بذلك أهل مدينته فركب وركبوا معه حتى أتوا مدينة أفسوس فلقاهم أهلها وساروا
 معه نحو الكهف فلما صعد الجبل ورأى الفتية بيدروس فرح بهم وخر ساجدا على وجهه
 وقام بيدروس الملك قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون
 الله ويحمدونه ثم قال الفتية لبيدروس الملك نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته
 - فمظك الله وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الإنس والجن فبينما الملك قائم إذاهم رجعوا
 إلى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أنفسهم فقام الملك إليهم وجعل ثيابهم عليهم وأمر أن يجعل
 كل رجل منهم فى تابوت من ذهب فلما أمسى ونام أتوه فى منامه فقالوا له إننا لم نخلق من
 ذهب ولا فضة ولكننا خالقنا من تراب وإلى التراب نصير فتركنا كما كنا فى الكهف على
 التراب حتى يبعثنا الله تعالى منه فأمر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وحجهم
 الله حين خرجوا من عندهم بالرعب ولم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك أن يتخلوا
 على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة وقيل إن
 تملیخا حمل إلى الملك الصالح فقال له الملك من أنت قال أنا رجل من أهل هذه المدينة وذكر
 أنه خرج أمس أو منذ أيام وذكر منزله وأقواما لم يعرفهم أحد وكان الملك قد سمع أن فتية
 قد فقدوا فى الزمان الأول وإن أسماءهم مكتوبة على لوح فى خزانته فدعا باللوح ونظر فى أسماءهم
 فاذا اسمه مكتوب وذكر أسماء الآخرين فقال تملیخا هم أصحابى فلما سمع الملك ركب ومن معه
 من القوم فلما أتوا باب الكهف قال تملیخا دعونى حتى أدخل على أصحابى فأبشروهم فانهم إن
 رأوكم معى أرعبتوهم فدخل تملیخا فبشروهم فقبض الله روحه وأرواحهم وأعمى على الملك وأصحابه
 أنهم فلم يهتدوا إليهم فذلك قوله عز وجل إذ أوى الفتية إلى الكهف أتى صاروا إلى الكهف
 واسمهم خبىم فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة أى هداية فى الدين وهىء لنا أى يسر لنا من
 أمرنا رشنا أى ما نلتمس منه رضاك وما فيه رشنا وقال ابن عباس أى مخرجا من الغار
 فى سلامة . قوله سبحانه وتعالى (فصربنا على آذانهم) أى ألقينا عليهم النوم وقيل معناه نفوذ
 الأصوات إلى مسامعهم فان النائم إذا سمع الصوت يفتيه (فى الكهف سنين عددا) أى أغمناهم
 سنين كثيرة فان العدد يدل على الكثرة (ثم بعثناهم) أى من نومهم (لنعلم) أى علم مشاهدة
 وذلك أن الله عز وجل لم يزل عالما وإنما أراد ما تعلق به العلم من ظهور الأمر لهم ليزدادوا
 إيمانا واعتبرا (أى الحزبين) أى الطائفتين (أحصى لما لبثوا أمدا) أى أحفظ لما مكثوا فى كهفهم
 أياما وذلك أن أهل المدينة تنازعوا فى مدة لبثهم فى الكهف . قوله تعالى (نحن نقص عليك
 نبأهم بالحق) أى نقرأ عليك خبر أصحاب الكهف بالحق أى بالصدق (لأنهم فتية) أى شيان
 (آمنوا بربهم وزدناهم هدى) أى إيماننا وبصيرة (وربطنا على قلوبهم) أى شددنا على قلوبهم
 بالصبر والتثبيت وقويتهم بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة ما كانوا
 ناشد (على قلوبهم) بالصبر والتثبيت وقويتهم بنور الإيمان حتى صبروا على هجران دار قومهم ومفارقة

ما كانوا فيه من خفض العيش وفروا بدينهم إلى الكهف (إذ قاموا) بين يدي دقيانوس حين عاتبهم على ترك عبادة الصم
(فقالوا ربنا رب السموات والأرض لن ندعوا من دونه إلها) قالوا ذلك لأن قومهم كانوا يعبدون الأوثان (لقد قلنا إذا
شططا) يعني إن دعونا غير الله لقد قلنا إذا شططا قال ابن عباس جورا وقال قتادة كذبا وأصل الشطط والأشطاط مجاوزة
القدر والإفراط (هؤلاء قومنا) يعني أهل بلدهم (اتخذوا من دونه) أي من دون الله (آهة) يعني الأصنام يعبدونها (أولا)
أي هلا (يأتون عليهم) أي على عبادتهم (بسلطان بين) بحجة واضحة (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) وزعم أن له شريكا
أو ولدا ثم قال بعضهم لبعض (وإذ اعزّلتوهم) يعني قومكم (وما يعبدون إلا الله) قرأ ابن مسعود وما يعبدون من دون
الله وأما القراء المعروفة فعنها (٣٠٤) أنهم كانوا يعبدون الله ويعبدون معه الأوثان يقول إذ اعزّلتوهم وجميع

عليه من خفض العيش وفروا بدينهم إلى الكهف (إذ قاموا) يعني بين يدي دقيانوس الجبار
حين عاتبهم على ترك عبادة الأصنام (فقالوا) أي الفتية (ربنا رب السموات والأرض لن
ندعوا من دونه إلها) إنما قالوا ذلك لأن قومهم كانوا يعبدون الأصنام (لقد قلنا إذا شططا)
قال ابن عباس يعني جورا وقيل كذبا يعني إن دعونا غير الله (هؤلاء قومنا) يعني أهل بلدهم
(اتخذوا من دونه) أي من دون الله (آهة) يعني أصناما يعبدونها (لولا) أي هلا (يأتون عليهم)
أي على عبادة الأصنام (بسلطان بين) أي بحجة واضحة وفيه تبيكيت لأن الإتيان بحجة على
عبادة الأصنام محال (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أي وزعم أنه له شريكا أو ولدا ثم قال
بعضهم لبعض (وإذ اعزّلتوهم) يعني قومكم (وما يعبدون إلا الله) وذلك أنهم كانوا يعبدون الله
ويعبدون معه الأصنام والمعنى وإذا اعزّلتوهم وجميع ما يعبدون إلا الله فانكم لم تعزّلتوا عبادة
(فأولو إلى الكهف) أي الجؤا إليه (بنشر لكم) أي يبسط لكم (ربكم من رحمته وبهجي) أي
يسهل لكم من أمركم مرفقا) أي ما يعود إليه يسركم ورفقكم قرأ
أبو جعفر ونافع وابن
عامر مرفقا بفتح الميم
وكسر القاء وقرأ
الآخرون بكسر الميم
وفتح القاء ومعناها
واحد وهو ما يرتقى به
الإنسان قوله تعالى
(وترى الشمس إذا طلعت
تزاور) قرأ ابن عامر
وبعقوب زور بسكون
الزاي وتشديد الراء على وزن
نحمر وقرأ أهل الكوفة
بفتح الزاي حفيضة وألف
بعدها، وقرأ الآخرون
بتشديد الزاي وكلها

بمعنى واحد أي تميل وتعدل (عن كهفهم ذات اليمين) أي جانب اليمين (وإذا غربت تقرضهم) أي تركهم
وتعدل عنهم (ذات الشمال) أصل القرص القطع (وهم في فجوة منه) أي متسع من الكهف وجميعها فجوات قال ابن قتيبة
كان كهفهم مستقبل بنات نعش لا تقع فيه الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيا بين ذلك قالوا اختار الله لهم مضطجعا
في مقناة لا تدخل عليهم الشمس فتؤذيهم بحرّها وتغير ألوانهم وهم في متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم
كرب الغاز وغمه وعلى هذا القول يكون معنى قوله ذلك من آيات الله أي إن شأنهم وحديثهم
من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) يعني مثل أصحاب الكهف وفيه ثناء عليهم (ومن يضلل)
أي ومن يضلله الله ولم يرشده (فلن تجد له وليا) أي معينا (مرشدا) أي يرشده. قوله سبحانه
وتعالى (ونحسبهم أبقاظا) أي منتهين لأن أعينهم مفتحة (وهم رقاد) أي

بمعنى واحد أي تميل وتعدل (عن كهفهم ذات اليمين) أي جانب اليمين (وإذا غربت تقرضهم) أي تركهم
وتعدل عنهم (ذات الشمال) أصل القرص القطع (وهم في فجوة منه) أي متسع من الكهف وجميعها فجوات قال ابن قتيبة
كان كهفهم مستقبل بنات نعش لا تقع فيه الشمس عند الطلوع ولا عند الغروب ولا فيا بين ذلك قالوا اختار الله لهم مضطجعا
في مقناة لا تدخل عليهم الشمس فتؤذيهم بحرّها وتغير ألوانهم وهم في متسع ينالهم فيه برد الريح ونسيمها ويدفع عنهم
كرب الغاز وغومه وقال بعضهم هذا القول خطأ وهو أن الكهف كان مستقبل بنات نعش فكانت الشمس لا تقع عليهم ولكن الله
صرف الشمس عنهم بقدرته وحال بينها وبينهم ألا ترى أنه قال (ذلك من آيات الله) من عجائب صنع الله ودلالات
قدرته التي يعتبر بها (من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل) أي من يضلله الله ولم يرشده (فلن تجد له وليا) معينا (مرشدا) قوله
تعالى (ونحسبهم أبقاظا) أي منتهين جمع يقط ويقظ (وهم رقاد) أي جمع راقد مثل قاعد وقعود وإنما اشتبه حالهم لأنهم

كانوا مفتحة أعينهم يتنصرون ولا يتكلمون (وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) مرة للجنب الأيمن ومرة للجنب الأيسر قال ابن عباس كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض لحومهم وقيل كان يوم عاشوراء يوم تقلبهم وقال أبو هريرة كان لهم في كل سنة تقلبتان (وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد) أكثر أهل التفسير على أنه كان من جلس الكلاب وروى عن ابن جريج أنه كان أسداً وسمى الأسد كلباً فإن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على عتبة بن أبي لهب فقال اللهم سلط عليه كلباً من كلابك فافترسه أسداً والأول المعروف قال ابن عباس كان كلباً أغر وروى عنه فرق الفلطي ودون الكركزي والفلط كلب صيني وقال مقاتل كان أصفر وقال القرظي كانت شدة صفرته تضرب إلى الحمرة وقال الكلبي لونه كالخبيج وقيل لون الحجر قال ابن عباس اسمه قطمير وعن علي اسمه ريان وقال الأوزاعي يثور وقال السدي يور وقال كعب صهبا قال خالد بن معدان ليس في الجنة شيء من الدواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعام وقوله بالوصيد قال مجاهد والضحاك والوصيد فناء الكهف وقال عطاء الوصيد عتبة الباب وقال (٢٠٥) السدي الوصيد الباب وهو

رواية عكرمة عن ابن

عباس فان قيل لم يكن

للكهف باب ولا عتبة

قيل معناه موضع الباب

والعتبة كأن الكلب قد

بسط ذراعيه وجعل

وجهه عليهم قال السدي

كان أصحاب الكهف

إذا انقلبوا الكلب

معهم وإذا انقلبوا إلى

اليمين كسر الكلب

أذنه اليميني ورقد عليها

وإذا انقلبوا إلى الشمال

كسر أذنه اليسرى

ورقد عليها (لو اطاعت

عليهم) يا محمد (لوليت

منهم فرارا) لما ألبسهم

نيام (وتقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) قال ابن عباس كانوا يقلبون في السنة مرة من جانب إلى جانب لئلا تأكل الأرض لحومهم قيل كانوا يقلبون في يوم عاشوراء وقيل كانوا لهم في السنة تقلبتان (وكلبهم باسط ذراعيه) قال ابن عباس كان كلباً أغر وعنه أنه كان فوق التلطي ودون الكركزي والتلطي كلب صيني وقيل كان أصفر وقيل كان شديد الصفرة يضرب إلى حمرة وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وقيل ريان وقيل صهبان قيل ليس في الجنة دواب سوى كلب أصحاب الكهف وحمار بلعام (بالوصيد) أي فناء الكهف وقيل عتبة الباب وكان الكلب قد بسط ذراعيه وجعل وجهه عليهم قيل كان يتقلب مع أصحابه فإذا انقلبوا ذات اليمين كسر الكلب أذنه اليميني ورقد عليها وإذا انقلبوا ذات الشمال كسر أذنه اليسرى ورقد عليها (لو اطاعت عليهم) يا محمد (لوليت منهم فرارا) وذلك لما ألبسهم الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقفهم الله من رقدتهم (ولمليت منهم رعباً) أي خوفاً من وحشة المكان وقيل لأن أعينهم مفتحة كما يتيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا إشعار وقيل إن الله سبحانه وتعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد قال ابن عباس غزونا مع معاوية نحو الروم فررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف الله لنا عن هؤلاء لنظرنا إليهم فقال ابن عباس قد منع ذلك من هو خير منك فقيل له لو اطاعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناساً فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأحرقتهم . قوله سبحانه وتعالى (وكذلك بعثناهم) يعني كما أمتناهم في الكهف وحفظنا أجسادهم من البلى على طول الزمان بعثناهم من النومة التي تشبه الموت (لينساءوا بينهم) أي ليسأل بعضهم بعضاً (قال قائل منهم) وهو رئيسهم وكبيرهم مكساميناً (كم ليتم) أي في نومكم وذلك أنهم استنكروا طول نومهم

الله من الهيبة حتى لا يصل إليهم أحد حتى يبلغ الكتاب أجله فيوقفهم الله تعالى من رقدتهم (ولمليت منهم رعباً) خوفاً قرأ أهل الحجاز بتشديد اللام والآخرين بتخفيفها واختلنوا في أن الرعب كان لما تيل من وحشة المكان وقال الكلبي لأن أعينهم كانت مفتحة كما يستيقظ الذي يريد أن يتكلم وهم نيام وقيل لكثرة شعورهم وطول أظفارهم ولتقلبهم من غير حس ولا شعور وقيل إن الله تعالى منعهم بالرعب لئلا يراهم أحد وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال غزونا مع معاوية نحو الروم فررنا بالكهف الذي فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا إليهم فقال ابن عباس رضي الله عنهم لقد منع ذلك من هو خير منك فقال لو اطاعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية ناساً فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحاً فأحرقتهم قوله تعالى (وكذلك بعثناهم) أي كما أمتناهم في الكهف وحفظنا أجسادهم من البلى على طول الزمان فكذلك بعثناهم من النومة التي تشبه الموت (لينساءوا بينهم) ليسأل بعضهم بعضاً واللام فيه لام العاقبة لأنهم لم يبعثوا للسؤال (قال قائل منهم) وهو رئيسهم مكساميناً (كم ليتم) في نومكم وذلك أنهم استنكروا طول

لومهم ويقال إنهم راعهم ماقاتهم من الصلاة فمالوا ذلك (قالوا لبنا يوما) وذلك أنهم دخلوا الكهف غدوة فالتهاجرت
انتبهوا عشية فقالوا لبنا يوما ثم نظروا وقد بقيت من الشمس بقية فقالوا (أو بعض يوم) فلما نظروا إلى شعورهم وأظفارهم
عدوا أنهم لبنا أكثر من يوم (قالوا ربكم أعلم بما لبنتم) وقيل إن رئيسهم مكسلبينا لما سمع الاختلاف بينهم ؟ قال دعوا
الاختلاف ربكم أعلم بما لبنتم (فابعثوا أحدكم بورقكم هذه) يعني تمليخا قرأ أبو عمرو وحزمة وأبو بكر بورقكم ساكنة الراء
والباقون بكسرها ومعناها واحد وهي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة (إلى المدينة) قيل هي طرسوس وكان اسمها
في الجاهلية أفسوس فسوها في الإسلام طرسوس (فلينظر أيها أركي طعاما) أي أحل طعاما حتى لا يكون من غضب أو سبب
حرام وقيل أمره أن يطلب ذبيحة (٢٠٦) مؤمن ولا يكون من ذبيحة من يذبح لغير الله وكان فيهم مؤمنون

يخفون إيمانهم وقال
الضحاك أطيّب طعاما
وقال مقاتل بن حيان
أجود طعاما وقال عكرمة
أكثر وأصل الزكاة
الزيادة وقيل أرخص
طعاما (فليأتكم برزق
منه) أي قوت وطعام
تأكلونه (وليتلطف)
وليترفق في الطريق
وفي المدينة وليكن في شتر
وكتبان (ولا يشعرون)
ولا يعلمن (بكم أحدا)
من الناس (إنهم أن
يظهروا عليكم) أي
يعلموا مكانكم
(يرجموكم) قال ابن
جرير يشتموكم ويؤذوكم
بالقول وقيل يقتلركم
وقيل كان من عادتهم
القتل بالحجارة وهو

وقيل إنهم راعهم ماقاتهم من الصلاة فقالوا ذلك (قالوا لبنا يوما) ثم نظروا فوجدوا الشمس قد بقيت منها
بقية فقالوا (أو بعض يوم) فلما نظروا إلى طول شعورهم وأظفارهم علموا أنهم لبنا أكثر من يوم
(قالوا ربكم أعلم بما لبنتم) وقيل إن مكسلبينا لما سمع الاختلاف بينهم قال دعوا الاختلاف ربكم أعلم
بما لبنتم (فابعثوا أحدكم) يعني تمليخا (بورقكم) هي الفضة مضروبة كانت أو غير مضروبة (هذه
إلى المدينة) قيل هي طرسوس وكان اسمها في الزمن الأول قبل الإسلام أفسوس (فلينظر أيها
أركي طعاما) أي أحل طعاما وقيل أمره أن يطلب ذبيحة مؤمن ولا تكون من ذبح مع يذبح
لغير الله وكان فيهم مؤمنون يخفون إيمانهم وقيل أطيّب طعاما وأجود وقيل أكثر طعاما
وأرخصه (فليأتكم برزق منه) أي قوت وطعام تأكلونه (وليتلطف) أي وليترفق في الطريق
وفي المدينة وليكن في شتر وكتبان (ولا يشعرون) أي ولا يعلمن (بكم أحدا) أي من الناس
(إنهم أن يظهروا عليكم) أي يعلموا بمكانكم (يرجموكم) قيل معناه يشتموكم ويؤذوكم بالقول
وقيل يقتلوكم وكان من عادتهم القتل بالحجارة وهو أحيث القتل وقيل يعذبوكم (أو يعيدوكم
في ملتهم) أي الكفر (ولن تفلحوا إذا أبدا) أي إن عدتم إليه . قوله عز وجل (وكذلك أعتزنا
عليهم) أي أطلعنا الناس عليهم (ليعلموا أن وعد الله حق) يعني قوم يبدروا الذين أنكروا
البعث (وأن الساعة لا ريب فيها) أي لاشك فيها أنها آتية (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) قال ابن
عباس في البيان فقال المسلمون نبيي عليهم مسجدا يصلي فيه الناس لأنهم على ديننا وقال
المشركون نبيي بئانا لأنهم على ملتنا وقيل كان تنازعهم في البعث فقال المسلمون تبعث الأجساد
والأرواح وقال قوم تبعث الأرواح فأراه الله آية وأن البعث للأرواح والأجساد وقيل
تنازعوا في مدة لبثهم وقيل في عددهم (فقالوا ابنا عليهم بئانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا
على أمرهم) يعني يبدروا وأصحابه (لنتخذن عليهم مسجدا) قوله تعالى (سيتولون ثلاثة رابعهم)
روى أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم
فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم (كلهم

أحيث القتل وقيل يضر بكم) (أو يعيدوكم في ملتهم) أي إلى
الكفر (ولن تفلحوا إذا أبدا) إن عدتم إليه قوله عز وجل (وكذلك أعتزنا) أي اطلعنا (عليهم) يقال عتزت على الشيء
إذا اطلعت عليه وأعتزت غيري أي اطلعت (ليعلموا أن وعد الله حق) يعني أصحاب يبدروا الذين أنكروا البعث (وأن
الساعة لا ريب فيها إذ يتنازعون بينهم أمرهم) قال ابن عباس يتنازعون في البيان فقال المسلمون نبيي عليهم مسجدا يصلي
فيه الناس لأنهم على ديننا وقال المشركون نبيي بئانا لأنهم من أهل نسبتنا وقال عكرمة تنازعوا في البعث فقال المسلمون
البعث للأجساد والأرواح وقال قوم للأرواح دون الأجساد فبعثهم الله تعالى وأراه أن البعث للأجساد والأرواح وقيل
تنازعوا في مدة لبثهم وقيل في عددهم (فقالوا ابنا عليهم بئانا ربهم أعلم بهم قال الذين غلبوا على أمرهم) يبدروا الملك
وأصحابه (لنتخذن عليهم مسجدا سيقولون ثلاثة رابعهم) روى أن السيد والعاقب وأصحابهما من نصارى أهل نجران

كأنوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر أصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلهم فحقق الله قول المسلمين بعد ما حكى قول النصارى فقال سيقولون ثلاثة رابعهم كلهم (ويقولون خمسة سادسهم كلهم رجما بالغيب) أى ظنا وحدهما من غير يقين ولم يقل هذا فى حق السبعة فقال (ويقولون) يعنى المسلمين (سبعة وثمانهم كلهم) اختلفوا فى الواو فى قوله : وثامنهم قيل تركها وذكرها سواء وقيل هى واو الحكم والتحقيق كأنه حكى اختلافهم وتم الكلام عند قوله ويقولون سبعة ثم حقق هذا القول بقوله وثامنهم كلهم والثامن لا يكون إلا بعد السابع وقيل هذه واو النهاية وذلك أن العرب تعد فتقول واحد اثنان ثلاثة أربعة خمسة ستة سبعة ثمانيه لأن العقد كان عندهم سبعة كما هو اليوم عندنا عشرة نظيره قوله تعالى : والثابون العابدون الحامدون إلى قوله والثاهون عن المنكره وقال فى أزواج (٢٠٧) النبي صلى الله عليه وسلم وصلى

ربه إن طلفكن أن يبدله أروا جاشبر أمكن مسلمات مؤمنات قانتات ثابتات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراه (قل ربى أعلم بعثتهم) أى بعدهم (ما يعلمهم إلا قليل) أى إلا قليل من الناس قال ابن عباس إنا من الأئليل كانوا سبعة وقال محمد بن إسحاق كانوا ثمانية وقرأوا ثامنهم كلهم أى حافظهم والصحيح هو الأول وروى عن ابن عباس أنه قال هم مكسلبينا وتلميذا ومرطونس وبينونس وحرابونوس وذنونانس وكشفيطونوس وهو الراعى والكلب قطمير (فلا تمار فيهم) أى لا تجادل ولا تقل فى

ويقولون) أى وقال العاقب وكان نسطوريا (خمسة سادسهم كلهم رجما بالغيب ورتولون) وقال المسلمون (- بعة وثمانهم كلهم) فحقق الله قول المسلمين وإنما عرفوا ذلك بأخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم على لسان جبريل صلى الله عليه وسلم بعد ما حكى قول النصارى أولا ثم أتبعه بقوله سبحانه وتعالى رجما بالغيب أى ظنا وحدهما من غير يقين ولم يقل ذلك فى السبعة وتخصيص الشىء بالوصف يدل على أن الحال فى الباقي بخلافه فوجب أن يكون الخصوص بالظن هو قول النصارى وأن يكون قول المسلمين مخالفا لقول النصارى فى كونه رجما بالغيب وظنا ثم أتبعه بقوله سبحانه وتعالى (قل ربى أعلم بعثتهم ما يعلمهم إلا قليل) هذا هو الحق لأن العلم بتفاصيل العوالم والكائنات فيه فى الماضى والمستقبل لا يكون إلا الله تعالى أو من أخبره الله سبحانه وتعالى بذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما أنا من أولئك القليل كانوا سبعة وهم مكسلبينا (١) وتلميذا ومرطونس وبينونس وسارينوس وذنونانس وكشفيطونوس وهو الراعى وامم كلهم قطمير (فلا تمار فيهم) أى لا تجادل ولا تقل فى عددهم وشأنهم (الإمراء ظاهرا) أى لإبظاها مقصصنا عليك فقف عنده ولا تزد عليه (ولا تستفت فيهم) أى فى أصحاب الكهف (منهم) أى من أهل الكتاب (أحدا) أى لا ترجع إلى قول أحد منهم بعد أن أخبرناك قصتهم . قوله سبحانه وتعالى (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذاك غدا إلا أن يشاء الله) يعنى إذا عزم على فعل شيء غدا نقل إن شاء الله ولا نقله بغير استثناء وذلك أن أهل مكة سأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحي أياما ثم نزلت هذه الآية وقد تقدمت القصة فى سورة بنى إسرائيل (واذكر ربك إذا نسيت) قال ابن عباس معناه إذا نسيت الاستثناء ثم (١) قوله مكسلبينا وقع اختلاف كبير فى أسمائهم وذكر فى القاموس فى ذلك ثلاثة أقوال فليراجع .

عددهم وشأنهم (إلا مرأ ظاهرا) إلا بظاها مقصصنا عليك يقول حسبك ما قصصت عليك فلا تزد عليه وقف عنده (ولا تستفت فيهم منهم) من أهل الكتاب (أحدا) أى لا ترجع إلى قولهم بعد أن أخبرناك (ولا تقولن لشيء إني فاعل ذاك غدا إلا أن يشاء الله) يعنى إذا عزم على أن تفعل غدا شيئا فلا تقل أفعل غدا حتى تقول إن شاء الله وذلك أن أهل مكة سأوا عن الروح وعن أصحاب الكهف وعن ذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فلبث الوحي أياما ثم نزلت هذه الآية (واذكر ربك إذا نسيت) قال ابن عباس ومجاهد والحسن معناه إذا نسيت الاستثناء ثم ذكرت فاستثنى وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وإن كان إلى سنة وجوز الحسن مادام فى المجلس وجوز بعضهم إذا قرب الزمان فإن بعد فلا يصح ولم يجوز جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالكلام وقال عكرمة معنى الآية واذكر ربك إذ غضبت وقال وهب مكثرب فى الإنجيل ابن آدم اذكر فى حين تغضب اذكر كحين أغضب وقال الضحاك والسدى هذا فى الصلاة أخبرنا عبد الواحد الملبحي

أبناؤنا الحسن بن أحمد المخلدي ثنا عبد الواحد أبو العباس السراج ثنا فتية ثنا أبو عوانة عن قتادة عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها (وقل عسى أن يهدين ربّي لأقرب من هذا رشدا) أي يثبتني على طريق هو أقرب إليه وأرشد وقيل أمر الله نبيه أن يذكره إذا نسي شيئا ويسأله أن يهديه لما هو خير له من ذكر ما نسيه ويقال هو إن القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله عز وجل أن يخبرهم أن الله سيؤتيهم من الحجج على صحة نبوته ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث آتاه من علم غيب حال المرسلين ما كان أوضح لهم في الحجة وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف، وقال بعضهم هذا شيء أمر أن يقوله مع قوله إن شاء الله إذا ذكر الاستثناء بعد النسيان وإذا نسي الإنسان (٢٠٨) إن شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول عسى أن يهدين ربّي لأقرب

ذكرت فاستثنى وجوز ابن عباس الاستثناء المنقطع وإن كان بعد سنة وجوزه الحسن مادام في المجلس وجوزه بعضهم إذا قرب الزمان فإن بعد لم يصح ولم يجوزه جماعة حتى يكون الكلام متصلا بالاستثناء وقيل في معنى الآية واذكر ربك إذا غضبت قال وهب مكنوب في التوراة والإنجيل ابن آدم واذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب وقيل الآية في الصلاة يدل عليه ما روى عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من نسي صلاة فليصلها إذا ذكرها (وقل عسى أن يهدين ربّي لأقرب من هذا رشدا) أي يثبتني على طريق هو أقرب إليه وأرشد وقيل إن الله سبحانه وتعالى أمره أن يذكره إذا نسي شيئا ويسأله أن يذكره أو يهديه لما هو خير له من أن يذكر ما نسي وقيل إن القوم لما سألوه عن قصة أصحاب الكهف على وجه العناد أمره الله سبحانه وتعالى أن يخبرهم أن الله سبحانه وتعالى سيؤتيهم من الحجج على صحة نبوته ما هو أدل لهم من قصة أصحاب الكهف وقد فعل حيث آتاه من علم غيب المرسلين وقصصهم ما هو أوضح وأقرب إلى الرشد من خبر أصحاب الكهف وقيل هذا شيء أمره الله أن يقوله مع قوله إن شاء الله إذا ذكر الاستثناء بعد النسيان وإذا نسي الإنسان قوله إن شاء الله فتوبته من ذلك أن يقول مع قوله إن شاء الله عسى أن يهدين ربّي لأقرب من هذا رشدا . قوله عز وجل (ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) قيل هذا خبر عن قول أهل الكتاب ولو كان خبرا من الله عن قدر لبثهم لم يكن لقوله قل الله أعلم بما لبثوا وجه ولكن الله رد قولهم بقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) ولأصح أنه إخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف ويكون معنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا يعني إن نازعوك في مدة لبثهم في الكهف فقل أنت الله أعلم بما لبثوا أي هو أعلم منكم وقد أخبر بمدة لبثهم وقيل إن أهل الكتاب قالوا إن المدة مع حين دخلوا الكهف إلى يومنا هذا وهو اجتماعهم بالنبي صلى الله عليه وسلم ثلاث مائة وتسع سنين فرد الله عليهم بذلك وقال قل الله أعلم بما لبثوا يعني بعد قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلمه إلا الله . فان قلت لم قال سنين ولم يقل سنة . قلت قيل لما نزل قوله سبحانه

من هذا رشدا قوله عز وجل (ولبثوا في كهفهم) يعني أصحاب الكهف قال بعضهم هنا خير عن أهل الكتاب أنهم قالوا ذلك ولو كان خبرا من الله عز وجل عن قدر لبثهم لم يكن لقوله قل الله أعلم بما لبثوا وجه . وهذا قول قتادة ويدل عليه قراءة ابن مسعود وقلوا لبثوا في كهفهم ثم رد الله تعالى عليهم فقل قل الله أعلم بما لبثوا وقال الآخرون هذا إخبار من الله تعالى عن قدر لبثهم في الكهف وهو الأصح وأما قوله قل الله أعلم بما لبثوا فعناه أن الأمر من مدة لبثهم كما ذكرنا فان نازعوك فيها فأجهم

وقل الله أعلم بما لبثوا أي هو أعلم منكم وقد أخبر بمدة لبثهم وقيل إن أهل الكتاب قالوا إن هذه المدة من لدن وتعالى دخلوا الكهف إلى يومنا هذا ثلاث مائة وتسع سنين فرد الله عليهم وقال قل الله أعلم بما لبثوا يعني بعد قبض أرواحهم إلى يومنا هذا لا يعلمه إلا الله قوله تعالى (ثلاث مائة سنين) قرأ حمزة والكسائي ثلاث مائة بلا تنوين وقرأ الآخرون بالثنتين فان قيل لم قال ثلاث مائة سنين ولم يقل سنة وقيل نزل قوله ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة فقالوا أياما أو شهورا أو سنين فنزلت سنين قال الفراء ومع العرب من يضع سنين في موضع سنة وقيل معناه ولبثوا في كهفهم سنين ثلاث مائة (وازدادوا تسعا) قال الكلبي قالت نصارى نجران أما ثلاث مائة فقد عرفنا وأما التسع فلاعلم لناها فنزلت (قل الله أعلم بما لبثوا) روى عن علي أنه قال عند أهل الكتاب أنهم لبثوا ثلاث مائة شمسية والله تعالى ذكر ثلاث مائة قمرية والتفاوت بين الشمسية والقمرية في كل مائة سنة ثلاث

سنتين فيكون في ثلاث مائة تسع سنين فلذلك قال وازدادوا تسعا (له غيب السموات والأرض) فالغيب ما يغيب عن إدراكك والله عز وجل لا يغيب عن إدراكه شيء (أبصر به وأسمع) أي ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه لكل مسموع أي لا يغيب عن سمعه وبصره شيء (ما لهم) أي ما لأهل السموات والأرض (من دونه) أي من دون الله (من ولي) ناصر (ولا يشرك في حكمه أحدا) قرأ ابن عامر ويعقوب ولا تشرك بالثناء على المخاطبة والنهي وقرأ الآخرون بالياء أي لا يشرك الله في حكمه أحدا وقبل الحكم هاهنا علم النبي أي لا يشرك في علم غيبه أحدا قوله عز وجل (٢٠٩) - (واتل) أي وقرأ يا محمد

(ما أوحى إليك من كتاب ربك) يعني القرآن واتبع ما فيه (لا تبدل لكلماته) قال الكلبي لا مغير للقرآن وقيل لا مغير لما أُوعد بكلماته أهل معاصيه (ولن نجد) أنت (من دونه) إن لم تتبع القرآن (ملتحدنا) قال ابن عباس رضي الله عنهما حرزا وقال الحسن مدخلا وقال مجاهد ما جاء وقيل معدلا وقيل مهربا وأصله من البيل قوله عز وجل (واصبر نفسك) الآية نزلت في عيينة بن حصن القرظي أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الأنصار فيهم سلمان وعليه شملة قد عرق فيها ويده خوصة يشقها ثم ينسجها فقال عيينة للنبي صلى الله عليه وسلم أما يؤذيك ريح هؤلاء

وتعالى وليتوا في كهفهم ثلاث مائة فقالوا أياما أو شهورا أو سنين فنزلت سنين على وفق قوله وقيل هو تفسير لما أجعل في قوله نصرنا على آذانهم في الكهف سنين عددا وازدادوا تسعا وقيل قالت نصارى نجران أما ثلاث مائة فقد عرفناها وأما التسع فلا علم لنا بها فنزلت قل الله أعلم بما ليثوا واتل إن عند أهل الكتاب ليثوا ثلاث مائة سنة شمسية والله سبحانه وتعالى ذكر ثلاث مائة سنة وتسع سنين قمرية والفاوت بين القمرية والشمسية في كل مائة سنة ثلاث سنين فتكون الثلاث مائة الشمسية ثلاث مائة وتسع سنين قمرية (له غيب السموات والأرض) يعني أنه سبحانه وتعالى لا يخفى عليه شيء من أسرار أهلها فإنه عالم وحده به فكيف يخفى عليه حال أصحاب الكهف (أبصر به وأسمع) معناه ما أبصر الله بكل موجود وأسمعه بكل مسموع لا يغيب عن سمعه وبصره شيء يذرك البواطن كما يذرك الظواهر والقريب والبعيد والمحجوب وغيره لا يخفى عليه خافية (ما لهم) أي ما لأهل السموات والأرض (من دونه) أي من دون الله (من ولي) أي ناصر (ولا يشرك في حكمه أحدا) قيل معناه لا يشرك الله في علم غيبه أحدا وقيل في قضاءه. قوله تعالى (واتل) أي وقرأ يا محمد (ما أوحى إليك من كتاب ربك) يعني القرآن واتبع ما فيه واعمل به (لا تبدل لكلماته) أي لا مغير للقرآن ولا يقدر أحد على التطرق إليه بتغيير أو تبديل. فإن قلت موجب هذا أن لا يتطرق التسخ إليه. قلت التسخ في الحقيقة ليس بتبديل لأن المنسوخ ثابت في وقته إلى وقت طريان التسخ فالاسخ كالمغاير فكيف يكون تبديلا وقيل معناه لا مغير لما أُوعد الله بكلماته أهل معاصيه (ولن نجد من دونه) أي من دون الله إن لم تتبع القرآن (ما أتحدنا) أي ما جاء وحرزا تعدل إليه. قوله عز وجل (واصبر نفسك) الآية نزلت في عيينة بن حصن القرظي أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء ومنهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها ويده خوص يشق وينسجها فقال عيينة للنبي صلى الله عليه وسلم أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرفها إن أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فنحهم حتى تتبعك أو اجعل لنا مجلسا فأترى الله عز وجل واصر نفسك أي احبس يا محمد نفسك (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) يعني طرفي النهار (يريدون وجهه) أي يريدون وجه الله لا يريدون عرض الدنيا وقيل نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعائة رجل فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم والحمد لله الذي جعل في أمي من أمرت أن أصبر نفسي معهم (ولا تعد)

(٢٧ - خازن بالبغوى - رابع) ونحن سادات مضر وأشرفها فإن أسلمنا أسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فنحهم حتى تتبعك أو اجعل لنا مجلسا وهم مجلسا فأترى الله عز وجل واصر نفسك أي احبس يا محمد نفسك (مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي) طرفي النهار (يريدون وجهه) أي يريدون وجه الله لا يريدون به عرضا من الدنيا قال قتادة نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعائة رجل فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرجعون إلى تجارة ولا إلى زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينظرون أخرى فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وسلم والحمد لله الذي جعل في أمي من أمرت أن أصبر نفسي معهم (ولا تعد) أي لا تصرف ولا تتجاوز

(عيناك عنهم) إلى غيرهم (تريد زينة الحياة الدنيا) أي تطلب مجاسة الأعيان والأشراف وصحبة أهل الدنيا (ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا) أي جعلنا قلبه غافلا عن ذكرنا يعني عيينة بن حصن وقيل أمية بن خلف (واتبع هواه) أي مراده في طلب الشهوات (وكان أمره فرطاً) قال قتادة ومجاهد ضياعاً وقيل معناه ضيع أمره وعطل أيامه وقيل ندماً وقال مقاتل بن حيان سرفاً وقال القراء منروكا وقيل باطلاً وقيل مخالفاً للحق وقال الأنخس مجاوزاً للحد قبل معنى التجاوز في الحد هو قول عيينة إن أسلمنا أسلم الناس وهذا إفراط عظيم (وقل الحق من ربكم) أي ما ذكر من الإيمان والقرآن معناه قل يا محمد هؤلاء الذين أغفلنا قلوبهم عن ذكرنا أيها الناس الحق من ربكم وإليه التوفيق والخلاص ويديه الهدى والضلال ليس إلى من ذلك شيء (فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) هذا على طريق التهديد والوعيد كقوله اعملوا ما شئتم وقيل معنى الآية وقول الحق من ربكم واستبطارد المؤمنين هواكم فإن شئتم فآمنوا وإن شئتم فاكفروا فإن كفرتم فقد أعد لكم ربكم ناراً أحاط بكم

سرادتها وإن آنتم فلكم ما وصف الله عز وجل لأهل طاعته وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية من شاء الله له الإيمان آمن ومن شاء الله له الكفر كفر وهو قوله وما تشأمون إلا أن يشاء الله (إنا اعتدنا) أعددنا وهيأتنا من العتاد وهو العدة (للظالمين) للكافرين (نارا أحاط بكم سرادقها) السرادق الحجرة التي تطيف بالنساطيط عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال سرادق النار أربعة جدر كئيف كل جدر أربعون سنة أخرجه الترمذي قال ابن عباس هو حائط من نار وقيل هو عتق يخرج من النار فيحيط بالكفار كالخطيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار (وإن يستغيثوا) أي من شدة العطش (يغاثوا بماء كالمهل) قال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردى الزيت عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال في قوله سبحانه وتعالى بماء كالمهل قال كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه منه أخرجه الترمذي وقال رشدين أحد رواة الحديث قد تكلم فيه من قبل حفظه الفروة جلدة الوجه وقيل المهل الدم والقبيح وقيل هو الرصاص والصفير المذاب (يشوى الوجوه) أي ينضج الوجوه من حره (بئس الشراب) أي ذلك الذي يغاثون به (وساءت) أي النار (مرتفقا) قال ابن عباس رضي الله عنهما منزلاً

سرادتها وإن آنتم فلكم ما وصف الله عز وجل لأهل طاعته وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية من شاء الله له الإيمان آمن ومن شاء الله له الكفر كفر وهو قوله وما تشأمون إلا أن يشاء الله (إنا اعتدنا) أعددنا وهيأتنا من العتاد وهو العدة (للظالمين) للكافرين (نارا أحاط بكم سرادقها) السرادق الحجرة التي تطيف بالنساطيط أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله ابن أبي توبة أنبأنا محمد ابن أحمد بن الحارث أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبد الله

ابن محمود أنبأنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنبأنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد حدثني عمرو بن الحارث وقيل عن دراج بن أبي السمح عن أبي الهيثم بن عبد الله عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال سرادق النار أربعة جدر كئيف كل جدر مثل سيرة أربعين سنة قال ابن عباس هو حائط من نار وقيل هو دخان يحيط بالكفار كالخطيرة وقيل هو دخان يحيط بالكفار وهو الذي ذكره الله تعالى انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب (وإن يستغيثوا) أي من شدة العطش (يغاثوا بماء كالمهل) أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنبأنا محمد بن أحمد بن الحارث أنبأنا محمد بن يعقوب الكسائي أنبأنا عبد الله بن محمود أنبأنا إبراهيم بن عبد الله الخلال ثنا عبد الله بن المبارك عن رشدين بن سعد ثنا عمرو بن الحارث عن دراج بن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال بماء كالمهل قال كعكر الزيت فإذا قرب إليه سقطت فروة وجهه فيه وقال ابن عباس هو ماء غليظ مثل دردى الزيت وقال مجاهد هو القبيح والدم ومثل ابن مسعود عن المهل فدعا بذهب وفضة فأوقد عليها النار حتى ذاب ثم قال هذا أشبه شيء بالمهل (يشوى الوجوه) ينضج الوجوه من حره (بئس الشراب وساءت) نار (مرتفقا)

قال ابن عباس منزلا وقال مجاهد مجتهدا وقال عطاء مقرأ وقال القتيبي مجلسا وأصل المرتفق المشكأ قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيق أجرهم من أحسن عملا) فان قيل أين جواب قوله إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات قيل جوابه قوله أولئك لهم جنات عدن تجري وأما قوله إنا لانضيق فكلام معترض وقيل فيه إضمار معناه : إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات فإنا لانضيق أجرهم بل نجزيهم ثم ذكر الجزاء فقال (أولئك لهم جنات عدن) أي إقامة يقال عدن فلان بالمكان إذا أقام به سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها (تجري من تحتهم الأنهار يجولون فيها من أساور من ذهب) قال سعيد بن جبير يجلي كل واحد منهم ثلاثة أساور واحد من ذهب وواحد من فضة وواحد من لؤلؤ ويواقيت (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) وهو مارق من الدياج (وإستبرق) وهو غلظ منه ومعنى الغلظ في ثياب الجنة إحكامه وعن أبي عمران الجوني قال السندس هو الدياج المنسوج بالذهب (متكئين فيها) في الجنان (٢١١) (على الأرائك) وهي السرر في الحجال

واحدتها أريكة (نعم الثواب) أي نعم الجزاء (وحسنت) الجنان (مرتفقا) أي مجاسا ومقرا (واضرب لهم مثلا رجلين) الآية قبل نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم أحدهما مؤمن وهو أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد ياليل وكان زوج أم سلمة قبل النبي صلى الله عليه وسلم والآخر كافر وهو الأسود بن عبد الأسد ابن عبد ياليل وقيل هذا مثل لعينة بن حصن وأصحابه مع سلمان وأصحابه شبهما برجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقيل تلميذا والآخر كافر واسمه اللذان وصفهما الله سبحانه وتعالى في سورة الصافات وكانت قصتهما على ما ذكره عطاء الخراساني قال كان رجلان شريكان لما ثمانية آلاف دينار وقيل كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقسماها فاشتري أحدهما أرضا بألف دينار فقال صاحبه اللهم إن فلانا قد اشتري أرضا بألف دينار فاني اشتري منك أرضا في الجنة بألف دينار فنصدق بألف دينار ثم إن صاحبه بنى دارا بألف دينار فقال هذا اللهم إن فلانا بنى دارا بألف دينار فاني اشتري منك دارا في الجنة بألف دينار فنصدق بذلك ثم تزوج صاحبه امرأة فأنفق عليها ألف دينار فقال هذا المؤمن اللهم إني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار فنصدق بألف دينار ثم اشتري صاحبه خدما ومثاعا بألف دينار فقال هذا اللهم إني اشتري منك متاعا وخدما في الجنة بألف دينار فنصدق بألف دينار ثم أصابه حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف فجلس على طريقه حتى مر به في شدة فقام إليه

وقيل مجتهدا وأصل المرتفق المتكأ وإنما جاء كذلك لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا وإلا فلا ارتفاق لأهل النار ولا متكأ . قوله عز وجل (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لانضيق أجرهم من أحسن عملا) أي لانترك أعمالهم تذهب ضياعا بل نجزيهم بأعمالهم الصالحة وقيل إن قوله إنا لانضيق أجرهم من أحسن عملا كلام معترض وتقديره إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات (أولئك لهم جنات عدن) أي دار إقامة سميت عدنا لخلود المؤمنين فيها (تجري من تحتهم الأنهار) وذلك لأن أفضل المساكن ما كان يجري فيه الماء (يجولون فيها من أساور من ذهب) قيل يجلي كل إنسان منهم ثلاثة أساور سوار من ذهب لهذه الآية وسوار من فضة لقوله تعالى وحلوا أساور من فضة وسوار من لؤلؤ لقوله ولؤلؤا ولباسهم فيها حريرا (ويلبسون ثيابا خضرا من سندس) هو الدياج الرقيق (وإستبرق) هو الدياج الصفيق البيط وقيل السندس المنسوج بالذهب (متكئين) خص الانكباء لأنه هيئة المتنعمين والملوك (فيها) أي في الجنة (على الأرائك) جمع أريكة وهي السرر في الحجال ولما وصف الله سبحانه وتعالى هذه الأشياء قال (نعم الثواب) أي نعم الجزاء (وحسنت) أي الجنات (مرتفقا) أي مقرا ومجلسا والمراد بقوامه وحسنت مرتفقا مقابلته المتقدم ذكره من قوله سبحانه وتعالى وسامت مرتفقا . قوله عز وجل (واضرب لهم مثلا رجلين) قبل نزلت في أخوين من أهل مكة من بني مخزوم وهما أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد بن عبد ياليل وكان مؤمنا وأخوه الأسود بن عبد الأسود وكان كافرا وقيل هذا مثل لعينة بن حصن وأصحابه وسلمان وأصحابه وشبههما برجلين من بني إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا في قول ابن عباس وقيل تلميذا والآخر كافر واسمه اللذان وصفهما الله سبحانه وتعالى في سورة الصافات وكانت قصتهما على ما ذكره عطاء الخراساني قال كان رجلان شريكان لما ثمانية آلاف دينار وقيل كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقسماها فاشتري أحدهما أرضا بألف دينار فقال صاحبه اللهم إن فلانا قد اشتري أرضا بألف دينار فاني اشتري منك أرضا في الجنة بألف دينار فنصدق بألف دينار ثم إن صاحبه بنى دارا بألف دينار فقال هذا اللهم إن فلانا بنى دارا بألف دينار فاني اشتري منك دارا في الجنة بألف دينار فنصدق بذلك ثم تزوج صاحبه امرأة فأنفق عليها ألف دينار فقال هذا المؤمن اللهم إني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار فنصدق بألف دينار ثم اشتري صاحبه خدما ومثاعا بألف دينار فقال هذا اللهم إني اشتري منك متاعا وخدما في الجنة بألف دينار فنصدق بألف دينار ثم أصابه حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف فجلس على طريقه حتى مر به في شدة فقام إليه

والآخر كافر واسمه قطروس وقال وهب قطفبر وهما اللذان وصفهما الله تعالى في سورة الصافات وكانت قصتهما على ما حكى عبد الله بن المبارك عن معمر عن عطاء الخراساني قال كان رجلان شريكين لهما ثمانية آلاف دينار وقيل كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقسماها فعمد أحدهما فاشتري أرضا بألف دينار فقال صاحبه اللهم إن فلانا قد اشتري أرضا بألف دينار فاني اشتري منك أرضا في الجنة بألف دينار فنصدق بألف دينار ثم إن صاحبه بنى دارا بألف دينار فقال هذا اللهم إن فلانا بنى دارا بألف دينار فاني اشتري منك دارا في الجنة بألف دينار فنصدق بذلك ثم تزوج صاحبه امرأة فأنفق عليها ألف دينار فقال هذا المؤمن اللهم إني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار فنصدق بألف دينار ثم اشتري صاحبه خدما ومثاعا بألف دينار فقال هذا اللهم إني اشتري منك متاعا وخدما في الجنة بألف دينار فنصدق بألف دينار ثم أصابه حاجة شديدة فقال لو أتيت صاحبي لعله ينالني منه معروف فجلس على طريقه حتى مر به في شدة فقام إليه

فنظر إليه الآخر فعرفه فقال فلان قال نعم فقال ما شأنك قال أصابني حاجة بهدك فأنتيك لتصيني بخير فقال ما فعل مالك وقد اقتسمنا مالا وأخذت شطره فتص عليه قصته فقال وإنك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيئا فطرده فقضى لهما أن توفيا فنزل فيهما فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم إني كان لي قرين ، وروى أنه لما أتاه أخذ بيده وجعل يطوف به ويريه أموال نفسه فنزل فيهما واضرب لهم مثلا رجلاين أذكر لهم خبر رجلين (جعلنا لأحدهما جنتين) بستائين (من أعقاب وحفناهما بنخل) أي أطفناهما من جوانبهما بنخل والحفاف الجانب وجمعه أحفة يقال حف به القوم أي أطفوا بجوانبه (وجعلنا بينهما زرعاً) (٢١٣) أي جعلنا حول الأعقاب النخيل ووسط الأعقاب الزرع وقيل

بينهما أي بين الجنتين زرعاً يعني لم يكن بين الجنتين موضع خراب (كلنا الجنتين آت) أي أعطت كل واحدة من الجنتين (أكلها) ثمها تماماً (ولم نظلم) لم تنقص (منه شيئاً وفجرنا) قرأ العامة بالفتشيد وقرأ يعقوب بتخفيف الجيم (خلاهما نهر) يعني شققنا وأخرجنا وسطهما نهر (وكان له) لصاحب البستان (ثمر) قرأ عاصم وأبو جعفر ويعقوب ثمر ينتج الثاء والميم وكذلك بثمره وقرأ أبو عمرو بضم الثاء ساكنة الميم ، وقرأ الآخرون بضمها فن قرأ بالفتح هو جمع ثمرة وهو ما يخرج من الشجرة مع الثمار المأكولة ومن قرأ بالضم

دينار وإني قد اشتريت منك أرضاً في الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم إن صاحبه نى داراً بألف دينار فقال اللهم إن فلان بنى داراً بألف دينار واشترت منك داراً في الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم تزوج صاحبه امرأة فأزنى عليها ألف دينار فقال هذا اللهم إني أحطبت إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم إن صاحبه اشترى خدماً ومتاعاً بألف دينار فقال هذا اللهم إني اشترى منك خدماً ومتاعاً بألف دينار في الجنة فتصدق بها ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أريت صاحبي لعل ينالني منه معروف فجلس على طريقه حتى مر به في خدمه وحشمه فقام إليه فنظر إليه صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم قال ما شأنك قال أصابني حاجة بعدك فأنتيك لتعيني بخير قال فما فعلت مالك وقد قاسمتك مالا وأخذت شطره فتص عليه قصته فقال وإنك لمن المصدقين بهذا اذهب فلا أعطيك شيئا فطرده فقضى لهما أن توفيا فنزل فيهما ما قوله فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم إني كان لي قرين ، وروى أنه لما أتاه أخذ بيده وجعل يطوف به ويريه أمواله فنزل فيهما واضرب لهم مثلاً رجلين (جعلنا لأحدهما جنتين) أي بستائين (من أعقاب وحفناهما) أي أطفناهما من جوانبهما (بنخل وجعلنا بينهما زرعاً) أي وجعلنا بين النخل والأعقاب الزرع وقيل بين أي بين الجنتين يعني لم يكن بين الجنتين خراب بغير زرع (كلنا الجنتين آت) أي أعطت كل واحدة من الجنتين (أكلها) أي ثمها تماماً (ولم نظلم منه شيئاً) أي ولم تنقص منه شيئاً (وفجرنا خلاهما) شققنا وسطهما (نهر) أي لصاحب البستان (ثمر) قرىء بالفتح جمع ثمرة وقرىء بالضم وهو الأموال الكبيرة المثمرة من كل صنّف من الذهب والفضة وغيرهما (فتال) يعني صاحب البستان (لصاحبه) يعني المؤمن (وهو يخاوره) أي يخاطبه (أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً) أي عشيرة ورهطاً وقيل خدماً وحشماً (ودخل جنته) يعني الكافر أخذاً بيد أخيه المؤمن يطوف به فيها ويريه إياها (وهو ظالم لنفسه) أي بكفره (قال ما أظن أن تبدي) أي تهلك (هذه) يعني جنته (أبداً) وذلك أنه راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم أنها لا تفتنى أبداً وأنكر البعث فقال (وما أظن الساعة قائمة) أي كائنة (ولئن رددت إلى ربي) فإن قلت كيف قال ولئن رددت إلى ربي وهو منكسر للبعث قلت معناه ولئن رددت إلى ربي على ما زعم من أن الساعة آتية (لأجدن خيراً منها متقبلاً) أي يعطيني هناك خيراً منها

فهى الأموال السكيرة المثمرة من كل صنّف جمع ثمار وقال مجاهد ذهب وفضة وقيل جمع الثمرات لأنه قال الأزهرى الثمرة تجمع على ثمر ويجمع الثمر على ثمار ثم تجمع الثمار على ثمر (فقال) يعني صاحب البستان (لصاحبه) المؤمن (وهو يخاوره) يخاطبه ويخاوره (أنا أكثر منك مالا وأعز نفراً) أي عشيرة ورهطاً وقال قتادة خدماً وحشماً وقال مقاتل ولدا تصدق قوله تعالى وإن ترن أنا أقل منك مالا وولداً (ودخل جنته) يعني الكافر أخذاً بيد أخيه المسلم يطوف به فيها ويريه ثمارها (وهو ظالم لنفسه) بكفره (قال ما أظن أن تبدي) تهلك (هذه أبداً) قال أهل العاقبة راقه حسنها وغرته زهرتها فتوهم أنها لا تفتنى أبداً وأنكر البعث فقال (وما أظن الساعة قائمة) كائنة (ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيراً منها متقبلاً) قرأ أهل الحجاز والشام هكذا على التثنية يعني من الجنتين وكذلك هو في مصاحفهم وقرأ الآخرون منها أي من الجنة التي دخلها

لأنه

مقلبا اى مرجعا فان قيل كيف قال ولئن رددت الى ربى وهو منكر البعث قيل معناه ولئن رددت الى ربى على ما زعم انت تعطى هنالك خيرا منها فانه لم يعطى هذه الجنة في الدنيا الا ليعطى في الآخرة أفضل منها (قال له صاحبه) المسلم (وهو بخاوره أنكفرت بالذى خلقك من تراب) أى خلق أصلك من تراب (ثم) خلقك (من نطفة ثم مواء رجلا) أى عاك بشرا سويا ذكرا (لكننا هو الله ربى) قرأ ابن عامر ويعقوب لكننا بالألف فى الوصل وقرأ الباقون بلا ألف واتفقوا على إثبات الألف فى الوقف وأصله لكن أنا فحذفت الهزة فلما للتخفيف كثرة استعمالها ثم أدغمت إحدى النونين فى الأخرى قال الكسائى فيه تقديم وتأخير مجازة لكن الله هو ربى (ولا أشرك ربى أحدا ولو لا إذ دخلت (٢١٣) جنتك) أى هلا إذ دخلت جنتك

(قلت ماشاء الله) أى الأمر ماشاء الله وقيل جوابه مضمر أى ماشاء الله كان وتوبله (لا قوة الا بالله) أى لا أقدر على حفظ مالى أو دفع شىء عنه إلا بالله وروى عن هشام بن عروة عن أبيه أنه كان إذا رأى من ماله شيئا يعجبه أو دخل حائطا من حيطانه قال ماشاء الله لا قوة الا بالله ثم قال (إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا) أنا عماد ولذلك نصب أهل معناه إن ترن أقل منك مالا وولدا فتكبرت وتعظمت على (فعمى ربى) فقل ربى (أن مؤتينا) يعطى فى الآخرة (خبر من جنتك ويرسل عليها) أى على جنتك (حسبا) قال قتادة

لأنه لم يعطى الجنة فى الدنيا الا ليعطى فى الآخرة أفضل منها (قال له صاحبه) يعنى المؤمن (وهو بخاوره أنكفرت بالذى خلقك من تراب) أى خلق أصلك من تراب لأن خلق أصله سبب فى خلقه فكان خلقا له (ثم من نطفة ثم مواء رجلا) أى عداك بشرا سويا وكنك إنسانا ذكرا بالغ مبلغ الرجال (لكننا هو الله ربى) مجازة لكن أنا هو الله ربى (ولا أشرك ربى أحدا واولا) أى هلا (إذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله) والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها ماشاء الله اعترافا بأنها وكل غير فيها إنما حصل بمشيئة الله تعالى وفضله وأن أمرها بيده وأنه إن شاء تركها عامرة وإن شاء تركها خرابا (لا قوة الا بالله) أى وقلت لا قوة الا بالله إقرارا بأن أقويت به على عمارتها وتدبير أمرها هو بمعونة الله وتأيدته ولا أقدر على حفظ مالى ودفع شىء عنه إلا بالله روى عن عروة بن الزبير أنه كان إذا رأى من ماله شيئا يعجبه أو دخل حائطا من حيطانه قال ماشاء لا قوة الا بالله الخاطى البستان (إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا) أى لأجل ذلك تكبرت على وتعظمت (فعمى ربى) أى فقل ربى (أن مؤتينا) أى يعطى (خيرا من جنتك) يعنى فى الآخرة (ويرسل عليها) أى على جنتك (حسبا) قال ابن عباس نارا وقيل مرأى (من السماء) وهى الصواعق فهلكها (فتصبح صعيدا زلقا) أى أرضا جرداء ملساء لا نبات فيها وقيل تزلق فيها الأقدام وقيل زلقا هائلا (أو يصبح ماؤها غورا) غائرا ذاهبا لاناله الأبدى ولا الدلاء (فلن تستطيع له طلبا) يعنى إن طلبته لم تجده (وأحيط بشمره) يعنى أحاط العذاب بشمر جنته وذلك أن الله تعالى أرسل عليها من السماء نارا فأهلكها وغار ماؤها (فأصبح) يعنى صاحبها الكافر (يطلب كفيه) يصفق بكف على كف ويقب كفيه ظهرا ليطن تأسفا وتلهفا (على ما أنفق فيها) المعنى فأصبح يتدم على ما أنفق فى عمارتها (وهى خاوية على عروشها) أى ساقطة ستوفها وقيل كرومها المعرشة سقطت عروشها على الأرض (ويقول باليتى لم أشرك ربى أحدا) يعنى أنه تذكر موعظة أخيه المؤمن فعلم أنه أتى من جهة شركه وطغيانه فنهى لو لم يكن مشركا (ولم تكن له فئة) أى جماعة (يتصرونه من دون الله) أى ممنعونه من عذاب الله (وما كان منتصرا) أى متمعا لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل معناه لا يقدر على رد ما ذهب منه . قوله سبحانه وتعالى

عذابا وقال ابن عباس رضى الله عنه نارا وقال القتيبي مرأى (من السماء) وهى مثل صاعقة أو شىء يهلكها واحسبها حسبابة (فتصبح صعيدا زلقا) أى أرضا جرداء ملساء لا نبات فيها وقيل تزلق فيها الأقدام وقال مجاهد ملاءها (أو يصبح ماؤها غورا) أى غائرا منقطعاً ذاهبا لاناله الأبدى ولا الدلاء والغور مصدر وضع موضع الاسم مثل زور وغدل (فلن تستطيع له طلبا) يعنى إن طلبته لم تجده (وأحيط بشمره) أى أحاط العذاب بشمر جنته وذلك أن الله تعالى أرسل عليها نارا فأهلكها وغار ماؤها (فأصبح) صاحبها الكافر (يطلب كفيه) أى يصفق بيده على الأخرى ويقب كفيه ظهرا ليطن تأسفا وتلهفا (على ما أنفق فيها وهى خاوية) أى ساقطة (على عروشها) سقوطها (ويقول باليتى لم أشرك ربى أحدا) قال الله تعالى (ولم تكن له فئة) جماعة (يتصرونه من دون الله) ممنعونه من عذاب الله (وما كان منتصرا) متمعا منتصرا أى لا يقدر على الانتصار لنفسه وقيل لا يقدر على

والشبيح والحمد لله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وقال سعيد بن جبير ومسروق وإبراهيم الباقيات الصالحات هي
الصلوات الخمس ويروي هذا عن ابن عباس وعنه رواية أخرى أنها الأعمال الصالحة وهو قول قتادة قرأته لي (خير عند ربك
ثوابا) أي جزاء (وخير أملا) أي ما يامله الإنسان (ويوم نسير الجبال) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر تسيير بالياء وفتح الياء
الجبال رفع دليله قوله تعالى وإذا الجبال سيرت وقرأ الآخرون بالنون وكسر الياء الجبال تصب سير الجبال نقلها مع مكان إلى
مكان (وترى الأرض بارزة) أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبال ولا نبات كما قال وفبذرها قاعا صفتها لا ترى فيها عوجا ولا
آمتا قال عطاء هو بروز مافي باطنها من الموتى وغيرهم فتري باطن الأرض ظاهرا (وحشرناهم) جميعا إلى الموقف والحساب
(فلم تغادر منهم) أي تترك منهم (أحدا وعرضوا على ربك صفا) أي صفا صفا فوجا فوجا لأنهم صف واحد وقيل قياما ثم
يقال لهم يعني الكفار (لقد جنتمونا كما خلقناكم أول مرة) يعني أحياء (٢١٥) وثيل فرادى كما ذكر في سورة

الخمس وعنه أنها الأعمال الصالحة (خير عند ربك ثوابا) أي جزاء (وخير أملا) أي ما يؤمله
الإنسان . قوله سبحانه وتعالى (ويوم نسير الجبال) أي نذهب بها وذلك أن تجعل هباء ماثورا
كما يسير السحاب (وترى الأرض بارزة) أي ظاهرة ليس عليها شجر ولا جبل ولا بناء وقيل
هو بروز مافي بطنها من الموتى وغيرهم فيصير باطن الأرض ظاهرا (وحشرناهم) يعني جميعا
إلى موقف الحساب (فلم تغادر منهم أحدا) أي لم تترك منهم أحدا (وعرضوا على ربك صفا)
أي صفا صفا وفوجا فوجا لأنهم صف واحد وقيل قياما وقيل كل أمة وزمرة صف ثم يقال لهم
(لقد جنتمونا كما خلقناكم أول مرة) يعني أحياء وقيل حفاة عراة (بل زعمتم أن لن نجعل لكم
موعدا) يعني القيامة يقول ذلك لمنكر البعث (ق) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال قام
في نار رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة
غريلا كما بدأنا أول خلق نعيده وعدنا علينا إنا كنا فاعلين إلا إن أول الخلاق يكسب يوم القيامة
إبراهيم عليه السلام ألا وإنه سبحانه برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال فأقول يا رب
أصحابي فيقول إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم شهيدا
ما دمت فيهم إلى قوله العزيز الحكيم قال فيقال لي إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ
فارقتهم زاد في رواية فأقول صحفا صحفا قوله غريلا أي قلنا والغرلة القلفة التي تقع من جلد
الذكر وهو موضع الختان وقوله صحفا أي بعدا قال بعض العلماء إن المراد بـؤلاء
أصحاب الردة الذين ارتدوا من العرب ومنعوا الزكاة بعده (ق) وعن عائشة قالت سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول يحشر الناس حفاة عراة غريلا قالت عائشة فقالت الرجال والنساء
جميعا ينظر بعضهم إلى بعض قال الأمر أشد من أن يهيمهم ذلك زاد النسائي في رواية له لكل
امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه . قوله عز وجل (ووضع الكتاب) يعني صحائف أعمال العباد
توضع في أيدي الناس في أيامهم وشمالهم وقيل توضع بين يدي الله تعالى (فترى المحربين

الأنعام وقيل غريلا (بل
زعمتم أن لن نجعل لكم
موعدا) يوم القيامة يقول
لمنكرى البعث أخبرنا
عبد الواحد المليحي أنبأنا
أحمد بن عبد الله النعيمي
أنبأنا محمد بن يوسف ثنا
محمد بن إسماعيل ثنا معلى
بن أسد ثنا وهب بن ابن
طاوس عن أبيه عن أبي
هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم
قال يحشر الناس
على ثلاث طرائق راغبين
وراهبين واثنان على بعير
وثلاثة على بعير وأربعة
على بعير وعشرة على
بعير وتحشر بقبيهم النار
تقبل معهم حيث باتوا
وتصبح معهم حيث
أصبحوا وتسمى معهم

حيث أمسوا أخبرنا عبد الواحد المليحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنبأنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن كثير
ثنا سفيان بن المغيرة بن النعمان حدثني سعيد بن جبير عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إذا كنتم محشورون حفاة عراة غريلا ثم
قرأ كما بدأ أول خلق نعيده وعدنا علينا إنا كنا فاعلين وأول من يكسب يوم القيامة إبراهيم وإن ناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات
الشمال فأقول أصحابي فيقول إنهم لن يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم فأقول كما قال العبد الصالح وكنت عليهم
شهيدا ما دمت فيهم إلى قوله العزيز الحكيم وأخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد السرخسي أنا أبو القاسم جعفر بن
محمد بن مغلس ببغداد ثنا هرون بن إسحاق الهمداني أنبأنا أبو خالد الأحمر عن حاتم بن أبي صغير عن ابن أبي مليكة عن القاسم
ابن محمد عن عائشة قالت قلت يا رسول الله كيف يحشر الناس يوم القيامة قال عراة حفاة قالت قلت والنساء قال والنساء
قالت قلت يا رسول الله نستحي قال يا عائشة الأمر أشد من ذلك أن يهيمهم أن ينظر بعضهم إلى بعض وقوله تعالى (ووضع
الكتاب) يعني كتاب أعمال العباد يوضع في أيدي الناس في أيامهم وشمالهم وقيل معناه يوضع بين يدي الله تعالى (فترى المحربين

مشفقين (خائفين) مما فيه) من الأعمال السيئة (ويقولون) إذا رآوه (زويطة) باهلاكتنا (والويل والويل الهلكة وكل من وقع في هلكة دعا بالويل ومعنى النداء تلبية المخاطبين (مال هذا الكتاب لا يذاذر صغيرة ولا كبيرة) من ذنوبنا . قال ابن عباس الصغيرة التيسم والكبيرة التفهيمه وقال سعيد بن جبير الصغيرة الدم واللحم والقبلة والكبيرة الزنا (إلا أحصاها) عندها قال السدي كتبها وأثبتها قال مقاتل (٢١٦) بن حبان حفظها أنبأنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضى أنبأنا

أبو العباس عبد الله ابن محمد بن هرون الطيسفوني أنبأنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي أنبأنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمرو بن بسطام أنبأنا أبو الحسن أحمد بن يسار القرشي ثنا يوسف بن عدي المصري ثنا أبو صفرة أنس بن عياض عن أبي حازم قال لا أعلمه إلا عن سهل ابن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لياكم ومحقرات الذنوب فأنما مثل محقرات الذنوب مثل قوم زلوا في بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فأنضجوا خبزهم وإن محقرات الذنوب لم يبقات قوله تعالى (ووجدوا ما عملوا حاضرا) مكتوبا مثبتا في كتابهم (ولا يظلم ربك أحدا) أي لا ينقص ثواب أحد عمل خيرا وقال الضحاك لا يؤخذ

مشفقين) أي خائفين (مما فيه) يعني من الأعمال السيئة (ويقولون) يعني إذا رآوها (أوبلنا) أي ياهلاكتنا وكل من وقع في هلكة دعا بالويل (مال هذا الكتاب لا يذاذر) أي لا يترك (صغيرة ولا كبيرة) أي من ذنوبنا (إلا أحصاها) أي عددها وكتبها وأثبتها فيه وحفظها قال ابن عباس الصغيرة التيسم والكبيرة التفهيمه وقال سعيد بن جبير الصغيرة اللحم واللحم والقبلة والكبيرة الزنا عن سهل بن سعد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لياكم ومحقرات الذنوب فأنما مثل محقرات الذنوب مثل قوم زلوا في بطن واد فجاء هذا بعود وجاء هذا بعود فأنضجوا خبزهم وإن محقرات الذنوب لم يبقات قوله تعالى (ووجدوا ما عملوا حاضرا) أي مكتوبا مثبتا في كتابهم (ولا يظلم ربك أحدا) أي لا ينقص ثواب أحد عمل خيرا ولا يؤخذ أحدا يجرم لم يعمله عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجندال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فأخذ يمينه وأخذ بشماله أخرجه الترمذي وقال لا يصح هذا الحديث من قبل أن الحسن لم يسمع من أبي هريرة وقد رواه بعضهم عن الحسن عن أبي موسى . قوله سبحانه وتعالى (وإذا قلنا) أي واذكر يا محمد إذ قلنا (للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن) قال ابن عباس كل من حى من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نثار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس . وكونه من الملائكة لا ينافي كونه من الجن بدليل قوله سبحانه وتعالى وجعلوا بيننا وبين الجنة نسيا وذلك أن قريشا قالت الملائكة بنات الله فهنا يدل على أن الملك يسمى جنا وبعضه اللغة لأن الجن مأخوذ من الاجتنان وهو السرفعل هذا تدخل الملائكة فيه فكل الملائكة جن لاستئثارهم وليس كل جن ملائكة . ووجه كونه من الملائكة أن الله سبحانه وتعالى استثناه من الملائكة والاستثناء يفيد إخراج مالوا له لدخل ويصح دخوله وذلك يوجب كونه من الملائكة ووجه من قال إنه كان من الجن ولم يكن من الملائكة قوله كان من الجن والجن جنس مخالف للملائكة وقوله أفتنخذونه وذريته فأثبت له ذرية والملائكة لا ذرية لهم وأجيب عن الاستثناء أنه استثناء منقطع وهو مشهور في كلام العرب قال الله سبحانه وتعالى وإذا قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني براء مما نعبدون إلا أني فطرني وقال تعالى لا يسمعون فيها لغوا إلا سلاما قبل إنه كان من الملائكة فلما خالف الأمر مسخ وغير وطردوا عن . وقوله تعالى (ففسق عن أمر ربه) أي خرج عن طاعة ربه (أفتنخذونه)

أحدا يجرم لم يعمله وقال عبد الله بن قيس يعرض الناس يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فجندال ومعاذير وأما العرضة الثالثة فعند ذلك تطير الصحف في الأيدي فأخذ يمينه وأخذ بشماله ورفعهم عن أبي موسى قوله تعالى (وإذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) يقول واذكر يا محمد إذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم (فسجدوا إلا إبليس كان من الجن) قال ابن عباس كان من حى من الملائكة يقال لهم الجن خلقوا من نثار السموم وقال الحسن كان من الجن ولم يكن من الملائكة فهو أصل الجن كما أن آدم أصل الإنس (ففسق) أي خرج (عن أمر ربه) عن طاعة ربه (أفتنخذونه) يعني ياتى آدم

(وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو) أي أعداء روى مجاهد عن الشعبي قال إني لقاعد يوما إذ أقبل رجل فقال أخبرني هل لإبليس زوجة قلت إن ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قوله تعالى وأفتخنونه وذريته أولياء من دوني فعلمت أنه لا تكون الذرية إلا من الزوجة فقلت نعم وقال قتادة يتوالدون كما يتوالد بنو آدم وقيل إنه يدخل ذبه في دبره فيبيض فتتعلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية إبليس ولايس وولان وهما صاحبا الطهارة والصلاة والمغفان ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الأسواق زين اللغو والحلف الكاذبة ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصائب زين للناس خمش الوجوه ولطم الحدود وشق الجيوب والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجز المرأة ومطوس وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس ولا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل (٢١٧) بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله

يعني يابني آدم أفتخنونه لإبليس (وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو) يعني أعداء روى مجاهد عن الشعبي قال إني لقاعد يوما إذ قبل رجل فقال أخبرني هل لإبليس زوجة قلت إن ذلك العرس ما شهدته ثم ذكرت قول الله عز وجل وأفتخنونه وذريته أولياء من دوني فعلمت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة فقلت نعم قبل يتوالدون كما يتوالد ابن آدم وقيل إنه يدخل ذبه في دبره فيبيض فتتعلق البيضة عن جماعة من الشياطين قال مجاهد من ذرية إبليس ولايس وولان وهو صاحب الطهارة والصلاة والمغفان ومرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الأسواق زين اللغو والحلف الكاذب ومدح السلع وبتر وهو صاحب المصائب زين خمش الوجوه ولطم الحدود وشق الجيوب والأعور وهو صاحب الزنا ينفخ في إحليل الرجل وعجيزة المرأة ومطوس وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقيها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذي إذا دخل الرجل بيته ولم يسلم ولم يذكر اسم الله بصره من المتاع ما لم يرفع ولم يوضع في موضعه أو يجتنب موضعها وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه قال الأعمش ربما دخلت البيت ولم أسلم فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم ثم أذكر اسم الله فأقول داسم داسم وروى عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن للوضوء شيطانا يقال له الوهان فائقوا وسواس الماء أخرجه الترمذي (م) وعن عثمان ابن أبي العاص قال قلت يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه وانقل على يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني (م) عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يبيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا ثم يبيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت قال الأعمش أراه قال فيلترمه . وقوله (بئس للظالمين بدلا) يعني بئس ما استبدلوا طاعة

بصره من المتاع ما لم يرفع ولم يوضع في موضعه أو يجتنب موضعها وإذا أكل ولم يذكر اسم الله أكل معه قال الأعمش ربما دخلت البيت ولم أسلم فرأيت مطهرة فقلت ارفعوا هذه وخاصمتهم ثم أذكر اسم الله فأقول داسم داسم وروى عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال إن للوضوء شيطانا يقال له الوهان فائقوا وسواس الماء أخرجه الترمذي (م) عن عثمان ابن أبي العاص قال قلت يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه وانقل على يسارك ثلاثا قال ففعلت ذلك فأذهب الله عني (م) عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يبيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا ثم يبيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت قال الأعمش أراه قال فيلترمه . وقوله (بئس للظالمين بدلا) يعني بئس ما استبدلوا طاعة

(٢٨ - خازن بالبغوي - رابع) بن الحجاج ثنا يحيى بن خلف الباهلي أنبأنا عبد الأعلى عن سعيد الحريري عن أبي العلاء أن عثمان بن أبي العاص أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله إن الشيطان قد حال بيني وبين صلاتي وبين قراءتي يلبسها علي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه وانقل عن يسارك ثلاثا ففعلت ذلك فأذهب الله عني وأخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر ابن محمد عيسى الجلودي ثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنبأنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو كريب محمد بن علاء أنبأنا أبو معاوية ثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه يقتنون الناس فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة يبيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئا قال ثم يبيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته قال فيدنيه منه ويقول نعم أنت قال الأعمش أراه قال فيلترمه قوله تعالى (بئس للظالمين بدلا)

قال قتادة بلس ما استبدلوا طاعة إبليس وذريته بعبادة ربهم (ما أشهدتهم) ما أحضرتهم وقرأ أبو جعفر ما أشهدناهم بالنون والألف على التعظيم أي أحضرناهم يعني إبليس وذريته وقيل الكفار وقال الكلبي يعني الملائكة (خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) يقول ما أشهدهم خلقا فاستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها (وما كنت متخذ المضلين عضدا) أي الشياطين الذين يضلون الناس عضدا أي أنصارا وأعوانا قوله تعالى (ويوم يقول) قرأ حمزة بالنون والآخرون بالياء أي يقول الله لهم يوم القيامة (نادوا شركائي) يعني الأوثان (الذين زعمتم) أنهم شركائي (فدعوهم) فاستغاثوا بهم فلم يستجيبوا لهم) أي لم يجيبوهم ولم ينصروهم (وجعلنا بينهم) يعني بين الأوثان وعبدها وقيل بين أهل الهدى وأهل الضلال (مويقا) مهلكا قاله عطاء والضحاك وقال ابن عباس هو واد في النار وقال مجاهد واد في جهنم وقال عكرمة هو نهر في النار يسيل نارا على حافته حيات مثل البغال الدم (٢١٨) قال ابن الأعرابي وكل حاجز بين شيئين فهو موبق وأصله الهلاك يقال

أوبقه أي أهلكه قال القراء وجعلنا تواصلهم في الدنيا مهلكا لهم في الآخرة والبين على هذا القول التواصل كقوله تعالى لقد قطع بينكم على قراءة من قرأ بالرفع (ورأى الجرمون النار) أي المشركون (فظنوا) أي قنوا (أنهم واقعوها) داخلوها وواقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) معدلا لأنها أحاطت بهم من كل جانب قوله تعالى (ولقد صرفنا) بيننا في هذا القرآن للناس من كل مثل) أي ليتذكروا ويتعظوا (وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) خصومة في الباطل قال ابن عباس أراد النضر بن الحارث

إبليس وذريته بعبادة ربهم وطاعته . قوله سبحانه وتعالى (ما أشهدتهم) أي ما أحضرتهم يعني إبليس وذريته وقيل الكفار وقيل الملائكة (خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم) والمعنى ما أشهدتهم خلقها فاستعين بهم على خلقها وأشاورهم فيها (وما كنت متخذ المضلين) يعني الشياطين الذين يضلون الناس (عضدا) يعني أنصارا وأعوانا . قوله عز وجل (ويوم يقول نادوا) يعني يقول الله تعالى يوم القيامة نادوا (شركائي) يعني الأصنام (الذين زعمتم) يعني أنهم شركائي (فدعوهم) أي فاستغاثوا بهم (فلم يستجيبوا لهم) أي فلم يجيبوهم ولم ينصروهم (وجعلنا بينهم) يعني بين الأصنام وعبدها وقيل بين أهل الهدى وبين أهل الضلال (مويقا) يعني مهلكا قال ابن عباس هو واد في النار وقيل نهر تسيل منه نار وعلى حافته حيات مثل البغال الدم وقيل كل حاجز بين شيئين فهو موبق وأصله الهلاك (ورأى الجرمون) أي المشركون (النار فظنوا) أي أيقنوا (أنهم واقعوها) أي داخلوها وواقعون فيها (ولم يجدوا عنها مصرفا) أي معدلا لأنها أحاطت بهم من كل جانب وقيل لأن الملائكة تسوقهم إليها . قوله سبحانه وتعالى (ولقد صرفنا) أي بيننا (في هذا القرآن للناس من كل مثل) أي ليتذكروا ويتعظوا (وكان الإنسان أكثر شيء جدلا) أي خصومة في الباطل قال ابن عباس أراد النضر بن الحارث وجداله في القرآن وأراد به جميع الكفار وقيل الآية على العموم وهو الأصح (ق) عن علي ابن أبي طالب رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة ليلا فقال ألا تصليان فقلت يا رسول الله أنفسنا بيد الله تعالى فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت ذلك ولم يرجع إلى شينائهم سمعته يقول وهو مول يضرب فخذه بيده وكان الإنسان أكثر شيء جدلا . قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) يعني القرآن وأحكام الإسلام والبيان من الله تعالى وقيل إنه رسول الله صلى الله عليه وسلم (ويستغفروا ربهم) والمعنى أنه لا مانع لهم من الإيمان ولا من الاستغفار والتوبة والتخلية حاصلة والأعداء زائلة فلم يقدموا على الإيمان والاستغفار (إلا أن تأتيهم سنة الأولين) يعني سنتنا

وجداله في القرآن قال الكلبي أراد به أبي بن خلف الجمحي وقيل المراد من الآية الكفار لقوله تعالى ويجادل الذين كفروا بالباطل وقيل هي على العموم وهذا أحسن خبرنا عبد الواحد بن أحمد الملبحي أنبأنا أحمد بن عبد الله النعماني أنبأنا محمد بن يوسف أنبأنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليان أنا شعيب عن الزهري أنبأنا علي بن الحسين أن الحسين بن علي أخبره أن عليا أخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقه وفاطمة بليت رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة فقال ألا تصليان فقلت يا رسول الله إن أنفسنا بيد الله فإذا شاء أن يبعثنا بعثنا فانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قلت له ذلك ولم يرجع إلى شينائهم سمعته وهو مول يضرب فخذه يقول وكان الإنسان أكثر شيء جدلا . قوله عز وجل (وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى) القرآن والإسلام والبيان من الله عز وجل وقيل إن الرسول صلى الله عليه وسلم (ويستغفروا ربهم) إلا أن تأتيهم سنة الأولين) يعني سنتنا في إهلاكهم إن لم يؤمنوا وقيل لإلّا طلب أن تأتيهم سنة الأولين من معاينة العذاب كما قالوا

ابن ميثام من أولاد يوسف
والأول أصبح أخيراً
عبد الواحد بن أحمد
المليحي أنبأنا أحمد بن
عبد الله النعيمي أنبأنا
محمد بن يوسف ثنا محمد
ابن إسحاق ثنا الحميدي
ثنا سفيان ثنا عمرو بن
دينار أخبرني سعيد بن
جبير قال قلت لابن
عباس إن نوحاً البكالي
يزعم أن موسى صاحب
الخضر ليس هو موسى
بني إسرائيل فقال ابن
عباس كذب عدو الله
حدثنا أبي بن كعب أنه
سمع رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول إن
موسى تام خطيباً في بني
إسرائيل فمثل أي الناس
أعلم فقال أنا فعتب
الله عليه إذ لم يرد العلم
إليه فأوحى الله إليه إن
لي عبداً بمجمع البحرين
هو أعلم منك قال موسى
يا رب فكيف لي به
قال تأخذ معك حوتاً
فتجعله في مكمل فحيث
ما فقدت الحوت فهو
ثمة فأخذ حوتاً فجعله
في مكمل ثم انطلق
وانطلق معه فتاه
بوشع بن نون حتى إذا
أنيا الصخرة وضعا

فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت وانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى إذا كانا من
الغد قال « موسى لفتاه آتينا غداً ما لقد لقينا من سفرنا هذا نصيباً » قال ولم يجد موسى النصب
حتى تجاوز المكان الذي أمره الله به فقال له فتاه « رأيت إذ أوتينا إلى الصخرة فاني نسيت
الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سيده في البحر عجيباً » قال فكان للحوت
سرباً ولموسى ولفتاه عجيباً فقال موسى « ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصاً » قال رجعا
فقصا آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فإذا رجل مسجى بثوب أبيض فسلم عليه موسى فقال
الخضر وأني بأرضك السلام فقال أنا موسى قال موسى بني إسرائيل قال نعم أنبتك وتعلمني
مما علمت رشدًا قال إنك لن تستطيع معي صبراً يا موسى إني علم من علم الله علمه
لا تعلمه وأنت على علم من علم الله علمه الله لأعلمه فقال موسى « ستجدني إن شاء الله صابراً
ولأعصي لك أمراً » فقال له الخضر « فان اتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه
ذكراً فانطلقا بمشيان على ساحل البحر فمرت بهم سفينة فكلموهم أن يعلموهم فعرفوا الخضر
فحملوهم بغير نول فلما ركبا السفينة لم يفجأ موسى إلا والخضر قد قلع لوحاً من ألواح السفينة
بالقدوم فقال له موسى قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد
جئت شيئاً إمرأ قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً قال لا تأخذني بما نسيت ولا ترهقني
من أمري عمراً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « كانت الأولى من موسى نسياناً قال وجاء
عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة فقال له الخضر ما نقص علمي وعلمك
من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فيبأهما بمشيان
على الساحل إذ أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فأخذ الخضر برأسه فاقتلعه بيده فقتله
فقال له موسى « أقتلت نفساً زكية بغير نفس لقد جئت شيئاً نكراً قال ألم أقل لك
إنك لن تستطيع معي صبراً » قال وهذه أشد من الأولى قال « إن سألتك عن شيء بعد ما فلا
تصاحبني قد بلغت من ولدني عذراً فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن
يضيفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض أي مثلاً فقال الخضر بيده هكذا فأقام فقال
موسى قوم أنبئناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا لو شئت لاتخذت عليه أجراً قال هذا فراق بيني
وبينك سأنبتك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله
موسى لو ددت أنه صبر حتى يقص علينا من أخبارهما قال سعيد بن جبير فكان ابن عباس
يقراً وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصياً وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافراً
وكان أبواه مؤمنين وفي رواية عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قام موسى
عليه السلام ذكر الناس يوماً حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى فأدركه رجل فقال
أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك قال لا فتعب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله تعالى
فقال بلى قال أي رب وأين هو قال بمجمع البحرين قال خذ حوتاً يتاح حيث ينفخ فيه الروح
وفي رواية تزود حوتاً ما لحا فانه حيث يفقد الحوت زاد في رواية وفي أصل الصخرة عين يقال
ذا الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حيا فأصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل
من المكمل فدخل البحر ورجعنا إلى التفسير قوله سبحانه وتعالى (لا أبرح) أي لا أزال
أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) قيل أراد بحر فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل

سهبا في البحر سرها وأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نعى صاحبه أن يجبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليتهما حتى إذا كان من الغد فلما جاوزا قال موسى لفتاه «أتنا غدا لنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا» قال ولم يجد موسى النصب حتى جاوز المكان الذي أمره الله به وقال له فتاه «أرأيت إذ أوتينا إلى الصخرة فأنسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره واتخذ سبهله في البحر عجبا» قال فكان للحوت سرها ولموسى وفتاه عجا وقال موسى ذلك ما كنا نبيغ نطلبه فارتدا على آثارهما قصصا فوجدنا عبدا من عبادنا آتينا رحمة من عندنا وعلمتنا من لنا علما قال له موسى هل أتبعك على إن تعلمن مما علمت رشدا قال رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة فاذا رجل مسجى يابوب فسلم عليه موسى فقال الخضر عليه السلام وأنى أرضك السلام فقال له أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم قال أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا قال «إنك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به خيرا» يا موسى إني على علم من علم الله علمتني لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم علمك الله لأعلمه فقال موسى «استجدي إن شاء الله صابرا ولا أعصى لك أمرا» فقال له الخضر «فإن أتبعني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكرا فانطلقا» يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة فكلهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول حتى إذا ركبا في السفينة لم يفجأ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم فقال له موسى قوم قد حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا لأمرا قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبرا قال لا تأخذني بما نسيت ولا ترهقني من أمري عسرا فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله قال «وقل رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت الأولى من موسى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا» قال وجاء عصفور فترقع على حرف السفينة ففرق في البحر نقرة فقال له الخضر (٢٢١) ما نقص علمي وعلمك من

علم إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر ثم خرجا من السفينة فيبها هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان

أفريقية (أو أمضى حقا) يعني أو أسير دهرًا طويلا، والحقب ثمانون سنة فحمل خبزا وممكة مالحة في المكمل وهو الزنبيل الذي يسع خمسة عشر صاعا ومضيا حتى انتهيا إلى الصخرة التي عند مجمع البحرين وعندها عين تسمى عين الحياة لا تصيب شيئا إلا حيا فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكمل وهاجت ودخلت في البحر (فلما بلغنا) يعني موسى وفتاه (مجمع بينهما) أي بين البحرين (نسيان) أي تركا (حوتهما) وإنما كان الحوت مع يوشع بن نون

فأخذ الخضر برأسه فاقتله بيده وقتله فقال له موسى وأقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبرا قال وهذه أشد من الأولى قال «إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية استطعنا أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدنا فيها جدارا يريد أن ينقض قال كان مائلا فقال الخضر بيده فأقامه فقال موسى قوم آتيناكم فلم يطعمونا ولم يضيفونا ولو شئت لتخذت عليه أجرا قال هذا فراق بيني وبينك إلى قوله ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ووددنا أن موسى كان صبرا حتى يقص علينا من خبرهما قال سعيد بن جبيرة فكان ابن عباس يقرأ وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكان يقرأ وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين وعن سعيد بن جبيرة في رواية أخرى عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قام موسى رسول الله فذكر الناس يوما حتى إذا فاضت العيون وركت القلوب ولى فأدركه رجل فقال أي رسول الله هل في الأرض أحد أعلم منك قال لا فتب الله عليه إذ لم يرد العلم إلى الله قيل بلى عبدنا الخضر قال يارب وأين قال بمجمع البحرين قال أخذ حوتا ميتا حيث يفضخ فيه الروح وفي رواية قيل له تزود حوتا مالحا فانه حيث تفقد الحوت فأخذ حوتا فجعل في مكمل رجعا إلى التفسير قوله وإذا قال موسى لفتاه يوشع بن نون لا أبرح أي لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين قال تنادة بحر فارس وبحر الروم مما يلي المشرق وقال محمد بن كعب طنجة وقال أبي بن كعب أفريقية (أو أمضى حقا) أي وإن كان حقا أي دهرًا طويلا وزمانا وجمعه أحقاب والحقب جمع الحقب قال عبد الله بن عمر والحقب ثمانون سنة فحملنا خبزا وممكة مالحة حتى انتهيا إلى الصخرة التي عند مجمع البحرين ليلا وعندها عين تسمى ماء الحياة لا يصيب ذلك الماء شيئا إلا حيا فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكمل وغاشت ودخلت البحر فلذلك قوله (فلما بلغنا) يعني موسى وفتاه (مجمع بينهما) أي بين الفريقين (نسيان) تركا (حوتهما) وإنما كان الحوت مع

يوشع وهو الذي نسيه وأضاف النسيان إليهما لأنهما جميعا تزوداه لسفرهما كما يقال خرج القوم إلى موضع كذا وحملوا من الزاد كذا وإنما حمله واحد منهم (فاتخذ أي الحوت سبيله في البحر سربا) أي مسلكا وروى عن أبي كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلبثم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فاذا هو بالخضره قال ابن عباس جعل الحوت لايمس شيئا من البحر إلا يمس شيئا من نون من عين الحياة فانتضح على الحوت للمالح في المسكتل من ذلك الماء فعاش ثم وثب في ذلك الماء فجعل يضرب بذنيه فلا يضرب بذنيه شيئا من الماء وهو ذاهب إلا يمس وقد روينا أنهما لما انتهيا إلى الصخرة وضعا رءوسهما فناما واضطرب الحوت فخرج وسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصارع عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي صاحبه أن يخبره فانطلقا حتى (٢٢٢) إذا كان من الغد قوله تعالى (فلما جاوزا) يعني ذلك الموضع وهو مجمع

البحرين (قال) موسى (لفتاه أننا غداءنا) أي طعامنا والغداء ما يعد للأكل غدوة والعشاء ما يعد للأكل عشية (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) أي تعبنا وشدة وذلك أنه أتى على موسى الجوع بعد مجاوزة الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع إلى مطلبه (قال) له فتاه يذكره (أرأيت إذ أوتينا إلى الصخرة) وهي صخرة كانت بالموضع الموعود قال هقل بن زياد هي الصخرة التي دون نهر تريت (فني نسبت الحوت) أي تركته وفقدته وذلك أن يوشع حين رأي ذلك من الحوت قام ليذكر موسى فيخبره فمضى أن يخبره فمكنا يومهما حتى صابا الظهر من الغد ثم قال (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) أي وما أنساني أن أذكر لك أمر الحوت إلا الشيطان قيل المراد من النسيان شغل قلب الإنسان بوساوس الشيطان التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الفسك لأن ذلك لا يصح إلا من قبل الله تعالى (واتخذ سبيله في البحر عجبا) قيل هذا من قول يوشع بن نون يعني وقع الحوت في البحر فاتخذ سبيله فيه مسلكا وروى في الخبر كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا وقيل أي شيء أعجب من حوت يؤكل منه دهرًا ثم صار حيا بعد ما أكل بعضه . قوله عز وجل (قال) يعني موسى (ذلك ما كنا نبغ) نطلب (فارتدا على آثارهما قصصا) أي

وهو الذي نسيه وإنما أضافت النسيان إليهما لأنهما تزوداه لسفرهما وقيل المراد من قوله نسيان حوتهما أي نسيان كيفية الاستدلال بهذه الحالة المخصوصة على الوصول للمطلوب (فاتخذ) أي الحوت (سبيله في البحر سربا) أي مسلكا . وروى أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال (إنجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم يلبثم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فاذا هو بالخضره) قال ابن عباس جعل الحوت لايمس شيئا من البحر إلا يمس حتى صار صخرة وقد روينا أنهما لما انتهيا إلى الصخرة وضعا رءوسهما فناما واضطرب الحوت فخرج فسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصارع عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى نسي صاحبه أن يخبره فانطلقا حتى إذا كانا من الغد وهو قوله سبحانه وتعالى (فلما جاوزا) يعني ذلك الموضع وهو مجمع البحرين (قال) يعني موسى (لفتاه أننا غداءنا) أي طعامنا (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) أي تعبنا وشدة وذلك أنه أتى على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع إلى مطلبه (قال) يعني يوشع (أرأيت إذ أوتينا إلى الصخرة) وهي صخرة كانت بالموضع الموعود (فاني نسبت الحوت) أي تركته وفقدته وذلك أن يوشع حين رأى من الحوت ذلك قام ليذكر موسى فيخبره فمضى أن يخبره فمكنا يومهما حتى صابا الظهر من الغد ثم قال (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) أي وما أنساني أن أذكر لك أمر الحوت إلا الشيطان قيل المراد من النسيان شغل قلب الإنسان بوساوس الشيطان التي هي من فعله دون النسيان الذي يضاد الفسك لأن ذلك لا يصح إلا من قبل الله تعالى (واتخذ سبيله في البحر عجبا) قيل هذا من قول يوشع بن نون يعني وقع الحوت في البحر فاتخذ سبيله فيه مسلكا وروى في الخبر كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا وقيل أي شيء أعجب من حوت يؤكل منه دهرًا ثم صار حيا بعد ما أكل بعضه . قوله عز وجل (قال) يعني موسى (ذلك ما كنا نبغ) نطلب (فارتدا على آثارهما قصصا) أي

رجعا

رأي ذلك من الحوت قام ليذكر موسى فيخبره فمضى أن يخبره

فمكنا يومهما حتى صابا الظهر من الغد قيل في الآية إضمار معناه نسبت أن أذكر لك أمر الحوت ثم قال (وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره) أي وما أنساني أن أذكر لك أمر الحوت إلا الشيطان وقرأ حفص أنسانيه وفي الفتح عليه الله بضم الماء وقيل معناه أنسانيه لئلا أذكره (واتخذ سبيله في البحر عجبا) قيل هذا من قول يوشع ويقول ظفر الحوت إلى البحر فاتخذ فيه مسلكا فعجبت من ذلك عجبا وروينا في الخبر كان للحوت سربا ولموسى وفتاه عجبا وقيل هذا من قول موسى لما قال له يوشع واتخذ سبيله في البحر سربا قال له موسى عجبا كأنه قال أعجب عجبا قال ابن زيد أي شيء أعجب من حوت يؤكل منه دهرًا ثم صار حيا بعد ما أكل بعضه (قال) موسى (ذلك ما كنا نبغ) أي نطلب (فارتدا على آثارهما قصصا) أي رجعا بقصان الأثر الذي جاما منه أن ينتفيانه فوجداه عبيدا من عبادنا قيل كان ملكا من الملائكة والصحيح الذي جاء في

التواريخ وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه الخضر واسمه بلياً بن ملكان قيل كان من نسل بني إسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك الذين زهدوا في الدنيا والخضر لقب له سمي بذلك لما أخبرنا أبو علي حسان بن سعد المنيعي أبانا أبو طاهر محمد ابن محمد بن محمش الزياتي أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان ثنا أحمد بن يوسف السلمى ثنا عيد الرزاق أنا معمر بن ممام بن منبه قال ثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما سمي خضراً لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهنأت تحته خضراء» قال مجاهد سمي خضراً لأنه إذا صلى اخضر ماحوله وروينا أن موسى رأى الخضر مسجياً بثوب فسلم عليه فقال الخضر وأني بأرضك السلام قال أنا موسى أتيتك لتعلمني (٢٢٣) مما علمت رشداً وفي رواية أخرى

لقية مسجياً بثوب

مستلقياً على قفاه بعض

الثوب تحت رأسه وبعضه

تحت رجله وفي رواية

لقية وهو يصلي ويروي

لقية على طنفسة خضراء

على كبد البحر فذلك

قوله تعالى (فوجدنا عبداً

من عبادنا آتيناها رحمة)

أي نعمة (من عندنا

وعلمناه من لدنا علماً)

أي علم الباطن إلهاماً

ولم يكن الخضر نبياً عند

أكثر أهل العلم بقول

جئت لأتبعك (قال

له موسى هل أتبعك)

وأصبحك (على أن

تعلمن مما علمت

رشداً) قرأ أبو عمرو

ويعقوب رشداً بفتح

الراء والشين وقرأ

الآخرون بضم الراء

وسكون الشين: أي

رجعاً يقصان الذي جاء منه ويتبعانه (فوجدنا عبداً من عبادنا) قيل كان ملكاً من الملائكة والصحيح الذي ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاء في التواريخ أنه الخضر واسمه بلياً بن ملكان وكنيته أبو العباس قيل كان من بني إسرائيل وقيل كان من أبناء الملوك الذين زهدوا وتركوا الدنيا والخضر لقب له سمي به لأنه جلس على فروة بيضاء فاخضرت (خ) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما سمي خضراً لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهنأت تحته خضراء» الفروة قطعة نبات مجتمعة بابسة وقيل سمي خضراً لأنه كان إذا صلى اخضر ماحوله وروينا أن موسى رأى الخضر مسجياً بثوب فسلم عليه فقال الخضر وأني بأرضك السلام قال أنا موسى أتيتك لتعلمني مما علمت رشداً ومعنى مسجياً بثوب أي مغطى بثوب وقوله وأني بأرضك السلام معناه من أين بأرضك التي أنت فيها الآن السلام وروي أنه لقية على طنفسة خضراء على جانب البحر فذلك قوله سبحانه وتعالى فوجدنا عبداً من عبادنا (آتيناها رحمة) أي نعمة (من عندنا وعلمناه من لدنا علماً) أي علم الباطن إلهاماً ولم يكن الخضر نبياً عند أكثر أهل العلم بقول جئت لأتبعك (قال له موسى هل أتبعك) معناه جئت لأصبحك وأتبعك (على أن تعلمن مما علمت رشداً) أي صواباً وقيل علماً ترشدني به وفي بعض الأخبار قال الخضر لموسى كفى بالتوراة علماً وبني إسرائيل شغلاً فقال له موسى إن الله أمرني بهذا فحيث (قال) الخضر موسى (إنك لن تستطيع معي صبراً) وإنما قال ذلك لأنه علم أنه يرى أموراً منكراً ولا يجوز للأنبياء الصبر مع المنكرات ثم بين عنده في ترك الصبر فقال (وكيف تصبر على ما لم تحط به خيراً) أي علماً (قال) موسى (ستجدني إن شاء الله صابراً) وإنما استثنى لأنه لم يثق من نفسه بالصبر (ولا أعصى لك أمراً) أي لا أخالفك فيما تأمرني به فقال (فإن أتبعني) أي إن صبرتني ولم يقل أتبعني ولكن جعل الاختيار إياه شرط عليه ثم شرطاً فقال (فلا تسألني

صواباً وقيل علماً ترشدني به وفي بعض الأخبار أنه لما قال له موسى هذا قال له الخضر كفى بالتوراة علماً وبني إسرائيل شغلاً

فقال له موسى إن الله أمرني بهذا فحيث (قال) له الخضر (إنك لن تستطيع معي صبراً) وإنما قال ذلك لأنه علم أنه يرى

أموراً منكراً ولا يجوز للأنبياء أن يصبروا على المنكرات ثم بين عنده في ترك الصبر فقال له وكيف تصبر على ما لم تحط

به خيراً) أي علماً (قال) موسى (ستجدني إن شاء الله صابراً) وإنما استثنى لأنه لم يثق من نفسه بالصبر (ولا أعصى لك أمراً)

أي لا أخالفك فيما تأمرني به فقال الخضر (فإن أتبعني) أي إن صبرتني ولم يقل أتبعني ولكن جعل الاختيار إليه إلا أنه شرط

عليه شرطاً فقال (فلا تسألني) قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر بفتح اللام وتشديد النون والآخرون بسكون اللام وتخفيف

الثون (عن شيء) عمله فيما تنكره ولا تعترض عليه (حتى أحدث لك منه ذكرا) حتى ابتداء ذلك بذكره فأبين لك شأنه (فانطلقا) بمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانيها فوجدنا سفينة فركبها فقال أهل السفينة هؤلاء لصووص وأمرهما بالخروج فقال صاحب السفينة ما هم بلصووص ولكني أرى وجوه الأنبياء وروينا عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ومرت بهم سفينة فكلهم وهم أن يحملوهم فمرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما لججوا البحر أخذ الخضر فأسا فخرق لوحا من السفينة فذلك قوله (حتى إذا ركبا في السفينة قال) له موسى (أخرقتها لتغرق أهلها) قرأ حمزة والكسائي ليغرق بالياء وفتحها وفتح الراء أهلها بالرفع على المزوم وقرأ الآخرون بالثاء ورفعها وكسر الراء أهلها بالنصب على أن الفعل للخضر (لقد جئت شيئا إمرا) أي منكرا والأمر في كلام العرب الداهية وأصله كل شيء شديد كثير يقال أمر القوم إذا كثروا واشتد أمرهم وقال الفتيبي إمرا أي عجبا وروى أن (٢٢٤) الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروى إن موسى لما رأى ذلك

أخذ ثوبه فحشى به الخرق وروى أن الخضر أخذ قدحا من الزجاج ووقع به خرق السفينة (قال) العالم وهو الخضر (لم أقل إنك لم تستطيع معي صبيرا قال) موسى (لا تؤاخذني بما نسيت) قال ابن عباس إنه لم ينس ولكنه من معارضض الكلام فكانه نسي شيئا آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والنسيان الترك ، وقال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الأولى من موسى نسيانا والوسطى شرطا والثالثة عمدا (ولا ترهقني) ولا تغشني (من أمري عسرا) وقيل لا تكلفني مشقة يقال أرهقته عسرا

عن شيء) أي مما عمله مما تنكره ولا تعترض عليه (حتى أحدث لك منه ذكرا) معناه حتى ابتداء بذكره فأبين لك شأنه . قوله سبحانه وتعالى (فانطلقا) أي بمشيان على الساحل يطلبان سفينة يركبانيها فوجدنا سفينة فركبها فقال أهل السفينة هؤلاء لصووص وأمرهما بالخروج فقال صاحب السفينة ما هم بلصووص ولكني أرى وجوه الأنبياء وروينا عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ومرت بهم سفينة فكلهم وهم أن يحملوهم فمرفوا الخضر فحملوهم بغير نول أي بغير عوض ولا عطاء فلما لججوا في البحر أخذ الخضر فأسا فخرق لوحا من ألواح السفينة فذلك قوله تعالى (حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال) يعني موسى له (أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئا إمرا) أي أتيت شيئا عظيما منكرا روى أن الخضر لما خرق السفينة لم يدخلها الماء وروى أن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فحشا به الخرق (قال) العالم وهو الخضر (لم أقل إنك لم تستطيع معي صبيرا قال) يعني موسى (لا تؤاخذني بما نسيت) قال ابن عباس لم ينس ولكنه من معارضض الكلام فكانه نسي شيئا آخر وقيل معناه بما تركت من عهدك والتسيان الترك وقال أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم وكانت الأولى من موسى نسيانا والثانية شرطا والثالثة عمدا (ولا ترهقني) أي لا تغشني (من أمري عسرا) والمعنى لا نعير على متابعتك وسيرها بالأغصاء وترك الماقتة وقيل لا تكلفني مشقة ولا تضيق على أمري (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فتنه) في القصة أنهما خرجا من البحر بمشيان قرا بفلمان يلعبون فأخذ الخضر غلاما ظريفا وضيء الوجه كان وجهه يتوقد حسنا فأضجمه ثم ذبحه بالسكين وورينا أنه أخذ برأسه فاقطعه بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر وفيه أشار بأصابعه الثلاث الإبهام والسبابة والوسطى وقلع رأسه وورى أنه رضخ رأسه بحجر وقيل ضرب رأسه بالجدار فقتله قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث ولم يكن نبي الله موسى يقول أقنات نفسا زاكية إلا وهو صبي لم يبلغ الحنث وقيل كان رجلا وقيل كان اسمه حيسور وقيل كان فتي يقطع الطريق

أي كلفته ذلك بقول لا تضيق على أمري وعاملني باليسر ولا تعاملني بالعسر (فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فتنه) في القصة وبأخذ أنهما خرجا من البحر بمشيان قرا بفلمان يلعبون فأخذ الخضر غلاما ظريفا وضيء الوجه فأضجمه ثم ذبحه بالسكين قال السدي كان أحسنهم وجها وكان وجهه يتوقد حسنا وروينا أنه أخذ برأسه فاقطعه بيده وروى عبد الرزاق هذا الخبر وأشار بأصابعه الثلاث الإبهام والسبابة والوسطى وقلع رأسه وورى أنه رضخ رأسه بالحجارة وقيل ضرب رأسه بالجدار فتنه قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحنث وهو قول الأكثرين قال ابن عباس لم يكن نبي الله يقول أقنات نفسا زاكية إلا وهو صبي لم يبلغ وقال الحسن كان رجلا وقال شعيب الجبائي كان اسمه حيسور قال الكلبي كان فتي يقطع الطريق وبأخذ المتاع ويلجأ إلى أويه وقال الضحاك كان غلاما يعمل بالفساد وتأذى منه أبواه أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنبأنا إبراهيم بن محمد بن محمد بن مسيبان ثنا مسلم بن الحجاج أنبأنا عبد الله بن مسلمة بن مغيبث ثنا معمر بن سليمان

قال أطعمتهما امرأة من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعوا لئسائهم ولعنا رجالهم قوله تعالى (فوجدنا فيها جنونا يريد أن ينقض) أى يسقط وهذا من مجاز كلام العرب لأن الجدار لا إرادة له وإنما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول العرب دارى تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها (فأقامه) أى سواه وروى عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده فأقامه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار بيده فاستقام ، وروى عن ابن عباس هدمه ثم قعد بينه وقال السدي بل طينا وجعل بيني الخائط (قال) موسى (أو شئت لا اتخذت عليه أجرا) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب اتخذت بتخفيف التاء وكسر الحاء وقرأ الآخرون لتخذت بتشديد التاء وفتح الحاء وهما لغتان مثل اتبع وتبع عليه يعنى على إصلاح الجدار (٢٢٦) أجرى يعنى جعلنا معناه إنك قد علمت أننا جيع وأن أهل القرية

لم يطعمونا فلو أخذت على عملك أجرا (قال) الخضر (هذا فراق بيني وبينك) يعنى وقت فراق بيني وبينك وقبل هذا الإنكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا وقال الزجاج معناه هذا فراق بيننا أى فراق اتصالنا وكرر بين تأكيذا (سأنبئك) أى سوف أخبرك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) وقيل إن موسى أخذ بثوب الخضر وقال أخبرني بمعنى ما علمت قبل أن تفارقني فقال الخضر (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) قيل كانت لعشرة إخوة خمسة زمني وخمسة يعملون في البحر أى يؤجرونها ويكتسبون بها وفيه دليل على أن المسكين وإن كان يملك شيئا لا يزول عنه اسم المسكنة إذا لم يقم ما يملكه بكفايته وإن حال الفقير في الضرر والحاجة أشد من حال المسكين لأن الله تعالى سماهم مساكين مع أنهم كانوا يملكون تلك السفينة (فأردت أن أعيبها) أى أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أى أمامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه والأول أصح (يأخذ كل سفينة غصبا) أى كل سفينة صالحة فخرقتها وعبثها حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندي والأزدى وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدد روى أن الخضر اعتذر إلى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت إذا هي تمر به أن يدعها لعبها فإذا جاوزوا أصاحوها وانتفعوا بها . قوله عز وجل (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا) أى خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلنا

أنهما طافا في القرية فاستطعماهم فلم يطعموهما واستصافاهم فلم يضيفوهما وعن أبي هريرة قال أطعمتهما امرأة من أهل بربر بعد أن طلبا من الرجال فلم يطعموهما فدعوا لئسائهم ولعن رجالهم وعن قتادة قال شر القرى التي لا تضيف الضيف (فوجدنا فيها جدارا يريد أن ينقض) أى يسقط وهذا من مجاز الكلام لأن الجدار لا إرادة له وإنما معناه قرب ودنا من السقوط كما تقول دارى تنظر إلى دار فلان إذا كانت تقابلها فاستعير لها النظر كما استعير للجدار الإرادة (فأقامه) أى سواه وفي حديث أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم فقال الخضر بيده هكذا فأقامه وقال ابن عباس هدمه وقعد بينه (قال) يعنى موسى (لو شئت لا اتخذت عليه أجرا) يعنى على إصلاح الجدار جعلنا والمعنى أنك قد علمت أننا جيع وأن أهل القرية لم يطعمونا فلو اتخذت على عملك أجرا (قال) يعنى الخضر (هذا فراق بيني وبينك) يعنى هذا وقت فراق بيني وبينك وقيل إن هذا الإنكار على ترك الأجر هو المفرق بيننا (سأنبئك) أى سوف أخبرك (بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا) وقيل إن موسى أخذ بثوب الخضر وقال أخبرني بمعنى ما علمت قبل أن تفارقني فقال الخضر (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر) قيل كانت لعشرة إخوة خمسة زمني وخمسة يعملون في البحر أى يؤجرونها ويكتسبون بها وفيه دليل على أن المسكين وإن كان يملك شيئا لا يزول عنه اسم المسكنة إذا لم يقم ما يملكه بكفايته وإن حال الفقير في الضرر والحاجة أشد من حال المسكين لأن الله تعالى سماهم مساكين مع أنهم كانوا يملكون تلك السفينة (فأردت أن أعيبها) أى أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم ملك) أى أمامهم وقيل خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه والأول أصح (يأخذ كل سفينة غصبا) أى كل سفينة صالحة فخرقتها وعبثها حتى لا يأخذها الملك الغاصب وكان اسمه الجلندي والأزدى وكان كافرا وقيل كان اسمه هدد بن بدد روى أن الخضر اعتذر إلى القوم وذكر لهم شأن الملك الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت إذا هي تمر به أن يدعها لعبها فإذا جاوزوا أصاحوها وانتفعوا بها . قوله عز وجل (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا) أى خفنا والخشية خوف يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون عن علم بما يخشى منه وقيل معناه فعلنا

وإن كان يملك شيئا فلا يزول عنه اسم المسكنة إذا لم يقم ما يملكه بكفايته يعملون في البحر أى يؤجرون ويكتسبون (أن بها) (فأردت أن أعيبها) أى أجعلها ذات عيب (وكان وراءهم) أى أمامهم (ملك) كقوله من وراءه جهنم وقيل وراءهم خلفهم وكان رجوعهم في طريقهم عليه والأول أصح يدل عليه قراءة ابن عباس وكان أمامهم ملك (يأخذ كل سفينة غصبا) أى كل سفينة صالحة غصبا وكان ابن عباس يقرأ كذلك فخرقتها وعبثها الخضر حتى لا يأخذها الملك الغاصب ، وكان اسمه جلندي وكان كافرا قال محمد بن إسحاق اسمه متولد بن جلندي الأزدى وقال شعيب الجبائي اسمه هدد بن بدد وروى أن الخضر اعتذر إلى القوم وذكر لهم شأن الغاصب ولم يكونوا يعلمون بخبره وقال أردت إذا هي مرت به أن يدعها لعبها ، فإذا جاوزه أصاحوها فانتفعوا بها قبل سدوها بقارورة وقيل بالقار قوله تعالى (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا) أى فعلنا وفي

قراءة ابن عباس وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين فخشينا أي فعلنا (أن يرهبهما) بغشبهما، وقال الكلبي يكلفهما (طغيانا وكفرا) قال سعيد بن جبير فخشينا أن يجعلهما حبه على أن يتابعه على دينه (فأردنا أن يبذلنا) قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو بالتشديد هاهنا وفي سورة التحريم والقلم وقرأ الآخرون بالتخفيف وهما لغتان وفرق بعضهم فقال التبديل تغيير الشيء أو تغيير حاله وعن الشمس قائم والإبدال رفع الشيء ووضع شيء آخر مكانه (ربهما خيرا منه زكاة) أي صلاحا وتقوى (وأقرب رحما) قرأ ابن عامر وأبو جعفر ويعقوب بضم الحاء والباقون يميزها أي عطفان الرحمة وقيل هو مع الرحم والقراءة قال قتادة أي أوصل للرحم وأبو الوليد . قال الكلبي أبدلها الله جارية فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبيا فهدي الله على يديه أمة من الأمم وعن جعفر ابن محمد (٢٢٧) عن أبيه قال أبدلها الله جارية

ولدت سبعين نبيا
وقال ابن جريج أبدلها
بغلام مسلم قال مطرف
فرح به أبواه حين ولد
وحزنا عليه حين قتل ولو
بقى لكان فيه هلاكهما
فليرض امرؤ بقضاء
الله تعالى فان قضاء الله
للمؤمن فيما يكره خير
له من قضائه فيما يحب
قوله تعالى (وأما الجدار
فكان لغلامين يتيمين
في المدينة) وكان اسمها
أصرم وصرم (وكان
تحت كثرهما) اختلفوا
في ذلك الكثر روى عن
أبي الدرداء عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال
كان ذها وقضة وقال
عكرمة كان مالا وعن
سعيد بن جبير كان
الكثر صحفة فيها علم ورض

(أن يرهبهما) أي بغشبهما وقيل يكلفهما (طغيانا وكفرا) قيل معناه فخشينا أن يجعلهما حبه على أن يتابعه على دينه (فأردنا أن يبذلنا ربهما) الإبدال رفع الشيء ووضع آخر مكانه (خيرا منه زكاة) أي صلاحا وتقوى وقيل هو في مقابلة قوله تعالى «أقلت نفسا زاكية» فقال الخضر أردنا أن يرزقهما الله خيرا منه زكاة (وأقرب رحما) أي ويكون المبدل منه أقرب عطفًا ورحمة لأبويه بأن يبرهما ويشفق عليهما قيل أبدلها جارية فتزوجها نبي من الأنبياء فولدت له نبيا فهدي الله على يديه أمة من الأمم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل أبدلها بغلام مسلم وقيل إن الغلام الذي قتل فرح به أبواه حين ولد وحزن عليه حين قتل ولو بقى لكان فيه هلاكهما فليرض العبد بقضاء الله تعالى فان قضاء الله سبحانه وتعالى للمؤمن فيما يكره خير له من قضائه فيما يحب . قوله سبحانه وتعالى (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة) قيل كان اسمها أصرم وصرم (وكان تحت كثرهما) روى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال وكان الكثر ذها وقضة أخرجه الترمذي وقيل كان الكثر صحفا فيها علم وقال ابن عباس كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالقدر كيف يغضب عجبا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب عجبا لمن أيقن بالحساب كيف يغفل عجبا لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وفي الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت له للخير وأجرته على يديه والويل كل الويل لمن خلقت له للشر وأجرته على يديه وقيل الكثر إذا أطلق يراد به المال ومع التقييد يراد به غيره يقال عند فلان كثر علم وكان هذا اللوح جامعا لهما (وكان أبوها صالحا) قيل إن اسمه كاشح وكان من الأتقياء قال ابن عباس حفظا بصلاح أبيهما وقيل كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء قال محمد بن المنكدر إن الله سبحانه وتعالى يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته وأهل دورات حوله فلا يزالون في حفظ الله مادام فيهم وقال سعيد بن المسيب إنني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما) أي يدركا ويعقلا قوتها وهو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة . فان قلت كيف

ابن عباس أنه قال كان لوحا من ذهب مكتوبا فيه عجبا لمن أيقن بالموت كيف يفرح عجبا لمن أيقن بالحساب كيف يغفل : عجبا لمن أيقن بالرزق كيف يتعب عجبا لمن أيقن بالقدر كيف يغضب عجبا لمن أيقن بزوال الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمن إليها لا إله إلا الله محمد رسول الله وفي الجانب الآخر مكتوب أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقت له للخير وأجرته على يديه والويل كل الويل لمن خلقت له للشر وأجرته على يديه وهذا قول أكثر المفسرين وروى ذلك مرفوعا قال الزجاج الكثر إذا أطلق ينصرف إلى كثر المال ويجوز عند التقييد أن يقال عنده كثر علم وهذا اللوح كان جامع لهما (وكان أبوها صالحا) قيل كان اسمه كاشح وكان من الأتقياء قال ابن عباس حفظا بصلاح أبيهما وقيل كان بينهما وبين الأب الصالح سبعة آباء قال محمد بن المنكدر إن الله يحفظ بصلاح العبد ولده وولد ولده وعشيرته وأهل دورات حوله فلا يزالون في حفظ الله مادام فيهم قال سعيد بن المسيب إنني لأصلي فأذكر ولدي فأزيد في صلاتي قوله عز وجل (فأراد ربك أن يبلغا أشدهما)

أى يبلغا ويعقلا وقيل أن يدركا (٢٢٨) شدتهما وقوتهما وقيل ثمان عشرة همنة (ويستخرجا) حيثكذ (كثرهما رحمة)

قال في الأولى فأردت وفي الثانية فأردنا وفي الثالثة فأراد ربك وما وجه كل واحدة من هذه الألفاظ . قلت إنه لما ذكر العيب أضافه إلى نفسه على سبيل الأدب مع الله تعالى فقال فأردت أن أعيبها ولما ذكر القتل عبر عن نفسه بلفظ الجمع تنبيها على أنه من العلماء العظام في علم الباطن وعلوم الحكمة وأنه لم يقدم على مثل هذا القتل إلا بحكمة عالية ، ولما ذكر رعاية المصالح في مال اليتيمين لأجل صلاح أبيهما أضافه إلى الله سبحانه وتعالى لأن حفظ الأبناء وصلاح أحوالهم لرعاية حق الآباء ليس إلا لله سبحانه وتعالى فلاجل ذلك أضافه إلى الله تعالى (ويستخرجا كثرهما) يعنى إذا بلغا وعقلا وقويا (رحمة من ربك) أي نعمة من بك (وما فعلته عن أمري) أي باختياري ورأيت بل فعلته بأمر الله وإلهامه إياي لأن تنقيص أموال الناس ولداقة دعاتهم وتغيير أصولهم لا يكون إلا بالنص وأمر الله تعالى واستدل بعضهم بقوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن أمري على أن الخضر كان نبيا لأن هذا يدل على الوحي وذلك للأنبياء والصحيح أنه ولي لله وليس بنبي وأجيب عن قوله سبحانه وتعالى وما فعلته عن أمري أنه إلهام من الله سبحانه وتعالى له بذلك وهذه درجة الأولياء وقيل معناه إنما فعلت هذه الأفعال لغرض أن تظهر رحمة الله لأنها بأسرها ترجع إلى معنى واحد وهو تحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى (ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبورا) أي لم تطق أن تصبر عليه روى أن موسى عليه السلام لما أراد أن يفارق الخضر قال أوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به واختلفوا في إن الخضر حي أم ميت قيل إن الخضر وإلياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل ميت وكان سبب حياته فيما يحكى أنه شرب من عين الحياة وذلك أن ذا القرنين دخل الظلمات لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فزول واغتسل وشرب وصلى شكرا لله عز وجل وأخطأ ذو القرنين الطريق فعاد وذهب آخرون إلى أنه ميت لقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء ليلة رأيتمكم هذه فان على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده . وقوله عز وجل (ويستلونك عن ذي القرنين) قيل اسمه مرزبان بن مرزبة اليوناني من ولد يونان بن ياقث بن نوح وقيل اسمه الاسكندر بن فيلوموس كذا صح الروي وكان ولد عجوز ليس ذا ولد غيره ونقل الإمام فخر الدين في تفسيره عن أبي الريحان السمروري المتجهم في كتابه المسمى بالآثار الباقية عن القرون الحالية أنه من حمير واسمه أبو كروب سمي ابن عير بن أبي أفر يقيس الحميري وهو الذي افتخر به أحد شعراء حمير حيث يقول :

قد كان ذو القرنين جدي مسلما ملكا علا في الأرض غير مفند

بلغ المشارق والمغارب يبتغى أسباب ملك من كريم مرشد

فراي مآب الشمس عند غروبها في عين ذي نخلب ونأطة حرمد

قوله فراي مآب الشمس أي ذهاب الشمس وقوله في عين ذي نخلب أي حماة والنأطة

نعمة (من ربك) وما فعلته عن أمري) أي باختياري ورأيت بل فعلته بأمر الله وإلهامه (ذلك تأويل مالم تسطع عليه صبورا) أي لم تطق عليه صبورا واستطاع واطلع بمعنى واحد روي أن موسى لما أراد أن يفارقه قال له أوصني قال لا تطلب العلم لتحدث به واطلبه لتعمل به واختلفوا في إن الخضر حي أم ميت قيل إن الخضر وإلياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم وقيل ميت وكان سبب حياته فيما يحكى أنه شرب من عين الحياة وذلك أن ذا القرنين دخل الظلمات لطلب عين الحياة وكان الخضر على مقدمته فوقع الخضر على العين فزول واغتسل وشرب وصلى شكرا لله عز وجل وأخطأ ذو القرنين الطريق فعاد وذهب آخرون إلى أنه ميت لقوله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد وقال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العشاء ليلة رأيتمكم هذه فان على رأس مائة سنة لا يبقى ممن هو اليوم على ظهر الأرض أحد ولو كان الخضر حيا لكان لا يعيش بعده

قل سألوا عليكم منه ذكرا) خيرا واختلفوا في نبوته فقال بعضهم كان نبيا وقال أبو الطفيل مثل على رضى الله عنه عن
ذى القرنين أكان نبيا أم ملكا قال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان عبدا أحب الله وأحبه الله وناصره الله فناصره الله
وروى أن عمر رضى الله عنه سمع رجلا يقول لآخر ياذا القرنين فقال سميت بأسماء النبيين فلم ترضوا حتى تسميت بأسماء
الملائكة والأكثر على أنه كان ملكا عادلا صالحا واختلفوا في سبب تسميته بذى القرنين قال الثوري لأنه بلغ قرنى
الشمس مشرقها ومغربها وقيل لأنه كان ملك الروم وفارس وقيل لأنه دخل النور والظلمة وقيل لأنه رأى في المنام كأنه
أخذ بقرنى الشمس وقيل لأنه كانت له ذؤابتان حسنتان وقيل لأنه كان (٣٢٩) له قرنان تواريهما العمامة وروى

أبو الطفيل عن على أنه
قال سمى ذا القرنين لأنه
أمر قومه بتقوى الله
فصبروه على قرنه الأيمن
فمات فبعثه الله ثم أمرهم
بتقوى الله فصبروه على
قرنه الأيسر فمات فأحياه
الله واختلفوا في اسمه
قيل اسمه مرزيان بن
مرزبة اليوناني من ولد
يونان بن يافث بن نوح
وقيل اسمه الاسكندر
ابن فيلقوس بن ياملوس
الرومي . قوله عز وجل
(إنما كنا له في الأرض)
أوطانا والنسكين تمهيد
الأسباب وقال على
سخر له السحاب فحملة
عليها ومد له في الأسباب
وبسط له النور فكان
الليل والنهار عليه سواء
فهذا معنى تمسكه في
الأرض وهو أنه سهل
عليه السير فيها وذلك له
طرقها (وآتيناهم كل

الحماة أيضا والجمع ناطق والحرم الطين الأسود وقيل سمى ذا القرنين لأنه بلغ قرنى الشمس
مشرقها ومغربها وقيل لأنه ملك فارس والروم وقيل لأنه دخل النور والظلمة وقيل لأنه رأى
في المنام كأنه أخذ بقرنى الشمس وقيل لأنه كان له ذؤابتان حسنتان وقيل كان له قرنان تواريهما
العمامة وروى عن على أنه أمر قومه بتقوى الله فصبروه على قرنه الأيمن فمات فأحياه الله ثم بعثه
فأمرهم بتقوى الله فصبروه على قرنه الأيسر فمات فأحياه الله. واختلفوا في نبوته فقيل كان نبيا
وبدل عليه قوله سبحانه وتعالى قلنا ياذا القرنين وخطاب الله لا يكون إلا مع الأنبياء وقيل لم يكن
نبيا قال أبو الطفيل مثل على عن ذى القرنين أكان نبيا فقال لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان
عبدا أحب الله فأحبه الله وناصره الله فناصره الله وروى أن عمر سمع رجلا يقول لآخر ياذا القرنين
فقال تسميت بأسماء الأنبياء فلم ترضوا حتى تسميت بأسماء الملائكة والأصح الذي عليه الأكثر
أنه كان ملكا عادلا وأنه بلغ أقصى المغرب والمشرق والشمال والجنوب وهذا هو القدر
المعمور من الأرض وذلك أنه لما مات أبوه جمع ملك الروم بعد أن دان له طوائف ثم مضى إلى ملوك
العرب وقهرهم ومضى حتى انتهى إلى البحر الأخضر ثم رجع إلى مصر وبني الاسكندرية وسماها
باسمته ثم دخل الشام وقصد بيت المقدس وقرب فيه القربان ثم انعطفت إلى أرمينية وبوب
الأيوبي وبني السد ودانت له ملوك العراق والنبط والبربر واستولى على ممالك الفرس ثم مضى
إلى الهند والصين وغزا الأمم البعيدة ثم رجع إلى العراق ومرض بشهر زور ومات بها وحمل
إلى حيث هو مدفون وقيل إن عمره كان ألفا وثلاثين سنة ومثل هذا الملك البسيط الذي هو
على خلاف العادات وجب أن يبي ذكره مخلدا على وجه الأرض فذلك قوله سبحانه وتعالى
ويستلوك عن ذى القرنين (قل سألوا عليكم منه ذكرا) أي خيرا يتضمن حاله . قوله سبحانه
وتعالى (إنما كنا له في الأرض) أي وطأ ناله والتمسكين تمهيد الأسباب قال على سخر الله له
السحاب فحمل عليه ومد له في الأسباب وبسط له النور فكان الليل والنهار عليه سواء وسهل
عليه السير في الأرض وذلك له طريقها (وآتيناهم من كل شيء) مما يحتاج إليه الخلق وكل
ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الأعداء (سبيا) أي علما يتسبب به إلى كل ما يريد
ويسير به في أقطار الأرض وقيل بلاغا إلى حيث أراد وقيل قربنا له أقطار الأرض (فأتبع
سبيا) أي سلك طريقا (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) أي ذات

شيء (أي من كل شيء) يحتاج إليه الخلق وقيل مع كل ما يستعين به الملوك على فتح المدن ومحاربة الأعداء (سبيا) أي علما يتسبب
به إلى كل ما يريد ويسير به في أقطار الأرض والسبب ما يوصل به إلى الشيء وقال الحسن بلاغا إلى حيث أراد وقيل قربنا
إليه أقطار الأرض (فأتبع سبيا) أي سلك وسار طريقا قرأ أهل الحجاز والبصرة فأتبع ثم أتبع موصولا مشددا . وقرأ
الآخرون بقطع الألف وجزم الراء وقيل معناها واحد والصحيح الفرق بينهما فنقطع الألف فعناه أدرك ولحق ومن قرأ
بالتشديد فعناه سلو يقال مازلت أتبعه حتى أتبعته أي مازلت أسير خلفه حتى لحقته وقوله سبيا أي طريقا وقال ابن عباس
منزلا (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة) قرأ أبو جعفر وأبو عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر

حامية بالالف غير مهموزة أى حارة وقرأ الآخرون حمئة مهوزا بغير الألف أى ذات حمأة وهى الطينة السوداء وسأل معاوية كعبا كيف نجد فى التوراة أن تغرب الشمس قال نجد فى التوراة أنها تغرب فى ماء وطين قال القتيبي يجوز أن يكون معنى قوله فى عين حمئة أى عندها عين حمئة أو فى رأى العين (ووجد عندها قوما) أى عند العين أمة قال ابن جرير مدينة لها اثنا عشر ألف باب لولا ضجيج أهلها لسمعت وجبة الشمس حين تجب (قلنا ياذا القرنين) يستدل بهذا من زعم أنه كان نبيا فإن الله تعالى خاطبه والأصح أنه كان لم يكن نبيا والمراد منه الإلهام (إما أن تعذب) يعنى إما أن تقتلهم إن لم يدخلوا فى الإسلام (وإما أن تتخذ) (٢٣٠) فيهم حسنا) يعنى تعفو وتصفح وقيل تأسرهم فتعلمهم الهدى خبره الله بين

الأميرين قال (أما من ظلم) كفر (فسوف نعذبه) أى نقتله (ثم يرد إلى ربه) فى الآخرة (فيعذبه عذابا نكرا) أى منكرا يعنى بالنار والنار أنكر من القتل (وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) قرأ حمزة والكسافى وأبو جعفر ويعقوب جزاء منصوبا منونا أى فله الحسنى جزاء نصب على المصدر وقرأ الآخرون بالرفع على الإضافة والحسنى الجنة وإضافة الحسن إليها كما قال ولد دار الآخرة خبز والدار هى الآخرة وقيل المراد بالحسنى على هذه القراءة الأعمال الصالحة أى له جزاء الأعمال الصالحة (وستقول له من أمرنا يسرا) أى نلين له القول

حمأة وهى الطينة السوداء وقرئ حامية أى حارة وسأل معاوية كعبا كيف نجد فى التوراة تغرب الشمس وأين تغرب قال نجد فى التوراة أنها تغرب فى ماء وطين وقيل يجوز أن يكون معنى فى عين حمئة أى عندها عين حمئة أو فى رأى العين وذلك أنه بلغ موضعا من المغرب لم يبق بعده شئ من العمران فوجد الشمس كأنها تغرب فى وحدة مظلمة كما أن راكب البحر يرى أن الشمس كأنها تغيب فى البحر (ووجد عندها قوما) أى عند العين أمة قال ابن جرير مدينة لها اثنا عشر ألف باب يقال أنها الجاسوس واسمها بالسريانية حريجسا سكنها قوم من نسل نوح الذين آمنوا بصالح لولا ضجيج أهلها لسمع الناس وجبة الشمس حين تجب أى تغيب (قلنا ياذا القرنين) يستدل بهذا من زعم أنه كان نبيا فإن الله خاطبه ومن قال إنه لم يكن نبيا قال المراد منه الإلهام وقيل يحتمل أن يكون الخطاب على لسان غيره (إما أن تعذب) يعنى تقتل من لم يدخل فى الإسلام (وإما أن تتخذ فيهم حسنا) يعنى تعفو وتصفح وقيل تأسرهم فتعلمهم الهدى خبره الله سبحانه وتعالى بين الأمرين (قال أما من ظلم) أى كفر (فسوف نعذبه) أى نقتله (ثم يرد إلى ربه) أى فى الآخرة (فيعذبه عذابا نكرا) أى منكرا يعنى بالنار لأنها أنكر من القتل (وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى) أى جزاء أعماله الصالحة (وستقول له من أمرنا يسرا) أى نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا (ثم أتبع سببا) أى سلك طريقا ومنازل (حتى إذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) قيل إنهم كانوا فى مكان ليس بينهم وبين الشمس ستر من جبل ولا شجر ولا يستقر عليهم بناء فاذا طلعت الشمس دخلوا فى أسراب لهم تحت الأرض فاذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معيشتهم وحرورهم وقيل إنهم كانوا إذا طلعت الشمس نزلوا فى الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرحوا كالبهائم وقيل هم قوم عراة يفتش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى وقيل إنهم قوم من نسل مؤمنى قوم هود واسم مدينتهم جابلق واسمها بالسريانية مرقيسيا وهم مجاورون بأجوج وماجوج . قوله سبحانه وتعالى (كذلك) أى كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها وقيل معناه أنه حكم فى القوم الذين هم عند مطلع الشمس كما حكم فى القوم الذين عند مغربها وهو الأصح (وقد أحطنا بما لديه خبرا) أى علما بما عنده ومن

معه

ونعامله باليسر من أمرنا وقال مجاهد يسرا أى معروفا (ثم أتبع سببا) أى سلك

طرقا ومنازل (حتى إذا بلغ مطلع الشمس) أى موضع طلوعها (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) قال قتادة والحسن لم يكن بينهم وبين الشمس ستر وذلك أنهم كانوا فى مكان لا يستقر عليه بناء فكانوا يكونون فى أسراب لهم حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معيشتهم وحرورهم وقال الحسن كانوا إذا طلعت الشمس يدخلون الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرحوا كالبهائم وقال الكلبي هم قوم عراة يفتش أحدهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى قوله عز وجل (كذلك) قيل معناه كما بلغ مغرب الشمس كذلك بلغ مطلعها والصحيح أن معناه كما حكم فى القوم الذين هم عند غروب الشمس كذلك حكم فى الذين هم عند طوارع الشمس (وقد أحطنا بما لديه خبرا) يعنى بما عنده ومعهم من الجبل والعدة والآلات خبرا أى علما

(ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين السدين) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص السدين وسداها هنا بفتح السين وافق حمزة والكسائي في سدا
 وقرأ الآخرون بضم السين وفي يس سدا بالفتح حمزة وحفص وقرأ الباقر بالضم منهم من قال هما لغتان معناهما واحد وقال
 عكرمة ما كان من صنعة بني آدم فهو السد بالفتح وما كان من صنع الله فهو سد بالضم وقاله أبو عمرو وقيل السد بالفتح مصدر
 وبالضم اسم وهما هنا جبلان سد ذو القرنين ما بينهما حاجزا بين يأجوج ومأجوج ومن وراءهم (وجد من دونهما قوما) يعني أمام
 السدين (لا يكادون يفقهون قولاً) قرأ حمزة والكسائي يفقهون بضم الياء وكسر الهمزة على معنى لا يفهمون غيرهم قولاً وقرأ
 الآخرون بفتح الياء والفتحة أي لا يفهمون كلام غيرهم قال ابن عباس لا يفهمون كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم (قالوا إذا
 القرنين) فان قيل كيف قالوا ذلك وهم لا يفهمون قيل كلم عنهم مترجم دأبه (٢٣١) قراءة ابن مسعود لا يكادون

يفقهون قولاً قال الذين
 من دونهم إذا القرنين
 (إن يأجوج ومأجوج)
 قرأها عاصم مهموزين
 والآخرون بغير همز
 وهما لغتان أصلهما
 من أجيح النار وهو
 ضوؤها وشررها شها
 به لكثرتهم وشدتهم
 وقيل بالهمزة من أجيح
 النار وبترك الهمز اللان
 أعجميان مثل هاروت
 وماروت وهم من أولاد
 يافث بن نوح قال
 الضحاك هم جيل من
 الترك قال السدي الترك
 سرية من يأجوج ومأجوج
 خرجت فضرب ذو
 القرنين السد فبقيت
 خارجة فجميع الترك
 منهم وعن قتادة أنهم
 اثنتان وعشرون قبيلة بنى
 ذو القرنين السد على
 إحدى وعشرين قبيلة

معهم الجند والعدة وآلات الحرب وقيل معناه وقد علمنا حين ملكناه ما عتده من الصلاحية
 بذلك الملك والاستقلال به والقيام بأمره . قوله عز وجل (ثم أتبع سببا حتى إذا بلغ بين
 السدين) هما هنا جبلان في ناحية الشمال في متقطع أرض الترك حكى أن الواثق بعث بعض
 من يتق به من أتباعه إليه ليعاينوه فخرجوا من باب من الأبواب حتى وصلوا إليه وشاهدوه
 فوصفوا أنه بناء من لبن حديد مشدود بالنحاس اللباب وعليه باب مقفل (وجد من دونهما
 قوما) أي أمام السدين قيل هم الترك (لا يكادون يفقهون قولاً) قال ابن عباس لا يفهمون
 كلام أحد ولا يفهم الناس كلامهم (قالوا إذا القرنين) فان قلت كيف أثبت لهم القول
 وهم لا يفهمون . قلت تكلم عنهم مترجم ممن هو مجاورهم ويفهم كلامهم وقيل معناه لا يكادون
 يفقهون قولاً إلا بجهد ومشقة من إشارة ونحوها كما يفهم الحرس (إن يأجوج ومأجوج)
 أصلهما من أجيح النار وهو ضوؤها وشررها شها به لكثرتهم وشدتهم وهم من أولاد يافث
 بن نوح والترك منهم قيل إن طائفة منهم خرجت تغير فضرب ذو القرنين السد فبقوا خارجة فسموا
 الترك لذلك لأنهم تركوا خارجين قال أهل التواريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو
 العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزيج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصلقالية
 ويأجوج ومأجوج قال ابن عباس هم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء وروى حذيفة مرفوعا
 أن يأجوج ومأجوج أمة وكل أمة أربعة آلاف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر ألف
 ذكر من صلبه قد حمل السلاح وهم من ولد آدم يسبرون إلى خراب الدنيا وقال هم ثلاثة
 أصناف صنف منهم أمثال الأرز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم
 عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم
 يفترس أحدهم أذنه ويلتحف بالأخرى لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ومن
 مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية
 وعن علي منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم نادرة في ولد آدم

فبقيت قبيلة واحدة فهم الترك سموها لأنهم تركوا خارجين قال أهل التواريخ أولاد نوح ثلاثة سام وحام ويافث
 فسام أبو العرب والعجم والروم وحام أبو الحبشة والزيج والنوبة ويافث أبو الترك والخزر والصلقالية ويأجوج ومأجوج . قال
 ابن عباس في رواية عطاءهم عشرة أجزاء وولد آدم كلهم جزء مروي عن حذيفة مرفوعا أن يأجوج ومأجوج أمة كل أمة أربعة
 آلاف أمة لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وهم من ولد آدم يسبرون إلى خراب
 الدنيا وقيل هم ثلاثة أصناف صنف منهم أمثال الأرز شجر بالشام طوله عشرون ومائة ذراع في السماء وصنف منهم عرضه وطوله
 سواء عشرون ومائة ذراع في السماء وهؤلاء لا يقوم لهم جبل ولا حديد وصنف منهم يفترس أحدهم أذنه ويلتحف الأخرى
 لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير ولا كلب إلا أكلوه ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان يشربون

أنتار المشارقي وبجيرة طبرية وعن علي أنه قال منهم من طوله شبر ومنهم من هو مفرط في الطول وقال كعب هم قاذرة ولد آدم وذلك أن آدم احتلم (١) ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم وذكر وهب بن منبه أن ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله له إني باعتك إلى أم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما طول الأرض إحداهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والأخرى عند مطلعها يقال لها مفلسك وأمتان بينهما عرض الأرض (٢٣٢) الأرض إحداهما في القطر الأيمن يقال لها هاويل وأم في وسط الأرض

منهم الجن والإنس
ويأجوج ومأجوج فقال
ذو القرنين يارب بأي
قوة أكابره وأي جمع
أكابره وأي لسان
أناطقهم قال الله عز وجل
إني سأقويك وأبسط لك
لسانك وأشد عضدك
فلا يهولك شيء وأبسط
الهيبة فلا يروعك شيء
وأخضع لك النور والظلمة
وأجعلها من جنودك
يهديك النور من أمامك
وتخوطفك الظلمة من
ورائك فانطلق حتى أتى
مغرب الشمس فوجد
جمعا وعددا لا يحصيه
إلا الله فكابره بالظلمة
حتى جمعهم في
مكان واحد فدعاهم إلى
الله وإلى عبادته فمنهم
من آمن به ومنهم من
صد عنه فعمد إلى الذين
تولوا عنه فأدخل عليهم
الظلمة فدخلت في أجوافهم
ويوتهم فدخلوا في دعوته
فوجد من أهل المغرب
جندا عظيما فانطلق يقودهم

وذلك أن آدم احتلم (١) ذات يوم وامتزجت نطفته بالتراب فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج فهم متصلون بنا من جهة الأب دون الأم وذكر وهب بن منبه إن ذا القرنين كان رجلا من الروم ابن عجوز فلما بلغ كان عبدا صالحا قال الله سبحانه وتعالى إني باعتك إلى أم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما طول الأرض إحداهما عند مغرب الشمس يقال لها ناسك والأخرى عند مطلعها يقال لها مفلسك وأمتان بينهما عرض الأرض إحداهما في القطر الأيمن يقال لها هاويل والأم في وسط الأرض منهم الجن والإنس ويأجوج ومأجوج فقال ذو القرنين بأي قوة أكابدهم وبأي جمع أكابره وبأي لسان أناطقهم فقال الله تعالى إني سأقويك وأبسط لسانك وأشد عضدك فلا يهولك شيء وأبسط الهيبة فلا يروعك شيء وأخضع لك النور والظلمة وأجعلها من جنودك فوجد يهديك من أمامك والظلمة تخوطفك من ورائك فانطلق حتى أتى مغرب الشمس فوجد جمعا وعددا لا يحصيه إلا الله تعالى فكابره بالظلمة حتى جمعهم في مكان واحد فدعاهم إلى الله تعالى وعبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد إلى الذين تولوا عنه فأدخل عليهم الظلمة فدخلت أجوافهم ويوتهم فدخلوا في دعوته فوجد من أهل المغرب جندا عظيما فانطلق يقودهم يقودهم والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل ففعل فيهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى أتى منسك ففعل فيهم كفعله في الأمتين وجند منهم جندا عظيما ثم أخذ ناحية اليسرى فأتى تاويل ففعل بهم كفعله في قبليها ثم عمدا إلى الأمم التي في وسط الأرض فلما كان فيا يلي منقطع الترك مما يلي المشرق قالت له أمه صالحا من الإنس يا ذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقا أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش والسباع يأكلون الحيات والعقارب وكل ذي روح خلق في الأرض وليس يزداد خلقا كزيادتهم فلا شك أنهم يملكون الأرض ويظهرون عليها ويفسدون فيها فهل تجعل لك خرجا على أن تجعل يبتنا وبينهم سدا قال وما مكني فيه ربي خير وقال أعلو إلى الصخور والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربع منا لهم مخالب وأضراس كالسباع ولهم هذب شعر يوارى أجسادهم ويتقون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفرش إحداهما ويلتحف بالأخرى يضيقت في واحدة ويشتي في واحدة يتساقفون تساقف البهائم حيث التقوا فلما عاين ذو القرنين ذلك انصرف إلى ما بين الصدفين فقام ما بينهما وحفر له الأساس حتى بلغ الماء فذلك قوله تعالى قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج

والظلمة تسوقهم حتى أتى هاويل ففعل فيهم كفعله في ناسك ثم مضى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس ففعل فيها مفسدون وجند فيها جنودا كفعله في الأمتين ثم أخذ ناحية الأرض اليسرى فأتى تاويل ففعل فيهم كفعله في قبليها ثم عمدا إلى الأمم التي في وسط الأرض فلما دنوا مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمه صالحا من الإنس يا ذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقا أشباه البهائم يفترسون الدواب والوحوش لهم أنياب وأضراس كالسباع يأكلون الحيات والعقارب وكل ذي روح خلق في الأرض (١) قوله احتلم، هذا مردود فان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصونون من الشيطان، والاحتلام من الشيطان اه من هاشم

وليس يراد به متى كبر يادهم ولا شك أنهم سيملئون الأرض ويظهرون عليها ويفسدون فيها وهل يجعل لك خرجا على أن تجعل
 بيننا وبينهم سدا قال ما مكنى فيه ربي خير، قال اعدوا إلى الصخرة والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فانطلق حتى توسط بلادهم
 فوجدهم على مقدار واحد يبلغ طول الواحد منهم مثل نصف الرجل المربع منا لهم مخالب كالأنف في أيدينا وأنياب وأضراس
 كالسباع وطم هذب من الشعر في أجسادهم يواربهم ويتقون به من الحر والبرد ولكل واحد منهم أذنان عظيمتان يفتش
 إحداهما ويلتصق بالأخرى بصيف في إحداهما ويشتو في الأخرى يتسافدون تسافد الهائم حيث التقوا فلهذا عابن ذلك ذوالقرنين
 انصرف إلى ما بين الصدفين فقام ما بينهما فحفر له الأسامن حتى بلغ الماء وجعل حشوه الصخر وطينه النحاسن يذاب فيصعب
 عليه فصار كأنه عرق من جبل تحت الأرض قوله تعالى (مفسدون في الأرض) قال السكلي فسادهم أنهم كانوا يخرجون أيام
 الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا حملوه وأدخلوه أرضهم فلحقوا منهم أذى شديدا
 وقتلوا وقيل فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس وقيل معناه أنهم سيفسدون في الأرض (٢٣٣) عند خروجهم (فهل يجعل

لك خرجا) قرأ حمزة
 والكسائي خراجا بالالف
 وقرأ الآخرون خرجا
 بغير ألف وهم الغتان بمعنى
 وأحد أي جعلوا وأجرا
 من أموالنا وقال أبو عمرو
 الخرج ما تبرعت به
 والخراج ما لزمك أداؤه
 وقيل الخراج على الأرض
 والخرج على الرقاب يقال
 أخرج رأسك وخراج
 مدينتك (على أن يجعل
 بيننا وبينهم سدا) أي
 حاجزا فلا يصلون إليها
 (قال) لهم ذوالقرنين
 (ما مكنى فيه) ترأين كثير
 مكنى بنونين ظاهرين
 وقرأ الآخرون بنون

وما جوج (مفسدون في الأرض) قيل فسادهم أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا
 يدعون فيها شيئا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا حملوه وأدخلوه أرضهم فلحقوا منهم أذى
 شديدا وقيل فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس وقيل معناه أنهم سيفسدون عند خروجهم
 (فهل يجعل لك خرجا) أي جعلوا وأجرا من الأموال (على أن يجعل بيننا وبينهم سدا) أي حاجزا
 فلا يصلون إليها (قال) لهم ذوالقرنين (ما مكنى فيه ربي خير) أي ما قواني ربي خير من جعلكم
 (فأعينوني بقوة) يعني لا أريد منكم المال بل أعينوني بأبدانكم وقوتكم (أجعل بينكم وبينهم
 ردهما) أي سدا قالوا وما تلك القوة قال فة وصناع يحسنون البناء والآلة قالوا وما تلك الآلة
 قال (آتوني) أي أعطوني وقيل جيثوني (١) (زبر الحديد) أي قطع الحديد فأتوه بها وبالخطب
 فجعل الخطب على الحديد والحديد على الخطب (حتى إذا صار بين الصدفين) أي بين طرفي
 الجبلين (قال انفخوا) يعني في النار (حتى إذا جعله نارا) أي صار نارا (قال آتوني أفرغ عليه)
 أي أصيب عليه (قطرا) أي نحاسا مذابا فجعلت النار تأكل الخطب وجعل النحاس يسيل
 مكانه حتى لزم الحديد النحاس قيل إن السد كالبرد المخبر طريقة سوداء وطريقة حمراء وقيل
 إن عرضه خمسون ذراعا وارتفاعه مائة ذراع وطوله فرسخ واعلم أن هذا السد معجزة عظيمة
 ظاهرة لأن الزبرة الكبيرة إذا نفخ عليها حتى صارت كالنار لم يقدر أحد على القرب منها
 والنفخ عليها لا يمكن إلا بالقرب منها فكأنه تعالى صرف تأثير تلك الحرارة العظيمة عن أبدان
 أولئك المنافقين حتى تمكنوا من العمل فيه (فما استطعوا أن يظهروه) أي يعاونه عليه لعلوه
 (١) قوله وقيل جيثوني ظاهره أنه تفسير لآتوني مقطوع المزة ولا يصح إنما يصح إذا
 كان تفسير لآتوني موصولها فليتأمل اه

(٣٠ - خازن بالهوى - رابع) واحدة شدة على الإدغام أي اقواني عليه (ربي خير) من جعلكم (فأعينوني بقوة)
 معناه أني لا أريد المال بل أعينوني بأبدانكم وقوتكم (أجعل بينكم وبينهم ردهما) أي سدا قالوا وما تلك القوة قال فة وصناع يحسنون
 البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة قال (آتوني) أعطوني وقرأ أبو بكر اتوني أي جيثوني (زبر الحديد) أي قطع الحديد
 وأحدهما زبرة فأتوه بها وبالخطب وجعل بعضها على بعض لم يزل يجعل الحديد على الخطب والخطب على الحديد (حتى إذا
 صار بين الصدفين) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وبمعقوب بضم الصاد والذال وجزم أبو بكر الذال وقرأ الآخرون
 بفتحها وهما الجبلان ساوي أي سوي بين طرفي الجبلين (قال انفخوا) وفي القصة أنه جعل اللحم والخطب في خلل زبر الحديد
 ثم قال انفخوا يعني في النار (حتى إذا جعله نارا) أي صار الحديد نارا (قال آتوني) قرأ حمزة وأبو بكر وصلا وقرأ الآخرون
 بقطع الف (أفرغ عليه قطرا) أي آتوني قطرا أفرغ عليه والإفراغ الصب والقطر هو النحاسن المذاب فجعلت النار تأكل
 الخطب ويصير النحاسن مكان الخطب حتى لزم الحديد النحاس قال قتادة هو كالبز والبحر طريقة سوداء وطريقة حمراء وفي
 القصة أن عرضه كان خمسين ذراعا وارتفاعه مائة ذراع وطوله فرسخ (فما استطعوا أن يظهروه) أن يعلوه من فرقه

لظلوله وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) من أسفله لشدة وصلابته وقرأ حمزة فاستطاعوا بكثرة الطاء أدغم تاء لافتحال
 في الطاء (قال) يعني ذا القرنين (هذا) أي السد (رحمة) نعمة (من ربي) فإذا جاء وعد ربي قيل القيامة وقيل وقت خروجهم
 (جعله دكاء) قرأ أهل الكوفة دكاء بالمد والحمز أي أرضا ملساء وقرأ الآخرون بلامد أي جعله مذكوكا مستويا مع وجه
 الأرض (وكان وعد ربي حقا) وروى قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة برفعه أن يأجوج ومأجوج يحفرونه كل يوم حتى
 إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا فيعيد الله كما كان حتى إذا بلغت مدتهم حفروا
 حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله واستثنى فيعودون إليه وهو كهيئته
 حين تركوه فيحفرونه فيخرجون على الناس فيقتعون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم فرمون بسهامهم إلى السماء
 فيرجع فيها كهيئة الدم فيقولون قهرنا أهل الأرض وعلونا أهل السماء فيبعث الله عليهم نغفا في أقتانهم فيهلكون وإن
 دواب الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم شكرا أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنبأنا عبد الغافر بن محمد القارمي أنبأنا
 محمد بن عيسى الجلودي ثنا إبراهيم (٢٣٤) بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن مهران الرازي

وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) أي من أسفله لشدة وصلابته (قال) يعني ذا القرنين (هذا)
 أي السد (رحمة من ربي) أي نعمة من ربي (فإذا جاء وعد ربي) قيل يعني يوم القيامة وقيل وقت
 خروجهم (جعله دكاء) أي أرضا ملساء وقيل مذكوكا مستويا مع الأرض (وكان وعد ربي
 حقا) (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فتح اليوم من
 ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه وعقد بيده تسعين» قوله وعقد بيده تسعين هو من موضوعات
 الحساب وهو أن تجعل رأس أصبعك السبابة في وسط الإبهام من باطنها شبه الحلقة لكن
 لا يتبين لها إلا خلل يسير وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «في السد يحفرونه كل يوم
 حتى إذا كادوا يخرقونه قال بعضهم ارجعوا فستحفرونه غدا قال فيعيد الله كأشد ما كان
 حتى إذا بلغوا مدتهم وأراد الله تعالى أن يبعثهم على الناس قال الذي عليهم ارجعوا فستحفرونه
 غدا إن شاء الله تعالى واستثنى قال فيرجعون فيجدون على هيئته حين تركه فيحفرونه
 فيخرجون على الناس فيستقون المياه وتفرمهم الناس» وفي رواية: «تتحصن الناس في حصونهم
 منهم فرمون بسهام إلى السماء فترجع مخضبة بالدماء فيقولون قهرنا من في الأرض وعلونا
 من في السماء فيزدادون قسوة وعتوا فيبعث الله عليهم نغفا فيرقاهم فيهلكون فوالذي نفس
 محمد بيده إن دواب الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم شكرا» أخرجه الترمذي وقوله قسوة
 وعتوا أي غلظة وفظاظة وتكبرا والتعفف دود يكون في أنوف الإبل والغنم وقوله وتشكر يقال

ثنا الوليد بن مسلم ثنا
 عبد الرحمن بن يزيد بن
 جابر عن يحيى بن جابر
 الطائي عن عبد الرحمن
 ابن جبير بن نفيير عن
 أبيه جبير بن نفيير عن
 الثوراس بن سمعان قال
 ذكر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الدجال ذات
 غداة فخفض فيه ورفع
 حتى ظنناه في طائفة النخل
 فأما رحنا إليه عرفنا
 ذلك فينا فقال ماشأناكم
 قلنا يا رسول الله ذكرت
 الدجال ذات غداة
 فخفضت فيه ورفعنا
 حتى ظنناه في طائفة

النخل فقال غير الدجال أخوفني عليكم أن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم شكرت
 فكل امرئ حجيجه نفسه والله خبايتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه الخبي طافية كأنى أشبهه بعبد العزى بن قطن فن أدركه منكم
 فليقرأ عليه فوائح سورة الكهف إنه خارج خلة بين الشام والعراق فعات يمينا وعات شمالا يا عباد الله فاثبتوا قلنا يا رسول
 الله فإبته في الأرض قال أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهرو ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم لنا يا رسول الله فذلك
 اليوم الذي كسنة أي كميننا فيه صلاة يوم قال لا أقروا له قبره قلنا يا رسول الله وما إسرعه في الأرض قال كالغيث استدرته
 الريح فبات على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له فيأمر السماء فتمطر والأرض فتنبث فتروح عليهم سارحتهم أطول
 ما كانت ذرى وأسبغه ضرورا وأمدته خواصر ثم يأتي التوم فيدعوهم فيردون عليه قوله قال فينصرف عنهم فيصيحون
 محلين ليس بأبديهم شيء من أولهم ويمر بالجزيرة فيقول لها أخرجي كنوزك فيقبعه كنوزها كيهما سيب النحل ثم يدعوا رجلا
 مملكا شابا فيضربه بالسيف فيقطعه جزئين رمية الغرض ثم يدعوهم فيقبل ويتهلل ووجهه ويضحك فيبها هو كذلك إذ بعث
 الله المسيح عيسى بن مريم فينزل عند المنارة البيضاء شرق باب دمشق بين مهرب ودمشقين واضعا كفيه على أجنحة ملكين
 إذا طأ رأسه قطر وإذا رفعه مثل جمان اللؤلؤ فلا يجل لكافر يحد من ربح نفسه إلا مات ونفسه ينتهي حيث

بنتهى طرفه فيطلبه حتى يدركه بباب له فيقتله ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه فيسمح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فيبنا هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجت عبادا لي لا بد لأحد بقتلهم فحرض عبادي إلى الظور وبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أولئهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقولون لقد كان هذه مرة ماء ويحصر نبي الله وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النصف فيرقاهم فيضربون فرمى كوت نفس واحدة ثم سبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زمهم وتتهم فرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كاعناق البخت فتحملهم فتنظرهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يمكن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة ثم يقال للأرض انبئي ثم نزلت وردى بركتك فيومثدا كل العصاة من الرماة ويستظلون بقحفها ويبارك في الرسل حتى إن اللقحة من الإبل لتكني ألفا من الناس واللقحة من البقر لتكني القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكني الفخذ من الناس فيبناهم كذلك إذ بعث الله رجلا طيبة فتأخذهم تحت آباطهم فتبيض روح كل مؤمن وكل مسلم ويبقى شرار الناس يتهاجون فيها تهاج الحمير فعليهم تقوم الساعة وبهذا الإسناد حدثنا مسلم بن الحجاج ثنا علي بن حجر السعدي ثنا عبد الله بن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر والوليد (٢٣٥) بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد

ابن جابر بهذا الإسناد نحو ما ذكرنا و زاد بعد قوله لقد كان هذه مرة ماء ثم يسرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس فيقولون لقد قتلنا من في الأرض ولم نقتل من في السماء فيرمون بنسبهم إلى السماء فبرد الله عليهم نسايبهم محضوية دما

شكرت الشاة تشكر شكري إذا امتلأ ضرعها لبنا والمعنى أنها تمتلئ أجسامها الحما وتسمى (خ) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج» قوله عز وجل (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قيل هذا عند فتح السد بقول تركنا يأجوج ومأجوج أي يدخل بعضهم في بعض كموج الماء ويختلط بعضهم في مض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض لكثرتهم ويختلط إنهم يجتمعون حيازي (وتفخ في الصور) فيه دليل على أن خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة (فجمعناهم جمعا) أي في صعود واحد (وعرضنا) أي أبرزنا (جهنم يومئذ للكافرين عرضا) يشاهدوها عيانا (الذين كانت أعينهم في غطاء) أي غشاء وسر (عن ذكرى) أي عن الإيمان والقرآن والهدى والبيان وقيل عن رؤية الدلائل وتبصرها (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أي سمع قبول للإيمان والقرآن لغلبة الشقاء عليهم وقيل معناه لا يستطيعون أن يسمعو من رسول الله صلى الله عليه وسلم لشدة عداوتهم له . قوله تعالى (أفحسب) أي أفظن (الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دون أوليائه) يعني أربابا يريد

وقال وهب إلهم كانوا يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الحشيش والشجر ومن ظفروا به من الناس ولا يقتلون أن يأتوا مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس أخبرنا عبد الواحد المليحي أننا أحمد بن عبد الله النعيمي أننا أحمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل أباننا أحمد أباننا أي أذنا إبراهيم بن الحجاج بن حجاج عن قتادة عن عبد الله بن أبي عتبة عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج» وفي القصة أن ذا القرنين دخل الظلمة فلما رجع توفى بشهر زور وذكر بعضهم أن عمره كان ثلثين سنة قوله تعالى (وتركنا بعضهم يومئذ يموج في بعض) قيل هذا عند فتح السد بقول تركنا يأجوج ومأجوج أي يدخل بعضهم على بعض كموج الماء ويختلط بعضهم ببعض لكثرتهم وقيل هذا عند قيام الساعة يدخل الخلق بعضهم في بعض ويختلط أنسبهم يجتمعون حيازي (وتفخ في الصور) لأن خروج يأجوج ومأجوج من علامات قرب الساعة (فجمعناهم جمعا) في صعود واحد (وعرضنا) أبرزنا (جهنم يومئذ للكافرين عرضا) حتى يشاهدوها عيانا (الذين كانت أعينهم في غطاء) أي غشاء والغطاء ما يغطي به الشيء وسر (عن ذكرى) يعني عن الإيمان والقرآن وعن الهدى والبيان : وقيل عن رؤية الدلائل (وكانوا لا يستطيعون سمعا) أي سمع القبول والإيمان لغلبة الشقاوة عليهم وقيل لا يعقلون وقيل كانوا لا يستطيعون أن يسمعو من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يتلوه عليهم لشدة عداوتهم له كقول الرجل لا أستطيع أن أسمع من فلان شيئا لعداوته (أفحسب) أفظن (الذين كفروا أن يتخذوا عبادي من دون أوليائه) أربابا يريد بالعباد عيسى والملائكة

كلايل هم لهم أعداء ويتبرعون منهم قال ابن عباس يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله وقال مقاتل الأصنام مماها عبادا كما قال إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم وجواب هذا الاستفهام مخلوف قال ابن عباس يريد أني لأغضب نفسي يقول أظن الذين كفروا أن يتخذوا غيري أولياء وإني لا أغضب نفسي ولا أعاقبهم وقيل أظنوا أنهم ينفعهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء (إنا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا) أي منزلا قال ابن عباس هي مثواهم وقيل النزول ما يهبها للضيف يريد هي معدة لهم عندنا كالنزل للضيف (قل هل ننبتكم بالأخسرين أعمالا) يعني الذين اتبعوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلا ونوالا فتالوا هلاكنا وبوارا كمن يشتري سلعة يرجو عليها ربحا فخرس وخاب سعيه واختلفوا فيهم قال ابن عباس وسعد بن أبي وقاص وقال هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان (الذين) خبسوا أنفسهم في الصوامع وقال علي بن أبي طالب هم أهل حروراء (٢٣٣) (ضل سعيهم) بطل عملهم واجتهادهم (في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم

يحسبون صنعا) أي عملا (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم) فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا) أي لا تجعل لهم خطرا وقدرا تقول العرب ما لفلان عندي وزن أي قدر لحسته أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا أحمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن عبد الله ثنا سعيد بن مرزبان ثنا المغيرة عرج بن الزناد عن الأعمش عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «يا أيها الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال أقرعوا إن قدرهم ثم ابتداء فقال تعالى (جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) يعني سخرية واستهزاء . قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس

عيسى والملائكة بل هم لهم أعداء يتبرعون منهم وقال ابن عباس يعني الشياطين أطاعوهم من دون الله والمعنى أظن الذين كفروا أن يتخذوا غيري أولياء وإني لا أغضب نفسي فلا أعاقبهم وقيل معناه أظنوا أنه ينفعهم أن يتخذوا عبادي من دوني أولياء (إنا اعتدنا) أي هيأنا (جهنم للكافرين نزلا) أي منزلا قال ابن عباس رضي الله عنهما هي مثواهم وقيل معدة لهم عندنا كالنزل للضيف . قوله تعالى (قل هل ننبتكم بالأخسرين أعمالا) يعني الذين اتبعوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلا ونوالا فتالوا هلاكنا وبوارا قال ابن عباس هم اليهود والنصارى وقيل هم الرهبان الذين خبسوا أنفسهم في الصوامع وقال علي بن أبي طالب هم أهل حروراء يعني الخوارج (الذين ضل سعيهم) أي بطل عملهم واجتهادهم (في الحياة الدنيا وهم يحسبون) أي يظنون (أنهم يحسبون صنعا) أي عملا ثم وصفهم فقال تعالى (أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه) يعني أنهم جعلوا دلائل توحيدهم وقدرته وكفروا بالبعث والنواب والعقاب وذلك لأنهم كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالقرآن فصاروا كافرين بهذه الأشياء (فحبطت أعمالهم) أي بطلت (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا) قيل لا تقيم لهم ميزانا لأن الميزان إنما توضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليطمئنون بمقدار الطاعات ومقدار السيئات قال أبو سعيد الخدري «يأتي أناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم من العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله تعالى (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا) وقيل معناه يزدري بهم فليس لهم عندنا حظ ولا قدر ولا وزن (ق) عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة وقال أقرعوا إن شئتم فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا» (ذلك) إشارة إلى ما ذكر من حبوط أعمالهم وسخية قدرهم ثم ابتداء فقال تعالى (جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلي هزوا) يعني سخرية واستهزاء . قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس

بعوضة وقال أقرعوا فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا» قال أبو سعيد الخدري ياتي أناس بأعمال يوم القيامة نزلا هي عندهم في العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا فذلك قوله تعالى (فلا تقيم لهم يوم القيامة وزنا) الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وسخية قدرهم ثم ابتداء فقال (جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي) يعني القرآن (ورسلي هزوا) أي سخرية ومهزوما بهم قوله تعالى (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس) روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إذا سألت الله فاسأله الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وقوة عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة» قال كعب ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها الآمرون بالمعروف والنهي عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأقصاها وأرفعها قال كعب الفردوس هو البستان الذي فيه الأعتاب ، وقال مجاهد هو البستان ذو الرومية وقال عكرمة هي الجنة باسمان الحبش قال الزجاج هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية ، وقال

الضحك هي الجنة الملتفة الأشجار وقيل هي الروضة المستحسنة وقيل هي التي تلبت ضروبا من الثبات وجمعه فراديس
 (زلا) قيل أي منزلا وقيل ما يهيا للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها زلا ومعنى كانت لهم أي في علم
 الله قبل أن يخلقوا (خالدين فيها لا يبغون) لا يظلمون (عنها حولا) أي تحولا إلى غيرها قال ابن عباس لا يريدون أن يتحولوا
 عنها كما ينتقل الرجل من دار إلى دار إذا لم توافقه إلى دار أخرى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) قال ابن عباس
 وقالت اليهود يا محمد تزعم أننا قد أوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقول وما أوتيتم من
 العلم إلا قليلا فأزل الله هذه الآية وقيل لما نزلت وما أوتيتم من العلم إلا قليلا قالت اليهود أوتينا التوراة وفيها علم كل شيء
 فأزل الله قل لو كان البحر مدادا سمي للمداد مدادا لإمداده الكتاب وأصله من الزيادة ومعنى الشيء بعد الشيء قال مجاهد
 لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب (انفد البحر) أي ماؤه (قبل أن تنفد) (٢٣٧) قرأ حمزة والكسائي بنقد

بالياء لتقدم الفعل والباقون
 بالذاء (كلمات ربي)
 أي علمه وحكمه (ولو
 جثا بمثله مددا) معناه
 لو كان الخلاق يكتبون
 والبحر يمدهم لنفد
 البحر ولم تنفد كلمات
 الله ولو جثا بمثله مددا
 بمثل ماء البحر في كثرته
 مدادا وزيادة نظيره
 قوله تعالى ولو أن مافي
 الأرض من شجرة أقلام
 والبحر يمده من بعده
 سبعة أبحر ما نفدت
 كلمات الله (قل إنما أنا
 بشر مثلكم يوحى إلى
 أنا إنكم إله واحد)
 قال ابن عباس علم الله
 رسوله التواضع لتلا
 يزهو على خلقه فأمره

زلا) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال وإذا سألت الله فاسأله الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة
 وفوقه عرش الرحمن ومنه تفرج أنهار الجنة قال كعب ليس في الجنان جنة أعلى من جنة الفردوس فيها
 الأمور بالمعروف والنهي عن المنكر وقال قتادة الفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها
 وأرضها وقيل الفردوس هو البستان الذي فيه الأخشاب وقيل هي الجنة المانعة بالأشجار التي
 تنبت ضروبا من الثبات وقيل الفردوس البستان بالرومية وقيل بلسان الحبش منقولاً إلى
 العربية زولا هو ما يهيا للنازل على معنى كانت لهم ثمار جنات الفردوس ونعيمها زلا وقيل
 في معنى كانت لهم أي في علم الله تعالى قبل أن يخلقوا (خالدين فيها لا يبغون) أي لا يظلمون
 (عنها حولا) أي تحولا إلى غيرها قال ابن عباس لا يريدون أن يتحولوا عنها كما ينتقل الرجل
 من دار إلى دار إذا لم توافقه إلى دار أخرى. قوله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي)
 قال ابن عباس قالت اليهود يا محمد تزعم أننا قد أوتينا الحكمة وفي كتابك ومن يؤت الحكمة
 فقد أوتي خيرا كثيرا ثم تقول وما أوتيتم من العلم إلا قليلا فأزل الله تعالى هذه الآية وقيل
 لما نزلت وما أوتيتم من العلم إلا قليلا قالت اليهود أوتينا علم التوراة وفيها علم كل شيء فأزل
 الله تعالى (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي) أي ما يستمدد الكاتب ويكتب به وأصله من
 الزيادة قال مجاهد لو كان البحر مدادا للقلم والقلم يكتب قبل الخلاق يكتبون (لنفد البحر)
 أي لنفد ماؤه (قبل أن تنفد كلمات ربي) أي علمه وحكمه (ولو جثا بمثله مددا) والمعنى ولو
 كان الخلاق يكتبون والبحر يمدهم لفتى ماء البحر ولم تنن كلمات ربي ولو جثا بمثل ماء
 البحر في كثرته مددا وزيادة. قوله تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم) قال ابن عباس علم الله
 تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم التواضع لتلازمه على خلقه فأمره أن يقر فيقول أنا آدمي
 مثلكم إلا أني خصصت بالوحى وأكرمني الله به وهو قوله تعالى (يوحى إلى إنما إنكم إله
 واحد) لا شريك له في ملكه (فمن كان يرجو لقاء ربه) أي يخاف المصير إليه وقيل يؤمل
 رؤية ربه (فليعمل عملا صالحا) أي من حصل له رجاء لقاء الله تعالى والمصير إليه فليستعمل
 نفسه في العمل الصالح (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أي لا يرأى بعمله ولما كان العمل الصالح

الله أن يقر فيقول أنا آدمي مثلكم إلا أني خصصت بالوحى وأكرمني الله به يوحى إلى إنما إنكم إله واحد لا شريك له (فمن
 كان يرجو لقاء ربه) أي يخاف المصير إليه وقيل يأمل رؤية ربه فالرجاء يكون بمعنى الخوف والأمل جميعا قال الشاعر:
 فلا كل ما أرجو من الخير كائن ولا كل ما أرجو من الشر واقع

فجمع به المعنيين (فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) أي لا يرأى بعمله أخبرنا عبد الواحد بن أحمد
 المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف أنا أبو نعيم أنا سفيان عن سلمة هو ابن كهيل قال سمعت جنديا
 يقول قال النبي صلى الله عليه وسلم من سمع صوت الله به ومن يرأى رآني الله به وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
 وإن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر قال الرياء أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالح
 أنبأنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفي ثنا أبو العباس محمد بن يعقوب الأصم ثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ثنا أبي

ثنا شعيب قال ثنا الليث عن أبي الهاد عن عمرو عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله تبارك وتعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري فأنا منه بريء هو لذى عمله أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المديني أنبأنا أبو منصور محمد بن محمد بن سميان ثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا حفص بن عمر ثنا همام عن قتادة عن سالم بن الجعد الغطفاني عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الرداء روي عن النبي صلى الله (٢٣٨) عليه وسلم قال «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم

من فتنة الدجال» وأخبرنا عبد الواحد المديني أنبأنا أبو منصور السمعاني ثنا أبو جعفر الرياني ثنا حميد بن زنجويه ثنا أبو أسود ثنا ابن ذبيعة عن زياد عن سهل هو ابن معاذ عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قرأ أول سورة الكهف وآخرها كانت له نورا من قدميه إلى رأسه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الأرض إلى السماء» (سورة مريم مكية وهي ثمان وتسعون آية)

قد يراد به وجه الله سبحانه وتعالى وقد يراد به الرياء والسمعة اعتبر فيه قيدان أحدهما أن يراد به سبحانه وتعالى والثاني أن يكون مبرأ من جهات الشرك جميعها (ق) عن جندب بن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سمع الله به ومن يرأى يرأى الله به» قوله من سمع الله به أي من عمل عملاً ما آتت للناس يشتهر بذلك شهره الله يوم القيامة وقيل سمع الله به أي أسمعته المكروه (م) عن أبي هريرة قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إن الله تبارك وتعالى يقول وأنا أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملاً أشرك فيه غيري تركته وشركه ولغير مسلم فأنا منه بريء هو والذي عمله عن سعيد بن أبي فضالة رضى الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول «إذا جمع الناس ليوم لا ريب فيه نادى مناد من كان يشرك في عمل عمله لله أحد اقلب طلب ثوابه منه فان الله أغنى الشركاء عن الشرك» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر قالوا وما الشرك الأصغر قال الرياء» (م) عن أبي الرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من فتنة الدجال» وفي رواية من آخرها والله أعلم بمراوده وأسرار كتابه . (تفسير سورة مريم عليها السلام)

مكية وهي ثمان وتسعون آية وثمانون وسبع مائة كلمة وثلاثة آلاف وسبع مائة حرف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (كهيعص) قال ابن عباس رضى الله عنهما هو اسم من أسماء الله تعالى وقيل اسم للقرآن وقيل للسورة وقيل هو قسم أقسم الله تعالى به وعن ابن عباس قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم والصاد من صادق وقيل معناه كاف لخلق هاد لعباده يده فوق أيديهم عالم بربه صادق في وعده (ذكر) أي هذا الذي تلو عليك ذكر (رحمة ربك عبده زكريا) قيل معناه ذكر ربك عبده زكريا برحمته (إذ نادى) أي دعا (ربه) في الخراب (نداء خفياً) أي دعا سرا من قيامه في جوف الليل وقيل راعى سنة الله في إخفاء دعائه لأن الجهر والإسرار عند الله تعالى سيات ولكن الإخفاء أولى لأنه أبعد عن الرياء وأدخل في الإخلاص وقيل أخفاه لئلا يلام على طلب الولد زمن الشيخوخة وقيل خفت صوته لضعفه وهرمه يدل عليه قوله تعالى (قال رب إني وهن) أي ريق وضعف

(سورة مريم مكية وهي ثمان وتسعون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) قوله عز وجل (كهيعص) قرأ أبو عمرو وبكر الهاء وفتح الياء وضده ابن عامر وحمزة وبكسرهما الكسائي وأبو بكر والياقون بفتحهما وبظهور الدال عند الذال من

صاد ذكر ابن كثير ونافع وعاصم ويعقوب والياقون بالإدغام. قال ابن عباس (العظام) رضى الله عنهما هو اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن وقيل اسم للسورة وقيل هو قسم أقسم الله به وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله كهيعص قال الكاف من كريم وكبير والهاء من هاد والياء من رحيم والعين من عليم وعظيم والصاد من صادق وقال الكسائي معناه كاف لخلق هاد لعباده يده فوق أيديهم ، عالم بربه صادق في وعده (ذكر) رفع بالمضمر أي هذا التي تلو عليك ذكر (رحمة ربك) وفيه تقديم وتأخير معناه ذكر ربك (عبده زكريا) برحمته (إذ نادى) دعا (ربه) في محرابه (نداء خفياً) دعا سرا من قومه في جوف الليل (قال رب إني وهن)

سمعك ورقى (العظم منى) من الكبر قال قتادة اشتكى سقوط الأضراس (واشتعل الرأس) أى ابيض شعر الرأس (شيبا) شمطا (ولم أكن بدعائك رب شقيا) يقول عودتى الإجابة فيها مضى ولم تخبى وقيل معناه لما دعوتنى إلى الإيمان آمنت ولم أشق بترك الإيمان (وإنى خفت المولى) والوالى بنو العم وقال مجاهد العصبه وقال أبو صالح الكلالة . وقال الكلبي الورثة (من ورانى) من بعد موتى قرأ ابن كثير من ورانى بفتح الياء والآخرون باسكانها (وكانت امرأتى عاقرا) لانلد (فهب لى من لدنك) أعطنى من عندك (وليا) إنا (برئى ويرث من آل يعقوب) قرأ أبو عمرو والكسائى يجزم الثاء فيهما على جواب الدعاء وقرأ الآخرون بالرفع على الحال والصفة يعنى وليا وارثا واختلفوا فى هذا الإرث قال الحسن معناه يرث مالى ويرث من آل يعقوب النبوة والخبيرة وقيل أراد ميراث النبوة والعلم وقيل أراد إرث الخبيرة لأن زكريا كان رأس الأحبار وقال الزجاج والأولى أن يحمل على ميراث غير المال لأنه بعيد أن يشفق (٢٣٩) زكريا وهو نبى من الأنبياء أن يرثه بنو عمه ماله والمبنى

(العظم منى) أى من الكبر وقبل اشتكى سقوط الأضراس (واشتعل الرأس) أى أبيض الشعر (شيبا) أى شمطا (ولم أكن بدعائك رب شقيا) أى عودتى الإجابة فيها مضى ولم تخبى وقيل معناه لما دعوتنى إلى الإيمان آمنت ولم أشق بترك الإيمان (وإنى خفت المولى من ورانى) أى من بعد موتى والمولى هم بنو العم وقيل العصبه وقيل الكلالة وقيل جميع الورثة (وكانت امرأتى عاقرا) أى لانلد (فهب لى من لدنك) أى أعطنى من عندك ولدا مرضيا (برئى ويرث من آل يعقوب) أى وليا إذا رشاد وقيل أراد به يرث مالى ويرث من آل يعقوب النبوة والخبيرة وقيل أراد ميراث النبوة والعلم وقيل أراد به الخبيرة لأن زكريا كان رأس الأحبار والأولى أن يحمل على ميراث غير المال لأن الأنبياء لم يورثوا المال وإنما يورثون العلم ويبعد عن زكريا وهو نبى من الأنبياء أن يشفق على ماله أن يرثه بنو عمه وإنما خافت أن يضيع بنو عمه دين الله ويغيروا أحكامه وذلك لما أن شاهد من بنى إسرائيل تبديل الدين وقتل الأنبياء فسأل ربه ولدا صالحا يأمنه على أمته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع وهذا قول ابن عباس (واجعله رب رضى) أى براتقيا مرضيا . قوله تعالى (بازكريا) المعنى فاستجاب الله له دعاه فقال يا زكريا (إنا نبشرك بغلام) أى بولد ذكر (اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) أى لم رسم أحد قبله يحيى وقيل معناه لم نجعل له شيا ومثلا وذلك لأنه لم يعص الله ولم يهم بمعصية قط وقال ابن عباس لم تلد العواقر مثله ولدا قبل لم يرد الله تعالى بذلك اجتماع الفضائل كلها ليحيى وإنما أراد بعضها لأن الخليل والكليم كانا قبله وهما أفضل منه (قال رب أنى يكون لى) أى من أين يكون لى (غلام) وكانت امرأتى عاقرا (وقد بلغت من الكبر عتيا) أى يأسا يريد بذلك نحول الجسم ودقة العظم ونحول الجلد (قال كذلك قال ربك هو على هين) أى يسير (وقد خلقناك من قبل) أى من قبل يحيى (ولم تك شيئا قال رب اجعل لى آية) أى دلالة على حمل امرأتى (قال آيتك) أى علامتك (أن لا تكلم الناس ثلاث ليال سويا)

برئى بنو عمه ماله والمبنى أنه خافت تضييع دين الله وتغيير أحكامه على ما كان شاهده من بنى إسرائيل من تبديل الدين وقتل الأنبياء فسأل ربه ولدا صالحا يأمنه على أمته ويرث نبوته وعلمه لئلا يضيع الدين وهذا معنى قول ابن عباس عن ابن عباس رضى الله عنهما (واجعله رب رضى) أى براتقيا مرضيا قوله عز وجل (بازكريا إنا نبشرك) وفيه اختصار معناه فاستجاب الله دعاه فقال يا زكريا إنا نبشرك (بغلام) بولد ذكر (اسمه يحيى لم نجعل له من قبل سميا) قال قتادة والكلابى لم يسم أحد قبله

يحيى وقال سعيد بن جبير وعطاء لم نجعل له شيا ومثلا كذا قال الله تعالى هل تعلم له سميا أى مثلا والمعنى أنه لم يكن له مثل لأنه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وقيل لم يكن له ميل فى أمر النساء لأنه كان سيدا وحضورا . وقال على بن أبى طلحة عن ابن عباس رضى الله عنهما أى لم تلد العواقر مثله ولدا وقيل لم يرد الله به اجتماع الفضائل كلها ليحيى إنما أراد بعضها لأن الخليل والكليم كانا قبله وهما أفضل منه (قال رب أنى) من أين (يكون لى غلام) وكانت امرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا أى يأسا وقال قتادة يريد نحول العظم يقال عتيا عتيا وعصيا إذا انتهى منه وكبر وشيخ عات وعاس إذا صار لى حالة اليبس والجفاف وقرأ حمزة والكسائى عتيا وبكيا وصليا وجتيا بكسر أوائلهن والباقون برفعها وهما لغتان (قال كذلك قال ربك هو على هين) يسير (وقد خلقناك من قبل) أى من قبل يحيى (ولم تك شيئا قال رب اجعل لى آية) دلالة على حمل امرأتى (قال آيتك) لأنكلم الناس ثلاث ليال سويا) أى

صحيحها سلبا من غير ما بأس ولا خرس . قول مجاهد أى لا يمنعك من الكلام مرض . وقيل ثلاث ليال سوبا أى متتابعة
والأول أصح وفي القصة أنه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فإذا أراد ذكر الله تعالى انطلق لسانه قوله تعالى (فخرج على
قومه من الخراب) وكان الناس من وراء الخراب ينتظرونه أن يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون إذ خرج عليهم زمكريا
متغيرا لونه فأنكروه فقالوا مالك يازكريا (فأوحى إليهم) قال مجاهد كتب لهم في الأرض (أن سبحوا) أى صلوا لله (بكرة)
غدوة (وعشيا) معناه أنه كان يخرج (٢٤٠) على قومه بكرة وعشيا فبأمرهم بالصلاة فحما كان وقت حمل امرأته

ومنع الكلام يخرج
إليهم فأمرهم بالصلاة
إشارة قوله عز وجل
(يا يحيى) قيل فيه حذف
معناه وهبنا له يحيى وقلنا
له يا يحيى (خذ الكتاب)
يعنى التوراة (بقوة) بجد
(وآتيناه الحكم) قال
ابن عباس رضى الله
عنهما النبوة (صيبا)
وهو ابن ثلاث سنين .
وقيل أراد بالحكم فهم
الكتاب فقرأ التوراة
وهو صغير وعن بعض
السلف قال من قرأ
القرآن قبل أن يبلغ فهو
من أوتى الحكم صيبا
(وحنانا من لدنا) رحمة
من عندنا قال الخطيب
لعمر بن الخطاب رضى
الله تعالى عنه شعر :
تحنن على هداك المليك
فان لكل مقام مقالا
أى ررحم (وزكاة) قال
ابن عباس رضى الله
عنه أى معنى بالزكاة الطاعة
والإخلاص وقال قتادة
رضى الله عنه هى العمل
الصالح وهو قول الضحاك

أى صحيحها سلبا من غير بأس ولا خرس وثلاث ليال متتابعات والأول أصح
قيل أنه لم يقدر فيها أن يتكلم مع الناس فإذا أراد ذكر الله انطلق لسانه . قوله عز وجل
(فخرج على قومهم من الخراب) أى من الموضع الذى كان يصلى فيه وكان الناس من وراء
الخراب ينتظرونه حتى يفتح لهم الباب فيدخلون ويصلون إذ خرج إليهم زمكريا متغيرا لونه
فأنكروا ذلك عليه وقالوا له مالك (فأوحى) أى فأومأ وأشار (إليهم) وقيل كتب لهم في الأرض
(أن سبحوا) أى صلوا لله (بكرة وعشيا) المعنى أنه كان يخرج على قومه بكرة وعشيا فبأمرهم
بالصلاة فلما كان وقت حمل امرأته ومنع من الكلام خرج إليهم فأمرهم بالصلاة إشارة .
قوله عز وجل (يا يحيى) فيه إضمار ومعناه وهبنا له يحيى وقلنا له يا يحيى (خذ الكتاب) أى
التوراة (بقوة) أى بجد واجتهاد (وآتيناه الحكم) قال ابن عباس يعنى النبوة (صيبا) وهو ابن
ثلاث سنين وذلك أن الله تعالى أحكم عقبه وأوحى إليه فان قلت كيف يصح حصول العقل
والفطنة والنبوة حال الصبا . قلت لأن أصل النبوة مبنى على خرق العادات إذا ثبت هذا فلا
تنتج صيرورة الصبي نبيا وقيل أراد بالحكم فهم الكتاب فقرأ التوراة وهو صغير وعن بعض
السلف قال من قرأ القرآن قبل أن يبلغ فهو ممن أوتى الحكم صيبا (وحنانا من لدنا) أى رحمة
من عندنا قال الخطيب مخاطب عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه :

تحنن على هداك المليك فان لكل مقام مقالا

أى ررحم على (وزكاة) قال ابن عباس يعنى بازكاة الطاعة والإخلاص وقيل هى
العمل الصالح ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم إلى طاعة ربهم
وعملا صالحا في إخلاصه (وكان تقيا) أى مسلما مخلصا مطيعا وكان من تقواه إنه لم يعمل
خطيئة ولم بهم بها قط (وبرا بالديه) أى بارا لطيفا به ما حسنا إليهما لأنه لاعادة بعد تعظيم
الله تعالى أعظم من بر الوالدين يدل عليه قوله تعالى وقضى ربك أن لا تعبدوا إلا إياه
وبالوالدين إحسانا الآية (ولم يكن جبارا) الجبار المتكبر وقيل الذى يقتل ويضرب على الغضب
وقيل الجبار الذى لا يرى لأحد على نفسه حقا وهو من التعظيم بنفسه يرى أن لا يلزمه قضاء
لأحد (عصيا) قيل هو أبلغ من المعاصى والمراد وصف يحيى بالتواضع ولين الجانب وهو من
صفات المؤمنين (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) معناه وأمان له من الله
الله يوم ولد من أن يتاله الشيطان كما يتال سائر بني آدم وأمان له يوم يموت من عذاب النيران
ويوم يبعث حيا من عذاب يوم القيامة وقيل أوحش ما يكون الخلق في ثلاثة مواطن يوم يولد

ومعنى الآية وآتيناه رحمة من عندنا وتحننا على العباد ليدعوهم إلى طاعة ربهم ويعمل
عملا صالحا في إخلاص وقال الكلبي يعنى صدقة تصدق الله بها على أبويه (وكان تقيا) مسلما ومخلصا مطيعا وكان من تقواه
أنه لم يعمل خطيئة ولا هم بها (وبرا بالديه) أى بارا لطيفا بهما حسنا إليهما (ولم يكن جبورا عصيا) الجبار المتكبر وقيل
الجبار الذى يضرب ويقتل على الغضب والمعصى العاصى (وسلام عليه) أى سلام له (يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا)
قال سفيان بن عيينة أوحش ما يكون الإنسان في هذه الأحوال ويوم ولد فخرج مما كان فيه ويوم يموت فيرى قوما لم يكن

عائتهم ويوم يبعث حيا فيري نفسه في محشر لم ير مثله فمخض يحيى بالسلامة في هذه المواطن قوله عز وجل (واذكروني الكتاب) في القرآن (مريم إذ انتبذت) تحت واعتزلت (من أهلها) من قومها (مكانا شرقيا) أي مكانا في الدار مما يلي المشرق وكان يوما شاتيا شديد البرد فجلست في مشرقه تغلى رأسها وقيل كانت طهرت من الحيض فذهبت لتغتسل قال الحسن ومن ثم اتخذت النصرى المشرق قبلة (فانتخذت) فضربت (من دونهم حجابا) قال ابن عباس رضي الله عنهما سترًا وقيل جلست وراء جدار وقال مقاتل وراء جبل وقال عكرمة إن مريم كانت تكون (٢٤١) في المسجد فاذا حاضت تحولت

إلى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض قد تجردت إذ عرض لها جبريل في صورة شاب أمرد وضىء الوجه جعل الشعر سوى الخلق فذلك قوله (فأرسلنا إليها روحنا) يعني جبريل عليه السلام (فتمثل لها بشرًا سويًا) وقيل المراد بالروح عيسى عليه السلام جاء في صورة بشر فحمت به والأول أصح فلما رأت مريم جبريل يقصد نحوها نادته من بعيد (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) هذا كقول القائل إن كنت تقيا مؤمنا مطيعا فان قبل إنما يستعاذ من القاهر فكيف قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا قيل هذا كقول القائل إن كنت مؤمنا فلا تظلمني أي يبغي أن يكون إيمانك مانعا لك من الظلم وكذلك هاهنا معناه

لأنه يرى نفسه خارجا من مكان قد كان فيه ويوم يموت لأنه يرى قوما ما شاهدتهم قط ويوم يبعث لأنه يرى مشهدا عظيما فأكرم الله تعالى يحيى في هذه المواطن كلها فمخضه بالسلامة فيها قوله عز وجل (واذكروني الكتاب) أي في القرآن (مريم إذ انتبذت) أي تحت واعتزلت (من أهلها) أي من قومها (مكانا شرقيا) أي مكانا في الدار مما يلي المشرق وكان ذلك اليوم شاتيا شديد البرد فجلست في مشرقه تغلى رأسها وقيل إن مريم كانت قد طهرت من الحيض فذهبت لتغتسل وقيل ولهذا المعنى اتخذت النصرى المشرق قبلة (فانتخذت) أي فضربت (من دونهم حجابا) قال ابن عباس أي سترًا وقيل جلست وراء جدار وقيل إن مريم كانت تكون في المسجد فاذا حاضت تحولت إلى بيت خالتها حتى إذا طهرت عادت إلى المسجد فبينما هي تغتسل من الحيض قد تجردت إذ عرض لها جبريل في صورة شاب أمرد وضىء الوجه سوى الخلق فذلك قوله تعالى (فأرسلنا إليها روحنا) يعني جبريل (فتمثل لها بشرًا سويًا) أي سوى الخلق لم يتقص من الصورة الآدمية شيئا وإنما مثل لها في صورة الإنسان لتستأنس بكلامه ولا تنزع عنه ولو بدا لها في صورة الملائكة لفررت عنه ولم تقدر على اشتغاع كلامه وقيل المراد من الروح عيسى جاء في صورة بشر فحملت به والقول الأول أصح فلما رأت مريم جبريل عليه السلام يقصد نحوها بادرت من بعيد (قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا) أي مؤمنا مطيعا لله تعالى دل تعوذها من تلك الصورة الحسنة على عفتها وورعها . فان قات إنما يستعاذ من القاهر فكيف قالت إن كنت تقيا . قلت هذا كقول القائل إن كنت مؤمنا فلا تظلمني أي يبغي أن يكون إيمانك مانعا من الظلم كذلك هاهنا معناه ينبغي أن تكون تقواك مانعة لك من التجور (قال) لها جبريل عليه السلام (إنما أنا رسول ربك لأهب) أسند الفعل إليه وإن كانت الهبة من الله تعالى لأنه أرسل به (لك غلاما زكيا) قال ابن عباس ولدا صالحا طاهرا من الذنوب (قالت) مريم (أني يكون لي) أي من أين يكون لي (غلام ولم يمسنني بشر) أي ولم يقربني زوج (ولم أك بغيا) أي فاجرة تريد أن الولد إنما يكون من نكاح أوسقاج ولم يكن هاهنا واحد منهما (قال) جبريل (كذلك قال ربك) أي هكذا قال ربك (هو على هين) أي خلق ولدك بلا أب (ولنجعله آية للناس) أي علامة لهم ودلالة على قدرتنا (ورحمة منا) أي ونعمة لمن تبعه على دينه إلى بعث محمد صلى الله عليه وسلم (وكان أمرا مقضيا) أي محكوما

(٣١ - خازن باليغوى - رابع) يبغي أن يكون تقواك مانعا لك من التجور (قال) لها جبريل (إنما أنا رسول ربك لأهب لك) قرأ نافع وأهل البصرة ليهب لك أي ليهب لك ربك وقرأ الآخرون لأهب لك أسند الفعل إلى الرسول وإن كانت الهبة من الله تعالى لأنه أرسل به (غلاما زكيا) ولدا صالحا طاهرا من الذنوب (قالت) مريم (أني) من أين (يكون لي) غلام ولم يمسنني بشر) ولم يقربني زوج (ولم أك بغيا) فاجرة تريد أن الولد إنما يكون من نكاح أوسقاج ولم يكن هنا واحد منهما (قال) جبريل (كذلك) قيل معناه كما قلت يا مريم ولكن (قال ربك) وقيل هكذا قال ربك (هو على هين) أي خلق ولد بلا أب (ولنجعله آية للناس) دلالة على قدرتنا (ورحمة منا) ونعمة لمن تبعه على دينه (وكان) ذلك (أمرا مقضيا) محكوما مفروعا

لا يرد ولا يبدل قوله عز وجل (فحملته) قبل إن جبريل رفع عنها درعها فنفتح في جيبها فحملت حين لبست وقيل مد جيب درعها بأصبعه ثم نفخ في الجيب وقيل نفخ في كم قبضها وقيل في فيها وقيل نفخ جبريل عليه السلام نفخا من بعيد فوصل الريح إليها فحملت بعيسى في الحال (فانقبذت به) أي فلما حملته انتبذت به أي تحت بالحمل وانفردت (مكانا قصيا) أي بعيدا من أهلها قال ابن عباس رضي الله (٢٤٢) عنهما أقصى الوادي وهو وادي بيت لحم فرارا من قومها

مفروغا منه لا يرد ولا يبدل . قوله عز وجل (فحملته) قبل إن جبريل رفع درعها فنفتح في جيبه فحملت حين لبست الدرع وقيل مد جيب درعها بأصبعه ثم نفخ في الجيب وقيل نفخ في كمها وقيل في ذيلها وقيل في فيها وقيل نفخ من بعيد فوصل النفخ إليها فحملت بعيسى عليه السلام في الحال (فانقبذت به) أي فلما حملته تحت بالحمل وانفردت (مكانا قصيا) أي بعيدا من أهلها قال ابن عباس أقصى الوادي وهو بيت لحم فرارا من أهلها وقومها أن يعيروها بولادتها من غير زوج قال ابن عباس كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل كان مدة حملها تسعة أشهر كحمل سائر الحوامل من النساء وقيل كانت مدة حملها ثمانية أشهر وذلك آية أخرى له لأنه لا يعيش من ولد لثمانية أشهر وولد عيسى لهذه المدة وعاش وقيل ولد لسته أشهر وهي بنت عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة وقد كانت حاضت حبضتين قبل أن تحمل بعيسى وقال وهب إن مريم لما حملت بعيسى كان معها ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين إلى المسجد الذي بينة جبل صهيون وكانا يخدمان ذلك المسجد ولا يعلم من أهل زمانها أحد أشد عبادة واجتهادا منها وأول من علم بحمل مريم يوسف فبقي متحيرا في أمرها كلما أراد أن يتهمها ذكر عبايتها وصلاحتها وأنها لم تغب عنه وإذا أراد أن يبرئها رأى مظهر منها من الحمل فأول ما تكلم به أن قال أنه وقع في نفسي من أمرك شيء وقد حرصت على كتابته فقلبي ذلك فرأيت أن أتكلم به أشنى صدرى فقالت قل قولا جميلا قال أخبرني بامرهم هل يلبت زرع بغير بذر وهل يلبت شبر بغير غيث وهل يكون ولد من غير ذكر قالت نعم ألم تعلم أن الله أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر ألم تر أن الله أنبت الشجرة بالقدرة من غير غيث أوتقول أن الله تعالى لا يقدر على أن يبت الشجرة حتى استعان بالماء وأولا ذلك لم يقدر على إنباتها قال يوسف لأقول هذا ولكني أقول إن الله تعالى يقدر على كل شيء يقول له كئن فيكون قالت له مريم ألم تعلم أن الله خلق آدم وأمراته من غير ذكر ولا أنثى فعند ذلك زال ما عنده من التهمة وكان ينوب عنها في خدمة المسجد لاستيلاء الضعف عليها بسبب الحمل فلما دنت ولادتها أوحى الله إليها أن اخرجي من أرض قومك فذلك قوله تعالى (فانقبذت به مكانا قصيا) قوله عز وجل (فأجاءها المخاض) أي ألبها وجاء بها والمخاض وجع الولادة (إلى جذع النخلة) وكانت نخلة يبست في الصحراء في شدة البرد ولم يكن لها سعف وقيل التجأت إليها تستند إليها وتستمسك بها من شدة الطلق ووجع الولادة (قالت يا ليتني مت قبل هذا) تمت الموت استحياء من الناس وخوفا من الفضيحة (وكنت نسيا منسيا) يعني شيئا حقيقا متروكا لم يذكر ولم يعرف لحقارته وقيل جيفة ملقاة وقيل معناه أنها تمت أنها لم تخلق (فتادها من تحتها) قبل إن مريم كانت على أكمة وجبريل وراء الأكمة

أن يعيروها بولادتها من غير زوج واختلفوا في مدة حملها ووقت وضعها فقال ابن عباس رضي الله عنها كان الحمل والولادة في ساعة واحدة وقيل كان مدة حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل كان مدة حملها ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لأنه لا يعيش من ولد لثمانية أشهر وله المدة وعاش وقيل ولدت لسته أشهر وقال مقاتل بن سليمان حملته مريم في ساعة وصور حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشر سنين وكانت قد حاضت حبضتين قبل أن تحمل بعيسى (فأجاءها) أي ألبها وجاءها (المخاض) وهو وجع الولادة (إلى جذع النخلة) وكانت نخلة يابسة في الصحراء في شدة الشتاء لم يكن لها سعف وقيل التجأت

تحتها

إليها لتستند إليها وتمسك بها علي وجع الولادة (قالت يا ليتني مت قبل هذا)

تمت الموت استحياء من الناس وخوف الفضيحة (وكنت نسيا) قرأ حمزة وحفص نسيا بفتح النون والباقون بكسرهما وهما لغتان مثل الوتر والوتر والجسر والجسر وهو الشيء المنسحق والمنسحق في اللغة كل ما أتى ونسى ولم يذكر لحقارته (منسيا) أي متروكا قال قتادة شيء لا يعرف ولا يذكر قال عكرمة والضحك ومجاهد جيفة ملقاة وقيل تعني لم أخلق (فتادها من تحتها)

قرأ أبو جعفر وناقض وحمزة والكسائي وحفص من تحتها بكسر الميم والثاء يعني جبريل عليه السلام وكانته مريم على أكمة وجبريل وراء الأكمة تحتها فتأداها وقرأ الآخرون بفتح الميم والثاء وأراد جبريل عليه السلام أيضا ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى لما خرج من بطن أمه ناداها (الأنحزني) وهو قول مجاهد والحسن والأول قول ابن عباس رضي الله تعالى عنهما والسدي وقتادة والضحاك وجماعة أن المنادي كان جبريل لما سمع كلامها وعرفت جذعها ناداها الأنحزني (قد جعل ربك تحتك سرية) والسري النهر الصغير وقيل تحتك أي جعله الله تحت أمرك إن أمرته أن يجري جري وإن أمرته بالإمساك أمسك قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ضرب جبريل عليه السلام ويقال ضرب عيسى عليه الصلاة والسلام برجله الأرض فظهرت عين ماء عذب وجري وقيل كان هناك نهر يابس أجرى الله سبحانه وتعالى فيه الماء وحييت النخلة اليابسة فأورقت وأثمرت وأرطبت وقال الحسن تحتك سرية يعني عيسى وكان والله عهدا سرية يعني رفيعا (وهزي إليك) يعني قبل لمريم حركي (بجذع النخلة) تقول العرب هزه وهزبه كما يقول حز رأسه وحز (٢٤٣) برأسه وأمدد الحبل وأمددبه (تساقط عليك) انقراءة

(تساقط عليك) انقراءة

المعروفة بفتح الثاء

والقاف وتشديد السين

يعني تساقط فأدغمت

إحدى الثاءين في السين ،

يعني تسقط عليك النخلة

رطبا وخفف حمزة

السين وحذفت الثاء التي

أدغمها غيره وقرأ حفص

بضم الثاء وكسر القاف

خفيف على وزن تفاعل

وتساقط بمعنى أسقط

والتأنيث لأجل النخلة

وقرأ يعقوب بساقط

بالياء مشددة رده إلى

الجدع (رطبا جنيا)

جنيا وقيل الجنى هو الذي

تحتها وقيل ناداها من سفح الجبل وقيل هو عيسى وذلك أنه لما خرج من بطن أمه ناداها (أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سرية) أي نهر قال ابن عباس رضي الله عنهما ضرب جبريل عليه السلام وقيل عيسى عليه السلام برجله في الأرض فظهرت عين ماء عذبة وجرت وقيل كان هناك نهر يابس فجري فيه الماء بقدره الله سبحانه وتعالى وجذت النخلة اليابسة فأورقت وأثمرت وأرطبت وقيل معنى تحتك أي تحت أمرك إن أمرته أن يجري جري وإن أمرته بالإمساك أمسك وقيل معنى سرية أي عيسى وكان عبدا سرية رفيعا (وهزي إليك) أي حركي إليك (بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا) قيل الجنى الذي بلغ الغاية وجاء أو ان اجتنائه قال الربيع بن خثيم ما للنفساء عندي خير من الرطب ولله ريبض خير من العسل (فكلى واشربي) أي مريم كلى من الرطب واشربي من النهر (وقرى عينا) أي طيبي نفسا وقيل قرى عينا بولدك عيسى يقال أقر الله عينك أي صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك عن النظر إلى غيره (فأما ترين من البشر أحدا) معناه يسألك عن ولدك (فقولي إني نذرت للرحمن صوما) أي صمتا قيل كان في بني إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي وقيل إن الله أمرها أن تقول هذا إشارة وقيل أمرها أن تقول هذا القول نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده وإنما منعت من الكلام لأمرين أحدهما أن يكون عيسى عليه السلام هو المتكلم عنها ليكون أقوى لحجتها في إزالة التهمة عنها وفيه دلالة على أن تفويض الكلام إلى الأفضل أولى الثاني كراهة مجادة السفهاء وفيه أن السكوت عن السفية واجب (فلن أكلم اليوم إنسيا) يقال إنها كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الإنس . قوله تعالى (فأتت به قومها تحمله) قيل

بلغ الغاية وجاء أو ان اجتنائه قال الربيع بن خثيم ما للنفساء عندي خير من الرطب ولله ريبض خير من العسل قوله سبحانه وتعالى (فكلى واشربي) يعني فكلى يا مريم من الرطب واشربي من ماء النهر (وقرى عينا) يعني طيبي نفسا وقيل قرى عينك بولدك عيسى يقال أقر الله عينك يعني صادف فؤادك ما يرضيك فتقر عينك من النظر إليه وقيل أقر الله عينه يعني أنامها يقال قر يقر إذا سكنه وقيل إن العين إذا بكيت من السرور فلدمع بارد وإذا بكيت من الحزن فالدمع يكون حارا فن هذا قيل أقر الله عينه وأضن الله عينه (فأما ترين من البشر أحدا) يعني ترين فدخل عليه نون التأکید فكسرت الياء لالتقاء الساكنين معناه فأما ترين من البشر أحدا فيسئلك عن وعدك (فقولي إني نذرت للرحمن صوما) يعني صمتا وكذلك كان يقرأ ابن مسعود رضي الله عنه والصوم في اللغة الإمساك عن الطعام والشراب والكلام قال السدي كان في بني إسرائيل من إذا أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي وقيل إن الله تعالى أمرها أن تقول هذا إشارة وقيل أمرها أن تقول هذا القدر نطقا ثم تمسك عن الكلام بعده (فلن أكلم اليوم إنسيا) يقال كانت تكلم الملائكة ولا تكلم الإنس (فأتت به قومها تحمله) وقيل أنها ولدته ثم حملته في الحال إلى قومها وقال الكلبي حمل بوسف التجار مريم

عليها السلام وابنها عيسى صلوات الله على نبينا وعليه إلى غار ومكث أربعين يوماً حتى طهرت من نفاسها ثم حملته مريم عليها السلام إلى قومها فكلّمها عيسى عليه السلام في الطريق فقال يا أمّاه أبعثني فإني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين (أولوا مريم لقد جثت شيئاً فرياً) عظيماً منكراً قال أبو عبيدة كل أمر فائق من عجب أو عمل فهو فرى قال النبي صلى الله عليه وسلم في عمر وقلم أو عبقر يا بفرى فرية، يعني يعمل عمله (بأخت هرون) يريد ياشيبه هرون قال قتادة وغيره كان هرون رجلاً صالحاً عابداً في بني إسرائيل وروي أنه أتبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً كلهم يسمى هرون من بني إسرائيل سوى سائر الناس شبهوها به على معنى أنا ظننا أنك مثله في الصلاح وليس المراد منه الأخوة في النسب (٢٤٤) كما قال الله تعالى «إن المبشرين كانوا إخوان الشياطين» أي أشباههم

إنها لما ولدت عيسى عليه السلام حملته في الحلال إلى قومها وقيل إن يوسف النجار احتمل مريم وابنها عيسى إلى غار فكث فيه أربعين يوماً حتى طهرت من نفاسها ثم حملته إلى قومها فكلّمها عيسى في الطريق فقال يا أمّاه أبعثني فإني عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبي بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين (أولوا مريم لقد جثت شيئاً فرياً) أي عظيماً منكراً وقيل معناه جثت بأمر عجيب بديع (بأخت هارون) أي ياشيبه هارون وقيل كان رجلاً صالحاً في بني إسرائيل شبهت به في عفتها وصلاحتها وليس المراد الإخوة في النسب قيل إنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفاً من بني إسرائيل كلهم يسمى هارون سوى سائر الناس (م) وعن المغيرة بن شعبه قال «لما قدمت خراسان سألتني فقالوا إنكم تقرمون يارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا فلما قدمت على رسول الله ﷺ سألته عن ذلك فقال إنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم والصالحين قبلهم» وقيل كان هارون أخاً مريم لأبيها وقيل كان من أمثال رجل في بني إسرائيل وإنما عنوا هارون أخاً موسى لأنها كانت من نسله كما يقال للتيمى بالأخا تميم وقيل كان هارون في بني إسرائيل فاسقاً أعظم الفسق فشهوها به (ما كان أبوك) يعني عمران (امرأ سوء) قال ابن عباس زانيا (وما كانت أمك) يعني حنة (بغيا) أي زانية فمن أين لك هذا الولد (فأشارت إليه) أي أشارت مريم إلى عيسى أن كلمهم قال ابن مسعود لما لم يكن لها حجة أشارت إليه ليكون كلامه حجة لها وقيل لما أشارت إليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت أتسخرين بنا (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً) قيل أراد بالمهد الحجر وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه قيل لما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم وقيل لما أشارت إليه ترك الرضاع واتكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه (قال إنى عبد الله) قال وهب أنها زكرياء عند مناظرتها اليهود فقال لعيسى انطق بحجتك إن كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى وهو ابن أربعين يوماً وقيل بل يوم ولد إنى عبد الله أفر على نفسه بالعبودية لله تعالى أول ما تكلم ثلاثاً بتخلد إلهاً فان قلت إن الذى اشتدت

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغفار ابن محمد أنا محمد بن عيسى أنا إبراهيم بن محمد ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا محمد بن عبد الله بن نمير ثنا ابن إدريس عن أبيه عن سماك بن حرب عن سلمة بن واثل عن المغيرة بن شعبه قال لما قدمت خراسان سألتني فقالوا إنكم تقرمون يارون وموسى قبل عيسى بكذا وكذا سنة فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سألته عن ذلك فقال إنهم كانوا يسمون بأنبيائهم والصالحين قبلهم وقال السكلي كان هارون أخاً مريم من أبيها

وكان أمثال رجل في بني إسرائيل وقال السدي إنما عنوا به هرون أخاً موسى لأنها كانت من نسله كما يقال للتيمى بالأخا تميم وقيل كان هرون رجلاً فاسقاً في بني إسرائيل عظيم الفسق فشهوها به (ما كان أبوك) عمران (امرأ سوء) قال ابن عباس رضي الله عنهما زانيا (وما كانت أمك) حنة (بغيا) أي زانية فمن أين لك هذا الولد (فأشارت) مريم (إليه) أي إلى عيسى عليه السلام أن كلموه قال ابن عباس رضي الله عنهما لما لم تكن لها حجة أشارت إليه ليكون كلامه حجة لها وفي القصة لما أشارت إليه غضب القوم وقالوا مع ما فعلت أتسخرين بنا ثم (قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً) أي من هو في المهد وهو حجرها وقيل هو المهد بعينه وكان بمعنى هو وقال أبو عبيدة كان صلة أي كيف تكلم صبياً في المهد وقد يجيء كان حشواً في الكلام لا معنى له كقوله هل كنت إلا بشراً رسولا أي هل أنا قال السدي فلما سمع عيسى كلامهم ترك الرضاع وأقبل عليهم وقيل لما أشارت إليه ترك الثدي واتكأ على يساره وأقبل عليهم وجعل يشير بيمينه (قال إنى عبد الله) وقال

وهب آتاهما زكريا عند مناظرتها اليهود فقال عيسى أنطق بحجتك إن كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوما وقال مقاتل بل هو يوم ولد إني عبد الله أقر على نفسه بالعبودية لله عز وجل أول ما تكلم لثلاثا يتخذ لها (آتاني الكتاب وجعلني نبيا) قبل معناه سيؤتيني الكتاب ويجعلني نبيا وقيل هذا إخبار عما كتب في اللوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال وكنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقال الأكرتون أوتى الإنجيل وهو صغير طفل وكان يعقل عقل الرجال وعن الحسن أنه قال : أظم التوراة وهو في بطن أمه (٢٤٥) (وجعلني مباركا أينما كنت)

أي نفاعا حيث ما توجهت
وقال مجاهد معلما للخبر
وقال عطاء أدعو إلى الله
وإلى توحيد عباده
وقيل مباركا على من
أبى (وأوصاني بالصلاة
والزكاة) أي أمرني بهما
فإن قيل لم يكن لعيسى
مال فكيف يؤمر بالزكاة
قيل معناه بالزكاة لو
كان لي مال وقيل
أوصاني بالزكاة أي
أمرني أن أوصيكم بالزكاة
وقيل بالامتثال من
الخبر (مادمت حيا وبرا
بوالدني ولم يجعلني جبارا
شقيا) أي عاصيا لربه
وقيل الشق الذي يذنب
ولا يتوب (والسلام على
يوم ولدت) أي السلام
عند الولادة من طعن
الشیطان (ويوم أموت)
أي عند الموت من الشرك
(ويوم أبعث حيا) من
الأحوال فلما كلمهم
عيسى بهذا علموا
برأه مريم . ثم

إليه الحاجة في ذلك الوقت نفي التهمة عن أمه وأن عيسى لم ينص على ذلك وإنما نص على إثبات عبوديته لله تعالى . قلت كأنه جعل إزالة التهمة عن الله تعالى أولى من إزالة التهمة عن أمه فلعلها أول ما تكلم إنما تكلم باعترافه على نفسه بالعبودية لتحصل إزالة التهمة عن الأم لأن الله تعالى لم يخص بهذه المرتبة العظيمة من ولد في زنا والتكلم بإزالة التهمة عن أمه لا يفيد إزالة التهمة عن الله سبحانه وتعالى فكان الاشتغال بذلك أو (آتاني الكتاب وجعلني نبيا) قبل معناه سيؤتيني الكتاب وهو الإنجيل وهذا الإخبار عما كتب له في اللوح المحفوظ كما قيل للنبي صلى الله عليه وسلم متى كنت نبيا قال كنت نبيا وآدم بين الروح والجسد وقال الأكرتون إنه أوتى الإنجيل وهو صغير وكان يعقل عقل الرجال السكلم وعن الحسن أنه أظم التوراة وهو في بطن أمه (وجعلني مباركا أينما كنت) معناه أي نفاع أينما توجهت وقيل معلما للخبر ادعو إلى الله وإلى توحيد عباده وعبادته وقيل مباركا على من يتبعني (وأوصاني بالصلاة والزكاة) أي أمرني بهما وكلفني فعلهما . فإن قلت كيف يؤمر بالصلاة والزكاة في حال طفوليته وقد قال صلى الله عليه وسلم دفع القلم عن ثلاث الصبي حتى يبلغ الحديث . قلت إن قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة لا يدل على أنه تعالى أوصاه بأدائهما في الحال بل المراد أوصاه بأدائهما في الوقت المعين فاما وهو البلوغ وقيل إن الله تعالى صبره حين انفصل عن أمه بالفا عاقلا وهذا القول أظهر في سياق قوله (مادمت حيا) فإنه يفيد أن هذا التكليف متوجه إليه في زمان جميع حياته حين كان في الأرض وحين رفع إلى السماء وحين ينزل الأرض بعد رفعه (وبرا بوالدني) أي جعاني برا بوالدني (ولم يجعلني جبارا شقيا) أي عاصيا لربي متكبيرا على الحق بل أنا خاضع متواضع وروى أنه قال قلبي لين وأنا صغير في نفسي قال بعض العلماء لا نجد العاق إلا جبارا شقيا وتلا هذه الآية وقيل الشق الذي يذنب ولا يتوب (والسلام على يوم ولدت) أي السلامة عند الولادة من طعن الشيطان (ويوم أموت) أي عند الموت من الشرك (ويوم أبعث حيا) أي من أهوال يوم القيامة فلما كلمهم عيسى بذلك علموا برأه مريم ثم سكت عيسى فلم يتكلم حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الأطفال (ذلك عيسى ابن مريم) أي ذلك الذي قال إني عبد الله هو عيسى بن مريم (قول الحق) أي هذا الكلام هو القول الحق وأضاف القول إلى الحق وقيل هو نعت لعيسى يعني بذلك عيسى بن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله (الذي فيه يمترون) أي يشكون ويختلفون فقاتل يقول هو ابن الله وقاتل يقول الله وقاتل يقول ثالث ثلاثة تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا ثم نزه نفسه عن اتخاذ الولد ونفاه عنه فقال تعالى

سكت عيسى عليه السلام فلم يتكلم بعد ذلك حتى بلغ المدة التي يتكلم فيها الصبيان (ذلك عيسى بن مريم) قال الزجاج أي ذلك الذي قال إني عبد الله عيسى بن مريم (قول الحق) قرأ ابن عامر وعاصم ويعقوب قول الحق ينتصب اللام وهو نصب على المصدر أي قال قول الحق (الذي فيه يمترون) يختلفون فقاتل يقول هو ابن الله وقاتل يقول هو الله وقاتل يقول هو ساحر كذاب وقرأ الآخرون برفع اللام يعني هو قول الحق أي هذا الكلام هو قول الحق وأضاف القول إلى الحق كما قال : حتى الينين ووعد الصدق وقيل هو نعت لعيسى بن مريم يعني ذلك عيسى بن مريم كلمة الله الحق والحق هو الله الذي فيه يمترون

ويشكون ويختلفون ويقولون غير (٢٤٦) الحق ثم نبي عن نفسه الولد ثم عظم نفسه فقال (ما كان لله أن يتخذ من

(ما كان لله أن يتخذ من ولد) أي ما كان من صفاته اتخذ الولد ولا ينبغي له ذلك (سبحانه إذا قضى أمرا) أي إذا أراد أن يحدث أمرا (فإنما يقول له كن فيكون) أي لا يتعلم عليه اتخاذه على الوجه الذي أراه (وإن الله ربي وربكم فاعبدوه) هذا إنجبار عن عيسى أنه قال ذلك يعني ولأن الله ربي وربكم لأرب للمخلوقات سواه (هذا صراط مستقيم) أي هذا الذي أخبرتكم به أن الله أمرني به هو الصراط المستقيم الذي يؤدي إلى الجنة (فاختلف الأحزاب من بينهم) يعني النصارى سموا أحزابا لأنهم تحزبوا ثلاث فرق في أمر عيسى التسطورية والملكانية واليعقوبية (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يعني يوم القيامة حين (أسمع بهم وأبصر) أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر أخبر أنهم يسمعون ويبصرون في الآخرة ما لم يسمعوا ويبصروا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما يسمعون ويبصرون مما يسوءهم ويصدق قلوبهم (يوم يأتوننا) أي يوم القيامة (لكن الظالمون اليوم في ضلال مبين) قيل أراد باليوم الدنيا يعني أنهم في الدنيا في خطأ بين وفي الآخرة يعرفون الحق وقيل معناه لكن الظالمون في الآخرة في ضلال عن طريق الجنة بخلاف المؤمنين . قوله تعالى (وأندرهم يوم الحسرة) يعني خوف يا محمد كفار مكة يوم الحسرة سمي بذلك لأن المسيء ينحسر هلا أحسن العمل والحسن هلا زاد في الإحسان يدل عليه ما روي أبو هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ما من أحد يموت إلا ندم قالوا ما ندمه يا رسول الله قال إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد وإن كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع» أخرجه الترمذي قوله أن لا يكون نزع النزع عن الشيء الكف عنه وقال أكثر المفسرين يعني بيوم الحسرة حين يذبح الموت (ق) عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى مناد يا أهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هنا الموت وكلهم قد رأه ثم ينادى مناد يا أهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقول نعم هذا الموت وكلهم قد رأه فيذبح بين الجنة والنار ثم يقول يا أهل الجنة خلود بلا موت وبأهل النار خلود بلا موت ثم قرأ «وأندرهم يوم الحسرة إذ قضى الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون وأشار بيده إلى الدنيا وزاد الترمذي فيه «فلأن أحدا مات فرحالمات أهل الجنة ولو أن أحدا مات حزالمات أهل النار» قوله كهيئة كبش أملح الأملح المختلط بالبياض والسواد قوله فيشرفون يقال أشرفت إلى الشيء إذا تطلع ينظر إليه ومالت نحوه نفسه قوله فيذبح بين الجنة والنار اعلم أن الموت عرض ليس يجسم في صورة كبش أو غيره فعلى هذا يتأول الحديث على أن الله تعالى يخلق هذا الجسم وهو حيوان فيذبح فيموت فلا يبقى له حياة ولا وجود وكذلك حال أهل الجنة والنار بعد الاستقرار فيهما لا زال لهما ولا انتقال (ق) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار جرىء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار فيذبح ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لاموت وبأهل النار لاموت فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا إلى حزهم» عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا يدخل الجنة أحد إلا رأى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ولا يدخل النار أحد إلا رأى مقعده من الجنة لو أحسن ليكون عليه حسرة» أخرجه البخاري . وقوله تعالى (إذ قضى الأمر) أي فرغ من الحساب وأدخل

ولد) أي ما كان من صفته اتخذ الولد وقيل اللام منقولة أي ما كان الله أن يتخذ من ولد (سبحانه إذا قضى أمرا) إذا أراد أن يحدث أمرا (فإنما يقول له كن فيكون) وإن الله ربي وربكم) قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وأن الله يفتح الألف بجمع إلى قوله وأوصاني بالصلاة والزكاة وبأن الله ربي وربكم وقرأ أهل الشام والكوفة ويعقوب بكسر الألف على الاستنثاء (فاعبدوه هذا صراط مستقيم) قوله (فاختلف الأحزاب من بينهم) يعني النصارى سموا أحزابا لأنهم تحزبوا ثلاث فرق في أمر عيسى التسطورية والملكانية واليعقوبية (فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم) يعني يوم القيامة (أسمع بهم وأبصر) أي ما أسمعهم وأبصرهم يوم القيامة حين لا ينفعهم السمع والبصر أخبر أنهم يسمعون ويبصرون في الآخرة ما لم يسمعوا ولم يبصروا في الدنيا . قال الكافي لأجل يوم القيامة أسمع منهم ولا أبصر حين يقول الله تعالى لعيسى «أنت قلت للناس «أي في خطأ بين (وأندرهم يوم الحسرة إذا قضى الأمر) فرغ من الحساب وأدخل أهل

أهل الجنة (يوم يأتوننا لكن الظالمون) الآية (وأندرهم يوم الحسرة إذا قضى الأمر) فرغ من الحساب وأدخل أهل الجنة وأهل

النار النار وذبح الموت . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعماني أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص بن غياث أنا أبي أنا الأعمش أبو صالح عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح فينادى مناد بأهل الجنة فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه ثم ينادي بأهل النار فيشرفون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت وكلهم قد رآه فيذبح ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلاموت ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون ، ورواه أبو عيسى عن أحمد بن منيع عن النضر بن إسماعيل عن الأعمش بهذا الإسناد وزاده فلو لا أن الله تعالى قضى لأهل الجنة الحياة والبقاء ما توارحوا فرحا ولولا أن الله تعالى قضى لأهل النار الحياة والبقاء لما توارحوا حزنا وأخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعماني أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا معاذ بن أسد أنا عبد الله أنا عمر بن محمد بن زيد عن أبيه أنه حدثه عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادى (٢٤٧) مناد يا أهل الجنة لاموت ويا أهل النار لاموت

ويزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعماني أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو إيمان أنا شعيب أنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يدخل أحد الجنة إلا رأي مقعده من النار لو أساء ليزداد شكرا ولا يدخل النار أحد إلا رأي مقعده من الجنة

أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وذبح الموت (وهم في غفلة) أي عماد بهم في الآخرة (وهم لا يؤمنون) أي لا يصدقون (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها) أي نمت سكان الأرض جميعا ويبقى الله سبحانه وتعالى وحده فيرثهم (وإلينا يرجعون) فنجزهم بأعمالهم . قوله عز وجل (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا) أي كثير الصدق وهو بالغة في كونه صديقا وقيل الصديق الكثير التصديق قيل من صدق الله في وحدانيته وصدق أنبياءه ورسوله وصدق بالبعث بعد الموت وقام بالأوامر فعمل بها فهو صديق ولما قربت رتبة الصديق من رتبة النبي انقل من ذكر كونه صديقا إلى ذكر كونه نبيا والنبي العلي في الرتبة بإرسال الله إياه وأي رتبة أعلى من رتبة من جعله الله تعالى واسطة بينه وبين عباده (إذ قال لأبيه) يعني آزر وهو يعبد الأصنام (ياأبت لم تعبد ما لا يسمع) يعني صوتا (ولا يبصر) لا ينظر شيئا (ولا يغني عنك) أي يكفيك (شيئا) وصف الأصنام بثلاثة أشياء كل واحد منها قادح في الإلهية وذلك أن العبادة هي غاية التعظيم للمعبود فلا يستحقها إلا من له ولاية الإنعام وله أوصاف الكمال وهو الله تعالى فلا يستحق العبادة إلا هو (ياأبت إني قد جاءني من العلم) يعني بالله والمعركة (مالم يأتك فاتبعني) أي على ديني (أهلك صراطا سويا) أي مستقيما (ياأبت لا تعبد الشيطان) أي لا تطعه فيما زين لك من الكفر والشرك (إن الشيطان كان للرحمن عصيا) أي عاصيا (ياأبت إني أخاف) أي أعلم وقيل هو على ظاهره لأنه يمكن أن يؤمن فيكون من أهل الجنة أو يبصر لو أحسن ليكون عليه حنرة . أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى ابن الصلت أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا الحسين بن الحسن أنا ابن المبارك أنا يحيى بن عبد الله قال سمعت أبي قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من أحد يموت إلا ندم قالوا فما ندمه يا رسول الله قال إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد وإن كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع (وهم في غفلة) أي عماد فعل بهم في الآخرة (وهم لا يؤمنون) لا يصدقون قوله عز وجل (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها) أي نمت سكان الأرض ونهلكهم جميعا ويبقى الرب وحده فيرثهم (وإلينا يرجعون) فنجزهم بأعمالهم (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا) الصديق القائم عليه وقيل من صدق الله في وحدانيته وصدق أنبياءه ورسوله وصدق بالبعث وقام بالأوامر فعمل بها فهو الصديق والنبي العلي في الرتبة بإرسال الله تعالى إياه قوله تعالى (إذ قال) إبراهيم (لأبيه) آزر وهو يعبد الأصنام (ياأبت لم تعبد ما لا يسمع) صوتا (ولا يبصر) شيئا (ولا يغني عنك) أي لا يكفيك (شيئا) يعني إني قد جاءني من العلم بالله والمعركة (مالم يأتك فاتبعني) على ديني (أهلك صراطا سويا) مستقيما (ياأبت لا تعبد الشيطان) لا تطعه فيما زين لك من الكفر والشرك (إن الشيطان كان للرحمن عصيا) عاصيا وكان بمعنى الحال أي هو كذلك (ياأبت إني أخاف) أي أعلم

لو أحسن ليكون عليه حنرة . أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى ابن الصلت أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا الحسين بن الحسن أنا ابن المبارك أنا يحيى بن عبد الله قال سمعت أبي قال سمعت أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من أحد يموت إلا ندم قالوا فما ندمه يا رسول الله قال إن كان محسنا ندم أن لا يكون ازداد وإن كان مسيئا ندم أن لا يكون نزع (وهم في غفلة) أي عماد فعل بهم في الآخرة (وهم لا يؤمنون) لا يصدقون قوله عز وجل (إنا نحن نرث الأرض ومن عليها) أي نمت سكان الأرض ونهلكهم جميعا ويبقى الرب وحده فيرثهم (وإلينا يرجعون) فنجزهم بأعمالهم (واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا) الصديق القائم عليه وقيل من صدق الله في وحدانيته وصدق أنبياءه ورسوله وصدق بالبعث وقام بالأوامر فعمل بها فهو الصديق والنبي العلي في الرتبة بإرسال الله تعالى إياه قوله تعالى (إذ قال) إبراهيم (لأبيه) آزر وهو يعبد الأصنام (ياأبت لم تعبد ما لا يسمع) صوتا (ولا يبصر) شيئا (ولا يغني عنك) أي لا يكفيك (شيئا) يعني إني قد جاءني من العلم بالله والمعركة (مالم يأتك فاتبعني) على ديني (أهلك صراطا سويا) مستقيما (ياأبت لا تعبد الشيطان) لا تطعه فيما زين لك من الكفر والشرك (إن الشيطان كان للرحمن عصيا) عاصيا وكان بمعنى الحال أي هو كذلك (ياأبت إني أخاف) أي أعلم

(أن يمك) بصيكت (عذاب من الرحمن) إن أقت على الكفر (فتكون للشيطان وليا) قرينا في النار (قال) أبوه مجيبا له (أرغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لنن لم ننته) لنن لم تسكت وترجع عن عيبك آلتنا وشمك إياها (لأرحمك) قال الكلبي ومقاتل والضحاك : لأشمتك ولأبعدتك عنى بالقول القبيح قال ابن عباس لأضربك وقال الحسن لأقتلك بالحجارة (واهجرني مليا) قال الكلبي اجتنبني طويلا وقال مجاهد وعكرمة حينما وقال سعيد بن جبير دهرأ أصله المسك ومنه يقال تمليت حينما والملوان الليل والنهار (٢٤٨) وقال قتادة وعطاء سالما وقال ابن عباس اعترزني سالما لأنصديق منى معزة

يقال فلان ملي بامر
كذا إذا كان كافيا (قال)
إبراهيم (سلام عليك)
أى سلمت منى لأصبيك
بمكروه وذلك أنه لم
يؤمر بقتاله على كفره
وقيل هذا سلام هجران
ومفارقة وقيل سلام
بر ولطف وهو جواب
الحليم للسفيه قال الله
تعالى : وإذا خاطبهم
الجاهلون قالوا مسلاما
(سأستغفر لك ربى)
قبل إنه لما أعياه أمره
وعده أن يرجع الله
فيه فيسأله أن يرزقه
التوحيد ويغفر له معناه
سأسال الله تعالى لك
توبة تنال بها المغفرة
(به كان فى حفييا) برا
لطيفا قال الكلبي عالما
بستجيب لى إذا دعوته
قال مجاهد عدنى الإجابة
لدعائى (وأعترزكم وما
لدهون من دون الله)
أبى اعترز ما تعبدون من
دون الله قال مقاتل كان
اعترز لإياهم أنه فارقهم

على الكفر فيكون من أهل النار فحمل الخوف على ظاهره أولى . واعلم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام رتب هذا الكلام فى غاية الحسن مقرونا بالتلطف والرفق فان قوله فى مقدمة كلامه يابى دليل على شدة الحب والرغبة فى صرفه عن العتاب وإرشاده إلى الصواب لأنه نبه أولا على ما يدل على المنع من عبادة الأصنام ثم أمره باتباعه فى الإيمان ثم نبه على أن طاعة الشيطان غير جائزة فى العقول ثم ختم الكلام بالوعيد الزاجر عن الإقدام على ما لا ينبغى بقوله إنى أخافت (أن يمك) أى بصيكت (عذاب من الرحمن) أى إن أقت على الكفر (فتكون للشيطان وليا) أى قرينا فى النار وإنما فعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام هذا مع أبيه لأمر أحدها لشدة تعلق قلبه بصلاحية أبيه وأداء حق الأبوة والرفق به وثانيها أن النبى المادى إلى الحق لا بد أن يكون رفيقا لطيفا حتى يقبل منه كلامه وثالثها النصيح لكل أحد فالأب أولى (قال) يعنى أباه مجيبا له (أرغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم) أى أنكها أنت وتارك عبادتها (لنن لم ننته) أى ترجع وتسكت عن عيبك آهنتا وشمك إياها (لأرحمك) قال ابن عباس معناه لأضربك وقيل لأشمتك وقيل لأبعدتك عنى بالقول القبيح والقول الأول هو الصحيح (واهجرني) أى اجتنبني قال ابن عباس اعترزني سالما لأبصينك معنى معزة (مليا) أى دهرأ طويلا (قال) يعنى إبراهيم (سلام عليك) أى سلمت منى لأصبيك بمكروه وذلك لأنه لم يؤمن بقتاله على كفره وقيل هذا سلام هجران ومفارقة وقيل هو سلام بر ولطف وهو جواب الحليم للسفيه (سأستغفر لك ربى) قيل أنه لما أعياه أمره وعده أن يرجع الله فيه فيسأله أن يرزقه التوحيد ويغفر له وقيل معناه سأسال لك ربى توبة تدل بها المغفرة (إنه كان فى حفييا) أى برا لطيفا والمراد أنه يستجيب لى إذا دعوته لأنه عودنى الإجابة لدعائى (وأعترزكم وما تدعون من دون الله) أى أفارقكم وأفارق ما تعبدون من دون الله وذلك أنه فارقهم وهاجر إلى الأرض المقدسة (وأدعو ربى) أى أعبد ربى الذى خلقنى وأنعم على (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا) أى أرجو أن لا أشقى بدعاء ربى وعبادته كما تشقون أنتم بعبادة الأصنام فبى التواضع له مع التعريض بشقاوتهم . قوله عز وجل (فلما اعترزهم وما يعبدون من دون الله) أى ذهب مهاجرا (وهبنا له) أى بعد الهجرة (إسحاق ويعقوب) أى آتسنا وحشته من فراقهم بأولاد أكرم على الله من أبيه (وكلا جعلنا نبيا) أى أنعمنا عليهما بالنبوة (ووهبنا لهم من رحمتنا) أى مع ما وهبنا لهم من النبوة وهبنا لهم المال والولد وذلك أنه بسطظم فى الدنيا من سعة الرزق وكثرة الأولاد (وجعلنا لهم لسان صدق عليا)

من كوفى فهاجر منها إلى الأرض المقدسة (وأدعو ربى) أى أعبد ربى (عسى أن لا أكون بدعاء ربى شقيا) يعنى أى عسى أن لا أشقى بدعائه وعبادته كما أنتم تشقون بعبادة الأصنام وقيل عسى أن يجيبني إذا دعوته ولا يجيبني (فلما اعترزهم وما يعبدون من دون الله) فذهب مهاجرا (وهبنا له) بعد الهجرة (إسحاق ويعقوب) آتسنا وحشته من فراقهم وأقررنا عينه بأولاد أكرم على الله عز وجل (وكلا جعلنا نبيا) يعنى إسحاق ويعقوب (ووهبنا لهم من رحمتنا) أى نعمتنا قال الكلبي المال والولد وهو قول الأكثرين قالوا معناه ما بسطظم فى الدنيا من سعة الرزق وقيل الكتاب والنبوة (وجعلنا لهم لسان صدق عليا) يعنى ثناء

حسنا رفيعا في كل أهل الأديان فكلمهم يتولونهم ويثنون عليهم قوله عز وجل (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا) غير مرآة أخلص العباد والطاعة لله عز وجل وقرأ أهل الكوفة مخلصا بفتح اللام أي مختارا اختاره الله عز وجل وقيل أخلصه الله من الناس (وكان رسولا نبيا ونادينا من جانب الطور الأيمن) يعني يمين موسى والطور جبل بين مصر ومدين ويقال اسمه الزبير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فتودى بموسى وإني أنا الله رب العالمين (وقربناه نجيا) أي مناجيا فالنجى المناجى كما يقال بجليس وتديم قال ابن عباس معناه قربه فكلمه ومعنى (٢٤٩) - التقريب إسماعه كلامه وقيل

رفعه على الحجب حتى سمع صرير القلم (وهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) وذلك حين دعاه موسى فقال واجعل لي وزيراً من أهل هارون أني فأجاب الله دعاه وأرسل لي هارون ولذلك سماه هبة له (واذكر في الكتاب إسماعيل) وهو إسماعيل ابن إبراهيم جد النبي صلى الله عليه وسلم (إنه كان صادق الوعد) قال مجاهد لم يعد شيئا إلا وفى به وقال مقاتل وعد رجلا أن يقيم مكانه حتى يرجع إليه الرجاء فقام إسماعيل مكانه ثلاثة أيام لم يعد حتى رجوع إليه وقال الكلبي انتظره حتى حال عليه الخول (وكان رسولا) إلى جرهم (نبيا) مخبرا عن الله عز وجل (وكان يأمر أهله) أي قومه وقيل أهله وجميع أمته (بالصلاة والزكاة) قال ابن عباس يريد النبي

يعني ثناء حسنا رفيعا في أهل كل دين حتى دعا لهم أهل الأديان كلهم فهم يتولونهم ويثنون عليهم . قوله عز وجل (واذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصا) قرىء بكسر اللام أي أخلص العباد والطاعة لله تعالى ولم يراه وقرىء بالفتح أي مختارا اختاره الله تعالى ثم استخلصه واصطفاه (وكان رسولا نبيا) فهذا وصفان مختلفان فكل رسول نبي ولا عكس (وقادينا من جانب الطور الأيمن) أي من ناحية يمين موسى والطور جبل معروف بين مصر ومدين ويقال إن اسمه الزبير وذلك حين أقبل من مدين ورأى النار فتودى بموسى إني أنا رب العالمين (وقربناه) قال ابن عباس قربه وكلمه ومعنى التقريب إسماعه كلامه وقيل رفعه على الحجب حتى سمع صرير القلم وقيل معناه رفع قدره ونزله أي وشرفاه بالمناجاة وهو قوله تعالى (نجيا) أي مناجيا (وهبنا له من رحمتنا أخاه هارون نبيا) وذلك أن موسى دعاه فاجعل لي وزيرا من أهل هارون أني فأجاب الله دعوته وأرسل لي هارون ولذلك سماه هبة له وكان هارون أكبر من موسى . قوله عز وجل (واذكر في الكتاب إسماعيل) هو إسماعيل بن إبراهيم وهو جد النبي صلى الله عليه وسلم (إنه كان صادق الوعد) قيل إنه لم يعد شيئا إلا وفى به وقيل إنه وعد رجلا أن يقوم مكانه حتى يرجع الرجل فوقف إسماعيل مكانه ثلاثة أيام لم يعد حتى رجوع إليه الرجل وقيل أنه وعد نفسه الصبر على المدح فوفى به فوصفه الله بهذا الخلق الحسن الشريف مثل الشعبي عن الرجل يعد مبعادا إلى أي وقت ينتظره قال إن وعدة نهارا فكل النهار وإن وعدة ليلا فكل الليل ومثل بعضهم عن مثل ذلك فقال إن وعدة في وقت صلاة ينتظر إلى وقت صلاة أخرى (وكان رسولا) إلى جرهم وهم قبيلة من عرب اليمن نزلوا على هاجر أم إسماعيل بوادي مكة حين خلفهم إبراهيم وجرهم هو جرهم بن قحطان بن عابر بن شالخ وقحطان أبو قبائل اليمن (نبيا) أي مخبرا عن الله تعالى (وكان يأمر أهله) أي قومه وجميع أمته (بالصلاة والزكاة) قال ابن عباس يريد الصلاة المفروضة عليهم وهي الخيرية التي افترضت علينا وقيل كان يبدأ بأهله في الأمر بالصلاة والعبادة ليجمعهم قدوة لمن سواهم (وكان عنده مرضيا) أي فتمنا لله بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته وهذا نهاية في المدح لأن المرضى عند الله هو القاتل في كل طاعة بأعلى الدرجات . قوله عز وجل (واذكر في الكتاب إدريس) هو جد أبي نوح واسمه اختوخ سمي إدريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس الخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وهو أول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وأول من نظر في علم الحساب (إنه كان صديقا نبيا) وذلك أن الله تعالى شرفه بالنبوة وأنزل عليه ثلاثين صحيفة (ورفعناه مكانا عليا) قيل هي الرفعة بعالم المرتبة في الدنيا وقيل إنه رفع إلى السماء

(٣٢ - خازن بالبغوي - رابع) افترضها الله تعالى عليهم وهي الخيرية التي افترضت علينا (وكان عنده مرضيا) فتمنا لله بطاعته وقيل رضيه لنبوته ورسالته قوله (واذكر في الكتاب إدريس) وهو جد أبي نوح واسمه اختوخ سمي إدريس لكثرة درسه الكتب وكان خياطا وهو أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس الخيط وكانوا من قبل يلبسون الجلود وأول من اتخذ السلاح وقاتل الكفار وأول من نظر في علم النجوم والحساب (إنه كان صديقا نبيا) ورفعه مكانا عليا) قيل هي الجنة وقيل هي الرفعة بعالم المرتبة في الدنيا وقيل إنه رفع إلى السماء الرابعة روى أنس بن مالك عن مالك

ابن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى إدريس في السماء الرابعة ليلة المعراج وكان سبب رفع إدريس على ما قاله كعب وغيره أنه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال يارب إنى مشيت فيها يوماً واحداً ، فأصابني المشقة الشديدة من وهج الشمس وأضر في حرها ضرراً بليغاً فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لم يعرف فقال يارب ما الذى قضيت فيه حتى خفت عنى ما أنا فيه قال إن عبدى إدريس سألنى أن أخفف عنك حماها وحرها فأجبتة فقال يارب اجعل بينى وبينه خلة فأذن له حتى أتى إدريس فكان يسأله إدريس فقال له إنى أخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت فاشفع لى إليه ليؤخر أجلى فأزاد شكراً وعبادة (٢٥٠) فقال الملك لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها وأنا مكلمه فرفعه إلى

السماء ووضعته عند مطع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال لى حاجة إليك فقال وما هى فقال صديق لى من بنى آدم تشفع لى إليك لتؤخر أجله قال ليس ذلك لى ولكن إن أحببت أعلمت أجله متى يموت فيقدم نفسه قال نعم فظفر في ديوانه فقال إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً قال وكيف ذلك قال لأجده يموت إلا عند مطع الشمس قال في آرتك وتركته هناك قال فانطلق فلا أراك تجده إلا وقد مات فواته ما بقى من أجل إدريس شيء

وهو الأصح يدل عليه ما روى أنس بن مالك بن صعصعة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه رأى إدريس في السماء الرابعة ليلة المعراج ، متفق عليه وكان سبب رفع إدريس لى السماء الرابعة على ما قاله كعب الأحمق وغيره أنه سار ذات يوم في حاجة فأصابه وهج الشمس فقال يارب إنى مشيت يوماً فكيف بمن يحملها مسيرة خمسمائة عام في يوم واحد اللهم خفف عنه من ثقلها وحرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يارب خلفتني لحر الشمس فما الذى قضيت فيه قال إن عبدى إدريس سألنى أن أخفف عنك حملها وحرها فأجبتة قال يارب فاجمع بينى وبينه واجعل بينى وبينه خلة فأذن له حتى أتى إدريس فكان يسأله إدريس يسأله مما سألته أن قال لى أخبرت أنك أكرم الملائكة وأمكنهم عند ملك الموت فاشفع لى إليه ليؤخر أجلى لعلى ازداد شكراً وعبادة فقال الملك فلا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ، وأنا مكلمه فرفعه إلى السماء ووضعته عند مطع الشمس ثم أتى ملك الموت فقال لى لى حاجة صديق لى من بنى آدم تشفع لى إليك لتؤخر أجله فقال ملك الموت ليس لى ذلك ولكن إن أحببت أعلمته أجله فيقدم لنفسه قال نعم فظفر في ديوانه فقال إنك كلمتني في إنسان ما أراه يموت أبداً قال وكيف ذلك فقال لأجده يموت إلا عند مطع الشمس قال لى آرتك وتركته هناك قال انطلق فلا أراك تجده إلا وقد مات فواته ما بقى من عمر إدريس شيء فرجع الملك فوجده ميتاً وقال وهب كان يرفع إدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن له فأتاه في صورة بنى آدم وكان إدريس بصوم الدهر فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى الطعام فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس وقال له في الليلة الثالثة إنى أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك فقال لى إليك حاجة قال وما هى قال تقبض روحى فأوحى الله إليه أن قبض روحه فقبض روحه وردها الله إليه بعد ساعة فقال له ملك الموت ما الفائدة في سؤالك قبض الروح قال لأذوق كرب الموت

فرجع الملك فوجده ميتاً واختلفوا في أنه حى في السماء أم ميت

وقم فقال قوم هو ميت وقال قوم هو حى وقالوا أربعة من الأنبياء في الأحياء اثنان في الأرض الخضر والياقوت والثمان في السماء إدريس وعيسى وقال وهب كان يرفع إدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه فعجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه عز وجل في زيارته فأذن له فأتاه في صورة بنى آدم ، وكان إدريس بصوم الدهر فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ذلك ثلاث ليال فأنكره إدريس فقال له في الليلة الثالثة إنى أريد أن أعلم من أنت فقال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أصحبك قال لى إليك حاجة قال وما هى قال تقبض روحى فأوحى الله إليه أن قبض روحه فقبض روحه وردها الله إليه بعد ساعة قال له ملك الموت ما الفائدة في سؤالك قبض الروح قال لأذوق كرب الموت وقم لأنه لا يكون أشد استعداداً له ثم قال إدريس له إن لى إليك حاجة أخرى قال وما هى قال

ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار فأذن الله في رفعه فلما قرب من النار قال لي حاجة أخرى قال وما تريد قال تسأل مالكا حتى يفتح لي أبوابها فأرددها ففعل ثم قال فكما أرقتي النار فأرني (٢٥١) الجنة فذهب به إلى الجنة

فاستفتح ففتحت أبوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت أخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال لأن الله تعالى قال وكل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال وإن منكم إلا واردها وقد وردتها وقال وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فأوحى الله لي ملك الموت بأذني دخل الجنة وبأمرى لا يخرج فهو حي هناك فذلك قوله تعالى «ورفعناه مكانا عليا» (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم) أي إدريس ونوحا (ومن حملنا مع نوح) أي ومن ذرية نوح من حملنا مع نوح في السفينة يريد إبراهيم لأنه ولد سام بن نوح (ومن ذرية إبراهيم) يريد إسماعيل وإسحاق ويعقوب قوله (وإسرائيل) أي ومن ذرية إسرائيل وهم موسى وهرون وزكريا ويحيى (ومن هدينا

وغمه فأكون أشد استعدادا له ثم قال له إدريس لي إليك حاجة أخرى قال وما هي قال ترفعني إلى السماء لأنظر إليها وإلى الجنة والنار فأذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لي إليك حاجة فقال وما هي قال أريد أن أسأل مالكا أن يرفع أبوابها فأرددها ففعل قال فكما أرقتي النار فأرني الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتحت أبوابها فأدخله الجنة ثم قال له ملك الموت أخرج لتعود إلى مقرك فتعلق بشجرة وقال ما أخرج منها فبعث الله إليه ملكا حكما بينهما قال له الملك مالك لا تخرج قال لأن الله تعالى قال «كل نفس ذائقة الموت» وقد ذقته ثم قال هو إن منكم إلا واردها فأنا وردتها وقال وما هم منها بمخرجين فلست أخرج فأوحى الله تعالى لي ملك الموت بأذني دخل الجنة وبأمرى لا يخرج فهو حي هناك فذلك قوله تعالى «ورفعناه مكانا عليا» واختلفوا في أنه حي في السماء أم ميت فقال قوم هو ميت واستدل بالأول وقال قوم هو حي واستدل بهذا وقالوا أربعة من الأبياء أحياء اثنتان في الأرض وهما الخضر وإلياس واذن في السماء وهما إدريس وعيسى. قوله عز وجل (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين) أولئك إشارة إلى المذكورين في هذه السورة أنعم الله عليهم بالنبوة وغيرها مما تقدم وصفه (من ذرية آدم) يعني إدريس ونوحا (ومن حملنا مع نوح) أي ومن ذرية من حملنا مع نوح في السفينة يريد إبراهيم لأنه ولد سام بن نوح (ومن ذرية إبراهيم) يعني إسحاق وإسماعيل ويعقوب (وإسرائيل) أي ومن ذرية إسرائيل وهو يعقوب وهم موسى ويحيى وهارون وزكريا وعيسى صوات الله وسلامه عليهم فرتب الله تعالى أحوال الأنبياء الذين ذكرهم على هذا الترتيب منها بذلك على أنهم كما شرفوا بالنبوة شرفوا بالنسب ثم قال تعالى (ومن هدينا واجتبتنا) أي هؤلاء ممن أرشدنا واصطنبنا وقبل من هدينا إلى الإسلام واجتبتنا على الأنعام (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا) جمع ساجد (وبكيا) جمع بكاء أخبر الله تعالى أن الأبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا إذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا وخوفا وحذرا والمراد من الآيات ما خصهم به من الكتب المنزلة عليهم وقيل أراد من الآيات ذكر الجنة والنار والوعيد فقبه استحباب البكاء وخشوع القلب عند سماع القرآن.

(فصل)

ومحمد سورة مريم من عزائم سجود القرآن فيسن للقارىء والمستمع أن يسجد عند تلاوة هذه السجدة وقيل يستحب لمن قرأ آية سجدة فسجد أن يدعو بما يناسب تلك السجدة فإن قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين إليك والخاشعين لك وإن قرأ سجدة مريم قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم الساجدين لك الباكين عند تلاوة آياتك وإن سجد سجدة ألم السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسيحين بخدمتك وأؤذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك. قوله تعالى (فخلف من بعدهم) أي من بعد النبيين المذكورين (خلف) أي قوم سواء أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وتابعهم وقيل هم في هذه الأمة

واجتبتنا) هؤلاء كانوا ممن أرشدنا واصطنبنا (إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا) جمع ساجد وبكيا جمع بكاء أخبر الله أن الأنبياء كانوا إذا سمعوا آيات الله سجدوا وبكوا قوله تعالى (فخلف من بعدهم خلف) أي من بعد النبيين المذكورين خلفهم قوم سوء والخلف بالفتح الصالح وبالجزم الطالح قال السدي أراد بهم اليهود ومن لحق بهم وقال مجاهد

وقادة هم نوم في هذه الآية (أضاعوا الصلاة) تركوا الصلاة المفروضة وقال ابن مسعود وإبراهيم آخروها عن وقتها وقال سعيد بن المسيب هو أن لا يصل الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تغرب الشمس (واتبعوا الشهوات) أي المعاصي وشرب الخمر أي آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله وقال مجاهد هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزوا بعضهم على بعض في الأسواق والأزقة (فسوف يلقون غيا) قال ابن وهب الغي نهر في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه وقال ابن عباس الغي واد في جهنم وإن أودية جهنم لتستعيد من حره أعد للزاني المصر عليه ولشارب الخمر المدمن عليها ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه ، ولأهل العقوق ولشاهد الزور ولامرأة أدخلت على زوجها ولدا وقال عطاء الغي واد في جهنم يسيل قيحا ودما وقال كعب هو واد في جهنم أبعد ما قرأ وأشد حرا فيه بئر تسمى الميم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فيسعر بها جهنم أخبرنا محمد بن عبد الله بن (٢٥٢) أبي توبة أنا محمد بن أحمد الخارثي أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله

ابن محمود أنا إبراهيم ابن عبد الله الخلال وأنا عبد الله بن المبارك عن مشيم بن بشير أنا زكريا ابن أبي مريم الخزاعي قال سمعت أبا أمامة الباهلي يقول إن ما بين شفير جهنم إلى قعرها مسيرة سبعين خريفا من حجر يهوى أو قال صخرة تهوي عظمها كعشر عشرات سماوات فقال له مولى لعبد الرحمن بن خالد بن الوليد هل تحت ذلك شيء يا أبا أمامة قال نعم غي وآنام وقال الضحاک غيا وخسرانا وقيل هلاكاً وقيل عذاباً وقوله فسوف يلقون غيا ليس مراده يرون فقط بل معناه الاجتماع والملازمة مع الرؤيا (الإيمان تاب

(أضاعوا الصلاة) أي تركوا الصلاة المفروضة وقيل آخروها عن وقتها وهو أن لا يصل الظهر حتى يأتي العصر ولا العصر حتى تأتي المغرب (واتبعوا الشهوات) أي آثروا شهوات أنفسهم على طاعة الله وقيل اتبعوا المعاصي وشرب الخمر وقيل هؤلاء قوم يظهرون في آخر الزمان ينزوا بعضهم على بعض في الأسواق والأزقة (فسوف يلقون غيا) قال ابن عباس الغي واد في جهنم وإن أودية جهنم لتستعيد من حره أعد للزاني المصر عليه ولشارب الخمر المدمن له ولآكل الربا الذي لا ينزع عنه ولأهل العقوق ولشاهد الزور وقيل هو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه يسيل قيحا ودما وقيل هو واد في جهنم أبعد ما قرأ وأشد حرا فيه بئر تسمى الميم كلما خبت جهنم فتح الله تلك البئر فتستعر بها جهنم وقيل معنى غيا خسرانا وقيل هلاكاً وعذاباً وليس معنى يلقون يرون فقط بل معناه الاجتماع والملازمة مع الرؤيا . قوله تعالى (الإيمان تاب وآمن وعمل صالحاً) يعني الإيمان تاب من التصبر في الصلوات والمعاصي وآمن من الكفار وعمل صالحاً بطاعة الله تعالى (فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا) أي لا ينقصون شيئا ثم وصف الجنة فقال تعالى (جنات عدن) أي بساكنة إقامة وصفها بالدوام بخلاف جنات الدنيا فانها لا تدوم (التي وعد الرحمن عباده بالغيب) أي لأنهم لا يرونها فهي غائبة عنهم وهم غائبون عنها (إنه كان وعده مآثيا) أي آتيا وقيل معنى وعده موعوده وهو الجنة مآثيا أي يأتيه أولياء الله وأهل طاعته (لا يسمعون فيها لغوا) أي باطلا وفحشا وهو فضول الكلام (إلا سلما) يعني بل يسمعون فيها سلما والسلام اسم جامع للخير لأنه يتضمن معنى السلامة وذلك أن أهل الجنة لا يسمعون فيها ما يؤلمهم إنما يسمعون تسليمهم وقيل هو تسليم بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال أهل التفسير ليس في الجنة ليل ولا نهار حتى يعرف به البكرة والعشي بل هم في نور أبدا ولكنهم يؤتون بأرزاقهم على مقدار طرفي النهار كعادتهم في الدنيا وقيل إنهم يعرفون وقت النهار برفع الحجب ووقت الليل بارتخاء الحجب وقيل المراد منه رفاهية العيش وسعة الرزق

وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب) ولم يروها (إنه كان وعده مآثيا) يعني آتيا مفعول بمعنى فاعل وقيل لم يقل آتيا لأن كل من أتاك فقد أتيتك والعرب لا تفرق بين قول القائل أتت على خمسون سنة وبين قوله أتيت على خمسين سنة ويقول وصل لي الخير ووصلت إلى الخير قال ابن جرير وعده أي موعوده وهو الجنة مآثيا يأتيه أولياؤه وأهل طاعته (لا يسمعون فيها) في الجنة: (لغوا) باطلا وفحشا وفضولا من الكلام وقال مقاتل هو اليمين الكاذبة (إلا سلما) استثناء من غير جلسه يعني بل يسمعون فيها سلما أي قولا يسلمون منه والسلام اسم جامع للخير لأنه يتضمن السلامة معناه أن أهل الجنة لا يسمعون ما يؤلمهم إنما يسمعون ما يسلمهم وقيل هو تسلح بعضهم على بعض وتسليم الملائكة عليهم وقيل هو تسليم الله عليهم (ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا) قال

(وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ) يعني أبي بن خلف الجهمي كان منكرا للبعث قال (أئذا مات لسوف أخرج حيا) مع القبر قاله استهزاء وتكديبا للبعث قال الله عز وجل (أو لا يذكر) أي يتذكر ويتفكر وقرا نافع وابن عامر وعاصم ويعقوب بذكر خفيف (الإنسان) يعني أبي بن خلف (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) أي لا يتفكر هذا الجاحد في بده خلقه فيستدل به على الإعادة ثم أقسم بنفسه فقال (فوربك لنحشرنهم) أي لنجهم منهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث (والشياطين) مع الشياطين وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطانه في سلسلة (ثم لنحضرنهم حول جهنم) قيل في جهنم (جثيا) قال ابن عباس رضي الله عنه جماعات جمع جنوة وقال الحسن (٢٥٤) والضحاك جمع جاث أي جاثين على الركب قال السدي قاثمين

على الركب لضيق المكان (ثم لنزغن) لنخرجن (من كل شيعة) أي من كل أمة وأهل دين من الكفار (أيهم أشد على الرحمن عتيا) عتوا قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني جرأة وقال مجاهد فجورا يريد الأعتى فالأعتى وقال الكلبي قائلهم ورأسهم في الشر يريد أنه يقدم في إدخال النار من هو أكبر جرما وأشد كفرا وفي بعض الآثار أنهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الأكفر فالأكفر ورفع أيهم على معنى الذي يقال لهم أيهم أشد على الرحمن عتيا وقيل على الاستئناف ثم لنزغن عن يعمل في موضع من كل شيء (ثم لنحن أعلم

ابن عباس مثلا وقيل هل تعلم أحدا يسمى الله غير الله قوله تعالى (ويقول الإنسان) أي جلس الإنسان والمراد به الكفار الذين أنكروا البعث وقيل هو أبي بن خلف الجهمي وكان منكرا للبعث (أئذا مات لسوف أخرج حيا) قاله استهزاء وتكديبا للبعث قال الله تعالى (أو لا يذكر الإنسان) أي يتذكر ويتفكر يعني مذكر البعث (أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا) والمعنى أولا يتفكر هذا الجاحد في بده خلقه فيستدل به على الإعادة قال بعض العلماء لو اجتمع كل الخلاق على إيراد حجة في البعث على هذا الاختصار ما قدروا عليه إذ لاشك أن الإعادة ثانيا أهون من الإيجاد أولا ثم أقسم بنفسه فقال تعالى (فوربك) وفيه تشریف للنبي صلى الله عليه وسلم (لنحشرنهم) أي لنجهم منهم في المعاد يعني المشركين المنكرين للبعث (والشياطين) أي مع الشياطين وذلك أنه يحشر كل كافر مع شيطان في سلسلة (ثم لنحضرنهم حول جهنم جثيا) قال ابن عباس جماعات وقيل جاثين على الركب لضيق المكان وقيل إن البارك على ركبته صورة كصورة الدليل. فان قلت هذا المعنى حاصل للكل بدليل قوله تعالى ونرى كل أمة جاثية. قلت وصفوا بالجنو على العادة المعهودة في مواقف المقالات والمناقلات وذلك لما فيه من القلق مما يدهمهم من شدة الأمور التي لا يطيقون معها القيام على أرجلهم فيجثون على ركبهم جنوا (ثم لنزغن) أي لنخرجن (من كل شيعة) أي من كل أمة وأهل دين من الكفار (أيهم أشد على الرحمن عتيا) قال ابن عباس يعني جرأة وقيل فجورا وتمردا وقيل قائلهم رئيسهم في الشرك والمعنى أنه يقدم في إدخال النار الأعتى من هو أكبر جرما وأشد كفرا وفي بعض الأخبار أنهم يحضرون جميعا حول جهنم مسلسلين مغلولين ثم يقدم الأكفر فالأكفر فن كان أشد منهم تمردا في كفره خص بعذاب أعظم وأشد لأن عذاب الضال المضل واجب أن يكون فوق عذاب الضال التابع لغيره في الضلال وفائدة هذا التمييز التخصيص بشدة العذاب لا التخصيص بأصل العذاب فلذلك قال في جميعهم (ثم لنحن أعلم بالدين هم أولى بها صليا) ولا يقال أولى لإلا مع اشتراك القوم في العذاب وقيل معنى الآية أنهم أحق بدخول النار. قوله عز وجل (وإن منكم لا واردها) أي وما منكم إلا واردها وقيل التسم فيه مضمرة أي والله ما منكم من أحد إلا واردها والورود هو موافاة المكان واختالفوا في معنى الورد هاهنا وفيما تنصرف

بالذين هم أولى بها صليا) أي أحق بدخول النار يقال صلى يصلي صليا إليه مثل نبي يلقي لقبيا وصلى يصلي مثل مضي يمضي مضيا إذا دخل النار وقامى حرها (وإن منكم إلا واردها) أي وما منكم إلا واردها وقيل القسم في مضمرة أي والله ما منكم من أحد إلا واردها والورود هو موافاة المكان واختلفوا في معنى الورد هاهنا وفيما تنصرف إليه الكناية في قوله واردها قال ابن عباس رضي الله عنه وهو قول الأكثرين معنى الورد هاهنا ، هو الدخول والكناية راجعة إلى النار وقالوا النار يدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله المتقين فيخرجهم منها والدليل على أن الورد هو للدخول قول الله عز وجل حكاية عن فرعون يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار، وروى بن عيينة عن عمرو بن دينار أن نافع بن الأزرق روى ابن عباس رضي الله عنهما في الورد فقال ابن عباس رضي الله عنهما هو الدخول وقال نافع

ليس الورد الدخول فتلا عبد الله بن عباس رضي الله عنه قوله تعالى **وإنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون** أدخلها هؤلاء أم لأنهم قال بانافع أما والله أنت وأنا سردها وأنا أرجو أن يخرجني الله منها وما أرى الله عز وجل أن يخرجك منها بتكذيبك وقال قوم ليس المراد من الورد الدخول وقالوا النار لا يدخلها مؤمن أبدا لقوله تعالى **وإن الذي سبقتم نام من الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيها** وقالوا كل من دخلها لا يخرج منها والمراد من قوله: **وإن منكم إلا واردها** الحضور والرؤية للدخول كما قال تعالى **ولما ورد ماء مدين** أراد به الحضور وقال عكرمة الآية في الكفار فأنهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروى عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال **(٢٥٥) وإن منكم إلا واردها** يعني

إليه الكتابة في قوله واردها فقال ابن عباس والأكثر من معنى الورد هنا الدخول والكتابة راجعة إلى النار فيدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله الذين اتقوا منها بدل عليه ماروي أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس في الورد فقال ابن عباس هو الدخول فقال نافع ليس الورد الدخول فقرا ابن عباس **وإنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون** أدخلها هؤلاء أم لأنهم قال بانافع والله أنا وأنت سردها وأنا أرجو أن يخرجني الله منها وما أرى الله أن يخرجك منها بتكذيبك فن قال **يدخل المؤمن النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم لا يجزئهم الفزع الأكبر** فان قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النار وعذابها قلت يحتمل أن الله تعالى يحمي النار فتعبرها المؤمنون ويحتمل أن الله تعالى يجعل الأجزاء الملاصقة لأبدان الكفار من النار محرقة والأجزاء الملاصقة لأبدان المؤمنين تكون على المؤمنين بردا وطلاما كما كانت في حق إبراهيم عليه السلام وكما أن الملائكة الموكفين بها لا يجذون أهلها فان قلت إذا لم يكن على المؤمنين عذاب ففائدة دخولهم النار قلت فيه رجوه أحدها أن ذلك مما يزيدهم سرورا إذا علموا الخلاص منه وثانها أن فيه مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب الذي على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورد الدخول وقالوا لا يدخل النار مؤمن أبدا لقوله تعالى **وإن الذين سبقتم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيها** فعلى هذا يكون المراد من الورد الحضور والرؤية للدخول كما قال تعالى **ولما ورد ماء مدين** أراد به الحضور وقال عكرمة الآية في الكفار فأنهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروى عن ابن مسعود أنه قال **وإن منكم إلا واردها** يعني القيامة والكتابة راجعة إليها والقول الأول أصح وعليه أهل السنة فأنهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها أهل الإيمان بدليل قوله تعالى **وإن منكم إلا واردها** أي الشرك وهم المؤمنون والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه بدل ماروي عن أبي هريرة قال **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لأحد من المؤمنين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم** وفي رواية **فياج النار إلا تحلة القسم** أخرجاه في الصحيحين أراد بالقسم قوله تعالى **وإن منكم إلا واردها** (م) عن أم مبشر الأنصارية

إليه الكتابة في قوله واردها فقال ابن عباس والأكثر من معنى الورد هنا الدخول والكتابة راجعة إلى النار فيدخلها البر والفاجر ثم ينجي الله الذين اتقوا منها بدل عليه ماروي أن نافع بن الأزرق سأل ابن عباس في الورد فقال ابن عباس هو الدخول فقال نافع ليس الورد الدخول فقرا ابن عباس **وإنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون** أدخلها هؤلاء أم لأنهم قال بانافع والله أنا وأنت سردها وأنا أرجو أن يخرجني الله منها وما أرى الله أن يخرجك منها بتكذيبك فن قال **يدخل المؤمن النار يقول من غير خوف ولا ضرر ولا عذاب البتة بل مع الغبطة والسرور لأن الله تعالى أخبر عنهم أنهم لا يجزئهم الفزع الأكبر** فان قلت كيف يدفع عن المؤمنين حر النار وعذابها قلت يحتمل أن الله تعالى يحمي النار فتعبرها المؤمنون ويحتمل أن الله تعالى يجعل الأجزاء الملاصقة لأبدان الكفار من النار محرقة والأجزاء الملاصقة لأبدان المؤمنين تكون على المؤمنين بردا وطلاما كما كانت في حق إبراهيم عليه السلام وكما أن الملائكة الموكفين بها لا يجذون أهلها فان قلت إذا لم يكن على المؤمنين عذاب ففائدة دخولهم النار قلت فيه رجوه أحدها أن ذلك مما يزيدهم سرورا إذا علموا الخلاص منه وثانها أن فيه مزيد غم على أهل النار حيث يرون المؤمنين يتخلصون منها وهم باقون فيها وثالثها أنهم إذا شاهدوا ذلك العذاب الذي على الكفار صار ذلك سببا لمزيد التذاهم بنعيم الجنة وقال قوم ليس المراد من الورد الدخول وقالوا لا يدخل النار مؤمن أبدا لقوله تعالى **وإن الذين سبقتم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون لا يسمعون حسيها** فعلى هذا يكون المراد من الورد الحضور والرؤية للدخول كما قال تعالى **ولما ورد ماء مدين** أراد به الحضور وقال عكرمة الآية في الكفار فأنهم يدخلونها ولا يخرجون منها وروى عن ابن مسعود أنه قال **وإن منكم إلا واردها** يعني القيامة والكتابة راجعة إليها والقول الأول أصح وعليه أهل السنة فأنهم جميعا يدخلون النار ثم يخرج الله منها أهل الإيمان بدليل قوله تعالى **وإن منكم إلا واردها** أي الشرك وهم المؤمنون والنجاة إنما تكون مما دخلت فيه بدل ماروي عن أبي هريرة قال **قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يموت لأحد من المؤمنين ثلاثة من الولد فتمسه النار إلا تحلة القسم** وفي رواية **فياج النار إلا تحلة القسم** أخرجاه في الصحيحين أراد بالقسم قوله تعالى **وإن منكم إلا واردها** (م) عن أم مبشر الأنصارية

وسلم ولا يموت مسلم ثلاثة من الولد فيلج النار إلا تحلة القسم وأراد بالقسم قوله **وإن منكم إلا واردها** أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعماني أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسلم بن إبراهيم أنا هشام أنا قتادة عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال **ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير** وقال أبان عن قتادة من إيمان مكان خير أخبرنا أبو المظفر محمد بن إسماعيل بن علي الشجاع أنا أبو نصر النعماني عن محمد بن محمود الجرجاني أنا أبو عثمان عمر بن عبد الله البصري أنا محمد بن عبد الوهاب أنا محمد بن الفضل أبو النعمان أنا سلام ابن مسكين أنا أبو الظلال عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم **أن رجلا في النار ينادي ألف سنة يا حنان**

بامتثال فيقول الله عز وجل لجبريل اذهب فانتي بعدي هذا قال فذهب جبريل فوجد أهل النار مشككين فيكون قال فرجع
 فأخبر ربه عز وجل قال اذهب فانه في موضع كذا وكذا قال فجاء به قال يا عبيدي كيف وجدت مكانك ومقبلك قال :
 يارب شرمكان وشرمقبل قال ردوا عبيدي قال ما كنت أرجو أن تعيدني إليها إذا أخرجتني منها قال الله تعالى لملائكته
 دهوا عبيدي ، وأما قوله عز وجل لا يسمعون حسيسها قيل إن الله عز وجل أخبر عن وقت كونهم في الجنة أنهم لا يسمعون
 حسيسها فيجوز أن يكون قد سمعوا ذلك قبل دخولهم الجنة لأنه لم يقل لم يسمعوا حسيسها ويجوز أن لا يسمعوا حسيسها
 عند دخولهم إياها لأن الله (٢٥٦) عز وجل يجعلها عليهم بردا وسلاما وقال خالد بن معدان يقول أهل الجنة

أما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة لا يدخل النار إن شاء الله تعالى من
 أصحاب الشجرة أحد من الذين بايعوا تحتها قالت بلى يا رسول الله فانتزها فقات حفصة وإن
 منكم إلا واردها فقال النبي صلى الله عليه وسلم قد قال الله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين
 فيها جثيا وقال خالد بن معدان يقول أهل الجنة ألم يعدنا ربنا أن نرد النار فيقال بلى ولكنكم
 مررتم بها وهي خامدة وفي الحديث «تقول النار لم يؤمنين جزيا مؤمنين فقد أطفأ نورك لبي» وروى
 عن مجاهد في قوله تعالى وإن منكم إلا واردها قال من حم من المسلمين فقد ورددها وفي الخبر
 «الحمى كبر من جهنم وهي حظ المؤمن من النار» (ق) عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال «الحمى من جهنم فأردوها بالماء» قوله فيسخ جهنم أى وهجها وحرها. وقوله تعالى
 (كان على ربك حتما مقضيا) أى كان ورود جهنم قضاء لازما قضاء الله تعالى عليكم وأوجه
 (ثم ننجي الذين اتقوا) أى الشرك (ونذر الظالمين فيها جثيا) أى جميعا وقيل جاثين على
 الركب قالت المعتزلة في الآية دليل على صحة مذهبهم في أن صاحب الكبيرة والفاسق يخلد
 في النار بدليل أن الله بين أن الكفر بدونها ثم بين صفة من ينجو منها وهم المتقون والفاسق
 لا يكون متقيا فبق في النار أبدا وأجيب عنه بأن المتقى هو الذى يتقى الشرك بقول لإله إلا الله
 ويشهد لصحة ذلك أن من آمن بالله ورسوله صح أن يقول أنه متقى من الشرك ومن صدق
 عليه أنه متقى من الشرك صح أنه متقى لأن المتقى جزء من المتقى من الشرك ومن صدق عليه
 انركب صدق عليه المفرد ثبت أن صاحب الكبيرة متقى وإذا ثبت ذلك وجب أن يخرج من
 النار بعموم قوله تعالى «ثم ننجي الذين اتقوا» فصارت الآية التى توهموها دليلا لهم من أقوى
 الدلائل على فساد قولهم وهذا من حيث البحث وأما من حيث النص فقد وردت أحاديث
 تدل على إخراج المؤمن الموحد من النار (بخ) وعن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير ويخرج من النار من
 قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن بريرة من خير ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن
 ذرة من خير وفي رواية من إيمان» (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه أن الناس قالوا يا رسول
 الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس دونه صحاب قالوا لا يا رسول
 الله قال هل تمارون فى الشمس ليس دونها صحاب قالوا لا يا رسول الله قال فانكم ترونه كذلك

ألم يعدنا ربنا أن نرد النار
 فيقال بلى ولكنكم
 مررتم بها وهي خامدة
 وفي الحديث «تقول النار
 لمؤمنين جزيا مؤمنين
 فقد أطفأ نورك لبي»
 وروى عن مجاهد قوله
 عز وجل « وإن منكم
 إلا واردها قال من حم
 من المسلمين فقد ورددها»
 وفي الخبر «الحمى كبر
 من جهنم» وهي حظ
 للمؤمن من النار أخبرنا
 عبد الواحد المليحي أنا
 أحمد النعمي أنا محمد
 ابن يوسف أنا محمد بن
 إسعيل أنا محمد بن المنثري
 أنا يحيى عن هشام أخبرني
 أبي عن عائشة عن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال
 «الحمى من فيسخ جهنم
 فأردوها بالماء» (كان
 على ربك حتما مقضيا)
 أى كان ورودكم جهنم
 حتما لازما مقضيا قضاء

الله عليكم (ثم ننجي الذين اتقوا) أى اتقوا الشرك وقرأ

السكاني ننجي بالتخفيف والياقون بالتشديد (ونذر الظالمين فيها جثيا) جميعا وقيل جاثين على الركب وفيه دليل على
 أن الكفر دخلوها ثم أخرج الله منها المتقين وترك فيها الظالمين وهم المشركون أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعمي
 أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو العباس أنا شعيب عن الزهري قال أخبرني سعيد بن المسيب وعطاء بن يزيد
 اللبي أن أبا هريرة أخبرهما أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة قال هل تمارون فى القمر ليلة البدر ليس
 دونه صحاب قالوا لا يا رسول الله قال فهل تمارون فى الشمس ليس دونها صحاب قالوا لا قال فانكم ترونه كذلك بحشر الناس

بحشر

يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتهم الله عز وجل فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ويضرب الصراط بين ظهرائي جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأتمته ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان هل رأيت شوك السعدان قالوا نعم قال فأنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تحطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من يخرجل ثم ينجو حتى إذا فرغ الله من القضاء بين عباده وأراد أن يخرج (٢٥٧) من النار من أراد أن يخرج

من كان يشهد أن لا إله إلا الله أمر الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بأثار السجود وحرّم الله على النار أن تأكل أثر السجود فكل من أتى النار إلا من أتى السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصيب عليهم ماء الحياة فينبون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يارب مصرفت وجهي عن النار فقد قشيتني ربحها وأحرقني ذكاؤها فيقول هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي الله ماشاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل به على الجنة رأى نكبتها وبهجتها سكنت ماشاء الله تعالى أن يسكت ثم يقول يارب قد منى عند باب الجنة فيقول الله أليس قد أعطيت الميثاق والعهد أن لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يارب لا أكون أشقى خلقك فيقول فما عسيت أن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطي ربه ماشاء من عهد وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها رأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فسكت ماشاء الله أن يسكت فيقول يارب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول يارب لا تجعلني أشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم يؤذن له في دخول الجنة فيقول له تمن فيتمنى حتى إذا انقطعت أميته قال الله تمن كلدا وكذا أقبل يدكره ربه حتى إذا انتهت به الأماني قال الله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة وعشرة أمثاله قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قوله لك ذلك ومثله معه

يحشر الناس يوم القيامة فيقول الله من كان يعبد شيئاً فليتبعه فمنهم من يتبع الشمس ومنهم من يتبع القمر ومنهم من يتبع الطواغيت وتبى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيدعوهم فيضرب الصراط بين ظهرائي جهنم فأكون أول من يجوز من الرسل بأتمته ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل وكلام الرسل يومئذ اللهم سلم سلم وفي جهنم كلاب مثل شوك السعدان هل رأيت شوك السعدان قالوا نعم قال فأنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله تعالى تحطف الناس بأعمالهم فمنهم من يوبق بعمله ومنهم من ينجو حتى إذا أراد الله رحمة من أراد من أهل النار أمر الله الملائكة أن يخرجوا من كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بأثار السجود وحرّم الله على النار أن تأكل أعضاء السجود فيخرجون من النار وقد امتحشوا فيصيب عليهم ماء الحياة فينبون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ من القضاء بين العباد ويبقى رجل بين الجنة والنار وهو آخر أهل النار دخولا الجنة مقبل بوجهه قبل النار فيقول يارب مصرفت وجهي عن النار فقد قشيتني ربحها وأحرقني ذكاؤها فيقول هل عسيت إن فعلت ذلك بك أن تسأل غير ذلك فيقول لا وعزتك فيعطي الله ماشاء من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل به على الجنة رأى نكبتها وبهجتها سكنت ماشاء الله تعالى أن يسكت ثم يقول يارب قد منى عند باب الجنة فيقول الله أليس قد أعطيت الميثاق والعهد أن لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يارب لا أكون أشقى خلقك فيقول فما عسيت أن أعطيت ذلك أن لا تسأل غيره فيقول وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطي ربه ماشاء من عهد وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها رأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فسكت ماشاء الله أن يسكت فيقول يارب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول يارب لا تجعلني أشقى خلقك فيضحك الله عز وجل منه ثم يؤذن له في دخول الجنة فيقول له تمن فيتمنى حتى إذا انقطعت أميته قال الله تمن كلدا وكذا أقبل يدكره ربه حتى إذا انتهت به الأماني قال الله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد الخدري لأبي هريرة وعشرة أمثاله قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قوله لك ذلك ومثله معه

(٣٣ - خازن باليعقوبي - رابع) من عهد وميثاق فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل به على الجنة ورأى بهجتها سكنت ماشاء الله أن يسكت ثم قال يارب قل منى عند باب الجنة فيقول الله تبارك وتعالى أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي كنت سألت فيقول يارب لا أكون أشقى خلقك فيقول فما عسيت أن أعطيت ذلك أن تسأل غيره فيقول لا وعزتك لا أسأل غير ذلك فيعطي ربه ماشاء من عهد وميثاق فيقدمه إلى باب الجنة فإذا بلغ بابها فرأى زهرتها وما فيها من النضرة والسرور فسكت ماشاء الله أن يسكت فيقول يارب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى ويحك يا ابن آدم ما أغدرك أليس قد أعطيت العهد والميثاق أن لا تسأل غير الذي أعطيت فيقول يارب لا تجعلني أشقى خلقك فلا يزال

يدعو حتى يضحك الله منه فإذا ضحك أذن له في دخول الجنة فيقول ثمن فيتمنى حتى إذا انقطع أمنيته قال الله تعالى ثم كذا وكذا أقبل يذكره ربه حتى إذا انتهت به الأمانى قال الله تعالى لك ذلك ومثله معه . قال أبو سعيد لأبي هريرة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : وقال الله تعالى لك ذلك وعشرة أمثاله قال أبو هريرة لم أحفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا قوله لك ذلك ومثله معه قال أبو سعيد إني سمعته يقول ذلك لك وعشرة أمثاله ورواه محمد بن إسماعيل عن محمود بن غيلان أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عطاء بن يزيد عن أبي هريرة بمعناه فقال فيأتيهم الله عز وجل في غير الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أنا نارنا عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتعون .

(٢٥٨)

قال أبو سعيد رضي الله تعالى عنه وسمعت يقول لك ذلك وعشرة أمثاله وفي رواية للبخاري قال فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا أنا عرفناه فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفونها فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتعون . قلت أما ما يتعلق بمعاني الحديث والكلام على الرؤية فسيأتي في تفسير سورة ن والقيامة وتكلم هاهنا على شرح غريب ألفاظه قوله مثل شوك السعدان هو نبت ذو شوك معقف وهو من أجود مراعى الإبل وقوله فهم مع يويق بعلمه يقال أويقته الذنوب أي أهلكته والشجد المرعى المصروع وقيل هو المقطع والمعنى أنه تقطعه كلاليب الصراط حتى يقع في النار قوله وقد امتحشوا أي احترقوا وقيل هو أن تذهب النار الجلود وتبدي العظم قوله كما نبت الحية في حديد السيل الحية بكسر الحاء وهي البثورات جميعا وحمل السيل هو الزبد وما يلقيه الماء على شاطئه قوله قشبي ريحها أي آذاني والقشب السم فكأنه قال قد سبني ريحها قوله وأحرقني ذكائها أي اشتعلها ولهبها قوله رأيت زهرتها الزهرة الحسن والنضارة والبهجة (ق) عن ابن مسعود قال : وقال رسول الله ﷺ إني لأعلم آخر أهل النار خروجا منها وآخر أهل الجنة دخولا الجنة رجل يخرج من النار حيوا فيقول الله له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها مملأى فيرجع فيقول يارب وجدتها مملأى فيقول الله تعالى له اذهب فادخل الجنة فان لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها أو أن لك مثل عشرة أمثال الدنيا فيقول أنسخري وأنت الملك فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فكان يقال ذلك أدنى أهل الجنة منزلة قوله حتى بدت نواجذه أي أضراسه وأنيابه وقيل هي آخر الأسمان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على أبواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة من الماء فينبون كما نبت القثاء في حميل السيل ثم يدخلون الجنة . أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزازي أنا أبو سعيد المهيم بن كليب أنا أبو عيسى الترمذي

أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الخيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يعذب أناس من أهل التوحيد في النار حتى يكونوا حمما ثم تدركهم الرحمة قال فيخرجون فيطرحون على أبواب الجنة قال فيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبون كما نبت القثاء في حميل السيل ثم يدخلون الجنة . أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزازي أنا أبو سعيد المهيم بن كليب أنا أبو عيسى الترمذي

أنا هناد بن السري أنا أبو معاوية عن الأعمش عن إبراهيم عن عبيدة السلماني عن عبد الله بن مسعود قوله قال قال رسول الله ﷺ إني لأعرف آخر أهل النار خروجا من النار رجل يخرج منها زحفا فيقال له انطلق فادخل الجنة قال فيذهب ليدخل فيجد للناس قد أخذوا المنازل فيرجع فيقول يارب قد أخذ الناس المنازل فيقال له أتذكر الزمان الذي كنت فيه فيقول نعم فيقال له ثمن قال فيتمنى فيقال له فان لك الذي تمنيت وعشرة أمثاله فيقول أنسخري وأنت الملك الجبار قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه . أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسين الخيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي سفيان عن جابر عن أم مہر عن حفصة أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإني لأرجو أن لا يدخل النار إن شاء

الله أحد شهد بدرا والحديبية قالت قلت يا رسول الله أليس قد قال الله تعالى وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتما مقضيا قال فلم تسمع به يقول ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) واضحات (قال الذين كفروا) يعني النضر بن الحرث وذويه من قريش (للذين آمنوا) يعني فقراء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قسافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثانة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون ثيابهم فقالوا للمؤمنين (أى الفريقين خير مقاما) منزلا ومسكنا وهو موضع الإقامة وقرأ ابن كثير مقاما بضم الميم أى إقامة (وأحسن ندبا) أى مجلسا ومثله النادى فأجابهم الله تعالى فقال (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا) أى متاعا وأموالا وقال مقاتل لباسا وثيابا (ورثيا) قرأ أكثر الفقهاء بالهز أى منظر من الرؤية وقرأ ابن عامر (٢٥٩) وأبو جعفر ونافع غير ورش

ريا مشددا بغير همز وله تفسيران أحدهما هو الأول بطرح الهمز والثاني من الرى الذى هو ضد العطش ومعناه الارتواء من النعمة فإن المنتعم يظهر فيه ارتواء النعمة والتقير يظهر عليه ذبول الفقر (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) هذا أمر بمعنى الخبر معناه يدعه فى طغيانه ويعمله فى كفره (حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب) وإما الساعة) يعنى القيامة فيدخلون النار (فسيعلمون) أى من هوشر مكانا) أى منزلا (وأضعف جننا) أى أقل ناصرا (أهم خير وهم فى الجنة وهذا رد عليهم فى قولهم أى الفريقين خير مقاما وأحسن ندبا. قوله تعالى (وزيد الله الذين اهتدوا هدى) أى إيماننا وإيقاننا على يقينهم (والبقيات الصالحات) أى الأذكار والأعمال الصالحة التى تبقى لصاحبها (خير عند ربك ثوابا وخير مردا) أى عاقبة ومرجعا. قوله تعالى (أفرأيت الذى كفر بآياتنا) الآية (ق) عن خباب بن الأرت قال كنت رجلا قينا فى الجاهلية وكان لى على العاص بن وائل السهمى دين فأتيته أنقاضه وفى رواية فعملت للعاص بن وائل السهمى سيفا فجثته أنقاضه فقال لأعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث قال وإني لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعنى حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فأفضيك فنزلت أفرأيت الذى كفر بآياتنا (وقال لأوتين مالا وولدا) إلى قوله فردا القين الحداد فرد الله عليه بقوله (أطلع الغيب) قال ابن عباس معناه أنظر فى اللوح المحفوظ وقيل أعلم علم الغيب حتى يعلم أهو فى الجنة أم لا (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل يعنى عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهد إليه أنه يدخله الجنة فى النار والمؤمنون فى الجنة وهذا رد عليهم فى قوله أى الفريقين خير مقاما وأحسن ندبا (وزيد الله الذين اهتدوا هدى) أى إيماننا وإيقاننا على يقينهم (والبقيات الصالحات) الأذكار والأعمال الصالحة التى تبقى لصاحبها (خير عند ربك ثوابا وخير مردا) عاقبة ومرجعا قوله (أفرأيت الذى كفر بآياتنا) (وقال لأوتين مالا وولدا) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعبي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص أنا أبي أنا الأعشى عن مسلم عن مسروق حدثنا خباب قال كنت قينا فعملت للعاص بن وائل فاجتمع مالى عنده فأتيته أنقاضه فقال لا والله لا أفضيك حتى تكفر بمحمد فقلت أما والله حتى تموت ثم تبعث قال وإني لميت ثم مبعوث قلت نعم قال إنه سيكون لى ثم مال وولد فأفضيك فأنزله الله عز وجل وأفرأيت الذى كفر بآياتنا (وقال لأوتين مالا وولدا) (أطلع الغيب) قال ابن عباس أنظر فى اللوح المحفوظ وقال مجاهد أعلم الغيب حتى يعلم أهو فى الجنة أم لا (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى قال لا إله إلا الله وقال قتادة يعنى أعمل عملا صالحا قدمه

قوله تعالى (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) أى دلائل واضحات (قال الذين كفروا) يعنى النضر ابن الحرث ومن دونه من كفار قريش (للذين آمنوا) يعنى فقراء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت فيهم قسافة وفي عيشهم خشونة وفي ثيابهم رثانة وكان المشركون يرجلون شعورهم ويدهنون رؤوسهم ويلبسون أقصر ثيابهم (أى الفريقين خير مقاما) أى منزلا ومسكنا وهو موضع الإقامة (وأحسن ندبا) أى مجلسا فأجابهم الله تعالى بقوله (وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثا) أى متاعا وأموالا وقيل أحسن ثيابا ولباسا (ورثيا) أى منظر من الرؤية (قل من كان فى الضلالة فليمدد له الرحمن مدا) هذا أمر بمعنى الخبر معناه يدعه فى طغيانه ويعمله فى كفره (حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب) أى الأسر والقتل فى الدنيا (وإما الساعة) يعنى القيامة فيدخلون النار (فسيعلمون) أى عند ذلك (من هوشر مكانا) أى منزلا (وأضعف جننا) أى أقل ناصرا والمعنى فسيعلمون أهم خير وهم فى الجنة وهذا رد عليهم فى قولهم أى الفريقين خير مقاما وأحسن ندبا. قوله تعالى (وزيد الله الذين اهتدوا هدى) أى إيماننا وإيقاننا على يقينهم (والبقيات الصالحات) أى الأذكار والأعمال الصالحة التى تبقى لصاحبها (خير عند ربك ثوابا وخير مردا) أى عاقبة ومرجعا. قوله تعالى (أفرأيت الذى كفر بآياتنا) الآية (ق) عن خباب بن الأرت قال كنت رجلا قينا فى الجاهلية وكان لى على العاص بن وائل السهمى دين فأتيته أنقاضه وفى رواية فعملت للعاص بن وائل السهمى سيفا فجثته أنقاضه فقال لأعطيك حتى تكفر بمحمد فقلت لا أكفر حتى يميتك الله ثم تبعث قال وإني لميت ثم مبعوث قلت بلى قال دعنى حتى أموت وأبعث فسأوتى مالا وولدا فأفضيك فنزلت أفرأيت الذى كفر بآياتنا (وقال لأوتين مالا وولدا) إلى قوله فردا القين الحداد فرد الله عليه بقوله (أطلع الغيب) قال ابن عباس معناه أنظر فى اللوح المحفوظ وقيل أعلم علم الغيب حتى يعلم أهو فى الجنة أم لا (أم اتخذ عند الرحمن عهدا) يعنى قال لا إله إلا الله محمد رسول الله وقيل يعنى عمل عملا صالحا قدمه وقيل عهد إليه أنه يدخله الجنة

وقال الكلبي أعهد إليه أن يدخل الجنة (كلام) رد عليه يعني لم يفعل ذلك (سنكتب) سنحفظ عليه (مايقول) فنجازيه به في الآخرة وقيل نأمر الملائكة حتى يكتبوا مايقول (ونعد له من العذاب مدا) أي نزيده عذابا فوق العذاب وقيل نظيل مدة عذابه (وزرته مايقول) أي ما عنده من المال والولد باهلا كنا إياه وإبطال ملكه وقوله مايقول لأنه زعم أن له مالا وولدا في الآخرة أي لا نعطيه ونعطي غيره فيكون الإرث راجعا إلى ماتحت النول لا إلى نفس القول وقيل معنى قوله وزرته ما يقول أي نحفظ مايقول حتى نجازيه به (وبأزنا فردا) يوم القيامة بلا مال ولا ولد (وانخذوا من دون الله آلهة) يعني مشركي قريش انخذوا الأصنام آلهة يعبدونها (٢٦٠) (ليكونوا لهم عزا) أي منعة يعني يكونون لهم شغواء بمنعونهم من

العذاب (كلام) أي ليس الأمر كما زعموا (سيكفرون بعبادتهم) أي يجحد الأصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرعون منهم كما أخبر الله تعالى نبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون (ويكونون عليهم ضدا) أي أعداء لهم وكانوا أوليائهم في الدنيا وقيل أعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم (لم تر لنا الشياطين على الكافرين) أي ساطنهم عليهم وذلك حين قال لإبليس واستغزز من استطعت منهم بصوتك الآية (توزم أزا) تزعمهم لزجاجا من الطاعة إلى المعصية والأز والحز التحريك أي تحركهم ونحتم على المعاصي (فلا تعجل عليهم)

(كلام) رد عليه يعني لم يفعل ذلك (سنكتب) سنحفظ عليه مايقول فنجازيه به في الآخرة وقيل بأمر الملائكة حتى يكتبوا (مايقول) ونعد له من العذاب مدا) أي نزيده عذابا فوق للعذاب وقيل نظايل مدة عذابه (وزرته مايقول) معناه أي ما عنده من المال والولد باهلا كنا إياه وإبطال ملكه وقيل يزول عنه ما عنده من مال وولد فيعود الإرث إلى من خلفه وإذا شلب ذلك بقي فردا فذلك قوله (وبأزنا) يعني يوم القيامة (فردا) بلا مال ولا ولد فلا يصح أن يبعث في الآخرة بمال وولد . قوله تعالى (وانخذوا من دون الله آلهة) يعني مشركي قريش انخذوا الأصنام آلهة يعبدونها (ليكونوا لهم عزا) أي منعة يعني يكونوا شغواء بمنعونهم من العذاب (كلام) أي ليس الأمر كما زعموا (سيكفرون بعبادتهم) يعني يجحد الأصنام والآلهة التي كانوا يعبدونها عبادة المشركين ويتبرعون منهم (ويكونون عليهم ضدا) أي أعوانا عليهم يكذبونهم ويلعنونهم وقيل أعداء لهم وكانوا أوليائهم في الدنيا . قوله عز وجل (لم تر لنا الشياطين على الكافرين) أي ساطنهم عليهم (توزم أزا) أي تزعمهم لزجاجا من الطاعة إلى المعصية والمعنى تحشهم وتحرضهم على المعاصي تحريضا شديدا وفي الآية دليل على أن الله تعالى مدير لجميع الكائنات (فلا تعجل عليهم) أي لا تعجل بطلب عقوبتهم (إنما نعد لهم عدا) يعني الليالي والأيام والشهور والأعوام وقيل الأنفاس التي يتنفسونها في الدنيا إلى الأجل الذي أجل لعذابهم . قوله تعالى (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) أي اذكر لهم بإحمد اليوم الذي يجتمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته إلى جنته وفدا أي جماعات قال ابن عباس ركبانا قال أبو هريرة على الإبل وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالنا من الذهب ونجائب مروجها يواقيت إن هموا بها سارت وإن هموا بها طارت (ونسوق الجحريم) أي الكافرين (إلى جهنم وردا) أي مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش والورد جماعة يردون الماء ولا يرد أحد إلا بعد العطش وقيل يساقون إلى النار باهانة واستخفاف كأنهم نعم عطاش تساق إلى الماء (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراهبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير وتحشر معهم النار ثقيل معهم حيث قالوا وثبت معهم حيث باتوا وتصبح معهم حيث أصبحوا

أي لا تطلب عقوبتهم (إنما نعد لهم عدا) قال الكلبي يعني الليالي والأيام وللشهور والأعوام وقيل الأنفاس التي يتنفسون بها في الدنيا إلى الأجل الذي أجل لعذابهم قوله (يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا) أي اذكر لهم بإحمد اليوم الذي يجتمع فيه من اتقى الله في الدنيا بطاعته إلى الرحمن أي إلى جماعات جمع وافد مثل راكب وركب واصلب وصحب وقال ابن عباس ركبانا وقال أبو هريرة على الإبل وقال علي بن أبي طالب ما يحشرون والله على أرجلهم ولكن على نوق رحالنا من الذهب ونجائب مروجها يواقيت إن هموا بها سارت وإن هموا بها طارت (ونسوق الجحريم) الكافرين للكاذبين (إلى جهنم وردا) أي مشاة وقيل عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش

والورد جماعة يردون الماء ولا يرد أحد الماء إلا بعد عطش (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعني لا إله إلا الله وقيل معناه لا يشفع الشافعون لمن اتخذ عند الرحمن عهدا يعني المؤمنين كقوله لا يشفعون إلا لمن ارتضى من رسول ، وقيل لا يشفع إلا من شهد أن لا إله إلا الله أي لا يشفع إلا المؤمن (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعني اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله وقرأ حمزة والكسائي ولدا بضم الواو وسكون اللام هاهنا . وفي الزخرف وسورة نوح ووافق ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب في سورة نوح والباقون بفتح الواو (٣٦١) هاهنا وهما لغتان مثل العرب

والعرب والعجم والعجم
(لقد جئتم شيئا إدا)
قال ابن عباس منكرا
وقال قتادة ومجاهد عظما
وقال مقاتل لقد قلتم
قولا عظيما والإد في كلام
العرب أعظم الدواهي
(تكاد السموات)
قرأ نافع والكسائي يكاد
بالياء هاهنا وفي جمعسق
لتقدم الفعل وقرأ الباقر
بالتاء لتأنيث السموات
(يتفطرن منه) هاهنا
وفي جمعسق بالنون
من الانفطار أبو عمرو
وأبو بكر ويعقوب وافق
ابن عامر وحمزة هاهنا
لقوله تعالى وإذا السماء
انفطرت والسماء منفطر
وقرأ الباقر بالتاء من
التفطر ومعناها واحد
يقال انفطر الشيء
وتفطر أي تشقق (وتنشق
الأرض وتخر الجبال
هدا) أي تنكسر كسرا
وقيل تنشق الأرض أي
تنخسف بهم والانفطار

وتسمى معهم حيث أسوا . قوله تفيل معهم حيث قالوا من التبلولة وعنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يحشر الناس يوم القيامة ثلاثة أصناف صنفا مشاة وصنفا ركباتا وصنفا على وجوههم قيل رسول الله كيف عمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم أما أنهم يتقون بوجوههم كل خدب وشوك أخرجه الترمذي . قوله عز وجل (لا يملكون الشفاعة إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا) يعني لا إله إلا الله وقيل لا يشفع الشافعون إلا للمؤمنين وقيل لا يشفع إلا لمن قال لا إله إلا الله أي لا يشفع إلا للمؤمنين (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) يعني اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله من العرب (لقد جئتم شيئا إدا) قال ابن عباس منكرا وقيل معناه لقد قلتم قولا عظيما (تكاد السموات يتفطرن منه) من الانفطار وهو الشق (وتنشق الأرض) أي تنخسف بهم (وتخر الجبال هدا) أي تسقط وتنطبق عليهم (أن دعوا) أي من أجل أن جعلوا (للمؤمن ولدا) فإن قلت مامعنى انفطار السموات وانشقاق الأرض وخرور الجبال ومن أين تؤثر هذه الكلمة في هذه الجملادات . قلت فيه وجهان أحدهما أن الله تعالى يقول كذبت أن أفعل هذا بالسموات والأرض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من نفوه بها لولا حلمي ولني لأعجل بالعبودية الثاني أن يكون استعظاما للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصويرا لأثرها في الدين وهذمه لأركانها وقواعده قال ابن عباس فرزت السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا أهلين وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا اتخذ الله ولدا ثم زه الله نفسه عن اتخاذ الولد ونقاه عنه فقال تعالى (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) أي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به لأن الولد لا بد أن يكون شبيها بالوالد ولا شبيه لله تعالى ولا في اتخاذ الولد إنما يكون لأغراض لا تصح في الله تعالى من سروره واستعانة وذكر جميل بعده وكل ذلك لا يليق بالله تعالى (إن كل من في السموات والأرض إلا آت الرحمن عبدا) أي آتية يوم القيامة عبدا ذليلا خاضعا والمعنى أن الخلائق كلهم عبيده (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أي عد أنفاسهم وأيامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شيء من أمورهم وكلهم تحت قبضته وقهره وقدرته (وكلهم آتية يوم القيامة فردا) أي وحيدا ليس معه من أحوال الدنيا شيء . قوله عز وجل (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أي محبة قيل يحبهم الله تعالى ويحبهم إلى عباده المؤمنين (ق) عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله

في السماء أن تسقط عليهم وتخر الجبال هدا أي تنطبق عليهم (أن دعوا) أي من أجل أن جعلوا (للمؤمن ولدا) قال ابن عباس وكعب فرزت السموات والأرض والجبال وجميع الخلائق إلا الثقلين وكادت أن تزول وغضبت الملائكة واستعرت جهنم حين قالوا لله ولدا ثم نفى الله عن نفسه الولد فقال (وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا) أي ما يليق به اتخاذ الولد ولا يوصف به (إن كل من في السموات والأرض إلا آتية الرحمن) أي إلا آتية يوم القيامة (عبدا) ذليلا خاضعا . يعني الخلق كلهم عبيده (لقد أحصاهم وعدهم عدا) أي عد أنفاسهم وأيامهم وآثارهم فلا يخفى عليه شيء (وكلهم آتية يوم القيامة فردا) وحيدا ليس معه من الدنيا شيء (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا) أي محبة قال مجاهد

بمحمد الله ويحبهم إلى عباده المؤمنين أنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن محمد بن الصلت أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال وإذا أحب الله العبد قال بلجبرائيل قد أحببت فلانا فأحبه فيحبه جبرائيل ثم ينادى في أهل السماء إن الله عز وجل قد أحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض العبد قال مالك لأحبه إلا قال (٣٦٣) في البغض مثل ذلك . قال هرم بن حيان ما أقبل عبد بقلبه إلى الله عز وجل

لأقبل الله بقلوب أهل الإيمان إليه حتى يرزقه مودتهم (فأنما يسرقاه بلسانك) أي سهلنا القرآن بلسانك يا محمد (لتبشر به المتقين) يعني المؤمنين (وتندر به قوما لدا) شدادا في الخصومة جمع الألد وقال الحسن صما عن الحق قال مجاهد الألد الظالم الذي لا يستقيم قال أبو عبيدة الألد الذي لا يقبل الحق ويدعى الباطل (وكم أهلكتنا قبلهم من قرن هل تحس هل ترى ونيل هل تجد) منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا أي صوتا والركز الصوت الحق قال الحسن أي بادوا جميعا فلم يبق منهم عين ولا أثر . (سورة طه) مكية وهي مائة وأربعة وقيل خمس وثلاثون آية (بسم الله الرحمن الرحيم) أخبرنا عبد الواحد المليحي

عليه وسلم أنه قال ، إذا أحب الله سبحانه وتعالى عبدا دعا جبريل عليه السلام إن الله تعالى يحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل فينادي في أهل السماء إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض . وفي رواية لمسلم قال : قال رسول الله ﷺ ، إن الله سبحانه وتعالى إذا أحب عبدا دعا جبريل فقال إنى أحب فلانا فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادى في السماء فيقول إن الله يحب فلانا فأحبه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض وإذا أبغض الله عبدا دعا جبريل عليه السلام فيقول إنى أبغض فلانا فأبغضه فيبغضه جبريل ثم ينادى في أهل السماء إن الله يبغض فلانا فأبغضوه ثم يوضع له البغضاء في الأرض . قال هرم بن حيان ما أقبل عبد بقلبه إلى الله عز وجل لأقبل الله بقلوب المؤمنين إليه حتى يرزقه مودتهم . وقال كعب مكتوب في التوراة لاجبة لأحد في الأرض حتى يكون ابتداءها من الله عز وجل ينزلها على أهل السماء ثم على أهل الأرض وتصديق ذلك في القرآن « سيجعل لهم الرحمن ودا . قوله تعالى (فأنما يسرقاه) أي سهلنا القرآن (بلسانك) يا محمد (لتبشر به المتقين) يعني المؤمنين (وتندر به) أي القرآن (قوما لدا) أي شدادا في الخصومة . وقيل صما عن الحق وقيل الألد الظالم الذي لا يستقيم ولا يقبل الحق ويدعى الباطل (وكم أهلكتنا قبلهم من قرن) ختم الله تعالى هذه السورة بموعظة بليغة لأنهم إذا علموا وأيقنوا أنه لا بد من زوال الدنيا بالموت خافوا ذلك وخافوا سوء العاقبة في الآية فكانوا إلى الخذر من المعاصي أقرب . ثم أكد ذلك فقال تعالى (هل تحس منهم) أي هل ترى وقيل هل تجد منهم أي من القرون (من أحد أو تسمع لهم ركزا) أي صوتا خفيا قال الحسن بادوا جميعا لم يبق منهم عين ولا أثر والله أعلم بمراده وأسرار كتابه . (تفسير سورة طه)

وهي مكية وهي مائة وأربعة وقيل خمس وثلاثون آية . وألف وسبائة وإحدى وأربعون كلمة وخمسة آلاف ومائتان وأثنان وأربعون حرفا . عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأعطيت السورة التي فيها البقرة من الذكر الأول وأعطيته طه والطواسين من ألواح موسى وأعطيته فوائح القرآن وخواتيم سورة البقرة من تحت العرش وأعطيته المنفصل نافلة النافلة الزيادة وفقنا الله لفهم ذلك

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (طه) قيل هو قسم أقسم الله بطوله وهدايته وقيل هو من أسماء الله فالطاء افتتاح اسمه طاهر والماء افتتاح اسمه هاد . وقيل معناه يارجل والمراد به النبي صلى الله عليه

أنا أبو منصور السهماني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا ابن أبي أويس حدثني سلم عن أبي بكر الهزلي عن عكرمة عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وأعطيت السورة التي ذكرت فيها البقرة من الذكر الأول وأعطيته طه والطواسين من ألواح موسى وأعطيته فوائح القرآن وخواتيم السورة التي ذكرت فيها البقرة من كثر تحت العرش وأعطيته المنفصل نافلة (طه) قرأ أبو عمرو بفتح الطاء وكسر الميم وبكسر هاء حمزة والكسافي وأبو بكر والباقون بفتحهما قيل هو قسم وقيل اسم من أسماء الله تعالى وقال مجاهد والحسن وعطاء الضحاك معناه يارجل

وقال قتادة هو يارجل بالسريانية وقال الكلبي هو بالإنسان بلغة عكك وقال مقاتل معناه طأ الأرض بقدميك يريد في التهجيد
 وقال محمد بن كعب القرظي هو قسم أقسم الله عز وجل بطوله وهدايته قال سعيد ابن جبير الطاء افتتاح اسمه طاهر والهاء
 افتتاح اسمه هاد قال الكلبي لما نزل على رسول الله ﷺ الوحي بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة
 لطول قيامه وكان يصلي الليل كله فأزل الله هذه الآية وأمره أن يخضع على نفسه فقال (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) وقيل لما
 رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن يا محمد إلا اشقائك فنزلت ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى أي
 لتتعنى وتتعب وأصل الشقاء في اللغة العناء (إلا تذكره إن يخشى) أي لكن أنزلناه عظمة إن يخشى وقيل تصديره ما أنزلنا
 عليك القرآن لتشقى ما أنزلناه إلا تذكره لمن يخشى (تزيلا) بدل من (٣٦٣) قوله تذكره (بمن خلق الأرض)

أي من الله الذي خلق
 الأرض (والسماوات
 العلى) يعني العلية الرفيعة
 وهي جمع العلية كقوطم
 كبرى وكبر وصغرى
 وصغر (الرحمن على
 العرش استوى له ما في
 السماوات وما في الأرض
 وما بينهما) يعني الهواء
 (وما تحت الثرى) والثرى
 هو التراب التندى قال
 الضحاك يعني ما وارى
 الثرى من شيء وقال
 ابن عباس إن الأرضين
 على ظهر النون والنون
 على بحر ورأسه وذنبه
 يلتقيان تحت العرش
 والبحر على صخرة
 خضراء خضرة السماء
 منها وهي الصخرة التي
 ذكر الله في قصة لقمان
 « فتكن في صخرة »
 والصخرة على قرن ثور

وسلم وكذلك بالإنسان وقيل هو بالسريانية وقيل بالقبطية فعلى هذا يكون قد وافقت لغة العرب
 هذه اللغات في هذه الكلمة وقيل هو بالإنسان بلغة عكك وعك قبيلة من قبائل العرب وقيل
 معناه طأ الأرض بقدميك يريد به في التهجيد وذلك لما نزل الوحي على رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بمكة اجتهد في العبادة حتى كان يراوح بين قدميه في الصلاة لطول قيامه وكان
 يصلي الليل كله فأزل الله تعالى هذه الآية وأمره أن يخضع على نفسه فقال تعالى « طه ما أنزلنا
 عليك القرآن لتشقى » وقيل لما رأى المشركون اجتهاده في العبادة قالوا ما أنزل عليك القرآن
 يا محمد إلا لتشقائك فنزلت (ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) أي لتتعنى وتتعب (إلا تذكره لمن
 يخشى) أي لكن أنزلناه عظمة لمن يخشى وإنما خص من يخشى بالذكر لأنهم هم المستمعون
 بها (تزيلا من خلق الأرض والسماوات العلى) أي من الله الذي خلق الأرض والسماوات
 العلية الرفيعة التي لا يقدر على خلقها في عظيمها وعلوها إلا الله تعالى (الرحمن على العرش
 استوى) تقدم الكلام عليه في سورة الأعراف مستوفى (له ما في السماوات وما في الأرض
 وما بينهما) يعني الهواء (وما تحت الثرى) أي إله مالك لجميع ما في الأربعة الأقسام والثرى هو
 التراب التندى وقيل معناه ما وراء الثرى من شيء وقال ابن عباس إن الأرضين على ظهور
 النون والنون على بحر ورأسه وذنبه يلتقيان تحت العرش والبحر على صخرة خضراء خضرة
 السماء منها وهي الصخرة التي ذكرها الله تعالى في قصة لقمان والصخرة على قرن ثور والثور
 على الثرى ولا يعلم ما تحت ذلك الثرى إلا الله تعالى وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله البحار
 يجرأ واحدا سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه بيست . قوله تعالى (وإن تجهر
 بالقول) أي تعلن به (فإنه يعلم السر وأخفى) قال ابن عباس السر ما نسر في نفسك وأخفى من السر
 ما يلقبه الله في قلبك من بعد ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك لأنك لا تعلم ما نسر اليوم ولا
 تعلم ما نسر غدا والله يعلم ما أسررت به اليوم وما نسر به غدا وعنه أن السر ما أسر به ابن آدم في نفسه
 وأخفى ما هو فاعله قبل أن يعلمه وقيل السر ما أسر به الرجل إلى غيره وأخفى من ذلك ما أسر به
 في نفسه وقيل السر هو العمل الذي يسر من الناس وأخفى هو الوسوسة وقيل السر أن يعلم الله

والثور على الثرى وما تحت الثرى لا يعلمه إلا الله وذلك الثور فاتح فاه فاذا جعل الله عز وجل البحار يجرأ واحدا
 سالت في جوف ذلك الثور فاذا وقعت في جوفه بيست (وإن تجهر بالقول) أي تعلن به (فإنه يعلم السر وأخفى) قال الحسن
 السر ما أسر به الرجل إلى غيره وأخفى من ذلك ما أسر من نفسه وعن ابن عباس وسعيد بن جبير السر ما نسر في نفسك وأخفى
 من السر ما يلقبه الله عز وجل في قلبك من بعد ولا تعلم أنك ستحدث به نفسك لأنك تعلم ما نسر به اليوم وما تعلم ما نسر
 به غدا والله يعلم ما أسررت اليوم وما نسر به غدا قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس السر ما أسر ابن آدم في نفسه وأخفى
 ما أخفى عليه مما هو فاعله قبل أن يعلمه وقال مجاهد السر العمل الذي تسرون من الناس وأخفى الوسوسة ، وقيل السر هو
 الغزبية وأخفى ما يحظر هل التلب ولم يعزم عليه وقال زيد بن أسلم يعلم السر وأخفى أي يعلم أسرار العباد وأخفى سره من

عباده فلا يعلمه أحد ثم وحد نفسه فقال (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى وهل أذاك حديث موسى) أي قد أذاك استنهام بمعنى التقرير (إذ رأي ناراً) وذلك أن موسى استأذن شعبياً في الرجوع من مدين إلى مصر لزيارة والدته وأخته فأذن له فخرج بأهله وماله وكانت أيام الشتاء وأخذ على غير الطريق مخافة من ملوك الشام وامرأته في سقمها لا تدرى أيلاً تضع أم نهاراً فسار في البرية غير عارف بطريقها فأجأه المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق ففدح زنده (٣٦٤) فلم يور وقيل إن موسى كان رجلاً غيبوراً وكان يصحب الرفقة بالليل

وتعالى أسرار العباد وأخفى هو سره من عباده فلا يعلم أحد سره وقيل مقصود الآية زجر المكلف عن القبائح ظاهرة كانت أو باطنة والترغيب في الطاعات ظاهرة كانت أو باطنة فعلى هذا الوجه ينبغي أن يحمل السر والإخفاء على ما فيه ثواب أو عقاب فالسر هو الذي يسره المرء في نفسه من الأمور التي عزم عليها والإخفاء هو الذي لم يبلغ حد العزيمة ثم وحد نفسه فقال تعالى (الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى) تأنيث الأحسن والذي فضلت به أسماءه في الحسن دون سائر الأسماء دلالتها على معنى التقديس والتحميد والتعظيم والربوبية والأفعال التي هي النهاية في الحسن . قوله عز وجل (وهل أذاك حديث موسى) أي وقد أذاك لما قدم ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاه بقصة موسى عليه الصلاة والسلام ليتأسي به في تحمل أعباء النبوة وتكاليف الرسالة والصبر على مفاصلة الشرائع حتى يقال عند الله الفوز والمقام المحمود (إذ رأي ناراً) وذلك أن موسى استأذن شعبياً في الرجوع من مدين إلى مصر ليزور والدته وأخته فأذن له فخرج بأهله وماله وكانت أيام الشتاء فأخذ على غير الطريق مخافة ملوك الشام وامرأته حامل في شهرها لا تدرى أيلاً تضع أم نهاراً فسار في البرية غير عارف بطريقها فأجأه المسير إلى جانب الطور الغربي الأيمن وذلك في ليلة مظلمة مثلجة شديدة البرد لما أراد الله من كرامته فأخذ امرأته الطلق فأخذ زنده فجعل يقدح فلا يورى فأبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور (فقال لأهله امكثوا) أي أقيموا (إني أنست ناراً) أي أبصرت ناراً (لعل أتبكم منها بقبوس) أي شعلة من نار في طرف عود (أو أجد على النار هدى) أي أجد عند النار من يدلني على الطريق (فلما أتتها) أي أتى النار أي شجرة خضراء مع أعلاها إلى أسفلها أطافت بها ناراً بيضاء تنقد كأضواء ما يكون فلا ضوء النار يغير خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار قبل كانت الشجرة ثمرة خضراء وقيل كانت من العوسج وقيل كانت من العليق وقيل كانت شجرة من العناب روى ذلك عن ابن عباس وقال أهل التفسير لم يكن الذي رآه موسى ناراً بل كان نوراً ذكر بلفظ النار لأن موسى عليه الصلاة والسلام حسبه ونارا قال ابن عباس هو من نور الرب سبحانه وتعالى وقيل هي النار بعينها وهي إحدى حجب الرب تبارك وتعالى يدل عليه ما روى عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال حجابة النار لو كشفها لأهلك سبحة وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه أخرجه مسلم قيل إن موسى أخذ شيئاً من الحشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنأت عنه وإذا نأى دنت منه فوقف متحيراً وسمع تسبيح الملائكة وأقيمت عليه السكينة فعند ذلك

ويفارقه بالنهار لئلا تزي امرأته فأخطأ مرة الطريق في ليلة مظلمة شاتية لما أراد الله عز وجل من كرامته فجعل يقدح الزند فلا يورى فأبصر ناراً من بعيد عن يسار الطريق من جانب الطور (فقال لأهله امكثوا) أقيموا قرأ حمزة بضم الهاء هاهنا وفي القصص (إني أنست) أي أبصرت (نارا لعل أتبكم منها بقبوس) قطعة من نار والقبوس قطعة من نار يأخذها في طرف عود من معظم النار (أو أجد على النار هدى) أي أجد عند النار من يدلني على الطريق (فلما أتتها) رأي شجرة خضراء مع أسفلها إلى أعلاها أطافت بها نار بيضاء تنقد كأضواء ما يكون فلا ضوء النار يغير

نودي

خضرة الشجرة ولا خضرة الشجرة تغير ضوء النار قال ابن مسعود كانت

الشجرة ثمرة خضراء وقال قتادة ومقاتل والكلبى كانت من العوسج وقال وهب كانت من العليق . وقيل كانت شجرة العناب وروى ذلك عن ابن عباس رضي الله عنها وقال أهل التفسير لم يكن الذي رآه موسى ناراً بل كان نوراً ذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه ناراً وقال أكثر المفسرين أنه نور الرب عز وجل وهو قول ابن عباس وعكرمة وغيرهما . وقال سعيد ابن جبير هي النار بعينها وهي إحدى حجب الله تعالى يدل عليه ما روى عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم

أنه قال : حجابه النار لو كشفها الله لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ، وفي القصة أن موسى أخذ شيئا من الخشيش اليابس وقصد الشجرة فكان كلما دنا نأت منه النار وإذا نأى دنت فوقه متحيرا وسمع تسبيح الملائكة والقيت عليه السكينة (نودي باموسى إني أنا ربك) قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو أنى بفتح الألف على معنى نودي بأنى وقرأ الآخرون بكسر الألف أى نودي فقبل إني أنا ربك قال وهب نودي من الشجرة فقبل باموسى فأجاب سريعا لا يدري من دعاه فقال إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت قال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب إليك من نفسك فعلم أن ذلك لا ينبغي إلا لله فأيقن به قوله عز وجل (فاخلع نعليك) (٣٦٥) وكان السبب فيه ماروي عن ابن

مسعود مرفوعا في قوله
فاخلع نعليك قال كانتا
من جلد حمار ميت
وبروي غير مدبوغ
وقال عكرمة ومجاهد
أمر بخلع النعلين ليباشر
بقدمه تراب الأرض
المقدسة فتناله بركتها
لأنها قدمت مرتين
فخلعها مومى وألقاها
من وراء الوادي
(إنك بالواد المقدس)
أى المطهر (طوي)
وطوي اسم الوادي قرأ
أهل الكوفة والشام طوي
بالتون هاهنا وفي سورة
التازعات وقرأ الآخرون
بالتونين لأنه معدول به
عن طوا فلما كان معدولا
عن وجهه كان مصر وفا
عن إعرابه مثل عمر
وزفر وقال الضحك
طوي واد مستدير عميق
مثل الطوي في استدارته
(وأنا اخترتك)

(نودي باموسى إني أنا ربك) قال وهب نودي من الشجرة فقبل باموسى فأجاب سريعا وما يدري من دعاه فقال إني أسمع صوتك ولا أرى مكانك فأين أنت فقال أنا فوقك ومعك وأمامك وخلفك وأقرب إليك منك فعلم أن ذلك لا ينبغي إلا لله تعالى فأيقن به وقيل إنه سمعه بكل أجزائه حتى إن كل جارحة منه كانت أذنا وقوله (فاخلع نعليك) كان السبب فيه ماروي عن ابن مسعود مرفوعا في قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت وبروي غير مدبوغ وإنما أمر بخلعها صيانة للوادي المقدس وقيل أمر بخلعها ليباشر بقدميه تراب الأرض المقدسة لتناله بركتها فانها قدمت مرتين فخلعها موسى فألقاها من وراء الوادي (إنك بالواد المقدس) أى المطهر (طوي) اسم للوادي الذي حصل فيه وقيل طوي واد مستدير عميق مثل المطوي في استدارته (وأنا اخترتك) اصطفتك برسالاتي وبكلامي (فاستمع لما يوحى) فيه نهاية الهيبة والجلال له فكانه قال له لقد جاءك أمر عظيم فتأهب له (إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) ولا تعبد غيري (وأقم الصلاة لذكري) أى لتذكري فيها وقيل لتذكري خاصة لانتشوبه بذكر غيري وقيل لإخلاص ذكري وطاب وجهي ولا ترائي فيها ولا تقصد بها غرضا آخر وقيل معناه إذا تركت صلاة ثم ذكرتها فأقمها (ق) عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من نسى صلاة فليصل إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك ، وتلا فتادة «وأقم الصلاة لذكري» وفي رواية إذا رقد أحدكم عن الصلاة أو غفل عنها فليصلها إذا ذكرها فان الله عز وجل يقول «وأقم الصلاة لذكري» (إن الساعة آتية أكاد أخفيها) قال أكثر المفسرين معناه أكاد أخفيها من نفسي فكيف يعلمها مخلوق وكيف أظهرها لكم ذكر ذلك على عادة العرب إذا بالغوا في الكتمان للشيء يقولون كتمت سرى أى أخفيته غاية الإخفاء والله تعالى لا يخفى عليه شيء والمعنى في إخفائها التحويل والتخفيف لأنهم إذا لم يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وكذلك المعنى في إخفاء وقت الموت على الإنسان لأنه إذا عرف وقت موته وانقضاء أجله اشتغل بالمعاصي إلى أن يقرب من ذلك الوقت فيتوب ويصلح العمل فيتخلص من عقاب المعاصي بتعريف وقت الموت وأنه إذا لم يعرف وقت موته لا يزال على قدم الخوف والوجل فيترك المعاصي أو يتوب منها في كل وقت مخافة معاملة

(٣٤ - خازن بالعوى - رابع) اصطفتك برسالاتي قرأ حمزة وأنا مشددة التون اخترتك
على التعميم (فاستمع لما يوحى) إليك (إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني) ولا تعبد غيري (وأقم الصلاة لذكري) قال محمد
أقم الصلاة لتذكري بها وقال مقاتل إذا تركت صلاة ثم ذكرتها فأقمها أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو عمرو بكر
ابن محمد المزنى أنا أبو بكر بن محمد بن عبد الله الحفيد أنا الحسين بن الفضل البجلي أنا عفان أنا مام أنا فتادة عن أنس قال : قال رسول
الله ﷺ ومن نسى صلاة فليصلها إذا ذكرها لا كفارة لها إلا ذلك ثم قال سمعته يقول بعد ذلك أقم الصلاة لذكري (إن الساعة آتية أكاد
أخفيها) قبل معناه أن الساعة آتية أخفيها وأكاد صلة وأكثر المفسرين قالوا معناه أكاد أخفيها من نفسي وكذلك هو في مصحف

أبي بن كعب وفيه صحف عبد الله بن مسعود كما أخذتها من أبيه فكيف يعلمها مخلوق وفي بعض النسخة فكيف أظهرها لكم وذكر
 ذلك على عادة العرب إذا بالغوا في كتمان الشيء يقولون كنتمت شرك من نفسي أي أخفيته غاية الإخفاء والله تعالى لا يخفى
 عليه شيء وقال الأنخفش أكاد أي أريد ومعنى الآية أن الساعة آتية أريد أخفيها والمعنى في إخفائها التهويل والتخويف لأنهم إذا لم
 يعلموا متى تقوم الساعة كانوا على حذر منها كل وقت وقرأ الحسن بنتج الألف أي أظهرها يقال خفيت الشيء إذا أظهرته
 وأخفيته إذا سترته قوله تعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) أي بما تعمل من خير وشر (فلا يصدك عنها) فلا يصدرك
 عن الإيمان بالساعة (من لا يؤمن بها واتبع هواه) مراده يخالف أمر الله (فتردى) أي فتهلك قوله عز وجل (وما تلك
 بيمينك يا موسى) سؤال تقرير والحكمة في هذا السؤال تنبيهه وتوقيفه على أنها عصا حتى إذا قلبها حية علم أنه معجزة
 عظيمة وهذا على عادة العرب يقول الرجل لغيره هل تعرفت هذا وهو لا يشاء أنه يعرفه ويريد أن ينضم إقراره بلسانه إلى
 معرفته بقلبه (قال هي عصا) (٣٦٦) قيل وكنت لها شعبتان وفي أسفلها سنان ولها محجن واسمها نبعة

(أتوكأ عليها) أتمد
 عليها إذا مشيت وإذا
 عييت وعند الوئبة
 (وأهش بها على غنمي)
 أضرب بها الشجرة
 اليابسة ليستقر ورقها
 فترعاه الغنم وقرأ عكرمة
 وأهش بالسين غير
 المعجمة أي أزجر بها الغنم
 وأهش زجر الغنم (ولي
 فيها مآرب أخرى)
 حاجات ومنافع أخرى
 جمع ماربة بفتح الراء
 ولم يقل آخر لرؤوس
 الآي وأراد بالمآرب
 ما يستعمل فيه المصا في
 السفر فكان يحمل بها
 الزاد ويشد بها الحبل

الأجل . قوله تعالى (لتجزى كل نفس بما تسعى) أي بما تعمل من خير وشر (فلا يصدك
 عنها من لا يؤمن بها) أي فلا يصدرك عن الإيمان بالساعة ويجيئها من لا يؤمن بها (واتبع
 هواه) أي مراده ويخالف أمر الله (فتردى) أي فتهلك . قوله عز وجل (وما تلك بيمينك
 يا موسى) سؤال تقرير والحكمة فيه تنبيهه وتوقيفه على أنها عصا حتى إذا قلبها حية علم أنها
 معجزة عظيمة (قال هي عصا) قيل كان لها شعبتان وفي أسفلها سنان ولها محجن واسمها
 نبعة (أتوكأ عليها) أي اعتمد عليها إذا مشيت وإذا عييت وعند الوئبة (وأهش بها على غنمي)
 أي أضرب بها الشجرة اليابسة ليستقر ورقها فترعاه الغنم (ولي فيها مآرب أخرى) أي حاجة
 ومنافع أخرى وأراد بالمآرب ما كان يستعمل فيه العصا في السفر فكان يحمل بها الزاد ويشد
 بها الحبل ويستقي بها الماء من البئر ويتنزل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها إذا قعد
 وروى عن ابن عباس أن موسى كان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه وتحذته وكان
 يضرب بها الأرض فيخرج له ما يأكل يومه ويركزها فيخرج الماء فإذا رفعها ذهب الماء
 وكان إذا اشتهى ثمرة ركزها فتصبر غصن تلك الشجرة وتورق وتثمر وإذا أراد
 الاستقاء من البئر أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتها كدلو حتى يستقي
 وكانت تضيء بالليل كالسراج وإذا ظهر له عدو كانت تحارب وتناضل عنه (قال) الله
 تعالى (ألقها يا موسى) أي أنبذها وأطرحها قال وهب بن موسى أنه يقول أرفضها (فألقها)
 أي فطرحها على وجه الرفض ثم حانت منه نظرة (فاذا هي حية) صفراء من أعظم ما يكون
 من الحيات (تسمى) أي تسمى بسرعة على بطنها وقال في موضع آخر كأنها جان وهي الحية

فيستقي الماء من البئر ويقتل بها الحيات ويحارب بها السباع ويستظل بها إذا قعد وغير ذلك وروى عن ابن عباس الصغيرة
 أن موسى كان يحمل عليها زاده وسقاه فجعلت تماشيه وتحذته وكان يضرب بها الأرض فيخرج ما يأكل يومه ويركزها فيخرج
 الماء فإذا رفعها ذهب الماء وإذا اشتهى ثمرة ركزها فتغصنت غصنا كالشجرة وأورقت وأثمرت وإذا أراد الاستقاء من البئر
 أدلاها فطالت على طول البئر وصارت شعبتها كالدلو حتى يستقي وكانت تضيء بالليل بمنزلة السراج وإذا ظهر له عدو كانت
 تحارب وتناضل عنه (قال) الله تعالى (ألقها يا موسى) أنبذها قال وهب بن موسى أنه يقول أرفضها (فألقها) على وجه الرفض
 ثم حانت منه نظرة (فاذا هي حية) صفراء من أعظم ما يكون من الحيات (تسمى) تسمى بسرعة على بطنها وقال في موضع
 آخر كأنها جان وهي الحية الصغيرة الحقيقية الجسم وقال في موضع ثعبان وهو أكبر ما يكون من الحيات فأما الحية فأنها تجمع
 للصغير والكبير والذكر والأنثى وقيل الجمان عبارة عن ابتداء حالها فأنها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تتورم وتتفخخ
 حتى صارت ثعباناً والثعبان عبارة عن انتهاء حالها وقيل إنها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجمان قال محمد بن إسحاق نظر
 موسى فإذا العصا حية من أعظم ما يكون من الحيات صارت شعبتها شديقة لها والمحجن عتق لها وعرفا تهتز كأنها تارك

وعيناها تيمان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الحلقة من الإبل فتلقمها وتقصف الشجرة العظيمة بأنيابها ويسمع لاسنانها صريف عظيم فلما عين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودى أن يا موسى أقبل وأرجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال خذها) بيمينك (ولا تخف) (٢٣٧) منعبيها سيرتها الأولى) هيأتها الأولى أي زردها عصا كما كانت وكان على موسى مدرعة من صوف قد خللها بعيدان من الخلال فلما قال الله تعالى خذها لى طرفك المدرعة على يده قال فأمر الله تعالى أن يكشف يده فكشفها وذكر بعضهم أنه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك أرأيت لو أذن الله بما تحاذره أكانت المدرعة تغني عنك شيئا قال لا ولكنى ضعيف ومن ضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضوع الذي كان يضعها إذا توكأ قال المفسرون أراد الله تعالى أن يرى موسى ما أعطاه من الآيات التي لا يقدر عليها مخلوق ولا يفرغ منها إذا ألقاها عند فرعون قوله تعالى (واضمم يدك إلى جناحك) يعني إلى إبطك وقيل تحت عضدك (تخرج بيضاء) يعني نيرة مشرقة (من غير سوء) يعني من غير عيب والسوء هاهنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر (آية أخرى) أي دلالة أخرى على صدقك سوى العصا (لربك من آياتنا الكبرى) قال ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته . قوله عز وجل (اذهب إلى فرعون أنه طغى) يعني جاوز الحد في العصيان والتمرد وإنما خص فرعون بالذكر مع أن موسى كان مهجونا إلى الكل لأنه ادعى الإلهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره الأولى قال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطق برسالتي وإليك يعينى وسمعى وإن معك يدي وبصرى وإني أبلغك حلة من سلطاني تستكمل بها القوة في أرى بعثتك إلى خاني ضعيف من خاني بطر نعمتى وأمن مكبرى حتى جحد حتى وأذكر ربوبيتى وإني أقدم بعزتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خاني إبطت به بطشة جبار ولكن هان على وسقط من عيني قلبه رسالتى وادعه إلى عبادتى وحذره نعمتى ووقولا له قولوا لينا لا يقتر بلباس الدنيا فان ناصبته بيدي ولا يتنفس إلا بعلمى قال فسكت موسى فجاءه ملك وقال له أجب ربك (قال) يعني موسى

الصغيرة الجسم الخفيفة وقال في موضع آخر ثعبان وهو أكبر ما يكون من الحيات ووجه الجمع أن الحية اسم جامع للكبير والصغير والذكر والأنثى فالجان عبارة عن ابتداء حالها فانها كانت حية على قدر العصا ثم كانت تنورم وتنتفخ حتى صارت ثعبانا وهو انتهاء حالها وقيل إنها كانت في عظم الثعبان وسرعة الجبان قال محمد بن إسحاق نظر موسى فاذا العصا حية من أعظم ما يكون من الحيات وصارت شعبتها شديدا لها والحقن عنقا وعرفا يهتز كالنيازك وعيناها تتقدان كالنار تمر بالصخرة العظيمة مثل الحلقة من الإبل فتلقمها وتقصف الشجرة العظيمة بأنيابها ويسمع لأنيابها صريفا عظيما فلما عين ذلك موسى ولى مدبرا وهرب ثم ذكر ربه فوقف استحياء منه ثم نودى يا موسى أقبل وأرجع حيث كنت فرجع وهو شديد الخوف (قال خذها) يعني بيمينك (ولا تخف) قيل كان خوفه لما عرف ما أتى آدم من الحية وقيل لما قال له ربه لا تخف بلغ من طمأنينة نفسه وذهاب الخوف عنه أن أدخل يده في فمها وأخذ بلحيتها (منعبيها سيرتها الأولى) أي إلى هيئتها فردها عصا كما كانت وقيل كان على موسى مدرعة صوف قد خللها بعود فلما قال الله تعالى له خذها لى طرف المدرعة على يده فأمره الله تعالى أن يكشف يده فكشفها . وذكر بعضهم أنه لما لف كم المدرعة على يده قال له ملك أرأيت لو أمر الله بما تحاذره أكانت المدرعة تغني عنك شيئا قال لا ولكنى ضعيف من ضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية فاذا هي عصا كما كانت ويده في شعبتها في الموضوع الذي كان يضعها إذا توكأ قال المفسرون أراد الله تعالى أن يرى موسى ما أعطاه من الآيات التي لا يقدر عليها مخلوق ولا يفرغ منها إذا ألقاها عند فرعون قوله تعالى (واضمم يدك إلى جناحك) يعني إلى إبطك وقيل تحت عضدك (تخرج بيضاء) يعني نيرة مشرقة (من غير سوء) يعني من غير عيب والسوء هاهنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر (آية أخرى) أي دلالة أخرى على صدقك سوى العصا (لربك من آياتنا الكبرى) قال ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته . قوله عز وجل (اذهب إلى فرعون أنه طغى) يعني جاوز الحد في العصيان والتمرد وإنما خص فرعون بالذكر مع أن موسى كان مهجونا إلى الكل لأنه ادعى الإلهية وتكبر وكان متبوعا فكان ذكره الأولى قال وهب قال الله تعالى لموسى اسمع كلامي واحفظ وصيتي وانطق برسالتي وإليك يعينى وسمعى وإن معك يدي وبصرى وإني أبلغك حلة من سلطاني تستكمل بها القوة في أرى بعثتك إلى خاني ضعيف من خاني بطر نعمتى وأمن مكبرى حتى جحد حتى وأذكر ربوبيتى وإني أقدم بعزتي لولا الحجة التي وضعت بيني وبين خاني إبطت به بطشة جبار ولكن هان على وسقط من عيني قلبه رسالتى وادعه إلى عبادتى وحذره نعمتى ووقولا له قولوا لينا لا يقتر بلباس الدنيا فان ناصبته بيدي ولا يتنفس إلا بعلمى قال فسكت موسى فجاءه ملك وقال له أجب ربك (قال) يعني موسى

إلى أصل إبطه (تخرج بيضاء) نيرة مشرقة (من غير سوء) من غير عيب والسوء هاهنا بمعنى البرص قال ابن عباس كان ليده نور ساطع يضيء بالليل والنهار كضوء الشمس والقمر (آية أخرى) يعني دلالة أخرى على صدقك سوى العصا (لربك من آياتنا الكبرى) ولم يقل الكبير لموسى الآي وتيل فيه إخبارا معناه لربك من آياتنا الآية الكبرى دليله قول ابن عباس كانت يد موسى أكبر آياته . قوله تعالى (اذهب إلى فرعون إنه طغى) يعني جاوز الحد في العصيان والتمرد فادعه إلى عبادتى (قال) موسى

(رب اشرح لي صدري) وسعه للحق قال ابن عباس يرد حتى لا تخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده وكان يضيق صدرا بما كلفه من مقاومة فرعون وجنده فسأل الله ان يوسع قلبه للحق حتى يعلم ان احدا لا يقدر على مضرتة الا باذن الله واذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده (ويسر لي امرى) يعنى سهل على ما امرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون (واحلل عقدة من لساني) وذلك ان موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمه واخذ بلحيته فقال فرعون لآسية امراته ان هذا عدوي واراد ان يقتله فقالت آسية انه صبي لا يعقل ولا يميز وفي رواية ان ام موسى لما فطمته ردتته فقتلها موسى في حجر فرعون وامرته آسية بريانه واتخذاه ولدا فيبينا هو يلعب يوما بين يدي (٢٦٨) فرعون ويده قضيب يلعب به اذ رفع القضيب فضرب به رأس فرعون

فغضب فرعون وتطير بضربه حتى هم بقتله فقالت آسية ايها الملك انه صغير لا يعقل فجزبه ان شئت فجاءت بطشتين في أحدهما الجوز وفي الآخر الجواهر فوضعتها بين يدي موسى فأراد ان يأخذ الجواهر فأخذ جبريل يد موسى فوضعتها على النار فأخذ جمرة فوضعتها في فيه فأحرق لسانه وصارت عليه عقدة (يفقهوا قولي) يقول احلل العقدة كي يفقهوا كلامي (واجعل لي وزيرا) معينا وظهريا (من أهلي) والوزير من يوازرك ويعينك ويتحمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين مع هو فقال (هرون أخى) وكان هرون أكبر من موسى

(رب اشرح لي صدري) يعنى وسعه للحق قال ابن عباس يرد حتى لا تخاف غيرك وذلك ان موسى كان يخاف فرعون خوفا شديدا لشدة شوكته وكثرة جنوده فكان يضيق بما كلفه من مقاومة فرعون وحده فسأل الله تعالى ان يوسع قلبه للحق حتى يعلم ان احدا لا يقدر على مضرتة الا باذن الله تعالى واذا علم ذلك لم يخف من فرعون وشدة شوكته وكثرة جنوده (ويسر لي امرى) أى سهل على ما امرتني به من تبليغ الرسالة الى فرعون (واحلل عقدة من لساني) وذلك ان موسى كان في حجر فرعون ذات يوم في صغره فلطم فرعون لطمه واخذ بلحيته فقال فرعون لامرته آسية ان هذا عدوي واراد ان يقتله فقالت له آسية انه صبي لا يعقل وقيل ان ام موسى لما فطمته ردتته الى فرعون فقتلها في حجره وامرته بريانه واتخذاه ولدا فيبينا هو يلعب بين يدي فرعون ويده قضيب اذ رفعه فغضب فرعون وتطير منه حتى هم بقتله فقالت آسية ايها الملك انه صبي لا يعقل جزبه ان شئت فجاءت بطشتين في أحدهما جمر وفي الآخر جوهر فوضعهما بين يدي موسى فأراد ان يأخذ الجواهر فأخذ جبريل يد موسى فوضعتها على الجمر فأخذ جمرة فوضعتها في فيه فأحرق لسانه وصارت فيه عقدة (يفقهوا قولي) يعنى احلل العقدة كي يفقهوا قولي (واجعل لي وزيرا من أهلي) يعنى معينا وظهريا والوزير من يوازرك ويتحمل عنك بعض ثقل عملك ثم بين مع هو فقال (هرون أخى) وكان أكبر من موسى

بأربع سنين وكان أفصح منه لسانا وأجمل وأوسم أبيض اللون وكان موسى آدم أقي (فاقذبه)

أبعد (أشدد به أزرى) قوبه ظهري (وأشركه في امرى) يعنى في النبوة وتبليغ الرسالة وقرأ ابن هانم أشدد بفتح الألف وأشركه بضمها على الجواب حكاية عن موسى يعنى أفعل ذلك وقرأ الآخرون على الدعاء والمسألة عطفا على ما تقدم من قوله رب اشرح لي صدري ويسر لي امرى (كي نسبحك كثيرا) قال الكلبي نصلي لك كثيرا (ونذكرك كثيرا) نسبحك وننتي عليك بما أوليتنا من نعمك (إنك كنت بنا بصيرا) خبيرا علينا قال الله تعالى (قد أوتيت سؤالك يا موسى) أى أعطيت جميع مسألته (واقدمنا عليك مرة أخرى) يعنى قبل هذه المرة ثم بين تلك المنة بقوله تعالى (إذ أوحينا إلى أمك ما بوحى) يعنى ما يلهم ثم فسر ذلك الإلهام وعدد نعمه عليه فقال (أن أقدفيه في التابوت) يعنى أهدمها أن اجعليه في التابوت

(فألقاه في اليم) يعني نهر النيل (فألقاه اليم بالساحل) يعني شاطئ النهر لفظه أمر ومعناه خبر ومجازه حتى بلغه اليم بالساحل (بأخذه عدو له) يعني فرعون فأخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا مخلوجا ووضعت فيه موسى وقبرت رأسه وخصاصه يعني شقوة ثم ألقته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فبينما فرعون جالس على رأس البركة مع امرأته آسية إذ تابوت يحيى به الماء فأمر الغلمان والجواري بإخراجه فأخرجوه وفتحوا رأسه فاذا صبي من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتألك فذلك قوله تعالى (وألقيت عليك حبة مني) قال ابن عباس أحبه وحببه إلى خلقه قال عكرمة ما رآه أحد إلا أحبه قال قتادة ملاحظة كانت في عين موسى ما رآه أحد إلا عشقه (ولتصنع على عيني) يعني لتربي برأى ومنظر مني فأبو جعفر ولتصنع بالجزم (إذ تمشي أختك) واسمها مريم متعرفة (٢٦٥) خبره (فتقول هل أدلكم على

من يكفله) يعني على امرأة ترضعه وتضمه إليها وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فلما قالت ذلك لم أخته لوا نعم فجاءت بالأم فقبل ثديها فذلك قوله تعالى (فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها) بلقائك (ولا تحزن) أي ليذهب عنها الحزن (وقلت نفسا) قال ابن عباس رضي الله عنهما كان قتل قبطيا كافرا قال كعب الأحبار كان إذ ذاك ابن اثني عشرة سنة (فنجبتك من الغم) أي من غم القتل وكبره (وفتاك فتوا) قال ابن عباس رضي الله عنه أختك اختيارا وقال الضحاك ومقاتل ابتليتك ابتلاء

(فألقاه في اليم) يعني نهر النيل (فألقاه اليم بالساحل) يعني شاطئ البحر (بأخذه عدو له) يعني فرعون فأخذت تابوتا وجعلت فيه قطنا ووضعت فيه موسى وقبرت رأسه وشقوة ثم ألقته في النيل وكان يشرع منه نهر كبير في دار فرعون فبينما فرعون جالس على البركة مع امرأته آسية إذ هو يتابوت يحيى به الماء فأمر الغلمان والجواري بإخراجه فأخرجوه وفتحوا رأسه فاذا بصبي من أصبح الناس وجها فلما رآه فرعون أحبه بحيث لم يتألك نفسه وعقله فذلك قوله تعالى (وألقيت عليك حبة مني) قال ابن عباس أحبه وحببه إلى خلقه قبل ما رآه أحد إلا أحبه ملاحظة كانت في عين موسى (ولتصنع على عيني) لتربي ويحسن إليك وأنا مراعيك ومراقبك كما براعي الرجل الشيء بعينه إذا اعتنى به ونظر إليه (إذ تمشي أختك) واسمها مريم متعرفة خبره (فتقول هل أدلكم على من يكفله) أي على امرأة ترضعه وتضمه إليها وذلك أنه كان لا يقبل ثدي امرأة فلما قالت لهم أخته ذلك قالوا نعم فجاءت بالأم فقبل ثديها فذلك قوله تعالى (فرجعناك إلى أمك كي تقر عينها) أي بلقائك ورؤيتك (ولا تحزن) أي وليذهب عنها الحزن (وقلت نفسا) قال ابن عباس كان قتل قبطيا كافرا قيل كان عمره إذ ذاك اثني عشرة سنة (فنجبتك من الغم) أي من غم القتل وكبره (وفتاك فتونا) قال ابن عباس اختبرناك اختبارة وقيل ابتليتك ابتلاء قال ابن عباس الفتون وقوعه في محنة بعد عنة وخلصه الله تعالى منها أولها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال ثم إلقاه في البحر في التابوت ثم منعه من الرضاع إلا من ثدي أمه ثم أخذه بلحية فرعون حتى هم يقتله ثم تناوله الجمرة بدل الجوهرة ثم قتله القبطي وخروجه إلى مدين خائفا (فأبشت) أي مكنت (سنين في أهل مدين) هي بلدة شعيب على ثمان مراحل من مصر هرب إليها موسى قال وهب لبث موسى عند شعيب ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها برعى الغنم مهر زوجته صفورا ابنة شعيب وثمان عشرة سنة أقام عنده بعد ذلك حتى ولد له وخرج من مصر ابن اثني عشرة سنة هاربا (ثم جئت على قدر يا موسى) أي جئت على القدر الذي قدرت أن تحيي فيه قتل على رأس أربعين

وقال مجاهد أخلصناك لإخلاصا وعن ابن عباس في رواية سعيد بن جبير إن الفتون وقوعه في محنة بعد محنة تخلصه الله منها أولها أن أمه حملته في السنة التي كان فرعون يذبح فيها الأطفال ثم إلقاه في البحر في التابوت ثم منعه الرضاع إلا من ثدي أمه ثم أخذه بلحية فرعون حتى هم يقتله ثم تناوله الجمرة بدل الدرّة ثم قتله القبطي وخروجه إلى مدين خائفا فكان ابن عباس يقص القصص على سعيد بن جبير فعلى هذا معنى فتناك خلاصناك من تلك المحن كما يقصن الذهب من النار فيخلص من كل خبث فيه والفتون مصدر (فأبشت) فكنت أي فخرجت من أرض مصر إلى مدين فلبثت (سنين في أهل مدين) يعني ترعى الأغنام عشر سنين ومدين بلدة شعيب عليه السلام على ثمان مراحل من مصر هرب إليها موسى وقال وهب لبث عند شعيب عليه السلام ثمانيا وعشرين سنة عشر سنين منها مهر زوجته صفورا بنت شعيب وثمان عشرة سنة أقام عنده حتى ولد له (ثم جئت على قدر يا موسى) قال مقاتل على موعد ولم يكن هذا الموعد مع موسى وإنما كان موعدا في تقدير الله قال محمد بن كعب جئت

عنى القدر الذى قدرت لك أنك تجئ إلى فيه وقال عبد الرحمن بن كيسان على رأس أربعين سنة وهو القدر الذى يوحى فيه إلى الأنبياء وهذا معنى قول أكثر المفسرين أى على الموعد الذى وعده الله وقدره أنه يوحى إليه بالرسالة وهو أربعون سنة قوله عز وجل (واصطعنتك لنفسى) أى اخترتك واصطعنتك لوجي ورسالتى يعنى لتصرف على إرادتى ومحبتى وذلك أن قيامه بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله وعهته قال الزجاج اخترتك لأمرى وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بينى وبين خلقى كأتى الذى قمت بك عليهم الحججة ومخاطبتهم (اذهب أنت وأخوك بآياتى) بدلالاى وقال ابن عباس يعنى الآيات التسع التى بعث بها موسى (ولا تنيا) ولا تضعفا وقال (٢٧٠) السدى لا تنفرا وقال محمد بن كعب لا تنفصرا (فى ذكرى اذها إلى فرعون

سنة وهو القدر الذى يوحى إلى الأنبياء فيه (واصطعنتك لنفسى) أى اخترتك واصطعنتك لوجي ورسالتى لتصرف على إرادتى ومحبتى وذلك أن قيامه بأداء الرسالة تصرف على إرادة الله ومحبتى وقيل معناه اخترتك لأمرى وجعلتك القائم بحجتي والمخاطب بينى وبين خلقى كأتى الذى أقمت عليهم الحججة ومخاطبتهم (اذهب أنت وأخوك بآياتى) أى بدلالاى قال ابن عباس يعنى الآيات التسع التى بعث بها موسى عليه السلام (ولا تنيا) أى لا تضعفا وقيل لا تنفرا ولا تنفصرا (فى ذكرى) أى لا تنفصرا فى ذكرى بالإحسان إليكما والإنعام عليكما ومن ذكر النعمة شكرها (اذها إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولنا) أى داريا وارققا به قال ابن عباس لا تنعفا فى قولكما وقيل كنيها فقولا له يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقيل أراد بالنول اللين قوله « هل لك إلى أن تتركى » وقيل الآية إنما أمرهما باللطافة لماله من حق تربية موسى وقيل عداه على قبول الإيمان شهابا لايهرم وملكا لا ينزع منه إلا بالموت وتبقى عليه لذة الطعام والمشرب والمنسكح إلى حين موته وإذا مات دخل الجنة فلما أتاه موسى ووعده بذلك أعجبه وكان لا يقطع أمرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم أخبره بالذى دعاه إليه موسى وقال أردت أن أقبل منه فقال له هامان كنت أرى أن لك عقلا ورأيا أنت رب تريد أن تكون مربوبا وأنت تعبد تريد أن تعبد فقال فرعون صواب ما قلت فقلبه على رأيه وكان هارون بمصر فأمر الله موسى أن يأتى هارون وأوحى الله إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى فلتفاه إلى مرحلة وأخبره بما أوحى إليه . وقوله تعالى (لعله يتذكر أو يخشى) أى يتعظ ويحافظ ويسلم فإن قلت كيف قال لعله يتذكر وقد سبق فى علمه أنه لا يتذكر ولا يسلم . قلت معناه اذها على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمركما وقيل هو لإزام الحججة وقطع المعارضة كقوله تعالى « ولو أأهلكنهم بعذاب من قبله لقاتلوا ربنا لولا أرسلنا إليك رسولا فتبع آياتك » وقيل هو يتصرف إلى غير فرعون مجازة لعله يتذكر متذكرا ويخشى خاشا إذا رأى برى والطافى عن خلقته، وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقيل لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وخشى حين لم تنفعه الذكرى والخشية وذلك حين أجمه الفرق وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ الرازى « فقولا له قولنا آياتك فىسكى بحجى وقال إلهى هذا فتك بمن يقول أنا الإله فكيف

إنه طغى) قرأ أبو عمرو وأهل الحجاز لنفسى اذهب وذكروا اذها وإن قوى اتخذوا من بعدى اسمه بفتح الياء فيهن ووافقهم أبو بكر من بعدى اسمه وقرأ الباقون باسكانها (فقولا له قولنا لينا) يقول داريا وارققا به قال ابن عباس رضى الله عنه لا تنعفا فى قولكما . وقال السدى وعكرمة كنيها فقولا يا أبا العباس وقيل يا أبا الوليد وقال مقاتل يعنى بالقول اللين هل لك إلى أن تتركى وأهديك إلى ربك فتخشى وقيل أمرهما باللطافة فى القول لماله من حق التربية وقال السدى النول اللين أن موسى أتاه ووعده على قبول الإيمان شهابا لايهرم معه وملكا لا ينزع منه

رفك

إلا بالموت ويبقى له لذة الطعام والمشرب والمنسكح إلى حين موته وإذا مات دخل الجنة

فأعجبه ذلك وكان لا يقطع أمرا دون هامان وكان غائبا فلما قدم أخبره بالذى دعاه إليه موسى وقال أردت أن أقبل منه فقال له هامان كنت أرى أن لك عقلا ورأيا أنت رب تريد أن تكون مربوبا وأنت تعبد تريد أن تعبد فقلبه على رأيه وكان هارون يومئذ بمصر فأمر الله موسى أن يأتى هارون وأوحى إلى هارون وهو بمصر أن يتلقى موسى فلتفاه إلى مرحلة وأخبره بما أوحى إليه (لعله يتذكر أو يخشى) أى يتعظ ويحافظ ويسلم فإن قيل كيف قال لعله يتذكر وقد سبق فى علمه أنه لا يتذكر ولا يسلم قيل معناه اذها على رجاء منكما وطمع وقضاء الله وراء أمركما وقال الحسين بن النضل هو يتصرف إلى غير فرعون مجازة لعله يتذكر ويخشى خاشا إذا رأى برى والطافى عن خلقته، وأنعمت عليه ثم ادعى الربوبية وقال أبو بكر محمد

ابن عمر الوراق لعل من الله واجب ولقد تذكر فرعون وعشى حين لم تنفعه الذكرى والحشية وذلك حين أجمعه الغرق قال و آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين وقرأ رجل عند يحيى بن معاذ هذه الآية فتواله قولاً لبنا فبكى يحيى وقال إلهي هذا برك بمن يقول أنا الإله فكيف برك بمن يقول أنت الإله (قالا) يعني موسى وهرون (ربنا إنا نخاف أن يفرط علينا) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعجل علينا بالقتل والعقوبة يقال فرط عليه فلان إذا عجل بمكروه وفرط منه أمر أي بدر وسبق (أو أن يظني) أي يجاوز الحد في الإساءة إلينا (قال لا تخافا إني معكما أسمع وأرى) قال ابن عباس أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنه لست بغافل عنكما فلا تهما (فأتياه فقولا إنا رسولا ربك) أرسلنا إليك (فأرسل معاني بني إسرائيل) أي خل عنهم وأطلقهم من أعمالك (ولا تعذبهم) (٢٧١) لا تعذبهم في العمل وكان فرعون يستعملهم في الأعمال الشاقة (قد جئتكم بأية من ربك) قال فرعون وما هي فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس (والسلام على من اتبع الهدى) ليس المراد منه النجاة إنما معناه يسلم من عذاب الله من أسلم (إنا قد أوحى إلينا أن الكذب على من كذب وتولى) أي إنما يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه (قال) يعني فرعون (فن ربكما يا موسى) أي فن إنكما الذي أرسلكما (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) أي كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به وقيل أعطى كل شيء صلاحه وهداه وقيل أعطى كل شيء صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للتلفظ والعين للنظر والأذن للسمع ثم هداه إلى منافع من الطعام والمشرب والمنكح وقيل يعني جعل زوجة الرجل المرأة والبيعر الناقة والفرس الرمكة وهي الحجرية والحصار الأتان ثم هدى أدمه كيف يأتي الذكر الأنثى (قال) يعني فرعون (فما بال القرون الأولى) أي ما حال القرون الماضية والأهم الحالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فإنها كانت تعبد الأوثان وتنكر البعث وإنما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم مصارع الأمم الحالية فحينئذ قال فرعون فما بال القرون الأولى (قال) يعني موسى (علمها عند ربى) أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازى بها وقيل إنما رد موسى علم ذلك إلى الله تعالى لأنه لم يعلم ذلك لأن التوراة إنما نزلت بعد هلاك فرعون وقومه (في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (لا يضل ربى) أي لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شيء (ولا يئس) أي فينتد كرو قيل لا يئس ما كان من أعمالهم حتى يجازيهم

رفقتك بمن يقول أنت الإله (قالا) يعني موسى وهارون (ربنا إنا نخاف أن يفرط علينا) قال ابن عباس يعجل علينا بالقتل والعقوبة (أو أن يظني) أي يجاوز الحد في الإساءة إلينا (قال) الله تعالى (لا تخافا إني معكما أسمع وأرى) قال ابن عباس أسمع دعاءكما فأجيبه وأرى ما يراد بكما فأمنه لست بغافل عنكما فلا تهما (فأتياه فقولا إنا رسولا ربك) أي أرسلنا إليك ربك (فأرسل معاني بني إسرائيل) أي خل عنهم وأطلقهم من أعمالك (ولا تعذبهم) أي لا تعذبهم في العمل وكان فرعون يستعملهم في الأعمال الشاقة (قد جئتكم بأية من ربك) قال فرعون وما هي فأخرج يده لها شعاع كشعاع الشمس (والسلام على من اتبع الهدى) ليس المراد منه النجاة إنما معناه يسلم من عذاب الله من أسلم (إنا قد أوحى إلينا أن الكذب على من كذب وتولى) أي إنما يعذب الله من كذب بما جئنا به وأعرض عنه (قال) يعني فرعون (فن ربكما يا موسى) أي فن إنكما الذي أرسلكما (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) أي كل شيء يحتاجون إليه ويرتفقون به وقيل أعطى كل شيء صلاحه وهداه وقيل أعطى كل شيء صورته فخلق اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للتلفظ والعين للنظر والأذن للسمع ثم هداه إلى منافع من الطعام والمشرب والمنكح وقيل يعني جعل زوجة الرجل المرأة والبيعر الناقة والفرس الرمكة وهي الحجرية والحصار الأتان ثم هدى أدمه كيف يأتي الذكر الأنثى (قال) يعني فرعون (فما بال القرون الأولى) أي ما حال القرون الماضية والأهم الحالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فإنها كانت تعبد الأوثان وتنكر البعث وإنما قال فرعون ذلك لموسى حين خوفهم مصارع الأمم الحالية فحينئذ قال فرعون فما بال القرون الأولى (قال) يعني موسى (علمها عند ربى) أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازى بها وقيل إنما رد موسى علم ذلك إلى الله تعالى لأنه لم يعلم ذلك لأن التوراة إنما نزلت بعد هلاك فرعون وقومه (في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (لا يضل ربى) أي لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شيء (ولا يئس) أي فينتد كرو قيل لا يئس ما كان من أعمالهم حتى يجازيهم

صوره لم يجعل خالق الإنسان كخلق البهائم ولا خلق البهائم كخلق الإنسان ثم هداه إلى منافع من الطعام والمشرب والمنكح وقال الضحك أعطى كل شيء خلقه يعني اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للتلفظ والعين للنظر والأذن للسمع ، وقال سعيد بن جبيرة أعطى كل شيء خلقه يعني زوج الإنسان المرأة والبيعر الناقة والحصار الأتان والفرس الرمكة ثم هدى أدمه كيف يأتي الذكر الأنثى (قال) فرعون (فما بال القرون الأولى) ومعنى البال الحال أي ما حال القرون الماضية والأهم الحالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فيما تدهونى إليه فإنها كانت تعبد الأوثان وتنكر البعث (قال) موسى (علمها عند ربى) أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازى بها وقيل إنما رد موسى علم ذلك إلى الله لأنه لم يعلم ذلك فان التوراة أنزلت إليه بعد هلاك فرعون وقومه (في كتاب) يعني في اللوح المحفوظ (لا يضل ربى) أي لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شيء (ولا يئس) أي فينتد كرو قيل لا يئس ما كان من أعمالهم حتى يجازيهم

صوره لم يجعل خالق الإنسان كخلق البهائم ولا خلق البهائم كخلق الإنسان ثم هداه إلى منافع من الطعام والمشرب والمنكح وقال الضحك أعطى كل شيء خلقه يعني اليد للبطش والرجل للمشي واللسان للتلفظ والعين للنظر والأذن للسمع ، وقال سعيد بن جبيرة أعطى كل شيء خلقه يعني زوج الإنسان المرأة والبيعر الناقة والحصار الأتان والفرس الرمكة ثم هدى أدمه كيف يأتي الذكر الأنثى (قال) فرعون (فما بال القرون الأولى) ومعنى البال الحال أي ما حال القرون الماضية والأهم الحالية مثل قوم نوح وعاد وثمود فيما تدهونى إليه فإنها كانت تعبد الأوثان وتنكر البعث (قال) موسى (علمها عند ربى) أي أعمالهم محفوظة عند الله يجازى بها وقيل إنما رد موسى علم ذلك إلى الله لأنه لم يعلم ذلك فان التوراة أنزلت إليه بعد هلاك فرعون وقومه (في كتاب) يعني في اللوح المحفوظ (لا يضل ربى) أي لا يخطئ وقيل لا يغيب عنه شيء (ولا يئس) أي فينتد كرو قيل لا يئس ما كان من أعمالهم حتى يجازيهم

ما كان من أمرهم حتى يجازيهم بأعمالهم وقيل لا يندى أى لا يترك الانتقام فينتقم من الكفار ويجازى المؤمن (الذى جعل لكم الأرض مهدياً) قرأ أهل الكوفة مهدياً ما هنا وفي الزخرف فيكون مصدراً أى فرشا وقرأ الآخرون مهدياً كقوله تعالى : وألم نجعل الأرض مهدياً أى فرشا وهو اسم ما يفرش كالبساط اسم لما يبسط (وملك لكم فيها سبلاً) السبيل إدخال الشيء في الشيء والمعنى أدخل في الأرض لأجلكم طرقاً تسلكونها قال ابن عباس سلك لكم فيها طرقاً تسلكونها (وأنزله من السماء ماء) يعنى المطر ثم الأخبار عن موسى ثم أنخبر الله عن نفسه بقوله (فأخرجنا به) بذلك الماء (أزواجاً) أصنافاً (من نبات شتى) مختلف الألوان والطعوم والمنافع من أبيض وأحمر وأخضر وأصفر فكل صنف منها زوج فمنها للناس ومنها للدواب (كلوا وارعوا) أى وارتعوا (أنعامكم) تقول العرب رعيت الغنم فرعت أى أسبغتها وأعامتها (إن في ذلك) الذى ذكرت (آيات لأولى النهى) لذوى (٢٧٢) العقول واحداً نبيه سميت نبيه لأنها تنهى صاحبها عن القبائح والمعاصى

بها (الذى جعل لكم الأرض مهدياً) أى فرشا وقيل مهدياً لكم (وملك لكم فيها سبلاً) أى أدخل في الأرض لأجلكم طرقاً وصلها لكم لتسلكوها (وأنزله من السماء ماء) يعنى المطر ثم الأخبار عن موسى ثم قال الله تعالى (فأخرجنا به) أى بذلك الماء (أزواجاً) أى أصنافاً (من نبات شتى) أى مختلف الألوان والطعوم والمنافع فمنها ما هو للناس ومنها ما هو للدواب (كلوا وارعوا أنعامكم) أى أخرجنا أصناف النبات للانتفاع بالأكل والرعى (إن في ذلك) أى الذى ذكر (آيات لأولى النهى) أى لذوى العقول قيل هم الذين ينتهون عما حرم الله عليهم (منها) أى خلقناكم) أى من الأرض خلقنا آدم وقيل أن الملك ينطلق فيأخذ من التراب الذى يدفن فيه فيلده في النطفة فيخلق من التراب ومن النطفة (وفيها نعيديكم) أى عند الموت والدفن (ومنها نخرجكم تارة أخرى) أى يوم القيامة للبعث والحساب . قوله تعالى (ولقد أريناه) يعنى فرعون (آياتنا كلها) يعنى الآيات التسع التى أعطها الله موسى (فكذب وأبى) يعنى فرعون وزعم أنها سحر وأبى أن يسلم (قال) يعنى فرعون (أجئتنا لنخرجنا من أرضنا) يعنى مصر (يسحرك ياموسى) يريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها (فلأنتيك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً) أى اضرب أجلاً وميقاناً (لا تخلفه) لا تجاوزه (نحن ولا أنت مكانا سوى) أى مكاناً عدلاً وقال ابن عباس نصفنا تستوى مسافة الفريقين إليه وقيل معناه سوى هذا المكان (قال) يعنى موسى (موعدكم يوم الزينة) قيل كان يوم عيد لهم يترنون فيه ويحتمون في كل سنة وقيل هو يوم النبروز وقال ابن عباس يوم عاشوراء (وأن يحشر الناس ضحى) أى وقت الضحوة نهاراً جهاراً ليكون أبعد من الريبة (فتولى فرعون فججمع) يعنى فرعون (كيدته) يعنى مكره وسحره وحيله (ثم أتى) يوم الميعاد (قال لهم موسى) يعنى للسحرة التى

قال الضحاك لأولى النهى الذين ينتهون عما حرم الله عليهم قال قتادة للذوى الورع (منها) أى من الأرض (خلقناكم) يعنى أبائكم آدم وقال عداء الخراسانى أن الملك ينطلق فيأخذ من تراب المكان الذى يدفن فيه فيلده على النطفة فيخلق من التراب ومن الطرفة فذلك قوله تعالى منها خلقناكم (وفيها نعيديكم) أى عند الموت والدفن (ومنها نخرجكم تارة أخرى) يوم البعث قوله تعالى (ولقد أريناه) يعنى فرعون (آياتنا كلها) يعنى الآيات التسع

التي أعطها الله موسى (فكذب) بها وزعم أنها سحر (وأبى) أن يسلم (قال) يعنى فرعون (أجئتنا لنخرجنا من أرضنا) يعنى أرض مصر (يسحرك ياموسى) أى تريد أن تغلب على ديارنا فيكون لك الملك وتخرجنا منها (فلأنتيك بسحر مثله فاجعل بيننا وبينك موعداً) أى اضرب بيننا وبينك أجلاً وميقاناً (لا تخلفه) قرأ أبو جعفر لا تخلفه جزماً لا تجاوزه (نحن ولا أنت مكانا سوى) قرأ ابن عامر وعاصم وحذرة ويعتوب سوى بضم السين ، وقرأ الآخرون بكسرها وهما لغتان مثل عدى وعدى وطوى وطوى قال مقاتل وقتادة مكاناً عدلاً بيننا وبينك وعن ابن عباس نصفنا ومعناه تستوى مسافة الفريقين إليه قال أبو عبيدة والتببى وسطاً بين الفريقين قال مجاهد منصفاً وقال الكلبي يعنى سوى هذا المكان (قال موعدكم يوم الزينة) قال مجاهد وقتادة ومقاتل والسدى كان يوم عيد لهم يترنون فيه ويحتمون في كل سنة وقيل هو يوم النبروز وقال ابن عباس وسعيد بن جبى يوم عاشوراء (وأن يحشر الناس ضحى) أى وقت الضحوة نهاراً جهاراً ليكون من الريبة (فتولى فرعون فججمع كيدته) مكره وحيله وسحرته (ثم أتى) أى الميعاد (قال لهم موسى) يعنى

جمعهم

السحرة الذين جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا لكل واحد حبل وعصا وقيل كانوا أربعمائة وقال كعب كانوا اثني عشر ألفا وقيل أكثر من ذلك (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب) قرأ حمزة والكسائي وحفص فيسحتكم بضم الياء وكسر الخاء وقرأ الباقون بفتح الياء والحاء وهما لغتان قال مقاتل والكلبي فيهلككم وقال قتادة فيستأصلكم (وقد خاب من افترى فتنزعوا أمرهم بينهم) أي تناظروا وتشاوروا يعني السحرة في أمر موسى سرا من فرعون قال الكلبي قالوا سرا إن غلبنا موسى اتبعناه وقال محمد بن إسحاق لما قال لهم موسى لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر (وأسرؤا النجوى) أي المناجاة يكون مصدرا واسما ثم (قالوا) وأسر بعضهم إلى بعض يتناجون (إن هذان لساحران) يعني موسى وهرون قرأ ابن كثير وحفص إن يتخفيف النون هذان أي ماهذان لإسحار كقوله إن نطقك لمن الكاذبين أي ما نطقك إلا من الكاذبين وشدد ابن كثير النون من هذان وقرأ أبو عمرو إن بتشديد النون هذين بالياء على الأصل وقرأ الآخرون إن بتشديد النون هذان بالألف واختلفوا فيه فروى هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة أم المؤمنين أنه خطأ من السكاتب وقال قوم هولعة بالحارث بن كعب وخشم وكثافة فأنهم يجعلون الاثنين في موضع الرفع والنصب والخفض بالألف يقولون أتاني الزيدان ورأيت الزيدان ومررت بالزيدان فلا يتركون ألف (٢٧٣) الثانية في شيء منها وكذلك

يجعلون كل ياء ساكنة
انفتح ما قبلها ألفا كما
الثانية يقولون كسرت
يداه وركبت علاه يعني
يديه وعليه وقال شاعرهم:
تزود مني بين أذناه
ضربة
دعته إلى هابي التراب
عقيم
يريد بين أذنيه
وقال آخر:
إن أباها وأباها
قد بلغنا في العبد
غائبا
وقيل تقدير الآية إنه

جمعهم فرعون وكانوا اثنين وسبعين ساحرا مع كل ساحر حبل وعصا وقيل كانوا أربعمائة وقيل كانوا اثني عشر ألفا (ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب) أي فيهلككم ويستأصلكم (وقد خاب من افترى) أي خسر من ادعى مع الله إلها آخر وقيل معناه خسر من كذب على الله تعالى . قوله تعالى (فتنازعوا أمرهم بينهم) أي تناظروا وتشاوروا يعني السحرة في أمر موسى سرا من فرعون وقالوا إن غلبنا موسى اتبعناه معناه لما قال لهم موسى ويلكم لا تفتروا على الله كذبا قال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر (وأسرؤا النجوى) أي المناجاة (قالوا) قال بعضهم لبعض سرا (إن هذان لساحران) يعني موسى وهارون (يريدان أن يخرجناكم من أرضكم) يعني من مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثل) قال ابن عباس يعني بسراة قومكم وأشرافكم وقيل معناه بصرفان وجوه الناس عنكم وقيل أراد أهل طريقتكم المثل وهم بنو إسرائيل يعني يريد أن يذهباهم لأنفسهما وقيل معناه يذهبا بسنةكم ودينتكم الذي أنتم عليه (فأجمعوا كيدكم) أي لاندعوا شيئا من كيدكم إلا جثم به وقيل معناه اعزموا كلكم على كيدهم مجتمعين له ولا تختلفوا فيختل أمركم (ثم اتوا صفا) أي جمعا مصطفين ليكون أشد هيبتكم وقيل معناه ثم اتوا المكان الموعود به (وقد أفلح اليوم من استعلى) أي فاز من غلب

(٣٥ - خازن باليعقوبى - رابع) هذان فحذف الهاء وذهب جماعة إلى أن حرف إن هاهنا بمعنى نعم أي نعم هذان روى أن أعرابيا سأل ابن الزبير شيئا فحرمه فقال لعن الله ناقه حملتى إليك فقال ابن الزبير إن وصاحبها أي نعم وقال الشاعر:

بكرت على عواذلى يلمنى وألومهنه
ويقلن شيب قد علا ك وقد كبرت فقلت إنه

أي نعم (يريدان أن يخرجناكم من أرضكم) مصر (بسحرهما ويذهبا بطريقتكم المثل) قال ابن عباس يعني بسراة قومكم وأشرافكم يقال هؤلاء طريقة قومهم أي أشرافهم والمثل تأنيث الأمتل وهو الأفضل حدث الشعبي عن علي قال بصرفان وجوه الناس إليهما قال قتادة طريقتهم المثل كان بنو إسرائيل يومئذ أكثر القوم عندا وأموالهم عند الله يريد أن يذهبا بهم لأنفسهم وقيل بطريقتكم المثل أي بسنتكم ودينتكم الذي أنتم عليه والمثل نعت الطريق تقول العرب فلان على الطريقة المثل يعني على الصراط المستقيم (فأجمعوا كيدكم) قرأ أبو عمرو فأجمعوا بوصل الألف وفتح الميم من الجمع أي لاندعوا أشياء من كيدكم إلا جثم به بدليل قوله فجمعه بمعنى واحد والصحيح أن معناه العزم والإحكام أي اعزموا كلكم على كيدهم مجتمعين له لا تختلفوا فيختل أمركم (ثم اتوا صفا) أي جميعا قاله مقاتل والكلبي وقال قوم، أي مصطفين مجتمعين ليكون أشد هيبتكم وقال أبو عبيدة الصف المجتمع ويسمى المصل صفا معناه ثم اتوا المكان الموعود صفا (وقد أفلح اليوم من استعلى)

أى فاز من غلب (قالوا) يعنى السحرة (ياموسى إما أن تلقى) عصاك (وإما أن تكون أول من ألقى) عصيتنا (قال) موسى (بل ألقوا) أنتم أولا (فإذا جبالهم) وفيه إضمار أى فألقوا فإذا جبالهم (وعصيتهم) جمع العصا (يخيل إليه) قرأ ابن عامر ويعقوب تخيل بالتاء ردا إلى الجبال والعصى وقرأ الآخرون بالياء رده إلى الكيد والسحر (من سحرهم أنها تسعى) حتى تظن أنها تسعى أى تمشى وذلك أنهم كانوا لطحوا جبالهم وعصيتهم بالزئبق فلما أصابه حر الشمس انهمست وانثرت فظن موسى أنها تقصده وفى القصص أنهم لما ألقوا الجبال والعصى أخذوا أعين الناس فرأى موسى والقوم كأنهم الأرض امتلأت حيات وكانت قد أخذت ميلا من كل جانب ورأوا أنها تسعى (فأوجس فى نفسه خيفة موسى) أى وجد وقيل أضمر فى نفسه خوفا واختلقوا فى خوفه فقبل طبع البشرية (٢٧٤) وذلك أنه ظن أنها تقصده وقال مقاتل خاف على القوم أن يلتبس

عليهم الأمر فيشكوا
فى أمره فلا يتبعونه (فلما)
لموسى (لا تخف إنك أنت
لأعلى) أى الغالب يعنى
لك الغلبة والظفر (وأذن
مافى بينك) يعنى العصا
(تلتقم) تلتصق وتتبع
(ما صنعوا) قرأ ابن عامر
تلقف رفع الفاء ما معنا
وقرأ الآخرون بالجزم
على جواب الأمر (إنما
صنعوا) أى الذى صنعوا
(كيد ساحر) أى حيلة
سحر حكما قرأ حمزة
والكسافى بكسر السين
بلا أى وقرأ الآخرون
ساحر لأن إضافة الكيد
إلى الفاعل أولى من إضافة
إلى الفعل وإن كان ذلك
لا يتبع فى العربية (ولا
يفلح الساحر حيث أتى)
من الأرض . قال ابن

(قالوا) يعنى السحرة (ياموسى إما أن تلقى) أى عصاك (وإما أن تكون أول من ألقى) أى عصيتنا (قال) موسى (بل ألقوا) يعنى أنتم أولا (فإذا جبالهم) فيه إضمار أى فألقوا فإذا جبالهم (وعصيتهم تخيل إليه من سحرهم أنها تسعى) قيل لهم لما ألقوا الجبال والعصى أخذوا أعين الناس فرأى موسى كأن الأرض امتلأت حيات وكانت قد أخذت ميلا فى ميل من كل جانب ورأوا كأنها تسعى (فأوجس) أى أضمر وقيل وجد (فى نفسه خيفة موسى) قيل هو طبع البشرية وذلك أنه ظن أنها تقصده وقيل إنه خاف على القوم أن يلتبس عليهم الأمر فيشكوا فى أمره فلا يتبعوه (فلما لا تخف) أى قال الله تعالى لموسى لا تخف (إنك أنت الأعلى) أى الغالب عليهم ولك الغلبة عليهم والظفر (وألقى مافى بينك) أى عصاك والمعنى لا يخيفنك كثرة جبالهم وعصيتهم فإن فى بينك شيئا أعظم منها كلها (تلتقم) أى تلتصق وتتبع (ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر) أى حيلة ساحر (ولا يفلح الساحر حيث أتى) أى من الأرض وقال ابن عباس لا يسعد حيث كان (فالتقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى) قال صاحب الكشاف سبحانه الله ما أعجب أمرهم قد ألقوا جبالهم وعصيتهم للكفر والجحود ثم القوا رءوسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما أعظم الفرق بين الآفة من وقيل إنهم لم يرفعوا رءوسهم حتى رأوا الجنة والنار وقيل إنهم لما سجدوا أراهم الله تعالى فى سجودهم منازلهم التى يصيرون إليها فى الجنة (قال) يعنى فرعون (آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم) أى لرئيسكم وعظيمكم يعنى أنه أحرّم وأعلاكم فى صناعة السحر ومعلمكم (الذى علمكم السحر فلا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) يعنى أقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى (ولأصلبتكم فى جذوع النخل) يعنى على جذوع النخل (وتعلمن أبنا أشد عذابا) يعنى على إيمانكم به أنا أوجب موسى على ترك الإيمان به (وأبى) يعنى أودم (قالوا) يعنى السحرة (لن نؤثر) يعنى لن نختاركم (على ما جاءنا من البينات) يعنى الدلالات الواضحات قيل هى اليد البيضاء والعصا وقيل كان استدلالهم أنهم قالوا لو كان هذا سحرا فأن جبالنا وعصيتنا وقيل إنهم لما سجدوا رأوا الجنة والنار ورأوا منازلهم فى الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثر على ما جاءنا من البينات (والذى فطرنا) قيل هو قسم وقيل معناه لن نؤثر على الله الذى فطرنا (فاقض ما أنت قاض)

عباس لا يسعد حيث كان وقيل معناه حيث احتال (فالتقى السحرة سجدا قالوا آمنا)
برب هارون وموسى قال آمنتم له قبل أن آذن لكم إنه لكبيركم (لرئيسكم ومعلمكم) (الذى علمكم السحر فلا قطعن أيديكم
وأرجلكم من خلاف ولأصلبتكم فى جذوع النخل) يعنى على جذوع النخل (وتعلمن أبنا أشد عذابا) يعنى على
إيمانكم به أنا أوجب موسى على ترك الإيمان به (وأبى) يعنى أودم (قالوا) يعنى السحرة (لن نؤثر) (على
ما جاءنا من البينات) يعنى الدلالات قال مقاتل يعنى اليد البيضاء والعصا وقيل كان استدلالهم أنهم قالوا لو كان هذا سحرا
فأين جبالنا وعصيتنا وقيل من البينات يعنى من اليقين والعلم حكى عن القاسم بن أبى بزة أنه قال إنهم لما ألقوا سجدا مارفوعوا
رءوسهم حتى رأوا الجنة والنار ورأوا ثواب أهلها ورأوا منازلهم فى الجنة فعند ذلك قالوا لن نؤثر على ما جاءنا من
البينات (والذى فطرنا) يعنى لن نؤثر على الله الذى فطرنا وقيل هو قسم (فاقض ما أنت قاض) يعنى فاصنع ما أنت صانع

(إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) يعني أمرك وسلطانك في الدنيا وسيزول عن قريب (إنا آتينا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهنا عليه من السحر) فان قيل كيف قالوا هذا وقد جاءوا مختارين يملفون بكرة فرعون إن لهم الغلبة قبل روى عن الحسن أنه قال : كان فرعون يكره قوما على تعلم السحر لكيلا يذهب أصله وقد كان أكرههم في الابتداء وقال مقاتل كانت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بني إسرائيل كان عدو الله فرعون أكره الذين هم من بني إسرائيل على تعلم السحر فذلك قوله وما أكرهتنا عليه من السحر وقال عبد العزيز بن أبان قالت السحرة لفرعون أرنا موسى إذا نام فأراهم موسى تأتما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون إن هذا ليس بساحر إن الساحر إذا نام بطل صحره فأبى عليهم إلا أن يتعلموا فذلك قوله تعالى وما أكرهتنا عليه من السحر (والله خير وأبقي) (٢٧٥) قال محمد بن إسحاق خير منك

ثوابا وأبقي عذابا وقال محمد بن كعب خير منك ثوابا إن أطيع وأبقي منك عذابا إن عصي وهذا جواب لقوله ولتعلمن أبنا أشد عذابا وأبقي (إنه من يأت ربه مجرما) قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل من تمام قول السحرة مجرما أي مكرما يعني من مات على الشرك (فان له جهنم لا يموت فيها) فيسبرح (ولا يحيى) حياة ينفع بها (ومن يأته) قرأ أبو عمرو ساكنة الماء ويخلصها أبو جعفر وقلون ويعقوب وقرأ الآخرون بالإشباع (مؤمننا) أي من مات على الإيمان (قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) أي الرفيعة والعلی جمع العليا ، والعليا

يعني فاصنع ما أنت صانع (إنما تقضى هذه الحياة الدنيا) يعني أمرك وسلطانك في الدنيا سيزول عن قريب (إنا آتينا بربنا ليغفر لنا خطايانا وما أكرهتنا عليه من السحر) فان قلت كيف قالوا هذا وقد جاءوا مختارين غير مكرهين : قلت كان فرعون أكرههم في الابتداء على تعلمهم السحر لكي لا يذهب أصله وقيل أنت السحرة اثنين وسبعين اثنان من القبط وسبعون من بني إسرائيل وكان فرعون أكره الذين هم من بني إسرائيل على تعلم السحر وقيل قال السحرة لفرعون أرنا موسى إذا هو نام فأراهم موسى تأتما وعصاه تحرسه فقالوا لفرعون هذا ليس بساحر إن الساحر إذا نام بطل صحره فأبى عليهم على أن يعملوا فذلك أولهم وما أكرهتنا عليه من السحر (والله خير وأبقي) يعني خير منك ثوابا وأبقي عذابا وقيل خير منك إن أطيع وأبقي عذابا إن عصي وهذا جواب لقوله ولتعلمن أبنا شد عذابا وأبقي (إنه من يأت ربه مجرما) قيل هذا ابتداء كلام من الله تعالى وقيل هو من تمام قول السحرة معناه من مات على الشرك (فان له جهنم لا يموت فيها) فيسبرح (ولا يحيى) حياة ينتفع بها (من يأتها مؤمنا) يعني من مات على الإيمان (قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى) يعني الرفيعة العلية ثم فسر الدرجات بقوله (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) يعني تطهر من الذنوب وقيل أعطى زكاة نفسه وقال لا إله إلا الله وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون النجم الطالع في أفق السماء وإن أبا بكر وعمر منهم وأنعماء أخرجه الترمذي قوله وأنعماء يقال أحسن فلان إلى فلان وأنعم يعني أفضل وزاد في الإحسان والمعنى أنهما منهم وزادوا تزاها إلى غاية . قوله تعالى (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي) يعني أسرهم ليلا من أرض مصر (فاضرب لهم طريقا) يعني اجعل لهم طريقا (في البحر) بالاضرب بالعصا (بيسا) يعني يابسا ليس فيه ماء ولا طين وذلك أن الله تعالى أبيض لهم الطريق في البحر (لا تخاف دركا ولا تخشى) يعني معاه لا تخاف أن يدركك فرعون من وراءك

تأنيث الأعلى (جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء من تزكى) يعني تطهر من الذنوب وقال الكشي أعطى زكاة نفسه وقال لا إله إلا الله . أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو القاسم عبد الرحمن بن عبيد السمسار أنا أبو حمزة أحمد بن محمد بن عباس الدهقان أنا أحمد بن عبد الجبار العطاردي أنا أبو معاوية عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن أهل الدرجات العلى ليراهم من تحتهم كما ترون الكوكب الدردي في أفق من آفاق السماء وإنما أبو بكر وعمر منهم وأنعماء قوله عز وجل (ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي) يعني أسر بهم ليلا من أرض مصر (فاضرب لهم طريقا في البحر) يعني اجعل لهم طريقا في البحر بالاضرب بالعصا (بيسا) ليس فيه ماء ولا طين وذلك أن الله أبيض لهم الطريق في البحر (لا تخاف دركا) قرأ حمزة لا تخف بالجزم على النسر والباقرن بالألف والرفع على النفي لقوله تعالى (ولا تخشى) قيل لا تخاف أن يدركك فرعون من وراءك ولا تخشى أن يشرقك البحر أمامك

(فأتبعهم) الملحهم (فرعون بجنوده) وقيل معناه أمر فرعون جنوده أن يتبعوا موسى وقومه والباء فيعزائده وكان هو لهم
 (فغشيه) أصابهم (من اليم ماغشيه) وهو الفرق وقيل غشيههم علامه وسترهم من اليم ماغشيههم يريد غشيههم بعض ما
 اليم لا كاله وقيل غشيههم من اليم ماغشيههم قوم موسى ففرقههم ونجا موسى وقومه (وأضل فرعون قومه وما هدى) يعني
 ماأرشدهم وهذا تكذيب لفرعون في قوله «وما أهديك إلا سبيل الرشاده» قوله (يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم) فرعون
 (وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم) قرأ حمزة والأكسائي : انجيتكم
 وواعدتكم ورزقتكم بالباء على (٢٧٦) التوحيد وقرأ الآخرون بالتون والألف على التعظيم ولم يختلفوا في ونزلنا

ولا تخشى أن يفرقك البحر أمامك (فأتبعهم) يعني فلاحتهم (فرعون بجنوده فغشيههم) يعني
 أصابهم (من اليم ماغشيههم) وهو الفرق وقيل علامه وسترهم من اليم ما لم يعلم كنهه إلا الله
 تعالى ففرق فرعون وجنوده ونجا موسى وقومه (وأضل فرعون قومه وما هدى) يعني وما
 أرشدهم وهو تكذيب لفرعون في قوله «وما أهديك إلا سبيل الرشاده» . قوله عز وجل (يا بني
 إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى)
 ذكرهم الله النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم ونجا وعد موسى من المناجاة بجانب الطور وكتب
 التوراة في الألواح وإنما قال وواعدناكم لأنها اتصلت بهم حيث كانت لنبيهم ورجعت منافعها
 إليهم وبها قوام دينهم وشريعتهم وفيها أفاض الله عليهم من سائر نعمه وأرزاقه (كلوا من
 طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه) قال ابن عباس لا تظلموا وقيل لا تكفروا النعمة فتكونوا
 طاغين وقيل لا تنتفخوا بنعمتي على المعاصي وقيل لا تذخروا (فيحل عليكم غضبي) يعني يجب
 عليكم غضبي (ومن يحل عليه غضبي فقد هوى) يعني هلك وسقط في النار (وإني لغفار لمن
 تاب) قال ابن عباس تاب عن الشرك (وآمن) يعني وحده الله وصدق رسوله (وعمل صالحا)
 يعني أدى الفرائض (ثم اهتدى) قال ابن عباس علم أن ذلك توفيق من الله تعالى وقيل لزم
 الإسلام حتى مات عليه وقيل علم أن لذلك ثوابا وقيل أقام على السنة . قوله عز وجل (وما
 أعجلك) يعني وما حملك على العجلة (عن قومك يا موسى) وذلك أن موسى اختار من قومه
 سبعين رجلا يذهبون معه إلى الطور ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا
 إلى ربه وخلف السبعين وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل فقال الله له وما أعجلك عن قومك
 يا موسى فأجاب ربه فقال هم أولاء على أترى) أي هم بالقرب مني يأتون على أترى من
 بعدى . فان قلت لم يطابق السؤال الجواب فانه سأله عن سبب العجلة فعدل عن الجواب
 فقال هم أولاء على أترى . قلت كان هم موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما أنكر عليه
 فاعتل بأنه لم يوجد منه إلا تقدم سيره ثم أعقبه بجواب السؤال فقال (وعجلت إليك رب
 لترضى) أي لتزداد رضا (قال فانا قد فتننا قومك) أي فانا ابتلينا الذين خلفتهم مع هارون
 وكانوا ستمائة ألف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفا (من بعدك) أي من بعد انطلاقتك إلى

لأنه مكتوب بالألف
 ولا تطغوا فيه) قال ابن
 عباس لا تظلموا قال
 الكلبي لا تكفروا النعمة
 فتكونوا ظالمين طاغين
 وقيل لا تنتفخوا في معصيتي
 وقيل لا تنتفخوا بنعمتي
 على معاصي وقيل
 لا تذخروا فادخروا فتدود
 (فيحل) قرأ الأعمش
 والأكسائي فيحل بضم
 الحاء ومن يحل بضم
 اللام يعني ينزل وقرأ
 الآخرون بكسرها يعني
 يجب (عليكم غضبي
 ومن يحل عليه غضبي
 فقد هوى) هلك وتردى
 في النار (وإني لغفار لمن
 تاب) قال ابن عباس
 تاب من الشرك (وآمن)
 ووحد الله وصدق
 (وعمل صالحا) أدى
 الفرائض (ثم اهتدى)
 قال عطاء عن ابن عباس

علم أن ذلك توفيق من الله وقال قتادة وسفيان الثوري يعني لزم الإسلام حتى مات عليه
 قال الشعبي ومقاتل والكلبي علم أن لذلك ثوابا وقال زيد بن أسلم تعلم العلم ليهتدى به كيف يعمل قال الضحاك استقام . وقال
 سعيد بن جبيرة أقام على السنة والجماعة (وما أعجلك) يعني وما حملك على العجلة (عن قومك) وذلك أن موسى اختار من
 قومه سبعين رجلا حتى يذهبوا معه إلى الجبل ليأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل موسى من بينهم شوقا إلى ربه عز وجل وخلف
 السبعين وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل فقال الله تعالى (وما أعجلك عن قومك) (يا موسى قال) يجيبا لربه تعالى (هم أولاء على أترى)
 يعني هم بالقرب مني يأتون من بعدى (وعجلت إليك رب لترضى) لترداد رضا (قال فانا قد فتننا قومك من بعدك) أي ابتلينا
 الذين خلفتهم مع هرون وكانوا ستمائة ألف فافتتنوا بالعجل غير اثني عشر ألفا من بعدك ، أي من بعد انطلاقتك إلى الجبل

(وأضلهم السامري) أي دعاهم وصر فهم إلى عبادة العجل وأضافه إلى السامري لأنهم ضلوا بسببه (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) حزينا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) صدقا أنه يعطيكم التوراة (أفطال عليكم العهد) مدة مفارقتي إياكم (أم أردتم أن يجعل عليكم غضب من ربكم) أي أردتم أن تفعلوا فعلا يجب عليكم به الغضب من ربكم (فأخلفتم موعدى قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) قرأ نافع وأبو جعفر وعاصم بملكنا بفتح الميم (٢٧٧) وقرأ حمزة والكسائي بضمها وقرأ الآخرون بكسرهما

الجيل (وأضلهم السامري) أي دعاهم وصر فهم إلى الضلال وهو عبادة العجل وإنما أضاف الضلال إلى السامري لأنهم ضلوا بسببه وقيل إن جميع المنشآت تضافت إلى منشأها في الظاهر وإن كان الموجد لها في الأصل هو الله تعالى فلذلك قوله هنا وأضلهم السامري قيل كان السامري من عظماء بني إسرائيل من قبيلة يقال لها السامرة وقيل كان من القبط وكان جارا لموسى وآمن به وقيل كان علجاً من علوج كرماني رفع إلى مصر وكان من قوم يعبدون البقر (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا) أي حزينا جزعا (قال يا قوم ألم يعدكم ربكم وعدا حسنا) أي صدقا يعطيكم التوراة (أفطال عليكم العهد) أي مدة مفارقتي إياكم (أم أردتم أن يجعل عليكم غضب من ربكم) أي أردتم أن تفعلوا فعلا يجب عليكم الغضب من ربكم بسببه (فأخلفتم موعدى) يعني ما وعدوه من الإقامة على دينه إلى أن يرجع (قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا) أي بملك أمرنا وقيل باختيارنا وذلك أن المرء إذا وقع في الفتنة لم يملك نفسه (ولكننا حملنا أوزارا من زينة القوم) أي حملنا مع أنفسنا ما كنا قد استعزنا به من قوم فرعون والأوزار الأثقال سميت أوزارا لكثرتها ونقلها وقيل الأوزار الأثام أي حملنا أثاما وذلك أن بني إسرائيل استعاروا حليا من القبط ولم يردوها وبقيت معهم إلى حين خروجهم من مصر وقيل إن الله لما أغرق فرعون نيل البحر حلهم فأخذها بنو إسرائيل فكانت غنيمة ولم تكن الغنائم تحمل لهم (فقدفناها) أي ألقيناها قيل إن السامري قال لهم احضروا حفيرة وألقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها وقيل إن هارون أمرهم بذلك ففعلوا (فكذلك ألقى السامري) أي ما كان معه من الحلي فيها قال ابن عباس أوقد هارون نارا وقال اقذفوا ما معكم فيها وقيل إن هارون مر على السامري وهو يصوغ العجل فقال له ما هذا قل أصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال هارون اللهم اعطه ما سألك على ما في نفسه فألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل في فم العجل وقال كن عجلا يخور فكان كذلك بدعوة هارون فذلك قوله تعالى (فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار) اختلفوا هل كان الجسد حيا أم لا على قولين أحدهما لا لأنه لا يجوز إظهار خرق العبادة على يد ضال بل السامري صور صورة على شكل العجل وجعل فيه منافذ ومخاريق بحيث إذا دخل فيها الريح صوت كصوت العجل الثاني أنه صار حيا ونحر كما يخور العجل (فقالوا هذا إلهمك وإله موسى) يعني قال ذلك السامري ومن تابعه ممن افتنن به وقيل عكفوا عليه وأحبوه حيا لم يحبوا شيئا قط مثله (ففسى) قيل هو إخبار عن قول السامري أي أن موسى نسي إلهه وتركه هاهنا وذهب بطلبه وقيل معناه أن موسى إنما طلب هذا ولكنه نسيه وخالفه في طريق آخر فأخطأ الطريق وضل وقيل هو من كلام الله

وأقرأ الآخرون بكسرهما أي ونحن نملك أمرنا وقيل باختيارنا ومن قرأ بالضم فنحنه بقدرتنا وسلطاننا وذلك أن المرء إذا وقع في البلية والفتنة لم يملك نفسه (ولكننا حملنا) قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب حملنا بفتح الحاء وتخفيف الميم وقرأ الآخرون بضم الحاء وتشديد الميم أي جعلونا نحملها وكلفنا حملها (أوزارا من زينة القوم) من حلى قوم فرعون سبها أوزارا لأنهم أخذوها على وجه العارية فلم يردوها وذلك أن بني إسرائيل كانوا قد استعاروا حليا من القبط وكان ذلك معهم حين خرجوا من مصر وقيل إن الله تعالى لما أغرق فرعون نيل البحر حلهم فأخذوها وكانت غنيمة ولم تكن الغنيمة حلالا لهم في ذلك الزمان فسبها

أوزار لذلك (فقدفناها) قيل إن السامري قال لهم احضروا حفيرة فأنقوها فيها حتى يرجع موسى قال السدي قال لهم هرون إن تلك غنيمة لا تحمل فأحضروا حفيرة فأنقوها فيها حتى يرجع موسى فيرى رأيه فيها ففعلوا قوله فقدفناها أي طرحناها في الحفرة (فكذلك ألقى السامري) مامعه من الحلي فيها وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أوقد هارون نارا وقال : اقذفوا فيها ما معكم فأنقوه فيها ثم ألقى السامري ما كان معه من تربة حافر فرس جبريل قال قتادة كان قد صر قبضة من ذلك التراب في عمامته (فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار فقالوا هذا إلهمك وإله موسى ففسى) أي تركه موسى هاهنا وذهب

بطابه وقيل أخطأ الطريق وضل قال الله تعالى : (أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا) أي لا يرون أن العجل لا يكلمهم ولا يجيبهم إذا دعوه (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) وقيل إن هرون مر على السامري وهو بصوغ العجل فقال له ما هذا ؟ قال أصنع ما ينفع ولا يضر فادع لي فقال هارون اللهم اعطه ما سألك على ما في نفسه ألقى الراب في فم العجل وقال كن عجلا يخور فنكان ذلك بدعوة هارون والحقيقة أن ذلك كان فتنة ابتلى الله بها بني إسرائيل (ولقد قال لهم هارون من قبل) أي من قبل رجوع موسى (يا قوم إنما) (٢٧٨) فتتم به) ابتليتم بالعجل (وإن ربكم الرحمن فاتبعوني) على ديني في عبادة

الله (وأطيعوا أمري) في ترك عبادة العجل (قالوا لن نبرح) أي لن نزال (عليه) على عبادته (عاكفين) مقيمين (حتى يرجع إلينا موسى) فاعترضهم هارون في ليلتي عشر ألفا وهم الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى وسمع الصباح والجلية وكانوا برقصون حول العجل قال للبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه بيديه وحبسه بشاله (قال) له (يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا) أشركوا (ألا تتبعني) أي أن تتبعني ولاصلة أي تتبع أمري ووصيتي يعني هلاقتهم وقد علمت أي لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل معناه ما منعك من التحرفي وإخباري بضلاتهم فتكون مفارقتك إياهم زجرا لهم عما أتوه (أف عصيت أمري) يعني خالفت أمري (قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) يعني بشعر رأسي وكان قد أخذ بذواته (إنني خشيت أن تقول) يعني لو أنكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا فتقول (فرقت بين بني إسرائيل) يعني خشيت أن فارقتهم واتبعتك أن يصيروا أحزابا فيقتتلون فتقول فرقت بين بني إسرائيل (ولم ترقب قولي) يعني لم تحفظ وصيتي حين قلت لك اختلفني في قومي أصلح وأرفق بهم ثم أقبل موسى على السامري (قال فما خطبك) يعني فما أمرك وشأنك وما الذي حملك على ما صنعت (يا سامري قال) يعني السامري (بصرت بما لم يبصروا به

تعالى وكأنه أخبر عن السامري أنه نسي الاستدلال على حدوث الأجسام وأن الإله لا يحل في شيء ولا يحل فيه شيء ثم بين سبحانه وتعالى المعنى الذي يجب الاستدلال به فقال (أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا) أي أن العجل لا يرد لهم جوابا إذا دعوه ولا يكلمهم (ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا) هذا توبيخ لهم إذ عبدوا ما لا يملك ضرر من ترك عبادته ولا ينفع من عبده وكان العجل فتنة من الله تعالى ابتلى به بني إسرائيل . قوله عز وجل (ولقد قال لهم هارون من قبل) أي من قبل رجوع موسى (يا قوم إنما فتنتم به) أي ابتليتم بالعجل (وإن ربكم الرحمن فاتبعوني) على ديني في عبادة الله (وأطيعوا أمري) يعني في ترك عبادة العجل اعلم أن هارون عليه السلام سلك في هذا الوعظ أحسن الوجوه لأنه زجرهم أولا عن الباطل بقوله (إنما فتنتم به) ثم دعا إلى معرفة الله تعالى بقوله (إن ربكم الرحمن) ثم دعاهم إلى معرفة الذنوة بقوله (فاتبعوني) ثم دعاهم إلى الشرائع بقوله (وأطيعوا أمري) فهذا هو الترتيب الجيد لأنه لا بد من إمامة الأذى عن الطريق وهي إزالة الشبهات ثم معرفة الله فانها هي الأصل ثم الذنوة ثم الشريعة وإنما قال (وإن ربكم الرحمن) فخصص هذا الموضوع بهذا الاسم لأنه ينهم على أنهم متى تابوا قبل الله توبتهم لأنه هو التواب الرحيم فقابلوا هذا القول بالإصرار والجلود (قالوا لن نبرح) يعني لن نزال (عليه) يعني على عبادة العجل (عاكفين) يعني مقيمين (حتى يرجع إلينا موسى) كأنهم قالوا إن نقيب حجنتك ولا تقبل إلا قول موسى فاعترضهم هارون ومعه اثنا عشر ألفا الذين لم يعبدوا العجل فلما رجع موسى سمع الصباح والجلية وكانوا برقصون حول العجل فقال للبعين الذين معه هذا صوت الفتنة فلما رأى هارون أخذ شعر رأسه بيديه وحبسه بشاله (قال) له (يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا) أشركوا (ألا تتبعني) أي أن تتبعني ولاصلة أي تتبع أمري ووصيتي يعني هلاقتهم وقد علمت أي لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم وقيل معناه ما منعك من التحرفي وإخباري بضلاتهم فتكون مفارقتك إياهم زجرا لهم عما أتوه (أف عصيت أمري) يعني خالفت أمري (قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) يعني بشعر رأسي وكان قد أخذ بذواته (إنني خشيت أن تقول) يعني لو أنكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا فتقول (فرقت بين بني إسرائيل) يعني خشيت أن فارقتهم واتبعتك أن يصيروا أحزابا فيقتتلون فتقول فرقت بين بني إسرائيل (ولم ترقب قولي) يعني لم تحفظ وصيتي حين قلت لك اختلفني في قومي أصلح وأرفق بهم ثم أقبل موسى على السامري (قال فما خطبك) يعني فما أمرك وشأنك وما الذي حملك على ما صنعت (يا سامري قال) يعني السامري (بصرت بما لم يبصروا به

تفرعوا وزجروا لهم عما أتوه (أف عصيت أمري) أي خالفت أمري (قال يا بن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي) يعني بشعر رأسي وكان قد أخذ ذواته (إنني خشيت أن تقول) يعني لو أنكرت عليهم لصاروا حزبين يقتل بعضهم بعضا فتقول فرقت بين بني إسرائيل (أي خشيت أن فارقتهم واتبعتك صاروا أحزابا يفتنون فتقول أنت فرقت بين بني إسرائيل (ولم ترقب قولي) يعني لم تحفظ وصيتي حين قلت لك اختلفني في قومي أصلح وأرفق بهم ثم أقبل موسى على السامري (قال فما خطبك) يعني فما أمرك وشأنك وما الذي حملك على ما صنعت (يا سامري قال) يعني السامري (بصرت بما لم يبصروا به

يعرفوا قرأ حمزة والكسائي ما لم تبصروا بالثناء على الخطاب وقرأ الآخرون بالياء على الخبر (فقبضت قبضة من أثر الرسول)
 أي من تراب أثر فرس جبريل (فنبذتها) أي ألقيتها في فم العجل . وقال بعضهم إنما خار لهذا لأن التراب كان مأخوذاً من
 تحت حافر فرس جبريل فان قبل كيف عرفه ورأى جبريل من بين سائر الناس قبل لأن أمه لما ولدته في السنة التي كان يقتل فيها
 البنون وضعت في الكهف حذراً عليه فبعث الله جبريل ليريه لما قضى على يديه من الفتنة (وكذلك سولت) أي زينت (لي)
 نفسي قال فاذهب فان لك في الحياة) أي مادمت حياً (أن تقول لامساس) (٢٧٩) أي لا يتخالط أحداً ولا يتخالطك

أحد وأمر موسى بنى
 إسرائيل أن لا يتخالطوه
 ولا يقربوه قال ابن
 عباس لا مساس لك
 ولولدك والمساس من
 المماسمة معناه لا لمس
 بعضنا بعضاً فصار
 السامري يهيم في البرية مع
 الوحوش والسباع لا يمس
 أحداً ولا يمس أحداً فعاقبه
 الله بذلك وكان إذا لقي
 أحداً يقول : لا مساس
 أي لا تقربني ولا تمسني
 وقيل كان إذا مس أحداً
 أو مسه أحد حما جميعاً
 حتى إن بقاياهم اليوم
 يقولون ذلك وإذا مس
 أحد من غيرهم أحداً
 منهم حما جميعاً في الوقت
 (وإن لك) يا سامري
 (موعداً) لعذابك (لن
 تخلفه) قرأ ابن كثير وأبو
 عمرو ويعقوب لن تخلفه
 بكسر اللام أي لن تغيب
 عنه ولا مذهب لك عنه

فقبضت قبضة من أثر الرسول) يعني من تراب حافر فرس جبريل (نبذتها) يعني فقدتها في فم العجل
 فخار . فان قلت كيف عرف السامري جبريل ورآه من بين سائر الناس . قلت ذكروا فيه
 وجهين أحدهما أن أمه ولدته في السنة التي كان يقتل فيها البنون فوضعت في كهف حذراً عليه
 من القتل فبعث الله إليه جبريل ليريه لما قضى الله على يديه من الفتنة الوجه الثاني أنه لما نزل
 جبريل إلى موسى ليذهب به إلى الطور رآه السامري من بين سائر الناس فلما رآه قال إن
 هذا لشأننا فقبض القبضة من أصل تربة أثر موطئه فلما سأله موسى قال قبضت قبضة من
 أثر الرسول إليك يوم جاء للميعاد وقيل رآه يوم فاق البحر فأخذ القبضة وجعلها في عمامته
 لما يريد الله أن يظوره من الفتنة على يديه وهو قواء (وكذلك سولت) يعني زينت (لي نفسي)
 وقيل إنه من السؤال والمعنى أنه لم يدعني إلى فعله غيري واتبعته فيه هو أي قال) يعني موسى
 للسامري (فاذهب فان لك في الحياة) يعني مادمت حياً (أن تقول لامساس) يعني لا يتخالط أحداً
 ولا يتخالطك أحد فهو قرب في الدنيا بعقوبة لا شيء أوحش منها ولا أعظم وذلك أن موسى
 أمر بني إسرائيل أن لا يتخالطوه ولا يقربوه وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته
 وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا مساس لك ولولدك فصار السامري يهيم في البرية مع الوحش
 والسباع لا يمس أحداً ولا يمس أحد وقيل كان إذا مس أحداً أو مسه أحد حما جميعاً فتمحاي
 الناس وتحاموه وكان يصيح لامساس حتى أن بقاياهم اليوم يقولون ذلك (وإن لك) يعني
 يا سامري (موعداً) يعني بعذابك في الآخرة (لن تخلفه) قرىء بكسر اللام ومعناه لن تغيب
 عنه ولا مذهب لك عنه بل توافيه يوم القيامة وقرىء بالفتح أي لن تكذبه ولم تخلفه
 الله بل يكافئك على فعلك (وانظر إلى إهلك) يعني الذي تزعم (الذي ظلت عليه عاكفاً) يعني
 دمت عليه مقياً تبيده (لتحرقه) بالنار (ثم لنسفنه) أي لتذريته (في اليم) يعني في البحر (نسفاً)
 روى أن موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم وحرقه في النار ثم ذراه في البحر وقيل معناه
 لتحرقه أي لتذريته فعلى هذا التأويل لم يتقلب لحما ودما فان ذلك لا يمكن أن يبرد بالمبرد
 ويمكن أن يقال صر لحما ودما فذبح ثم بردت عظامه بالمبرد حتى صارت بحيث يمكن نسفها
 في البحر فلما فرغ موسى من أمر العجل وإبطال مآذبه إليه السامري رجع إلى بيان الدين
 الحق فقال مخاطباً ابني إسرائيل (إنما إلهكم الله) يعني المستحق للعبادة والتعظيم هو الله (الذي
 لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً) يعني وسع علمه كل شيء وقيل يعلم من عبده قوله عز

يخلفك الله يومئذ إن الله تعالى يكافئك على نعلك ولا تفتونه (وانظر إلى إهلك) بزعمك (الذي ظلت عليه عاكفاً) أي ظلت ودمت عليه
 . فيما عبده والعرب تقول ظلت فعل كذا بمعنى ظلت ومست بمعنى مسست (لتحرقه) بالنار وقرأ أبو جعفر بالتخفيف من الاحراق
 (ثم لنسفنه) لتذريته (في اليم) في البحر (نسفاً) روى أن موسى أخذ العجل فذبحه فسال منه دم لأنه كان قد صار لحماً ودماً ثم حرقه
 بالنار ثم ذراه في اليم قرأ ابن محيصن لتحرقه بفتح النون وضم الراء لتذريته بالمبرد ومعناه قبل للمبرد الحرق وقال السدي أخذ
 موسى العجل فذبحه ثم حرقه بالمبرد ثم ذراه في اليم (إنما إلهكم الله الذي لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً) وسع علمه كل شيء .

(كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق) من الأمور (وقد أتيناك من لدنا ذكرا) يعنى القرآن (من أعرض عنه) أى عن القرآن فلم يؤمن به ولم يعمل بما فيه (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) حملا ثقيلا من الإثم (خالدين فيه) مقيمين في عذاب الوزر (وساء لهم يوم القيامة حملا) أى بئس ما حملوا على أنفسهم من الإثم ككفروا بالقرآن (يوم ينفخ في الصور) قرأ أبو عمرو تنفخ بالنون وفتحها وضم الفاء لقوله ونحشر وقرأ الآخرون بالياء وضمها ، وفتح الفاء على غير تسمية الفاعل (ونحشر المحرمين) المشركين (يومئذ زرقا) والزرقه هى الحضرة فى سواد العين فيحشرون زرق العيون سود الوجوه وقيل زرقا أى عميا وقيل عطاشا (يتخافتون بينهم) أى يتشاورون بينهم ويتكلمون خفية (إن ليثم) أى ما مكثتم فى الدنيا (إلا عشرا) أى عشر ليال وقيل فى القبور وقيل بين النفختين وهو أربعون (٢٨٠) سنة لأن العذاب يرفع عنهم بين النفختين استقصى وأمدد ليثم لحوّل

ما عابنوا قال الله تعالى (نحن أعلم بما يقولون) أى يتشاورون بينهم (إذ يقول أمثلهم طريقة) أوفاهم عقلا وأعلمهم قولا (إن ليثم إلا يوما) قصر ذلك فى أعينهم فى جنب ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار ليثم لشدة ما دمهم قوا : (ويستلذك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فأنزله الله هذه الآية والنسف هو القلع أى يقلعها من أصولها ويجعلها هباء منثورا (فيلرها) أى يدع أماكن الجبال من الأرض (قاعا صفيصفا) أى أرضا ملساء مستوية لأنبات فيها (لا ترى فيها عوجا ولا أمنا) يعنى لا انخفاض ولا ارتفاعا يعنى لا ترى واديا ولا راية (يومئذ يتبعون الداعى) أى صوت الداعى الذى يدعوهم إلى موقف يوم القيامة وهو إسرافيل وذلك أنه يضع الصور فى فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المنفردة هلموا إلى عرض الرحمن (لا عوج له) أى لا عوج لهم عن دعائه ولا يتبعون عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه سراعا (وخشعت الأصوات للرحمن) يعنى سكنت وذلت وخضعت ووصفت والمراد به أصحاب الأصوات وقيل خضعت الأصوات من شدة القزع (فلا تسمع إلا همسا)

وجل (كذلك نقص عليك من أنباء) يعنى من أخبار (ما قد سبق) يعنى الأثم الحالية وقيل ما سبق من الأمور (وقد أتيناك من لدنا ذكرا) وهو القرآن (من أعرض عنه) يعنى عن القرآن ولم يؤمن به ولم يعمل بما فيه (فانه يحمل يوم القيامة وزرا) يعنى حملا ثقيلا من الإثم (خالدين فيه) يعنى مقيمين فى عذاب الوزر (وساء لهم يوم القيامة حملا) يعنى بئس ما حملوا أنفسهم من الإثم (يوم ينفخ فى الصور) قبل هو قرن ينفخ فيه يدعى به الناس للمحشر والمراد بهذه النفخة النفخة الثانية لأنه أتبعه بقوله (ونحشر المحرمين يومئذ زرقا) يعنى نحشر المحرمين زرق العيون سود الوجوه وقيل عميا وقيل عطاشا (يتخافتون) يعنى يتشاورون (بينهم) ويتكلمون خفية (إن ليثم) يعنى مكثتم فى الدنيا (إلا عشرا) يعنى عشر ليال وقيل فى القبور وقيل بين النفختين وهو مقدار أربعين سنة وذلك أن العذاب يرفع عنهم بين النفختين فاستقصى وأمدد ليثم لحوّل ما استقبلهم من أهوال يوم القيامة وقيل نسوا مقدار ليثم لشدة ما دمهم قوا : (ويستلذك عن الجبال فقل ينسفها ربي نسفا) قال ابن عباس سأل رجل من ثقيف رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كيف تكون الجبال يوم القيامة فأنزله الله تعالى هذه الآية والنسف هو القلع أى يقلعها من أصولها ويجعلها هباء منثورا (فيلرها) أى يدع أماكن الجبال من الأرض (قاعا صفيصفا) أى أرضا ملساء مستوية لأنبات فيها (لا ترى فيها عوجا ولا أمنا) يعنى لا انخفاض ولا ارتفاعا يعنى لا ترى واديا ولا راية (يومئذ يتبعون الداعى) أى صوت الداعى الذى يدعوهم إلى موقف يوم القيامة وهو إسرافيل وذلك أنه يضع الصور فى فيه ويقف على صخرة بيت المقدس ويقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المنفردة هلموا إلى عرض الرحمن (لا عوج له) أى لا عوج لهم عن دعائه ولا يتبعون عنه يمينا ولا شمالا بل يتبعونه سراعا (وخشعت الأصوات للرحمن) يعنى سكنت وذلت وخضعت ووصفت والمراد به أصحاب الأصوات وقيل خضعت الأصوات من شدة القزع (فلا تسمع إلا همسا)

صفيصفا) يعنى أرضا ملساء مستوية لأنبات فيها والقاع ما انبسط من الأرض والصفيصف وهو

الأملس (لا ترى فيها عوجا ولا أمنا) قال مجاهد انخفاضا وارتفاعا وقال الحسن العوج ما انحط من الأرض والأمت ما نشز من الروابي يعنى لا ترى واديا ولا راية قال قتادة لا ترى فيها صدعا ولا أكمة (يومئذ يتبعون الداعى) أى صوت الداعى الذى يدعوهم إلى موقف القيامة وهو إسرافيل وذلك أنه يضع الصور فى فيه ويقول أيتها العظام البالية والجلود المتمزقة واللحوم المنفردة هلموا إلى عرض الرحمن (لا عوج له) يعنى لدعائه وهو من المقلوب يعنى لا عوج لهم عن دعاء الداعى لا يتبعون عنه يمينا ولا شمالا ولا يتبعون عليه بل يتبعونه سراعا (وخشعت الأصوات للرحمن) يعنى سكنت وذلت وخضعت ووصفت الأصوات بالخشوع والمراد أهلها (فلا تسمع إلا همسا) يعنى صوت ووطء الأقدام إلى المحشر والهمس الصوت الخفى كصوت أخفاف الإبل فى المشى

وقال مجاهد هو تخافت الكلام وحفض الصوت وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال تحريك الشفاه من غير منطوق (بومثل
لا تنفع الشفاعة) يعني لا تنفع الشفاعة أحدا من الناس (إلا من أذن له الرحمن) يعني إلا من أذن الله له أن يشفع (ورضى له قولا)
يعني ورضى قوله قال ابن عباس يعني قال لا إله إلا الله وهذا يدل على أنه لا يشفع غير المؤمن (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم)
الكناية راجعة إلى الذين يتبعون الداعي أي يعلم ما بين أيديهم ما قدموا وما خلفهم وما خلفوا من أمر الدنيا وقيل ما بين أيديهم من
الآخرة وما خلفهم من الأعمال (ولا يحيطون به علما) قيل الكتابة ترجع (٢٨١) إلى ما أي هو يعلم ما بين أيديهم وما

خلفهم وهم لا يعلمونه
وقيل الكناية راجعة إلى
الله لأن عباده لا يحيطون
به علما (وعنت الوجوه
للحي القيوم) أي ذلت
وخضعت ومنه قيل
للأسير عان وقال طاق
ابن حبيب هو السجود
على الجهة للحي القيوم
(وقد خاب من حمل
ظلما) قال ابن عباس
خسر من أشرك بالله
والظلم هو الشرك (ومن
يعمل من الصالحات وهو
مؤمن فلا يخاف) قرأ ابن
كثير فلا يخاف مجزوما على
النهي جوابا لقوله تعالى
ومن يعمل هودا وقرأ الآخرون
فلا يخاف مرفوعا على
الخبر (ظلما ولا هضما)
قال ابن عباس لا يخاف
أن يزداد على سيئاته ولا
أن ينقص من حسناته
وقال الحسن لا ينقص من
ثواب حسناته ولا يحمل

وهو الصوت الخفي قال ابن عباس هو تحريك الشفاه من غير نطق وقيل أراد بالهس صوت
وطء الأقدام إلى الخشر كصوت أخفاف الإبل (بومثل لا تنفع الشفاعة) لأحد من الناس
(إلا من أذن له الرحمن) يعني إلا من أذن له أن يشفع (ورضى له قولا) قال ابن عباس يعني
قال لا إله إلا الله وفيه دليل على أنه لا يشفع غير المؤمن وقيل إن درجة الشفيع درجة عظيمة
فهي لا تحصل إلا من أذن الله له فيها وكان عند الله مرضيا (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم)
قيل الكناية راجعة إلى الذين يتبعون الداعي أي يعلم الله ما قدموا وما خلفوا من الأعمال وما خلفوا من
الدنيا وقيل التفسير يرجع إلى من أذن له الرحمن وهو الشافع والمعنى لا تنفع الشفاعة إلا لمن
أذن له الرحمن أن يشفع ثم قال يعلم ما بين أيديهم أي أيدي الشافعين وما خلفهم (ولا يحيطون
به علما) قيل الكناية ترجع إلى ما أي هو يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم وهم لا يعلمونه والمعنى
أن العباد لا يحيطون بما بين أيديهم وما خلفهم علما وقيل الكناية راجعة إلى الله تعالى أي
ولا يحيطون بالله علما (وعنت الوجوه) يعني ذلت وخضعت في ذلك اليوم ويصير الملك والقهر
لله تعالى دون غيره وذكر الوجوه وأراد بها المكلمين لأن عنت من صفات المكلمين لأن
صفات الوجوه وإنما خص الوجوه بالذكر لأن الخضوع لها يتبين وفيها يظهر وقوله تعالى
(للحي القيوم) تقدم تفسيره (وقد خاب من حمل ظلما) قال ابن عباس خسر من أشرك
بالله (ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما) قال ابن عباس معناه
لا يخاف أن يزداد على سيئاته ولا ينقص من حسناته وقيل لا يؤخذ بذنب لم يعمله ولا تبطل عنه
حسنة عملها قوله تعالى (وكذلك أنزلناه) أي كما بينا في هذه السورة أو هذه الآية المضمنة
للوعد أنزلنا القرآن كله كذلك وقوله (قرآنا عربيا) أي لسان العرب ليفقهون ويفقهوا على
إعجازه وحسن نظمه وخروجه عن كلام البشر (وصرفنا فيه من الوعيد) أي كررنا وقصصنا
القول فيه بذكر الوعيد ويدخل تحت الوعيد بيان الفرائض والحارم لأن الوعيد ما يتعلق
بتكريمه وتصريفه يقتضى بيان الأحكام فلذلك قال تعالى (لعلهم يتقون) أي يجتنبون الشرك
والحارم وترك الواجبات (أو يحدث لهم ذكرا) أي إنما أنزلنا القرآن ليصبروا متقين مجتنبين
ملاييني ويحدث لهم القرآن ذكرا يرغهم في الطاعات وفعل ما ينبغي وقيل معناه يود لهم
القرآن عبرة وعظة فيعتبرون ويتعظون بذكر عقاب الله الأمم السالفة قوله تعالى (فتعالى الله
الملك الحق) أي جل الله وعظم عن إلحاد الملحدين وعماقوله المشركون والجاحدون وقيل
فيه تنبيه على ما يلزم خلقه من تعظيمه وتعجيله وقيل إنما وصف نفسه بالملك الحق لأن ملكه
لا يزول ولا يتغير وليس يستفاد من قبل الغير ولا غيره أولى به منه (ولا تعجل بالقرآن)

(٣٦ - خازن بالعبوي - رابع)

عليه ذنب مستحق وقال الضحاك لا يؤخذ بذنب لم يعمله
ولا تبطل حسنة عملها وأصل المضمع النقص والكسر ومنه هضم الطعام (وكذلك) أي كما بينا في هذه السورة (أنزلناه) يعني أنزلنا
هذا الكتاب (قرآنا عربيا) يعني بلسان العرب (وصرفنا) يعني بينا (فيه من الوعيد) أي صرفنا القول فيه ، بذكر
الوعيد (لعلهم يتقون) أي يجتنبون الشرك (أو يحدث لهم ذكرا) أي يحدث لهم القرآن عبرة وعظة فيعتبروا ويتعظوا بذكر عقاب
الله للأنام الخالية (فتعالى الله الملك الحق) جل الله عن إلحاد الملحدين وعماقوله المشركون (ولا تعجل بالقرآن) أراد أن النبي ﷺ
كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادر فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة مخافة الانقلاط والنسيان فيها الله

عن ذلك وقال ولا تعجل بالقرآن أي لاتعجل بقراءته (من قبل أن يقضى إليك وحيه) أي من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلان نظيره قوله تعالى «لا تحرك به لسانك لتعجل به» وقرأ يعقوب نقضى بالنون وفتحها وكسر الصاد وفتح الياء وحيه بالنصب ، وقال مجاهد وقتادة معناه لا تقرئه أصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معانيه (وقل رب زدني علما) يعني بالقرآن ومعانيه وقيل علما إلى ما علمت وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية قال اللهم زدني إيمانا وبقينا قوله تعالى (ولقد عهدنا إلى آدم من قبل) يعني أمرناه وأوحينا إليه أن لا يأكل من (٢٨٢) الشجرة من قبل هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الإيمان بي وهم الذين

ذكرهم الله في قوله تعالى «لعلهم يتقون» (فنسى) فترك الأمر والمعنى أنهم نقضوا العهد فان آدم أيضا عهدنا إليه فنسى (ولم نجد له عزما) قال الحسن لم نجد له صبرا عما نهى الله عنه وقال عطية العوفي حفظا لما أمر به وقال ابن قتبية وأيا معزوما حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأنى أن يسجد له والعزم في اللغة هو توطيئ النفس على الفعل قال أبو أمامة الباهلي لو وزن حلم آدم بحلم جميع ولده لرجح حلمه وقد قال الله ولم نجد له عزما فان قيل أتقنوا إن آدم كان ناسيا لأمر الله حين أكل من الشجرة قيل يجوز أن يكون نسي أمره ولم يكن النسيان في ذلك الوقت مرفوعا عن الإنسان بل كان مؤاخذا به وإنما رفع عنا وقيل

أراد النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه جبريل بالقرآن يبادره فيقرأ معه قبل أن يفرغ جبريل مما يريد من التلاوة مخافة الانقلاط أو النسيان فهذه الله تعالى عن ذلك فقال تعالى «ولا تعجل بالقرآن» أي ولا تعجل بقراءته (من قبل أن يقضى إليك وحيه) أي من قبل أن يفرغ جبريل من الإبلان وقيل معناه لا تقرئه أصحابك ولا تمله عليهم حتى يتبين لك معناه (وقل رب زدني علما) فيه التواضع والشكر لله والمعنى زدني علما إلى ما علمت فان لك في كل شيء علما وحكمة قيل ما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم وكان ابن مسعود إذا قرأ هذه الآية يقول اللهم زدني علما وإيمانا وبقينا قوله عز وجل (ولقد عهدنا إلى آدم) يعني أمرناه وأوحينا إليه أن لا يأكل من الشجرة (من قبل) أي من هؤلاء الذين نقضوا عهدي وتركوا الإيمان بي وهم الذين ذكرهم الله تعالى في قوله تعالى «لعلهم يتقون» (فنسى) أي فترك ما عهدنا إليه من الاحتراز عن أكل هذه الشجرة وأكل منها وقيل أراد النسيان الذي هو ضد الذكر (ولم نجد له عزما) أي صبرا عما نهى عنه وحفظا لما أمر به وقيل معناه لم نجد له رأيا معزوما حيث أطاع عدوه إبليس الذي حسده وأنى أن يسجد له وقيل معناه لم نجد له عزما على المقام على المعصية فيكون إلى المدح أقرب قوله عز وجل (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى) أن يسجد (فقلنا يا آدم إن هذا) أي إبليس (عدو لك ولزوجك) أي حواء وسبب العداوة ما رأى من آثار نعمة الله على آدم فحسده فصار عدوا له (فلا يخرجكما من الجنة فتشقى) أسندا لخروج إليه وإن كان الله تعالى هو المخرج لأنه لما كان يومئذ وفعل آدم ما يترتب عليه الخروج صح ذلك ومعنى تشقى تعب وتنصب ويكون عيشك من كد عيبتك بعرق جبينك وهو الحرث والزرع والحصد والطحن والخبز قيل أهبط إلى آدم نور أحمر فكان يحرق عليه ويمسح العرق عن جبينه فكان ذلك شقاؤه فان قلت لم أسند الشقاء إلى آدم دون حواء قلت فيه وجهان أحدهما أن في ضمن شقاء الرجل شقاء أهله كما أن في سعاده سعادهم لأنه التقم عليهم الثاني إنه أريد بالشقاء التعب في طلب القوت وذلك على الرجل دون المرأة لأن الرجل هو الساعي على زوجته (إن لك أن لا تجوع فيها) يعني الجنة (ولا تعرى وأنت لا تعلم فيها) أي تعطش (ولا تضحي) أي تبرز للشمس فيؤذ بك حرها لأنه ليس في الجنة شمس وأهلها في ظل ممدود والمعنى أن الشبع والرئ والكسوة والكن هي الأمور التي يدور عليها كفاف الإنسان فذكر الله تعالى

نسي عتوبة الله وظن أنه نهاه نزيها قوله تعالى (وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى) حصول أن يسجد (فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك) حواء (فلا يخرجكما من الجنة فتشقى) يعني تعب وتنصب ويكون عيشك من كد عيبتك بعرق جبينك قال السدي يعني الحرث والزرع والحصيد والطحن والخبز وعن سعيد بن جبير قال أهبط إلى آدم نورا أحمر فكان يحرق عليه ويمسح العرق عن جبينه فذلك شقاؤه ولم يقل فتشقى رجوعا به إلى آدم لأن تعب أكثر من أن الرجل هو الساعي على زوجته وقيل لأجل رموس الآية (إن لك أن لا تجوع فيها) أي في الجنة (ولا تعرى وأنت) قرأ نافع وأبو بكر بكسر الألف على الاستئناف وقرأ الآخرون بالفتح نسفا على قوله ألا تجوع فيها (لا تعلم فيها) لا تعطش (فيها ولا تضحي) يعني

لا تبرؤ للشمس فيؤذيك حرها وقال عكرمة لاتصيبك الشمس وأذاها (٢٨٣) لأنه ليس في الجنة شمس ،

وأهلها في ظل ممدود

(أوسوس إليه الشيطان

قال يا آدم هل أدلك على

شجرة الخلد) يعني على

شجرة إن أكلت منها

بقيت مخلدا (وملاك

لايلي) لايبعد ولا يفتني

(فأكلها) يعني آدم

وحواء عليهما السلام

(منها فبدت لهما مسواتهما

وطفقا يخصفان عليهما

من ورق الجنة وعصى

آدم ربه) بأكل الشجرة

(ففتوى) يعني فعل مالم

يكن له فعله وقيل أخطأ

طريق الحق وفضل حيث

طلب الخلد بأكل ما نهى

عن أكله فخاب ولم

ينل مراده وقال ابن

الأعرابي أي فسد عليه

عيشه وصار من العزلى

الذل ومن الراحة إلى

التعب قال ابن قتيبة

يجوز أن يقال عصي آدم

ولا يجوز أن يقال آدم

عاص لأنه إنما يقال

عاص لمن اعتاد فعل

المعصية كالرجل يخطئ

ثوبه يقال خطئ ثوبه

ولا يقال هو خطئ حتى

يعاود ذلك ويعتاده حدثنا

أبو الفضل زياد بن

محمد الحنفى أنا أبو معاذ

الشاه عبد الرحمن المزني

حصول هذه الأشياء في الجنة وإلا يمكن لا يحتاج إلى كفاية كاف ولا إلى كسب كاسب كما يحتاج إليه أهل الدنيا (فوسوس إليه الشيطان) أي أسهى إليه الوسوسة فأسر إليه ثم بين تلك الوسوسة ما هي فقال (قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد) أي على الشجرة التي إن أكلت منها بقيت مخلدا (وملاك لايلي) أي لايبعد ولا يفتني وغبته في دوام الراحة فكان الشيء الذي رغب الله فيه آدم رغبه لمليس فيه إلا أن الله تعالى وقف ذلك على الاحتراز عن تلك الشجرة ولإبليس وقته على الإقدام عليها وآدم مع كمال علمه بأن الله تعالى هو خالقه وربّه ومولاه وناصره وإبليس هو عدوه أعرض عن قول الله تعالى ولم يرد المخالفة ومن تأمل هذا السر عرف أنه لا دفع لقضاء الله ولا مانع له منه . وقوله تعالى (فأكل منها) يعني أكل آدم وحواء من الشجرة (فبدت لهما مسواتهما) أي عريا من الثياب التي كانت عليهما حتى بدت فروجهما وظهرت عورتاهما (وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة) أي يازفان بسواتهما من ورق التين (وعصى آدم ربه) أي بأكل الشجرة (ففتوى) أي فعل مالم يكن له فعله وقيل أخطأ طريق الحق وفضل حيث طلب الخلد بأكل ما نهى عنه فخاب ولم ينل مراده وصار من العزلى الذل ومن الراحة إلى التعب قال ابن قتيبة يجوز أن يقال عصي آدم ولا يجوز أن يقال آدم عاص لأنه إنما يقال لمن اعتاد فعل المعصية كالرجل يخطئ ثوبه يقال خطئ ثوبه ولا يقال هو خطئ حتى يعاود ذلك ويعتاده حدثنا مراراً ويعتاده (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا أخرجتنا من الجنة فقال له آدم أنت يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أفأومني على أمر قدره الله تعالى على قبل أن يخلقني بأربعين عاما فحج آدم موسى وفي رواية لمسلم وقال آدم بكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين سنة قال فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه ففتوى قال له نعم قال فهل تلومني على أن علمت علمك الله على أن أعمله قبل أن يخلقني بأربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى . (الكلام على معنى الحديث وشرحه)

قوله احتج آدم وموسى الحاجة المحادلة والخاصة يقال حاججت فلانا فحججته أي جادته فغلبته قال أوسايل الخطابي قد يحسب كثير من الناس أن معنى القدر والقضاء من الله تعالى على معنى الإيجاب والقهر للعبد على ما قضاه وقدره ويتوهم أن قوله فحج آدم موسى من هنا الوجه وليس كذلك وإنما معناه الإخبار عن تقدم علم الله بما يكون من أفعال العباد وإكسابهم وصدورها عن تقدير منه وخلقها خيرا وشرها والقدر اسم لما صدر مقدرا عن فعل القادر والقضاء في هذا معناه الخلق وإذا كان الأمر كذلك فقد بقي عليهم من وراء علم الله فيهم أفعالهم وأكسابهم ومباشرتهم الأمور وملاستهم إياها عن قصد وتعمد وتقدم إرادة واختيار فالحجة إنما تلزمهم بها واللائمة تلحقهم عليها وجماع القول في هذا أنها أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر لأن أحدهما بمنزلة الأساس والآخر بمنزلة البناء فمن رام الفصل بينهما فقد رام هدم البناء وتقضه وإنما موضع الحججة لآدم على موسى أن الله تعالى كان قد علم من آدم أنه يتناول الشجرة ويأكل منها فكيف يمكنه أن يرد علم الله فيه وأن يبطله بعد ذلك وإنما كان تناوله الشجرة سببا لتزوله إلى الأرض التي خلق لها وإنما أدلى آدم بالحجة على هذا المعنى ودفع لائمة موسى عن نفسه ولذلك قال أتلو مني على أمر قدره الله على من قبل أن يخلقني .

أنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري ببغداد أنا بوئمن بن عبد الأعلى الصدقي أنا سفيان بن عيينة بن عمرو بن دينار

(فصل : في بيان عصمة الأنبياء وما قيل في ذلك)

قال الإمام فخر الدين الرازي اختلف الناس في عصمة الأنبياء وضبط القول فيها برجع إلى أقسام أربعة : أحدها ما يقع في باب الاعتقاد وهو اعتقاد الكفر والفساد فان ذلك غير جائز عليهم . الثاني ما يتعلق بالتبليغ فقد أجمعت الأمة على كونهم معصومين عن الكذب مواظبين على التبليغ والتحريض وإلا لارتفع الوثوق بالأداء واتفقوا على أن ذلك لا يجوز وقوعه منهم عمدا ولا سهواً ومن الناس من جوز ذلك سهواً قالوا لأن الاحتراز عنه غير ممكن الثالث ما يتعلق بالفتيا فأجمعوا على أنه لا يجوز خطوهم فيها على سبيل العمد وأجازة بعضهم على سبيل السهو الرابع ما يقع في أفعالهم فقد اختلفت الأمة فيها على خمسة أقوال أحدها قول من جوز عليهم الكبائر الثاني قول من منع من الكبائر وجوز الصغائر على جهة العمد وهو قول أكثر المعتزلة الثالث لا يجوز أن يأتوا بصغيرة ولا كبيرة البتة بل على جهة التأويل وهو قول الجبائي الرابع أنه لا يقع منهم الذنب إلا على جهة السهو والخطأ الخامس أنه لا يقع منهم لا كبيرة ولا صغيرة لا على سبيل العمد ولا على سبيل السهو ولا على سبيل التأويل وهو قول الشيعة واختلف الناس في وقت العصمة على ثلاثة أقوال أحدها قول من ذهب إلى أنهم معصومون من حين وقت الولادة وهو قول الشيعة الثاني قول من ذهب إلى عصمتهم من وقت بلوغهم وهو قول أكثر المعتزلة الثالث قول من ذهب إلى أن ذلك لا يجوز منهم بعد النبوة وهو قول أكثر أصحابنا وأبي الهذيل وأبي علي من المعتزلة قال الإمام واختار عندنا أنه لم يصدر عنهم ذنب لا صغيرة ولا كبيرة من حين جاءتهم النبوة وبدل عليه وجوه أحدها لو صدر الذنب عنهم لكانوا أقل درجة من أحد الأمة وذلك غير جائز لأن درجة الأنبياء غاية في الرفعة والشرف الثاني لو صدر منه وجب أن لا يكون مقبول الشهادة فكان أقل حالا من عدول الأمة وذلك غير جائز أيضا لأن معنى النبوة والرسالة هو أنه يشهد على الله أنه شرع هذا الحكم وأيضا فإنه يوم القيامة شاهد على الكل الثالث لو صدر من النبي ذنب وجب الاعتداء به فيه وذلك محال الرابع ثبت بيديه العقل أنه لا شيء أقبح ممن رفع الله درجته واتممه على وحيه وحمله خليفته في عبادته وبلاده بسمع ربه بباديه لا تفعل كذا فيقدم عليه ويفعله ترجيحاً لرضاه واجتمعت الأمة على أن الأنبياء كانوا يأمرون الناس بطاعة الله فلو لم يطيعوه لدخلوا تحت قوله «أنا أمرت الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون» وقال «وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه» الخامس قال الله تعالى «إنهم كانوا يسارعون في الخيرات» ولفظه للعموم فيتناول الكل وبدل على فعل ما ينبغي فعله وترك ما ينبغي تركه فثبت أن الأنبياء كانوا أفاعلين لكل خير وتاركين لكل منهي وذلك يتناقض صدور الذنب عنهم السادس قال الله تعالى «الله يصطفى من الملائكة رسلا» ومن الناس إن الله سميع بصير» وقال تعالى «إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين» وقال تعالى في حق موسى «إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي» وقال تعالى «وإذ ذكر عبادنا إبراهيم وإسماعيل ويعقوب أول الأيدي والأبواب إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وإناهم عندنا لمن المصطفين الأخيار» وغير ذلك من الآيات التي تدل على كونهم موصوفين بالإصطفاء والخيرة وذلك يتناقض صدور الذنب عنهم وذكر غير ذلك من الوجوه . قال وأما الخالف فقد تمسك

عن طاوس سمع أبا هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «احتج آدم وموسى فقال موسى يا آدم أنت أبونا وأخرجتنا من الجنة فقال آدم يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده أفلمنني على أمر قدره الله على قبل أن يخلقني بأربعين سنة فحج آدم موسى» ورواه عبد الرحمن الأعرج عن أبي هريرة وزاد «قال آدم يا موسى بكم وجدت الله كتب التوراة قبل أن أخلق قال موسى بأربعين عاما قال آدم فهل وجدت فيها وعصى آدم ربه فنوى قال نعم قال أفلمنني على أن عملت عملا كتبه الله على أن يخلقني بأربعين سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فحج آدم موسى»

(ثم اجتهاد ربه) اختاره واصطفاه (فتاب عليه) بالعفو (وهدى) هداه الى (٢٨٥) التوبة حتى وقال رينا ظمنا أنفسنا

(قال ابطا منها جميعا
بعضكم لبعض عدوا فاما
ياأيديكم مني هدى فن
اتبع هداي) يعني الكتاب
والرسول (فلا يضل
ولا يشقى) روى سعيد
ابن جبير عن ابن عباس
قال من قرأ القرآن واتبع
ما فيه هداه الله في الدنيا
من الضلالة ووقاه الله
يوم القيامة سوء الحساب
وذلك بأن الله يقول
فن اتبع هداي فلا
يضل ولا يشقى وقال
الشمسي عن ابن عباس
أجاز الله تعالى تابع
القرآن من أن يضل
في الدنيا ويشقى في
الآخرة وقرأ هذه الآية
(ومن أعرض عن
ذكرى) يعني القرآن فلم
يؤمن به ولم يتبه (فان
له معيشة ضنكا) ضيقا
روى عن ابن مسعود
وأبي هريرة وأبي سعيد
الخدري أنهم قالوا هو
عذاب القبر قال
أبو سعيد يضطرب حتى
تختلف أضلاعه وفي بعض
المسانيد مرفوعا بلتم
عليه القبر حتى تختلف
أضلاعه فلا يزال
يعذب حتى يبعث
وقال الحسن هو

بآيات منها قصة آدم هذه والجواب عنها أن نقول إن كلامهم إنما يتم أن لو بينوا بالدلالة أن
ذلك كان حال النبوة وذلك ممنوع ولم لا يجوز أن يقال إن آدم حال ما صدرت عنه هذه الأشياء
ما كان نبيا وإن هذه الواقعة كانت قبل النبوة وإن الله تعالى قبل توبته وشرفه بالنبوة والرسالة
وقال القاضي عياض وأما قصة آدم وقوله وعصى آدم ربه فغوى أي جهل وقيل أخطأ فقد
أخبر الله تعالى بعذره في قوله ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فغوى ولم نجد له عزما أي نسي عداوة
إبليس له ومعهد الله إليه وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنه اغتر بحلف إبليس له إلى لكما
لمن الناصحين وتوهم أن أحدا لا يحلف بالله كاذبا وقيل نسي ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد
له عزما أي قصدا للمخالفة وقيل بل أكل من الشجرة متأولا وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نهي عنها لأنه
تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لأعلى الجنس ولهذا قيل إنما كانت التوبة من ترك الاحتفظ لامن
المخالفة وقيل تأول أن الله تعالى لم ينه نهي تحريم . فان قلت إذا نفيت عنهم الذنوب والمعاصي
فما معنى قوله وعصى آدم ربه فغوى ، وما تكرر في القرآن والحديث من اعتراف الأنبياء بذنوبهم
وتوبتهم واستغفارهم وإشفاقهم وبكثرتهم على ما سلف منهم وهل يتوب ويستغفر من لا شيء
عليه . قلت إن درجة الأنبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في عبادته وعظيم سلطانه
وقوة بطشه ما يحلمهم على الخوف منه جل جلاله والإشفاق من المؤخدة بما لا يؤاخذ به
غيرهم وانهم في تصرفهم بأمر لم ينهوا عنها ولم يؤمروا بها وآثروا على وجه التأويل أو السهو
وتزيدوا من أمور الدنيا المباحة أو أخذوا عليها وعوتبوا بسببها أو حذروا من المؤاخذة بها فهم
خائفون وجلون وهي ذنوب بالإضافة إلى علو منصبهم ومعاص بالنسبة إلى كمال طاعتهم
لأنها ذنوب كلفهم غيرهم ومعاصهم كان هذا أدنى أفعالهم وأسوأ ما يجري من أحوالهم كما
قيل - سنات الأبرار سيئات للمقربين أي يرونها بالإضافة إلى علو أحوالهم كاسيئات وسنذكر
في كل موضع ما يليق به وما قيل فيه إن شاء الله تعالى . قوله عز وجل (ثم اجتهاد ربه) أي
اختاره واصطفاه (فتاب عليه) أي عاد عليه بالعفو والمغفرة (وهدى) أي هداه لرشده حتى
رجع إلى الندم والاستغفار (قال ابطا منها جميعا) قيل الخطاب لآدم ومعه ذريته وإبليس
ومعه ذريته فصح قوله ابطا لاشتغال كل واحد من الجنسين على الكثرة وقيل الخطاب لآدم
وحواء لأنهما أصل البشر فجاءا كأنهما البشر فخطوطيا بلفظ الجمع (بعضكم لبعض عدو)
وقيل في تقوية هذا الظاهر حقه أن يكون إبليس والشياطين أعداء الناس ومحمّل أن يكون
بعض الفريقين لبعض عدوا (فاما ياأيديكم مني هدى) أي كتاب ورسول (فن اتبع هدى)
أي الكتاب والرسول (فلا يضل ولا يشقى) قال ابن عباس من قرأ القرآن واتبع ما فيه هداه
الله من الضلالة ووقاه يوم القيامة سوء الحساب وذلك لأن الله تعالى يقول فن اتبع هداي
فلا يضل أي في الدنيا ولا يشقى أي في الآخرة (ومن أعرض عن ذكرى) يعني القرآن فلم يؤمن
به ولم يتبه (فان له معيشة ضنكا) روى عن ابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري رضي
الله عنهم أنهم قالوا هو عذاب القبر قال أبو سعيد يضطرب في القبر حتى تختلف أضلاعه وفي
بعض المسانيد مرفوعا بلتم عليه القبر حتى تختلف أضلاعه فلا يزال يعذب حتى يبعث وقيل
هو الزقوم والضريع والغسلين في النار وقيل هو الحرام والكسب الخبيث وقال ابن عباس
الشقاء وعنه قال كل ما أعطى العبد قبل أم كثر فلم يتقى فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة

الزقوم والضريع والغسلين في النار وقال عكرمة هو الحرام وقال الضحاك هو الكسب الخبيث . وعن ابن عباس قال الشقاء

رروي عنه انه قال كل مال اعطى العبد قل أم كثر فلم يتق فيه فلا خير فيه وهو الضنك في المعيشة وإن أقواما عرضوا عن الحق وكانوا أولى سعة من الدنيا مكثرين فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم يرون الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معاشتهم من سوء ظنهم بالله قال سعيد بن جبير يسأله القناعة حتى لا يشيع (ونحشره يوم القيامة أعمى) قال ابن عباس أعمى البصر وقال مجاهد أعمى عن الحججة (قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا) بالعين أو بصيرا بالحجة (قال كذلك) أي كما (أنتك آياتنا نفسيها) فتركها وأعرضت عنها (وكذلك اليوم تنسى) تترك في النار قال قتادة نسوا من الخير ولم يتسوا من العذاب (وكذلك) أي وكما جزينا من أعرض عن القرآن كذلك (نجزي من أسرف) أشرك (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد) مما يعذبهم به في الدنيا والقبر (وأبقي) وأدوم (٢٨٦) (أفلم يهد لهم) يبين لهم القرآن يعني كفار مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون

بمشون في مساكنهم) ديارهم ومنازلهم إذا سافروا والخطاب لقريش كانوا يسافرون إلى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر ثمود وقريبات قوم لوط (إن في ذلك لآيات لأولى النهى) للنوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى) فيه تقديم وتأخير تقديره ولو لا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى لكان لزاما والكلمة الحكم بتأخير العذاب عنهم أي ولو لا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم وأجل مسمى وهو القيامة لكان لزاما أي لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة (فأصبر على

وإن قوما عرضوا عن الحق وكانوا أولى سعة من الدنيا مكثرين منها فكانت معيشتهم ضنكا وذلك أنهم يرون أن الله ليس بمخلف لهم فاشتدت عليهم معاشتهم من سوء ظنهم بالله تعالى وقيل بسبب القناعة حتى لا يشيع (ونحشره يوم القيامة أعمى) قال ابن عباس أعمى البصر بالحجة (قال كذلك) يعني كما (أنتك آياتنا نفسيها) يعني فطردناها وأعرضت عنها (وكذلك اليوم تنسى) يعني تترك في النار وقيل نسوا من الخير والرحمة ولم يتسوا من العذاب (وكذلك نجزي من أسرف) يعني كما جزينا من أعرض عن القرآن كذلك نجزي من أسرف أي أشرك (ولم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد) يعني مما يعذبهم الله به في الدنيا والقبر (وأبقي) يعني وأدوم قوله تعالى (أفلم يهد لهم) يعني أفلم يبين لهم القرآن لكفار مكة (كم أهلكنا قبلهم من القرون بمشون في مساكنهم) يعني في ديارهم ومنازلهم إذا سافروا وذلك أن قريشا كانوا يسافرون إلى الشام فيرون ديار المهلكين من أصحاب الحجر وهم ثمود وقريبات قوم لوط (إن في ذلك لآيات لأولى النهى) أي للنوى العقول (ولولا كلمة سبقت من ربك) أي ولو لا حكم سبق بتأخير العذاب عنهم (لكان لزاما وأجل مسمى) تقديره ولو لا كلمة سبقت من ربك وأجل مسمى وهو القيامة لكان العذاب لازما لهم في الدنيا كما لزم القرون الماضية الكافرة (فأصبر على ما يقولون) نسختها آية السيف (وسبح بحمد ربك) أي صل بأمر ربك (قبل طلوع الشمس) يعني صلاة الفجر (وقبل غروبها) أي صلاة العصر (ومن آتاء الليل) أي من ساعاته (فسبح) يعني فصل المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد أول الليل (وأطراف النهار) يعني صلاة الظهر سمى وقت الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال وهو طرف النصف الأول انتهاه وطرف النصف الآخر ابتداء (لعلك ترضى) أي ترضى ثوابه في المعاد وقيل معناه لعلك ترضى بالشفاعة وقريء ترضى بضم التاء أي تعطى ثوابه وقيل يرضاك ربك (ق) عن جرير بن عبد الله قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر وقال إنكم سترون ربكم عيانا كما

ما يقولون) نسختها آية القتال (وسبح بحمد ربك) أي صل بأمر ربك، وقيل صل لله بالحمدلة والثناء عليه (قبل طلوع الشمس) يعني صلاة الصبح (وقبل غروبها) صلاة العصر (ومن آتاء الليل) ساعاته واحدها (فأصبر) يعني صلاة المغرب والعشاء قال ابن عباس يريد أول الليل (وأطراف النهار) يعني صلاة الظهر وسمى وقت الظهر أطراف النهار لأن وقته عند الزوال وهو النصف الأول انتهاه وطرف النصف الآخر ابتداء وقيل المراد من آتاء الليل صلاة العشاء ومن أطراف النهار صلاة الظهر والمغرب لأن الظهر في آخر الطرف الأول من النهار وفي أول الطرف الآخر من النهار فهو في طرفين منه والطرف الثالث غروب الشمس ومنه ذلك يصل المغرب (لعلك ترضى) أي ترضى ثوابه في المعاد وقرا الكسائي وأبو بكر عن عاصم ترضى بضم التاء أي تعطى ثوابه وقيل ترضى أي يرضاك الله تعالى كما قال وكان عند ربه مرضيا وقيل معنى الآية لعلك ترضى بالشفاعة كما قال واسوف يعطيك ربك فترضى وأخيرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الخطيب الحميدي أنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله

الحافظ أنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني إملاء أنا إبراهيم بن عبد الله السعدي أنا يزيد بن هرون أنا إسماعيل بن أبي خالد
 عن قيس بن أبي حازم عن جرير بن عبد الله قال كنا جواسعاً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر إلى القمر ليلة البدر فقال
 إنكم سنرون ربكم كما ترون هذا القمر لانضمامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
 فافعلوا ثم قرأ وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها قوله تعالى (ولا تمدن عينيك) قال أبو رافع أنزل رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ضيف فبني إلى يهودى فقال لي قل له إن رسول الله يقول لك بعني كذا وكذا من الدقيق وأسلفني إلى هلال
 رجب فأنتبه فقلت له ذلك فقال والله لا أبيع ولا أسلفه إلا برهن فأنتبه (٢٨٧) رسول الله صلى الله عليه وسلم

فأخبرته فقال والله لئن
 باعني وأسلفني لقضيته
 وإني لأمن في السماء
 وأمن في الأرض اذهب
 بدرعي الحديد إليه فزلت
 هذه الآية ولا تمدن عينيك
 لا تنظر (إلى ما معناه)
 أعطيتنا (أزواجاً) أصنافاً
 (منهم زهرة الحياة الدنيا)
 أي زينتها وبهجتها وقرأ
 يعقوب زهرة بفتح الهاء
 وقرأ العامة بحزنها
 (لنفتنهم فيه) أي لنجعل
 ذلك فتنة لهم بأن يزيد
 لهم النعمة فيزيدوا كفراً وطغياناً (ورزق ربك)
 وطغياناً (ورزق ربك)
 في المعاد يعني في الجنة
 (خير وأبقى) قال أبي بن
 كعب من لم يستعز بهز
 الله تقطعت نفسه
 حشرات ومن يتبع
 بصره فيما في أيدي الناس
 يطل حزنه ومن ظن أن
 نعمة الله في مطعمه
 ومشربه وملبسه فقد قل
 عماء وحضر عذابه (وأمر
 أهلك بالصلاة) أي قومك

ترون هذا القمر لانضمامون في رؤيته فان استطعتم أن لا تغلبوا عن صلاة قبل طلوع الشمس
 وقبل غروبها قوله لانضمامون بتخفيف الميم من الضيم وهو الغلم والمعنى أنكم ترونه جميعاً
 لا يظلم بعضكم بعضاً في رؤيته وروى بتشديد الميم من الانضمام والاردحام أي لا يزدحم ولا
 ينضم بعضكم إلى بعض في رؤيته والكاف في قوله كما ترون هذا القمر كافت التشبيه للرؤية
 لآله روي في فعل الرائي ومنه ترون ربكم رؤية ينزاح مجها الشك كرويتكم هذا القمر ليلة
 البدر لا ترون فيه ولا تشككون قوله عز وجل (ولا تمدن عينيك) قال أبو رافع أنزل رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ضيف فبني إلى يهودى فقال قل له إن رسول الله يقول بعني
 كذا وكذا من الدقيق أو سلفني إلى هلال رجب فأنتبه فقلت له ذلك فقال والله لا أبيع ولا
 أسلفه إلا برهن فأنتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فقال والله لئن باعني أو أسلفني
 لقضيته إنني لأمن في السماء وأمن في الأرض اذهب بدرعي الحديد إليه فزلت هذه الآية
 ولا تمدن عينيك أي لا تنظر نظراً تكاد تردده استحساناً لا تنظور إليه وإعجاباً به وتمنياً له
 (إلى ما معناه) أي أعطيتنا (أزواجاً) أي أصنافاً (منهم زهرة الحياة الدنيا) أي زينتها وبهجتها
 (لنفتنهم فيه) أي لنجعل ذلك فتنة لهم بأن يزيد النعمة فيزيدوا كفراً وطغياناً (ورزق ربك)
 أي في المعاد في الجنة (خير وأبقى) أي أدام وقال أبي ابن كعب من لم يستعز بهز الله تقطعت
 نفسه حشرات ومن أتبع بصره ما في أيدي الناس يطل حزنه ومن ظن أن نعمة الله عليه
 في مطعمه ومشربه وملبسه فقد قل عمله وحضر عذابه قوله تعالى (وأمر أهلك) أي قومك
 وقيل من كان على دينك (بالصلاة) يعني بالمحافظة عليها (واصطبر عليها) يعني اصبر على الصلاة
 فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل اصبر عليها فعلاً فإن الوعظ بلسان الفعل أبلغ منه بلسان
 القول (لانسألك رزقاً) أي لا تكلفك أن ترزق أحداً من خلقنا ولا أن ترزق نفسك بل تكلفك
 عملاً (نحن نرزقك) أي بل نحن نرزقك ونرزق أهلك (والعاقبة للمتقون) أي الخصلة المحمودة
 لأهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك وآمنوا بك وفي بعض المسانيد أن النبي صلى
 الله عليه وسلم كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية قوله تعالى (وقالوا) يعني
 المشركين (لولا يأتينا بآية من ربه) أي بالآية المقترحة فإنه كان قد أتاهم بآيات كثيرة (أولم تأتئهم
 بيئتنا من قبلنا) أي بيان ما فيها وهو القرآن لأنه أقوى دلالة وأوضح آية وقيل معنى

وقيل من كان على دينك كقولهم تارة وكان يأمر أهله بالصلاة (واصطبر عليها) أي اصبر على الصلاة فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر
 (لانسألك رزقاً) لا تكلفك أن ترزق أحداً من خلقنا ولا أن ترزق نفسك وإنما تكلفك عملاً (نحن نرزقك والعاقبة) الخاتمة
 الجميلة المحمودة (للمتقون) أي لأهل التقوى قال ابن عباس الذين صدقوك واتبعوك واتقون وفي بعض المسانيد أن النبي
 صلى الله عليه وسلم كان إذا أصاب أهله ضر أمرهم بالصلاة وتلا هذه الآية قوله تعالى (وقالوا) يعني المشركين (لولا يأتينا بآية
 من ربه) أي الآية المقترحة فإنه كان قد أتاهم بآيات كثيرة (أولم تأتئهم بيئتنا) قرأ أهل المدينة والبصرة وحفص عن عاصم
 تأتئهم لتأنيب البيئتنا وقرأ الآخرون بالياء لتقدم الفعل ولأن البيئتنا هي البيان فرد إلى المعنى بيئتنا (من قبلنا) أي

بيان ما فيها وهو القرآن أقوى دلالة وأوضح آية وقيل أول ما يأتيهم بيان ما في الصحف الأولى التوراة والإنجيل وغيرهما من أنبياء الأمم أنهم اقترحوا الآيات فلما أتتهم ولم يؤمنوا بها كيف عجلنا لهم العذاب والحلاك فما يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك (ولو أنا أهلكتناهم بعذاب من قبله) يعني من قبل إرسال الرسول وإنزال القرآن (لقالوا ربنا لولا هلا (أرسلت إلينا رسولا) يدعوننا أي لقالوا يوم القيامة (فتتبع آياتك من قبل أن نزل ونخزي) بالعذاب والحوان والخرى والافتضاح (قل كل متربص) منتظر دوائر الزمان وذلك أن المشركين قالوا نتربص بمحمد حوادث الدهر فإذا مات تخلصنا قال الله تعالى (فتربصوا) (٢٨٨) فانظروا (فستعلمون) إذا جاء أمر الله وقامت القيامة (من أصحاب

ما في الصحف ما في التوراة والإنجيل وغيرهما من أخبار الأمم أنهم اقترحوا الآيات فلما أتتهم لم يؤمنوا فعجلنا لهم العذاب والحلاك فما يؤمنهم إن أتتهم الآية أن يكون حالهم كحال أولئك وقيل بينة ما في الصحف الأولى هي الإشارة بمحمد صلى الله عليه وسلم ونبوته وبعثه (ولو أنا أهلكتناهم بعذاب من قبله) أي من قبل إرسال الرسل وإنزال القرآن (لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا) أي لقالوا يوم القيامة أولا أرسلت إلينا رسولا يدعوننا (فتتبع آياتك من قبل أن نزل ونخزي) بالعذاب والحوان والافتضاح (قل كل متربص) أي منتظر دوائر الزمان وذلك أن المشركين قالوا نتربص بمحمد ريب المنون وحوادث الدهر فإذا مات تخلصنا قال الله تعالى (فتربصوا) أي فانظروا (فستعلمون) أي إذا جاء أمر الله وقامت القيامة (من أصحاب الصراط السوي) يعني المستقيم (ومن اهتدى) يعني من الضلالة نحن أم أنتم والله أعلم بمراده وأسرار كتابه .

(تفسير سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)

وهي مكية وعدد آياتها مائة واثناعشرة آية وألف ومائة وثمان وستون كلمة وأربعة آلاف وثمانمائة وتسعون حرفا .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (اقرب للناس حسابهم) أي وقت محاسبة الله إياهم على أعمالهم يوم القيامة نزلت في منكري البعث وإنما ذكر الله هذا الاقتراب لما فيه من المصلحة للمكلفين فيكونون أقرب إلى التأهب له والمراد بالناس المحاسبون وهم المكلفون دون غيرهم وقيل هم المشركون وهذا من باب إطلاق اسم الجنس على بعضه (وهم في غفلة معرضون) أي عن التأهب له وقيل معناه أنهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم مع اقتضاء عقولهم أنه لا بد من جزاء الحسن والسيئ ثم إذا نهوا من سنة الغفلة بما يتلى من الآيات والنذر أعرضوا عنه (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكروهم ويعظهم به قال مقاتل يحدث الله الأمر بعد الأمر وقيل الدكر الحديث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواظع سوى ما في القرآن وأضافه إليه لأن الله تعالى قال وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى (إلا استمعوه وهم يلعبون) أي لا يعين لا يعتبرون ولا يتعظون (لاهيته قلوبهم) أي ساهية معرضة غافلة عن ذكر الله (وأسرؤا التجري الذين ظلموا) أي بالغوا في إخفاء

الصراط السوي) المستقيم (ومن اهتدى) من الضلالة نحن أم أنتم (سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مكية وهي مائة واثناعشرة آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (اقرب للناس) قبل اللام بمعنى من يعني اقرب من الناس حسابهم يعني وقت محاسبة الله إياهم على أعمالهم يعني يوم القيامة نزلت في منكري البعث (وهم في غفلة معرضون) عن التأهب له (ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث) يعني ما يحدث الله من تنزيل شيء من القرآن يذكروهم ويعظهم به قال مقاتل يحدث الله الأمر بعد الأمر وقيل الدكر الحديث ما قاله النبي صلى الله عليه وسلم وبينه من السنن والمواظع سوى

التجاسي

القرآن وأضافه إلى الرب عز وجل لأنه قال بأمر الرب (إلا استمعوه

وهم يلعبون) يعني استمعوه لا يعين لا يعتبرون ولا يتعظون (لاهيته) ساهية غافلة (قلوبهم) معرضة عن ذكر الله وقوله لاهية نعت تقدم الاسم ومن حق النعت أن يتبع الاسم ففي الإعراب وإذا تقدم النعت الاسم فإنة حالتان فصل ووصل فحلت في الفصل النصب كقوله تعالى وخشعا أبصارهم ودانية عليهم ظلاله ولاهيته قلوبهم وفي الرسل حالة ما قبله من الإعراب كقوله وربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها (وأسرؤا التجري الذين ظلموا) يعني أشركوا قوله وأسروا فعل تقدم الجمع وكان

عنه وأسر قال الكسائي فيه تقديم وتأخير أراد الذين ظلموا أمتروا الذخوى وقيل محل الدين رفع على الابتداء معناد وأسروا
التجوى ثم قال وهم الذين ظلموا وقيل رفع على البدل من الضمير في أسروا قال المراد هذا كقولك إن الذين في الدار انطلقوا
بنوعيد الله على البدل مما في انطلقوا ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال (هل هذا إلا بشر مثلكم) أنكروا إرسال البشر
وطلبوا إرسال الملائكة (أفتأتون السحر) يعني تحضرون السحر وتقبلونه (وأنتم تبصرون) تعلمون أنه سحر (قال) لهم محمد
(ربي يعلم القول في السماء والأرض) قرأ حمزة والكسائي وحفص قال ربي على الخير عن محمد صلى الله عليه وسلم يعلم القول
في السماء والأرض أي لا يخفى عليه شيء (وهو السميع) لأقوالهم (العليم) بأفعالهم (بل قالوا أضغاث أحلام) أباطيلها وأقويلها
وأهاويلها رأها في النوم (بل افتراه) اختلقه (بل هو شاعر) يعني أن (٢٨٩) المشركين اقتسموا القول فيه وقبها

يقوله قال بعضهم
أضغاث أحلام وقال
بعضهم بل هو قرية
وقال بعضهم بل هو
محمد شاعر وما جاءكم
به شعر (فليأتنا) محمد
(بآية) إن كان صادقا
(كما أرسل الأولون)
من الرسل بالآيات
قال الله تعالى مجيبا لهم
(ما آمنت قلوبهم) أي
قبل مشركي مكة (من قرية)
أي من أهل قرية أمتهم
الآيات (أهلكناهم)
(أفهم يؤمنون) إن
جاءتهم آية معناه أولئك
لم يؤمنوا بالآيات لما أمتهم
أفؤمن هؤلاء (وما
أرسلنا قبلك إلا رجلا
نوحى إليهم) هذا
جواب لقولهم هل هذا
إلا بشر مثلكم يعني
إننا لم نرسل الملائكة إلى

التناجي وهم الذين أشركوا ثم بين سرهم الذي تناجوا به فقال تعالى غير أنهم (هل هذا إلا بشر
مثلكم) يعني أنهم أنكروا إرسال البشر وطلبوا إرسال الملائكة والأولى إرسال البشر إلى البشر
لأن الإنسان إلى القبول من أشكاله أقرب (أفتأتون السحر) يعني تحضرون السحر وتقبلونه
(وأنتم تبصرون) يعني تعلمون أنه سحر (قال) لهم محمد (ربي يعلم القول في السماء والأرض)
يعني لا يخفى عليه شيء (وهو السميع) لأقوالهم (العليم) بأفعالهم . قوله عز وجل (بل قالوا
أضغاث أحلام) يعني أباطيل وأهاويل رأها في النوم (بل افتراه) يعني اختلقه (بل هو شاعر)
وذلك أن المشركين اقتسموا القول في النبي صلى الله عليه وسلم وقبها يقوله فقال بعضهم
أضغاث أحلام وقال بعضهم بل هو قرية وقال بعضهم هو شاعر وما جاءكم به شعر (فليأتنا)
يعني النبي صلى الله عليه وسلم (بآية) يعني بحجة إن كان صادقا (كما أرسل الأولون) أي من
الرسل بالآيات قال الله تعالى مجيبا لهم (ما آمنت قلوبهم) أي قبل مشركي مكة (من قرية) أي
من أهل قرية أمتهم الآيات (أهلكناهم) يعني بالتكذيب (أفهم يؤمنون) يعني إن جاءتهم
آية والمعنى أن أولئك لم يؤمنوا بالآيات لما جاءتهم أفؤمن هؤلاء . قوله تعالى (وما أرسلنا
قبلك إلا رجلا نوحى إليهم) هذا جواب لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم والمعنى إننا لم نرسل
الملائكة إلى الأولين إنما أرسلنا رجلا نوحى إليهم مثلك (فاستلوا أهل الذكر) يعني أهل
التوراة والإنجيل يريد علماء أهل الكتاب فانهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرا وإن أنكروا
نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أمر الله المشركين بسؤال أهل الكتاب لأن المشركين أقرب
إلى تصديقهم من تصديق من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم وقيل أراد بالذكر القرآن يعني
فاستلوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن (إن كنتم لاتعلمون) قوله عز وجل (وما جعلناهم)
أي الرسل (جسدا لا يأكلون الطعام) هذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام والمعنى لم
نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشرا يأكلون الطعام (وما كانوا خالدين) يعني في الدنيا بل يموتون
كغيرهم (ثم صدقناهم الوعد) يعني الذي وعدناهم باهلاك أعدائهم (فأنجيناهم ومن نشاء) يعني
من المؤمنين الذين صدقوهم (وأهلكنا المسرفين) يعني المشركين لأن المشرك مسرف على

(٣٧ - عازن بالبغوى - رابع) الأولين إنما أرسلنا رجلا نوحى إليهم (فاستلوا أهل الذكر) يعني أهل التوراة
والإنجيل يريد علماء أهل الكتاب فانهم لا ينكرون أن الرسل كانوا بشرا وإن أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وأمر
المشركين بمسألتهم لأنهم إلى تصديق من لم يؤمن بالنبي صلى الله عليه وسلم أقرب منهم إلى تصديق من آمن به وقال ابن
زيد أراد بالذكر القرآن أراد فاستلوا المؤمنين العالمين من أهل القرآن (إن كنتم لاتعلمون وما جعلناهم) أي الرسل (جسدا) ولم يقل
أجسادا لأنه اسم الجفلس (لا يأكلون الطعام) هذا رد لقولهم ما لهذا الرسول يأكل الطعام يقول لم نجعل الرسل ملائكة بل
جعلناهم بشرا يأكلون الطعام (وما كانوا خالدين) في الدنيا (ثم صدقناهم الوعد) الذي وعدناهم باهلاك أعدائهم (فأنجيناهم
ومن نشاء) يعني أنجيناهم المؤمنين الذين صدقوهم (وأهلكنا المسرفين) يعني المشركين المعكذبين وكل مشرك مسرف على نفسه

(لقد أنزلنا إليكم تابا) بامعشر قريش (فيه ذكركم) يعني شرفكم كما قال وإنه لذكر لك راقمك وهو شرف من آمن به وقال مجاهد فيه حديثكم وقال الحسن فيه ذكركم أي ذكر ما محتاجون إليه من أمر دينكم (أنا لتعلقون وكم قصصنا) أهلكتنا ، والقصم للكسر (من قرية كانت ظالمة) أي كافرة يعني أهلها (وأثنأنا بعدها) يعني أحدثنا بعد هلاك أهلها (قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا) يعني رأوا عذابنا بحاسة البصر (إذا هم منها يركضون) يعني يسرعون هاربين (لأركضوا) يعني قبل لهم لأركضوا لا يهربوا لا تذهبوا (وارجعوا إلى ما أترفتم فيه) يعني نعمتم به (ومسا كنتم لعلكم تسئلون) قال ابن عباس عن قتل نبيكم وقيل من دنياكم شيئا نزلت هذه الآية (٢٩٠) في أهل حضرموت وهي قرية باليمن وكان أهلها من العرب فبعث الله

نفسه . قوله عز وجل (لقد أنزلنا إليكم) يعني بامعشر قريش (كتابا فيه ذكركم) يعني شرفكم وفخركم وهو شرف لمن آمن به وقيل معناه فيه حديثكم وقيل فيه ذكر ما محتاجون إليه من أمر دينكم وقيل فيه تذكرة لكم لتحذروا فيكون الذكر بمعنى الوعد والوعيد (أنا لتعلقون) فيه بعث على التدبر لأن الخوف من لوازم العقل . قوله تعالى (وكم قصصنا) يعني أهلكتنا (من قرية كانت ظالمة) يعني كافرة والمراد أهل القرية (وأثنأنا بعدها) أي أحدثنا بعد هلاك أهلها (قوما آخرين فلما أحسوا بأسنا) أي عذابنا بحاسة البصر (إذا هم منها يركضون) يعني يسرعون هاربين من قريتهم لما رأوا مقدم العذاب (لأركضوا) يعني قبل لهم لا يهربوا (وارجعوا إلى ما أترفتم فيه) يعني تنعمتم فيه من العيش (ومسا كنتم لعلكم تسئلون) قال ابن عباس عن قتل نبيكم قبل نزلت هذه الآية في أهل حضرموت قرية باليمن وكان أهلها عربا فبعث الله إليهم نبيا يدعوهم إلى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم مختصر فقتلهم وسباهم فلما استمر فيهم القتل هربوا فقاتلت الملائكة لهم استهزاء لأركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومسا كنتم أموالكم لعلكم تسئلون قال قتادة لعلكم تسألون شيئا من دنياكم فتعطلون من شتمهم وتمنعون من شتمهم فانكم أهل ثروة ونعمة فأتبعهم مختصر وأخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء بالثارات الأنبياء فلما رأوا ذلك أفرأوا بالذنوب حين لم يتفهمهم (قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين) يعني لأنفسنا حين كذبنا الرسل وذلك أنهم اعترفوا بالذنب حين عابنوا العذاب وقالوا ذلك على خييل الندامة ولم يتفهمهم الندم (فما زالت تلك دعواهم) يعني تلك الكلمة وهي قولهم يا ويلنا (حتى جعلناهم حصيدا) يعني بالسيوف كما يحصد الزرع (خامدين) يعني ميتين . قوله عز وجل (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين) معناه ماسويتا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من العجائب للعب واللهو وإنما سويتاهما لفوائد منها التفكير في خلقهما وما فيهما من العجائب والمنافع التي لا تعد ولا تحصى (لو أردنا أن نتخذ لها) قال ابن عباس الله المرأة وعنه أنه الولد (لأخذناه من لدنا) يعني من عندنا من الحور العين لامن عندكم من أهل الأرض وقيل معناه لو كان ذلك جائزا في حقنا لم نتخذ به حيث يظهر لكم بل نستر ذلك حتى لا تطلعوا عليه وذلك أن النصارى لما قالوا في المسيح وأمه ما قالوا رد الله عليهم بقوله لأخذناه تلك دعواهم) أي تلاك

إليهم نبيا يدعوهم إلى الله فكذبوه وقتلوه فسلط الله عليهم مختصر حتى قتلهم وسباهم فلما استمر فيهم القتل ندعوا وهربوا وانهمزوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لأركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه ومسا كنتم وأموالكم لعلكم تسئلون قال قتادة لعلكم تسألون شيئا من دنياكم فتعطلون من شتمهم وتمنعون من شتمهم فانكم أهل ثروة ونعمة يقولون ذلك استهزاء بهم فاتبعهم مختصر وأخذتهم السيوف ونادى مناد في جو السماء بالثارات الأنبياء فلما رأوا ذلك أفرأوا بالذنوب حين لم يتفهمهم (قالوا يا ويلنا يا ويلنا إنا كنا ظالمين) فما زالت تلك دعواهم) أي تلاك

الكلمة وهي قولهم يا ويلنا دعواهم يدعوون بها ويرددونها (حتى جعلناهم حصيدا) بالسيوف كما يحصد الزرع (خامدين) ميتين (وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين) أي عبثا وباطلا (لو أردنا أن نتخذ لها) اختلفوا في اللهو قال ابن عباس في رواية عطاء الله هاهنا المرأة وهو قول الحسن وقتادة وقال في رواية الكلبي اللهو الولد وهو قول السدي وهو في المرأة أظهر لأن الوطء يسمى لها في اللغة والمرأة محل الوطء (لأخذناه من لدنا) يعني من عندنا من الحور العين لامن عندكم من أهل الأرض وقيل معناه لو كان جائزا في صفتهم لم يتخذ به حيث يظهر لهم بل يستر ذلك حتى لا يطلعوا عليه وتأويل الآية النصارى لما قالوا في المسيح وأمه ما قالوا رد الله عليهم بهذا وقال لأخذناه

من لدنا لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره (إن كنا فاعلين) قال قتادة ومقاتل وابن جرير
 إن لئفى معناه ما كنا فاعلين وقيل إن كنا فاعلين للشرط أي إن كنا ممن يفعل ذلك لا نتخذناه من لدنا ولا كنا لم نفعله لأنه لا يليق
 بالربوبية (بل) يعني دع ذلك الذي قالوا فإنه كذب وباطل (نقذت) روى (٢٩١) ونسلط (تر) يلحق (بالإيمان

(على الباطل) على الكفر
 وقيل الحق قول الله فإنه
 لا ولد له والباطل قولهم
 اتخذ الله ولدا (فقدمه)
 يعني يهلكه وأصل
 الدمع شح الرأس حتى
 يبلغ الدمع (فاذا هو
 زاهق) ذاهب والمعنى
 أنا نبطل كذبهم بما
 بين من الحق حتى
 يضمحل ويذهب ثم
 أوعدهم على كذبهم
 فقال (ولكم الويل)
 يامعشر الكفار (مما
 تصفون) الله بما لا يليق
 به من الصاحبة والولد
 وقال مجاهد مما تكذبون
 (وله من في السموات
 والأرض) عبيدا وملكا
 (ومن عنده) يعني
 الملائكة (لا يستكبرون
 عن عبادته) ولا يأتون
 عن عبادته ولا يعظمون
 عنها (ولا يستحسرون)
 لا يعيون يقال حسر
 واستحسر إذا تعب
 وأعيا ، وقال السدي
 لا ينقطعون عن العبادة
 (يسبحون الليل والنهار
 لا يفترون) لا يضعفون
 قال كعب الأحبار التسييح
 هم كائنفس لبني آدم
 (أم اتخذوا آلهة) استفهام

من لدنا لأنكم تعلمون أن ولد الرجل وزوجته يكونان عنده لا عند غيره (إن كنا فاعلين) يعني ما كنا فاعلين وقيل ما كنا ممن يفعل ذلك لأنه لا يليق بالربوبية (بل) يعني دع ذلك الذي قالوه فإنه كذب وباطل (نقذت) يعني روى ونسلط (بالحق) يعني بالإيمان (على الباطل) يعني على الكفر وقيل الحق قول الله أنه لا ولد له والباطل قولهم اتخذ الله ولدا (فقدمه) فيهلكه (فاذا هو زاهق) يعني ذاهب والمعنى أنا نبطل كذبهم بما بين من الحق حتى يذهب ويضمحل ثم أوعدهم على كذبهم فقال تعالى (ولكم الويل) يامعشر الكفار (مما تصفون) الله بما لا يليق من الصاحبة والولد (وله من في السموات والأرض) يعني عبيدا وملكا وهو الخالق لهم والمنعم عليهم باصناف النعم (ومن عنده) يعني الملائكة وإنما خص الملائكة وإن كانوا داخلين في جملة من في السموات لكرامتهم ومزيد الاعتناء بهم (لا يستكبرون عن عبادته) يعني لا يتكبرون ولا يتعظمون عنها (ولا يستحسرون) يعني لا يعيون ولا يتعبون وقيل لا ينقطعون عن العبادة ثم وصفهم الله تعالى بقوله (يسبحون الليل والنهار لا يفترون) يعني لا يضعفون ولا يسأمون وذلك أن تسييحهم متصل دائم لا يفتقر في جميع أوقاتهم لا تتخلله فترة بفرغ أو شغل آخر قال كعب الأحبار التسييح لهم كالفنس لبني آدم (أم اتخذوا آلهة من الأرض) يعني الأصنام من الحجارة والخشب وغيرهما من المعادن وهي من الأرض (هم يفترون) يعني يعيون الأموات إذ لا يستحق الآلهة إلا من يقدر على الإحياء والإيجاد من العدم والإنعام بأبلغ وجوه النعم وهو الله عز وجل (لو كان فيهما) يعني في السماء والأرض (آلهة إلا الله) يعني غير الله (لفسدنا) يعني لخربنا وهلك من فيهما لوجود التمانع بين الآلهة لأن كل أمر صدر عن الاثنين فأكثر لم يجر على النظام وقول الإمام فخر الدين الرازي قال المشككون القول بوجود إلهين يفضي إلى الحال فوجب أن يكون القول بوجود إلهين محالا وإنما قلنا إنه يفضي إلى الحال لأننا لو فرضنا وجود إلهين فلا بد وأن يكون كل واحد منهما قادرا على كل المقدرات ولو كان كذلك لكان كل واحد منهما قادرا على تحريك زيد وتسكينه ولو فرضنا أن أحدهما أراد تحريكه وأراد الآخر تسكينه فاما أن يقع المرادان وهو محال لاستحالة الجمع بين الضدين أو لا يقع واحد منهما وهو محال لأن المانع من وجود مراد كل واحد منهما مراد الآخر فلا يمتنع مراد هذا إلا عند وجود مراد ذلك وبالعكس فلو امتنع مراد لوجد معا وذلك محال أو يقع مراد أحدهما دون الثاني وذلك أيضا محال لوجهين أحدهما أنه لو كان كل واحد منهما قادرا على ما لا نهاية له امتنع كون أحدهما أقدر من الآخر بل لا بد وأن يستويا في القدرة وإذا استويا في القدرة استحال أن يصير مراد أحدهما أولى بالوقوع من مراد الثاني وإلا لزم ترجيح الممكن من غير مرجح وثانيهما أنه إذا وقع مراد أحدهما دون الآخر فالذي وقع مراده يكون قادرا والآخر لم يقع مراده يكون عاجزا والمعجز نقص وهو على الإله محال ولو فرضنا إلهين لكان كل واحد منهما قادرا على جميع المندورات فيفضي إلى وقوع مقدر من قدرين مستقلين من وجه واحد وهو محال لأن إسناد الفعل إلى الفاعل إنما كان لإمكانه

بمعنى الجهد أي لم يتخذوا (من الأرض) يعني الأصنام من الخشب والحجارة وهما من الأرض (هم يفترون) يعيون الأموات ولا يستحق الآلهة إلا من يقدر على الإحياء والإيجاد من العدم والإنعام بأبلغ وجوه النعم (لو كان فيهما) يعني في السماء والأرض (آلهة إلا الله) يعني غير الله (لفسدنا) لخربنا وهلك من فيهما بوجود التمانع بين الآلهة لأن كل أمر صدر عن

الثين فأكثر لم يجز على النظام ثم نزه نفسه فقال (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) يعنى عما يصفه به المشركون مع الشريك والولد (لا يسأل عما يفعل) (٢٩٢) ويحكم على خلقه لأنه الرب (وهم يسألون) يعنى الخلق يسألون عن أعمالهم وأعمالهم

لأنهم عبيد (أم اتخذوا من دونه آلهة) استفهام إنكار وتوبيخ (قل هاتوا برهانكم) يعنى حججتكم على ذلك ثم قال مستأنفا (هذا) يعنى القرآن (ذكر من معى) فيه خبر من معى على ديني ومن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (وذكر) خبر (من قبلي) من الأمم السالفة ما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة وعن ابن عباس في رواية عطاء ذكر من معى القرآن وذكر من قبلي التوراة والإنجيل ومعناه راجعوا القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها أن الله اتخذ ولدا (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه) قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم نوحي إليه بالنون وكسر الحاء على التعظيم لقوله (وما أرسلناك) وقرأ الآخرون بالياء وفتح الحاء على الفعل المجهول

فإذا كان كل واحد منهما مستقلا بالإيجاد فالفعل لكونه مع هذا يكون واجب الوقوع فيستحيل إسناده إلى هذا لكونه حاصلًا منهما جميعًا فيلزم استغناؤه عنهما معا واحتياجه إليهما معا وذلك محال وهذه حجة تامة في مسئلة التوحيد فنقول القول بوجود إلهين يقضى إلى امتناع وقوع المقدور بواحد منهما وإذا كان كذلك وجب أن لا يقع البتة وحينئذ يلزم وقوع الفساد قطعًا أو نقول لو قدرنا إلهين فإما أن يتفقا أو يختلفا فان اتفقا على الشيء الواحد فذلك الواحد مقدور لهما ومراد لهما فيلزم وقوعه بهما وهو محال وإن اختلفا فإما أن يقع المرادان أولا يقع واحد منهما أو يقع أحدهما دون الثاني والكل محال فثبت أن الفساد لازم على كل التقديرات واعلم أنك إذا وقفت على حقيقة هذه الدلالة عرفت أن جميع ما في العالم العلوي والسفلي من المحدثات والخلوقات فهو دليل على وحدانية الله تعالى وأما الدلائل السمعية على الوجودانية فكثيرة في القرآن واعلم أن كل من طعن في دلالة النافع ففسر الآية بأن المراد لو كان في السماء والأرض آلهة يقول بالهيتها عبدة الأصنام لزم فساد العالم لأنها جمادات لا تقدر على تدبير العالم فلزم إفساد العالم قالوا وهذا أولى لأنه تعالى حكى عنهم في قوله (أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون) ثم ذكر الدلالة على فساد هذا فوجب أن يختص الدليل به وأما قوله (فسبحان الله رب العرش عما يصفون) ففيه تزويه الله سبحانه وتعالى عما يصفه به المشركون من الشريك والولد (لا يسأل عما يفعل) يعنى لا يسأل الله عما يفعله ويقضيه في خلقه (وهم يسألون) يعنى والناس يسألون عن أعمالهم والمعنى أنه لا يسأل عما يحكم في عبادته من إعزاز وإذلال وهدي وإضلال وإسعاد وإشقاء لأنه الرب مالك الأعيان والخلق يسألون سؤال توبيخ يقال لهم يوم القيامة لم فعلتم كذا لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم والله تعالى ليس فوقه أحد يقول له لشيء فعلته لم فعلته قوله عز وجل (أم اتخذوا من دونه آلهة) لما أبطل الله تعالى أن تكون آلهة مساوية بقوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدنا أنكر عليهم اتخذهم الآلهة فقال (أم اتخذوا من دونه آلهة وهو استفهام إنكار وتوبيخ) قل هاتوا برهانكم أى حججتكم على ذلك ثم قال تعالى مستأنفا (هذا) يعنى القرآن (ذكر من معى) يعنى فيه خبر من معى على ديني ومن يتبعني إلى يوم القيامة بما لهم من الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية (وذكر) يعنى خبر (من قبلي) أى من الأمم السالفة وما فعل بهم في الدنيا وما يفعل بهم في الآخرة وقال ابن عباس ذكر من معى القرآن وذكر من قبلي التوراة والإنجيل والمعنى راجعوا القرآن والتوراة والإنجيل وسائر الكتب هل تجدون فيها أن الله اتخذ ولدا أو كان معه آلهة (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) قوله عز وجل (وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) أى فوحدوني وقيل لما توجهت الحجة عليهم ذمهم على جهلهم بمواضع الحق فقال (بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون أى عن التأمل والتفكير وما يجب عليهم من الإيمان بأنه لا إله إلا هو . قوله تعالى (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) نزلت في خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله (سبحانه) نزه نفسه عما قالوا (بل عباد) أى هم عباد يعنى الملائكة (مكرمون) أى أكرمهم الله واصطفاهم (لا يسبقونه) أى لا يتقدمونه (بالقول) أى

(أنه لا إله إلا أنا فاعبدون) وحدثون (وقالوا اتخذ الرحمن ولدا) نزلت في خزاعة حيث قال الملائكة بنات الله لا يتكلمون (سبحانه) نزه نفسه عما قالوا (بل عباد) أى هم عباد يعنى الملائكة (مكرمون لا يسبقونه بالقول) لا يتقدمونه بالقول ولا يتكلمون إلا

بما يأمرهم به (وهم بأمره يعملون) معناه أنهم لا يخالفونه قولاً ولا عملاً (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) قال ابن عباس أي إلا لمن قال لا إله إلا الله وقال مجاهد أي لمن رضى عنه (وهم من - شيته مشفقون) خائفون لا يأمنون مكره (ومن يقل منهم إلى إله من دونه) قال مقاتل عني به إبليس حين دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعة نفسه فإن أحداً من الملائكة لم يقل إلى إله من دون الله (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) الواضعين الإلھية والعبادة في غير موضعها (أو لم ير الذين كفروا) قرأ العامة بالواو وقرأ ابن كثير لم ير بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم معناه ألم يعلم الذين كفروا (أن السموات والأرض كانتا رتقا) قال ابن عباس رضى الله عنهما والضحاك وعطاء وقتادة كانتا شيئاً واحداً ملتزمتين (ففتقناهما) فصلنا (٢٩٣) بينهما بالهواء والرتق في اللغة السد

والفتق الشق قال كعب خاق الله السموات والأرض بعضها على بعض ثم خلق ريحاً فوسطها ففتحتها بها قال مجاهد والسدى كانت السموات مرتتفة طبقة واحدة ففتقها وجعلها سبع سموات وكذلك الأرض كانت مرتتفة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع أرضين قال عكرمة وعطية كانت السماء رتقا لا تعطر والأرض رتقا لا تثبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات وإنما قال رتقا على التوحيد وهو من نعت السموات والأرض لأنه مصدر وضع موضع الاسم مثل الزور والصوم ونحوهما (وجعلنا) وخلقنا

لا يتكلمون إلا بما أمرهم به (وهم بأمره يعملون) المعنى أنهم لا يخالفونه قولاً ولا عملاً (يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي ما عملوا وما هم عاملون وقيل ما كان قبل خلقهم وما يكون بعد خلقهم (ولا يشفعون إلا لمن ارتضى) قال ابن عباس إلا لمن قال لا إله إلا الله وقيل إلا لمن رضى الله تعالى عنه (وهم من خشيته مشفقون) أي خائفون وجلون لا يأمنون مكره (ومن يقل منهم إلى إله من دونه) قيل عني به إبليس حيث دعا إلى عبادة نفسه فإن أحداً من الملائكة لم يقل إلى إله من دون الله (فذلك نجزيه جهنم كذلك نجزي الظالمين) أي الواضعين الإلھية والعبادة في غير موضعها . قوله عز وجل (أو لم ير الذين كفروا) أي ألم يعلم الذين كفروا (أن السموات والأرض كانتا رتقا) قال ابن عباس كانتا شيئاً واحداً ملتزمتين (ففتقناهما) أي فصلنا بينهما بالهواء قال كعب خلق الله السموات والأرض بعضها على بعض ثم خلق ريحاً بوسطها ففتحتها بها وقيل كانت السموات مرتتفة طبقة واحدة ففتقها فجعلها سبع سموات وكذلك الأرض وقيل كانت السماء رتقا لا تعطر والأرض رتقا لا تثبت ففتق السماء بالمطر والأرض بالنبات (وجعلنا من الماء كل شيء حي) أي وأحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر وذلك لأنه سبب حياة كل شيء وقال المفسرون معناه أن كل شيء حي فهو مخلوق من الماء وقيل يعنى النطفة . فان قلت قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء كآدم وعيسى والملائكة والجن . قلت خرج هذا اللفظ مخرج الأغلب والأكثر يعنى أن أكثر ما على وجه الأرض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء (أفلا يؤمنون) أي أفلا يصدقون (وجعلنا في الأرض رواسي) أي جبالاً ثوابت (أن تميد بهم) أي لتلا تميد بهم قيل إن الأرض بسطت على الماء فكانت تتحرك كما تتحرك السفينة في الماء فأرساها الله وأثبتها بالجبال (وجعلنا فيها) أي في الرواسي (فججاجاً) أي طرقاً ومسالك والفتج الطريق الواسع بين الجبلين (- بلا) هو تفسير الفجاج (لهمهم يهتدون) أي إلى مقاصدهم (وجعلنا السماء سقفا محفوظاً) أي من أن يسقط ويقع وقيل محفوظاً من الشياطين بالشهب (وهم) يعنى الكفار (عن آياتها معرضون)

(من الماء كل شيء حي) أي أحيينا بالماء الذي ينزل من السماء كل شيء حي أي من الحيوان ويدخل فيه النبات والشجر يعنى أنه سبب حياة كل شيء والمفسرون يقولون يعنى أن كل شيء حي فهو مخلوق من الماء لقوله تعالى (والله خلق كل دابة من ماء) قال أبو العالية يعنى النطفة فان قيل قد خلق الله بعض ما هو حي من غير الماء قيل هذا على وجه التأكيد يعنى أن أكثر الأحياء في الأرض مخلوق من الماء أو بقاؤه بالماء (أفلا يؤمنون) وجعلنا في الأرض رواسي (أن تميد بهم) لتلا تميد بهم (وجعلنا فيها) في الرواسي (فججاجاً) طرقاً ومسالك والفتج الطريق الواسع بين الجبلين أي جعلنا بين الجبال طرقاً كي يهتدوا إلى مقاصدهم (سبلاً) تفسير للفجاج (لهمهم يهتدون) وجعلنا السماء سقفا محفوظاً) مع أن تسقط دليلاً قوله تعالى (ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه) وقيل محفوظاً من الشياطين بالشهب دليلاً قوله تعالى (وحفظنا ما من كل شيطان رجيم) (وهم) يعنى الكفار (عن آياتها) أي من ما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وغيرها (معرضون) لا يتذكرون فيها ولا يعتبرون بها

(وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) يجرون ويسرون بسرعة كالسائح في الماء وإنما قال : يسبحون ولم يقل تسبح على ما يقال لما لا يعقل لأنه ذكر عنها فعل العقلاء من الجري والسبح فذكر على ما يعقل والفلك مدار النجوم الذي يصفها والفلك في كلام العرب كل شيء مستدير وجمعه أفلاك ومنه فلانة المغزل وقال الحسن الفلك طاحونة كهيئة فلانة المغزل يريد أن الذي يجرى (٣٩٤) فيه النجوم مستدير كاستدارة الطاحونة قال الضحاك فلانة يجراها

أى عما خلق الله فيها من الشمس والقمر والنجوم وكيف يتحركاتها في أفلاكها ومطالعها ومغارها والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة القاهرة لا يتفكرون ولا يعتبرون بها (وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون) أى يجرون ويسرون بسرعة كالسائح في الماء وإنما قال يسبحون ولم يقل تسبح على ما يقال لما لا يعقل لأنه ذكر عنها فعل العقلاء وهو السباحة والجري والفلك مدار النجوم الذي يصفها وهو في كلام العرب كل شيء مستدير وجمعه أفلاك وقيل الفلك طاحونة كهيئة فلك المغزل يريد أن الذي يجرى فيه النجوم مستدير كاستدارة الرحي وقيل الفلك السماء الذي فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجرى في السماء الذي قدر فيه وهو معنى قول قتادة وقال الكلبي الفلك استدارة السماء وقال آخرون الفلك موج مكفوف ، دون السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم قوله عز وجل (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) يعنى الدوام والبقاء في الدنيا (أفان مت فهم الخالدون) نزلت هذه الآية حين قالوا نرى بصر محمد ريب المنون نضمت بموته فنحن الله الشانة عنه بهذا والمعنى أن الله تعالى قضى أن لا يخلد في الدنيا بشرا لأنك ولأهم فأنه مت أنت أفيتي هؤلاء وفي معناه قول القائل :

فقل للشامتين بنا أفيقوا سبلى الشامتون كما لقينا

(كل نفس ذائقة الموت) هذا العموم مخصوص بقوله وتعالى تعلم ما نفي ولا أعلم ما نفي نفسك فان الله تعالى حي لا يموت ولا يجوز عليه الموت والذوق هاهنا عبارة عن مقدمات الموت وآلامه العظيمة قبل حلوله (ونبلوكم) أى نختبركم (بالشر والخير) أى بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل مما تحبون وما تكرهون (فتنة) أى ابتلاء لتنتظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون (والينا نرجعون) أى المحاسب والجزاء . قوله عز وجل (وإذا رآك الذين كفروا إن) أى ما يتخذونك (الاهزوا) أى يضربوا قتل نزلت في أبي جهل مر به النبي صلى الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بنى عبدمناف (أهذا الذى يذكر آهتكم) أى يقول بعضهم لبعض أهذا الذى يعيب آهتكم والذكر يطلق على المدح والذم مع القرينة (وهم يذكرون الرحمن هم كافرون) وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا الرحمن الإمامة وهو مسلمة الكتاب قوله تعالى (خلق الإنسان من عجل) قيل معناه أن بنيه وخلقه من العجلة وعليها طبع وقيل لما دخل الروح في رأس آدم وعينه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل أن تبلغ الروح إلى رجايه عجل إلى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الإنسان من عجل

وسرعة سيرها قال مجاهد كهيئة حديد الرحي وقال بعضهم الفلك السماء الذى فيه ذلك الكوكب فكل كوكب يجرى في السماء الذى قدر فيه وهو معنى قول قتادة وقال الكلبي الفلك استدارة السماء وقال آخرون الفلك موج مكفوف ، دون السماء تجرى فيه الشمس والقمر والنجوم قوله عز وجل (وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) يعنى الدوام والبقاء في الدنيا (أفان مت فهم الخالدون) أى أنهم الخالدون إن مت قيل نزلت هذه الآية حين قالوا نرى بصر محمد ريب المنون (كل نفس ذائقة الموت ونبلوكم) أى نختبركم (بالشر والخير) أى بالشدة والرخاء والصحة والسقم والغنى والفقر وقيل مما تحبون وما تكرهون (فتنة) أى ابتلاء لتنتظر كيف شكركم فيما تحبون وصبركم فيما تكرهون (والينا نرجعون) وإذا رآك الذين كفروا إن

وأورث

يتخذونك (الاهزوا) مسخرين قال السدي نزلت في أبي جهل مر به النبي صلى

الله عليه وسلم فضحك وقال هذا نبي بنى عبدمناف (أهذا الذى) أى يقول بعضهم لبعض أهذا الذى (يذكر آهتكم) أى يعيبها يقال فلان يذكر فلانا أى يعيبه وفلان يذكر الله أى يعظمه ويبجله (وهم يذكرون الرحمن هم كافرون) وذلك أنهم كانوا يقولون لا نعرف الرحمن إلا مسلمة وهم الثانية صلة (خلق الإنسان من عجل) اختلفوا فيه فقال قوم معناه إن بنيه وخلقه من العجلة

وعليها طبع كما قال الله تعالى «وكان الإنسان عجولاً» قال سعيد بن جبيرة والسدي لما دخلت الروح في راس آدم وعيبيه نظر إلى ثمار الجنة فلما دخلت في جوفه اشتوى الطعام نوبت قائما قبل أن تبلغ الروح إلى رجليه عجلا إلى ثمار الجنة فوقع فقيل خلق الإنسان من عجل والمراد بالإنسان آدم وأورث أولاده العجلة والعرب تقول للذي يكتر منه الشيء خلقت منه كما يقول خلقت من تعب وخلقت من غضب تريد المبالغة في وصفه بذلك يدل على هذا قوله تعالى «وكان الإنسان عجولا» وقال قوم معناه خلق الإنسان يعني آدم من تعجيل في خلق الله إياه لأن خلقه كان بعد خلق كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس وقال مجاهد فلما أحيا الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقيل بسرعة وتعجيل على غير ترتيب خلق سائر آدميين من النطفة ثم العلقة ثم المضغة وغيرها (٣٩٥) وقال قوم من عجل أي من طين قال الشاعر:

والنبيح في صحرة الصماء
منبته
والنخل ينبت بين الماء
والعجل

(سأريكم آياتي فلا تستعجلون) هذا خطاب للمشركين نزل هذا في المشركين كانوا يستعجلون بالعذاب ويقولون أمطر علينا حجارة من السماء وقيل نزلت في النضر بن الحارث فقال تعالى سأريكم آياتي أي مواعيدي فلا تستعجلون أي فلا تطأوا العذاب من قبل وقته فأراه يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) فقال تعالى (لويلم الذين

وأورث بنيه العجلة وقيل معناه خلق الإنسان من تعجيل في خلق الله إياه لأن خلقه كان بعد كل شيء في آخر النهار يوم الجمعة فأسرع في خلقه قبل مغيب الشمس فلما أحيا الروح رأسه قال يارب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس وقيل خلق من مضغة أطوار أطوارا طورا بعد طور وقيل معنى خلق بنيه لأنهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة أطوارا أطوارا طورا بعد طور وقيل معنى خلق الإنسان من عجل أي من طين قال الشاعر: «والنخل ينبت بين الماء والعجل» أي بين الماء والطين وقيل أراد بالإنسان النوع الإنساني بدل عليه قوله (سأريكم آياتي فلا تستعجلون) وذلك أن المشركين كانوا يستعجلون العذاب وقيل نزلت في النضر بن الحارث ومعنى سأريكم آياتي أي مواعيدي فلا تطأوا العذاب قبل وقته فأراه يوم بدر وقيل كانوا يستعجلون القيامة فلذلك قال تعالى (ويقولون) يعني المشركين (متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) وهذا هو الاستعجال المذموم المذكور على سبيل الاستهزاء فيمن تعالى أنهم إنما يقولون ذلك لجهلهم وغفلتهم ثم بين ما هؤلاء المستهزئين فقال تعالى (لويلم الذين كفروا حين لا يكفون) يعني لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) قبل السياط (ولاهم ينصرون) أي لا يمنعون من العذاب والمعنى لو علموا لما أقاموا على كفرهم ولما استعجلوا بالعذاب ولما قالوا متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (بل تأتيهم) يعني الساعة (بغتة) أي فجأة (فتنبههم) أي تحيرهم (فلا يستطيعون ردها) أي صرفها ودفعها عنهم (ولاهم ينظرون) أي لا يملحون للتوبة والمعذرة (ولقد استهزئ رسل من قبلك) أي يا محمد كما استهزأ بك قومك (فحاق) أي نزل وأحاط (بالذين خسروا منهم ما كانوا به يستهزئون) أي عقوبة استهزائهم وفيه تسلية للذي صلى الله عليه وسلم أي فكل ذلك محقق هؤلاء وبال استهزائهم. قوله تعالى (قل من يكلؤكم) أي يحفظكم (بالليل) إذا نمت (والنهار) إذا انصرفتم في معاشكم (من الرحمن) قال ابن عباس معناه من يمنعكم من عذاب الرحمن (بل هم عن ذكر ربهم) أي عن القرآن ومواعظ (معرضون) أي لا يتأملون في شيء منها (أم لهم آفة تمنعهم من دوننا) معناه ألم آفة من دوننا تمنعهم ثم وصف آفاتهم بالضعف فقال (لا يستطيعون نصر أنفسهم) أي لا يقدر على نصر أنفسهم فكيف ينصرون من عيدهم (ولاهم منا يصحون) قال ابن عباس يمنعون وقيل يجارون وقيل ينصرون وقيل

كفروا حين لا يكفون) لا يدفعون (عن وجوههم النار ولا عن ظهورهم) قبل (ولاهم ينصرون) (لويلم الذين خسروا منهم ما كانوا به يستهزئون) أي جزاء استهزائهم (قل من يكلؤكم) يحفظكم (بالليل والنهار من الرحمن) إن أنزل بكم عذابه وقال ابن عباس من يمنعكم من عذاب الرحمن (بل هم عن ذكر ربهم) عن القرآن ومواعظ الله (معرضون أم لهم) أم صلة فيه وفي أمثاله (آفة تمنعهم من دوننا) فيه تقديم وتأخير تقديره أم لهم آفة من دوننا تمنعهم، ثم وصف الآفة بالضعف فقال تعالى: (لا يستطيعون نصر أنفسهم) منع أنفسهم فكيف ينصرون عابديهم (ولاهم منا يصحون) قال ابن عباس يمنعون وقال

عطيته عنه يجارون تقول العرب أنا لك جار وصاحب من فلان أي يجير منه وقال مجاهد ينصرون ويحفظون وقال قتادة لا يصبحون من الله بخير (بل متعنا هؤلاء) الكفار (وآباءهم) في الدنيا أي أمهلتهم وقيل أعطيتهم النعمة (حتى طال عليهم العمر) أي امتد بهم الزمان فاغثروا (أفلا يرون أنا نأقي الأرض ننقصها من أطرافها) أي ما تنقص من أطراف المشركين وزيد في أطراف المؤمنين يريد (٢٩٦) ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفتح ديار الشرك أرضاً فأرضاً (أفهم

الغالبون) أم نحن (قل) إنما أنذركم بالوحي (أي أخوفكم بالقرآن) (ولا يسمع الصم الدعاء) قرأ ابن عباس رضي الله عنهما بالتاء وضمها وكسر الميم الصم نصبا جعل الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وقرأ الآخرون بالياء وفتحها وفتح الميم الصم رفع (إذا ما ينذرون) يخوفون (ولئن مستهم) أصابتهم (نفسه من عذاب ربك) قال ابن عباس طرفت وقيل شيء قبل (ليقولن يا ويلنا إنا كنا ظالمين) دعوا على أنفسهم بالويل بعد ما أقروا على أنفسهم بالظلم والشرك: قوله عز وجل (ونضع الموازين القسط) أي ذوات العدل وصفها بذلك لأن الميزان قد يكون مستقيماً وقد يكون مغلطاً فبين أن تلك الموازين تجري على حد العدل ومعنى وضعها إحضارها (ليوم القيامة) أي لأهل يوم القيامة قيل المراد بالميزان العدل والقسط بينهم في الأعمال فمن أحاطت حسناته بسدائمه فاز ونجا وبالعكس ذلك وخسر والصحيح الذي عليه أئمة السلف أن الله سبحانه وتعالى يضع الموازين الحقيقية ويزن بها أعمال العباد وقال الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وأكثر الأقوال أنه ميزان واحد وإنما جمع لاعتبار تعدد الأعمال الموزونة به وروى أن داود عليه الصلاة والسلام سأل ربه عز وجل أن يريه الميزان فأراه كل كفته ما بين المشرق والمغرب فلما رآه غشى عليه ثم أفاق فقال يا إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات قال يادود إني إذا رضيت عن عبدى ملأته بثمره فقل هذا في كيفية وزن الأعمال مع أنها أعراض طريقان أحدهما أن توزن صحائف الأعمال فتوضع صحائف الحسنات في كفة وصحائف السيئات في كفة والثاني أن يجعل في كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة. فان قلت كيف تصنع بقوله ونضع الموازين القسط مع قوله فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً. قلت هذه في حق الكفار لأنهم ليس لهم أعمال توزن مع الكفر. وقوله تعالي (فلا تعظم نفس شيئا) يعني لا يبخس مماها وما عليها من خير وشر شيئا (وإن كان مثقال حبة من خردل) أي زنة مثقال حبة (من خردل) قرأ أهل المدينة مثقال برفع اللام هاهنا وفي سورة لقمان يعني وإن وقع مثقال حبة من خردل ونصبها الآخرون على معنى وإن كان ذلك الشيء مثقال حبة يعني زنة مثقال حبة من خردل (أثبتنا بها)

الموازين القسط) أي ذوات القسط والقسط العدل (ليوم القيامة فلا تعظم نفس شيئا) أي لا تنقص من ثواب حسناتها مسبي ولا يزداد على سيئاتها وفي الأخبار أن الميزان له لسان وكفتان وروى أن داود عليه السلام سأل ربه أن يريه الميزان فأراه كل كفة ما بين المشرق والمغرب فدعى عليه ثم أفاق فقال يا إلهي من الذي يقدر أن يملأ كفته حسنات فقال يادود إني إذا رضيت عن عبدى ملأته بثمره (وإن كان) الشيء (مثقال حبة) أي زنة مثقال حبة (من خردل) قرأ أهل المدينة مثقال برفع اللام هاهنا وفي سورة لقمان يعني وإن وقع مثقال حبة من خردل ونصبها الآخرون على معنى وإن كان ذلك الشيء مثقال حبة يعني زنة مثقال حبة من خردل (أثبتنا بها)

أحضرناها لتجازيها (وكفى بنا حاسبين) قال السدي محصين والحسب معناه العد وقال ابن عباس رضي الله عنهما عالمين حافظين لأن من حسب شيئا علمه وحفظه (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وقال ابن زيد الفرقان النصر على الأعداء كما قال الله تعالى وما (٢٩٧) أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان

يعني يوم بدر لأنه قال (وضياء) أدخل الواو فيه أي آتينا موسى النصر والضياء وهو التوراة ومن قال المراد بالفرقان التوراة قال الواو في قوله وضياء زائدة مقحمة معناه آتينا التوراة ضياء وقيل هو صفة أخرى للتوراة (وذكرنا) تذكيرا (المتقين الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخافونه ولم يروه (وهم من الساعة مشفقون) خائفون (وهذا ذكر مبارك) يعني القرآن وهو ذكر لمن تذكروه مبارك لمن يتبرك به ويطلب منه الخير (أنزلناه أفانتم) يا أهل مكة (له منكرون) جاحلون هذا استفهام توبيخ وتعير قوله عز وجل (وانقد آتينا إبراهيم رشده) قال القرطبي أي صلاحه (من قبل) يعني من قبل موسى وهرون وقال المفسرون رشده من قبل أي هداه من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير (وكننا به عالمين) أي أنه من أهل الهداية والنبوة (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل) يعني الصور والأصنام (التي أنتم لها عاكفون) أي مقيمون على عبادتها (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) أي فاقنديننا بهم (قال) يعني إبراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) أي في خطأ بين بعبادتكم إياها (قالوا أجننتنا بالحق) أي بالصدق (أم أنت من اللاعبين)

مسيء وأراد بالخطبة الجزء اليسير من الخردل ومعنى آتينا بها يعني أحضرناها لتجازي بها. عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الله سيخلص رجلا من أمي على روض الخلائق يوم القيامة فيفشر له تسعة وتسعين سجلا كل سجل مديانير ثم يقول أتشكر من هذا شيئا أظلمك كمنيتي الحافظون فيقول لا يارب فيقول أفلك عذرية قول لا يارب فيقول الله تعالى بلى إن لك عندنا حسنة فإنه لا ظلم عليك اليوم فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول أرب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال إنك لا تنظم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة ولا يتحمل مع اسم الله شيء أخرجه الترمذي. السجل الكتاب الكبير وأصله من التسجيل لأنه يجمع أحكاما والبطاقة ورقة صغيرة تجعل في طي الثوب يكتب فيها ثمنه والطيش الخفة قلت في الحديث دليل على أن صحائف الأعمال هي التي توزن لا أن الأعمال تنجسد جواهر فتوزن والله أعلم. قوله تعالى (وكفى بنا حاسبين) قال ابن عباس معناه كفى بنا عالمين حافظين لأن من حسب شيئا فقد علمه وحفظه والغرض منه التحذير فإن الحاسب إذا كان في العلم بحيث لا يمكن أن يشبه عليه شيء وفي القدرة بحيث لا يعجز عن شيء فحقيق بالعقل أن يكون بأشد الخوف منه وبروى عن الشبلي أنه رأى في المنام فتبيل له ما فعل الله بك فقال :

حاسبونا فذققوا ثم منوا فأعتقوا
هكذا سيمة الملو ك بالممالك برققوا

قوله عز وجل (ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) يعني الكتاب المفرق بين الحق والباطل وهو التوراة وقيل الفرقان النصر على الأعداء فعلى هذا يكون (وضياء) يعني التوراة ومن قال الفرقان هو التوراة جعل الواو زائدة في وضياء والمعنى آتينا موسى التوراة ضياء (وذكرنا للمتقين) يعني يتذكرون بمواعظها ويعملون بما فيها (الذين يخشون ربهم بالغيب) أي يخافونه ولم يروه وقيل يخافونه في الملوات إذا غابوا عن أعين الناس (وهم من الساعة مشفقون) أي خائفون (وهذا ذكر مبارك أنزلناه) أي كما آتينا موسى التوراة فكذلك أنزلنا القرآن ذكرا مباركا أي هو ذكر لمن آمن به مبارك يتبرك به ويطلب منه الخير (أفانتم) يا أهل مكة (له منكرون) أي جاحلون. قوله تعالى (ولقد آتينا إبراهيم رشده) أي صلاحه وهداه (من قبل) أي من قبل موسى وهرون وقيل من قبل البلوغ وهو حين خرج من السرب وهو صغير (وكننا به عالمين) أي أنه من أهل الهداية والنبوة (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل) يعني الصور والأصنام (التي أنتم لها عاكفون) أي مقيمون على عبادتها (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) أي فاقنديننا بهم (قال) يعني إبراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) أي في خطأ بين بعبادتكم إياها (قالوا أجننتنا بالحق) أي بالصدق (أم أنت من اللاعبين)

(٣٨ - خازن بالغوى - رابع) صبيا (وكننا به عالمين) أنه أهل للهداية والنبوة (إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل) أي الصور يعني الأصنام (التي أنتم لها عاكفون) يعني على عبادتها مقيمون (قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين) فذقتنا بهم (قال) إبراهيم (لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين) خطأ بين بعبادتكم إياها (قالوا أجننتنا بالحق) أم أنت من اللاعبين (يعنون

أجد أنت فيا تقول أم لاجب (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن) خلقهن (وأنا على ذلكم من الشاهدين) يعني على أنه الإله الذي لا يستحق العبادة غيره ، وقيل من الشاهدين على أنه خالق السموات والأرض (وتألفه لأكيدين أصنامكم) لا مكرن بها (بعد أن تولوا مدبرين) يعني بعد أن تدبروا منطلقين إلى عيدكم قال مجاهد وقتادة إنما قال إبراهيم هنا سرا من قومه ولم يسمع ذلك إلا لرجل واحد فأفشاه عليه وقال «إنا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم» قال السدي كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم عادوا إلى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم له بالإبراهيم (٢٩٨) لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم إبراهيم

فلما كان ببعض الطريق
ألقى نفسه وقال إني سقيم
يقول أشكى رجلى فلما
مضوا نادى إبراهيم
في آخرهم وقد بقي ضعفاء
الناس تألفه لأكيدين
أصنامكم فسمعوها منه
ثم رجع إبراهيم إلى بيت
الآلهة وهن في بهو عظيم
مستقبل باب البهو صنم
عظيم إلى جنبه صنم
أصغر منه ، والأصنام
بعضها إلى جنب بعض
كل صنم يليه أصغر
منه إلى باب البهو وإذا
هم قد جعلوا طعاما
فوضعوه بين يدي الآلهة
وقالوا إذا رجعنا وقد
بركت الآلهة في طعامنا
أكلنا فلما نظر إبراهيم
إبراهيم وإلى ما بين
أيديهم من الطعام قال
لهم على طريق الاستهزاء
«ألا تأكلون» فلما لم يجبه

بعضون أجد أنت فيا تقول أم أنت لاجب (قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن) أي خلقهن (وأنا على ذلكم من الشاهدين) أي على أنه الإله الذي يستحق العبادة وقيل شاهد على أنه خالق السموات والأرض (وتألفه لأكيدين أصنامكم) أي لا مكرن بها (بعد أن تولوا مدبرين) أي منطلقين إلى عيدكم قيل إنما قال إبراهيم هذا القول سرا في نفسه ولم يسمع ذلك إلا لرجل واحد من قومه فأفشاه عليه وهو القائل إنا سمعنا فتى يذكرهم وقيل كان لهم في كل سنة مجمع وعيد فكانوا إذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الأصنام فسجدوا لها ثم رجعوا إلى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو إبراهيم يا إبراهيم لو خرجت معنا إلى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم إبراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه إلى الأرض وقال إني سقيم أشكى رجلى فتركوه ومضوا فنادى في آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس تألفه لأكيدين أصنامكم فسمعوها منه ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة وهن في بهو عظيم ومستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه صنم أصغر منه والأصنام جنبها إلى جنب بعض كل صنم الذي يليه أصغر منه وهكذا إلى باب البهو وإذا هم قد جعلوا طعاما بين يدي الآلهة وقالوا إذا رجعنا وقد بركت الآلهة عليه أكلنا منه فلما نظر إبراهيم إليهم وإلى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء «ألا تأكلون» فلما لم يجبه قال «ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين» وجعل يكسرهم بفأس في يده حتى إذا لم يبق إلا الصنم العظيم حلق الفأس في عنقه وقيل في يده ثم خرج فلذلك قوله تعالى (فجعلهم جذاذا) أي كسرا وقطعا (إلا كبيرا لهم) أي تركه ولم يكسره ووضع الفأس في عنقه ثم خرخ وحمل وقيل ربطه على يده وكانت اثنتين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من نحاس ورمصاص وحجر وخشب وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان وقوله (لعلهم إليه يرجعون) قيل معناه يرجعون إلى إبراهيم وإلى دينه وما يدعوهم إليه إذا علموا ضعف الآلهة وعجزها وقيل معناه لعلهم يرجعون إلى الصنم فيسألونه ما هؤلاء تكسروا وأنت صحيح والفأس في عنقك فلما رجع القوم من

قال «ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين» وجعل يكسرهم بفأس في يده حتى إذا لم يبق إلا الصنم الأكبر حلق الفأس في عنقه ثم خرج فلذلك قوله عز وجل (فجعلهم جذاذا) قرأ الكسائي جذاذا بكسر الجيم أي كسرا وقطعا جمع جديذ وهو الهشيم مثل خفيف وخفاف وقرأ الآخرون بضمها مثل الخطام والرفات (إلا كبيرا لهم) فإنه لم يكسره ووضع الفأس في عنقه وقيل ربطه بيده وكانت اثنتين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رمصاص وشبة وخشب وحجر وكان الصنم الكبير من الذهب مكللا بالجواهر في عينيه ياقوتتان تتقدان قوله تعالى (لعلهم إليه يرجعون) قيل معناه لعلهم يرجعون إلى دينه وإلى ما يدعوهم إليه إذا علموا ضعف الآلهة وعجزها وقيل لعلهم إليه يرجعون فيسألونه فلما رجع القوم من عيدهم إلى بيت آلهتهم ، ورأوا أصنامهم جذاذا

فعلهم عمل المنجنيق فعملوه ثم عمدوا إلى إبراهيم فزفوه على رأس البنيان وقيده ثم وضعوه في المنجنيق مقيدا مغلورا فصاحت السماء والأرض ومن فيها من الملائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صبيحة واحدة أي ربنا إبراهيم خليلك يلقي في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فأذن لنا في نصرته فقال الله عز وجل إنه خليلي ليس لي غيره خليل وأنا إله وليس له إله غيره فان استغاث بشيء منكم أودعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك وإن لم يدع غيره فإنا أعلم به وأنا وليه فخلوا ببني وبينه فلما أرادوا إلقاءه في النار آتاه خازن المياه فقال إن أردت أخذت النار وآتاه خازن الرياح فقال إن شئت طبرت النار في الهواء فقال إبراهيم لأحاجة لي إليكم حسبى الله ونعم الوكيل وروى عن أبي بن كعب أن

إبراهيم قال حين أوثقوه لي لقوة في النار قال لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق إلى النار فاستقبله جبريل فقال يا إبراهيم ألك حاجة فقال أما إليك فلا فقال جبريل فاسأل ربك فقال إبراهيم حسبى من سؤالي علمه بحالي (خ) عن ابن عباس في قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين أتى في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال نعم الناس إن الناس قد جمعوا لكم قال كعب الأحبار جعل كل شيء يطفئ عنه النار إلا الوزغ فإنه كان ينفخ في النار (ق) عن أم شريك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الأوزاغ زاد البخاري وقال كان ينفخ على إبراهيم (قلنا) يعني قال الله عز وجل (يا نازكوني بردا وسلاما على إبراهيم) قال ابن عباس لو لم يقل سلاما لمات إبراهيم من بردها وفي بعض الآثار أنه لم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفت فلم ينفع في ذلك اليوم بنار في العالم ولو لم يقل على إبراهيم بقيت ذات برد أبدا وقيل أخذت الملائكة بضبعي إبراهيم فأقعده على الأرض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ورجس قال كعب ما أحرق النار من إبراهيم إلا وثاقه قالوا وكان إبراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام قاله المنهال بن عمرو وقال إبراهيم ما كنت أبدا قط أنعم مني من الأيام التي كنت في النار قيل وبعث الله تعالى ملك الظل في صورة إبراهيم فقعد إلى جنب إبراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحده وقال جبريل يا إبراهيم إن ربك يقول أما علمت أن النار لا تنضر أحياي ثم نظر نمرود وأشرف على إبراهيم من صرح له فرآه جالسا في روضة والملك قاعد إلى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا إبراهيم كبير إهلك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال هل تخشى إن قمت أن تضرك قال لا قال فمخرج منها فإخرج منها فإخرج منها حتى خرج منها فلما وصل إليه قال له يا إبراهيم من الرجل الذي رأيت معك مثلك في صورتك قاعدا إلى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله إلى ربى ليؤنسي فيها فقال نمرود يا إبراهيم إنى مقرب إلى إهلك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت إلا عبادته وتوحيده وإنى ذابح له أربعة آلاف بقرة قال إبراهيم لا يقبل الله منك ما دمت على دينك حتى تفارقه وترجع إلى ديني فقال لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبحها فذبحها نمرود وكف عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومنعه الله

الحمد ولك الملك لا شريك لك ثم رموا به في المنجنيق إلى النار فاستقبله جبريل فقال يا إبراهيم ألك حاجة فقال أما إليك فلا قال جبريل فاسأل ربك فقال إبراهيم حسبى من سؤالي علمه بحالي (خ) عن ابن عباس في قوله تعالى وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل قال قال إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين أتى في النار وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قال نعم الناس إن الناس قد جمعوا لكم قال كعب الأحبار جعل كل شيء يطفئ عنه النار إلا الوزغ فإنه كان ينفخ في النار (ق) عن أم شريك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر بقتل الأوزاغ زاد البخاري وقال كان ينفخ على إبراهيم (قلنا) يعني قال الله عز وجل (يا نازكوني بردا وسلاما على إبراهيم) قال ابن عباس لو لم يقل سلاما لمات إبراهيم من بردها وفي بعض الآثار أنه لم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفت فلم ينفع في ذلك اليوم بنار في العالم ولو لم يقل على إبراهيم بقيت ذات برد أبدا وقيل أخذت الملائكة بضبعي إبراهيم فأقعده على الأرض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ورجس قال كعب ما أحرق النار من إبراهيم إلا وثاقه قالوا وكان إبراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام قاله المنهال بن عمرو وقال إبراهيم ما كنت أبدا قط أنعم مني من الأيام التي كنت في النار قيل وبعث الله تعالى ملك الظل في صورة إبراهيم فقعد إلى جنب إبراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله عز وجل جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحده وقال جبريل يا إبراهيم إن ربك يقول أما علمت أن النار لا تنضر أحياي ثم نظر نمرود وأشرف على إبراهيم من صرح له فرآه جالسا في روضة والملك قاعد إلى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا إبراهيم كبير إهلك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار يا إبراهيم هل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال هل تخشى إن قمت أن تضرك قال لا قال فمخرج منها فإخرج منها حتى خرج منها فلما وصل إليه قال له يا إبراهيم من الرجل الذي رأيت معك مثلك في صورتك قاعدا إلى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله إلى ربى ليؤنسي فيها فقال نمرود يا إبراهيم إنى مقرب إلى إهلك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت إلا عبادته وتوحيده وإنى ذابح له أربعة آلاف بقرة قال إبراهيم لا يقبل الله منك ما دمت على دينك حتى تفارقه وترجع إلى ديني فقال لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبحها فذبحها نمرود وكف عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام ومنعه الله

إبراهيم قال الله تعالى (قلنا يا نازكوني بردا وسلاما على إبراهيم) قال ابن عباس لو لم يقل سلاما لمات إبراهيم من بردها ومن المعروف في الآثار أنه لم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفت فلم ينفع في ذلك اليوم بنار في العالم ولو لم يقل على إبراهيم بقيت ذات برد أبدا قال السدي فأخذت الملائكة بضبعي إبراهيم فأقعده على الأرض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ورجس قال كعب ما أحرق النار من إبراهيم إلا وثاقه قالوا وكان إبراهيم في ذلك الموضع سبعة أيام قال إبراهيم ما كنت قط أبدا أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار قال ابن عباس وبعث الله ملك الظل في صورة إبراهيم فقعد فيها إلى جنب إبراهيم يؤنسه قالوا وبعث الله جبريل إليه بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وقعد معه يحده وقال

جبريل يا ابراهيم ان ربك يقول لك اما علمت ان النار لا تضر احبائي ثم نظر نمرود واسرف على ابراهيم من صرح له فراه جالسا في روضة والملك قاعدا الى جنبه وما حوله نار تحرق الحطب فناداه يا ابراهيم كبير اهلك الذي بلغت قدرته أي حال بينك وبين ما أرى يا ابراهيم هل تستطيع ان تخرج منها قال نعم قال هل تخشى ان أقت فيها أن تضرك قال لا قال فقم فأخرج منها فقام ابراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما خرج إليه قال له يا ابراهيم من الرجل الذي رأيت معك في مثل صورتك قاعدا الى جنبك قال ذلك ملك الظل أرسله الى رب ليؤنسني فيها فقال نمرود يا ابراهيم اني مقرب الى اهلك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فبما صنع بك حيث أبيت لإعبادته وتوحيده اني ذابح له أربعة آلاف بقرة فقال له ابراهيم اذن لا يقبلها منك ما كنت على دينك حتى تفارقه الى ديني فقال لا أستطيع (٣٠٢) ترك ملتي وملكي ولكن سوف أذبحها فذبحها له نمرود ثم كف عن

ابراهيم ومنعه الله منه قال شعيب الجبائي ألقى ابراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة قوله (وأرادوا به كيدا فجعلناهم الأخرس) قيل معناه أنهم خسروا السعي والتفقه ولم يحصل لهم مرادهم وقيل معناه إن الله عز وجل أرسل على نمرود وأهله البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت واحدة في دماغه فأهلكته قوله (ونجيناها واطوا) من نمرود وقومه من أرض العراق (الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) يعني الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار ومنها بعث أكثر الأنبياء وقال أبي بن كعب سماها مباركة

عز وجل منه قوله عز وجل (وأرادوا به كيدا) يعني أرادوا أن يكيدوه (فجعلناهم الأخرس) قيل معناه أنهم خسروا السعي والتفقه ولم يحصل لهم مرادهم وقيل إن الله تعالى أرسل على نمرود وقومه البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في دماغه فبعضه فأهلكته . قوله تعالى (ونجيناها واطوا) يعني من نمرود وقومه (الى الأرض التي باركنا فيها للعالمين) يعني الى أرض الشام بارك الله فيها بالخصب وكثرة الأشجار والثمار والأنهار وقال أبي بن كعب بارك الله فيها وسماها مباركة لأنه مامن ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي ببيت المقدس وقيل لأن أكثر الأنبياء منها (في) عن أبي قتادة أن عمر بن الخطاب رضی الله تعالى عنه قال لكعب الألتحول إلى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل بأمير المؤمنين إن الشام كنز الله من أرضه وبها كنز من عباده عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ستكون هجرة بعد هجرة فخير أهل الأرض أئمتهم مهاجر ابراهيم» أخرجه أبو داود أراد بالهجرة الثانية الهجرة إلى الشام يرغب في المقام بها عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «طوبى لأهل الشام فقلت وما ذلك يا رسول الله قال لأن الملائكة باسطة أجنحتها عليها» أخرجه الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال «قلت يا رسول الله أين تأمرني قال ها هنا ونحا بيده نحو الشام» أخرجه الترمذي قال محمد بن إسحاق استجاب لإبراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله تعالى به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود وملتهم وآمنت به سارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم وتبعه لوط وكان ابن أخيه وهو لوط بن هاران وهو أخو إبراهيم وكان لهما أخ ثالث اسمه تاخور فثلاثتهم أولاد تارخ وهو آزر فخرج إبراهيم من كوثي من أرض العراق مهاجرا إلى ربه معه لوط وسارة فخرج بلتمس الفرار بدبته والأمان على عبادة ربه حتى نزل حران فكث بها ما شاء الله ثم خرج مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج ورجع إلى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين ونزل لوط بالمتنكة وهي على مسيرة يوم وليلة من السبع فبعثه الله نبيا إلى أهلها وما قرب منها فذلك قوله تعالى ونجيناها واطوا إلى الأرض التي

لأنه مامن ماء عذب إلا وينبع أصله من تحت الصخرة التي هي بيت المقدس أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى باركا أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادى أنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة أن عمر بن الخطاب قال لكعب الألتحول إلى المدينة فيها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبره فقال كعب اني وجدت في كتاب الله المنزل بأمير المؤمنين أن الشام كنز الله من أرضه وبها كنز من عباده أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا جدى عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا محمد بن زكريا العنقافى أنا إسحاق الديري أنا عبد الرزاق أنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إنها ستكون هجرة بعد هجرة فخير الناس إلى مهاجر ابراهيم» وقال محمد بن إسحاق استجاب لإبراهيم رجال من قومه حين رأوا ما صنع الله به من

جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمرود وملته وآمن به لوط وكان ابن أخيه وهو لوط ابن هاران بن تارخ وهاران هو أخو إبراهيم وكان لهما أخ ثالث يقال له ناعور بن تارخ وآمنت به أيضا سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الأكبر عم إبراهيم فخرج من كوثي من أرض العراق مهاجرا إلى ربه ومع لوط وسارة كما قال الله تعالى «فآمن له لوط وقال إني مهاجر إلى ربي» فخرج بآمن من الرار بدينه والأمان على عبادة ربه حتى نزل حران فكث بها ما شاء الله ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ثم خرج من مصر إلى الشام فنزل السبع من أرض فلسطين وهي بيرة الشام ونزل لوط بالمؤتسكة وهي من السبع على مسيرة يوم ولبلة وأترب فبعثه الله نبيا فذلك قوله تعالى : «ونجيناه لوطا إلى الأرض التي باركنا فيها للعالمين» (ووهبنا له إسحق ويعقوب ذفلة) قال مجاهد وعطاء معني الناقل العظيمة وهما جميعا من عطاء الله نافلة بمعنى عطاء . قال الحسن والضحاك فضلا وعن ابن عباس وأبي بن كعب وابن زيد وقتادة رضي الله عنهم النافلة هو (٣٠٣) يعقوب لأن الله عز وجل أعطاه

إسحق بدعائه حيث قال
هب لي من الصالحين
وزاده يعقوب وهو ولد
الولد والنافلة الزيادة
(وكلا جعلنا صالحين)
يعني إبراهيم وإسحق
ويعقوب (وجعلناهم
أمة يهدون بأمرنا)
يقندى بهم في الخيرات
يهدون بأمرنا يتبعون
الناس إلى ديننا (وأوحينا
إليهم فعل الخيرات)
يعني العمل بالشرائع
(وإقام الصلاة) يعني
المحافظة عليها (وإيتاء
الزكاة) إعطاءها (وكانوا
لنا عابدين) موحدين
(وأوطأ آتيناها) يعني
وآتينا لوطا وقيل واذا ذكر
لوطا آتيناها (حكما) يعني
الفصل بين الخصوم بالحق
(وعلما ونجيناه من

باركنا فيها للعالمين » قوله تعالى (ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة) يعني عطية من عطاء الله قال ابن عباس النافلة هو يعقوب لأن الله تعالى أعطى إبراهيم إسحاق بدعائه حيث قال رب هب لي من الصالحين وزاده يعقوب نافلة وهو ولد الولد (وكلا جعلنا صالحين) يعني إبراهيم وإسحاق ويعقوب (وجعلناهم أمة) يعني قهوة يهتدى بهم في الخير (يهدون بأمرنا) يعني يدعون الناس إلى ديننا بأمرنا (وأوحينا إليهم فعل الخيرات) يعني العمل بالشرائع (وإقام الصلاة) يعني المحافظة عليها (وإيتاء الزكاة) يعني الواجبة وخصهما لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية وشرعت لذكر الله والزكاة أفضل العبادات المالية ومجدو عهما التعظيم لأمر الله والشفقة على خلق الله (وكانوا لنا عابدين) يعني موحدين قوله عز وجل (ولوطا آتيناها حكما) أي الفصل بين الخصوم بالحق وقيل أراد الحكمة والنبوة (وعلما ونجيناه من القرية التي كانت تعمل الخبائث) يعني قرية سدوم وأراد أهلها وأراد بالخبائث إتيان الذكور في أدبارهم وكانوا يتضارطون في مجالسهم مع أشياء أعر كانوا يعملونها من المنكرات (إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا) قيل أراد بالرحمة النبوة وقيل أراد بها الثواب (إنه من الصالحين) أي الأنبياء . قوله تعالى (ونوحا إذ نادى من قبل) أي من قبل إبراهيم ولوط (فاستجبنا له) أي أجبنا دعاءه (فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) قال ابن عباس مع الفرق وتكذيب قومه وقيل إنه كان أطول الأنبياء عمرا وأشدهم بلاء والكرب أشد الغم (ونصرناه) أي منعه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) من أن يصلوا إليه بسوء وقيل من بمعنى علي (إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) . قوله عز وجل (وداود وسلیمان إذ يحكما في الحرث) قال ابن عباس وأكثر المفسرين كان الحرث كرمًا قد تدلت عنا قيده وقيل كان زرعًا وهو أشبه بالعرف (إذ نشفت فيه غم القوم) أي رعته ليلا فأفسدته وكان بلا راع (وكنا لحكمهم شاهدين) أي كان ذلك بعلمنا ورأى منا لا يخفى علينا علمه

القرية التي كانت تعمل الخبائث) يعني سدومًا وكان أهلها يأتون الذكران في أدبارهم ويتضارطون في أندبتهم مع أشياء أعر كانوا يعملونها من المنكرات (إنهم كانوا قوم سوء فاسقين وأدخلناه في رحمتنا) لأنه من الصالحين ونوحا إذ نادى (دعا) من قبل) يعني من قبل إبراهيم ولوط (فاستجبنا له فنجيناه وأهله من الكرب العظيم) قال ابن عباس مع الفرق وتكذيب قومه وقيل لأنه كان أطول الأنبياء عمرا وأشدهم بلاء والكرب أشد الغم (ونصرناه) أي منعه (من القوم الذين كذبوا بآياتنا) أن يصلوا إليه بسوء وقال أبو عبيدة يعني علي القوم (إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين) قوله تعالى (وداود وسلیمان إذ يحكما في الحرث) اختلوا في الحرث قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهم وأكثر المفسرين كان الحرث كرمًا قد تدلت عنا قيده وقال قتادة كان زرعًا (إذ نشفت فيه غم القوم) يعني رعته ليلا فأفسدته والنفس الرعي بالليل والغمل بالتهار وهما الرعي بالأراع (وكنا لحكمهم شاهدين) يعني كان ذلك بعلمنا ورأى منا لا يخفى علينا علمه . قال الفراء جمع

الثاني فقال لحكيمهم وهو يريد داود وسليمان لأن الاثنين جمع وهو مثل قوله فان كان له إخوة فلأمة السادس وهو يروي
أخوين قال ابن عباس وقتادة والزهرى وذلك أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب زرع والآخر صاحب غنم فقال
صاحب الزرع إن هذا انفلتت غنمه ليلا ووقعت في حرثي فأفسدته فلم يبق منه شيء فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث فخرجا
فرا على سليمان فقال كيف قضى (٣٠٤) بينكما فأخبراه فقال سليمان لو وليت أمرهما لتقضيت بغير هذا وروى أنه

قال غير هذا أرفق
بالفريقين فأخبر بذلك
داود فدعاه فقال كيف
تقضى ويروى أنه قال
بحق النبوة والأبوة ألا
أخبرتني بالذي هو
أرفق بالفريقين قال ادفع
الغنم إلى صاحب الحرث
ينتفع بنهرها وتسلفها
وصوفها ومنافعها ويؤثر
صاحب الغنم لصاحب
الحرث مثل حرثه فإذا
صار الحرث كهية يوم
أكل دفع إلى أهله وأخذ
صاحب الغنم غنمه فقال
داود القضاء ما قضيت
وحكم بذلك وقيل إن
سليمان يوم حكم بذلك
كان ابن إحدى عشرة
سنة وأما حكم الإسلام
في هذه المسألة أن ما أفسدت
الماشية المرسله بالنهار
من مال الغير فلا ضمان
على ربه وما أفسدته
بالليل ضمنه بها لأن
في عرف الناس أن أصحاب
الزرع يحفظونه بالنهار
والمواشي تشرح بالنهار

وفيه دليل لمن يقول بأن أقل الجمع اثنان لقوله وكنا لحكيمهم والمراد به داود وسليمان قال
ابن عباس وغيره أن رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب غنم
فقال صاحب الزرع إن غنم هذا دخلت زرعى ليلا فوقع في فأسدته فلم يبق منه شيئا
فأعطاه رقاب الغنم بالزرع فخرجا فرا على سليمان فقال كيف قضى بينكما فأخبراه فقال
سليمان لو وليت أمركما لتقضيت بغير هذا وروى أنه قال له بحق النبوة والأبوة إلا ما أخبرتني بالذي هو
داود فدعاه وقال كيف قضى ويروى أنه قال له بحق النبوة والأبوة إلا ما أخبرتني بالذي هو
أرفق بالفريقين قال ادفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بنهرها وتسلفها وصوفها ومنافعها
ويؤثر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه فإذا صار الحرث كهية يوم أكل دفع
إلى صاحبه وأخذ صاحب الغنم غنمه فقال داود القضاء ما قضيت وحكم بذلك فقيل كان
لسليمان يوم حكم بذلك من العمر إحدى عشرة سنة وحكم الإسلام في هذه المسألة أن ما أفسدته
الماشية المرسله من مال الغير بالنهار فلا ضمان على ربه وما أفسدته بالليل ضمنه ربه لأن
في عرف الناس أن أصحاب الزرع يحفظونه بالنهار والمواشي تشرح بالنهار وترد بالليل إلى المراح
ويدل على هذه المسألة ما روى حرام بن سعد بن محيصة أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطا
لرجل من الأنصار فأفسدت فيه فتقاضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن على أهل الأموال
حفظها بالنهار وعلى أهل المواشي حفظها بالليل وزاد في رواية وإن على أهل الماشية ما أصابت ماشيتهم
بالليل أخرجه أبو داود ومرسلا وذهب أصحاب الرأي أن المالك إذا لم يكن مع ماشيته فلا ضمان
عليه فيما أتلفت ليلا كان أو نهارا فذلك قوله تعالى (ففهمنها سليمان) أي علمناه وأعلمناه حكم
التقضية (وكلا) أي داود وسليمان (آتيناهم حكما وعلمنا) أي بوجود الاجتهاد وطرق الأحكام قال
الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد هلكوا ولكن الله حمد هذا بصوابه وأنتى على هذا
باجتهاده واختلف العلماء في أن حكم داود كان باجتهاده أم بنص وكذلك حكم سليمان فقال
بعضهم حكما بالاجتهاد قال ويجوز الاجتهاد للأنبياء ليدركوا ثواب اجتهادهم والعلماء لهم
الاجتهاد في الحوادث إذا لم يجدوا فيها نص كتاب أو سنة وإذا أخطوا فلا إثم عليهم (ق) عن
عبد الله بن عمرو بن العاص قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إذا حكم الحاكم فاجتهد
فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر » وقال قوم إن داود وسليمان حكما بالوحي
فكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود ومن قال بهذا يقول لا يجوز للأنبياء الحكم بالاجتهاد لأنهم
مستغنون عنه بالوحي واحتج بمن ذهب إلى أن كل مجتهد مصيب بظاهر هذه الآية وبالتحديث
حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطأ وهو قول أصحاب الرأي وذهب جماعة إلى أنه ليس كل

أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحق الهاشمي أنا أبو مصعب مجتهد
عن مالك عن ابن شهاب عن حرام بن سعد بن محيصة أن ناقة للبراء بن عازب دخلت حائطا فأفسدت فتقاضى رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن على أهل الحوائط حفظها بالنهار وأن ما أفسدت المواشي بالليل ضمان على أهلها وذهب أصحاب الرأي
إلى أن المالك إذا لم يكن معها فلا ضمان عليه فيما أتلفت ماشيته ليلا كان أو نهارا قوله تعالى (ففهمنها سليمان) أي علمناه
التقضية وأعلمناها سليمان (وكلا) يعني داود وسليمان (آتيناهم حكما وعلمنا) قال الحسن لولا هذه الآية لرأيت الحكام قد

قد هلكتوا ولكن الله حمد هذا بصوابه وأثنى على هذا باجتهاده. واختلف العلماء في أن حكم داود كان بالاجتهاد أو بالنص وكذلك حكم سليمان ، فقال بعضهم فعلا بالاجتهاد وقالوا يجوز الاجتهاد للأنبياء ليدرخوا ثواب المجتهدين إلا أن داود أخطأ وأصاب سليمان وقالوا يجوز الخطأ على الأنبياء إلا أنهم لا يقرون عليه فأما العلماء فلهم الاجتهاد في الحوادث إذا لم يجدوا فيها نص كتاب ولا سنة فاذا أخطوا فلا إثم عليهم فإنه موضوع عنهم لما أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز ابن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع بن سايان أنا الشافعي أنا عبد العزيز بن محمد عن يزيد بن عبد الله ابن الهاد عن محمد بن إبراهيم التيمي عن بسر بن أبي سعيد عن قيس مولى عمرو بن العاص عن عمرو بن العاص أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإذا حكم فاجتهد فأخطأ فله أجر ، وقال قوم إن داود وسليمان حكما بالوحي وكان حكم سليمان ناسخا لحكم داود وهذا القائل يقول لا يجوز للأنبياء الحكم بالاجتهاد لأنهم مستغنون عن الاجتهاد بالوحي وقالوا لا يجوز الخطأ على الأنبياء . (٣٠٥) واحتج من ذهب إلى أن كل مجتهد

مجتهد مصيبا بل إذا اختلف اجتهاد المجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى ، وقوله صلى الله عليه وسلم « إذا اجتهد فأخطأ فله أجر » لم يرد به أنه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده في طلب الحق لأن اجتهاده عبادة والإثم في الخطأ عنه موضوع إذا لم يأل جهدا ، ووجه الاجتهاد في هذا الحكم أن داود قوم قدر الضرر في الحرث فكان مساويا لقيمة الغنم وكان عنده أن الواجب في ذلك الضرر في الحرث قيمة المثل فلا جرم سلم الغنم إلى الغني عليه . وأما سليمان فإن اجتهاده أدى إلى أنه يجب مقابلة الأصول بالأصول والأروايد بالزوائد ، فأما مقابلة الأصول بالزوائد فغير جائزة وأصل متافع الغنم في تلك السنة كانت موازية لمتافع الحرث فحكم به ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ماروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بواحد فمات ، فماتت صاحبتها إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك ففتحا كتنا إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان بن داود فأخبرته فقال اتنوني بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابنا فقضى به للصغرى ، أخرجاه في الصحيحين قوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) أي يسبحن مع داود إذا سبح قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر قبل كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقيل معنى يسبحن يصلين معه إذا صلى وقيل كان داود إذا قرأ بسم الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشناق إليه (وكنا فاعلين) يعني ما ذكر من التفهيم وإيتاء الحكم والتسخير (وعلمناه صنعة لبوس لكم) أي صنعة الدروع التي تلبس في الحرب قبل أول من صنع الدروع وسردها

مصيب بظاهر الآية وبالحيز حيث وعد الثواب للمجتهد على الخطأ وهو قول أصحاب الرأي . وذهب جماعة إلى أنه ليس كل مجتهد مصيبا بل إذا اختلف اجتهاد مجتهدين في حادثة كان الحق مع واحد لا بعينه ولو كان كل واحد مصيبا لم يكن للتقسيم معنى ، وقوله عليه الصلاة والسلام « وإذا اجتهد فأخطأ فله أجر » لم يرد به أنه يؤجر على الخطأ بل يؤجر على اجتهاده في طلب الحق لأن اجتهاده عبادة والإثم في الخطأ عنه موضوع

(٣٩٩ - سخازن بالبعوي - رابع) إذا لم يأل جهده . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله التيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أنا أبو الزناد عن عبد الرحمن الأعرج أنه سمع أبا هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « كانت امرأتان معهما ابناهما فجاء الذئب فذهب بواحد فماتت صاحبتها إنما ذهب بابنك وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك ففتحا كتنا إلى داود فقضى به للكبرى فخرجتا على سليمان وأخبرته فقال اتنوني بالسكين أشقه بينهما فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله فهو ابنا فقضى به للصغرى » قوله تعالى (وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير) أي وسخرنا الجبال والطير يسبحن مع داود إذا سبح ، قال ابن عباس كان يفهم تسبيح الحجر والشجر وقال وهب كانت الجبال تجاوبه بالتسبيح وكذلك الطير وقال قتادة يسبحن أي يصلين معه إذا صلى وقيل كان داود إذا قرأ بسم الله تسبيح الجبال والطير لينشط في التسبيح ويشناق إليه (وكنا فاعلين) ما ذكر من التفهيم وإيتاء الحكم والتسخير (وعلمناه صنعة لبوس لكم) المراد باللوس هنا الدروع لأنها تلبس وهو في اللغة اسم لكل ما يلبس ويستعمل في الأسلحة كلها وهو بمعنى اللبوس كالجلوس والركوب قال قتادة أول من صنع الدروع وسردها وحلتها داود ، وكانت من قبل

صفائح والدرع يجمع الخفة والحصانة (لتحصنكم) لتحرككم وتمنعكم (من بأسكم) أي من حرب عدوكم، قال السدي من وقع السلاح. فيكم قرأ أبو جعفر وابن عامر وحفص عن عاصم ويعقوب لتحصنكم بالثناء يعني الضنعة وقرأ أبو بكر عن عاصم بالنون لقوله وعلمناه وقرأ الآخرون بالياء وجعلوا الفعل للبوس وقيل ليحصنكم الله (فهل أنتم شاكرون) يقول لداود وأهل بيته وقيل يقول لأهل مكة فهل أنتم شاكرون نعمى بطاعة الرسول (ولسليان الريح عاصفة) أي ونحزنا لسليان الريح وهي هواء متحرك وهو جسم لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه ويظهر للحس بحركته والريح يد كروبووث عاصفة شديدة الهبوب. فان قيل قد قال في موضع آخر تجرى بأمره رخاء والرخاء اللين قيل كانت الريح تحت أمره إن أراد أن تشد اشتدت وإن أراد أن تلين (٣٠٦) لانت (تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها) يعني الشام وذلك أنها

وتأخذها حلقا داود وكانت من قبل صفائح قالوا إن الله لأن الحديد لداود بأن يعمل منه بغير ذر كأنه طين والدرع يجمع بين الخفة والحصانة وهو قوله تعالى (لتحصنكم) أي تمنعكم (من بأسكم) أي حرب عدوكم وقيل من وقع السلاح فيكم وقيل ليحصنكم الله به (فهل أنتم شاكرون) أي يقول ذلك لداود وأهل بيته قوله عز وجل (ولسليان الريح) أي ونحزنا لسليان الريح وهو جسم متحرك لطيف يمتنع بلطفه من القبض عليه يظهر للحس بحركته ويخفى عن البصر بلطفه (عاصفة) أي شديدة الهبوب. فان قلت قد وصفها الله بالرخاء وهي الريح اللينة قلت كانت الريح تحت أمره إن أراد أن تشد اشتدت وإن أراد أن تلين لانت (تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها) يعني الشام وذلك لأنها كانت تجرى لسليان وأصحابه حيث يشاء سليمان ثم يعود إلى منزله بالشام (وكتاب بكل شيء) علمناه (علمين) بصحة التديبير فيه وعلمنا أن ما يعطى لسليان من تسخير الريح وغيره يدعوه إلى الخضوع لربه. قال وهب كان سليمان عليه السلام إذا خرج إلى مجلسه خلقت عليه الطير وقام له الإنس والجن حتى يجلس على سريره وكان أمرا غزاة فلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الأرض يملك إلا أناه حتى يذله وكان فيها يزعمون إذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب له بحشب ثم نصب له على الحشب ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت ذلك الحشب فاحتملته حتى إذا استقلت به أمر الرخاء فرت به شهرا في روحته وشهرا في غدوته إلى حيث أراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء وبالزراعة فما تحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذي طائرا. قال وهب ذكر لي أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان إما من الأنس أو من الجن نحن نزلناه وما بنينا ومبليا وجدناه غدونا من إصطخر فقلناه ونحن راثمون منه إن شاء الله فنزلون بالشام وقال مقاتل نسجت الشياطين لسليان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في إريسم وكان يوضع له منير من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرمي من ذهب وفضة تقعد الأنبياء على كرامى الذهب والعلماء على كرامى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه شمس وترفع ریح الصبا

كانت تجرى لسليان وأصحابه حيث شاء سليمان ثم يعود إلى منزله بالشام (وكتاب بكل شيء) علمناه (علمين) بصحة التديبير فيه، أي علمنا أن ما يعطى لسليان من تسخير الريح وغيره يدعوه إلى الخضوع لربه عز وجل قال وهب ابن منبه كان سليمان إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير وقام له الجن والإنس حتى يجلس على سريره وكان أمرا غزاة قلما يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الأرض يملك إلا أناه حتى يذله فكان فيها يزعمون أنه إذا أراد الغزو أمر بعسكره فضرب بحشب ثم نصب له على الحشب ثم حمل

عليه الناس والدواب وآلة الحرب فاذا حمل معه ما يريد أمر العاصفة من الريح فدخلت تحت ذلك الحشب فاحتملته حتى إذا استقلت به أمر الرخاء فرت به شهرا في روحته وشهرا في غدوته إلى حيث أراد وكانت تمر بعسكره الريح الرخاء وبالزراعة فما تحركها ولا تثير ترابا ولا تؤذي طائرا قال وهب ذكر لي أن منزلا بناحية دجلة مكتوب فيه كتبه بعض صحابة سليمان إما من الجن وإما من الأنس: نحن نزلناه وما بنينا ومبليا وجدناه غدونا من إصطخر فقلناه ونحن راثمون منه إن شاء الله فباتون بالشام. قال مقاتل: نسجت الشياطين لسليان بساطا فرسخا في فرسخ ذهبا في إريسم، وكان يوضع له منير من الذهب في وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرمي من ذهب وفضة ويقعد الأنبياء على كرامى الذهب والعلماء على كرامى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه

الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح ومن الرواح إلى الصباح . وعن سعيد بن جبير قال كان يوضع لسليمان ستائة ألف كرمي فيجاس الإنس فيما يابيه ثم يليهم الجن ثم تظلمهم الطير ثم تحملهم الريح . وقال الحسن لما شغلت الخليل نبي الله سليمان عليه السلام حتى فاتته صلاة العصر غضب لله عز وجل فعقر الخليل فأبدله الله مكانها خيبرا منها وأسرع الريح تجري بأمره كيف شاء فكان يغدو من إيلياء فيقبل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحه ببايل وقال ابن زيد كان له مركب من خشب وكان فيه ألف ركن في كل ركن ألف بيت يركب معه فيه الجن والإنس تحت كل ركن ألف شيطان يرفعون ذلك المركب فإذا ارتفع أنت الريح الرخاء فسارت به وبهم يقبل عند قوم بينه وبينهم شهر ولا يدري القوم إلا وقد أظلمهم معه الجيوش . وروى أن سليمان سار من أرض العراق غازيا فقال بمدينة مرو وصلى العصر بمدينة بلخ بعمله وجنوده الريح وتظلمهم الطير ثم سار من مدينة بلخ متخللا (٣٠٧) بلاد الترك ثم جاءهم إلى أرض الصين يغدو على مسيرة

البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح وقال الحسن لما شغلت نبي الله سليمان الخليل حتى فاتته صلاة العصر غضب لله فعقر الخليل فأبدله الله مكانها خيبرا منها وأسرع الريح تجري بأمره كيف شاء فكان يغدو من إيلياء فيقبل باصطخر ثم يروح منها فيكون رواحه ببايل وروى أن سليمان سار من أرض العراق فقال بمدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزهم إلى أرض الصين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض القندهار وخرج منها إلى أرض مكران وكمران ثم جاوزها حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما وغدا منها فقال بكسرك ثم راح إلى الشام وكان مستقره بمدينة تدمر وكان أمر الشياطين قبل شخوصه إلى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الأصفر والأبيض وفي ذلك يقول النابغة :

إلا سليمان إذ قال المليك له قم في البرية فأحدها عن الفند
وجيش الجن إنى قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد

قوله عز وجل (ومن الشياطين) أي وسخرنا له من الشياطين (من يغوصون له) أي يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر (ويعملون عملا دون ذلك) أي دون الغوص وهو اختراع الصنائع العجيبة كما قال ويعملون له ما يشاء من محارِب وتماثيل الآية ويتجاوزون في ذلك إلى أعمال المدن والقصور والصناعات كاتخاذ النورة والقوارير والصابون وغير ذلك (وكننا لهم حافظين) يعني حتى لا يخرجوا عن أمره وقيل حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا وذلك أنهم كانوا إذا عملوا عملا في النهار وفرغ قبل الليل أفسدوه وخربوه . قيل إن سليمان كان إذا بعث شيطانا مع إنسان ليعمل له عملا قال له إذا فرغ من عمله قبل الليل أشغله يعمل آخر ليلة بسد ما عمل ويخربه . قوله تعالى (وأيوب إذ نادى ربه) يعني دعا ربه .

(ذكر قصة أيوب عليه السلام)

قال وهب بن منبه كان أيوب رجلا من الروم وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم

وجيش الجن إنى قد أذنت لهم يبنون تدمر بالصفاح والعمد

قوله تعالى (ومن الشياطين) يعني وسخرنا له من الشياطين (من يغوصون له) يعني يدخلون تحت الماء فيخرجون له من قعر البحر الجواهر (ويعملون عملا دون ذلك) يعني دون الغوص وهو ما ذكر الله عز وجل ويعملون له ما يشاء من محارِب وتماثيل الآية (وكننا لهم حافظين) حتى لا يخرجوا من أمره وقال الزجاج معناه حفظناهم من أن يفسدوا ما عملوا ، وفي القصة أن سليمان كان إذا بعث شيطانا مع إنسان ليعمل له عملا قال له إذا فرغ من عمله قبل الليل أشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمل وكان من عادة الشياطين أنهم إذا فرغوا من العمل ولم يشتغلوا بعمل آخر خربوا ما عملوا وأفسدوه . قوله تعالى (وأيوب إذ نادى ربه) يعني دعا ربه قال وهب بن منبه كان أيوب رجلا من الروم وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم وكانت أمه من أولاد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا وكانت له البنية من أرض الشام كلها سهلها

الشين يغدو على مسيرة شهر ويروح على مثل ذلك ثم عن مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض القندهار وخرج منها إلى أرض مكران وكمران ثم جاوزها حوالي أرض فارس فنزلها أياما وغدا منها إلى الشام فقال بكسرك ثم راح وكان مستقره بمدينة تدمر وكان أمر الشياطين قبل شخوصه من الشام إلى العراق فبنوها له بالصفاح والعمد والرخام الأصفر والأبيض يقول النابغة :
إلا سليمان إذ قال المليك له قم في البرية فأحدها عن الفند

وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من البقر والإبل والغنم والحيل والحمير مالا يكون لرجل أفضل منه من العدة والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة كل فدان أتان وكل أتان من الولد اثنان وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك وكان الله أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان برا تقيا راحيا بالمساكين يطعم المساكين ويكفل الأرمال والأيتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكر الأنعم الله مؤديا حتى الله قد امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال له النغر ورجلان من أهل بلده يقال لأحدهما بلدد والآخر صافر وكانوا كهولا وكان إبليس لا يحب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حينما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع سموات ، فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب من الثلاث الباقية نسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فأدركه البغي والحسد فصعد سريعا حتى وقف من السماء موقعا كان يقفه فقال إلهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيتك فحمدك ولو ابتليت به بزعم ما أعطيتك لحال عما هو عليه من شكرك وعبادتك ولخرج من طاعتك قال الله عز وجل انطلق (٣٠٨) فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله إبليس حتى وقع إلى الأرض ثم

ابن عيسى بن إسحاق بن إبراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله تعالى قد اصطفاه ونياه وبسط له الدنيا ركائز له البقية من أرض البلقاء من أعمال خوارزم مع أرض الشام كلها سهلها وجبلها وكان له فيها من أصناف المال كله من الإبل والبقر والغنم والحيل والحمير مالا يكون لرجل أفضل منه في العدد والكثرة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل له آلة كل فدان أتان لكل أتان من الولد اثنان أو ثلاثة أو أربع أو خمس وفوق ذلك وكان الله تعالى قد أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان برا تقيا راحيا بالمساكين يطعمهم ويكفل الأيتام والأرمال ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكر الأنعم الله مؤديا حتى الله قد امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما يصيب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وصدقوه رجل من أهل اليمن يقال له النغر وقيل نغير ورجلان من أهل بلده يقال لأحدهما تلدد والآخر صافر وكان لؤلؤا مال وكان إبليس لا يحب عن شيء من السموات وكان يقف فيهن حينما أراد حتى رفع الله عيسى فحجب عن أربع . فلما بعث محمد صلى الله عليه وسلم حجب عن السموات كلها إلا من استرق السمع فسمع إبليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكره الله وأثنى عليه فأدرك إبليس الحسد والبغي فصعد سريعا

جمع عقاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من القوة ؟ فأتى قد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة الفادحة والفتنة التي لا يصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت لعصارا من نار وأحرقت كل شيء أتى عليه فقال له إبليس فأت الإبل ورعاتها فأتى الإبل حين وضعت رموسها وثبتت

حتى

في مراعيها فلم يشعر الناس حتى نار من تحت الأرض لعصار من نار لا يدنو منها أحد إلا احتزق فأحرقتها ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله إبليس في صورة قبيحة على قمر إلى أيوب فوجده قائما يصلي فقال يا أيوب أقبلت نار حتى عشيت إبلك فأحرقتها ومن فيها غبري فقال أيوب الحمد لله الذي هو أعطاه وهو أخذها وقديما ما وطنت فغنى ومالى على الفناء فقال إبليس فان ربك أرسل عليها نارا من السماء فأحترقت فتركت للناس مهوتين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئا وما كان إلا في غرور ومنهم من يقول لو كان إله أيوب يقدر على أن يصنع شيئا لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ذلك ليشتت به عدوه ويفجع به صديقه فقال أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود في التراب وعريانا أحشر إلى الله ليس لك أن تفرح حين أعارك ولا أن تجزع حين قبض عاريتك منك الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله قبلك أيها العبد خيرا أنقل روحك مع تلك الأرواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرًا فأخرك فرجع إبليس إلى أصحابه خائبا خاسرا ذليلا فقال لهم ماذا عندكم من القوة فأتى لم أكلم قلبه قال عفريت عندي من القوة ما إذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه فقال إبليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ، ثم صاح

تحت الأرض لعصار من نار لا يدنو منها أحد إلا احتزق فأحرقتها ورعاتها حتى أتى على آخرها ثم جاء عدو الله إبليس في صورة قبيحة على قمر إلى أيوب فوجده قائما يصلي فقال يا أيوب أقبلت نار حتى عشيت إبلك فأحرقتها ومن فيها غبري فقال أيوب الحمد لله الذي هو أعطاه وهو أخذها وقديما ما وطنت فغنى ومالى على الفناء فقال إبليس فان ربك أرسل عليها نارا من السماء فأحترقت فتركت للناس مهوتين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئا وما كان إلا في غرور ومنهم من يقول لو كان إله أيوب يقدر على أن يصنع شيئا لمنع وليه ومنهم من يقول بل هو الذي فعل ذلك ليشتت به عدوه ويفجع به صديقه فقال أيوب الحمد لله حين أعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود في التراب وعريانا أحشر إلى الله ليس لك أن تفرح حين أعارك ولا أن تجزع حين قبض عاريتك منك الله أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله قبلك أيها العبد خيرا أنقل روحك مع تلك الأرواح وصرت شهيدا ولكنه علم منك شرًا فأخرك فرجع إبليس إلى أصحابه خائبا خاسرا ذليلا فقال لهم ماذا عندكم من القوة فأتى لم أكلم قلبه قال عفريت عندي من القوة ما إذا شئت صحت صيحة لا يسمعها ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه فقال إبليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق حتى توسطها ، ثم صاح

صبيحة فتجسدت أمواتا عن آخرها ومات رعاؤها ثم جاء إبليس متمثلا بقهرمان الرعاة إلى أيوب وهو يصلي فقال له مثل القول الأول فرد عليه مثل الرد الأول ثم رجع إبليس إلى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت عندي من القوة ما إذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شيء تأتي عليه قال فأت القدادين والحراث فانطلق ولم يشعروا حتى هبت ريح عاصف فنسفت كل شيء مع ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء إبليس متمثلا بقهرمان الحراث إلى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الأول فرد عليه أيوب مثل رده الأول كلما انتهى إليه هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضى منه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء (٣٠٩) حتى لم يبق له مال فلما رأى

إبليس أنه قد أفنى ماله
صعد إلى السماء فقال
لهي إن أيوب يرى منك
أنك ما تمتعه بولده فأنت
تعطيه المال فهل أنت
مسلطى على ولده فأنها
المصيبة التي لا تقوم لما قلوب
الرجال قال الله تعالى
انطلق فقد سلطتك على
ولده فاتنقض عدو الله
إبليس حتى جاء بني
أيوب وهم في قصرهم
فلم يزل ينزل بهم حتى
تداعى من قواعد
ثم جعل ينطح جدره
بعضها ببعض ويرميهم
بالحطب والجندل حتى
إذا مثل بهم كل مائة
رفع القصر قلبه فصاروا
منكسين ثم انطلق إلى
أيوب متمثلا بالمعلم
الذي كان يعلمهم
الحكمة وقال لو رأيت

حتى وقف من السماء حيث كان يقف وقال لهي نظرت في أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا
أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ولو ابتليته بنزع ما أعطيتك لخال عما هو عليه من شكرك
وعبادتك ونخرج عن طاعتك قال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على ماله فاتنقض عدو الله
إبليس حتى وقع على الأرض فجمع عفاريت الجن ومردة الشياطين وقال لهم ماذا عندكم من
القوة فقد سلطت على مال أيوب وهي المصيبة الفادحة والفنتة التي لا تصير عليها الرجال فقال
عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت إعصارا من نار فأحرق كل شيء
أتى عليه قال إبليس اذهب فأنت الإبل ورعاتها فأتى الإبل حين وضعت رءوسها ورعت فلم
يشر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصارا من نار فأحرق الإبل ورعاتها حتى أتى على
آخرها ثم جاء عدو الله إبليس في صورة قيم بمن كانوا عليها على قعود إلى أيوب فوجده قائما
يصلي فقال يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت إبلك وأحرقتها ومن فيها غيري فقال أيوب يعد
أن فرغ من الصلاة الحمد لله هو أعطانيها وهو أخذها وإنما مال الله أعارنيها وهو أولى بها إذا
شاء نزعها قال فتركت الناس مهوتين يتعجبون منها منهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيئا
وما كان إلا في غرور ومنهم من يقول لو كان إله أيوب يقدر أن يضع شيئا لمنع وليه ومنهم
من يقول بل هو الذي فعل ما فعل ليشتت به عدوه ويقبض صديقه فقال أيوب الحمد لله
حين أعطاني وحين نزع مني عريانا خرجت من بطن أمي وعريانا أعود إلى التراب وعريانا
أحشر إلى الله عز وجل ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك وتجزع حين قبض عاريته الله
أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خير النفل وروحك مع تلك الأرواح وصرت
شهيدا ولكمه علم منك شرا فأحرك فرجع إبليس إلى أصحابه خاسئا ذليلا فقال ما عندكم من
القوة فاني لم أكلم قلبه قال عفريت من الجن عندي من القوة ما إذا شئت صحت صبيحة لا يسمعها
ذودوح إلا خرجت روحه قال إبليس فأت الغنم ورعاتها فانطلق حتى نوسطها ثم صاح صبيحة
انجسنت أمواتا من عند آخرها ومات رعاتها فجاء إبليس متمثلا بقهرمان الرعاة إلى أيوب
فرجده يصلي فقال له مثل القول الأول فرد عليه أيوب مثل الرد الأول فرجع إبليس إلى
أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فاني لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت عندي من القوة ما إذا شئت

بنيك كيف عذبوا وقلوبوا وكانوا منكسين على رءوسهم تسيل دماؤهم ودماعهم ولو رأيت كيف شقت بطونهم
وتناثرت أمعاؤهم لقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق أيوب فيكي وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه
وقال يا ليت أمي لم تلدني فاغتنم إبليس ذلك فصعد سريعا بالذي كان من جزع أيوب مسرورا به ثم لم يلبث أيوب أن فاء
وأصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته إلى الله وهو أعلم فوقف إبليس ذليلا فقال يا الهي إنما هون
على أيوب المال والولد أنه يرى منك أنك ما تمتعه بنفسه فأنت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطى على جسده
فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه ولا على قلبه وكان الله عز وجل
أعلم به لم يسلط عليه إلا رحمة له ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للعابدين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا

٤ في الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله إبليس سريعا فوجد أيوب ساجدا فعجل قبل أن يرفع رأسه فاتاه من قبل وجهه فتفتح في منخره نفخة اشتعل منها جميع جسده فخرج من قرنه إلى قدمه ثآليل مثل آليات الغنم ووقعت فيها حكة فحكها بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نفل لحمه وتقطع وتغير وأنين وأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته رحمة وهي بنت إفرائيم بن يوسف بن يعقوب كانت تختلف إليه بما يصلحه ويلزمه فلما رأى الثلاثة من أصحابه وهم النفر وبلدد وصافر ما ابتلاه الله به أمهوه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا إليه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب إلى الله من الذنب الذي (٣١٠) عوقبت به وكان ممن حضره معهم في حديث السن قد آمن به وصدقته

فقال لهم إنكم تكلمتم أيها الكهول وكنتم أحق بالكلام مني لأستأنكم ولكن قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم ومن الأمر أجمل من الذي أتيتم قد كان لأيوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذي وصفتم فهل تلوون ليها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم ومن الرجل الذي عبتهم وأهنتهم؟ ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وخيرته من خلقه وصفوته من أهل الأرض في يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يطعكم الله من أمره على أنه قد سخط عليه شيئا من أمره منذ آتاه الله ما آتاه إلى يومكم هذا ،

تحولت ريحا عاصفة تنسف كل شيء تأتي عليه قال فأت القدادين في الحرث والزرع فانطلق يؤمهم وذلك حين شرع القدادون في الحرث والزرع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصفة فنسفت كل شيء من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم جاء إبليس متمثلا بقهر مانهم إلى أيوب وهو قائم يصلي فقال له مثل قوله الأول فرد عليه أيوب مثل رده الأول وجعل إبليس يصف ماله مالا مالا حتى مر على آخره كلما انتهى إلى هلاك مال من أمواله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضى عنه بالقضاء ووطن نفسه بالصبر والبلاء حتى لم يبق له مال فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه بشيء صعد سريعا حتى وقف في الموقف الذي يقف فيه وقال إلهي إن أيوب يرى أنك ما منعت بولده فأنت معطيه المال فهل أنت مسلط على ولده أنها المصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال قال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى أتى بني أيوب وهم في قصرهم فلم يزل يززل بهم القصر حتى تداعى من قواعده وجعل جدره يضرب بعضها بعضا يرميهم بالحشب والحجارة فلما مثل بهم كل مثله رفع القصر وقابه عليهم وصاروا منكسبين وانطلق إلى أيوب متمثلا بالمعلم الذي كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه فأخبره وقال لو رأيت بئيك كيف عذبوا وكيف انقلبوا منكوسين على رءوسهم تسيل دماءهم وأدمغتهم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتأثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك عليهم فلم يزل يقول هذا ونحوه حتى رق قلب أيوب وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال ياليت أي لم تلدني فاغتم إبليس ذلك فصعد سريعا بالذي كان من جزع أيوب مسرورا به ثم يلبث أيوب أن فاء وأبصر واستغفر فصعد قرناؤه من الملائكة بتوبته فسبقت توبته إلى الله وهو أعلم فوقف إبليس خامسا ذليلا وقال إلهي إنما هون على أيوب المال والولد أنه يرى أنك ما منعت بنفسه فأنت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلط على جسده فقال الله عز وجل انطلق فقد سلطتك على جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه وعقله وكان الله أعلم به ولم يسلطه عليه إلا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به في الصبر ورجاء الثواب

ولا على أنه نزع منه شيئا من الكرامة التي أكرمه بها ولا أن أيوب قال على الله غير الحق في طول فانقض

ما صحبتوه إلى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم ووضع في أنفسكم فقد علمتم أن الله يتبلى المؤمنين والصدقيين والشهداء والصالحين وليس بلاؤه لأولئك بدايل على صخطه عليهم ولا لخوانه لهم ولكنه كرامة وخبرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة لإلأنه أخ أحببتموه على وجه الصحة لكان لا يجمل بالحليم أن يعذب أخاه عند البلاء ولا أن يعيره بالمصيبة ولأن يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكي معه ويستغفر له ويحزن لحزنه ويدل على مرأشده أمره وليس يحكم ولا رشيد من جهل هذا فالله أيها الكهول وقد كان في عظمة الله عز جلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا أن الله عبادا أمسكتهم خشيتهم من غير عى ولا بكم وإنهم لهم الفصحاء الهلغاء الألباء العالمون بالله ولكتم إذا

ذكروا عظمة الله انقطعتم ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم إعظاما وإجلالا لله عز وجل فإذا استفاقوا من ذلك استبقوا إلى الله عز وجل بالأعمال الزكية يعدون أنفسهم مع الظالمين الخاطئين وإنهم لأبرار نزهاء براء ومع المقصرين والمفرطين وإنهم لأكياس أقوياء فقال أيوب إن الله عز وجل زرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فنبت في القلب يظهرها الله على السان وليست تكون الحكمة من قبل السن والشيبة ولا طول التجربة وإذا جعل الله العبد حكيمًا في الصبالم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله عليه نور الكرامة ، ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه مستغيثا به متضرعا إليه فقال رب لأى شىء خلقتنى لبتى إذ كرهتنى لم تخلقنى بالبتى (٣١١) فد عرفت الذنب الذى أذنبت

والعمل الذى عملت
فصرفت به وجهك
الكريم عنى لو كنت
أمتنى فألحقتنى بأبائى
الكرام فالمت كان
أجمل لى ، ألم أكن
للغريب دارا وللمسكين
قرارا ولليتيم وليا وللأرملة
قيا ، إلهى أنا عبدك إن
أحسنت فالن لك وإن
أساءت فيبدك عقوبتى
وجعلتني للبلاء غرضا
وللفتنة نصبا وقد وقع
على بلاء لو سلطته على
جبل لضعف عنى حملة
فكيف بحمله ضعفى وإن
قضائك هو الذى أذلنى
وإن ما طانتك هر الذى
أسقمتى وأنحل جسمى
ولو أن رى نزع الهية التى
فى صدرى وأطلق لسانى
حتى أتيتكم بلاء فى بما
كان يلغى للعبد أن يحاج
عن نفسه لرجوت أن

فأقص عدو الله إبليس سريعا إليه فوجد أيوب ساجدا فمجل قبل أن يرفع رأسه فأناه من قبل وجهه فنفخ فى منخربيه نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه إلى قدمه ثآليل مثل أليات العنم ووقعت فيه حكة فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشن حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشن فلم يزل يحك حتى قرح لحمه ونقطع وتغير وأثن فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشة ورفضه خلق الله كلهم غير امرأته وهى رحمة بذت أفرأيم بن يوسف بن يعقوب فكانت تختلف إليه بما يصلحه وتأزمه فلما رأى الثلاثة من أصحابه ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلق إليه أصحابه فيبكتوه ولا موه وقالوا تب إلى الله من الذنب الذى عوقبت به قال وحضر معهم فى حديث السن قد آمن به وصدقه فقال لهم الفتى إنكم تكلمتم أياها الكهول وأنتم أحق بالكلام منى لأسنانكم ولكن تركتم من القول ما هو أحسن من الذى قلتم ومن الرأى أصوب من الذى رأيتم ومن الأمر أجمل من الذى أتيتم وقد كان لأيوب عليكم من الحق والندام أفضل من الذى وصفتم فهل تدرؤن أياها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من اتهم بكم ومن الرجل الذى عيبتم واتهمتم ألم تعلموا أن أيوب نبي الله وصفوته وخيرته من أهل الأرض إلى يومكم هذا ثم لم تعلموا ولم يظلمكم الله على أنه سخط شيئا من أمره منذ أناه الله ماأناه إلى يومكم هذا ولا على أنه نزع منه شيئا من الكرامة التى أكرمه الله بها ولا أن أيوب قال على الله غير الحق فى طول ما مصبتموه إلى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذى أزرى به عندكم ووضع فى أنفسكم فقد علمتم أن الله تعالى يبلى المؤمنين والصدقيين والشهداء والصالحين ولا يمس بلاؤه لأولئك دليلا على ضعفهم ولا هوأنتهم عليه ولكنها كرامة وخبرة لهم ولو كان أيوب ليس من الله بهذه إلا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحة لكان لا يجمل بالحلم أن يعدل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالنصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه برحمته ويبيكى ويستغفر له ويحزن لحزنه وبدله على مرأشده أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أياها الكهول وقد كان فى عظمة الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا أن الله عبادا أسكتهم الخشية من غير عى ولا بكم وإنهم لم الفصحاء البلاء النبلاء الألباء العاللون بالله ولكنتهم إذا ذكروا عظمة الله انقطعتم ألسنتهم واقشعرت

يعافى عند ذلك مما نى ولكنه ألقانى وتعالى عنى فهو يرانى ولا أراه ويسمعنى ولا أسمع فلا نظر إلى فبرحمنى ولا دنا منى ولا أدنانى فأدلى بعلى وأتكلم ببراءتى وأخاصم عن فدى فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب أليم ثم نودى بأيوب إن الله عز وجل يقول هاأنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريبا قم فأدل بعنرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد إزارك وقم مقام جبار يخاصم جبارا إن استطعت فإنه لا يبغي أن يخاصمى إلا جبار مثلى ولا شبه نى لقد منتك نفسك بأيوب أمرا ما تبلغه مثل قوتك أين أنت منى يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها هل كنت معى حمد بأطرفها وهل علمت بأى مقدار قدرتها أم على أى شىء وضعت أكتافها أبطاعتك حمل الماء الأرض ، أم بحمكتك كانت

الأرض للماء غطاء أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لاتعاق بسبب من فوقها ولا تغلها دعم من تحتها هل يبلغ من حكمتك أن تجرى نورها أو تسير نجومها أو يختلف بأمرك ليلا ونهارها أين أنت مني يوم أبعث الأنهار وسجرت البحار أسلطانك حبست أمواج البحار على حدودها أم بقدرتك فتحت الأرحام حين بلغت مدتها أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل تدري (٣١٢) على أي شيء أرسيتها أوبأى مثقال وزنتها أم هل لك من ذراع تطيق حملها

وهل تدري من أين الماء الذي أنزلت من السماء أم هل تدري من أي شيء أنشئ السحاب أم هل تدري أين خزائن الثلج أم أين جبال البرد أم أين خزائن الليل والنهار وخزائن النهار بالليل وأين خزائن الريح وبأى لغة تتكلم الأشجار ومن جعل العقول في أجواف الرجال ومن شق الأسماع والأبصار ومن ذلت الملائكة ملكه وقهر الجبارين بجهوته وقسم الأزواق بحكته في كلام كثير من آثار قدرته ذكرها لأيوب فقال أيوب صغرت ساني وكل لساني وعقلي وراني وضعفت قوتي عن هذا الأمر الذي تعرضت له يا إلهي قد علمت أن كل الذي ذكرت صنيع يديك وقدبير حكمتك وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت

جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم إعظاما لأمر الله وإجلالا فاذا اشتاقوا من ذلك استبقوا إلى الله بالأعمال الزاكية بعدون أنفسهم من الظالمين والخطائين وإنهم لأبرار براء ومع المنصرين المفرطين وإنهم لا كياس أقوياء قال أيوب عليه السلام إن الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير فاذا نبئت في القلب يظهرها الله على اللسان وليست تكون الحكمة من قبل السن ولا طول التجربة وإذا جعل الله العبد حكما في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله سبحانه وتعالى عليه نور الكرامة ثم أقبل أيوب على الثلاثة وقال أئيبه وني غضابا رهيم قبل أن تسترهبوا وبكيتم قبل أن تضربوا كيف بي لو قلت تصدقوا عني بأموالكم لعل الله أن يخلصني أو قربوا عني قربانا لعل الله أن يقبله ويرضى عني وإنكم قد أحببتكم أنفسكم وظننتم أنكم قد عوفيتم باحسانكم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوباً سترها الله تعالى بالعافية التي ألبسكم وقد كنتم فيما خلا تورقوني وأنامي وع كلامي معروف حتى منتصف من خصمي فأصيحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم فأنتم كنتم أشد علي من مصيبي ثم أعرض عنهم أيوب وأقبل على ربه مستغيثا به متضرعا إليه فقال يا رب لأى شيء خلقتني ليتني إذ كرهتني لم تخلقني ياليتني عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي فالموت كان أجمل بي ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا وللتييم ولبا وللأرملة قيا إلهي أنا عبد ذليل إن أحسنت فالن لك وإن أسأت فيبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللقتة نصيبا وقد وقع على من البلاء مالو سلطته على جبل لضهف عن حملة فكيف يحمله ضعفي وإن قضاءك هو الذي أذلتني وإن سلطانتك هو الذي أسقمني وأحل جسمي ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري وأطلق لساني حتى أتكلم بجله في فأدل بعذري وأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي لرجوت أن يعاقبني عند ذلك بماي ولكنك ألقاني وتعالى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعده فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظله غمام حتى ظن أصحابه أنه عذاب ثم نودى يا أيوب إن الله يقول ها أنا قد نوت منك ولم أزل منك قريبا قم فأدل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد أزرك وقم مقام جبار مخاصم جبارا إن استطعت فانه لا ينبغي أن يخاصمني إلا جبار مثل لقد منتك نفسك يا أيوب أمرا ما يبلغ لكه منلك أين أنت مني يوم خلقت الأرض فوضعتها على أساسها هل كنت معي تمد بأطرافها هل علمت أي مقدار قدرتها أم على أي شيء وضعت أكتافها أبطاعتك حمل الماء الأرض أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لاتعاق بسبب من فوقها ولا يقلها دعم من تحتها هل يبلغ من حكمتك أن تجرى نورها

عملت لا يهجزك شيء ولا يخفى عليك خافية أذلقنتي البلايا يا إلهي فتكلمت ولم أملك لساني وكان البلاء هو الذي أنطقني أو فليت الأرض انشقت لي فذهبت فيها ولم أتكلم بشيء يسخط ربي وليتني مت بغي في أشد بلائي قبل ذلك إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرتني وسكت حين سكت لترحمي كلمة زات مني فلن أعود وقد وضعت يدي على في وعضضت على لساني وألصقت بالتراب خدي أعود بك اليوم منك أستجيرك من جهد البلاء فأجرتني وأستغيت بك من عقابك فأغثنى وأستعين بك على أمري فأعني وأتوكل عليك فأكفني وأعتصم بك فأعصمني وأستغفرك فأغفر لي فلن أعود لشيء تكرهه مني قال الله تعالى

يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن
خلفك آية وتكون عبرة لأهل البلاء وعزا للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك وقرب عن أصحابك
قربانا فاستغفر لهم فانهم قد عصوا فيك فاركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله عنه كل ما كان به
من البلاء ثم خرج فجلس فأقبلت امرأته تلتمسه في مضجعه فلم تجده فتأملت كالوالدة مترددة ثم قالت يا عبد الله هل لك علم
بالرجل الميتى الذى كان هاهنا قال لها هل تعرفينه إذا رأيته قالت نعم ومالى لأعرفه ثم تهيم وقال أنا هو ، فعرفته بضحكه
فاعتفتته قال ابن عباس فولد الذى نفس عبد الله بيده ما فارقته من عناقته حتى ر (٣١٣) هما كل مالهما وولد فلذلك

قوله تعالى يا أيوب
إذ نادى ربي أنى مسنى
الضره واختلفوا في وقت
نذائه والسبب الذى قال
لأبيه إني مسنى الضر
وفي مدة بلاءه فروى ابن
شهاب عن أنس يرفعه
أن أيوب لبث في بلاءه
ثمانى عشرة سنة وقال
وهب لبث أيوب في
البلاء ثلاث سنين لم يزد
وما . وقال كعب كان
أيوب في البلاء سبع سنين
وسبعة أشهر وسبع أيام
وقال الحسن مكث أيوب
مطروحا على كنانة في
مزنة لبني إسرائيل
سبع سنين وأشهرها
تختلف فيه الدواب
لا يقربه أحد غير امرأته
رحمة صبرت معه بصدق
وتأبىه بطعام وتحمده الله
معه إذا حمد وأيوب
مع ذلك لا يفتر عن ذكر
الله والصبر على ما ابتلاه

أو تسير نجومها أو تختلف بأمرك ليها ونم رها أين كنت منى يوم أنبت الأنهار وسكبت البحار
أيسلطانك حبست أمواج البحار على حدودها أم بقدرتاك فتحت الأرحام حين بلغت ملتها
أين كنت منى يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل تدرى على أى شىء
أرسيها أم بأى . مثال وزنها أم هل لك من ذراع تطيق حملها أم هل تدرى من أين الماء
الذى أزلت من السماء أم هل تدرى من أى شىء أنشأت السحاب أم هل تدرى أين خزنة
الثلج أم أين جبال البرد أم أين خزنة الليل بالنهار وخزنة النهار بالليل وأين خزنة الريح
وبأى لغة تتكلم الأشجار ومن جعل العقول في أجواف الرجال وشق الأصماع والأبصار ومن
ذلت الملائكة للملكه وقهر الجبارين بجهوته وقسم الأرزاق بحكمته في كلام كثير يدل على
آثار قدرته ذكرها لأيوب فقال أيوب صغر شأنى بكل اسانى وعقل ورأى وضعفت قوتى عن
هذا الأمر الذى يعرض على إلهى قد علمت أن كل الذى قد ذكرت صنع يديك وتدبير حكمتك
وأعظم من ذلك وأعجب لو شئت عملت ولا يعجزك شىء ولا تخفى عليك خافية إلهى أو تقضى
البلاء فتكلمت ولم أملك نفسي فكان البلاء هو الذى أنقضى لبث الأرض انشقت لي فذهبت
فيها ولم أتكلم بشىء يسخطك ربي ولينتى مت بغى في أشد بلائى قبل ذلك إنما تكلمت حين
تكلمت بعذرى وسكت حين سكت لرحمتى كلمة زلت منى فلن أعود وقد وضعت يدي
على فى وعضضت على لسانى وألصقت بالتراب خدى أعوذ بك اليوم منك وأستجير بك
من جهد البلاء فأجرنى وأستغيث بك من عقابك فأغثنى وأستعينك على أمرى فأعنى وأتوكل عليك
فاكفنى وأعتصم بك فاعصمنى وأستغفرك فاغفر لى فلن أعود لشىء تكرهه منى قال الله تعالى
يا أيوب نفذ فيك علمي وسبقت رحمتي غضبي فقد غفرت لك ورددت عليك أهلك ومالك
ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لأهل البلاء وعزا للصابرين فاركض برجلك
هذا مغتسل بارد وشراب فنه تناول وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم قد عصوني
فيك روى عن أنس يرفعه أن أيوب لبث ببلاءه ثمانى عشرة سنة وقال وهب لبث أيوب
وقال كعب سبع سنين وقال الحسن مكث أيوب مطروحا على كنانة لبني إسرائيل سبع سنين
وأشهرها يختلف فيه الدود لا يقربه أحد غير رحمة صبرت معه بصدق وكانت تأبىه بالطعام

(٤٠ - خازن بالبغوى - رابع)

به فصرخ إبليس صرخة جمع بها جنوده من أقطار الأرض فلما
اجتمعوا إليه قالوا له ما حزنك قال أعاني هذا المعبد أيوب الذى لم أدع له مالا ولا ولدا فلم يزد إلا صبورا ثم سلطت على جسده
فتركته فرحة ملقاء على كنانة لا يقربه إلا امرأته فاستعنت بكم لتعينونى عليه فقالوا له أين مكرك الذى أهلكت به من مضى قال
بطل ذلك كله فى أيوب فأشيروا على قالوا أشير عليك منى أين أتيت آدم حين أخرجته من الجنة ؟ قال من قبل امرأته قالوا
فشأنك فى أيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع أن يعصها وليس أحد يقربه غيرها قال أصبهم فانطلق حتى أتى امرأته وهى
تصدق فتمثل لها في صورة رجل فقال لها أين بعلك يا أمة الله قالت هو ذلك بحدق قروحه وتتردد الدواب في جسده فلما سمع
مقالتها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس إليها وذكر ما كانت فيه من النعم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما

هو فيه من الضر وأن ذلك لا ينقطع عنه أبدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم أن قد جزعت فأثابها بسخلة وقال ليديح
هذه لي أيوب ويبرأ فجاءت تصرخ يا أيوب حتى منى بعذبك ربك أين المال أين الولد أين الصديق أين لو ذك الحسن أين
جسمك الصحيح اذبح هذه السخلة واسترح قال أيوب أنك عدو الله ففخخ فيك وبلك أرأيت ماتت بكن عليه من المال والولد
والصحة من أعطانيه قالت الله قال (٣١٤) فكم معنا به قالت ثمانين سنة قال فنذكم ابتلائنا قالت منذ سبع سنين

وأشهر قال وبلك
ما أنصفت إلا صبرت
في البلاء ثمانين سنة كما
كنا في الرخاء ثمانين سنة
والله لئن شفاني الله
لأجلدك مائة جلدة
أمرتني أن أذبح لغير الله
طعامك وشرابك الذي
أنبتني به على حرام
وحرام على أن أدوق
شيئا مما أنبتني به بعد إذ
قلت لي هذا فأعزبني عني
فلا أراك فطردها فذهبت
فلما نظر أيوب وليس
عنده طعام ولا شراب
ولا صديق خرسا جدا لله
وقال رب (إني مسئى
الضر وأنت أرحم
الراحمين) فقيل له ارفع
رأسك فقد استجبت
لك اركض برجلك
فركض برجله فنبعت عين
فاغتسل منها فلم يبق عايه
من دائه شيء ظاهر إلا
سقط وعاد إليه شيا به
وجماله أحسن ما كان
ثم ركض برجله ركدة
أخرى فنبعت عين أخرى
فشرب منها فلم يبق

وتحمد الله معه إذا حمد وأيوب مع ذلك لا يفتر عن ذكر الله تعالى والصبر على بلائه فصرخ
لإبليس صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض فلما اجتمعوا إليه قالوا ما أحزنتك قال أعزبني
هذا العبد الذي لم أدع له مالا ولا ولدا ولم يزد إلا صبيرا ثم سلطت على جسده فركته قرحة
ملقاة على كنانة لا تقر به إلا امرأته فاستعنت بكم لتعينوني عليه فقالوا له فأين مكرك الذي أهلكت
به من مضى قال بطل ذلك كله في أيوب فأشيروا على قالوا من أين أتيت آدم حين أخرجه من
الجنة قال من قبل امرأته قالوا فشانك بأيوب من قبل امرأته فإنه لا يستطيع أن يعصها وليس
يقربه أحد غيرها قال أصبم فانطلق إبليس حتى أتى رحمة امرأة أيوب وهي تصدق فتمثل لها
في صورة رجل وقال لها أين بعلك يا أمة الله قالت هو ذاك يحك فروجه ويترده اللبدان في جسده
فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس إليها وذكرها ما كانت فيه من النعم والمال
وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه من الضر وأن ذلك لا ينقطع عنه أبدا فصرخت فعلم
أنها قد جزعت فأثابها بسخلة وقال ليديح لي هذه أيوب ويبرأ فجاءت تصرخ يا أيوب حتى منى
بعذبك ربك أين المال أين الولد أين الصديق أين لو ذك الحسن أين جسمك الحسن اذبح هذه
السخلة واسترح قال أيوب أنك عدو الله ففخخ فيك وبلك أرأيت ماتت بكن عليه من المال
والولد والصحة من أعطانيه قالت الله قال كم معنا به قالت ثمانين سنة قال فنذكم ابتلائنا قالت
منذ سبع سنين وأشهر قال وبلك ما أنصفت ربك إلا صبرت في البلاء ثمانين سنة كما كنا في الرخاء
ثمانين سنة والله لأن شفاني الله لأجلدك مائة جلدة أمرتني أن أذبح لغير الله طعامك وشرابك
الذي أنبتني به على حرام أن أدوق منه شيئا أعزبني دعيني فلا أراك فطردها فذهبت فلما نظر
أيوب وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خرسا جدا لله وقال رب (إني مسئى الضر وأنت
أرحم الراحمين) فقيل له ارفع رأسك فقد استجبت لك اركض برجلك فركض برجله فنبعت
عين ماء فاغتسل منها فلم يبق عليه من دوائه شيء ظاهر إلا سقط وعاد شيا به جماله أحسن
ما كان ثم ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق في جوفه داء إلا خرج فقام
صحيحا وكسى حلة فجعل يلبث فلا يرى شيئا مما كان عليه وما كان له من أهل ومال إلا وقد
ضعفه الله له وذكر لنا أن الماء الذي اغتسل منه تطاير على صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه
بيده فأوحى الله إليه يا أيوب ألم أغنتك قال بلى ولكني بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى
جلس على مكان مشرف ثم إن امرأته قالت أرأيت إن كان طردني إلى من أكله أدعه يموت
جوعا ويضيع فتأكله السباع لأرجعن إليه فرجعت إليه فلا الكنانة رأت ولا تلك الحالة
التي كانت تعرف وإذا الأمور قد تغيرت فجعلت تطوفت حيث كانت الكنانة وتبكي
وذلك بعيني أيوب وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأله عن أيوب فدعاها وقال ما تريدن

في جوفه داء إلا خرج فقام صحيحا وكسى حلة قال فجعل يلبث فلا يرى شيئا مما كان له من أهل ومال إلا وقد
ضعفه الله حتى ذكر لنا أن الماء الذي اغتسل منه تطاير منه على صدره جرادا من ذهب فجعل يضمه بيده فأوحى الله
إليه يا أيوب ألم أغنتك قال بلى ولكني بركتك فمن يشبع منها قال فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم إن امرأته قالت
أرأيتك إن كان أيوب طردني إلى من أكله أدعه يموت جوعا ويضيع فتأكله السباع لأرجعن إليه فرجعت فلا كنانة

رأى ولان تلك الحالة التي كانت وإذا الأمور قد تغيرت فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكي وذلك بعين أيوب وهابت صاحب الحلة أن تأتيه ففسأله عنه فدعاها أيوب فقال ما ربيدين يا أمة الله فبكت وقالت أردت ذلك المبطل الذي كان منبوذا على الكناسة ولا أدري أضاع أم ما فعل فقال أيوب ما كان منك فبكت وقالت بعلي قال فهل تعرفينه إذا رأيته فقالت وهل يخفى على أحد رآه ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه ثم قالت أما أنه أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحا قال فإني أنا أيوب الذي أمرتني أن أذبح لإبليس وإني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله (٣١٥) فرد على ماترين وقال وهب

لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب إبليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امرأته في هيئة ليست كهية بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وكمال فقال لها أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبطل الذي قلت نعم قال فهل تعرفيني قالت لا قال أنا إله الأرض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لأنه عبد إله السماء وتركتني فأغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليك وعليه كل ما كان لك من مال وولد فانه عندي ثم أراها آياه يظن الوادي الذي لقيها فيه وفي بعض الكتب أن إبليس قال لها اسجدي لي سجدة واحدة حتى أرد عليك المال والولد وأعاق زوجك فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها قال لقد أنكأ عدو الله ليفتك عن دينك ثم أقسم إن عافاه الله ليضربها مائة جلدة وقال عند ذلك مسنى الضر من طمع إبليس في سجود حرمته له ودعائه إياها وإيأى إلى الكفر ثم إن الله تعالى رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها وأراد أن يبر يمين أيوب فأمره أن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغير فيضربها به ضربة واحدة وقيل إنما قال مسنى الضر حين قصد اللود إلى قبه ولسانه فخشي أن يفتر عن الذكر والتفكير وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء : أحدها ما قيل في حقه لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا والثاني أن امرأته طالبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعته ذؤابتها فأنته بطعام والثالث قول إبليس إني أدأوبه على أن يقول أنت شفيتني وقيل مسنى الضر رأى من شماتة الأعداء حتى روى أنه قيل له بعد ما عوفى ما كان أشد عليك في بلائك قال شماتة الأعداء . فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد أظهر الشكوى والجزع بقوله مسنى الضر وقوله مسنى الشيطان بنصب وعذاب . قلت ليس هذا شكاية وإنما هو دعاء بدليل قوله تعالى فاستجبنا له والشكوى إنما تكون إلى الخلق لا إلى الخالق بدليل قول يعقوب إنما أشكوا بني وحزني إلى الله وقال سفيان بن عيينة من أظهر الشكوى إلى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعا كما «روى أن جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال كيف تجدك قال ؟ أجنت مغموما وأجنت مكروبا وقال لعائشة حين قالت ؟ وأرأساه بل أنا

يا أمة الله فبكت وقالت أردت ذلك المبطل الذي كان منبوذا على الكناسة لا أدري أضاع أم ما فعل به فقال أيوب ما كان منك فبكت وقالت بعلي فقال هل تعرفينه إذا رأيته قالت وهل يخفى على أحد رآه ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه ثم قالت أما إنه أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحا قال فإني أنا أيوب الذي أمرتني أن أذبح لإبليس وإني أطعت الله وعصيت الشيطان ودعوت الله فرد على ماترين وقال وهب لبث أيوب في البلاء ثلاث سنين فلما غلب أيوب إبليس ولم يستطع منه شيئا اعترض امرأته في هيئة ليست كهية بني آدم في العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم وبهاء وكمال فقال لها أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبطل الذي قلت نعم قال فهل تعرفيني قالت لا قال أنا إله الأرض وأنا الذي صنعت بصاحبك ما صنعت لأنه عبد إله السماء وتركتني فأغضبني ولو سجد لي سجدة واحدة رددت عليك وعليه كل ما كان لك من مال وولد فانه عندي ثم أراها آياه يظن الوادي الذي لقيها فيه وفي بعض الكتب أن إبليس قال لها اسجدي لي سجدة واحدة حتى أرد عليك المال والولد وأعاق زوجك فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها قال لقد أنكأ عدو الله ليفتك عن دينك ثم أقسم إن عافاه الله ليضربها مائة جلدة وقال عند ذلك مسنى الضر من طمع إبليس في سجود حرمته له ودعائه إياها وإيأى إلى الكفر ثم إن الله تعالى رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عليها وأراد أن يبر يمين أيوب فأمره أن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغير فيضربها به ضربة واحدة وقيل إنما قال مسنى الضر حين قصد اللود إلى قبه ولسانه فخشي أن يفتر عن الذكر والتفكير وقيل لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء : أحدها ما قيل في حقه لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا والثاني أن امرأته طالبت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعته ذؤابتها فأنته بطعام والثالث قول إبليس إني أدأوبه على أن يقول أنت شفيتني وقيل مسنى الضر رأى من شماتة الأعداء حتى روى أنه قيل له بعد ما عوفى ما كان أشد عليك في بلائك قال شماتة الأعداء . فان قلت كيف سماه الله صابرا وقد أظهر الشكوى والجزع بقوله مسنى الضر وقوله مسنى الشيطان بنصب وعذاب . قلت ليس هذا شكاية وإنما هو دعاء بدليل قوله تعالى فاستجبنا له والشكوى إنما تكون إلى الخلق لا إلى الخالق بدليل قول يعقوب إنما أشكوا بني وحزني إلى الله وقال سفيان بن عيينة من أظهر الشكوى إلى الناس وهو راض بقضاء الله تعالى لا يكون ذلك جزعا كما «روى أن جبريل عليه السلام دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال كيف تجدك قال ؟ أجنت مغموما وأجنت مكروبا وقال لعائشة حين قالت ؟ وأرأساه بل أنا

مما به من البلاء والله أعلم وفي بعض الكتب أن إبليس قال لها اسجدي لي سجدة حتى أرد عليك المال والأولاد وأعاق زوجك فرجعت إلى أيوب فأخبرته بما قال لها وما أراها قال لقد أنكأ عدو الله ليفتك عن دينك ثم أقسم لو أن الله عافاه ليضربها مائة جلدة وقال عند ذلك مسنى الضر من طمع إبليس في سجود حرمته له ودعائه إياها وإيأى إلى الكفر ثم إن الله عز وجل رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عاها وأراد أن يبر يمين أيوب فأمره أن يأخذ ضغثا يشتمل على مائة عود صغير فيضربها به ضربة واحدة كما قال الله تعالى «وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث» وروى أن إبليس اتخذ

أبوتها وجعل فيه أدوية وقعد على طريق امرأته يداوي الناس فمرت به امرأة أيوب فقالت يا شيخ إن لي مريضا أفتدأ به قال نعم والله لا أريد شيئا إلا أن يقول إذا شفيت أنت شفيتي فذكرت ذلك لأيوب فقال هو إبليس قد خدعك ثم حلف إن شفاه الله أن يضربها مائة جلدة وقال وهب وغيره كانت امرأة أيوب تحمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليه البلاء وسمها الناس ولم يستعملها أحد التمس له يوما من الأيام ما يطعمه فنا وجدت شيئا فجرت قرنا من رأسها فباعته برغيف فأنته به فقال لها أين قرنتك فأخبرته فحينئذ قال معنى الضر وقال قوم إنما قال ذلك حين قصدت للدودة إلى قلبه ولسانه فخشى أن يفتر عن الذكر والفكر وقال حبيب بن أبي ثابت لم يدع الله بالكشف عنه حتى ظهرت له ثلاثة أشياء أحدها قدم عليه صديقان حين بلغهما خبره فجاءا إليه ولم يبق له إلا عيناه فرأيا أمر اعظيما فقالا لو كان لك عند الله منزلة ما أصابك هذا والثاني أن امرأته طابت طعاما فلم تجد ما تطعمه فباعته ذؤابتها وحملت إليه طعاما والثالث قول إبليس إنى أدأويه على أن يقول أنت شفيتي وقيل إن إبليس وسوس إليه أن امرأتك زنت فقطعت ذؤابتها فحينئذ عيل صبره فدعاه وحلف يضربها مائة جلدة وقيل معناه (٣١٦) معنى الضر من شناعة الأعداء حتى روى أنه قيل له بعد ما عرف ما كان

أشد عليك في ثلاثك قال شمة الأعداء وقيل قال ذلك حين وقعت دودة من فخذها فردها إلى موضعها وقال كلى ، فقد جعلني الله طعامك فعضته عضه زاد ألمها على جميع ما قاساه من عض الديدان فان قيل إن الله سماها صابرا وقد أظهر الشكوى والجزع بقوله إن معنى الضر وإنى مسى الشيطان ينصب قبل لبس هذا شكابة إنما هو دعاء بدليل قوله تعالى فاستجبنا له وعلى أن الجزع إنما هو

وارأساه ، قوله تعالى (فاستجبنا له) أى أجبنا دعاءه (فكشفنا ما به من ضر) وذلك أنه قال له فاركض برجلك ، فركض برجله فنبعت عين ماء فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يضرب برجله الأرض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فأمره أن يشرب منها فشرب فذهب كل داء كان يباطنه فصار كأصح ما كان (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) قال ابن مسعود وابن عباس وأكثر المفسرين : رد الله إليه أهله وأولاده بأعيانهم وأحياءهم الله وأعطاه مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن وعن ابن عباس رواية أخرى أن الله رد إلى المرأة شيئا فولدت له ستة وعشرين ذكرا وقيل كان له سبع بنين وسبع بنات وعن أنس يرفعه أنه كان له أندران أندر للتمح وأندر للشعير فبعث الله صابرين فأفرغت إحداهما على أندر القمع الذهب وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاضا وروى أن الله تعالى بعث إليه ملكا وقال له إن ربك يقربك السلام بصبرك فأخرج إلى أندرك فخرج إليه فأرسل الله عليه جرادا من ذهب فذهبت واحدة فأتبعها وردها إلى أندره فقال له الملك ما يكفيك ما في أندرك فقال هذه بركة من بركات ربى ولا أشبع من بركاته (خ) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « بيننا أيوب يغتسل عريانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحثى في ثوبه فنأده ربه يا أيوب ألم أكن أغنيك عما ترى قال بلى يارب ولكنى لا غنى لى عن بركتك » وقيل آتى الله أيوب مثل أهله الذين هلكوا قال عكرمة قيل لأيوب إن أهلك في الآخرة فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا وإن شئت كانوا لك في الآخرة وآتينك مثلهم في

في الشكوى إلى الخلق فأما الشكوى إلى الله عز وجل فلا يكون جزعا ولا ترك صبر كما قال يعقوب إنما أشكوا بنى الدنيا وحزنى إلى الله قال سفيان بن عيينة وكذلك من أظهر الشكوى إلى الناس وهو راض بقضاء الله لا يكون ذلك جزعا كما روى وأن جبريل دخل على النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه فقال كيف تجدك قال أجدنى مغموما وأجدنى مكروبا وقال لعائشة حين قالت وارأساه قال بلى أنا وارأساه قوله (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) وذلك أنه قال له : اركض برجلك فركض برجله فنبعت عين ماء بارد فأمره أن يغتسل منها ففعل فذهب كل داء كان بظاهره ثم مشى أربعين خطوة فأمره أن يركض برجله الأرض مرة أخرى ففعل فنبعت عين ماء بارد فأمره فشرب منها فذهب كل داء كان يباطنه فصار كأصح ما يكون من الرجال وأجملهم (وآتيناه أهله ومثلهم معهم) واختلفوا في ذلك فقال ابن مسعود وقتادة وابن عباس والحسن وأكثر المفسرين رد الله عز وجل إليه أهله وأولاده بأعيانهم أحياءهم الله له وأعطاهم مثلهم معهم وهو ظاهر القرآن قال الحسن آتاه الله المنزل من نسل ماله الذى رد الله إليه وأهله يدل عليه ما روى عن الضحاك عن ابن عباس أن الله عز وجل رد إلى المرأة شيئا فولدت له ستة وعشرين ذكرا قال وهب كان له سبع بنات وثلاثة بنين وقال ابن يسار كان

له سبع بنين وسبع بنات وروى عن أنس يرفعه أنه كان له أندران أندر للقمح وأندر للشعير فبعث الله عز وجل صابئين فأفرغت إحداهما على أندر القمح الذهب وأفرغت الأخرى على أندر الشعير الورق حتى فاض وروى أن الله تعالى بعث إليه ملكا وقال له إن ربك يقربك السلام بصبرك فأخرج على أندرك فخرج إليه فأرسل الله عليه جراد من ذهب فطارت واحدة فأتبعها ورددتها إلى أندره فقال له الملك أما يكفرك ما أتدرك فقال هذه بركة من بركات ربى ولا أشبع من بركته أخبرنا حسان بن سعيد المنبغى أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن محمد بن حمش الزبدي أنا محمد بن الحسن بن القطان أنا أحمد ابن يوسف السامى أنا عبد الرزاق أنا معمر بن همام ابن منبه قال أنا أبو هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بينا أيوب يغتسل عزيمانا خر عليه جراد من ذهب فجعل أيوب يحثي في ثوبه فناداه ربه يا أيوب ألم أكن أعنتك عما ترى قال بل وعزتك ولكن لا غنى لى عن بركتك » وقال قوم أتى الله أيوب (٣١٧) في الدنيا مثل أهله الذين هلكوا فأما

الذين هلكوا فاتهم لم يردوا عليه في الدنيا قال عكرمة قيل لأيوب إن أهلك لك في الآخرة فان شئت عجلناهم لك في الدنيا وإن شئت كانوا لك في الآخرة وآتيك مثلهم في الدنيا فقال يكونون لى في الآخرة وأوتى مثلهم في الدنيا على هذا يكون معنى الآية وآتيناه أهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأراد بالأهل الأولاد (رحمة من عندنا) أى نعمة من عندنا (وذكرى للعابدين) أى عظة وعبرة لهم قواه (وإسماعيل) يعنى ابن إبراهيم (وإدريس) وهو أخنوخ (وذا الكفل كل من الصابرين) على أمر الله

الدنيا فقال بل يكونون لى في الآخرة ووتى مثلهم في الدنيا فعل هنا يكون معنى الآية هو آتيناه أهله في الآخرة ومثلهم معهم في الدنيا وأراد بالأهل الأولاد (رحمة من عندنا) أى نعمة (وذكرى للعابدين) يعنى عظة وعبرة لهم . قوله عز وجل (وإسماعيل) هو ابن إبراهيم صلى الله عليه وسلم (وإدريس) هو أخنوخ (وذا الكفل كل من الصابرين) لما ذكر الله أمر أيوب وصبره على البلاء أتبعه بذكر هؤلاء الأنبياء لأنهم صبروا على المحن والشدائد والعبادة أيضا أما إسماعيل صلى الله عليه وسلم فإنه صبر على الاتقياد إلى الذبح وأما إدريس فتقدمت قصته وأما ذو الكفل فاختلجوا فيه فقيل نبييا من بنى إسرائيل وكان ملكا أوحى الله إليه لى أريد قبض روحك فأعرض ملكك على بنى إسرائيل فن تكفل أنه يصل الليل ولا يفتر ويصوم النهار ولا يفطر ويقضى بين الناس ولا يغضب فدفع ملكك إليه ففعل ذلك فقام شاب فقال أنا أتكفل لك بهذا فتكفل ووفى فشكر الله له ونبأه فسمى ذا الكفل وقيل لما كبر البيع قال لى استخلف رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتى أنظر كيف يعمل قال فجمع الناس وقال من يتقبل منى ثلاثا استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضى ولا يغضب فقام رجل زدرية العين فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها في اليوم الآخر نسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فاستخلفه فأتاه إبليس في صورة شيخ ضعيف حين أحذمه جعه للقائلة وكان لا ينام من الليل والنهار إلا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال إن بينى وبين قومى خصومة وإنهم ظلمونى وفعلا وفعلا وجعل يطول عليه حتى ذهبت القائلة فقال إذا رحمت فائتنى حتى آخذ حقتك فانطلق وراح فكان في مجلسه ينظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام يبتغيه فلم يجده فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وبنظره فلم يره فلما رجع إلى القائلة وقال وأخذ مضجعه دق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم

واختلجوا في ذا الكفل فقال عطاء إن نبييا من أنبياء بنى إسرائيل أوحى الله إليه لى أريد قبض روحك على بنى إسرائيل فن تكفل لك أن يصل بالليل ولا يفتر ويصوم بالنهار ولا يفطر ويقضى بين الناس ولا يغضب فادفع ملكك إليه ففعل ذلك فقام شاب فقال أنا أتكفل لك بهذا فتكفل ووفى به فشكر الله له ونبأه فسمى ذا الكفل . قال مجاهد لما كبر البيع قال لو أتى استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم في حياتى حتى أنظر كيف يعمل قال فجمع الناس فقال : من يتقبل منى ثلاثا استخلفه يصوم النهار ويقوم الليل ويقضى بين الناس ولا يغضب فقام رجل زدرية العين فقال أنا فرده ذلك اليوم وقام مثلها اليوم الآخر فسكت الناس وقام ذلك الرجل فقال أنا فرده ذلك اليوم فاستخلفه فأتاه إبليس في صورة شيخ ضعيف حين أخذ مضجعه لاثالثة وكان لا ينام بالليل والنهار إلا تلك النومة فدق الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم فقام ففتح الباب فقال إن بينى وبين قومى خصومة وإنهم ظلمونى وفعلا وفعلا وجعل يطول حتى حضر

الرواح وذهبت القائلة فقال له إذا رحمت فانتني حتى آخذ حثك فانطلق وراح فكان في مجلسه ينتظر هل يرى الشيخ فلم يره فقام ينتغيه فلما كان من الغد جلس يقضى بين الناس وينتظره فلا يراه فلما رجع إلى القائلة فأخذ مضجعه أتاه فمدق الباب فقال من هذا فقال الشيخ المظلوم ففتح فقال ألم أقل لك إذا قعدت فانتني فقال لهم أخبرت قوم إذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حثك وإذا قت جحدوني قال فانطلق فإذا رحمت فانتني فذاتته القائلة وراح فجعل ينظر فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فإنه قد شق على النوم فلما كان تلك الساعة جاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فإذا هو في البيت يدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان ألم أمرك فقال أما من (٣١٨) قبلي فلم تؤت فانظر من أين أتيت فقام إلى الباب فإذا هو مغلق كما هو

أغلقه وإذا الرجل معه في البيت فقال أنام والخصوم ببابك فعرفه فقال أعدوا لله قال نعم أعيبتني ففعلت ما ترى لأغضبك فعصمك الله مني فسمى ذا الكفل لأنه تكفل أمرا فوفى به وقيل إن إبليس جاءه وقال إن لي غريبا يظنني فأحب أن تقوم معي وتسوفني حتى منه فانطلق معه حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب وروى أنه اعتذر إليه وقال إن صاحبي هرب وقيل أن ذا الكفل رجل كفل أن يصل كل ليلة مائة ركعة إلى أن يقبضه الله فوفى به واختلفوا في أنه هل كان نبيا فقال بعضهم كان نبيا وقيل هو إلياس وقيل

فتتح له وقال له ألم أقل إذا قعدت فانتني قال لهم أخبرت قوم إذا عرفوا أنك قاعد قالوا نحن نعطيك حثك وإذا قت جحدوني قال فانطلق فإذا جلست فانتني وفاتته القائلة فلما جلس جعل ينظر فلا يراه وشق عليه النعاس فلما كان اليوم الثالث قال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام فإنه قد شق على النعاس فلما كانت تلك الساعة قام فجاء فلم يأذن له الرجل فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت فتسور منها فإذا هو في البيت يدق الباب من داخل فاستيقظ فقال يا فلان ألم أمرك قال أما من قبلي فلم تؤت فانظر من أين أتيت فقام إلى الباب فإذا هو مغلق كما أغلقه وإذا الرجل معه في البيت فقال أنام والخصوم ببابك فنظر إليه فعرفه فقال أعدوا لله قال نعم أعيبتني وفعلت ما فعلت لأغضبك فعصمك الله فسمى ذا الكفل لأنه تكفل بامر فوفى به واختلف في نبوته فقيل كان نبيا وهو إلياس وقيل هو زكريا وقيل إنه كان عبدا صالحا ولم يكن نبيا (وأدخلناهم في رحمتنا) يعني ما أنعم به عليهم من النبوة وصبرهم إليه في الجنة من الثواب (لأنهم من الصالحين) قوله عز وجل (وذا النون) أي واذكر صاحب الحوت أضيف إلى الحوت لابتلاعه إياه وهو يونس بن متى (إذ ذهب مغاضبا) قال ابن عباس في رواية عنه كان يونس وقومه يسكنون فلسطين ففتراهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي منهم سبطان ونصف فأوحى الله إلى شعيب النبي أن سر إلى حزقيل الملك وقل له بوجه نبيا قويا فأتى ألقى في قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بني إسرائيل فقال له الملك فن ترى وكان في ملكه خمسة من الأنبياء قال يونس إنه قوى أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال يونس هل الله أمرك باخراجه قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال ها هنا غيري أنبياء أقوياء فألحوا عليه فخرج مغاضبا للنبي وللملك وقومه وأتى بحر الروم فركب وقيل ذهب عن قومه مغاضبا لربه لما كشف عنهم العذاب بعد ما أوعدهم وكره أن يكون بين أظهر قوم جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي رقع العذاب عنهم به فكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وأنه يسمى كذابا لا كراهية لحكم الله وفي بعض الأخبار أنه كان من عادة قومه أنهم يقتلون من جربوا عليه الكذب فخشى أن يقتلوه مالم يأتهم العذاب لا يهاد فذهب مغاضبا

زكريا وقال أبو موسى لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا (وأدخلناهم في رحمتنا) يعني ما أنعم به عليهم في الدنيا من النبوة وصبرهم إليه في الجنة من الثواب (لأنهم من الصالحين وذا النون) أي اذكر صاحب الحوت وهو يونس بن متى (إذ ذهب مغاضبا) اختلفوا في معناه فقال الضحاك مغاضبا لقومه وهو رواية العوفي وغيره عن ابن عباس قال كان يونس وقومه يسكنون فلسطين ففتراهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف فأوحى الله إلى شعيب النبي أن سر إلى حزقيل الملك وقل له حتى يوجه نبيا قويا فأتى ألقى في قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بني إسرائيل فقال له الملك فن ترى وكان في ملكه خمسة من الأنبياء فقال يونس إنه قوى أمين فدعا الملك بيونس فأمره أن يخرج فقال له يونس هل الله أمرك باخراجه قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال ها هنا غيري أنبياء أقوياء فألحوا عليه فخرج من بينهم مغاضبا للنبي

زكريا وقال أبو موسى لم يكن نبيا ولكن كان عبدا صالحا (وأدخلناهم في رحمتنا) يعني ما أنعم به عليهم في الدنيا من النبوة وصبرهم إليه في الجنة من الثواب (لأنهم من الصالحين وذا النون) أي اذكر صاحب الحوت وهو يونس بن متى (إذ ذهب مغاضبا) اختلفوا في معناه فقال الضحاك مغاضبا لقومه وهو رواية العوفي وغيره عن ابن عباس قال كان يونس وقومه يسكنون فلسطين ففتراهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفا وبقي سبطان ونصف فأوحى الله إلى شعيب النبي أن سر إلى حزقيل الملك وقل له حتى يوجه نبيا قويا فأتى ألقى في قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بني إسرائيل فقال له الملك فن ترى وكان في ملكه خمسة من الأنبياء فقال يونس إنه قوى أمين فدعا الملك بيونس فأمره أن يخرج فقال له يونس هل الله أمرك باخراجه قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال ها هنا غيري أنبياء أقوياء فألحوا عليه فخرج من بينهم مغاضبا للنبي

ولملك ولقومه فأثى بحر الروم فركبه وقال عروة بن الزبير وسعيد بن جبيرة وجماعة ذهب عن قومه مغاضبا لربه إذ كشف عن قومه العذاب بعد ما أوعدهم وكره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخلف فيما أوعدهم واستحيا منهم ولم يعلم السبب الذي به رفع العذاب وكان غضبه أنفة من ظهور خلف وعده وأنه يسمى كذا يا لا كراهية لحكم الله تعالى، وفي بعض الأخبار أنه كان من عادة قومه أن يقتلوا من جربوا عليه الكذب فخشي أن يقتلوه لما لم يأتهم العذاب للميعاد فغضب والمغاضبة هاهنا من المفاعلة التي تكون من واحد كالمسافرة والمعاقبة فعنى قوله مغاضبا أي غضبان وقال الحسن إنما غاضب ربه عز وجل من أجل أنه أمره بالمسير إلى قومه لينذرهم باسمه ويدعوهم إليه فسأل ربه أن ينظره ليأهب للشخص لا بهم فقبل له إن الأمر أسرع من ذلك حتى سأل أن ينظر إلا أن يأخذ تعلا بلبسها فلم ينظر وكان في خلقه ضيق فذهب مغاضبا وعن ابن عباس قال أتى جبريل يونس فقال انطلق إلى أهل نينوى فأنذرهم فقال الخمس دابة قال الأمر أعجل من ذلك فغضب فانطلق إلى السفينة وقال وهب بن منبه أن يونس بن متى كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل عليه أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فذفقا بين (٣١٩) يديه وخرج هاربا منها فلذلك

أخرجه الله من أولى العزم من الرسل وقال لنبية محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ولا تكن كصاحب الحوت وقوله (فتأن أن لن نقدر عليه) أي لن نقضى عليه بالعقوبة قاله مجاهد وقاتدة والضحاك والكلبي وهو رواية العوفي عن ابن عباس يقال قدر الله الشيء تقديرا وقدر يقدر قدرا بمعنى واحد ومنه قوله ونحن قدرنا بينكم الموت في قراءة

وقال ابن عباس أتى جبريل يونس فقال انطلق إلى أهل نينوى فأنذرهم فقال أتمس دابة قال الأمر أعجل من ذلك فغضب وانطلق إلى السفينة وقال وهب بن منبه أن يونس كان عبدا صالحا وكان في خلقه ضيق فلما حمل أثقال النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل ، فذفقا من يده وخرج هاربا منها فلذلك أخرجه الله من أولى العزم من الرسل وقال لنبية محمد صلى الله عليه وسلم فاصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل ، وقال (ولا تكن كصاحب الحوت) وقوله (فظن أن لن نقدر عليه) أي لن نقضى عليه بالعقوبة قاله ابن عباس في رواية عنه وقبل معناه فظن أن لن نقضى عليه الخيس وقبل معناه فظن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه ، قيل لما انطلق يونس مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن أن لن يقدر عليه وكان له سلف وعبادة أبي الله أن يدعه للشيطان فذفقه في بطن الحوت فكث فيه أربعين ما بين يوم وليلة وقيل سبعة أيام وقيل ثلاثة وقيل إن الحوت ذهب به حتى بلغ تخوم الأرض السابعة فتاب إلى ربه وراجع نفسه في بطن الحوت (فنادى في الظلمات) أي ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) أي حيث غضبتك وما صنعت من شيء فلم أعبد غيرك فأخرجني الله من بطن الحوت برحمته وروى أبو هريرة مرفوعا قال أوحى الله تعالى إلى الحوت أن خذ ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فأخذه ثم أهوى به إلى مسكته في البحر فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فأوحى الله إليه هذا تسبيح دواب البحر قال فسبح هو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ياربنا

من خففها دليل هذا التأويل قراءة عمر بن عبد العزيز والزهرى فظن أن لن نقدر عليه بالتشديد وقال عطاء وكثير من العلماء معناه فظن أن لن نقضى عليه الخيس كقوله تعالى والله يسطر الرزق لمن يشاء ويقدر أي يقضى وقال ابن زيد هو استغمام معناه فظن أنه يعجز ربه فلا يقدر عليه وقرأ يعقوب يقدر بضم الياء على المجهول خفيف وعن الحسن قال بلغني أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا لربه واستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان فذفقه في بطن الحوت فكث فيه أربعين من بين يوم وليلة وقال عطاء سبعة أيام وقيل ثلاثة أيام وقيل إن الحوت ذهب به مسيرة ستة آلاف سنة وقيل بلغ به تخوم الأرض السابعة فتاب إلى ربه تعالى في بطن الحوت وراجع نفسه فقال ولا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين حين غضبتك وما صنعت من شيء فلن أعبد غيرك فأخرجني الله من بطن الحوت برحمته والتأويلات المتقدمة أولى بحال الأنبياء أنه ذهب مغاضبا لقوله أو لله لك (فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) يعني ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت وروى عن أبي هريرة مرفوعا وأوحى الله إلى الحوت أن خذ ولا تخدش له لحما ولا تكسر له عظما فأخذه ثم أهوى به إلى مسكته في البحر فلما انتهى

به إلى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فأوحى الله إليه إن هذا تسييح دواب البحر قال فسبح وهو في
بطان الحوت فسمعت الملائكة تسيحه فقالوا باربنا نسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة وفي رواية صوتا معروفا من مكان
مجهول فقال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم وليلة
عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه إلى الساحل كما قال الله تعالى «فنبذناه بالعراء وهم سقيم» فذلك
قوله عز وجل (فاستجبنا له) أي أجبناه (ونجيناه من الغم) من تلك الظلمات (وكذلك ننجي المؤمنين) من كل كرب إذا
دعونا واشتغاثوا بنا قرأ ابن عامر (٣٣٠) وعاصم برواية أبي بكر نجي بنون واحدة وتشديد الجيم وتسكين

الياء لأنها مكتوبة في
لمصحف بنون واحدة
واختلف النحاة في هذه
القراءة فذهب أكثرهم
إلى أنها لحن لأنه لو كان
على ما لم يسم فاعله لم
تسكن الياء ورفع المؤمنين
ومنها من صوبها وذكر
الفراء أن لها وجها آخر
وهو إضمار المصدر أي
نجى النجاة المؤمنين
كقولك ضرب الضرب
زيدا ثم تقول ضرب
زيدا بالنصب على
إضمار المصدر وسكن
الياء في نجي كما يسكون
في بقى ونحوها قال القتيبي
من قرأ بنون واحدة
والتشديد قائما أراد
ننجي من التنجية إلا أنه
أدغم وحذف نونا طلبا
الخفة ولم يرضه النحويون
لبعد مخرج النون من
الجيم والإدغام يكون

تسمع صوتا ضعيفا بأرض غريبة وفي رواية صوتا معروفا من مكان مجهول فقال ذلك عبدي
يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد إليك منه في كل يوم
وليلة عمل صالح قال نعم فشفعوا له عند ذلك فأمر الحوت فقذفه في الساحل فذلك قوله تعالى
(فاستجبنا له ونجيناه من الغم) أي من تلك الظلمات (وكذلك ننجي المؤمنين) أي من الكروب
إذا دعونا واشتغاثوا بنا . فان قلت قد تمسك بمواضع من هذه القصة من أجاز وقوع اللزب
من الأنبياء منها قوله « إذ ذهب مغاضبا » ومنها « فظن أن لن نقدر عليه » ومنها قوله « إنى كنت من
الظالمين » قلت أما الجواب الكلي فقد اختلفوا في هذه الواقعة هل كانت قبل الرسالة أم لا
فقال ابن عباس كانت رسالته بعد أن أخرجه الله من بطن الحوت بدليل قوله تعالى في الصافات
بعد ذكر خروجه « وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون » فثبت بهذا أن هذه الواقعة كانت قبل
النبوة وقد أجاز بعضهم عليه الصغار قبل النبوة ومنعها بعد النبوة وهو الصحيح وأما الجواب
التفصيلي لقوله إذ ذهب مغاضبا فحمله على أنه لقومه أو لملك أولى بحال الأنبياء وأما قوله
« فظن أن لن نقدر عليه » فقد تقدم معناه أي لن نصيب عليه وذلك أن يونس ظن أنه مخير إن
شاء أقام وإن شاء خرج وإن الله تعالى لا يضيع عبده في اختياره وقيل هو من القدر لأن القدرة
وأما قوله « إنى كنت من الظالمين » فالظلم وضع الشيء في غير موضعه وهذا اعتراف عند بعضهم
بذنبه فاما أن يكون لخروجه عن قومه بغير إذن ربه أو لضعفه عما حمله أو لدعائه بالعذاب
على قومه وفي هذه الأشياء ترك الأفضل مع قدرته على تحصيله فكان ذلك ظلما وقيل كانت
رسالته قبل هذه الواقعة بدليل قوله « وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون » فعلى
هذا يكون الجواب عن هذه الواقعة ما تقدم من التفصيل والله أعلم . قوله عز وجل (وزكريا
إذ نادى ربه) أي دعا ربه فقال (رب لا تنرني فردا) أي وحيدا لا ولد لي يساعدي وارزقني
وارثا (وأنت خير الوارثين) ووثاء على الله بأنه الباقي بعد ذاء الخلق وأنه الوارث لهم وهذا
على سبيل التمثيل والمجاز فهو كقوله وأنت خير الرازقين (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى) أي
ولدا (وأصلحنا له زوجه) أي جعلناها وودا بعد ما كانت عقبا وقيل كانت سبيبة الخلق

فأصلحها

عند قرب المخرج وقرأ العامة نجي بنونين من الإنجاء وإنما كتبت بنون واحدة لأن

النون الثانية كانت ساكنة والساكن غير ظاهر على اللسان فحذفت كما فعلوا في إلا حذفوا النون من أن خلفها واختلقتوا في
أن رسالة يونس بن متى متى كانت فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس أنها كانت بعد أن أخرجه الله من بطن الحوت بدليل
أن الله عز وجل ذكره في سورة والصافات «فنبذناه بالعراء» ثم ذكر بعده «وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون» وقال الآخرون
إنها كانت من قبل بدليل قوله تعالى «وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون» قوله عز وجل (وزكريا إذ نادى
ربه) أي دعا ربه (رب لا تنرني فردا) وحيدا لا ولد لي وارزقني وارثا (وأنت خير الوارثين) أنى على الله بأنه الباقي بعد
فناء الخلق وأنه أفضل من بقى حيا (فاستجبنا له ووهبنا له يحيى) ولدا (وأصلحنا له زوجه) أي جعلناها لولدا بعد ما كانت

قرأ بن عمر وأبو جعفر ويعقوب فتحت بالتشديد على التكبير وقرأ الآخرون بالتخفيف (يا جوج وما جوج) يريد فتح السد
عن يا جوج وما جوج (وهم من كل حذب) (٣٢٢) أي نشز وتل والحذب المكان المرتفع (ينسلون) يسرعون النزول

من الآكام والتلاع
كلسلان الذئب وهو
سرعة مشيه . واختلفوا
في هذه الكتابة فقال قوم
صحة يا جوج وما جوج
بدليل ما روينا عن
النواس بن سمعان عن
رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال ويبحث الله
يا جوج وما جوج وهم
من كل حذب ينسلون
وقال قوم أراد جميع
الخلق يعني أنهم يخرجون
من قورهم ويدل عليه
قراءة مجاهد وهم من
كل حذب بالجيم والثاء
كما قال فاذا هم من
الأجدات إلى ربهم
ينسلون أخبرنا إسماعيل
ابن عبد القاهر الجرجاني
أنا عبد الغافر بن محمد
القاسمي أنا محمد بن
عيسى البلودي أنا إبراهيم
بن محمد بن سفيان
أنا مسلم بن الحجاج
أنا أبو خيثمة زهير بن
حرب أنا سفيان بن عيينة
عن فرات الفزاز عن
أبي الطفيل عن حذيفة
ابن أسيد الغفاري قال
اطلع النبي صلى الله
عليه وسلم علينا ونحن
نتذاكر الساعة فقال ما
تذكرون قالوا نذكر

يا جوج وما جوج) يريد فتح السد وذلك أن الله يفتحه أخبر عن يا جوج وما جوج وهما قبيلتان
يقال لهما تسعة أعشار بني آدم (وهم من كل حذب ينسلون) أي يسرعون النزول من كل الآكام
والتلاع. وفي هذه الكتابة وجهان: أحدهما أن المراد بهم يا جوج وما جوج وهو الأصح بدليل
ما روى عن النواس بن سمعان قال ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ذات غداة
فخفض فيه ورفع حتى ظننا أنه في طائفة النخل فلما رحنا إليه عرفنا ذلك فبنا فقال ما شأنكم
قلنا يا رسول الله ذكرت الدجال الغداة فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل فقال
غير الدجال أخوفني عليكم إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم وإن يخرج ولست فيكم فكل
امري حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم إنه شاب قطط عينه طائفة تأتي أشبهه بعبد العزى
بن قطن فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فوائح سورة الكهف ، إنه خارج خلة بين الشام
والعراق فعات يمينا وعات شمالا يا عباد الله فابتنوا قلنا يا رسول الله وما لبث في الأرض ؟ قال
أربعون يوما يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كأيامكم قلنا يا رسول الله فذلك
اليوم الذي كسنة أنكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال لا أقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما إنراعه
في الأرض ؟ قال كالغيث استدبرته الريح فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له
فيأمرهم السماء فتُمْطر والأرض فتنبت فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرا وأصبغه
ضروعا وأمدته خواصر ثم يأتي القوم فيدعوهم فيردون عليه . قوله فينصرف عنهم فيصبحون
محملين ليس بأيديهم شيء من أموالهم . وعمر بالحرية فيقول لها أخرجي كنوزك فتتبعه كنوزها
كيعايب النحل ثم يدعور جلائمتها شبايا فيضربه بالسيف فيقطعها جزئين روية الغرض ثم
يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه ويضحك فيبينا هو كذلك إذ بعث الله المسيح بن مريم عليه السلام
فيزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق بين مهردتين واضعا كفيه على أجنحة ملكين إذا
طأ رأسه قطر وإذا رفعه منه جمان كاللؤلؤ فلا يحمل لكافر يحد ربح نفسه إلا مات ونفسه
ينتهي إلى حيث ينتهي طرفه فيطلبه حتى يدركه يباب لد فينتله ثم يأتي عينى عليه السلام
إلى قوم قد عصمهم الله منه فيمنح على وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة فيبينا هو كذلك
إذ أوحى الله إلى عيسى عليه السلام إنى قد أخرجت عبادا لى لا يدان لأحد أن يقتلهم فحرز
عبادى إلى الطور ويبعث الله يا جوج وما جوج وهم من كل حذب ينسلون فيمر أوتلهم
على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ويمر آخرهم فيقول لقد كان بهذه مرة ماء ويحضر نبي الله
عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرا من مائة دينار لأحدكم اليوم فيرغب نبي
الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله فيهم النغف في رقابهم فيصبحون فرسي كوت نفس واحدة
ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم
وتنهم فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيرا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم
حيث شاء الله ثم يرسل الله مطرا لا يكتن منه بيت مدر ولا وبر فيغسل الأرض حتى يتركها
كالزلفه ثم يقال للأرض أنبئى ثمرتك ودرى بركتك فيومئذ تأكل العصابة من الرماة ويستظلون
بقحفها ويبارك في الرمل حتى إن اللقحة من الإبل لتكفى الفئام من الناس واللقحة من البقر

لتكني

من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويا جوج وما جوج وثلاثة خسوف بالغرب وخسوف بالشرقي وخسوف بحزيرة

وقال عكرمة هذا الخطب بلغة الجبهة قال الضحاك يعني يرون بهم في النار كما يرى بالحصب وأصل الحصب الرمي قال الله عز وجل وأرسلنا عليهم حاصبا أي ريحا نرميهم بحجارة وقرأ علي بن أبي طالب حطب جهنم (أنتم لها واردون) أي فيها داخلون (لو كان هؤلاء) يعني الأصنام (آلهة) على الحقيقة (ماوردوها) أي ما دخل النار وعبدوها (وكل فيها خالدون) يعني العابدون والمعبدون (لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون) قال ابن مسعود في هذه الآية وإذا بقي في النار من يجلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت آخر ثم تلك التوابيت في توابيت أخرى مسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى أحد منهم أن في النار أحدا يعذب (٣٢٤) غيره ثم استثنى فقال (إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى) قال بعض

أي حطبها ووقودها وقيل يرى بهم في النار كما يرى بالحصب وأصل الحصب الرمي (أنتم لها واردون) أي فيها داخلون (لو كان هؤلاء) يعني الأصنام (آلهة) أي على الحقيقة (ماوردوها) أي ما دخل النار وعبدوها (وكل فيها خالدون) يعني العابدون والمعبدون (لهم فيها زفير) قيل الزفير هو أن يملأ الرجل صدره غما ثم يتنفس وقيل هو شدة ما ينالهم من العذاب (وهم فيها لا يسمعون) قال ابن مسعود في هذه الآية إذا بقي في النار من يجلد فيها جعلوا في توابيت من نار ثم جعلت تلك التوابيت في توابيت آخر ثم تلك التوابيت في توابيت أخرى مسامير من نار فلا يسمعون شيئا ولا يرى أحد منهم أن في النار أحدا يعذب غيره . قوله تعالى (إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى) قال العلماء إن هنا معنى إلا أي إلا الذين سبقتم لهم منا الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة (أولئك عنها) أي عن النار (مبعدون) قيل الآية عامة في كل من سبق له من الله السعادة ، وقال أكثر المفسرين عن ذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادته من يعبده كاره وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الخطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنفاً فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم الآيات الثلاث ثم قام فأقبل عبد الله بن الزبير السهمي فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ابن الزبير أما والله لو وجدت لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبير أنت قلت إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم؟ قال نعم قال أليست اليهود تعبد عزيراً والنصارى تعبد المسيح وبني ملبح تعبد الملائكة فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشياطين فأنزله الله تعالى إن الذين سبقتم لهم منا الحسنى يعني عزيراً والمسيح والملائكة أولئك عنها مبعدون وأنزل في ابن الزبير ما ضربه لك إلا جداول بل هم قوم خصمون وزعم جماعة أن المراد من الآية الأصنام لأن الله تعالى قال إنكم وما تعبدون من دون الله ولو أراد به الملائكة والناس أقال إنكم ومن تعبدون لأن من لمن يعقل وما لمن لا يعقل (لا يسمعون حسيبها) يعني صوتها وحركة تلهبها إذا نزلوا منازلهم في الجنة (وهم فيها اشتبهت أنفسهم) أي من النعيم والكرامة (خالدون) أي مقيمون . قوله تعالى (لا يخزئهم القزع

أهل العلم إن ما هنا بمعنى إلا معناه إلا الذين سبقتم لهم منا الحسنى يعني السعادة والعدة الجميلة بالجنة (أولئك عنها مبعدون) قيل الآية عامة في كل من سبق لهم من الله السعادة وقال أكثر المفسرين عن ذلك كل من عبد من دون الله وهو لله طائع ولعبادته من يعبده كاره وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الخطيم وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنفاً فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ثم تلا عليه إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها

الآيات الثلاثة ثم قام ، فأقبل عبد الله بن الزبير السهمي فأخبره الوليد بن المغيرة بما قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله لو وجدت لخصمته فدعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الزبير أنت قلت إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال أليست اليهود تعبد عزيراً والنصارى تعبد المسيح وبني ملبح تعبد الملائكة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشياطين فأنزله الله عز وجل وإن الذين سبقتم لهم منا الحسنى يعني عزيراً والمسيح والملائكة وأولئك عنها مبعدون وأنزل في ابن الزبير ما ضربه لك إلا جداول بل هم قوم خصمون ، وزعم جماعة أن المراد من الآية الأصنام لأن الله تعالى قال وما تعبدون من دون الله ولو أراد الملائكة والناس لقال ومن تعبدون من دون الله (لا يسمعون حسيبها) يعني صوتها وحركة تلهبها إذا نزلوا منازلهم في الجنة والحسن والحسيس الصوت الخفي (وهم فيها اشتبهت أنفسهم خالدون) مقيمون كما قال وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين (لا يخزئهم القزع

(الأكبر)

الأكبر) قال ابن عباس الفزع الأكبر النفضة الأخيرة بدليل قوله عز وجل ، ونفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض ، قال الحسن حين يؤمر بالعباد إلى النار قال ابن جريج حين يذبح الموت وينادي بأهل الجنة خلود بلا موت وبأهل النار خلود فلا موت وقال سعيد بن جبير والضحاك هو أن تطبق عليهم جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجهم (وتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة بهنوتهم ويقولون (هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم تطوى السماء) قرأ أبو جعفر تطوى السماء بالثناء وضمها وفتح الواو والساء رفع على المجهول وقرأ العامة بالنون وفتحها وكسر الواو والهاء نصب (كطى السجل للكتب) قرأ حمزة وانكسأى وحفص عن عاصم للكتب على الجمع ، وقرأ الآخرون للكتاب على الواحد . واختلفوا في السجل فقال السدي السجل (٣٣٥) ملك يكتب أعمال العباد واللام

زائدة أي كطى السجل
الكتب كقوله وردف
لكم واللام فيه زائدة
وقال ابن عباس ومجاهد
والأكثرون السجل
الصحيفة للكتب أي
لأجل ما كتب معناه كطى
الصحيفة على مكتوبها
والسجل اسم مشتق من
المساجلة وهي المكتوبة
والطى الدرج الذي هو
ضد التشر (كما بدأنا
أول خلق نعيده) أي كما
بدأناهم في بطون أمهاتهم
حفاة عراة غرلا كذلك
نعيدهم يوم القيامة نظيره
قوله تعالى ولقد جئتمونا
فرادى كما خلقناكم
أول مرة ، وروى عن
ابن عباس عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال
وإنكم محشورون حفاة

الأكبر) قال ابن عباس يعني النفضة الأخيرة، وقيل هو حين يذبح الموت وينادي بأهل النار خلود بلا موت وقيل هو حين يطبق على جهنم وذلك بعد أن يخرج الله منها من يريد أن يخرجهم (وتلقاهم الملائكة) أي تستقبلهم الملائكة على أبواب الجنة بهنوتهم ويقولون (هذا يومكم الذي كنتم توعدون) أي في الدنيا . قوله عز وجل (يوم تطوى السماء كطى السجل للكتب) قال ابن عباس السجل الصحيفة والمعنى كطى الصحيفة على مكتوبها والطى هو الدرج الذي هو ضد التشر وقيل السجل اسم ملك يكتب أعمال العباد إذ ارتفعت إليه والمعنى تطوى السماء كما يطوى السجل الطومار الذي يكتب فيه والتقدير لا يحزنهم الفزع الأكبر في ذلك اليوم (كما بدأنا أول خلق نعيده) أي كما بدأناهم في بطون أمهاتهم عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة (ق) عن ابن عباس قال وقام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة فقال: أيها الناس إنكم تحشرون إلى الله حفاة عراة غرلا كما بدأنا أول خلق نعيده، قوله غرلا أي الغفا وقوله تعالى (وعدا عيننا إنا كنا فاعلين) يعني الإعادة والبعث بعد الموت . قوله تعالى (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قيل الزبور جميع الكتب المنزلة على الأنبياء والذكر هو أم الكتاب الذي عنده ومن ذلك الكتاب تنسخ جميع الكتب ومعنى من بعد الذكر أي بعد ما كتب في اللوح المحفوظ وقال ابن عباس الزبور والتوراة والذكر الكتب المنزلة من بعد التوراة وقيل الزبور كتاب داود والذكر هو القرآن وبعد هنا بمعنى قبل (أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) يعني أرض الجنة يرثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم والمعنى أن الله تعالى كتب في اللوح المحفوظ في كتب الأنبياء أن الجنة يرثها من كان صالحا من عباده عاملا بطاعته وقال ابن عباس أراد أن أراضى الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم مع الله تعالى باظهار الدين وإعزاز المسلمين ، وقيل أراد الأرض المقدسة يرثها الصالحون بعد من كان فيها (إن في هذا) أي في القرآن (لبلاغ) أي وصولا إلى البغية يعني من اتبع القرآن وعمل بما فيه وصل إلى ما يرجوه من الثواب ، وقيل البلاغ الكفاية أي فيه كفاية لما فيه من الأخيار

عراة غرلائم قرأ و كما بدأنا أول خلق نعيده (وعدا عيننا إنا كنا فاعلين) يعني الإعادة والبعث وقوله (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر) قال سعيد بن جبير ومجاهد الزبور جميع الكتب المنزلة والذكر أم الكتاب الذي عنده والمعنى من بعد ما كتب ذكره في اللوح المحفوظ وقال ابن عباس والضحاك الزبور التوراة والذكر للكتب المنزلة من بعد التوراة وقال الشعبي الزبور كتاب داود والذكر التوراة وقيل الزبور زبور داود والذكر القرآن وبعد معنى قيل كقوله تعالى (وكان وراءهم ملك أي أمامهم ، والأرض بعد ذلك دحاها، قبله (إن الأرض) يعني أرض الجنة (يرثها عبادي الصالحون) قال مجاهد يعني أمة محمد صلى الله عليه وسلم دليله قوله تعالى والحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض ، وقال ابن عباس أراد أن أراضى الكفار يفتحها المسلمون وهذا حكم من الله باظهار الدين وإعزاز المسلمين وقيل أراد بالأرض الأرض المقدسة (إن في هذا) أي في القرآن (بلاغ) وصولا إلى البغية أي من اتبع القرآن وعمل به وصل إلى ما يرجوه من الثواب وقيل بلاغا

فهرست الجزء الرابع
من تفسير القرآن العظيم للإمام علي بن محمد المعروف بالحاظن

صفحة	
٢	(تفسير سورة الرعد)
١٣	فصل وهذه السجدة من عزائم سجود التلاوة أى قوله تعالى (وشهد بسجدة من فى السموات والأرض)
٣١	(تفسير سورة إبراهيم عليه السلام)
٥٥	(تفسير سورة الحجر)
٦٠	فصل اختلف العلماء هل كانت الشياطين ترمى بالنجوم قبل مبعثه <small>ﷺ</small> أم لا على القولين
٧٨	(تفسير سورة النحل)
٨١	فصل احتج بهذه الآية من يرى تحريم لحوم الخيل أى آية (والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة)
١١٧	فصل فى حكم الآية أى قوله تعالى (من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان)
١٢٦	فصل اختلف العلماء هل هذه الآية منسوخة أم لا على قولين أى قوله تعالى (ادع إلى سبيل ربك)
١٢٧	(تفسير سورة الإسراء)
١٢٨	فصل فى ذكر حديث المعراج وما يتعلق به
١٣٤	فصل قال البغوى قال بعض أهل الحديث ما وجدنا للبخارى ومسلم فى كتابيهما شيئا لا يحتمل مخرجا لإلحاد شريك بن أبى نمر عن أنس
١٣٤	فصل فى شرح بعض ألفاظ حديث المعراج
١٣٦	فصل فى ذكر الآيات التى ظهرت بعد المعراج الثالثة على صدقه <small>ﷺ</small> ومبايق أحاديث تتعلق بالأمراء
١٣٨	ذكر القصة فى هذه الآيات أى الآيات التى أولها (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب)
١٥٥	فصل فى ذكر الأحاديث التى وردت فى بر الوالدين
١٧٤	فصل فى الأحاديث الواردة فى قيام الليل
١٩١	(تفسير سورة الكهف)
١٩٧	ذكر قصة أصحاب الكهف وسبب خروجهم إليه
٢٣٨	(تفسير سورة مريم عليها السلام)
٢٦٢	(تفسير سورة طه)
٢٨٣	الكلام على معنى الحديث وشرحه أى حديث (احتج آدم وموسى) الخ
٢٨٤	فصل فى بيان عصمة الأنبياء وما قبل فى ذلك
٢٨٨	(تفسير سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام)
٣٠٠	ذكر القصة فى ذلك أى قوله تعالى (قالوا حرقوه الخ)
٣٠٧	ذكر قصة أيوب عليه السلام (تمت)

فهرست الجزء الرابع

من كتاب معالم التنزيل لمحيي السنة أبي محمد الحسين القراء البغوي
(الذي بهامش الخازن)

	صفحة
(سورة الرعد)	٢
(سورة إبراهيم)	٣١
(سورة الحجر)	٥٥
(سورة النحل)	٧٨
(سورة الإسراء)	١٢٧
(سورة الكهف)	١٩١
(سورة مريم)	٢٣٨
(سورة طه)	٢٦٢
(سورة الأنبياء)	٢٨٨

تفسير الخازن

للسيد

لباب التأويل في معاني التنزيل

لعلاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن

المتوفى سنة ٧٢٥ هـ

وبهامشه

تفسير البغوي

المعروف بمعالم التنزيل

لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي

المتوفى سنة ٥١٦ هـ

الجزء الخامس

الطبعة الثانية

١٣٧٥ هـ - ١٩٥٥ م

مطبعة الطبع والنشر

شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

(ويبيع) أي يبيع في جداله في الله بغير علم (كل شيطان مرید) والمرید المتمرد العاني المستمر في الشر (كتب عليه) قضى على الشيطان (أنه من تولاه) اتبعه (فأنه) يعني الشيطان (بفضله) أي يفضل من تولاه (ويهديه إلى عذاب السعير) ثم ألزم الحجة منكري البعث فقال (يا أيها الناس إن كنتم في ريب) يعني في شك (من البعث فانا خلقناكم) يعني أباكم آدم الذي هو أصل النسل (من تراب ثم من نطفة) (٤) يعني ذريته والنطفة هي المنى وأصلها الماء القليل وجمعها نطافت (ثم من

علقة) وهي الدم الغليظ المتجمد الطرى وجمعها علق وذلك أن النطفة تصير دما غليظا ثم تصير لحما (ثم من مضغة) وهي لحمة قليلة قدر ما يعضغ (مخلقة وغير مخلقة) قال ابن عباس وقتادة مخلقة أي تامة وغير مخلقة غير تامة أي ناقصة الخلق وقال مجاهد مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقة الولد الذي تأتي به المرأة لوقته وغير المخلقة أي ناقصة الخلق وقال مجاهد مصورة يعني السقط وقيل المخلقة الولد الذي تأتي به المرأة لوقته وغير المخلقة السقط روى عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه وقال أي رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها الرحم دما ولم تكن نسمة وإن قال مخلقة قال الملك أي رب أذكر أم أنثى أشقى أم سعيد ما لأجل ما لعمل ما الرزق وبأي أرض يموت فيقال له اذهب إلى أم

صار ترابا) (ويبيع) يعني في جداله في الله بغير علم (كل شيطان مرید) يعني المتمرد المستمر في الشر وفيه وجهان أحدهما أنهم شياطين الإنس وهم رؤساء الكفر الذين يدعون من دونهم إلى الكفر والثاني أنه إبليس وجنوده (كتب عليه) يعني قضى على الشيطان (أنه من تولاه) يعني أتبعه (فأنه) يعني الشيطان (بفضله) يعني يفضل من تولاه عن طريق الجنة (ويهديه إلى عذاب السعير) وفي الآية زجر عن اتباعه والمعنى كتب عليه أنه من يقبل منه فهو في ضلال ثم ألزم الحجة منكري البعث فقال (يا أيها الناس إن كنتم في ريب) يعني شك (من البعث) يعني بعد الموت (فانا خلقناكم من تراب) يعني أباكم آدم الذي هو أصل النسل (ثم من نطفة) يعني ذريته من المنى وأصلها الماء القليل (ثم من علقمة) يعني من دم جامد غليظ وذلك أن النطفة تصير دما غليظا (ثم من مضغة) وهي لحمة قليلة قدر ما يعضغ (مخلقة وغير مخلقة) قال ابن عباس أي تامة الخلق وغير تامة الخلق وقيل مصورة وغير مصورة وهو السقط وقيل المخلقة الولد الذي تأتي به المرأة لوقته وغير المخلقة فكأنه سبحانه وتعالى قسم المضغة إلى قسمين أحدهما تام الصورة والحواس والتخطيط والقسم الثاني هو الناقص عن هذه الأحوال كلها وروى عن علقمة عن ابن مسعود موقوفا عليه قال إن النطفة إذا استقرت في الرحم أخذها ملك بكفه وقال أي رب مخلقة أو غير مخلقة فان قال غير مخلقة قذفها في الرحم دما ولم تكن نسمة وإن قال مخلقة قال الملك أي رب أذكر أم أنثى أشقى أم سعيد ما لأجل ما لعمل ما الرزق بأي أرض يموت فيقال له اذهب إلى أم الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى يأتي على آخر صفته والذي أخرجه في الصحيحين عنه قال وحدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يبعث الله ملكا يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أو سعيد ثم ينفخ فيه الروح فولد لآله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها وقوله تعالى (لنبين لكم) أي كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الإعادة وقيل لنبين لكم ماتأتون وما تلدون وما تحتاجون إليه في العبادة وقيل لنبين لكم أن تغير المضغة إلى الخلق هو اختيار الفاعل المختار فان القادر على هذه الأشياء كيف يكون عاجزا عن الإعادة (ونقر في الأرحام ما نشاء) أي لا تسقطه ولا تمنجه (إلى أجل مسمى) أي وقت خروجه من الرحم تام الخلق (ثم نخرجكم) أي وقت الولادة من بطون أمهاتكم (طفلا) أي صغارا وإنما وحد الطفل لأن الغرض الدلالة على الجنس (ثم لتبلغوا أشدكم)

الكتاب فانك تجد فيها كل ذلك فيذهب فيجدها في أم الكتاب فينسخها فلا يزال معه حتى

يأتي على آخر صفته (لنبين لكم) كمال قدرتنا وحكمتنا في تصريف أطوار خلقكم ولتستدلوا بقدرته في ابتداء الخلق على قدرته على الإعادة وقيل لنبين لكم ماتأتون وما تلدون وما تحتاجون إليه في العبادة (ونقر في الأرحام ما نشاء) فلا تمنجه ولا تسقطه (إلى أجل مسمى) إلى وقت خروجه من الرحم تامة الخلق والمدة (ثم نخرجكم) من بطون أمهاتكم (طفلا) أي صغارا ولم يقل أطفالا لأن العرب تذكر الجمع باسم الواحد وقيل تشبيها بالمصدر مثل عدل وزور (ثم لتبلغوا أشدكم) يعني الكمال

والقوة (ومنكم من يتوفى) من قبل بلوغ الكبر (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) أو الهرم والخرق (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) أي يبلغ من السن ما يتغير عقله فلا يعقل شيئا ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال (وترى الأرض هامدة) أي باسدة لا نبات فيها (فإذا أنزلنا عليها الماء) المطر (اهتزت) تحركت بالنبات وذلك أن الأرض ترتفع بالنبات فذلك تحركها (وريت) أي ارتفعت وزادت وقرأ أبو جعفر وربات بالله زنة وكذلك في حم السجدة أي ارتفعت وعلت قال المبرد أراد اهتز وربا نباتها فحذف المضاف والاهتز في النبات أظهر يقال اهتز النبات أي طال وإنما أنث لذكر الأرض وقيل فيه تقديم وتأخير معناه ريت واهتزت (وأثبتت من كل زوج بهيج) أي صنف حسن بهيج به من رآه أي يسر فهذا دليل آخر على البعث (ذلك بأن الله هو الحق) أي لتعلموا أن الله هو الحق (وأنه يحيى الموتى وأنه) (5) على كل شيء قدير وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن

آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور ومن الناس من يجادل في الله بغير علم (يعني النضر بن الحارث) ولا هدى) بيان (ولا كتاب منير ثاني عطفه) متبخرا لتكبره وقال مجاهد وقناة لاوى عنده قال عطية وابن زيد معرضا عما يدعى إليه تكبرا ، وقال ابن جريح معرض عن الحق تكبرا والعطف الجانب وعطف الرجل جانباه عن يمين وشمال وهو الموضع الذي يعطفه الإنسان أي يلويه ويمياه عند الإعراض عن الشيء نظيره قوله تعالى وإذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبرا . وقال تعالى وإذا قيل لهم تعالوا

أي كمال القوة والعقل والتمييز (ومنكم من يتوفى) أي قبل بلوغ الكبر (ومنكم من يرد إلى أرذل العمر) أي الهرم والخرق (لكيلا يعلم من بعد علم شيئا) أي يبلغ من السن ما يتغير به عقله فلا يعقل شيئا فيصير كما كان في أول طفولته ضعيف البنية خفيف العقل قبل الفهم ثم ذكر دليلا آخر على البعث فقال تعالى (وترى الأرض هامدة) أي باسدة لا نبات فيها (فإذا أنزلنا عليها الماء) يعني المطر (اهتزت) أي تحركت بالنبات (وريت) أي ارتفعت وذلك أن الأرض ترتفع بالنبات (وأثبتت) هو مجاز لأن الله تعالى هو المنبت وأضيف إلى الأرض توسعا (من كل زوج بهيج) أي من كل صنف حسن نصير والبهيج هو المبهج وهو الشيء المشرق الجميل ثم إن الله تعالى لما ذكر هذين الدليلين رتب عليهما ما هو المطلوب فقال تعالى (ذلك) أي ذكرنا ذلك لتعلموا (بأن الله هو الحق) وأن هذه الأشياء دالة على وجود الصانع (وأنه يحيى الموتى) أي أنه إذا لم يستعد منه إجماد هذه الأشياء فكيف يستعد منه إعادة السموات (وأنه على كل شيء قدير) أي من كان كذلك كان قادرا على جميع الممكنات (وأن الساعة آتية لا ريب فيها) وأن الله يبعث من في القبور أي ما ذكر من الدلائل لتعلموا أن الساعة كائنة لاشك فيها وأنها حق وأن البعث بعد الموت حق وقوله تعالى (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) يعني النضر بن الحارث (ولا هدى) أي ليس معه من الله بيان ولا رشاد (ولا كتاب منير) أي ولا كتاب من الله له نور (ثاني عطفه) أي لاوى جنبه وعطفه متبخرا لتكبره معرضا عما يدعى إليه من الحق تكبرا (ليضل عن سبيل الله) أي عن دين الله (له في الدنيا خزي) أي عذاب وهو أن قتل يوم بدر صبورا هو عقبة بن أبي معيط (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق ذلك) أي يقال له ذلك (بما قدمت يدك) وأن الله ليس بظلام للعبيد أي فيعذبهم بغير ذنب والله تعالى على أي وجه أراد يتصرف في عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم . قوله عز وجل (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية نزلت في قوم من الأعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من بلادهم فكان أحدهم إذا قدم المدينة فصحح بها جسمه وتنجت بها فرسه مهرا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه

يستغفر لكم رسول الله لووا رؤسهم (ليضل عن سبيل الله) عن دين الله (له في الدنيا خزي) عذاب وهو أن قتل يوم بدر فقتل النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط يوم بدر صبورا (ونذيقه يوم القيامة عذاب الحريق) ويقال له (ذلك بما قدمت يدك) وأن الله ليس بظلام للعبيد (فيعذبهم بغير ذنب وهو جل ذكره على أي وجه شاء تصرف في عبده فحكمه عدل وهو غير ظالم قوله تعالى : (ومن الناس من يعبد الله على حرف) الآية نزلت في قوم من الأعراب كانوا يقدمون المدينة مهاجرين من بلادهم فكان أحدهم إذا قدم المدينة فصحح بها جسمه وتنجت فرسه مهرا وولدت امرأته ذكرا وكثر ماله قال هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا واطمأن إليه وإن أصابه مرض وولدت امرأته جارية وأجهضت رماحه وقل ماله قال ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا شرا فينقلب عن دينه وذلك الثنته فأزل الله عز وجل (ومن الناس من

يعبد الله على حرف ، أكثر المفسرين قالوا على شك وأصله من حرف الشيء وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذي القائم عليه غير مستقر فقيل للشاك في الدين أنه يعبد الله على حرف لأنه على طرف وجانب من الدين لم يدخل فيه على الثبات والتمكن كالتقائم على حرف الجبل مضطرب غير مستقر يعرض أن يقع في أحد جانبي الطرف للضعف قيامه ولو عبدوا الله في الشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف قال الحسن هو المتناقض يعبد بلسانه دون قلبه (فإن أصابه خير) صحة في جسمه وسعة في معيشته (اطمأن به) أي رضى به وسكن إليه (وإن أصابته فتنة) بلاء في جسده وضيق في معيشته (انقلب على وجهه) ارتد ورجع على عقبه الى الوجه الذي كان عليه من الكفر (خسر الدنيا) يعنى هذا الشاك خسر الدنيا بفوات ما كان يأمله (والآخرة) (٣) بذهاب الدين والخلود في النار قرأ يعقوب خامس بالألف والآخرة جر

خيرا واطمأن له وإن أصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه وقل ماله قال ما أصبت منذ دخلت في هذا الدين إلا شرا فينقلب عن دينه وذلك هو القصة فأنزله الله تعالى ومن الناس من يعبد الله على حرف أي على شك وأصله من حرف الشيء وهو طرفه نحو حرف الجبل والحائط الذي غير مستقر فقيل للشاك في الدين أنه يعبد الله على حرف لأنه لم يدخل فيه على الثبات والتمكن وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على سكونية وطمأنينة ولو عبدوا الله بالشكر على السراء والصبر على الضراء لم يكونوا على حرف وقيل هو المتناقض يعبد الله بلسانه دون قلبه (فإن أصابه خير) أي صحة في جسمه وسعة في معيشته (اطمأن به) أي رضى به وسكن إليه (وإن أصابته فتنة) أي بلاء في جسمه وضيق في معيشته (انقلب على وجهه) أي ارتد ورجع على عقبه إلى الوجه الذي كان عليه من الكفر (خسر الدنيا والآخرة) أي خسر في الدنيا العز والكرامة ولا يبقى دمه وماله مصونا وقيل خسر في الدنيا ما كان يؤمل والآخرة بذهاب الدين والخلود في النار (ذلك هو الخسران المبين) أي الظاهر (يدعو من دون الله مالا يضره) إن عصاه ولم يعبد (ومالا ينفعه) إن أطاعه وعبد (ذلك هو الضلال البعيد) عن الحق والرشد (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) هذه الآية من مشكلات القرآن وفيها أسئلة أولها قالوا قد قال الله في الآية السابقة (يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه) وقال هاها لمن ضره أقرب من نفعه فكيف التوفيق بينهما قيل قوله في الآية الأولى يدعو من دون الله مالا يضره أي لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره أقرب من نفعه أي ضر عبادته فإن قيل قد قال لمن ضره أقرب من نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما . قلت إذا حصل المعنى ذهب هذا الهم وذلك أن الله تعالى قال في الآية الأولى مالا يضره أي لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره أقرب من نفعه وقيل إنها لا تضر ولا تنفع بأنفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يعني في إضافة الضرر إليها وقيل إن الله تعالى مضمون الكافر حيث عبد جمادا لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله أنه ينفع به حين يستشفع وقيل الآية في الرؤساء وهم الذين كانوا يفرعون إليهم لأنه يصح منهم أن يضرُوا وينفَعُوا وحجة هذا القول أن الله تعالى بين في الآية الأولى أن الأوثان لا تضر ولا تنفع وهذه الآية تقتضي كون المذكور فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور

(ذلك هو الخسران المبين) الظاهر (يدعو من دون الله مالا يضره) إن عصاه ولم يعبد (ومالا ينفعه) إن أطاعه وعبد (ذلك هو الضلال البعيد) عن الحق والرشد (يدعو لمن ضره أقرب من نفعه) هذه الآية من مشكلات القرآن وفيها أسئلة أولها قالوا قد قال الله في الآية السابقة (يدعو من دون الله مالا يضره ومالا ينفعه) وقال هاها لمن ضره أقرب من نفعه فكيف التوفيق بينهما قيل قوله في الآية الأولى يدعو من دون الله مالا يضره أي لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره أقرب من نفعه أي ضر عبادته فإن قيل قد قال لمن ضره أقرب من نفعه وهذا تناقض فكيف الجمع بينهما . قلت إذا حصل المعنى ذهب هذا الهم وذلك أن الله تعالى قال في الآية الأولى مالا يضره أي لا يضره ترك عبادته وقوله لمن ضره أقرب من نفعه وقيل إنها لا تضر ولا تنفع بأنفسها ولكن عبادتها سبب الضرر وذلك يعني في إضافة الضرر إليها وقيل إن الله تعالى مضمون الكافر حيث عبد جمادا لا يضر ولا ينفع وهو يعتقد بجهله وضلاله أنه ينفع به حين يستشفع وقيل الآية في الرؤساء وهم الذين كانوا يفرعون إليهم لأنه يصح منهم أن يضرُوا وينفَعُوا وحجة هذا القول أن الله تعالى بين في الآية الأولى أن الأوثان لا تضر ولا تنفع وهذه الآية تقتضي كون المذكور فيها ضارا نافعا فلو كان المذكور

من نفعه ولا نفع في عبادة الصنم أصلا قيل هذا على عادة العرب فانهم يقولون لما لا يكون أصلا في هذه بعيد كقوله وذلك رجع بعيد أي لا يرجع أصلا فلما كان نفع الصنم بعيدا على معنى أنه لا تنفع فيه أصلا قيل ضره أقرب من نفعه لأنه كائن السؤال الثالث قوله لمن ضره أقرب من نفعه ما وجه هذه اللام اختلفوا فيه فقال بعضهم هي صلة مجازها يدعو من ضره أقرب وكذلك قرأها ابن مسعود وقيل يدعو بمعنى يقول والمجرى محذوف أي يقول لمن ضره أقرب من نفعه هو إله وقيل معناه يدعو لمن ضره أقرب من نفعه يدعو فحذف يدعو الأخير اجتزاء بالأولى ولو قلت يضرب لمن خيره أكثر من شره يضرب ثم يحذف الأخير جاز وقيل على التوكيد معناه يدعو والله لمن ضره أقرب من نفعه وقيل يدعو من صلة قوله وذلك هو الضلال البعيد يقول ذلك هو الضلال البعيد يدعو ثم استأنف فقال لمن ضره أقرب من نفعه فيكون من في

نحل الرفع بالابتداء وخبره (لبئس المولى) أي الناصر وقيل المعبود (ولبئس العشير) أي الصاحب والمخالط يعني الوثن والعرب تسمى الزوج العشير لأجل المخالطة (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد من كان يظن أن لن ينصره الله) يعني نبيه صلى الله عليه وسلم (في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب) أي بجبل (إلى السماء) أراد بالسماء سقف البيت على قول الأكثرين أي ليشدد حبلا في سقف بيته فليختنق به حتى يموت (ثم ليقطع) الجبل بعد الاختناق وقيل ثم ليقطع أي ليمد الجبل حتى يتقطع فيموت محتقنا (فليظن هل يذهبن كيدته) صنعه وحيلته (ما يغيظ) ما معنى المصدر أي هل يذهبن كيدته وحيلته غيظه معناه فليختنق غيظا حتى يموت وليس هذا على سبيل الحتم أن يفعله لأنه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق والموت ولكنه كما يقال للحاسد (V) إن لم ترص هذا فاختنق ومث غيظا

وقال ابن زيد المراد من السماء السماء المعروفة ومعنى الآية من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكيد في أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله فان أصله من السماء فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي يأتيه من السماء فليظن هل يقدر على إذهاب غيظه بهذا الفعل وروى أن هذه الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وكان بينهم وبين اليهود حلف وقالوا لا يمكننا أن نسلم لأننا نخاف أن لا ينصر محمد ولا يظهر أمره فنقطع الحائفة بيننا وبين اليهود ومعنى الآية من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة فليغظ غيظا لا يفعله ذلك ليعجزه عن الرزق وهو الاختناق فان ذلك لا يجعله مرزوقا تقول العرب من ينصرني نصره الله أي من يعطني أعطاه الله (وكذلك أنزلناه) يعني القرآن (آيات بينات وأن الله يهدي من يريد إن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) يعني عبدة الأوثان وقيل الأدبان ستة واحد لله وهو الإسلام وخسة للشياطين وهو ما عدا الإسلام (إن الله يفصل بينهم) أي يحكم بينهم (يوم القيامة) وقيل يفصل بينهم في الأحوال

في هذه الأوثان لزم التناقض فثبت أنهم الرؤساء بدليل قوله (لبئس المولى ولبئس العشير) أي الناصر والمصاحب المعاصر. قوله عز وجل (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار إن الله يفعل ما يريد) أي بأوليائه وأهل طاعته من الكرامة وبأهل معصيته من الموان قوله تعالى (من كان يظن أن لن ينصره الله) يعني نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم (في الدنيا) أي بأعلاء كلمته وإظهار دينه (والآخرة) أي في الآخرة بأعلاء درجته والانتقام ممن كذبه (فليمدد بسبب) أي بجبل (إلى السماء) أي سقف البيت على قول الأكثرين والمعنى ليشدد حبلا في سقف بيته فليختنق به حتى يموت (ثم ليقطع) أي الجبل بعد الاختناق وقيل ليمد الجبل حتى يتقطع فيموت محتقنا (فليظن هل يذهبن كيدته) أي صليعه وحيلته (ما يغيظ) أي فليختنق غيظا وليس هذا على سبيل الحتم لأنه لا يمكنه القطع والنظر بعد الاختناق ولكنه كما يقال للحاسد مت غيظا وقيل المراد بالسماء السماء المعروفة والمعنى من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه ويكيد في أمره ليقطعه عنه فليقطعه من أصله فان أصله في السماء فليطلب سببا يصل به إلى السماء ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي يأتيه فليظن هل يتهيأ له الوصول إلى السماء بجيلة وهل يقدر على إذهاب غيظه بهذا الفعل فاذا كان ذلك ممثعا كان غيظه عديم الفائدة وفي الآية زجر للكافر عن الغيظ فما لا فائدة فيه روى أن الآية نزلت في قوم من أسد وغطفان دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام وكان بينهم وبين اليهود حائفة فقالوا لا يمكننا أن نسلم لأننا نخاف أن لا ينصر محمد ولا يظهر أمره فنقطع الحائفة بيننا وبين اليهود فلا يميرونا ولا يؤوونا وقيل النصر معناه الرزق ومعنى الآية من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة فليغظ غيظا غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يجعله مرزوقا تقول العرب من ينصرني نصره الله أي من يعطني أعطاه الله (وكذلك أنزلناه) يعني القرآن (آيات بينات وأن الله يهدي من يريد إن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) يعني عبدة الأوثان وقيل الأدبان ستة واحد لله وهو الإسلام وخسة للشياطين وهو ما عدا الإسلام (إن الله يفصل بينهم) أي يحكم بينهم (يوم القيامة) وقيل يفصل بينهم في الأحوال

اليهود فلا يميرونا ولا يؤوونا فنزلت هذه الآية وقال مجاهد النصر معنى الرزق وإلهاء راجعة إلى من ومعناه من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة نزلت في من أساء الظن بالله وخاف ألا يرزقه فليمدد سبب إلى السماء أي إلى سماء البيت فليظن هل يذهبن فعله ذلك ما يغيظ وهو خيفة أن لا يرزق وقد يأتي النصر بمعنى الرزق تقول العرب من ينصرني نصره الله أي من يعطني أعطاه الله قال أبو عبيدة تقول العرب أرض منصورة أي مطورة قرأ أبو عمرو ونافع وابن عامر ويعقوب ثم ليقطع ثم ليقضوا بكسر اللام والباقون يجزمها لأن الكل لام الأمر زاد ابن عامر وليطوفوا وليطوفوا بكسر اللام فيهما ومن كسر في ثم ليقطع وفي ثم ليقضوا فرق بأن ثم مقصود من الكلام والواو كأنها من نفس الكلمة كالفاء في قوله فليظن (وكذلك) أي مثل ذلك يعني ما تقدم من آيات القرآن (أنزلناه) يعني القرآن (آيات بينات وأن الله يهدي من يريد إن الذين آمنوا والذين هادوا والصائبين والنصارى والمجوس والذين أشركوا) يعني عبدة الأوثان (إن الله يفصل بينهم) يحكم بينهم (يوم القيامة)

إن الله على كل شيء شهيد (لم تر) ألم تعلم وقيل ألم تر بقلبك (أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) قال مجاهد سجودها تحول ظلها وقال أبو العالية ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعته وقيل سجودها بمعنى الطاعة فإنه ما من جماد إلا وهو (أ) مطيع لله خاشع لله مسبح له كما أخبرنا الله تعالى عن السموات

والأرض كلها جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد (إن الله على كل شيء شهيد) أي إنه عالم بما يستحقه كل واحد منهم فلا يجزي في ذلك الفصل ظم ولا حيف وقد تقدم بسط الكلام على معنى هذه الآية في تفسير سورة البقرة . قوله عز وجل (لم تر) أي لم تعلم وقيل ألم تر بقلبك (أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب) قيل سجود هذه الأشياء تحول ظلها وقيل ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له فيأخذ ذات اليمين حتى يرجع إلى مطلعته وقيل معنى سجودها الطاعة فإنه ما من جماد إلا وهو مطيع لله تعالى خاشع ومطيع له كما وصفهم بالخشية والتسبيح وهذا مذهب أهل السنة وهو أن هذه الأجسام لما كانت قابلة للجميع الأعراض التي خلقها الله تعالى فيها من غير امتناع البتة أشبهت بمطاعونها أفعال المكلف وهو السجود الذي كل خضوع دونه . فإن قلت هذا التأويل يبطله قوله (وكثير من الناس) فإن السجود بالمعنى الذي ذكر عام في الناس كلهم فإسناده إلى كثير من الناس يكون تخصيصا من غير فائدة قلت المعنى الذي ذكرته وإن كان عاما في حق الكل إلا أن بعضهم تمرد وتكبر وترك السجود في الظاهر فهذا وإن كان ساجدا بذاته لكنه متمرد بظاهره وأما المؤمن فإنه ساجد بذاته وبظاهره أيضا فلأجل هذا الفرق حصل التخصيص بالذكر وقيل معنى الآية والله يسجد من في السموات ومن في الأرض ويسجد له كثير من الناس فيكون السجود الأول بمعنى الانقياد والثاني بمعنى الطاعة والعبادة . فإن قلت قوله من في السموات ومن في الأرض لفظ عموم فيدخل فيه الناس فلم قال وكثير من الناس . قلت لو اقتصر على ما تقدم لأوهم أن كل الناس يسجدون فيبين أن كثيرا من الناس يسجدون طوعا دون بعض وهم الذين قال فيهم (وكثير حق عليه العذاب) وهم الكفار أي حق عليهم العذاب بكفرهم وتركهم السجود ومع كفرهم وامتناعهم من السجود تسجد ظلهم لله عز وجل (ومن بين الله فاله من مكرم) أي من بذله الله فلا يكرمه أحد (إن الله يفعل ما يشاء) أي يكرم الله بالسعادة من يشاء ويبين بالشقاوة من يشاء وقيل هو الذي يصح منه الإكرام والموان يوم القيامة بالثواب والعقاب .

(فصل)

هذه السجدة من عزائم سجود القرآن فيسن للقاريء والمستمع أن يسجد عند تلاوتها أو سماع تلاوتها . قوله عز وجل (هذان خصمان اختصموا في ربهم) أي جادلوا في دينه وأمره واختلفوا في هذين الخصمين فروى عن قيس بن عباد قال سمعت أبا ذر يقسم قسما أن هذه الآية وهذان خصمان اختصموا في ربهم، نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة وعلي وعبيدة بن الحرفث وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة أخرجاه في الصحيحين (خ) عن علي بن أبي طالب

والأرض طائعين وقال في وصف الحجارة « وإن منها لما يهبط من خشية الله » وقال تعالى « وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم » وهذا مذهب حسن موافق لأهل السنة قوله (وكثير من الناس) أي من هذه الأشياء كلها تسبح الله عز وجل وكثير من الناس يعني المسلمين (وكثير حق عليه العذاب) وهم الكفار لكفرهم وتركهم السجود وهم مع كفرهم تسجد ظلهم لله عز وجل والواو في قوله وكثير حق عليه العذاب واو الاستئناف (ومن بين الله) أي بينه الله (فاله من مكرم) أي من بذله الله فلا يكرمه أحد (إن الله يفعل ما يشاء) أي يكرم ويبين السعادة والشقاوة بارادته ومشيئته قوله تعالى (هذان خصمان اختصموا في ربهم) أي

قال

جادلوا في دينه وأمره والختم اسم شبيه بالمصدر فلذلك قال اختصموا بانظ الجمع كقولهم

« وهل أتاك نيا الخصم إذ تسوروا المحراب » واختلفوا في هذين الخصمين . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا يعقوب بن إبراهيم أنا هشيم أنا أبو هاشم عن أبي مجلز عن قيس بن عباد قال سمعت أبا ذر يقسم قسما أن هذه الآية وهذان خصمان اختصموا في ربهم، نزلت في الذين برزوا يوم بدر حمزة

وعلى وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة . أخبرنا عبد الواحد أنا أحمد أنا محمد بن يوسف أنا محمد
ابن إسماعيل أنا حجاج بن منهال ثنا المعتمر بن سليمان قال سمعت أبي قال أنا أبو مجاز عن قيس بن عباد عن علي بن أبي
طالب قال أنا أول من يجئ بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة قال قيس وفيهم نزلت وهذان خصمان اختصموا في
ربهم قال هم الذين بارزوا يوم بدر على وحمة وعبيدة وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة قال محمد بن إسحاق
خرج يعني يوم بدر عتبة بن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعا إلى المبارزة ، فخرج

إليه فتية من الأنصار
ثلاثة عوف ومعوذ ابنا
الحارث وأمهما عفراء
وعبد الله بن رواحة فقالوا
من أنتم فقالوا رهط من
الأنصار فقالوا حين
انتسبوا أكفاء كرام ثم
نادى منادهم يا محمد
أخرج إلينا أكفاءنا من
قومنا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم قم
يا عبيدة بن الحارث
ويا حمزة بن عبد المطلب
ويا علي بن أبي طالب
فلما دنوا قالوا من أنتم
فذكروا فقالوا نعم
أكفاء كرام فبارز عبيدة
وكان أسن القوم عتبة
وبارز حمزة شيبة وبارز
على الوليد بن عتبة . فأما
حمزة فلم يمهل أن قتل
شيبة وعلى الوليد بن عتبة
واختلف عبيدة وعتبة
بينهما ضربتان كلاهما
أثبت صاحبه ففكر حمزة
وعلى بأسيا فهما على
عتبة فذقعا عليه واجتمعا
عبيدة إلى أصحابه وقد

قال وأنا أول من يجئ للخصومة بين يدي الرحمن يوم القيامة قال قيس بن عباد فيهم نزلت
وهذان خصمان اختصموا في ربهم قال هم الذين تبارزوا يوم بدر على وحمزة وعبيدة بن الحارث
وشيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة . قال محمد بن إسحاق خرج يوم
بدر عتبة ابن ربيعة بين أخيه شيبة بن ربيعة وابنه الوليد بن عتبة ودعوا إلى المبارزة
فخرج إليهم فتية من الأنصار ثلاثة عوف ومعوذ ابنا الحارث وأمهما عفراء وعبد الله بن رواحة
فقالوا من أنتم قالوا رهط من الأنصار فقالوا حين انتسبوا أكفاء كرام ثم نادى منادهم يا محمد
أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قم يا عبيدة بن الحارث
ويا حمزة بن عبد المطلب ويا علي بن أبي طالب فلما دنوا منهم قالوا من أنتم فذكروا أنفسهم
قالوا نعم أكفاء كرام فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة وبارز حمزة شيبة وبارز على الوليد
ابن عتبة فأما حمزة فلم يمهل أن قتل شيبة وعلى الوليد واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتان كلاهما
أثبت صاحبه ففكر حمزة وعلى بأسيا فهما على عتبة فذقعا عليه واحتملا عبيدة إلى أصحابه وقد
قطعت رجله ونحها يسيل فلما أتوا به إلى رسول الله ﷺ قال ألسنت شهيدا يا رسول الله قال بلى
فقال عبيدة لو كان أبو طالب حيا لعلم أنا أختي بما قال منه حيث يقول :

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال ابن عباس نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب قال أهل الكتاب نحن أولى بالله
وأقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المسلمون نحن أخت بالله آمنة بنينا محمد صلى الله عليه
وسلم ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأنتم تعرفون نبينا وكتابتنا وكفرتم حسدا فهذه خصومتهم
في ربهم وقيل هم المؤمنون والكافرون من أي ملة كانوا فالؤمنون خصم والكفار خصم وقيل الخصمان
الجنة والنار (ق) عن أبي هريرة قال قال النبي صلى الله عليه وسلم وتماجت الجنة والنار قتالت النار
أورثت بالمتكبرين والشجر بنو قالت الجنة فإلى لا يدخلني إلا ضغفاء الناس وسقطهم هزاد في رواية
ووغزاتهم فقال الله عز وجل للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار إنما
أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فلا تمنني*
حتى يضع الله تبارك وتعالى رجله فتتول قط قط فهالك تمتل* ويزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم
ربك من خلقه أحدا وأما الجنة فإن الله تعالى ينشئ لها خلقا والبخاري واختلفت الجنة والنار
وهذا القول ضعيف والأقوال الأولى بالصحة لأن حمل الكلام على ظاهره أولى وقوله
هذان كالإشارة إلى سبب تقدم ذكره وهو أهل الأديان الستة وأيضا فإنه ذكر صنفين أهل طاعته

(٣ - خازن باليقوي - خامس) قطعت رجله ونحها يسيل فلما أتوا بعبيدة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال ألسنت شهيدا يا رسول الله قال بلى فقال عبيدة لو كان أبو طالب حيا لعلم أنا أختي بما قال منه حيث يقول :

ونسلمه حتى نصرع حوله ونذهل عن أبنائنا والحلائل

وقال ابن عباس وقتادة نزلت الآية في المسلمين وأهل الكتاب فقال أهل الكتاب نحن أولى بالله منكم وأقدم منكم
كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال المؤمنون نحن أخت بالله آمنة بنينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب

والتم تعرفون نبينا وكتابنا وكفرتم به حسدا فهله لخصومتهم في ربهم. وقال مجاهد وعطاء بن ابي رباح والكلبي هم المؤمنون والكافرون كلهم من اى ملة كانوا وقال بعضهم جعل الأديان ستة في قوله تعالى وإن الذين آمنوا والذين هادوا الآية فجعل خمسة للنار وواحد للجنة فقوله تعالى هذان خصمان اختصموا في ربهم ينصرف إليهم فالمؤمنون خصم وسائر الخمسة خصم وقال عكرمة هما الجنة والنار اختصمتا كما أخبرنا حسان ابن سعيد المنيعي أنا أبو طاهر الزيادى أنا أبو بكر القنطان أنا أحمد بن يوسف السلمى أنا عبد الرزاق أنا معمر عن همام بن منبه قال حدثنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتكبرين وقالت الجنة قالى لا يدخلنى إلا ضعفاء الناس وسقطهم وغزائهم قال الله عز وجل للجنة إنما أنت رحمتى أرحم بك من أشياء من عبادى وقال للنار إنما أنت عذابي أعذب بك من أشياء من عبادى ولكل واحدة منكما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع الله فيها رجله فتقول قط قط فهناك تمتلئ ووزوى بعضها إلى بعض ولا يظلم الله من خلقه أحدا وأما الجنة فان الله عز وجل ينشئ لها خلقا ثم بين الله عز وجل ما للخصمين فقال (فالذين كفروا قطعت لهم (١٠) ثياب من نار) قال سعيد بن جبیر ثياب من نحاس مذاب وليس من

الآية شئ إذا حوى أشد حرا منه وسمى باسم الثياب لأنها تحيط بهم كاحاطة الثياب وقال بعضهم يلبس أهل النار مقطعات من النار (يصب من فوق رموسهم الحميم) الحميم هو الماء الحار الذى انتهت حرارته (يصهر به) أى يذاب بالحميم (مافى بطونهم) يقال صهرت الإلية والشحم بالنار إذا أذبتهما أصهرا صهرا منه يذاب بالحميم الذى يصب من فوق رموسهم حتى يسقط ما فى بطونهم

وأهل محصيته وذكر مال الخصمين فقال تعالى (فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار) قال سعيد بن جبیر ثياب من نحاس مذاب وليس من الآتية شئ إذا حوى أشد حرا منه وسمى باسم الثياب لأنها تحيط بهم كاحاطة الثياب وقيل يلبس أهل النار مقطعات من نار (يصب من فوق رموسهم الحميم) أى الماء الحار الذى انتهت حرارته (يصهر به) أى يذاب بالحميم الذى يصب من فوق رموسهم (مافى بطونهم) من الشحوم والأحشاء (والجلود) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الحميم ليصب على رموسهم فينفذ حتى يخلص إلى جوفه أحدهم فيسلت مافى جوفه حتى يبرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب صحيح (ولهم مقامع من حديد) يعنى سياط من حديد وهى الجزر من الحديد . وفى الخبر ولو وقع مقمع من حديد فى الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الأرض (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) يعنى كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذى يأخذ بأنفسهم (أعيدها فيها) يعنى ردوا إليها بالمقامع قبل أن جهنم لتجيش بهم فتلقبهم إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهبون فيها سبعين خريفا (وذوقوا عذاب الحريق) يعنى تقول لهم الملائكة ذلك والحريق يعنى المحرق فهذا وصف حال أحد الخصمين وهم الكفار وقال تعالى فى وصف النجم الآخر وهم المؤمنون (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحملون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا

من الشحوم والأحشاء (والجلود) أى يشوى حرها بجلودهم فتساقط . أخبرنا أبو بكر بن محمد بن عبد الله ولياسهم الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن زيد عن أبي السمع عن أبي جحير قوا سمع عبد الرحمن عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الحميم ليصب على رموسهم فينفذ الجحمة حتى يخلص إلى جوفه فيسلت مافى جوفه حتى يبرق من قدميه وهو الصهر ثم يعاد كما كان قوله تعالى (ولهم مقامع من حديد) سياط من حديد وأحدثها مقمعة قال الثبث المقمعة شبه الجزر من الحديد من قولهم قمت رأسه إذا ضربته ضربا عنيفا . وفى الخبر ولو وضع مقمع من حديد فى الأرض ثم اجتمع عليه الثقلان ما أقلوه من الأرض (كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم) يعنى كلما حاولوا الخروج من النار لما يلحقهم من الغم والكرب الذى يأخذ بأنفسهم (أعيدها فيها) يعنى ردوا إليها بالمقامع . وفى التفسير إن جهنم لتجيش بهم فتلقبهم إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبانية بمقامع الحديد فيهبون فيها سبعين خريفا (وذوقوا عذاب الحريق) أى تقول لهم الملائكة ذوقوا عذاب الحريق أى المحرق مثل الأليم والوجيع قال الزجاج هؤلاء أحد الخصمين وقال فى الآخر وهم المؤمنون (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحملون فيها من أساور من ذهب) جمع سوار (ولؤلؤا) قرأ أهل المدينة وعاصم ولؤلؤا هاهنا ، وفى سورة الملائكة بالنصب وافق يعقوب هاهنا على معنى ويحملون لؤلؤا

ولأنها مكتوبة في المصاحف بالآلف وقرأ الآخرون بالخفض عطفًا على قوله من ذهب وترك الهمزة الأولى في كل القرآن
أبو جعفر وأبو بكر واختلفوا في وجه إثبات الآلف فيه فقال أبو عمرو أثبتوها فيها كما أثبتوا في قالوا وكانوا وقال الكسائي
أثبتوها للهمزة لأن الهمزة حرف من الحروف (ولباسهم فيها حرير) أي إنهم يلبسون في الجنة ثياب الإبريسم وهو الذي
حرم لبسه في الدنيا على الرجال أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الرحمن (١١) بن أبي شريح أنا أبو القاسم

الغوي أنا علي بن الجعد
أنا شعبة عن قتادة عن
داود السراج عن أبي سعيد
الخدري عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال من
لبس الحرير في الدنيا
لم يلبسه الله إياه في الآخرة
فإن دخل الجنة لبسه
أهل الجنة ولم يلبسه هو
قوله تعالى (وهذوا إلى
الطيب من القول) قال
ابن عباس هو شهادة
أن لا إله إلا الله وقال
ابن زيد لا إله إلا الله
والله أكبر والحمد لله
وسبحان الله وقال
السدي أي القرآن وقيل
هو قول أهل الجنة والحمد
لله الذي صدقنا وعده
(وهذوا إلى صراط
الحديد) إلى دين الله وهو
الإسلام والحديد هو
الله المحمود في أفعاله قوله
تعالى (إن الذين كفروا
ويصدون عن سبيل الله
عطف المستقبل على
الماضي لأن المراد من
لفظ المستقبل الماضي

ولباسهم فيها حرير) وهو الإبريسم الذي حرم لبسه على الرجال في الدنيا عن معاوية هو جد
نيز بن حكيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن
وبحر الخمر تشقق الأنهار بعده» أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح (ق) عن أبي موسى أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «جتان من فضة آتيتهما وما فيهما وجتان من ذهب آتيتهما
وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم لإلراء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»
عن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن عليهم التيجان أدنى لؤلؤة منها لتضيء
ما بين المشرق والمغرب» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب (ق) عن أنس قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة». قوله تعالى (وهذوا) من
الهداية يعني أرشدوا (إلى الطيب من القول) قال ابن عباس هو شهادة أن لا إله إلا الله وقيل
هو لا إله إلا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله وقيل إلى القرآن وقيل هو قول أهل الجنة
والحمد لله الذي صدقنا وعده (وهذوا إلى صراط الحديد) يعني إلى دين الله وهو الإسلام والحديد
«و الله المحمود في أفعاله». قوله عز وجل (إن الذين كفروا) يعني بما جاء به محمد صلى الله عليه
وسلم (ويصدون عن سبيل الله) أي بالتمنع من الحجرة والجهاد والإسلام (والمسجد الحرام)
يعني ويصلون عن المسجد الحرام (الذي جعلناه للناس) أي قبة لصالحهم ومنسكا ومتعبدا
(سواء العاكف) أي المقيم (فيه) قال بعضهم وينخل فيه القريب إذا جاؤوا وأقام به ولزم
التعب فيه (والباد) أي الطاري المنتاب إليه من غيره واختلفوا في معنى الآية فقيل سواء العاكف
فيه والبادي في تعظيم حرامته وقضاء التسلك به وإليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة قالوا والمراد
منه نفس المسجد الحرام ومعنى التسوية هو التسوية في تعظيم الكعبة وفي فضل الصلاة فيه
والطواف به وعن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «بابني عبد مناف لا تمنعوا
أحدًا طاف بهذا البيت وصلى أية ساعة شاء من ليل أو نهار» أخرجه الترمذي وأبو داود والنسائي
وقيل المراد منه جديع الحرم ومعنى التسوية أن المقيم والبادي سواء في النزول به ليس أحدهما
أحق بالمزول من الآخر غير أنه لا يزعم أحد أحدًا إذا كان قد سبق إلى منزله وقول بن عباس
وسعيد بن جبير وقاتدة وابن زيد قالوا هم سواء في البيوت والمنازل قال عبد الرحمن بن سابط كان
الحجاج إذا قدم مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزله منهم وكان عمر بن الخطاب ينهى
الناس أن يغلقت أبوابهم في الموسم فعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإحداثها قالوا إن أرض
مكة لا تملك لأنها لو ملكت لم يستوالعاكف فيها والبادي فلما استويا ثبت أن سبيلهما سبيل المساجد
وإليه ذهب أبو حنيفة قالوا والمراد بالمسجد الحرام جديع الحرم وعلى القول الأول الأقرب
إلى الصواب أنه يجوز بيع دور مكة وإيجارها وهو قول طاووس وعمرو بن دينار وإليه ذهب

كما قال تعالى في موضع آخر «الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله» وقيل معناه: إن الذين كفروا فيما تقدم ويصدون عن
سبيل الله في الحال أي وهم يصدون (والمسجد الحرام) أي ويصدون عن المسجد الحرام (الذي جعلناه للناس) قبة لصالحهم
ومنسكا ومتعبدا كما قال «وضع للناس» (سواء) قرأ حفص عن عاصم ويعقوب سواء نصبا بايقاع الجعل عليه يتعدى إلى
مفعولين وقيل معناه مستويا فيه (العاكف فيه والبادي) وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء وما بعده خبر وتم الكلام عند

قوله للناس وأراد بالعاكف المقيم فيه وبالبادي الطارئ المنتاب إليه من غيره. واختلفوا في معنى الآية فقال قوم سواء العاكف فيه والبادي بمعنى في تعظيم حرمة وقضاء القسك فيه وإليه ذهب مجاهد والحسن وجماعة وقالوا المراد منه نفس المسجد الحرام ومعنى النسوية هو النسوية في تعظيم الكعبة وفي فضل الصلاة في المسجد الحرام والطواف بالبيت وقال الآخرون المراد منه جميع الحرم ومعنى النسوية أن المقيم والبادي سواء في النزول به ليس أحدهما أحق بالمنزل يكون فيه من الآخر غير أنه لا يرجع فيه أحد إذا كان قد سبق إلى منزل وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبيرة وقتادة وابن زيد قالوا هما سواء في البيوت والمنازل وقال عبد الرحمن بن سابط كان الحجاج إذا قدموا مكة لم يكن أحد من أهل مكة بأحق بمنزله منهم وكان عمر ابن الخطاب ينها الناس أن يغلقوا أبوابهم في الموسم وعلى هذا القول لا يجوز بيع دور مكة وإيجارها وعلى القول الأول وهو الأقرب إلى الصواب يجوز لأن (١٢) الله تعالى قال والذين أخرجوا من ديارهم بغير حق وقال النبي ﷺ

يوم فتح مكة ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن؛ فلنسب الدار إليه نسب ملك واشترى عمر دارا للسجن بمكة بأربعة آلاف درهم. فدل على جواز بيعها وهذا قول طاوس وعمر بن دينار وبه قال الشافعي: قوله عز وجل (ومن برد فيه بالحد بظلم) أي في المسجد الحرام وهو الميل إلى الظلم والياء في قوله بالحد زائدة كقوله وتبت بالدهن ومعناه من رده في الحد بظلم قال الأعشى

ضممت برزق عيالنا
أرماحتا
أي رزق عيالنا وأنكر

الشافعي احتج الشافعي في ذلك بقوله تعالى «الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق» أضافت الديار إلى مالكيها وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة «من أغلق بابي فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن» فنسب الديار إليهم نسبة ملك واشترى عمر بن الخطاب دار السجن بأربعة آلاف درهم فدل ذلك هذه النصوص على جواز بيعها وقوله تعالى (ومن برد فيه) أي في المسجد الحرام (بالحد بظلم) أي يميل إلى الظلم قبل الإلحاد فيه هو الشرك وعبادة غير الله وقيل هو كل شيء كان منهيًا عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم وقيل هو دخول الحرم بغير إحرام أو ارتكاب شيء من محظورات الحرم من قتل صيد وقطع شجر. وقال ابن عباس هو أن تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم فيه من لا يظلمك. وقال مجاهد تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات وقيل احتكار الطعام بمكة بدليل ما روى يعلى بن أمية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وإن احتكار الطعام في الحرم إلحاد فيه، أخرجه أبو داود وقال عبادة بن مسعود في قوله ومن برد فيه بالحد بظلم (نذقه من عذاب ألم) قال لو أن رجلا هم بخطيئة لم تكتب عليه مالم يعملها ولو أن رجلا هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو يولد آخر أذاه الله من عذاب ألم قال السدي إلا أن يتوب وروى عن عبد الله بن عمرو أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل فسل عن ذلك فقال كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله وبلى والله. قوله تعالى (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) قال ابن عباس جعلنا وقيل وطأنا وقيل بينا وإنما ذكر مكان البيت لأن الكعبة رفعت إلى السماء زمن الطوفان فلما أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام ببناء البيت لم يدر أي جهة يبني فبعث الله تعالى رجلا خجوجا (١) فكنتس له ما حول البيت عن الأساس وقيل بعث الله سبحانه بقدر البيت فقامت بحال البيت وفيها رأس يشكلم لإبراهيم ابن علي قدرى

لم يرد أن تكون الباء زائدة وقال معنى الآية من تمكن أرادته فيه بأن يلحد بظلم. واختلفوا في معنى قوله في هذا الإلحاد فقال مجاهد وقتادة هو الشرك وعبادة غير الله. وقال قوم هو كل شيء كان منهيًا عنه من قول أو فعل حتى شتم الخادم، وقال عطاء هو دخول الحرم غير محرم أو ارتكاب شيء من محظورات الحرم من قتل صيد أو قطع شجر، وقال ابن عباس هو أن تقتل فيه من لا يقتلك أو تظلم من لا يظلمك وهذا معنى قول الضحاك وعن مجاهد أنه قال تضاعف السيئات بمكة كما تضاعف الحسنات وقال حبيب بن أبي ثابت هو احتكار الطعام بمكة وقال عبد الله بن مسعود في قوله تعالى «ومن برد فيه بالحد بظلم» (نذقه من عذاب ألم) قال لو أن رجلا هم بخطيئة لم تكتب عليه مالم يعملها ولو أن رجلا هم بقتل رجل بمكة وهو بعدن أبين أو يولد آخر أذاه الله من عذاب ألم قال السدي إلا أن يتوب وروى عن عبد الله بن عمرو أنه كان له فسطاطان أحدهما في الحل والآخر في الحرم فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الآخر فسل عن ذلك فقال كنا نحدث أن من الإلحاد فيه أن يقول الرجل كلا والله وبلى والله قوله تعالى (وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت) أي

(١) الخجوج الریح الشديد، المراد الملتوية في هبوبها كالخجوجات. اه قاموس.

هرجاج ان الايام المعلومات يوم النحر وَايام التشريق لان الذكر على بهيمة الاتعام يدل على التسمية على نحرها ونحر الهدايا يكون في هذه الايام (فكلوا منها) امر لباحة وليس بواجب وانما قال ذلك لان اهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئا ، واتفق العلماء على ان الهدى اذا كان تطوعا يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك اضحية التطوع لما أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقى أنا أبو الحسن على بن عبد الله الطيسفونى أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن على الكشميرى أنا على بن حمزة أنا إسماعيل بن جعفر عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جابر بن عبد الله قال فى قصة حجة الوداع « وقدم على بيدن من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث وستين بدنة بيده ونحر على ما بنى ثم أمر النبي ﷺ أن تؤخذ بضعة من كل بدنة فتجعل فى قدر فأكلا من لحمها وحسبا من مرقها . واختلفوا فى الهدى الواجب (١٤) بالشرع هل يجوز للمهدي أن يأكل منه شيئا مثل دم التمتع والقران

والدم الواجب بافساد الاتعام عند نحرها ونحر الهدايا يكون فى هذه الايام (فكلوا منها) امر لباحة ليس بواجب وذلك أن اهل الجاهلية كانوا لا يأكلون من لحوم هداياهم شيئا فأمر الله بمخالفتهم . واتفق العلماء على أن الهدى إذا كان تطوعا يجوز للمهدي أن يأكل منه وكذلك اضحية التطوع لما روى عن جابر بن عبد الله فى قصة حجة الوداع قال « وقدم على بيدن من اليمن وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة بدنة فنحر منها رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا وستين بدنة ونحر على ما غير وأشركه فى بدنه ثم أمر من كل بدنة ببضعة فجعلت فى قدر وطبخت فأكل من لحمها وشرب من مرقها أخرجه مسلم قوله ما غير أى ما بنى قوله ببضعة أى بقطعة واختلف العلماء فى الهدى الواجب بالشرع مثل دم التمتع والقران والدم الواجب بافساد الحج وفوته وجزاء الصيد هل يجوز للمهدي أن يأكل منه شيئا قال الشافعى لا يأكل منه شيئا وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل ما سوى ذلك وبه قال أحمد وإسحاق وقال مالك يأكل من الهدى التمتع ومن كل هدى واجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والمندور وعند أصحاب الرأى أنه يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما . وقوله تعالى (وأطعموا البائس الفقير) يعنى الرمن الذى لا شئ له قوله تعالى (ثم ليقضوا نفسهم) أى ليزيلوا أدرانهم وأوساخهم والمراد منه الخروج عن الإحرام بالخلق وقص الشارب وتنف الإبط وقلم الأظفار والاستحداد وليس الثياب والحاج أشعث أغبر إذا لم يزل هذه الأوساخ وقال ابن عمر وابن عباس قضاء النفت مناسك الحج كلها (وليوفوا نذورهم) أراد نذر الحج والهدى وما ينذر الإنسان من شئ . يكون فى الحج أى ليته وها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر وهو على ظاهره وقيل أراد به الخروج عما وجب عليه نذره أو لم ينذره (وليطوفوا بالبيت العتيق) أراد به طواف الواجب وهو طواف الإفاضة ووقته يوم النحر بعد الرمي والخلق . والطواف ثلاثة طواف القدوم وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت

والدم الواجب بافساد الحج وفواته وجزاء الصيد ، فذهب قوم إلى أنه لا يجوز أن يأكل منه شيئا وبه قال الشافعى وكذلك ما أوجبه على نفسه بالنذر وقال ابن عمر لا يأكل من جزاء الصيد والنذر ويأكل ما سوى ذلك وبه قال أحمد وإسحاق وقال مالك يأكل من الهدى التمتع ومن كل هدى واجب عليه إلا من فدية الأذى وجزاء الصيد والمندور وعند أصحاب الرأى يأكل من دم التمتع والقران ولا يأكل من واجب سواهما قوله عز وجل (وأطعموا البائس الفقير) يعنى الرمن الذى لا شئ له والبائس

الذى اشتد بؤسه والبؤس شدة الفقر (ثم ليقضوا نفسهم) النفت الوسخ والقذارة من طول الشعر والأظفار سبعا والشعث تقول العرب لمن تستقذره ما أفنتك أى ما أوسخك والحاج أشعث أغبر أى لم يخلق شعره ولم يقلم ظفوره فقضاء النفت إزالة هذه الأشياء ليقضوا نفسهم أى ليزيلوا أدرانهم والمراد منه الخروج عن الإحرام بالخلق وقص الشارب وتنف الإبط والاستحداد وقلم الأظفار وليس الثياب قال ابن عمر وابن عباس قضاء النفت مناسك الحج كلها وقال مجاهد هو مناسك الحج وأخذ الشارب وتنف الإبط وخلق العانة وقلم الأظفار وقيل النفت هاهنا رى الجمار قال الزجاج لانعرفت النفت ومعناه إلا من القرآن قوله تعالى (وليوفوا نذورهم) قال مجاهد أراد نذر الحج والهدى وما ينذر الإنسان من شئ . يكون فى الحج أى ليته وها بقضائها وقيل المراد منه الوفاء بما نذر على ظاهره وقيل أراد به الخروج عما وجب عليه نذرا ولم ينذر والعرب تقول لكل من خرج عن الواجب عليه وفى ينذره وقرأ عاصم برواية أبى بكر وليوفوا بنصب الواو وتشديد الفاء (وليطوفوا بالبيت العتيق)

راد به الطواف الواجب عليه وهو طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق . والطواف ثلاثة : طواف القدوم وهو أن من قدم مكة يطوف بالبيت سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه ويمشي أربعا وهذا الطواف ستة لا شيء على من تركه أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أحمد هو أبو عيسى أنا ابن وهب أنا عمرو بن الحارث عن محمد بن عبد الرحمن بن نوفل القرشي سأله عن الزبير فقال « قد حج النبي ﷺ فأخبرتني عائشة أنه أول شيء بدأ به حين قدم أنه توضأ ثم طاف بالبيت ثم لم يكن عمره ثم حج عثمان فرأيت أول شيء بدأ به الطواف بالبيت ثم لم يكن عمره ثم حج عثمان فرأيت أول شيء بدأ به الطواف بالبيت » . أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا أنس بن عياض عن موسى بن عقبة عن نافع عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٥) « أنه كان إذا طاف في الحج

أو العمرة أول ما يقدم يسعى ثلاثة أطواف ويمشي أربعا ثم يصلي سجدتين ثم يطوف بين الصفا والمروة سبعا ، والطواف الثاني هو طواف الإفاضة يوم النحر بعد الرمي والحلق وهو واجب لا يحصل التحلل من الإحرام ما لم يأت به أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص ثنا أبي أنا الأعمش أنا إبراهيم عن الأسود عن عائشة قالت وحاضت صفية ليلة النحر فقالت ما رأني إلا حباستكم قال النبي صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى أطافت يوم

سبعا يرمل ثلاثا من الحجر الأسود إلى أن ينتهي إليه ويمشي أربعا وهذا الطواف ستة لا شيء على من تركه (ق) عن عائشة « إن أول شيء بدأ به حين قدم النبي صلى الله عليه وسلم أنه توضأ ثم طاف ثم لم تكن عمرة ثم حج أبو بكر وعمر مثله » (ق) عن ابن عمر « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف الطواف الأول حبا ثلاثا ويمشي أربعا » زاد في رواية « ثم يصلي ركعتين يعني بعد الطواف بالبيت ثم يطوف بين الصفا والمروة » ولقظ أبي داود « وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا طاف في الحج أو العمرة أول ما يقدم فانه يسعى ثلاثة أشواط ويمشي أربعا ثم يصلي سجدتين » والطواف الثاني هو طواف الإفاضة وذلك يوم النحر بعد الرمي والحلق (ق) عن عائشة قالت « حاضت صفية ليلة النحر فقالت ما رأني إلا حباستكم قال النبي صلى الله عليه وسلم عقرى حلقى أطافت يوم النحر قيل نعم قال فانفري » قوله عقرى وحلق معناه عقرها الله أي أصابها بالعقر وبوجع في حلقها وقيل معناه مشرقة مؤذبة ولم يرد به الدعاء عليها وإنما هو شيء يجري على السنة العرب كقولهم : لا أم لك وتربت يملك وفيه دليل على أن من لم يطف يوم النحر طواف الإفاضة لا يجوز له أن ينفر : الثالث طواف الوداع لا رخصة لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصير في أن يفارقها حتى يطوف سبعا فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائض فانه يجوز لها تركه للحديث المتقدم ولما روى ابن عباس قال « أمر الناس أن يكون الطواف آخر عهدهم بالبيت لأنه رخص للمرأة الحائض » متفق عليه . الرمل ستة مختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع وقوله « بالبيت العتيق » قال ابن عباس وغيره سمى عتيقا لأن الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط ، وقيل لأنه أول بيت وضع للناس وقيل لأن الله أعتقه من العرق فانه رفع أيام الطوفان وقيل لأنه لم يملك . قوله عز وجل (ذلك) أي الأمر

النحر قيل نعم قال فانفري وثبت بهذا أن من لم يطف يوم النحر طواف الإفاضة لا يجوز له أن ينفر الثالث هو طواف الوداع لا رخصة فيه لمن أراد مفارقة مكة إلى مسافة القصير أن يفارقها حتى يطوف بالبيت سبعا فمن تركه فعليه دم إلا المرأة الحائض يجوز لها كطواف الوداع أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز بن أحمد الخلال أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سليمان الأحول عن طاوس عن ابن عباس قال : « أمر الناس أن يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت إلا أنه رخص للمرأة الحائض » والرمل مختص بطواف القدوم ولا رمل في طواف الإفاضة والوداع وقوله « بالبيت العتيق » اختلفوا في معنى العتيق فقال ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وقتادة سمى عتيقا لأن الله أعتقه من أيدي الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه فلم يظهر عليه جبار قط وقال سفيان بن عيينة سمى عتيقا لأنه لم يملك قط وقال الحسن وابن زيد سمى به لأنه قديم وهو أول بيت وضع للناس يقال دينار عتيق أي قديم وقيل سمى عتيق لأن الله أعتقه من العرق فانه رفع أيام الطوفان (ذلك)

أى الأمر ذلك يعنى ما ذكر من أعمال الحج (ومن يعظم حرمات الله) أى معاصى الله وما نهى عنه وتعظيمها ترك ملابستها قال الليث حرمات الله ما لا يحل انتهاكها وقال الزجاج الحرمة ماوجب القيام به وحرمة التفريط فيه وذهب قوم إلى أن معنى الحرمات هاهنا المناسك بدليل ما يتصل بها من الآيات وقال ابن زيد الحرمات هاهنا البيت الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمسجد الحرام والإحرام (فهو خير له عند ربه) أى تعظيم الحرمات خير له عند الله فى الآخرة (وأحلت لكم الأنعام) أن تأكلوها إذا ذبحتها وهى الإبل والبقر والغنم (إلا ما يتلى عليكم) تحريره وهو قوله فى سورة المائدة وحرمت عليكم الميتة والدم الآية (فاجتنبوا) الرجس من الأوثان) أى عبادتها يقول كونوا على جانب منها فانها رجس

أى سبب الرجس وهو العذاب والرجس بمعنى الرجز وقال الزجاج من هاهنا للجنيس أى اجتنبوا الأوثان التى هى رجس (واجتنبوا قول الزور) يعنى الكذب وللهتان وقال ابن مسعود شهادة الزور وروى وأن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيباً فقال يا أيها الناس عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ثم نراهذه الآية وقيل هو قول للمشركين فى تلييتهم لبيك لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك (حشوا لله) يعنى مخلصين له (غير مشركين به) فدل ذلك على أن المكلف يتولى بما يأتيه من العبادة الإخلاص لله بها لا غيره وقيل كانوا فى الشرك محجورين وبمحرمون البنات والأمهات والأخوات وكانوا حشوا فنزلت وحشوا لله غير مشركين به أى حجوا لله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفاً (ومن يشرك بالله فكأنما خر) أى سقط (من السماء) إلى الأرض (فتخطفه الطير) يعنى تسلبه وتذهب به (أو تهوى به الريح) يعنى تميل وتذهب به (فى مكان سحيق) يعنى بعيد ومعنى الآية أن من أشرك بالله بعيد من الحق والإيمان كبعيد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل إليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوى من السماء لأنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقط الريح فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه أو بسقوطه فى المكان السحيق وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس وراءه إهلاك بأن صور حاله بصورة حال من خر

ذلك يعنى ما ذكر من أعمال الحج (ومن يعظم حرمات الله) أى ما نهى الله عنه من معاصيه وتعظيمها ترك ملابستها وقيل حرمات الله ما لا يحل انتهاكها وقيل الحرمة ماوجب القيام به وحرمة التفريط فيه وقيل الحرمات هنا مناسك الحج وتعظيمها إقامتها وإتمامها وقيل الحرمات هنا البيت الحرام والبلد الحرام والمسجد الحرام والشهر الحرام ومعنى التعظيم العلم بأنه يجب القيام بمراعاتها وحفظ حرماتها (فهو خير له عند ربه) أى ثواب تعظيم الحرمات خير له عند الله فى الآخرة (وأحلت لكم الأنعام) أى أن تأكلوها بعد الذبح وهى الإبل والبقر والغنم (إلا ما يتلى عليكم) أى تحريره وهو قوله فى سورة المائدة وحرمت عليكم الميتة والدم الآية (فاجتنبوا الرجس من الأوثان) أى اتركوا عبادتها فانها سبب الرجس وهو العذاب وقيل سمى الأوثان رجساً لأن عبادتها أعظم من التلوث بالنجاسات (واجتنبوا قول الزور) يعنى الكذب والبهتان وقال ابن عباس هى شهادة الزور وروى عن أيمن بن خريم قال إن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيباً فقال أيها الناس عدلت شهادة الزور الإشراك بالله ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور أخرجه الترمذى وقال قد اختلفوا فى روايته ولا تعرف لأيمى سماعاً من النبي صلى الله عليه وسلم وأخرجه أبو داود عن خريم بن فاتك بنحوه وقيل هو قول المشركين فى تلييتهم لبيك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك . قوله تعالى (حشوا لله) يعنى مخلصين له (غير مشركين به) فدل ذلك على أن المكلف يتولى بما يأتيه من العبادة الإخلاص لله بها لا غيره وقيل كانوا فى الشرك محجورين وبمحرمون البنات والأمهات والأخوات وكانوا حشوا فنزلت وحشوا لله غير مشركين به أى حجوا لله مسلمين موحدين ومن أشرك لا يكون حنيفاً (ومن يشرك بالله فكأنما خر) أى سقط (من السماء) إلى الأرض (فتخطفه الطير) يعنى تسلبه وتذهب به (أو تهوى به الريح) يعنى تميل وتذهب به (فى مكان سحيق) يعنى بعيد ومعنى الآية أن من أشرك بالله بعيد من الحق والإيمان كبعيد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل إليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوى من السماء لأنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع حيث تسقط الريح فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه أو بسقوطه فى المكان السحيق وقيل معنى الآية من أشرك بالله فقد أهلك نفسه إهلاكاً ليس وراءه إهلاك بأن صور حاله بصورة حال من خر

من

مشركون به أى حجوا لله مسلمين موحدين يعنى من أشرك لا يكون

حنيفاً (ومن يشرك بالله فكأنما خر) أى سقط (من السماء) إلى الأرض (فتخطفه الطير) أى تسلبه الطير وتذهب به والخطفت والاختطفت تناول الشئ بسرعة وقرأ أهل المدينة فتخطفه بفتح الخاء وتشديد الطاء أى يتخطفه (أو تهوى به الريح) أى تميل وتذهب به (فى مكان سحيق) أى بعيد معناه إن بعد من أشرك بالحق كبعيد من سقط من السماء فذهبت به الطير أو هوت به الريح فلا يصل إليه بحال وقيل شبه حال المشرك بحال الهاوى من السماء فى أنه لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع بحيث تسقطه الريح فهو هالك لا محالة إما باستلاب الطير لحمه وإما بسقوطه إلى المكان السحيق وقال الحسن شبه أعمال الكفار بهذه

الحال في أنها تذهب وتبطل فلا يفدرون على شيء منها (ذلك) يعنى الذى ذكرته من اجتناب الرجس وقول الزور (ومن
يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) قال ابن عباس شعائر الله البدن والهدى وأصلها من الإشعار وهو اعلامها ليعلم أنها
هدى وتعظيمها استسائها واستحسانها وقيل شعائر الله اعلام دينه فانها من تقوى القلوب أى فان تعظيمها من تقوى القلوب
(لكم فيها) أى في البدن قبل تسميتها للهدى (منافع) في درها ونسلها وأصوافها وأوبارها وركوب ظهورها (إلى أجل مسمى)
وهو أن يسميها ويوجبها هديا فاذا فعل ذلك لم يكن له شيء من منافعها هذا قول مجاهد وقول قتادة والضحاك ورواه مفسر
عن ابن عباس وقيل معناه لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا بأن تركبوها وتشربوا ألبانها عند الحاجة (إلى
أجل مسمى) يعنى إلى أن تنحروها وهو قول عطاء بن أبي رباح واختلف أهل (١٧) العلم في ركوب الهدى فقال قوم

يجوز له ركوبها والحمل
عليها غير مضربها وهو
قول مالك والشافعي
وأحمد وإسحاق لما أخبرنا
أبو الحسن السرخسي أنا
أبو علي زاهر بن أحمد
أنا أبو إسحاق الشافعي أنا
أبو مصعب عن مالك
عن أبي الزناد عن الأعرج
عن أبي هريرة وأن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
رأى رجلا يسوق بدنة
فقال اركبها فقال إنها
بدنة قال اركبها فقال إنها
بدنة قال اركبها وبلك
في الثانية أو الثالثة وكذلك
قال له اشرب لبنها بعد
ما فضل عن ربي ولداه
ما فضل عن ربي ولداه
وقال أصحاب الرأي
لا يركبها وقال قوم
لا يركبها إلا أن يضطر
إليه وقال بعضهم أراد
بالشعائر المناسك ومشاهدة

من السماء فاختلفت الطير ففرقت أجزاءه في حواصلها أو عصفت به الريح حتى هوت به في
بعض المهالك البعيدة وقيل شبه الإيمان بالسياء في علوه والذى ترك الإيمان بالساقط من السماء
والأهواء التي توزع أفكاره بالطير المختطفة والشياطين التي تطرحه في وادي الضلالة بالريح
التي تهوى بما عصفت به في بعض المهادى المتلفة . قوله عز وجل (ذلك) يعنى الذى ذكر من
اجتناب الرجس وقول الزور (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) يعنى تعظيم شعائر
الله من تقوى القلوب قال ابن عباس شعائر الله البدن والهدى وأصلها من الإشعار ، وهو
العلامة التي يعرف بها أنها هدى وتعظيمها استسائها واستحسانها وقيل شعائر الله اعلام دينه
وتعظيمها من تقوى القلوب (لكم فيها) أى في البدن (منافع) قيل هي درها ونسلها وصوفها
وورها وركوب ظهورها (إلى أجل مسمى) أى إلى أن يسميها ويوجبها هديا فاذا فعل ذلك لم
يكن له شيء من منافعها وهو قول مجاهد وقاتادة والضحاك ورواية عن ابن عباس وقيل معناه
لكم في الهدايا منافع بعد إيجابها وتسميتها هدايا بأن تركبوها وتشربوا من ألبانها عند الحاجة إلى
أجل مسمى يعنى إلى أن تنحروها وهو قول عطاء . واختلف العلماء في ركوب الهدى فقال مالك
والشافعي وأحمد وإسحاق يجوز ركوبها والحمل عليهما من غير ضررهما لما روى عن أبي هريرة وأن
رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى رجلا يسوق بدنة فقال اركبها فقال يا رسول الله إنها بدنة فقال
اركبها وبلك في الثانية أو الثالثة أخرجاه في الصحيحين وكذلك يجوز له أن يشرب من لبنها بعد
ما يفضل عن ربي ولداه . وقال أصحاب الرأي لا يركبها إلا أن يضطر إليه وقيل أراد بالشعائر المناسك
ومشاهدة مكة لكم فيها منافع يعنى بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى يعنى إلى الخروج من مكة
وقيل لكم فيها منافع يعنى بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى انقضاء أيام الحج (ثم حملها إلى
البيت العتيق) يعنى منحرا عند البيت العتيق يريد به جميع أرض الحرم وروى عن جابر في
حديث حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ونحرت هاهنا ومنى كلها منحرا فأنحروا
في رحالكم ومن قال الشعائر المناسك قال معنى ثم حملها يعنى محل الناس من إحرامهم إلى البيت
العتيق يطوفون به طواف الزيارة . قوله تعالى (ولكل أمة) يعنى جماعة مؤمنة سلفت قبلكم
(جعلنا منسكا) قرئ بكسر السين يعنى مذبحا وهو موضع قربان وقرئ منسكا بفتح السين وهو

(٣ - خازن بالبعوى - خامس) مكة ولكم فيها منافع ، بالتجارة والأسواق إلى أجل مسمى ، وهو الخروج من مكة
وقيل لكم فيها منافع بالأجر والثواب في قضاء المناسك إلى أجل مسمى أى إلى انقضاء أيام الحج (ثم حملها) أى منحرا (إلى
البيت العتيق) أى منحرا عند البيت العتيق يريد أرض الحرم كلها كما قاله فلا يقربوا المسجد الحرام ، أى الحرم كله وروى
عن جابر في قصة حجة الوداع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ونحرت هاهنا ومنى كلها منحرا فأنحروا في رحالكم ، ومن
قال للشعائر المناسك قال معنى قوله (ثم حملها إلى البيت العتيق) أى محل الناس من إحرامهم إلى البيت العتيق أى أن يطوفوا
به طواف الزيارة . وم النحر قال الله تعالى (ولكل أمة) يعنى جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جعلنا منسكا) قرأ حمزة والكسائي
بكسر السين هاهنا وفي آخر السورة على معنى الاسم مثل المسجد والمطعم يعنى مذبحا وهو موضع قربان وقرأ الآخرون بفتح

السين على المصدر مثل المدخل والمخرج يعني إراقة الدماء وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) عند نحرها وذبحها وسمها ببيمة لأنها لا تتكلم وقيد بالأنعام وقيد بها بالنعم لأن من البهائم ما ليس من الأنعام كالخيل والبعال والحمير لا يجوز ذبحها في القرابين (فالمسك إله واحد) أي سموا على الذبائح اسم الله وحده فان لمسك إله واحد (فله أسلموا) انقادوا وأطيعوا (وبشر الخبيثين) قال ابن عباس وقادة المتواضعين وقال مجاهد المظلمين إلى الله عز وجل والخبث المكان المظلم من الأرض وقال الأخفش الخاشعين وقال النخعي المخلصين وقال الكلبي هم الرقيقة قلوبهم وقال عمرو بن أوس هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لم ينتصروا (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم والصابرين على ما أصابهم) من البلاء والمصائب (والمقيمي الصلاة) أي المقيمين للصلاة في أوقاتها (ومما رزقناهم ينفقون) أي يتصدقون (والبدن) جمع بدنة سميت بدنة لعظها وضخامتها يريد الإبل (١٨) العظام الصحاح الأجسام يقال بدن الرجل بدنا وبدانة إذا ضخم فأما إذا

إراقة الدم وذبح القرابين (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الأنعام) يعني عند ذبحها ونحرها سماها ببيمة لأنها لا تتكلم وقيد بالأنعام لأن ما سواها لا يجوز ذبحه في القرابين وإن جاز أكله . قوله عز وجل (فالمسك إله واحد) يعني سموا على الذبائح اسم الله وحده فان لمسك إله واحد (فله أسلموا) يعني أنخلصوا وانقادوا وأطيعوا (وبشر الخبيثين) قال ابن عباس المتواضعين وقيل المظلمين إلى الله وقيل الخاشعين الرقيقة قلوبهم وقيل هم الذين لا يظلمون وإذا ظلموا لا ينتصرون ثم وصفهم فقال تعالى (الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) يعني خافت من عقاب الله فيظهر عليها الخشوع والتواضع لله تعالى (والصابرين على ما أصابهم) يعني من البلاء والمرض والمصائب ونحو ذلك مما كان من الله تعالى وما كان من غير الله فله أن يصبر عليه وله أن ينتصر لنفسه (والمقيمي الصلاة) يعني في أوقاتها محافظة عليها (ومما رزقناهم ينفقون) يعني يتصدقون . قوله تعالى (والبدن) جمع بدنة سميت بدنة لعظها وضخامتها ، يريد الإبل الصحاح الأجسام والبقرة ولا تسمى الغنم بدنة لصغرها (جعلناها لكم من شعائر الله) يعني من أعلام دينه قبل لأنها تشعر وهو أن تظعن بمحديقة في سنامها فيعلم أنها هدى (لكم فيها خير) النفع في الدنيا والأجر في العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) أي عند نحرها (صواف) أي قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجلها وإحدى يديها ويدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي

أسن واسترخى يقال بدن تبدينا قال عطاء والسدى البدن الإبل والبقرة أما الغنم فلا تسمى بدنة (جعلناها لكم من شعائر الله) من أعلام دينه سميت شعائر لأنها تشعر وهو أن تظعن بمحديقة في سنامها فيعلم أنها هدى (لكم فيها خير) النفع في الدنيا والأجر في العقبى (فاذكروا اسم الله عليها) أي عند نحرها (صواف) أي قياما على ثلاث قوائم قد صفت رجلها وإحدى يديها ويدها اليسرى معقولة فينحرها كذلك. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي

أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن مسامة
 أنا يزيد بن زريع عن يونس عن زياد بن جبير قال « رأيت ابن عمر أتى على رجل قد أناخ بدنة بنحرها قال ابعتها قياما مقيدة سنة محمد ﷺ » وقال مجاهد الصواف إذا عقلت رجلها اليسرى وقامت على ثلاث قوائم وقرأ ابن مسعود صوافن وهي أن تعتل منها يد وتنحر على ثلاث وهو مثل صواف . وقرأ أبي والحسن ومجاهد صواف بالياء أي صافية خالصة لله لا شريك له فيها (فاذا وجبت جنوبها) يعني سقطت بعد النحر فوتمت جنوبها على الأرض وأصل الوجوب الوقوع يقال وجبت الشمس إذا سقطت للمغيب (فكلموا منها) أمر لإباحة (وأطعموا القانع والمعتر) الجالس في بيته المتعفف يقنع بما يعطى ولا يسأل والمعتر هو الذي يسأل وعن ابن عباس القانع هو الذي لا يسأل ولا يعترض ولا يسأل ويطلب القانع المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ولا

تكون

لقانع من قنع يقنع قنوعا إذا سأل وقرأ الحسن والمعترى وهو مثل المعتر يقال عره واعتره وعراه واعتراه إذ أتى يطلب معروفه إما سؤالا وإما تعرضا وقال ابن زيد القانع المسكين والمعتر الذي ليس بمسكين ولا يكون له ذبيحة يحيى إلى القوم فيتعرض لهم لأجل لحمهم (كذلك) يعني مثل ما وصفنا من نحرها قياما (سخرناها لكم) نعمة مما لتتمكنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) لكي تشكروا إنعائى عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا نحرروا البدن لطحوا الكعبة بدمائها قربة إلى الله فأنزله الله هذه الآية « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها » قرأ يعقوب تنال وتناله بالتاء فيهما وقرأ العامة بالياء قال مقاتل لن يرفع إلى الله لحومها ولا دماؤها (ولكن يناله التقوى منكم) ولكن يرفع إليه منكم الأعمال الصالحة والتقوى والإخلاص ما أريد به وجه الله (كذلك سخرها لكم) (١٩) يعني البدن (لكن يكبروا الله على ما هداكم)

أرشدكم لعالم دينه ومناسك حجه وهو أن يقول الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أهلنا وأولانا (وبشر المحسنين) قال ابن عباس الموحدين قوله تعالى (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) قرأ ابن كثير وأهل البصرة يدافع وقرأ الآخرون يدافع بالألف يريد يدافع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم عن المؤمنين (إن الله لا يحب كل خوان كفور) أي خوان في أمانة الله كفور لنعته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا منه شريكا وكفروا نعه وقيل من تقرب إلى الأصنام بذيبحته وسمى غير الله عليها فهو خوان كفور. قوله عز وجل (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) أي أذن الله لهم بالجهاد ليقاتلوا المشركين قال المفسرون كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يبيثون من بين مضروب ومشجوج ويشكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم « اصبروا فاني لم أؤمر بقتال » حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزله الله تعالى هذه الآية وهي أول آية أذن الله فيها بالقتال. وقيل نزلت هذه الآية في قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بأنهم ظلوا أي بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالإيذاء (وإن الله على نصرهم لقدير) فيه وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم فقال تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) يعني أنهم أخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب

تكون له ذبيحة يحيى إلى القوم فيتعرض لهم لأجل لحمهم (كذلك) يعني مثل ما وصفنا من نحرها قياما (سخرناها لكم) يعني لتتمكنوا من نحرها (لعلكم تشكرون) يعني إنعام الله عليكم (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) وذلك أن أهل الجاهلية كانوا إذا نحرروا البدن لطحوا الكعبة بدمائها يزعمون أن ذلك قربة إلى الله تعالى فأنزله الله « لن ينال الله لحومها ولا دماؤها » يعني لن يرفع إلى الله لحومها ولا دماؤها (ولكن يناله التقوى منكم) يعني ولكن يرفع إليه الأعمال الصالحة والإخلاص وهو ما أريد به وجه الله (كذلك سخرها لكم) يعني البدن (لكن يكبروا الله على ما هداكم) وأرشدكم لعالم دينه ومناسك حجه وهو أن يقول الله أكبر على ما هدانا والحمد لله على ما أهلنا وأولانا (وبشر المحسنين) قال ابن عباس الموحدين قوله تعالى (إن الله يدافع عن الذين آمنوا) قرأ ابن كثير وأهل البصرة يدافع وقرأ الآخرون يدافع بالألف يريد يدافع غائلة المشركين عن المؤمنين ويمنعهم عن المؤمنين (إن الله لا يحب كل خوان كفور) أي خوان في أمانة الله كفور لنعته قال ابن عباس خانوا الله فجعلوا منه شريكا وكفروا نعه وقيل من تقرب إلى الأصنام بذيبحته وسمى غير الله عليها فهو خوان كفور. قوله عز وجل (أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا) أي أذن الله لهم بالجهاد ليقاتلوا المشركين قال المفسرون كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون يبيثون من بين مضروب ومشجوج ويشكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم « اصبروا فاني لم أؤمر بقتال » حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزله الله تعالى هذه الآية وهي أول آية أذن الله فيها بالقتال. وقيل نزلت هذه الآية في قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة فاعترضهم مشركو مكة فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة بأنهم ظلوا أي بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالإيذاء (وإن الله على نصرهم لقدير) فيه وعد من الله بنصر المؤمنين ثم وصفهم فقال تعالى (الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله) يعني أنهم أخرجوا بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي أن يكون موجب

خوان كفور (أذن) قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم أذن بضم الألف والباقون بفتحها أي أذن الله (للذين يقاتلون) قرأ أهل المدينة وابن عامر وحفص يقاتلون بفتح التاء يعني المؤمنين الذين يقاتلهم المشركون وقرأ الآخرون بكسر التاء يعني الذين أذن لهم بالجهاد يقاتلون المشركين قال المفسرون كان مشركو أهل مكة يؤذون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يزالون محزونين من بين مضروب ومشجوج ويشكون ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم « اصبروا فاني لم أؤمر بالقتال » حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزله الله عز وجل هذه الآية وهي أول آية أذن الله فيها بالقتال فنزلت هذه الآية بالمدينة وقال مقاتل نزلت هذه الآية في قوم بأعيانهم خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة فكانوا يمنعون فأذن الله لهم في قتال الكفار الذين يمنعونهم من الهجرة (بأنهم ظلموا) يعني بسبب ما ظلموا واعتدوا عليهم بالإيذاء (وإن الله على نصرهم لقدير) الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق (إلا أن يقولوا ربنا الله)

بعضي لم يخرجوا من ديارهم إلا لثولهم ربنا الله زحده (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) بالجهاد وإقامة الحدود (هدمت) قرأ أهل المدينة بتخفيف الدال وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير فالتخفيف يكون للتغليل والتكثير والتشديد يختص بالتكثير (صوامع) قال مجاهد والضحاك يعني صوامع الرهبان : وقال قتادة صوامع الصابئين (وبيع) يعني بيع النصراني جمع بيعة وهي كنيسة النصراني (وصلوات) يعني كنائس اليهود ويسمونها بالعبرانية صلواتا (ومساجد) يذكر فيها اسم الله كثيرا) يعني مساجد (٣٥) المسلمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى الآية ولولا دفع الله الناس

الإقرار والتعظيم والتكبير لا موجب للإخراج (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) أي بالجهاد وإقامة الحدود (هدمت صوامع) هي معابد الرهبان المتخذة في الصحراء (وبيع) هي معابد النصراني في البلد وقيل الصوامع للصابئين والبيع للنصراني (وصلوات) هي كنائس اليهود ويسمونها بالعبرانية صلواتا (ومساجد) يعني مساجد المسلمين (يذكر فيها اسم الله كثيرا) يعني في المساجد ومعنى الآية ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض الهدم في شريعة كل نبي مكان صلواتهم فهدم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد ﷺ المساجد وقال ابن زيد أراد بالصلوات صلوات أهل الإسلام لأنها لا تنقطع إذا دخل العدو عليهم (ولينصرون) يعني ينصرون دينه ونبيه (إن الله لقوى) أي على نصر من ينصر دينه (عزيز) أي لا يضام ولا يمنع مما يريد . قوله عز وجل (الذين إن مكانهم في الأرض) أي نصرناهم على عدوهم حتى تمكنوا من البلاد (أقاموا الصلاة) وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) هذا وصف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم جميع هذه الأمة وقيل هم المهاجرون وهو الأصح لأن قوله (الذين إن مكانهم في الأرض) وهو قوله (الذين إن مكانهم في الأرض) أي أخرجه من ديارهم وهم المهاجرون (ولقد عاقبناهم) أي أخر أمر الخلق مصيرها إليه وذلك أنه يبطل فيها كل ملك سوى ملكه فتصير الأمور إليه بلا منازع . قوله تعالى (وإن يكذبونك) فيه تسلية وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وإن كذبتك قومك (فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى) فإن قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى ؟ قلت فيه وجهان أحدهما أن موسى لم يكذبه قومه وهم بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه وهو القبط الثاني كأنه قيل بعد ما ذكرت تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره (فألميت للكافرين) أي أمهلتهم وأخرت العقوبة عنهم (ثم أخذناهم) أي عاقبتهم (فكيف كان تكبير) أي إنكارى عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من يخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه . قوله عز وجل (فكأين من قرية أهلكناها على التعظيم) (وهي ظالمة) أي وأهلها ظالمون (فهي خاوية) أي ساقطة (على عروشها) أي على ستوفها (وبئر معطلة) أي وكم من بئر معطلة أي متروكة مخلاة عن أهلها (وقصر مشيد) أي رفيع طويل عال وقيل محصص وقيل إن البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن . أما القصر فعلى قلة جبل والبئر في سفحه واكمل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فأهلكهم الله وبقي البئر والقصر خالبيين

بعضهم لبعض في شريعة كل نبي مكان صلواتهم في زمن موسى الكنائس وفي زمن عيسى البيع والصوامع وفي زمن محمد ﷺ المساجد وقال ابن زيد أراد بالصلوات صلوات أهل الإسلام لأنها لا تنقطع إذا دخل العدو عليهم (ولينصرون) يعني ينصرون دينه ونبيه (إن الله لقوى) أي على نصر من ينصر دينه ونبيه (عزيز) أي لا يضام ولا يمنع مما يريد . قوله عز وجل (الذين إن مكانهم في الأرض) أي أخرجه من ديارهم وهو قوله (الذين إن مكانهم في الأرض) أي أخر أمر الخلق مصيرها إليه وذلك أنه يبطل فيها كل ملك سوى ملكه فتصير الأمور إليه بلا منازع . قوله تعالى (وإن يكذبونك) فيه تسلية وتعزية للنبي صلى الله عليه وسلم والمعنى وإن كذبتك قومك (فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى) فإن قلت لم قال وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى ؟ قلت فيه وجهان أحدهما أن موسى لم يكذبه قومه وهم بنو إسرائيل وإنما كذبه غير قومه وهو القبط الثاني كأنه قيل بعد ما ذكرت تكذيب كل قوم رسولهم قال وكذب موسى أيضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره (فألميت للكافرين) أي أمهلتهم وأخرت العقوبة عنهم (ثم أخذناهم) أي عاقبتهم (فكيف كان تكبير) أي إنكارى عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من يخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذبه . قوله عز وجل (فكأين من قرية أهلكناها على التعظيم) (وهي ظالمة) أي وأهلها ظالمون (فهي خاوية) أي ساقطة (على عروشها) أي على ستوفها (وبئر معطلة) أي وكم من بئر معطلة أي متروكة مخلاة عن أهلها (وقصر مشيد) أي رفيع طويل عال وقيل محصص وقيل إن البئر المعطلة والقصر المشيد باليمن . أما القصر فعلى قلة جبل والبئر في سفحه واكمل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فأهلكهم الله وبقي البئر والقصر خالبيين

فتصير الأمور إليه بلا منازع ولا مدع قواه تعالى (وإن يكذبونك) يعني نبيه صلى الله عليه وسلم (فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدين وكذب موسى فألميت للكافرين) يعني أمهلتهم وأخرت عقوبتهم (ثم أخذناهم) عاقبتهم (فكيف كان تكبير) أي إنكارى أي كيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب بالعذاب والهلاك يخوف به من يخالف النبي صلى الله عليه وسلم ويكذبه (فكأين) فكم (من قرية أهلكناها) بالثناء هكذا قرأ أهل البصرة ويعقوب وقرأ الآخرون أهلكناها بالنون والألف على التعظيم (وهي ظالمة) يعني وأهلها ظالمون (فهي خاوية) ساقطة (على عروشها) على ستوفها (وبئر معطلة) يعني وكم من بئر معطلة متروكة مخلاة عن أهلها (وقصر مشيد) قال قتادة والضحاك

ومقاتل رفيع ملول من قولهم شاد بناءه إذا رفعه وقال سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء مجصص من الشيد وهو الجصص وقيل إن البئر المعطاة والقصر المشيد باليمن أما القصر فعلى قلة جبل والبئر في سفحه ولكل واحد منهما قوم كانوا في نعمة فكفروا فأهلكهم الله وبقى البئر والقصر خالبيين وروى أبو يوروق عن الضحاك أن هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء وذلك أن أربعة آلاف نفر ممن آمن بصالح نجوا من العذاب أتوا حضرموت ومعهم صالح فلما حضره مات صالح فسمى حضرموت لأن صالحا لما حضره مات فبنوا حاضوراء وقعدوا على هذه البئر وأمروا عليهم رجلا فأقاموا دهرًا وتاسلوا حتى كثروا ثم إنهم عبدوا الأصنام وكفروا فأرسل الله عليهم نبيا يقال له حنظلة ابن صفوان كان حمالا فيهم فقتلوه في السوق فأهلكهم الله وعطلت بئرهم وخربت قصورهم (أفلم يسروا في الأرض) يعني كفار مكة فينظروا إلى مصارع المكذبين من الأمم الخالية (فتكون لهم قابو يعقلون بها أو آذان يسمعون بها) يعني ما يذكر لهم من أخبار القرون الماضية فيعتبرون بها (فأنا) الهاء عماد (لا تعنى الأبصار ولكن تعنى القلوب التي (٢١) في الصدور) ذكر التي في الصدور

تأكيذا كقولهم يظهر
بجناحيه معناه أن المعنى
الضار هو عى القلب فأما
عمر البصر فليس بضار
في أمر الدين قال قتادة
البصر الظاهر بلغة ومعة
وبصر القلب هو البصر
النافع (ويستعملونك
بالعذاب) نزلت في الضر
ابن الحارث حيث قال
إن كان هذا هو الحق من
عندك فأمطر علينا حجارة
من السماء (ولن يخاف الله
وعده) فأنجز ذلك يوم
بدر (وإن يوما عند ربك
كألف سنة مما تعدون)
قرأ ابن كثير وحزمة

وقيل إن هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضوراء وذلك أن أربعة آلاف نفر
من آمن بصالح عليه السلام لما نجوا من العذاب أتوا إلى حضرموت ومعهم صالح فلما حضره
مات صالح فسمى المكان حضرموت لذلك ولما مات صالح بنو حاضوراء وقعدوا على هذه
البئر وأمروا عليهم رجلا منهم فأقاموا دهرًا وتاسلوا حتى كثروا وعبدوا الأصنام وكفروا
فأرسل الله تعالى إليهم نبيا يقال له حنظلة بن صفوان . وكان حمالا فيهم فقتلوه في السوق
فأهلكهم الله وعطلت بئرهم وخربت قصورهم : قوله تعالى (أفلم يسروا في الأرض) يعني كفار
مكة فينظروا إلى مصارع المكذبين من الأمم الخالية (فتكون لهم قابو يعقلون بها) أي يعلمون
بها (أو آذان يسمعون بها) يعني ما يذكر لهم من أخبار القرون الماضية فيعتبرون بها (فأنا) لا تعنى
الأبصار ولكن تعنى القلوب التي في الصدور) المعنى أن عى القلب هو الضار في أمر الدين لا تعنى
البصر لأن البصر الظاهر باعة ومعة وبصر القلوب هو البصر النافع (ويستعملونك بالعذاب)
نزلت في الضر بن الحارث (ولن يخلف الله وعده) أي أنه أنجز ذلك يوم بدر (وإن يوما عند
ربك كألف سنة مما تعدون) قال ابن عباس يعني يوما من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات
والأرض . وقيل يوما من أيام الآخرة يدل عليه ما روى عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ
« أبشروا يا معشر صغاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس
بنصف يوم وذلك مقدار خمسين سنة» أخرجه أبو داود زيادة فيه وأخرج الترمذي نحوه ومعنى
الآية أنهم يستعملون بالعذاب وإن يوما من أيام عذابهم في الآخرة كألف سنة وقيل إن يوما
من أيام العذاب في الثقل والاستطالة كألف سنة فكيف يستعملونه وقيل معناه أن يوما عنده
وألف سنة في الإمهال سواء لأنه قادر متى شاء أخذهم لا يفوته شيء بالتأخير فيستوى في قدرته

والكسائي يعدون بالياء هاهنا لقوله « يستعملونك » وقرأ الباقون بالتاء لأنه أعم لأنه خطاب للمستعجلين والمؤمنين
وانفقوا في تنزيل السجدة أنه بالتاء قال ابن عباس يعني يوما من الأيام الستة التي خلق الله فيها السموات والأرض
وقال مجاهد وعكرمة يوما من أيام الآخرة والدليل عليه ما روى عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم « أبشروا يا معشر صغاليك المهاجرين بالنور التام يوم القيامة تدخلون الجنة قبل أغنياء الناس بنصف يوم وذلك مقدار
خمسين سنة » قال ابن زيد « وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون » هذه أيام الآخرة وقوله ومقداره خمسين ألف سنة مما
تعدون « يوم القيامة والمعنى على هذا أنهم يستعملون بالعذاب وإن يوما من أيام عذابهم في الآخرة ألف سنة . وقيل معناه
وإن يوما من أيام العذاب الذي استعجلاه في الثقل والاستطالة والشدة كألف سنة مما تعدون فكيف يستعملونه هذا كما
يقال أيام المهوم طوال وأيام السرور قصار . وقيل معناه إن يوما عنده وألف سنة في الإمهال سواء لأنه قادر متى شاء أخذهم
لا يفوته شيء بالتأخير فيستوى في قدرته وقوع ما يستعملون به من العذاب وتأخره وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء

(وكأين من قرية أهلكنا) يعني أهلها (وهي ظالمة ثم أهلكنا) وإلى المصير قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم (الرزق الكريم الذي لا ينقطع أبدا وقيل هو الجنة (والذين سعوا في آياتنا) يعني عملوا في إبطال آياتنا (معجزين) قرأ ابن كثير وأبو عمرو معجزين بالتشديد هاهنا وفي سورة سبأ يعني مثبتين الناس عن الإيمان وقرأ الآخرون معجزين (٢٢) بالألف يعني معاندين مشاقين وقال قتادة معناه ظانين ومقدرين أنهم

يعجزوننا بزعمهم أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ومعنى يعجزوننا أي ينوتوننا فلا تقدر عليهم وهذا كقوله تعالى (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) (أولئك أصحاب الجحيم) وقيل معجزين مغالين يريد كل واحد أن يظهر عجز صاحبه قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) قال ابن عباس وغيره من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى قومه عنه وشق عليه ما رأى من مبادئهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على إيمانهم فكان يوما في مجلس لقريش فأنزل الله عز وجل سورة والنجم فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى) ألقى الشيطان على لسانه ما كان يحدث به نفسه ويتناهى تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في آخرها وسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد غير الوليد بن المغيرة وأبي أحيحة سعيد بن العاص فأنهما أخذتا حفنة من البطحاء ورفعاها إلى جبهتهما وسجدا عليها لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا السجود وتفرقت قريش وقد سرهم ما سمعوا من ذكر آفتهم ويقولون قد ذكر محمد آفتنا أحسن الذكر وقالوا قد عرفنا أن الله نبي وبميت وبرزق ولكن آفتنا هذه تشفع لنا عنده فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال يا محمد ماذا سمعت؟ لقد تلوت على الناس ألم آتتك به عن الله تعالى فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وحزننا شديدا وخافت من الله تعالى خوفا كبيرا فأنزل الله تعالى هذه الآية يعزيه وكان بهرحبا وسمع بذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم بسجود قريش وقيل

يعجزوننا بزعمهم أن لا بعث ولا نشور ولا جنة ولا نار ومعنى يعجزوننا أي ينوتوننا فلا تقدر عليهم وهذا كقوله تعالى (أم حسب الذين يعملون السيئات أن يسبقونا) (أولئك أصحاب الجحيم) وقيل معجزين مغالين يريد كل واحد أن يظهر عجز صاحبه قوله تعالى (وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته) قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي وغيرهما من المفسرين لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولى قومه عنه وشق عليه ما رأى من مبادئهم عما جاءهم به من الله تعالى تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب بينه وبين قومه لحرصه على إيمانهم فكان يوما في مجلس لقريش فأنزل الله تعالى

سورة والنجم فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان على لسانه بما كان يحدث به نفسه ويتناهى تلك الغرائق العلى وإن شفاعتهن لترجى فلما سمعت قريش ذلك فرحوا به ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم في قراءته فقرأ السورة كلها وسجد في آخر السورة فسجد المسلمون بسجوده وسجد جميع من في المسجد من المشركين فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد إلا الوليد بن المغيرة وأبو أحيحة سعيد بن العاص فأنهما أخذتا حفنة من البطحاء ورفعاها إلى جبهتهما وسجدا عليها لأنهما كانا شيخين كبيرين فلم يستطيعا

السجود وتفرقت قريش وقد سزهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ويقولون قد ذكر محمد آلهتنا بأحسن الذكر وقالوا قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ويخلق ويرزق ولكن آلهتنا هذه تشفع لنا عنده فان جعل لها محمد نصيبا فنحن معه فلما أمسى رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل فقال يا محمد ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتلك يا عن الله عز وجل فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وخاف من الله خوفا كثيرا فأُنزل (٢٣) الله هذه الآية يعزيه وكان به

رحما، وسمع بذلك من كان بأرض الحبشة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وبلغهم سجود قريش وقيل أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشائرهم وقالوا هم أحب إلينا حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن الذي كانوا يحدثونه من إسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل أحد إلا بجوار أو مستخفيا فلما نزلت هذه الآية قالت قريش قدم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان أتى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع في فم كل مشرك فازدادوا شرا إلى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم قال الله تعالى وما أرسلنا من قبلك من رسول وهو الذي يأتيه جبريل

قد أسلمت قريش وأهل مكة فرجع أكثرهم إلى عشائرهم وقالوا هم أحب إلينا حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن الذي كانوا يحدثونه من إسلام أهل مكة كان باطلا فلم يدخل أحد إلا بجوار أو مستخفيا فلما نزلت هذه الآية قالت قريش ندم محمد على ما ذكر من منزلة آلهتنا عند الله فغير ذلك وكان الحرفان اللذان أتى الشيطان على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقع في فم كل مشرك فازدادوا شرا إلى ما كانوا عليه وشدة على من أسلم وقوله وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا أنا الذي أتى بالوحي عينا ولا نبي النبي هو الذي تكون نبوته لإماما أو منامنا فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا إلا إذا تمنى يعني أحب شيئا واشتهاه وحدث به نفسه مما لم يؤمر به «أتى الشيطان في أميئة» يعني في مراده وقال ابن عباس إذا حدث أتى الشيطان في حديثه ووجد إليه سبيلا. والمعنى ما من نبي إلا تمنى «أن يؤمن قومه ولم يتمن ذلك نبي إلا أتى الشيطان عليه ما يرضى قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان. وقال أكثر المفسرين معنى تمنى قرأ وتلا كتاب الله أتى الشيطان في أميئة يعني في تلاوته قال حسان في عهنا حين قتل :

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاني حمام المقادر

فان قلت قد قامت الدلائل على صدقه وأجمعت الأمة فيما كان طريقته البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منه بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا سهوا ولا غلطا قال الله تعالى «وما ينطق عن الهوى» وقال تعالى ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فكيف يجوز الغلط على النبي صلى الله عليه وسلم في التلاوة وهو معصوم منه؟ قلت ذكر العلماء عن هذا الإشكال أجوبة : أحدها توهمين أصل هذه القصة وذلك أنه لم يروها أحد من أهل الصحة ولا أسندها ثقة بسند صحيح أو سليم متصل وإنما رواها المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب الملقون من الصحف كل صحيح وسقيم والذي يدل على ضعف هذه القصة اضطراب رواها وانقطاع سندها واختلاف ألفاظها فقاتل يقول إن النبي صلى الله عليه وسلم كان في الصلاة وآخر يقول قرأها وهو في نادي قومه وآخر يقول قرأها وقد أصابه سنة وآخر يقول بل حدث نفسه بها فجرى ذلك على لسانه وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وإن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا قرأتك إلى غير ذلك من اختلاف ألفاظها والذي جاء في الصحيح من حديث عبد الله بن مسعود «أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم فوجد فيها وسجد من كان معه غير أن شيئا من قريش أخذ كفا من حصي أو تراب فرمعه إلى وجهه قال عبد الله فلفق رأيه بعد قتل كافرا»

بالوحي عينا ولا نبي وهو الذي يكون نبوته لإماما أو منامنا وكل رسول نبي وليس كل نبي رسولا إلا إذا تمنى «قال بعضهم أي أحب شيئا واشتهاه وحدث به نفسه مما لم يؤمر به» «أتى الشيطان في أميئة» يعني مراده وعن ابن عباس قل إذا حدث أتى الشيطان في حديثه ووجد إليه سبيلا وما من نبي إلا تمنى أن يؤمن به قومه ولم يتمن ذلك نبي إلا أتى الشيطان عليه ما يرضى به قومه فينسخ الله ما يلقي الشيطان وأكثر المفسرين قالوا معنى قوله تمنى يعني تلا وقرأ كتاب الله تعالى «أتى الشيطان في أميئة» يعني في تلاوته قال الشاعر في عهنا حين قتل :

تمنى كتاب الله أول ليلة وآخرها لاني حمام المقادر

أي طريق قويم وهو الإسلام (ولا يزال الذين كفروا في مربة منه) يعني في شك مما أتى الشيطان على لسان رسول الله ﷺ يقولون ما باله ذكرها بخبر ثم ارتد عنها . وقال ابن جرير منه أي من القرآن . وقيل من الدين وهو الصراط المستقيم (حتى تأتيهم الساعة بغتة) يعني القيامة وقيل الموت (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) قال الضحاك وعكرمة عذاب يوم لا إيلة له وهو يوم القيامة والأكثر على أن اليوم عقيم يوم بدر لأنه ذكر الساعة من قبل وهو يوم القيامة وسمى يوم بدر عقبا لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم التي لا تأتي بخير صحاب ولا مطر ، والعقم في اللغة المنع يقال رجل عقيم إذا منع من الولد وقيل لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه وقال ابن جرير (٣٥) لأنهم لم ينظروا فيه إلى الليل حتى قتلوا قبل المساء

(ولا يزال الذين كفروا في مربة منه) أي في شك من القرآن وقيل من الدين الذي هو صراط مستقيم (حتى تأتيهم الساعة بغتة) أي فجأة وقيل أراد بالساعة الموت (أو يأتيهم عذاب يوم عقيم) أي عذاب يوم لا إيلة له وهو يوم القيامة وقيل هو يوم بدر سمي عقبا لأنه لم يكن في ذلك اليوم للكفار خير كالريح العقيم التي لا تأتي بخير وقيل لأنه لا مثل له في عظم أمره لقتال الملائكة فيه (الملك يومئذ) يعني يوم القيامة (الله) وحده من غير منازع ولا مشارك فيه (بحكم) أي يفصل (بينهم) ثم بين ذلك الحكم فقال تعالى (فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين) قوله تعالى (والذين هاجزوا في سبيل الله) أي فارقوا أوطانهم وعشائرهم في طاعة الله وطلب رضاه (ثم قتلوا أو ماتوا ليرزقهم الله رزقا حسنا) أي لا ينقطع أبدا وهو رزق الجنة لأن فيها ما تشبه الأنفس وتلد الأعين (وإن الله هو خير الرازقين) فإن قلت الرازق في الحقيقة هو الله عز وجل لارزق للخلق غيره فكيف قال وإن الله هو خير الرازقين . قلت قد يسمى غير الله رازقا على الجواز كقوله رزق السلطان الجنه أي أعطاهم أرزاقهم وإن الرزاق في الحقيقة هو الله تعالى وقيل لأن الله تعالى يعطي من الرزق ما لا يقدر عليه غيره (ليدخلنهم مدخلا يرضوناه) يعني الجنة بكرمون به ولا ينالهم فيه مكروه (وإن الله لعليم) بنياتهم (حليم) بامفوعتهم . قوله عز وجل (ذلك) أي الأمر الذي قصصنا عليك (ومن عاقب مثل ما عوقب به) يعني جازى الظالم بمثل ظلمه وقيل يعني قتل المشركين كما قاتلوه (ثم بغى عليه) يعني ظلم باخراجه من منزله يعني ما أتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى أحوجهم إلى مفارقة أوطانهم نزلت في قوم من المشركين أتوا قوما من المسلمين للبتين بقينا في الحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيتهم عليهم وثبت المسلمون فنصرهم الله عليهم فذلك قوله تعالى (لينصره الله إن الله لغفور) يعني لذنوبهم (ذلك) يعني ذلك النصر (بأن الله) القادر على ما يشاء فن قدرته أنه (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل) في معنى هذا الإيلاج قولان : أحدهما أنه يجعل ظلمة الليل مكان ضياء النهار وذلك بغيبوبة الشمس ويجعل ضياء النهار مكان ظلمة الليل بظلوع الشمس . القول الثاني هو ما يزيد

(٤ - خازن بالبغوى - خامس) لهم فيه ما تشبهه الأنفس وتلد الأعين (وإن الله لعليم) بنياتهم

(حليم) عنهم (ذلك) يعني الأمر الذي قصصنا عليكم (ومن عاقب مثل ما عوقب به) جازى الظالم بمثل ظلمه قال الحسن يعني قاتل المشركين كما قاتلوه (ثم بغى عليه) يعني ظلم باخراجه من منزله يعني ما أتاه المشركون من البغي على المسلمين حتى أحوجهم إلى مفارقة أوطانهم نزلت في قوم من المشركين أتوا قوما من المسلمين للبتين بقينا مع الحرم فكره المسلمون قتالهم وسألوهم أن يكفوا عن القتال من أجل الشهر الحرام فأبى المشركون وقاتلوهم فذلك بغيتهم عليهم وثبت المسلمون لهم فنصرهم الله تعالى (لينصره الله) والعقاب الأول بمعنى الجزاء (إن الله لغفور) عفا عن مساوي المؤمنين وغفر لهم ذنوبهم (ذلك) يعني ذلك النصر (بأن الله) القادر على ما يشاء فن قدرته أنه (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل)

وان الله سميع بصير ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون (قرأ أهل البصرة وحذرة والكسائي وحضص بالياء وقرأ الآخرون بالناء يعنى المشركين (من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي) العالى على كل شيء (الكبير) العظيم الذى كل شيء دونه (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة) بالنبات (إن الله لطيف) بأرزاق عباده واستخرج النبات من الأرض (خبير) بما فى قلوب العباد إذا تأخر المطر عنهم (له ما فى السموات وما فى الأرض) عبيدا وملكا (وإن الله هو الغنى) عن عباده (الحميد) فى أفعاله (ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض والملك) يعنى وسخر لكم الفلك (تجرى فى البحر بأمره) وقيل ما فى الأرض الدواب (٣٦) التى تتركب فى البر والفلك التى تتركب فى البحر (ويمسك السماء أن تقع على

الأرض) لكيلا تسقط فى أحدهما وينقص من الآخر من الساعات وذلك لا يقدر عليه إلا الله تعالى (وأن الله سميع بصير ذلك بأن الله هو الحق) أى ذو الحق فى قوله وفعله ، ودينه حق وعبادته حق (وأن ما يدعون) يعنى المشركين (من دونه هو الباطل) يعنى الأصنام التى ليس عندها ضر ولا نفع (وأن الله هو العلي) أى العالى على كل شيء (الكبير) أى العظيم فى قدرته وسلطانه . قوله عز وجل (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة) يعنى بالنبات (إن الله لطيف) يعنى باستخراج النبات من الأرض رزقا للعباد والحيوان (خبير) يعنى بما فى قلوب العباد إذا تأخر المطر عنهم (له ما فى السموات وما فى الأرض) يعنى عبيدا وملكا (وإن الله هو الغنى الحميد) يعنى الغنى عن عباده الحميد فى أمره (ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض) يعنى الدواب التى تتركب فى البر (والفلك) أى وسخر لكم السفن (تجرى فى البحر بأمره) يعنى سخر لها الماء والرياح ولولا ذلك ما جرت (ويمسك السماء أن تقع) أى لكيلا تسقط (على الأرض إلا بإذنه) إن الله بالناس لرعوف رحيم) يعنى أنه أنعم بهاء النعم الجامعة بمنافع الدنيا والدين وقد بلغ الغاية فى الإنعام والإحسان فهو إذن رءوف رحيم بكم (وهو الذى أحياكم) أى أنشأكم ولم تكونوا شيئا (ثم يميتكم) أى عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) أى يوم البعث والثواب والعقاب (إن الإنسان لَكفور) أى لجحود لنعم الله عز وجل . قوله تعالى (لكل أمة جعلنا منسكا) قال ابن عباس شريعة هم عاملون بها وروى عنه أنه قال عبيدا وقيل موضع قربان يذبحون فيه وقيل موضع عبادة (فلا ينازعك فى الأمر) أى فى أمر الذبائح نزلت فى بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولانأكلون مما قتله الله ؟ وقيل معناه لا تنازعهم أنت . قوله تعالى (وادع إلى ربك) أى إلى الإيمان به وإلى دينه (إنك لعلى هدى مستقيم) أى على دين واضح قويم (وإن جادلوك) يعنى خاصدوك فى أمر الذبح وغيره (فقل الله أعلم بما تعملون) أى من التكذيب (الله يحكم بينكم يوم القيامة فإياكم فى تخطئون) يعنى فتعلمون حينئذ الحق من الباطل وقيل حكم يوم القيامة يتردد بين جنة وثواب إن قيل وبين نار وعقاب إن رد وأنى . قوله عز وجل

الأرض) لكيلا تسقط على الأرض (إلا بإذنه إن الله بالناس لرءوف رحيم وهو الذى أحياكم) يعنى أنشأكم ولم تكونوا شيئا (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم (ثم يحييكم) يوم البعث والثواب والعقاب (إن الإنسان لكفور) لنعم الله (لكل أمة جعلنا منسكا هم فاسكوه) قال ابن عباس يعنى شريعة هم عاملون بها وروى عنه أنه قال عبيدا قال قتادة ومجاهد موضع قربان يذبحون فيه . وقيل موضع عبادة وقيل مألفا بالفنونه ، والمنسك فى كلام العرب الموضع

المعتاد لعمل خير أو شر ومنه مناسك الحج لتردد الناس إلى أماكن أعمال الحج (فلا ينازعك فى الأمر) يعنى فى أمر الذبائح نزلت فى بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان ويزيد بن خنيس قالوا لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ما لكم تأكلون مما تقتلون بأيديكم ولا تأكلون مما قتله الله قال الزجاج معنى قوله لا ينازعك أى لا تنازعهم أنت كما يقال : لا يناصحك فلان أى لا تخاصمه وهذا جائز فيما يكون بين الاثنين ولا يجوز لا يضر برك فلان وأنت تريد لا تضره وذلك أن المنازعة والخاصمة لآتم إلا بالثنين فإذا ترك أحدهما فلاخاصمة هناك (وادع إلى ربك) إلى الإيمان بربك (إنك لعلى هدى مستقيم) وإن جادلوك فقل الله أعلم بما تعملون الله يحكم بينكم يوم القيامة فإياكم كتم فى تخطئون) فتعلمون حينئذ الحق من الباطل والاختلاف ذهاب كل واحد من الخصمين إلى خلاص مذهب إليه

الاخر (أم تعلم أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك) كله (في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (إن ذلك) يعني علمه بجميع ذلك (على الله يسير ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا) حجة وبرهانا (وما ليس لهم به علم) يعني أنهم فعلوا ما فعلوا عن جهل لا عن علم (وما للظالمين) للمشركين (من نصير) مانع يمنعهم من عذاب الله (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعني القرآن (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) يعني الإنكار ، يتبين ذلك في وجوههم من الكراهية والعبوس (يكادون يسطون) يعني يقعون ويسطون إليهم أيديهم بالسوء وقيل يبطشون (بالذين يتلون عليهم آياتنا) يعني بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ يقال سطا عليه وسطا به إذا تناوله بالبطش والعنف ، وأصل (٢٧) السطو القهر (قل) يا محمد

(أفأنبئكم بشر من ذلك)
يعني بشر لكم وأكره
إليكم من القرآن الذي
تستمعون (النار) يعني
هي النار (وعدها الله للذين
كفروا وبئس المصير
بأيها الناس ضرب مثل)
معنى ضرب جعل كفورهم
ضرب السلطان البعث
على الناس وضرب الجزية
على أهل الذمة أي جعل
ذلك عليهم ومعنى الآية
جعل في شبه وشبه في
الأوثان أي جعل المشركون
الأصنام شركاء فيعبدها
ومعنى (فاستمعوا له)
يعني فاستمعوا حالفا
وصفها ثم بين ذلك فقال
(إن الذين تدعون من
دون الله) يعني الأصنام
قرأ يعقوب بالياء والياقون

(أم تعلم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ويدخل فيه الأمة (أن الله يعلم ما في السماء والأرض إن ذلك في كتاب) يعني في اللوح المحفوظ (إن ذلك) يعني علمه بجميعه (على الله يسير) أي هين وقيل إن كتب الخواص مع أنها من الغيب على الله يسير (ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا) يعني حجة ظاهرة من دليل سمعي (وما ليس لهم به علم) يعني أنهم فعلوا ما فعلوه عن جهل لا عن علم ولا دليل عقلي (وما للظالمين) يعني المشركين (من نصير) يعني مانع يمنعهم من العذاب (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) يعني القرآن وصفه بذلك لأن فيه بيان الأحكام والفصل بين الحلال والحرام (تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر) يعني الإنكار والكراهة يتبين ذلك في وجوههم (يكادون يسطون) يعني يقعون ويسطون إليكم أيديهم بالسوء وقيل يبطشون (بالذين يتلون عليهم آياتنا) أي بمحمد وأصحابه من شدة الغيظ (قل) يعني قل لهم يا محمد (أفأنبئكم بشر من ذلك) يعني بشر لكم وأكره إليكم من هذا القرآن الذي تستمعون (النار) يعني هي النار (وعدها الله للذين كفروا وبئس المصير) قوله تعالى (بأيها الناس ضرب مثل) فإن قلت الذي جاء به ليس بمثل فكيف سماه مثلا . قلت لما كان المثل في الأثر نكتة عجيبة غريبة جاز أن يسمى كل كلام كان كذلك مثلا . وقال في الكشاف قد سميت الصفة والقصة الرائقة المتلقاة بالاستحسان والاستغراب مثلا تشبيها لما ببعض الأمثال المسيرة لكونها مسيرة عندهم مستحسنة مستغربة (فاستمعوا له) يعني تدبروه حتى تدبره فإن الاستماع بلا تدبر وتعقل لا ينفع والمعنى جعل في شبه وشبهه الأوثان أي جعل المشركون الأصنام شركاء فيعبدها ثم بين حالها وصفها فقال تعالى (إن الذين تدعون من دون الله) يعني الأصنام (لن يخافوا ذباها) يعني واحدا في صغره وضعفه وقلته لأنها لا تقدر على ذلك (ولو اجتمعوا له) يعني خلفه ، والمعنى أن هذه الأصنام لو اجتمعت لم يقدروا على خلق ذباة على ضعفها وصغرها فكيف يلقى بالعاقل جعلها معبودا له (وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) قال ابن عباس كانوا يطلون الأصنام بالزعفران فإذا جف جاء الذباب فاستلب منه وقيل كانوا يضعون الطعام بين أيدي الأصنام فيقع الذباب عليه ويأكل منه (ضعف الطالب والمطلوب) قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب الذي على الصم والمطلوب هو الصم وقيل الطالب الصم والمطلوب الذباب أي لو طلب الصم أن يخلق الذباب لعجز عنه وقيل الطالب

بالباء (لن يخلفوا ذباها) واحدا في صغره وقلته لأنها لا تقدر عليه والذباب واحد وجمعه القليل أذبة والكثير ذباب مثل غراب وأغرية وغريان (وواجمعوا له) يعني خلفه (وإن يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه) قال ابن عباس : كانوا يطلون الأصنام بالزعفران فإذا جف جاء الذباب فاستلب منه وقال السدي كانوا يضعون الطعام بين أيدي الأصنام فتقع الذباب عليه فيأكل منه وقال ابن زيد كانوا يحاون الأصنام بالواقيت واللآلي وأنواع الجواهر ويطيئونها بألوان الطيب فربما يسقط منها واحدة فيأخذها طائر أو ذباب فلا تقدر الآلة على استردادها فذلك قوله (وإن يسلبهم الذباب شيئا أي وإن يسلب الذباب الأصنام شيئا مما عليها لا يقدر أن يستنقذوه منه) ضعف الطالب والمطلوب (قال ابن عباس الطالب الذباب يطلب ما يسلب من الطيب من الصم والمطلوب الصم يطلب الذباب منه السلب وقيل على العكس الطالب الصم

والمطلوب الذباب ، وقال الفسحاك الطالب العابد والمطلوب المعبود (ما قدروا الله حق قدره) ما عظموه حتى عظمته وما عرفوه حتى معرفته ولا وصفوه حتى صفته أن أشركوا به مالا يمتنع من الذباب ولا ينصف منه (إن الله لقوى عزيز الله يصطفى) يعنى يختار (من الملائكة رسلا) وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وغيرهم (ومن الناس) يعنى يختار من الناس رسلا مثل إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام ، نزلت حين قال المشركون « أنزل عليه الذكر من بيننا » فأخبر أن الاختيار إليه يختار من يشاء من خلقه (إن الله سميع بصير) يعنى سمع لقولهم بصير بمن يختاره لرسالته (يعلم ما بين أيديهم) قال ابن عباس ما قدموا (وما خلفهم) ما حلدوا وقال الحسن ما بين أيديهم ما عملوا وما خلفهم ما هم عاملون من بعد وقيل ما بين أيديهم ملائكته وكتبه ورسله قبل أن خلقهم وما خلفهم أى ويعلم ما هو كائن بعد فئاتهم (٢٨) (وإلى الله ترجع الأمور يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) يعنى صلوا

عابد الصم واطلوب هو الصم (ما قدروا الله حق قدره) يعنى ما عظموه حتى عظمته وما عرفوه حتى معرفته ولا وصفوه حتى صفته حيث أشركوا به مالا يمتنع من الذباب ولا ينصف منه (إن الله لقوى عزيز) يعنى غالب لا يقهر . قوله عز وجل (الله يصطفى من الملائكة رسلا) جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وغيرهم (ومن الناس) يعنى يختار الله من الناس رسلا مثل إبراهيم وعيسى ومحمد وغيرهم من الأنبياء والرسل صلى الله عليهم أجمعين . نزلت حين قال المشركون « أنزل عليه الذكر من بيننا » فأخبر الله تعالى أن الاختيار إليه يختار من يشاء من عباده لرسالته (إن الله سميع) يعنى بأقوالهم (بصير) يعنى لأفعالهم لا تخفى عليه خافية . قوله تعالى (يعلم ما بين أيديهم) قال ابن عباس ما قدموا (وما خلفهم) يعنى ما خلفوا وقيل يعلم ما عملوا ما هم عاملون وقيل يعلم ما بين أيدي ملائكته ورسله قبل أن يخلقهم ويعلم ما هو كائن بعد فئاتهم (وإلى الله ترجع الأمور) يعنى فى الآخرة . قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا) يعنى صلوا لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود (واعبدوا ربكم) يعنى وحدوه وقيل أخلصوا له العبادة (وافعلوا الخير) قال ابن عباس صلة الأرحام ومكارم الأخلاق وقيل فعل الخير ينقسم إلى خدمة المعبود الذى هو عبارة عن التعظيم لأمر الله تعالى وإلى الإحسان الذى هو عبارة عن الشفقة على خلق الله ويدخل فيه البر والعروف والصدقة وحسن القول وغير ذلك من أعمال البر (لعلمكم تفعلون) يعنى لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة . (فصل : فى حكم سجود التلاوة هنا)

لم يختلف العلماء فى السجدة الأولى من هذه السورة واختلفوا فى السجدة الثانية فروى عن عمر وعلى وابن عمر وابن مسعود وابن عباس وأبى الدرداء وأبى موسى أنهم قالوا فى الحج

لأن الصلاة لا تكون إلا بالركوع والسجود (واعبدوا ربكم) أى وحدوه (وافعلوا الخير) قال ابن عباس صلة الرحم ومكارم الأخلاق (لعلمكم تفعلون) لكي تسعدوا وتفوزوا بالجنة واختلف أهل العلم فى سجود التلاوة عقيب قراءة هذه الآية فذهب قوم إلى أنه يسجد عندها وهو قول عمر وعلى وابن مسعود وابن عباس وبه قال ابن المبارك والشافعى وأحمد وإسحاق واحتجوا بما أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسحاق عن الضبي أنا أبو محمد

سجدتان

عبد الجبار بن محمد الجراحى أنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي

أنا أبو عيسى الترمذى أنا قتبية أنا ابن خبيبة عن مشرح بن هاعان عن عقبه بن عامر قال قلت يا رسول الله « فضلت سورة الحج بأن فيها سجدتين قال نعم ومن لم يسجد لهما فلا يقرأهما » وذهب قوم إلى أنه لا يسجد هاهنا وهو قول سفيان الثورى وأصحاب الرأى . وعدة سجود القرآن أربعة عشر عند أكثر أهل العلم منها ثلاث فى المفضل وذهب قوم إلى أنه ليس فى المفضل سجود روى ذلك عن أبى بن كعب وابن عباس وبه قال مالك وقد صح عن أبى هريرة قال « سجدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قرأ وإذا السماء انشقت » وأبو هريرة من متأخري الإسلام . واختلفوا فى سجود صاد فذهب الشافعى إلى أنه سجود شكر ليس من عزائم السجود ويروى ذلك عن ابن عباس وذهب قوم إلى أنه يسجد فيها روى ذلك عن عمر وبه قال سفيان الثورى وابن المبارك وأصحاب الرأى وأحمد وإسحاق ، فعند ابن المبارك وإسحاق وأحمد وجماعة سجود القرآن خمسة عشر سجدة فعند إسحاق وسجدة ص وروى عن عمرو بن العاص « أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ خمسة عشرة

سجدة في القرآن قوله (وجاهدوا في الله حق جهاده) قيل جاهدوا في سبيل الله أعداء الله حق جهاده هو استفراغ الطاقة فيه
قاله ابن عباس وعنه أيضا أنه قال لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما قال تعالى ويجاهدون في سبيل الله ولا يخافون
لومة لائم قال الضحاك ومقاتل عملوا لله حق عمله وعبدوه حق (٢٩) عبادته وقال مقاتل بن سليمان

نسخها قوله «فاتقوا الله
ما استطعتم» وقال أكثر
المفسرين حق الجهاد
أن تكون نيته خالصة
صادقة لله عز وجل وقال
السدي هو أن يطاع فلا
يعصى، وقال عبد الله بن
المبارك هو مجاهدة النفس
والهوى وهو الجهاد
الأكبر وهو حق الجهاد،
وقد روى أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
لما رجع من غزوة تبوك
قال: «رجعنا من الجهاد
الأصغر إلى الجهاد
لأكبر» وأراد بالجهاد
الأصغر الجهاد مع
الكفار والجهاد الأكبر
الجهاد مع النفس (هو
اجتياكم) يعني اختاركم
الدينه (وما جعل عليكم
في الدين من حرج) ضيق
معناه أن المؤمن لا يتلى
بشيء من الذنوب إلا
جعل الله له منه مخرجا
بعضها بالتوبة وبعضها
برد المظالم والقصاص
وبعضها بأنواع الكفارات

سجدتان وبه قال ابن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق، يدل عليه ما روى عن عقبة بن عامر
قال قلت لرسول الله في الحج سجدتان قال نعم ومن لم يسجدهما فلا يقرأهما أخرجه الترمذي
وأبو داود. وعن عمر بن الخطاب أنه قرأ سورة الحج يسجد فيها سجدتين وقال إن هذه السورة
فضلت بسجدتين أخرجه مالك في الموطأ وذهب قوم إلى أن في الحج سجدة واحدة وهي الأولى
ولست هذه بسجدة وهو قول الحسن وسعيد بن المسيب وسعيد بن جبيرة وسفيان الثوري
وأبي حنيفة ومالك بدليل أنه قرن السجود بالركوع فدل ذلك أنها سجدة واحدة صلاة واحدة تلاوة
واختلف العلماء في عدة سجود التلاوة فذهب الشافعي وأحمد وأكثر أهل العلم إلى أنها
أربع عشرة سجدة لكن الشافعي قال في الحج سجدتان وأسقط سجدة ص. وقال أبو حنيفة
في الحج سجدة وأثبت سجدة ص. وبه قال أحمد في إحدى الروايتين عنه فعنده أن السجدات
خمس عشرة سجدة. وذهب قوم إلى أن المفصل ليس فيه سجود يروى ذلك عن أبي بن كعب
وابن عباس وبه قال مالك فعلى هذا يكون سجود القرآن إحدى عشرة سجدة يدل عليه ما روى
عن أبي الدرداء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في القرآن إحدى عشرة سجدة أخرجه أبو داود
وقال إسناده واه. ودليل من قال في القرآن خمس عشرة سجدة ما روى عن عمرو بن العاص قال
«أقرأني رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن خمس عشرة سجدة منها ثلاث في المفصل وفي
سورة الحج سجدتان» أخرجه أبو داود وصح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال «سجدنا
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في القرآن وإذا السماء انشقت» أخرجه مسلم وسجود التلاوة سنة
للقاري والمستمع وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة هو واجب. قوله عز وجل (وما هلكوا
في الله حق جهاده) أي جاهدوا في سبيل الله أعداء الله ومعنى حق جهاده هو استفراغ الطاقة
فيه قاله ابن عباس وعنه أنه قال لا تخافوا في الله لومة لائم فهو حق الجهاد كما تجاهدون في سبيل
الله ولا تخافون لومة لائم وقيل معناه عملوا لله حق عمله وعبدوه حق عبادته قيل نسخها قوله
تعالى «فاتقوا الله ما استطعتم» وقال أكثر المفسرين حق الجهاد أن يكون بنية صادقة خالصة لله
ولتكون كلمة الله هي العليا بدليل قوله صلى الله عليه وسلم «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا
فهو في سبيل الله» أخرجه في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري وقيل مجاهدة النفس والهوى
هو حق الجهاد وهو الجهاد الأكبر روى أن النبي صلى الله عليه وسلم لما رجع من غزوة تبوك قال
«رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» ذكره البغوي بغير سند قيل أراد بالأصغر جراد
الكفار وبالأكبر جهاد النفس (هو اجتياكم) يعني اختاركم لدينه والاشتغال بخدمته وعبادته
وطاعته فأى رتبة أعلى من هذا وأي إعادة فوق هذا (وما جعل عليكم في الدين من حرج)
أي ضيق وشدة وهو أن المؤمن لا يتلى بشيء من الذنوب إلا جعل الله له منه مخرجا بعضها بالتوبة
وبعضها برد المظالم والقصاص وبعضها بأنواع الكفارات من الأمراض والمصائب وغير

فليس في دين الإسلام مالا يجاد العبد سبيلا إلى الخلاص من العقاب فيه، وقيل من ضيق في أوقات فروضكم مثل
هلال شهر رمضان والقدر وقت الحج إذا تيسر ذلك عليكم وسع الله عليكم حتى تتيقنوا وقال مقاتل يعني الرخص عند
الضرورات كقصر الصلاة في السفر والتميم عند فقد الماء وأكل الميتة عند الضرورة والإفطار بالمرض والصلاة قاعدا
عند العجز عن القيام وهو قول الكلبي وروى عن ابن عباس أنه قال الحرج ما كان على بني إسرائيل من الأعمال التي كانت

عليهم وضعها الله عن هذه الأمة (ملة أيكم إبراهيم) يعني كلمة أيكم نصب بنزع حرف الصفة وقيل نصب على الإغراء
يعني اتبعوا ملة أيكم إبراهيم وإنما أمرنا باتباع ملة إبراهيم لأنها داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم . فان قيل فما وجه قوله
ملة أيكم وليس كل المسلمين يرجع نسبهم إلى إبراهيم قيل خاطب به العرب وهم كانوا من نسل إبراهيم وقيل خاطب به
جميع المسلمين وإبراهيم أب لهم (٣٠) على معنى وجوب احترامه وحفظ حقه كما يجب احترام الأب وهو كقوله

تعالى «وأزواجه أمهاتهم»
وقال النبي صلى الله عليه
وسلم «إنما أنا لكم مثل
الوالد» (هو سماكم) يعني
أن الله تعالى سماكم
(المسلمين من قبل) يعني
من قبل نزول القرآن في
الكتب المتقدمة (وفي
هذا) يعني وفي هذا الكتاب
هذا قول أكثر المفسرين
وقال ابن زيد هو يرجع
إلى إبراهيم سماكم المسلمين
في أيامه من قبل هذا
الوقت وفي هذا الوقت
وهو قوله وربنا واجعلنا
مسلمين لك ومن ذريتنا
أمة مسلمة لك (ليكون
الرسول شهيدا عليكم)
يوم القيامة أن قد بلغكم
(وتكونوا) أنتم (شهداء
على الناس) أن رسلهم
قد بلغتهم (فأقيموا
الصلاة وآتوا الزكاة

ذلك فليس في دين الإسلام ما لا يجد العبد فيه سبيلا إلى الخلاص من الذنوب ومن العقاب لمن
وفى وقيل معناه رفع الضيق في أوقات فروضكم مثل هلال شهر رمضان والفطر ووقت الحج إذا
التبس عليكم وسع ذلك عليكم حتى تتيقنوا وقيل معناه الرخص عند الضرورات كقصر الصلاة
والفطر في السفر والتمتع عند عدم الماء أو كل الميتة عند الضرورة والصلاة قاعدا والفطر مع المعجز
بعذر المرض ونحو ذلك من الرخص التي رخص الله لعباده ، قيل أعطى الله هذه الأمة خصتين
لم يعطهما أحدا غيرهم جعلهم شهداء على الناس وما جعل عليهم في الدين من حرج وقال
ابن عباس الحرج ما كان على نبي إسرائيل من الآصار التي كانت عليهم وضعها الله عن
هذه الأمة (ملة أيكم إبراهيم) لأنها داخلة في ملة محمد صلى الله عليه وسلم . فان قلت لم يكن
إبراهيم أباً للأمة كلها فكيف سماه أباً في قوله «ملة أيكم إبراهيم» . قلت إن كان الخطاب
للعرب فهو أو العرب قاطبة وإن كان الخطاب لكل المسلمين فهو أبو المسلمين . والمعنى أن
وجوب احترامه وحفظ حقه يجب كما يجب احترام الأب فهو كقوله «وأزواجه أمهاتهم» وقد
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما أنا لكم كالوالد» وفي قوله (هو سماكم المسلمين من قبل)
قولان أحدهما أن الكناية ترجع إلى الله تعالى يعني أن الله سماكم المسلمين في الكتب القديمة من قبل
نزول القرآن القول الثاني أن الكناية راجعة إلى إبراهيم يعني أن إبراهيم سماكم المسلمين في أيامه من
قبل هذا الوقت وهو قوله «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك» فاستجاب
الله دعاءه فينا (وفي هذا) أي وفي القرآن سماكم المسلمين (ليكون الرسول شهيدا عليكم) أي
يوم القيامة أن قد بلغكم (وتكونوا شهداء على الناس) أي تشهدون يوم القيامة على الأمم أن
رسلهم قد بلغتهم (فأقبوا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله) يعني تقوا به وتوكلوا عليه
وقيل تمسكوا بدين الله . وقال ابن عباس سلوا ربكم أن يعصمكم من كل ما يكره وقيل معناه
ادعوا ربكم أن يثبتكم على دينه وقيل الاعتصام هو التمسك بالكتاب والسنة (هو مولاكم)
يعني وليكم وناصركم وحافظكم (فنعم المولى ونعم النصير) أي الناصر لكم والله
تعالى أعلم .

(تفسير سورة المؤمنين)

وهي مكية وهي مائة وثمان عشرة آية وألف وثمانمائة وأربعون كلمة وأربعة آلاف
وثمانمائة حرف وحرفان .

(بسم الله الرحمن الرحيم)

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه
الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل فانزل الله عليه يوما فكث ساعة ثم سرى عنه

واعتصموا بالله) تقوا
بالله وتوكلوا عليه قال
الحسن تمسكوا بدين الله
وروى عن ابن عباس قال
سلوا ربكم أن يعصمكم
من كل ما يكره ، وقيل

معناه ادعوه ليثبتكم على دينه وقيل الاعتصام بالله هو التمسك بالكتاب والسنة (هو مولاكم) وليكم
وناصركم وحافظكم (فنعم المولى ونعم النصير) الناصر لكم . (سورة المؤمنون) مكية وهي مائة وتسع عشرة آية
(بسم الله الرحمن الرحيم) أخبرنا أبو حامد أحمد بن عبد السلام الصالحى أنا أحمد بن الحسين الخبزي أنا حاجب بن أحمد الطومني
أنا محمد بن حماد أنا عبدالرزاق أنا يونس بن سليمان قال أملى على يونس صاحب أبيه عن ابن هشام عن عمرو بن الزبير عن

عبد الرحمن بن عبد القاري قال سمعت عمر بن الخطاب يقول: كان إذا نزل على النبي ﷺ الوحي يسمع عند وجهه دوي كدوي النحل فكنا ساعة وفي رواية فنزل عليه يوما فكنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا ثم قال لقد أنزل على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد أفلح المؤمنون إلى عشر آيات ورواه أحمد بن حنبل وعلى بن المديني وجماعة عن عبد الرزاق وقالوا وأعطنا ولا تحرمنا وأرضنا وارض عنا (قد أفلح المؤمنون) قد حرفت تأكيد وقال المحققون قد بقرب الماضي من الحال يدل على أن الفلاح قد حصل لهم وأنهم عليه في الحال وهو أبلغ من تجريد ذكر الفعل والفلاح النجاة والبقاء. قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة (الذين هم في صلاتهم خاشعون) اختلفوا في معنى الخشوع فقال ابن عباس يحبون أذلاء وقال الحسن وقتادة خائفون وقال مقاتل متواضعون وقال مجاهد (٣١) هو غرض البصر وتخفيض الصوت

فقرأ قد أفلح المؤمنون إلى عشر آيات من أولها وقال من أقام هذه العشر آيات دخل الجنة ثم استقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم زدنا ولا تنقصنا وأكرمنا ولا تهنا وأعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا اللهم أرضنا وارض عنا أخرجه الترمذي. قوله عز وجل (قد أفلح المؤمنون) قال ابن عباس قد سعد المصدقون بالتوحيد وبقوا في الجنة وقيل الفلاح البقاء والنجاة (الذين هم في صلاتهم خاشعون) قال ابن عباس يحبون أذلاء خاضعون وقيل خائفون وقيل متواضعون وقيل الخشوع من أفعال القلب كالخوف والرغبة وقيل هو من أفعال الجوارح كالسكون وترك الالتفات وغرض البصر وقيل لا بد من الجمع بين أفعال القلب والجوارح وهو الأولى فالخاشع في صلاته لا بد وأن يحصل له الخشوع في جميع الجوارح ، فأما ما يتعلق بالقلب من الأفعال فنهاية الخشوع والتذلل للعبود ولا يلتفت الحاطر إلى شيء سوى ذلك التعظيم وأما ما يتعلق بالجوارح فهو أن يكون ساكنا مطرقا ناظرا إلى موضع سجوده وقيل الخشوع هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله (ق) عن عائشة قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد ، الاختلاس هو الاختطاف عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ولا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه وفي رواية أعرض عنه أخرجه أبو داود والترمذي وقيل الخشوع هو أن لا يرفع بصره إلى السماء (خ) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لنخطفن أبصارهم ، وقال أبو هريرة كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزل الذين هم في صلاتهم خاشعون رمقوا بأبصارهم إلى موضع السجود وقيل الخشوع هو أن لا يعث بشيء من جسده

والخشوع قريب من الخضوع إلا أن الخضوع في البدن والخشوع في القلب والبسر والصوت قال الله عز وجل وخفضت الأصوات للرحمن وعن علي رضي الله عنه هو أن لا يلتفت يمينا ولا شمالا وقال سعيد بن جبير هو أن لا يعرف من على يمينه ولا من على شماله ولا يلتفت من الخشوع لله عز وجل. أخرجه عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل حدثنا مسدد أنا أبو الأحوص أنا أشعث بن سليم عن أبيه عن مسروق عن عائشة قالت سألت رسول الله

ﷺ عن الالتفات في الصلاة فقال هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد وأخبرنا أبو الحسن المرحسي أنا أبو علي زاهر بن أحمد أنا أبو الحسن القاسم بن بكر القفيا لـ ببغداد أنا أبو آية محمد بن إبراهيم الطرسوسي أنا عبد الغفار بن عبيد الله أنا صالح بن أبي الأخضر عن الزهري عن أبي الأحوص عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ولا يزال الله مقبلا على العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه وقال عمرو بن دينار هو السكون وحسن الهيئة وقال ابن سيرين وغيره هو أن لا يرفع بصره عن موضع سجودك وقال أبو هريرة وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم إلى السماء في الصلاة فلما نزل الذين هم في صلاتهم خاشعون رمقوا بأبصارهم إلى موضع السجود ، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا علي بن عبد الله أنا يحيى بن سعيد أنا ابن أبي عروبة أنا قتادة أن أنس بن مالك حدثهم قال قال النبي صلى الله عليه وسلم ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم فاشتد قوله في ذلك حتى قال لينتهن عن ذلك أو لنخطفن أبصارهم ، وقال عطاء هو أن لا تعث بشيء من جسده في الصلاة

وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا يعث بلحيتته في الصلاة فقال بوشع قلب هذا خشعت جوارحه الخبر
 أبو عثمان الضبي أنا أبو محمد الجراحي أنا أبو العباس المحبوبي أنا أبو عيسى الترمذي أنا سعيد عن عبد الرحمن المخزومي أنا سفيان
 ابن عيينة عن الزهري عن أبي الأحوص عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسخ
 الخصى فإن الرحمة تواجهه » وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع المهمة والإعراض ١٤ سواها والتدبر فيها يجري على لسانه من
 القراءة والذكر . قوله تعالى (والذين هم عن اللغو معرضون) قال عطاء عن ابن عباس عن الأشرك وقال الحسن عن المعاصي
 وقال الزجاج عن كل باطل وهو وما لا يعمل من القول والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب قال الله تعالى
 « وإذا مروا باللغو مروا كراما » أي (٣٣) إذا سمعوا الكلام القبيح أكرموا أنفسهم عن الدخول فيه (والذين هم

لذكاة فاعلون) أي
 لذكاة الواجبة . مؤدون
 فعبر عن التأدية بالفعل
 لأنها فعل . وقيل الزكاة
 هاهنا هو العدل الصالح
 أي والذين هم للعدل
 الصالح فاعلون (والذين
 هم لقروجهم حافظون)
 القرج اسم يجمع سواة
 الرجل والمرأة وحفظ
 القرج التعفف عن الحرام
 (إلا على أزواجهم)
 أي من أزواجهم وعلى
 معنى من (أو مملكت
 أيانهم) أي على الخفض
 والآية في الرجال خاصة
 بدليل قوله « أو مملكت
 أيانهم » والمرأة لا يجوز
 أن تستمتع بفرج مملوكها
 (فانهم غير ملومين) يعني
 يحفظ فرجه إلا من امرأته

في الصلاة لما روى « أن النبي صلى الله عليه وسلم أبصر رجلا يعث بلحيتته في الصلاة فقال لو
 خشع قلب هذا خشعت جوارحه » ذكره البيهقي وغيره . عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال « إذا قام أحدكم إلى الصلاة فلا يمسخ الخصى فإن الرحمة تواجهه » أخرجه أبو داود
 والترمذي والنسائي وقيل الخشوع في الصلاة هو جمع المهمة والإعراض ١٤ سوى الله والتدبر
 فيها يجري على لسانه من القراءة والذكر . قوله تعالى (والذين هم عن اللغو معرضون)
 قال ابن عباس عن الأشرك وقيل عن المعاصي وقيل هو كل باطل وهو وما لا يعمل من القول
 والفعل وقيل هو معارضة الكفار بالشتم والسب (والذين هم للزكاة فاعلون) أي الزكاة الواجبة
 مؤدون فعبر عن التأدية بالفعل لأنها فعل وقيل الزكاة هاهنا هي العدل الصالح والأول أولى
 (والذين هم لقروجهم حافظون) القرج اسم لسواة الرجل والمرأة وحفظه التعفف عن الحرام
 (إلا على أزواجهم) على معنى من (أو مملكت أيانهم) يعني الإمام والجواري والآية في الرجال
 خاصة لأن المرأة لا يجوز لها أن تستمتع بفرج مملوكها (فانهم غير ملومين) يعني بعدم حفظ
 فرجه من امرأته وأمه فانه لا يلام على ذلك وإنما لا يلام فيها إذا كان على وجهه أذن فيه الشرع
 دون الإتيان في غير المأني وفي حال الحيض والنفاس فانه محظور فلا يجوز ومن فعله فانه ملوم
 (فن ابتغى وراء ذلك) أي التمس وطلب سوى الأزواج والولائد وهن الجوارى المملوكة
 (فأولئك هم العادون) أي الظالمون المتجاوزون الحد من الحلال إلى الحرام وفيه دليل على أن
 الاستمتاع باليد حرام وهو قول أكثر العلماء سئل عطاء عنه فقال مكروه سمعت أن قوما
 يحشرون وأيديهم حبالى فأظن أنهم هؤلاء وقال سعيد بن جبیر عذب الله أمة كانوا يعبتون
 بهذا كبيرهم . قوله عز وجل (والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون) أي حافظون بحفظون
 ما ائتمنوا عليه والعقود التي عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها . والأمانات تختلف فمنها
 ما يكون بين العبد وبين الله تعالى كالصلاة والصوم وغسل الجنابة وسائر العبادات التي أوجبها
 الله تعالى على العباد فيجب الوفاء بجميعها ومنها ما يكون بين العباد كالأودائع والصنائع والأسرار

أو أمته فانه لا يلام على ذلك وإنما الإيلاء فيها إذا كان على وجهه أذن فيه الشرع دون الإتيان
 في غير المأني وفي حال الحيض والنفاس فانه محظور وهو على فعله ملوم (فن ابتغى وراء ذلك) أي التمس وطلب سوى
 الأزواج والولائد المملوكة (فأولئك هم العادون) الظالمون المتجاوزون من الحلال إلى الحرام وفيه دليل على أن الاستمتاع باليد
 حرام وهو قول أكثر العلماء قال ابن جريح سألت عطاء عنه فقال مكروه سمعت أن قوما يحشرون وأيديهم حبالى فأظن
 أنهم هؤلاء وعن سعيد بن جبیر قال عذب الله أمة كانوا يعبتون بهذا كبيرهم (والذين هم لأماناتهم) قرأ ابن كثير لأمانتهم
 على التوحيد هاهنا وفي سورة الماعز كقولهم تعالى وعهدهم والباقيون بالجمع كقوله عز وجل « إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات
 إلى أهلها (وعهدهم راعون) حافظون أي يحفظون ما ائتمنوا عليه والعقود التي عاقدوا الناس عليها يقومون بالوفاء بها
 والأمانات تختلف فتكون بين الله تعالى وبين العباد كالصلاة والصيام والعبادات التي أوجبها الله عليه ويكون من العيب

كالودائع والصنائع فعل العبد الوفاء بجزئها (والدين هم على صلواتهم) قرأ حمزة والكسائي صلواتهم على التوحيد والآخرين صلواتهم على الجمع (بمخافون) أي يداومون على حفظها وبراعون أوقاتها ككرر ذكر الصلاة ليبين أن المحافظة عليها واجبة كما أن الخشوع فيها واجب (أولئك) أهل هذه الصفة (هم الوارثون) يرثون منازل أهل النار من الجنة. وروى عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى: أولئك هم الوارثون» وقال مجاهد لكل واحد منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فأما المؤمن فيبني منزله الذي له في الجنة ويهدم منزله الذي له في النار، وأما الكافر

فيهدم منزله الذي في الجنة ويبني منزله الذي في النار، وقال بعضهم معنى الوراثة هو أنه يتول أمرهم إلى الجنة وينالونها كما يتول أمر الميراث إلى الوارث قوله تعالى (الذين يرثون الفردوس) وهو أعلى الجنة قد ذكرناه في سورة الكهف (هم فيها خالدون) لا يموتون ولا يخرجون وجاء في الحديث «إن الله تعالى خلق ثلاثة أشياء بيده خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزني لا يدخلها مدمن خمر ولا ديوث» وقوله عز وجل (ولقد خلقنا الإنسان) يعني ولد آدم والإنسان) يعني ولد آدم والجنس يقع على الواحد والجمع (من سلالة)

وغير ذلك فيجب الوفاء به أيضا (والدين هم على صلواتهم بمخافون) أي يداومون وبراعون أوقاتها وإتمام أركانها وركوعها وسجودها وسائر شروطها. فإن قلت كيف ككرر ذكر الصلاة أولا وآخرا. قلت هما ذكران مختلفان فليس تكرارا وصفهم أولا بالخشوع في الصلاة وآخرا بالمحافظة عليها. قوله عز وجل (أولئك) يعني أهل هذه الصفة (هم الوارثون) يعني يرثون منازل أهل النار من الجنة. عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ما منكم من أحد إلا وله منزلان منزل في الجنة ومنزل في النار فمن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله وذلك قوله تعالى: أولئك هم الوارثون» ذكره البغوي بغير سند وقيل معنى الوراثة هو أن يتول أمرهم إلى الجنة وينالونها كما يتول أمر الميراث إلى الوارث (الذين يرثون الفردوس) هو أعلى الجنة. عن عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض والفردوس أعلىها درجة ومنها تفجر أنهار الجنة الأربعة من فوقها يكون العرش فإذا سألت الله فاسأله الفردوس» أخرجه الترمذي (هم فيها خالدون) أي لا يخرجون منها ولا يموتون. قوله عز وجل (ولقد خلقنا الإنسان) يعني ولد آدم الإنسان اسم جنس (من سلالة من طين) قال ابن عباس السلالة صفوة الماء وقيل هي المنى لأن النطفة تسيل من الظهر من طين يعني طين آدم لأن السلالة تولدت من طين خلق منه آدم وقيل المراد من الإنسان هو آدم، وقوله من سلالة أي سل من كل تربة (ثم جعلناه نطفة) يعني الذي هو الإنسان جعلناه نطفة (في قرار مكين) أي حرير وهو الرحم وسمى مكينا لاستقرار النطفة فيه إلى وقت الولادة (ثم خلقنا النطفةعلقة) أي صيرنا النطفة قطعة دم جامد (فخلقناعلقة مضغة) أي جعلنا الدم الجامد قطعة لحم صغيرة (فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما) وذلك لأن اللحم يستر العظم فجعله كالسكوة له. قيل إن بين كل خلق وخلق أربعين يوما (ثم أنشأناه خلقا آخر) أي مابيننا للخلق الأول قال ابن عباس هو نفع الروح فيه وقيل جعله حيوانا بعد ما كان جمادا وناطقا بعدما كان أبكم وسميعا وكان أصم وبصيرا وكان أكمه وأودع باطنه وظاهره عجائب صنعه وعرايب فطره وعن ابن عباس قال إن ذلك تصريف أحواله بعد الولادة من الاستهلال إلى الرضاع إلى الفطام والقيام إلى المشي إلى الفطام إلى أن يأكل ويشرب إلى أن

(٥ - خازن بالبغوي - خامس) روى عن ابن عباس أنه قال السلالة صفوة الماء. وقال مجاهد مني بني آدم. وقال عكرمة هو ماء يسيل من الظهر والعرب تسمى النطفة سلالة والولد سليل وسلالة لأنهما مساويان منه قوله (من طين) يعني طين آدم والسلالة تولدت من طين خلق آدم منه قال الكلبي من نطفة سلت من طين والطين آدم عليه السلام وقيل المراد من الإنسان هو آدم وقوله من سلالة أي سل من كل تربة (ثم جعلناه نطفة) يعني الذي هو الإنسان جعلناه نطفة (في قرار مكين) حرير وهو الرحم مكن وهي لاستقرارها فيه إلى بلوغ أمدها (ثم خلقنا النطفةعلقة) فخلقناعلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما) قرأ ابن عامر وأبو بكر عظاما فكسونا العظم بسكون الظاء على التوحيد. فيهما وقرأ الآخرون بالجمع لأن الإنسان ذو عظام كثيرة وقيل بين كل خلقين أربعين عاما (فكسونا العظام لحما) أي ألبنا (ثم أنشأناه خلقا آخر) اختلف

المفسرون فيه فقال ابن عباس ومجاهد والشعبي وعكرمة والضحاك وأبو العالية هو نفع الروح فيه وقال قتادة نبات الأسنان والشعر وروى ابن جريج عن مجاهد أنه استواء الشباب وعن الحسن قال ذكرا أو أنثى وروى العوفي عن ابن عباس أن ذلك تصرف أحواله بعد الولادة من الاستهلال إلى الارتضاع إلى القعود إلى القيام إلى المشي إلى النظام إلى أن يأكل ويشرب إلى أن يبلغ الحلم ويتقلب في البلاد إلى ما بعدها (فتبارك الله) أي استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال (أحسن الخالقين) المصورين والمقدرين . والخلق في اللغة التقدير وقال مجاهد يصنعون ويصنع الله والله خير الصانعين يقال رجل خالق أي صانع وقال ابن جريج إنما جمع الخالقين لأن عيسى كان يخلق كما قال «إني أخلق لكم من الطين» فأخبر الله عن نفسه بأنه أحسن الخالقين (٣٤) (ثم إنكم بعد ذلك لميتون) والميت بالتشديد والمائت الذي لم يميت

بعد وميموت والميت بالتخفيف من مات ولذلك لم يجز التخفيف هاهنا كقوله وإنك ميت وإنهم ميتون، (ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أي سبع سموات سميت طرائق لتطارقها وهو أن بعضها فوق بعض يقال طارقت النعل إذا جمعت بعضه فوق بعض وقيل سميت طرائق لأنها طرائق الملائكة (وما كنا عن الخلق غافلين) أي كنا لهم حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم كما قال الله تعالى «وإن الله عز وجل» قوله عز وجل (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) يعني سبع سموات طرائق لأن بعضها فوق بعض وقيل لأنها طرائق الملائكة في الصعود والهبوط (وما كنا عن الخلق غافلين) يعني بل كنا لهم حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم وقيل معناه بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ما تركناهم سدى بغير أمر ونهى وقيل معناه إنما خلقنا السماء فوقهم لتنزل عليهم الأرزاق والبركات منها وقيل معناه وما كنا عن الخلق غافلين أي عن أعمالهم وأقوالهم وضيأئهم لا نحفي علينا خافية (وأزلنا من السماء ماء بقدر) أي يعلمه الله من حاجتهم إليه وقيل بقدر ما يكفيهم لمعايشهم في الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة (فأسكناهم في الأرض) يعني ما بين في الغدران والمستنقعات مما ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر وقيل أسكناهم في الأرض ثم أخرجناهم منها ينابيع كالعيون والآبار فكل ماء في الأرض من السماء (وإننا على ذهاب به لقادرون) وصح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة أخرجه مسلم . وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزدا الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل

بيلع الحلم ويتقلب في البلاد إلى ما بعدها (فتبارك الله) أي استحق التعظيم والثناء بأنه لم يزل ولا يزال (أحسن الخالقين) أي المصورين والمقدرين . فإن قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى «الله خالق كل شيء» وقوله «هل من خالق غير الله؟» قلت الخلق له معان : منها الإيجاد والإبداع ولا موجد ولا مبدع إلا الله تعالى . ومنها التقدير كما قال الشاعر :
ولأنت تفرى ما خلقت وبه ض القوم يخلق ثم لا يفرى
معناه أنت تقدر الأمور وتقطعها وغيرك لا يفعل ذلك فعلى هذا يكون معنى الآية الله أحسن المقدرين . وجواب آخر وهو أن عينى عليه الصلاة والسلام خلق طيرا وسمى نفسه خالقا بقوله «إني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير» فقال «فتبارك الله أحسن الخالقين» (ثم إنكم بعد ذلك) أي بعد ما ذكر من تمام الخلق (لميتون) أي عند انقضاء آجالكم (ثم إنكم يوم القيامة تبعثون) أي للخصاب والجزاء . قوله عز وجل (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) يعني سبع سموات طرائق لأن بعضها فوق بعض وقيل لأنها طرائق الملائكة في الصعود والهبوط (وما كنا عن الخلق غافلين) يعني بل كنا لهم حافظين من أن تسقط السماء عليهم فتهلكهم وقيل معناه بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب وقيل ما تركناهم سدى بغير أمر ونهى وقيل معناه إنما خلقنا السماء فوقهم لتنزل عليهم الأرزاق والبركات منها وقيل معناه وما كنا عن الخلق غافلين أي عن أعمالهم وأقوالهم وضيأئهم لا نحفي علينا خافية (وأزلنا من السماء ماء بقدر) أي يعلمه الله من حاجتهم إليه وقيل بقدر ما يكفيهم لمعايشهم في الزرع والغرس والشرب وأنواع المنفعة (فأسكناهم في الأرض) يعني ما بين في الغدران والمستنقعات مما ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر وقيل أسكناهم في الأرض ثم أخرجناهم منها ينابيع كالعيون والآبار فكل ماء في الأرض من السماء (وإننا على ذهاب به لقادرون) وصح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة أخرجه مسلم . وعن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزدا الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل

غافلين أي بنينا فوقهم سماء أطلعنا فيها الشمس والقمر والكواكب (وأزلنا من السماء ماء بقدر) درجة

يعلمه الله قال مقاتل بقدر ما يكفيهم للعيشة (فأسكناهم في الأرض) يريد ما بين في الغدران والمستنقعات ينتفع به الناس في الصيف عند انقطاع المطر وقيل فأسكناهم في الأرض ثم أخرجناهم منها ينابيع فماء الأرض كله من السماء (وإننا على ذهاب به لقادرون) حتى تملكوا عطشا وتهلك مواشيكم وتخرب أراضيتكم ، وفي الخبر «إن الله عز وجل أنزل أربعة أنهار من الجنة سيحان وجيحان ودجلة والفرات» وروى مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال «إن الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله عز وجل من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل استودعها الله الجبال وأجرها في الأرض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله

عز وجل وأزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض فإذا كان عند خروج يا جوج وما جوج أرسل الله جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فيرفع كل ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى وإنا على ذهاب به لقادرون فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فند أهلها خير الدين والدنيا وروى هذا الحديث الإمام الحسن بن سفيان عن عثمان بن سعيد بالإجازة عن سعيد بن سابق الإسكندراني عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان قوله تعالى (فأنشأنا لكم به) يعني بالماء (جنات من نخيل وأعناب لكم فيها) في الجنات (فواكه كثيرة ومنها تأكلون) شتاء وصيفا وخصص النخيل والأعناب بالذكر لأنها أكثر فواكه العرب (وشجرة) أي وأنشأنا لكم شجرة (تخرج من طور سيناء) وهي الزيتون قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو سيناء (٣٥) بكسر السين وقرأ الآخرون

بفتحها . واختلفوا في معناه وفي سين في قوله تعالى وطور سينين قال مجاهد معناه البركة أي من جبل مبارك وقال قتادة معناه الحسن أي من الجبل الحسن وقال الضحاك هو بالنيطة ومعناه الحسن وقال عكرمة هو بالحشية وقال الكلبي معناه الشجر أي جبل ذو شجر ، وقيل هو بالسرانية الملتصقة بالأشجار وقال مقاتل كل جبل فيه أشجار مشرفة فهو سين وسينين بلغة النبط قيل هو فيعال من السناء وهو الارتفاع قال ابن زيد هو الجبل الذي نودي منه موسى بين مصر وأيلة . وقال مجاهد سيناً اسم حجارة بعينها

درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها الجبال وأجرها في الأرض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله وأزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض فإذا كان عند خروج يا جوج وما جوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فيرفع كل ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى وإنا على ذهاب به لقادرون فإذا رفعت هذه الأشياء كلها من الأرض فقد أهلها خير الدين والدنيا وروى هذا الحديث البيهقي في تفسيره وقال روى هذا الحديث الإمام الحسن بن سفيان بن عثمان بن سعيد بالإجازة عن سعيد بن سابق الإسكندراني عن مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس ثم ذكر ما أنهت بالماء فقال تعالى (فأنشأنا لكم به) أي بالماء (جنات) أي بساتين (من نخيل وأعناب) إنما أفردهما بالذكر لكثرة منافعهما فاتهما يقومان مقام الطعام والادام والفواكه رطباً وبابسا (لكم فيها) أي في الجنات (فواكه كثيرة ومنها تأكلون) أي شتاء وصيفا (وشجرة) أي وأنشأنا لكم شجرة وهي الزيتون (تخرج من طور سيناء) أي من جبل مبارك وقيل من جبل حسن قيل هو بالنيطة وقيل بالحشية وقيل بالسرانية ومعناه الجبل الملتصق بالأشجار وقيل كل جبل فيه أشجار مشرفة يسمى سيناً وسينين وقيل هو من السناء وهو الارتفاع وهو الجبل الذي منه نودي موسى بين مصر وأيلة وقيل هو جبل فلسطين وقيل سيناء اسم حجارة بعينها أضيف الجبل إليها لوجودها عنده وقيل هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل (تنتبت بالدهن) أي تثبت وفيها الدهن وقيل تثبت بثمر الدهن وهو الزيت (وصبغ للآكلين) الصبغ الأدام الذي يكون مع الخبز ويصبغ به جعل الله في هذه الشجرة المباركة أداماً وهو الزيتون ودهناً وهو الزيت وخصص جبل الطور بالزيتون لأنه منه نشأ وقيل إن أول شجرة تثبت بعد الطوفان الزيتون وقيل

أضيف الجبل إليها لوجودها عنده وقال عكرمة هو اسم المكان الذي فيه هذا الجبل (تنتبت بالدهن) قرأ ابن كثير وأهل البصرة ويعقوب تثبت بضم التاء وكسر الباء وقرأ الآخرون بفتح التاء وضم الباء فمن قرأ بفتح التاء فمعناه تثبت بثمر الدهن وهو الزيتون وقيل تثبت ومعها الدهن ومن قرأ بضم التاء اختلفوا فيه فمنهم من قال الباء زائدة معناه تثبت الدهن كما يقال : أخذت ثوبه وأخذت بثوبه ومنهم من قال نبت وأنبت لغتان بمعنى واحد كما قال زهير :

رأيت ذوى الحاجات حول بيوتهم قطيبتا ثم حتى إذا أنبت البقل

أي تثبت (وصبغ للآكلين) الصبغ والصبغ الإدام الذي يلون الخبز إذا غرس فيه وينصبغ والإدام كل ما يؤكل مع الخبز سواء ينصبغ به الخبز أو لا يصبغ قال مقاتل جعل الله في هذه الشجرة أداماً ودهناً فالأدام الزيتون والدهن الزيت وقال خص الطور بالزيتون لأن أول الزيتون نبت بها ويقال لأن الزيتون أول شجرة نبتت في الدنيا بعد الطوفان . قوله سبحانه

تعالى (وإن لكم في الأنعام لعبرة) يعني آية تعتبرون بها (نسقيكم) قرأ العامة بالتون وقرأ أبو جعفر هاهنا بالتاء وفتحها ،
 عما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون وعليها وعلى الفلك تحملون) يعني على الإبل في البر وعلى الفلك في البحر
 (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله وخذوه (مالكم من إله غيره) معبود سواه (أفلا تتقون) أفلا تخافون
 عقوبته إذا عبدتم غيره (فقال الملأ الذين كفرُوا من قومه مهلكتهم يومئذ إلا بشر مثلكم يريد أن يتفضل عليكم)

لأنها تبقى في الأرض نحو ثلاثة آلاف سنة . قوله عز وجل (وإن لكم في الأنعام لعبرة) أي آية
 تعتبرون بها (نسقيكم بما في بطونها) أي ألبانها ووجه الاعتبار فيه أن اللبن يخلص إلى الضرع
 من بين فرث ودم باذن الله تعالى ليس فيه مناس شيء فيستحيل إلى الطهارة وإلى طعم يوافق
 الشهوة والطبع ويصير غذاء ، وتقدم بسط الكلام بما فيه كفاية في سورة النحل (ولكم فيها
 منافع كثيرة ومنها تأكلون) يعني كما تنتفعون بها وهي حبة فكذلك تنتفعون بها بعد الذبح
 للأكل (وعليها) أي وعلى الإبل (وعلى الفلك تحملون) أي على الإبل في البر وعلى السفن
 في البحر . قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره)
 أي مالكم معبود سواه (أفلا تتقون) أي أفلا تخافون عقابه إذا عبدتم غيره (فقال الملأ الذين كفرُوا
 من قومه مهلكتهم يومئذ إلا بشر مثلكم) أي آدمي مثلكم مشارك لكم في جميع الأمور (يريد أن يتفضل
 عليكم) أي لأنه يحب الشرف والرياسة فيصير متبوعا وأنتم له تبع (ولو شاء الله لآزر ملائكة) يعني
 بإبلاغ الوحي (ما سمعنا بهذا) يعني الذي يدعوننا إليه نوح (في آياتنا الأولى) وقيل
 ما سمعنا بهذا أي بإرسال بشر رسولا (إن هو إلا رجل به جنة) يعني جنون (فربصوا به حتى حين)
 يعني حتى إلى أن يموت (فاسترجموه) أي قتلوه (فاسترجموه) قال رب انصرفي
 بما كذبون) يعني أعني بأهلاكم بتكذيبهم إياي (فأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا) يعني
 بمراي منا قاله ابن عباس وقيل بعلمنا وحفظنا لئلا يتعرض له أحد ولا يفسد عليه عمله
 (ووحينا) قيل إن جبريل علمه عمل السفينة ووصف له كيفية اتخاذها (فإذا جاء أمرنا) يعني
 عذابنا (وفار التنور) قيل هو التنور الذي يخز فيه وكان من حجارة ، وقيل التنور هو وجه
 الأرض والمعنى أنك إذا رأيت الماء بفقور من التنور (فاسلك فيها) يعني فأدخل في السفينة (من
 كل زوجين اثنين) يعني من كل حيوان ذكر وأنثى (وأهلك) يعني وسأر من آمن بك (إلا
 من سبق عليه القول) يعني وجب عليه العذاب (منهم) يعني الكفار وقيل أراد بأهله أهل
 بيته خاصة والذي سبق عليه القول منهم هو ابنه كنعان (ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم
 مغرورون) قوله عز وجل (فإذا استويت) يعني اعتدلت (أنت ومن معك على الفلك) يعني
 في السفينة (فقل الحمد لله الذي نجانا من القوم الظالمين) يعني الكافرين (وقل رب أنزلني منزلا
 مباركا) قيل موضع النزول وهو السفينة عند الركوب وقيل هو وجه الأرض بعد الخروج من
 السفينة وأراد بالبركة النجاة من العرق وكثرة النسل بعد الإنجاء (وأنت خير المنزلين) معناه
 أنه قد يكون الإنزال من غير الله كما يكون من الله فحسن أن يقول وأنت خير المنزلين لأنه
 يحفظ من أنزله ويكأؤه في سائر أحواله ويدفع عنه المكروه بخلاف منزل الضيف فإنه لا يقدر
 على ذلك (إن في ذلك) يعني الذي ذكر من أمر نوح والسفينة وإهلاك أعداء الله (لآيات)

يعني بشرفه بأن يكون
 له الفضل عليكم فيصير
 متبوعا وأنتم له تبع
 (ولو شاء الله) أن
 لا يعبد سواه (لأنزل
 ملائكة) يعني بإبلاغ
 الوحي (ما سمعنا بهذا)
 الذي يدعوننا إليه نوح
 (في آياتنا الأولى) وقيل
 ما سمعنا بهذا أي بإرسال
 بشر رسولا (إن هو إلا
 رجل به جنة) يعني جنون
 (فربصوا به حتى حين)
 يعني إلى أن يموت
 (فاسترجموه) قال رب
 انصرفي بما كذبون)
 يعني أعني بأهلاكم
 لتكذيبهم إياي (فأوحينا
 إليه أن اصنع الفلك
 بأعيننا ووحينا فإذا جاء
 أمرنا وفار التنور فاسلك
 فيها) أدخل فيها . يقال
 سلكته في كذا وأسلكته
 فيه (من كل زوجين
 اثنين وأهلك إلا من سبق
 عليه القول منهم) يعني
 من سبق عليه الحكم
 بالهلاك (ولا تخاطبني

في الذين ظلموا إنهم مغرورون فإذا استويت) أنت ومن معك على الفلك فقل الحمد لله الذي نجانا من
 لاقوم الظالمين) يعني الكافرين (وقل رب أنزلني منزلا مباركا) قرأ أبو بكر عن عاصم منزلا يفتح الميم وكسر الزاي أي يريد
 موضع النزول قيل هذا هو السفينة بعد الركوب وقيل هو الأرض بعد النزول ويحتمل أنه أراد في السفينة ويحتمل بعد
 الخروج . وقرأ الباقون منزلا بضم الميم وفتح الزاي أي إنزالا مباركا فالبركة في السفينة النجاة وفي النزول بعد الخروج كثرة
 النسل من أولاده الثلاثة (وأنت خير المنزلين) يعني الذي ذكرت من أمر نوح والسفينة وإهلاك أعداء الله (لآيات)

لدلالات على قدرته (وإن كنا لمبتلين) يعني وقد كنا وقيل وما كنا إلا مبتلين أي مختبرين إياهم بإرسال نوح ووعظه وتذكيره
 لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم (ثم أنشأنا من بعدهم) من بعد إهلاكهم (قرنا آخرين فأرسلنا فيهم رسولا
 منهم) يعني هودا وقومه وقيل صالحا وقومه و لأول أظهر (أن اعبدوا الله مالكم من إله غيره أفلا تتقون وقال الملأ من قومه
 الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة) أي المصير إلى الآخرة (وأنرفناهم) نعمناهم ووضعنا عليهم (في الحياة الدنيا ما هذا إلا
 بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) يعني مما تشربون منه (ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون)
 لغبونون (أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون) من قبوركم أحياء وأعاد إليكم لما طال الكلام ومعنى الكلام
 أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما مخرجون وكذلك هو في قراءة عبدالله (٣٧) نظيره في القرآن وألم يعلموا أنه

من محادد الله ورسوله
 فان له نار جهنم خالدا
 فيها (هيئات هيئات
 لما توعدون) قال ابن
 عباس هي كلمة بعد أي
 بعيد ما توعدن قرأ
 أبو جعفر هيئات هيئات
 بكسر التاء وقرأ نصر
 ابن عاصم بالضم وكلها
 لغات صحيحة فمن نصب
 جعله مثل أن وكيف
 ومن رفع جعله مثل منذ
 وقط وحيث ومن كسر
 جعله مثل أمس وهؤلاء
 ووقف عليها أكثر القراء
 بالتاء وروى عن الكسائي
 الوقف عليها بالهاء (إن
 هي) يعنون الدنيا (إلا
 حياتنا الدنيا نموت ونحيا)
 قبل فيه تقديم وتأخير أي
 نحيا ونموت لأنهم كانوا

يعني دلالات على قدرتنا (وإن كنا) يعني وما كنا (لمبتلين) يعني إلا مختبرين إياهم بإرسال نوح
 ووعظه وتذكيره لننظر ما هم عاملون قبل نزول العذاب بهم . قوله تعالى (ثم أنشأنا من بعدهم)
 يعني من بعد إهلاكهم (قرنا آخرين) يعني عادا (فأرسلنا فيهم رسولا منهم) يعني هودا وله
 أكثر المفسرين وقيل القرن ثمود والرسول صالح والأول أصح (أن اعبدوا الله مالكم من إله
 غيره أفلا تتقون) يعني هذه الطريقة التي أنتم عليها مخافة العذاب (وقال الملأ من قومه الذين
 كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة) يعني بالمصير إليها (وأنرفناهم) يعني نعمناهم ووضعنا عليهم
 (في الحياة الدنيا ما هذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون) يعني من
 مشريكم (ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون) يعني لغبونون (أيعدكم أنكم إذا متم
 وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون) يعني من قبوركم أحياء (هيئات هيئات) قال ابن عباس أي
 بعيد بعيد (لما توعدون) استبعد القوم بعثهم بعد الموت إغفالا منهم للتذكر في بدء أمرهم وقدره
 الله على إيجادهم وأرادوا بهذا الاستبعاد أنه لا يكون أبدا (إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا)
 قيل معناه نحيا ونموت لأنهم كانوا ينكرون البعث وقيل يموت الآباء ونحيا الأبناء وقيل معناه
 يموت قوم ونحيا قوم (وما نحن بمبعوثين) يعني بعد الموت (إن هو) يعنون رسوله (إلا رجل
 أفترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين) يعني بمصدقين بالبعث بعد الموت (قال رب انصرني
 بما كذبون قال عما قليل ليصبحن) يعني ليصيرن (نادمين) على كفرهم وتكذيبهم (فأخذتهم
 الصيحة بالحق) يعني صيحة العذاب وقيل صاح بهم جبريل فتصدعت قلوبهم وقيل أراد
 بالصيحة الهلاك (فجعلناهم غناء) وهو ما يحمله السيل مع حشيش وعيدان شجر ، والمعنى صبرناهم
 هلكت فيسوا يبس الغناء من نبات الأرض (فبعلنا) يعني ألزمتنا بعدا مع الرحمة (للقوم
 الظالمين) . قوله عز وجل (ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين) يعني أقواما آخرين (ماتسبى من
 أمة أجلها) يعني وقت هلاكها (وما يستأخرون) يعني عن وقت هلاكهم (ثم أرسلنا رسلا
 تنرى) يعني مترادفين يتبع بعضهم بعضا غير متواصلين لأن بين كل رسولين زمنا طويلا

ينكرون البعث بعد الموت وقيل يموت الآباء ونحيا الأبناء وقيل يموت قوم ونحيا قوم (وما نحن بمبعوثين) بمششرين بعد
 الموت (إن هو) يعني الرسول (إلا رجل أفترى على الله كذبا وما نحن له بمؤمنين) بمصدقين بالبعث بعد الموت (قال رب
 انصرني بما كذبون قال عما قليل ليصبحن) أي عن قليل وما صلة (ليصبحن) ليصيرن (نادمين) على كفرهم وتكذيبهم (فأخذتهم
 الصيحة) يعني صيحة العذاب (بالحق) قيل أراد بالصيحة الهلاك وقيل صاح بهم جبريل صيحة فتصدعت قلوبهم (فجعلناهم
 غناء) وهو ما يحمله السيل من حشيش وعيدان شجر ، معناه صبرناهم هلكت فيسوا يبس الغناء من نبات الأرض (فبعلنا للقوم
 الظالمين) ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين (ماتسبى من أمة أجلها) يعني ماتسبى من أمة أجلها ومن صلة أي
 وقت هلاكها (وما يستأخرون) وما يتأخرون عن وقت هلاكهم (ثم أرسلنا رسلا تنرى) يعني مترادفين يتبع بعضهم
 بعضا غير متواصلين لأن بين كل نبيين زمنا طويلا وهي فعلى من الموازنة قال الأصمعي يقال واترت الخبر إذا أتبت بعضه

بعضا وبين الخبر من مهلة. واختلف القراء فيه فقرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو بالتثنية ويعقوب بالالف ولا يميله أبو عمرو
 في الوقف فيها كالألف في قولهم رأيت زيدا ، وقرأ الباقون بلا تثنية والوقف عندهم يكون بالياء ويميله حمزة والكسائي
 وهو مثل قولهم غضبي وسكروى وهو اسم جمع مثل شتى وعلى التثنية التاء الأولى بدل من الواو وأصله وترى من الواو
 والتواتر فجعلت الواو تاء مثل التقوى والتكلمان (كلما جاء أمة رسولا كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا) بالهلاك أى أهلكتنا
 بعضهم في إثر بعض (وجعلناهم أحاديث) يعنى سمرا وقصصا يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم وهى جمع أحدوثة وقيل
 جمع حديث قال الأخفش إنما هو في الشر وأما في الخير فلا يقال جعلتهم أحاديث وأحدوثه إنما يقال حذر فلان حديثا
 (فبعدا لقوم لا يؤمنون ثم أرسلنا (٣٨) موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين) يعنى بحجة بيّنة من اليد والعصا

وغيرهما (إلى فرعون
 ومك فاستكبروا) تعظموا
 عن الإيمان (وكانوا قوما
 عالين) متكبرين قاهرين
 غيرهم بالظلم (فقالوا)
 يعنى فرعون وقومه
 (أنؤمن لبشرين مثلنا)
 يعنى موسى وهارون
 (وقومهما لنا عابدون)
 تعظموا عن الإيمان (وكانوا قوما
 عالين) يعنى متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم (فقالوا)
 يعنون موسى وهارون (وقومهما لنا عابدون) يعنى مطيعون متذلون
 فكذبوهما فكانوا من المهلكين (يعنى بالفرق) (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (لعلمهم بهتدون) يعنى لى
 بهتدى به قومه . قوله عز وجل (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) يعنى دلالة على قدرتنا لأنه خلقه من غير ذكر
 وأنطقه في المهل . فان قلت لم قال آية ولم يقل آيتين . قلت معناه جعلنا شأنهما آية لأن عيسى ولد من غير ذكر
 وكذلك مريم ولدت من غير ذكر فاشتركا في هذه الآية فكانت آية واحدة (وآويناها إلى ربوة) يعنى مكان مرتفع
 قيل هى دمشق وقيل هى الرملة وقيل أرض فلسطين وقال ابن عباس هى بيت المقدس قال كعب بيت المقدس أقرب الأرض
 إلى السماء بنائىة عشر ميلا وقيل هى مصر وسبب الأيواء أنها فرت بابتها إليها . وقوله (ذات قرار) يعنى منبسطة
 واسعة يستقر عليها ساكنوها (ومعين) هو الماء الجارى الذى تراه العيون . قوله تعالى (يا أيها الرسل كلوا من طيبات) قيل أراد بالرسول محمدا صلى الله عليه وسلم وحده
 وقيل أراد به عيسى عليه السلام وقيل أراد جميع الرسل وأراد بالطيبات الحلال (واعملوا صالحا) أى مستقيما
 على ما يوجب السعادة (لئى بما تعملون علم) فيه تحذير من مخالفة ما أمرهم به وإذا كان الرسل مع علو شأنهم كذلك فلأن يكون تحذيرا لغيرهم أولى لما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 وإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) وقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب يارب ومطعمه

(كلما جاء أمة رسولا كذبوه فأتبعنا بعضهم بعضا) يعنى بالهلاك فأهلكتنا بعضهم في أثر بعض (وجعلناهم أحاديث) يعنى سمرا وقصصا يتحدث من بعدهم بأمرهم وشأنهم (فبعدا لقوم لا يؤمنون) . قوله تعالى (ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين) يعنى بحجة بيّنة كالعصا واليد وغيرهما (إلى فرعون ومكته فاستكبروا) يعنى تعظموا عن الإيمان (وكانوا قوما عالين) يعنى متكبرين قاهرين غيرهم بالظلم (فقالوا) يعنون موسى وهارون (وقومهما لنا عابدون) يعنى مطيعون متذلون فكذبوهما فكانوا من المهلكين (يعنى بالفرق) (ولقد آتينا موسى الكتاب) يعنى التوراة (لعلمهم بهتدون) يعنى لى بهتدى به قومه . قوله عز وجل (وجعلنا ابن مريم وأمه آية) يعنى دلالة على قدرتنا لأنه خلقه من غير ذكر وأنطقه في المهل . فان قلت لم قال آية ولم يقل آيتين . قلت معناه جعلنا شأنهما آية لأن عيسى ولد من غير ذكر وكذلك مريم ولدت من غير ذكر فاشتركا في هذه الآية فكانت آية واحدة (وآويناها إلى ربوة) يعنى مكان مرتفع قيل هى دمشق وقيل هى الرملة وقيل أرض فلسطين وقال ابن عباس هى بيت المقدس قال كعب بيت المقدس أقرب الأرض إلى السماء بنائىة عشر ميلا وقيل هى مصر وسبب الأيواء أنها فرت بابتها إليها . وقوله (ذات قرار) يعنى منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها (ومعين) هو الماء الجارى الذى تراه العيون . قوله تعالى (يا أيها الرسل كلوا من طيبات) قيل أراد بالرسول محمدا صلى الله عليه وسلم وحده وقيل أراد به عيسى عليه السلام وقيل أراد جميع الرسل وأراد بالطيبات الحلال (واعملوا صالحا) أى مستقيما على ما يوجب السعادة (لئى بما تعملون علم) فيه تحذير من مخالفة ما أمرهم به وإذا كان الرسل مع علو شأنهم كذلك فلأن يكون تحذيرا لغيرهم أولى لما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وإن الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) وقال (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم) ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يارب يارب ومطعمه

حرام

تعالى « كنا الحنين آتت أكلها » (وآويناها إلى ربوة) الربوة المكان المرتفع من

الأرض واختلفت الأقوال فيها فقال عبد الله بن سلام هى دمشق وهو قول سعيد بن المسيب ومقاتل وقال الضحك غوطة دمشق وقال أبو هريرة هى الرملة وقال عطاء عن ابن عباس هى بيت المقدس وهو قول قتادة وكعب وقال كعب هى أقرب الأرض إلى السماء بنائىة عشر ميلا وقال ابن زيد هى مصر وقال السدى أرض فلسطين (ذات قرار) أى مستوية منبسطة واسعة يستقر عليها ساكنوها (ومعين) فاعين الماء الجارى الظاهر الذى تراه العيون مفعول من عانه يعينه إذا أدركه البصر . قوله (يا أيها الرسل) قال الحسن ومجاهد وقتادة والسدى والكبى وجماعة أراد به محمدا صلى الله عليه وسلم وحده على مذهب العرب في محظبة الواحد بلفظ الجماعة وقال بعضهم أراد به عيسى وقيل أراد به جميع الرسل عليهم السلام (كلوا من الطيبات) أى الحلال (واعملوا صالحا) الصلاح هو الاستقامة على ما توجه الشريعة (لئى بما تعملون علم

وإن هذه) قرأ أهل الكوفة وإن بكسر الألف على الابتداء وقرأ الباقون بفتح الألف ونصف ابن عامر النون وجعل إن صلة مجازة وهذه (أممكم) وقرأ الباقون بتشديد النون على معنى وإن هذه تغديره بأن هذه أممكم أى ملتكم وشريعتكم التى أنتم عليها (أمة واحدة) أى ملة واحدة وهى الإسلام (وأنا ربكم فاتقون) أى اتقونى لهذا وقيل معناه أمرتكم بما أمرت به المرسلين من قبلكم فأمركم واحد وأنا ربكم فاتقون فأحذرون وقيل هو نصب باضمار فعل أى اعلّموا أن هذه أممكم أى ملتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون (فقطعوا أمرهم) دينهم (بينهم) أى تفرقوا فصاروا فرقا يهودا ونصارى ومجوسا (زبرا) أى فرقا وقطعا مخالفة واحدها زيور وهو الفرقة والطائفة وشبه الزبرة وجمعها زبر ومنه زبر الحديد أى صاروا فرقا كزبر الحديد وقرأ بعض أهل الشام زبرا بفتح الباء قال قتادة ومجاهد زبرا أى كتبنا يعنى دان كل فريق بكتاب غير الكتاب الذى دان به الآخر ، وقيل جعلوا كتبهم قطعا مختلفة آمنوا ببعض وكفروا ببعض (٣٩) وحرقوا البعض (كل حزب

بما لديهم) أى بما عندهم من الدين (فرحون) معجبون ومسرورون (فذرهم فى غمرتهم) قال ابن عباس فى كفرهم وضلالاتهم وقيل عمايتهم وقيل غفلتهم (حتى حين) أى أن يموتوا (أيحسون أنما ندمهم به من مال وبنين) ما تعطى لهم ونجعله مددا لهم من المال والبنين فى الدنيا (نسارع لهم فى الخيرات) أى نجعل لهم فى الخيرات ونقدمها ثوابا لأعمالهم لمرضاقتنا عنهم (بل لا يشعرون) أن ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين فى الخيرات فقال تعالى (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أى خائفون ، والمعنى أن المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه . قال الحسن البصرى المؤمن جمع إحسانا وخشية والمناقض جمع إساءة وأما (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) يعنى يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل معناه يعملون ما عملوا من أعمال البر (وقلوبهم وجلة) أى خائفة أن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وأن أعمالهم لا تقبل منهم (أنهم إلى ربهم راجعون) أى إنهم يوقنون أنهم إلى الله صائرون قال الحسن عمالوا الله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم عن عائشة قالت وقلت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يابئ الصديق ولكن هم الذين يصومون ويتصدقون ويحافظون

بما لديهم) أى بما عندهم من الدين (فرحون) معجبون ومسرورون (فذرهم فى غمرتهم) قال ابن عباس فى كفرهم وضلالاتهم وقيل عمايتهم وقيل غفلتهم (حتى حين) أى أن يموتوا (أيحسون أنما ندمهم به من مال وبنين) ما تعطى لهم ونجعله مددا لهم من المال والبنين فى الدنيا (نسارع لهم فى الخيرات) أى نجعل لهم فى الخيرات ونقدمها ثوابا لأعمالهم لمرضاقتنا عنهم (بل لا يشعرون) أن ذلك استدراج لهم ثم ذكر المسارعين فى الخيرات فقال تعالى (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) أى خائفون ، والمعنى أن المؤمنين بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه . قال الحسن البصرى المؤمن جمع إحسانا وخشية والمناقض جمع إساءة وأما (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) يعنى يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات وقيل معناه يعملون ما عملوا من أعمال البر (وقلوبهم وجلة) أى خائفة أن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وأن أعمالهم لا تقبل منهم (أنهم إلى ربهم راجعون) أى إنهم يوقنون أنهم إلى الله صائرون قال الحسن عمالوا الله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم عن عائشة قالت وقلت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة هم الذين يشربون الخمر ويسرقون قال لا يابئ الصديق ولكن هم الذين يصومون ويتصدقون ويحافظون

بما هم عليه من خشية الله خائفون من عقابه . قال الحسن البصرى المؤمن من جمع إحسانا وخشية والمناقض من جمع إساءة وأما (والذين هم بآيات ربهم يؤمنون) يصدقون (والذين هم بربهم لا يشركون والذين يؤتون ما آتوا) أى يعطون ما أعطوا من الزكاة والصدقات . وروى عن عائشة أنها كانت تقرأ والذين يؤتون ما آتوا أى يعطون ما أعطوا من أعمال البر (وقلوبهم وجلة) أن ذلك لا ينجيهم من عذاب الله وأن أعمالهم لا تقبل منهم (أنهم إلى ربهم راجعون) لأنهم يوقنون أنهم يرجعون إلى الله عز وجل قال الحسن عمالوا الله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم . أخبرنا أبو سعيد الشريعى أنا أبو إسحاق الثعلبى أنا عبد الله بن يوسف أنا محمد بن حاتم حدثنا محمد بن الجهم أنا عبد الله بن عمرو أنا وكيع عن مالك بن مغول عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ه أهو الذى يزنى ويشرب الخمر ويسرق قال لا يابئ الصديق ولكنه الرجل يصوم ويصلى ويتصدق ويحافظ أن

لا يقبل منه . قوله عز وجل (أولئك يسارعون في الخيرات) يبادرون إلى الأعمال الصالحة (وهم لها سابقون) أي إليها سابقون كقوله تعالى (لما نهوا أي إلى ما نهوا ولما قالوا ونحوها وقال ابن عباس في معنى هذه الآية سبقت لهم من الله السعادة وقال الكلبي سبقوا الأمم إلى الخيرات . قوله (ولا تكلف نفسا إلا وسعها) أي طاقتها فمن لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومع لم يستطع الصوم فليفطر (ولدينا كتاب ينطق بالحق) وهو اللوح المحفوظ ينطق بالحق بين بالصدق ، ومعنى الآية لا يكلف الله نفسا إلا وسعها إلا ما أطلقت من العمل وقد أثبتنا عمله في اللوح المحفوظ فهو ينطق به وببينه وقيل هو كتب أعمال العباد التي تكتبها الحفظة (وهم لا يظلمون) لا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم ؛ ثم ذكر الكفار فقال (بل قلوبهم في غمرة) أي في غفلة وجهالة (من هذا) (٤٠) أي من القرآن (ولهم أعمال من دون ذلك) أي للكفار أعمال خبيثة

من المعاصي والخطايا أن لا يقبل منهم أولئك يسارعون في الخيرات ، أخرجه الترمذي ، وقوله (أولئك يسارعون في الخيرات) أي يبادرون إلى الأعمال الصالحة (وهم لها سابقون) أي إليها وقال ابن عباس سبقت لهم من الله السعادة وقيل سبقوا الأمم إلى الخيرات . قوله عز وجل (ولا تكلف نفسا إلا وسعها) أي طاقتها من الأعمال فمن لم يستطع القيام فليصل قاعدا ومن لم يستطع الصوم فليفطر وليقتض (ولدينا كتاب) هو اللوح المحفوظ (ينطق بالحق) أي بين الصدق والمعنى قد أثبتنا عمل كل عامل في اللوح المحفوظ فهو ينطق به وببينه وقيل هو كتاب أعمال العباد التي تكتبها الحفظة (وهم لا يظلمون) أي لا ينقص من حسناتهم ولا يزداد على سيئاتهم ثم ذكر الكفار فقال تعالى (بل قلوبهم في غمرة) أي غفلة وجهالة (من هذا) يعني القرآن (ولهم أعمال) أي للكفار أعمال خبيثة من المعاصي والخطايا محكومة عليهم (من دون ذلك) يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله في قوله (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) (هم) يعني الكفار (هذا) أي تلك الأعمال الخبيثة (عاملون) أي لا بد لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم في الأزل من الشقاوة (حتى إذا أخذنا مترفيهم) أي رؤسهم وأغنياءهم (بالعذاب) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقيل هو الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى أكلوا الكلاب والجيوف (إذا هم يجأرون) أي يصيحون ويستغيثون ويجزعون (لا تجأروا اليوم) يعني لا تجزعوا ولا تضجوا اليوم (إنكم منا لاتنصرون) يعني لا تمنعون منا ولا ينفعكم نصرعكم (قد كانت آياتي تتلى عليكم) يعني القرآن (فكنتم على أعقابكم تكفون) يعني ترجعون القهقري وتتأخرون عن الإيمان (مستكبرين به) قال ابن عباس أي بالبيت الحرام كناية عن غير مذكور أي مستعظمين بالبيت وذلك أنهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحدا فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف وقيل مستكبرين به أي بالقرآن فلم يؤمنوا به والقول الأول أظهر (سامرا) يعني أنهم يسكرون بالليل حول البيت وكان عامة سمرهم ذكر القرآن وتسميته سمرأ أو شعرا ونحو ذلك من القول فيه وفي النبي

من المعاصي والخطايا محكومة عليهم من دون ذلك يعني من دون أعمال المؤمنين التي ذكرها الله تعالى في قوله (إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون) (هم لها عاملون) لا بد لهم من أن يعملوها فيدخلوا بها النار لما سبق لهم من الشقاوة هذا قول أكثر المفسرين وقال قتادة هذا ينصرف إلى المسلمين وأن لهم أعمالا سوى ما عملوا من الخيرات هم لها عاملون والأول أظهر (حتى إذا أخذنا مترفيهم) أي أخذنا أغنياءهم ورؤسائهم (بالعذاب) قال ابن عباس هو السيف يوم بدر وقال الضحاك يعني الجوع حين دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه

وسلم فقال اللهم أشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسني يوسف ، فابتلاهم الله عز وجل صلى بالقحط حتى أكلوا الكلاب والجيوف (إذا هم يجأرون) يصيحون ويجزعون ويستغيثون وأصل الجار رفع الصوت بالتضرع (لا تجأروا اليوم) أي لا تضجوا (إنكم منا لاتنصرون) لا تمنعون منا ولا ينفعكم نصرعكم (قد كانت آياتي تتلى عليكم) يعني القرآن (فكنتم على أعقابكم تكفون) ترجعون القهقري وتتأخرون عن الإيمان (مستكبرين به) اختلفوا في هذه الكناية فأظهر الأقاويل أنها تعود إلى البيت الحرام كناية عن غير مذكور أي مستكبرين متعظمين بالبيت الحرام وتعظمهم به أنهم كانوا يقولون نحن أهل حرم الله وجيران بيته فلا يظهر علينا أحد ولا نخاف أحدا فيأمنون فيه وسائر الناس في الخوف هذا قول ابن عباس ومجاهد وجماعة وقيل مستكبرين به أي بالقرآن فلم يؤمنوا به والأول أظهر أن المراد منه الحرم (سامرا) نصب على الحال

هم يسمرون بالليل في مجالسهم حول البيت ووجد سامرا وهو بمعنى السمار لأنه وضع موضع الوقت أراد تهجرون ليلاً وقيل وجد سامرا ومعناه الجمع كقوله ثم نخرجكم طفلاً (تهجرون) قرأ نافع تهجرون بضم التاء وكسر الجيم من الإهجار وهو الإفحاش في القول أي تصحشون وتقولون الخنا وذكر أنهم كانوا يسبون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقرأ الآخرون تهجرون بفتح التاء وضم الجيم أي تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الإيمان والقرآن وترفضونها وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح يقال هجر بهجر هجرا إذا قال غير الحق وقيل تهزعون وتقولون مالا تعلمون من قولهم هجر الرجل في منامه إذا هذى (أفلم يدبروا) يعني يتدبروا (القول) يعني ما جاءهم من القول وهو القرآن فيعرفوا ما فيه من الدلالات على صدق محمد ﷺ (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين) فأنكروا ، يريد إنا قد بعثنا من قبلهم رسلا إلى قومهم كذلك بعثنا محمدا صلى الله عليه وسلم إليهم وقيل أم بمعنى بل يعني بل جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين فلذلك أنكروا (أم لم يعرفوا رسولهم) محمدا صلى الله عليه وسلم (فهم له منكرون) قال ابن عباس أليس قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبيرا وعرفوا

ﷺ وهو قوله (تهجرون) من الإهجار وهو الإفحاش في القول وقيل معنى تهجرون تعرضون عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن الإيمان به وبالقرآن وقيل هو من الهجر وهو القول القبيح أي تهلون وتقولون مالا تعلمون (أفلم يدبروا القول) يعني أفلم يتدبروا ما جاءهم من القرآن فيعتبرون بما فيه من الدلالات الواضحة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم (أم جاءهم مالم يأت آباءهم الأولين) يعني فأنكروا يريد إنا قد بعثنا من قبلهم رسلا إلى قومهم فكذلك بعثنا محمدا صلى الله عليه وسلم (أم لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون) قال ابن عباس أليس قد عرفوا محمدا صلى الله عليه وسلم صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الإعراض عنه بعد ما عرفوه بالصدق والأمانة (أم يقولون به جنة) أي جنون وليس هو كذلك (بل جاءهم بالحق) بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل (وأكثرهم للحق كارهون) . قوله عز وجل (ولو اتبع الحق أهواءهم) قيل الحق هو الله تعالى والمعنى ولو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل لو سمي نفسه شريكا وولدا كما يقولون وقيل الحق هو القرآن أي لو نزل القرآن بما يحبون وما يعتادون (لفسدت السموات والأرض ومن فيهن) أي لفسد العالم (بل أتيناهم بذكرهم) قال ابن عباس بما فيه شرفهم وفخرهم وهو القرآن (فهم عن ذكرهم) أي شرفهم (معرضون أم تستلهم) أي على ما جئتهم به (خرجا) أي أجرا وجعلا (فخراج ربك خير) أي ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير (وهو خير الرازقين) تقدم تفسيره (وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم) أي إلى دين الإسلام (وإن الدين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) أي عن دين الحق (لنا كيون) أي لعادلون عنه ومائلون (وأورحمتناهم وكشفنا ما بهم من ضر) أي قحط وجدوبة (للجوا) أي لتجادوا (في طغيانهم يعمهون) أي لم ينزعوا عنه (ولقد أخذناهم بالعذاب) وذلك أن النبي صلى الله

صغيرا وكبيرا وعرفوا نسبه وصدقه وأمانته ووفاءه بالعهود وهذا على سبيل التوبيخ لهم على الإعراض عنه بعد ما عرفوه بالصدق والأمانة (أم يقولون به جنة) جنون وليس كذلك (بل جاءهم بالحق) يعني بالصدق والقول الذي لا تخفى صحته وحسنه على عاقل (وأكثرهم للحق كارهون) كارهون ولو اتبع الحق أهواءهم قال ابن جريج ومقاتل والسدي وجماعة الحق هو الله أي ولو اتبع الله مرادهم فيما يفعل وقيل لو اتبع مرادهم

(٦ - خازن بالبغوى - خامس) فسبي انفسه شريكا وولدا كما يقاوان (لفسدت السموات والأرض) وقال الفراء والزجاج المراد بالحق القرآن أي لو نزل القرآن بما يحبون من جعل الشريك والولد على ما يعتقونه لفسدت السموات والأرض (ومن فيهن) وهو كقوله تعالى ولو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا (بل أتيناهم بذكرهم) بما يذكروهم . قال ابن عباس أي بما فيه فخرهم وشرفهم يعني القرآن فهو كقوله تعالى لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أي شرفكم وأنه لذكر لك ولقومك أي شرفك ولقومك (فهم عن ذكرهم) يعني عن شرفهم (معرضون أم تستلهم) على ما جئتهم به (خرجا) أجرا وجعلا (فخراج ربك خير) يعني ما يعطيك الله من رزقه وثوابه خير (وهو خير الرازقين) قرأ حمزة والكسائي خراجا فخراج كلاهما بالألف وقرأ ابن عامر كلاهما بغير ألف . وقرأ الآخرون خرجا بغير ألف فخراج بالألف (وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم) وهو الإسلام (وإن الدين لا يؤمنون بالآخرة عن الصراط) أي عن دين الحق (لنا كيون) لعادلون مائلون (ولو رحمتناهم وكشفنا ما بهم من ضر) قحط وجدوبة (للجوا) تمادوا (في طغيانهم يعمهون) ولم ينزعوا عنه (ولقد أخذناهم بالعذاب)

وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم دعا على قريش أن يجعل عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم القحط فجاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال أنشدك الله والرحم ألتت زعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قد قتل الآباء بالسيوف والأبناء بالجوع فادع الله أن يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فأزل الله هذه الآية (فما استكانوا لربهم) أى ما خضعوا وما ذلوا لربهم وأصله طلب السكون (وما يتضرعون) أى لم يتضرعوا إلى ربهم بل مضوا على تمردهم (حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وهو قول مجاهد ، وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة (إذا هم فيه مبلسون) أى آيسون من كل خير (وهو الذى أنشأ لكم السمع) أى أنشأ لكم الأسماع (والأبصار والأفئدة) لتسمعوا وتبصروا - (٤٣) وتعلموا (قليلًا ما تشكرون) أى لم تشكروا هذه النعم (وهو الذى ذرأكم

خلقكم) فى الأرض وإليه تحشرون (تبعثون) وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار) أى تدبير الليل والنهار فى الزيادة والنقصان قال القراء جعلهما مختلفين بتعاقبان ويختلفان فى السواد والبياض (أفلا تعقلون) ما ترون من صنعه فتعتبرون (بل قالوا مثل ما قال الأولون) أى كذبوا كما كذب الأولون (قالوا أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون) محشورون قالوا ذلك على طريق الإنكار فى التعجب (لقد وعدنا نحن وآبائنا هذا الوعد (من قبل) أى وعد آباءنا قوم زعموا أنهم رسل الله فلم نر له حقيقة (إن هذا إلا أساطير الأولين)

عليه وسلم دعا على قريش أن يجعل الله عليهم سنين كسنى يوسف فأصابهم القحط فجاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال أنشدك الله والرحم ألتت زعم أنك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال لهم قد أكلوا القدر والعظام وشكوا إليه الضر فادع الله أن يكشف عنا هذا القحط فدعا فكشف عنهم فأزل الله هذه الآية (فما استكانوا لربهم) ما خضعوا وما ذلوا لربهم (وما يتضرعون) أى لم يتضرعوا إلى ربهم بل مضوا على تمردهم (حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذا عذاب شديد) قال ابن عباس يعنى القتل يوم بدر وقيل هو الموت وقيل هو قيام الساعة (إذا هم فيه مبلسون) أى آيسون من كل خير . قوله عز وجل (وهو الذى أنشأ لكم السمع والأبصار والأفئدة) أى لتسمعوا بها وتبصروا وتعلموا (قليلًا ما تشكرون) أى لم تشكروا هذه النعم (وهو الذى ذرأكم فى الأرض) أى خلقكم (إليه تحشرون) أى تبعثون (وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار) أى تدبير الليل والنهار فى الزيادة والنقصان وقيل جعلها مختلفين بتعاقبان ويختلفان فى السواد والبياض (أفلا تعقلون) أى ما ترون من صنعه فتعتبرون (بل قالوا مثل ما قال الأولون) أى كذبوا كما كذب الأولون، وقيل معناه أنكروا البعث مثل ما ذكر الأولون مع وضوح الأدلة (قالوا أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما أننا لمبعوثون) محشورون قالوا ذلك على طريق الإنكار والتعجب (لقد وعدنا نحن وآبائنا هذا الوعد (من قبل) أى وعد آباءنا قوم زعموا أنهم رسل الله فلم نر له حقيقة (إن هذا إلا أساطير الأولين) أى أكاذيب الأولين . قوله تعالى (قل) أى يا محمد لأهل مكة (لمن الأرض ومن فيها) من الخلق (إن كنتم تعلمون) أى خالقها ومالكها (سيقولون لله) أى لا بد لهم من ذلك لأنهم يقرون أنها مخلوقة لله (قل) أى قل لهم يا محمد إذا أفروا بذلك (أفلا تذكرون) أى فتعلموا أن من قدر على خلق الأرض ومن فيها ابتداء يقدر على إحيائهم بعد الموت (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون) أى عبادة غيره وقيل معناه أفلا تحذرون عقابه (قل من بيده ملكوت كل شيء) أى ملك كل شيء (وهو يجزي) أى يؤمن من يشاء (ولا يجاز عليه) أى لا يؤمن من أخافه الله وقيل يمنع هو من يشاء من سوء ولا يمنع

أكاذيب الأولين (قل) يا محمد مجييا لهم يعنى أهل مكة (لمن الأرض ومن

فيها) من الخلق (إن كنتم تعلمون) خالقها ومالكها (سيقولون لله) ولا بد لهم من ذلك لأنهم يقرون أنها مخلوقة (قل) لهم إذا أفروا بذلك (أفلا تذكرون) فتعلمون أن من قدر على خلق الأرض ومن فيها ابتداء يقدر على إحيائهم بعد الموت (قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون لله) قرأ العامة لله ومثله ما بعده فجعلوا الجواب على المعنى كقول القائل للرجل من مولاك يقول لفلان أى أنا لفلان وهو مولاى وقرأ أهل البصرة فيها الله وكذلك هو فى مصحف أهل البصرة وفى سائر المصاحف مكتوب بالألف كالأول (قل أفلا تتقون) تحذرون (قل من بيده ملكوت كل شيء) الملك والثناء فيه للمهاجرة (وهو يجزي) أى يؤمن من يشاء (ولا يجاز عليه) أى لا يؤمن من أخافه الله أو يمنع هو من سوء من

بشاه ولا يمنع منه من اراده بسوء (إن كنتم تعلمون) قيل معناه أجيئوا إن كنتم تعلمون (سيقولون لله قل فأتى تسحرون) أى تخدعون وتصرفون عن توحيدته وطاعته والمعنى كيف يخيل لكم الحق باطلا (بل أتيناكم بالحق) بالصدق (وإنهم لكاذبون) فيما يدعون من الشريك والولد (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله) أى من شريك (إذا ذهب كل إله بما خلق) أى أنفرد بما خلقه فلم يرض أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره ومنع الإله الآخر عن الاستيلاء على ما خلقه (ولعلنا بعضهم على بعض) أى طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم ، ثم نزه نفسه فقال (سبحان الله عما يصفون عالم الغيب والشهادة) قرأ أهل المدينة والكوفة غير حفص عالم برفع الميم على (٤٣) الابتداء وقرأ الآخرون بجرها

على نعت الله في سبحانه الله (فتعالى عما يشركون) أى تعظم عما يشركون ومعناه أنه أعظم من أن يوصف بهذا الوصف .

قوله (قل رب إني) أى إن أريتني (ما يوعدون) أى ما أوعدنتهم من العذاب (رب) أى يارب (فلا تجعلني في القوم الظالمين) أى لا تهلكني بهلاكهم (وأنا على أن نزيك ما نعدهم) من العذاب لهم (لقدرون) أى ادفع بالتي هي أحسن (أى ادفع بالخلة التي هي أحسن) أى الصبح والإعراض والصبر (السبئية) أى أذاهم أمرهم بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة (نسختها آية السيف) (نحن أعلم بما يصفون)

منه من اراده بسوء (إن كنتم تعلمون) أى فأجيئوا (سيقولون لله قل فأتى تسحرون) أى فأتى تخدعون وتصرفون عن توحيدته وطاعته وكيف يخيل لكم الحق باطلا (بل أتيناكم بالحق) أى بالصدق (وإنهم لكاذبون) أى فيما يدعون من الشريك والولد (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله) أى من شريك (إذا ذهب كل إله بما خلق) أى لا نفرد كل واحد من الآلهة بخلق الذي خلقه ولم يرض أن يضاف خلقه وإنعامه إلى غيره ومنع كل إله الآخر عن الاستيلاء على ما خلقه هو (ولعلنا بعضهم على بعض) أى طلب بعضهم مغالبة بعض كفعل ملوك الدنيا فيما بينهم (وإذا كان كذلك فاعلموا أنه إله واحد بيده ملكوت كل شيء) ويقدر على كل شيء . ثم نزه نفسه تعالى فقال (سبحان الله عما يصفون) أى من إثبات الولد والشريك (عالم الغيب والشهادة فتعالى عما يشركون) أى تعظم من أن يوصف بما لا يليق به . قوله عز وجل (قل رب) أى يارب (إني أرى ما يوعدون) أى ما أوعدنتهم من العذاب (رب) أى يارب (فلا تجعلني في القوم الظالمين) أى لا تهلكني بهلاكهم (وأنا على أن نزيك ما نعدهم) أى من العذاب (لقدرون) أى ادفع بالتي هي أحسن (أى ادفع بالخلة التي هي أحسن) وهي الصبح والإعراض والصبر (السبئية) أى أذاهم أمرهم بالصبر على أذى المشركين والكف عن المقاتلة ثم نسخها الله بآية السيف (نحن أعلم بما يصفون) أى يكذبون ويقولون من الشرك . قوله عز وجل (قل رب أعوذ بك) أى أمتنع وأعتصم بك (من همزات الشياطين) قال ابن عباس نزعهم وقيل وسوسهم وقيل نفخهم ونفسهم وقيل دفعهم بالإغواء إلى المعاصي (وأعوذ بك رب أن يحضرون) أى في شيء من أموري وإنما ذكر الحضور لأن الشيطان إذا حضره يومسوس له عن جبر بن مطعم ، أنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم يصلي صلاة قال عمر ولا أدري أى صلاة هي قال الله أكبر كبيرا ثلاثا والحمد لله كثيرا ثلاثا وسبحان الله بكرة وأصيلا ثلاثا أعوذ بالله من الشيطان من نفخه ونفته وهززه قال نفثه الشعر ونفخه الكبر وهززه الموتة أخرجه أبو داود وقد جاء تفسير هذه الألفاظ في من الحديث وتزبيده إيضاحا قوله نفثه الشعر أى لأن الشعر يخرج من القلب فيلنظ به اللسان وينفثه كما ينث الريق . وقوله ونفخه الكبر وذلك أن المتكبر يتنفخ ويتعظم ويجمع نفسه فيحتاج إلى أن ينفخ . وقوله وهززه الموتة الموتة الجنون لأن الجنون ينحسه الشيطان ثم أخبر الله عز وجل أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت فقال تعالى (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني) قيل يكذبون ويقولون من الشرك (قل رب أعوذ بك) أى أمتنع وأعتصم بك (من همزات الشياطين) قال ابن عباس نزعهم وقال لئسمن وسوسهم وقال مجاهد نفخهم ونفسهم وقال أهل المعاني دفعهم بالإغواء إلى المعاصي وأصل المنع شدة الدفع (وأعوذ بك رب أن يحضرون) في شيء من أموري وإنما ذكر الحضور لأن الشيطان إذا حضره يومسوسه ، ثم أخبر أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت فقال (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني) ولم يقل ارجعني وهو يسأل الله وحده الرجعة على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم كما أخبر الله تعالى عن نفسه فقال (وأنا نحن نزلنا الذكر) وإنما له لحاظون ، ومثله كثير في القرآن وقيل هذا الخطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه ابتداء بخطاب الله لأنهم استغاثوا بالله أولا ثم رجعوا إلى مسألة الملائكة

يكنذبون ويقولون من الشرك (قل رب أعوذ بك) أى أمتنع وأعتصم بك (من همزات الشياطين) قال ابن عباس نزعهم وقال لئسمن وسوسهم وقال مجاهد نفخهم ونفسهم وقال أهل المعاني دفعهم بالإغواء إلى المعاصي وأصل المنع شدة الدفع (وأعوذ بك رب أن يحضرون) في شيء من أموري وإنما ذكر الحضور لأن الشيطان إذا حضره يومسوسه ، ثم أخبر أن هؤلاء الكفار الذين ينكرون البعث يسألون الرجعة إلى الدنيا عند معاينة الموت فقال (حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعوني) ولم يقل ارجعني وهو يسأل الله وحده الرجعة على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم كما أخبر الله تعالى عن نفسه فقال (وأنا نحن نزلنا الذكر) وإنما له لحاظون ، ومثله كثير في القرآن وقيل هذا الخطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه ابتداء بخطاب الله لأنهم استغاثوا بالله أولا ثم رجعوا إلى مسألة الملائكة

الرجوع الى الدنيا . قوله تعالى (لعل أعمل صالحا فإني تركت) أى ضيبت أن أقول لا إله إلا الله وقبل أعمل بطاعة الله . قال قتادة ما تمنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيها يتمناه الكافر إذا رأى العذاب (كلا) كلمة ردع وزجر أى لا يرجع إليها (أنها) يعنى سؤاله الرجعة (كلمة هو قائلها) ولا يناها (ومن ورائهم برزخ) أى أمامهم وبين أيديهم حاجز (إلى يوم يعثون) والبرزخ الحاجز بين الشيتين . واختلفوا فى معناه ها هنا فقال مجاهد حجاب بينهم وبين الرجوع إلى الدنيا وقال قتادة بقية الدنيا وقال الضحاك البرزخ ما بين الموت إلى البعث (٤٤) وقيل هو القبر وهم فيه إلى يوم يعثون (فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم)

اختلفوا فى هذه النفخة المراد به الله وهو على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون معناه أنه استغاث بالله أولا ثم رجع إلى مسألة الملائكة الرجوع إلى الدنيا وقيل ذكر الرب للقدم فكأنه قال عند المعاينة بحق الله ارجعون (لعل أعمل صالحا فإني تركت) أى ضيبت وقيل تركت أى منعت وقيل خلفت من التركة أو المعنى أقول لا إله إلا الله وأعمل بطاعته فيدخل فيه الأعمال البدنية والمالية قال قتادة ما تمنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيها يتمناه الكافر إذ رأى العذاب (كلا) كلمة ردع وزجر أى لا يرجع إليها (لأنها) يعنى مسألته الرجعة (كلمة هو قائلها) أى لا يناها (ومن ورائهم برزخ) أى من أمامهم ومن بين أيديهم حاجز (إلى يوم يعثون) معناه أن بينهم وبين الرجعة حجابا وما ناعا عن الرجوع وهو الموت وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث وإنما هو إقناط كلى لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلا إلى الآخرة . قوله تعالى (فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم) قال ابن عباس إنها النفخة الأولى نفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض فلا أنساب بينهم (يومئذ ولا يتساءلون) ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود أنها النفخة الثانية قال « يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينصب على رموس الأولين والآخرين ثم ينادى مناد هذا فلان ابن فلان فمن كان له قبله حق فليأت إلى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه ثم ينادى مناد هذا فلان ابن فلان فمن كان له قبله حق فليأت إلى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده وزوجته أو أخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود : فلا أنساب بينهم

المراد به الله وهو على عادة العرب فانهم يخاطبون الواحد بلفظ الجمع على وجه التعظيم وقيل هذا خطاب مع الملائكة الذين يقبضون روحه فعلى هذا يكون معناه أنه استغاث بالله أولا ثم رجع إلى مسألة الملائكة الرجوع إلى الدنيا وقيل ذكر الرب للقدم فكأنه قال عند المعاينة بحق الله ارجعون (لعل أعمل صالحا فإني تركت) أى ضيبت وقيل تركت أى منعت وقيل خلفت من التركة أو المعنى أقول لا إله إلا الله وأعمل بطاعته فيدخل فيه الأعمال البدنية والمالية قال قتادة ما تمنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضى الشهوات ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله فرحم الله امرأ عمل فيها يتمناه الكافر إذ رأى العذاب (كلا) كلمة ردع وزجر أى لا يرجع إليها (لأنها) يعنى مسألته الرجعة (كلمة هو قائلها) أى لا يناها (ومن ورائهم برزخ) أى من أمامهم ومن بين أيديهم حاجز (إلى يوم يعثون) معناه أن بينهم وبين الرجعة حجابا وما ناعا عن الرجوع وهو الموت وليس المعنى أنهم يرجعون يوم البعث وإنما هو إقناط كلى لما علم أنه لا رجعة يوم البعث إلا إلى الآخرة . قوله تعالى (فاذا نفخ فى الصور فلا أنساب بينهم) قال ابن عباس إنها النفخة الأولى نفخ فى الصور فصعق من فى السموات ومن فى الأرض فلا أنساب بينهم (يومئذ ولا يتساءلون) ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وعن ابن مسعود أنها النفخة الثانية قال « يؤخذ بيد العبد والأمة يوم القيامة فينصب على رموس الأولين والآخرين ثم ينادى مناد هذا فلان ابن فلان فمن كان له قبله حق فليأت إلى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده أو زوجته أو أخيه فيأخذ منه ثم ينادى مناد هذا فلان ابن فلان فمن كان له قبله حق فليأت إلى حقه فيفرح المرء أن يكون له الحق على والده أو ولده وزوجته أو أخيه فيأخذ منه ثم قرأ ابن مسعود : فلا أنساب بينهم

يومئذ ولا يتساءلون وفى رواية عطاء عن ابن عباس أنها النفخة الثانية فلا أنساب بينهم أى لا يتفخرون بالأنساب يومئذ كما كانوا يتفخرون فى الدنيا ولا يتساءلون سؤال تواصل كما كانوا يتساءلون فى الدنيا من أنت ومن أى قبيلة أنت ولم يرد أن الأنساب تنقطع . فان قلت قد قال هاهنا ولا يتساءلون وقال فى موضع آخر وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون . قلت قال ابن عباس إن للقيامه أحوالا ومواطن فى موطن يشتد عليهم الخوف فيشغلهم عظم الأمر عن التساؤل فلا يتساءلون . وفى موطن يفيتون إفاقة فيتساءلون . قوله (فمن ثملت موازينه فأولئك هم الفالحون ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا)

خسروا أنفسهم في جهنم خالدون تلقح وجوههم النار) أي تسنح وقيل تحرق (وهم فيها كالخون) عابسون. أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة أنا محمد بن أحمد الخارثي أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن سعيد بن يزيد عن أبي السرح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (وهم فيها كالخون) قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته، وبهذا الإسناد عن عبد الله بن المبارك عن حاجب بن عمر عن الحكم عن الأعرج عن أبي هريرة قال: يعظم الكافر في النار سبع قسيع ليال فيصير ضرسه مثل أحد وشفاههم عند سرهم سود زرق مقبوحون. قوله تعالى (لم تكن آياتي تتلى عليكم) يعني القرآن تخوفون بها (فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) قرأ حمزة والكسائي شقاوتنا بالألف وفتح الشين وهما لغتان أي غلبت علينا شقوتنا التي كتبت علينا فلم نهتد (وكنا قوما ضالين) (٤٥) عن الهدي (ربنا أخرجنا منها) أي من النار (فان عدنا) لما تكبره (فانا ظالمون) قال اخسأوا (ابعدوا فيها) كما يقال للكلب إذا طرد اخسأ (ولا تكلمون) في رفع العذاب فاني لأرفعه عنكم فعند ذلك أيس المساكين من الفرج، قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعد ما إلا الشهيق والترفير ويصير لهم عواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون. روى عن عبد الله بن عمرو إن أهل جهنم يدعون مالكا خازن جهنم أربعين عاما يملك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول إنكم ما كنون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسأوا فيها ولا تكلمون فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة إن كان إلا الزفير والشهيق ذكره البغوي بغير سند وأخرجه الترمذي بمعناه عن أبي الدرداء قوله فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة أي سكنوا ولم يتكلموا بكلمة وقيل إذا قال لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون انقطع رجائهم وأقبل بعضهم بلسح في وجه بعض وأطبقت عليهم (إنه) الهاء في إنه عماد وتسمى أيضا الجهوة (كان فريق من عبادي) وهم المؤمنون (يقولون ربنا آمنة فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) فأتخذتموهم سخريا أي تسخرون منهم وتستهزئون بهم (حتى أنسوكم ذكري) اشتغالكم بالاستهزاء بهم ذكري (وكنتم منهم تضحكون) نزل في كفار قريش كانوا يستهزئون بالفقراء من أصحاب

خسروا) أي غلبوا (أنفسهم في جهنم خالدون تلقح) أي تسنح وقيل تحرق (وجوههم النار وهم فيها كالخون) أي عابسون وقد بدت أسنانهم وتقلصت شفاههم كالرأس المشوي على النار. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم (وهم فيها كالخون) قال تشويه النار فتقلص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته، أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح غريب. قوله تعالى (لم تكن آياتي تتلى عليكم) يعني قوارع القرآن وزواجره تخوفون بها (فكنتم بها تكذبون قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا) أي التي كتبت علينا فلم نهتد (وكنا قوما ضالين) أي من الهدي (ربنا أخرجنا منها) أي من النار (فان عدنا) أي لما تكبره (فانا ظالمون) قال اخسأوا فيها (كما يقال للكلب إذا طرد إخسأ) (ولا تكلمون) أي في رفع العذاب فاني لأرفعه عنكم فعند ذلك أيس المساكين من الفرج، قال الحسن هو آخر كلام يتكلم به أهل النار ثم لا يتكلمون بعد ذلك ما هو إلا الزفير والشهيق وعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون. وروى عن عبد الله بن عمرو إن أهل جهنم يدعون مالكا خازن جهنم أربعين عاما يملك ليقض علينا ربك فلا يجيبهم ثم يقول إنكم ما كنون ثم ينادون ربهم ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسأوا فيها ولا تكلمون فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة إن كان إلا الزفير والشهيق ذكره البغوي بغير سند وأخرجه الترمذي بمعناه عن أبي الدرداء قوله فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة أي سكنوا ولم يتكلموا بكلمة وقيل إذا قال لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون انقطع رجائهم وأقبل بعضهم بلسح في وجه بعض وأطبقت عليهم (إنه) الهاء في إنه عماد وتسمى أيضا الجهوة (كان فريق من عبادي) وهم المؤمنون (يقولون ربنا آمنة فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) فأتخذتموهم سخريا أي تسخرون منهم وتستهزئون بهم (حتى أنسوكم ذكري) اشتغالكم بالاستهزاء بهم ذكري (وكنتم منهم تضحكون) نزل في كفار قريش كانوا يستهزئون بالفقراء من أصحاب

ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون فيدعهم مثل عمر الدنيا مرتين ثم يرد عليهم اخسأوا فيها ولا تكلمون فما ينبس القوم بعد ذلك بكلمة إن كان إلا الزفير والشهيق. وقال القرطبي إذا قيل لهم اخسأوا فيها ولا تكلمون انقطع رجائهم وأقبل بعضهم بلسح في وجه بعض وأطبقت عليهم (إنه) الهاء في إنه عماد وتسمى أيضا الجهوة (كان فريق من عبادي) وهم المؤمنون (يقولون ربنا آمنة فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين) فأتخذتموهم سخريا) قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي سخريا بضم السين ها هنا وفي سورة ص وقرأ الباقون بكسرهما وانفقوا على الضم في حوارة الزخرف قال الخليل هما لغتان مثل قولهم (بخر لحي) ولحي بضم اللام وكسرهما كوكب دري ودرى قال الفراء والكسائي الكسر بمعنى الاستهزاء بالقول والضم بمعنى التسخير والاستعباد بالفعل وانفقوا في سورة الزخرف بأنه بمعنى التسخير (حتى أنسوكم) أي أنسوكم اشتغالكم بالاستهزاء بهم وتسخيرهم (ذكري وكنتم منهم تضحكون) نظيره وإن الذين أجزوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون، قال

قال مقاتل نزلت في بلال وعمار وخباب وصهيب وسلمان والفقراء من الصحابة كان كفار قريش يستهزئون بهم (إني جزيتهم اليوم بما صبروا) على إذاكم واستهزائكم في الدنيا (أنهم هم الفائزون) قرأ حمزة والكسائي إنهم بكسر الألف على الاستثناء وقرأ الآخرون بفتحها فيكون في موضع المفعول الثاني إني جزيتهم اليوم بصبرهم الفوز بالجنة (قال كم ليستم) قرأ حمزة والكسائي قل كم وقل إن على الأمر والنهي ومعنى الآية قولوا أيها الكافرون فأخرج الكلام مخرج الواحد. والمراد منه الجماعة إذ كان معناه مفهوماً ويجوز أن يكون الخطاب لكل واحد منهم أي قل يا أيها الكافرون وقرأ ابن كثير قل كم على الأمر وقال إن على الخبر لأن الثانية جواب وقرأ الآخرون قال فيهما جديعا أي قال الله تعالى للكفار يوم البعث كم ليستم (في الأرض أي في الدنيا وفي القبور) عدد سنين قالوا لبئنا يوماً أو بعض يوم (نسوا مدة أيهم في الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب) فاسئل العادين (٤٦) الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحسونها عليهم (قال إن ليستم)

أي ما ليستم في الدنيا (إلا قليلاً) سماه قليلاً لأن الواحد وإن طال مكة في الدنيا فإنه يكون قليلاً في جنب ما يابث في الآخرة لأن لبثه في الدنيا والقبور منتهاه (لو أنكم كنتم تعلمون) قدر ليستم في الدنيا (أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً) لعباً وباطلاً لا لحكمة وهو نصب على الحال أي عابثين وقيل للعبث أي لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وإنما خلقتكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل (وأنكم إنا لا ترجعون) أي في دار الآخرة للجزاء. روى البيهقي بسنده عن الحسن أن رجلاً مصاباً مر به علي بن مسعود فرقاه في أذنه أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وأنكم إنا لا ترجعون حتى ختمت السورة فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقيت في أذنه فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على الجبل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون فقال عز وجل (فتعالى الله الملك الحق) أي هو التام المرتفع وإنما خص العرش بالذكر لأنه أعظم الخواص (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) يعني لا حجة ولا بينة له به إذ لا يمكن إقامة برهان ولا دليل على إلهية غير الله ولا حجة في دعوى الشرك (فإنما حسابه) أي جزاؤه (عند ربه) أي هو مجازيه بعمله (إنه لا يفلح الكافرون) يعني لا يسعد من جحد وكذب (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين).

رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل بلال وعمار وصهيب وخباب ثم قال الله (إني جزيتهم اليوم بما صبروا) أي على إذاكم واستهزائكم في الدنيا (أنهم هم الفائزون) أي جزيتهم بصبرهم الفوز بالجنة (قال) يعني أن الله قال للكفار يوم البعث (كم ليستم في الأرض) أي في الدنيا وفي القبور (عدد سنين قالوا لبئنا يوماً أو بعض يوم) معناه أنهم نسوا مدة لبثهم في الدنيا لعظم ما هم بصدده من العذاب (فاسئل العادين) يعني الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ويحسونها عليهم (قال إن ليستم) أي ما ليستم في الدنيا (إلا قليلاً) سماه قليلاً لأن المرء وإن طال لبثه في الدنيا فإنه يكون قليلاً في جنب ما يلبث في الآخرة (لو أنكم كنتم تعلمون) يعني قدر لبثكم في الدنيا قوله عز وجل (أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً) أي لعباً وباطلاً لا لحكمة وقيل للعبث معناه لتلعبوا وتعبثوا كما خلقت البهائم لا ثواب لها ولا عقاب وإنما خلقتكم للعبادة وإقامة أوامر الله عز وجل (وأنكم إنا لا ترجعون) أي في دار الآخرة للجزاء. روى البيهقي بسنده عن الحسن أن رجلاً مصاباً مر به علي بن مسعود فرقاه في أذنه أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً وأنكم إنا لا ترجعون حتى ختمت السورة فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقيت في أذنه فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على الجبل لزال ثم نزه الله تعالى نفسه عما يصفه به المشركون فقال عز وجل (فتعالى الله الملك الحق) أي هو التام المرتفع وإنما خص العرش بالذكر لأنه أعظم الخواص (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) يعني لا حجة ولا بينة له به إذ لا يمكن إقامة برهان ولا دليل على إلهية غير الله ولا حجة في دعوى الشرك (فإنما حسابه) أي جزاؤه (عند ربه) أي هو مجازيه بعمله (إنه لا يفلح الكافرون) يعني لا يسعد من جحد وكذب (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين).

للجزاء وقرأ حمزة والكسائي ويعقوب لا ترجعون بفتح التاء وكسر الجيم أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور تفسير محمد بن محمد بن سمان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا بشر بن عمر أنا عبد الله ابن طيبة أنا عبد الله بن هبيرة عن حنشل أن رجلاً مصاباً مر به علي بن مسعود فرقاه في أذنيه أفحسبتم إنما خلقناكم عبثاً حتى ختمت السورة فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بماذا رقيت في أذنه فأخبره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال ثم نزه الله نفسه عما يصفه به المشركون فقال جل ذكره (فتعالى الله الملك الحق لإله إلا هو رب العرش الكريم) يعني السرير الحسن، وقيل المرتفع (ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به) أي لا حجة له به ولا بينة لأنه لا حجة في دعوى الشرك (فإنما حسابه) جزاؤه (عند ربه) مجازيه بعمله كما قال تعالى ثم إن علينا حسابهم (إنه لا يفلح الكافرون) لا يسعد من جحد وكذب (وقل رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين)

(سورة النور) مدنية وهي ثلثان أو أربع وستون آية (بسم الله الرحمن الرحيم) (سورة) أي هذه سورة (أنزلناها وفرضاها) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وفرضاها بتشديد الراء وقرأ الآخرون بالتخفيف أي أوجبنا ما فيها من الأحكام وأزمنناكم العمل بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الحدود . والقرض التقدير قال الله عز وجل فنصف ما فرضتم أي قدرتم ودليل التخفيف قوله إن الذي فرض عليك القرآن، وأما التشديد فمعناه وفصلناه وبيناه وقيل هو بمعنى القرض الذي هو بمعنى الإيجاب أيضا والتشديد للتكثير لكثرة ما فيها من القرائن أي أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم إلى قيام الساعة (وأنزلنا فيها آيات بينات) (واضحات (لعلكم تذكرون) تنعظون . قوله عز وجل (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) (أراد إذا كانا حريين بالغين عاقبين بكرين غير محصنين فاجلدوا (٤٧) فاضربوا كل واحد منهما مائة جلدة

يقال جلده إذا ضرب

جلده كما يقال رأسه

ويطنه إذا ضرب رأسه

ويطنه وذكر يلفظ الجلد

لثلا يبرح ولا يضرب

بجيت يبلغ اللحم وقد

وردت السنة أنه يجلد

مائة ويغرب عاما وهو

قول أكثر أهل العلم وإن

كان الزاني محصنا فعليه

الرجم ذكرناه في سورة

النساء (ولا تأخذكم بهما

رأفة) أي رحمة ورقة

وقرأ ابن كثير رأفة بفتح

الهمزة ولم يختلفوا في

سورة الحديد أنها ما كنة

مجاورة قوله ورحمة والرأفة

معنى يكون في القلب

لا ينهى عنه لأنه لا يكون

باختيار الإنسان. روى

أن عبد الله بن عمر جلد

(تفسير سورة النور وهي مدنية وهي اثنتان وقيل أربع وستون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (سورة أنزلناها وفرضاها) أي أوجبنا ما فيها من الأحكام والأزمنناكم العمل بها وقيل معناه قدرنا ما فيها من الحدود وقيل أوجبناها عليكم وعلى من بعدكم ، إلى قيام الساعة (وأنزلنا فيها آيات بينات) أي واضحات (لعلكم تذكرون) يعني تنعظون . قوله تعالى (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة) الزنا هو من الكبائر وموجب للحد وهو لإصلاح فرج في فرج مشتمى طبعاً محرم شرعاً. والشروط المعتمدة في وجوب الحد العتل والبلوغ وبشرط الإحصان في الرجم ويجب على العبد والأمة نصف الحد ولا رجم عليهما لأنه لا يتنصف وقوله فاجلدوا أي فاضربوا يقال جلده إذا ضرب جلده ولا يضرب بحيث يبلغ اللحم كل واحد منهما أي الزانية والزاني مائة جلدة وقد وردت السنة بجلد مائة وتغريب عام وبه قال الشافعي وقال أبو حنيفة التغريب إلى رأى الإمام وقال مالك يجلد الرجل مائة جلدة ويغرب ويجلد المرأة ولا تغرب وإن كان الزاني محصنا فعليه الرجم (ولا تأخذكم بهما رأفة) أي رحمة ورقة فتعطلوا الحدو: ولا تقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبيرة والنخعي والشعبي وقيل معنى الرأفة أن تخففوا الضرب بل أوجعوهما ضرباً وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري يجتهد في حد الزنا والفرية أي القذف ويخفف في حد الشرب وقيل يجتهد في حد الزنا ويخفف دون ذلك في حد الفرية ويخفف دون ذلك في حد الشرب (في دين الله) أي في حكم الله . وروى أن عبد الله بن عمر جلد جارية له زنت فقال للجلاذ اضرب ظهرها ورجلها فقال له ابنه ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فقال بابني إن الله لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فأوجعت (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) معناه أن المؤمن لا تأخذ الرأفة إذا جاء أمر الله وقيل هو من باب التيسير ، والتأهب التفضب لله تعالى ولدينه ومعناه إن كنتم تؤمنون فلا تركوا إقامة الحدود (وليشهد) يعني وليحضر (عذابهما) أي حدهما إذا أقيم عليهما (طائفة) يعني نفر (من المؤمنين) قيل أقله رجل واحد فصاعداً وقيل رجلان وقيل ثلاثة وقيل

جارية له زنت فقال للجلاذ اضرب ظهرها ورجلها فقال له ابنه لا تأخذكم بهما رأفة في دين الله فقال بابني إن الله عز وجل لم يأمرني بقتلها وقد ضربت فأوجعت . واختلفوا في معنى الآية فقال قوم لا تأخذكم بهما رأفة فتعطلوا الحدود ولا تقيموها وهذا قول مجاهد وعكرمة وعطاء وسعيد بن جبيرة والنخعي والشعبي وقال جماعة معناه ولا تأخذكم بهما رأفة فتخففوا الضرب ولكن أوجعوهما ضرباً وهو قول سعيد بن المسيب والحسن قال الزهري يجتهد في حد الزنا والفرية ويخفف في حد الشرب وقال قتادة يجتهد في حد الزنا ويخفف في الشرب والفرية (في دين الله) أي في حكم الله (إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر) معناه أن المؤمن لا تأخذ الرأفة إذا جاء أمر الله تعالى (وليشهد) وليحضر (عذابهما) أي حدهما إذا أقيم عليهما (طائفة) نفر (من المؤمنين) قال مجاهد والنخعي أقله رجل واحد ففصاعداً وقال عطاء ورجلان فصاعداً وقال الزهري

وقتادة ثلاثة فصاعدا وقال مالك وابن زيد أربعة بعدد شهود الزنا . قوله (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لامال لهم ولا عشائر وبالمدينة نساء بغايا يكرهن أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة فرغب أناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية وحرم على المؤمنين أن يتزوجوا تلك البغايا لأنهن كن مشركات وهذا قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح وقتادة والزهرى والشعبي ورواية العوفي عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت في نساء بمكة والمدينة ممن تسع لهن ربايات كرايات البيطار يعرفن بها ممن أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي فكان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية يتخذها مالكة فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة فاستأذن رجل من المسلمين رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح أم مهزول واشترطت له أن تنفق عليه فأنزل الله هذه الآية . (٤٨) وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان رجل يقال له مرثد بن

أربعة بعدد شهود الزنا . قوله عز وجل (الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين) اختلف العلماء في معنى الآية وحكمها فقال قوم قدم المهاجرون المدينة وفيهم فقراء لامال لهم ولا عشائر وفي المدينة نساء بغايا هن أخصب أهل المدينة فرغب ناس من فقراء المسلمين في نكاحهن لينفقن عليهم فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك فنزلت هذه الآية فحرم على المؤمنين أن يتزوجوا تلك البغايا لأنهن كن مشركات وهذا قول مجاهد . وعطاء وقتادة والزهرى والشعبي ورواية عن ابن عباس وقال عكرمة نزلت في نساء كن بمكة والمدينة لهن ربايات يعرفن بها ممن أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي وكان في الجاهلية ينكح الزانية يتخذها مائة كلة فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الصفة فاستأذن رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح أم مهزول واشترطت له أن تنفق عليه فأنزل الله عز وجل هذه الآية وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال : كان رجل يقال له مرثد بن أبي مرثد الغنوي وكان يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت بمكة بغى يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما أتى مكة دعته عناق إلى نفسها فقال مرثد إن الله حرم الزنا قالت فانكحني فقال حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأبيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكح عناقا ؟ فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئا فنزلت الآية وحرم على منكحها إلا زان أو مشرك فدعاني فقراها على وقال لا تنكحها ، أخرجه الترمذى واللساني وأبو داود بالفاظ متقاربة المعنى فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصا في حق أولئك دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعنى الآية الزاني لا يزني إلا زانية

أبي مرثد الغنوي كان يحمل الأسارى من مكة حتى يأتي بهم المدينة وكانت بمكة بغى يقال لها عناق وكانت صديقة له في الجاهلية فلما أتى مكة دعته عناق إلى نفسها فقال مرثد إن الله حرم الزنا قالت فانكحني فقال حتى أسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأبيت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أنكح عناقا ؟ فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد شيئا فنزلت الآية وحرم على منكحها إلا زان أو مشرك فدعاني النبي

صلى الله عليه وسلم فقراها على وقال لا تنكحها ، فعلى قول هؤلاء كان التحريم خاصا في حق أولئك دون سائر الناس وقال قوم المراد من النكاح هو الجماع ومعناه أن الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة والزانية لا تزني إلا بزان أو مشرك وهو قول سعيد بن جبير والضحاك بن مزاحم ورواه الوالي عن ابن عباس قال يزيد بن هارون إن جامعها وهو مستحل فهو مشرك وإن جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول إذا تزوج الزاني بالزانية فهما زانان أبدا وقال الحسن أني انحلود لا ينكح إلا زانية مجلودة والزانية المجلودة لا ينكحها إلا زان مجلود قال سعيد بن المسيب وجماعة إن حكم الآية منسوخ فكان نكاح الزانية حراما بهذه الآية فنسخها قوله « وأنكحوا الأبامى منكم » فدخلت الزانية في أبامى المسلمين . واحتج من جوز نكاح الزانية بما أخرجهنا أبو الفرج المظفر بن إسماعيل تميمي أنا أبو القاسم حمزة بن يوسف السهمي أنا أبو أحمد عبد الله بن عبد الحافظ أنا الحسن بن فرج أنا عمرو بن خالد الحراني أنا عبيد الله عن عبد الكريم الجزري عن أبي الزبير عن جابر ، أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله

إن امرأتى لا تمتنع يد لأمس قال طلقها قال فأتى أحبها وهي جميلة قال استمتع بها وفي رواية غيره فأمسكها إذا وروى أن عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامرأة في زنا وحرص أن يجمع بينهما (٤٩) فأتى الغلام . قوله (والذين يرمون

المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة) أراد بالرمي القذف بالزنا وكل من رمى محصنا أو محصنة بالزنا فقال له زنيته أو يازاني فيجب عليه جلد ثمانين جلدة إن كان حرا وإن كان عبدا فيجلد أربعين وإن كان للمقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وشرائط الإحصان خمسة الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى إن من زنى مرة في أول بلوغه ثم تاب وحسنت حالته وامتد عمره فقتله قاذف فلا حد عليه فإن أقر المقذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعين شهادة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن أربعة من الشهود على زناه سقط الحد عن القاذف لأن الحد الذي وجب عليه حد القرية وقد ثبت صدقه، وقوله (والذين يرمون المحصنات) أي يقذفون بالزنا المحصنات يعني المسلمات الحررات العفاف ثم لم

أو مشركة والزانية لا تزني إلا بزنا أو مشرك وهذا قول سعيد بن جبير والضحاك ورواية عن ابن عباس قال يزيد بن هارون إن جامعها وهو مستحل فهو مشرك وإن جامعها وهو محرم فهو زان وكان ابن مسعود يحرم نكاح الزانية ويقول إذا تزوج الزانية فهما زانيان وقال سعيد بن المسيب وجماعة إن حكم الآية منسوخ وكان نكاح الزانية حراما بهذه الآية ثم نسخت بقوله تعالى « وأنكحوا الأيامى منكم » فدخلت الزانية في هذا العموم واحتج من جوز نكاح الزانية بما روى عن جابر « أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إن امرأتى لا تمتنع يد لأمس فقال طلقها قال إلى أحبها وهي جميلة قال استمتع بها » وفي رواية غيره فأسكها إذا وروى هذا الحديث أبو داود والنسائي عن ابن عباس قال النسائي رفعه أحد الرواة إلى ابن عباس ولم يرفعه بعضهم قال وهذا الحديث ليس ثابت وروى أن عمر بن الخطاب ضرب رجلا وامرأة في زنا وحرص على أن يجمع بينهما فأتى الغلام (١) وقيل في معنى الآية إن الفاجر الخبيث لا يرغب في نكاح الصالحة من النساء وإنما يرغب في نكاح فاجرة خبيثة مثله أو مشركة والفاسقة الخبيثة لا ترغب في نكاح الصالحاء من الرجال وإنما ترغب في نكاح فاسق خبيث مثله أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين أي صرف الرغبة بالكلية إلى نكاح الزواني وترك الرغبة في الصالحات العفاف محرم على المؤمنين ولا يلزم من حرمة هذا حرمة الزوج بالزانية . قوله تعالى (والذين يرمون) أي يقذفون بالزنا (المحصنات) يعني المسلمات الحررات العفاف (ثم لم يأتوا بأربعة شهداء) أي يشهدون على الزنا (فاجلدوهم ثمانين جلدة) بيان حكم الآية أن من قذف محصنا أو محصنة بالزنا فقال له يازاني أو يازانية أو زنيته فيجب عليه جلد ثمانين إن كان القاذف حرا وإن كان عبدا يجلد أربعين وإن كان المقذوف غير محصن فعلى القاذف التعزير وشرائط الإحصان خمسة الإسلام والعقل والبلوغ والحرية والعفة من الزنا حتى أو زنى في عمره مرة واحدة ثم تاب وحسنت توبته بعد ذلك ثم قذفه قاذف فلا حد عليه فإن أقر المقذوف على نفسه بالزنا أو أقام القاذف أربعة يشهدون عليه بالزنا سقط الحد عن القاذف لأن الحد إنما وجب عليه لأجل القرية وقد ثبت صدقه وأما الكتابيات مثل أن يقول يا فاسق أو يا فاجر أو يا خبيث أو يا مؤاجر أو قال امرأتى لا تريد لأمس فهذا ونحوه لا يكون قذفا لأن يريد ذلك وأما التعريض مثل أن يقول أما أنا فما زنيته أو أبيت امرأتى زانية فليس بقذف عند الشافعي وأبي حنيفة وقال مالك يجب فيه الحد وقال أحمد هو قذف في حال الغضب دون حال الرضا . وقوله تعالى (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون) فيه دليل على أن القذف من الكبائر لأن اسم الفاسق لا يقع إلا على صاحب كبيرة (إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء فذهب قوم إلى أن القاذف ترد شهادته بنفس القذف وإذا تاب وتدم على ما قال وحسنت حاله بعد التوبة قبلت شهادته سواء تاب بعد إقامة الحد عليه أو قبله لقوله تعالى « إلا الذين تابوا » وقالوا هذا الاستثناء يرجع إلى رد الشهادة إلى الفسق (١) ظن أن المراد بالغلام هنا الشاب الذي قد زنى بها في الزواج فنها بعد إقامة الحد عليهما أمصحا.

(٧ - خازن بالبعوى - خامس)

يأتوا بأربعة شهداء يشهدون على زناه فاجلدوهم ثمانين جلدة (ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم) اختلف العلماء في قبول شهادة القاذف بعد التوبة وفي حكم هذا الاستثناء ، فذهب قوم إلى

أن القاذف تُرد شهادته بنفس القذف وإذا تاب وتدم على ما قال وحصلت حالته قبلت شهادته سواء تاب بعد إقامة الحد عليه أو قبلها لقوله تعالى «إلا الذين تابوا» وقالوا الاستثناء يرجع إلى رد الشهادة وإلى القسق فبعد التوبة تقبل شهادته ويحول عنه اسم القسق بروى ذلك (٥٠) عن ابن عباس وعمر وهذا قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء

وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر ابن عبدالعزيز والزهرى وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم إلى أن الشهادة المحدودة في القذف لا تقبل أبدا وإن تاب وقالوا الاستثناء يرجع إلى قوله «وأولئك هم الفاسقون» وهو قول النخعي وشرح وأصحاب الرأي وقالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يجد قال الشافعي وهو قبل أن يجد شر منه حين يجد لأن الحدود كفارات فكيف يردونها في أحسن حاله ويقبلونها في شر حاله ، وذهب الشعبي إلى أن حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع إلى الكل وعامة العلماء على أنه لا يسقط بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقتوف فيستعد كالتقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة. فان قيل إذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى قوله أبدا . قلت معنى أبدا مادام مرسرا على القذف لأن أبدا كل إنسان مدته على ما يليق به كما يقال شهادة الكافر لا تقبل أبدا يراد بذلك مادام على كفره فإذا أسلم قبلت شهادته . قوله عز وجل (والذين رمون) أى يقذفون (أزواجهم ولم يكن لهم شهداء) أى يشهدون على صحة ما قالوا (إلا أنفسهم) أى غير أنفسهم (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين) سبب نزول هذه الآية ما روى عن سهل بن سعد الساعدي أن عويمر العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي فقال لعاصم رأيت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقنله فتقتلونه أم كيف يفعل سئل لى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة وعابها حتى كبر على عاصم فسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم إلى أهله جاءه عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة التي سألت عنها فقال عويمر والله لا أنتهي حتى أسأله عنها فجاء عويمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول الله رأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقنله فتقتلونه أم كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنا فاذهب فأت بها قال سهل فتلانا وأنا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغنا من تلاعتهما قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين أخرجه في الصحيحين فزاد في رواية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا إن جاءت به أسحم أزعج العينين عظيم الإبتين خداج الساقين فلا أحسب عويمرا إلا بوقد صدق عليها وإن جاءت به أحمير كأنه وحره فلا أحسب عويمرا إلا قد كذب عليها فجماعت به على التعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب إلى أمه قوله أسحم أى أسود الادمج الشديد سواد العين مع سعتها وقوله خداج الساقين أى ممتلئ الساقين غليظهما وقوله ، كأنه

وإذا تاب تقبل شهادته ويحول عنه اسم القسق بروى ذلك عن عمر وابن عباس وهو قول سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وطاوس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والشعبي وعكرمة وعمر ابن عبدالعزيز والزهرى وبه قال مالك والشافعي وذهب قوم إلى أن الشهادة المحدودة في القذف لا تقبل أبدا وإن تاب وقالوا الاستثناء يرجع إلى قوله «وأولئك هم الفاسقون» وهو قول النخعي وشرح وأصحاب الرأي قالوا بنفس القذف لا ترد شهادته ما لم يجد قال الشافعي وهو قبل أن يجد شر منه حين يجد لأن الحدود كفارات فكيف تردونها في أحسن حاله ويقبلونها في شر حاله ، وذهب الشعبي إلى أن حد القذف يسقط بالتوبة وقال الاستثناء يرجع إلى الكل وعامة العلماء على أنه لا يسقط الحد بالتوبة إلا أن يعفو عنه المقتوف فيسقط كالتقصاص يسقط بالعفو ولا يسقط بالتوبة . فان قلت إذا قبلت شهادته بعد التوبة فما معنى قوله أبدا . قلت معنى أبدا مادام مرسرا على القذف لأن أبدا كل إنسان مدته على ما يليق به كما يقال شهادة الكافر لا تقبل أبدا يراد بذلك مادام على كفره فإذا أسلم قبلت شهادته . قوله عز وجل (والذين رمون) أى يقذفون (أزواجهم ولم يكن لهم شهداء) أى يشهدون على صحة ما قالوا (إلا أنفسهم) أى غير أنفسهم (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين) سبب نزول هذه الآية ما روى عن سهل بن سعد الساعدي أن عويمر العجلاني جاء إلى عاصم بن عدي فقال لعاصم رأيت لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقنله فتقتلونه أم كيف يفعل سئل لى عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة وعابها حتى كبر على عاصم فسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم إلى أهله جاءه عويمر فقال يا عاصم ماذا قال لك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم ما سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة التي سألت عنها فقال عويمر والله لا أنتهي حتى أسأله عنها فجاء عويمر ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول الله رأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أيقنله فتقتلونه أم كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل الله فيك وفي صاحبك قرآنا فاذهب فأت بها قال سهل فتلانا وأنا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغنا من تلاعتهما قال عويمر كذبت عليها يا رسول الله إن أمسكتها فطلقها ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة المتلاعنين أخرجه في الصحيحين فزاد في رواية ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا إن جاءت به أسحم أزعج العينين عظيم الإبتين خداج الساقين فلا أحسب عويمرا إلا بوقد صدق عليها وإن جاءت به أحمير كأنه وحره فلا أحسب عويمرا إلا قد كذب عليها فجماعت به على التعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب إلى أمه قوله أسحم أى أسود الادمج الشديد سواد العين مع سعتها وقوله خداج الساقين أى ممتلئ الساقين غليظهما وقوله ، كأنه

معناه لا تقبل شهادته أبدا مادام هو مرسرا على قذفه لأن أبدا كل إنسان مدته على ما يليق وحره بحاله كما يقال لا تقبل شهادة الكافر أبدا إراد مادام كافرا . قوله (والذين رمون نسائهم) يقذفون نسائهم (ولم يكن لهم شهداء) يشهدون على صحة ما قالوا (إلا أنفسهم) غير أنفسهم (فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين)

وحررة بفتح الحاء دوية كالعظاءة تلتصق بالأرض وأراد بها في الحديث المبالغة في قصره (خ)
 عن ابن عباس « أن هلال بن أمية نذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سماعة
 فقال النبي صلى الله عليه وسلم البينة أوحده في ظهره فتعال يا رسول الله إذا رأى أحد على امرأته
 رجلا ينطلق يلتمس البينة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البينة وإلا أحد في ظهره فقال
 هلال بن أمية والنبي بعثك بالحق إني لصادق ولينزلن الله ما يرى* ظهرى من الحد فنزل
 جبريل عليه السلام وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهن « فقرأ حتى بلغ إن كان من الصادقين
 فأنصرف النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليهما فجاء فقام هلال بن أمية فشهدوا النبي صلى
 الله عليه وسلم يقول الله يعلم إن أحدكما كاذب فهل منكأ تائب ثم قامت فشهدت فلما
 كانت عند الخامسة وقفها وقال إنها موجهة قال ابن عباس فتلصقات ونكصت حتى ظننا أنها
 ترجع ثم قالت لا أفصح قومي سائر اليوم فضت فقال النبي ﷺ انظروها فان جاءت به
 أكحل العينين سابغ الإيتين خدليح الساقين فهو لشريك بن سماعة فجاءت به كذلك فقال
 النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي وطأ شأنه وفي رواية غير البخاري
 عن ابن عباس قال « لما تزأت والذين يرمون المحصنات » الآية قال سعد بن عبادة لو أنبت لكاع
 وقد تدخلها رجل لم يكن لي أن أهبجه حتى آتى بأربعة شهداء فو الله ما كنت لآتى بأربعة
 شهداء حتى يفرغ حاجته ويذهب وإن قلت ما رأيت إن في ظهرى ثمانين جلدة فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما يقول سيدكم قالوا لا نأمنه فإنه رجل
 غيور ما تزوج امرأة قط إلا بكرا ولا طلق امرأة له واجترأ رجل منا أن يتزوجها فقال سعد
 يا رسول الله بأبي أنت وأمي والله إني لأعرف أنها من الله وأنها حق ولكن عجبت من ذلك لما
 أخبر الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله يأبى إلا ذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم
 يلبثوا إلا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية من حديقة له فرأى رجلا مع امرأته
 يزنيها فأمسك حتى أصبح فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس
 مع أصحابه فقال يا رسول الله إني جئت إلى أهلي عشاء فوجدت مع امرأتي رجلا رأيت بهيبي
 وسمعت بأذني فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه حتى عرفت ذلك
 في وجهه فقال هلال والله يا رسول الله إني لأرى الكرامة في وجهك مما أتيتك به والله يعلم
 إني لصادق وما قلت إلا حقا وإني لأرجو أن يجعل الله في فرجنا فهم رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بضربه قال واجتمعت الأنصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد بجلد هلال وتبطل شهادته
 فبيناهم كذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه الوحي فأمسك
 أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل حتى فرغ فأنزل الله والذين يرمون أزواجهن
 إلى آخر الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشر يا هلال فإن الله تعالى قد جعل لك
 فرجا فقال كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلوا إليها فجاءت فلما
 اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكأ تائب فقال يا رسول الله قد صدقت وما قلت إلا
 حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا عنوا بينهما فليل هلال أشهد فشهد أربع شهادات
 بالله إنه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب

قرأ حمزة والكسائي
 وحفص ويعقوب أربع
 شهادات برفع العين على
 خبر الابتداء أي فشهادة
 أحدهم التي تدبر الحد
 أربع شهادات وقرأ
 الآخرون بالنصب أي
 فشهادة أحدهم أن
 يشهد أربع شهادات
 بالله إنه لمن الصادقين

رفع ثم يعقوب قرأ
 غضب بالرفع وقرأ نافع
 غضب بكسر الضاد
 وفتح الياء على الفعل
 الماضي الله رفع وقرأ
 الآخرون أن بالتشديد
 فيها العنة نصب وغضب
 بفتح الضاد على الاسم
 الله جر وقرأ حفص
 عطف عاصم والخامسة
 الثانية نصب أي ويشهد
 الشهادة الخامسة وقرأ
 الآخرون بالرفع على
 الابتداء وخبره في إن
 كالأولى وسبب نزول
 هذه الآية ما أخبرنا
 أبو الحسن السرخسي
 أخبرنا زاهر بن أحمد
 أنا أبو إسحاق إبراهيم
 ابن عبد الصمد الماضي
 أنا أبو مصعب عن مالك
 عن ابن شهاب وأن
 سهل بن سعد الساعدي
 أخبرنا أن عويمرا العجلاني
 جاء إلى عاصم بن عدي
 الأنصاري فقال له يا عاصم
 رأيت لو أن رجلا وجد
 مع امرأته رجلا أيقنته
 تقتلونه أم كيف يفعل ؟
 سألني عن ذلك يا عاصم
 رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال فسأل عاصم
 رسول الله صلى الله
 عليه وسلم عن ذلك
 فكره رسول الله صل
 الله عليه وسلم المسائل
 وعابها حتى كبر على
 عاصم ما منع من رسول الله

الآخرة وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس وإن هذه الخامسة هي الموجبة التي توجب عليك
 العذاب فقال حلال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجذبني رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فشهد (والخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين) ثم قال للمرأة اشهدي فشهدت
 أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة ووقفها التي الله إن الخامسة موجبة
 وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس فتلكأت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لأفصح
 قومي فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه
 وسلم بينهما وقضى أن الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرمى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إن جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وإن جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه فجاءت به
 غلاما كأنه جمل أورق على الشبه المسكروه وكان أميرا بمصر لا يدري من أبوه الأورق هو
 الأبيض وروى ابن عباس أن عويمرا لما لعن زوجته خولة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم
 حتى تودي الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال أشهد بالله أن خولة تزانية
 وإني لمن الصادقين ثم قال في الثانية أشهد بالله إني رأيت شريكا على بطنها وإني لمن الصادقين ثم
 قال في الثالثة أشهد بالله إنها لحبلى من غيري وإني لمن الصادقين ثم قال في الرابعة أشهد بالله إني
 ما قردها منذ أربعة أشهر وإني لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعني نفسه إن
 كان من الكاذبين فيما قال ثم أمره بالتعود فقعد ثم قال لخولة قومي فقامت فقالت أشهد بالله
 ما أنا بزانية وإن عويمرا لمن الكاذبين ثم قالت في الثانية أشهد بالله إنه ما رأى شريكا على بطنها وإنه
 لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة أشهد بالله إني حبلى منه وإنه لمن الكاذبين ثم قالت في الرابعة
 أشهد بالله إنه ما رأى قط على فاحشة وإنه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة
 تعني نفسها إن كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه
 الأيمان لكان لي في أمر ما رأيت ثم قال تحبوا الولادة فإن جاءت به أصيحب أتيح بضرب إلى
 السواد فهو لشريك بن صماء وإن جاءت به أورق جعدا جماليا خدلج السابق فهو لغير
 الذي رميت به قال ابن عباس فجاءت بأشبهه خلق بشريك .
 (بيان حكم الآية)

إن الرجل إذا قذف امرأته فوجبه موجب قذف الأجنبية وجوب الحد عليه إن كانت
 محصنة أو التعزير إن كانت غير محصنة غير أن المخرج منها ما يختلف فإذا قذفت أجنبية أو أجنبية
 يقام عليه الحد إلا أن يأتي بأربعة يشهدون بالزنا أو يقر المقلوب بالزنا فيسقط عنه الحد وفي
 الزوجة إذا وجد أحد هذين أو لاعن سقط عنه الحد فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة البينة لأن
 الرجل إذا رأى مع امرأته رجلا ربما لا يمكنه إقامة البينة ولا يمكنه الضرب على العار فجعل الله
 اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين
 وإذا أقام الزوج بيته على زناها أو اعترفت هي بالزنا سقط عنه الحد واللعان إلا أن يكون هناك
 ولد يريد نفيه فله أن يلاعن لنفيه وإذا أراد الإمام أن يلاعن بينهما بدأ بالرجل فيقيمها
 ويلقنه كلمات اللعان فيقول قل أشهد بالله إني لمن الصادقين فيما رميت به زوجتي فلانة من
 الزنا وإن كان قد رماها برجل يعينه مهادي اللعان ويقول كما يلائنه الإمام وإن كان ولد أو حمل
 يريد نفيه يقول وإن هذا الولد أو هذا الحمل لمن الزنا ما هو مني ويقول في الخامسة على لعنة

عاصم ما منع من رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رجع عاصم إلى أهله جاء عويمر فقال له يا عاصم ماذا قال لك الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عاصم لعويم لم تأتني بخبر قد كره رسول الله صلى الله عليه وسلم المسألة التي سألتك عنها فقال عويم والله لا أتنبئ حتى أسأله عنها فجاء عويم ورسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الناس فقال يا رسول الله أ رأيت رجلا وجد مع امرأته رجلا أبقته فقتلونه أم كيف يفعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أنزل فيك وفي صاحبك فاذهب فأت بها فقال سهل فتلنا وأنا مع الناس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغنا من تلاعنا قال عويم كذبت عنها يا رسول الله إن أمسكنها فظلمنا ثلاثا قبل أن يأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مالك قال ابن شهاب فكانت تلك سنة الملاحين . وقال محمد بن إسماعيل أنا إسحاق أنا محمد بن يوسف أنا الأوزاعي أنا الزهري بهذا الإسناد بمثل معناه وزاد ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انظروا فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الألتين خدلج الساقين فلا أحسب عويمرا إلا قد صدق عليها وإن جاءت به أحيمر كأنه وحررة فلا أحسب عويمرا إلا قد كذب عليها فاجاءت به على التعت الذي نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصديق عويمر فكان بعد ينسب إلى أمه أخبرنا عبد الواحد الملبحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشار أنا ابن أبي عدي عن هشام بن حسان أنا عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذفت امرأته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بشرريك بن حرماء فقال النبي صلى الله عليه وسلم يقول البيهة وإلا حد في ظهرك فقال يا رسول الله إذا رأيت أحدا على امرأته رجلا يطلق يلتمس البيهة فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول البيهة وإلا حد في ظهرك فقال هلال والذي بعثك بالحق إنني لصادق ولينزلن الله ما يرى من ظهري من الحد فنزل جبريل وأنزل عليه والذين يرمون أزواجهم فقرأ حتى بلغ إن كان من الصادقين فأنصرت النبي صلى الله عليه وسلم فأرسل إليهما فجاء هلال فشهد والنبي صلى الله عليه وسلم يقول إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب ثم قامت فشهدت فلما كانت عند الخامسة وقفوها وقالوا إنها موجبة قال ابن عباس فتلكتك ونكصت حتى ظننا أنها ترجع ثم قالت لا أنضح قومي سائر اليوم فضت فقال النبي (٥٣) صلى الله عليه وسلم أبصروها فإن

الله إن كنت من الكاذبين فيما رميت به فلانة وإذا أتى بكلمة من كلمات اللعان من غير تلقين الإمام لا تحسب فإذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين الزوجة وحرمت عليه

جاءت به أكحل العينين سابغ الألتين خدلج الساقين فهو

لشريك بن حرماء فجاءت به كذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن وقال عكرمة عن ابن عباس قال لما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية قال سعد بن عبادة لو أتيت لكاع وقد تفخذها رجل لم يكن لي أن أميجه حتى آتي بأربعة شهداء فوالله ما كنت لآتي بأربعة شهداء حتى يفرغ من حاجته ويذهب وإن قلت ما رأيت إن في ظهري ثمانين جلدة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا معشر الأنصار ألا تسمعون ما قال سيدكم قالوا لا نعلمه فانه رجل غيور ما تزوج امرأة قط إلا بكررا ولا طلق امرأة له فاجترأ رجل منا أن يزوجها فقال سعد يا رسول الله بأي أنت وأمي والله إنني لأعرف أنها من الله وأنها حق ولكن عجبت من ذلك لما أخبرك الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم فإن الله بأي إلا ذلك فقال صدق الله ورسوله قال فلم يلبثوا إلا يسيرا حتى جاء ابن عم له يقال له هلال بن أمية من حديقة له فرأى رجلا مع امرأته يزني بها فأمسك حتى أصبح فلما أصبح علنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أصحابه فقال يا رسول الله إنني جئت أهلي عشاء فوجدت رجلا مع امرأتي رأيت بعيني وسمعت بأذني فذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به وثقل عليه حتى عرف ذلك في وجهه فقال هلال والله يا رسول الله إنني لأرى الكراهية في وجهك مما أتيتك به والله يعلم أني لصادق وما قلت إلا حقا وإنني لأرجو أن يجعل الله لي فرجا فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه قال واجتمعت الأنصار فقالوا ابتلينا بما قال سعد أنجلد هلال وتبطل شهادته وإنهم لذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه الوحي فأمسك أصحابه عن كلامه حين عرفوا أن الوحي قد نزل عليه حتى فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمسكوا فأنزل الله عز وجل والذين يرمون أزواجهم إلى آخر الآيات فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أبشريا هلال فإن الله قد جعل لك فرجا فقال لقد كنت أرجو ذلك من الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسلوا إليها فجاءت فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لها فكذبت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يعلم أن أحدكما كاذب فهل منكما تائب فقال هلال يا رسول الله بأي أنت وأمي قد صدقت وما قلت إلا حقا فقال رسول الله

صلى الله عليه وسلم لا عنوا بينهما فليل اشهد فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فقال له عند الخامسة يا هلال اتق الله فان عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس وإن هذه الخامسة هي الوجبة التي توجب عليك العذاب فقال هلال والله لا يعذبني الله عليها كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فشهد الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ثم قال للمرأة اشهدى فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فقال لها عند الخامسة ووقفها اتق الله فان الخامسة موجبة وإن عذاب الله أشد من عذاب الناس فتلكت ساعة وهمت بالاعتراف ثم قالت والله لأفضح قومي فشهدت الخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقضى بأن الولد لها ولا يدعى لأب ولا يرى ولدها ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن جاءت به كذا وكذا فهو لزوجها وإن جاءت به كذا وكذا فهو للذي قيل فيه فجاءت به غلاما كأنه جمل أورق على الشبه المكروه وكان بعد أميراً على مصر لا يدري من أبوه وقال ابن عباس في سائر الروايات ومقاتل ولما نزلت والذين يرمون المحصنات الآية فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الجمعة على المنبر فقام عاصم بن عدى الأنصاري فقال جعلني الله فداك إن رأى رجل منا مع امرأته رجلاً فأخبر بما رأى جلد ثمانين جلدة وسماه المسدون فاسقا ولا تقبل شهادته أبداً فكيف لنا بالشهداء ونحن إذا التمسنا الشهداء كان الرجل فرغ من حاجته ومر وكان لعاصم هذا ابن عم عويمر وله امرأة يقال لها خولة بنت قيس بن محسن فأتى عويمر عاصمًا وقال لقد رأيت شريك بن السحمان على بطن امرأتى خولة فاسترجع عاصم وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الجمعة الأخرى فقال يا رسول الله ما أمرع ما ابتليت بالسؤال الذي سألت في الجمعة الماضية في أهل بيتي فأخبره وكان عويمر وخولة وشريك كلهم بنى عم عاصم فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم جميعاً وقال لعويمر اتق الله في زوجتك وابنة عمك ولا تتدققها باليهتان فقال يا رسول الله أقسم بالله إنى رأيت شريكا على بطنها وإنى ما قربتها منذ أربعة أشهر وإنها (٥٤) حبل من غيرى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة اتق الله

ولا تجزى إلا بما صنعته فقالت يا رسول

الله إن عويمرا رجل غير وإنه رأى وشريكا يطيل السم وتحدث فحلمته الغيرة على ما قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لشريك ما تقول؟ فقال ما تقولوه المرأة كذب فأنزل الله عز وجل والذين يرمون أزواجهم الآية فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نودي الصلاة جامعة فصلى العصر ثم قال لعويمر قم فقام فقال أشهد بالله إن خولة لزانية وإنى لمن الصادقين ثم قال في الثانية أشهد بالله إنى رأيت شريكا على بطنها وإنى لمن الصادقين ثم قال في الثالثة أشهد بالله إنى حبل من غيرى وإنى لمن الصادقين ثم قال في الرابعة أشهد بالله إنى ما قربتها منذ أربعة أشهر وإنى لمن الصادقين ثم قال في الخامسة لعنة الله على عويمر يعنى نفسه إن كان من الكاذبين فيما قال ثم أمره بالتعود وقال خولة قومي فقامت فقالت أشهد بالله ما أنا بزانية وأن عويمرا من الكاذبين ثم قالت في الثانية أشهد بالله إنه ما رأى شريكا على بطنى وإنه لمن الكاذبين ثم قالت في الثالثة أشهد بالله إنى حبل من الكاذبين ثم قالت في الرابعة أشهد بالله إنه ما رأى شريكا على بطنى وإنه لمن الكاذبين ثم قالت في الخامسة غضب الله على خولة تعنى نفسها إن كان من الصادقين ففرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما وقال لولا هذه الأيمان لكان لى في أمرهما رأى ثم قال تحينوا بها الولادة فإن جاءت به أصيب أنيبح بضرب إلى السواد فهو لعويمر وإن جاءت به أورق جعدا جماليا خدليج الساقين فهو للذي رميت به قال ابن عباس فجاءت فأشبه خلق الله بشريك والكلام في حكم الآية أن الرجل إذا قذف امرأته فوجبه موجب قذف الأجنبي في وجوب الحد عليه إن كانت محصنة أو التعزير إن لم تكن محصنة غير أن المخرج منها مختلف فإذا قذف أجنبيا يقام الحد عليه إلا أن يقم أربعة من اليهود لى زناها أو يقر به المقلوب فيسقط عنه حد القذف. وفي الزوجة إذا وجد أحد هذين أو لا عن يسقط عنه الحد فاللعان في قذف الزوجة بمنزلة البينة لأن الرجل إذا رأى مع امرأته رجلا ربما لا يمكن إقامة البينة عليه ولا يمكنه الصبر على العار فجعل الله اللعان حجة له على صدقه فقال تعالى فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين . وإذا أقام الزوج البينة على زناها أو اعترفت بالزنا سقط عنه الحد واللعان إلا أن يكون هناك ولد يريد نفيه فله أن يلاعن لنفيه وإذا أراد الإمام أن يلاعن بينهما يبدأ فيقيم الرجل ويلقنه كلمات اللعان فيقول قل أشهد بالله إنى لمن الصادقين فبارميت

به فلائنة بالزنا وإن كان قد رماها برجل بعينه مماء بعينه باللعان وإن رماها بجماعة سمام ويقول الزوج كما يلقته الإمام وإن كان ولد أو حمل يريد نفيه يقول وإن هذا الولد أو الحمل لمن الزنا ما هو مني ويقول في الخامسة على لعنة الله إن كنت من الكاذبين فيما رميت به فلائنة وإذا أتى بكلمة منها من غير تلقين الحاكم لا تكون محسوبة . فإذا فرغ الرجل من اللعان وقعت الفرقة بينه وبين زوجته وحرمت عليه على التأيد وانضى عنه النسب وسقط عنه حد القذف له ووجب على المرأة حد الزنا إن كانت محصنة ترجم وإن كانت غير محصنة تجلد وتغرب فهذه خمسة أحكام تتعلق كلها بلعان الزوج . قوله (ويدراً) يدفع (عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين) وأراد بالعذاب الحد كما قال في أول السورة وليشهد عليهما طائفة من المؤمنين أي أحدهما ومعنى الآية أن الزوج إذا لاعن ووجب على المرأة حد الزنا وإذا وجب عليها حد الزنا بلعانه فأرادت (٥٥) إسقاطه عن نفسها فأنها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الكاذبين فيما رماني به وتقول في الخامسة على غضب الله إن كان زوجي من الصادقين فيما رماني به ولا يتعلق بلعانها إلا هذا الحكم الواحد وهو إسقاط الحد عنها ولو أقام الزوج بيعة لم يسقط الحد عنها باللعان وعند أصحاب الرأي لا حد على من قذفت زوجته بل موجه اللعان فإن لم يلاعن حبس حتى يلاعن فإذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة مع اللعان حبست حتى تلاعن وعند الآخرين اللعان حجة صدقه والقاذف إذا قعد عن إقامة البيعة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الأجنبي إذا قعد عن إقامة البيعة . وعند أبي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب وهما لا يحصلان إلا بلعان الزوجين جميعاً وقضاء القاضى وفرقة اللعان فرقة فسخ عند الأكثرين وبه قال الشافعى وتلك الفرقة متأبدة حتى لو أكذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه لافياً له فيلزمه الحد وبالحق الولد لكن لا يرتفع تأييد التحريم . وعند أبي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فإذا أكذب نفسه جاز له أن ينكحها وإذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم وعند أبي حنيفة إذا أتى بأكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صحح بيته صح لعانه حراً كان أو عبداً مسلماً كان أو ذمياً وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعى وأكثر أهل العلم وقال الزهري والأوزاعي وأصحاب الرأي لا يجرى اللعان إلا بين مسلمين حريين غير محدودين فإن كان أحد الزوجين رقيقاً أو ذمياً أو محدوداً في قذفت فلا لعان بينهما وظاهر القرآن حجة لمن قل يجرى اللعان بينهما لأن الله تعالى قال والذين يرمون أزواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره ولا يصح اللعان إلا عند الحاكم أو نائبه ويغلف اللعان بأربعة أشياء بتعدد الألفاظ وبالمسكان والزمان وأن يكون بمحضر جماعة من

تعلق بلعان الزوج . قوله عز وجل (ويدراً) أى يدفع (عنها العذاب) أى الحد (أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين) حكم الآية أن الزوج إذا لاعن ووجب على المرأة حد الزنا فإن أرادت إسقاطه عن نفسها فأنها تلاعن فتقوم وتشهد بعد تلقين الحاكم أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به وتقول في الخامسة على غضب الله إن كان زوجي من الصادقين فيما رماني به ولا يتعلق بلعانها إلا هذا الحكم الواحد وهو إسقاط الحد عنها ولو أقام الزوج بيعة لم يسقط الحد عنها باللعان وعند أصحاب الرأي لا حد على من قذفت زوجته بل موجه اللعان فإن لم يلاعن حبس حتى يلاعن فإذا لاعن الزوج وامتنعت المرأة مع اللعان حبست حتى تلاعن وعند الآخرين اللعان حجة صدقه والقاذف إذا قعد عن إقامة البيعة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الأجنبي إذا قعد عن إقامة البيعة . وعند أبي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب وهما لا يحصلان إلا بلعان الزوجين جميعاً وقضاء القاضى وفرقة اللعان فرقة فسخ عند الأكثرين وبه قال الشافعى وتلك الفرقة متأبدة حتى لو أكذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه لافياً له فيلزمه الحد وبالحق الولد لكن لا يرتفع تأييد التحريم . وعند أبي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فإذا أكذب نفسه جاز له أن ينكحها وإذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم وعند أبي حنيفة إذا أتى بأكثر كلمات اللعان قام مقام الكل وكل من صحح بيته صح لعانه حراً كان أو عبداً مسلماً كان أو ذمياً وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعى وأكثر أهل العلم وقال الزهري والأوزاعي وأصحاب الرأي لا يجرى اللعان إلا بين مسلمين حريين غير محدودين فإن كان أحد الزوجين رقيقاً أو ذمياً أو محدوداً في قذفت فلا لعان بينهما وظاهر القرآن حجة لمن قل يجرى اللعان بينهما لأن الله تعالى قال والذين يرمون أزواجهم ولم يفصل بين الحر والعبد والمحدود وغيره ولا يصح اللعان إلا عند الحاكم أو نائبه ويغلف اللعان بأربعة أشياء بتعدد الألفاظ وبالمسكان والزمان وأن يكون بمحضر جماعة من

الحجة على صدقه لا يحبس بل يحد كقاذف الأجنبي إذا قعد عن إقامة البيعة . وعند أبي حنيفة موجب اللعان وقوع الفرقة ونفي النسب وهما لا يحصلان إلا بلعان الزوجين جميعاً وقضاء القاضى وفرقة اللعان فرقة فسخ عند كثير من أهل العلم وبه قال الشافعى وتلك الفرقة متأبدة حتى لو أكذب الزوج نفسه يقبل ذلك فيما عليه دون ماله قبلزمه الحد وبالحق الولد لكن لا يرتفع تأييد التحريم . وعند أبي حنيفة فرقة اللعان فرقة طلاق فإذا أكذب الزوج نفسه جاز له أن ينكحها وإذا أتى ببعض كلمات اللعان لا يتعلق به الحكم وعند أبي حنيفة إذا أتى بأكثر كلمات اللعان قام مقام الكل في تعلق الحكم به فكل من صحح بيته صح لعانه حراً كان أو عبداً مسلماً كان أو ذمياً وهو قول سعيد بن المسيب وسليمان بن يسار والحسن وبه قال ربيعة ومالك والثوري والشافعى وأكثر أهل العلم . وقال الزهري والأوزاعي وأصحاب الرأي لا يجرى اللعان إلا بين مسلمين حريين غير محدودين فإن كان الزوجان أو أحدهما رقيقاً أو ذمياً أو محدوداً في قذفت فلا لعان بينهما وظاهر القرآن حجة

خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجميل وساروا ووجدت عمدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا يجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلى فيينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فتمت وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني (٥٧) من وراء الجيش فأصبح

عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فعرفني حين رأيته وكان رأيي قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلباني ووالله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقودني أتنا الجليش بعد ما نزلوا معرسين وفي رواية وموغرين في نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو بريئني في وجهي حتى لا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكى إنما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تبيكم ثم ينصرف فذلك الذي بريئني منه ولا أشعر بالشرح حتى نقمت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التزء وكنا نأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمه ابنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا نحشى فعمرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بشس ما قلت أنتين رجلا قد شهد بدرا فقالت ياهنتاه أولم تسمعي ما قال قلت وما قال فأخبرني بقول أهل الإفك فازدودت مرضا إلى مرضى فلما رجعت إلى بيتي فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تبيكم قلت أناأذن لي أن آتي أبوي قال وأنا حينئذ أريد أن أتبع الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت أبوي قالت فقلت لأمي يا أمته ماذا يتحدث الناس به فقالت: يا بنية هو في علي نفسك فوالله أقلما كانت امرأة قط وضيفة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها قالت فقلت سبحان الله وقد تحدثت الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة ابن زيد حين انتلبت الوحي يستشبرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة فأشار عليه بما يعلم من براة أمه وبالذي يعلم ثم في نفسه من الود فقال أسامة هم أهلك يا رسول الله ولا نعم والله إلا خيرا وأما علي بن أبي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وصل

فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب وهم يحسبون أني فيه وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يهبلن ولم يغشهن اللحم إنما يأكلن العاقه من الطعام فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن فبعثوا الجميل وساروا ووجدت عمدي بعد ما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها داع ولا يجيب فتيممت منزلي الذي كنت به وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلى فيينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فتمت وكان صفوان ابن المعطل السلمي ثم الذكواني قد عرس من وراء الجيش فأدليج أصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم فأتاني فعرفني حين رأيته وكان رأيي قبل أن يضرب الحجاب على فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني فخمرت وجهي بجلباني والله ما تكلمنا بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحته فوطئ على يديها فركبتها فانطلق يقودني أتنا الجليش بعد ما نزلوا معرسين وفي رواية وموغرين في نحر الظهيرة قالت فهلك من هلك في شأني وكان الذي تولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمنا المدينة شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك ولا أشعر بشيء من ذلك وهو بريئني في وجهي حتى لا أرى من النبي صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكى إنما يدخل فيسلم ثم يقول كيف تبيكم ثم ينصرف فذلك الذي بريئني منه ولا أشعر بالشرح حتى نقمت فخرجت أنا وأم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في التزء وكنا نأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمه ابنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب حين فرغنا من شأننا نحشى فعمرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح فقلت لها بشس ما قلت أنتين رجلا قد شهد بدرا فقالت ياهنتاه أولم تسمعي ما قال قلت وما قال فأخبرني بقول أهل الإفك فازدودت مرضا إلى مرضى فلما رجعت إلى بيتي فدخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تبيكم قلت أناأذن لي أن آتي أبوي قال وأنا حينئذ أريد أن أتبع الخبر من قبلهما فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيت أبوي قالت فقلت لأمي يا أمته ماذا يتحدث الناس به فقالت: يا بنية هو في علي نفسك فوالله أقلما كانت امرأة قط وضيفة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا كثرن عليها قالت فقلت سبحان الله وقد تحدثت الناس بهذا قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم ثم أصبحت أبكي قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة ابن زيد حين انتلبت الوحي يستشبرهما في فراق أهله قالت فأما أسامة فأشار عليه بما يعلم من براة أمه وبالذي يعلم ثم في نفسه من الود فقال أسامة هم أهلك يا رسول الله ولا نعم والله إلا خيرا وأما علي بن أبي طالب فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وصل

(٨ - خازن بالبغوي - خامس) لا علم لي بهم غير أنهم عصية كما قال الله تعالى والذي قولى كبر ذلك عبد الله بن أبي بن سلول قال عروة كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذي قال فان أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاه

الجارية تصدقك قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال أى بريرة هل رأيت من شىء يربيك من عائشة قالت له بريرة لا والذي بعثك بالحق إن رأيت منها أمرا قط اغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فيأتى الداجن فيأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي بن سلول فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر من يعذرني من رجل قد بلغنى أذاه في أهلى وفي رواية في أهل بيتى فوالله ما علمت على أهلى إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلى إلا معى قالت فقام سعد بن معاذ أحد بنى عبد الأشهل فقال أنا أعذرک منه يا رسول الله إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا فيه أمرک فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذة وثمان رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لانفتنه ولا تقدر على ذلك فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد يعنى ابن معاذ فقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لانفتنه فانك منافق تجادل عن المنافقين فتناور الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يخفضهم حتى سكنوا وسكت قالت وبكيت يومى ذلك لا يرأى دمع ولا أكتحل بنوم ثم بكيت ليلتى المقبلة لا يرأى دمع ولا أكتحل بنوم فأصبح عندى أبواى وقد بكيت ليلتين ويوما حتى أظن أن البكاء فائق كبى قالت فبينما هما جالسان عندى وأنا أبكى إذ استأذنت على امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكى معى فبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يجلس عندى من يوم قيل لى ما قبل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى إليه فى شأنى بشىء قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال أما بعد يا عائشة فإنه بلغنى عنك كذا وكذا فان كنت بريرة فسيبرئك الله وإن كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله وتوبى إليه فان العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاتله قلص دمعى حتى ما أحس منه قطرة وقلت لأبى أجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله فقلت لأبى أجبني عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال قالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما تحدث به الناس حتى استقر فى أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريرة والله يعلم إني بريرة لاتصدقونى بذلك ولئن اعترفت لكم بأمر الله يعلم إني منه بريرة لتصدقننى فوالله ما أجد لى ولكم مثالا إلا أبا يوسف إذ قال وقصير جميل والله المستعان على ما تصفون ثم تحولت فاضطجعت على فراشى وأنا والله حيثلد أعلم أنى بريرة وإن الله مبرئى ببراءتى ولكن الله ما كنت أظن أن ينزل الله فى شأنى وحيا يتلى ولشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم والله فى بأمر يتلى ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم رؤيا يبرئنى الله بها قالت فوالله

لا أشعر بشىء من ذلك وهو يربئى فى وجعى أنى لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذى كنت أرى منه حين أشتكى إنما يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول كيف تبيكم ثم ينصرف فذلك الذى يربئى ولا أشعر بالشرح حتى خرجت حين نكحت فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزا وكنا لا نخرج إلا ليلا لى ليل وذلك قيل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول فى التنزه قبل الغائط وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا قالت فانطلقت أنا وأم مسطح وهى ابنة أبى رهم بن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبى بكر الصديق وابنها مسطح ابن أئانة بن عباد ابن المطلب فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتى حين فرغنا من شأننا فعمرت أم مسطح فى مرطها فقالت تعس مسطح فقلت

لها بنس ماقلت أنتين رجلا شهد بامرأ؟ فقلت أي هنتاه أولم تسمى ما قال قالت؟ فقلت ما قال فأخبرني بقول أهل الإفك قالت فازدوت مرضا على مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال كيف تبيكم فقلت له أتأذن لي أن أتى أبوي قالت وأنا أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما قالت فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لأبي يا أمته ماذا يتحدث الناس قالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيفة عند رجل يحبها لها ضرر إلا أكثرن عليها قالت فقلت سبحان الله أو لقد تحدث الناس بهذا؟ (٥٩) قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت

لا يرأى دمع ولا
أكتحل بنوم ثم أصبحت
أبكي قالت ودعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم
علي بن أبي طالب وأسامة
ابن زيد حين استلبت
الوحي يسألهما ويستشيرهما
في فراق أهله قالت
فأما أسامة فأشار على
رسول الله صلى الله عليه
وسلم والذي يعلم من براءة
أهله والذي يعلم لهم
في نفسه فقال أسامة
أهلك ولا تعلم إلا خيرا
وأما علي فقال يا رسول
الله لم يضيق عليك
والنساء سواها كثير
وسل الجارية تصدقك
الخبر قالت فدعا رسول
الله صلى الله عليه وسلم
بريرة فقالت أي بريرة
هل رأيت من شيء
بريك قالت له بريرة

ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحد منه مثل الجممان من العرق في اليوم الثاني من ثقل القول الذي أنزل عليه قال فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكان أول كلمة تكلم بها أن قال لي يا عائشة أحمدي الله وفي رواية قال أسرى يا عائشة أما الله فقد برأك فقالت لي أي قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله هو الذي أنزل برأيتي قالت فأنزل الله عز وجل إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم العشر الآيات فأنزل الله عز وجل هذه الآيات في برأيتي قالت فقال أبو بكر وكان يتفق على مسطح بن أثانة لقرابته منه وفقره والله لا أنفق عليه شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة فأنزل الله ولا يأتل أولوا الفضل منكم والسعة إلى قوله غفور رحيم فقال أبو بكر بلى والله إنني لأحب أن يغفر الله لي فرجع إلى مسطح الذي كان يجري عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل زيلب بنت جحش عن أمرى فقال يا زيلب اعلمت أو مارأيت؟ فقالت يا رسول الله أحمي صمعي وبصري والله ما علمت عليها إلا خيرا قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصها الله بالورع وطفقت أنتها حمنة تحاربها فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك قال ابن شهاب فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط زاد في رواية قالت عائشة والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف أثنى قط قالت ثم قتل بعد في سبيل الله شهيدا وهذا حديث يتفق على صحته أخرجه في الصحيحين زاد البخاري في رواية عن عروة عن عائشة والذي تولى كبره منهم عبد الله بن أبي بن سلول وقال عروة أخبرت أنه كان يشاع ويتحدث به عنده فيقرره ويشيعه ويستوشبه قال عروة لم يسم لي من أهل الإفك إلا حسان بن ثابت ومسطح بن أثانة وحمنة بنت جحش في ناس آخرين لا أعلم لي بهم غير أنهم عصبة كما قال الله تعالى قال عروة كانت عائشة تكره أن يسب عندها حسان وتقول إنه الذي قال :

فان أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

والذي بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمصه غير أنها جارية حديثة السن تنام عن عجين أهلها فتأني الداجن فتأكله قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من عبد الله بن أبي وهو على المنبر فقال يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني عنه أذاه في أهلي والله ما علمت على أهل إلا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما يدخل على أهلي إلا معي قالت فقام سعد بن معاذ أخو بني عبد الأشهل فقال أنا يا رسول الله أعذرك فإن كان من الأوس ضربك عنقه وإن كان من لؤننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك قالت وقام رجل من الخزرج وكانت أم حسان بنت عمه من فخذة وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج قالت عائشة وكان قبل ذلك رجلا

صلحاً ولكن اتملته الحمية فقال لسعد كذبت لعمر الله لا تمقله ولا تقدر على قتله ولو كان من ردهلك ما أحيت أن يقتل
فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم لسعد فقال لسعد بن عباد كذبت لعمر الله لثقلته فانك منافق تجادل عن المنافقين قالت
فتار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتلوا ورسول الله ﷺ قائم على المنبر قالت فلم يزل رسول الله صلى الله
عليه وسلم يخفضهم حتى سكنوا وسكت قالت فبكيت يوماً ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم قالت وأصبح أبوأي
عندي قالت وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع حتى إنى لأظن أن البكاء فالتق كبدى فيينا أبوأي جالساً
عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي (٦٠) امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي قالت مينا نحن على

أخرجاه من حديث مسروق قال دخلت علي عائشة وعندها حسان ينشد لها شعرا بيت
من أبياته فقال : حسان رزان ما زن ربية وتصبح غرثي من لحوم العوافل
فقال عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها تأذنين له أن يدخل عليك وقد
قال الله والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم قالت وأي عذاب أشد من العمى وقالت إنه
كان ينافع أو يهاجي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(حل غريب ألفاظ هذا الحديث)

قوله وكلهم حديثي طائفة أي قطعة من حديثها ، قوله كان أوعى أي أحفظ له ، قولها آذن
أي أعلم بالرحيل ، قولها فاذا عقد لي من جزع أظفار وهو نوع من الخرز وهو الحجر البياضي
المعروف ، قولها لم يزل أي يكثر لحمه فيثقلن ، قولها إنما يأكل العلقه من الطعام هو بضم
العين أي البلغة من الطعام وهو قدر ما يمسك الرمت ، قولها وليس بها منهم داع ولا مجيب
أي ليس بها أحد لا من يدعو ولا من يرد جوابا ، قولها فتيممت أي قصدت فودا قد عرس
من وراء الجيش فادلج ، التعريس نزول المسافر في آخر الليل للراحة والادلاج بالتشديد
سير آخر الليل وبالتخفيف سير الليل كله ، قولها باسترجاعه هو قوله وإنا لله وإنا
إليه راجعون ، قولها فخمرت أي غطيت وجهي بجلبابي أي إزارى ، قولها موغرين في نحر
الظهيرة الوغرة شدة الحر وكلما نحر الظهيرة أي أولها ، قولها والناس يفيضون أي يخوضون
ويتحدثون ، قولها وهو برينى يقال رابنى الشئ برينى أي شككت فيه ، قولها ولا أرى من النبي
صلى الله عليه وسلم اللطف أي الرفق بها واللاطف في الأفعال الرفق وفي الأقوال لين الكلام ،
قولها حتى نفقت أي أفقت من المرض والمناصب المواضع الخالية تقضى فيها الحاجة من غائط
وبول وأصله المكان الواسع الخالي والمرط كساء من صوف أو خز ، قولها تعس مسطح أي
عبر وهو من الدعاء على الإنسان أي سقط لوجهه ، قولها ياهنته أي بلهت كأنها تنسها إلى البله
وقلة المعرفة ، قولها لا يرقأ لي دمع أي لا ينقطع وقول بريرة إن رأيت بمعنى النبي أي مارأيت منها
أمرأ اغمصه بالصاد المهملة أي أعياه والداجن الشاة التي تألف البيت وتقيم به قوله صلى الله عليه
وسلم من يعذرنى أي من يقوم بعذرى إن أنا كافأته على سوء صنيعه إن عانيت أو عاقبت فلا
تلومونى على ذلك قولها وكانت أم حسان بنت عممن فخذة أي من قبائله قولها ولكن احتملته

ذلك دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم
علينا فسلم ثم جلس
قالت ولم يجلس عندي
منذ قبل ما قبل قبلها وقد
لبث شهرا لا يوحى إليه
في شأنى بشيء قالت
فتشهد رسول الله صلى
الله عليه وسلم حين
جلس ثم قال أما بعد
يا عائشة إنه بلغنى عنك
كذا وكذا فان كنت
بريرة فسببرك الله وإن
كنت أملت بذنب
فاستغفرى الله وتوبى إليه
فان العبد إذا اعترف
ثم تاب تاب الله عليه
قالت فلما قضى رسول
الله صلى الله عليه وسلم
مقاتته قلص دمعى
حتى ما أحس منه قطرة
فقلت لأبي أجب رسول
الله صلى الله عليه وسلم
فيا قال فقال أبى
والله ما أدرى ما أقول

الحمية

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت لأبى أجبى رسول الله صلى الله عليه

وسلم قالت أبى والله ما أدرى ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا
إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم إني بريرة لا تصدقونى ، ولئن
اعترفت لكم بأمر والله يعلم أنى بريرة لتصدقننى فوالله لا أجدنى ولكم مثلا إلا أبى يوسف حين قال « فصبر جميل والله المستعان
على ما تصفون » ثم تحولت واضطجعت على فراشى والله يعلم إني حينئذ بريرة وإن الله مبرئى بمرأتى ولكن والله ما كنت
أظن أن الله منزل فى شأنى وحيايلى ، لشأنى فى نفسى كان أحقر من أن يتكلم الله فى بأمر ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله

صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبئني الله بها فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى إنه ليتحدر منه العرق مثل الجمال وهو في يوم شات من ثقل القول الذي أنزل عليه مات فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك فكانت أول كلمة تكلم بها أن قال أبشري يا عائشة أما الله فقد برأك قالت فقالت لي أمي قومي إليه فقلت والله لأقوم إليه فإني لأحمد إلا الله وأنزل الله تعالى إن الذين جاءوا بالإسلام عصبة منكم العشر الآيات ثم أنزل الله في براءتي قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح ابن أنثة لقرابته منه وفقره والله لأنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال فأنزل الله ولا يأبئ أولوا الفضل منكم والسعة إلى قوله وغفور رحيم قال أبو بكر الصديق بلى والله إنى لأحب أن يفر الله لي فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه وقال والله لأنزعها منه أبدا قالت عائشة وكان رسول الله (صلى الله عليه وسلم سأل زينب بنت

جحش عن أمرى فقال لزينب ماذا علمت أو رأيت؟ فقالت يا رسول الله أحمى سمعى وبصرى والله ما علمت إلا خبرا قالت عائشة وهي التي كانت تسامى من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع قالت وطفقت أختها حمنة تحاربها فهلكت فيمن هلك قال ابن شهاب فهذا الذي بلغني من حديث هؤلاء الرهط قالت عائشة والله إن الرجل الذي قيل له ما قيل ليقول: سبحان الله فالذي نفسى بيده ما كشفت عن كنف أنى قط ثم قتل بعد ذلك في سبيل الله ورواه محمد بن إسحاق

الحمية أى حمله الغضب والأنفة والتعصب على الجهل للقرابة ، قولها فتشاور الحيان أى ثاروا ونهضوا للقتال والخاصة ، قولها فلم يزل يخفضهم أى يهون عليهم ويسكن ، قوله صلى الله عليه وسلم إن كنت ألمت قيل هو من اللمم وهو صغار الذنوب وقيل معناه مقارفة الذنب من غير فعل ، قولها قلص دعوى أى انقطع جريانه ، قولها ما رام أى ما برح من مكانه والبرحاء الشدة والكرب والجمانة الدررة وجمعها جمان فسرى عنه أى كشف عنه وقول زينب أحمى سمعى وبصرى أى أمنعها من أن أخبر بما لم أسمع ولم أبصر ، قولها وهي التي كانت تسامى من السمو وهو العلو والغلبة فعصمها الله أى منعها من الوقوع في الشر بالورع وقول الرجل ما كشفت من كنف أى من ستر أنى قوله ويستوشيه أى يستخرجه بالبحث عنه والاستقصاء فيه وقول حسان في عائشة حصان يفتح الحاء يقال امرأة حصان أى من نفقة رزان أى ثابتة ما وزن أى ترمى ولا تنهم بريية أى بأمر يريب الناس حية وتصبح غرني أى جماعة والغرث الجوع من لحوم الغوافل جمع غافلة ، والمعنى أنها لا تتعاب أحدا مما هو غافل عن مثل هذا الفعل وقول عائشة في حسان إنه كان ينافح أى يناضل ويخاصم عن الله ورسوله وأما التفسير فقوله عز وجل إن الذين جاءوا بالإفك أى بالكذب والإفك أسوأ الكذب لكونه مصروفا عن الحق وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء والمدح بما كانت عليه من الحصانة والشرف والعقل والعلم والديانة فمن رماها بالسوء فقد قلب الحق بالباطل وجاء بالإفك ، عصبة أى جماعة منكم أى عبد الله بن أبي بن سلول ومسطح بن أنثة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة ابن عبيد الله . فإن قلت عبد الله بن أبي بن ساول كان رأس المنافقين فكيف قال منكم . قلت كان ينسب إلى الإيمان في الظاهر وقيل قوله منكم خرج مخرج الأغلب فإن حسان بن

عن يحيى ابن بكير أنا الليث عن يونس عن ابن شهاب باسناد مثله هو قال وإن كنت ألمت بذنب فاستغفرى الله وتوبت إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه إلى قوله فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك ورواه أبو أسامة عن هشام ابن عروة عن أمية بن عائشة فقالت ولقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بيتي فسأل عني خادمي فقالت لا والله ما علمت عليها عيبا إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خيرها أو عجبتها فانتهرها بعض أصحابه فقال أصدق رسول الله حتى أسقطوا المهابة فقالت سبحان الله والله ما علمت عليها إلا كما يعلم الصانع على تبر الذهب الأحمر وفيه قالت وأنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفع عنه وإني لأتبع السرور في وجهه وهو يمسح جبينه ويقول أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك فقال لي أبوأي قومي إليه فقلت لا والله لأقوم إليه ولا أحمدته ولا أحمد أحدا ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه ، أما تفسير قوله إن الذين جاءوا بالإفك بالكذب وهو أسوأ الكذب سمى إفكا لكونه مصروفا عن الحق من قولهم أفك الشئ إذا قلبه عن وجهه وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء لما كانت

عليه من الحصانة والشرف فن رماها بالسوء قلب الأمر عن وجهه عصبة منكم أي جماعة منهم عبد الله بن أبي بن سلول
 ومسطح بن أثانة وحسان بن ثابت وحمنة بنت جحش زوجة طلحة بن عبيد الله وغيرهم (لا تحسبوه شرا لكم) باعائشة
 وياصفوان وقيل هو خطاب لعائشة ولأبويها وللتبني صلى الله عليه وسلم وياصفوان يعني لا تحسبوا الإفك ذمرا لكم (بل هو
 خير لكم) لأن الله بأجركم على ذلك ويظهر براءتكم ، وسمى الإفك إفكا لكونه مصروفا عن الحق من قوطم أفك الشيء
 إذا قلبه عن وجهه وذلك أن عائشة كانت تستحق الثناء بما كانت عليه من الحصانة والشرف فن رماها بالسوء قلب الأمر
 عن وجهه قوله تعالى (لكل امرئ منهم) يعني من العصبة الكاذبة (ما اكتسب من الإثم) أي جزاء ما اجترح من الذنب
 على قدر ما خاض فيه (والذي تولى كبره) أي تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه قرأ يعقوب كبره بضم الكاف وقرأ العامة
 بالكسر قال الكسائي هما لغتان قال الضحاك قام بأشاعة الحديث وهو عبد الله بن أبي بن سلول وروى الزهري عن عروة
 عن عائشة والذي تولى كبره منهم (٦٢) قالت عبد الله بن أبي بن سلول والعذاب الأليم هو النار في الآخرة . وقدروى

ابن أبي مليكة عن عروة
 عن عائشة في حديث
 الإفك وقالت ثم ركبت
 وأخذ صفوان بالزمام
 ففرنا بملأ من المناقتين
 وكانت عادتهم أن ينزلوا
 متنبذين من الناس
 فقال عبد الله بن أبي
 ريسهم من هذه قالوا
 عائشة قال والله ما نجت
 منه وما نجا منها وقال
 امرأة نبيكم باتت مع
 رجل حتى أصبحت ثم
 جاء يقود بها وشرع
 في ذلك أيضا حسان بن
 ثابت ومسطح وحمنة
 فهو الذي تولى كبره
 وقال قوم هو حسان

ثابت ومسطح بن أثانة وحمنة كانوا من المؤمنين المخلصين (لا تحسبوه شرا لكم) يعني الإفك
 الخطاب لعائشة وياصفوان وقيل لعائشة ولأبويها وللتبني صلى الله عليه وسلم وياصفوان (بل هو
 خير لكم) يعني أن الله أجركم على ذلك وأظهر براءتكم وشهد بكذب العصبة وأوجب لهم
 الذم وهذا غاية الشرف والفضل لكم (لكل امرئ منهم) أي من العصبة الكاذبة (ما اكتسب
 من الإثم) أي جزاء ما اجترح من الذنب على قدر ما خاض فيه (والذي تولى كبره) يعني تحمل
 معظمه وبدأ بالخوض فيه وأقام بأشاعته وهو عبد الله بن أبي بن سلول (منهم) من العصبة (له
 عذاب عظيم) يعني عذاب النار في الآخرة روى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالذين رموا
 عائشة فجلدوا الحد جميعا ثمانين ثمانين : قوله عز وجل (لولا إذ سمعتموه) يعني الحديث
 الكذب وهو قول أهل الإفك (ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) باخوانهم وأهل دينهم
 (خيبرا) والمعنى كان الواجب على المؤمنين إذ سمعوا قول أهل الإفك أن يكذبوه ويحسبوا
 الظن ولا يسرعوا في التهمة وقول الزور فيمن عرفوا عفته وطهارته وفيه معاتبه للمؤمنين (وقالوا
 هذا إفك مبين) يعني كذب بين لا حقيقة له (أولا) يعني هلا (جاءوا عليه) يعني على ما زعموا
 (بأربعة شهداء) يعني يشهدون بذلك (فأذلم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله) يعني في حكم الله
 (هم الكاذبون) وهذا من باب الزواجر . فان قلت كيف يصيرون عند الله كاذبين إذا لم يأتوا
 بالشهداء ومن كذب فهو عند الله كاذب سواء أتى بالشهداء أو لم يأت . قلت قيل هذا في حق
 الذين رموا عائشة خاصة ومعناه فأولئك هم الكاذبون في غيبى وعلنى وقيل معناه فأولئك عند
 الله في حكم الكاذبين فان الكاذب يجب زجره عن الكذب والقاذف إذا لم يأت بالشهود

ابن ثابت ، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد
 ابن إسماعيل أنا بشر بن خالد أنا محمد بن جعفر عن شعبة عن سليمان عن أبي الضمى عن مسروق قال دخلت على عائشة
 وعندها حسان بن ثابت بنشد شعرا يشبه بأبيات له وقال :

حصان رزان مازن برية وتصبح غرني من لحوم الغوافل

فقلت له عائشة لكنك لست كذلك قال مسروق فقلت لها لم تأذنين له أن يدخل عليك وقد قال الله تعالى والذي
 تولى كبره (منهم له عذاب عظيم) قالت وأي عذاب أشد من العصى وقالت إنه كان ينافع أو يهاجى عن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بالذين رموا عائشة فجلدوا الحد جميعا ثمانين ثمانين . قوله (لولا) هلا
 (إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم) باخوانهم (خيبرا) قال الحسن بأهل دينهم لأن المؤمنين كنفس واحدة نظيره
 قوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم فسلموا على أنفسكم (وقالوا هذا إفك مبين) أي كذب بين (لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء)
 على ما زعموا (فأذلم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون) فان قيل كيف يصيرون عند الله كاذبين إذا لم يأتوا

(ولو لافضل الله عليكم ورحمته ، اذكى) قال مقاتل ماصح وقال ابن قتيبة ماطهر (منكم من أحد) والآية على العموم عند بعض المفسرين قالوا أخبر الله أنه لو لافضله ورحمته بالعصمة ، اصحح منكم أحد وقال قوم هذا الخطاب للذين خاضوا في الإفك ومعناه ماطهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس في رواية عطاء قال ما قبل توبة أحد منكم أبدا (ولكن الله يزكي) يطهر (من يشاء) من الذنب بالرحمة والمغفرة (والله سميع عليم) قوله تعالى (ولا يأتل) يعني ولا يخلف وهو يفعل من الآية وهي القسم وقرأ أبو جعفر يتال بتقديم التاء وتأخير الهززة وهو يتفعل من الآية وهي القسم (أولوا الفضل منكم والسعة) (٦٤) يعني أولوا الغنى والسعة يعني أبا بكر الصديق (أن يؤتوا أولى القربى والمسكين

والمهاجرين في سبيل الله) يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة أبي بكر حلف أبو بكر أن لا يفتق عليه (وليعفوا وليصفحوا) عنهم خووضهم في أمر عائشة (ألا تحبون) يخاطب أبا بكر (أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فلما قرأها النبي صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح بنفقته التي كان بنفقها عليه وقال والله لا أنزعها منه أبدا وقال ابن عباس والضحاك أقسم ناس من الصحابة فيهم أبو بكر أن لا يتصدقوا على رجل تكلم بشيء من الإفك ولا ينعموهم فأنزل الله

والأفعال وكل ما يكره الله عز وجل والآية عامة في حق كل أحد لأن كل مكلف ممنوع من ذلك (ولو لافضل الله عليكم ورحمته مازكي منكم من أحد أبدا) يعني ماطهر ولا صلح والآية عند بعض المفسرين على العموم قالوا أخبر الله تعالى أنه لو لافضله ورحمته بالعصمة ماصح منكم أحد وقبل الخطاب للذين خاضوا في الإفك ومعناه ماطهر من هذا الذنب ولا صلح أمره بعد الذي فعل وهذا قول ابن عباس قال معناه ما قبل توبة أحد منكم أبدا (ولكن الله يزكي) يعني يطهر (من يشاء) مع الذنب بالرحمة والمغفرة (والله سميع) يعني لأقوالكم (عليم) يعني بما في قلوبكم. قوا (ولا يأتل) يعني ولا يخلف من الآية وهي القسم (أولوا الفضل منكم والسعة) يعني الغنى يعني أبا بكر الصديق (أن يؤتوا أولى القربى والمسكين والمهاجرين في سبيل الله) يعني مسطحا وكان مسكينا مهاجرا بدريا ابن خالة أبي بكر الصديق حلف أبو بكر أن لا يفتق عليه فأنزل الله هذه الآية (وليعفوا وليصفحوا) يعني عن خووض مسطح في أمر عائشة (ألا تحبون) يخاطب أبا بكر (أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) فلما قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم على أبي بكر قال بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح بنفقته التي كان بنفق عليه وقال والله لا أنزعها عنه أبدا . وفي الآية أدلة على فضل أبي بكر الصديق لأن الفضل المذكور في الآية ذكره تعالى في معرض المدح وذكره بلفظ الجمع في قوله أولوا الفضل وقوله ألا تحبون أن يغفر الله لكم وهذا يدل على علو شأنه ومرتبته منها أنه احتمل الأذى من ذوى القربى ورجع عليه بما كان يفتقه عليه وهذا من أشد الجهاد لأنه جهاد النفس . ومنها أنه تعالى قال في حق رسول الله صلى الله عليه وسلم «فاعف عنهم واصفح» وقال في حق أبي بكر «وليعفوا وليصفحوا» فدل أن أبا بكر كان ثاني اثنين لرسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع الأخلاق . وفي الآية دليل على أن من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير ويكفر عن يمينه . وفي الحديث الصحيح ومن حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها فليأت الذي هو خير وليكفر عن يمينه . قوله تعالى (إن الذين يرمون المحصنات) يعني العفائف (العافلات) يعني عن الفواحش والغافلة ، عن الفاحشة هي التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكذلك كانت عائشة رضي الله عنها (المؤمنات) وصفها بالمؤمنات لعلو شأنها (لعنوا) يعني عذبوا (في الدنيا) بالحد (والآخرة) يعني وفي الآخرة بالنار (ولهم عذاب عظيم) وهذا

هذه الآية (إن الذين يرمون المحصنات) العفائف (العافلات) عن الفواحش (المؤمنات) والغافلة عن الفاحشة التي لا يقع في قلبها فعل الفاحشة وكذلك قوله تعالى (لعنوا) عذبوا (في الدنيا) بالحد (والآخرة) بالنار (ولهم عذاب عظيم) قال مقاتل هذا خاص في عبد الله بن أبي المنافق وروى عن خصيف قال قلت لسعيد بن جبير من قذف مؤمنة يلعنه الله في الدنيا والآخرة فقال ذلك لعائشة خاصة وقال قوم هي لعائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة دون سائر المؤمنات روى عن العوام ابن حوشب عن شيخ من بني كاهل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال هذه في شأن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ليس فيها توبة ومع قذفت امرأة مؤمنة فقد جعل الله له توبة ثم قرأ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء إلى قوله إلا الذين تابوا فجعل لهم توبة ولم يجعل لأولئك توبة وقال الآخرون

فتنخر بأشياء أعطيتها لم تعطها امرأة غيرها منها أن جبريل أتى بصورتها في سرفة من حرير وقال هذه زوجتك وروى أنه أتى بصورتها في راحته (٦٦) وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأسه في حجره

حدثني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة من السماء . قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا) أي تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا ويقول تستأذنوا خطأ من الكتاب وفي هذه الرواية نظر لأن القرآن ثبت بالتواتر والاستئناس في اللغة الاستئذان وقيل الاستئناس طلب الإنس وهو أن ينظر هل في البيت إنسان فيؤذنه إنى داخل وقيل هو من آنت أي أبصرت وقيل هو أن يتكلم بتسبيحة أو يتنحج حتى يعرف أهل البيت (وتسلموا على أهلها) بيان حكم الآية أنه لا يدخل بيت الغير إلا بعد الاستئذان والسلام واختلقوا في أيهما يقدم فقيل يقدم الاستئذان فيقول أذخلكم سلام عليكم كما في الآية من تقديم الاستئذان قبل السلام وقال الأكثرون يقدم السلام فيقول سلام عليكم أذخلكم وتقدير الآية حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا وكذا هو في مصحف ابن مسعود وروى عن كند بن حنبل قال دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ولم أسلم ولم أستأذن فقال النبي صلى الله عليه وسلم ارجع فقل السلام عليكم أذخلكم أخرجه أبو داود والترمذي وعن ربيع بن حراش قال جاء رجل من بني عامر فاستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في البيت فقال ألب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخادمه اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان فقل له قل السلام عليكم أذخلكم فسمع الرجل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال السلام عليكم أذخلكم فاذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرجه أبو داود (ق) عن أبي سعيد وأبي ابن كعب عن أبي موسى قال أبو سعيد كنت في مجلس من مجالس الأنصار إذ جاء أبو موسى كأنه مذعور فقال استأذنت على عمر ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت قال ما منعك قلت استأذنت ثلاثاً فلم يؤذن لي فرجعت وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع قال والله لتفيمن عليه بينة أمكنكم أحد سمع من النبي صلى الله عليه وسلم قال أبي بن كعب فوالله لا يقوم معك إلا أصغر القوم فكنت أصغر القوم فقدمت معه فأخبرت عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك قال الحسن الأول إعلام والثاني مؤامرة والثالث استئذان بالرجوع عن عبد الله بن بسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ولكن من ركنه الأيمن أو الأيسر ويقول السلام عليكم السلام عليكم وذلك أن الدور لم يكن عليها يومئذ ستور أخرجه أبو داود وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعى أحدكم فجاء مع الرسول فاذن له إذن أخرجه أبو داود وقيل إذا وقع بصره على إنسان قدم السلام وإلا قدم الاستئذان ثم يسلم وقال أبو موسى الأشعري وحذيفة يستأذن على ذوات المحارم يدل عليه ما روى عن عطاء بن يسار أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال استأذن على أي قال نعم فقال الرجل إنى معها في البيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها فقال الرجل إنى خادماً فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم استأذن عليها أحب أن تراها عريانة قال لا قال فاستأذن عليها أخرجه مالك في الموطأ مرسل وقوله تعالى (ذلكم خير لكم) أي فعل الاستئذان خير لكم وأولى بكم من التهجم بغير إذن (لعلكم تذكرون) أي

ودفن في بيتها وكان ينزل عليه الوحي وهو معها في لحافه ونزلت برامتها من السماء وأنها إية خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصديقه وخلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريماً وكان مسروق إذا روى عن عائشة قال حدثني الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم المرأة من السماء قوله (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون) قيل معنى قوله حتى تستأذنوا أي حتى تستأذنوا وكان ابن عباس يقرأ حتى تستأذنوا ويقول تستأذنوا خطأ من الكتاب وكذلك كان يقرأ أبي بن كعب والقراء المعروفة تستأذنوا وهو بمعنى الاستئذان وقيل الاستئناس طلب الإنس وهو أن ينظر هل في البيت ناس فيؤذهم

وقال

الخليل الاستئناس الامتناع من قوله آنت أي أبصرتها وقيل هو أن يتكلم بتسبيحة أو تكبيرة أو يتنحج يؤذن أهل البيت وجملة حكم الآية أنه لا يدخل بيت الغير إلا بعد السلام والاستئذان واختلقوا في أنه يقدم الاستئذان أم السلام

فقال قوم يقدم الاستئذان فيقول أَدْخِلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لِقَوْلِهِ تَعَالَى «حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا» وَالْأَكْرَبُونَ عَلَى أَنَّهُ
يَقْدِمُ السَّلَامَ فَيَقُولُ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَدْخِلْ وَفِي الْآيَةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ تَقْدِيرًا حَتَّى تَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا وَتَسْتَأْذِنُوا وَكَذَلِكَ هُوَ فِي
مِصْحَفِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ وَرَوَى عَنْ كُنْدٍ بْنِ حَنْبَلٍ قَالَ «دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَمْ أَسْلَمْ وَلَمْ أَسْتَأْذِنْ فَقَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ارْجِعْ فَقُلِ السَّلَامَ عَلَيْكُمْ أَدْخِلْ» وَرَوَى عَنْ ابْنِ عَمْرٍو أَنَّ رَجُلًا اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ فَقَالَ أَدْخِلْ فَقَالَ ابْنُ
عَمْرٍو لَا فَاغْرِبْ بَعْضُهُمُ الرَّجُلُ أَنْ يَسْلُمَ فَاسْمُ فَأَذَّنَ لَهُ وَقَالَ بَعْضُهُمْ إِنْ وَقَعَ بَصْرُهُ عَلَى إِنْسَانٍ قَدِمَ السَّلَامَ وَالْإِقْدَامَ اسْتِئْذَانًا
ثُمَّ سَلَّمَ وَقَالَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ وَحَدِيثُهُ بِسْتَأْذِنْ عَلَى ذَوَاتِ الْحَرَامِ وَمِثْلُهُ عَنِ الْحَسَنِ فَإِنْ كَانُوا فِي دَارٍ وَاحِدَةٍ يَتَخَنَعُ
وَيَتَحَرَّكُ أَدْنَى حَرَكَةٍ أَخْبَرَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الصَّالِحِيُّ أَنَا أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشْرَانَ أَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ مُحَمَّدٍ
الصَّفَّارِ أَنَا أَحْمَدُ بْنُ مَنْصُورِ الرَّمَادِيِّ أَنَا عَبْدِ الرَّزَاقِ أَنَا مَعْمَرُ بْنُ سَعِيدِ الْحَرِيرِيِّ عَنِ أَبِي نُضْرَةَ عَنِ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ
قَالَ «سَلَّمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسٍ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يَأْذِنْ لَهُ فَرَجَعَ فَأَرْسَلَ عُمَرَ فِي أَثَرِهِ فَقَالَ لَمْ رَجَعْتَ قَالَ إِنِّي
سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِذَا سَلَّمَ أَحَدُكُمْ ثَلَاثًا فَلَمْ يَجِبْ فَايْرَجِعْ قَالَ عُمَرُ لَتَأْتِيَنَّ عَلَى مَا تَقُولُ بِئِنَّهُ وَإِلَّا
لَأَفْعَلَنَّ بِكَ كَذَا وَكَذَا غَيْرَ أَنَّهُ قَدْ أَوْعَدَهُ قَالَ فَجَاءَ أَبُو مُوسَى الْأَشْعَرِيُّ (٦٧) مُتَقَعًا لَوْنُهُ وَأَنَا فِي حَقِّهِ جَالِسٌ

فقلنا ما شأنك فقال
سلمت على عمر فأخبرنا
خبره فهل سمع أحد
منكم من رسول الله
صلى الله عليه وسلم
قالوا نعم كلنا قد سمعنا
قال فأرسلوا معه رجلا
منهم حتى أتى عمر فأخبره
بذلك ورواه بشر بن
سعيد عن أبي سعيد
الخدري وفيه قال
أبو موسى الأشعري قال

هذه الآداب فعملوا بها . قوله عز وجل (فان لم تجدوا فيها) أى فى البيوت (أحدا) أى يأذن
لكم فى دخولها (فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم) أى فى الدخول (وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا)
بمعنى إذا كان فى البيت قوم وكرهوا دخول الداخل عليهم فقالوا ارجع فارجع ولا يقف على
الباب ملازما (هو أركى لكم) أى الرجوع هو أظهر وأصلح لكم فان للناس أحوالا وحاجات
يكرهون الدخول عليهم فى تلك الأحوال وإذا حضر إلى الباب فلم يستأذن وقعد على الباب منتظرا
جاز كان ابن عباس يأتى دور الأنصار لطلب الحديث فيقعد على الباب ولا يستأذن حتى
يخرج إليه الرجل فإذا خرج ورآه قال يا ابن عم رسول الله لو أخبرتني بمكانك فيقول هكذا
أمرا أن نطلب العلم وإذا وقف على الباب فلا ينظر من شقه إذا كان الباب مردودا (ق) عن
سهل بن سعد قال «اطلع رجل من حجر فى باب النبى صلى الله عليه وسلم ومع رسول الله صلى
الله عليه وسلم مدرى برجل وفى رواية يحك به رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لو علمت أنك تنظر لطمعت به فى عينك إنما جعل الإذن من أجل البصر» (ق) وعن أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من أطلع فى بيت قوم بغير إذنه فقد حل لهم أن يفتقروا
عينه» وفى رواية للنسائى قال «لو أن أمرا أطلع عليك بغير إذن فحذفته ففقت عينه ما كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع» قال الحسن الأول لإعلام والثانى مؤامرة والثالث
استئذان بالرجوع قوله (فان لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها) أى إن لم تجدوا فى البيوت أحدا يأذن لكم فى دخولها فلا
تدخلوها (حتى يؤذن لكم وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا) بمعنى إذا كان فى البيت قوم فقالوا ارجع فارجع ولا يقعد على
الباب ملازما (هو أركى لكم) بمعنى الرجوع أظهر وأصلح لكم قال قتادة إذا لم يؤذن له فلا يقعد على الباب ، فان للناس
حاجات وإذا حضر ولم يستأذن وقعد على الباب منتظرا جاز وكان ابن عباس يأتى باب الأنصار لطلب الحديث فيقعد على
الباب حتى يخرج ولا يستأذن فيخرج الرجل ويقول يا ابن عم رسول الله لو أخبرتني فيقول هكذا أمرا أن نطلب العلم
وإذا وقف فلا ينظر من شق الباب إذا كان الباب مردودا أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين بن بشران أنا
إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور أنا عبد الرزاق أنا معمر بن الزهرى عن سهل بن سعد الساعدى «أن رجلا
اطلع على النبى صلى الله عليه وسلم من ستر الحجر وفى يد النبى صلى الله عليه وسلم مدرى فقال لو علمت أن هذا ينظرنى حتى
آتية لطمعت بالمدرى فى عينه» وهل جعل الاستئذان إلا مع أجل البصر» أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز
ابن أحمد الخليل أنا أبو العباس الأصبهاني أنا الربيع أنا الشافعى أنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لو أن أمرا أطلع عليك بغير إذن فحذفته بحصاة ففقت عينه ما كان عليك جناح» قوله

تعالى (والله بما تعملون عليم) من الدخول بالإذن وغير الإذن ولما نزلت آية الاستئذان قالوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام وعلى ظهر الطريق ليس فيها ساكن فأزل الله عز وجل (ليس عليكم جناح أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) أي بغير استئذان (فيها متاع لكم) يعني منفعة لكم واختلفوا في هذه البيوت فقال قتادة هي الخانات والبيوت والمنازل المبلية للسابلة ليأووا إليها ويؤوا أمتعتهم إليها فيجوز دخولها بغير استئذان والمنفعة فيها بالنزول وإيواء المتاع والانتقاء من الحر والبرد وقال ابن زيد هي بيوت التجار وحوائيتهم التي بالأسواق يدخلونها للبيع والشراء وهو المنفعة وقال إبراهيم النخعي ليس على حوائيت السوق إذن وكان (٦٨) ابن سيرين إذا جاء إلى حانوت السوق يقول السلام عليكم أدخل ثم

عليك حرج ، وقال مرة أخرى جناح (والله بما تعملون عليم) يعني من الدخول بالإذن ولما نزلت آية الاستئذان قالوا كيف بالبيوت التي بين مكة والمدينة والشام على ظهر الطريق ليس فيها ساكن فأزل الله تعالى (ليس عليكم جناح) يعني أتم (أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة) يعني بغير استئذان (فيها متاع لكم) يعني منفعة لكم قيل إن هذه البيوت هي الخانات والمنازل المبلية للسابلة ليأووا إليها ويؤوا أمتعتهم فيها فيجوز دخولها بغير استئذان والمنفعة النزول بها وانتقاء الحر والبرد وإيواء الأمتعة بها وقيل بيوت التجار وحوائيتهم في الأسواق يدخلها للبيع والشراء وهو منفعتها وليس فيها استئذان وقيل هي جميع البيوت التي لا ساكن فيها لأن الاستئذان إنما جعل لئلا يطلع على عورة فإن لم يخف ذلك فله الدخول بغير استئذان (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) يعني عما لا يحل النظر إليه قيل معناه أغضوا أبصارهم وقيل من هنا للتبويض لأنه لا يجب الغض عما يحل إليه النظر وإنما أمروا أن يغضوا عما لا يحل النظر إليه (م) عن جرير قال « سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة قال اصرف بصرك » عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل « يا عبي الله لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الثانية » أخرجه أبو داود والترمذي (م) « عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضى الرجل إلى الرجل في ثوب واحد ولا تفضى المرأة إلى المرأة في ثوب واحد » وقوله تعالى (ويحفظوا فروجهم) يعني عما لا يحل قال أبو العالية كل ما في القرآن من حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا في هذا الموضع فإنه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه . فان قلت كيف أدخل من على غض البصر دون حفظ الفرج . قلت فيه دلالة على أن أمر النظر أوسع ألا ترى أن المحارم لأبأس بالنظر إلى شعورهن وتديهن وأعضادهن وأقدامهن وكذلك الجوارى المسترضات في البيع والأجنبية يجوز النظر إلى وجهها وكفها للحاجة إلى ذلك وأما أمر الفروج فمضيق وكفها أن أيسح النظر إلا ما اشتنتني منه وحظر الجماع إلا ما اشتنتني منه . فان قلت كيف قدم غض البصر على حفظ الفرج . قلت لأن النظر يريد الزنا ورائد الفجور والباوى فيه أشد ولا يكاد أحد يقدر على الاحتراس منه (ذلك أركي لهم) يعني غض البصر وحفظ الفرج (إن الله خبير بما يصنعون) يعني أنه

يلج وقال عطاء هي البيوت الحرة والمتاع هو قضاء الحاجة فيها من البول والغائط وقيل هي جميع البيوت التي لا ساكن لها لأن الاستئذان إنما جاء لئلا يطلع على عورة فإن لم يخف ذلك فله الدخول بغير استئذان (والله يعلم ما تبدون وما تكتمون) قوله تعالى (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم) أي عن النظر إلى ما لا يحل النظر إليه وقيل من صلة يعني يغضوا أبصارهم وقيل هو ثابت لأن المؤمنين غير مأمورين بغض البصر أصلاً لأنه لا يجب الغض عما يحل النظر إليه وإنما أمروا بأن يغضوا عما لا يحل النظر إليه (ويحفظوا فروجهم) عما لا يحل قال أبو العالية كل ما في القرآن

مع حفظ الفرج فهو عن الزنا والحرام إلا في هذا الموضع فإنه أراد به الاستتار حتى لا يقع بصر الغير عليه (ذلك) يعني غض البصر وحفظ الفرج (أركي لهم) : أي خير لهم وأظهر (إن الله خبير بما يصنعون) يعني عليم بما يفعلون روى عن بريدة قال « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعل يا عبي الله لا تتبع النظرة النظرة فإن لك الأولى وليست لك الآخرة » وروى عن جرير بن عبد الله قال سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن نظرة الفجأة فقال اصرف بصرك ، أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد حدثنا محمد بن عيسى الجلودي حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان حدثنا مسلم بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا زيد بن الحباب عن الضحاك بن عثمان قال أخبرني

زيد بن أسلم عن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الرجل إلى عورة الرجل ولا المرأة إلى عورة المرأة ولا يفضي الرجل إلى الرجل في ثوب واحد . ولا تفضي المرأة إلى المرأة في ثوب واحد . قوله عز وجل (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن) عما لا يحل (ويحفظن فروجهن) عن لا يحل وقيل أيضا يحفظن فروجهن يعني يسترنها حتى لا يراها أحد وروى عن أم سلمة أنها كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وميمونة إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه ؟ فقلت يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعميا وإن أنثى ألسنا تبصرانه . قوله تعالى (ولا يبدن زينتهن) يعني لا يظهرون زينتهن لغير محرم وأراد بها الزينة الخفية (٣٦٩) وهما زينتان خفية وظاهرة فالخفية

مثل الخللخال والحضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط والقلائد فلا يجوز لها إظهارها ولا للأجنبي النظر إليها والمراد من الزينة موضع الزينة قوله تعالى (إلا ما ظهر منها) أراد به الزينة الظاهرة واختلف أهل العلم في هذه الزينة الظاهرة التي استأدها الله تعالى قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي هو الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب وبدليل قوله تعالى (خذوا زينتهكم عند كل مسجد) وأراد بها الثياب وقال الحسن الوجه والثياب وقال ابن عباس الكحل والحامم والحضاب في الكف

خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجلبون أبصارهم وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم قوله عز وجل (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن) يعني عما لا يحل لمن روى عن أم سلمة قالت كنت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة بنت الحارث إذ أقبل ابن أم مكتوم فدخل عليه وذلك بعد ما أمرنا بالحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجبا منه فقلنا يا رسول الله أليس أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعميا وإن أنثى ألسنا تبصرانه أخرجه الترمذي وأبو داود . قوله تعالى (ولا يبدن زينتهن) يعني لا يظهرون (زينتهن) يعني لغير المحرم وأراد بالزينة الخفية مثل الخللخال والحضاب في الرجل والسوار في المعصم والقرط في الأذن والقلائد في العنق فلا يجوز للمرأة إظهارها ولا يجوز للأجنبي النظر إليها والمراد من الزينة النظر إلى مواضعها من البدن (إلا ما ظهر منها) يعني من الزينة قال سعيد بن جبير والضحاك والأوزاعي الوجه والكفان وقال ابن مسعود هي الثياب وقال ابن عباس هي الكحل والحامم والحضاب في الكف فما كان من الزينة الظاهرة يجوز للرجل الأجنبي النظر إليه للضرورة مثل تحمل الشهادة ونحوه من الضرورات إذا لم يخف فتنة وشهوة فإن خافت شيئا من ذلك غضب البصر وإنما رخص في هذا القدر للمرأة أن تبديه من بدنها لأنه ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة (وليضربن بخمرهن) يعني ليلقين بمقانعهن (على جبهتهن) يعني موضع الجيب وهو النحر والصدري يعني ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأقراطهن وصدورهن (خ) عن عائشة قالت يرحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله وليضربن بخمرهن على جبهتهن شققن مروطن فاحترمن بها المرط كساء من صوف أو غز أو كتان وقيل هو الإزار وقيل هو اللوح (ولا يبدن زينتهن) يعني الخفية التي لم يبيح لمن كشفها في الصلاة ولا للأجانب وهي ما عدا الوجه والكفين (إلا ليعولتن) قال ابن عباس لا يضعن الجلباب والحمار إلا لأزواجهن أو آبائهن (أو آباء يعولتن أو أبنائهن أو أبناء يعولتن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن) فيعجز هؤلاء أن ينظروا إلى الزينة الباطنة ولا ينظروا إلى ما بين السرة والركبة ويجوز للزوج أن ينظر إلى جميع بدن زوجته غير أنه يكره له النظر

فما كان من الزينة الظاهرة جاز للرجل الأجنبي النظر إليه إذا لم يخف فتنة وشهوة . فإن خافت شيئا منها غضب البصر وإنما رخص في هذا القدر للمرأة أن تبديه لأنها ليس بعورة وتؤمر بكشفه في الصلاة وسائر بدنها عورة يلزمها ستره قوله عز وجل (وليضربن بخمرهن) يعني ليلقين بمقانعهن (على جبهتهن) وصدورهن ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وأقراطهن قالت عائشة رحم الله نساء المهاجرات الأول لما أنزل الله عز وجل وليضربن بخمرهن على جبهتهن شققن مروطن فاحترمن بها (ولا يبدن زينتهن) يعني الزينة الخفية التي لم يبيح لمن كشفها في الصلاة ولا للأجانب وهو ما عدا الوجه والكفين (إلا ليعولتن) قال ابن عباس ومقاتل : يعني لا يضعن الجلباب ولا الحمار إلا ليعولتن . أي إلا لأزواجهن (أو آبائهن أو آباء يعولتن أو أبنائهن أو أبناء يعولتن أو إخوانهن أو بنى إخوانهن أو بنى إخوانهن) فيعجز

هؤلاء ان ينظروا إلى الزينة الباطنة ولا ينظرون إلى ما بين السرة والركبة ويجوز للزوج أن ينظر إلى جميع بدنها غير أنه
يكفر له النظر إلى فرجها قوله تعالى (أو نسائهن) أراد أنه يجوز للمرأة أن تنظر إلى بدن المرأة إلا ما بين السرة والركبة
كالرجل المحرم هذا إذا كانت المرأة مسلمة فإن كانت كافرة فهل يجوز للمسلمة أن تنكشف لها تختلف أهل العلم فيه
فقال بعضهم يجوز كما يجوز أن تنكشف للمرأة المسلمة لأنها من جملة النساء وقال بعضهم لا يجوز لأن الله تعالى قال أو
نسائهن والكافرة ليست من نسائنا ولأنها أجنبية في الدين وكانت أبعد من الرجل الأجنبي كتب عمر بن الخطاب إلى
أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء (٧٠) أهل الكتاب أن يدخلن الحمام مع المسلمات قوله تعالى أو مملكت

أيمانهن) اختلفوا فيها
فقال قوم عبد المرأة
عمر لها فيجوز له الدخول
عليها إذا كان عفيفا
وأن ينظر إلى بدن مولاته
إلا ما بين السرة والركبة
كالخارج وهو ظاهر
القرآن وروى ذلك عن
عائشة وأم سلمة وروى
ثابت عن أنس عن
النبي صلى الله عليه وسلم
وأنه أتى فاطمة بعبد قد
وهب لها وعلي فاطمة
ثوب إذا قنعت به رأسها
لم يبلغ رجليها وإذا
غطت رجليها لم يبلغ
رأسها فلما رأى رسول
الله صلى الله عليه وسلم
ما تلقى قال إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك
وغلامك ووقل قوم هو
كالأجنبي معها وهو
قول سعيد بن المسيب
وقال المراد مع الآية

للى فرجها (أو نسائهن) بمعنى المؤمنات من أهل دينهن أراد به أنه يجوز للمرأة أن تنظر إلى
بدن المرأة إلا ما بين السرة والركبة ولا يجوز للمرأة المؤمنة أن تتجرد من ثيابها عند الذمية أو
الكافرة لأن الله تعالى قال أو نسائهن والذمية أو الكافرة ليست من نسائنا ولأنها أجنبية في الدين فكانت
أبعد من الرجل الأجنبي كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح أن يمنع نساء أهل الكتاب أن
يدخلن الحمام مع المسلمات وقيل يجوز كما يجوز أن تنكشف للمرأة المسلمة لأنها من جملة النساء (أوما
ملكنت أيمانهن) قيل هو عبد المرأة فيجوز له الدخول عليها إذا كان عفيفا وأن ينظر إلى مولاته إلا
ما بين السرة والركبة كالخارج وهو ظاهر القرآن يروى ذلك عن عائشة وأم سلمة وروى أنس
أن النبي صلى الله عليه وسلم « أتى إلى فاطمة بعبد قد وهب لها وعلى فاطمة ثوب إذا قنعت به
رأسها لم يبلغ رجليها وإذا غطت به رجليها لم يبلغ رأسها فلما رأى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ما تلقى قال إنه ليس عليك بأس إنما هو أبوك وغلامك » وقيل هو كالأجنبي معها وهو
قول سعيد بن المسيب قال والمراد من الآية الإمامة دون العبيد (أو التابعين غير أولى الأربية
من الرجال) قرىء غير ينصب الرأه وقيل هو بمعنى الاستثناء ومعناه يدين زينتهن للتابعين
إلا إذا الأربة منهم فأنهن لا يدين زينتهن لمن كان منهم ذا إربة وقرىء غير بالجر على نعت
التابعين والإربة والأرب الحاجة والمراد بالتابعين غير أولى الأربة هم الذين يتبعون القوم
ليصيبوا من فضل طعامهم لاهمة لهم لإذ ذلك ولا حاجة لهم في النساء وقال ابن عباس هو الأحمق
العنين وقيل هو الذي لا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهين وقيل هو المحبوب والخصى وقيل هو
الشيخ المحرم الذي ذهب شهوته وقيل هو الخنث (م) عن عائشة رضي الله عنها « قالت كان يدخل
على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم غنث وكانوا يعدونه من غير أولى الإربة فدخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو يعت امرأه قال إذا أقبلت أقبلت بأربع
وإذا أدبرت أدبرت بثان فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أرى هذا يعرف ماها هنا لا يدخل
عليك هذا فأحججه زاد أبو داد في رواية وأخرجوه إلى البيداء يدخل كل جمعة فيستطعم
قره أقبلت بأربع أي أن لها في بطنها أربع عكن فهي تقبل إذا أقبلت بها وأراد بالثمان أطراف

الإمامة دون العبيد وعن ابن جريج أنه قال أو نسائهن أو مملكت أيمانهن
أنه لا محل لامرأة مسلمة أن تتجرد بين يدي امرأة مشركة إلا أن تكون تلك المرأة المشركة أمة لها قوله (أو التابعين غير
أولى الأربة من الرجال) قرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو بكر غير ينصب الرأه على القطع لأن التابعين معرفة وغير فكرة
وقيل بمعنى إلا فهو استثناء معناه يدين زينتهن للتابعين إلا إذا الإربة منهم فأنهن لا يدين زينتهن لمن كان منهم ذا إربة
وقرأ الآخرون بالجر على نعت التابعين والأربة والأرب الحاجة والمراد بالتابعين غير أولى الإربة هم الذين يتبعون القوم
ليصيبوا من فضل طعامهم لاهمة لهم لإذ ذلك ولا حاجة لهم في النساء وهو قول مجاهد وعكرمة والشعبي وعن ابن عباس
أنه الأحمق العنين وقال الحسن هو الذي لا ينتشر ولا يستطيع غشيان النساء ولا يشتهيه وقال سعيد بن جبير هو المعتوه

وقال عكرمة الجيوب وقيل هو الخنث وقال مقاتل الشيخ المرم والعين والخصي والحيوب ونحوه أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أحمد بن الحسين الحيري أنا محمد بن أحمد بن محمد بن معقل بن محمد الميداني أنا محمد بن يحيى أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت وكان رجل يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خنث وكانوا يعدونه من غير أولى الأربة فدخل النبي صلى الله عليه وسلم يوما وهو عند بعض نسائه وهو ينبت امرأة فقال إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع وإذا أدبرت أدبرت بثان : فقال النبي صلى الله عليه وسلم ألا أرى هذا يعلم ما هاهنا لا يدخلن عليهن هذا فحجبه (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أراد بالطفل الأطفال يكون واحدا وجمعا أي لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وهو قول مجاهد وقيل لم يطبقوا أمر النساء وقيل لم يبلغوا حد الشهوة (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) كانت المرأة إذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها فهبت عن ذلك (٧٨) (وتوبوا إلى الله جميعا) من

العكن الأربع من الجانبين وذلك صفة لها بالسنة (أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء) أي لم يكشفوا عن عورات النساء للجماع فيطلعوا عليها وقيل لم يعرفوا العورة من غيرها من الصغر وقيل لم يطبقوا أمر النساء وقيل لم يبلغوا حد الشهوة وقيل الطفولية اسم للصبى مالم يحتم (ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن) قيل كانت المرأة إذا مشت ضربت برجلها ليسمع صوت خلخالها أو يتبين خلخالها فهبت عن ذلك وقيل إن الرجل تغلب عليه شهوة النساء إذا سمع صوت الخلخال ويصير ذلك داعية له زائدة في مشاهدتهن وقد علل ذلك بقوله تعالى ليعلم ما يخفين من زينتهن فنه به على أن الذي لأجله نهى عنه أن يعلم به ما عليهن من الخلق وغيره (وتوبوا إلى الله جميعا) أي من التقصير الواقع في أمره ونهيه وراجعوا طاعته فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في هذه السورة قيل إن أوامر الله ونواهيه في كل باب لا يقدر العبد الضعيف على مراعاتها وإن ضبط نفسه واجتهد فلا ينفك عن تقصير يقع منه فلذلك وصى المؤمنين بالتوبة والاستغفار ووعده بالفلاح إذا تابوا واستغفروا فذلك قوله تعالى (أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) (م) عن الأغر أغر مزينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وتوبوا إلى ربكم فوالله إني لأتوب إلى ربي تبارك وتعالى مائة مرة في اليوم عن ابن عمر قال «إن كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم مائة مرة أخرجه عبد الرحمن بن حميد الكشي (ق) عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله في أرض فلاة» (م) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله

التقصير الواقع في أمره ونهيه وقيل راجعوا طاعة الله ، فيما أمركم به ونهاكم عنه من الآداب المذكورة في هذه السورة (أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) قرأ ابن عمر آية المؤمنون وآية الساجد وآية الثقلان بضم الهاء فيهن ويقف بلا ألف على الخط وقرأ الآخرون بفتح الهاءات على الأصل أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن السمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن

عبد الجبار الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا وهب بن جرير أنا شعبة عن عمرو بن مرة عن أبي بردة أنه سمع الأغر يحدث عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «يا أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة» أخبرنا أبو الحسن عن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا محمد بن عبد الله بن أحمد بن حمويه السرخسي أنا أبو إسحاق إبراهيم بن حريم الشاشي أنا أبو محمد عبد الله بن حميد الليثي حدثني ابن أبي شيبة أنا عبد الله بن نمير عن مالك بن مغول عن محمد بن سوقة عن نافع «عن ابن عمر قال إن كنا لنعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم في المجلس يقول رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم مائة مرة» وجملة الكلام في بيان العورات أنه لا يجوز للرجل أن ينظر إلى عورة الرجل وعورته ما بين السرة إلى الركبة وكذلك المرأة مع المرأة ولا بأس بالنظر إلى سائر البدن إذا لم يكن خوف فتنه وقال مالك وابن أبي ذئب الفخذ ليس بعورة لما روى عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس قال «أجرى نبي الله صلى الله عليه وسلم فرسا فزقاق خبير وإن ركبتني فس فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم ثم حنر الإزار عن فخذه حتى إني لأنظر إلى بياض فخذ نبي الله صلى الله عليه وسلم» وأكثر أهل العلم على أن الفخذ عورة لما أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد الفضل الطبرقي أنا أبو الحسن الطبرسي أنا عبد الله

ابن عمر الجوهري ثنا أحمد بن علي الكشمي أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر عن العلامة بن أبي كثير عن محمد بن جحش وقال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي معمر وأخذاه مكشوفتان قال يامعمر غط فخذيك فإن الفخذين عورة وروى عن ابن عباس وجرهد بن خويلد كان من أصحاب الصفة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن الفخذ عورة قال محمد بن إسماعيل حديث أنس أسند وحديث جرهد أحوط أما المرأة مع الرجل فإن كانت أجنبية حرة فجمع بينهما في حق الأجنبي عورة ولا يجوز النظر إلى شيء منها إلا الوجه والكفين وإن كانت أمة فعورتها مثل عورة الرجل ما بين السرة إلى الركبة وكذلك المحارم بعضهم مع بعض والمرأة في النظر إلى الرجل الأجنبي كهو معها ويجوز للرجل أن ينظر إلى جميع بدن امرأته وأمنته التي تحمل له (٧٣) وكذلك هي منه إلا تقص الفرج فإنه يكره النظر إليه وإذا زوج الرجل أخته

حرم عليه النظر إلى عورتها كالأمة الأجنبية وروى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وإذا زوج أحدكم بده أخته فلا ينظرن إلى مادون السرة وفوق الركبة قوله تعالى (وأنكحوا الأباي منكم) الأباي جمع الأيم وهو من لا زوج له من رجل أو امرأة يقال رجل أيم وامرأة أمة وأيم ومعنى الآية زوجوا بها المؤمنون من لا زوج له من أحرار رجالكم ونسائكم (والصالحين مع عبادكم وإمائكم) وهذا الأمر أمر نذوب واستحباب يستحب لمن تأقت نفسه إلى النكاح ووجد أهية للنكاح أن يتزوج وإن لم يجد

عليه . قوله عز وجل (وأنكحوا الأباي منكم) جمع الأيم يطلق على الذكر والأنثى وهو من لا زوج له من رجالكم ونسائكم (والصالحين من عبادكم) أي من عبيدكم (وإمائكم) بيان حكم الآية الأمر المذكور في الآية أمر نذوب واستحباب لإجماع السلف عليه فيستحب لمن تأقت نفسه إلى النكاح ووجد أهية أن يتزوج وإن لم يجد أهية يكسر شهوته بالصوم (ق) عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحسن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء الباءة النكاح ويكتفى به عن الجماع أيضا والوجاء بكسر الواو رضى الأثنيين وهو نوع من الخصاء شبه الصوم في قطعه شهوة النكاح والوجاء الذي يقطع القسل عن معقل بن يسار قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوجوا الودود الولود فاني مكثر بكم الأمم يوم القيامة أخرجه أبو داود والنسائي (م) عن عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة أما من لا يتوق نفسه إلى النكاح وهو قادر عليه فالتخلى للعبادة أفضل له من النكاح عند الشافعي وعند أصحاب الرأي النكاح أفضل قال الشافعي قد ذكر الله عبدا أكرمه فقال وسيد أو حصورا وهو الذي لا يأتي النساء وذكر القواعد من النساء ولم ينسهن إلى النكاح وفي الآية دليل على أن تزوج الأباي إلى الأولياء لأن الله خاطبهم به كما أن تزوج العبيد وإماء إلى السادات وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة فمن بعدهم روى ذلك عن عمر وعلى وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشرح وإبراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز وإليه ذهب الثوري والأوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق وجوز أصحاب الرأي للمرأة تزوج نفسها وقال مالك إن كانت المرأة ذنيبة يجوز لها تزويج نفسها وإن كانت شريفة فلا والدليل على أن الولي شرط في النكاح ما روى عن أبي موسى الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا نكاح إلا بولي أخرجه أبو داود والترمذي وطحا عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال وأما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل ثلاثا فإن أصابها فلها المهر بما استحل من فرجها

أهية النكاح يكسر شهوته بالصوم لما أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن الحسين الطوسي أنا أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفرايني أنا أبو بكر محمد بن مرواد بن مسعود أنا أبو عبد الله محمد بن أيوب اللجلى أنا محمد بن كثير أنا سفيان عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن عبد الرحمن بن زيد عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وتناكحوا تكثروا فاني أباهي بكم الأمم حتى بالسقطه وقال صلى الله عليه وسلم من أحب فطرني فليستن بسنتي ومن سبني النكاح أما من لا يتوق نفسه إلى النكاح وهو قادر عليه فالتخلى للعبادة له أفضل من النكاح عند الشافعي رحمه الله وعند أصحاب الرأي النكاح أفضل قال الشافعي وقد ذكر الله

تعالى عبداً أكرمه فقال «وسيداً وحسوراً ونبياً من الصالحين» والحضور الذي لا يأتى النساء مع القدرة عليه وذكر التواعد من النساء ولم يندبهن إلى النكاح وفي الآية دليل على أن تزويج النساء الأرياس إلى الأولياء لأن الله تعالى خاطبهم به كما أن تزويج العبيد والإماء إلى السادات لقوله تعالى «والصالحين من عبادكم وإمائكم» وهو قول أكثر أهل العلم من الصحابة ومن بعدهم روى ذلك عن عمر وعلى وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي هريرة وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب والحسن وشرح إبراهيم النخعي وعمر بن عبد العزيز وإليه ذهب الثوري والأوزاعي وعبد الله بن المبارك والشافعي وأحمد وإسحاق وجوز أصحاب الرأي للمرأة الحرة تزويج نفسها وقال مالك إن كانت المرأة ذنينة جاز لها تزويج نفسها وإن كانت شريفة فلا والدليل على أن الولي شرط من جهة الأخبار ما أخبرنا عبد الواحد (٧٣) الملبحى أنا محمد بن الحسن

ابن أحمد الخطابي أنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج أنا قتيبة بن سعيد أنا أبو عوانة عن أبي إسحاق عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لا نكاح إلى يولي» أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب أنا عبد العزيز ابن أحمد الخليل ، أنا أبو العباس الأصم أنا الربيع أنا الشافعي أنا سعيد بن سالم عن ابن جريج عن سليمان بن موسى عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «إنما امرأة نكحت نفسها بغير

فان تشاحوا فالسلطان ولي من لا ولي له . وقوله تعالى (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضاه) قيل الغنى هنا القناعة وقيل هو اجتماع الرزقين وزق الزوج والزوجة وقيل عمر بن الخطاب عجب لمن يبتغى الغنى بغير النكاح والله تعالى يقول إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله وقال بعضهم إن الله وعد الغنى بالنكاح وبالنزق فقال تعالى (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) وقال «وإن يتفرقا يغنى الله كلاماً من سمته» (والله واسع) يعني أنه ذو الإفضال والجود (علم) أى بما يصلح خلقه من الرزق قوله تعالى (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً) يعنى ليطالب العفة عن الزنا والحرام الذين لا يجدون ما ينكحون به من الصداق والنفقة (حتى يغنهم الله من فضله) يعنى يوسع عليهم من رزقه (والذين يبتغون الكتاب) يعنى يطلبون المكاتب (بما ملكت أيمانكم فكاتبوهم) سبب زول هذه الآية أن غلاماً لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكتبه فأبى عليه فأرسل الله تعالى هذه الآية فكتابه حويطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين ديناراً فأداها وقتل يوم حنين في الحرب ، بيان حكم الآية وكيفية المكاتب وذلك أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على كذا من المال ويسمى بالمال معلوماً تؤدى ذلك في نجسين أو في نجوم معلومة في كل نجم كذا فإذا أدبت ذلك فأنت حر ويقبل العبد ذلك فإذا أدى العبد ذلك المال عتق ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد الكتابة وإذا عتق بأداء المال فما فضل في يده من المال فهو له ويتبعه أولاده الذين حصلوا في الكتابة في العتق وإذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته ويرده إلى الرق وما في يده من المال فهو لسيده لما روى عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «المكاتب عبد ما بين عليه درهم» أخرجه أبو داود وذهب بعض أهل العلم إلى أن قوله تعالى «فكاتبوهم» أمر بإيجاب يجب على السيد أن يكتب عبده الذى علم فيه خبراً إذا سأل العبد ذلك على قيمته أو على أكثر من قيمته وإن سأل على أقل من قيمته لا يجب وهو قول عطاء وعزرو بن دينار لما روى أن سيرين أبا محمد بن سيرين سأل أنس بن مالك أن يكتبه وكان كثير المال فانطلق سيرين إلى

(١٠ - خازن بالهوى - خامس)

إذن وليها فنكاحها باطل ثلاثاً فان أصابها فلها المهر مما استحل من فرجها فان اشتجروا فالسلطان ولي من لا ولي له، وقوله تعالى (إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله والله واسع علم) قيل الغنى هاهنا القناعة وقيل اجتماع الرزقين وزق الزوج وزق الزوجة وقال عمر عجب لمن يبتغى الغنى بغير النكاح والله عز وجل يقول «إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله» وروى عن بعضهم أن الله تعالى وعد الغنى بالنكاح وبالنزق فقال تعالى «إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله» وقال تعالى «وإن يتفرقا يغنى الله كلاماً من سمته» (وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً) أى ليطالب العفة عن الحرام والزنا الذين لا يجدون ما ينكحون به للصدقة والنفقة (حتى يغنهم الله من فضله) أى يوسع عليهم من رزقه قوله تعالى (والذين يبتغون الكتاب) أى يطلبون المكاتب (بما ملكت أيمانكم فكاتبوهم) سبب زول هذه الآية ما روى أن غلاماً لحويطب بن عبد العزى سأل مولاه أن يكتبه فأبى عليه فأرسل الله هذه الآية فكتابه

هو يطب على مائة دينار ووهب له منها عشرين دينارا فأداها وقتل يوم حنين في الحرب والكتابة أن يقول الرجل للملوك
 كاتبك على كذا من المال ويسمى مالا معلوما يؤدي ذلك في نجسين أو نجوم معلومة ، في كل نجم كذا فإذا أدبت فأنت حر
 والعبد يقبل ذلك فإذا أدى المال عتق ويصير العبد أحق بمكاسبه بعد أداء المال وإذا عتق بعد أداء المال فما فضل في يده من
 المال يكون له ويتبعه أولاده الذين حصلوا في حال الكتابة في العتق وإذا عجز عن أداء المال كان لمولاه أن يفسخ كتابته
 ويرده إلى الرق وما في يده من المال يكون لمولاه لما أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي
 أنا أبو مصعب عن مالك عن نافع أن عبد الله بن عمر كان يقول «المكاتب عبد مابق عليه من كتابته شيء» ورواه عمرو بن
 شعيب عن أبيه عن جده مرفوعا «المكاتب عبد مابق عليه من كتابته درهم» وذم بعض أهل العلم إلى أن قوله تعالى :
 «فكاتبوهم» أمر بإيجاب يجب على الولي أن يكتب عبده الذي علم به خيرا إذا سأل العبد ذلك على قيمته أو أكثر وإن سأل على
 أقل من قيمته فلا يجب وهو قول عطاء وعمرو بن دينار ولما روى أن سيرين سأل أنس بن مالك أن يكتبه فسلط عنه فشكا
 إلى عمر فعلاه بالدرة وأمره بالكتابة (٧٤) فكاتبه وذهب أكثر أهل العلم إلى أنه أمر نذب واستحباب ولا تجوز

عمر فشكاه فدعاه عمر فقال له كاتبه فأني فضربه بالدرة وثلا فكاتبوهم (إن علمتم فيهم خيرا)
 فكاتبه وذهب أكثر أهل العلم إلى أنه أمر نذب واستحباب ولا تجوز الكتابة على أقل من
 نجمين عند الشافعي لأنه عقد جوز إرفاقا بالعبد ومن تنمة الإرفاق أن يكون ذلك المال
 عليه إلى أجل حتى يؤديه على مهل فيحصل المقصود وجوز أبو حنيفة الكتابة إلى نجم واحد
 وحالة واحدة واختلفوا في معنى قوله «إن علمتم فيهم خيرا» فقال ابن عمر قوة على الكسب
 وهو قول مالك والثوري وقيل مالا ، روى أن عبد السامان الفارسي قال له كاتبني قال لك مال قال
 لا قال تريد أن تطعمني من أوساخ الناس ولم يكتبه قيل أو أراد به المال لقال إن علمتم لهم
 خيرا وقيل صدقا وأمانة وقال الشافعي أظهر معاني الخير في العبد إلا أنساب مع الأمانة فأحب
 أن لا يمنع من المكتوبة إذا كان هكذا وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 «ثلاث حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الأداء والتا كح الذي يريد العفاف والمجاهد
 في سبيل الله» أخرجه الترمذي والسنائي وقيل معنى الخير أن يكون العبد عاقلا بالغيا فأما الصبي
 والمجنون فلا تصح كتابتهما لأن الابتغاء منهما لا يصح وجوز أبو حنيفة كتابة الصبي المراهق
 وقوله تعالى (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) قيل هو خطاب للموالي فيجب على السيد أن
 يحط عن مكاتبه من مال المكتوبة شيئا وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة وبه قال الشافعي
 ثم اختلفوا في قدر ما يحط فقيل يحط الربع وهو قول علي ورواه بعضهم مرفوعا وقال ابن
 عباس يحط الثلث وقال الآخرون ليس له حد بل عليه أن يحط عنه ما شاء وبه قال الشافعي

الكتابة على أقل من
 نجمين عند الشافعي لأنه
 عقد جوز إرفاقا بالعبد
 ومن تنمة الإرفاق أن
 يكون ذلك المال عليه
 إلى أجل حتى يؤديه
 على مهل فيحصل
 المقصود كالدية في قتل
 الخطأ وجبت على العاقلة
 على سبيل المواساة فكانت
 عليهم مؤجلة منجمة
 وجوز أبو حنيفة الكتابة
 على نجم واحد وحالة
 قوله تعالى (إن علمتم
 فيهم خيرا) اختلفوا
 في معنى الخير فقال ابن
 عمر قوة على الكسب

وهو قول مالك والثوري وقال الحسن ومجاهد والضحاك مالا كقولته تعالى «إن ترك خيرا» أي مالا وروى أن قال
 عبدا لسلطان الفارسي قال له كاتبني قال لك مال قال لا قال تريد أن تطعمني من أوساخ الناس ولم يكتبه قال الزجاج لو
 أراد به المال لقال إن علمتم لهم خيرا وقال إبراهيم وابن زيد وعبيدة صدقا وأمانة . وقال طاوس وعمرو بن دينار مالا
 وأمانة وقال الشافعي وأظهر معاني الخير في العبد إلا أنساب مع الأمانة فأحب أن لا يمنع من كتابته إذا كان هكذا أخبرنا
 أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو الحسن بن علي بن شريك الشافعي أنا عبد الله بن محمد بن مسلم ، أنا أبو بكر
 الجورمندي أنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب أخبرني الليث عن محمد بن عجلان عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن
 أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ثلاثة حق على الله عونهم المكاتب الذي يريد الأداء والتا كح
 يريد العفاف والمجاهد في سبيل الله» وحكى محمد بن سيرين عن عبيدة إن علمتم فيهم خيرا أي أفا والصلاة ، وقيل هو أن
 يكون العبد بالغيا عاقلا فأما الصبي والمجنون فلا تصح كتابتهما لأن الابتغاء منهما لا يصح وجوز أبو حنيفة كتابة الصبي
 المراهق قوله سبحانه وتعالى (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) اختلفوا فيه فقال بعضهم هذا خطاب للموالي يجب على

المولى أن يحط عن مكاتبه من مال كتابته شيئا وهو قول عثمان وعلي والزبير وجماعة وبه قال الشافعي ثم اختلفوا في قدره فقال قوم يحط عنه ربيع مال الكتابة وهو قول علي ورواه بعضهم عن علي مرفوعا وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما يحط عنه الثلث وقال الآخرون ليس له حد بل عليه أن يحط عنه ما شاء ، وهو قول الشافعي قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع عنه من آخر كتابته خمسة آلاف درهم وقال سعيد بن جبير كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئا من أول نجومه مخافة أن يعجز فيرجع إليه صدقته ويضع من آخر كتابته ما أحب وقال بعضهم هو أمر استحباب والوجوب أظهر قال قوم أراد بقوله وآتوهم (٧٥) من مال الله أي سهمهم الذي جعله الله لهم من

الصدقات المفروضات بقوله تعالى وفي الرقاب وهو قول الحسن وزيد ابن أسلم وقال إبراهيم هو حث لجميع الناس على معونتهم وأومات المكاتب قبل أداء النجوم اختلف أهل العلم فيه فذهب كثير منهم إلى أنه يموت رقيقا وترفع الكتابة سواء ترك مالا أو لم يترك وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز وأحمد ذهب الشافعي وأحمد وقال قوم إن ترك وفاء ما بقى عليه من مال الكتابة كان حرا وإن فضل له مال كان لأولاده الأحرار وهو قول عطاء وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق بأداء المال لأن عتقه معلق بالأداء وقد وجد وتبعه أولاده وأكسبه كما في الكتابة الصحيحة لأن الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن أداء النجوم . وقوله تعالى (ولا تكرر هو فتياكم) أي إمامكم (على البغاء) أي الزنا (إن أردن تحصنا) الآية (م) عن جابر قال كان عبد الله بن أبي بن سلول يقول لجاريته اذهبي فابغينا شيئا قال فأنزله الله ولا تكرر هو فتياكم على البغاء إن أردن تحصنا وفي رواية أخرى أن جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة كان يكرههما على الزنا فشكنا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزله الله ولا تكرر هو فتياكم على البغاء إلى قوله وغفور رحيم وقال المقسرون نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق كانت له جارتان يقال لهما مسيكة ومعادة وكان يكرههما على الزنا لضربة يأخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون إمامهم فلما جاء الإسلام قالت معادة لمسيكة إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا نحلو من وجهين فإن بك خيرا فقد استكرنا منه وإن بك شرا فقد آتينا لنا أن ندعه فأنزله الله هذه الآية وروى أن إحدى الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الأخرى بدينار فقال لهما إرجعا فإزينا فقلنا والله

قال نافع كاتب عبد الله بن عمر غلاما له على خمسة وثلاثين ألف درهم فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف درهم أخرجه مالك في الموطأ وقال سعيد بن جبير كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه لم يضع عنه شيئا من أول نجومه مخافة أن يعجز فيرجع إليه صدقته ويضع من آخر كتابته ما أحب وقال بعضهم هو أمر استحباب والوجوب أظهر وقيل أراد بقوله وآتوهم من مال الله أي سهمهم الذي جعله الله لهم من الصدقات المفروضات وهو قوله وفي الرقاب أراد به المكاتب وهو قول الحسن وزيد بن أسلم وقيل هو حث لجميع الناس على مؤنتهم واختلف العلماء فيها إذا مات المكاتب قبل أداء النجوم فذهب كثير منهم إلى أنه يموت رقيقا وترفع الكتابة سواء ترك مالا أو لم يترك وهو قول عمر وابن عمر وزيد بن ثابت وبه قال عمر بن عبد العزيز والزهرى وقتادة وإليه ذهب الشافعي وأحمد وقال قوم إن ترك وفاء ما بقى عليه من مال الكتابة كان حرا وإن فضل له مال كان لأولاده الأحرار وهو قول عطاء وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق بأداء المال لأن عتقه معلق بالأداء وقد وجد وتبعه أولاده وأكسبه كما في الكتابة الصحيحة لأن الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن أداء النجوم . وقوله تعالى (ولا تكرر هو فتياكم) أي إمامكم (على البغاء) أي الزنا (إن أردن تحصنا) الآية (م) عن جابر قال كان عبد الله بن أبي بن سلول يقول لجاريته اذهبي فابغينا شيئا قال فأنزله الله ولا تكرر هو فتياكم على البغاء إن أردن تحصنا وفي رواية أخرى أن جارية لعبد الله بن أبي يقال لها مسيكة وأخرى يقال لها أميمة كان يكرههما على الزنا فشكنا ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزله الله ولا تكرر هو فتياكم على البغاء إلى قوله وغفور رحيم وقال المقسرون نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق كانت له جارتان يقال لهما مسيكة ومعادة وكان يكرههما على الزنا لضربة يأخذها منهما وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون إمامهم فلما جاء الإسلام قالت معادة لمسيكة إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا نحلو من وجهين فإن بك خيرا فقد استكرنا منه وإن بك شرا فقد آتينا لنا أن ندعه فأنزله الله هذه الآية وروى أن إحدى الجاريتين جاءت ببرد وجاءت الأخرى بدينار فقال لهما إرجعا فإزينا فقلنا والله

كان فيه فضل فالزيادة لأولاده الأحرار وهو قول عطاء وطاوس والنخعي والحسن وبه قال مالك والثوري وأصحاب الرأي ولو كاتب عبده كتابة فاسدة يعتق بأداء المال لأن عتقه معلق بالأداء وقد وجد وتبعه الأولاد والاكسب كما في الكتابة الصحيحة ويفترقان في بعض الأحكام وهي أن الكتابة الصحيحة لا يملك المولى فسخها ما لم يعجز المكاتب عن أداء النجوم ولا تبطل بموت المولى ويعتق بالإبراء عن النجوم والكتابة الفاسدة يملك المولى فسخها قبل أداء المال حتى لو أدى المال بعد الفسخ لا يعتق ويبطل بموت المولى ولا يعتق بالإبراء عن النجوم وإذا عتق المكاتب بأداء المال لا يثبت الرجوع في الكتابة الصحيحة ويثبت في الكتابة الفاسدة فيرجع المولى عليه بقيمة رقبته وهو يرجع على المولى بما دفع إليه إن كان مالا قوله تعالى (ولا تكرر هو فتياكم على البغاء إن أردن تحصنا) الآية نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق ، كانت له

وكان ابن مسعود يقرأ مثل نوره في قلب المؤمن وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس مثل نوره الذي أعطى المؤمن . وقال بعضهم الكناية عائدة إلى المؤمن أي مثل نور قلب المؤمن وكان أبي يقرأ مثل نور من آمن به وهو عبد جعل الإيمان والقرآن في صدره وقال الحسن وزيد بن أسلم أراد بالنور القرآن وقال سعيد بن جبير والضحاك هو محمد صلى الله عليه وسلم وقيل أراد بالنور الطاعة سمي طاعة الله نورا وأضاف هذه الأنوار إلى نفسه تفضيلا (كشكاة) وهي الكوة التي لا منفذ لها فان كان لها منفذ فهي كوة ، وقيل المشكاة حبشية قال مجاهد هي القنديل (فيها مصباح) أي سراج أصله من الضوء ومنه الصبح ومعناه كمصباح في مشكاة (المصباح في زجاجة) يعني القنديل قال الزجاج إنما ذكر الزجاجية لأن النور وضوء النار فيها أبين من كل شيء وضوءه يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاجية فقال (الزجاجية كأنها كوكب دري) قرأ أبو عمرو والكسائي دري بكسر الدال والهمزة وقرأ حمزة وأبو بكر بضم الدال والهمز فمن كسر الدال فهو فعيل من الدرء وهو الدفع لأن الكوكب يدفع الشياطين من السماء وشبهه بحالة الدفع لأنه يكون في تلك الحالة أضوا وأنور ويقال هو من درأ الكوكب إذا اندفع متقضا فيتضاعف ضوءه في ذلك الوقت وقيل دري مكرر أي (٧٧) طالع يقال درأ النجم إذا طلع

وارتفع ويقال درأ علينا فلان أي طلع وظهر فأما رفع الدال مع الهمزة كما قرأ حمزة قال أكثر النحاة هو لحن لأنه ليس في كلام العرب فعيل بضم الفاء وكسر العين قال أبو عبيدة وأنا أرى لها وجهها وذلك أنها دروء على وزن فعول مثل مبروح وقد وس ثم استقلوا كثر الضمات فردوا بعضها إلى الكسر كما قالوا عتيا وهو فعول من عتوت وقرأ الآخرون دري بضم الدال وتشديد الباء

ابن عباس مثل نوره الذي أعطى المؤمن وقيل الكناية عائدة إلى المؤمن أي مثل نور قلب المؤمن وقيل أراد بالنور القرآن وقيل هو محمد ^{صلى الله عليه وسلم} وقيل هو طاعة الله نورا وأضاف هذه الأنوار إلى نفسه تشريفا وتفضيلا (كشكاة) هي الكوة التي لا منفذ لها قيل هي بلغة الحبشة (فيها مصباح) أي سراج وأصله من الضوء (المصباح في زجاجة) يعني القنديل وإنما ذكر الزجاجية لأن النور وضوء النار فيها أبين من كل شيء وضوءه يزيد في الزجاج ثم وصف الزجاجية فقال تعلى (الزجاجية كأنها كوكب دري) من درأ الكوكب إذا اندفع متقضا فيتضاعف نوره في تلك الحال وفي ذلك الوقت وقيل هو من درأ النجم إذا طلع وارتفع وقيل دري أي شديد الإنارة نسب إلى الدر في صفاته وحسنه وإن كان الكوكب أضوا من الدر لكنه يفضل الكوكب بصفاته كما يفضل الدر على سائر الأثواب وقيل الكوكب الدرر أحدا الكواكب الخمسة السيارة التي هي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد قيل شبهه بالكواكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لأنهما يلحقهما الكسوف بخلاف الكواكب (بوعد) أي اتقد المصباح (من شجرة باركة زيتونة) أي من زيت شجرة مباركة كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لأن الزيت يسرج به ويلدنه به وهو إدام وهو أصنى الأدهان وأضواها وقيل إنها أول شجرة نبتت بعد الطوفان وقيل أراد به زيتون الشام لأنها هي الأرض المباركة وهي شجرة لا يسقط ورقها ، عن أسيد بن ثابت أو أبي أسيد الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كلوا الزيت وادهنوا به

بلا همز أي شديد الإنارة نسبت إلى الدر في صفاته وحسنه وإن كان الكوكب أكثر ضوعا من الدر لكنه يفضل الكواكب بصفاته كما يفضل الدر سائر الحب وقيل الكوكب الدرر واحد من الكواكب الخمسة العظام وهي زحل والمريخ والمشتري والزهرة وعطارد وقيل شبهه بالكوكب ولم يشبهه بالشمس والقمر لأن الشمس والقمر يلحقهما الكسوف والكواكب لا يلحقها الكسوف (بوعد) قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب توقد بالناء وفتحها وفتح الواو والدال وتشديد القاف على الماضي يعني المصباح أي اتقد يقال توقدت النار إذا اتقدت وقرأ أهل الكوفة غير حفص توقد بالناء وضمها وفتح القاف خفيفا يعني الزجاجية أي نار الزجاجية لأن الزجاجية لا توقد وقرأ الآخرون بالباء وضمها خفيفا يعني المصباح (من شجرة مباركة زيتونة) أي من زيت شجرة مباركة فحذف المضاف بدليل قوله تعالى ويكاد زيتها يضيء ، وأراد بالشجرة المباركة الزيتون وهي كثيرة البركة وفيها منافع كثيرة لأن الزيت يسرج به وهو أضوا وأصنى الأدهان وهو إدام وفاكهة ولا يحتاج في استخراجها إلى أعصار بل كل أحد يستخرجه وجاء في الحديث أنه مصححة من البياض وهي شجرة تورق من أعلاها إلى أسفلها أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو الحسن القاسم بن بكر الطيالسي أنا أبو أمية الطوسي أنا نبيصة بن عقبة أنا سفيان الثوري عن عبد الله بن عيسى عن عطاء الذي كان بالشام وليد بن أبي رباح

عن أسيد بن ثابت وأبي أسلم الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكلوا الزيت وادهنوا به فإنه من شجرة مباركة قوله تعالى (لا شرقية ولا غربية) أي ليست شرقية وحدها حتى لا تصيبها الشمس إذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة إذا طلعت بل هي ضاحية للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الأمرين فيكون زيتها أضوأ وهذا كما يقال فلان ليس بأسود ولا بأبيض يريد ليس بأسود خالص ولا بأبيض خالص بل اجتمع فيه كل واحد منهما وهذا الرمان ليس يجلو ولا حامض أي اجتمعت فيه الحلاوة والحموضة هذا قول ابن عباس في رواية (٧٨) عكرمة والكلبي والأكثرين وقال السدي وجداعة معناه أنها ليست في مقناة

لا تصيبها الشمس ولا في مضحاة لا يصيبها الظل فهي لا تنضرها شمس ولا ظل وقيل معناه أنها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر ولا في غرب يضرها البرد وقيل معناه هي شامية لأن الشام لا شرق ولا غربى وقال الحسن ليست هذه من شجر الدنيا ولو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية وإنما هو مثل ضربه الله لنوره (يكاد زيتها) دهنها (يضىء) من صفائه (ولو لم تمسه نار) أي قبل أن تصيبه النار (نور على نور) يعني نور المصباح على نور الزجاجة واختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل فقال بعضهم وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب

فإنه من شجرة مباركة أخرجه الترمذي وقوله (لا شرقية ولا غربية) أي ليست شرقية وحدها فلا تصيبها الشمس إذا غربت ولا غربية وحدها فلا تصيبها الشمس بالغداة إذا طلعت بل مصاحبة للشمس طول النهار تصيبها الشمس عند طلوعها وعند غروبها فتكون شرقية وغربية تأخذ حظها من الأمرين فيكون زيتها أضوأ وهذا معنى قول ابن عباس وقيل معناه أنها ليست في مقناة لا تصيبها الشمس ولا في مضحاة لا يصيبها الظل فهي لا تنضرها شمس ولا ظل وقيل معناه أنها معتدلة ليست في شرق يضرها الحر ولا في غرب يضرها البرد وقيل معناه هي شامية لأن الشام وسط الأرض لا شرق ولا غربى وقيل ليست هذه الشجرة من أشجار الدنيا لأنها لو كانت في الدنيا لكانت شرقية أو غربية وإنما هو مثل ضربه الله لنوره (يكاد زيتها يضىء) أي من صفائه (ولو لم تمسه نار) أي قبل أن تمسه النار (نور على نور) أي نور المصباح على نور الزجاجة.

(فصل في بيان التمثيل المذكور في الآية)

اختلف أهل العلم في معنى هذا التمثيل فقيل المراد به الهدى ومعناه أن هداية الله تعالى قد بلغت في الظهور والجلال إلى أقصى الغايات وصار ذلك بمنزلة المشكاة التي فيها زجاجة صافية وفي تلك الزجاجة مصباح يتقد بزيت يبلغ النهاية في الصفاء والرقه والبياض فإذا كان كذلك كان كاملا في صفائه وصلح أن يجعل مثالا لهداية الله تعالى وقيل وقع هذا التمثيل لنور محمد صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لكعب الأحبار أخبرني عن قوله تعالى «مثل نوره كشكاة» قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد صلى الله عليه وسلم وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم به أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضىء ولو لم تمسه نار وروى عن ابن عمر في هذه الآية قال المشكاة جوف محمد صلى الله عليه وسلم والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودى ولا نصرانى توقد من شجرة مباركة إبراهيم نور على نور قلب إبراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة إبراهيم والزجاجة إسماعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين سمى الله محمدا مصباحا كما سماه سراجا منيرا والشجرة المباركة إبراهيم عليه السلام لأن أكثر

الأخبار أخبرني عن قوله تعالى «مثل نوره كشكاة»

الأنبياء

قال كعب هذا مثل ضربه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم فالمشكاة صدره والزجاجة قلبه والمصباح فيه النبوة توقد من شجرة مباركة هي شجرة النبوة يكاد نور محمد وأمره يتبين للناس ولو لم يتكلم به أنه نبي كما يكاد ذلك الزيت يضىء ولو لم تمسه نار وروى سالم عن ابن عمر في هذه الآية قال المشكاة جوف محمد والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي جعله الله فيه لا شرقية ولا غربية لا يهودى ولا نصرانى توقد من شجرة مباركة إبراهيم نور على نور قلب إبراهيم ونور قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقال محمد بن كعب القرظي المشكاة إبراهيم والزجاجة إسماعيل والمصباح محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين سماه الله مصباحا

لما سماه سراجا فقال تعالى «سراجا منيرا» توقد من شجرة مباركة وهي إبراهيم سماه مباركة لأن أكثر الأنبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفيا مسلما لأن اليهود تصلى قبل المغرب والنصارى تصلى قبل المشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل أن يوحى إليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور إبراهيم وقال بعضهم وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن روى أبو العالية عن أبي بن كعب قال هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة صدره والمصباح ما جعل الله فيه من الإيمان والقرآن في قلبه يوقد من شجرة مباركة وهي الإخلاص لله وحده فثله كمثل الشجرة التي (٧٩) التف بها الشجر خضراء فاعمة

لا تصيبها الشمس لا إذا طلعت ولا إذا غربت فكذلك المؤمن قد احترس من أن يصبه شيء من القتن فهو بين أربع خلال إن أعطى شكر وإن ابتلى صبر وإن حكم عدل وإن قال صدق يكاد زيتها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يوافقته إياه نور على نور قال أبي أي فهو يتقلب في خمسة أنوار ومدخله نور ومخرجه نور ومصبره إلى النور يوم القيامة قال ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فإذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوءه كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونور على نور وقال الكافي نور على نور يعني إيمان المؤمن وعمله وقيل نور الإيمان ونور القرآن وقيل هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح فكذلك يهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه يكاد زيتها يضيء أي نور المعرفة يشرق في قلب المؤمن ولو لم تمسه النار وقيل تكاد حجة القرآن تتضح وإن لم يقرأ نور على نور يعني القرآن نور من الله خلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والإعلام قل زول القرآن فازدادوا بذلك نورا على نور . قوله تعالى (يهدي الله لنوره من يشاء) قال ابن عباس لدين الإسلام وهو نور البصيرة (ويضرب الله الأمثال للناس) أي يبين الله الأشياء للناس تقريرا إلى الأفهام وتسهيلا لسبيل الإدراك (والله بكل شيء عليم) قوله عز وجل (في بيوت) أي ذلك المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض وقيل المراد بالبيوت أربعة مساجد لم يبنها إلا نبي الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل فجعلها قبلة وبيت المقدس

الأنبياء من صلبه لا شرقية ولا غربية يعني إبراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفيا مسلما لأن اليهود تصلى إلى الغرب والنصارى تصلى إلى الشرق يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار تكاد محاسن محمد صلى الله عليه وسلم تظهر للناس قبل أن يوحى إليه نور على نور نبي من نسل نبي نور محمد على نور إبراهيم وقيل وقع هذا التمثيل لنور قلب المؤمن قال أبي بن كعب هذا مثل المؤمن فالمشكاة نفسه والزجاجة قلبه والمصباح ما جعله الله فيه من الإيمان والقرآن توقد من شجرة مباركة هي شجرة الإخلاص لله وحده فثله مثل شجرة التف بها الشجر فهي خضراء فاعمة تضره لا تصيبها الشمس إذا طلعت ولا إذا غربت فكذلك المؤمن قد احترس من أن يصبه شيء من القتن فهو بين أربع خلال إن أعطى شكر وإن ابتلى صبر وإن حكم عدل وإن قال صدق يكاد زيتها يضيء أي يكاد قلب المؤمن يعرف الحق قبل أن يتبين له موافقته إياه نور على نور قال أبي أي فهو يتقلب في خمسة أنوار قوله نور وعمله نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصبره إلى النور يوم القيامة وقد ابن عباس هذا مثل نور الله وهداه في قلب المؤمن كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار فإذا مسته النار ازداد ضوءا على ضوءه كذلك يكاد قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونور على نور وقال الكافي نور على نور يعني إيمان المؤمن وعمله وقيل نور الإيمان ونور القرآن وقيل هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح فكذلك يهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة المعرفة في قلبه يكاد زيتها يضيء أي نور المعرفة يشرق في قلب المؤمن ولو لم تمسه النار وقيل تكاد حجة القرآن تتضح وإن لم يقرأ نور على نور يعني القرآن نور من الله خلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والإعلام قل زول القرآن فازدادوا بذلك نورا على نور . قوله تعالى (يهدي الله لنوره من يشاء) قال ابن عباس لدين الإسلام وهو نور البصيرة (ويضرب الله الأمثال للناس) أي يبين الله الأشياء للناس تقريرا إلى الأفهام وتسهيلا لسبيل الإدراك (والله بكل شيء عليم) قوله عز وجل (في بيوت) أي ذلك المصباح يوقد في بيوت والمراد بالبيوت جميع المساجد قال ابن عباس المساجد بيوت الله في الأرض تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض وقيل المراد بالبيوت أربعة مساجد لم يبنها إلا نبي الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل فجعلها قبلة وبيت المقدس

بالهدى قبل أن يأتيه العلم فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ونور على نور قال الكافي نور على نور يعني إيمان المؤمن وعمله وقال السدي نور الإيمان ونور القرآن وقال الحسن وابن زيد هذا مثل القرآن فالمصباح هو القرآن فكما يستضاء بالمصباح يهتدى بالقرآن والزجاجة قلب المؤمن والمشكاة فمه ولسانه والشجرة المباركة شجرة الوحي يكاد زيتها يضيء وتكاد حجة القرآن تتضح وإن لم يقرأ نور على نور يعني القرآن نور من الله خلقه مع ما أقام لهم من الدلائل والأعلام قبل زول القرآن فازداد بذلك نورا على قوله تعالى (يهدي الله لنوره من يشاء) قال ابن عباس رضي الله عنهما لدين الإسلام وهو نور البصيرة وقيل القرآن (ويضرب الله الأمثال للناس) يبين الله الأشياء للناس تقريرا للإفهام وتسهيلا لسبيل الإدراك (والله بكل شيء عليم) قوله (في بيوت

أذن الله (أي ذلك المصباح في بيوت وقيل بوعد في بيوت والبيوت هي المساجد قال سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال المساجد بيوت الله في الأرض وهي نضي لأهل السماء كما نضي النجوم لأهل الأرض وروى صالح بن حيان عن ابي بريدة في قوله تعالى « في بيوت أذن الله » قال إنما هي أربعة مساجد لم بينها إلا نبي الكعبة بناها إبراهيم وإسماعيل فجعلها قبلة وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رشول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء أسس على التقوى بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله . (أن ترفع) قال مجاهد أن تبنى نظيره قوله تعالى « وإذا رفع إبراهيم القواعد من البيت » قال الحسن أي تعظم أي لا يذكر فيه الخنا من القول (ويذكر فيها اسمه) قال ابن عباس رضي الله عنهما يتلى فيها كتابه (يسبح) قرأ ابن عامر وأبو بكر يسبح بنتع الباء على غير تسمية الفاعل والوقف على هذه القراءة عند قوله والآصال وقرأ الآخرون بكسر الباء جعلوا التسبيح فعلا للرجال يسبح له أي يصلي (له فيها بالغدو) (٨٠) والآصال أي بالغداة والعشي قال أهل التفسير أراد به الصلوات المفروضة

بناه داود وسليمان ومسجد المدينة بناه رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسجد قباء أسس على التقوى وبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضا (أذن الله أن ترفع) أي تبنى وقيل تعظم فلا يذكر فيها الخنى من القول وتظهر عن الأنجاس والأقذار (ويذكر فيها اسمه) قال ابن عباس يتلى فيها كتابه (يسبح له فيها) أي يصلي له فيها (بالغدو والآصال) بالغداة والعشي قال أهل التفسير أراد به الصلاة المفروضة فالتى تؤدي بالغداة صلاة الفجر والتى تؤدي بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لأن اسم الأصيل يقع على هذا الوقت كله وقيل أراد به الصبح والعصر عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « من صلى صلاة البردين دخل الجنة » أراد بالبردين صلاة الصبح وصلاة العصر . وقال ابن عباس التسبيح بالغدو صلاة الضحى والآصال صلاة العصر عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من خرج من بيته متطهرا إلى صلاة مكتوبة كان أجره كأجر الحاج المحرم ومن خرج إلى المسجد إلى تسبيح الضحى لا يعنه إلا ذلك كان أجره كأجر المعتمر وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين » أخرجه أبو داود (رجال) قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لأن النساء ليس عليهن حضور المساجد لجمعة ولا جماعة (لانتلهم) أي لا تشغلهم (تجارة) وقيل خص التجارة بالذكر لأنها أعظم ما يشتغل الإنسان به عن الصلوات والطاعات وأراد بالتجارة الشراء وإن كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعا لأنه ذكر البيع بعد وقيل التجارة لأهل الجلب والبيع ما يباعه الرجل على يده (ولا يبيع) أي ولا يشغلهم ببيع (عن ذكر الله) أي حضور المساجد لإقامة الصلوات (وإقام الصلاة) يعنى إقامة الصلاة في وقتها لأن من أخر الصلاة عن وقتها لا يكون من مقيمى الصلاة وروى سالم عن ابن عمر أنه كان في السوق فأقيمت

فالتى تؤدي بالغداة صلاة الصبح والتى تؤدي بالآصال صلاة الظهر والعصر والعشاءين لأن اسم الأصيل يجمعها وقيل أراد به صلاة الصبح والعصر أخبرنا الإمام أبو على الحسين ابن محمد القاضي أنا أبو بكر أحمد ابن الحسين الحيزي أنا محمد ابن أحمد بن محمد ابن معقل الميداني ثنا محمد بن يحيى أنا عبد الله ابن رجاء أنا همام بن أبي حمزة أن أبا بكر ابن عبد الله ابن قيس حدثه عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال

الصلوة

ومن صلى البردين دخل الجنة . وروى عن ابن عباس رضي الله عنهما قال التسبيح بالغدو

صلاة الضحى أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن محمد بن السمعان أنا أبو جعفر الرباني أنا حميد بن زنجويه أنا عبد الله بن يوسف أنا الميثم بن حميد أخبرني يحيى بن الحارث عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبي أمامة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من مشى إلى صلاة مكتوبة وهو متطهر فأجره كأجر الحاج المحرم ، ومن مشى إلى تسبيح الضحى لا ينصبه إلا إياه فأجره كأجر المعتمر وصلاة على أثر صلاة لا لغو بينهما كتاب في عليين » قوله (رجال) قيل خص الرجال بالذكر في هذه المساجد لأنه ليس على النساء جمعة ولا جماعة في المسجد (لانتلهم) (تجارة) قيل خص التجارة بالذكر لأنها أعظم ما يشتغل به الإنسان عن الصلاة والطاعات وأراد بالتجارة الشراء وإن كان اسم التجارة يقع على البيع والشراء جميعا لأنه ذكر البيع بعد هذا كقوله « وإذا رآوا تجارة بيعي الشراء » وقال القراء التجارة لأهل الجلب والبيع ما يباعه الرجل على يديه قوله (ولا يبيع عن ذكر الله) عن حضور المساجد لإقامة الصلاة (وإقام) أي لإقامة الصلاة

حذفت الماء وأراد أداءها في وقتها لأن من أخر الصلاة عنها لا يكون من مقيم الصلاة، وأعاد ذكر إقامة الصلاة مع أن المراد من ذكر الله الصلوات الخمس لأنه أراد بإقام الصلاة حفظ المواقيت . روى سالم عن ابن عمر « أنه كان في السوق فأقيمت الصلاة فقام الناس وأغلقتوا حوانيتهم فدخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت : « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة » (وإيتاء الزكاة) المفروضة قال ابن عباس رضي الله عنه إذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحسوها وقبل هي الأعمال الصالحة (بخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) قيل تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشرك والكفر وتفتتح الأبصار من الأغطية ، وقيل تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء تخشى الهلاك وتطمع في النجاة وتتقلب الأبصار

في النجاة وتتقلب الأبصار من هوله أي ناحية يؤخذ بهم أذات اليقين أم ذات الشك ومن أين يؤتون الكتب أم من قبل الأيمان أم من قبل الشكائل ؟ وذلك يوم القيامة وقيل تتقلب القلوب في الجوف فترتفع إلى الحنجرة فلا تنزل ولا تخرج وتلب البصر شخصه من هول الأمر وشدة (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا) يريد أنهم اشتغلوا بذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا يريد ليجزيهم بحسناتهم وما كان من مساوي أعمالهم ليجزيهم بها (ويزيدهم من فضله) ما لم يستحقوه بأعمالهم (والله يرزق من يشاء بغير حساب)

الصلاة فقام الناس وأغلقتوا حوانيتهم ودخلوا المسجد فقال ابن عمر فيهم نزلت هذه الآية « رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة » (وإيتاء الزكاة) يعني المفروضة قال ابن عباس إذا حضر وقت أداء الزكاة لم يحسوها (بخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار) يعني أن هؤلاء الرجال وإن بالغوا في ذكر الله والطاعات فإنهم مع ذلك وجلون خائفون لعلمهم بأنهم ما عبدوا الله حتى عبادته . قيل إن القلوب تضطرب من الهول والفرع وتشخص الأبصار . وقيل تتقلب القلوب عما كانت عليه في الدنيا من الشك إلى اليقين وترفع عن الأبصار الأغطية . وقيل تتقلب القلوب بين الخوف والرجاء فتحشى الهلاك وتطمع في النجاة ، وتتقلب الأبصار من هول ذلك اليوم من أي ناحية يؤخذ بهم أمن ذات اليقين أم من ذات الشكائل ومن أين يؤتون كتبهم أمن قبل اليقين أم من قبل الشكائل ؟ وقيل يتقلب القلب في الجوف ويرتفع إلى الحنجرة فلا ينزل ولا يخرج ويتقلب البصر في شخص من هول الأمر وشدة (ليجزيهم الله أحسن ما عملوا) يعني أنهم اشتغلوا بذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ليجزيهم الله أحسن ما عملوا والمراد بالأحسن المسنات كلها وهي الطاعات فرضها وقلها ، وذكر الأحسن تنبيها على أنه لا يجزيهم على مساوي أعمالهم بل يغفرها لهم وقيل إنه سبحانه وتعالى يجزيهم جزاء أحسن من أعمالهم على الواحد من عشرة إلى سبعمائة ضعف (ويزيدهم من فضله) يعني أنه سبحانه وتعالى يجزيهم بأحسن أعمالهم ولا يقتصر على ذلك بل يزيدهم من فضله (والله يرزق من يشاء بغير حساب) فيه تنبيه على كمال قدرته وكمال جوده وسعة إحسانه وفضله . قوله تعالى (والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة) لما ضرب مثلا لحال المؤمن وأنه في الدنيا والآخرة في نور وأنه فائز بالقيم المقيم ، أتبعه بضمير مثل لأعمال الكفار وشبهه بالسراب وهو شبه ماء يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري يظنه من رآه ماء فإذا قرب منه لم ير شيئا . والقيعة القاع وهو المنبسط من الأرض وفيه يكون السراب (بحسبه) أي يتوهمه (الظمان) أي العطشان (ماء حتى إذا جاءه) أي جاء ما قدر أنه ماء وقبل جاء إلى موضع السراب (لم يجده شيئا) أي لم يجده على ما قدره وظنه ووجه التشبيه أن الذي يأتي به الكافر من أعمال البر يعتقد أن له ثوابا عند الله وليس كذلك فإذا وافى عرصات القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الأليم فعمظت حسرته وتناهى غمه فشبه حاله بحال الظمان الذي اشتدت

(١١ - خازن بالبغوي - خامس) ثم ضرب ، لأعمال الكفار مثلا فقل تعالى (والذين كفروا أعمالهم

كسراب بقيعة) السراب الشعاع الذي يرى نصف النهار عند شدة الحر في البراري يشبه الماء الجارى على الأرض يظنه من رآه ماء فإذا قرب منه انقش فلم ير شيئا ، والآل ما ارتفع من الأرض وهو شعاع يرى بين السماء والأرض بالعدوات شبه الملاءة يرفع فيه الشخص يرى فيه الصغير كبيرا والتضير طوليا والرقراق يكون بالعشايا وهو ما تفرق من السراب ، أتجاه وذهب ، والقيعة جمع القاع وهو المنبسط الواسع من الأرض وفيه يكون السراب (بحسبه الظمان) أي يتوهمه العطشان (ماء حتى إذا جاءه) أي جاء ما قدر رأى أنه ماء وقبل جاء موضع السراب (لم يجده شيئا) على ما قدره وحسبه ، كذلك الكافر

بحسب أن عمله نافعها فإذا أتاه ملك الموت واحتاج إلى عمله لم يجد عمله أغنى عنه شيئا ولا نفعه (ووجد الله عنده) أي عند عمله أي وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله (فوفاه حسابه) أي جزاء عمله (والله سريع الحساب) وهذا مثل آخر ضربه الله لأعمال الكفار يقول مثل أعمالهم من فسادها وجهالتهم فيها كظلمات (في بحر لجي) وهو العميق الكثير الماء ولجة البحر معضه (بغشاء) يعلوه (وج من فوقه موج) متراكم (من فوقه سحب) قرأ ابن كثير برواية القواسم سحب بالرفع والتنوين (ظلمات) بالجر على البدل من قوله أو كظلمات وروى أبو الحسن البري عنه سحب ظلمات بالإضافة وقرأ الآخرون سحب ظلمات كلاهما (٨٣) بالرفع والتنوين فيكون تمام الكلام عند قوله سحب ثم ابتداء قول

ظلمات (بعضها فوق حاجته إلى الماء فإذا شاهد السراب في البر تعلق قلبه به فإذا جاءه لم يجده شيئا فكذلك حال الكافر بحسب أن عمله نافعها فإذا احتاج إلى عمله لم يجده أغنى عنه شيئا ولا نفعه (ووجد الله عنده) أي وجد الله بالمرصاد وقيل قدم على الله (فوفاه حسابه) أي جزاء عمله (والله سريع الحساب) معناه أنه عالم بجميع المعلومات فلا تشبهه بحاسبة واحد من واحد. ثم ضرب للكفار مثلا آخر فقال تعالى (أو كظلمات) أعلم الله سبحانه وتعالى أن أعمال الكفار إن كانت حسنة فهي كسراب ببيعة وإن كانت قبيحة فهي كظلمات، وقيل معناه إن مثل أعمالهم في فسادها وجهالتهم فيها كظلمات (في بحر لجي) أي عميق كثير الماء ولجة البحر معضه (بغشاء) أي يعلوه (موج من فوقه موج) أي متراكم (من فوقه سحب ظلمات بعضها فوق بعض) معناه أن البحر اللجج يكون قعره مظلمًا جدًا بسبب غمورة الماء فإذا ترادفت الأمواج ازدادت الظلمة فإذا كان فوق الأمواج سحب بلغت الظلمة النهاية القصوى (إذا أخرج يده لم يكذب يراها) أي لم يقرب أن يراها لشدة الظلمة وقيل معناه لم يرها إلا بعد الجهد وقيل لما كانت اليد من أقرب شيء يراه الإنسان قال لم يكذب يراها، ووجه التشبيه أن الله ذكر ثلاثة أنواع من الظلمات ظلمة البحر وظلمة الأمواج وظلمة السحاب وكذلك الكافر له ثلاث ظلمات ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة العمل وقيل شبه بالبحر اللجج قلبه وبالبحر ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الختم والطبع على قلبه. قال أبي بن كعب في هذه الآية الكافر يتقلب في خمس من الظلمة وظلمة وعمله مظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة في النار (ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينًا وإيمانًا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا هادي له قيل نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلمس الدين في الجاهلية ويلبس المسوح فلما جاء الإسلام كفر وعاند، والأصح أن الآية عامة في حق جميع الكفار. قوله عز وجل (لم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات) أي باسقاط أجنحتهن في الهواء قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لأنها تكون بين السماء والأرض فتكون خارجة عن حكم من في السموات والأرض (كل قد علم صلاته وتسيحه) قبل الصلاة لبني آدم والتسيح لسائر الخلق وقيل إن ضرب أجنحة الطير

ظلمات (بعضها فوق بعض) ظلمة السحاب وظلمة الموج وظلمة البحر بعضها فوق بعض أي ظلمة الموج على ظلمة البحر وظلمة الموج فوق الموج وظلمة السحاب على ظلمة الموج وأراد بالظلمات أعمال الكافر وبالبحر اللجج قلبه وبالبحر ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة وبالسحاب الختم والطبع على قلبه. قال أبي بن كعب في هذه الآية الكافر يتقلب في خمس من الظلمة وظلمة وعمله مظلمة ومدخله ظلمة ومخرجه ظلمة ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة في النار (إذا أخرج يده لم يكذب يراها) يعني لم يقرب من أن

بها من شدة الظلمة وقال الغراء يكذب صلة أي لم يرها قال البرد يعني لم يرها إلا بعد الجهد كما يقول النائل ما كدت أراك من الظلمة وقد رآه ولكن بعد بأس وشدة وقيل معناه قرب من رؤيتها ولم يرها كما يقال كاد النعام يطير (ومن لم يجعل الله له نورا فإنه من نور) قال ابن عباس من لم يجعل الله له دينًا وإيمانًا فلا دين له وقيل من لم يهده الله فلا إيمان له ولا يهديه أحد وقال مقاتل نزلت هذه الآية في عتبة بن ربيعة بن أمية كان يلمس الدين في الجاهلية ويلبس المسوح فلما جاء الإسلام كفر والأكثر على أنه عام في جميع الكفار قوله تعالى: (لم تر أن الله يسبح له من في السموات والأرض والطير صافات) باسقاط أجنحتهن في الهواء قيل خص الطير بالذكر من جملة الحيوان لأنها تكون بين السماء والأرض فتكون خارجة عن حكم من في السماء والأرض (كل قد علم صلاته وتسيحه) قول مجاهد

الصلاة لنبى آدم والتسبيح لسائر الخلق وقيل إن ضرب الأجنحة صلاة الطير وصوته تسبيحه قوله كل قد علم ، أى كل
مضل ومسبح علم الله صلواته وتسبيحه وقيل معناه كل مضل ومسبح منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه (والله عليم بما
يفعلون والله ملك السموات والأرض وإلى الله المصير ألم تر أن الله يزجى) يعنى يسوق بأمره (صحابا) إلى حيث يريد (ثم
يؤلف بينه) يعنى يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها إلى بعض (ثم يجعله ركاما) مترا كما بعضه فوق بعض (فترى
الودق) يعنى المطر (يخرج من خلاله) وسطه وهو جمع الخلال كالجبال جمع الجبل (وينزل من السماء من جبال فيها من
برد) يعنى ينزل البرد ومن صلة وقيل معناه وينزل من السماء من جبال أى مقدار جبال فى الكثرة من البرد ومن فى قوله
من جبال صلة أى وينزل من السماء جبالا من برد وقيل معناه وينزل من (٨٣) جبال فى السماء تلك لجبال من

برد . وقال ابن عباس
رضى الله تعالى عنهما
أخبر الله تعالى عز وجل
أن فى السماء جبالا من
برد ومفعول الإنزال
مخذوف تقديره وينزل
من السماء من جبال
فيها برد فاستغنى عن
ذكر المفعول للدلالة
عليه قال أهل النحو
ذكر الله تعالى من ثلاث
مرات فى هذه الآية
فقوله من السماء لابتداء
الغاية لأن ابتداء الإنزال
من السماء وقوله تعالى
من جبال للتبويض لأن
ما ينزله الله تعالى بعض
تلك الجبال التى فى السماء
وقوله تعالى من برد
للتجنيس لأن تلك
الجبال من جنس البرد
(فيصيب به) يعنى بالبرد

صلواته وتسبيحه وقيل معناه إن كل مضل ومسبح علم الله صلواته وتسبيحه وقيل معناه كل مضل ومسبح
منهم قد علم صلاة نفسه وتسبيحه (والله عليم بما يفعلون والله ملك السموات والأرض) أى إن جميع
الموجودات ملكه وفى تصرفه وعنه نشأت ومنه بدأت فهو واجبال وجود وقيل معناه أن خزائن المطر
والرزق بيده ولا يملكها أحد سواه (وإلى الله المصير) أى وإلى الله مرجع العباد بعد الموت . قوله تعالى
(ألم تر أن الله يزجى) أى يسوق (صحابا) بأمره إلى حيث يشاء من أرضه وبلادده (ثم يؤلف بينه)
أى يجمع بين قطع السحاب المتفرقة بعضها إلى بعض (ثم يجعله ركاما) أى مترا كما بعضه
فوق بعض (فترى الودق) أى المطر (يخرج من خلاله) أى من وسطه وهو مخارج القطر
(وينزل من السماء من جبال فيها من برد) قيل معناه وينزل من جبال من السماء وتلك الجبال
من برد . قال ابن عباس أخبر الله أن فى السماء جبالا من برد وقيل معناه وينزل من السماء مقدار
جبال فى الكثرة من برد . فان قلت ما الفرق بين من الأولى والثانية والثالثة . قلت من الأولى
لابتداء الغاية لأن ابتداء الإنزال من السماء والثانية للتبويض لأن ما ينزله الله بعض تلك الجبال
التي فى السماء والثالثة للتجنيس لأن تلك الجبال من جنس البرد (فيصيب به) أى البرد (من
يشاء) فيهلكه وأمواله (ويصرفه عن يشاء) أى فلا يضره (يكاد سنا برقه) أى ضوء برق
السحاب (يذهب بالأبصار) أى من شدة ضوئه وبريقه (يقرب الله الليل والنهار) أى
يصرفهما فى اختلافهما وتعاقبهما فيأتى بالليل ويذهب بالنهار ويأتى بالنهار ويذهب بالليل
(ق) علق أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : يؤذيني
ابن آدم بسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار . معنى هذا الحديث أن العرب
كانوا يقولون عند النوازل والشدائد أصابنا الدهر ويذمونه فى أشعارهم فقيل لهم لانسبوا
الدهر فان فاعل ذلك هو الله عز وجل والدهر مصرفت تقع فيه التأثيرات كما تقع بكم ، وقوله
تعالى (إن فى ذلك) أى الذى ذكر من هذه الأشياء (لعبرة لأولى الأبصار) أى دلالة لأهل
العقول والبصائر على قدرة الله وتوحيده . قوله عز وجل (والله خلق كل دابة من ماء) أى

(من يشاء) فيهلك زروعه وأمواله (ويصرفه عن يشاء) فلا يضره (يكاد سنا برقه) يعنى ضوء برق السحاب (يذهب
بالأبصار) من شدة ضوئه وبريقه وقرأ أبو جعفر يذهب بضم الياء وكسر الهاء (يقرب الله الليل والنهار) يصرنهما فى
اختلافهما وتعاقبهما يأتى بالليل ويذهب بالنهار ويأتى بالنهار ويذهب بالليل أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا عبد الله النعيمي أنا محمد بن
يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا الحميد أن سفيان أنا الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة رضى الله عنه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم بسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار
قوله تعالى (إن فى ذلك) يعنى فى ذلك الذى ذكرت من هذه الأشياء (لعبرة لأولى الأبصار) يعنى دلالة لأهل العقول والبصائر
على قدرة الله تعالى وتوحيده قوله تعالى (والله خلق كل دابة) قرأ حمزة والكسائي خالتي كل بالإضافة وقرأ الآخرون خلق
كل على الفعل (من ماء) يعنى من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد فى الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة ولا الجن لأننا لانشاهد

وقيل أصل جميع الخلق من الماء وذلك أن الله تعالى خلق ماء ثم جعل بعضه ريحا فخلق منها الملائكة وبعضه نارا فخلق منها الجن وبعضها طينا فخلق منها آدم (فمنهم من يمشى على بطنه) كالحيات والحيتان والديدان (ومنهم من يمشى على رجلين) مثل بني آدم والطير (ومنهم من يمشى على أربع) كالبهائم والسباع ولم يذكر من يمشى على أكثر من أربع

من نطفة وأراد به كل حيوان يشاهد في الدنيا ولا يدخل فيه الملائكة والجن لأننا لانشاهدهم وقيل إن أصل جميع الخلق من الماء وذلك أن الله خلق ماء فجعل بعضه ريحا ونورا فخلق منه الملائكة وجعل بعضه نارا فخلق منه الجن وجعل بعضه طينا فخلق منه آدم (فمنهم من يمشى على بطنه) أي كالحيات والحيتان والديدان ونحو ذلك (ومنهم من يمشى على رجلين) يعني مثل بني آدم والطير (ومنهم من يمشى على أربع) يعني كالبهائم والسباع. فان قلت كيف قال خلق كل دابة من ماء مع أن كثيرا من الحيوانات يتولد من غير نطفة. قلت ذلك الخلق من غير نطفة لا بد أن يتكون من شيء وذلك الشيء أصله من الماء فكان من الماء. فان قلت فمنهم من يمشى ضمير العقلاء فلم يستعمل في غير العقلاء. قلت ذكر الله تعالى ما لا يعقل مع من يعقل فغلب اللفظ اللائق بمن يعقل لأن جعل الشريف أصلا والخسيس تبعا أولى. فان قلت لم قدم ما يمشى على بطنه على غيره من الخلق. قلت قدم الأعمى والأعرج في القفرة وهو الماشي بغير آلة المشي وهي الأرجل والقوائم ثم ذكر ما يمشى على رجلين ثم ما يمشى على أربع. فان قلت لم اقتصر على ذكر الأربع وفي الحيوانات ما يمشى على أكثر من أربع كالعناكب والعقارب والرتيلا وماله أربع وأربعون رجلا ونحو ذلك. قلت هذا القسم كالنادر فكان ملحقا بالأغلب وقيل إن هذه الحيوانات اعتمدها على أربع في المشي والباقي تبع لها (يخلق الله ما يشاء) أي مما لا يعقل ولا يعلم (إن الله على كل شيء قدير) أي هو القادر على الكل العالم بالكل المطلع على الكل يخلق ما يشاء كما يشاء لا يمنعه مانع ولا دافع (لقد أنزلنا آيات مبينات) يعني القرآن هو المبين للهدى والأحكام والحلال والحرام (والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم) يعني إلى دين الإسلام الذي هو دين الله وطريقه إلى رضاه ووجته. قوله تعالى (ويقولون) يعني المنافقين (آمننا بالله وبالرسول وأطعنا) أي يقولونه بالسنتهم من غير اعتقاد (ثم يتولى فريق منهم) أي يعرض عن طاعة الله ورسوله (من بعد ذلك) أي من بعد قولهم آمنا ويدعو إلى غير حكم الله قال الله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) نزلت هذه الآية في بشر المنافق كان بينه وبين يهودي خصومة في أرض فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد صلى الله عليه وسلم وقال المنافق بل نتحاكم إلى كعب بن الأشرف فان محمدا يحيف فأمر الله هذه الآية (وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم) أي الرسول يحكم بحكم الله بينهم (إذا فريق منهم معرضون) يعني عن الحكم وقيل عن الإجابة (وإن لم يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين) أي مطيعين متقادين لحكمه أي إذا كان الحكم لهم على غيرهم أسرعوا إلى حكمه لثقتهم أنه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضا (أفي قلوبهم مرض) أي كفر ونفاق (أم ارتابوا) أي شكوا وهذا استفهام ذم وتوبيخ والمعنى هم كذلك (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) أي يقظ

مثل حشرات الأرض لأنها في الصورة كالتى عشى على الأربع وإنما قال من يمشى ومن إنما تستعمل فيمن يعقل دون من لا يعقل من الحيات والبهائم لأنه ذكر كل دابة فدخل فيه الناس وغيرهم وإذا جمع اللفظ من يعقل ومن لا يعقل يجعل الغلبة لمن يعقل (يخلق الله ما يشاء) إن الله على كل شيء قدير لقد أنزلنا إليك (آيات مبينات) والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (ويقولون) آمنا بالله وبالرسول وأطعنا (يعني المنافقين يقولونه) (ثم يتولى) يعرض عن طاعة الله ورسوله (فريق منهم من بعد ذلك) أي من بعد قولهم آمنا ويدعو إلى غير حكم الله قال الله تعالى (وما أولئك بالمؤمنين) نزلت هذه الآية في بشر المنافق كائن بينه وبين رجل من اليهود خصومة في أرض فقال اليهودي نتحاكم إلى محمد وقال المنافق نتحاكم إلى

كعب بن الأشرف فان محمدا يحيف عليهما فأمر الله هذه الآية (وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم) أي الرسول يحكم بحكم الله (بل) (إذا فريق منهم معرضون) يعني عن الحكم وقيل عن الإجابة (وإن لم يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين) مطيعين متقادين لحكمه يعني إذا كان الحق لهم على غيرهم أسرعوا إلى حكمه لثقتهم بأنه كما يحكم عليهم بالحق يحكم لهم أيضا بالحق (أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا) يعني شكوا هذا استفهام ذم وتوبيخ يعني هم كذلك (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله)

بغى بظلم (بل أولئك هم الظالمون) لأنفسهم باعراضهم عن الحق (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله) إلى كتاب الله ورسوله (ليحكم بينهم) هذا ليس على طريق الخبر لكنه تعليم أدب الشرع على معنى أن المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا ونصب القول على الخبر واسمه في قوله تعالى (أن يقولوا سمعنا وأطعنا) يعني سمعنا الدعاء وأطعنا بالإجابة (وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله) قال ابن عباس رضي الله عنهما فيما ساءه ورسره ويخشى الله على ما عمل من الذنوب (ويتقه) فيما بعد (فأولئك هم الفائزون) التاجون قرأ أبو عمرو وأبو بكر يتقه ساكنة الهاء ويختمها أبو جعفر ويعقوب وقالون كما في نذائرها ويشعبها الباقون كسرا وقرأ حفص يتقه بسكون القاف واختلاس الهاء وهذه اللفظة إذا سقطت الياء للجزم يسكنون ما قبلها يقولون لم أشتر طعاما بسكون الراء قوله تعالى (٨٥) (وأقسموا بالله جهد أيمانهم)

جهد أيمان أن يحلف بالله ولا حلف فوق الحلف بالله (لئن أمرتهم ليخرجن) وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت فكن معك لئن خرجت خرجنا وإن أقت أقتنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا فقال تعالى (قل لهم لا تؤمنوا) لا تحلفوا وقد تم الكلام ثم قال (طاعة معروفة) يعني هذه طاعة بالقول وباللسان دون الاعتقاد وهي معروفة . يعني أمر عرفتم منكم أنك تكذبون وتقولون ما لا تفعلون هذا معنى قول مجاهد رضي الله عنه وقيل معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل

(بل أولئك هم الظالمون) أى لأنفسهم باعراضهم عن الحق . قوله عز وجل (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله) أى إلى كتاب الله (ورسوله ليحكم بينهم) هذا تعليم أدب الشرع على معنى أن المؤمنين كذا ينبغي أن يكونوا وهو (أن يقولوا سمعنا) أى الدعاء (وأطعنا) أى بالإجابة (وأولئك) أى من هذه صفته (هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله) قال ابن عباس فيما ساءه ورسره (ويخشى الله) أى على ما عمل من الذنوب (ويتقه) أى فيما بعد (فأولئك هم الفائزون) معنى التاجون . قوله تعالى (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) قيل جهد أيمان أن يحلف بالله ولا يزيد على ذلك شيئا (لئن أمرتهم ليخرجن) وذلك أن المنافقين كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أينما كنت فكن معك لئن خرجت خرجنا ولئن أقت أقتنا ولئن أمرتنا بالجهاد جاهدنا وقيل لما نزل بيان كراهتهم لحكم الله ورسوله قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم والله لو أمرتنا أن نخرج من ديارنا وأموالنا ونسائنا لخرجنا فكيف لا نرضى بحكمك فقال الله تعالى (قل لهم لا تقسموا) أى لا تحلفوا وتم الكلام ثم ابتدأ فقال (طاعة معروفة) يعني هذه طاعة القول باللسان دون الاعتقاد بالقلب وهي معروفة يعني أمر عرفتم منكم أنك تكذبون وتقولون ما لا تفعلون وقيل معناه طاعة معروفة بنية خالصة أفضل وأمثل مع بين باللسان لا يوافقها الفعل (إن الله خير بما تعملون) يعني من طاعتكم بالقول وبخالفتمك بالفعل (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) يعني يتقربوا بصدق نياتكم (فان تولوا) يعني أعرضوا عن طاعة الله ورسوله (فانما عليه) أى على الرسول (ما حمل) أى ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ما حملتم) أى ما كلفتم من الإجابة والطاعة (وإن تطيعوه تهتدوا) أى تصيبوا الحق والرشد في طاعته (وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أى التبليغ الواضح البين . قوله عز وجل (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) قيل مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار فكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال رجل منهم أما يأتي علينا يوم نأمل فيه ونضع السلاح فأزل الله هذه الآية ومعنى ليستخلفنهم والله ليورثهم أرض الكفار من العرب والعجم فجعلهم ملوكها

من بين باللسان لا يوافقها الفعل وقال مقاتل بن سليمان لكن منكم طاعة معروفة (إن الله خير بما تعملون قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فان تولوا) يعني تولوا عن طاعة الله ورسوله (فانما عليه ما حمل) يعني على الرسول ما كلف وأمر به من تبليغ الرسالة (وعليكم ما حملتم) من الإجابة والطاعة (وإن تطيعوه تهتدوا) أى التبليغ المبين . قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) قال أبو العالية في هذه الآية : مكث النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد الوحي عشر سنين مع أصحابه وأمروا بالصبر على أذى الكفار وكانوا يصبحون ويمسون خائفين ثم أمروا بالهجرة إلى المدينة وأمروا بالقتال وهم على خوفهم لا يفارق أحد منهم سلاحه فقال رجل منهم أما يأتي علينا يوم نأمل فيه ونضع السلاح فأزل الله هذه الآية (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم) أدخل

اللام لجواب اليمين المضمرة يعنى والله ليستخلفهم أى ليورثهم أرض الكفار من العرب والعجم فيجعلهم ملوكها وساستها
وسكانها (كما استخلف الذين من قبلهم) قرأ أبو بكر عن عاصم ؓ كما استخلف بضم التاء وكسر اللام على ما لم يسم فاعله وقرأ
الآخرون بفتح التاء واللام لقوله تعالى «وعند الله» قال قتادة ؓ كما استخلف داود وسليمان وغيرهما من الأنبياء وقيل كما استخلف
الذين من قبلهم أى بنى إسرائيل حيث أهلك الجبارة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم (وليمكن لهم دينهم الذى
ارتضى لهم) أى اختار قال ابن عباس (٨٦) يوضع لهم فى البلاد حتى يملكوها ويظهر دينهم على سائر الأديان

وساستها وسكانها (كما استخلف الذين من قبلهم) أى كما استخلف داود وسليمان وغيرهما
من الأنبياء وكما استخلف بنى إسرائيل وأهلك الجبارة بمصر والشام وأورثهم أرضهم وديارهم
(وليمكن لهم دينهم الذى ارتضى) أى اختاره (لهم) قال ابن عباس يوضع لهم فى البلاد حتى
يملكوها ويظهر دينهم على سائر الأديان (وليدأنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى) آمنين
(لا يشركون لى شيئا) فأجز الله وعده وأظهر دينه ونصر أوليائه وأبدلهم بعد الخوف أمنا
ويسطا فى الأرض (ح) عن عدى بن حاتم قال « بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أتاه
رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتاه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال يا عدى هل رأيت الحيرة قلت
لم أرها ولقد أنبت عنها قال فان طالت بك حياة فلتر بن الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف
بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله قلت فيما بينى وبين نفسي فأين دعار طيبيء الذين قد سعروا
البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز
ولئن طالت بك حياة لترى الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه
وليلقين الله أحداكم يوم القيامة وليس بينه وبينه ترجمان يترجم له فليتولن أم أبعث إليك
رسولا فيبلغك فيقول بلى يارب فيقول أم أعطتك مالا وأفضل عليك فيقول بلى فينظر عن
يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن شماله فلا يرى إلا جهنم » قال عدى سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول « اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبسكدة طيبة » قال عدى فرأيت
الظعينة ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا الله وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى
ابن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج الرجل
ملء كفه ذهبا الخ . وفى الآية دليل على صحة خلافة أبى بكر الصديق والخلفاء الراشدين بعده
لأن فى أيامهم كانت الفتوحات العظيمة وفتحت كنوز كسرى وغيره من الملوك وحصل الأمن
والتسكين وظهور الدين عن سفينة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « الخلافة
بعدي ثلاثون سنة ثم تكون ملكاء ثم قال أمسك خلافة أبى بكر سنتين وخلافة عمر عشرين
وخلافة عثمان اثنتى عشرة سنة وعلى سنا قال على قلت لحماد القائل لسعيد أمسك سفينة
قال نعم » أخرجه أبو داود والترمذى بنحو هذا اللفظ . قلت كذا ورد هذا الحديث بهذا التفصيل
وفيه إجمال وتفصيله أن خلافة أبى بكر كانت سنتين وثلاثة أشهر وخلافة عمر كانت عشرين
وسنة أشهر وخلافة عثمان اثنتى عشرة سنة كما ذكر فى الحديث وخلافة على أربع سنين
وتسعة أشهر ولهذا جاء فى بعض روايات الحديث وعلى كذا ولم يبين تعيين مدته فعلى هذا

(وليدأنهم) قرأ ابن
كثير وأبو بكر ويعقوب
بالخفيف من الإبدال
وقرأ الآخرون بالتشديد
من التبديل وهما لغتان
وقال بعضهم التهديل
تغير حال إلى حال
والإبدال رفع الشيء
وجعل غيره مكانه (من
بعد خوفهم أمنا يعبدوننى)
آمنين (لا يشركون لى
شيئا) فأجز الله وعده
وأظهر دينه ونصر أوليائه
وأبدلهم بعد الخوف
أمنا ويسطا فى الأرض .
أخبرنا عبد الواحد المليحي
أنا أحمد بن عبد الله
النعمي أنا محمد بن يوسف
أنا محمد بن إسماعيل
أنا محمد بن الحكم أنا
النصر أنا إسرائيل أنا
سعيد الطاهري أنا محمد
ابن خليفة عن عدى بن
حاتم قال « بينا أنا عند
النبي صلى الله عليه وسلم
إذ أتاه رجل فشكى إليه
الفاقة ثم أتاه الآخر
فشكى إليه قطع السبيل

فقال يا عدى هل رأيت الحيرة قلت لم أرها ولقد أنبت عنها قال فان طالت بك حياة فلتر بن الظعينة

الظعينة

ترحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحدا إلا الله قلت فيما بينى وبين نفسي فأين دعار طيبيء الذين قد سعروا البلاد

ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز قال كسرى بن هرمز ولئن طالت بك حياة لترى الرجل

يخرج ملء كفه من ذهب وفضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه وليلقين الله أحداكم يوم القيامة وليس بينه

وبينه ترجمان يترجم له أم أبعث إليك رسولا فيبلغك فيقول بلى فيقول أم أعطتك مالا وأفضل عليك فيقول بلى

فيُنظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم قال عدى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
«اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد فبكلمة طيبة» قال عدى فرأيت الظهينة ترتحل من الحيرة حتى تطوفت بالكعبة لا تخاف
إلا الله وكنت ممن افتتح كتوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم حياة لترون ما قال النبي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم يخرج
ملء كفه . وفي الآية دلالة على خلافة الصديق وإمامة الخلفاء الراشدين . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن
ابن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أخبرني حماد هو ابن سامة بن دينار عن سبيد جمهان عن سفينة قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول «الخلافة بعدى ثلاثون سنة ثم تكون ملكا» ثم قال أمسك خلافة أبي بكر سنتين وخلافة
عمر عشرا وعثمان اثني عشر وعلى ستة قال علي قلت عماد سفينة القائل (٨٧) لسعيد أمسك قال نعم قوله تعالى

(ومن كفر بعد ذلك)

أراد به كفران النعمة

ولم يرد الكفر بالله

(فأولئك هم الفاسقون)

العاصون لله قال أهل

التفسير أول من كفر

بهذه النعمة ووجد

حقها الذين قتلوا عثمان

رضي الله عنه فلما فتاوه

غير الله ما بهم وأدخل

عليهم الخوف حتى

صاروا يقتلون بعد أن

كانوا إخوانا . أخبرنا

أبو المظفر محمد بن أحمد

النعيمي أنا أبو محمد

عبد الرحمن بن عثمان

ابن القاسم المعروف بابن

نصر أنا أبو الحسن خبيثة

ابن سليمان بن حيلرة

المعروف بالطرابلسي أنا

إسحاق بن إبراهيم بن عبا

عن عبد الرزاق عن

التفصيل تكون مدة خلافة الأئمة الأربعة تسعة وعشرين سنة وستة أشهر وكملت ثلاثين
سنة لخلافة الحسن كانت ستة أشهر ثم نزل عنها والله أعلم ، وقوله تعالى (ومن كفر بعد ذلك)
أراد به كفران النعمة ولم يرد الكفران بالله (فأولئك هم الفاسقون) أى العاصون قال أهل
التفسير أول من كفر بهذه النعمة ووجد حقدتها الذين قتلوا عثمان فلما قتلوه غير الله ما بهم وأدخل
عليهم الخوف حتى صاروا يقتلون بعد أن كانوا إخوانا . عن ابن أخي عبد الله بن سلام قال
« لما أريد قتل عثمان جاء عبد الله بن سلام فقال عثمان ماجاء بك قال جئت في نصرك قال
أخرج إلى الناس فاطردهم عنى فأنك خارجا خير لي منك داخلا فخرج عبد الله إلى الناس
فقال أيها الناس إن الله سيفا مغمودا وإن الملائكة قد جاورتكم في بلدكم هذا الذي نزل فيه
رسول الله صلى الله عليه وسلم فالله الله في هذا الرجل أن تقتلوه فوالله إن قتلتموه لتطردن
جيرانكم الملائكة وليسلن الله سيفه المغمود عنكم فلا يغمد إلى يوم القيامة قالوا اقتلوا
اليهودى واقتلوا عثمان ، أخرجه الترمذى زاد في رواية غير الترمذى « فما قتل نبي قط لإقتل به
سبعون ألفا ولا خليفة لإقتل به خمسة وثلاثون ألفا . قوله تعالى (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة
وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) أى افعلوا هذه الأشياء على رجاء الرحمة (لأنحسن الذين
كفروا معجزين) أى فائتين عنا (في الأرض وماواهم النار ولبئس المصير) قوله تعالى (يا أيها
الذين آمنوا استأذنكم الذين ملكت أيمانكم) قال ابن عباس وجه رسول الله صلى الله عليه
وسلم غلاما من الأنصار يقال له مدلاج بن عمرو إلى عمر بن الخطاب وقت الظهيرة ليدعوه فدخل
فرأى عمر بحالة كره عمر رؤيته عند ذلك فأترز الله هذه الآية وقيل نزلت في أمهات بنات
مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فأترز رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقال إن خدمنا وغلماتنا يدخلون علينا في حال نكرها فأترز الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا
ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) واللام لام الأمر وفيه قولان أحدهما أنه على الندب
والاستحباب والثاني أنه على الوجوب وهو الأولى الذين ملكت أيمانكم يعنى العبيد وإمام

معمرو عن أيوب عن حميد بن هلال قال قال عبد الله بن سلام في عثمان إن الملائكة لم تزل محيطة بمدبنتكم هذه منذ قدمها
رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اليوم فوالله لئن قتلتموه ليدهبون ثم لا يعودون أبدا فوالله لا يقتله رجل منكم إلا لقي
الله أجدهم لا يد له وإن سيف الله لم يزل مغمودا عنكم والله لئن قتلتموه ليلسه الله ثم لا يغمده عنكم إما قال أبدا وإما قال
إلى يوم القيامة فما قتل نبي قط لإقتل به سبعون ألفا ولا خليفة لإقتل به خمسة وثلاثون ألفا . قوله تعالى (وأقيموا الصلاة
وآتوا الزكاة وأطيعوا الرسول لعلكم ترحمون) أى افعلوها على رجاء الرحمة (لأنحسن الذين كفروا) قرأ عمر وحمرزة
لا يحسن بالياء أى لا يحسن الذين كفروا أنفسهم (معجزين في الأرض) وقرأ الآخرون بالناء بقول لأنحسن بأحمد الذين
كفروا معجزين فائتين عنا (وماواهم النار ولبئس المصير) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم)
الآية قال ابن عباس رضي الله عنهما وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما من الأنصار يقال له مدلاج بن عمرو إلى

عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقت الظهر ليدعو فدخل قرأ في عمر بحالة كره عمر رؤيته ذلك فأزل الله هذه الآية وقال مقاتل نزلت في أسماء بنت مرثد كان لها غلام كبير فدخل عليها في وقت كرهته فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرها فأزل الله تعالى وبأيها الذين آمنوا ليستأذنكم اللام لام الأمر الذين ملكت أيمانكم يعني العبيد والإماء (والذين لم يبلغوا الحلم منكم) من الأحرار ليس المراد منهم الأطفال الذين لم يظهروا على عورات النساء بل الذين عرفوا أمر النساء ولكن لم يبلغوا (٨٨) ثلاث مرات (أي ليستأذنوا في ثلاث أوقات (من قبل صلاة الصبح وحين

(والذين لم يبلغوا الحلم منكم) يعني الأحرار وليس المراد منهم الذين لم يظهروا على عورات النساء بل المراد الذين عرفوا أمر النساء ولكنهم لم يبلغوا الحلم وهو من التمييز والعقل وغيرهما واتفق العلماء على أن الاحتلام بلوغ واختلّفوا فيما إذا بلغ خمس عشرة سنة ولم يحتلم فقال أبو حنيفة لا يكون بالغاً حتى يبلغ ثمان عشرة سنة ويستكملها والجارية سبع عشرة سنة وقال الشافعي وأبو يوسف ومحمد وأحمد في الغلام والجارية بخمس عشرة سنة يصير مكلفاً وتجوز عليه الأحكام وإن لم يحتلم (ثلاث مرات) أي ليستأذنوا في ثلاثة أوقات (من قبل صلاة الصبح وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة) أي وقت المقتيل (ومن بعد صلاة العشاء) وإنما خص هذه الثلاثة الأوقات لأنها ساعات الخلوات ووضع الثياب فرعاً بيدومن الإنسان ما لا يحب أن يراه أحد، أمر العبيد والصبيان بالاستئذان في هذه الأوقات وأما غيرهم فليستأذنوا في جميع الأوقات (ثلاث عورات لكم) قرأ حمزة والكسائي ثلاث نصب الثاء بدلا من قوله ثلاث مرات وقرأ الآخرون بالرفع أي هذه الأوقات ثلاث عورات لكم سميت هذه الأوقات عورات لأن الإنسان يضع فيها ثيابه وتبدو عورته (ليس عليكم ولا عليهم) يعني العبيد والخدم والصبان (جناح) أي حرج في الدخول عليكم بغير استئذان (بعدهن) أي بعد هذه الأوقات الثلاثة (طوافون عليكم) أي العبيد والخدم يترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالكم بغير إذن (بعضكم على بعض) أي بطواف بعضهم على بعض (كذلك بين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) اختلف العلماء في حكم هذه الآية فقيل إنها منسوخة حكى ذلك عن معبد بن المسيب روى عن كريمة أن نفرا من أهل العراق قالوا يا ابن العباس كيف ترى في هذه الآية التي أمرنا بها ولا يعمل بها أحد قول الله عز وجل وبأيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم الآية فقال ابن عباس إن الله حلّم رحيم بالؤمنين يجب السر وكان الناس ليس ليوتهم ستور ولا حجاب فرجما دخل الخدم أو الولد أو يتيم الرجل والرجل على أمه فأمرهم الله تعالى بالاستئذان في تلك العورات فجاءهم الله بالستور والخبر فلم أر أحداً يعمل بذلك بعد أخرجه أبو داود وفي رواية عنه نحوه وزاد فرأى أن ذلك أغنى عن الاستئذان في تلك العورات وذهب قوم إلى أنها غير منسوخة روى سفیان عن موسى بن أبي عائشة قال سألت الشعبي عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم أمسوخة هي قال لا والله قلت إن الناس لا يعملون بها قال الله تعالى المستعان وقال سعيد بن جبیر في هذه الآية أن ناساً يتولون نسخت والله مانسخت واسكنها مما تهاون به الناس قبل ثلاث آيات ترك الناس للعمل بهن هذه الآية وقوله إن أكرمكم عند الله أتقاكم والناس يقولون أعظمكم بيتنا وإذا حضر القسمة أولوا القربى

تضعون ثيابكم من الظهيرة) يريد المقتيل (ومن بعد صلاة العشاء) وإنما خص هذه الأوقات لأنها ساعات الخلوة ووضع الثياب فرعاً بيدومن الإنسان ما لا يحب أن يراه أحد، أمر العبيد والصبيان بالاستئذان في هذه الأوقات وأما غيرهم فليستأذنوا في جميع الأوقات (ثلاث عورات لكم) قرأ حمزة والكسائي ثلاث نصب الثاء بدلا من قوله ثلاث مرات وقرأ الآخرون بالرفع أي هذه الأوقات ثلاث عورات لكم سميت هذه الأوقات عورات لأن الإنسان يضع فيها ثيابه وتبدو عورته (ليس عليكم ولا عليهم) يعني العبيد والخدم والصبان (جناح) أي حرج في الدخول عليكم من غير استئذان (بعدهن) أي بعد هذه الأوقات الثلاثة (طوافون عليكم) أي

العبيد والخدم يطوفون عليكم فيترددون ويدخلون ويخرجون في أشغالكم بغير إذن بعضكم على بعض أي بطواف (بعضكم على بعض) كذلك بين الله لكم الآيات والله عليم حكيم) واختلف العلماء في حكم هذه الآية فقال قوم منسوخة قال ابن عباس رضي الله عنه لم يكن القوم ستور ولا حجاب فكان الخدم والولد يدخلون فرجما يرون منهم ما لا يحبون، فأمروا بالاستئذان وقد بسط الله الرزق واتخذ الناس الستور فرأى أن ذلك أغنى عن الاستئذان وذهب قوم إلى أنها غير منسوخة روى سفیان عن موسى بن عائشة قال سألت الشعبي عن هذه الآية ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم أمسوخة هي؟ قال لا والله. قلت

إن الناس لا يعملون بها قال : الله المستعان وقال سعيد بن جبير في هذه الآية إن فاسا يقولون نسخت والله ماتسخت ولكنها مما
تهاون به الناس قوله تعالى (وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم) أي الاحتلام يريد الأحرار الذين بلغوا (فليستأذنوا) أي يستأذنون
في جميع الأوقات في الدخول عليكم (كما استأذن الذين من قبلهم) من الأحرار (٨٩) والكبار وقيل يعني الذين

كانوا مع إبراهيم وموسى
وعيسى (كذلك بين
الله لكم آياته) دلالاته
وقيل أحكامه (والله
عليم) بأمور خلقه (حكيم)
تأدبر لهم. قال سعيد بن
المسيب يستأذن الرجل
على أمه فانما أزلت هذه
الآية في ذلك، وسئل حذيفة
أيستأذن الرجل على
والدته؟ قال نعم إن لم
يفعل رأى منها ما يكره
قوله تعالى (والقواعد
من النساء) يعني اللاتي
قعدن عن الولد والحبيص
من الكبر لا يلدن ولا
يحصن وأحدثها قاعد
بلا هاء وقيل قعدن عن
الأزواج وهذا معنى قوله
(اللاتي لا يرجون نكاحا)
أي لا يردن الرجال
لكبرهن. قال ابن قتيبة
سميت المرأة قاعدا إذا
كبرت لأنها تنكسر القعود.
وقال ربيعة الرأي هن
العجز اللاتي إذا رأهن
الرجال استقنروهن فأما
من كانت فيها بقية من
جمال وهي محل الشهوة
فلا تدخل في هذه الآية
(فليس عليهن جناح
أن يضعن ثيابهن)

الآية . وقوله عز وجل (وإذا بلغ لأطفال منكم الحلم) أي الاحتلام يريد الأحرار
الذين بلغوا (فليستأذنوا) أي يستأذنوا في جميع الأوقات في الدخول عليكم (كما استأذن
الذين من قبلهم) أي الأحرار الكبار (كذلك بين الله لكم آياته) أي دلالاته وقيل أحكامه
(والله عليم) أي بأمر خلقه (حكيم) بما دبر وشرع قال سعيد بن المسيب يستأذن الرجل
على أمه فانما أزلت هذه الآية في ذلك ، وسئل حذيفة أيستأذن الرجل على والدته قال نعم إن
لم تفعل رأيت منها ما تكره أوله (والقواعد من النساء) يعني اللاتي قعدن عن الحبيص والولد
من الكبر فلا يلدن ولا يحصن (اللاتي لا يرجون نكاحا) أي لا يردن الأزواج لكبرهن وقيل
هن العجائز اللواتي إذا رأهن الرجال استقنروهن فأما من كانت فيها بقية جمال وهي محل
الشهوة فلا تدخل في حكم هذه الآية (فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن) أي عند الرجال
والمعنى بعض ثيابهن وهو الجلباب والرداء الذي فوق الثياب والقناع الذي فوق الخمار فأما
الخمار فلا يجوز وضعه (غير متبرجات بزينة) أي من غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء
إظهار زينتهن . والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما يجب عليها أن تستره (وأن يستغفرن)
أي فلا يلقين الجلباب والرداء (خير لهن والله سميع عليم) قوله عز وجل (ليس على الأعمى
حرج) اختلف العلماء في هذه الآية فقال ابن عباس لما أزل الله وبأبها الذين آمنوا لأنما كانوا
أموالكم بينكم بالباطل وخرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمى والعرج وقالوا
الطعام أفضل الأموال وقد نهانا الله عز وجل عن أكل الأموال بالباطل والأعمى لا يبصر
موضع الطعام الباطل والأعرج لا يمشي من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمرضى
يضعف عن تناول فلا يستوفى من الطعام حقه فأزل الله هذه الآية فعلى هذا التأويل يكون
على معنى في أي ليس في الأعمى والمعنى ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والمرضى والأعرج حرج
وقيل كان العميان والعرجان والمرضى يتزهدون عن مؤاكلة الأصحاء لأن الناس يقلدوهم ويكرهون
مؤاكلتهم وكان الأعمى يقول ربما أكل أكثر من ذلك ويقول الأعرج والأعمى ربما أجلس
مكان اثنين فنزلت هذه الآية ، وقيل نزلت ترخيصا لؤلؤاء في الأكل من بيوت من سماهم
الله في باقي الآية وذلك أن لؤلؤاء كانوا يدخلون على الرجل في طلب الطعام فإذا لم يكن عنده
شيء ذهب بهم إلى بيت أبيه أو بيت أمه أو بعض من سمى الله تعالى فكان أهل الزمارة
يتخرجون من ذلك ويقولون ذهب بنا إلى غير بيته فأزل الله هذه الآية وقيل كان المسلمون
إذا غزوا دفعوا مفاتيح بيوتهم إلى الزمنى ويقولون لهم قد أحللتنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا
فكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون لا تدخلها وأصحابها غيب فأزل الله هذه الآية رخصة
لهم وقيل نزلت رخصة لؤلؤاء في التخلف عن الجهاد فعلى هذا تم الكلام عند قوله

(١٢ - خازن بالبعوى - خامس) عند الرجال يعني يضعن بعض ثيابهن وهي الجلباب والرداء الذي فوق
الثياب والقناع الذي فوق الخمار فأما الخمار فلا يجوز وضعه ، وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه وأبي بن كعب أن يضعن من
ثيابهن (غير متبرجات بزينة) أي من غير أن يردن بوضع الجلباب والرداء إظهار زينتهن والتبرج هو أن تظهر المرأة من محاسنها
ما ينبغي لها أن تستره (وأن يستغفرن) (وأن يستغفرن) فلا يلقين الجلباب والرداء (خير لهن والله سميع عليم) قوله تعالى (ليس على الأعمى حرج

ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج (الآية اختلف العلماء في هذه الآية فقال ابن عباس رضي الله عنهما لما أنزل الله عز وجل قوله يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ، تخرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعسى وقالوا الطعام أفضل الأموال وقد نهانا الله عن أكل المال بالباطل والأعشى لا يبصر ، وضع الطعام الطيب والأعرج لا يتمكن من الجلوس ولا يستطيع المزاحمة على الطعام والمريض يضعف عن تناول فلا يستوفى الطعام ، فأنزل الله هذه الآية وعلى هذا التأويل يكون على بمعنى في أي ليس في الأعشى بمعنى ليس عليكم في مؤاكلة الأعشى والأعرج والمريض وقال سعيد بن جبير والضحاك وغيرهما كان العرجان والعميان والمرضى يتزهدون عن مؤاكلة الأصحاء لأن الناس يتقذرون منهم ويكرهون مؤاكلتهم ويقول الأعشى ربما أكل أكثر ويقول الأعرج ربما أخذ مكان الإثنين فنزلت هذه الآية ، وقال مجاهد نزلت الآية ترخصاً لهؤلاء في الأكل من بيوت من سمي الله في هذه الآية وذلك أن هؤلاء كانوا يدخلون على الرجل لطاب الطعام فإذا لم يكن عنده ما يطعمهم ذهب بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم أو بعض من سمي الله في هذه الآية فكان أهل الرماة يتخرجون من ذلك الطعام (٩٠) ويقولون اذهب بنا إلى بيت غيره فأنزل الله هذه الآية ، وقال سعيد

(ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) وقوله تعالى (ولا على أنفسكم) كلام مستأنف قيل لما نزلت (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) قالوا لا يحمل لأحد منا أن يأكل من أحد فأنزل الله تعالى (ولا على أنفسكم) (أن تأكلوا من بيوتكم) أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم قيل أراد من أموال عيالكم وبيوت أزواجكم لأن بيت المرأة كبيت الزوج وقيل بيوت أولادكم ونسب بيوت الأولاد إلى الآباء لما جاء في الحديث وأنت ومالك لأبيك (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم وأما ماملتكم مفاتحه) قال ابن عباس عن بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا بأس عليه أن يأكل من ثمرة ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر ، وقيل يعني بيوت عبيدكم ومما يليكم وذلك أن السيد يملك منزل عبده والمفاتيح الخزائن ويجوز أن يكون المفاتيح الذي يفتح به وإذا ملك الرجل المفاتيح فهو خازن فلا بأس أن يأكل الشيء اليسير وقيل ماملتكم مفاتحه أي ما خزنته عندهم وما ملكتموه (أو صديقكم) الصديق هو الذي صدقك في المودة : قال ابن عباس نزلت في الحرث بن عمرو خرج غازياً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجدته مجهوداً فسأله عن حاله فقال تخرجت أن أكل من طعامك بغير إذنه فأنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى أنه ليس عليكم جناح أن تأكلوا من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا

ابن المسيب كان المسلمون إذا غزوا خانوا زمامهم ويدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ويقولون قد أحلنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يتخرجون من ذلك ويقولون لا تدخلوها وهم غيب فأنزل الله هذه الآية رخصة لهم . قال الحسن نزلت هذه الآية رخصة لهؤلاء في التخلف عن الجهاد وقال تم الكلام عند قوله ولا على المريض حرج ، وقوله تعالى ولا على أنفسكم كلامه مقطوع عما قبله وقيل

لما نزل قوله (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) قالوا لا يحمل لأحد منا أن يأكل عند أحد فأنزل الله عز وجل (ولا على أنفسكم) من أن تأكلوا من بيوتكم) أي لا حرج عليكم أن تأكلوا من بيوتكم قيل أراد من أموال عيالكم وأزواجكم وبيت المرأة كبيت الزوج وقال ابن قتيبة أراد من بيوت أولادكم نسب الأولاد إلى الآباء كما جاء في الحديث وأنت ومالك لأبيك (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ماملتكم مفاتحه) قال ابن عباس رضي الله عنهما عن بذلك وكيل الرجل وقيمه في ضيعته وماشيته لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر وقال الضحاك يعني في بيوت عبيدكم ومما يليكم وذلك أن السيد يملك منزل عبده ، والمفاتيح الخزائن لقوله تعالى (وعنده مفاتيح الغيب) ويجوز أن يكون الذي يفتح به . قال عكرمة إذا ملك الرجل المفاتيح فهو خازن فلا بأس أن يطعم الشيء اليسير وقال السدي الرجل يولى طعامه غيره يقوم عليه فلا بأس أن يأكل منه وقال قوم أو ما ملكتم مفاتحه ما خزنته و عندكم قال مجاهد وقتادة من بيوت أنفسكم مما أحرزتم وما لكم (أو صديقكم) الصديق الذي صدقك في المودة قال ابن عباس نزلت في الحرث بن عمرو رضي الله عنه خرج غازياً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف مالك بن زيد على أهله فلما رجع وجدته مجهوداً فسأله عن حاله فقال تخرجت أن

آكل من طعامك بغير إذناك فأنزل الله هذه الآية وكان الحسن وقتادة يريان دخول الرجل بيت صديقه والتحرج بطعامه من غير استئذان منه في الأكل بهذه الآية والمعنى (ليس عليكم جناح أن تأكلوا) من منازل هؤلاء إذا دخلتموها وإن لم يحضروا من غير أن تزودوا وتحملوا قوله ليس عليكم جناح أن تأكلوا (جميعا أو أشتاتا) نزلت في بنى ليث بن بكر بن عمرو وهم حتى من بنى كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح إلى الرواح وربما كانت معه الإبل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يجد من يشاربه فإذا أمسى ولم يجد أحدا أكل هذا قول قتادة والضحاك وابن جرير وقال عطاء الخراساني عن ابن عباس رضى الله عنهما كان الغنى يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصداقته فيدعوه إلى طعامه فيقول والله لا إني لأجنع أى أخرج أن (٩١) آكل معك وأنا غنى وأنت

فقير، فنزلت هذه الآية وقال عكرمة وأبو صالح نزلت في قوم من الأنصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم فرخص لهم أن يأكلوا كيف شاءوا جميعا أو أشتاتا متفرقين (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أى يسلم بعضهم على بعض هذا فى دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن فى بيته قال قتادة إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته حدثنا أن الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس إذا لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس فى قوله تعالى وإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال إذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية من عند الله مباركة طيبة) قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيب هاهنا لما فيه من الثواب والأجر (كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) أى عن الله أمره ونهيه وآدابه . قوله عز وجل (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه) أى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (على أمر جامع) أى يجتمعهم من حرب أو صلاة حضرت أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تروى فى أمر نزل (لم يذهبوا) أى لم يتفرقوا عنه ولم يتصرفوا عما اجتمعوا له (حتى يستأذنه) قال المفسرون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه يعرف أنه إنما قام ليستأذن فيأذن

من غير أن تزودوا وتحملوا (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا) نزلت فى بنى ليث بن عمرو وهم حتى من كنانة كان الرجل منهم لا يأكل وحده حتى يجد ضيفا يأكل معه فربما قعد الرجل والطعام بين يديه من الصباح إلى الرواح وربما كانت معه الإبل الحفل فلا يشرب من ألبانها حتى يأتى من يشاربه فإذا أمسى ولم يجد أحدا أكل وقال ابن عباس كان الغنى يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصداقته فيدعوه إلى طعامه فيقول والله لا إني لأجنع أى أخرج أن آكل معك وأنا غنى وأنت فقير فنزلت هذه الآية وقيل نزلت فى قوم من الأنصار كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم فرخص لهم أن يأكلوا كيف شاءوا جميعا أى مجتمعين أو أشتاتا أى متفرقين (فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم) أى ليسلم بعضهم على بعض هذا فى دخول الرجل بيت نفسه يسلم على أهله ومن فى بيته قال قتادة إذا دخلت بيتك فسلم على أهلك فهم أحق من سلمت عليه وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته حدثنا أن الملائكة ترد عليه وقال ابن عباس إذا لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته وعن ابن عباس فى قوله تعالى وإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال إذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية من عند الله مباركة طيبة) قال ابن عباس حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيب هاهنا لما فيه من الثواب والأجر (كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) أى عن الله أمره ونهيه وآدابه . قوله عز وجل (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه) أى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (على أمر جامع) أى يجتمعهم من حرب أو صلاة حضرت أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تروى فى أمر نزل (لم يذهبوا) أى لم يتفرقوا عنه ولم يتصرفوا عما اجتمعوا له (حتى يستأذنه) قال المفسرون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحيال رسول الله صلى الله عليه وسلم بحيث يراه يعرف أنه إنما قام ليستأذن فيأذن

عباد الله الصالحين حدثنا أن الملائكة ترد عليه وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال إن لم يكن فى البيت أحد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على أهل البيت ورحمة الله وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى وإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم قال إذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين (تحية من عند الله) نصب على المصدر أى تحيون تحية (مباركة طيبة) قال ابن عباس رضى الله عنهما حسنة جميلة وقيل ذكر البركة والطيبة هاهنا لما فيه من الثواب والأجر (كذلك بين الله لكم الآيات لعلكم تعقلون) أى عن الله أمره ونهيه وآدابه . قوله عز وجل (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه) أى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (على أمر جامع) أى يجتمعهم من حرب حضرت أو صلاة أو جمعة أو عيد أو جماعة أو تروى فى أمر نزل (لم يذهبوا) أى لم يتفرقوا عنه ولم يتصرفوا عما اجتمعوا له من الأمر (حتى يستأذنه)

قال المقسرون كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد لحاجة أو عذر لم يخرج حتى يقوم بحياك رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث براه فيعرف أنه إنما قام يستأذن فيأذن لمن شاء منهم قال مجاهد وأذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بأذن وإذا استأذن للإمام إن شاء أذن له وإن شاء لم يأذن وهذا إذا لم يكن له سبب يمنعه من المقام فإن حدث سبب يمنعه من المقام بأن يكون في المسجد فتحريض منهم امرأة أو يجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج إلى الاستئذان (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذوك لبعض شأنهم) أي أمرهم (فأذن لمن شئت منهم) في الانصراف (٩٢) معناه إن شئت فأذن وإن شئت فلا تأذن (واستغفر لهم الله إن الله

غفور رحيم لا تجعلوا
دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا)
قال ابن عباس رضى
الله عنهما يقول احذروا
دعاء الرسول عليكم إذا
أخطئتموه فإن دعاءه
موجب أنزول البلاء بكم
ليس كدعاء غيره وقال
مجاهد وقتادة لا تدعوه
باسم كما يدعو بعضكم
بعضا يا محمد يا عبد الله
ولكن فخموه وشرفوه
فتواوا يا نبي الله يا رسول
الله في لين وتواضع (قد
يعلم الله الذين يتسللون)
أي يخرجون (منكم
لو إذا) أي يستر بعضهم
بعضا وبروغ في خيفة
فيذهب والواذ مصدر
لاوذ بلاوة ملاوذة
وأواذ قيل كان هذا في حفر

من شاء منهم قال مجاهد وإذن الإمام يوم الجمعة أن يشير بيده قال أهل العلم وكذلك كل أمر اجتمع عليه المسلمون مع الإمام لا يخالفونه ولا يرجعون عنه إلا بأذن وإذا استأذن الإمام إن شاء أذن له وإن شاء لم يأذن وهذا إذا لم يكن سبب يمنعه من المقام فإن حدث سبب يمنعه من المقام بأن يكون في المسجد فتحريض امرأة منهم أو يجنب رجل أو يعرض له مرض فلا يحتاج إلى الاستئذان (إن الذين يستأذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذوك لبعض شأنهم) أي أمرهم (فأذن لمن شئت منهم) أي في الانصراف والمعنى إن شئت فأذن وإن شئت فلا تأذن (واستغفر لهم الله) أي إن رأيت لهم عذرا في الخروج عن الجماعة (إن الله غفور رحيم) قوله عز وجل (لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا) قال ابن عباس رضى الله عنهما يقول احذروا دعاء الرسول إذا أخطئتموه فإن دعاءه موجب ليس كدعاء غيره وقيل معناه لا تدعوه باسمه كما يدعو بعضكم بعضا يا محمد يا عبد الله ولكن فخموه وعظموه وشرفوه وقولوا يا نبي الله يا رسول الله في لين وتواضع (قد يعلم الله الذين يتسللون) أي يخرجون (منكم لو إذا) أي يستر بعضهم بعضا وبروغ في خيفة فيذهب والواذ مصدر لاوذ بلاوة ملاوذة وأواذ قيل كان هذا في حفر الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخفين وقال ابن عباس لو إذا أي يلوذ بعضهم ببعض وذلك أن المنافقين كان يتقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار وقوله قد يعلم فيه التهديد بالهجازة (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه (أن تصيبهم فتنة) أي لكلا تصيبهم فتنة أي بلاء في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أي وجيع في الآخرة ثم عظم الله نفسه فقال تعالى (إلا إن الله ماني السموات والأرض) أي ملكا وعبيدا (قد يعلم ما أنتم عليه) أي من الإيمان والتفان (ويوم يرجعون إليه) يعني يوم القيامة (فينبئهم بما عملوا) أي من الخير والشر (والله بكل شيء عليم) عن عائشة رضى الله تعالى عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تنزلوا النساء الغرف

الخندق فكان المنافقون ينصرفون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مخفين قال ابن عباس رضى الله عنهما ولا لو إذا أي يلوذ بعضهم ببعض وذلك أن المنافقين كان يتقل عليهم المقام في المسجد يوم الجمعة واستماع خطبة النبي ﷺ فكانوا يلوذون ببعض أصحابه فيخرجون من المسجد في استتار ومعنى قوله قد يعلم الله التهديد بالهجازة (فليحذر الذين يخالفون عن أمره) أي أمره وعن صلة وقيل معناه يعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه (أن تصيبهم فتنة) أي لكلا تصيبهم فتنة قال مجاهد بلاء في الدنيا (أو يصيبهم عذاب أليم) أي وجيع في الآخرة وقيل عذاب أليم عاجل في الدنيا ثم عظم نفسه فقال (إلا إن الله ماني السموات والأرض) ملكا وعبيدا (قد يعلم ما أنتم عليه) من الإيمان والتفان أي يعلم وقد صلة (ويوم يرجعون إليه) يعني يوم البعث (فينبئهم بما عملوا) من الخير والشر (والله بكل شيء عليم) أخبرنا أبو سعيد الشريحي (أبو إسحاق الثعلبي ، أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا عبد الله بن محمد بن شيبة ، ثنا محمد بن إبراهيم

الكرائسي ثنا سليمان بن توبة أبو داود الأنصاري أنا محمد بن إبراهيم الشامي ثنا شعيب بن إسحاق عن هشام بن عزوة عن أبيه عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور .

(سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تبارك) تفاعل من البركة عن ابن عباس معناه جاء بكل بركة دليله قول الحسن مجيء البركة من قبله وقال الضحاك تعظم (الذي نزل الفرقان) أي القرآن (على عبده) محمدا صلى الله عليه وسلم (٩٣) (ليكون للعالمين نذيرا) أي

للجن والإنس قيل النذير هو القرآن وقيل

محمد صلى الله عليه وسلم (الذي له ملك السموات

والأرض ولم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في

الملك وخلق كل شيء)

بما يطلق عليه صفة الخلق (فقدره تقديرا)

فسواه وهياه لما يصلح له لا يخل فيه ولا يفتاوت

وقيل قدر لكل شيء تقديرا من الأجل

والرزق فجرت المقادير على ما خلق قوله عز

وجل (واتخذوا) يعني عبدة الأوثان (من

دونه آلهة) يعني الأصنام (لا يخلقون شيئا وهم

يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا)

أي دفع ضر ولا جلب نفع (ولا يملكون

ولا تعلموهن الكتابة وعلموهن المغزل وسورة النور أخرجه أبو عبد الله بن السبع في صحيحه والله سبحانه وتعالى أعلم .

(تفسير سورة الفرقان مكية وهي سبع وسبعون آية وثمانمائة واثنان وتسعون كلمة

وثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاثون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (تبارك) تفاعل من البركة قيل معناه جاء بكل بركة وخبر وقيل معناه تعظم

(الذي نزل الفرقان) أي القرآن سماه فرقانا لأنه فرق بين الحق والباطل والحلال والحرام وقيل

لأنه نزل مفرقا في أوقات كثيرة ولهذا قال نزل بالانشديد لتشكيت التفریق (على عبده) يعني

محمد صلى الله عليه وسلم (ليكون للعالمين) أي للإنس والجن (نذيرا) قيل هو القرآن وقيل

النذير هو محمد صلى الله عليه وسلم (الذي له ملك السموات والأرض) أي هو المنصرف فيهما

كيف يشاء (ولم يتخذ ولدا) أي هو المفرد في وحدانيته وفيه رد على النصارى (ولم يكن له شريك

في الملك) يعني هو المفرد بالإلَهية وفيه رد على الثوية وعباد الأصنام (وخلق كل شيء) مما

تطلق عليه صفة الخلق (فقدره تقديرا) أي سواه وهياه لما يصلح له لا يخل فيه ولا يفتاوت

وقيل قدر كل شيء تقديرا من الأجل والرزق فجرت المقادير على ما خلق . قوله تعالى

(واتخذوا) يعني عبدة الأوثان (من دونه آلهة) يعني الأصنام (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا

يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا) يعني دفع ضر ولا جر نفع (ولا يملكون موتا) أي إمامة

(ولا حياة) أي إحياء (ولا نشورا) أي بعثا بعد الموت (وقال الذين كفروا) يعني النضر بن

الحرث وأصحابه (إن هذا) أي ما هذا القرآن (إلا إفك) أي كذب (افتراء) أي اختلقه محمد

صلى الله عليه وسلم (وأعاناه عليه قوم آخرون) قيل هم اليهود وقيل عبيد بن الحضر الحبشي

الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس بن عبيد كانوا بمكة من أهل الكتاب فزعم المشركون

أن محمدا ^{صلى الله عليه وسلم} يأخذ منهم قال الله تعالى (فقد جاءوا) يعني قائل هذه المقالة (ظلما وزورا)

أي بظلم وزور وهو تسميتهم كلام الله تعالى بالإفك والافتراء (وقالوا أساطير الأولين اكتتبها)

يعني النضر بن الحرث كان يقول إن هذا القرآن ليس من الله وإنما هو مما سطره الأولون

موتوا لا حياة) أي إمامة وإحياء (ولا نشورا) أي بعثا بعد الموت (وقال الذين كفروا) يعني المشركين يعني

النضر بن الحرث وأصحابه (إن هذا) ما هذا القرآن (إلا إفك) كذب (افتراء) اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم (وأعاناه عليه

قوم آخرون) قال مجاهد يعني اليهود وقال الحسن وعبيد بن الحضر الحبشي الكاهن وقيل جبر ويسار وعداس بن عبيد

كانوا بمكة من أهل الكتاب فزعم المشركون أن محمدا صلى الله عليه وسلم يأخذ منهم قال الله تعالى (فقد جاءوا) يعني

موتوا لا حياة)

الذين كفروا)

يعني المشركين

يعني النضر بن الحرث

وأصحابه

الذين كفروا

يعني اليهود

وقال الحسن

وعبيد بن الحضر

الكلابن الكاهن

وقيل جبر ويسار

وعداس بن عبيد

كانوا بمكة

من أهل الكتاب

فزعم المشركون

أن محمدا

صلى الله عليه وسلم

يأخذ منهم

قال الله تعالى

(فقد جاءوا)

يعني قائل

هذه المقالة

(ظلما وزورا)

أي بظلم وزور

وهو تسميتهم

كلام الله تعالى

بالإفك والافتراء

(وقالوا أساطير

الأوليين اكتتبها)

يعني النضر بن

الحرث كان يقول

إن هذا القرآن

ليس من الله وإنما

هو مما سطره

الأولون

مثل حديث

رستم وأسفندبار

اكتتبها

ومعنى اكتتب

يعني

طلب أن يكتب له لأنه كان لا يكتب (فهى تمل عليه) بمعنى تقرأ عليه ليحفظها لايكتبها (بكرة وأصيلا) غدوة وعشيا قال الله عز وجل ردا عليهم (قل أنزله) يعني القرآن (الذي يعلم السر) يعني الغيب (في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيا وقالوا مال هذا الرسول) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (ياكل الطعام) كما نأكل نحن (ويعشى في الأسواق) يلتمس المعاش كما نمشى فلا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة وكانوا يقولون له لست أنت بملك ولا بملك لأنك تأكل والملك لا يأكل ولست بملك لأن الملك لا يتسوق (٩٤) وأنت تتسوق وتبذل وما قالوه فاسد لأن أكله الطعام ليسكونه آدميا ومشي

في الأسواق لتواضعه وكان ذلك صفة لهوشى من ذلك لا ينافى النبوة (لولا أنزل إليه ملك) فيصدق (فيكون معه نذيرا) داعيا (أو يأتي إليه كنز) أي ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج إلى التردد والتصرف في طلب المعاش (أو تكون له جنة) بستان (ياكل منها) قرأ حمزة والكسائي نأكل بالنون أي نأكل نحن منها (وقال الظالمون إن تبعمون إلا رجلا مسحورا) مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق (أنظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الأمثال) يعني الأشباه (فقالوا مسحور محتاج وغيره) (فضاوا) عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) إلى الهدى ومخرجا عن الضلالة (تبارك

مثل حديث رسمه واستندبار ومعنى اكتفها انتسخها محمد صلى الله عليه وسلم من حجر وسار وعادس وطلب أن يكتب له لأنه كان لا يكتب (فهى تمل عليه) أي تقرأ عليه ليحفظها لأنه لا يكتب (بكرة وأصيلا) يعني غدوة وعشيا قال الله تعالى ردا عليهم (قل) يا محمد (أنزل) يعني القرآن (الذي يعلم السر) أي الغيب (في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيا) أي لولا ذلك لعاجلهم بعدا به (وقالوا مال هذا الرسول) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (ياكل الطعام) أي كما نأكل نحن (ويعشى في الأسواق) أي يلتمس المعاش كما نمشى نحن وإذا كان كذلك فمن أين له الفضل عاين ولا يجوز أن يمتاز عنا بالنبوة وكانوا يقولون له لست بملك لأنك بشر مثلنا والملك لا يأكل ولا يملك لأن الملك لا يتسوق وتبذل وما قالوه فاسد لأن أكله الطعام ليسكونه آدميا ولم يدع أنه ملك ومشي في الأسواق لتواضعه وكان ذلك صفة في التوراة ولم يكن سخيا في الأسواق وليس شيء من ذلك ينافى النبوة ولأنه لم يدع أنه ملك من الماوك (لولا أنزل إليه ملك) أي يصدق ويشهد له (فيكون معه نذيرا) أي داعيا (أو يلقى إليه كنز) أي ينزل عليه كنز من السماء ينفقه فلا يحتاج إلى التصرف في طلب المعاش (أو تكون له جنة) يعني بستان (ياكل منها) أي هو فلا أقل من ذلك إن لم يكن له كنز وقال الظالمون إن تبعمون إلا رجلا مسحورا) يعني مخدوعا وقيل مصروفا عن الحق (أنظر) يا محمد (كيف ضربوا لك الأمثال) أي الأشباه التي لا فائدة ذاقوا مسحور محتاج (فضلوا) أي عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) إلى الهدى ومخرجا عن الضلالة. قوله تعالى (تبارك الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك) أي من الذي قالوا وأفضل من البستان الذي ذكروا وقال ابن عباس يعني خيرا من المشي في الأسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال (جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا) أي بيوتا مشيدة عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وعرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذها قلت لا يرب ولكن أشبع يوما وأجوع يوما أو قال ثلاثا أو نحو هذا فإذا جعلت تضرت لك وإذ شئت حمدتك وشكرتك عن عائشة قالت وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو شئت أسارت معي جبال مكة ذها جاعني ملك إن حجرته لتساوى الكعبة فقال يا محمد إن ربك يقرئك السلام ويقول إن شئت نبيا عبدا وإن شئت نبيا ملكا فتنازلت إلى جبريل فأشار إلى أن ضع نفسك فقلت نبيا عبدا قالت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا يقول أنا عبد آكل كما

ياكل

الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك) الذي قالوا وأفضل

من الكنز والبستان الذي ذكروا وروى عكرمة عن ابن عباس قال يعني خيرا من المشي في الأسواق والتماس المعاش ثم بين ذلك الخير فقال (جنات تجري من تحتها الأنهار ويجعل لك قصورا) بيوتا مشيدة والعرب تسمى كل بيت مشيد قصرا وقرا ابن كثير وابن عامر وعاصم برواية أبي بكر ويجعل برفع اللام وقرا الآخرون يجرها على محل الجزاء في قوله إن شاء جعل لك أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميني أنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الخلال أنا عبد الله بن المبارك عن يحيى بن أيوب حدثني

عبد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم بن أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال عرض علي ربي ليجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب ولكن أشيع يوما وأجوع يوما أو قال ثلاثا أو نحو هذا فإذا جعت تضرعت إليك وذكرتك وإذا شبعت حمدتك وشكرتك حدثنا أبو طاهر المطهر بن علي بن عبيد الله القارسي أنا أبو ذر محمد بن إبراهيم الصالحاني أنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ أنا أبو يعلى ثنا محمد بن بكر ثنا أبو معشر عن سعيد بن أبي المقري عن عائشة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا عائشة لو شئت لسارت معي جبال الذهب جاءتني ملك إن حجرتي لتساوي الكعبة فتال إن ربك يقرأ عليك السلام ويقول إن شئت نبييا عبدا وإن شئت نبييا ملكا فنظرت إلى جبريل فأشار إلى أن ضع نفسك وفي رواية ابن عباس فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جبريل كالمستشير له فأشار جبريل بيده أن تواضع فقلت نبييا عبدا قال فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك لا يأكل متكئا يقول آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد قوله عز وجل (٩٥) (بل كذبوا بالساعة) بالقيامة

(وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) نارا مستعرة (إذا رأتهم من مكان بعيد) قال الكلبي والهدى من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة سنة وقيل خمسمائة سنة وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال من كذب على متعبدا فليقبوا بين عبي جهنم مقعدا قالوا وهل خامن عيين قال نعم أم نستهوا قول الله تعالى إذا رأتهم من مكان بعيد وقيل إذا رأتهم زانبيها سمعوا

يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد ذكر هذين الحديثين البعوى بسنده . قوله تعالى (بل كذبوا بالساعة) أي القيامة (وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا) أي نارا مسعرة (إذا رأتهم من مكان بعيد) قيل من مسيرة عام وقيل من مسيرة مائة عام . فان قلت كيف تصور الرؤية من النار وهو قوله إذا رأتهم . قلت يجوز أن يخلق الله لها حياة وعقلا ورؤية وقيل معناه رأتهم زانبيها (سمعوا لها تغيطا) أي غليانا كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب (وزفيرا) أي صوتا ان قلت كيف يسمع التغيط . قلت معناه رأوا وعلموها تغيطا وسموا لها زفيرا كما قال الشاعر .

ورأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا

أي وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها صوت التغيط من الثياب والتوقد وقال عبيد بن عمير تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر لوجهه (وإذا ألقوا منها مكا ضيقا) قال ابن عباس تضيق عليه كما يضيق الزج في الرمح (مقرنين) أي مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل (دعوا هنالك ثبورا) قال ابن عباس وبلا وقيل هلاكها وفي الحديث إن أول من يكسى حلة من النار إبليس فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبورا وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادي يا ثبورا وهم ينادون يا ثبورهم فيقال لهم (لاندعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) هكذا ذكره البعوى بغير سند وقيل معناه هلاككم أكثر

كالغضبان إذا غلى صدره من الغضب (وزفيرا) صوتا فان قيل كيف يسمع التغيط قيل معناه رأوا وعلموها تغيطا وسموا لها زفيرا كما قال الشاعر :

ورأيت زوجك في الوغى متقلدا سيفا ورمحا

أي وحاملا رمحا وقيل سمعوا لها تغيطا أي صوت التغيط من الثياب والتوقد قال عبيد بن عمير تزفر جهنم يوم القيامة زفرة فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا خر لوجهه (وإذا ألقوا منها مكا ضيقا) قال ابن عباس تضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح (مقرنين) مصفدين قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال وقيل مقرنين مع الشياطين في السلاسل (دعوا هنالك ثبورا) قال ابن عباس وبلا وقال الضحاك هلاكها وفي الحديث أن أول من يكسى حلة من النار إبليس ، فيضعها على حاجبيه ويسحبها من خلفه وذريته من خلفه وهو يقول يا ثبورا وهم ينادون يا ثبورهم حتى يقفوا على النار فينادون يا ثبورا وينادي يا ثبورهم فيقال لهم (لاندعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا) قيل أي هلاككم أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فادعوا

أكثر من أن تدعوا مرة واحدة فادعوا

(ويعشرون في الأسواق) وقيل معناه وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا لعلهم يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق كما قال في موضع آخر وما يقال لك إلا ما قد قيل الرسل من قبلك» (وجعلنا بعضهم ليعض فتنة) أي بلية فالغنى فتنة للفقير يقول الفقير مالي لم أكن مثله والصحيح فتنة للمريض والشريف فتنة للوضيع وقال ابن عباس أي جعلت بعضهم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتبعوا الهدى وقيل نزلت في ابتلاء الشريف بأوضيع وذلك أن الشريف إذا أراد أن يسلم فرأى الوضيع قد أسلم قبله أنف وقال أسلم بعده فيكون له على السابقة والفضل فيقيم على كفره ويمتنع من الإسلام فلما افتتان بعضهم ببعض وهذا قول الكلبي وقال مقاتل نزلت في أبي جهل والوليد (٩٧) بن عقبة والعاص بن وائل والنضر بن الحارث

ويعشرون في الأسواق) قال ابن عباس لما عبر المشركون رسول الله ﷺ وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق أنزل الله تعالى هذه الآية والمعنى أن هذه عادة مستمرة من الله تعالى على رسله فلا وجه لهذا الطعن «وما أنا إلا رسول» وما كنت بدعا من الرسل «وهم كانوا بشرا مثلي يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق» (وجعلنا بعضهم ليعض فتنة) أي بلية قال ابن عباس أي جعلنا بعضهم بلاء لبعض لتصبروا على ما تسمعون منهم وترون من خلافهم وتبعوا أنتم الهدى قيل نزلت في ابتلاء الشريف بالوضيع وذلك أن الشريف إذا أراد أن يسلم رأى الوضيع قد أسلم قبله فأنف وقال أسلم بعده فيكون له السابقة والفضل على فيقيم على كفره ويمتنع من الإسلام فلذلك افتتان بعضهم ببعض وقيل نزلت في أبي جهل والوليد بن عقبة والعاص بن وائل السهمي والنضر بن الحارث وذلك أنهم رأوا أبا ذر وابن مسعود وعمار بن ياسر وبلالا وصهيبا وعمار بن فهيرة وذويهم قد أسلموا قبلهم فقالوا نسلم فنكون مثل هؤلاء وقيل نزلت في ابتلاء فقراء المسلمين بالمستزين من قريش كانوا يقولون انظروا إلى هؤلاء الذين تبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم من مواليها وأراذلنا فقال الله تعالى هؤلاء المؤمنون (أتصبرون) أي على هذه الحالة من الفقر والشدّة والأذى وقيل إن الغنى فتنة للفقير يقول مالي لم أكن مثله والصحيح فتنة للمريض والشريف فتنة للوضيع (وكان ربك بصيرا) أي بمن صبر وبمن جزع (ق) عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه بالمال والجسم فليظنر إلى من هودونه في المال والجسم» لفظ البخاري وسلم انظروا إلى من هو أسفل منكم ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر أن لا تزدوا نعمة الله عليكم» قوله تعالى (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أي يخافون البعث والرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة (لولا أنزل علينا الملائكة) فتحيرنا أن محمدا صادق (أو نرى ربنا) فيخبرنا بذلك (لقد استكبروا) أي تعظموا (في أنفسهم) بهذه المقالة (وعتوا عتوا كبيرا) أي طغفوا وقبل عتوا في القول وهو أشد الكفر والفحش وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به . قوله تعالى (يوم يرون الملائكة) أي عند الموت وقيل يوم القيامة (لابشري يومئذ للمجرمين) وذلك أن الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة ويقولون للكفار

وذلك أنهم لما رأوا أبا ذر وابن مسعود وعمار وبلالا وصهيبا وعمار بن فهيرة وذويهم قالوا نسلم فنكون مثل هؤلاء ، وقال مقاتل نزلت في ابتلاء فقراء المؤمنين بالمستزين من قريش كانوا يقولون انظروا إلى هؤلاء الذين اتبعوا محمدا من مواليها وأراذلنا فقال الله تعالى هؤلاء المؤمنون (أتصبرون) يعني على هذه الحالة من الفقر والشدّة والأذى (وكان ربك بصيرا) بمن صبر وبمن جزع أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد ابن الحسن أنا أبو العباس الأصم ثنا زكريا بن يحيى المروزي ثنا سفيان بن عيينة عن أبي الزناد عن الأعرج

(١٣ - خازن بالبعوى - خامس) عن أبي هريرة يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال «إذا نظر أحدكم إلى من فضل عليه في المال والجسم فليظنر إلى من دونه في المال والجسم» (وقال الذين لا يرجون لقاءنا) أي لا يخافون البعث قال القواء الرجاء بمعنى الخوف لغة تهامة ومنه قوله تعالى ومالك لا يرجون لله وقار أي لا يخافون لله عظمة (لولا أنزل علينا الملائكة) فتحيرنا أن محمدا صادق (أو نرى ربنا) فيخبرنا بذلك (لقد استكبروا) أي تعظموا (في أنفسهم) بهذه المقالة (وعتوا عتوا كبيرا) قال مجاهد عتوا طغفوا في القول والعتو أشد الكفر وأفحش الظلم وعتوهم طلبهم رؤية الله حتى يؤمنوا به (يوم يرون الملائكة) عند الموت وقيل في القيامة (لابشري يومئذ للمجرمين) للكافرين وذلك أن الملائكة يبشرون المؤمنين يوم القيامة ويقولون للكفار لا بشري لكم هكذا قال عطية وقال بعضهم معناه أنه لا بشري يوم القيامة للمجرمين أي لا بشارة لهم بالجنة

ثما يبشر المؤمنون (ويقولون حجرا محجورا) قال عطاء عن ابن عباس تقول الملائكة حرما محرما أن يدخل الجنة إلا من نال لاله إلا الله وقال مقاتل إذا خرج الكفار من قبورهم قالت لهم الملائكة حرما محرما عليكم أن يكون لكم البشرى رقال بعضهم هذا قول الكفار للملائكة قال ابن جرير كانت العرب إذا نزلت بهم شدة رأوا ما يكرهون قالوا حجرا محجورا فهم يقولونه إذا عابوا الملائكة قال مجاهد يعني عودا معاذا يستعيذون به من الملائكة (وقدمنا) وعمدنا (إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا) أي باطلا لا ثواب له لأنهم لم يعملوه لله عز وجل واختلفوا في الهباء . قال علي هو ما يرى في الكوة إذا وقع ضوء الشمس فيها كالغبار ولا يمس بالأيدي ولا يرى في الظل وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد والمنثور المرفق وقال ابن عباس وقناة وسعيد (٩٨) بن جبير هو ما تنسفه الرياح وتلذبه من التراب وحطام الشجر وقال مقاتل

هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير وقيل الهباء المنثور ما يرى في الكوة والهباء المتبث هو ما تنسفه الرياح من سنايك الخيل قوله عز وجل (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) أي من هؤلاء المشركين المستكبرين (وأحسن مقيلا) موضع قائلة يعني أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر النهار من أوله إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار والقبولة الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم لأن الله تعالى قال وأحسن مقيلا والجنة لانوم فيها قال ابن عباس الحساب في ذلك اليوم في أوله ويروي أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس . قوله تعالى (ويوم تشق السماء بالغمام) أي عن الغمام وهو غمام أبيض مثل الضباب ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تبهم (ونزل الملائكة نزيلا) قال ابن عباس تشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والإنس ثم تشق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والإنس ثم كذلك حتى تشق السماء السابعة وأهل كل سماء يزيدون على أهل السماء التي تليها ثم تنزل الكروبون

هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير وقيل الهباء المنثور ما يرى في الكوة والهباء المتبث هو ما تنسفه الرياح من سنايك الخيل قوله عز وجل (أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا) أي من هؤلاء المشركين المستكبرين (وأحسن مقيلا) موضع قائلة يعني أهل الجنة لا يمر بهم يوم القيامة إلا قدر النهار من أوله إلى وقت القائلة حتى يسكنوا مساكنهم في الجنة قال ابن مسعود لا ينتصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار وقرأ ثم إن مقيلهم لا إلى الجحيم هكذا كان يقرأ وقال ابن عباس في هذه

الآية الحساب ذلك اليوم في أوله وقال التوم حين قالوا في منازلهم في الجنة قال الأزهرى القبولة والمقبل الاستراحة ثم نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم لأن الله تعالى قال وأحسن مقيلا والجنة لانوم فيها ويروي أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كما بين العصر إلى غروب الشمس قوله عز وجل (ويوم تشق السماء بالغمام) أي عن الغمام الباعض يتعاقبان كما يقال رميت عن القوس وبالقوس وتشق بمعنى تشق أدغما إحدى التامين في الأخرى وقرأ أبو عمرو وأهل الكوفة بتخفيف الشين هاهنا وفي سورة ق بحدق إحدى التامين وقرأ الآخرون بالشديد أي تشق بالغمام ، وهو غمام أبيض رقيق مثل الضباب ولم يكن إلا لبني إسرائيل في تبهم (ونزل الملائكة نزيلا) قرأ ابن كثير ونزل بتونين خفيف ورفع اللام الملائكة نصب قال ابن عباس تشق السماء الدنيا فينزل أهلها وهم أكثر ممن في الأرض من الجن والإنس ثم تشق السماء الثانية فينزل أهلها وهم أكثر ممن في السماء الدنيا ومن الجن والإنس ثم كذلك حتى تشق السماء السابعة وأهل كل

صماء يريدون على أهل السماء التي قبها ثم ينزل الكروبيون ثم حملة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن) أي الملك الذي هو الملك الحق حقا ملك الرحمن يوم القيامة . قال ابن عباس يريد أن يوم القيامة لأمك يقضى غيره (وكان يوما على الكافرين عسيرا) شديدا فهذا الخطاب يدل على أنه لا يكون على المؤمن عسيرا وجاء في الحديث أنه هون يوم القيامة على المؤمنين حتى يكون عليهم أخف من صلاة مكتوبة صلواها في الدنيا (ويوم بعض الظالم على يديه) أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط وذلك أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاما فدعا إليه أشرف قومه وكان يكتر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما فدعا الناس ودعا رسول الله (٩٩) صلى الله عليه وسلم فلما قرب

الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بأكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لأبي ببي خلف فلما أخبر أبي بن خلف قال له يا عقبة صابت قال لا والله ما صابت ولكن دخل على رجل فأني أن يأكل طعامي إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا بالذي أرضى عنك أبدا إلا أن تأتيه فتزق في وجهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه السلام لا ألقاك

ثم حملة العرش (الملك يومئذ الحق للرحمن) أي الملك الذي هو الملك حقا ملك الرحمن يوم القيامة قال ابن عباس يريد أن يوم القيامة لأمك يقضى غيره (وكان يوما على الكافرين عسيرا) أي شديدا وفيه دليل على أنه لا يكون على المؤمنين عسيرا وجاء في الحديث وأنه هون يوم القيامة على المؤمن حتى يكون عليه أخف من صلاة مكتوبة صلواها في الدنيا . قوله تعالى (ويوم بعض الظالم على يديه) أراد بالظالم عقبة بن أبي معيط وذلك أنه كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاما ودعا إليه أشرف قومه وكان يكتر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم فقدم ذات يوم من سفر فصنع طعاما ودعا الناس إليه ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قرب الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنا بأكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله فقال عقبة أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم من طعامه وكان عقبة صديقا لأبي بن خلف فلما أخبر أبي بن خلف قال له يا عقبة صابت قال لا والله ما صابت ولكن دخل على رجل فأني أن يأكل طعامي إلا أن أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا بالذي أرضى عنك أبدا إلا أن تأتيه فتزق في وجهه ففعل ذلك عقبة فقال عليه الصلاة والسلام لا أراك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبورا وأما أبي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد وقيل لما بزق عقبة في وجه النبي صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه فاحترق خدها فكان أثر ذلك في وجهه حتى قتل وقيل إن عقبة بن أبي معيط خليل أمية بن خلف فأسلم عقبة فقال له أمية وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمدا فكفر وارتد فأزول الله فيه ويوم بعض الظالم يعني عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه أي ندما وأسفا على ما فرط في جنب الله وأوبق نفسه بالمعصية والكفر لطاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه قال عطاء يأكل يديه حتى يبلغ مرقبه ثم يبتان ثم يأكلهما هكذا كلما نبت يده أكلها على ما فعل محسرا وندامة (يقول باليمني اتخذت) أي في الدنيا (مع الرسول سبيلا) أي ليقتني اتبعت محمدا صلى الله عليه وسلم واتخذت معه طريقا

خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف فقتل عقبة يوم بدر صبورا وأما أبي بن خلف فقتله النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد بيده وقال الضحاك لما بزق عقبة في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم عاد بزاقه في وجهه فاحترق خدها وكان أثر ذلك فيه حتى الموت وقال الشعبي كان عقبة بن أبي معيط خليل أمية بن خلف فأسلم عقبة فقال أمية وجهي من وجهك حرام إن تابعت محمدا فكفر وارتد فأزول الله عز وجل ويوم بعض الظالم يعني عقبة بن أبي معيط بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف على يديه ندما وأسفا على ما فرط في جنب الله وأوبق نفسه بالمعصية والكفر بالله بطاعة خليله الذي صده عن سبيل ربه . قال عطاء يأكل يديه حتى يبلغ مرقبه ثم يبتان ثم يأكل هكذا كلما نبت يده أكلها محسرا على ما فعل (يقول باليمني اتخذت) في الدنيا (مع الرسول سبيلا) أي ليقتني اتبعت محمدا صلى الله عليه وسلم واتخذت معه سبيلا إلى الهدى قرأ أبو عمرو باليمني اتخذت

يُنح الياء والآخرين باسمكانها (ياويلنا ليتني لم آتخذ فلانا خليلا) يعني أبي بن خلف (لقد أضلني عن الذكر) عن الإيمان والقرآن (بعد إذ جاءني) يعني الذكر مع الرسول (وكان الشيطان) وهو كل متعردات من الإنس والجن وكل من صد عن سبيل الله فهو شيطان (للإنسان خذولا) أي تاركاً يتركه ويتهرب منه عند نزول البلاء والعذاب وحكم هذه الآية عام في حق كل متحابين اجتماعاً على معصية الله أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا محمد بن العلاء أنا أبو أسامة عن يزيد عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ومثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافع الكبير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن يتباع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة ونافع الكبير إما أن يحرق ثيابك وإما تجد منه ريحاً (١٠٠) خبيثة ، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي ثوبة أنا أبو طاهر محمد بن

إلى الهداية (ياويلنا) دعا على نفسه بالويل (ليتني لم آتخذ فلانا خليلا) قيل يعني أبي بن خلف (لقد أضلني عن الذكر) أي عن الإيمان والقرآن (بعد إذ جاءني) يعني الذكر مع الرسول صلى الله عليه وسلم (وكان الشيطان) وهو كل متعردات من الجن والإنس (للإنسان خذولا) أي كثير الخذلان يتركه ويتهرب منه عند نزول البلاء والعذاب به وحكم الآية عام في كل خليلين ومتحابين اجتماعاً على معصية الله (ق) عن أبي موسى الأشعري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ومثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافع الكبير فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن يتباع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيباً ونافع الكبير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل ، أخرجه أبو داود والترمذي ولهما عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي . قوله عز وجل (وقال الرسول) يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم (يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) أي متروكاً وأعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة المهجر وهو السبيء من القول فرجعوا أنه سحر وشعر والمعنى أن محمداً صلى الله عليه وسلم يشكو قومه إلى الله عز وجل يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً فعزاه الله تعالى فقال (وكذلك جعلنا) أي وكما جعلت لك أعداء من مشركي مكة وهم قومك كذلك جعلنا (لكل نبي عدواً من المجرمين) أي المشركين والمعنى لا يكبرن عليك ذلك فإن الأنبياء قبلك قد لقوا ذلك من قومهم فصبروا فاصبر أنت كما صبروا فاني ناصرك وهاديك وهو قوله تعالى (وكفى بربك هادياً ونصيراً) قوله تعالى (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) أي كما أنزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود صلوات الله عليهم أجمعين قال الله تعالى (كذلك) فعلنا ذلك (لنثبت به فؤادك) أي أنزلناه متفرقاً لكي يسهل عليك فهمه وتحفظه فإن الكتب المتقدمة نزلت على أنبياء يكتبون ويقرءون وأنزلنا

أحمد بن الحارث أنا محمد بن يعقوب الكسائي أنا عبد الله بن محمود أنا إبراهيم بن عبد الله الحلال ثنا عبد الله بن المبارك عن حياة بن شرح أخبرني سالم بن غيلان أن الوليد بن قيس التميمي أخبره أنه سمع أباسعيد الخدري قال سالم أو عن أبي الهيثم عن أبي سعيد أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا تصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقي ، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو بكر محمد بن أحمد بن إسحاق بن النيسابوري أنا أبو العباس الأصم ، ثنا حميد بن عياش الرمي أنا ومثل بن إسماعيل ، ثنا زهير بن محمد الخراساني ثنا موسى

ابن وودان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم المرء على دين خليله فلينظر القرآن أحدكم من يخالل ، (وقال الرسول) يعني ويقول الرسول في ذلك اليوم (يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً) يعني متروكاً فأعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ولم يعملوا بما فيه وقيل جعلوه بمنزلة المهجر وهو الهديان والقول السبيء فرجعوا أنه سحر وشعر وهو قول النخعي ومجاهد وقيل قال الرسول يعني محمداً صلى الله عليه وسلم يشكو قومه إلى الله يارب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً فعزاه الله تعالى فقال (وكذلك جعلنا) يعني كما جعلنا لك أعداء من مشركي قومك كذلك جعلنا (لكل نبي عدواً من المجرمين) يعني المشركين قال مقاتل يقول لا يكبرن عليك فإن الأنبياء قبلك قد لقوا ذلك من قومهم فاصبر لأمرى كما صبروا فاني ناصرك وهاديك (وكفى بربك هادياً ونصيراً) وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة) كما أنزلت التوراة على موسى والإنجيل على عيسى والزبور على داود قال الله سبحانه وتعالى (كذلك) فعلنا (لنثبت به فؤادك) يعني أنزلناه متفرقاً

ليقرى به قلبك فتعيه وتحفظه فان الكتب انزات على انبياء يكتبون ويقرءون وانزل الله القرآن على نبي امي لا يكتب ولا يقرأ
ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب إن سأل عن أمور فرقناه ليكون أوعى لرسول الله ﷺ وأيسر على العامل
به (ورثناه ترتيلاً) قال ابن عباس بيناه بياناً والترتيل التبيين في ترتل وتثبت وقال السدي فصلناه تفصيلاً وقال مجاهد بعضه
في إر بعض وقال النخعي والحسن فرقناه تفريقاً آية بعد آية (ولا يأتونك) يا محمد يعني هؤلاء المشركين (بمثل) بصر يونه
في إيصال أمرك (إلا جئناك بالحق) يعني بما ترد به ما جاءوا به من المثل وتبطله فسمى ما يوردون من الشبه مثلاً وسعى ما يدفع به
الشبه حقاً (وأحسن تفسيراً) يعني بياناً وتفصيلاً والتفسير تعميل من الفسر وهو كشف ما قد غطى ثم ذكر ما هؤلاء المشركين
فقال (الذين) أي هم الذين (يحشرون على وجوههم) فيساقون ويجرون (إلى جهنم أولئك شر مكاناً) يعني مكانة ومنزلة
ويقال منزلاً ومصيراً (وأصل سبيلاً) أخطأ طريقاً (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون

وزيراً) معينا وظهيراً
(فقلنا اذهبوا إلى القوم
الذين كذبوا بآياتنا)
يعني القبط (فدمرناهم)
فكذبوا أي فكذبوهما
فدمرناهم (تدميراً)
أهلكناهم إهلاكاً (وقوم
نوح لما كذبوا الرسل)
أي الرسول ومن كذب
رسولاً واحداً فقد كذب
جميع الرسل فلذلك
ذكر بلفظ الجمع
(أغرقناهم وجعلناهم للناس
آية) يعني لمن بعدهم عبرة
(وأعدنا للظالمين) في
الآخرة (عذاباً ألياً) سوى
ما حل بهم من عاجل
العذاب (وعادا وثمود)
يعني وأهلكنا عادا و
ثمود (وأصحاب الرس)
اختلّفوا
فيهم قال وهب بن منبه

القرآن على نبي امي لا يكتب ولا يقرأ ولأن من القرآن الناسخ والمنسوخ ومنه ما هو جواب
لمن سأل عن أمور تحدث في أوقات مختلفة ففرقناه ليكون أوعى لرسول الله صلى الله عليه
وسلم وأيسر على العامل به (ورثناه ترتيلاً) قال ابن عباس وبيناه بياناً والترتيل التبيين في ترسل
وتثبت وقيل فرقناه تفريقاً آية بعد آية (ولا يأتونك) يعني يا محمد هؤلاء المشركون (بمثل) يعني
بصر يونه لآفة في إيصال أمرك (إلا جئناك بالحق) أي بما ترد به ما جاءوا به من ما يوردون المثل وتبطله
فسمى ما يوردون من الشبه مثلاً وسعى ما يدفع به الشبه حقاً (وأحسن تفسيراً) يعني أحسن بياناً
وتفصيلاً ثم ذكر ما هؤلاء المشركين فقال تعالى (الذين) يعني هم الذين (يحشرون) أي يساقون
ويجرون (على وجوههم إلى جهنم أولئك شر مكاناً) يعني منزلاً ومصيراً (وأصل سبيلاً)
أي أخطأ طريقاً. قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً) أي
معينا وظهيراً (فقلنا اذهبوا إلى القوم الذين كذبوا بآياتنا) يعني القبط (فدمرناهم) فيه إضمار
أي فكذبوهما فدمرناهم (تدميراً) يعني أهلكناهم إهلاكاً (وقوم نوح لما كذبوا الرسل)
يعني رسولهم ومن كذب رسولاً واحداً فقد كذب جميع الرسل فلذلك ذكره بلفظ الجمع
(أغرقناهم وجعلناهم للناس آية) أي عبرة لمن بعدهم (وأعدنا للظالمين) في الآخرة (عذاباً
ألياً) يعني سيرى ما حل بهم من عاجل العذاب في الدنيا (وعادا وثمود) أي أهلكنا عادا و
ثمود (وأصحاب الرس) قال وهب بن منبه كان أهل بئر الرس نزولاً عليها وكانوا أصحاب مواش
يبدون الأصنام فبعث الله إليهم شعيباً يدعوهم إلى الإسلام فنادوا في طغيانهم وأذوا شعيباً
فبيناهم حول البئر في منازلهم انهارت البئر وحسف بهم وبديارهم ورباعهم وقيل الرس بئر
بفلس الجمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم الله وقال سعيد بن جبير كان لهم نبي يقال له حنظلة بن
صفوان فقتلوه فأهلكهم الله وقيل الرس بانطاكية قتلوا فيها حبيبا النجارهم الذين ذكرهم
الله في سورة يس وقيل هم أصحاب الأخدود والرسم الأخدود (وقرونا بين ذلك كثيراً) أي

كانوا أهل بئر قودا عليها وأصحاب مواشي يعبدون الأصنام فوجه الله إليهم شعيباً يدعوهم إلى الإسلام فنادوا في طغيانهم
وفي أذى شعيب عليه السلام فبيناهم حول البئر في منازلهم انهارت بهم البئر فحسف الله بهم وبديارهم ورباعهم فهلكوا
جميعاً والرسم البئر وكل ركية لم تطلو بالحجارة والآجر فهو رس وقال قتادة والسكبي الرس بئر بأرض الجمامة قتلوا نبيهم فأهلكهم
الله عز وجل وقال بعضهم هم بقية ثمود وقوم صالح وهم أصحاب البئر التي ذكر الله تعالى في قوله فوبئهم معطلة وقصر مشيد
وقال سعيد بن جبير كان لهم نبي يقال له حنظلة بن صفوان فقتلوه فأهلكهم الله تعالى وقال كعب ومقاتل والسدي الرس
بئر بانطاكية فقتلوا فيها حبيبا النجار وهم الذين ذكرهم الله في سورة يس وقيل هم أصحاب الأخدود والرسم هو الأخدود
الذي حضروه وقال عكرمة هم قوم رسوا نبيهم في بئر وقيل الرسم المعدن وجمعه رسام (وقرونا بين ذلك كثيراً) يعني

وأهلكنا قرونا كثيرا بين عاد وأصحاب الرس (وكلا ضربنا له الأمثال) يعني الأشياء في إقامة الحجمة عليهم فلم نهلكهم إلا بعد الإنذار (وكلا تبرنا تنبيرا) يعني أهلكنا إهلاكا وقال الأخفش كسرنا تكسيرا قال الزجاج كل شيء كسرته وفتته فقد تبرته (ولقد أتوا على القرية التي أمطرت مطر السوء) يعني الحجارة وهي قريات قوم لوط وكانت خمس قرى فأهلك الله أربعاً منها وبقيت واحدة وهي أصغرهما وكان أهلها لا يعملون العمل الخييث (أفلم يكونوا يرونها) إذا مروا بهم في أسفارهم فيعتبروا ويتفكرون لأن مدائن قوم لوط كانت على طريقهم عند ممرهم إلى الشام (بل كانوا لا يرجون) لا يخافون (نشورا) بعثا قوله عز وجل (وإذا رأوك إن (١٠٣) يتخذونك) يعني ما يتخذونك (إلا هزوا) يعني مهزوا به نزلت

في أبي جهل كان إذا مر أصحابه على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مستهزئا (أهذا الذي بعث الله رسولا إن كاد ليضلنا) يعني قد قارب أن يضلنا (عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها) يعني لو لم نصبر عليها لصرفنا عنها (وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا) من أخطأ طريقا (أرأيت من اتخذ إلهه هواه) وذلك أن الرجل من المشركين كان يعبد حجرا فإذا رأى حجرا أحسن منه رماه وأخذ الأحسن منه وعبده وقال ابن عباس رأيت من ترك عبادة الله خالفه ثم هوى حجرا فعبده ما حاله عندي وقيل الهوى إله بعيد (أفأنت تكون عليه وكيفا) أي حافظا تحفظه من اتباع الهوى وعبادة ما يهواه من دون الله والمعنى لست كذلك وقال الكلبي نسخها آية القتال (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون) أي ما تقول سماع طالب الإفهام (أو يعقلون) يعني ما يعاينون من الحجج والأعلام وهذه المذمة أعظم من التي تقدمت لأنهم لشدة عنادهم لا يسمعون القول وإذا سمعوه لا يتفكرون فيه فكأنهم لا يسمع لهم ولا عقل البتة فعند ذلك شبههم بالأنعام فقال تعالى (إن هم) أي ما هم (إلا كالأنعام) أي في عدم انتفاعهم بالكلام وعدم إقدامهم على التدبر والتفكير ثم قال تعالى (بل هم أضل سبيلا) لأن البهائم تهتدي لمراعبيها ومشاربيها وتتفاد لأربابها الذين يتعمدونها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم لأن الأنعام تسجد وتسبح والكفار لا يفعلون ذلك . قوله تعالى (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) هو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس جعله ممدودا لأنه ظل لا شمس معه (ولو شاء لجعله ساكنا) يعني دائما ثابتا لا يزول ولا تذهب الشمس عنده (وأفأنت تكون

عليه وكيفا) يعني حافظا بقول أفأنت عليه كيف تحفظه من اتباع هواه وعبادة من يهوى من دون الله (ثم) أي لست كذلك قال الكلبي نسخها آية القتال (أم تحسب أن أكثرهم يسمعون) أي تقول سماع طالب الإفهام (أو يعقلون) أي يعاينون من الحجج والإعلام (إن هم) أي ما هم (إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا) لأن البهائم تهتدي لمراعبيها ومشاربيها وتتفاد لأربابها الذين يتعمدونها وهؤلاء الكفار لا يعرفون طريق الحق ولا يطيعون ربهم الذي خلقهم ورزقهم ولأن الأنعام تسجد وتسبح لله وهؤلاء الكفار لا يفعلون قوله عز وجل (ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) معناه ألم تر إلى مد ربك الظل وهو ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس جعله ممدودا لأنه ظل لا شمس معه كما قال في ظل الجنة وظل ممدود لم يكن معه شمس (ولو شاء لجعله ساكنا) أي دائما ثابتا لا يزول ولا تذهب الشمس قال أبو عبيدة الظل ما نسخته الشمس وهو بالقدادة والتي

ما نسخ الشمس وهو بعد الزوال سمى قبنا لأنه فاء من جانب كشرق إلى جانب المغرب (ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً) يعني على الظل ومعنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس لما عرفت الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والأشياء تعرف بأضدادها (ثم قبضناه) يعني الظل (إلينا قبضاً يسيراً) بالشمس التي تأتي عليه والقبض جمع المنبسط من الشيء ، معناه أن الظل يعم جميع الأرض قبل طلوع الشمس فإذا طلعت الشمس قبض الله الظل (١٠٣) جزأً فجزأً قبضاً يسيراً أي خفياً

(وهو الذي جعل لكم الليل لباساً) أي سترًا تستترون به يريد أن ظلمته تغشى كل شيء كاللباس الذي يشتمل على لابس (والنوم سباتاً) يعني راحة لأبدانكم وقطعا لا تشربون فيه لا ابتغاء رزقكم وطلب الاشتغال (وهو الذي أرسل الرياح بشرايين يارحمته) يعني المطر (وأزلنا من السماء ماء طهوراً) الطهور هو الطاهر في نفسه المطهر غيره فهو اسم لما يتطهر به بدليل ما روى عن النبي ﷺ قال في البحر وهو الطهور وهو الحل ميتته وأخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وأراد به المطهر والماء المطر لأنه يطهر الإنسان من الحدث والنجاسة فثبت أن التطهير يختص بالماء وذهب أصحاب الرأي إلى أن الطهور هو الطاهر حتى جوزوا إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخلل والزيق ونحوها ولو جاز إزالة النجاسة بها لجاز إزالة الحدث بها وذهب بعضهم إلى أن الطهور ما تكرر منه التطهير وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء إذا توضع به مرة وإن وقع في الماء شيء غير طعمه أو لونه أو ريحه هل تزول طهوريته نظر إن كان الواقع شيئاً لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب وأوراق الأشجار فتجوز الطهارة به كما لو تغير بطول المكث في قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن يصب فيه فيترشح الماء برائحته تجوز الطهارة به لأن تغيره للمجاورة لا للداخلية وإن كان شيئاً يمكن صون الماء عنه ومخاطبته كالخلل والزعفران ونحوهما تزول طهوريته فلا يجوز الوضوء به وإن لم يتغير أحد أوصافه نظر إن كان الواقع شيئاً طاهراً لا يزيل طهوريته يجوز الوضوء به سواء كان الماء قليلاً أو كثيراً وإن كان الواقع شيئاً نجساً نظر فيه فإن كان الماء أقل من قلتين نجس الماء وإن كان قدر قلتين فأكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به والقاتان خمسمائة رطل بالبيدادي يدل عليه ما روى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الماء يكون في الفلاة ترده السباع والذئب فقال: إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث أخرجه أبو داود والترمذي وهذا قول الشافعي وأحمد وإسحاق وجماعة من أهل الحديث أن الماء إذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه وهذا قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري واحتجوا بما روى عن أبي سعيد الخدري قال «قبل يا رسول الله إنه يستقي لك من بئر بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب وخرق الحيض وعار النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الماء طهور لا ينجسه شيء» وفي رواية قال «قلت يا رسول الله أيتوضأ من بئر بضاعة وهي تر تطرح فيها خرق الحيض ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله ﷺ الماء طهور

(ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً) معنى دلالتها عليه أنه لو لم تكن الشمس لما عرفت الظل ولولا النور لما عرفت الظلمة والأشياء تعرف بضدها (ثم قبضناه) يعني الظل (إلينا قبضاً يسيراً) يعني بالشمس التي تأتي عليه والمعنى أن الظل يعم جميع الأرض قبل طلوع الشمس فإذا طلعت الشمس قبض الله الظل جزأً فجزأً قبضاً خفياً (وهو الذي جعل لكم الليل لباساً) يعني سترًا تسترون به والمعنى أن الظلمة الليل تغشى كل شيء كاللباس الذي يشتمل على لابس (والنوم سباتاً) يعني راحة لأبدانكم وقطعا لا تشربون فيه لا ابتغاء رزقكم وطلب الاشتغال (وهو الذي أرسل الرياح بشرايين يارحمته) يعني المطر (وأزلنا من السماء ماء طهوراً) الطهور هو الطاهر في نفسه المطهر غيره فهو اسم لما يتطهر به بدليل ما روى عن النبي ﷺ قال في البحر وهو الطهور وهو الحل ميتته وأخرجه أبو داود والترمذي والنسائي وأراد به المطهر والماء المطر لأنه يطهر الإنسان من الحدث والنجاسة فثبت أن التطهير يختص بالماء وذهب أصحاب الرأي إلى أن الطهور هو الطاهر حتى جوزوا إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخلل والزيق ونحوها ولو جاز إزالة النجاسة بها لجاز إزالة الحدث بها وذهب بعضهم إلى أن الطهور ما تكرر منه التطهير وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء إذا توضع به مرة وإن وقع في الماء شيء غير طعمه أو لونه أو ريحه هل تزول طهوريته نظر إن كان الواقع شيئاً لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب وأوراق الأشجار فتجوز الطهارة به كما لو تغير بطول المكث في قراره وكذلك لو وقع فيه ما لا يختلط كالدهن يصب فيه فيترشح الماء برائحته تجوز الطهارة به لأن تغيره للمجاورة لا للداخلية وإن كان شيئاً يمكن صون الماء عنه ومخاطبته كالخلل والزعفران ونحوهما تزول طهوريته فلا يجوز الوضوء به وإن لم يتغير أحد أوصافه نظر إن كان الواقع شيئاً طاهراً لا يزيل طهوريته يجوز الوضوء به سواء كان الماء قليلاً أو كثيراً وإن كان الواقع شيئاً نجساً نظر فيه فإن كان الماء أقل من قلتين نجس الماء وإن كان قدر قلتين فأكثر فهو طاهر يجوز الوضوء به والقاتان خمسمائة رطل بالبيدادي يدل عليه ما روى عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الماء يكون في الفلاة ترده السباع والذئب فقال: إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث أخرجه أبو داود والترمذي وهذا قول الشافعي وأحمد وإسحاق وجماعة من أهل الحديث أن الماء إذا بلغ هذا الحد لا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير طعمه أو لونه أو ريحه وهذا قول الحسن وعطاء والنخعي والزهري واحتجوا بما روى عن أبي سعيد الخدري قال «قبل يا رسول الله إنه يستقي لك من بئر بضاعة ويلقى فيها لحوم الكلاب وخرق الحيض وعار النساء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الماء طهور لا ينجسه شيء» وفي رواية قال «قلت يا رسول الله أيتوضأ من بئر بضاعة وهي تر تطرح فيها خرق الحيض ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله ﷺ الماء طهور

يطهر الإنسان من الحدث والنجاسة كما قال في آية أخرى وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به أن تطهروا يختص بالماء وذهب أصحاب الرأي إلى أن الطهور هو الطاهر حتى جوزوا إزالة النجاسة بالمائعات الطاهرة مثل الخلل وماء الورد والمرق ونحوها ولو جاز إزالة النجاسة بها لجاز إزالة الحدث بها وذهب بعضهم إلى أن الطهور ما تكرر منه التطهير كالصبر والشكور فسم لمن يتكرر منه الصبر والشكور فسم لمن يتكرر منه الشكر وهو قول مالك حتى جوز الوضوء بالماء

لمى توضع منه مرة وإن وقع في الماء شيء غير طعمه أو لونه أو ريحه هل يزول طهوريته أم لا نظر ، إن كان الواقع شيئا
لا يمكن صون الماء عنه كالطين والتراب وأوراق الأشجار لا يزول فيجوز الطهارة به كما لو تغير أطول المسك في قراره
وكذلك لو وقع فيه ما لا يخالطه كالدهن يصب فيه فيزول الماء برأخته يجوز الطهارة به لأن تغيره لا يجاوز للمخالطة
وإن كان شيئا يمكن صون الماء منه ويخالطه كالخل والزعفران ونحوهما يزول طهوريته ولا يجوز الوضوء به وإن لم يتغير
أحد أوصافه بنظر إن كان الواقع فيه شيئا طاهرا لا يزول طهوريته فيجوز الطهارة به سواء كان الماء قابلا أو كثيرا وإن كان
الواقع فيه شيئا نجسا ينظر فإن كان الماء قليلا أقل من القلتين ينجس الماء وإن كان قدر قلتين فأكثر فهو طاهر يجوز الوضوء
به والقلتان خمس قرب ووزنه خمسمائة رطل والدليل عليه ما أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر أحمد بن الحسن
الخبزى أنا حاجب بن أحمد الطومى ثنا عبد الرحيم بن الشيب أنا جرير بن محمد بن إسحاق عن محمد بن جعفر بن الزبير
عن عبيد الله بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل عن الماء يكون في الغلظة من الأرض وما
ينويه من الدواب والسباع فقال إذا كان الماء قلتين لم يحمل الخبث وهذا قول الشافعى وأحمد وإسحاق وجماعة من أهل
الحدِيث إن الماء إذا بلغ هنا (١٠٤) الحد فلا ينجس بوقوع النجاسة فيه ما لم يتغير أحد أوصافه الثلاثة وذهب

جماعة إلى أن الماء لا ينجسه شيء وقوله تعالى (لنحیی به) أى بالمطر (بلدة ميتا) قيل أراد به موضع البلدة (ونسقيه
بما خلقتنا) أى نسق من ذلك الماء (أنعاما وأناسی كثيرا) أى بشرا كثيرا والأناسی جمع إنسی
وقيل جمع إنسان . قوله عز وجل (ولقد صرفناه بينهم) يعنى المطر مرة ببلدة ومرة ببلدة
أخرى وقال ابن عباس ما عام بالمطر من عام ولكن الله يصرفه في الأرض وقرأ هذه الآية
وهذا كما روى مرفوعا ومامن ساعة من ليل ولا نهار إلا والسما تمطر فيها يصرفه الله حيث
يشاء وروى عن ابن مسعود رفعه قال ليس من سنة بالمطر من سنة أخرى ولكن الله عز وجل
قسم هذه الأرزاق فجعلها في هذه السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم
ووزن معلوم وإذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك إلى غيرهم وإذا عصوا جميعا صرف
الله ذلك المطر إلى التيا في والبحار وقيل المراد من تصريف المطر تصريفه وإبلا وطشا ورذاذا
ونحوها وقيل التصريف راجع إلى الريح (ليذكروا) أى ليتذكروا ويتفكروا في قدرة الله
تعالى (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) أى جحودا في كفرهم هو أنهم إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء
كذا (ق) عن زيد بن خالد الجهني أنه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح
بالحديبية في أثر معاء من الليل فلما انصرفت أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم

قالوا

الموجه ثنا صدقة بن الفضل أنا أبو أسامة عن الوليد بن كثير عن محمد بن كعب
القرظي عن عبد الله بن عبد الرحمن ثنا رافع بن خديج عن أبي سعيد الخدري قال قيل يا رسول الله أتوضع من ثوب بضاعة
وهي يربلقي فيه الخبث ولحوم الكلاب والنتن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الماء طهور لا ينجسه شيء قوله عز
وجل (لنحیی به) أى بالمطر (بلدة ميتا) ولم يقل ميتة لأنه رجع به إلى الموضع والمكان (ونسقيه بما خلقتنا أنعاما) نسق مع
ذلك الماء أنعاما (وأناسی كثيرا) أى بشرا كثيرا والأناسی جمع إنسی وقيل جمع إنسان وأصله أناسين مثل بستان وبساتين
فجعل الياء عوضا عن النون (ولقد صرفناه بينهم) يعنى المطر مرة ببلدة ومرة ببلد آخر قال ابن عباس مامن عام بالمطر
من عام ولكن الله يصرفه في الأرض وقرأ هذه الآية وهذا كما روى مرفوعا ومامن ساعة من ليل ولا نهار إلا والسما تمطر
فيها يصرفه الله حيث يشاء وذكر ابن إسحاق وابن جرير ومقاتل وبلغوا به ابن مسعود رفعه قال ليس من سنة بالمطر
من أخرى ولكن الله قسم هذه الأرزاق فجعلها في السماء الدنيا في هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيل معلوم ووزن معلوم
وإذا عمل قوم بالمعاصى حول الله ذلك إلى غيرهم فإذا عصوا جميعا صرف الله ذلك إلى التيا في والبحار وقيل المراد من
تصريف المطر تصريفه وإبلا وطلا ورذاذا ونحوها وقيل التصريف راجع إلى الريح (ليذكروا) أى ليتذكروا ويتفكروا في
قدرة الله تعالى (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) جحودا وكفرانهم هو أنهم إذا مطروا قالوا مطرنا بنوء كذا وكذا أخبرنا

أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك بن أنس عن صالح بن عيسى عن
عبد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن زيد بن خالد الجهني أنه قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح
بالحديبية في أثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قالوا الله ورسوله أعلم
قال : قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب وأما
من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب قوله عز وجل (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) رمولا
يتنذروهم ولكن بعثناك إلى القرى كلها وحملناك نعل لئلا نذارة جميعها لتستوجب بصبرك عليه ما أعددنا لك من الكرامة والمرجة
الرفيعة (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك إليه من موافقتهم ومداهمتهم (وجاهدكم به) أي بالقرآن (جهادا كبيرا) شديدا
(وهو الذي مرج البحرين) أي خلطهما وأفاض أحدهما في الآخر وقيل (١٠٥) أرسلهما في مجاريهما وخلطهما

كما يرسل الخيل في المرج
وأصل المرج الخلط
والإرسال يقال مرجت
الدابة وأمرجتها إذا
أرسلتها في المرعى وخلقتها
تذهب حيث تشاء
(هذا عذب فرات)
شديد العذوبة والفرات
أعذب المياه (وهذا ملح
أجاج) شديد الملوحة
وقيل أجاج أي مر
(وجعل بينهما برزخا)
أي حاجزا بقدرته لئلا
يختلط العذب بالملح ولا
الملح بالعذب (وحجرا
محجورا) أي ستر
ممنوعا فلا يغيبان فلا
يفسد الملح العذب
(وهو الذي خلق من
الماء) من النطفة (بشرا

قالوا الله ورسوله أعلم قال أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر فأما من قال مطرنا بفضل الله
ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكواكب وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي
مؤمن بالكواكب قوله تعالى (ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيرا) أي رمولا يتنذروهم ولكن
بعثناك إلى القرى كلها وحملناك نعل لئلا نذارة لتستوجب بصبرك ما أعددنا لك من الكرامة
والمرجة الرفيعة (فلا تطع الكافرين) فيما يدعونك إليه من موافقتهم ومداهمتهم (وجاهدكم به)
أي بالقرآن (جهادا كبيرا) أي شديدا. قوله تعالى (وهو الذي مرج البحرين) أي خلطهما وأفاض
أحدهما على الآخر وقيل أرسلهما في مجاريهما (هذا عذب فرات) أي شديد العذوبة يميل إلى
الخلوة (وهذا ملح أجاج) أي شديد الملوحة وقيل مر (وجعل بينهما برزخا) أي حاجزا بقدرته
فلا يختلط العذب بالملح ولا الملح بالعذب (وحجرا محجورا) أي ستر ممنوعا فلا يغيب أحدهما
على الآخر ولا يفسد الملح العذب. قوله تعالى (وهو الذي خلق من الماء) أي من النطفة (بشرا
فجعل نسبا وصهرا) أي جعله ذانسا وصهرا وقيل النسب ما لا يجعل نكاحه والصهر ما يجزى نكاحه
والنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها وقيل النسب من القرابة والصهر الخلطة التي تشبه القرابة
وهو النسب المحرم للنكاح وقد حرم الله بالنسب سبعا وبالسبب سبعا ويجمعها قوله وحرمت عليكم
أمهاتكم الآية وقد تقدم تفسير ذلك وبيانه في تفسير سورة النساء (وكان ربك قدرا) على ما أراد
حيث خلق من النطفة الواحدة نوعين من البشر الذكر والأنثى (ويعبدون من دون الله) يعني هؤلاء
المشركين (مالا يتفهم) أي إن عبده (ولا يضرهم) أي إن تركوه (وكان الكافر على ربه
ظهورا) أي معينا أمان الشيطان على ربه بالمعاصي لأن عبادتهم الأصنام معاونة للشيطان وقيل
معنى ظهورا هينا ذليلا من قولك ظهرت بفلان إذا جعلته وراء ظهره ولم تلتفت إليه وقيل أراد
بالكافر أبا جهل والأصح أنه عام في كل كافر وقوله تعالى (وما أرسلناك إلا بشرا) أي بالثواب
على الإيمان والطاعة (ونذيرا) مثلوا بالهتاف على الكفر والمعصية (قل) يا أحمد (ما أسئلكم
عليه) أي على تبليغ الوحي (من أجر) فتقولون إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعوننا إليه فلا تتبعه

(١٤ - خازن بالبغوي - خامس) فجعله نسبا وصهرا) أي جعله ذانسا وبذا صهر قيل النسب ما لا يجعل
نكاحه والصهر ما يجعل نكاحه فالنسب ما يوجب الحرمة والصهر ما لا يوجبها وقيل وهو الصحيح النسب من القرابة
والصهر الخلطة التي تشبه القرابة وهو السبب المحرم للنكاح وقد ذكرنا أن الله تعالى حرم بالنسب سبعا وبالسبب سبعا
في قوله وحرمت عليكم أمهاتكم (وكان ربك قدرا) أي معينا للشيطان على ربه بالمعاصي وقال الزجاج أي
عبده (ولا يضرهم) إن تركوه (وكان الكافر على ربه ظهورا) أي معينا للشيطان على ربه بالمعاصي وقال الزجاج أي
يعاون الشيطان على معصية الله لأن عبادتهم الأصنام معاونة للشيطان وقيل معناه وكان الكافر على ربه ظهورا أي هينا ذليلا
كما يقال الرجل جعاني يظهر أي جعلني هينا ويقال ظهر به إذا جعله خلف ظهره فلم يلتفت إليه (وما أرسلناك إلا بشرا
ونذيرا) أي منذرا (قل) ما أسئلكم عليه) أي على تبليغ الوحي (من أجر) فتقولوا إنما يطلب محمد أموالنا بما يدعوننا إليه فلا

تبعه (إلا مع شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) هذا من الاستثناء المنقطع مجازه لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا بالاتفاق من ماله في سبيله فعل ذلك والمعنى لا أسألكم لنفسى أجرا ولكن لا أمنع من اتفاق المال في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل إلى جنته (وتوكل على الحى الذى لا يموت وسبح بحمده) أى صل له شكرا على نعمه وقيل قل سبحان الله والحمد لله (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) عالما بصغبرها وكبيرها فيجازيهم بها (الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاستل به خبيرا) أى بالرحمن قال السكلي يقول فاستل الخبير بذلك يعنى بما ذكرنا من خلق السموات والأرض (١٠٦) والاستواء على العرش وقيل الخطاب للرسول والمراد منه غيره لأنه كان

مصدقا به والمعنى أيها الإنسان لا ترجع في طلب العلم بهذا إلى غيرى وقيل الباء بمعنى عن أى فاسأل عنه خبيرا وهو الله عز وجل وقيل جبريل عليه السلام (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) ما نعرفت الرحمن إلا رحمان اليامة يعنون مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليامة (أنسجد لما تأمرنا) قرأ حمزة والكسائي يأمرنا بالياء أى لما يأمرنا محمد بالسجود له وقرأ الآخرون بالتاء أى لما تأمرنا أنت يا محمد (وزادهم) يعنى زادهم قول القائل لهم اسجدوا للرحمن (نفورا) عن الدين والإيمان قوله عز وجل (تبارك الذى

(إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا) معناه لكن من شاء أن يتخذ باتفاق ماله سبيلا إلى ربه فعلى هذا يكون المعنى لا أسألكم لنفسى أجرا ولكن أمنع من اتفاق المال إلا في طلب مرضاة الله واتخاذ السبيل إلى جنته . قوله عز وجل (وتوكل على الحى الذى لا يموت) معناه أنه سبحانه وتعالى لما أمر نبيه صلى الله عليه وسلم بأن لا يطلب منهم أجرا البتة أمره أن يتوكل عليه في جميع أموره وإنما قال على الحى الذى لا يموت لأن من توكل على حى يموت انقطع توكله عليه بموته وأما الله سبحانه وتعالى فإنه حى لا يموت فلا ينقطع توكل من توكل عليه ولا يضيع البتة (وسبح بحمده) أى صل له شكرا على نعمه وقيل معناه قل سبحان الله والحمد لله (وكفى به بذنوب عباده خبيرا) يعنى أنه تعالى عالم بجميع ذنوب عباده فيجازيهم بها . وقيل معناه أنه لا يحتاج معه إلى غيره لأنه خبير عالم قادر على مكافأتهم وفيه وعيد شديد كأنه قال إذا قدمتم على مخالفة أمره كفاكم علمه في مجازاتكم بما تستحقون من العقوبة . قوله عز وجل (الذى خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاستل به خبيرا) أى فاسأل الخبير بذلك يعنى بما ذكر من خلق السموات والأرض والاستواء على العرش . وقيل معناه أيها الإنسان لا ترجع في طلب العلم بهذا إلى غيرى وقيل معناه فاسأل عنه خبيرا وهو الله تعالى وقيل هو جبريل عليه السلام (وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن) أى ما نعرفت إلا رحمان اليامة يعنون مسيلمة الكذاب كانوا يسمونه رحمان اليامة (أنسجد لما تأمرنا) أنت يا محمد (وزادهم) يعنى قول القائل اسجدوا للرحمن (نفورا) يعنى عن الإيمان والسجود .

(فصل)

وهذه السجدة من عزائم السجديات فيسن للقارىء والمستمع أن يسجدا عند مباحها وقراءتها . قوله تعالى (تبارك الذى جعل في السماء بروجا) قيل البروج هى النجوم الكبار سميت بروجا لظهورها وقيل البروج قصور فيها الحرس . وقال ابن عباس هى البروج الاثنا عشر التى هى منازل الكواكب السبعة السيارة وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت سميت بالبروج التى هى القصور

العالية

جعل في السماء بروجا) قال الحسن ومجاهد وقتادة النجوم هى النجوم

الكبار سميت بروجا لظهورها وقال عطية العوفى بروجا أى قصورا فيها الحرس كما قال ولو كنتم في بروج مشيدة وقال عطاء عن ابي عباس حى البروج الاثنا عشر التى هى منازل الكواكب السبعة السيارة وهى الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدى والدلو والحوت ، فالحمل والعقرب بيتا المريخ والثور والميزان بيتا الزهرة والجوزاء والسنبلة بيتا عطارد والسرطان بيت القمر والأسد بيت الشمس والقوس والحوت بيتا المشتري والجدى والدلو بيتا زحل وهذه البروج مقسومة على الطبايع الأربع فيكون نصيب كل واحد منها ثلاثة بروج تسمى الثلثات فالحمل والأسد والقوس مثله نارية والثور والسنبلة والجدى مثله أرضية والجوزاء والميزان والدلو مثله هوائية والسرطان والعقرب

والحوت مثله مائة (وجعل فيها سراجا) يعنى الشمس كما قال وجعل الشمس سراجا وقرأ حمزة والكسائي مرجا بالجمع
يعنى النجوم (وقرأ منيرا) والله قد دخل في السرج على قراءة من قرأ بالجمع غير أنه خصه بالذكر لنوع فضيلة كما قال
فيهما فأكهة ونخل ورمان خص النخل والرمان بالذكر مع دخولهما في الفاكهة (وهو الذى جعل الليل والنهار خلفه) اختلفوا
فيها قال ابن عباس والحسن وقتادة يعنى خلفا وعضوا يقوم أحدهما مقام صاحبه فمن فاتته عمله في أحدهما قضاه في الآخر .
قال شقيق جاء رجل إلى عمر بن الخطاب قال فانتفى الصلاة الليلة فقال أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله عز وجل
جعل الليل والنهار خلفه لمن أراد أن يذكر وقال مجاهد يعنى جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا أسود وهذا
أبيض وقال ابن زيد وغيره يعنى يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب أحدهما جاء الآخر فهما يتعاقبان في الضياء والظلام والزيادة
والنقصان (لمن أراد أن يذكر) قرأ حمزة بتخفيف الدال والتكاف وضمها (١٠٧) من الذكر وقرأ الآخرون

بتشديد أي يتذكر
ويتعظ (أو أراد شكورا)
قال مجاهد أي شكر نعمة
ربه عليه فيهما قوله عز
وجل (وعباد الرحمن)
يعنى أفاضل العباد وقيل
هذه الإضافة للتخصيص
والتفضيل وإلا فالخلق
كلهم عباد الله (الذين
يمشون على الأرض هونا)
يعنى بالسكينة والوقار
متواضعين غير أشربين
ولامرحين ولامتكبرين
وقال الحسن علماء
وحكماء وقال محمد بن
الحنفية أصحاب وقار وعفة
لايستفنون وإن سفه عليهم
حلموا والهنون فى اللغة
الرفق واللين (وإذا
خاطبهم الجاهلون) يعنى
السفهاء بما يكرهون

العالية لأنها للسكاك كالمنازل لسكانها (وجعل فيها سراجا) يعنى الشمس (وقرأ منيرا) وهو
الذى جعل الليل والنهار خلفه) قال ابن عباس معناه خلفا وعضوا يقوم أحدهما مقام صاحبه
فمن فاتته عمله في أحدهما قضاه في الآخر . قال شقيق جاء رجل إلى عمر بن الخطاب قال فانتفى
الصلاة الليلة قال أدرك ما فاتك من ليلتك في نهارك فان الله تعالى جعل الليل والنهار خلفه لمن
أراد أن يذكر . وقيل جعل كل واحد منهما مخالفا لصاحبه فجعل هذا أسود وهذا أبيض
وقيل يخلف أحدهما صاحبه إذا ذهب هذا جاء هذا فهما يتعاقبان في الضياء والظلمة والزيادة
والنقصان (لمن أراد أن يذكر) أى يتذكر ويتعظ (أو أراد شكورا) يعنى شكر نعمة ربه عليه
فيهما . قوله عز وجل (وعباد الرحمن) قيل هذه الإضافة للتخصيص والتفضيل وإلا فالخلق
كلهم عباد الله (الذين يمشون على الأرض هونا) يعنى بالسكينة والوقار وعفة (وإذا خاطبهم الجاهلون) يعنى
ولا مرحين ولا متكبرين بل علماء حكماء أصحاب وقار وعفة (وإذا خاطبهم الجاهلون) يعنى
السفهاء بما يكرهونه (قالوا سلما) يعنى سدادا من القول يسلمون فيه لا يسفهون وإن سفه عليهم
حلموا ولم يجهلوا وليس المراد منه السلام المعروف . وقيل هذا قبل أن يؤمروا بالقتال ثم
نسخها آية القتال وروى عن الحسن البصرى أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال هذا وصف
نهارهم ثم إذا قرأ (والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما) قال هذا وصف ليلهم والمعنى يبيتون لربهم
فى الليل بالصلاة سجدا على وجوههم وقياما على أقدامهم . قال ابن عباس من صلى بعد العشاء
الأخيرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجدا وقائما (م) عن عثمان بن عفان رضى الله عنه قال قال
رسول الله ﷺ « من صلى العشاء فى جماعة كان كقيام نصف الليل ومن صلى التجر فى جماعة كان

(قالوا سلما) قال مجاهد سدادا من القول وقال مقاتل بن حيان قولاً يسلمون فيه من الإثم وقال الحسن إن جهل عليهم جاهل
حلموا ولم يجهلوا وليس المراد منه السلام المعروف وروى عن الحسن معناه سلموا عليهم ذليله قوله عز وجل « وإذا سمعوا
النفوا عرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم عليكم » قال الكلبي وأبو العالية هذا قبل أن يؤمروا بالقتال ثم نسخها
آية القتال وروى عن الحسن البصرى أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال هذا وصف نهارهم ثم قرأ « والذين يبيتون لربهم سجدا
وقياما » قال هذا وصف ليلهم قوله تعالى (والذين يبيتون لربهم) يقال لم يأت أدرك الليل بات نام أولم ينام بقال بات فلان قالنا
والمعنى يبيتون لربهم بالليل فى الصلاة (سجدا) على وجوههم (وقياما) على أقدامهم . قال ابن عباس من صلى بعد العشاء
الأخيرة ركعتين أو أكثر فقد بات لله ساجدا وقائما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن عثمان أنا
أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الزبائى ثنا محمد بن زنجويه ثنا أبو نعيم عن سفیان عن عثمان بن حكيم عن عبد الرحمن
بن أبى عمرة عن عثمان بن عفان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من صلى العشاء فى جماعة فكأنما قام نصف

الله عنه قال قال رجل يا رسول الله أى الذنب أكبر عند الله قال « أن تدعوه ندا وهو خلقك قال ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قال ثم أى قال أن تزاني حليلة جارك فأرسل الله تصديقها : والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلقى أثاما » قوله عز وجل (ومن يفعل ذلك أى شيئا من هذه الأفعال (يلقى أثاما) يوم القيامة قال ابن عباس رضى الله عنهما إنما يريد جزاء الإثم. وقال أبو عبيدة الأثام العقوبة ، وقال مجاهد الأثام واد في جهنم بروى ذلك عن عبد الله بن عمرو بن العاص وروى في الحديث العنى والأثام بتران يسيل فيهما صديد أهل النار (يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا) قرأ ابن عامر وأبو بكر يضاعف ويخلد برفع الفاء والذال على الابتداء وشدد ابن عامر يضعف وقرأ الآخرون بجزم الفاء والذال على جواب الشرط (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) قال قتادة إلا من تاب من ذنبه وآمن بربه وعمل عملا صالحا فيما بينه وبين ربه أخرنا (١٠٩) أبو سعيد الشرحى أنا أبو إسحاق

الثعالبي أخبرني أبو الحسين ابن محمد بن عبد الله ثنا موسى بن محمد ثماموسى ابن هرون الجمال ثنا إبراهيم بن محمد الشافعى ثنا عبد الله بن رجاء عن عبيد الله بن عمر عن علي بن يزيد عن يوسف محمد بن مهران عن ابن عباس قال قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين : والذين لا يدعون مع الله إلها آخر الآية ثم نزلت إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشئ قط كفرحه بها وفرحه بأنا فتحنا لك فتحا مبينا ليفغر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر :

آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ، (ومن يفعل ذلك يلقى أثاما) أى ومن يفعل شيئا من ذلك يلقى أثاما قال ابن عباس إنما يريد جزاء الإثم وقيل عقوبة وقيل الأثام واد في جهنم ويروى في الحديث « أن العنى والأثام بتران في جهنم يسيل فيهما صديد أهل النار » (يضاعف له العذاب يوم القيامة) وسبب تضعيف العذاب أن المشرك إذا ارتكب المعاصى مع الشرك يضاعف له العذاب على شركه ومعصيته (ويخلد فيه مهانا) أى ذليلا . قوله تعالى (إلا من تاب) أى عن ذنبه (وآمن) يعنى بربه (وعمل عملا صالحا) أى فيها بينه وبين ربه روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم سنتين والذين لا يدعون مع الله إلها آخر الآية ثم نزلت إلا من تاب فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فرح بشئ قط مثل ما فرح بها وفرحه بأنا فتحنا لك فتحا مبينا ليفغر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، وقوله تعالى (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) قال ابن عباس يبذلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام فيبذلهم بالشرك إيمانهم ويقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة وإحصانا وقيل يبدل الله سيئاتهم التى عملوها في الإسلام حسنات يوم القيامة (م) عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولا الجنة وآخر أهل النار خروجا منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال أعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها فعرض عليه صغارها فيقال له عملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن يشكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له إن لك مكان كل سيئة حسنة فيقول يارب قد عملت أشياء لأراها ههنا قال فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه وقيل إن الله تعالى يحو بالندم جميع السيئات ثم يثبت مكان كل سيئة حسنة (فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفورا رحيما) فذهب جماعة إلى أن هذا التبديل في الدنيا . قال ابن

عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والسدى والضحاك يبذلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام فيبذلهم بالشرك إيمانهم ويقتل المؤمنين قتل المشركين وبالزنا عفة وإحصانا وقال قوم يبدل الله سيئاتهم التى عملوها في الإسلام حسنات يوم القيامة ودو قول سعيد بن المسيب ومكحول يدل عليه ما أخرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم علي بن أبي أحمد الخزازعى أنا الهيثم بن كليب أنا أبو عيسى الترمذى ثنا أبو عمار الحسين بن خريز ثنا وكيع ثنا الأعمش عن المعمر بن سويد عن أبي ذر قال قال النبي ﷺ « إني لأعلم آخر رجل يخرج من النار يؤتى به يوم القيامة فيقال أعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها فيقال عملت يوم كذا وكذا وكذا وكذا وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من كبارها فيقال أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة فيقول رب أنى ذنوبيا ما أراها ههنا قال أبو ذر لقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه ، وقال بعضهم إن الله عز وجل يحو بالندم جميع السيئات ، ثم يثبت مكان كل سيئة

حسنة قوله عز وجل (ومن تاب وعمل صالحا) قال بعض أهل العلم هذا في التوبة عن غير ما سبق ذكره في الآية الأولى من القتل والزنا يعني من تاب من الشرك وعمل صالحا أي أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن (فانه يتوب إلى الله) أي يعود إليه بعد الموت (متابا) حسنا يفضل به على غيره ممن قتل وزنا فالتوبة الأولى وهو قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثاني رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة وقال بعضهم هذه الآية أيضا في التوبة عن جميع السيئات ومعناه ومن أراد التوبة وعزم عليها فليتب إلى الله الله وقوله يتوب إلى الله خبر بمعنى (١١٠) الأمر أي يتب إلى الله وقيل معناه فليعلم أن توبته ومصيره إلى الله (والذين

لا يشهدون الزور) قال الضحاك وأكثر المفسرين يعني الشرك وقال علي بن طلحة يعني شهادة الزور وكان عمر ابن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويختم وجهه ويطوف به في السوق وقال ابن جريج يعني الكذب وقال مجاهد يعني أعياد المشركين ، وقيل النوح قال قتادة لا يساعدون أهل الباطل على باطلهم وقال محمد بن الحنفية لا يشهدون اللغو والغناء قال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع . وأصل الزور تحسين الشيء ووصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق (وإذا مروا باللغو) هو كل ما يجب أن يلغى ويترك (مروا كراما) يعني إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا فعلى هذا التفسير تكون الآية منسوخة بآية القتال . وقيل اللغو المعاصي كلها ، والمعنى إذا مروا بمجالس اللغو والباطل مروا كراما أي مسرعين معرضين وهو أن ينزه المرء نفسه ويكرمها عن هذه المجالس السيئة (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) قيل معناه أنه ليس فيه نفي الخروا إنما هو إثبات له ونفي الصمم والعمى والمعنى إذا ذكروا بها أكبوا على استماعها بأذان واعية وأقبلوا على المذكور بها بعيون مبصرة راعية . وقيل معناه لم يخروا أي لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما وعميانا كأنهم بأذانهم صمم وبأعينهم عمى بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيقبعونه . قوله عز وجل (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين) يعني أربارا أتقياء صالحين فيقرون أعيننا بذلك قيل ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل فيقطع أن يخلوا معه في الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك وقيل إن العرب تذكّر قررة العين عند السرور والفرح وبخنة العين عند الغم والحزن ويقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قررة العين

(ومن تاب وعمل صالحا) قيل هذا في التوبة من غير ما سبق ذكره في الآية الأولى من القتل والزنا ومعناه ومن تاب من الشرك وعمل صالحا يعني أدى الفرائض ممن لم يقتل ولم يزن (فانه يتوب إلى الله) أي يعود إليه بعد الموت (متابا) أي حسنا يفضل على غيره ممن قتل وزنا فالآية الأولى وهي قوله ومن تاب رجوع عن الشرك والثانية رجوع إلى الله للجزاء والمكافأة . وقيل هذه الآية أيضا في التوبة عن جميع السيئات ومعناه ومن أراد التوبة وعزم عليها فليتب إلى الله فقوله يتوب إلى الله خبر بمعنى الأمر أي تب إلى الله وقيل معناه فليعلم أن توبته ومصيره إلى الله تعالى . قوله تعالى (والذين لا يشهدون الزور) يعني الشرك وقيل هي شهادة الزور (ق) عن أبي بكر قال قال رسول الله ﷺ «الأنبياء بأكثر الكبار قلنا بلى يا رسول الله قال الإشراف بالله وعمقوا بالوالتدين وكان متكئا فجلس فقال ألاوقول الزور وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت» وكان عمر بن الخطاب يجلد شاهد الزور أربعين جلدة ويختم وجهه ويطوف به في الأسواق وقيل لا يشهدون الزور يعني أعياد المشركين وقيل النوح وقيل لا يساعد أهل الباطل على باطلهم وقيل الزور اللغو واللعب والغناء . قال ابن مسعود الغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء الزرع . وأصل الزور حقيقة تحسين الشيء وهو وصفه بخلاف صفته فهو تمويه الباطل بما يوهم أنه حق (وإذا مروا باللغو) هو كل ما يجب أن يلغى ويترك (مروا كراما) يعني إذا سمعوا من الكفار الشتم والأذى أعرضوا وصفحوا فعلى هذا التفسير تكون الآية منسوخة بآية القتال . وقيل اللغو المعاصي كلها ، والمعنى إذا مروا بمجالس اللغو والباطل مروا كراما أي مسرعين معرضين وهو أن ينزه المرء نفسه ويكرمها عن هذه المجالس السيئة (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا) قيل معناه أنه ليس فيه نفي الخروا إنما هو إثبات له ونفي الصمم والعمى والمعنى إذا ذكروا بها أكبوا على استماعها بأذان واعية وأقبلوا على المذكور بها بعيون مبصرة راعية . وقيل معناه لم يخروا أي لم يسقطوا ولم يقعوا عليها صما وعميانا كأنهم بأذانهم صمم وبأعينهم عمى بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيقبعونه . قوله عز وجل (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قررة أعين) يعني أربارا أتقياء صالحين فيقرون أعيننا بذلك قيل ليس شيء أقر لعين المؤمن من أن يرى زوجته وأولاده مطيعين لله عز وجل فيقطع أن يخلوا معه في الجنة فيتم سروره وتقر عينه بذلك وقيل إن العرب تذكّر قررة العين عند السرور والفرح وبخنة العين عند الغم والحزن ويقال دمع العين عند السرور والفرح بارد وعند الحزن حار وقيل معنى قررة العين

رواية ابن أبي نعيم عن مجاهد نظيره قوله وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقال السدي وهي منسوخة بآية القتال قال الحسن والكلبي اللغو المعاصي أن كلها يعني إذا مروا بمجالس اللغو والباطل مروا كراما مسرعين يقال تكرم فلان عما يشينه إذا تنزه وأكرم نفسه عنه (والذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا) لم يقعوا ولم يسقطوا (عياها صما وعميانا) كأنهم صمم عمى بل يسمعون ما يذكرون به فيفهمونه ويرون الحق فيه فيقبعونه . قال القتيبي لم يتغافلوا عنها كأنهم صمم لم يسمعوها وعمى لم يروها (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا) قرأ بغير ألف أبو عمرو وحذرة والكسائي وأبو بكر وقرأ الباقون بالألف على الجمع (قررة أعين)

يعني اولادا ابرارا اتقياء يقولون اجعلهم صالحين فمقر أعيننا بذلك قال القرظي ليس شئ اقرعين المؤمن من ان يرى وجهه
 واولاده مطيعين لله عز وجل وقال الحسن ووجد القرة لانها مصدر واصلها من القر لان العرب تأذي من الحر وتستروح الى
 البرد وتذكر قرة العين عند السرور ومسخة العين عند الحزن ويقال دمع العين عند السرور بارد وعند الحزن حار ، وقال
 الأزهرى معنى قرة العين ان يصادف قلبه من برضاه فمقر عينه به عن النظر الى غيره (واجعلنا للمتقين إماما) يعني أئمة
 يقتدون في الخير بناولم يقل أئمة كقوله تعالى وانار رسول رب العالمين وقيل أراد أئمة كقوله فانهم عدوا لى يعني أعداء ويقال أميرنا
 هؤلاء أى أمراؤنا وقيل لأنه مصدر كالصيام والقيام يقال أم إماما كما يقال قام قياما وصام صياما قال الحسن نقضى بالمتقين
 ويقتدى بنا المتقون . وقال ابن عباس اجعلنا أئمة هداة كما قال وجعلناهم أئمة يهتدون بأمرنا ولا تجعلنا أئمة ضلالة ، كما قال
 وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار وقيل هذا من المقلوب يعنى واجعل المتقين لنا إماما واجعلنا مؤتمين مقتدين بهم وهو قول مجاهد
 (أولئك يجزون) يعنى يتالون (الغرفة) يعنى الدرجة الرفيعة فى الجنة . والغرفة (١١١) كل بناء مرتفع عال وقال عطاء

يريد غرف الدر والزبرجد
 فى الجنة (بما صبروا) على
 أمر الله تعالى وطاعته
 وقيل على أذى المشركين
 وقيل عن الشهوات
 (ويلقون فيها) قرأ
 حمزة والكسائى وأبو بكر
 يفتح الياء وتخفيف القاف
 كما قال فسوف يلقون غيا
 وقرأ الآخرون بضم الياء
 وتشديد القاف كما قال
 ولقاهم نضرة وسرورا
 وقوله (نحية) أى ملكا
 وقيل بقاء دائما (وسلاما)
 أى يسلم بعضهم على
 بعض وقال الكلبى يحى
 بعضهم بعضا بالسلام

أن يصادف قلبه من برضاه فمقر عينه به عن النظر إلى غيره (واجعلنا للمتقين إماما) يعنى
 يقتدون فى الخير بنا . وقيل معناه يقتدى بالمتقين وتقتدى بنا المتقون وقال ابن عباس اجعلنا
 أئمة هدى وقيل معناه أنهم سألوا الله أن يبلغهم فى الطاعات المبلغ الذى يشار إليهم فيه
 ويقتدى بهم قال بعضهم فيه دليل على أن الرياسة فى الدين مطلوبة مرغوب فيها وقيل هذا
 من المقلوب معناه واجعل المتقين لنا إماما واجعلنا مقتدين مؤتمين بهم (أولئك يجزون) أى
 يتالون (الغرفة) الدرجة العالية الرفيعة فى الجنة وقيل يريد غرف الدر والزبرجد والؤلؤ
 والياقوت فى الجنة (بما صبروا) يعنى على طاعة الله تعالى وأوامره وعلى أذى المشركين وقيل
 بما صبروا عن الشهوات (ويلقون فيها نحية) أى ملكا وقيل بقاء دائما (وسلاما) أى يسلم بعضهم
 على بعض أو يرسل الرب عز وجل إليهم بالسلام وقيل سلاما أى سلامة من الآفات . قوله تعالى
 تعالى (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) أى موضع قرار وإقامة . قوله تعالى (قل ما يعبا بكم
 ربى) أى ما يصنع وما يفعل بكم فوجودكم وعدمكم سواء وقيل معناه أى وزن ومقدار لكم عنده
 (لولا دعاؤكم) إياه قيل معناه لولا عبادتكم إياه وقيل لولا إيمانكم وقيل لولا دعاؤه إياكم إلى
 الإيمان فاذا آمنتم ظهر لكم عنده قدر . وقيل معناه ما يعبا بخلقكم ربى لولا عبادتكم وطاعتكم
 والمعنى أنه خلقكم لطاعته وعبادته وهذا قول ابن عباس وقيل معنى ما يعبا أى ما يبالى بمغفرتكم
 ربى لولا دعاؤكم معه آلهة . وقيل معناه ما خلقتكم ولى إليكم حاجة إلا أن تسألونى فأعطيكم
 وتستغفرونى فأغفر لكم (فقد كذبتم) أيها الكافرون يخاطب أهل مكة يعنى أن الله دعاكم إلى
 توحيدى وعبادته على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذبتم الرسول ولم تجيبوه إلى الإيمان

ويرسل الرب إليهم بالسلام وقيل سلاما أى سلامة من الآفات (خالدين فيها حسنت مستقرا ومقاما) أى موضع قرار
 وإقامة (قل ما يعبا بكم ربى) قال مجاهد وابن زيد أى ما يصنع وما يفعل بكم قال أبو عبيدة يقال ما عبات به شئنا أى
 لم أعده فوجوده وعدمه سواء مجازة أى وزن وأى مقدار لكم عنده (لولا دعاؤكم) إياه وقيل لولا إيمانكم وقيل لولا عبادتكم
 وقيل لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام فاذا آمنتم ظهر لكم قدر . وقال قوم معناها قل ما يعبا بخلقكم ربى لولا عبادتكم وطاعتكم
 إياه يعنى أنه خلقكم لعبادته كما قال وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . وهذا قول ابن عباس ومجاهد وقال قوم قل
 ما يعبا ما يبالى بمغفرتكم ربى لولا دعاؤكم معه آلهة أو ما يفعل بعبادكم لولا شرككم كما قال الله تعالى وما يفعل الله بعبادكم إن
 شكرتم وآمنتم . وقيل ما يعبا بعبادكم لولا دعاؤكم إياه فى الشدائد كما قال فاذا ركبوا فى الفلك دعوا الله وقال فأخذناهم بالأساء
 والضراء لعلمهم بتضرعون . وقيل قل ما يعبا بكم ربى لولا دعاؤكم . يقول ما خلقتكم ولى إليكم حاجة إلا أن تسألونى فأعطيكم
 وتستغفرونى فأغفر لكم (فقد كذبتم) أيها الكافرون يخاطب أهل مكة يعنى أن الله دعاكم بالرسول إلى توحيدى وعبادته

فقد كذبهم الرسول ولم يجيبوه (فسوف يكون لزاما) هذا تهديد لهم أى يكون تكذيبكم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل أبو عبيدة هلاكا وقال ابن زيد قتالا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله وقال ابن جرير عذابا دائما وهلاكا مقبلا بلحق بعضهم ببعض واختلفوا فيه فقال قوم هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأمر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ومجاهد ومقاتل يعنى أنهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة لازما لهم أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص بن غياث ، أنا أبي ، أنا الأعمش عن مسروق قال : قال عبدالله وخمس قد مضى الدخان والقمر والروم والبطشة والزرار وقيل الزرار هو عذاب الآخرة .
 (سورة الشعراء)

مكية إلا أربع آيات من آخر (١١٣) السورة من قوله والشعراء يتبعهم الغاؤون وهي مائتان وسبع وعشرون

(فسوف يكون لزاما) هذا تهديد لهم أى يكون تكذيبهم لزاما قال ابن عباس موتا وقيل هلاكا وقيل قتالا والمعنى يكون التكذيب لازما لمن كذب فلا يعطى التوبة حتى يجازى بعمله . وقيل معناه عذابا دائما وهلاكا لازما لمن كذب مفتيا بلحق بعضهم بعضا وقيل هو يوم بدر قتل منهم سبعون وأمر سبعون وهو قول عبد الله بن مسعود وأبي بن كعب يعنى أنهم قتلوا يوم بدر واتصل بهم عذاب الآخرة لازما لهم (ق) عن عبد الله بن مسعود قال « خمس قد مضى الدخان والزرار والروم والبطشة والقمر وفي رواية الدخان والقمر والروم والزرار والبطشة ، والله سبحانه وتعالى أعلم .
 (تفسير سورة الشعراء)
 وهي مكية إلا أربع آيات من آخر السورة من قوله تعالى « والشعراء يتبعهم الغاؤون » وهي مائتان وسبع وعشرون آية وألف ومائتان وتسع وسبعون كلمة وخمسة آلاف وخمسة مائة وأربعون حرفا وروى عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال « أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام » .
 (بسم الله الرحمن الرحيم)
 قوله عز وجل (طسم) قال ابن عباس طسم عجزت العلماء عن علم تفسيرها وفي رواية أخرى عنه أنه قسم وهو من أسماء الله تعالى وقيل اسم من أسماء القرآن وقيل اسم السورة وقيل قسم بطوله وسنائه وملكه (تلك آيات) أى هذه الآيات آيات (الكتاب المبين) قيل لما كان القرآن فيه دلالات التوحيد والإعجاز الدالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ودلائل الأحكام أجمع ثبت بذلك أن آيات القرآن كافية مبينة لجميع الأحكام (لعلك باخع نفسك) أى قاتل نفسك (ألا يكونوا مؤمنين) أى إن لم يؤمنوا وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على إيمانهم فأزل الله عز وجل هذه الآية (إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) أى لو شاء الله لأنزل عليهم آية يذلون بها فلا يلوى أحد منهم عنقه إلى معصية الله سبحانه وتعالى . وقيل معناه لو شاء الله لأراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية .

آية ، وروينا عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « أعطيت طه والطواسين من ألواح موسى عليه الصلاة والسلام » (بسم الله الرحمن الرحيم) (طسم) قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر طسم وطس وحم ويس بكسر الطاء والياء والحاء وقرأ أهل المدينة بين الفتح والكسر وقرأ الآخرون بالفتح على التضمين وأظهر النون من السين عند الميم في طسم أبو جعفر وخمزة وأخفاها الآخرون وروى عن عكرمة عن ابن عباس قال طسم عجزت

العلماء عن علم تفسيرها وروى على بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس أنه قسم وهو من أسماء الله تعالى وقال قتادة اسم من أسماء القرآن وقال مجاهد اسم للسورة قال محمد بن كعب القرظي أقسم الله بطوله وسنائه وملكه (تلك) أى هذه (آيات الكتاب المبين لعلك باخع) قاتل (نفسك ألا يكونوا مؤمنين) أى إن لم يؤمنوا وذلك حين كذبه أهل مكة فشق عليه ذلك وكان يحرص على إيمانهم فأزل الله هذه الآية (إن نشأ نزل عليهم من السماء آية فظلت أعناقهم لها خاضعين) قال قتادة لو شاء الله لأنزل عليهم آية يذلون بها فلا يلوى أحد منهم عنقه إلى معصية الله وقال ابن جرير معناه لو شاء الله لأراهم أمرا من أمره لا يعمل أحد منهم بعده معصية وقوله عز وجل خاضعين ولم يقل خاضعة وهي صفة الأعناق ففيه أقاويل أحدها أراد أصحاب الأعناق فحذف الأوصاف وأقام الأعناق مقامهم لأن الأعناق إذا خضعت فأربابها خاضعون جعل الفعل أولا للأعناق ثم جعل خاضعين للرجال وقال الأخفش رد الخوض على المضمر

الذي أضاف الأعتاق إليه وقال قوم ذكر الصفة لها ورثها المذكور وهو قوله هم على عادة العرب في تذكير المؤنث إذا أضافوه إلى مذكر وتأنيث المذكور إذا أضافوه إلى مؤنث ، وقبل أراد فظلوا خاضعين فعبروا بالعتق عن جميع البدن كقوله ذلك بما قدمت يداك - وأزمناء طائره في عنقه ، وقال مجاهد أراد بالأعتاق الرؤساء والكبراء أي فظلت كبر ثؤم خاضعين وقيل أراد بالأعتاق الجماعات يقال جاء القوم عنقا عنقا أي جماعات وطوائف وقيل إنما قال خاضعين على وفاق رموس الآي ليكون على نسق واحد (وما يأتيهم من ذكر) وعظ وتذكير (من الرحمن محدث) أي محدث إنزاله فهو محدث في التنزيل . قال الكلبي كلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول (إلا كانوا عنه معرضين) أي عن الإيمان به (فقد كذبوا فسيأتهم) أي فسوف يأتيهم (أنباء) أخبار وعواقب (١١٣) ما كانوا به يستهزئون أولم يروا إلى الأرض كم أنبتنا

فان قلت كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الأعتاق . قلت أصل الكلام فظلوا لها خاضعين فأقحمت الأعتاق لبيان الخضوع وترك الكلام على أصله أو لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين . وقيل أعتاق الناس رؤسائهم ومقدمهم أي فظلت كبرائهم لها خاضعين وقيل أراد بالأعتاق الجماعات يقال جاء عنق من الناس أي جماعة قوله تعالى (وما يأتيهم من ذكر من الرحمن) أي وعظ وتذكير (محدث) أي محدث إنزاله فهو محدث التنزيل وكلما نزل شيء من القرآن بعد شيء فهو أحدث من الأول (إلا كانوا عنه معرضين) أي عن الإيمان به (فقد كذبوا فسيأتهم) أي فسوف يأتيهم (أنباء) أي أخبار وعواقب (ما كانوا به يستهزئون أولم يروا إلى الأرض) يعني المشركين (كم أنبتنا فيها) أي بعد أن لم يكن فيها نبات (من كل زوج كريم) أي جنس ونوع وصنف حسن من النبات مما يأكل الناس والأنعام وقال الشعبي الناس من نبات الأرض فمن دخل الجنة فهو كريم ومن دخل النار فهو لئيم (إن في ذلك) أي الذي ذكر (آية) تدل على أنه واحد أي دلالة على كمال قدرتنا وتوحيدينا كما قيل :

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

(وما كان أكثرهم مؤمنين) أي سبق علمي فيهم أن أكثرهم لا يؤمنون ولا يصدقون (وإن ربك ذو العزيز) أي المنتقم من أعدائه (الرحيم) ذو الرحمة لأوليائه : قوله تعالى (وإذ نادى) أي واذكر يا محمد إذ نادى (ربك موسى) أي حين رأى الشجرة والنار (أن اتت القوم الظالمين) يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي وظلموا بني إسرائيل باستعبادهم وسرهم سوء العذاب (قوم فرعون) يعني القبط (ألا يتقون) أي يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته والإيمان به (قال) يعني موسى (رب) أي يارب (إنى أخاف أن يكذبون ويضيق صدري) أي يتكذبون إياي (ولا ينطق لسانى) أي للعقدة التي كانت على لسانه (فأرسل إلى هارون) ليوازرني ويعينني على تبليغ الرسالة (ولهم على ذنب) أي دعوى ذنب وهو قتله القبطي (فأخاف أن يقتلون) أي به (قال) الله تعالى (كلا) أي لن يقتلوك (فاذهب بآياتنا إنا معكم مستمعون) أي سامعون ما تقولون وما يقال لكم . فان قلت كيف ذكرهم بلفظ الجمع في قوله معكم وهما

(١٥ - خازن بالبغوى - خامس) بأوليائه قوله عز وجل (وإذ نادى ربك موسى) واذكر يا محمد إذ نادى ربك موسى حين رأى الشجرة والنار (أن اتت القوم الظالمين) يعني الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعصية وظلموا بني إسرائيل باستعبادهم وسومهم سوء العذاب (قوم فرعون ألا يتقون) ألا يصرفون عن أنفسهم عقوبة الله بطاعته (قال) يعني موسى (رب لى أخاف أن يكذبون ويضيق صدري) يتكذبون إياي (ولا ينطق لسانى) قال هذا للعقدة التي كانت على لسانه قرأ يعزوب ويضيق ولا ينطق بنصب القافين على معنى وأن يضيق وقرأ العامة يرفعهما ردا على قوله (فإخاف) فأرسل إلى هارون (ليوازرني ويظاهرنى على تبليغ الرسالة) (ولهم على ذنب) أي دعوى ذنب وهو قتله القبطي (فأخاف أن يقتلون) أي يقتلونني به (قال) الله تعالى (كلا) أي لن يقتلوك (فاذهب بآياتنا إنا معكم مستمعون) سامعون ما تقولون ذكر معكم بلفظ

الجمع وهما اثنا عشر مجرى الجماعة وقيل أراد معكما ومع بني إسرائيل نسج ما يجيبكم فرعون (فأتيا فرعون فقولا
 إنا رسول رب العالمين) ولم يقل رسول رب العالمين لأنه أراد الرسالة أي أنا ذو رسالة رب العالمين كما قال كثير
 لقد كذب الواشون ما بحت عندهم بسر ولا أرسلتهم برسول

أي بالرسالة وقال أبو عبيدة يجوز أن يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع تقول العرب هذا رسولى ووكيلى وهذان
 وهؤلاء رسولى ووكيلى كما قال الله تعالى وهم لكم عدوه وقيل معناه كل واحد منا رسول رب العالمين (أن أرسل) أي بأن
 أرسل (معنابى إسرائيل) أي إلى (١١٤) فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون استعبدهم أربعمئة سنة وكانوا

في ذلك الوقت ستائة
 ألف وثلاثين ألفا فاطلق
 موسى إلى مصر وهارون
 بها فأخبره بذلك وفي
 القصة أن موسى رجع
 إلى مصر وعليه جبة
 صوف وفي يده عصا
 والمكئل معلق في رأس
 العصا وفيه زاده فدخل
 دار نفسه وأخبر هارون
 بأن اقتدأرسلنى إلى فرعون
 وأرسلنى إليك حتى تدعو
 فرعون إلى الله فخرجت
 أمهما وصاحت وقالت
 إن فرعون يطلبك
 ليقتلك فلو ذهبنا
 إليه قتلكما فلم يمتعا
 لقولها وذهبا إلى باب
 فرعون ليلا ودق الباب
 ففزع البوابون وقال
 من بالباب وروى أنه
 اطلع البواب عليها
 فقال من أنتم فقال
 موسى أنا رسول رب

الثنان . قلت أجراهما مجرى الجماعة وهو جائز في لغة العرب (فأتيا فرعون فقولا إنا رسول
 رب العالمين) فان قلت هلاثنى الرسول كما في قوله فأتياه فقولا إنا رسولا ربك . قلت الرسول
 قد يكون بمعنى المرسل وبمعنى الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله
 هنا بمعنى الرسالة فجازت التسوية فيه إذا وصف به الواحد والتثنية والجمع والمعنى أنا ذو
 رسالة كما قال كثير .

لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم بشيء ولا أرسلتهم برسول
 أي رسالة وقيل لأنها لاتفاقهما في الرسالة والشريعة والإخوة فصارا كأنهما رسول
 واحد وقيل كل واحد منا رسول رب العالمين (أن أرسل معنابى إسرائيل) أي خلهم وأطلقهم
 معنا إلى أرض فلسطين ولا تستعبدهم وكان فرعون قد استعبدهم أربعمئة سنة وكانوا في ذلك
 الوقت ستائة ألف وثلاثين ألفا فاطلق موسى رسالة ربه إلى مصر وهارون بها فأخبره بذلك
 وفي القصة أن موسى رجع إلى مصر وعليه جبة صوف وفي يده عصاه والمكئل معلق في رأس
 العصا وفيه زاده فدخل دار نفسه وأخبر هارون أن الله قد أرسلنى إلى فرعون وأرسل إليك
 ندعو فرعون إلى الله تعالى فخرجت أمهما فصاحت وقالت إن فرعون يطلبك ليقتلك فإذا
 ذهبت إليه قتلك فلم يمتنع لقولها وذهبا إلى باب فرعون وذلك بالليل فدقا الباب ففزع البوابون
 وقالوا من الباب فقال أنا موسى رسول رب العالمين فذهب البوابون إلى فرعون وقالوا إن
 مجنوننا بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين فترك حتى أصبح ثم دعاها وقيل لأنها انطلقا
 جديعا إلى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول ثم دخل البواب فقال لفرعون ها هنا إنسان
 يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك منه فدخلا على فرعون
 وأديا رسالة الله تعالى فعرف فرعون موسى لأنه نشأ في بيته (فقال) له (ألم تربك فينا وليدا)
 يعنى صبيا (وليت فينا من عمرك سنين) أي ثلاثين سنة (وفعلت فعلتك التي فعلت) يعنى
 قتل القبطى (وأنت من الكافرين) قال أكثر المفسرين من الجاحدين نعمتى وحقى تربيتى
 يقول ربيناك فينا فكافأنا أن قتلنا منا نفسا وكفرت نعمتنا وهي رواية عن ابن عباس قال
 إن فرعون لم يكن يعلم الكفر بالربوبية ولأن الكفر غير جائز على الأنبياء لا قبل النبوة ولا

بعدها

العالمين فذهب البواب إلى فرعون وقال إن مجنوننا بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين

فنزول حتى أصبح ثم دعاها وروى أنها انطلقا جميعا إلى فرعون فلم يؤذن لهما سنة في الدخول عليه فدخول البواب وقال
 لفرعون ها هنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون ائذن له لعلنا نضحك منه فدخلا عليه وأديا رسالة الله
 عز وجل فعرف فرعون موسى لأنه نشأ في بيته (فقال ألم تربك فينا وليدا) صبيا (وليت فينا من عمرك سنين) وهو ثلاثون سنة
 (وفعلت فعلتك التي فعلت) يعنى قتل القبطى (وأنت من الكافرين) قال الحسن والسدي يعنى وأنت من الكافرين بالملك الذى
 ندعوه ومعناه على ديننا هذا الذى نعبه وقال أكثر المفسرين معنى قوله وأنت من الكافرين يعنى من الجاحدين لنعنى
 وحقى تربيتى يقول ربيناك فينا فكافأنا أن قتلنا منا نفسا وكفرت نعمتنا وهذا رواية العوفي عن ابن عباس ، وقال إن

فرعون لم يكن يعلم ما الكفر بالرؤية (قال) موسى (فعلتها إذا) أى فعلت ما فعلت حيث (وأنا من الضالين) أى مع الجاهلين لم يأتني من الله شيء وقيل من الجاهلين بأن ذلك يؤدي إلى قتله وقيل من الضالين عن طريق الصواب مع غير تعدد وقيل مع الخطئين (ففررت منكم لما خفتكم) إلى مدين (فوهب لي ربي حكما) يعنى النبوة وقال مقاتل يعنى العلم والفهم (وجعلني مع المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل) اختلفوا في تأويلها فحملها بعضهم على الإقرار وبعضهم على الإنكار فقيل قال هو إقرار قال عددا موسى نعمة منه عليه حيث رياه ولم يقتله كما قتل سائر علمان بني إسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بني إسرائيل مجازة بلى وتلك نعمة لك على أن عبدت بني إسرائيل وتركتني فلم تستعبدني ومن قال هو إنكار قال قوله وتلك نعمة هو على طريق الاستفهام أى أوتيتك نعمة حذف ألف (١١٥) الاستفهام كقوله فهم المخالمون

قال الشاعر :

روح من الحى أم
تبكر
وماذا يضرك لو
تنتظر
أى روح من الحى ، قال
عمر بن عبد الله بن
أبي ربيعة

بعدها وقيل معناه وأنت من الكافرين بفرعون وإلهيته (قال) يعنى موسى (فعلتها إذا وأنا من الضالين) أى من الجاهلين بأن ذلك يؤدي إلى قتله لأن فعل الوكرة على وجه التأديب لا على وجه القتل وقيل من الضالين عن طريق الصواب وقيل مع الخطئين (ففررت منكم) أى إلى مدين (لما خفتكم فوهب لي ربي حكما) يعنى النبوة وقيل العلم والفهم (وجعلني مع المرسلين وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل) أى اتخذتهم عبيدا قيل عددا موسى نعمة منه عليه حيث رياه ولم يقتله كما قتل ولدان بني إسرائيل ولم يستعبده كما استعبد بني إسرائيل فيكون معنى الآية وتلك نعمة تمنها على أن عبدت بني إسرائيل وتركتني فلم تستعبدني وقيل هو على طريق الإنكار ومعنى الآية أو تلك نعمة على طريق الاستفهام فحذف الألف كما قال عمر ابن عبد الله بن ربيعة :

لم أنس يوم الرحيل وقتها
وطرفها مع دموعها غرق
وقولها والركاب واقفة
تركتني هكنا وتطلق

لم أنس يوم الرحيل
وقفتها
وطرفها في دموعها
غرق
وقولها والركاب واقفة
تركتني هكنا وتطلق
أى أتركتني يقول تمن
على أن ربيتي وتلمس
جنايتك على بني
إسرائيل بالاستعباد
والمعاملات القبيحة
أو يريد كيف تمن على

أى أتركتني ، والمعنى آمن على أن ربيتي وتلمس جنايتك على بني إسرائيل بالاستعباد والمعاملات القبيحة أو يريد كيف تمن على بالتربية وقد استعبدت قومي ومن أمهين قومه فقد ذل فتعبد بني إسرائيل قد أحبط حسانتك لى ولو لم تستعبدهم ولم تقتل أولادهم لم أرفع إليك حتى تزييني وتكلفني ولكان لى من أهلى من يريينى ولم يلغوني في اليم (قال فرعون وما رب العالمين) يقول أى شيء رب العالمين الذى تزعم أنك رسوله أى يستوصفه إله الذى أرسله إليه وهو سؤال عن جلس الشيء والله تعالى منزّه عن الجنسية والماهية فلهذا عدل موسى عن جوابه وأجابه بذكر أفعاله وآثار قدرته التى تعجز الخلائق عن الإتيان بمثلها (قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين) أنه خالقتها فاعرفوا أنه لا يمكن تعريفه إلا بما ذكرته لكم فإن أيقنتم بذلك لزمكم أن تقطعوا أنه لا جواب لكم عن هذا السؤال إلا ما ذكرته من الجواب وقال أهل المعاني أى كما توقعون هذه الأشياء التى تعابونها فأيقنوا أن إله الخلق هو الله تعالى الذى خلقها وأوجدها فلما قال ذلك موسى تخير فرعون في جواب

بالتربية وقد استعبدت قومي ومن أمهين قومه ذل فتعبدك بني إسرائيل قد أحبط إحسانك لى ، وقيل معناه تمن على بالتربية ، وقوله أن عبدت بني إسرائيل أى باستعبادك بني إسرائيل وقتلت أولادهم دفعت إليك حتى ربيتي وكفنتني ، ولو لم تستعبدهم وقتلتهم كان لى من أهلى من يريينى ولم يلغوني في اليم فأى نعمة لك على قوله عبدت أى اتخذتهم عبيدا يقال عبدت فلانا وأعبدته وتعبدته واستعبدته أى اتخذته عبدا (قال فرعون وما رب العالمين) يقول أى شيء رب العالمين الذى تزعم أنك رسوله إله الذى أرسله إليه مما هو سؤال عن جلس الشيء والله منزّه عن الجنسية فأجابه موسى عليه السلام بذكر أفعاله التى يعجز الخلق عن الإتيان بمثلها (قال رب السموات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين) أنه خالقتها . قال أهل المعاني أى كما توقعون هذه الأشياء التى تعابونها فأيقنوا أن إله الخلق هو الله عز وجل فلما قال موسى ذلك تخير

(لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) موسى وقيل إنما قالوا ذلك على طريق الاستهزاء وأرادوا بالسحرة موسى وهارون وقومهما (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين ؟ قال نعم وإنكم لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حياهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنحن الغالبون فأتى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون فأتى السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون قال آمنتم له (١١٧) قبل أن أذن لكم إنه لكبيركم

الذي علمكم السحر
فلسوف تعلمون لأقطعن
أيديكم وأرجلكم من
خلاف وأصلبتكم
أجمعين قالوا لا ضير
لا ضرر (إنا إلى ربنا
منقلبون إنا نطمع أن
يفغر لنا ربنا خطايانا أن
كننا) لأن كنا (أول
المؤمنين) من أهل زماننا
(وأوحينا إلى موسى أن
أسر بعبادي إنكم متبعون)
يتبعكم فرعون وقومه
ليحاولوا بينكم وبين
الخروج من مصر وروى
عن ابن جرير قال أوحى
الله تعالى إلى موسى أن
أجمع بني إسرائيل كل
أهل أربعة آيات في بيت
ثم اذبحوا أولاد الضأن
فاضربوا بدماها على
أبوابكم فأتى سائر
الملائكة فلا يدخلوا بيوتا
على بابهم دم وسأمرها
فتقتل أبقار آل فرعون
من أنفسهم وأموالهم ثم
اخزوا نخزا فظيرا
فانه أسرع لكم ثم أسر

الغلبة (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) لموسى قيل أراد بالسحرة موسى وهارون وقالوا ذلك على طريقة الاستهزاء (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين) طلبوا من فرعون الجزاء وهو بذل المال والجاه فبذل لهم ذلك كله وأكله بقوله (قال نعم وإنكم إذا لمن المقربين قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون فألقوا حياهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون) أي بعظمة فرعون (إنا لنحن الغالبون فأتى موسى عصاه فإذا هي تلقف ما يأفكون) أي ما يقبلونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم قيل إن عصى موسى صارت حية وابتلعت كل ما رموه من حياهم وعصيهم ثم أخذها موسى فإذا هي كما كانت أول مرة (فأتى السحرة ساجدين) قيل إنهم لما رأوا ما جاوز حد السحر علموا أنه ليس بسحر ثم لم يتألكوا أن خروا ساجدين ثم إنهم (قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون) وإنما قالوا رب موسى وهارون لأن فرعون كان يدعى الربوبية فأرادوا عزله (قال آمنتم له قبل أن أذن لكم إنه لكبيركم الذي علمكم السحر فلسوف تعلمون) فيه وعيد مطلق وتهديد شديد ثم بين ذلك الوعيد فقال (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف وأصلبتكم أجمعين قالوا لا ضير لنا إلى ربنا منقلبون) أي لا ضرر علينا فيما ينالنا في الدنيا لأننا نتقلب ونصير إلى ربنا في الآخرة مؤمنين مؤملين غفرانه وهو قولهم (إنا نطمع أن يفغر لنا ربنا خطايانا) أي الكفر والسحر (أن) أي لأن (كنا أول المؤمنين) أي من أهل زماننا وقيل أول المؤمنين أي من الجماعة الذين حضروا ذلك الجمع . قوله تعالى (وأوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي إنكم متبعون) أي يتبعكم فرعون وقومه ليحاولوا بينكم وبين الخروج قيل أوحى الله إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل كل أهل أربعة آيات في بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن فاضربوا بدماها على أبوابكم فأتى سائر الملائكة فتقتل أبقار آل فرعون من أنفسهم وأمرهم أن لا يدخلوا بيوتا على بابهم دم ثم اخزوا نخزا فظيرا فانه أسرع لكم ثم أسر بعبادي حتى تنتهي إلى البحر فيأتيتك أمري ففعل ذلك موسى ثم إن قوم موسى قالوا لقوم فرعون أن لنا في هذه الليلة عيدا فاستأروا منهم حياهم ثم خرجوا بتلك الأموال في الليل إلى جهة البحر فلما سمع فرعون ذلك قال هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبقارنا من أنفسنا وأخذوا أموالنا (فأرسل فرعون في المداين حاشرين) يعني الشرط يحشرون الجيش قبل كانت المداين ألف مدينة واثني عشر ألف قرية فأرسل فرعون في أمر موسى وقومه ألف ألف وخمسة آلاف وخرج فرعون في الكرمي العظيم في مائتي ألف ملك مسورين مع كل ملك ألف فلذلك قال (إن هؤلاء لشردمة قائلون) قال أهل التفسير كانت الشردمة الذين قتلهم فرعون ستمائة ألف مقاتل لم يعد ودون العشرين وفوق الستين سنة وقال ابن مسعود كانت ستمائة ألف وسبعين ألفا ولا يحصى عدد أصحاب فرعون

بعبادي حتى تنتهي إلى البحر فيأتيتك أمري ففعل ذلك فلما أصبحوا قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبقارنا من أنفسنا وأخذوا أموالنا فأرسل في أمره ألف ألف وخمسة آلاف ملك مسور مع كل ملك ألف وخرج فرعون في الكرمي العظيم (فأرسل فرعون في المداين حاشرين) يحشرون الناس يعني الشرط ليجمعوا السحرة وقيل حتى يجمعوا له الجيش وذكر بعضهم أنه كان له ألف مدينة واثني عشر ألف قرية وقال لهم (إن هؤلاء لشردمة) عصابة (قائلون) والشردمة القطعة من الناس غير الكثير وجمعها شرادم قال أهل التفسير كانت الشردمة الذين قتلهم فرعون ستمائة ألف وعن ابن مسعود

قال كانوا سبائة وسبعين ألفا ولا يحصى عدد أصحاب فرعون (ولهم لنا لغائظون) يقال غاظه وأغاظه وغيظه إذا أغضبته والغيظ والغضب واحد يقول أغضبونا بمخالفتهم دبنا وقتلهم أبكارنا وذهايمهم بأموالنا التي استعاروها وخروجهم من أرضنا بغير إذن منا (وإنا لجمع حاذرون) قرأ أهل الحجاز والبصرة حذرون وقرهين بغير ألف وقرأ الآخرون حاذرون وقرهين بالألف فيها وما لغتان وقال أهل التصير حاذرون أي مؤدون ومقوون أي ذوو أداة وقوة مستعدون شاكون في السلاح ومعنى حذرون أي خائفون شرهم وقال الزجاج الحاذر المستعد والحذر المستيقظ وقال القراء الحاذر الذي يحذر الآن والحذر الخوف وكذلك (١١٨) لانتفاه لإحذرا والحذر اجتناب الشيء خوفا منه (فأخرجناهم من جنات)

وفي القصة أن البساتين كانت ممتدة على حافتي النيل (وعيون) أنهار جارية (وكنوز) يعني الأموال الظاهرة من الذهب والفضة. قال مجاهد سماها كنوزا لأنه لم يعط حق الله منها وما لم يعط حق الله منه فهو كنز وإن كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق في عتق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى (ومقام كريم) أي مجلس جمالس الأمراء والرؤساء التي كانت لهم بين يديه ثمانمائة كرمي من ذهب يجلس عليها الأشراف من قومه والأمراء وعليهم أقبية الديقاج مخصوصة بالذهب والمعنى أنا أخرجناهم من بساتينهم التي فيها العيون وأموالهم ومجالسهم الحسنة (كذلك) أي كما وصفنا (وأورثناها بني إسرائيل) وذلك أن الله عز وجل رد بني إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والأماكن الحسنة (فأتبعوهم مشرقين) أي لحق فرعون وقومه موسى وأصحابه وقت شروق الشمس وهو إضاعتها (فلما تراءى الجمعان) يعني تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) أي سيدركنا فرعون وقومه ولا طاقة لنا بهم (قال) أي موسى لئن وعد الله تعالى إياه (كلا) أي لن يدركونا (إن معي ربي سيهدين) يعني يدلني على طريق النجاة (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانلق) أي فضر به فانشق (فكان كل فرق) أي قطعة من الماء (كالطود) أي الجبل (العظيم) قبل لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر حاجت الرياح فصار البحر يرى بموج كالجبال قال يوشع يا كلم الله أن أمرت قمر شيبنا فرعون من خلفنا والبحر أمامنا قال موسى ها هنا فخاض يوشع الماء لا يوارى حافر دابته وقال الذي يكتم إيمانه يا كلم الله أن أمرت قال ها هنا فكسبح فرسه فصكه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم أقحمه البحر فارتسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدرُوا فجعل

(ولهم لنا لغائظون) الغيظ الغضب يعني أنهم أغضبونا بمخالفتهم فينا وقتلهم أبكارنا وذهايمهم بأموالنا التي استعاروها وخروجهم من أرضنا بغير إذن منا (وإنا لجمع حاذرون) أي خائفون من شرهم وقرهين حذرون أي ذوو قوة وأداة شاكون السلاح وقيل الحاذر الذي يحذر الآن بالتحقيق من المتلبس بحمل السلاح والحذر الذي لانتفاه إلا خائفا (فأخرجناهم من جنات وعيون) قيل كانت البساتين ممتدة في حافتي النيل فيها عيون وأنهار جارية (وكنوز) يعني الأموال الظاهرة من الذهب والفضة وسماها كنوزا لأنه لم يؤد حق الله منها وكل مال لم يعط ولم يؤد حق الله منه فهو كنز وإن كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانمائة ألف غلام كل غلام على فرس عتيق في عتق كل فرس طوق من ذهب قال الله تعالى (ومقام كريم) أي مجلس جمالس الأمراء والرؤساء التي كانت لهم بين يديه ثمانمائة كرمي من ذهب يجلس عليها الأشراف من قومه والأمراء وعليهم أقبية الديقاج مخصوصة بالذهب والمعنى أنا أخرجناهم من بساتينهم التي فيها العيون وأموالهم ومجالسهم الحسنة (كذلك) أي كما وصفنا (وأورثناها بني إسرائيل) وذلك أن الله عز وجل رد بني إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والأماكن الحسنة (فأتبعوهم مشرقين) أي لحق فرعون وقومه موسى وأصحابه وقت شروق الشمس وهو إضاعتها (فلما تراءى الجمعان) يعني تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) أي سيدركنا فرعون وقومه ولا طاقة لنا بهم (قال) أي موسى لئن وعد الله تعالى إياه (كلا) أي لن يدركونا (إن معي ربي سيهدين) يعني يدلني على طريق النجاة (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانلق) أي فضر به فانشق (فكان كل فرق) أي قطعة من الماء (كالطود) أي الجبل (العظيم) قبل لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر حاجت الرياح فصار البحر يرى بموج كالجبال قال يوشع يا كلم الله أن أمرت قمر شيبنا فرعون من خلفنا والبحر أمامنا قال موسى ها هنا فخاض يوشع الماء لا يوارى حافر دابته وقال الذي يكتم إيمانه يا كلم الله أن أمرت قال ها هنا فكسبح فرسه فصكه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم أقحمه البحر فارتسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدرُوا فجعل

(وأورثناها) يهلكهم (بني إسرائيل) وذلك أن الله تعالى رد بني إسرائيل إلى مصر بعد ما أغرق فرعون وقومه موسى فأعطاهم جميع ما كان لفرعون وقومه من الأموال والمسكن (فأتبعوهم مشرقين) يعني لحقوهم في وقت إشراق الشمس وهو إضاعتها أي أدرك قوم فرعون موسى وأصحابه وقت شروق الشمس (فلما تراءى الجمعان) يعني تقابلا بحيث يرى كل فريق صاحبه وكسر حمزة للمراء مع تراءى وفتحها الآخرون (قال أصحاب موسى إنا لمدركون) يعني سيدركنا قوم فرعون ولا طاقة لنا بهم (قال) أي موسى ثقة بوعد الله إياه (كلا) أي لن يدركونا (إن معي ربي سيهدين) يعني يدلني على طريق النجاة (فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانلق) يعني فضر به فانشق (فكان كل فرق) أي قطعة من الماء (كالطود العظيم) كالجبل

الضخم قال ابن جريج وغيره لما انتهى موسى إلى البحر هاجت الريح والبحر يرمى بموج مثل الجبال فقال يوشع يا ملكم
الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا قال موسى ها هنا فحاض يوشع الماء وبجاز البحر ما يورى حافر دابته الماء
وقال الذي يكتم إيمانه يا ملكم الله أين أمرت قال ها هنا فكبح فرسه بالجامه حتى طار الزبد من شذقيه ثم أقحمه البحر
فارتسب في الماء وذهب القوم يصنعون مثل ذلك فلم يقدرُوا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله إليه أن أضرب
بعصاك البحر فضره فانفلق فإذا الرجل واقف على فرسه لم يتزل سرجه ولا يده (وأزلقنا) يعني وقربنا (ثم الآخرين) يعني
قوم فرعون يقول قدمناهم إلى البحر وقربناهم إلى الهلاك وقال أبو عبيدة (١١٩) وأزلقنا جمعنا ومنه ليلة المزدلفة

أى ليلة الجمع وفي القصة
أن جبريل كان بين بني
إسرائيل وبين قوم
فرعون وكان يسوق
بني إسرائيل ويقولون
مارأينا أحسن مياقة
من هذا الرجل وكان
يزرع قوم فرعون وكانوا
يقولون مارأينا أحسن
زعة من هذا (وأنجينا
موسى ومن معه أجمعين
ثم أغرقنا الآخرين)
فرعون وقومه وقال
سعيد بن جبير كان
البحر ساكنا قبل ذلك
فلما ضربه موسى بالعصا
اضطرب فجعل عمدا
ويجزر (إن في ذلك آية
وما كان أكثرهم
مؤمنين) أي من أهل
مصر قيل لم يكن آمن
من أهل مصر إلا آسية
امرأة فرعون وحزقيل

موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله إليه أن أضرب بعصاك البحر فضره فانفلق فإذا
الرجل واقف على فرسه لم يتزل سرجه ولا يده (وأزلقنا ثم الآخرين) يعني قربنا فرعون
وجنوده إلى البحر وقدمناهم إلى الهلاك وقيل إن جبريل كان بين بني إسرائيل وبين قوم فرعون
يقول لبني إسرائيل ليلحق آخركم أو لكم ويقول للقبط وريدا لياحق آخركم أو لكم فكان
بنو إسرائيل يقولون مارأينا أحسن مياقة من هذا الرجل وكان قوم فرعون يقولون مارأينا
أحسن دعة من هذا الرجل (وأنجينا موسى ومن معه أجمعين ثم أغرقنا الآخرين) يعني أنه
تعالى جعل البحر يبسا حتى خرج موسى وقومه منه وأغرق فرعون وقومه وذلك أنهم لما
تكاملوا في البحر انطبق عليهم فأغرقهم (إن في ذلك آية) يعني ما حدث في البحر من اغرقه
آية من الآيات العظام الدالة على قدرته ومعجزة لموسى عليه السلام (وما كان أكثرهم
مؤمنين) يعني أهل مصر قبل لم يؤمن منهم إلا آسية امرأة فرعون وحزقيل مؤمن آل فرعون
ومريم ابنة مامويا التي دلت على قبر يوسف حين أخرجه موسى من البحر (وإن ربك هو
العزير الرحيم) قوله تعالى (واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون) يعني أي
شيء تعبدون وإنما قال إبراهيم ذلك مع علمه بأنهم عبدة للأصنام ليربهم أن ما يعبدونه ليس
من استحقاق العبادة في شيء (قالوا تعبد أصناما فنظف لها عاكفين) يعني تقم على عبادتها
وإنما قالوا نظف لأنهم كانوا يعبدونها بالنهار دون الليل (قال هل يسمعونكم) يعني يسمعون
دعاءكم (إذ تدعون أو ينصرونكم) يعني بالرزق (أو بضرون) يعني إن تركتم عبادتهم وإذا كان
كذلك فكيف يستحقون العبادة فلما لزمهم الحجة القاطعة (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك
يفعلون) المعنى أنها لا تسمع قولنا ولا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا ولكن اقتدينا بآبائنا في ذلك
وفي الآية دليل على إبطال التقليد في الدين وذمه ومدح الأخذ بالاستدلال (قال أفرأيت ما كنتم
تعبدون أنتم وآباؤكم الأقدمون) أي الأولون (فأنهم عدول) أي أعداءنا وإنما وحده على إرادة
الجنس. فان قلت كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي جمادات لا تعقل. قلت معناه فأنهم
عدول يوم القيامة لو عبدتهم في الدنيا وقيل إن الكفار لما عبدوها ونزلوها منزلة الأحياء
العقلاء أطلق إبراهيم لفظ العداوة عليها وقيل هو من المقلوب أراد فاني عدو لهم لأن من عاديته

المؤمن ومريم بنت مامويا التي دلت على عظام يوسف عليه السلام (وإن ربك هو العزير الرحيم) العزير في الانتقام
من أعدائه الرحيم بالمتؤمنين حين أنجاهم قوله (واتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون) أي شيء تعبدون
(قالوا زبد أصناما فنظف لها عاكفين) يعني تقم على عبادتها، قال بعض أهل العلم وإنما قال فنظف لأنهم كانوا يعبدونها
بالنهار دون الليل يقال ظل يفعل كذا إذا فعل بالنهار (قال هل يسمعونكم) أي هل يسمعون دعاءكم (إذ تدعون) قال ابن
عيسى يسمعون لكم (أو ينصرونكم) قيل بالرزق (أو بضرون) إن تركتم عبادتها (قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون)
معناه أنها لا تسمع قولنا ولا تجلب نفعا ولا تدفع ضرا لكن اقتدينا بآبائنا فيه إبطال التقليد في الدين (قال أفرأيت ما كنتم تعبدون
أنتم وآباؤكم الأقدمون) الأولون (فأنهم عدول) يعني أعداءنا، ووحده على معنى أن كل معبود لكم عدول في فان قيل كيف

يرصف الأصنام بالعداوة وهي جمادات قيل معناها أنهم عنو لى لوعبدالهم يوم القيامة كما قال تعالى وسيكفرون بعبادتهم
ويكونون عليه ضللا وقال القراء هو من المقلوب أراد فاني عدو لهم لأن من عاديته فقد عاداك وقيل فأنهم عدو لى على
معنى أنى لأنهم ولا أطلب من جهتهم نفعا كما لا يتولى العدو ولا يطلب من جهته النفع قوله (إلا رب العالمين) اختلفوا فى هذا
الاستثناء قيل هو استثناء منقطع كأنه قال فأنهم عدو لى لكن رب العالمين لى وقيل إنهم كانوا يعبدون الأصنام مع الله
فقال إبراهيم كل من تعبدون أعلمنى لإلرب العالمين وقيل إنهم غير معبود لى لإلرب العالمين فأنى أعبده وقال الحسين بن
الفضل معناه إلا من عبد رب العالمين ثم وصفت معبوده فقال (الذى خلقنى فهو يهدين) أى يرشدنى إلى طريق النجاة (والذى
هو يطعمنى ويسقنى) أى يرزقنى ويغذونى بالطعام والشراب فهو رازق ومن عنده رزق (وإذا مرضت) أضافت المرض لى
نفسه وإن كان المرض والشفاء كله (١٢٠) من الله استعمالا لحسن الأدب كما قال الخضر فأردت أن أصيبها وقال

و فأراد ربك أن يبلغا
أشدهما (فهو يشفين)
أى يرزقنى من المرض
(والذى يبينى ثم يحيين)
أدخل ثم هاهنا للتراخي
أى يميتنى فى الدنيا ويحيينى
فى الآخرة (والذى أطعم)
أرجو (أن يغفر لى خطيئتى
يوم الدين) أى خطاياى
يوم الحساب قاتل مجاهد
هو قوله (أى سقيم) وقوله
بل فعله كبيرهم هذا
وقوله لسارة هذه أختى
وزاد الحسن وقوله
للكوكب « هذا ربى »
أخبرنا إسماعيل بن
عبد القاهر أنا عبد الغافر
ابن محمد الفارسي أنا محمد

فقد عاداك (إلرب العالمين) أى ولكن رب العالمين فإنه ربى وولى وقيل إنهم كانوا يعبدون
الأصنام مع الله تعالى فقال إبراهيم كل ماتعبدون أعداء لى لإلرب العالمين ثم وصفت معبوده
الذى يستحق العبادة فقال (الذى خلقنى فهو يهدين) إلى طريق النجاة (والذى هو يطعمنى
ويسقنى) أى يرزقنى ويغذونى بالطعام والشراب (وإذا مرضت) أضافت المرض
للى نفسه استعمالا للأدب وإن كان المرض والشفاء من الله (فهو يشفين) أى يرزقنى ويعافينى
من المرض (والذى يميتنى ثم يحيين) أى يميتنى فى الدنيا ثم يحيينى فى الآخرة (والذى أطعم) أى
أرجو (أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين) أى يوم الجزاء والحساب قبل خطيئته كذباته الثلاث
وتقدم الكلام عليها (م) عن عائشة رضى الله عنها قالت قلت يا رسول الله إن جدعان كان
فى الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين أكان ذلك نافعا؟ له قال لا ينفعه إنه لم يقل يوما رب
اغفر لى خطيئتى يوم الدين وهذا كله احتجاج من إبراهيم على قومه أنه لا يصلح للإلهية إلا من
يفعل هذه الأعمال (رب هب لى حكما) قال ابن عباس معرفة حدود الله وأحكامه وقيل العلم
والفهم (والحقيقى بالصالحين) أى بمن سلف قبل من الأنبياء فى المنزلة والدرجة العالية (واجعل
لى لسان صدق فى الآخرين) أى ثناء حسنا وذكر جميل وقبول عام فى الأمم التى تجمى بعدى
فأعطاه الله ذلك وجعل كل الأديان يتولونه ويشنون عليه (واجعلنى من ورثة جنة النعيم) أى
من تعطيه جنة النعيم لأنها السعادة الكبرى (واغفر لأبى إنه كان من الصالحين) قبل دعا لأبيه
على رجاء أن يسلم فيغفر له فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه (ولا تحزنى) أى ولا تفضحنى
(يوم يبعثون) وهو يوم القيامة (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم) أى خالص
من الشرك والشك فأما الذنوب فلا يسلم منها أحد قال سعيد بن المسيب القلب السليم هو
الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض وقيل القلب السليم هو الخالى

ابن عيسى الجلودى أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا أبو بكر بن

أبى شيبة ثنا حفص بن غياث عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة قالت و قلت : يا رسول الله إن جدعان كان فى
الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال لا ينفعه إنه لم يقل يوما رب اغفر لى خطيئتى يوم الدين وهذا
كله احتجاج من إبراهيم على قومه وإخبار أنه لا تصلح الإلهية إلا لمن يفعل هذه الأفعال (رب هب لى حكما) قال ابن
عباس معرفة حدود الله وأحكامه وقال مقاتل الفهم والعلم وقال الكلبي النبوة (والحقيقى بالصالحين) بمن قبل من النبيين
فى المنزلة والدرجة (واجعل لى لسان صدق فى الآخرين) أى ثناء حسنا وذكر جميل ولا يقبل عام فى الأمم التى تجمى بعدى
فأعطاه الله ذلك فجعل كل أهل الأديان يتولونه ويشنون عليه قال القتيبي وضع اللسان موضع القول على الاستعارة لأن
القول يكون به (واجعلنى من ورثة جنة النعيم) أى من تعطيه جنة النعيم (واغفر لأبى إنه كان من الصالحين) وقال هذا قبل
أن يقين له أنه عدو الله كما سبق ذكره فى سورة التوبة (ولا تحزنى) لا تفضحنى (يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا
من أتى الله بقلب سليم) أى خالص من الشرك والشك فأما الذنوب فليس يسلم منها أحد هذا قول أكثر المفسرين قال

سعيد بن المسيب : القلب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن لأن قلب الكافر والمنافق مريض . قال الله تعالى : وفي قلوبهم مرض . قال أبو عثمان النيسابوري : هو القلب الخالي من البدعة المظمنة على السنة (وأزلت) قربت (الجنة للمتقين وبرزت) أظهرت (الجحيم للغاوين) للكافرين (وقيل لهم) يوم القيامة (أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم) يمنعونكم من العذاب (أو ينتصرون) لأنفسهم (فككبوا فيها) قال ابن عباس : جمعوا وقال مجاهد دهوروا وقال مقاتل قذفوا . وقال الزجاج طرح بعضهم على بعض وقال القتيبي ألقوا على رؤوسهم (هم والغاوين) يعني الشياطين قاله قتادة ومقاتل وقال الكلبي كفره الطعن (وجنود إبليس أجمعون) وهم أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس ، ويقال ذريته (قالوا) أي قال الغاوين للشياطين والمعبودين (وهم فيها يختصمون) مع العبودين ويجادل (١٢١) بعضهم بعضا (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم)

تعدلكم (رب العالمين) فعبدكم (وما أضلنا) أي مادعانا إلى الضلال (إلا الخرمون) قال مقاتل يعني الشياطين وقال الكلبي إلا أولنا الذين اقتدينا بهم وقال أبو العالية وعكرمة يعني إبليس وابن آدم الأول وهو قابيل لأنه أول من سن القتل وأنواع المعاصي (قالنا من شافعين) أي من يشفع لنا من الملائكة والنبيين والمؤمنين (ولا صديق حميم) أي قريب يصحح لنا بقوله الكفار حين تشفع للملائكة والنبيون والمؤمنون والصادق في المودة بشرط الدين . أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق العلبي أخبرني

من البدعة المظمنة إلى السنة (وأزلت الجنة) أي قربت (للمتقين وبرزت الجحيم) أي أظهرت (للغاوين) أي للكافرين (وقيل لهم) يعني يوم القيامة (أينما كنتم تعبدون من دون الله هل ينصرونكم) أي يمنعونكم من عذاب الله (أو ينتصرون) لأنفسهم (فككبوا) قال ابن عباس جمعوا وقيل قذفوا وطرحوا بعضهم على بعض وقيل ألقوا على رؤوسهم (فيها) أي في جهنم (هم والغاوين) يعني الآفة والعابدين وقيل الجن والكافرين (وجنود إبليس أجمعون) يعني أتباعه ومن أطاعه من الإنس والجن وقيل ذريته (قالوا وهم فيها يختصمون) يعني العابدين والمعبودين (تالله إن كنا لفي ضلال مبين إذ نسويكم) أي تعدلكم (رب العالمين) فعبدكم (وما أضلنا) يعني دعانا إلى الضلال (إلا الخرمون) يعني من دعاهم إلى عبادة الأصنام من الجن والإنس وقيل الأولون الذين اقتدينا بهم وقيل يعني إبليس وابن آدم الأول وهو قابيل وهو أول من سن القتل وأنواع المعاصي (فما لنا من شافعين) يعني من يشفع لنا يعني كما أن لله مؤمنين شافعين من الملائكة والأنبياء (ولا صديق حميم) أي قريب يشفع لنا يقول ذلك الكفار حين يشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصادق في المودة مع موافقة الدين عن جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الرجل يقول في الجنة ما فعل بصديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله عز وجل أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بني فلان من شافعين ولا صديق حميم رواه البيهقي بإسناد العلبي وقال الحسن استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة (فلو أن لنا كرة) أي رجعة إلى الدنيا (فنكون من المؤمنين) أي أنهم تمنوا الرجعة حين لا رجعة لهم (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين) أي مع هذه الدلائل والآيات (وإن ربك هو العزيز الرحيم) أي المنتقم الذي لا يغالب وهو في وصف عزته رحيم . قوله عز وجل (كذبت قوم نوح المرسلين) أي كذبت جماعة قوم نوح قيل القوم مؤنثة وتصغيرها قومية . فان قلت كيف قال المرسلين وإنما هو رسول واحد وكذلك باقي القصص . قلت لأن دين الرسل واحد وإن الآخر منهم جاء بما جاء به

(١٦ - نخازن بالبعوى - خامس) الحسين بن محمد بن فنجويه ثنا محمد بن الحسين اليقطيني أنا أحمد بن عبد الله ابن يزيد العقيلي ثنا صفوان بن صالح ثنا الوليد بن مسلم ثمانين مع أبا الزبير يقول أشهد لسمعت جابر بن عبد الله يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن الرجل ليقول في الجنة ما فعل بصديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله تعالى : أخرجوا له صديقه إلى الجنة فيقول من بني فلان من شافعين ولا صديق حميم ، قال الحسن استكثروا من الأصدقاء المؤمنين فإن لهم شفاعة يوم القيامة (فلو أن لنا كرة) أي رجعة إلى الدنيا (فنكون من المؤمنين) إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك هو العزيز الرحيم (العزيز الذي لا يغالب فالله عزيز وهو في وصف عزته رحيم عز وجل (كذبت قوم نوح المرسلين) قيل للحسن البصري يا أبا سعيد رأيت قوله : كذبت قوم نوح المرسلين ، وكذبت عاد المرسلين ، وكذبت نود المرسلين ، وإنما أرسل إليهم رسول واحد ؟ قال إن الآخر جاء بما جاء به الأول فإذا كذبوا واحدا فقد كذبوا الرسل

جميعين (إذ قال لهم أخوهم) في النسب لآلئ الدين (نوح الأنتنون إلى لكم رسول أمين) على الوحي (فانتقوا الله) بطاعته وعبادته (وأطيعون) فيما أمركم به من الإيمان والتوحيد (وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى) ثوابي (إلا على رب العالمين فانتقوا الله) بطاعته وعبادته (وأطيعون قالوا أنؤمن لك واتبعتك الأردلون) قرأ يعقوب واتبعتك الأردلون السفلة وعن ابن عباس ، قال الصاغة ، وقال عكرمة الخاكة والأسا كفة (قال) نوح (وما علمي بما كانوا يعملون) أي ما أعلم أعمالهم وصنائعهم وليس على من دناة مكاسبهم وأحوالهم شيء إنما كلفت أن أدعوهم إلى الله ولي منهم ظاهر أمرهم (إن حسابهم ما حسابهم) (إلا على ربي لو تشعرون) (١٢٢) لو تعلمون ذلك ما عبتوهم بصنائعهم قال الزجاج الصناعات لا تنضر

الأول فن كذب واحد من الأنبياء فقد كذب جميعهم (إذ قال لهم أخوهم نوح) أي أخوهم في النسب لآلئ الدين (الأنتنون) أي ألا تخافون فتركوا الكفر والمعاصي (إلى لكم رسول أمين) أي على الوحي وكان معروفا عندهم بالأمانة (فانتقوا الله) أي بطاعته وعبادته (وأطيعون) أي فيما أمرتكم به من الإيمان والتوحيد (وما أسألكم عليه من أجر) أي من جعل وجزاء (إن أجرى) أي ثوابي (إلا على رب العالمين فانتقوا الله وأطيعون) قيل كرره ليؤكد عليه ويقرره في نفوسهم وقيل ليس فيه تكرار ومعنى الأول ألا تتقون الله في مخالفتي وأنا رسول الله ومعنى الثاني ألا تتقون الله في مخالفتي وإني لست آخذ منكم أجرا (قالوا أنؤمن لك واتبعتك الأردلون) أي السفلة قال ابن عباس يعني التماقة وقيل هم الخاكة والأسا كفة (قال) يعني نوحا (وما علمي بما كانوا يعملون) أي وما أعلم أعمالهم وصنائعهم وليس على من دناة مكاسبهم وأحوالهم شيء إنما كلفت أن أدعوهم إلى الله تعالى وما لي إلا ظواهر أمرهم وقال الزجاج الصناعات لا تنضر في الديانات وقيل معناه إلى لم أعلم أن الله يهديهم ويضلهم ويوقتهم ويخذلهم (إن حسابهم إلا على ربي لو تشعرون) أي لو تعلمون ذلك ما عبتوهم بصنائعهم (وما أنا بطارد المؤمنين) أي عني وقد آمنوا (إن أنا إلا نذير بين) معناه أخوف من كذبي فمن آمن فهو القريب مني ومن لم يؤمن فهو اليميد عني (قالوا لنن لم ننته يا نوح) أي عما تقول (لتكونن من المرجومين) أي من المقتولين بالحجارة وهو أسوأ القتل وقيل من المشتمين (قال رب إن قومي كذبون فافتح) أي احكم (بيني وبينهم فتحا) أي حكما (ونجني ومن معي من المؤمنين فأنجبناهم ومن معي في الفلك المشحون) أي الموقر المملوء من الناس والطير والحجوان (ثم أغرقنا بعد الباقيين) أي بعد إنجاء نوح ومن معه (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك ذو العزيز الرحيم) قوله تعالى (كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إلى لكم رسول أمين) أي أمين على الرسالة فكيف تهمونني اليوم (فانتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين أتيدون بكل ربيع) قال ابن عباس أي بكل شرف وفي رواية عنه بكل طريق وقيل هو الفج بين الجبلين وقيل المسكان المرتفع (آية) أي علامة وهي العلم (تعبتون) يعني بمن مر بالطريق والمعنى أنهم كانوا يبتنون بالمواضع المرتفعة ليشرخوا على المارة والسابلة فيسخرها منهم ويعبتوا بهم وقيل إنهم بنوا بروج الحمام فأنكر عليهم

في الديانات وقيل معناه أي لم أعلم أن الله يهديهم ويضلهم ويوقتهم ويخذلهم (وما أنا بطارد المؤمنين إن أنا إلا نذير مبين قالوا لنن لم ننته يا نوح) أي عما تقول (لتكونن من المرجومين) قال مقاتل والكلبي من المقتولين بالحجارة وقال الضحاك من المشتمين (قال رب إن قومي كذبون فافتح) فاحكم (بيني وبينهم فتحا) حكما (ونجني ومن معي من المؤمنين فأنجبناهم ومن معي في الفلك المشحون) الموقر المملوء من الناس والطير والحجوان كلها (ثم أغرقنا بعد الباقيين) أي أغرقنا بعد إنجاء نوح وأهله من بقى من قومه (إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن

هود

ربك ذو العزيز الرحيم) قوله عز وجل (كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم

أخوهم) يعني في النسب لآلئ الدين (هود ألا تتقون إلى لكم رسول أمين) على الرسالة قال الكلبي أمين فيكم قبل الرسالة فكيف تهمونني اليوم (فانتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين أتيدون بكل ربيع) قال الوالبي عن ابن عباس بكل شرف وقال الضحاك ومقاتل والكلبي بكل طريق وهو رواية العوفي عن ابن عباس وعن مجاهد قال هو الفج بين الجبلين وعنه أيضا أنه المنطرة (آية) علامة (تعبتون) بمن مر بالطريق والمعنى أنهم كانوا يبتنون المواضع المرتفعة ليشرخوا على المارة والسابلة فيسخرها منهم ويعبتوا بهم وعن معمر بن جبير ومجاهد هذا في بروج الحمام أنكروا

فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين (وإنما كانت دعوة هؤلاء الأنبياء كلهم فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لانفاقهم على الأمر بالتقوى والطاعة والإخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على الدعوة وتبليغ الرسالة (أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين) الناقصين لحقوق الناس بالكيل والوزن (وزنوا بالقسطاس المستقيم ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعنوا في الأرض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة (الخالقة) الأولى) بغنى الأمم المتقدمين والجرأة الخلق يقال جبل أي خلق (قالوا إنما أنت من المسحرين (١٢٥) وما أنت إلا بشر مثنا وإن

نظنك لمن الكاذبين
فأستط علينا كسفا
من السماء إن كنت من
الصادقين قال رب أعلم
بما تعملون (أي من
نقصان الكيل والوزن
وهو مجازيكم بأعمالكم
وليس العذاب إلى وما
على إلا الدعوة (فكذبوه
فأخذهم عذاب يوم
الظلة) وذلك أنه أخذهم
حر شديد فكانوا
يدخلون الأسراب فإذا
دخلوها وجدوها أشد
حرا فخرجوا فأظلمت
بصابتهم وهي الظلة فاجتمعوا
تحتها فأمطرت عليهم
نارا فاحترقوا ذكروا
في سورة هود (إنه كان
عذاب يوم عظيم إن في
ذلك آية وما كان
أكثرهم مؤمنين وإن
ربك هو العزيز الرحيم)
قوله عز وجل (وإنه)
يعني القرآن (لتنزىل
به الروح الأمين) نزل به
الروح الأمين (قرأ أهل
الحجاز وأبو عمرو وحفص

فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجرى إلا على رب العالمين) إنما كانت دعوة هؤلاء الأنبياء فيما حكى الله عنهم على صيغة واحدة لانفاقهم على تقوى الله وطعته والإخلاص في العبادة والامتناع من أخذ الأجر على تبليغ الرسالة (أوفوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين) أي الناقصين لحقوق الناس في الكيل والوزن (وزنوا بالقسطاس) أي بالميزان العدل (المستقيم) ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعنوا في الأرض مفسدين واتقوا الذي خلقكم والجبلة الأولى) يعني الخليفة والأمم المتقدمة (قالوا إنما أنت من المسحرين وما أنت إلا بشر مثلنا وإن نظنك لمن الكاذبين فأستط علينا كسفا) يعني قطعنا (من السماء إن كنت من الصادقين قال رب أعلم بما تعملون) يعني من نقصان الكيل والوزن وهو مجازيكم بأعمالكم وليس العذاب إلى وما على إلا الدعوة والتبليغ (فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة إنه كان عذاب يوم عظيم) وذلك أنهم أصابهم حر شديد فكانوا يدخلون الأسراب فيجدونها أحر من ذلك فيخرجون فأظلمت بصابتهم فاجتمعوا تحتها فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا جميعا (إن في ذلك آية وما كان أكثرهم مؤمنين وإن ربك هو العزيز الرحيم) وقد تقدم الكلام على هذه القصص في سورة الأعراف وهود فأضنى عن الإعادة هنا والله أعلم بمراده قوله عز وجل (وإنه) يعني القرآن (لتنزىل رب الأمين) يعني جبريل عليه السلام ، بما روحا لأنه خلق من الروح وسماه أمينا لأنه مؤتمن على وحية الأنبياء (على قلبك) يعني على قلبك حتى تبعه وتفهمه ولا تنساه وإنما خص القلب لأنه هو المخاطب في الحقيقة وأنه موضع التمييز والانتقال والاختيار وسائر الأعضاء مسخرة له وبدل عليه قوله ^{سورة هود} (الآ) وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ، أخرجاه في الصحيحين ومن المعقول أن موضع الفرح والسرور والغم والحزن هو للقلب ، فإذا فرح القلب أو حزن يتغير حال سائر الأعضاء فكان القلب كالرئيس لها ومنه أن موضع العقل هو القلب على الصحيح من القولين فإذا ثبت ذلك كان القلب هو الأمير المطلق وهو المكلف لأن التكليف مشروط بالعقل والفهم . قوله تعالى (لتكون من المنذرين) أي المخوفين (بأسان عربى مبين) قال ابن عباس بلسان قریش ليفهموا ما فيه (وإنه) يعني القرآن وقيل ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته (لى زبر الأولين) أي كتب الأولين (أولم يكن لهم آية) يعني أولم يكن هؤلاء المشركين علامة ودلالة على صدق

نزل خفف الروح الأمين برفع الحناء والنون أي نزل جبريل بالقرآن وقرأ الآخرون بتشديد الزاى وفتح الحاء والنون: أي نزل الله به جبريل لقوله عز وجل وإنه لتنزىل رب العالمين (على قلبك) يا محمد حتى وعيته (لتكون من المنذرين) المخوفين (بأسان عربى مبين) قال ابن عباس بلسان قریش ليفهموا ما فيه (وإنه) أي ذكر إنزال القرآن قاله أكثر المفسرين وقال قتادة ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ونعته (لى زبر) كتب (الأولين أولم يكن لهم آية) قرأ ابن عامر ، تكنى بالثناء آية بالرفع جعل الآية اسما وخبره أن يعلمه وقرأ الآخرون بالياء آية نصب جعلوا الآية خبر يكن معناه أولم يكن هؤلاء المشركين علم بنى إسرائيل آية أي علامة ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأن العلماء الذين كانوا من بنى إسرائيل

كانوا يجربون بوجود ذكره في كتبهم وهم عبد الله بن سلام وأصحابه قال ابن عباس بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة فسألوه عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا إن هذا لزمانه وإنا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه ، قوله تعالى (أن يعلمه) يعني يعلم محمد صلى الله عليه وسلم (علماء بني إسرائيل) قال عطية كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين ونعلبة وأسد وأسيد (ولو نزلناه) يعني القرآن (على بعض الأعجميين) جمع الأعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وإن كان عربيا في النسب والعجمي منسوب إلى العجم وإن كان فصيحاً ومعنى الآية (ولو نزلناه على رجل ليس بعربي اللسان) (فقرأه عليهم) بغير لغة العرب (ما كانوا به مؤمنين) وقالوا ما نفقه قولك نظيره قوله عز وجل (ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته) (١٣٦) وقبل معناه (ولو نزلناه على رجل ليس من العرب لما آمنوا به أنفة من

التباعد) (كذلك سلكناه) محمد صلى الله عليه وسلم (أن يعلمه) يعني يعلم محمداً صلى الله عليه وسلم (علماء بني إسرائيل) قال ابن عباس بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا إن هذا لزمانه وإنا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين ونعلبة وأسد وأسيد . قوله تعالى (ولو نزلناه) يعني القرآن (على بعض الأعجميين) جمع أعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وإن كان عربيا في النسب ومعنى الآية وأنزلنا القرآن على رجل ليس بعربي اللسان (فقرأه عليهم) يعني القرآن (ما كانوا به مؤمنين) أي لقالوا لانفقه قولك وقيل معناه لما آمنوا به أنفة من اتباع من ليس من العرب (كذلك سلكناه) قال ابن عباس يعني أدخلنا الشرك والتكذيب (في قلوب المحرمين لا يؤمنون به) أي القرآن (حتى يروا العذاب الأليم) يعني عند الموت (فيأتيهم) يعني العذاب (بغنة) فجأة (وهم لا يشعرون) به في الدنيا (فيقولوا هل نحن منظرون) أي لنؤمن ونصدق ونتمنوا الرجعة ولا رجعة لهم (أفبعذابنا يستعجلون) قيل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا إلى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب فأنزل الله أفبعذابنا يستعجلون (أفرأيت إن متعناهم سنين) أي كفار مكة في الدنيا ولم نهلكهم (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) يعني العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أي في تلك السنين الكثيرة والمعنى أنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيئا ويكونوا كأنهم لم يكونوا في نعيم قط (وما أهلكتنا من قرية إلا ما منذرون) أي رسل ينزلونهم (ذكرى) أي تذكرة (وما كنا ظالمين) أي في تعذيبهم حيث قدمنا الحججة عليهم (وما نزلت به الشياطين) يعني أن المشركين كانوا يقولون إن الشياطين يلقون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم ذلك (وما ينبغي لهم) أن ينزلوا بالقرآن (وما يستطيعون) أي ذلك ثم إنه تعالى ذكر سبب ذلك فقال (لأنهم عن السمع لمعزولون) أي محجوبون بالربى بالشهب فلا يصلون إلى استراق السمع (فلا تسمع مع الله إذا أقر فتكون من المعديين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لأنه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق على ولو اتخذت إلها غيري لعذبتك . قوله تعالى

التباعد) (كذلك سلكناه) محمد صلى الله عليه وسلم (أن يعلمه) يعني يعلم محمداً صلى الله عليه وسلم (علماء بني إسرائيل) قال ابن عباس بعث أهل مكة إلى اليهود وهم بالمدينة يسألونهم عن محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا إن هذا لزمانه وإنا نجد في التوراة نعته وصفته فكان ذلك آية على صدقه صلى الله عليه وسلم قيل كانوا خمسة عبد الله بن سلام وابن يامين ونعلبة وأسد وأسيد . قوله تعالى (ولو نزلناه) يعني القرآن (على بعض الأعجميين) جمع أعجمي وهو الذي لا يفصح ولا يحسن العربية وإن كان عربيا في النسب ومعنى الآية وأنزلنا القرآن على رجل ليس بعربي اللسان (فقرأه عليهم) يعني القرآن (ما كانوا به مؤمنين) أي لقالوا لانفقه قولك وقيل معناه لما آمنوا به أنفة من اتباع من ليس من العرب (كذلك سلكناه) قال ابن عباس يعني أدخلنا الشرك والتكذيب (في قلوب المحرمين لا يؤمنون به) أي القرآن (حتى يروا العذاب الأليم) يعني عند الموت (فيأتيهم) يعني العذاب (بغنة) فجأة (وهم لا يشعرون) به في الدنيا (فيقولوا هل نحن منظرون) أي لنؤمن ونصدق ونتمنوا الرجعة ولا رجعة لهم (أفبعذابنا يستعجلون) قيل لما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا إلى متى توعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب فأنزل الله أفبعذابنا يستعجلون (أفرأيت إن متعناهم سنين) أي كفار مكة في الدنيا ولم نهلكهم (ثم جاءهم ما كانوا يوعدون) يعني العذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) أي في تلك السنين الكثيرة والمعنى أنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيئا ويكونوا كأنهم لم يكونوا في نعيم قط (وما أهلكتنا من قرية إلا ما منذرون) أي رسل ينزلونهم (ذكرى) أي تذكرة (وما كنا ظالمين) أي في تعذيبهم حيث قدمنا الحججة عليهم (وما نزلت به الشياطين) يعني أن المشركين كانوا يقولون إن الشياطين يلقون القرآن على قلب محمد صلى الله عليه وسلم فرد الله عليهم ذلك (وما ينبغي لهم) أن ينزلوا بالقرآن (وما يستطيعون) أي ذلك ثم إنه تعالى ذكر سبب ذلك فقال (لأنهم عن السمع لمعزولون) أي محجوبون بالربى بالشهب فلا يصلون إلى استراق السمع (فلا تسمع مع الله إذا أقر فتكون من المعديين) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره لأنه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق على ولو اتخذت إلها غيري لعذبتك . قوله تعالى

(وأذروا)

ما كانوا يوعدون) يعني بالعذاب (ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون) به في تلك السنين

والمعنى أنهم وإن طال تمتعهم بنعيم الدنيا فاذا أتاهم العذاب لم يغن عنهم طول التمتع شيئا ويكون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط (وما أهلكتنا من قرية إلا ما منذرون) رسل ينزلونهم (ذكرى) محلها نصب أي ينزلونهم تذكرة وقيل رفع أي تلك ذكرى (وما كنا ظالمين) في تعذيبهم حيث قدمنا الحججة عليهم وأعلمنا إليهم (وما نزلت به الشياطين) وذلك أن المشركين كانوا يقولون إن الشياطين يلقون القرآن على لسان محمد صلى الله عليه وسلم فقال جل ذكره (وما نزلت به) أي بالقرآن والشياطين (وما ينبغي لهم) أن ينزلوا بالقرآن (وما يستطيعون) ذلك (لأنهم عن السمع) أي عن استراق السمع من السماء (لمعزولون) أي محجوبون بالشهب مرجومون (فلا تسمع مع الله إذا أقر فتكون من المعديين) قال ابن عباس رضي الله عنهما يحذر به غيره يقول أنت

أكرم الخلق على ولو اتخذت لها غيري لعذبك (وأندر عشرتك الأقربين) روى محمد بن إسحاق عن عبد الغفار بن القاسم عن
 المهلب بن عمرو عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب عن عبد الله بن عباس عن علي بن أبي طالب قال
 لما نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأندر عشرتك الأقربين دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 يا علي إن الله يأمرني أن أندر عشرتي الأقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت
 عليها حتى جاءني جبريل فقال لي يا محمد لا تفعل ما تؤمر به يذوبك ربك فاصنع لنا صاعا من طعام واجعل عليه رجل شاة واملأ
 لنا عسا من لبن ثم اجتمع لي بنو عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وهم يومئذ أربعون رجلا
 يزيدون رجلا أو يتقصونه فيهم أعمامه أبو طالب وحزرة والعباس رضي الله (١٢٧) عنهما وأبو لب فلما اجتمعوا

إليه دعاني بالطعام الذي
 صنعته فجئت به فلما
 وضعته تناول رسول الله
 صلى الله عليه وسلم جذبة
 من اللحم فشقها بأسنانه
 ثم ألقاها في نواحي
 الصحفة ثم قال خذوا باسم
 الله فأكل القوم حتى
 ماظم بشي حاجة وأيم
 الله أن كان الرجل الواحد
 منهم ليا كل مثل ما قدمت
 لجمعهم ثم قال اسق
 القوم فجئتهم بذلك العس
 فشربو حتى رويوا جميعا
 وأيم الله إن كان الرجل
 الواحد منهم ليشرب مثله
 فلما أراد رسول الله
 صلى الله عليه وسلم أن
 يكلمهم بده أبو لب
 فقال صحر كم صاحبكم
 فنفرق القوم ولم يكلمهم
 رسول الله صلى الله

(وأندر عشرتك الأقربين) روى محمد بن إسحاق بسنده عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال ولما
 نزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا علي إن الله أمرني أن أندر عشرتي
 الأقربين فضقت بذلك ذرعا وعرفت أني متى أباديهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره فصمت
 عليها حتى جاءني جبريل فقال يا محمد أن لا تفعل ما تؤمر به يذوبك ربك فاصنع لنا طعاما واجعل
 لنا عليه رجل شاة واملأ لنا عسا من لبن ثم اجتمع لي بنو عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت
 به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم له وكانوا يومئذ نحو أربعين رجلا يزيدون رجلا أو يتقصونه
 فيهم أعمامه أبو طالب وحزرة والعباس وأبو لب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذي صنعت
 فجئت به فتناول رسول الله صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصحفة
 ثم قال خذوا باسم الله فأكل القوم حتى ماظم بشي من حاجتكم وأيم الله أن كان الرجل الواحد
 ليا كل مثل ما قدمت لجمعهم ثم قال اسق القوم فجئتهم بذلك العس فشربو حتى رويوا
 جميعا وأيم الله أن كان الرجل الواحد ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أن يكلمهم بده أبو لب فقال صحر كم صاحبكم فنفرق القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال الغديا على فان هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القول فنفرق القوم
 قبل أن أكلمهم فاعدد لنا من الطعام مثل ما صنعت ثم أجمعهم ففعلت ثم جمعتهم ثم دعاني
 بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا وشربو ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال يا بني عبد المطلب إنني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله عز وجل أن أدعوكم
 إليه فأياكم يوازرنى على أمرى هذا ويكون أخى ووصي وخليفتي فيكم فأحجم القوم عنها جميعا
 وأنا أحدثهم سنا فقلت أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه فأخذ رقبتي ثم قال هذا أخى
 ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك
 أن تسمع لهي وتطيعه (ق) عن ابن عباس رضي الله عنهما لما نزلت وأندر عشرتك الأقربين
 صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهدى يابني عدى ليطون من قريش
 حتى اجتمعوا فجعل الذي لم يستطع أن يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو فاجاء أبو لب وقريش

عليه وسلم فقال الغديا على إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من القوم فنفرق القوم قبل أن أكلمهم فعدنا من
 الطعام مثل ما صنعت ثم أجمعهم ففعلت ثم جمعنت فدعاني بالطعام فقربته ففعل كما فعل بالأمس فأكلوا وشربو ، ثم تكلم
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب إنني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن أدعوكم
 إليه فأياكم يوازرنى على أمرى هذا ويكون أخى ووصي وخليفتي فيكم فأحجم القوم عنها جميعا فقلت وأنا أحدثهم سنا يا بني الله
 أكون وزيرك عليه قال فأخذ رقبتي وقال إن هذا أخى ووصي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا فقام القوم يضحكون
 ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لهي وتطيعه أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد
 ابن يوسف حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا يوسف بن موسى حدثنا أبو أسامة حدثنا الأعمش حدثنا عمرو بن مرة عن سعيد بن
 جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال لما نزلت وأندر عشرتك الأقربين ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله

حتى صعد الصفا فهتفت يا صاحباة فقالوا من هذا فاجتمعوا إليه فقال أرايتكم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدق قالوا ماجربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب قبالك ما جمعنا إلا لهذا ثم قام فنزلت «تبت يدا أبي لهب» وقد تب هكذا قرأ الأعمش يومئذ أخبرنا عبد الواحد بن أحمد الملبحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا عمر بن حفص بن غياث ثنا أبي ثنا الأعمش حدثني عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال لما نزلت «وأنذر عشيرتک الأقربين» صعد النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي يا بني فهر يا بني عدى لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو فاجاء أبو لهب وقريش وقال أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدق قالوا نعم ماجربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب قبالك سائر اليوم أهدنا جمعنا فنزلت «تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب» أخبرنا عبد الواحد الملبحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا أبو الهيثم أنا شعيب عن الزهري أخبرني سعيد (١٢٨) بن المسيب وأبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال قام

رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله تعالى وأنذر عشيرتک الأقربين فقال «يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا يا بني عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا يا صفيية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت

فقال أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدق قالوا ماجربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب قبالك سائر اليوم أهدنا جمعنا فنزلت «تبت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب» وفي رواية قد تب وفي رواية قريش للبخاري لما نزلت «وأنذر عشيرتک الأقربين» ورهطك منهم المخلصين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتفت يا صاحباة فقالوا من هذا واجتمعوا إليه وذكر نحوه (ق) عن أبي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله تعالى «وأنذر عشيرتک الأقربين» وقال يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا يا بني عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا ويا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت من مالي لا أغنى عنك من الله شيئا (م) عن قبيصة بنت مخارق وزهير بن عمرو قال لما نزلت «وأنذر عشيرتک الأقربين» انطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى روضة جبل فعلا أعلاها حجرا ثم نادى «يا بني عبد مناف إن نذير لكم إنما مثل ومثلكم كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد أهله فخشى أن يسبقوه فجعل يهتف يا صاحباة» ومعنى الآية أن الإنسان إذا بدأ بنفسه أولا وبالاقرب فالأقرب من أهله ثانيًا لم يكن لأحد عليه طعن البتة وكان قوله أنفع وكلامه أنجع

(واخفض

من مالي لا أغنى عنك من الله شيئا» أخبرنا أبو سعيد عبد الله

ابن أحمد الطاهري أنا جدي أبو سهل بن عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز أنا أبو بكر محمد بن زكريا العلافري أنا أبو إسحاق بن إبراهيم الديري ثنا عبد الرزاق أنا معمر بن قتادة عن مطرف بن عبد الله بن الأشج عن عياض بن جهمان الهاشمي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن الله عز وجل أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني بيومي هذا وأنه قال إن كل مال خلقت عباده فهو لهم حلال وإني خلقت عباده حنفاء كلهم فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا وأن الله نظر إلى أهل الأرض ففقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب وإن الله تعالى أمرني أن أخوف قريشا فقلت يارب إنهم إذا بلغوا رأسي حتى يدعوهم نخزة فقال إنما بعثتك لأبئليك وأبئلي بك وقد أنزلت عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه في المنام واليقظة فاغزم نغزك وأنفق نفاقك وابعث جيشا عندك بحمسة أمثالهم وقاتل عن أطاعك من عصاك ثم قال أهل الجنة ثلاثة إمام مقسط ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قرى ومسلم ورجل غني متعفف متصدق وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الدين هم فيكم تبع لا يبتغون بذلك أهلا ولا مالا ورجل إن أصبح أصبح بخدعك عن أهلك ومالك ورجل لا يخفى له طمع وإن دق إلا ذهب به والشنظير

الفاحش وذمير البخل والكذب قوله عز وجل (واخفض جناحك) يعنى أئن جانبك (لمن أتبعك من المؤمنين فإن عصوك قتل إنى برىء مما تعملون) من الكفر وعبادة غير الله (وتوكل) قرأ أهل المدينة والشام فتوكل بالفاء وكذلك هو في مصاحفهم وقرأ الباقون بالواو وتوكل (على العزيز الرحيم) ليكنفك كيد الأعداء (الذى يراك حين تقوم) إلى صلاتك عن أكثر المفسرين وقال مجاهد الذى يراك أينما كنت وقيل حين تقوم لدعائهم (وتقلبك فى الساجدين) يعنى يرى تقلبك فى صلاتك فى حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك قال عكرمة وعطية (١٣٩) عن ابن عباس فى الساجدين أى

فى المصلين وقال مقاتل والكلبى أى مع المصلين فى الجماعة يقول براك حين تقوم وحدك وللصلاة وبرك إذا صليت مع المصلين فى الجماعة وقال مجاهد يرى تقلب بصرك فى المصلين فإنه كان يبصر من خلفه كما يبصر من أمامه أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلى ها هنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم إنى لأراكم من وراء ظهري وقال مجاهد براك حين تقوم لدعائهم (وتقلبك فى الساجدين) قال ابن عباس ويرى تقلبك فى صلاتك فى حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين فى الجماعة يقول براك إذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى تقلب بصرك فى المصلين فإنه كان يبصر من خلفه كما يبصر من أمامه أخبرنا أبو الحسن السرخسى أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمى أنا أبو مصعب عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلى ها هنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم إنى لأراكم من وراء ظهري وقال الحسن وتقلبك فى الساجدين أى تصرفك وذهابك ومجئتك فى أصحابك المؤمنين وقال

(واخفض) أى أئن (جناحك لمن أتبعك من المؤمنين) فإن قلت ما معنى التبعض فى قوله ومن المؤمنين وقلت معناه لمن أتبعك من المؤمنين المصدقين بتلويمهم وألستهم دون المؤمنين بألستهم وهم المنافقون (فإن عصوك) يعنى فيما تأمرهم به (فقل إنى برىء مما تعملون) يعنى من الكفر والخالفة (وتوكل على العزيز الرحيم) التوكل عبارة عن تفويض الرجل أمره إلى من يملك أمره ويقدر على نفعه وضره وهو الله تعالى العزيز الذى يقهر أعداءك بعزته الرحيم الذى ينصرك عليهم برحمته (الذى يراك حين تقوم) إلى صلاتك وقيل براك أينما كنت وقيل براك حين تقوم لدعائك (وتقلبك فى الساجدين) قال ابن عباس ويرى تقلبك فى صلاتك فى حال قيامك وركوعك وسجودك وقعودك وقيل مع المصلين فى الجماعة يقول براك إذا صليت وحدك ومع الجماعة وقيل معناه يرى تقلب بصرك فى المصلين فإنه كان يبصر من خلفه كما يبصر من أمامه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هل ترون قبلى ها هنا فوالله ما يخفى على خشوعكم ولا ركوعكم إنى لأراكم من وراء ظهري وقيل معناه يرى تصرفك وذهابك ومجئتك فى أصحابك المؤمنين وقيل تصرفك فى أحوالك كما كانت الأنبياء من قبلك وقال ابن عباس أراد وتقلبك فى أصلاب الأنبياء من نبي إلى نبي حتى أخرجك فى هذه الأمة (إنه هو السميع) يعنى لقولك ودعائك (العليم) يعنى بديتك وعملك قل يا محمد (هل أنبئكم) يعنى أخبركم (على من تنزل الشياطين) هذا جواب لقولهم ينزل عليه شيطان ثم بين على من تنزل الشياطين فقال تعالى (تنزل على كل أفك) يعنى كذاب (أئيم) يعنى فاجروهم الكهنة وذلك أن الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يلقون ذلك إلى أوليائهم من الإنس وهو قوله تعالى (يلقون السمع) يعنى ما يسمعون من الملائكة فيلقونه إلى الكهنة (وأكثرهم كاذبون) لأنهم يخلطون به كذبا كثيرا (والشعراء يتبعهم الغاؤون) قال أهل التفسير أراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون النبي صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبعرى السهمى وهبيرة بن أبي وهب المخزومى ومسافع بن عبد مناف وأبو عمرو بن عبد الله الجمحى وأمية بن أبي الصلت الثقفى تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وآلوا الشعر واجتمع إليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم حين يهجون محمدا صلى الله عليه وسلم وأصحابه وكانوا يروون عنهم قولهم فذلك قوله يتبعهم الغاؤون فهم الرواة الذين يروون هجاء المسلمين وقيل الغاؤون هم الشياطين وقيل هم السفهاء الضالون وفى رواية أن الرجلين أحدهما من الأنصار تهاجبا على

سعيد بن جبير يعنى وتصرفك فى أحوالك كما كانت

(١٧ - خازن بالبغوى - خامس)

الأنبياء من قبلك والساجدون هم الأنبياء وقال عطاء عن ابن عباس أراد تقلبك فى أصلاب الأنبياء من نبي إلى نبي حتى أخرجك فى هذه الآية (إنه هو السميع العليم) هل أنبئكم هل أخبركم (على من تنزل الشياطين) هذا جواب قولهم تنزل عليه الشياطين ثم بين فقال (تنزل) أى تنزل (على كل أفك) كذاب (أئيم) فاجر قال قتادة هم الكهنة يسترق الجن السمع ثم يلقون إلى أوليائهم من الإنس وهو قوله عز وجل (يلقون السمع) أى يستمعون من الملائكة مسترقين فيلقون إلى الكهنة (وأكثرهم كاذبون) لأنهم يخلطون به كذبا كثيرا (والشعراء يتبعهم الغاؤون) قال أهل التفسير أراد شعراء

الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر مقاتل أسماءهم فقال منهم عبد الله بن الزبير السهمي وهيرة بن أبي وهب الخزوي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وأميرة بن أبي الصلت الثقفي تكلموا بالكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع إليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم حين يهجون النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويروون عنهم ، وذلك قوله والشعراء يتبعهم الغاؤون هم الرواة الذين يروون هجاء النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين وقال قتادة ومجاهد الغاؤون هم الشياطين وقال الضحاك تهاجى رجلان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدهما من الأنصار والآخر من قوم آخرين ومع كل واحد منهما غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه الآية وهي رواية عطية عن ابن عباس (ألم تر أنهم في كل واد) من أودية الكلام (يهيمون) حارون وعن طريق الحق جاثرون والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له . قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية في كل لغو يخوضون وقال مجاهد في كل فن يفتنون وقال قتادة يمدحون بالباطل ويستمعون ويهجون بالباطل فالوادي مثل (١٣٠) لفتون الكلام كما يقال أنا في واد وأنت في واد وقيل في كل واد يهيمون أي

على كل حرف من حروف الهجاء يصوغون القوافي (وأنهم يقولون مالا يفعلون) أي يكذبون في شعرهم يقولون فعلنا وفعلنا وهم كذبة أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي ثنا علي بن الجعد أنا شعبة عن الأعمش عن ذكوان عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال (لأن يمتليء جوف أحدكم قبحا حتى يريه خير من أن يمتليء شعرا) ثم استثنى شعراء

عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع كل واحد غواة من قومه وهم السفهاء فنزلت هذه الآية (ألم تر أنهم في كل واد) من أودية الكلام (يهيمون) يعني حارون وعن طريق الحق حاثين والهائم الذاهب على وجهه لا مقصد له وقال ابن عباس في كل لغو يخوضون وقيل يمدحون بالباطل ويهجون بالباطل وقيل أنهم يمدحون الشيء ثم يذمونه لا يطلعون الحق والصدق ، فالوادي مثل لفتون الكلام والغوص في المعاني والقوافي (وأنهم يقولون مالا يفعلون) أي أنهم يكذبون في شعرهم وقيل لأنهم يمدحون الجود والكرم ويحثون عليه وهم لا يفعلونه ويذمون البخل ويصرون عليه ويهجون الناس بأدنى شيء صدر منهم (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (لأن يمتليء جوف أحدكم قبحا حتى يريه خير له من أن يمتليء شعرا) ثم استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يمتليون شعر الكفار ويهجون وينافحون عن محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال تعالى (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) روى أن كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله أنزل في الشعر ما أنزل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل) عن أنس بن مالك رضي الله عنه (أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه وهو يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن حيايله

فقال

المسلمين الذين كانوا يجيبون شعراء الجاهلية ويهجون الكفار وينافحون عن النبي

صلى الله عليه وسلم وأصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك فقال (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين علي بن عبد الله بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار ثنا أحمد بن منصور الرمادى ثنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله قد أنزل في الشعر ما أنزل فقال النبي صلى الله عليه وسلم (إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكان ما ترمونهم به نضح النبل) أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم علي بن أحمد الخراعى أنا الهيثم بن كليب أنا أبو عيسى الترمذى ثنا إسحاق بن منصور أنا عبد الرزاق أنا جعفر بن سليمان ثنا ثابت عن أنس (أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة يمشي بين يديه ويقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تنزيله

ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خيليه

فقال له عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر فقال النبي صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل ، أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا حجاج بن منهال ثنا شعبة أخبرني عدي أنه مع البراء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان أو هجهم أو هجهم وجبريل معك ، أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم الخزازي أنا هبتم بن كليب ثنا أبو عيسى ثنا إسماعيل بن موسى الفزاري وعلى بن حجر المعنى واحد قال ثنا عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان بن ثابت منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (١٣١)

الله صلى الله عليه وسلم
 وإن الله يؤيد حسان بروح
 القدس ما ينافح أو يفاخر
 عن رسول الله ، أخبرنا
 إسماعيل بن عبد القاهر
 أنا عبد القاهر بن محمد
 ثنا محمد بن عيسى
 الجلودي ثنا إبراهيم بن
 محمد بن سفيان ثنا مسلم
 بن الحجاج ثنا عبد الملك
 ابن شعيب بن الليث
 حدثني أبي عن جدي ثنا
 خالد بن زيد حدثني
 سعيد بن أبي هلال عن
 عمارة بن غزوة عن محمد
 ابن إبراهيم عن أبي سلمة
 ابن عبد الرحمن عن
 عائشة أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال
 « أهجوا قريشاً فإنه أشد
 عليهم من رشق النبل
 فأرسل إلى ابن رواحة

فقال عمر يا ابن رواحة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول الشعر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فلهي أسرع فيهم من نضح النبل ، أخرجه الترمذي والنسائي وقال الترمذي وقد روى في غير هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وكعب بن مالك بين يديه وهذا أصح عند بعض أهل الحديث لأن عبد الله بن رواحة قتل يوم مؤتة وكانت عمرة القضاء بعد ذلك قلت الصحيح هو الأول لأن عمرة القضاء كانت سنة سبع ربيع يوم مؤتة سنة ثمان والله أعلم (ق) عن البراء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « يوم قريظة لحسان أهج المشركين فإن جبريل معك » (خ) عن عائشة قالت « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يضع لحسان منبرا في المسجد يقوم عليه قائما يفاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يؤيد حسان بروح القدس ما ينافح أو يفاخر عن رسول الله » (م) عن عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أهجوا قريشاً فإنه أشد عليها من رشق النبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال أهجهم فهجهم فلم يرخص فأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فرى الأديم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تمجل فإن أبا بكر أعلم قريشاً بأنسابها وإن لي فيهم نسا حتى ياخص لك نسي فأناه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله قد لخص لي نسبك والذي بعثك بالحق نبيا لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجهم حسان فشق واشتني » فقال حسان :

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
 هجوت محمدا برا تقيا رسول الله شيمته الوفاء

فقال أهجهم فهجهم فلم يرخص فأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فلما دخل عليه قال حسان قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه ثم أدلع لسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك بالحق لأفرينهم بلساني فرى الأديم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تمجل فإن أبا بكر أعلم قريشاً بأنسابها وإن لي فيهم نسا حتى ياخص لك نسي فأناه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله قد لخص لي نسبك والذي بعثك بالحق لأسلنك منهم كما تسل الشعرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت عن الله ورسوله وقالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجهم حسان فشق واشتني ، قال حسان :

هجوت محمدا فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
 هجوت محمدا برا حنيفا رسول الله شيمته الوفاء

(سورة النمل ، مكية وهي ثلاث وتسعون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) (طس ٣) قال ابن عباس هو اسم من أسماء الله تعالى وقد سبق الكلام في حروف الهجاء (تلك آيات القرآن) أي هذه آيات القرآن (وكتاب مبین) یعنی وآيات كتاب مبین (هدى وبشرى للمؤمنين) یعنی هو هدى من الضلالة وبشرى للمؤمنين المصدقين به بالجنة (الذين يقيمون الصلاة) أي يؤدون الصلاة بأركانها وشروطها (ويؤتون الزكاة) يعطون ماوجب عليهم

(تفسير سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية وألف وثلاثمائة وسبع عشرة كلمة) وأربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفا

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (طس ٣) تلك آيات القرآن) أي هذه آيات القرآن (وكتاب مبین) أي وآيات كتاب مبین (هدى وبشرى للمؤمنين) أي هو هدى من الضلالة وبشرى لهم بالجنة (الذين يقيمون الصلاة) أي الخمس بشرائها (ويؤتون الزكاة) أي إذا وجبت عليهم طيبة ما أنفسهم (وهم بالآخرة هم يوقنون) یعنی أن هؤلاء الذين يعملون الصالحات هم الموقنون بالآخرة (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) أي القبيحة حتى رأوها حسنة (إن أن يخلق الله العلم في القلب بما فيه المنافع واللذات ولا يخلق العلم بما فيه المضار والآفات) فهم يعمهون) أي يترددون فيها متحيرين (أولئك الذين لهم سوء العذاب) أي أشده وهو القتل والأسر (وهم في الآخرة هم الأخسرون) أي أنهم خسروا أنفسهم وأهلهم وساروا إلى النار. قوله تعالى (وإنك لتلقى القرآن) أي تؤاته وتلقنه وحيا (من لدن حكيم عليم) أي حكيم عليم بما أنزل إليك . فان قلت ما الفرق بين الحكمة والعلم . قلت الحكمة هي العلم بالأمور العلمية فقط والعلم أعم منه لأن العلم قد يكون علما وقد يكون نظرا والعلوم النظرية أشرف (إذ قال) أي واذكر يا محمد إذ قال (موسى لأهله) أي في مسيره بأهله من مدين إلى مصر (إني آنست) أي أبصرت (نارا سأتيكم منها بخير) أي امكنوا مكانكم سأتيكم بخير عن الطريق وقد كان ضل عن الطريق (أو آتيكم بشهاب قبس) الشهاب شعلة النار والقبس النار المقبوضة منها وقيل القبس هو العود الذي في أحد طرفيه نار (لعلكم تصطلون) یعنی تستدفنون من البرد وكان في شدة الشتاء (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار) یعنی بورك على من في النار وقيل البركة راجعة إلى موسى والملائكة والمعنى من في طلب النار وهو موسى (ومن حولها) وهم الملائكة الذين حول النار وهذه تحية من الله عز وجل لموسى بالبركة وقيل المراد من النار النور وذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه نارا ومن في النار هم الملائكة وذلك أن النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة هم زجل بالتسبيح والتقديس ومن حولها موسى لأنه كان بالقرب منها وقيل البركة راجعة إلى النار ، وقال ابن عباس معناه بورك من في النار والمعنى بورك من في النار ومن حولها وهم الملائكة وموسى وروى عن ابن عباس في قوله بورك من في النار یعنی قلنس من في النار وهو الله تعالى عني به نفسه على منى أنه نادى موسى وأسمعه من جهتها كما روى أنه مكتوب في التوراة جاء الله من سيناء وأشرف من ساعين واستعمل من جبال قارآن ومعنى مجيئه

من زكاة أموالهم لأربابها (وهم بالآخرة هم يوقنون) إن الذين لا يؤمنون بالآخرة زينا لهم أعمالهم) القبيحة حتى رأوها حسنة (فهم يعمهون) أي يترددون فيها متحيرين (أولئك الذين لهم سوء العذاب) في الدنيا بالقتل والأسر بيدر (وهم في الآخرة هم الأخسرون) لأنهم خسروا أنفسهم وأهلهم وصاروا إلى النار (وإنك لتلقى القرآن) أي تؤتى القرآن (من لدن حكيم عليم) أي وحيا من عند الله الحكيم العليم قوله عز وجل (إذ قال موسى لأهله) أي واذكر يا محمد إذ قال موسى لأهله في مسيره من مدين إلى مصر (إني آنست نارا) أي أبصرت نارا (سأتيكم منها بخير) أي امكنوا مكانكم سأتيكم بخير عن الطريق

أو النار وكان قد ترك الطريق (أو آتيكم بشهاب قبس) قرأ أهل الكوفة بشهاب بالتثوين جعلوا القبس نعتا للشهاب وقرأ الآخرون بلا تنوين على الإضافة وهو إضافة الشيء إلى نفسه لأن الشهاب والقبس متقاربان في المعنى ، وهو العود الذي في أحد طرفيه نار وليس في الطرف الآخر نار وقال بعضهم الشهاب هو شيء ذو نور مثل العود والعرب تسمى كل أبيض ذي نور شهابا والقبس القطعة من النار (لعلكم تصطلون) تستدفنون من البرد وكان ذلك في شدة الشتاء (فلما جاءها نودي أن بورك من في النار ومن حولها) أي بورك على من في النار أو في من في النار والعرب تقول ياركة الله

وبارك فيه وبارك عليه بمعنى واحد وقال قوم البركة راجعة إلى موسى والملائكة معناه بورك من في طلب النار وهو موسى عليه السلام ومن حولها وهم الملائكة الذين حول النار ومعناه بورك فيك يا موسى وفي الملائكة الذين حول النار وهذا تحية من عند الله عز وجل لموسى بالبركة كما حيا إبراهيم على السنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ومذهب أكثر المفسرين أن المراد بالنار النور وذكر بلفظ النار لأن موسى حسب ناراً ومن في النار هم الملائكة وذلك أن النور الذي رآه موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتقديس والتسييح ومن حولها هو موسى لأنه كان بالقرب منها ولم يكن فيها وقيل من في النار ومن حولها جميعاً الملائكة وقيل من في النار موسى ومن حولها الملائكة وموسى وإن لم يكن في النار كان قريباً منها كما يقال بلغ فلان المنزل إذا قرب منه وإن لم يبلغه بعد وذهب بعضهم إلى أن البركة راجعة إلى النار وروى مجاهد عن ابن عباس أنه قال معناه بورك في النار وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال سمعت أبا يعرأ أن بورك في النار ومن حولها ومن قد (١٣٤) يأتي بمعنى ما كقوله تعالى «فمنهم من يمسي على بطنه» وما قد يكون صلة

في الكلام كقوله «جند ما هنالك» ومعناه بورك في النار وفيه من حولها وهم الملائكة وموسى عليه السلام وسعى النار مباركة كما سعى البقرة مباركة فقال في البقرة المباركة وروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن في قوله بورك من في النار يعني قدس من في النار وهو الله عني به نفسه على معنى أنه نادى موسى منها وأسمعه كلامه من جهتها كما روى أنه مكتوب في التوراة جاء الله من سيناء وأشرف من ساعين

من سيناء بعثه موسى منه ومن ساعين بعثة المسيح ومن جبال فاران بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وفاران اسم مكة وقيل كانت النار بعينها وهي إحدى حجب الله عز وجل كما صح في الحديث «حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» ثم نزه الله سبحانه وتعالى نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب فقال تعالى (وسبحان الله رب العالمين) ثم تعرفت إلى موسى بصفاته فقال الله يا موسى (إنه أنا الله العزيز الحكيم) قيل معناه أن موسى قال من المنادي قال إنه أنا الله وهذا تمهيد لما أراد الله أن يظهره على يده من المعجزات والمعنى أنا القوى القادر على ما يعجز عن الأوهام كقلب العصا حية وهو قوله (وأتى عصاك) تقدره فألقاها فصارت حية (فلما رآها تهتز) أي تتحرك (كأنها جان) وهي الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابها (ولى مدبراً) يعني هرب من الخوف (ولم يعقب) يعني لم يرجع ولم يلتفت قال الله تعالى (يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدى المرسلون) يريد إذا آمنتم لا يخافون أما الخوف الذي هو شرط الإيمان فلا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم «أنا أخشاكم لله» (إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم) قيل هو ما يصدر من الأنبياء من ترك الأفضل والصغيرة وقيل محتمل أن يكره المراد منه التعريض بما وجد من موسى من قتل القبطي وهو من التعريضات اللطيفة وسماه ظملاً لقول موسى «إني ظلمت نفسي» ثم إنه يخاف من ذلك فتأب قال رب إني ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له قال ابن جرير قال الله تعالى يا موسى إنما أخفناك لتبذل النفس ومعنى الآية لا يخيف الله الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم فإن أصابه أخافه حتى يتوب فعلى هذا التأويل يكون صحيحاً وتناهى الخبر عن الرسل عند قوله إلا من ظلم ثم ابتداء الخبر عن

واستعمل من جبال فاران فجيشه من سيناء بعثه موسى منها ومن ساعين بعثه المسيح منها ، ومن جبال فاران بعثه المصطفى منها وفاران مكة قبل كان ذلك نوره عز وجل قال سعيد بن جبير كانت النار بعينها ، والنار إحدى حجب الله تعالى كما جاء في الحديث «حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه» ثم نزه الله نفسه وهو المنزه من كل سوء وعيب فقال جل ذكره (وسبحان الله رب العالمين) ثم تعرفت إلى موسى بصفاته فقال (يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم) والمعنى في قوله إنه عماد وليس بكتابة وقيل هي كتابة عن الأمر والشأن أي الأمر والشأن أي المعبود أنا ثم أرى موسى آية على قدرته فقال (وأتى عصاك فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) وهي الحية الصغيرة التي يكثر اضطرابها (ولى مدبراً) وهرب من الخوف (ولم يعقب) ولم يرجع يقال عقب فلان إذا رجع وكل راجع معقب ، وقال قتادة ولم يلتفت فقال الله عز وجل (يا موسى لا تخف إني لا يخاف لدى المرسلون) يريد إذا آمنتم لا يخافون أما الخوف الذي هو شرط الإيمان فلا يفارقهم قال النبي صلى الله عليه وسلم «أنا أخشاكم لله» وقوله (إلا من ظلم ثم بدل حسناً بعد سوء فإني غفور رحيم) واختلف في هذا الاستثناء قيل هذا إشارة إلى أن موسى حين قتل القبطي خافه من ذلك ثم تأب فقال رب إني

ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له قال ابن جريج قال الله تعالى اومى إنما أخفنتك لتفكك النفس وقال معنى الآية لا يجزى الله
الأنبياء إلا بذنب يصيبه أحدهم فان أصابه أخافه حتى يتوب فعلى هذا التأويل يكون الاستثناء صحيحا وتناهى الخبر عن
الرسول عند قوله «إلا من ظلم» ثم ابتداء الخبر عن حال من ظلم من الناس كافة ، وفي الآية متروك استغنى عن ذكره بدلالة
الكلام عليه تقديره فمن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم قال بعض العلماء ليس هذا باستثناء من المرسلين
لأنه لا يجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المتروك ومعناه لا يخاف لدى المرسلون إنما الخوف على غيرهم من الظالمين
إلا من ظلم ثم تاب وهذا من الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من (١٣٥) سائر الناس فانه يخاف فان تاب
وبدل حسنا بعد سوء

فان الله غفور رحيم يعني
يغفر الله له ويؤمل
الخوف عنه وقال بعض
التحويين إلا هاهنا
بمعنى ولا يعني لا يخاف
لدى المرسلون ولا من
ظلم ثم بدل حسنا بعد
سوء يقول لا يخاف لدى
المرسلون ولا الملتزمين
التائبون كقوله تعالى
ولا يلائقون للناس عليكم
حجة إلا الذين ظلموا
منهم يعني ولا الذين
ظلموا ثم أراه الله آية
أخرى فقال (وأدخل
يدك في جيبيك) والجيب
حيث جيب من القميص
أى قطع قال أهل التصبر
كانت عليه مدرعة
من صوف لا كم لها
ولا أزرار فأدخل
يده في جيبيه وأخرجها

حالة من ظلم من الناس كافة وفي الآية متروك استغنى عن ذكره لدلالة الكلام عليه تقديره
فمن ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم وقبل ليس هذا الاستثناء من المرسلين لأنه
لا يجوز عليهم الظلم بل هو استثناء من المتروك ومعناه لا يخاف لدى المرسلون إنما الخوف عليهم
من الظالمين وهذا الاستثناء المنقطع معناه لكن من ظلم من سائر الناس فانه يخاف فان تاب
وبدل حسنا بعد سوء فاني غفور رحيم أى أغفر له وأزيل خوفه وقيل إلا هنا بمعنى ولا معناه
ولا يخاف لدى المرسلون ولا من ظلم ثم بدل حسنا بعد سوء يعني تاب من ظلمه فاني غفور رحيم
ثم إن الله تعالى أراه آية أخرى فقال تعالى (وأدخل يدك في جيبيك تخرج بيضاء) قبل كانت
عليه مدرعة صوف لا كم لها ولا أزرار فأدخل يده في جيبيها وأخرجها فاذا هي تبرق مثل
شعاع الشمس أو البرق (من غير سوء) يعني من غير برص (في تسع آيات) يعني آية مع تسع
آيات أنت مرسل بين فعلى هذا تكون الآيات إحدى عشرة العصا واليد البيضاء والفلق
والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجذب في واديهم والنقصان في مزارعهم
وقيل في بمعنى من أى من تسع آيات فتكون اليد البيضاء من التسع (إلى فرعون وقومه إنهم
كانوا قوما فاسقين) يعني خارجين عن الطاعة (فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) يعني بينة واضحة
بيصرونها (قالوا هذا) يعني الذي نراه (سحر مبين) يعني ظاهر (وجحدوا بها) يعني أنكروا
الآيات ولم يقرروا أنها من عند الله (واستيقنوا أنفسهم) يعني علموا أنها من عند الله والمعنى
أنهم جحدوا بها بالسلمتهم واستيقنوها بقلوبهم وضأروهم (ظلموا وعلوا) أى شركا وتكبرا
عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عقوبة المفسدين) يعني الفرق . قوله تعالى
(ولقد آتينا داود وسليمان علما) يعني علم القضاء والسياسة وعلم داود تسبيح الطير والجبال
وعلم سليمان منطق الطير والدواب (وقالا الحمد لله الذى فضلنا) يعني بالنبوة والكتاب والملك وتسخير
الجن والإنس (على كثير من عباده المؤمنين) أراد بالكثير الذين فضلا عليهم من لم يؤت
علما أو لم يؤت مثل علمهما وفيه أنها فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وقيل إنهما لم
يفضلا أنفسهما على الكل وذلك يدل على حسن التواضع . قوله تعالى (وورث سليمان داود)
يعنى نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا وأعطى سليمان ما أعطى

فاذا هي تبرق مثل البرق فذلك قوله (تخرج بيضاء من غير سوء) من غير برص (في تسع آيات) يقول هذه آية مع تسع
آيات أنت مرسل بين (إلى فرعون وقومه إنهم كانوا قوما فاسقين فلما جاءتهم آياتنا مبصرة) بينة واضحة بيصروها (قلوا
هذا سحر مبين) ظاهر (وجحدوا بها) أى أنكروا الآيات ولم يقرروا أنها من عند الله (واستيقنوا أنفسهم) يعني علموا أنها
من عند الله قوله (ظلموا وعلوا) يعني شركا وتكبرا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى (فانظر كيف كان عقوبة المفسدين)
قوله عز وجل (ولقد آتينا داود وسليمان علما) يعني علم القضاء ومنطق الطير والدواب وتسخير الشياطين وتسبيح الجبال
(وقالا الحمد لله الذى فضلنا) بالنبوة والكتاب والجن والإنس (على كثير من عباده المؤمنين وورث
سليمان داود) نبوته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود تسعة عشر ابنا وأعطى سليمان ما أعطى داود من الملك

وأما الزرزور فيقول اللهم إني أسألك قوت يوم يارزاق ، وأما الدراج فيقول الرحمن على العرش استوى قال فأسلم اليهود وحسن إسلامهم وروى عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين عن علي قال : إذا صاح النسر قال يا ابن آدم عشت ماشئت آخره الموت وإذا صاح العقاب قال في البعد من الناس أنس وإذا صاح القنبر قال إلهي العن مبعضى آل محمد وإذا صاح الخطاطف قرأ الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمد القارئ ، قوله تعالى (وأوتينا من كل شيء) يؤتى الأنبياء والملوك قال ابن عباس من أمر الدنيا والآخرة ، وقال مقاتل (١٣٧) يعني النبوة والملك وتسخير الجن

والشياطين والرياح (إن هذا هو الفضل المبين) الزيادة الظاهرة على ما أعطى غيرنا . وروى أن سليمان عليه السلام أعطى ملك مشارق الأرض ومغاربها فلك سبعمئة سنة وستة أشهر ، ملك جميع أهل الدنيا من الجن والإنس والدواب والطيور والسباع وأعطى على ذلك منطق كل شيء وفي زمانه صنعت الصنائع العجيبة . قوله عز وجل (وحشر لسليمان) وجمع سليمان (جنوده من الجن والإنس والطيور) مسيره (فهو يوزعون) فهم يكفون قال قتادة كان على كل صنف من جنوده وزعة ترد أوفا إلى آخرها ثلاثا يتقدموا في المسير والوزاع الخابس وهو النقيب وقال مقاتل يوزعون يساقون وقال السدي يوقنون وقيل يجمعون وأصل الوزع

وأما الحمار فانه يقول اللهم العن العشار وأما الفرس فانه يقول إذا التقي الجمعان سيوح قدوس رب الملائكة والروح وأما الزرزور فانه يقول اللهم إني أسألك قوت يوم يارزاق وأما الدراج فانه يقول الرحمن على العرش استوى فأسلم هؤلاء اليهود وحسن إسلامهم وروى عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم قال إذا صاح النسر قال يا ابن آدم عشت ماشئت آخره الموت وإذا صاح العقاب قال البعد من الناس أنس وإذا صاح القنبر قال إلهي العن مبعضى آل محمد وإذا صاح الخطاطف قال الحمد لله رب العالمين ويمد الضالين كما يمد القارئ . وقوله تعالى (وأوتينا من كل شيء) أي ما أوتي الأنبياء والملوك قال ابن عباس من أمر الدنيا والآخرة وقيل النبوة والملك وتسخير الرياح والجن والشياطين (إن هذا هو الفضل المبين) يعني الزيادة الظاهرة على ما أعطى غيرنا وروى أن سليمان أعطى مشارق الأرض ومغاربها فلك ذلك أربعين سنة فلك جميع الدنيا من الجن والإنس والشياطين والطيور والدواب والسباع وأعطى مع هذا منطق الطير ومنطق كل شيء وفي زمانه صنعت الصنائع العجيبة (وحشر) أي جمع (لسليمان جنوده من الجن والإنس والطيور) من الأما كن المختلفة في مسير له (فهم يوزعون) أي يجيئون حتى يرد أوهم على آخرهم قيل كان على جنوده وزعة من النقباء ترد أوفا على آخرها ثلاثا يتقدموا في المسير قال محمد بن كعب القرظي كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للإنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير والفرسخ اثنا عشر ألف خطوة فالبريد ثمانية وأربعون ألف خطوة لأنه أربع فراسخ فجملة ذلك خمسة وعشرون بريدا وقيل نسجت الجن له بساطا من ذهب وحرير فرصفا في فرسخ وكان يوضع كرسبه في وسطه فيقدم وحوله كرامس الذهب والفضة فيقع الأنبياء على كرامس الذهب والعلماء على كرامس الفضة والناس حواه والجن والشياطين حول الناس والوحوش حولهم وتظله الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه شمس وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثائة منكوحة يعني حرة وسبعمئة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ثم يأمر الرخاء فتسير به وأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض أني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت الريح وأخبرتك به . قوله عز وجل (حتى إذا أتوا على وادي النمل) أي أشرفوا على وادي النمل روى عن كعب الأبار قال كان سليمان إذا ركب حمل أهله وتخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخازن فيها تانير الحديد والقوار العظام تمنع كل قدر عشرة من الإبل فيطبخ الطباخون

(١٨ - مخازن بالبعوى - خامس) الكف والمنع قال محمد بن كعب القرظي كان معسكر سليمان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للإنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثائة منكوحة وسبعمئة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ويأمر الرخاء فتسير به فأوحى الله إليه وهو يسير بين السماء والأرض إني قد زدت في ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشيء إلا جاءت به الريح فأخبرتك . قوله عز وجل (حتى إذا أتوا على وادي النمل) روى عن وهب بن منبه عن كعب قال كان سليمان إذا ركب حمل أهله وتخدمه

وحشمه وقد اتخذ مطابخ وغابز يحمل فيها ثنابير الحديد وقادر عظام يسع كل قدر عشر جزائر وقد اتخذ ميادين للدواب
 أمامه فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وتجري الدواب بين يديه بين السماء والأرض والريح تهوى بهم فصار من اصطخر
 إلى اليمن فسلك مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى
 لمن اتبعه ورأى حول البيت أصناما تعبد من دون الله ، فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت فأوحى الله إلى البيت ما يبكيك
 فقال يارب أبكاني أن هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا على فلم يبطلوا ولم يصلوا عندي والأصنام تعبد حولي
 مع دونك فأوحى الله إليه أن لا تبك فاني سوف أمأوك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا في آخر الزمان
 أحب أنبيائي إلى وأجعل فيك عمارا (١٣٨) من خلقي يعبدونني وأعرض على عبادي فريضة يزفون إليك زفيف

النسور إلى وكرها ويحنون
 إليك حين الناقة إلى
 ولدها والحمامة إلى
 بيضتها وأطهرك من
 الأوثان وعبدة الشياطين
 ثم مضى سليمان حتى مر
 بوادي السدير واد من
 الطائف فأتى على وادي
 النمل هكذا قال كعب
 إنه واد بالطائف وقال
 قتادة ومقاتل هو أرض
 بالشام وقيل واد كان
 يسكنه الجن وأولئك
 النمل مراكبهم . وقال
 نوف الجعفي كان نمل
 ذلك الوادي أمثال الذباب
 وقيل كالبخاري والمشهور
 أنه النمل الصغير وقال
 الشعبي كانت تلك النملة
 ذات جناحين وقيل
 كانت نملة عرجاء
 فنادت (قالت نملة يا أيها
 النمل ادخلوا مساكنكم)

ويخبز الخبازون وهو بين السماء والأرض واتخذ ميادين للدواب فتجري بين يديه والريح
 تهوى به فصار من اصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة الرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
 سليمان هذه دار هجرة نبي يكون في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل
 مكة رأى حول البيت أصناما تعبد فجأوزه سليمان فلما جأوزه بكى البيت فأوحى الله إليه
 ما يبكيك قال يارب أبكاني هذا نبي من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا على ولم يبطلوا ولم
 يصلوا عندي والأصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله إليه لا تبك فاني سوف أمأوك وجوها
 سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا في آخر الزمان أحب أنبيائي إلى وأجعل فيك
 عمارا من خلقي يعبدونني وأعرض عليهم فريضة يزفون إليك زفيف النسور إلى وكرها ويحنون
 إليك حين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضتها وأطهرك من الأوثان والأصنام والشيطان ثم
 مضى سليمان حتى مر بوادي السدير واد من الطائف فأتى على وادي النمل كذا قال كعب الأجرار
 وقيل إنه بالشام وقيل هو واد يسكنه الجن وذلك النمل مراكبهم وقيل إن ذلك النمل أمثال
 الذباب وقيل كالبخاري والمشهور أنه النمل الصغير (قالت نملة) قيل كانت عرجاء وكانت ذات
 جناحين وقيل اسمها طاحية وقيل جرمي (يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم) ولم يقل أدخلن لأنه
 جعل لهم عقولا كالآدميين فخطبوا خطاب الآدميين وهذا ليس بمستبعد أن يخلق الله فيها
 عقلا ونطقا فانه قادر على ذلك (لا يحطمنكم) أي لا يكسرنكم (سليمان وجنوده وهم لا يشعرون)
 قال أهل التفسير علمت النملة أن سليمان نبي ليس فيه جبروتية ولا ظلم ومعنى الآية أنكم لو
 لم تدخلوا وطؤوكم ولم يشعروا بكم فسمع سليمان قولها من ثلاثة أميال وكان لا يتكلم أحد بشيء
 إلا حملته الريح حتى تلقته إلى مسامع سليمان فلما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخلوا
 بيوتهم . فان قلت كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وهو فوق البساط على متن الريح
 قلت كأنهم أرادوا النزول عند منقطع الوادي فلذلك قالت نملة لا يحطمنكم سليمان وجنوده
 لأنهم مادامت الريح تحملهم لا يخاف حطمهم (فتبسم ضاحكا من قولها) قيل أكثر ضحك
 الأنبياء تبسم وقيل معنى ضاحكا متبسما وقيل كان أوله التبسم وآخره الضحك (ق) عني عائشة

ولم تقل ادخلن لأنه لما جعل لهم عقولا كالآدميين فخطبوا خطاب الآدميين (لا يحطمنكم) لا يكسرنكم
 (سليمان وجنوده) والحطم الكسر (وهم لا يشعرون) فسمع سليمان قولها وكان لا يتكلم خلق إلا حملته الريح فأنقته
 في مسامع سليمان قال مقاتل سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال قال الضحك كان أهم تلك النملة طاحية قال مقاتل كان
 اسمها جرمي . فان قيل كيف يتصور الحطم من سليمان وجنوده وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السماء
 والأرض قبل كانت جنوده ركباناً وريهم مشاة على الأرض تطوى لهم ، وقيل يحتمل أن يكون هذا قبل تسخير الله الريح
 لسليمان . قال أهل التفسير علم للنمل أن سليمان نبي ليس فيه جبروتية ولا ظلم ومعنى الآية أنكم لو لم تدخلوا مساكنكم وطؤوكم
 ولم يشعروا بكم ويروي أن سليمان لما بلغ وادي النمل حبس جنوده حتى دخل النمل بيوتهم . قوله عز وجل (فتبسم ضاحكا من قولها)

قال الزجاج أكثر ضحك الأتبياء التيسم ، وقوله ضاحكا أي متبسما قيل كان أوله التيسم وآخره الضحك . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسماعيل ثنا يحيى بن سليمان حدثني بن وهب أنا عمرو وهو ابن الحارث أنا أبو النصر حدثه عن سليمان بن يسار عن عائشة قالت : وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لحواته إنما كان يتبسّم ، أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا أبو القاسم الخراساني أنا الهيثم بن كليب ثنا أبو عيسى ثنا قتيبة بن سعيد ثنا ابن فضيلة عن عبد الله بن المقبرة عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال : وما رأيت أحدا أكثر تيسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال مقاتل كان ضحك سليمان من قول الزملة تعجبا لأن الإنسان إذا رأى مالا عهد له به تعجب وضحك ثم حمد سليمان ربه على (١٣٩) ما أنعم عليه (وقال رب أوزعني)

الهدنى (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) أي أدخلني في جملة من أحببتهم وأثبت اسمي مع أسمائهم واحشروني في زميرهم قال ابن عباس يريد مع إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين ، وقيل أدخلني الجنة برحمتك مع عبادك الصالحين . قوله عز وجل (وتنقذ الصالحين) أي طلبها وبحث عنها والتنقذ طلب ما فقد ومعنى الآية طلب ما فقد من الطير (فقال مالي لا أرى الهدى) أي ما للهدى لأراه تقول العرب مالي أراك كئيبا

رضي الله عنها قالت : وما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم مستجمعا قط ضاحكا حتى أرى منه لحواته إنما كان يتبسّم ، عن عبد الله بن الحارث بن جزء قال : وما رأيت أحدا أكثر تيسما من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أخرجه الترمذي . فان قلت ما كان سبب ضحك سليمان . قلت شيان : أحدهما ما دل من قولنا على ظهور رحمة ورحمة جنوده وشهقتهم وذلك قولنا وهم لا يشعرون يعني أنهم لو شعروا ما يفعلون . الثاني سروره بما آتاه الله مما لم يأت أحدا من إدراك سمعه ما قالته الخلة وقيل إن الإنسان إذا رأى أو سمع مالا عهد له به تعجب وضحك ثم إن سليمان حمد ربه على ما أنعم به عليه (وقال رب أوزعني) أي الهدنى (أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) أي أدخلني في جملة من أحببتهم وأثبت اسمي مع أسمائهم واحشروني في زميرهم قال ابن عباس يريد مع إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين وقيل أدخلني الجنة مع عبادك الصالحين . قوله عز وجل (وتنقذ الصالحين) أي طلبها وبحث عنها والمعنى أنه طلب ما فقد من الطير (فقال مالي لا أرى الهدى) وكان سبب تنقذه الهدى وسؤاله عنه إخلاله بالنبوة وذلك أن سليمان كان إذا نزل منزلا تظله وجنده الطير من الشمس فأصابته الشمس من موضع الهدى فنظر فرآه خاليا . وروى عن ابن عباس أنه كان دليله على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الأرض كما يرى في الزجاجية ويعرفه من بعده فينقر الأرض فتجىء الشياطين فيحفرونه ويستخرجون الماء منه قال سعيد بن جبيرة لما ذكر ابن عباس هذا قال نافع بن الأزرق بأوصاف انظر ما تقول إن الصبي منا يضع النخ ويحشو عليه التراب فيجىء بالهدى وهو لا يبصر النخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس ويحك إذا جاء القدر حال دون البصر وفي رواية إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمى البصر فنزل سليمان منزلا واحتاج إلى الماء فطلبوه فلم يجدوه فنقذ الهدى ليدل على الماء فقال مالي لا أرى الهدى على تقدير أنه مع جنوده وهو لا يراه ثم إنه أدركه الشك فقال (أم كان من الغائبين) أي أكان وقيل بل

أي مالك والهدى طائر معروف وكان سبب تنقذه الهدى وسؤاله عنه قيل إخلاله بالنبوة وذلك أن سليمان كان إذا نزل منزلا يظله وجنده جناح الطير من الشمس فأصابته الشمس من موضع الهدى فنظر فرآه خاليا . وروى عن ابن عباس أن الهدى كان دليل سليمان على الماء وكان يعرف موضع الماء ويرى الماء تحت الأرض كما يرى في الزجاجية ويعرفه من بعده فينقر الأرض ثم تجىء الشياطين فيسلخونه ويستخرجون الماء منه قال سعيد بن جبيرة لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الأزرق بأوصاف انظر ما تقول إن الصبي منا يضع النخ ويحشو عليه التراب فيجىء الهدى ولا يبصر النخ حتى يقع في عنقه فقال له ابن عباس ويحك إن القدر إذا جاء حال دون البصر . وفي رواية إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمى البصر فنزل سليمان منزلا فاحتاج إلى الماء فطلبوا فلم يجدوا فنقذ الهدى ليدل على الماء فقال مالي لا أرى الهدى على تقدير أنه مع جنوده وهو لا يراه ثم أدركه الشك في غيبته فقال (أم كان من الغائبين) يعني أكان من الغائبين والميم صالة . وقيل أم بمعنى بل

ثم أوعده على غيبته فقال (لأعذبه عذابا شديدا) واختلقتوا في العذاب الذي أوعده به فأظهر الأقاويل أن يفتن ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطا لا يمتنع من النمل ولا من هوام الأرض وقال مقاتل بن حيان لأظلمه بالفطران ولأحسنه . وقيل لأود عنه القفص وقيل لأفرق بينه وبين إلفه وقيل لأحبسه مع ضده (أو لأذبحه) لأقطعن حلقة (أو لياثيني بسلطان مبین) بحجة بينة في غيبته وعذر ظاهر قرأ ابن كثير لياثيني بنونين الأولى مشددة وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة . وكان سبب غيبته على ما ذكره العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم فتجهز للمسير واستصحب من الجن والإنس والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ معه مائة فرسخ فحملتهم الريح فلما وافى الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم وكان (١٤٠) ينحر كل يوم بمقامه بمكة خمسة آلاف ذقة ويذبح خمسة آلاف ثور

كان من أهل الغائبين ثم أوعده على غيبته فقال (لأعذبه عذابا شديدا) قيل هو أن يفتن ريشه وذنبه ويلقيه في الشمس ممعطا لا يمتنع من النمل ولا من غيره وقيل لأودعته القفص ولأحبسه مع ضده وقيل لأفرق بينه وبين إلفه (أو لأذبحه أو لياثيني بسلطان مبین) أي بحجة بينة على غيبته وكان سبب غيبة الهدد على ما ذكره العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم فتجهز للمسير واستصحب جنوده من الجن والإنس والطيور والوحوش فحملتهم الريح فلما وافى الحرم أقام ما شاء الله أن يقيم وكان في كل يوم ينحر طول مقامه خمسة آلاف ذقة ويذبح خمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن يحضر من أشراف قومه إن هذا المسكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع من نأواه وتبلغ هيبة مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فيأى دين يدين يدين يانبي الله؟ قال دين يدين يدين الخنيفية البيضاء فطوبى لمن أدركه وآمن به فقالوا كم بيننا وبين خروجه يانبي الله؟ قال مقدار ألف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل قال فأقام بمكة حتى قضى نسكه ثم

وعشرين ألف كبش وقال لمن حضره من أشراف قومه إن هذا مكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع من نأواه وتبلغ هيبة مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم قالوا فيأى دين يدين يدين الخنيفية البيضاء فطوبى لمن أدركه وآمن به فقالوا كم بيننا وبين خروجه يانبي الله؟ قال مقدار ألف عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب فإنه سيد الأنبياء وخاتم الرسل قال فأقام بمكة حتى قضى نسكه ثم

خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوافق صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء تزهر خضرتها فأحب النزول بها ليصلى ويتغذى فلما نزل قال الهدد إن سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع نحو السماء لينظر إلى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك فنظر بيننا وشمالا فرأى بستانا بلقيس فقال إلى الحضرة فوقع فيه فإذا هو بهدده فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن يعفير فقال يعفير اليمن يعفور سليمان من أين أقبلت وأين تريد؟ قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود فقال ومن سليمان قال ملك الجن والإنس والجن والشياطين والطيور والوحوش والرياح فن أنت يا يعفير قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وإن لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تملك اليمن وتحت يدها أربع مائة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربعة آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدبرون ملكها ولها اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد

سليمان إلى بركة غير من الظ الآية كالتقيد فائد سليمان هذه فسأل فسأل وقال اعقاد عقيدة الله ذكرنا انهم الله بسلا العقول على شد قال غير الله لينة لايم وه اتيا بحر الله ما أي تبلفه القو

سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء قال المدهد الياني إن صاحبك يسره أن تأتيه بنجر هذه الملكة فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها وما رجع إلى سليمان إلا في وقت العصر قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت الصلاة وكان نزل على غير ماء فسأل الإنس والجن والشياطين عن الماء فلم يعلموا فتفقد الطير ففقد المدهد فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن المدهد فقال أصاح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته إلى مكان فغضب عند ذلك سليمان وقال لأعدته عذاباً شديداً الآية ثم دعا العقاب سيد الطير فقال على بالمدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى ألزق بالهواء فنظر إلى الدنيا فالتصعة بين يدي أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فإذا هو بالمدهد مقبلا من (١٤١) نحو اليمن فانقض العقاب نحوه

يريده فلما رأى المدهد

ذلك علم أن العقاب

يقصده بسوء فتأشده

فقال بحق الله الذي

قواك وأقدرك على

الإلحاح مني ولم تعرض

لي بسوء قال فولى عنه

العقاب وقال له وبلك

ثكلتك أمك إن نبي الله

قد حلف أن يعذبك أو

يذبحك ثم طار متوجهاً

نحو سليمان فلما انتهى

إلى العسكر تلقاه النسر

والطير فقالوا له وبلك

أين غبت في يومك هذا

ولقد نوءدك نبي الله

وأخبراه بما قال فقال

المدهد أو ما استنتى

رسول الله قالوا بلى قال

أو ليأتيني بسلطان ميين

قال فنجوت إذا ثم طار

العقاب والمدهد حتى

فائد اثنا عشر ألف مقاتل فهل أنت منطلق معي حتى تنظر إلى ملكها قال أخاف أن يفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج إلى الماء قال المدهد الياني إن صاحبك يسره أن تأتيه بنجر هذه الملكة قال فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها وأما سليمان فإنه نزل على غير ماء فسأل عن الماء الإنس والجن فلم يعلموا فتفقد المدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فسأله عن المدهد فقال أصاح الله الملك ما أدري أين هو وما أرسلته إلى مكان فغضب سليمان وقال لأعدته الآية ثم دعا العقاب وهو أشد الطير فقال له على بالمدهد هذه الساعة فرفع العقاب في الهواء حتى رأى الدنيا كالتصعة بين يدي أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فرأى المدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب يريده فعلم المدهد أن العقاب يقصده بسوء فقال له بحق الله الذي قواك وأقدرك على الإلحاح مني ولم تعرض لي بسوء قال فولى عنه العقاب وقال له وبلك ثكلتك أمك إن نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك ثم طار متوجهاً نحو سليمان فلما انتهى إلى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا وبلك أين غبت في يومك هذا فلقد نوءدك نبي الله وأخبروه بما قال سليمان فقال المدهد أو ما استنتى نبي الله قالوا بلى ولكنه قال أو ليأتيني بسلطان ميين قال نجوت إذا فانطلق به العقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد آتيتك به ياني الله فلما قرب منه المدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعا لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فده إليه وقال له أين كنت لأعدتك عذاباً شديداً فقال ياني الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم قال ما الذي أظأك عني فقال المدهد ما أخبر الله عنه بقوله تعالى (فكث غير بعيد) معناه أي غير طويل (فقال أحطت بما لم تحط به) أي علمت ما لم تعلم وباءت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك أهم الله المدهد هذا الكلام فكافح سليمان تنبهاً على أن أدنى خفاق الله قد أحاط علما بما لم يحط به ليكون لطفاً له في ترك الإعجاب والإحاطة بالشيء علما أن يعلمه من جميع جهاته حتى لا يخفى عليه منه معلوم (وجنتك من سباً) قيل هو اسم للبلد وهي مأرب والأصح أنه اسم رجل وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وقد جاء في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم

أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد آتيتك به ياني الله فلما قرب المدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الأرض تواضعا لسليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فده إليه وقال له أين كنت لأعدتك عذاباً شديداً فقال المدهد ياني الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فلما سمع سليمان ذلك ارتعد وعفا عنه ثم سأله فقال ما الذي أظأ بك عني؟ فقال المدهد ما أخبر الله عنه في قوله (فكث) قرأ عاصم ويعقوب فكث بفتح الكاف وقرأ الآخرون بضمها وهما لغتان (غير بعيد) أي غير طويل (فقال أحطت بما لم تحط به) والإحاطة العلم بالشيء من جميع جهاته يقول علمت ما لم تعلم وبلغت ما لم تبلغ أنت ولا جنودك (وجنتك من سباً) قرأ أبو عمرو والبزري عن ابن كثير من سباً ولسباً في سورة سبأ مفتوحة الهمزة وقرأ القواسم عن ابن كثير ساكنة بلا همز وقرأ الآخرون بالجر فن لم يجره جعله اسم البلد ومن جره جعله اسم رجل فقد جاء

في الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم مثل عن سبأ فقال كان رجلا له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وثشام أربعة (بليا) بنجر (يقين) فقال سليمان وما ذلك قال (لاني وجدت امرأة تملكهم) وكان اسمها بلقيس بنت شراحيل من نسل يعزب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيم الشأن قد ولد له أربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول الملوك الأطراف ليس أحد منكم كفووا لي وأبي أن يتزوج فيهم فزوجوه امرأة من الجن يقال لها ربخافة بنت السكن فولدت له بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وجاء في الحديث أن إحدى أبوي بلقيس كان جنيا ، فلما مات أبو بلقيس طمعت في الملك فطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعها (١٤٣) قوم وعصاها قوم آخرون فملكوا عليهم رجلا وافترقوا فرقتين

كل فرقة استولت على طرف من أرض اليمن ، ثم إن الرجل الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده إلى حرم رعيته ويفجر بين فأراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت ذلك بلقيس أدركتها الغيرة فأرسلت إليه تعرض نفسها عليه فأجابها الملك وقال ما منعتني أن أبتدئك بالخطبة إلا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك لأنك كفو كريم فاجمع رجال قومي واخطبني إليهم فجمعهم وخطبها إليهم فقالوا لارها تفعل هذا فقال لهم إنها ابتدأتني فانا أحب أن نسمعوا قولها فاجاءوها فذكروا لها فقالت نعم أحببت الولد فزوجوها منه فلما زفت إليه خرجت في أناس كثير

سأل عن سبأ فقال رجل له عشرة من البنين تيامن منهم ستة وثشام أربعة (بليا) أي بنجر (يقين) فقال سليمان وما ذلك فقال (لاني) أي الهدهد (وجدت امرأة تملكهم) هي بلقيس بنت شراحيل من نسل يعزب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيم الشأن قد ولد له أربعون ملكا هو آخرهم وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول الملوك الأطراف ليس أحد منكم كفووا لي وأبي أن يتزوج منهم فخطب إلى الجن فزوجوه منهم امرأة يقال لها ربخافة بنت السكن ، قيل في سبب وصوله إلى الجن حتى خطب منهم أنه كان كثير الصيد فربما اصطاد الجن وهم على صورة الطباء فيخلي عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك واتخذ صديقا فخطب ابنته فزوجها إياها وقيل إنه خرج متصيذا فرأى حيتين يقتتلان بيضاء وسوداء وقد ظهرت السوداء على البيضاء فقتل السوداء وحمل البيضاء وصب عليها الماء فأفاق وأطلقها فلما رجع إلى داره وجلس وحده منفردا فاذا معه شاب جميل فخافت منه قال لا تخف أنا الحية البيضاء التي أحببتني والأسود الذي قتلته هو عبد لنا تمرد علينا وقتل عدة منا وعرض عليه المال فقال المال لا حاجة لي به ولكن إن كان لك بنت فزوجنيها فزوجها ابنته فولدت له بلقيس وجاء في الحديث إن أحد أبوي بلقيس كان جنيا : فلما مات أبو بلقيس طمعت في الملك وطلبت قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وأبي آخرون وملكوا عليهم رجلا آخر يقال إنه ابن أنخي الملك وكان خبيثا سيئ السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده إلى حريم رعيته ويفجر بين فأراد قومه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فأرسلت إليه تعرضت نفسها عليه فأجابها الملك وقال ما منعتني أن أبتدئك بالخطبة إلا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك لأنك كفو كريم فاجمع رجال أهلي واخطبني منهم فجمعهم وخطبها فقالوا لا زارها تفعل فقال بلى إنها قد رغبت في فذكروا ذلك لها فقالت نعم فزوجوها منه فلما زفت إليه خرجت في ملاء كثير من خدمها وحشمها فلما دخلت به سقته الخمر حتى سكر ثم قتلته وحزت رأسه وانصرفت إلى منزلها من الليل فلما أصبحت أرسلت إلى وزرائه وأحضرتهم وفرعهم وقالت أما كان فيكم من يأنف لسكرتته أو كراثم عشيرته ثم أرثهم إياه قتيلًا وقالت اختاروا رجلا تملكونه عليكم فقالوا لا أرضى غيرك فلكوها وعلموا أن ذلك النكاح كان مكرا وخديعة منها (بخ) عن أبي بكره قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس

من حشمها فلما جاءت سقته الخمر حتى سكر ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل إلى منزلها فلما أصبح الناس رأوا الملك قتيلًا ورأسه منصوب على باب دارها فلما رأوا وعلموا أن تلك المناكحة كانت مكرا وخديعة منها اجتمعوا إليها وقالوا أنت بهذا الملك أحق من غيرك فلكوها أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عثمان بن الهيثم أنا عوف عن الحسن عن أبي بكره رضي الله عنه قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال ولن

بطلع قوم ولوا أمرهم امرأة ، قوله تعالى (وأرئيت من كل شيء) يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة (ولها عرش عظيم) مرير ضخم كان مضروباً من الذهب مكللاً بالدر والياقوت الأحمر والزربرجد الأخضر وقوامه من الياقوت والزمرد عليه سبعة أبيات على كل بيت باب مغلق قال ابن عباس كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً . وقال مقاتل كان طوله ثمانين ذراعاً وطوله في الهواء ثمانين ذراعاً وقبل كان طوله ثمانين ذراعاً وعرضه أربعين ذراعاً وارتفاعه ثلاثين ذراعاً (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ألا يسجدوا) قرأ أبو جعفر والكسائي ألا يسجدوا بالتخفيف (١٤٣) وإذا وقفوا يقولون أيا بأم بيتدون يصعدوا على

معنى ألا ياء مؤنث يصعدوا جعلوه أمراً من عند الله مستأنفاً وحذقوا مؤنثاً اكتفاءً بدلالة ياء عليها ، وذكر بعضهم ، بما عا من العرب ألا ياء ارحمونا يريدون ألا ياقوم قال الأخطل :

ألا ياء اسمي ياهد هند
بنى بكر

وإن كان حياناً غدا
آخر الدهر

يريد ألا ياهد اسمي
وعلى هذا يكون قوله

إلا كلاماً معترضاً
من غير القصة إما

من الهدد وإما من
سليان ؛ قال أبو عبيدة

هذا أمر من الله
مستأنف ؛ يعني لا ياء

الناس اصعدوا ، وقرأ
الآخرون ألا يسجدوا

بالتشديد بمعنى وزين
لهم الشيطان أعمالهم

قد ملكوا عليهم بنت كسرى قال : لن يفلح قوم ملكوا عايمهم امرأة . قوله تعالى (وأرئيت من كل شيء) يعني ما يحتاج إليه الملوك من المال والعدة (ولها عرش عظيم) أي سرير ضخم عال . فإن قلت كيف استعظم الهدد عرشها على ما رأى من عظمة ملك سليمان . قلت يحتمل أنه استعظم ذلك بالنسبة إليها ويحتمل أنه لم يكن لسليان مع عظم ملكه مثله وكان عرش بلقيس من الذهب مكللاً بالدر والياقوت الأحمر والزربرجد الأخضر وقوامه من الياقوت والزمرد وعليه سبعة أبيات على كل بيت مغلق قال ابن عباس : كان عرش بلقيس ثلاثين ذراعاً في ثلاثين ذراعاً وطوله في السماء ثلاثون ذراعاً . وقبل كان طوله ثمانين ذراعاً وعرضه ثمانون ذراعاً وكان طوله ثمانين وعرضه أربعين وارتفاعه ثلاثين ذراعاً . قوله عز وجل إخباراً عن الهدد (وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله) وذلك أنهم كانوا يعبدون الشمس وهم مجوس (وزين لهم الشيطان أعمالهم) لما زين هو الله لأنه الفاعل لما يريدون إظهار الشيطان لأنه سبب الاغواء (فصدهم عن السبيل) أي عن طريق الحق الذي هو دين الإسلام (فهم لا يهتدون) أي إلى الصواب (ألا يسجدوا) قرئ بالتخفيف ومعناه ألا ياءها الناس اصعدوا وهو أمر من الله مستأنف وقرئ بالتشديد ومعناه وزين لهم الشيطان أعمالهم لئلا يسجدوا (لله الذي يخرج الخبء) يعني الخفي انخياً (في السموات والأرض) قيل خبء السموات المطر وخبء الأرض النبات (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) والمقصود من هذا الكلام الرد على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لأنه لا يستحق العبادة إلا من هو قادر على من في السموات والأرض عالم بجميع المعلومات (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره .

(فصل)

وهذه السجدة من عزائم السجود يستحب للإناري والمستمع أن يسجد عند قراءتها . فإن قلت قد وصف عرش بلقيس بالعظم وعرش الله بالعظم فما الفرق بينهما . قلت وصف عرش بلقيس بالعظم بالنسبة إليها وإلى أمثاقها من ملوك الدنيا وأما عرش الله تعالى فهو بالنسبة إلى جميع المخلوقات من السموات والأرض فحصل الفرق بينهما فلما فرغ الهدد من كلامه (قال) سليمان (سننظر أصدقت) أي فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) ثم إن الهدد

لئلا يسجدوا (لله الذي يخرج الخبء) أي الخفي انخياً (في السموات والأرض) أي ما خبئ من الخبء من المطر وخبء الأرض النبات وفي قراءة عبد الله يخرج الخبء من السموات والأرض وفي بعض القراءات تقول العرب لا استخراج العلم فيكم يريد منكم وقيل معنى الخبء الغيب يريد يعلم غيب السموات والأرض (ويعلم ما تخفون وما تعلنون) قرأ الكسائي وحفص عن عاصم بالياء فيها لأن أول الآية خطاب على قراءة الكسائي بتخفيف ألا وقرأ الآخرون بالياء (الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) أي هو المستحق للعبادة والسجود لا غيره وعرش ملكة سبأ وإن كان عظيماً فهو صغير حقير في جنب عرشه عز وجل ، ثم هاهنا كلام الهدد فلما فرغ الهدد من كلامه (قال) سليمان (سننظر أصدقت) فيما أخبرت (أم كنت من الكاذبين) فدفع الهدد على الماء فاحترفوا الركابا . وروى الناس والدواب ثم كتب سليمان كتاباً : من عبده الله سليمان بن داود

لى بلفيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم : السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فلا تعلوا على واتواي مسلحين قال ابن جريج لم يزد سليمان على ما قسم الله في كتابه وقال قتادة وكذلك كل الأنبياء كانت يكتب جملا لا يطبلون ولا يكثرون فلما كتب الكتاب طبعه بالسك وختمه بخاتمه فقال للهدد (اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم) قرأ أبو عمرو وعاصم وخزعة ساكنة الماء ويختلسها أبو جعفر ويعقوب وقالون كسرا والآخرون بالاشباع كسرا (ثم تول عنهم) تنح عنهم فكن قريبا منهم (فانظر ماذا يرجعون) يردون من الجواب وقال ابن زيد في الآية تقديم وتأخير مجازها اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم أي انصرفت إلى فأخذ الهدد الكتاب فأتى به إلى بلفيس وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام فوافها في قصرها وقد غلقت (١٤٤) الأبواب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت

رأسها فأثاها الهدد وهي نائمة مستلقية على قفاها فأتى الكتاب على نحرها هذا قول قتادة وقال مقاتل حمل الهدد الكتاب بمنقاره حتى وقف على رأس المرأة وحولها القادة والجنود فرفرت ساعة والناس ينظرون إليه حتى رفعت المرأة رأسها فأتى الكتاب في حجرها وقال ابن منبه وابن زيد كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فاذا نظرت إليها سجدت لها فجاء الهدد الكوة فسدا يجناحه فارتفعت للشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت بالصحيفة فتنظر فرمى بالصحيفة إليها فأخذت بلفيس

دغم على الماء فاحترفوا الركايا وروى الناس والدواب ، ثم إن سبجان كتب كتابا : من عبد الله سليمان بن داود إلى بلفيس ملكة سبأ « بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد أن لا تعلوا على واتواي مسلمين قيل لم يزد على ما نص الله في كتابه وكذلك الأنبياء كانوا يكتبون جملا لا يطباون ولا يكثرون فلما كتب سليمان الكتاب طبعه بالسك وختمه بخاتمه وقال للهدد (اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم) إنما قال إليهم بلفظ الجمع لأنه جعله جوابا لقول الهدد وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فألقه إلى الذين هذا دينهم (ثم تول عنهم) أي تنح عنهم فقصف قريبا منهم (فانظر ماذا يرجعون) أي يردون من الجواب وقيل تقدير الآية فألقه إليهم فانظر ماذا يرجعون ثم تول عنهم أي انصرفت إلى فأخذ الهدد الكتاب وأتى به إلى بلفيس وكانت بأرض مأرب من اليمن على ثلاث مراحل من صنعاء فوجدتها نائمة مستلقية على قفاها وقد غلقت الأبواب ووضعت المفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل إذا رقدت فأتى الهدد وأتى الكتاب على نحرها وقيل حمل الهدد الكتاب بمنقاره حتى وقف على المرأة وحولها القادة والوزراء والجنود فرفرت ساعة والناس ينظرون فرفعت بلفيس رأسها فأتى الكتاب في حجرها وقال وهب بن منبه كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطلع فاذا نظرت إليها سجدت لها فجاء الهدد وسد الكوة يجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس قامت تنظر فرمى بالصحيفة إليها فأخذت بلفيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدد غير بعيد وجاءت هي حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملائ من قومها وهم الأشراف وقال ابن عباس كان مع بلفيس مائة قبيل مع كل قبيل مائة ألف والقبيل ملك دون الملك الأعظم وقيل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف فلما جاءوا وأخذوا مجالسهم (قالت) لهم بلفيس (يا أيها الملائ إني أتى لي كتاب كريم) قيل سمته كريما لأنه كان محتوما روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كرامة الكتاب ختمه »

الكتاب وكانت قارئة فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل الكتاب إليها أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر الهدد غير بعيد فجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملائ من قومها وهم اثنا عشر ألف قائد مع كل قائد مائة ألف مقاتل ، وعن ابن عباس قال كان مع بلفيس مائة ألف قبيل كان مع كل مائة ألف ، والقبيل الملك دون الملك الأعظم وقال قتادة ومقاتل كان أهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على عشرة آلاف ، قال فجاءوا وأخذوا مجالسهم (قالت) لهم بلفيس (يا أيها الملائ) وهم أشراف الناس وكبرائهم (إني أتى لي كتاب كريم) قال عطاء والضحاك سمته كريما لأنه كان محتوما وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال « كرامة الكتاب ختمه » وقال قتادة ومقاتل كتاب كريم أي حسن وهو اختيار الزجاج

وقال حسن مافيه وروى عن ابن عباس كرم أي شريف لشرف صاحبه . وقيل سمته كرميا لأنه كان مصدرا بسم الله الرحمن الرحيم . ثم بينت الكتاب فقالت (إنه من سليمان) وبينت المكتوب فقالت (وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ألا تعالوا على) قال ابن عباس أي لا تتكبروا على وقيل لا تعظموا ولا تزفوا على وقيل معناه لا تمتنعوا على من الإجابة فان ترك الإجابة من العلو والتكبر (وأتوني مسلمين) مؤمنين طائعين قيل هو من الإسلام وقيل هو من الاستسلام (قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري) أشيروا على فيما عرض لي وأجيبوني فيما أشاوركم فيه (ما كنت قاطعة) (١٤٥) قاضية وفاصلة (أمرا حتى تشهدون) أي تحضرون

(قالوا) مجيبين لها (نحن أولوا قوة) في القتال (وأولوا بأس شديد) عند الحرب . قال مقاتل أرادوا بالقوة كثرة العدد وبالأس الشديد الشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال إن أمرتهم بذلك ثم قالوا (والأمر إليك) أيها الملكة في القتال وتركة (فانظري) من الرأي (ماذا تأمرين) تجدينا لأمرك مطيعين (قالت) بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال (إن الملوك إذا دخلوا قرية) عنوة (أفسدوها) خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أي أهانوا أشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الأمر تخلفهم بذلك مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم ثم تناهى الخبر عنها هنا وصدق الله قولها فقال تعالى (وكذلك يفعلون) أي كما قالت هي يفعلون وقيل هو من قوما وهو للتأكيدها لما قالت ثم قالت (وإنى مرسله إليهم بهدية) يعنى إلى سليمان وقومه أصانعه بها على ملكي وأختبره بها أم ملك هو أم نبي فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وإن كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا إلا أن يتبعه في دينه وهو قولها (فناظرة بم يرجع المرسلون) وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الأمور وجربتها فأهدت وصفاء ووصائف قال ابن عباس مائة وصبف ومائة وصبفة قال وهب وغيره عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجوارى لبس الغلمان الأقيية والمناطق وألبست الغلمان لبس الجوارى وجعلت في أيديهم أساور الذهب وفي أعناقهم أطواق الذهب وفي آذانهم أقراط وشنوقا مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة بردون على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج وبعثت إليه لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وأرسلت بالمسك والعود والبنتجوج

وقال ابن عباس كرم أي شريف لشرف صاحبه ثم بينت من الكتاب فقالت (إنه من سليمان) قرأت المكتوب فيه فقالت (وإنه بسم الله الرحمن الرحيم) فان قلت لم قدم إنه من سليمان على بسم الله . قلت ليس هو كذلك بل ابتداء سليمان بسم الله الرحمن الرحيم وإنما ذكرت بلقيس أن هذا الكتاب من سليمان ثم ذكرت ما في الكتاب فقالت وإنه بسم الله الرحمن الرحيم (ألا تعالوا على) قال ابن عباس لا تتكبروا على والمعنى لا تمتنعوا من الإجابة فان ترك الإجابة من العلو والتكبر (وأتوني مسلمين) أي طائعين مؤمنين وقيل من الاستسلام وهو الانتقاد (قالت يا أيها الملأ أفتوني في أمري) أي أشيروا على فيما عرض لي (ما كنت قاطعة أمرا) أي قاضية وفاصلة (حتى تشهدون) أي تحضرون (قالوا) (نحن أولوا قوة) أي في الجسم على القتال (وأولوا بأس شديد) أي عند الحرب وقيل أرادوا بالقوة كثرة العدد والأس والشجاعة وهذا تعريض منهم بالقتال أي إن أمرتهم بذلك ثم قالوا (والأمر إليك) أيها الملكة أي في القتال وتركة (فانظري ماذا تأمرين) أي تجدينا مطيعين لأمرك (قالت) بلقيس مجيبة لهم عن التعريض للقتال وما يتول إليه أمره (إن الملوك إذا دخلوا قرية) أي عنوة (أفسدوها) أي خربوها (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أي أهانوا أشرافها وكبراءها كي يستقيم لهم الأمر تخلفهم بذلك مسير سليمان إليهم ودخوله بلادهم ثم تناهى الخبر عنها هنا وصدق الله قولها فقال تعالى (وكذلك يفعلون) أي كما قالت هي يفعلون وقيل هو من قوما وهو للتأكيدها لما قالت ثم قالت (وإنى مرسله إليهم بهدية) يعنى إلى سليمان وقومه أصانعه بها على ملكي وأختبره بها أم ملك هو أم نبي فان كان ملكا قبل الهدية ورجع وإن كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا إلا أن يتبعه في دينه وهو قولها (فناظرة بم يرجع المرسلون) وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الأمور وجربتها فأهدت وصفاء ووصائف قال ابن عباس مائة وصبف ومائة وصبفة قال وهب وغيره عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجوارى لبس الغلمان الأقيية والمناطق وألبست الغلمان لبس الجوارى وجعلت في أيديهم أساور الذهب وفي أعناقهم أطواق الذهب وفي آذانهم أقراط وشنوقا مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة رمكة والغلمان على خمسمائة بردون على كل فرس سرج من الذهب مرصع بالجواهر وأغشية الديباج وبعثت إليه لبنات من الذهب ولبنات من الفضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت وأرسلت بالمسك والعود والبنتجوج

(١٩ - خازن بالبغوى - خامس) الخبر عنها هنا فصدق الله قولها فقال (وكذلك يفعلون) أي كما قالت هي يفعلون ثم قالت (وإنى مرسله إليهم بهدية) والهدية هي العطية على طريق الملاحظة وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة قد ساست وسمت فقالت للملأ من قومها إلى مرسله إليهم أي إلى سليمان وقومه بهدية أصانعه بها عن ملكي ، وأختبره بها أم ملك هو أم نبي ؟ فان يكن ملكا قبل الهدية وانصرف وإن كان نبيا لم يقبل الهدية ولم يرضه منا إلا أن يتبعه على دينه فذلك قوله تعالى (فناظرة بم يرجع المرسلون) فأهدت إليه وصفاء ووصائف . قال ابن عباس ألبستهم لباسا واحدا كي لا يعرف الذكر من الأنثى وقال مجاهد ألبس الغلمان لباس الجوارى وألبس الجوارى لبس الغلمان . واختلفوا في عهدهم فقال

ابن عباس مائة وصيقت ومائة وضيقة وقال مجاهد ومقاتل مائتا غلام ومائتا جارية وقال قتادة وسعيد بن جبير ارسلت إليه بليته من ذهب في حرير وديباج وقال ثابت البناني اهدت إليه صفائح الذهب في أوعية الديباج وقيل كانت أربع لبنات من ذهب وقال وهب وغيره عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب وفي أعناقهم أطواقا من ذهب وفي آذانهم أقراطا وشنوقا مرصعات بأنواع الجواهر وألبست الجوارى لباس الغلمان الأقبية (١٤٦) والمناطق وحملت الجوارى على خمسمائة ركبة والغلمان على خمسمائة بردون

وعمدت إلى حق جعلت فيه درة بقيمة ثمانية غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت إليه رجالا من قومها أصحاب عثل ورأى وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت إن كنت نبيا مزيين الوصفاء والوصائف وأخبرنا بما في الحق قبل أن تفتحه واثقب الدرّة ثقباً مستويا وأدخل في الخرزة خيطا من غير علاج لإنس ولا جن وأمرت بلقيس الغلمان فقالت إذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث وتخثيث يشبه كلام النساء وأمرت الجوارى أن يكلمته بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر إلى الرجل إذا دخلت فان نظرك إليك نظرا فيه غضب فاعلم أنه ملك فلا يهولك أمره ومظهره فانا أعز منه وإن رأيت الرجل بشاشا لطيفا فافهم أنه نبي فتفهم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعا إلى سليمان فأخبره الخبر فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبنا من الذهب والفضة ففعلوا وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسعة فراسخ وأن يضربوا لبنا من الذهب والفضة وأن تخلوا مقدار تلك البنات التي معهم وأن يعملوا حائطا شرفه من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال أي دواب البر والبحر أحسن فقالوا يا نبي الله ما رأينا أحسن من دابة من دواب البحر يقال لها كذا وكذا ومختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص قال على بها الساعة فأتوا بها قال شدوها بين يمين الميدان وشماله ثم قال للجن على بأولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فأقامهم عن يمين الميدان وشماله ثم قعد سليمان في مجلسه على سريرته ووضع له أربعة آلاف كرمي على يمين الميدان وعلى شماله وأمر الإنس والجن والشياطين والوحوش والطيور والسباع فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله فلما دنا القوم إلى الميدان ونظروا إلى ملك سليمان رأوا أول الأمر الدواب التي لا يرى مثلها تروث في لبنات الذهب والفضة فلما رأوا ذلك تقامرت أنفسهم وخجثوا ما معهم من الهدايا وقيل إن سليمان فرش الميدان بالبنات الذهب والفضة وترك على طريقهم موضعا على قدر ما معهم من اللين في ذلك الموضع فلما رأى الرسل موضع البنات خاليا خافوا أن يتهموا بذلك فوضعوا ما معهم من اللين في ذلك الموضع ولما رأوا الشياطين هالهم مارأوا وفرغوا فقالت لهم الشياطين جوزوا لابأس عليكم فكانوا يبرون على كراديس الإنس والجن والوحش والطيور حتى وقوا بين يدي سليمان فأقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم ثقباً حسنا وسألهم عن حالهم فأخبره رئيس القوم بما جاءوا فيه وأعطوه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحق فأتى به فحركه فجاءه جبريل

على كل فرس لجام من ذهب مرصع بالجواهر وغواشها من الديباج الملون وبعثت إليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وأرسلت إليه المسك والعبر والعود الينجوج وعمدت إلى حقة فجعلت فيها درة ثمانية غير مثقوبة وخرزة جزعية مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو وضمت إليه رجالا من قومها أصحاب رأي وعقل وكتبت معه كتابا بنسخة الهدية وقالت فيه :

إن كنت نبيا فيزني بين الوصائف والوصفاء وأخبرني بما في الحق قبل أن تفتحها واثقب الدرّة ثقباً مستويا وأدخل في الخرزة المثقوبة من غير علاج لإنس ولا جن وأمرت بلقيس الغلمان

فقالت إذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأنيث وتخثيث يشبه كلام النساء وأمرت الجوارى أن يكلمته بكلام فيه غلظة تشبه كلام الرجال ثم قالت للرسول انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه فان نظرك إليك نظر غضب فاعلم أنه ملك ولا يهولك منظره فانا أعز منه وإن رأيت الرجل بشاشا لطيفا فاعلم أنه نبي مرسل فتفهم قوله ورد الجواب ، فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهدهد مسرعا إلى سليمان فأخبره الخبر كله فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبنات الذهب والفضة ففعلوا ثم أمرهم أن يبسطوا من موضعه الذي هو فيه إلى تسعة فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميدان حائطا شرفها من الذهب والفضة ثم قال أي الدواب أحسن مما رأيتم في البر والبحر ؟ قالوا يا نبي الله إذا رأينا

دواب في بحر كذا وكذا منقطة مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراش ونواص فقال على بها الساعة فأتوا بها فقال شلوهما عن
 يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة وألقوا لها علوفها فيها ثم قال للجن على بأولادكم فاجتمع خلق كثير
 فأقامهم على يمين الميدان ويساره ثم قعد سليمان في مجاسه على سريره ووضع له أربعة آلاف كرسي عن يمينه ومثلها عن
 يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفا فراسخ وأمر الإنس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسياب والموام والطير
 فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره ، فلما دنا القوم من الميدان ونظروا إلى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم تر أعينهم
 مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا وفي بعض الروايات أن سليمان لما أمر
 بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة أمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعاً على قدر موضع البنات التي معهم فلما رأى
 الرسل موضع البنات خاليا وكانت الأرض مفروشة تخافوا أن يتهموا بذلك فطرحوا ما معهم في ذلك المكان فلما رأوا
 الشياطين نظروا إلى منظر عجيب ففرغوا فقال لهم الشياطين جوزوا فلا بأس عليكم فكانوا يمرون على كردوس كردوس
 من الجن والإنس والطير والموام والسياب والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان فنظر إليهم سليمان نظراً حسناً بوجه طلق
 وقال ما وراءكم فأخبره رئيس القوم بما جاءوا له وأعطاه كتاب الملكة (١٤٧) فنظر فيه ثم قال ابن الحقة فأتى بها

فأخبره وجاء جبريل
 فأخبره بما في الحقة فقال
 إن فيها ذرة ثمينة غير
 مثقوبة وجزعة مثقوبة
 معوجة الثقب فقال
 الرسول صدقت فأنقب
 الدرة وأدخل الخيط
 في الخرزة فقال سليمان
 من لي بقبها فسأل
 سليمان الأنس ثم الجن
 فلم يكن عندهم علم ذلك
 ثم سأل الشياطين فقالوا
 نرسل إلى الأرض فجاءت
 الأرض فأخذت شعرة
 فيها فدخلت فيها حتى
 خرجت من الجانب

فأخبره بما فيه فقال لهم أن فيه ذرة ثمينة غير مثقوبة وخرزة معوجة الثقب قال الرسول صدقت
 فأنقب الدرة وأدخل الخيط في الخرزة فقال سليمان من لي بقبها ومثل الإنس والجن فلم يكن
 عندهم علم ثم سأل الشياطين فقالوا نرسل إلى الأرض فلما جاءت الأرض أخذت شعرة
 في فيها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك قالت تصبر رزقي
 في الشجر فقال لك ذلك ثم قال من لي بهذه الخرزة فقالت دودة بيضاء أنا لها يانبي الله فأخذت
 الدودة الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك
 فقالت يكون رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الغلمان والجواري بأن أمرهم أن يغسلوا
 وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب بها الأخرى وتغسل وجهها
 والغلام يأخذ الماء بيديه ويغسل به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والغلام
 على ظاهره ميز بين الغلمان والجواري ثم رد سليمان الهدية كما أخبر الله تعالى فقال تعالى
 (فلما جاء سليمان قال أتمدون بمال فما آتاني الله) أي ما أعطاني من الدين والنبوة والحكمة والملك
 (جبر) أي أفضل (مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) معناه أنتم أهل مفاخرة ومكاثرة بالدنيا
 تفرحون باهداء بعضكم إلى بعض وأما أنا فلا أفرح بالدنيا وليست الدنيا من حاجتي لأن الله
 قد أعطاني منها ما لم يعط أحدكم مع ذلك أكرمني بالدين والنبوة ، ثم قال لادنور بن عمرو أمير

الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت تصبر رزقي في الشجر فقال لك ذلك وروى أنها جاءت دودة تكون في الصفصاف فقالت
 أنا أدخل الخيط في الثقب على أن يكون رزقي في الصفصاف فجعل لها ذلك فأخذت الخيط فيها ودخلت الثقب وخرجت
 من الجانب الآخر ثم قال من هذه الخرزة فيسلكها في الخيط فقالت دودة بيضاء أنا لما يارسل الله فأخذت الدودة الخيط
 في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت تجعل رزقي في الفواكه قال لك
 ذلك ثم ميز بين الجواري والغلمان بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء من الآنية باحدى
 يديها ثم تجعله على اليد الأخرى ثم تضرب به الوجه والغلام كما يأخذ من الآنية يضرب به وجهه وكانت الجارية تصب
 الماء على بطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحد الماء على يديه حسدا
 فيز يبنهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كما قال الله تعالى (فلما جاء سليمان قال أتمدون بمال) قرأ حمزة ويعقوب أتمدوني
 بنون واحدة مشددة وإثبات الباء وقرأ الآخرون بنونين خفيين ويثبت الباء أهل الحمجاز والبصرة والآخرون يحذفونها
 (فما آتاني الله) أعطاني الله من النبوة والدين والحكمة والملك (جبر) أفضل (مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) لأنكم أهل
 مفاخرة في الدنيا ومكاثرة بها تفرحون باهداء بعضكم إلى بعض . فأما أنا فلا أفرح بها وليست الدنيا من حاجتي لأن الله تعالى قد

مكنى فيها وأعطاني منها ما لم يعط أحدا ومع ذلك أكرمني بالدين والثبوة ثم قال للمنذر بن عمرو أمير الوفد (ارجع إليهم) بالهدية (فلنأتيهم بجنود لا قبل لهم) لاطاقة لهم (ولنخرجهم منها) أي من أرضهم وبلادهم وهي سبأ (أذلة وهم صاغرون) ذليلون إن لم يأتوني مسلمين قال وهب وغيره من أهل الكتب فلما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان قالت قد عرفت والله ما هذا بملك وما لنا به طاقة فبعثت إلى سليمان إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما تدعو إليه من دينك ثم أمرت بعرشها فجعلت في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من سبعة قصور لها ثم أغلقت دونه الأبواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلقت على ساطعها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي لا يخلص إليه أحد ولا يقربه حتى آتيتك ثم أمرت مناديا ينادي في أهل (١٤٨) مملكتها يؤذنها بالرحيل وشخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قبل من

ملوك اليمن تحت يدي كل قبل ألوف كثيرة . قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لا يتأثر بشئ حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس وقد نزلت منا بهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان . قال ابن عباس وكان بين الكوفة والحيرة مسيرة قدر فرسخ فأقبل سليمان حينئذ على جنوده (قال يا أيها الملأ أياكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) أي مؤمنين . وقال ابن عباس طاعين . واختلفوا في السبب الذي لأجله أمر سليمان بالحضار عرشها فقال أكثرهم

الوفد (ارجع إليهم) أي بالهدية (فلنأتيهم بجنود لا قبل) أي لاطاقة (لهم بها ولنخرجهم منها) أي من أرض سبأ (أذلة وهم صاغرون) أي إن لم يأتوني مسلمين قال وهب وغيره من أهل الكتاب فلما رجعت رسل بلقيس إليها أي من عند سليمان وبلغوها ما قال سليمان قالت والله لقد عرفت ما هذا بملك وما لنا به من طاقة . فبعثت إلى سليمان إني قادمة عليك بملوك قومي حتى أنظر ما أمرك وما الذي تدعو إليه من دينك ثم أمرت بعرشها فجعلته في آخر سبعة أبيات بعضها داخل بعض ثم أغلقت عليه سبعة أبواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم قالت لمن خلقت على ملكها احتفظ بما قبلك وسرير ملكي لا يخلص إليه أحد ، ثم أمرت مناديا ينادي في أهل مملكتها يؤذنها بالرحيل وشخصت إلى سليمان في اثني عشر ألف قبل من ملوك اليمن كل قبل تحت يده ألوف كثيرة قال ابن عباس وكان سليمان رجلا مهيبا لا يتأثر بشئ حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سريره فرأى رهجا قريبا منه قال ما هذا ؟ قالوا بلقيس قد نزلت منا بهذا المكان وكان على مسيرة فرسخ من سليمان فأقبل سليمان على جنوده (قال يا أيها الملأ أياكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين) قال ابن عباس يعني طاعين وقيل مؤمنين . قيل غرض سليمان في إحضار عرشها ليربها قدرة الله تعالى وإظهار معجزة دالة على نبوته وقيل أراد أن يشكره ويغيره قبل مجيئها ليختبر بذلك عقلها وقيل إن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه ما لا فآراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه لانه أعجبه وصفه لما وصفه له المدهد وقيل أراد أن يعرف قدر ملكها لأن السرير على قدر المملكة (قال عفريت من الجن) وهو المارد القوي وقال ابن عباس العفريت الداهية قال وهب اسمه كوذى وقيل ذكوان وقيل هو صخر المارد وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه (أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك) أي مجلس قضائك قال ابن عباس وكان له في الغداة مجلس يقضى فيه إلى متسع النهار وقيل نصفه (وإني عليه) أي على حملة (لقوي أمين) أي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان أريد أسرع من ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) قبل هو جبريل وقيل هو ملك أيد الله به سليمان وقيل هو أصعب بن برخيا

لأن سليمان علم أنها إن أسلمت يحرم عليه ما لا فآراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه بأسلاها وقيل ليربها قدرة الله وعظم سلطانه في معجزة يأتي بها في عرشها وقال قتادة لأنه نجبت صفته لما وصفه المدهد فأحب أن يراه قال ابن زيد أراد أن يأمر بتشكره وتغييره ليختبر بذلك عقلها (قال عفريت من الجن) وهو المارد القوي قال وهب اسمه كوذى وقيل ذكوان قال ابن عباس العفريت الداهية وقال الضحاك هو الخبيث ، وقال الربيع الغليظ قال الفراء القوي الشديد وقيل هو صخرة الجنى وكان بمنزلة جبل يضع قدمه عند منتهى طرفه (أنا آتيتك به قبل أن تقوم من مقامك) أي من مجلسك الذي يقضى فيه قال ابن عباس وكان له كل غداة مجلس يقضى فيه إلى متسع النهار (وإني عليه) أي على حملة (لقوي أمين) على ما فيه من الجواهر فقال سليمان أريد أسرع من هذا (قال الذي عنده علم من الكتاب)

واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل وقيل هو ملك من الملائكة أيد الله به نبيه سليمان وقل أكثر المفسرين هو أصف ابن برخيا وكان صديقا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى وروي جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال إن أصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فد سليمان عينيه فنظر نحو اليمن فدعا أصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الأرض يخدون به خدا حتى انخرقت الأرض بالسرير بين يدي سليمان وقال الكلبي خر أصف ساجدا ودعا باسم الله الأعظم فغار عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان وقيل كانت المسافة مقدار شهرين واختلفوا في الدعاء الذي دعا أصف ، فقال مجاهد ومقاتل يا ذا الجلال والإكرام وقال الكلبي يحيى ياقوم وروى ذلك عن عائشة وروى عن (١٤٩) الزهري قال دعاء الذي عنده علم

من الكتاب يا إله وإله كل شيء وإله واحدا لا إله إلا أنت اتيتي بعرشها وقال محمد بن المنكدر إنما هو سليمان قال له علم من بني إسرائيل آتاه الله علما وفهما (أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك قال سليمان هات قال أنت النبي ابن النبي وليس أحد أوجه عند الله منك فان دعوت الله وطلبت إليه كان عندك فقال صدقت ففعل ذلك ففجى بالعرش في الوقت وقوله تعالى وقبل أن يرتد إليك طرفك قال ضعيف بن جبير يعني من قبل أن يرجع إليك أقصى من ترى وهو أن يصل إليك أن كان منك

وكان صديقا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى وقيل هو سليمان نفسه لأنه أعلم بني إسرائيل بالكتاب وكان الله قد آتاه علما وفهما فعلى هذا يكون الخطاب للعفريت الذي كلمه فأراد سليمان إظهار معجزة فتحملهم أولا ثم بين للعفريت أنه أتى له من سرعة الإتيان بالعرش مالا يتأتى للعفريت قيل كان الدعاء الذي دعا به : يا ذا الجلال والإكرام وقيل يحيى ياقوم . وروى ذلك عن عائشة وروى عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم من الكتاب : يا إلهنا وإله كل شيء وإله واحدا لا إله إلا أنت اتيتي بعرشها وقال ابن عباس إن أصف قال لسليمان حين صلى مد عينيك حتى ينتهي طرفك فد سليمان عينيه ونظر نحو اليمن ودعا أصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير يخدون به تحت الأرض حتى نبع من بين يدي سليمان وقيل خر سليمان ساجدا ودعا باسم الله الأعظم فغاب العرش تحت الأرض حتى ظهر عند كرسي سليمان فقال ما قال (أنا آتيتك به قبل أن يرتد إليك طرفك) قال سليمان هات قال أنت النبي ابن النبي وليس أحد عند الله أوجه منك فان دعوت الله كان عندك قال صدقت ففعل ذلك ففجى بالعرش في الوقت (فلما رآه) يعني رأى سليمان العرش (مستقرا عنده) أي محولا إليه من مأرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف (قال هذا من فضل ربي ليبلوني) يعني يتمكن من حصول المراد (أشكر) أي نعمته على (أم أكفر) فلا أشكرها (ومن شكر فأنما يشكر لنفسه) أي يعود نفع شكره إليه وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة (ومن كفر فإن ربي غني) أي عن شكره لا يضره ذلك الكفران (كريم) يعني بالأفضال عليه لا يقطع نعمه عنه بسبب اعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قال تكروا لها عرشها) يعني غيروا سريرها إلى حال تنكره إذا رأته قيل هو أن يزداد فيه أو ينقص منه وقيل إنما يجعل أسفله أعلاه ويجعل مكان الجواهر الأحمر أخضر ومكان الأخضر أحمر (ننظر أنتهدي) إلى معرفة عرشها (أم تكون من الذين لا يهتمون) إلى معرفته وإنما حمل سليمان على ذلك ما قال وهب ومحمد بن كعب وغيرهما أن الشياطين خافت

على مد بصرك قال قتادة قبل أن يأتيك الشخص من مد البصر وقال مجاهد يعني إدامة النظر حتى يرتد الطرف خامسا قول وهب تمد عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه حتى أمثله بين يديك (فلما رآه) يعني رأى سليمان العرش (مستقرا عنده) محولا إليه من مأرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف (قال هذا من فضل ربي ليبلوني أشكر) نعمته (أم أكفر) فلا أشكرها (ومن شكر فأنما يشكر لنفسه) أي يعود نفع شكره إليه وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة (ومن كفر فإن ربي غني) عن شكره (كريم) بالأفضال على من يكفر نعمه قوله تعالى (قال ذكروا لها عرشها) يقول غيروا سريرها إلى حال تنكره إذا رأته قال قتادة ومقاتل هو أن يزداد فيه وينقص منه . وروى أنه جعل أسفله أعلاه وأعلاه أسفله وجعل مكان الجواهر الأحمر أخضر ومكان الأخضر أحمر (ننظر أنتهدي) إلى عرشها نعرفه (أم تكون من) الجاهلين (الذين لا يهتمون) إليه وإنما حمل سليمان على ذلك كما ذكره وهب ومحمد بن كعب وغيرهما أن

الشياطين خافت ان يزوجها سليمان ففتشى إليه أسرار الجن وذلك أن أمها كانت جنية وإذا ولدت له ولدا لا يفسكون
من تسخير سليمان وذريته ومن بعده فأسموا النناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا إن في عقلها شيئا وإن رجلها كحافر الحمار
وإنها شعراء السابقين فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتذكير عرشها وينظر إلى قدميها بيناء الصرح (فلما جاءت قبيل) لها
(أهكذا عرشك قالت كأنه هو) قال مقاتل عرفته ولكنها شبت عليهم كما شبهوا عليها وقال عكرمة كانت حكيمة لم تقل
نعم خوفا من أن تكذب ولم تقل لا خوفا من التكذيب قالت كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقر ولم تنكر
وقيل اشتبه عليها أمر العرش لأنه تركته في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها قبل لها فانه عرشك فما أغنى عنك
إغلاق الأبواب فقالت (وأوتينا العلم) (١٥٠) بصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من أمر الهدية والرسل (من

قبلها) مع قبل الآية
في العرش (وكنا مسلمين)
منقادين طائعين لأمر
سليمان وقيل قوله وأوتينا
العلم من قبلها قاله
سليمان يقول وأوتينا العلم
بالله ويقدرته على ما يشاء
من قبل هذه المرأة وكنا
مسلمين هذا قول مجاهد
وقيل معناه وأوتينا العلم
باسلامها ومجيئها طائعة
من قبل مجيئها وكنا
مسلمين طائعين الله
قوله عز وجل (وصدعا
ما كانت تعبد من دون
الله) أي منعها ما كانت
تعبد من دون الله وهو
الشمس أن تعبد الله أي
صدعا عبادة الشمس
عن التوحيد وعبادة الله
فعلى هذا التأويل يكون
ما في محل الرفع وقيل معناه

أن يزوجها سليمان ففتشى إليه أسرار الجن لأن أمها كانت جنية وإذا ولدت ولدا لا يفسكون
من تسخير سليمان وذريته من بعده فأسموا النناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا إن في عقلها شيئا
وإن رجلها كحافر الحمار وإنها شعراء السابقين فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتذكير عرشها
وينظر إلى قدميها بيناء الصرح (فلما جاءت قبيل) لها (أهكذا عرشك قالت كأنه هو) قيل
لأنها عرفته ولكنها شبت عليهم كما شبهوا عليها وقيل لأنها كانت حكيمة لم تقل نعم خوفا من
الكذب ولا قالت لا خوفا من التكذيب أيضا فقالت كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها
بحيث لم تقر ولم تنكر وقيل اشتبه عليها أمر العرش لأنها تركته في بيت عليه سبعة أبواب
مغلقة والمفاتيح معها قيل لها فانه عرشك فما أغنى عنك إغلاق الأبواب ثم قالت (وأوتينا
العلم من قبلها) يعني من قبل الآية في العرش (وكنا مسلمين) يعني منقادين منقادين خاضعين
لأمر سليمان وقيل قوله تعالى وأوتينا العلم أي بالله وبصحة نبوة سليمان بالآيات المتقدمة من
أمر الهدية والرسل من قبلها أي من قبل الآية في العرش وكنا مسلمين أو معناه وأوتينا العلم
بالله ويقدرته على ما يشاء من قبل هذه المرأة وكنا مسلمين ويكون الغرض من هذا شكر نعمة
الله عليه أن خصه بمزيد العلم والتقدم في الإسلام وقيل معناه وأوتينا العلم باسلامها ومجيئها طائعة
من قبل مجيئها طائعة وكنا مسلمين لله . قوله تعالى (وصدعا ما كانت تعبد من دون الله) يعني
منعها عبادة الشمس عن التوحيد وعبادة الله وقيل معناه صدعا سليمان عما كانت تعبد من دون الله
وحال بينها وبينه (إنها كانت من قوم كافرين) أخبر الله أنها كانت من قوم يعبدون الشمس فلشأت
بينهم ولم تعرف إلا عبادة الشمس (قيل لها ادخلي الصرح) وذلك أن سليمان لما اختبر عقلها بتذكير
العرش وأراد أن ينظر إلى قدميها وساقبها من غير أن يسألها كشفها لما أخبرته الجن أن
رجليها كحافر حمار وهي شعراء السابقين أمر الشياطين فعملوا لها قصرا من الزجاج الأبيض
كل الماء وقيل الصرح صحن الدار وأجرى تحته الماء وألقى فيه السمك والضفادع وغيرهما من

اصدعا عن عبادة الله نقصان عقلها كما قالت الجن إن في عقلها شيئا بل ما كانت تعبد من دون الله وقيل معناه
دواب وصدعا سليمان ما كانت تعبد من دون الله أي منعها من ذلك وحال بينها وبينه فيكون محل ما نصبها (إنها كانت من قوم
كافرين) هذا استثناء أخبر الله تعالى أنها كانت من قوم يعبدون الشمس فلشأت بينهم ولم تعرف إلا عبادة الشمس . قوله
(قيل لها ادخلي الصرح) الآية وذلك أن سليمان أراد أن ينظر إلى قدميها وساقبها من غير أن يسألها كشفها لما قالت الشياطين
إن رجليها كحافر الحمار وهي شعراء السابقين فبنوا له صرحا أي قصرا من زجاج . وقيل بيتا من زجاج
كأنه الماء بياضا وقيل الصرح صحن الدار وأجرى تحته الماء وألقى فيه كل شيء من دواب البحر السمك والضفادع وغيرهما
ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والإنس وقيل اتخذ صحنا من قوارير وجعل تحته ثمانية
من الحيطان والضفادع فكان الواجب إذا رآه ظنه ما وقيل إنما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها كما فعلت هي بالوصائف

والوصيفات فلما جلس على السرير دعا بلقيس فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح (فلما رأته حسبه لجة) وهي معظم الماء (وكشفت عن ساقها) لتخوضه إلى سليمان فنظر سليمان فإذا هي أحسن الناس قدما وساقا إلا أنها كانت شعراء السابقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداهما (قال إنه صرح ممرد) مملس مستو (من قوارير) وليس بماء . ثم إن سليمان دعاها إلى الإسلام وكانت قد رأت حال العرش والصرح فأجابته (قالت رب إنى ظلمت نفسي) بالكفر وقال مقاتل لما رأت السرير والصرح علمت أن ملك سليمان من الله فقالت رب إنى ظلمت نفسي بعبادة غيرك (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أي أخلصت له التوحيد وقيل إنها لما بلغت الصرح فظنته لجة قالت في نفسها إن سليمان يريد أن يغرقني وكان القتل على أهون من هذا فقولها ظلمت نفسي تعنى بذلك الظن . واختلفوا في أمرها بعد إسلامها فقال عون بن عبد الله سألت رجل عبد الله بن عتبة هل تزوجها سليمان فقال انتهى أمرها إلى قولها (١٥١) أسلمت مع سليمان لله رب

العالمين يعنى لا علم لنا وراء ذلك . وقال بعضهم تزوجها ولما أراد أن يتزوجها كره ما رأى من كثرة شعر ساقها فسأل الإنس ما يذهب هذا قالوا المومسي فقالت المرأة لم تمسني حديدة قط فكره سليمان المومسي وقال إنها تقطع ساقها قال الحسن فسأل الجن فقالوا لا ندري ثم سألت الشياطين فقالوا إننا نحتمل لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحشا وهي سلحين وبيسون وعمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة ويقم عندها ثلاثة أيام يسكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام وولدت له ولدا ذكرا . وقال وهب زعموا أن بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك حتى أزوجهك إياه فقالت ومثلي يا بني الله بنكح الرجال وقد كان لي في قومي من قومك أقبيل رجل منهم فسلكته فهاهنا حتى إذا كان في جوفك اليمن صرخ بأعلى صوته يا معشر الجن إن الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان . وقيل

دوب البحر ثم وضع سريره في صدر المجلس وجلس عليه وقيل إنما عمل الصرح ليختبر به فهمها كما فعلت في الوصفاء والوصائف . فلما جلس على السرير دعا بلقيس فلما جاءت قيل لها ادخلي الصرح (فلما رأته حسبه لجة) أي ماء عظاما (وكشفت عن ساقها) لتخوض الماء إلى سليمان فإذا هي أحسن النساء ساقا وقدما إلا أنها كانت شعراء السابقين فلما نظر سليمان ذلك صرف بصره عنها (قال إنه صرح ممرد) أي مملس (من قوارير) زجاج وليس بماء فحينئذ سترت ساقها وعجبت مع ذلك وعلمت أن ملك سليمان من الله تعالى واستدللت بذلك على التوحيد والنبوة (قالت رب إنى ظلمت نفسي) بعبادة غيرك (وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين) أي أخلصت له التوحيد والعبادة وقيل إنها لما بلغت الصرح وظنته لجة قالت في نفسها إن سليمان يريد أن يغرقني وكان القتل أهون من هذا فلما تبين لها خلاف ذلك قالت رب إنى ظلمت نفسي بذلك الظن . واختلفوا في أمر بلقيس بعد إسلامها فقيل انتهى أمرها إلى قولها أسلمت لله رب العالمين ولا علم لأحد وراء ذلك لأنه لم يذكر في الكتاب ولا في خبر صحيح وقال بعضهم تزوجها سليمان وكره ما رأى من كثرة شعر ساقها فسأل الإنس عما يذهب ذلك فقالوا المومسي فقالت المرأة إنى لم تمسني حديدة قط فكره سليمان المومسي وقال إنها تقطع ساقها فسأل الجن فقالوا لا ندري فسأل الشياطين فقالوا نحتمل لك حتى تكون كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ . فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحشا وهي سلحين وبيسون وعمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة ويقم عندها ثلاثة أيام يسكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام وولدت له ولدا ذكرا . وقال وهب زعموا أن بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك حتى أزوجهك إياه فقالت ومثلي يا بني الله بنكح الرجال وقد كان لي من قومك أقبيل رجل منهم فسلكته فهاهنا حتى إذا كان في جوفك اليمن صرخ بأعلى صوته يا معشر الجن إن الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان . وقيل

مثالها ارتفاعا وحشا وهي ساحين وبيسون وعمدان ثم كان سليمان يزورها في كل شهر مرة بعد أن ردها إلى ملكها ويقم عندها ثلاثة أيام يسكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام وولدت له فيها ذكر وروى عن وهب قال زعموا أن بلقيس لما أسلمت قال لها سليمان اختاري رجلا من قومك حتى أزوجهك إياه فقالت ومثلي يا بني الله بنكح الرجال وقد كان لي في قومي من قومك أقبيل رجل منهم فسلكته فهاهنا حتى إذا كان في جوفك اليمن صرخ بأعلى صوته يا معشر الجن إن الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان . وقيل

إن الملك وصل إلى سليمان وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة قوله عز وجل (ولقد أرسلنا إلى نوح أخاه صالحاً أن) أي بأن (اعبدوا الله) وحدوه (فإذا هم فريقان) مؤمن وكافر (يختصمون) في الدين. قال مقاتل واختصاصهم ما ذكر في سورة الأعراف وقال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم، إلى قوله: يا صالح اتقنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين» (قال) لهم صالح (يا قوم لم تستعجلون بالسيئة) باليلاء والعقوبة (قبل الحسنة) العاقبة والرحمة (لولا) هلا (تستغفرون الله) بالتوبة من كفركم (لعلكم ترحمون قالوا اطيرنا) أي نشاء منا وأصله تطيرنا (بك وبمن معك) قيل إنما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم، وقيل لأنه أمسك عنهم المطر في ذلك الوقت وقحطوا فقالوا أصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك (١٥٢) (قال طائرهم عند الله) أي ما يصيبكم من الخير والشر عند الله بأمرة

ملك حمدان فزوجها إياه وذهب بها إلى اليمن وملك زوجها ذا تبع على اليمن ودعا زوبيعة ملك الجن وقال له اعمل لذي تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما أراد إلى أن مات سليمان وحال الحول وعلم الجن موت سليمان فأقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن وقال بأعلى صوته يا معشر الجن إن الملك سليمان قد مات فارتفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا وانقضى ملك سليمان وملك ذي تبع وملك بلقيس وبنى الملك لله الواحد القهار قيل إن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة. قوله عز وجل (ولقد أرسلنا إلى نوح أخاه صالحاً أن اعبدوا الله) أي وحدوه لا تشركوا به شيئاً (فإذا هم فريقان) أي مؤمن وكافر (يختصمون) أي في الدين كل فريق يقول الحق معنا (قال) يعني صالحاً للفريق المكذب (يا قوم لم تستعجلون بالسيئة) أي باليلاء والعقوبة (قبل الحسنة) أي العاقبة والرحمة (لولا) أي هلا (تستغفرون الله) أي بالتوبة إليه من الكفر (لعلكم ترحمون) أي لا تعذبون في الدنيا (قالوا اطيرنا) أي نشاء منا (بك وبمن معك) قيل إنما قالوا ذلك لتفرق كلمتهم وقيل لإسكافهم قنطريتهم قالوا إنما أصابنا هذا الضر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك (قال طائرهم عند الله) أي ما يصيبكم من الخير والشر بأمرة الله مكتوب عليكم، سمي طائراً لأنه لا شيء أسرع من زول القضاء المحتوم وقال ابن عباس الشؤم الذي أتاكم من عند الله بكفركم وقيل طائرهم أي عملكم عند الله سمي طائراً لسرعة صعوده إلى السماء (بل أنتم قوم تفتنون) قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر نظيره قوله تعالى دون بلوكم بالشر والخير فتنة وقال محمد بن كعب القرظي تعذبون قوله تعالى (وكان في المدينة) يعني مدينة نود وهي الحجر (تسعة رهط) من أبناء أشرفهم (يفسدون في الأرض) أي بالمعاصي (ولا يصلحون) أي لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف (قالوا تقاسموا بالله) يعني يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله أيها القوم (لتبئته) أي لتقتله ليلاً (وأهله) يعني قومه الذين آمنوا معه (ثم لتقولن لوليه) أي لولي دمه (ما شهدنا) يعني ما حضرنا (مهلك أهله) أي ما ندرى من قتله ولا هلاك أهله (وإننا لصادقون) يعني في قولنا ما شهدنا ذلك (ومكروا مكراً) أي غدروا غدراً حين قصدوا تبئته صالح وأهله (ومكروا مكراً) يعني جازبناهم على مكروهم بتعجيل العذاب (وهم لا يشعرون) فانظر كيف كان عاقبة مكروهم (أنا دمرناهم) يعني أهلكتناهم

وهو مكروب عليكم سمي طائراً لسرعة نزوله بالإسراف لاشي أسرع من قضاء محتوم قال ابن عباس الشؤم أنا كم من عند الله لي كفركم وقيل طائرهم أي عملكم عند الله سمي طائراً لسرعة صعوده إلى السماء (بل أنتم قوم تفتنون) قال ابن عباس تختبرون بالخير والشر نظيره قوله تعالى دون بلوكم بالشر والخير فتنة وقال محمد بن كعب القرظي تعذبون قوله تعالى (وكان في المدينة) يعني مدينة نود وهي الحجر (تسعة رهط) من أبناء أشرفهم (يفسدون في الأرض) أي بالمعاصي (ولا يصلحون) أي لا يطيعون وهم غواة قوم صالح الذين اتفقوا على عقر الناقة ورأسهم قدار بن سالف (قالوا تقاسموا بالله) يعني يقول بعضهم لبعض احلفوا بالله أيها القوم (لتبئته) أي لتقتله ليلاً (وأهله) يعني قومه الذين آمنوا معه (ثم لتقولن لوليه) أي لولي دمه (ما شهدنا) يعني ما حضرنا (مهلك أهله) أي ما ندرى من قتله ولا هلاك أهله (وإننا لصادقون) يعني في قولنا ما شهدنا ذلك (ومكروا مكراً) أي غدروا غدراً حين قصدوا تبئته صالح وأهله (ومكروا مكراً) يعني جازبناهم على مكروهم بتعجيل العذاب (وهم لا يشعرون) فانظر كيف كان عاقبة مكروهم (أنا دمرناهم) يعني أهلكتناهم

ورأسهم قدار بن سالف وهو الذي تولى عقرها كانوا يعاملون بالمعاصي (قالوا تقاسموا بالله) أي تقاسموا على قول بعضهم لبعض احلفوا بالله أيها القوم وموضع تقاسموا جزم على الأمر وقال قوم عمله نصب على الفعل الماضي يعني أنهم تحالفوا وتواثقوا بتدبيره فقالوا متقاسمين بالله (لتبئته) أي لتقتله ليلاً (وأهله) أي قومه الذين أسلموا معه وقرأ الأعمش وحزمة والسكافي لتبئته وتقولن بالثناء فيهما وضم لام الفعل على الخطاب وقرأ الآخرون بالتون فيهما وفتح لام الفعل (ثم لتقولن لوليه) أي لولي دمه (ما شهدنا) ما حضرنا (مهلك أهله) أي إهلاكهم (ولاندرى من قتله ومن فتح الميم فعناه هلاك أهله) (وإننا لصادقون) في قولنا ما شهدنا ذلك (ومكروا مكراً) غدروا غدراً حين قصدوا تبئته صالح والفتك به (ومكروا مكراً) جازبناهم على مكروهم بتعجيل عقوبتهم (وهم لا يشعرون) فانظر كيف كان عاقبة مكروهم (أنا دمرناهم) أي أهلكتناهم الكوفة أنا بفتح الألف رداً على العاقبة أي أنا دمرناهم وقرأ الآخرون إننا بالكسر على الاستنفاف (دمرناهم) أي أهلكتناهم

السمعة واختفوا في كيفية هلاكهم. قال ابن عباس رضي الله عنهما أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه فأتى التسعة دار صالح شاهرين سيوفهم فرمهم الملائكة بالحجارة من حيث يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلهم : قال مقاتل نزلوا في سفح جبل ينظر بعضهم بعضا ليأتوا دار صالح فجمهم عليهم الجبل فأهلكهم (وقومهم أجمعين) أهلكهم الله بالصيحة (فتلك بيوتهم خاوية) نصب على الحال أي خالية (بما ظلموا) أي بظلمهم وكفرهم (إن في ذلك لآية) لعلهم (لقوم يعلمون) قدرتنا (وأنجيينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) ، يقال كان الناجون منهم أربعة آلاف. قوله تعالى (ولو طأ إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة) وهي الفعلة القبيحة (وأنتم تبصرون) أي تعلمون أنها فاحشة (١٥٣) وقيل معناه يرى بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا

لا يستترون عتوا منهم (أنتم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون) من أدبار الرجال (فأنجيينا وأهله إلا امرأته قدرناها) قضينا عليها وجعلناها بتقديرنا (من الغابرين) أي الباقين في العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) أي الحجارة (فساء) أي فبتس (مطر المنذرين) قوله تعالى (قل الحمد لله) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الأمم الخالية وقيل يحمد على جميع نعمه (وسلام على عباده الذين اصطفى) قال مقاتل

أي التسعة قال ابن عباس : أرسل الله الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه فأتى التسعة دار صالح شاهرين سلاحهم وسيوفهم فرمهم الملائكة بالحجارة وهم يرون الحجارة ولا يرون الملائكة فقتلهم وأهلك الله جميع القوم بالصيحة (وقومهم أجمعين) ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا) أي بظلمهم وكفرهم (إن في ذلك لآية) أي لعلهم (لقوم يعلمون) أي قدرتنا (وأنجيينا الذين آمنوا ، وكانوا يتقون) يقال إن الناجين كانوا أربعة آلاف . قوله تعالى (ولو طأ إذ قال لقومه : أتأتون الفاحشة) أي الفعلة القبيحة (وأنتم تبصرون) أي تعلمون أنها فاحشة وهو من بصر القلب وقيل معناه يبصر بعضكم بعضا وكانوا لا يستترون عتوا منهم (أنتم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون) فان قلت إذا فسر تبصرون بالعلم وقد قال بعده قوم تجهلون ، فيكون العلم جهلا. قلت معناه تفعلون فعل الجاهلين وتعلمون أنه فاحشة . وقيل تجهلون العاقبة وقيل أراد بالجهل السفاهة التي كانوا عليها (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم إنهم أناس يتطهرون) يعني من أدبار الرجال (فأنجيينا وأهله إلا امرأته قدرناها من الغابرين) أي قضينا عليها بأن جعلناها من الباقين في العذاب (وأمطرنا عليهم مطرا) أي الحجارة (فساء) أي فبتس (مطر المنذرين) قوله عز وجل (قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى) هذا خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يحمد الله على هلاك كفار الأمم الخالية وقيل يحمد على جميع نعمه وسلام على عباده الذين اصطفى يعني الأنبياء والمرسلين وقال ابن عباس : هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين (آله خير أما بشركون) فيه تبيكيت للمشركين ولإلزام الحججة عليهم بعد هلاك الكفار . والمعنى آله خير لمن عبده أم الأصنام لمن عبدها فان الله خير لمن عبده وآمن به لإغناؤه عنه من الهلاك والأصنام لم تغن شيئا عن عابديها عند نزول العذاب ولهذا السبب ذكر أنواعا تدل على وحدانيته وكمال قدرته. فالنوع الأول قوله تعالى (أمن خلق السموات والأرض) ذكر أعظم الأشياء المشاهدة الدالة على عظيم قدرته . والمعنى الأصنام خير أم الذي خلق السموات والأرض ثم ذكر نعمه فقال (وأزل لكم من السماء ماء) يعني المطر (فأنبئنا به حدائق) أي بساتين جمع حديقة وهو البستان المحيط عليه فان لم يكن عليه حائط فليس

(٢٠ - خازن بالغوي - خامس) هم الأنبياء والمرسلون دليله قوله عز وجل : وسلام على المرسلين ، وقال ابن عباس في رواية أبي مالك هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقال الكلبي هم أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقيل هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين (آله خير أما بشركون ؟) قرأ أهل البصرة وعاصم بشركون بالياء وقرأ الآخرون بالفاء ، يخاطب أهل مكة وفيه لإلزام الحججة على المشركين بعد هلاك الكفار يقول : آله خير لمن عبده أم الأصنام خير لمن عبدها ؟ والمعنى أن الله يحيى من عبده من الهلاك والأصنام لم تغن شيئا عن عابديها عند نزول العذاب بهم (أمن خلق السموات والأرض) معناه آلهم خير أم الذي خلق السموات والأرض (وأزل لكم من السماء ماء) يعني المطر (فأنبئنا به حدائق) بساتين جمع

حديقة . قال القراء الحديقة البستان المحاط عليه فان لم يكن عليه حائط فليس بحديقة (ذات بهجة) أى منظر حسن والبهجة الحسن يبتهج به من يراه (ما كان لكم أن تبتوا شجرها) أى ما ينبغي لكم لأنكم لاتقدرون عليها (إله مع الله) استفهام على طريق الإنكار أى هل معه معبود سواه يعينه على صنعه بل ليس معه إله (بل هم قوم) يعنى كفار مكة (يعدلون) بشر كون (أم من جعل الأرض قرارا) لا تميد (١٥٤) بأهلها (وجعل خلخالها) وسطها (أنهارا) نظرد بالمياه (وجعل لها

بحديقة (ذات بهجة) أى ذات منظر حسن والبهجة الحسن يبتهج به من يراه (ما كان لكم أن تبتوا شجرها) يعنى ما ينبغي لكم ، لأنكم لاتقدرون على ذلك لأن الإنسان قد يقول أنا المنبت للشجرة بأن أغرسها وأسقيها الماء فأزال الله هذه الشبهة بقوله « وما كان لكم أن تبتوا شجرها » لأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والطعوم والروائح المختلفة والزروع تنقى بماء واحد لا يقدر عليه إلا الله تعالى ؛ ولا يتأتى لأحد وإن تأتى ذلك لغيره محال (إله مع الله) يعنى هل معه معبود أعانه على صنعه (بل) يعنى ليس معه إله ولا شريك (هم قوم) يعنى كفار مكة (يعدلون) بشر كون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر إلى الباطل . النوع الثانى قوله عز وجل (أمن جعل الأرض قرارا) أى دحاها وسواها للاستقرار عليها وقيل لا تميد بأهلها (وجعل خلخالها أنهارا) أى وسطها بأنهار نظرد بالمياه (وجعل لها روائى) أى جبالا ثوابت (وجعل بين البحرين) يعنى العذب والمليح (حاجزا) أى مانعا لا يختلط أحدهما بالآخر (إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) توحيد ربهم وسلطانهم (أمن يجيب المكروب) المكروب (إذا دعاه) ويكشف (سوء) الضر (ويجعلكم خلفاء الأرض) سكانها يهلك قرنا وينشىء آخر وقيل يجعل أولادكم خلفاءكم وقيل جعل خلفاء الجن فى الأرض (إله مع الله فى الأرض) أى ما كان لكم أن تبتوا شجرها (ما كان لكم أن تبتوا شجرها) أى ما ينبغي لكم لأنكم لاتقدرون على ذلك لأن الإنسان قد يقول أنا المنبت للشجرة بأن أغرسها وأسقيها الماء فأزال الله هذه الشبهة بقوله « وما كان لكم أن تبتوا شجرها » لأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والطعوم والروائح المختلفة والزروع تنقى بماء واحد لا يقدر عليه إلا الله تعالى ؛ ولا يتأتى لأحد وإن تأتى ذلك لغيره محال (إله مع الله) يعنى هل معه معبود أعانه على صنعه (بل) يعنى ليس معه إله ولا شريك (هم قوم) يعنى كفار مكة (يعدلون) بشر كون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر إلى الباطل . النوع الثالث قوله تعالى (أمن يجيب المكروب) المكروب (إذا دعاه) ويكشف (سوء) الضر (ويجعلكم خلفاء الأرض) سكانها يهلك قرنا وينشىء آخر وقيل يجعل أولادكم خلفاءكم وقيل جعل خلفاء الجن فى الأرض (إله مع الله فى الأرض) أى ما كان لكم أن تبتوا شجرها (ما كان لكم أن تبتوا شجرها) أى ما ينبغي لكم لأنكم لاتقدرون على ذلك لأن الإنسان قد يقول أنا المنبت للشجرة بأن أغرسها وأسقيها الماء فأزال الله هذه الشبهة بقوله « وما كان لكم أن تبتوا شجرها » لأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والطعوم والروائح المختلفة والزروع تنقى بماء واحد لا يقدر عليه إلا الله تعالى ؛ ولا يتأتى لأحد وإن تأتى ذلك لغيره محال (إله مع الله) يعنى هل معه معبود أعانه على صنعه (بل) يعنى ليس معه إله ولا شريك (هم قوم) يعنى كفار مكة (يعدلون) بشر كون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر إلى الباطل . النوع الرابع قوله عز وجل (أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر) إذا سافرتهم (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) أى قدام المطر (إله مع الله تعالى عما يشركون) النوع الخامس قوله تعالى (أمن يبدأ الخلق) أى نطقا فى الأرحام (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء والأرض) أى من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات (إله مع الله قل هاتوا برهانكم) أى حججتكم على قولكم إن مع الله إله آخر (إن كنتم صادقين) قوله تعالى (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) نزلت فى المشركين حين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة : والمعنى أن الله هو الذى يعلم الغيب وحده ويعلم متى تقوم الساعة (وما يشعرون أبان يعثون) يعنى أن من فى السموات وهم الملائكة ومن فى الأرض وهم بنو آدم لا يعلمون متى يعثون والله تعالى تفرد بعلم ذلك (بل ادرك علمهم) أى بلغ ولحق علمهم (فى الآخرة) هو ما جهلوه فى الدنيا

روائى) جبالا ثوابت (وجعل بين البحرين) العذب والمليح (حاجزا) مانعا لئلا يختلط أحدهما بالآخر (إله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون) توحيد ربهم وسلطانهم (أمن يجيب المكروب) المكروب (إذا دعاه) ويكشف (سوء) الضر (ويجعلكم خلفاء الأرض) سكانها يهلك قرنا وينشىء آخر وقيل يجعل أولادكم خلفاءكم وقيل جعل خلفاء الجن فى الأرض (إله مع الله فى الأرض) أى ما كان لكم أن تبتوا شجرها (ما كان لكم أن تبتوا شجرها) أى ما ينبغي لكم لأنكم لاتقدرون على ذلك لأن الإنسان قد يقول أنا المنبت للشجرة بأن أغرسها وأسقيها الماء فأزال الله هذه الشبهة بقوله « وما كان لكم أن تبتوا شجرها » لأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والطعوم والروائح المختلفة والزروع تنقى بماء واحد لا يقدر عليه إلا الله تعالى ؛ ولا يتأتى لأحد وإن تأتى ذلك لغيره محال (إله مع الله) يعنى هل معه معبود أعانه على صنعه (بل) يعنى ليس معه إله ولا شريك (هم قوم) يعنى كفار مكة (يعدلون) بشر كون وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر إلى الباطل . النوع الرابع قوله عز وجل (أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر) إذا سافرتهم (ومن يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته) أى قدام المطر (إله مع الله تعالى عما يشركون) النوع الخامس قوله تعالى (أمن يبدأ الخلق) أى نطقا فى الأرحام (ثم يعيده) بعد الموت (ومن يرزقكم من السماء والأرض) أى من السماء بالمطر ومن الأرض بالنبات (إله مع الله قل هاتوا برهانكم) أى حججتكم على قولكم إن مع الله إله آخر (إن كنتم صادقين) قوله تعالى (قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) نزلت فى المشركين حين سألو رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة : والمعنى أن الله هو الذى يعلم الغيب وحده ويعلم متى تقوم الساعة (وما يشعرون أبان يعثون) يعنى أن من فى السموات وهم الملائكة ومن فى الأرض وهم بنو آدم لا يعلمون متى يعثون والله تعالى تفرد بعلم ذلك (بل ادرك علمهم) أى بلغ ولحق علمهم (فى الآخرة) هو ما جهلوه فى الدنيا

الأرض النبات (إله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم) حججتكم على قولكم إن مع الله إله آخر (إن كنتم صادقين قل لا يعلم من فى السموات والأرض الغيب إلا الله) نزلت فى المشركين حين سألو النبي صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة (وما يشعرون أبان) متى (يعثون بل ادرك علمهم) قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو أدرك على وزن أفضل أى بلغ ولحق كما يقال أدركه علمى إذا لحقه وبلغه يريد ما جهلوا فى الدنيا وسقط علمه عنهم أعلموه فى الآخرة وقال مجاهد يدرك علمهم (فى الآخرة) ويعلمونها إذا عاينوها ، حين لا يتفهم علمهم . قال مقاتل بل علموا فى الآخرة حين

عابونها ماشكوا وعموا عنه في الدنيا وهو قوله (بل هم في شك منها) يعني هم اليوم في شك من الساعة : وقرا الآخرون بل
 ادركه موصولا مشددا مع الألف بعد الدال المشدد يعني تدارك وتتابع علمهم في الآخرة وتلاحق ، وقيل معناه اجتمع
 علمهم حين عابونها في الآخرة أنها كائنه وهم في شك منها في وقتهم فيكون بمعنى الأول . وقيل هو على طريق الاستفهام
 معناه هل تدارك وتتابع علمهم بذلك في الآخرة يعني لم يتتابع وصل وغاب علمهم به فلم يبلغوه ولم يدركوه لأن في الاستفهام
 ضربا من الجحد يدل عليه قراءة ابن عباس « بل » باثبات الياء ادراك بفتح الألف على الاستفهام يعني لم يدرك وفي حرف أبي
 أم تدارك علمهم والعرب تضع بل موضع أم وأم موضع بل . وجملة القول فيه إن الله أخبر أنهم إذا بعثوا يوم القيامة يستوى
 علمهم في الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وإن كانت علومهم مختلفة في الدنيا وذكر على بن عيسى أن معني بل
 ها هنا : لو ومعناه لو أدركوا في الدنيا ما أدركوا في الآخرة لم يشكوا بل هم في شك منها بل هم اليوم في الدنيا في شك من الساعة
 (بل هم منها عمون) جمع عم وهو الأعمى القلب . قال الكلبي يقول هم جهلة بها (١٥٥) (وقال الذين كفروا) يعني

مشركي مكة (أنذا كنا
 ترابا وآبأؤنا أننا نخرجون)
 من قبورنا أحياء . قرأ أهل
 المدينة إذا غير مستفهم
 أننا بالاستفهام وقرأ
 ابن عامر والكسائي
 « أنذا » بهزتين « أننا »
 بنونين وقرأ الآخرون
 باستفهامهما (لقد وعدنا
 هذا) أي هذا البعث
 (نحن وآبأؤنا من قبل)
 أي من قبل محمد وليس
 ذلك بشيء (إن هذا)
 ما هذا (إلا أساطير
 الأولين) أحاديثهم
 وأكاذيبهم التي كتبوها
 (قل سيروا في الأرض

وسقط عنهم علمه . وقيل بل علموا في الآخرة حين عابونها ماشكوا فيه وعلموا عنه في الدنيا وهو
 قوله تعالى (بل هم في شك منها) أي هم اليوم في شك من الساعة (بل هم منها عمون) جمع عم
 وهو أعمى القلب وقيل معنى الآية أن الله أخبر عنهم أنهم إذا بعثوا يوم القيامة يستوى علمهم
 في الآخرة وما وعدوا فيها من الثواب والعقاب وإن كانت علومهم مختلفة في الدنيا . قوله تعالى
 (وقال الذين كفروا) أي مشركو مكة (أنذا كنا ترابا وآبأؤنا أننا نخرجون) أي من قبورنا أحياء
 (لقد وعدنا هذا) أي هذا البعث (نحن وآبأؤنا من قبل) أي من قبل محمد صلى الله عليه وسلم
 وليس ذلك بشيء (إن هذا) أي ما هذا (إلا أساطير الأولين) أي أحاديثهم وأكاذيبهم التي
 كتبوها (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الخيرمين ولا تحزن عليهم) أي بشكذبيهم
 إياك وإعراضهم عنك (ولا تكن في ضيق مما يمكرون) نزلت في المستهزئين الذين اقتسموا عقاب
 مكة (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف) أي دنا وقرب (لكم)
 وقيل معناه ردفكم (بعض الذين تستعجلون) أي من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر . قوله
 عز وجل (وإن ربك لذو فضل على الناس) يعني على أهل مكة حيث لم يعجل لهم بالعذاب
 (ولكن أكثرهم لا يشكرون) أي ذلك (وإن ربك ليعلم ما تكن صدورهم) أي تحق (وما يعلنون)
 أي من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما من غائبة) أي من جملة غائبة من مكتوم
 سر وحقى أمر وشيء غائب (في السماء والأرض إلا في كتاب مبين) يعني في اللوح المحفوظ
 (إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل) أي بين لهم (أكثر الذين هم فيه يختلفون) أي من أمر
 الدين وذلك أن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزابا يظعن بعضهم على بعض فنزل
 القرآن ببيان ما اختلفوا فيه (وإنه) يعني القرآن (لهدى ورحمة للمؤمنين إن ربك يقضى بينهم)

فانظروا كيف كان عاقبة الخيرمين ، ولا تحزن عليهم) على شكذبيهم إياك وإعراضهم عنك (ولا تكن في ضيق مما يمكرون) نزلت في
 المستهزئين الذين اقتسموا عقاب مكة (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين قل عسى أن يكون ردف) أي دنا وقرب
 (لكم) وقيل تبعكم . والمعنى ردفكم أدخل فيه اللام كما أدخل في قوله لرهبهم رهبون . قال القراء اللام صلة زائدة كما تقول
 نقدته مائة ونقدت له (بعض الذي تستعجلون) من العذاب فحل بهم ذلك يوم بدر (وإن ربك لذو فضل على الناس) قال
 مقاتل على أهل مكة حيث لم يعجل عليهم العذاب (ولكن أكثرهم لا يشكرون) ذلك (وإن ربك ليعلم ما تكن) تحق
 (صدورهم وما يعلنون وما من غائبة) أي جملة غائبة من مكتوم سر وحقى أمر وشيء غائب (في السماء والأرض إلا في كتاب
 مبين) أي في اللوح المحفوظ (إن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل) أي بين لهم (أكثر الذي هم فيه يختلفون) من أمر
 الدين . قال الكلبي : إن أهل الكتاب اختلفوا فيما بينهم فصاروا أحزابا يظعن بعضهم على بعض فنزل القرآن ببيان ما اختلفوا
 فيه (وإنه) يعني القرآن (لهدى ورحمة للمؤمنين إن ربك يقضى) يفصل (بينهم) أي بين المختلفين في الدين يوم القيامة

(بحكمه) الحق (وهو العزيز) المنيع فلا يرد له أمر (العليم) بأحوالهم فلا يخفى عليه شيء (فتوكل على الله) إنك على الحق المبين (البين) إنك لا تسمع الموتى) يعني (١٥٦) الكفار (ولا تسمع الصم الدعاء) قرأ ابن كثير لا يسمع بالياء وفتحها

أى يفصل بينهم ويحكم بين المختلفين في الدين يوم القيامة (بحكمه) أى الحق (وهو العزيز) الممتنع الذى لا يرد له أمر (العليم) أى بأحوالهم فلا يخفى عليه شيء منها (فتوكل على الله) أى فتق به (إنك على الحق المبين) أى البين (إنك لا تسمع الموتى) يعنى موتى القلوب وهم الكفار (ولا تسمع الصم الدعاء) إذا ولوا مدبرين) أى معرضين. فإن قلت مامعنى مدبرين والأصم لا يسمع صوتا سواء أقبل أو أدبر؟ قلت هو تأكيد ومبالغة وقيل إن الأصم إذا كان حاضرا قد يسمع برفع الصوت أو يفهم بالإشارة فإذا ولى لم يسمع ولم يفهم. ومعنى الآية إنه لقرط إعراضهم عما يدعون إليه كالميت الذى لا سبيل إلى سماعه، وكالأصم الذى لا يسمع ولا يفهم (وما أنت بهادى العمى عن ضلالتهم) معناه ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن الإيمان (إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا) إلا من يصدق بالقرآن أنه من الله (فهم مسلمون) أى مخلصون. قوله تعالى (وإذا وقع القول عليهم) يعنى إذا وجب عليهم العذاب وقيل إذا غضب الله عليهم وقيل إذا وجبت الحجة عليهم وذلك أنهم لم يأمرُوا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر وقيل إذا لم يرج صلاحهم وذلك في آخر الزمان قبل قيام الساعة (أخرجنا لهم دابة من الأرض). (م) عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بادروا بالأعمال قبل ست: طلوع الشمس من مغربها والدخان والدجال والدابة وخويصة أحدكم وأمر العامة» (م) عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس مضى وأبنتها كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريبا» عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى فتجلبو وجه المؤمن وتخطم أنف الكافر بالتخاتم حتى إن أهل الحق ليجتمعون فيقول هذا يأمؤمن ويقول هذا يا كافر» أخرجه الترمذى وقال حديث حسن، وروى البغوى بإسناده عن الثعلبى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «يكون للدابة ثلاث خروجات من الدهر فتخرج خروجا بأقصى اليمن فيفشو ذكرها بالبادية لا يدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم تمكث زمنا طويلا ثم تخرج خروجا أخرى قريبا من مكة فيفشو ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعنى مكة ثم بينا الناس يوما في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله يعنى المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهى في ناحية المسجد تدنو وتدنو كذا قال عمر وما بين الركب الأسود إلى باب بنى مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فافرض الناس عنها وثبت لها عصابة عرفوا أنهم لم يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فرت بهم فجلبت وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدررية ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى إن الرجل ليقوم فيعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تنصلي فيقبل عليها بوجهه قسمه في وجهه فيتجاوز الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الأموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يأمؤمن وللشكافر يا كافر» وبإسناد الثعلبى عن حذيفة بن اليمان ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يارسول الله من أين تخرج قال «من أعظم المساجد حرمة على الله فينبأ عيسى يطوف بالبيت ومعهم المسلمون إذ تضطرب الأرض وينشق الصفا مما يلي

وفتح الميم الصم رفع وكذلك في سورة الروم وقرأ الباقون بالتاء وصحتها وكسر الميم الصم نصب (إذا ولوا مدبرين) معرضين. فإن قيل مامعنى قوله «ولوا مدبرين» وإذا كانوا صما لا يسمعون سواء ولوا أو لم يولوا قبل ذكره على سبيل التأكيد والمبالغة، وقيل الأصم إذا كان حاضرا فقد يسمع برفع الصوت ويفهم بالإشارة فإذا ولى لم يسمع ولم يفهم؟ قال قتادة: الأصم إذا ولى مدبرا، ثم ناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ما يدعى إليه من الإيمان ومعنى الآية أنهم لقرط إعراضهم عما يدعون إليه كالميت الذى لا سبيل إلى سماعه والأصم الذى لا يسمع (وما أنت بهادى العمى) قرأ الأعمش وحزمة تهدى بالتاء وفتحها على الفعل العمى ينصب الياء ها هنا وفي الروم وقرأ الآخرون بهادى بالياء على الاسم العمى بكسر الياء (عن ضلالتهم) أى ما أنت بمرشد من أعماه الله عن الهدى وأعمى قلبه عن

الإيمان (إن تسمع) ما تسمع (إلا من يؤمن بآياتنا) إلا من يصدق بالقرآن أنه من الله (فهم مسلمون) المسمى مخلصون. قوله تعالى (وإذا وقع القول عليهم) وجب العذاب عليهم. وقال قتادة: إذا غضب الله عليهم (أخرجنا لهم دابة من الأرض

تكلمهم) واختلقوا في كلامها فقال السدي : تكلمهم بيطان الأديان سوى دين الإسلام . وقال بعضهم كلامها ان تقول لواحد هذا مؤمن ، وتقول لآخر هذا كافر . وقيل كلامها ما قال الله تعالى (إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) قال مقاتل تكلمهم بالعربية فتقول إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون . تخبر الناس أن أهل مكة لم يؤمنوا بالقرآن والبعث قرأ أهل الكوفة « أن الناس » بفتح الألف أي بأن الناس وقرأ الباقر بالكسر على الاستئناف أي أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون قبل خروجها قال ابن عمر وذلك حين لا يؤمر بمعروف ولا ينهى عن منكر وقرأ سعيد بن جبيرة وعاصم الجحدري وأبو رجاء العطاردي تكلمهم بفتح التاء وتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح . وقال أبو الجوزاء سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن هذه الآية تكلمهم أو تكلم قال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر . أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الحرقي ، أنا أبو الحسن الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري ، أنا أحمد بن علي الكشمهيني أنا علي بن حجر أنا إسماعيل بن جعفر أنا العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «بادروا بالأعمال ستا : طلوع الشمس من مغربها ، والدخان والدجال وداية الأرض وخاصة أحدكم وأمر العامة» أخبرنا إسماعيل بن عبد الله أنا عبد الغافر بن (١٥٧) محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى

المسعى وتخرج الدابة من الصفا أول ما يخرج منها رأسها ملمعة ذات وبر وریش لن يدركها الطالب ولن يفوتها هارب تسم الناس مؤمنا وكافرا ، فأما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن ، وأما الكافر فتنتك بين عينيه نكتة سوداء وتكتب بين عينيه كافر وروى عن ابن عباس أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال إن الدابة تسمع قرع عصاي هذه وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسبرون إلى منى وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «بئس الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذلك يا رسول الله ؟ قال تخرج منه الدابة تصرخ ثلاث صرخات يسمعه من بين الخافقين وروى عن ابن الزبير أنه وصف الدابة فقال رأسها رأس ثور وعينها عين خنزير وأذنها إذن فيل وقرنها قرن إبل وصدرها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبا ذنب كيش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا . وعن عبد الله بن عمرو قال تخرج الدابة من شعب أجياد فتمس رأسها السحاب ورجلاها في الأرض وروى عن علي قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لها لحية وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير فتخبر من رآها أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون (تكلمهم) أي بكلام فصيح قيل تقول هذا مؤمن وهذا كافر . وقيل تقول ما أخبر الله تعالى (إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون) تخبر الناس عن أهل مكة أنهم لم يؤمنوا بالقرآن والبعث . وقرئ تكلمهم بتخفيف اللام من الكلم وهو الجرح وقال ابن الجوزي مثل

الجلودي أنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا أبو بكر بن أبي شيبة أنا محمد بن بشر عن أبي حيان عن أبي زرعة عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «إن أول الآيات خروجا طلوع الشمس من مغربها وخروج الدابة على الناس ضحى وآبئها ما كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها قريبا» وأخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي

أنا أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن فضال أنا أبو بكر بن خزيمة أنا محمد بن عبد الله بن سليمان الحضرمي أنا هشام بن حماد أنا عمرو بن محمد العبقرى عن طلحة عن عمرو عن عبد الله بن عمير الليثي عن أبي شريفة الأنصاري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يكون للدابة ثلاث خرجات من الدهر : فتخرج خروجا بأقصى اليمن فيمشوا ذكرها في البادية ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تمكث زمانا طويلا ثم تخرج خروجا أخرى قريبا من مكة فيمشوا ذكرها في البادية ، ويدخل ذكرها القرية يعني مكة فبينما الناس يوما في أعظم المساجد على الله حرمة وأكرمها على الله عز وجل يعني المسجد الحرام لم يرعهم إلا وهي في ناحية المسجد تدنو وتدنو» كذا قال ابن عمرو ما بين الركن الأسود إلى باب بني مخزوم عن يمين الخارج في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبت لها عصاة عرفوا أنهم لن يعجزوا الله فخرجت عليهم تنفض رأسها من التراب فرت بهم فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنها الكواكب الدررية ثم ولت في الأرض لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب حتى إن الرجل ليقوم فيتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول يا فلان الآن تصل فيقبل عليها بوجهه فتسمه في وجهه ، فيتجاوز الناس في ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الأموال يعرف الكافر من المؤمن فيقال للمؤمن يا مؤمن ويقال للكافر يا كافر . أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني الحسن بن محمد أنا أبو بكر بن مالك العنطفي

انا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا أبي ثنا بهزنا حماد هو ابن أبي سلمة أنا علي بن زيد عن أوس بن خالد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : تخرج الدابة ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتجلبو وجه المؤمن بالعصا وتحطم أنف الكافر بالخاتم حتى إن أهل الخوان يجتمعون فيقول هذا يأمؤمن ويقول هذا يا كافر . وروى عن علي قال ليست بدابة لها ذنب ولكن لهاحية كأنه يشبر إلى أنه رجل والأكثر على أنها دابة وروى ابن جرير عن ابن الزبير أنه وصف الدابة فقال رأسها رأس الثور وعينها عين الخنزير وأذنها أذن قميل وقرنها قرن أيل وصدورها صدر أسد ولونها لون نمر وخاصرتها خاصرة هر وذنبها ذنب كبش وقوائمها قوائم بعير بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا معها عصا موسى وخاتم سليمان فلا يبقى مؤمن إلا نكته في مسجده بعصا موسى نكته بيضاء يضيء بها وجهه ولا يبقى كافر إلا نكته وجهه بخاتم سليمان فيسود بها وجهه حتى إن الناس يتبايعون في الأسواق بكم يأمؤمن بكم يا كافر ؛ ثم تقول لهم الدابة يا فلان أنت من أهل الجنة ويا فلان أنت من أهل النار فذلك قوله عز وجل « وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض » الآية أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني عقيل بن محمد الجرجاني الفقيه أنا أبو الفرج المعافى ابن زكريا البغدادي أنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبري أنا أبو كريب أنا الأشجعي عن فضيل بن مرزوق عن عطية عن ابن عمر قال : تخرج الدابة من صدع في الصفا كجرى الفرس ثلاثة أيام وما خرج ثلثها وبه عن محمد بن جرير الطبري قال حدثني عصام بن داود بن الجراح (١٥٨) ثنا أبي ثنا سفيان بن سعيد أنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن حراش عن حذيفة

ابن عباس عن هذه الآية تكلمهم وتكلمهم فقال كل ذلك تفعل تكلم المؤمن وتكلم الكافر . قوله تعالى (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) أي نحشر من كل قرن جماعة (ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون) أي يجيب أولهم على آخرهم حتى يجتمعون ثم يساقوا إلى النار (حتى إذا جاءوا) يعني يوم القيامة (قال) الله تعالى لهم (أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما) أي ولم تعرفوها حتى معرفتها (ألم ماذا كنتم تعملون) أي حين لم تفكروا فيها وقيل معنى الآية أكذبتم بآياتي غير عالين بها ولم تفكروا في صحتها بل كنتم بها جاهلين (ووقع القول) أي وجب العذاب (عليهم بما ظلموا) أي بما أشركوا (فهم لا ينطقون) أي بحجة وقيل إن أفواههم مختومة (ألم يروا أنا جعلنا) أي

ابن الهان رضي الله عنه قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدابة قلت يا رسول الله من أين تخرج ؟ قال من أعظم المساجد حرمة على الله بيننا عيسى يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض تحتمهم وتشق

أنا

الصفا مما يلي المشعر وتخرج الدابة من الصفا أول

ما يبدو منها رأسها ملمعة ذات وبر وریش لن يدركها طالب ولن يفوتها هارب تسمى الناس مؤمنا وكافرا أما المؤمن فتترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينيه مؤمن وأما الكافر فتكتب بين عينيه نكته سوداء وتكتب بين عينيه كافرا . وروى عن ابن عباس أنه قرع الصفا بعصاه وهو محرم وقال : إن الدابة لتسمع قرع عصاى هذه . وعن عبد الله بن عمر قال تخرج الدابة من شعب فيمس رأسها المحاب ورجلاها في الأرض ما خرجنا فتمر بالإنسان يصلى فتقول ما الصلاة من حاجتك فنخطمه وعن ابن عمر قال تخرج الدابة ليلة جمع والناس يسبرون إلى منى . وعن سهيل بن صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : بشس الشعب شعب أجياد مرتين أو ثلاثا قيل ولم ذلك يا رسول الله قال تخرج منه الدابة فنصرخ ثلاث صرخات يسمعها من بين الخافقين ، وقال وهب وجهها وجه رجل وسائر خلقها كخلق الطير فتخبر من رآها أن أهل مكة كانوا بمحمد والقرآن لا يوقنون قوله تعالى (ويوم نحشر من كل أمة فوجا) أي من كل قرن جماعة (ممن يكذبون بآياتنا) وليس من هاهنا للتبعض لأن جميع المكذبين يحشرون (فهم يوزعون) يجيب أولهم على آخرهم حتى يجتمعوا ثم يساقون إلى النار (حتى إذا جاءوا) يوم القيامة (قال) الله لهم (أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علما) ولم تعرفوها حتى معرفتها (ألم ماذا كنتم تعملون) حين لم تفكروا فيها . ومعنى الآية أكذبتم بآياتي غير عالين بها ولم تفكروا في صحتها بل كذبتم بها جاهلين (ووقع القول) وجب العذاب (عليهم بما ظلموا) بما أشركوا (فهم لا ينطقون) قال قتادة : كيف ينطقون ولا حجة لهم نظيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقيل لا ينطقون لأن أفواههم مختومة . قوله عز وجل (ألم يروا أنا جعلنا)

الأرض إلا من شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فأكون أول من يرفع رأسه فإذا موسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري
 أكان من استثنى الله عز وجل أم رفع رأسه قبلي ، ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب ، وقال الضحاك هم رضوان
 والحور ومالك والزبانية وقيل عقارب النار وحياتها . قوله عز وجل (وكل) أي كل الذين أحيوا بعد الموت (أتوه) قرأ
 الأعمش وحزمة وحفص أتوه مقصورا بفتح التاء على الفعل أي جاءوه وقرأ الآخرون بالمد وضم التاء كقوله تعالى « وكلهم
 آتية يوم القيامة فرقا » (داخرين) صاغرين قال الله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة) قائمة واقفة (وهي تمر مر السحاب)
 أي تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض فتستوي بها وذلك إن كل شيء عظيم وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرتة
 وبعد ما بين أطرافه فهو في حسيان (١٦٥) الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال لا يرى يوم القيامة لعظمتها كما

أن سير السحاب لا يرى
 لعظمته وهو سائر (صنع
 الله) نصب على المصدر
 (الذي أتقن كل شيء)
 يعني أحكم (إنه خير
 بما تفعلون) قرأ
 ابن كثير وأهل البصرة
 بالياء والباقون بالتاء
 (من جاء بالحسنة)
 بكلمة الإخلاص وهي
 شهادة أن لا إله إلا
 الله : قال أبو معشر
 كان إبراهيم يحلف ولا
 يستثنى إن الحسنة لا إله
 إلا الله . وقال قتادة
 بالإخلاص وقيل هي
 كل الطاعة (فله خير
 منها) قال ابن عباس فثما
 يصل الخير إليه يعني له
 من تلك الحسنة خير يوم
 القيامة وهو الثواب
 والأمن من العذاب
 إما أن يكون له شيء

عز وجل أم رفع رأسه قبلي ، ومن قال أنا خير من يونس بن متى فقد كذب ، وقيل الذين استثنى
 الله هم رضوان والحور ومالك والزبانية . وقوله تعالى (وكل) أي وكل الذين أحيوا بعد الموت
 (أتوه) أي جاءوه (داخرين) أي صاغرين . قوله تعالى (وترى الجبال تحسبها جامدة) أي قائمة
 واقفة (وهي تمر مر السحاب) أي تسير سير السحاب حتى تقع على الأرض فتستوي بها وذلك
 أن كل شيء عظيم وكل جسم كبير وكل جمع كثير يقصر عنه البصر لكثرتة وعظمته وبعد
 ما بين أطرافه فهو في حساب الناظر واقف وهو سائر كذلك سير الجبال يوم القيامة لا يرى
 لعظمتها كما أن سير السحاب لا يرى لعظمته (صنع الله الذي أتقن كل شيء) يعني أنه تعالى لما
 قدم هذه الأشياء كلها التي لا يقدر عليها غيره جعل ذلك الصنع من الأشياء التي أتقنها وأحكمها
 وأتى بها على وجه الحكمة والصواب (إنه خير بما تفعلون) . قوله تعالى (من جاء بالحسنة) أي
 بكلمة الإخلاص وهي شهادة أن لا إله إلا الله وقيل الإخلاص في العمل وقيل الحسنة كل طاعة
 عملها لله عز وجل (فله خير منها) قال ابن عباس فيها يصل إلى الخير بمعنى أن له من تلك
 الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والأمن من العذاب أما من يكون له شيء خير من الإيمان
 فلا ، لأنه لا شيء خير من لا إله إلا الله وقيل هو جزاء الأعمال والطاعات والثواب والجنة وجزاء
 الإيمان والإخلاص رضوان الله والنظر إليه لقوله ورضوان من الله ، وقيل معنى خير منها الأضعاف
 أعطاه الله بالواحدة عشر أضعافها ، لأن الحسنة استحقاق العبد والتضعيف تفضيل الرب تبارك
 وتعالى (وهم من فرغ يومئذ آمنون) فان قلت كيف نفي الفرغ هنا وقد قال قبله ففرغ من
 في السموات ومن الأرض : قلت إن الفرغ الأول هو ما لا يخلوا عنه أحد عند الاحساس
 بشدة تقع وهول يفجأ من رعب وهيبة وإن كان المحسن يأمن وصول ذلك القصر إليه فلأما
 الفرغ الثاني فهو الخوف من العذاب فهم آمنون منه . وأما ما يلحق الإنسان من الرعب عند مشاهدة
 الأحوال فلا ينفك منه أحد (ومن جاء بالسيئة) يعني بالشرك (فكبت وجوههم في النار) عبر
 بالوجه عن جميع البدن كأنه قال كبروا وطرحوا جميعهم في النار (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون)

خير من الإيمان فلا لأنه ليس شيء خيرا من قوله لا إله إلا الله وقيل فله خير منها يعني رضوان الله قال تعالى أي
 ورضوان من الله أكبر ، وقال محمد بن كعب وعبد الرحمن بن زيد فله خير منها يعني الأضعاف أعطاه الله تعالى بالواحدة عشرا
 فصاعدا وهذا حسن لأن الأضعاف خصائص منها أن العبد يسأل عن عمله ولا يسأل عن الأضعاف ومنها أن للشيطان سبيلا إلى عمله
 وليس له سبيل إلى الأضعاف ولا مطمع للخصوم في الأضعاف ولأن الحسنة على استحقاق العبد والتضعيف كما يليق بكرم
 الرب تبارك وتعالى (وهم من فرغ يومئذ آمنون) قرأ أهل الكوفة من فرغ بالثنون يومئذ بفتح الميم . وقرأ الآخرون بالإضافة
 لأنه أعم فانه يقتضى الأمن من جميع فرغ ذلك اليوم وبالثنون كأنه فرغ دون فرغ ويفتح أهل المدينة الميم من يومئذ (ومن
 جاء بالسيئة) يعني الشرك (فكبت وجوههم في النار) يعني ألقوا على وجوههم يقال كبيت الرجل إذا ألقته على وجهه
 فانكبت وأكب وتقول لهم خزنة جهنم (هل تجزون إلا ما كنتم تعملون) في الدنيا من الشرك . قوله تعالى

(إنما أمرت) بقول الله لرسوله صلى الله عليه وسلم قل إنما أمرت (أن أعبد وب هذه البلدة) يعني مكة (الذي حرّمها) يعني جعلها الله حرماً آمناً لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يخلى خلالها (وله كل شيء) خلقاً وملكاً (وأمرت أن أكون من المسلمين) لله (وأن أتلو القرآن) يعني وأمرت أن أتلو القرآن (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) أى نفع اهتدائه يرجع إليه (ومن ضل) عن الإيمان وأخطأ عن طريق الهدى (فقل إنما أنا (١٦١) من المتذرين) من الخوفين

فليس على إلا البلاغ
نسخها آية القتال (وقل
الحمد لله) على نعمه
(سيركم آياته) يعني
يوم بدر من القتل والسبي
وضرب الملائكة
وجوههم وأدبارهم نظيره
قوله عز وجل «سأريكم
آياتي فلا تستعجلون»
وقال مجاهد سيركم آياته
في السماء والأرض
وفي أنفسكم كما قال
«سأريهم آياتنا في
الآفاق وفي أنفسهم»
(فتعرفونها) يعني تعرفون
الآيات والدلالات
(وما ربك بغافل
عما تعملون) وعيد
لهم بالجزاء على أعمالهم
(سورة القصص)
مكية إلا قوله عز وجل
«الذين آتيناكم الكتاب»
لبي قوله «لا نبتغي
الجاهلين» وفيها آية نزلت
بين مكة والمدينة وهي
قوله عز وجل «إن الذي
فرض عليك القرآن

أى تقول لهم خزنة جهنم «هل تجزون إلا ما كنتم تعملون» في الدنيا من الشرك. وقوله تعالى (إنما أمرت) يعني يقول الله تعالى لرسوله قل إنما أمرت (أن أعبد رب هذه البلدة) يعني أمرت أن أحص بعبادتي وتوحيدي الله الذي هو رب هذه البلدة يعني مكة وإنما خصها من بين سائر البلاد بالذكر لأنها مضافة إليه وأحب البلاد وأكرمها عليه وأشار إليها إشارة تعظيم لأنها موطن نبيه ومهبط وحبه (الذي حرّمها) أى جعلها الله حرماً آمناً لا يسفك فيها دم ولا يظلم فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يخلى خلالها ولا يدخلها إلا محرماً وإنما ذكر أنه هو الذي حرّمها لأن العرب كانوا معترفين بفضيلة مكة وأن تحرمها من الله لامن الأصنام (وله كل شيء) أى خلقاً وملكاً (وأمرت أن أكون من المسلمين) الله المطيعين له (وأن أتلو القرآن) أى أمرت أن أتلو القرآن ولقد قام صلى الله عليه وسلم بكل ما أمر به آمراً قواماً على ما أمر به (فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه) أى نفع اهتدائه يرجع إليه (ومن ضل) أى عن الإيمان وأخطأ طريق الهدى (فقل إنما أنا من المتذرين) أى من الخوفين وما على إلا البلاغ نسخها آية القتال (وقل الحمد لله) أى على جميع نعمه وقيل على ما وفقني من القيام بأداء الرسالة والإنذار (سيركم آياته) الباهرة ودلائله القاهرة قيل هو يوم بدر وهو ما أراه من القتل والسبي وضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم وقيل آياته في السموات والأرض وفي أنفسكم (فتعرفونها) أى تعرفون الآيات والدلالات (وما ربك بغافل عما تعملون) فيه وعيد بالجزاء على أعمالهم والله سبحانه وتعالى أعلم :

(تفسير سورة القصص)

وهي مكية إلا قوله تعالى «الذين آتيناكم الكتاب» إلى قوله «لا نبتغي الجاهلين» وفيها آية نزلت بين مكة والمدينة وهي قوله «إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد» وهي ثمان وثمانون آية وأربعمائة وإحدى وأربعون كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة حرف :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (طسم تلك) إشارة إلى آيات السورة (آيات الكتاب المبين) قيل هو اللوح المحفوظ وقيل هو الكتاب الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ووصفه بأنه مبين لأنه بين فيه الحلال والحرام والخلود والأحكام (نتلو عليك من نبي) أى خبير (موسى وفرعون بالحق) أى بالصدق (لقوم يؤمنون) أى يصدقون بالقرآن (إن فرعون علا) أى تجبر وتكبر (في الأرض) أى أرض مصر (وجعل أهلها شيعاً) أى فرقاً في أنواع الخدمة والتسخير (يستضعف طائفة منهم) يعني بني إسرائيل (يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم) سمى هذا استضعافاً لأنهم عجزوا

(٢١ - خازن بالبعوى - خامس) لرادك إلى معاد «وهي ثمان وثمانون آية» (بسم الله الرحمن الرحيم) (طسم تلك آيات الكتاب المبين نتلو عليك من نبي موسى وفرعون بالحق) بالصدق (لقوم يؤمنون) يصدقون بالقرآن (إن فرعون علا) استكبر وتجبر وتعظم (في الأرض) أرض مصر (وجعل أهلها شيعاً) فرقاً وأصنافاً في الخدمة والتسخير (يستضعف طائفة منهم) أراد بالطائفة بني إسرائيل ثم فسر الاستضعاف فقال (يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم) سمى هذا

استضعافا ، لأنهم عجزوا وضعفوا عن دفعه عن أنفسهم (إنه كان من المفسدين وتريد أن نؤمن على الذين استضعفوا في الأرض) يعني بني إسرائيل (وتجعلهم أئمة) قادة في الخير يقتدى بهم وقال قتادة ولاة وملوكا دليله قوله عز وجل وجعلكم ملوكا وقال مجاهد دعاة إلى الخير (وتجعلهم الوارثين) يعني أملاك فرعون وقومه يخلفونهم في مساكنهم (وتمكن لهم في الأرض) نوطن لهم في أرض مصر والشام وتجعلها لهم مكانا يستقرون فيه (ونرى فرعون) قرأ الأعمش وحمزة والسكسائي يرى بالياء وفتحها فرعون (وهامان وجنودها) مرفوعات على أن الفعل لهم وقرأ الآخرون بالنون وضمها ، وكسر الراء ونصب الياء ونصب ما بعده بوقوع الفعل عليه (منهم ما كانوا يحذرون) والحذر هو التوقي من الضرر وذلك أنهم أخبروا أن هلاكهم على يد رجل من بني إسرائيل فكانوا على وجل منه فأراهم الله ما كانوا يحذرون (وأوحينا إلى أم موسى) وهو وحى إلهام لا وحى نبوة . قال قتادة قذفنا في قلبها وأم موسى يوحانذ بنت لاوى بن يعقوب (أن أرضعه) واختلفوا في مدة الرضاع قبل ثمانية أشهر وقيل أربعة أشهر وقيل ثلاثة أشهر كانت أرضعه في حجرها وهو لا يبكي ولا يتحرك (فاذا خفت عليه) يعني من الذبح (فألقيه في اليم) (١٦٢) واليم البحر وأراد هاهنا النيل (ولا تخافي) قيل لا تخافي عليه من

الغرق وقيل من الضيعة (ولا تخزني) على فراقه (إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) روى عطاء عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن بني إسرائيل لما كثروا بمصر استظالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يأمرؤا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوا إلى أن أتجأهم الله على يد نبيه ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما إن أم موسى لما تقاربت ولادتها كانت قابلة من القوايل التي وكلهن فرعون بجالي بني إسرائيل مصافية لأم موسى فلما ضربها الطلق أرسلت إليها وقالت لها قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك إياي اليوم فعاجلت قبالتها فلما وقع موسى بالأرض هالها نور عيني موسى قابلة من القوايل التي وكلهن فرعون بجالي بني إسرائيل مصافية لأم موسى فلما ضربها الطلق أرسلت إليها فارتعش فقالت قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك إياي اليوم قالت فعاجلت قبالتها فلما وقع موسى بالأرض هالها نور عيني موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت إليك حين دعوتيني إلا ومرادى قتل مولودك ولكن وجدت لابنتك هذا حبا ما وجدت حب شيء مثل حبه فاحفظي ابنتك فإني أراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاءوا إلى بابها ليدخلوا على أم موسى فقالت أخته يأماه هذا الحرس بالباب فلفت موسى في خرقة فوضعتها في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فإذا التنور مسجور ورأوا أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالتوا لها ما أدخل عليك القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع إليها عقلها فقالت لأخت موسى فإني الصبي قالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت إليه ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى النار عليه بردا وسلاما فأحتملته . قال ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنتها فقذف الله في قلبها أن تتخذ له تابوتا فتجعله فيه ثم تقذف التابوت في اليم وهو النيل فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون

الغرق وقيل من الضيعة (ولا تخزني) على فراقه (إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين) روى عطاء عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال إن بني إسرائيل لما كثروا بمصر استظالوا على الناس وعملوا بالمعاصي ولم يأمرؤا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوا إلى أن أتجأهم الله على يد نبيه ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما إن أم موسى لما تقاربت ولادتها كانت قابلة من القوايل التي وكلهن فرعون بجالي بني إسرائيل مصافية لأم موسى فلما ضربها الطلق أرسلت إليها وقالت لها قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك إياي اليوم فعاجلت قبالتها فلما وقع موسى بالأرض هالها نور عيني موسى قابلة من القوايل التي وكلهن فرعون بجالي بني إسرائيل مصافية لأم موسى فلما ضربها الطلق أرسلت إليها فارتعش فقالت قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك إياي اليوم قالت فعاجلت قبالتها فلما وقع موسى بالأرض هالها نور عيني موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت إليك حين دعوتيني إلا ومرادى قتل مولودك ولكن وجدت لابنتك هذا حبا ما وجدت حب شيء مثل حبه فاحفظي ابنتك فإني أراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاءوا إلى بابها ليدخلوا على أم موسى فقالت أخته يأماه هذا الحرس بالباب فلفت موسى في خرقة فوضعتها في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فإذا التنور مسجور ورأوا أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالتوا لها ما أدخل عليك القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع إليها عقلها فقالت لأخت موسى فإني الصبي قالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت إليه ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى النار عليه بردا وسلاما فأحتملته . قال ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنتها فقذف الله في قلبها أن تتخذ له تابوتا فتجعله فيه ثم تقذف التابوت في اليم وهو النيل فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون

قابلة من القوايل التي وكلهن فرعون بجالي بني إسرائيل مصافية لأم موسى فلما ضربها الطلق أرسلت إليها فارتعش فقالت قد نزل بي ما نزل فلينفعني حبك إياي اليوم قالت فعاجلت قبالتها فلما وقع موسى بالأرض هالها نور عيني موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت إليك حين دعوتيني إلا ومرادى قتل مولودك ولكن وجدت لابنتك هذا حبا ما وجدت حب شيء مثل حبه فاحفظي ابنتك فإني أراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاءوا إلى بابها ليدخلوا على أم موسى فقالت أخته يأماه هذا الحرس بالباب فلفت موسى في خرقة فوضعتها في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع قال فدخلوا فإذا التنور مسجور ورأوا أم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالتوا لها ما أدخل عليك القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع إليها عقلها فقالت لأخت موسى فإني الصبي قالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطلقت إليه ، وقد جعل الله سبحانه وتعالى النار عليه بردا وسلاما فأحتملته . قال ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنتها فقذف الله في قلبها أن تتخذ له تابوتا فتجعله فيه ثم تقذف التابوت في اليم وهو النيل فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون

فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال لها النجار ماتصنعين بهذا التابوت قالت ابن لي أحيته في التابوت وكرهت الكذب قال ولم نقل أخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار إلي الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيده فلم يدرك الأمانة مايقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار إلي موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الأمانة فأثامهم ليخبرهم فأخذ الله لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فضربوه وأخرجوه فوقع في واد بهوى فيه حيران فجعل الله عليه إن رد لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه يحفظه حيث ما كان فعرف الله منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره فخر الله ساجدا فقال يارب دلتني على هذا العبد الصالح فدلته الله عليه فخرج من الوادي فآمن به وصدقوه علم أن ذلك من الله عز وجل وقال وهب بن منبه لما حملت أم موسى بموسى كتبت أمرها لجميع الناس فلم يطلع على حملها أحد من خلق الله وذلك شيء ستره الله لما أراد أن يمن به على بني إسرائيل فلما كانت السنة التي يولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم إليهن يفتشن النساء تفتيشا لم يفتشن قبل ذلك مثله وحملت أم موسى فلم يبتأ بطنها ولم يتغير لونها ولم يظهر لبنها ، فكانت القوابل لا تتعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة (١٦٣) ولم يطلع عليها أحد إلا أخته

مريم فأوحى الله إليها أن أرضعيه فإذا خفت عليه الآية فكنمه أمه ثلاثة أشهر رضعه في حجرها لا يبكي ولا يتحرك ، فلما خافت عليه عملت تابوتا له مطبقا ثم ألقته في البحر لئلا قال ابن عباس وغيره وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إلي فرعون وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها أطباء مصر

فارتعش كل مفصل فيها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت إليك حين دعوتني إلا مرادى قتل ولدك ولكن وجدت لولدك حيا ما وجدت حب شيء مثل حبه فاحفظي ابنك فإني أراه عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاءوا إلى بابها ليدخلوا إلى أم موسى فقالت أخته بأمامها هذا الحرس بالباب فلفته بخرقه وألقت في التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ماتصنع قال فدخلوا فإذا التنور مسجور ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن فقالوا ما أدخل القابلة قالت هي مصافية لي فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع إليها عقلها فقالت لأخته فأين الصبي فقالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي في التنور فانطلقت إليه وقد جعل الله النار عليه بردا وسلاما فاحتلمته قال ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون في طلب الولدان خافت على ابنها فقذف الله في قلبها أن تتخذ تابوتا له ثم تقذف التابوت في النيل فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا فقال النجار ماتصنعين بهذا التابوت فقالت ابن لي أحيته في التابوت وكرهت الكذب قال ولم نقل أخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار إلي الذباحين ليخبرهم بأمر أم موسى فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيده فلم تدرك الأمانة مايقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه فلما انتهى النجار إلي موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الأمانة فأثامهم ليخبرهم

والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ إلا من قبل البحر يوجد فيه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيلطخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا وساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان يوم الاثنين غدا فرعون إلي مجلس كان على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت ابنة فرعون في جواربها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواربها ، تلاحهن وتنضح الماء على وجوههن إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج فقال فرعون إن هذا لشيء في البحر قد تعلق بالشجرة اتنوفى به فابتدروه بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدر عليهم فمقدروا عليه فدنت منه آسية فرأت في جوف التابوت نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فإذا هي بصبي صغير في مهده وإذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في إبهامه بمصه لبنا فألقى الله لموسى الحبة في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت بنت فرعون إلي ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته إلي صدرها فقال الغواة من قوم فرعون أيها الملك إنا نظن أن ذلك المولود الذي تحلم منه من بني إسرائيل هو هذا رمى به في البحر خوفا منك فاقبله فهم فرعون بقتله فقالت آسية قرعة عين لي ولك لا تقتله عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وكانت لاتلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم ولو قال فرعون يومئذ هو قرعة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها ، فقيل لآسية سميه فقالت قد سميت به موسى لأننا وجدناه في الماء والشجر فبو (١٦٤) هو الماء ومسى هو الشجر فذلك قوله عز وجل (فالتقطه آل فرعون) والالتقاط هو وجود الشيء من غير طلب (ليكون لهم عدوا وحزنا) وهذه اللام تسمى لام العاقبة ولام الصيرورة لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ولكن صار عاقبة أمرهم إلي ذلك قرأ حمزة والسكاسي حزنا بضم الحاء وسكون الزاي وقرأ الآخرون بفتح الحاء والزاي وهما لغتان (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) عاصين آثمين قوله تعالى (وقالت امرأة فرعون قرعة عين لي ولك) قال وهب لما وضع التابوت بين يدي فرعون فتحوه فوجدوا فيه موسى فلما نظر إليه قال عبراني من الأعداء فغاظه ذلك وقال كيف أخطأ هذا الغلام الذبح وكان فرعون قد استنكح امرأة من بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم وكانت من خيار النساء ومن بنات الأنبياء وكانت أما للمساكين رحمهم

فأخذ لسانه وبصر فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فصر بوه وأخرجه وبقى حيرا أن يجعل الله عليه إن رد عليه لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه فيحفظه حينما كان فعرف الله صدقه فرد عليه لسانه وبصره فخر لله ساجدا فقال يارب دلني على هذا العبد الصالح فدلته عليه فأمن به وصدقته وقال وهب لما حملت أم موسى بموسى كتبت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها أحد من خلق الله تعالى وذلك شيء ستره الله تعالى لما أراد أن يمن به على بني إسرائيل فلما كانت السنة التي ولد فيها بعث فرعون القوابل وتقدم الأمين ففتش النساء فتفتشا لم يفقش قبل ذلك مثله وحملت بموسى ولم يتغير لونها ولم ينب بطنها فكانت القوابل لا تتعرض لها فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا رقيب عليها ولا قابلة ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم وأوحى الله إليها أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم فكتتمته ثلاثة أشهر فلما خافت عليه عملت تابوتا مطبقا ثم ألقته في اليم وهو البحر ليلا قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الأطباء والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا أيها الملك لا تبرأ إلا من قبل البحر يوجد فيه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيلطح به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا حين تشرق الشمس فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون إلى مجلس كان له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في جواربها حتى جلست على شاطئ البحر مع جواربها تلاعبن وتنضح الماء على وجوههن إذ أقبل النيل بالتابوت تضربه الأمواج فقال فرعون إن هذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجر اثنتي به فابتدروه بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه فذنت آسية قرأت في جوف التابوت نورا لم يره غيرها فعالجته ففتحت الباب فإذا هي بصبي صغير في التابوت وإذا نور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في إبهامه بمص منه لبنا فألقى الله عبته في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت إلى مايسيل من أشداده من ريقه فلطخت به برصها فبرأت ثم قبلته وضمته إلى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك إنا نظن أن ذلك المولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا رميه في البحر فزعامنك فهم فرعون يقتله فقالت آسية قرعة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أي فنصيب منه خيرا أو نتخذه ولدا وكانت لا تلد فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لي فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ قرعة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها الله فقيل لآسية سميه فقالت سميت به موسى لأننا وجدناه في الماء والشجر لأن موسى هو الماء ومسى هو الشجر فذلك قوله تعالى (فالتقطه آل فرعون) الالتقاط هو وجود الشيء من غير طلب (ليكون لهم عدوا وحزنا) أي عاقبة أمرهم إلى ذلك لأنهم لم يلتقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا (إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين) أي آثمين وقيل هو من الخطأ ومعناه أنهم لم يشعروا أنه الذي يذهب بملكهم (وقالت امرأة فرعون قرعة عين لي ولك لا تقتلوه

وتصدق عليهم وتعطيهم فقالت لفرعون وهي قاعدة إلي جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة وإنما أمرت أن تذبح الولدان لهذه السنة فدعه ويكون قرعة عين لي ولك (لا تقتلوه)

عسى

عسى

وروى أنها قالت له إنه آتانا من أرض أخرى ليس من بني إسرائيل (عسى أن ينفعنا أو نتخذة ولدا وهم لا يشعرون) أن
 هلاكهم على يديه فاستحياه فرعون وألقى الله عليه محبته وقال لامراته عسى أن ينفعك فأما أنا فلا أريد نفعه . قال وهب
 قال ابن عباس رضى الله عنهما لو أن عدو الله قال في موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعه الله ولكنه أبى للشقاء الذى
 كتبه الله عليه وقوله تعالى (وأصبح فرؤاد أم موسى فارغا) أى خاليا من كل شئ إلا من ذكر موسى وهمه هذا قول أكثر
 المفسرين وقال الحسن فارغا أى ناسيا للوحى الذى أوحى الله إليها حين أمرها أن تلقيه فى البحر ولا تخافى ولا تحزنى والعهد
 الذى عهد أن يردده إليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان فقال كرهت أن يقتل فرعون ولذلك فيكون لك أجره وثوابه
 وتوليت أنت قتله فألقيته فى البحر وأغرقتة فلما آتاه الخبر بأن فرعون أصابه (١٦٥) فى النيل قالت إنه وقع فى

يد عدوه الذى فررت
 منه فأنساها عظم البلاء
 ما كان من عهد الله إليها
 وقال أبو عبيدة فارغا
 أى فارغا من الحزن
 لعلمها بصدق وعد الله
 تعالى وأنكر القتيبي هذا
 وقال كيف يكون هذا
 والله تعالى يقول إن
 كادت لتبدي به لولا
 أن ربنا على قلبها والأول
 أصح قوله عز وجل (إن
 كادت لتبدي به) قيل
 الهاء فى به راجعة إلى
 موسى أى كادت لتبدي
 به أنه ابنها من شدة
 وجدها وقال عكرمة عن
 ابن عباس كادت تقول
 وإيناه وقال مقاتل لما
 رأت التابوت برفعه موج
 ويضعه آخر خشيت
 عليه الغرق فكادت

عسى أن ينفعنا أو نتخذة ولدا وهم لا يشعرون) قال وهب لما نظر إليه فرعون قال عبرانى
 من الأعداء فغاظه ذلك وقال كيف أخطأ هذا الغلام الذبح وكانت آسية امرأة
 فرعون من خيار النساء ومن بنات الأنبياء وكانت أما للمساكين ورحمهم وتتصدق
 عليهم فقالت لفرعون وهى قاعدة إلى جنبه هذا الوليد أكبر من ابن سنة وأنت أمرت
 أن تذبح ولدان هذه السنة فدعه يكون عندي وقيل إنها قالت إنه آتانا من أرض أخرى
 وليس هو من بني إسرائيل فاستحياه فرعون وألقى الله محبته عليه قال ابن عباس لو أن
 عدو الله قال في موسى كما قالت آسية عسى أن ينفعنا لنفعه الله ولكنه أبى للشقاء الذى كتبه
 الله عليه قوله تعالى (وأصبح فرؤاد أم موسى فارغا) أى خاليا من كل شئ إلا من ذكر موسى
 وهمه وقيل معناه ناسيا للوحى الذى أوحى الله عز وجل إليها حين أمرها أن تلقيه فى اليم ولا تخاف
 ولا تحزن والعهد الذى عهد إليها أن يردده إليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت
 أن يقتل فرعون ولذلك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله وألقيته فى البحر وأغرقتة
 ولما آتاه الخبر بأن فرعون أصابه فى النيل قالت إنه قد وقع فى يد عدوه الذى فررت منه فأنساها
 عظم البلاء ما كان من عهد الله إليها (إن كادت لتبدي به) أى لتصرح بأنه ابنها من شدة
 وجلها قال ابن عباس كادت تقول وإيناه وقيل لما رأت التابوت برفعه موجة وتحطه أخرى
 خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شدة شفقها عليه وقيل كادت تظهر أنه ابنها حين
 سمعت الناس يقولون موسى ابن فرعون فشق عليها ذلك وكادت تقول هو ابني وقيل كادت
 تبدي بالوحى الذى أوحى الله إليها أن يردده عليها (لولا أن ربنا على قلبها) أى بالعصمة والصبر
 والتثبت (لتكون من المؤمنين) أى من المصدقين بوعده الله إياها (وقالت لأخته) أى لمريم أخت
 موسى (قصيه) أى اتبعى أثره حتى تعطى خبره (فبصرت به عن جنب) أى عن بعد قيل كانت
 تمشى جانبا وتنظره اختلاسا ترى أنها لا تنظره (وهم لا يشعرون) أنها أخته وأنها رقبه (وحررنا
 عليه المراضع) المراد به المنع قيل مكث موسى ثمان ليال لا يقبل ثديا قال ابن عباس إن امرأة
 فرعون كان معها من الدنيا أن تجد من ترضعه وكلما أتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها وهم فى طلب من
 يرضعه لهم (من قبل) أى قبل مجيء أم موسى وذلك لما رآته أخت موسى التى أرسلتها أمه فى طلب

تصيح من شفقها وقال الكلبي كادت تظهر أنه ابنها وذلك حين سمعت الناس يقولون لموسى بعد ما شب موسى ابن فرعون
 فشق عليها وكادت تقول بل هو ابني وقال بعضهم الهاء عائدة إلى الوحى أى كادت تبدي بالوحى الذى أوحى الله إليها أن
 يردده إليها (لولا أن ربنا على قلبها) بالعصمة والصبر والتثبيت (لتكون من المؤمنين) المصدقين لوعده الله حين قال لها وإنا
 رادوه إليك (وقالت لأخته) أى لمريم أخت موسى (قصيه) اتبعى أثره حتى تعلمى خبره (فبصرت به عن جنب) أى عن بعد
 وفى القصة أنها كانت تمشى جانبا وتنظره اختلاسا ترى أنها لا تنظره (وهم لا يشعرون) أنها أخته وأنها رقبه قال ابن عباس إن
 امرأة فرعون كان معها من الدنيا أن تجد له مرضعة وكلما أتوا بمرضعة لم يأخذ ثديها فذلك قوله عز وجل (وحررنا عليه
 المراضع) والمراد من التحريم المنع والمراضع جمع المرضع (من قبل) أى من قبل مجيء أم موسى فلما رأت أخت موسى التى

أرسلتها أمه في طلبه ذلك قالت لهم هل أدلكم وفي القصة أن موسى مكث ثمان ليال لا يقبل ثديا ويصبح وهم في طلب مرضعة له (فقالت) يعني أخت موسى (هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه) أي يضمونه (لكم) ويرضعونه وهي امرأة قد قتل ولدها فأحب شيء إليها أن نجد صغيرا ترضعه (وهم له ناصحون) والنصح ضد الغش ، وهو تصفية العمل من شوائب الفساد قالوا نعم فأتينا بها قال ابن جرير والسدي لما قالت أخت موسى وهم له ناصحون أخذوها وقالوا إنك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت ما أعرفه وقلت هم للملك ناصحون وقيل إنها قالت إنما قلت هذا رغبة في سرور الملك واتصالنا به وقيل إنها لما قالت هل أدلكم على أهل بيت قالوا لها من قالت أي قالوا ولأمك ابن قالت نعم هارون وكان هارون ولد في سنة لا يقتل فيها الولدان قالوا (١٦٦) صدقت فأتينا بها فانطلقت إلي أمها وأخبرتها بحال ابنها وجاءت بها

إلهم فلما وجد الصبي ربح أمه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه ربا قال السدي كانوا يعطونها كل يوم دينارا فذلك قوله تعالى (فرددناه إلي أمه كي تقر عينها) بردموسى إليها (ولا تحزن) أي لثلاث تحزن (ولتعلم أن وعد الله حق) برده إليها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الله وعدها رده إليها (ولما بلغ أشده) قال السكبي الأشد ما بين ثمانين سنة قاله ابن عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل (آتيناه حكما وعلما) أي عقلا وفهما في الدين فعلم وحكم موسى قبل أن يبعث نبيا (وكذلك نجزي المحسنين) قوله تعالى (ودخل المدينة) يعني موسى والمدينة قيل هي منف من أعمال مصر وقيل هي قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل هي مدينة عين شمس (على حين غفلة من أهلها) قيل هي نصف النهار واشتغال الناس بالقيولة وقيل دخلها ما بين المغرب والعشاء وقيل سبب دخول المدينة في ذلك الوقت أن موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب في مراكب فرعون ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فلما جاء قيل له إن فرعون قد ركب فركب موسى في أثره فأدركه المقبل بأرض منف فدخلها وليس في أطرافها أحد وقيل كان لموسى شيعة من بني إسرائيل يسمعون منه ويقتلون به فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه فخالفهم في دينه حتى أنكروا ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية إلا خائفا مستخفيا على حين غفلة من أهلها وقيل لما ضرب موسى فرعون بالعصا في صغره فأراد فرعون

إلهم فلما وجد الصبي ربح أمه قبل ثديها وجعل يمصه حتى امتلأ جنباه ربا قال السدي كانوا يعطونها كل يوم دينارا فذلك قوله تعالى (فرددناه إلي أمه كي تقر عينها) بردموسى إليها (ولا تحزن) أي لثلاث تحزن (ولتعلم أن وعد الله حق) برده إليها (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الله وعدها رده إليها (ولما بلغ أشده) قال السكبي الأشد ما بين ثمانين سنة قاله ابن عباس وقيل انتهى شبابه وتكامل (آتيناه حكما وعلما) أي الفقه والعقل والعلم

في الدين فعلم موسى وحكم قبل أن يبعث نبيا (وكذلك نجزي المحسنين) قوله تعالى (ودخل المدينة) يعني قوله دخول موسى المدينة . قال السدي هي مدينة منف من أرض مصر وقال مقاتل كانت قرية يقال لها حابين على رأس فرسخين من مصر وقيل مدينة عين الشمس (على حين غفلة من أهلها) وهو وقت القائلة واشتغال الناس بالقيولة ، وقال محمد بن كعب القرظي دخلها فيما بين المغرب والعشاء واختلفوا في السبب الذي من أجله دخل المدينة في هذا الوقت ، قال السدي وذلك أن موسى كان يسمى ابن فرعون فسكان يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ملابسه فركب فرعون يوما وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له إن فرعون قد ركب فركب في أثره فأدركه المقبل بأرض منف فدخلها نصف النهار وليس في طرفها أحد فذلك قوله عز وجل « ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها » قال محمد بن إسحاق كان لموسى شيعة من بني إسرائيل يستمعون

منه ويقتدون به فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراق فرعون وقومه فخالقهم في دينهم حتى ذكر ذلك منه وخافوه وخافهم فكان لا يدخل قرية إلا خائفا مستخفيا فدخلها يوما على حين غفلة من أهلها وقال ابن زيد لما علا موسى فرعون بالعصا في صغره فأراد فرعون قتله قالت امرأته هو صغير فترك قتله وأمر بإخراجه من مدينته فلم يدخل عليهم إلا بعد أن كبر وبلغ أشده ، فدخل المدينة على حين غفلة من أهلها يعني عن ذكر موسى أي من بعد نسيانهم خبره وأمره لبعده عنهم وروى عن علي في قوله حين غفلة قال كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم (فوجد فيها رجلين يقتتلان) يختصمان ويتنازعان (هذا من شيعته) من بني إسرائيل (وهذا من عدوه) من القبط قيل الذي كان من شيعته السامري والذي من عدوه (١٦٧) من القبط قبل طباخ فرعون

اسمه فاتون وقيل هذا من شيعته وهذا من عدوه أي هذا مؤمن وهذا كافر وكان القبطي بسخر الإسرائيل ليحمل الحطب إلى المطبخ قال سعيد بن جبير عن ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو إسرائيل قد عزوا بمكان موسى لأنهم كانوا يعلمون أنه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من آل فرعون (فاستغاثه الذي من شيعته على الذي من عدوه) يعني الفرعوني والمعنى أنه سأله أن يخلصه منه وأن ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لأنه أخذه وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس إلا أنه من قبل الرضاعة فقال موسى للفرعوني خل سبيله فقال إنما أخذته ليحمل الحطب إلى مطبخ أبيك فنازعه فقال الفرعوني لقد هممت أن أحمله عليك وكان موسى قد أوتى بسطة في الخلق وشدة في القوة (فوكزه موسى) يعني ضربه بجميع كفه وقيل الوكر الضرب في الصدر وقيل الوكر الدفع بأطراف الأصابع (فقتضى عليه) يعني قتله وفرغ من أمره فندم موسى عليه ولم يكن قصد القتل فدفعه في الرمل (قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين) يعني بين الضلالة وقيل في قوله هذا إشارة إلى عمل المقتول لا إلى عمل نفسه ، والمعنى أن عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله سبحانه وتعالى مستحقا للقتل وقيل هذا إشارة إلى المقتول يعني أنه من جند الشيطان وحزبه (قال رب إنى ظلمت نفسي) يعني بقتل القبطي من غير أمر وقيل هو على سبيل الانضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وإن لم يكن هناك ذنب. وقوله (فاغفر لي) يعني ترك هذا المندوب وقيل يحتمل أن يكون المراد (رب إنى ظلمت نفسي) حيث فعلت هذا فان فرعون إذا عرف ذلك قتلى به فقال فاغفر لي أي فاستر عني ولا توصل خبره إلى فرعون (فغفر له) أي فستره عن الوصول إلى فرعون (إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما) أي بالمغفرة

قتله قالت امرأته هو صغير فتركه وأمر بإخراجه من مدينته فأخرج منها فلم يدخل عليهم حتى كبر وبلغ أشده فدخل على حين غفلة من أهلها يعني عن ذكر موسى ونسيانهم خبره لبعده عنهم به وعن علي أنه كان يوم عيد لهم قد اشتغلوا بلهوهم ولعبهم (فوجد فيها رجلين يقتتلان) أي يتخاصمان ويتنازعان (هذا من شيعته) أي من بني إسرائيل (وهذا من عدوه) يعني من القبط وقيل هذا مؤمن وهذا كافر وقيل الذي كان من شيعته هو السامري والذي من عدوه هو طباخ فرعون واسمه فاتون وكان القبطي يريد أن يأخذ الإسرائيلي بحمله الحطب وقال ابن عباس لما بلغ موسى أشده لم يكن أحد من آل فرعون يخلص إلى أحد من بني إسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو إسرائيل قد عزوا بمكان موسى لأنهم كانوا يعلمون أنه منهم فوجد موسى رجلين يقتتلان أحدهما من بني إسرائيل والآخر من القبط (فاستغاثه الذي من شيعته) يعني الإسرائيلي (على الذي من عدوه) يعني الفرعوني والاستغاثة طلب العوث والمعنى أنه سأله أن يخلصه منه وأن ينصره عليه فغضب موسى واشتد غضبه لأنه أخذه وهو يعلم منزلة موسى من بني إسرائيل وحفظه لهم ولا يعلم الناس إلا أنه من قبل الرضاعة فقال موسى للفرعوني خل سبيله فقال إنما أخذته ليحمل الحطب إلى مطبخ أبيك فنازعه فقال الفرعوني لقد هممت أن أحمله عليك وكان موسى قد أوتى بسطة في الخلق وشدة في القوة (فوكزه موسى) يعني ضربه بجميع كفه وقيل الوكر الضرب في الصدر وقيل الوكر الدفع بأطراف الأصابع (فقتضى عليه) يعني قتله وفرغ من أمره فندم موسى عليه ولم يكن قصد القتل فدفعه في الرمل (قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين) يعني بين الضلالة وقيل في قوله هذا إشارة إلى عمل المقتول لا إلى عمل نفسه ، والمعنى أن عمل هذا المقتول من عمل الشيطان والمراد منه بيان كونه مخالفا لله سبحانه وتعالى مستحقا للقتل وقيل هذا إشارة إلى المقتول يعني أنه من جند الشيطان وحزبه (قال رب إنى ظلمت نفسي) يعني بقتل القبطي من غير أمر وقيل هو على سبيل الانضاع لله تعالى والاعتراف بالتقصير عن القيام بحقوقه وإن لم يكن هناك ذنب. وقوله (فاغفر لي) يعني ترك هذا المندوب وقيل يحتمل أن يكون المراد (رب إنى ظلمت نفسي) حيث فعلت هذا فان فرعون إذا عرف ذلك قتلى به فقال فاغفر لي أي فاستر عني ولا توصل خبره إلى فرعون (فغفر له) أي فستره عن الوصول إلى فرعون (إنه هو الغفور الرحيم قال رب بما) أي بالمغفرة

وحفظه لهم ولا يعلم الناس إلا أنه من قبل الرضاعة من أم موسى فقال للفرعوني خل سبيله فقال إنما أخذته ليحمل الحطب إلى مطبخ أبيك فنازعه ، فقال الفرعوني لقد هممت أن أحمله عليك وكان موسى قد أوتى بسطة في الخلق وشدة في القوة والبطش (فوكزه موسى) وقرا ابن مسعود فلكزه موسى ومعناها واحد وهو الضرب بجميع الكف وقيل الوكر الضرب في الصدر والسكر في الظهر ، وقال القراء معناها واحد وهو الدفع قال أبو عبيدة الوكر الدفع بأطراف الأصابع وفي بعض التفاسير عقد موسى ثلاثا وثمانين وضربه في صدره (فقتضى عليه) أي فقتله وفرغ من أمره وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه فندم موسى عليه ولم يكن قصده القتل فدفعه في الرمل (قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين) أي بين الضلالة (قال رب إنى ظلمت نفسي) بقتل القبطي من غير أمر (فاغفر لي فغفر له) إنه هو الغفور الرحيم ، قال رب بما

أنعمت على) بالمغفرة (فلن أكون ظهيرا) عوناً (للمجرمين) قال ابن عباس للكافرين وهذا يدل على أن الإسرائيليين الذي أعانه موسى كان كافراً وهو قول مقاتل قال قتادة لن أعين بعدها على خطيئة قال ابن عباس لم يستثن فابتنى به في اليوم الثاني (فأصبح في المدينة) أي في المدينة التي قتل فيها القبطي (خائفاً) من قتله القبطي (بترقب) ينتظر سوءاً والترقب انتظار المكروه قال الكلبي ينتظر متي يؤخذ به (فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) يستغيثه ويصيح به من بعد. قال ابن عباس أتى فرعون فقيل له إن بني إسرائيل قتلوا منا رجلاً فخذ لنا بحقنا فقال ابغوا لي قاتله ومن يشهد عليه فلا يستقيم أن يقضى بغير بيعة فيبيناهم يطوفون لا يجدون (١٦٨) بيعة إذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيليين يقاتل فرعونياً فاستغاثه على

والسر الذي) أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين) معناه فانا لا أكون معاوناً لأحد من المجرمين قال ابن عباس للكافرين وفيه دليل على أن الإسرائيليين الذي أعانه موسى كان كافراً قال ابن عباس لم يستثن فابتنى في اليوم الثاني أي لم يقل فلم أكن إن شاء الله ظهيرا للمجرمين (فأصبح في المدينة) أي التي قتل فيها القبطي (خائفاً بترقب) أي ينتظر سوءاً والترقب انتظار المكروه وقيل ينتظر متي يؤخذ به (فاذا الذي استنصره بالأمس يستصرخه) أي يستغيث به من بعد قال ابن عباس أتى فرعون فقيل له إن بني إسرائيل قتلوا منا رجلاً فخذ لنا بحقنا فقال اطلبوا قاتله ومن يشهد عليه فيبيناهم يطوفون لا يجدون بيعة إذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الإسرائيليين يقاتل فرعونياً فاستغاثه على الفرعوني وكان موسى قد تدم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي (قال له موسى) للإسرائيليين (إنك لغوي مبین) أي ظاهر الغواية قاتلت بالأمس رجلاً فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه وقيل إنما قال موسى للفرعوني إنك لغوي مبین بظلمك والأول أصوب ، وعليه الأكثرون أنه قال ذلك للإسرائيليين (فلما أن أراد أن يبسط بالذي هو عدو لهما) وذلك أن موسى أخذتة الغيرة والرقعة للإسرائيليين فد يده ليبطش بالقبطي فظن الإسرائيليين أنه يريد أن يبسط به لما رأى من غضب موسى وسمع قوله إنك لغوي مبین (قال يا موسى أريد أن تقتلني كما قتلت نفساً بالأمس) معناه أنه لم يكن علم أحد من قوم فرعون أن موسى هو الذي قتل القبطي حتى أفشى عليه الإسرائيليين ذلك فسمعه القبطي فأتى فرعون فأخبره بذلك (إن تريد إلا أن تكون جباراً في الأرض) أي بالقتل ظلماً وقيل الجبار هو الذي يقتل ويضرب ولا ينظر في العواقب وقيل هو الذي يتعاضم ولا يتواضع لأمر الله تعالى (وما تريد أن تكون من المصلحين) ولما قسا أن موسى قتل القبطي أمر فرعون بقتله فخرجوا في طلبه وسمع بذلك رجل من شيعة موسى يقال إنه مؤمن آل فرعون واسمه حزقييل وقيل شمعون وقيل سمعان وهو قوله تعالى (وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى) أي يسرع في مشية وأخذ طريقاً قريباً حتى سبق إلى موسى وأخبره وأنذره بما سمع (قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك) يعني يتشاورون فيك (ليقتلوك) وقيل يأمر بعضهم بعضاً بقتلك (فاخرج) يعني من المدينة (إني لك من الناصحين) يعني في الأمر بالخروج (فخرج منها) يعني موسى (خائفاً) على نفسه من آل فرعون (بترقب) يعني ينتظر الطلب هل يلحقه فيأخذه ثم لجأ إلى الله تعالى لعلمة أنه لا ملجأ

الفرعوني فصادف موسى وقد تدم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي (قال له موسى) للإسرائيليين (إنك لغوي مبین) ظاهر الغواية قاتلت بالأمس رجلاً فقتلته بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغيثني عليه وقيل إنما قال موسى للفرعوني إنك لغوي مبین بظلمك والأول أصوب ، وعليه الأكثرون أنه قال ذلك للإسرائيليين (فلما أن أراد أن يبسط بالذي هو عدو لهما) وذلك أن موسى أدركته الرقعة بالإسرائيليين فد يده ليبطش بالفرعوني فظن الإسرائيليين أنه يريد أن يبسط به لما رأى من غضبه وسمع قوله إنك لغوي مبین (قال يا موسى أريد أن تقتلني كما قتلت

نفساً بالأمس إن تريد) ما تريد (إلا أن تكون جباراً في الأرض) بالقتل ظلماً (وما تريد أن تكون من المصلحين) فلما سمع القبطي ما قال الإسرائيليين علم أن موسى هو الذي قتل ذلك الفرعوني ، فانطلق إلى فرعون وأخبره بذلك وأمر فرعون بقتل موسى ، قال ابن عباس فلما أرسل فرعون الذبائح لقتل موسى أخذوا الطريق الأعظم (وجاء رجل) من شيعة موسى (من أقصى المدينة) أي من آخرها قال أكثر أهل التأويل اسمه حزقييل مؤمن من آل فرعون وقيل اسمه شمعون وقيل سمعان (يسعى) أي يسرع في مشية فأخذ طريقاً قريباً حتى سبق إلى موسى فأخبره وأنذره حتى أخذ طريقاً آخر (قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك) يعني أشرف قوم فرعون يتشاورون فيك (ليقتلوك) قال الزجاج يأمر بعضهم بعضاً بقتلك (فاخرج) من المدينة (إني لك من الناصحين) في الأمر لك بالخروج (فخرج منها) موسى (خائفاً بترقب) أي

يشترط الطلب (قال رب نجني من القوم الظالمين) الكافرين وفي القصة أن فرعون بعث في طلبه حين أخبره به ، فقال اركبوا بنيات الطريق فانه لا يعرف كيف الطريق (ولما توجه تلقاء مدين) أي قصد نحوها ماضيا إليها يقال داره تلقاء دار فلان إذا كانت محاذيتها وأصله من اللقاء قال الزجاج يعني سلك الطريق التي يلقى مدين فيها ومدين هو مدين بن إبراهيم سميت البلدة باسمه وكان موسى قد خرج خائفا بلا ظهر ولا حذاء ولا زاد وكانت مدين على مسيرة ثمانية أيام من مصر (قال عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) أي قصد الطريق إلى مدين قال ذلك لأنه لم يكن يعرف الطريق إليها قيل فلما دعا جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به إلى مدين . قال المفسرون خرج موسى من مصر ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر والبقل حتى إنه يرى خضرته في بطنه وما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه . قال ابن (١٦٩) عباس وهو أول ابتلاء من

الله عز وجل لموسى عليه الصلاة والسلام (ولما ورد ماء مدين) وهو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم (وجد عليه أمة) جماعة (من الناس يسقون) مواشيهم (ووجد من دونهم) يعني سوى الجماعة وقيل بعيدا عن الجماعة (امرأتين تزدودان) يعني تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما البئر قال الحسن تكفان الغنم عن مواشيكما مع الناس (قالتا لانسق) أي ما شأنكما لانسقيا من الماء والمعنى أنا امرأتان لانسقيا أي لا يقدر أن يسق مواشيه فذلك احتجنا فضل ما بقى منهم في الحوض (وأبونا شيخ كبير) أي لا يقدر أن يسق مواشيه فذلك احتجنا نحن إلى سقى الغنم ، قيل أبوهما هو شعيب عليه الصلاة والسلام وقيل هو بيرون بن أخي شعيب وكان شعيب قد مات بعد ما كف بصره وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ورحمهما فاقتلع صخرة من على رأس بئر أخرى كانت بقرهما لا يطيق رفعها إلا جماعة من الناس وقيل زاحم القوم ونحاهم كلهم عن البئر وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقى غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه إلا عشرة نفر فجاء موسى فرقع الحجر وحده ونزع دلوا واحدا ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم فرديت فلذلك قوله تعالي

إلا إليه (قال رب نجني من القوم الظالمين) يعني الكافرين . قوله تعالي (ولما توجه تلقاء مدين) يعني قصد نحوها ماضيا إليها قيل إنه وقع في نفسه أن بينهم وبينه قرابة لأن أهل مدين من ولد إبراهيم وموسى من ولد إبراهيم ومدين هو مدين بن إبراهيم سميت البلد باسمه وبين مدين ومصر مسيرة ثمانية أيام ، قيل خرج موسى خائفا بلا ظهر ولا زاد ولا أحد ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ونبات الأرض حتى رأى خضرته في بطنه وما وصل إلى مدين حتى وقع خف قدميه قال ابن عباس وهو أول ابتلاء من الله لموسى (قال) يعني موسى (عسى ربي أن يهديني سواء السبيل) يعني قصد الطريق إلى مدين وذلك أنه لم يكن يعرف الطريق إليها قيل لما دعا موسى جاءه ملك بيده عنزة فانطلق به إلى مدين . قوله عز وجل (ولما ورد ماء مدين) هو بئر كانوا يسقون منها مواشيهم (وجد عليه) أي تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس وتخلو لهما البئر وقيل تكفان الغنم عن أن تخلط بأغنام الناس وقيل تمنعان أغنامهما عن أن تند وتذهب والقول الأول أولي لما بعده وهو قوله (قال) يعني موسى للمرأتين (ما خطبكما) أي ما شأنكما لانسقيا مواشيكما مع الناس (قالتا لانسق) يعني أغنامنا (حتى يصدر الرعاء) أي حتى يرجع الرعاء من الماء والمعنى أنا امرأتان لانسقيا أي لا يقدر أن يسق مواشيه فذلك احتجنا فضل ما بقى منهم في الحوض (وأبونا شيخ كبير) أي لا يقدر أن يسق مواشيه فذلك احتجنا نحن إلى سقى الغنم ، قيل أبوهما هو شعيب عليه الصلاة والسلام وقيل هو بيرون بن أخي شعيب وكان شعيب قد مات بعد ما كف بصره وقيل هو رجل ممن آمن بشعيب فلما سمع موسى كلامهما رق لهما ورحمهما فاقتلع صخرة من على رأس بئر أخرى كانت بقرهما لا يطيق رفعها إلا جماعة من الناس وقيل زاحم القوم ونحاهم كلهم عن البئر وسقى لهما الغنم وقيل لما فرغ الرعاء من السقى غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه إلا عشرة نفر فجاء موسى فرقع الحجر وحده ونزع دلوا واحدا ودعا فيه بالبركة وسقى الغنم فرديت فلذلك قوله تعالي

(٣٢ - خازن بالبغوي - خامس) (قالتا لانسق) أغنامنا (حتى يصدر الرعاء) قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وابن عامر يصدر بفتح الياء وضم الدال على اللزوم أي حتى يرجع الرعاء عن الماء وقرأ الآخرون بضم الياء وكسر الدال أي حتى يصرفوا هم مواشيهم عن الماء والرعاء جمع راع مثل تاجر وتجار ومعنى الآية لانسق مواشينا حتى يصدر الرعاء لانا امرأتان لانسقيا أي لانسقيا نحن لانسقيا مواشينا ما أفضلت مواشيهم في الحوض (وأبونا شيخ كبير) لا يقدر أن يسق مواشيه فذلك احتجنا نحن إلى سقى الغنم . واختلفوا في اسم أبيهما فقال مجاهد والضحاك والسدي والحسن هو شعيب النبي عليه السلام وقال وهب بن منبه وسعيد بن جبير هو بيرون بن أخي شعيب وكان شعيب قد مات قبل ذلك بعد ما كف بصره فدفن بين المقام وزمزم وقيل رجل ممن آمن بشعيب قالوا فلما سمع موسى قولهما رحمهما فاقتلع صخرة من رأس بئر أخرى كانت

بعرهم ولا يطيق رفعها إلا جماعة من الناس وقال ابن إسحاق إن موسى زاحم القوم ونحاهم عن رأس البئر فسقى غنم المرأتين وروى أن القوم لما رجعوا بأغنمهم غطوا رأس البئر بحجر لا يرفعه إلا عشرة نفر فجاء موسى ورفع الحجر وحده وسقى غنم المرأتين ويقال إنه نزع ذنوبا واحدا ودعا فيه بالبركة فروى منه جميع الغنم فذلك قوله (فسقى لهما ثم تولى إلى الظل) ظل شجرة فجلس في ظلها من شدة الحر وهو جائع (فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير) من طعام (فقير) قال أهل اللغة اللام بمعنى إلى ؛ يقال هو فقير له وفقير إليه يقول إني لما أنزلت إلي من خير أي طعام فقير محتاج كان يطلب الطعام لجوعه قال ابن عباس سأل الله تعالى فلقه خبز يقيم بها صلبه قال محمد الباقر لقد قالها وإنه محتاج إلى شق تمره وقال سعيد بن جببر عن ابن عباس لقد قال موسى « رب إني لما أنزلت (١٧٠) إلي من خير فقير » وهو أكرم خلقه عليه ولقد افتقر إلى شق تمره .

وقال مجاهد ما سأله إلا الخبز قالوا فلما رجعتا إلى أبيهما سريعا قبل الناس وأغنمهما حفل بطنان قال لهما ما أعجلكما قالنا وجدنا رجلا صالحا رحمتنا فسقى لنا أغنامنا فقال لإحدهما اذهبي فادعيه إلي قال الله تعالى (فجاءته إحدهما تمشي على استحياء) قيل هي الكبري واسمها صفورا وقيل صفراء وقيل بل هي الصغرى واسمها ليا وقيل صفراء وقال عمر بن الخطاب ليست بسلفع من النساء خراجه ولاجة ولكن جاءت مسترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء (قالت إن أبي يدعوك ليجزبك) قيل لما سمع موسى ذلك كره أن يذهب معها ولكن كان جائعا فلم يجد بدا من الذهاب فشت المرأة ومشى موسى خلفها فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق إذا أخطأت فعلت ذلك فلما دخل موسى على شعيب إذا هو بالعشاء مهيبا فقال اجلس يا فتى فتعش فقال موسى أعوذ بالله فقال شعيب ولم ذاك ألت بجائع ؟ قال بلى ولكني أخاف أن يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وأنا أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لا والله يا فتى ولكنها عادتي وعادة آبائي تقرى الضيف وتطعم الطعام فجلس وأكل فذلك قوله عز وجل (فلما جاءه) أي موسى (وقص عليه القصص) أي أخبره بأمره أجمع من خبر ولادته وقتله القبطي وقصد فرعون قتله (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) يعني من فرعون وقومه وإنما قال ذلك لأنه لم يكن لفرعون سلطان على مدين (قالت إحدهما يا أبت استأجره) أي اتخذ أجيرا ليرعى أغنامنا (إن خير من استأجرت القوى الأمين) يعني إن خير من استعملت من قوى على العمل وأدى الأمانة فقال لها أبوها ما أعلمك بقوته وأمانته ؟ قالت أما قوته فانه رفع الحجر من على رأس البئر ولا يرفعه إلا عشرة وقيل أربعون رجلا وأما أمانته فانه قال لي امشي خلفي حتى

وقال مجاهد ما سأله إلا الخبز قالوا فلما رجعتا إلى أبيهما سريعا قبل الناس وأغنمهما حفل بطنان قال لهما ما أعجلكما قالنا وجدنا رجلا صالحا رحمتنا فسقى لنا أغنامنا فقال لإحدهما اذهبي فادعيه إلي قال الله تعالى (فجاءته إحدهما تمشي على استحياء) قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليست بسلفع من النساء خراجه ولاجة ولكن جاءت مسترة قد وضعت كم درعها على وجهها استحياء (قالت إن أبي يدعوك ليجزبك) قال أبو حازم سلمة بن دينار لما سمع ذلك موسى أراد أن لا يذهب ولكن كان جائعا فلم يجد بها من

الذهب فشت المرأة ومشى موسى خلفها فكانت الريح تضرب ثوبها فتصف ردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها امشي خلفي ودليني على الطريق إن أخطأت فعلت ذلك فلما دخل على شعيب إذا هو بالعشاء مهيبا فقال اجلس يا شاب فتعش فقال موسى أعوذ بالله فقال شعيب ولم ذاك ألت بجائع قال بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضا لما سقيت لهما وأنا أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضا من الدنيا فقال له شعيب لا والله يا شاب ولكنها عادتي وعادة آبائي تقرى الضيف وتطعم الطعام فجلس موسى وأكل (فلما جاءه) وقص عليه القصص (يعني أمره أجمع من قتله القبطي وقصد فرعون قتله (قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين) يعني فرعون وقومه وإنما قال هذا لأنه لم يكن لفرعون سلطان على أهل مدين (قالت إحدهما يا أبت استأجره) اتخذ أجيرا ليرعى أغنامنا (إن خير من استأجرت القوى الأمين) يعني خير من

استعملت من قوى على العمل وأداء الأمانة فقال لها أبوها وما علمك بقوته وأمانته قالت أما قوته فانه رفع حجرا من رأس
البيتر ليرفعه إلا عشرة وقيل إلا أربعون رجلا وأما أمانته فانه قال لى امشى خلفى حتى لا تصف الريح بدنك (قال) شعيب عند
ذلك (إني أريد أن أنكحك إحدى ابنتي هاتين) واسمهما صفوراء وليا في قول شعيب الجبائي وقال ابن إسحاق صفورة وشرقا
وقال غيرها الكبرى صفراء والصغرى صفيراء وقيل زوجه الكبرى وذهب أكثرهم إلى أنه زوجه الصغرى منهما واسمها
صفورة وهي التي ذهبت لطلب موسى (على أن تأجرني ثمانى حجج) يعنى أن تكون أجيرا لى ثمان سنين قال الفراء يعنى اجعل
ثوابى من تزويجها أن ترعى غنمى ثمانى حجج تقول العرب أجرك الله بأجرك أى أثابك والحجج السنون واحدها حجة (فان
أتممت عشرا فمن عندك) أى إن أتممت عشرا سنين فذلك تفضل منك وتبرع (١٧١) وليس بواجب عليك (وما
أريد أن أشق عليك)

أن أؤمك تمام العشر
إلا أن تبرع (ستجدنى
إن شاء الله من الصالحين)
قال عمر يعنى فى حسن
الصحة والوفاء بما قلت
(قال) موسى (ذلك بينى
وبينك) يعنى هذا الشرط
بينى وبينك فما شرطت
على فلک وما شرطت
من تزوج إحداهما فى
والأمر بيننا ، تم الكلام
ثم قال (أما الأجلين
قضيت) يعنى أى الأجلين
وما صلة قضيت ، يعنى
أتممت وفرغت من
الثان أو العشر (فلا
عدوان على) لا ظم على
بأن أطلب بأكثر منهما
(والله على ما تقول وكيل)
قال ابن عباس ومقاتل
شهيد فيما بينى وبينك
وقيل حفيظ : أخبرنا

لا تصف الريح بدنك (قال) شعيب عند ذلك (إني أريد أن أنكحك) أى أزوجك (إحدى
ابنتي هاتين) قيل زوجه الكبرى وقال الأثرون إنه زوجه الصغرى منهما واسمها صفوراء
وهي التي ذهبت فى طلب موسى (على أن تأجرني ثمانى حجج) أى تكون لى أجيرا ثمان سنين
(فان أتممت عشرا فمن عندك) أى فان أتممت العشر سنين فذلك تفضل منك وتبرع ليس
بواجب عليك (وما أريد أن أشق عليك) أى أؤمك تمام العشر إلا أن تبرع (ستجدنى إن شاء
الله من الصالحين) أى فى حسن الصحة والوفاء بما قلت وقيل يريد بالصلاح حسن المعاملة
ولين بجانب وإنما قال إن شاء الله للتكامل على توفيقه ومعونته (قال) يعنى موسى (ذلك بينى
وبينك) يعنى ما شرطت على فلک وما شرطت من تزوج إحداهما فى والأمر بيننا على ذلك
(أما الأجلين قضيت) أى أى الأجلين أتممت وفرغت مئة الثمانية أو العشرة (فلا عدوان على)
أى لا ظم على بأن أطلب بأكثر منه (والله على ما تقول وكيل) قال ابن عباس شهيد بينى
وبينك (خ) عن سعيد بن جبیر قال سألتى يهودى من أهل الحيرة أى الأجلين قضى موسى قلت
لا أدرى حتى أقدم على خير العرب فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى أكثرهما وأطيبهما لأن
رسول الله إذا قال فعل وروى عن أبى ذر مرفوعا وإذا سئلت أى الأجلين قضى موسى فقل خيرهما
وأبرهما وإذا سئلت أى المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهى التي جاءت فقالت يا أبت استأجره
فتزوج صفراهما وقضى أوفاهما ، وقال وهب أنكحه الكبرى وروى شداد بن أوس مرفوعا بكى
شعيب النبي صلى الله عليه وسلم حتى عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره
ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره فقال الله له ما هذا البكاء أشوقا إلى الجنة أم خوفا من النار
فقال لا يارب ولكن شوقا إلى لقاءك فأوحى الله إليه إن يكن ذلك فهيننا لك لقاءى يا شعيب
لذلك أخذت منك كليتى موسى ولما تعاقدا هذا العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطى موسى عصاه
يدفع بها السباع عن غنمة قبل كانت من آسن الجنة حملها آدم معه فتوارثها الأنبياء وكان
لا يأخذها غير نبي إلا أكلته فصارت من آدم إلى نوح ثم إلى إبراهيم حتى وصلت إلى شعيب
فأعطاها موسى ثم إن موسى لما قضى الأجل سلم شعيب إليه ابنته فقال لها موسى اطلبى من أبيك

عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد
ابن عبد الرحيم أنا سعيد بن سليمان أنا مروان بن شجاع ، عن سالم الأقطس عن سعيد بن جبیر قال سألتى يهودى
من أهل الحيرة أى الأجلين قضى موسى قلت لا أدرى حتى أقدم على خير العرب فأسأله فقدمت على ابن عباس فسألته فقال
قضى أكثرهما وأطيبهما إن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قال فعل وروى عن أبى ذر مرفوعا إذا سئلت أى الأجلين قضى
موسى فقل خيرهما وأبرهما وإذا سئلت بأى المرأتين تزوج فقل الصغرى منهما وهى التي جاءت فقالت يا أبت استأجره فتزوج
صفراهما وقضى أوفاهما ، وقال وهب أنكحه الكبرى روى عن شداد بن أوس مرفوعا بكى شعيب النبي صلى الله عليه وسلم حتى
عمى فرد الله عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله عليه بصره فقال الله له ما هذا البكاء أشوقا إلى

الجنة أم خوفا من النار فقال لا يارب ولكن شوقا إلى لفائف فأوحى الله إليه إن يكن ذلك فهيننا لك لقائي يا شعيب لذلك أخذتك موسى كليتي ولما تعاقدا هذا العقد بينهما أمر شعيب ابنته أن تعطى موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه. واختلفوا في تلك العصا قال عكرمة خرج بها آدم من الجنة فأخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى لقي بها موسى ليلا فدفعها إليه وقال آخرون كانت من آس الجنة حملها آدم من الجنة فتوارثها الأنبياء وكان لا يأخذها غير نبي إلا أكلته فصارت من آدم إلى نوح ثم إلى إبراهيم حتى وصلت إلى شعيب وكانت عصا الأنبياء عنده فأعطاها موسى وقال السدي كانت تلك العصا استودعها إياه ملك في صورة رجل فأمر ابنته أن تأتيه بعصا فدخلت فأخذت العصا فأنته بها فلما رآها شعيب قال لها ردى هذه العصا وأتية بغيرها فألقها وأرادت أن تأخذ غيرها فلا تقع في يدها إلا هي حتى فعلت ذلك ثلاث مرات فأعطتها موسى فأخرجها موسى معه ثم إن الشيخ ندم وقال كانت وديعة فذهب في أثره وطلب أن يرد العصا فأبى موسى أن يعطيه وقال هي عصاي فرضيا أن يجعلها بينهما أول رجل يلقاها فلقبها ملك في صورة آدمي فحكم أن يطرح العصا فن حملها فهي له فطرح موسى العصا فعالجها الشيخ ليأخذها فلم يطقها فأخذها موسى (١٧٢) بيده فرفعها فتركها له الشيخ ثم إن موسى لما أتم الأجل وسلم شعيب ابنته

أن يجعل لنا بعض الغنم فطلبت من أبيها ذلك فقال لسكما كل ما ولدت هذا العام على غير شيتها وقيل إن شعيبا أراد أن يجازي موسى على حسن رعيه إكراما وصلته لابنته فقال له إني قد وهبت لك من ولد أغنامي كل أبلق وبلقاء في هذه السنة فأوحى الله تعالى إلى موسى في النوم أن اضرب بعصاك الماء ثم اسق الأغنام منه ففعل ذلك فما أخطأت واحدة إلا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم شعيب أن هذا رزق ساقه الله إلى موسى وامرأته فوفى له بشرطه وأعطاه الأغنام. قوله عز وجل (فلما قضى موسى الأجل) أي آتمه وفرغ منه (وسار بأهله) قيل مكث موسى بعد الأجل عند شعيب عشر سنين أخرى ثم استأذنه في العود إلى مصر فأذن له فسار بأهله أي بزوجه قاصدا إلى مصر (آنس) أي أبصر (من جانب الطور نارا) وذلك أنه كان في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق (قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعل آتيكم منها بخبر) أي عن الطريق لأنه كان قد أخطأ الطريق (أو جدوة من النار) أي قطعة وشعلة من النار وقيل الجدوة العود الذي اشتعل بفضه (لعلكم تصطلون) أي تستدفئون (فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن) يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى (في البقعة المباركة) جعلها الله مباركة لأن الله تعالى كلم موسى هناك وبعثه نبيا وقيل يريد البقعة المقدسة (من الشجرة) يعني من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت سمرة خضراء تبرق وقيل كانت عوجبة وقيل كانت من العليق وعن ابن عباس إنها العناب (أن ياموسى إني أنا الله رب العالمين) قيل إن موسى لما رأى النار في الشجرة الخضراء علم أنه لا يقدر على الجمع بين النار وخضرة

إليه قال موسى للمرأة اطلبي من أبيك أن يجعل لنا بعض الغنم فطلبت من أبيها فقال شعيب لسكما كل ما ولدت هذا العام على غير شيتها وقيل أراد شعيب أن يجازي موسى على حسن رعيته إكراما له وصلته لابنته فقال له إني قد وهبت لك من الجدايا التي تضعها أغنامي هذه السنة كل أبلق وبلقاء فأوحى الله إلى موسى في المنام أن اضرب بعصاك الماء الذي في مستسقى الأغنام فضرب موسى بعصاه الماء ثم سقى الأغنام

منه فما أخطأت واحدة منها إلا وضعت حملها ما بين أبلق وبلقاء فعلم فقال له إن ذلك رزق ساقه الله عز وجل الشجرة إلى موسى وامرأته فوفى له شرطه وسلم الأغنام إليه. قوله عز وجل (فلما قضى موسى الأجل) يعني آتمه وفرغ منه (وسار بأهله) قال مجاهد لما قضى الأجل مكث بعد ذلك عند صهره عشرًا آخر فأقام عنده عشرين سنة ثم استأذنه في العود إلى مصر فأذن له فخرج بأهله إلى جانب مصر (آنس) يعني أبصر (من جانب الطور نارا) وكان في البرية في ليلة مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته الطلق (قال لأهله امكثوا إني آنست نارا لعل آتيكم منها بخبر) يعني عن الطريق لأنه كان قد أخطأ الطريق (أو جدوة من النار) يعني قطعة وشعلة من النار وفيها ثلاث لغات قرأ عاصم جدوة بفتح الجيم وقرأ حمزة بضمها وقرأ الآخرون بكسر هاء قال قتادة ومقاتل هي العود الذي قد احترق بفضه وجمعها جدوي (لعلكم تصطلون) تستدفئون (فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن) يعني من جانب الوادي الذي عن يمين موسى (في البقعة المباركة) لموسى جعلها الله مباركة لأن الله كلم موسى هناك وبعثه نبيا وقال عطاء يريد المقدسة (من الشجرة) من ناحية الشجرة قال ابن مسعود كانت سمرة خضراء تبرق، وقال قتادة ومقاتل والكلي كانت عوجبة قال وهب من العليق وقال ابن عباس رضي الله عنهما إنها العناب (أن ياموسى إني أنا الله رب العالمين

وان ألق عصاك فلما رآها تهتز) تتحرك (كأنها جان) وهي الحية الصغيرة من سرعة حركتها (ولى مدبرا) هاربا منها (ولم يعقب) لم يرجع فنودي (ياموسى أقبل ولا تخف إنك من الآمين اسلك) أدخل (بدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء) برص فخرجت ولها شعاع كضوء الشمس (واضمم إليك جناحك من الرهب) قرأ أهل الكوفة والشام بضم الراء وسكون الهاء ويفتح حقص الراء وقرأ الآخرون بفتحهما وكلها لغات بمعنى الخوف ومعنى الآية إذا هالك أمر يدك وما ترى من شعاعها فأدخلها فى جيبك تعد إلى حالتها الأولى والجناح اليد كلها وقيل هو العضد وقال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهم أمره الله بضم يده إلى صدره فيذهب عنه ماناله من الخوف عند معاينة الحية وقال مامن خائف بعد موسى (١٧٣) إلا إذا وضع يده على صدره زال

خوفه وقال مجاهد كل من فرغ فضم جناحه إليه ذهب عنه الفزع وقيل المراد من ضم الجناح السكون يعنى سكن روعك وانخفض عليك جأشك لأن من شأن الخائف أن يضطرب قلبه ويرتعد بدنه ومثله قوله وانخفض لهما جناح الذل من الرحمة يريد الفرق وقوله « وانخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين » أى ارفق بهم وألن جانبك لهم وقال الفراء أراد بالجناح العصا معناه وقيل اضمم إليك عصاك وقيل الرهب الكم بلغة حمير ومعناه اضمم إليك يدك وأخرجها من كمتك لأنه تناول العصا ويده فى كمة (فذللك) يعنى العصا واليد البيضاء (برهانان) يعنى آيتان (من ربك إلى فرعون وملته إنهم كانوا قوما فاسقين) يعنى خارجين عن الحق (قال رب إني قتلت منهم نفسا) يعنى القبطى (فأخاف أن يقتلون) يعنى به (وأخى هارون هو أفصح منى لسانا) يعنى بيانا وإنما قال ذلك للعقدة التى كانت فى لسانه من وضع الجمره فى فيه (فأرسله معى ردها) يعنى عوناً (يصدقنى) يعنى فرعون وقيل تصديق هارون هو أن يلخص الدلائل ويحجب عن الشبهات ويجادل الكفار فهذا هو التصديق المقيد (إني أخاف أن يكذبون) يعنى فرعون وقومه (قال سنشد عضدك بأخيك) يعنى سنقولك به وكان هارون بمصر (ونجعل لكما سلطانا) يعنى حجة

الكم لأنه تناول العصا ويده فى كمة (فذللك) يعنى العصا واليد البيضاء (برهانان) آيتان (من ربك إلى فرعون وملته إنهم كانوا قوما فاسقين) قال رب إني قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخى هارون هو أفصح منى لسانا) وإنما قال ذلك للعقدة التى كانت فى لسانه من وضع الجمره فى فيه (فأرسله معى ردها) عوناً يقال رداً أى أعنته قرأ نافع رداً بفتح الدال من غير همز طلباً للخفة وقرأ الباقون بسكون الدال مهموزاً (يصدقنى) قرأ ابن عمرو وعامر وحزمة برفع القاف على الحال أى ردها مصداقاً وقرأ الآخرون بالجزم على جواب الدعاء والتصديق لهارون فى قول الجميع قال مقاتل لى يصدقنى فرعون (إني أخاف أن يكذبون) يعنى فرعون وقومه (قال سنشد عضدك بأخيك) أى نقولك بأخيك وكان هارون يومئذ بمصر (ونجعل لكما سلطانا) حجة وبرهاناً (فلا يصلون إليكما بآياتنا) أى لا يصلون إليكما بقتل ولا سوء لمكان آياتنا وقيل فيه تقديم وتأخير تقديره ونجعل

لسلطانا بآياتنا بما نعطيكما من المعجزات (فلا يصلون إليكما بآياتنا أننا ومن اتبعكما الغالبون) أي لسلكا ولا يتبعكما الغلبة على فرعون وقومه (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) واضحات (قالوا ما هذا إلا سحر مقترى) مختلق (وما سمعنا بهذا) بالذي تدعوننا إليه (في آياتنا الأولين وقال موسى) قرأ المكي بغير واو وكذلك هو في مصاحفهم (ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) بالحق من المبطل (ومن تكون له عاقبة الدار) يعنى العقبى المحمودة في الدار الآخرة (إنه لا يفلح الظالمون) يعنى الكافرون (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى فأوقد لي يا هامان على الطين) يعنى فاطبسخ لي الآجر وقيل إنه أول من اتخذ الآجر وبني به (فاجعل لي صرحا) قصرا (١٧٤) عاليا وقيل منارة. قال أهل السير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء

الصرح جمع هامان الفعلة حتى اجتمع العمال خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء ومن يطبخ الآجر والجص وينجر الخشب ويضرب المسامير فرفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه ببناء أحد من الخلق أراد الله عز وجل أن يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت إليه وهي ملطخة بما قد قتلت إله موسى وكان فرعون يصعد على البراذين فبعث الله جبريل جنح غروب الشمس فصره بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقع قطعة منها على عسكر فرعون فقتلت منهم ألف رجل ووقع قطعة في البحر وقطعة في المغرب فلم يبق أحد عمل شيئا فيه إلا هلك فذلك قوله (لعلى أطلع إلى إله موسى) يعنى أنظر إليه وأقف على حاله (وإني لأظنه) يعنى موسى (من الكاذبين) يعنى في زعمه أن للأرض وللخلق إله غيرى وأنه أرسله (واستكبر هو وجنوده في الأرض) يعنى تعظموا عن الإيمان ولم ينقادوا للحق بالباطل والظلم (بغير الحق وظنوا أنهم إلبنا لا يرجعون) يعنى للحساب والجزاء (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) يعنى فأنقيناهم في البحر وهو القلزم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) يعنى حين صاروا إلى الهلاك (وجعلناهم أئمة) يعنى قادة ورؤساء (يدعون إلى النار) أي الكفر والمعاصي التي يستحقون بها النار لأن من أطاعهم ضل ودخل النار (ويوم القيامة لا ينصرون) يعنى لا يمنعون من العذاب (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) يعنى خزيا وبعدا وعذابا (ويوم القيامة هم من المقبوحين) يعنى المبعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة

وبرهانا (فلا يصلون إليكما) أي يقتل ولا سوء (بآياتنا) قيل معناه نعطيكما من المعجزات فلا يصلون إليكما (أننا ومن اتبعكما الغالبون) يعنى لسلكا ولا يتبعكما الغلبة على فرعون وقومه (فلما جاءهم موسى بآياتنا بينات) يعنى واضحات (قالوا ما هذا إلا سحر مقترى) يعنى مختلق (وما سمعنا بهذا) يعنى بالذي تدعوننا إليه (في آياتنا الأولين وقال موسى ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده) يعنى أنه يعلم الحق من المبطل (ومن تكون له عاقبة الدار) يعنى العقبى المحمودة في الدار الآخرة (إنه لا يفلح الظالمون) يعنى الكافرون (وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى) فيه إنكار لما جاء به موسى من توحيد الله وعبادته (فأوقد لي يا هامان على الطين) يعنى اطبسخ لي الآجر قيل إنه أول من اتخذ آجرا وبني به (فاجعل لي صرحا) أي قصر عاليا وقيل منارة. قال أهل السير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع هامان الفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء وطبخ الآجر ونجر الخشب وضرب المسامير وأمر بالبناء فبنوه ورفعوه وشيدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه ببناء أحد من الخلق وأراد الله أن يفتنهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فرمى بها نحو السماء فردت إليه وهي ملطخة بما قد قتلت إله موسى وكان فرعون يصعد على البراذين فبعث الله جبريل عند غروب الشمس فصره بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقع قطعة منه على عسكره فقتلت منهم ألف ألف رجل ووقع قطعة منه في البحر وقطعة في المغرب فلم يبق أحد عمل شيئا فيه إلا هلك فذلك قوله (لعلى أطلع إلى إله موسى) يعنى أنظر إليه وأقف على حاله (وإني لأظنه) يعنى موسى (من الكاذبين) يعنى في زعمه أن للأرض وللخلق إله غيرى وأنه أرسله (واستكبر هو وجنوده في الأرض) يعنى تعظموا عن الإيمان ولم ينقادوا للحق بالباطل والظلم (بغير الحق وظنوا أنهم إلبنا لا يرجعون) يعنى للحساب والجزاء (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم) يعنى فأنقيناهم في البحر وهو القلزم (فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) يعنى حين صاروا إلى الهلاك (وجعلناهم أئمة) يعنى قادة ورؤساء (يدعون إلى النار) أي الكفر والمعاصي التي يستحقون بها النار لأن من أطاعهم ضل ودخل النار (ويوم القيامة لا ينصرون) يعنى لا يمنعون من العذاب (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) يعنى خزيا وبعدا وعذابا (ويوم القيامة هم من المقبوحين) يعنى المبعدين وقيل المهلكين وقال ابن عباس من المشوهين بسواد الوجوه وزرقة

البحر وقطعة في المغرب ولم يبق أحد ممن عمل فيه بشئ إلا هلك فذلك قوله تعالى « فأوقد لي يا هامان على

الطين فاجعل لي صرحا » (لعلى أطلع إلى إله موسى) أنظر إليه وأقف على حاله (وإني لأظنه) يعنى موسى (من الكاذبين) في زعمه أن للأرض وللخلق إله غيرى وأنه أرسله (واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا أنهم إلبنا لا يرجعون) قرأ نافع وحمرزة والسكسائي ويعقوب يرجعون بفتح الياء وكسر الجيم والباقون بضم الياء وفتح الجيم (فأخذناه وجنوده فنبذناهم) فأنقيناهم (في اليم) فأنظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم أئمة (قادة ورؤساء) (يدعون إلى النار) ويوم القيامة لا ينصرون) لا يمنعون من العذاب (وأتبعناهم في هذه الدنيا لعنة) خزيا وعذابا (ويوم القيامة هم من المقبوحين) من المبعدين الملعونين وقال أبو عبيدة

كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر . قوله تعالى (ولكن رحمة من ربك) أي ولكن رحمتك رحمة بإرسالك وبالوحي إليك وإطلاعتك على الأخبار الغائبة عنك (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) يعني أهل مكة (لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة) عقوبة ونقمة (بما قدمت أيديهم) من الكفر والمعصية (فيقولوا ربنا لولا) هلا (أرسلت إلينا رسولا فنتبغ آياتك ونسكون من المؤمنين) وجواب (١٧٣) لولا محذوف، أي لعاجلناهم بالعقوبة يعني لولا أنهم محتجون بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة

كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر (ولكن رحمة من ربك) أي رحمتك رحمة بإرسالك والوحي إليك وإطلاعتك على الأخبار الغائبة عنك (لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) يعني أهل مكة (لعلهم يتذكرون) اعلم أن الله تعالى لما بين قصة موسى عليه الصلاة والسلام لرسوله صلى الله عليه وسلم فجمع بين هذه الأحوال الثلاثة العظيمة التي اتفقت لموسى ، فالمراد بقوله «إذ قضينا إلى موسى الأمر» هو إنزال التوراة عليه حتى تكامل دينه واستقر شرعه والمراد بقوله «وما كنت ثابوا في أهل مدين» أول أمر موسى والمراد بقوله «إذ نادينا ليله المناجاة فهذه أعظم أحوال موسى ولما بينها لرسوله ولم يكن في هذه الأحوال حاضرا بين الله أنه بعثه وعرفه هذه الأحوال الدالة على نبوته صلى الله عليه وسلم ومعجزته كأنه قال في إخبارك عن هذه الأشياء من غير حضور ولا مشاهدة دلالة ظاهرة على نبوتك . قوله تعالى (ولولا أن تصيبهم مصيبة) أي عقوبة ونقمة (بما قدمت أيديهم) يعني من الكفر والمعاصي (فيقولوا ربنا لولا) أي هلا (أرسلت إلينا رسولا فنتبغ آياتك ونسكون من المؤمنين) ومعنى الآية لولا أنهم محتجون بترك الإرسال إليهم لعاجلناهم بالعقوبة على كفرهم وقيل معناه لما بعثناك إليهم رسولاً ولكننا بعثناك إليهم لثلاث يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم (قالوا) يعني كفار مكة (لولا) هلا (أوتى) محمد (مثل ما أوتى موسى) من الآيات كاليد البيضاء والعصا وقيل مثل ما أوتى موسى كتاباً جملة واحدة قال الله تعالى (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) أي فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد (قالوا سحران تظاهرا) قرأ أهل الكوفة سحران أي التوراة والقرآن فجعوا فأخبروهم بقول اليهود فقالوا سحران تظاهرا (وقالوا إنا بكل كافرون) يعني بالتوراة والقرآن وقيل بمحمد وموسى (قل) يا محمد (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) يعني من التوراة والقرآن (أتبعه) يعني الكتاب الذي تأتون به من عند الله وهذا تنبيه على عجزهم عن الإتيان بمثله (إن كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك) أي فان لم يأتوا بما طلبت (فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) يعني أن ماركبوه من الكفر لأحجة لهم فيه وإنما أتوا أتباعهم ما هم عليه من الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين) قوله عز وجل (ولقد وصلناهم القول) قال ابن عباس بينا وقيل أنزلنا آيات

إليهم لعاجلناهم بالعقوبة بكفرهم وقيل معناه لما بعثناك إليهم رسولاً ولكن بعثناك إليهم لثلاث يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (فلما جاءهم الحق من عندنا) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم (قالوا) يعني كفار مكة (لولا) هلا (أوتى) محمد (مثل ما أوتى موسى) من الآيات كاليد البيضاء والعصا وقيل مثل ما أوتى موسى كتاباً جملة واحدة قال الله تعالى (أولم يكفروا بما أوتى موسى من قبل) أي فقد كفروا بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد (قالوا سحران تظاهرا) قرأ أهل الكوفة سحران أي التوراة والقرآن فجعوا فأخبروهم بقول اليهود فقالوا سحران تظاهرا (وقالوا إنا بكل كافرون) يعني بالتوراة والقرآن وقيل بمحمد وموسى (قل) يا محمد (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) يعني من التوراة والقرآن (أتبعه) يعني الكتاب الذي تأتون به من عند الله وهذا تنبيه على عجزهم عن الإتيان بمثله (إن كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك) أي فان لم يأتوا بما طلبت (فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) يعني أن ماركبوه من الكفر لأحجة لهم فيه وإنما أتوا أتباعهم ما هم عليه من الهوى (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين) قوله عز وجل (ولقد وصلناهم القول) قال ابن عباس بينا وقيل أنزلنا آيات

بالمدينة فسألوهم عن محمد فأخبروهم أن نعتهم في كتابهم التوراة فرجعوا فأخبروهم بقول اليهود فقالوا القرآن

سحران تظاهرا وقرأ الآخرون سحران يعنون محمداً وموسى عليهما السلام لأن معنى التظاهر بالناس وأفعالهم أشبه منه بالكتب (وقالوا إنا بكل كافرون قل) لهم يا محمد (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) يعني من التوراة والقرآن (أتبعه) إن كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لك (أي لم يأتوا بما طلبت (فاعلم أنما يتبعون أهواءهم) ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله إن الله لا يهدي القوم الظالمين) ولقد وصلناهم القول) قال ابن عباس بينا قال الفراء أنزلنا آيات القرآن يتبع بعضها

بعضاً . قال قتادة وصل هم القول في هذا القرآن يعنى كيف صنع بمن مضى قال مقاتل بينا لكفار مكة عما في القرآن من اخبار الأمم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم وقال ابن زيد وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا (لعلهم يتذكرون الذين آتيناهم الكتاب من قبله) من قبل محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وقيل من قبل القرآن (هم به يؤمنون) نزلت في مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه ، وقال مقاتل بل هم أهل الإنجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبير هم أربعون رجلاً قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما بالمسلمين من الخصاصة قالوا يا نبي الله إن لنا أموالاً فان أذنت لنا انصرفنا وجئنا بأموالنا فواسينا المسلمين بها فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزل فيهم «الذين آتيناهم الكتاب» (١٧٧) إلى قوله تعالى «ومما رزقناهم

ينفقون» وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ؛ ثم وصفهم الله فقال (وإذا بتلى عليهم) يعنى القرآن (قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا) وذلك أن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل (إنا كنا من قبله مسلمين) أى من قبل القرآن مسلمين مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم أنه نبي حق (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) لإيمانهم

القرآن يتبع بعضها بعضاً ، وقيل بينا لكفار مكة بما في القرآن من أخبار الأمم الخالية كيف عذبوا بتكذيبهم ، وقيل وصلنا لهم خبر الدنيا بخبر الآخرة حتى كأنهم عاينوا الآخرة في الدنيا (لعلهم يتذكرون) أى يتعظون (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أى من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل من قبل القرآن (هم به يؤمنون) نزلت في مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل بل هم أهل الإنجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وهم أربعون رجلاً قدموا مع جعفر بن أبي طالب فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله إن لنا أموالاً فان أذنت لنا انصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها المسلمين فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها المسلمين فنزلت هذه الآيات إلى قوله «ومما رزقناهم ينفقون» وقال ابن عباس نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنان وثلاثون من الحبشة وثمانية من الشام ثم وصفهم الله تعالى فقال (وإذا بتلى عليهم) يعنى القرآن (قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا) وذلك أن ذكر النبي صلى الله عليه وسلم كان مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل (إنا كنا من قبله مسلمين) أى من قبل القرآن مخلصين لله بالتوحيد مؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم أنه نبي حق (أولئك يؤتون أجرهم مرتين) يعنى بإيمانهم بالكتاب والكتاب الآخر (بما صبروا) أى على دينهم وعلى أذى المشركين (ق) عن أبي موسى الأشعري رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بنية وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة يطؤها فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم تزوجها فله أجران » (ويدرمون بالحسنة السيئة) قال ابن عباس يدفعون بشهادة أن لا إله إلا الله وقيل يدفعون ما سمعوا من أذى المشركين وشتمهم بالصفح والعفو (ومما رزقناهم ينفقون) أى في الطاعة (وإذا سمعوا اللغو) أى القول القبيح (أعرضوا عنه) وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل

(٢٣ - خازن بالبعوى - خامس)

على دينهم قال مجاهد نزلت في قوم من أهل الكتاب أسلموا فأوذوا . أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسى أنا أبو علي زاهر بن أحمد أنا أبو عبد الله محمد بن جعفر الجوينى أنا أحمد بن سعيد الدارى أنا عثمان أنا شعبة عن صالح عن الشعبي عن أبي بردة عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له جارية فأدبها فأحسن تأديبها ثم أعقها وتزوجها ورجل من أهل الكتاب آمن بكتابه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد أحسن عبادة الله ونصح لسيده » قوله عز وجل (ويدرمون بالحسنة السيئة) قال ابن عباس رضى الله عنهما يدفعون بشهادة أن لا إله إلا الله الشرك قال مقاتل يدفعون ما سمعوا من الأذى والشتم من المشركين بالصفح والعفو والمغفرة (ومما رزقناهم ينفقون) في الطاعة (وإذا سمعوا اللغو) القبيح من القول (أعرضوا عنه) وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل الكتاب ويقولون

ثبا لكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم (وقالوا لنا أعمالنا ولكم أعمالكم) لنا ديننا ولكم دينكم (سلام عليكم) ليس المراد منه سلام التحية ولكنه سلام المشاركة ، معناه سلمت منا لانعارضكم بالشتم والقبح من القول (لانبغى الجاهلين) أي دين الجاهلين يعني لانحب دينكم الذي اتم عليه ، وقيل لايزيد أن نكون من أهل الجهل والسفه ، وهذا قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال . قوله تعالى (إنك لاتهدى من أحببت) أي أحببت هدايته وقيل أحببته لقربته (ولكن الله يهدي من يشاء وهو أعلم بالمهتدين) قال مجاهد ومقاتل بمن قدر له الهدى ، نزلت في أبي طالب قال نه النبي صلى الله عليه وسلم « قل لاله إلا الله أشهد لك بها يوم (١٧٨) القيامة قال لولا أن تعبرني قريش يقولون إنما حملة على ذلك الجزع

لأقررت بها عينك ، فأزل الله تعالى هذه الآية (وقالوا إن تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) أرض مكة نزلت في الحارث بن عثمان ابن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم إننا لنعلم أن الذي تقول حق ولكننا إن اتبعناك على دينك خفنا أن نخرجنا العرب من أرضنا مكة وهو معنى قوله « نتخطف من أرضنا » والاختطاف الانزاع بسرعة قال الله تعالى (أو لم تمكن لهم حرما آمنا) وذلك أن العرب في الجاهلية كانت تغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون حيث كانوا الحرم ومن المعروف أنه كان يأمن فيه الغنم من الخدأة (يجي إليه) يعني يجلب ويجمع إليه ويحمل إلى الحرم من الشام ومصر والعراق واليمن (ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني أن أكثر أهل مكة لا يعلمون ذلك . قوله عز وجل (وكم أهلكتنا من قرية) يعني من أهل قرية (بطرت معيشتها) أي أشرت وطغت وقيل عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا) قال ابن عباس لم يسكنها إلا المسافرون سكنوا قليلا وقيل لم يعمرها منها إلا أقلها وأكثرها

لأقررت بها عينك ، فأزل الله تعالى هذه الآية (وقالوا إن تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) أرض مكة نزلت في الحارث بن عثمان ابن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم إننا لنعلم أن الذي تقول حق ولكننا إن اتبعناك على دينك خفنا أن نخرجنا العرب من أرضنا مكة وهو معنى قوله « نتخطف من أرضنا » والاختطاف الانزاع بسرعة قال الله تعالى (أو لم تمكن لهم حرما آمنا) وذلك أن العرب في الجاهلية كانت تغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون حيث كانوا الحرم ومن المعروف أنه كان يأمن فيه الغنم

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدتني سمحا بذلك مبينا

ولكن على ملة الأشياخ عبد المطلب وعبد مناف ثم مات فأزل الله هذه الآية (وقالوا إن تتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) يعني مكة نزلت في الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف وذلك أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم إننا لنعلم أن الذي تقول حق ولكن إن اتبعناك على دينك خفنا أن نخرجنا العرب من أرض مكة قال الله تعالى (أو لم تمكن لهم حرما آمنا) وذلك أن العرب كانت في الجاهلية يغير بعضهم على بعض ويقتل بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون حيث كانوا الحرم ومن المعروف أنه كان يأمن فيه الغنم من الخدأة (يجي إليه) يعني يجلب ويجمع إليه ويحمل إلى الحرم من الشام ومصر والعراق واليمن (ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) يعني أن أكثر أهل مكة لا يعلمون ذلك . قوله عز وجل (وكم أهلكتنا من قرية) يعني من أهل قرية (بطرت معيشتها) أي أشرت وطغت وقيل عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا) قال ابن عباس لم يسكنها إلا المسافرون سكنوا قليلا وقيل لم يعمرها منها إلا أقلها وأكثرها

من الغنم والحمام من الخدأة (يجي) قرأ أهل المدينة ويعقوب نجبي بالناء لأجل الثمرات والآخرون بالياء للحائل بين الاسم المؤنث والفعل أي يجلب ويجمع (إليه) يقال جبيت الماء في الحوض أي جمعته قال مقاتل يحمل إلى الحرم (ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون) إن مايقوله حق . قوله عز وجل (وكم أهلكتنا من قرية) أي من أهل قرية (بطرت معيشتها) أي في معيشتها أي أشرت وطغت . قال عطاء عاشوا في البطر فأكلوا رزق الله وعبدوا الأصنام (فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا) قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يسكنها إلا المسافرون وما رو الطرف يوما أو ساعة معناه لم تسكن من بعدهم إلا سكنوا قليلا وقيل معناه لم يعمر منها إلا أقلها وأكثرها خراب

(وكننا نحن الوارثين) كقوله «إنا نحن نرث الأرض ومن عليها» (وما كان ربك مهلك القرى) أي القرى الكافرة أهلها (حتى يبعث في أمها رسولا) يعني في أكبرها وأعظمها رسولا يتذرهم ويخص الأعمم ببعثة الرسول فيها لأن الرسول يبعث إلى الأشراف والأشراف يسكنون المدائن والمواضع التي هي أم ماحولها (يتلو عليهم آياتنا) قال مقاتل يخبرهم الرسول أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا (وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) مشركون يريد أهلهم بظلمهم (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) تمتعون بها أيام حياتكم ثم هي (١٧٩) إلى فناء وانقضاء (وما عند الله

خير وأبى أفلا تعقلون) أن الباقي خير من الفاني، قرأ عامة القراء تعقلون بالياء وأبو عمرو بالخيار بين التاء والياء (أفمن وعدناه وعدا حسنا) أي الجنة (فهو لاقية) مصيبه ومدركه وصائر إليه (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) وزول عن قريب (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) النار، قال قتادة يعني المؤمن والكافر، قال مجاهد نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل، وقال محمد بن كعب نزلت في حمزة وعلى وأبي جهل، وقال السدي نزلت في عمار والوليد ابن المغيرة (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) في الدنيا أنهم شركائي (قال الذين حق عليهم القول)

خراب (وكننا نحن الوارثين) يعني لم يخلفهم فيها أحد بعد هلاكهم وصار أمرها إلى الله تعالى لأنه الباقي بعد فناء الخلق (وما كان ربك مهلك القرى) يعني الكافرة أهلها (حتى يبعث في أمها رسولا) أي في أكبرها وأعظمها رسولا يتذرهم ويخص الأم ببعثة الرسول لأنه يبعث إلى الأشراف وهم سكان المدن وقيل حتى يبعث في أم القرى وهي مكة رسولا يعني عمدا صلى الله عليه وسلم لأنه خاتم الأنبياء (يتلو عليهم آياتنا) أي أنه يؤدي إليهم ويبلغهم وقيل يخبرهم أن العذاب نازل بهم إن لم يؤمنوا (وما كنا مهلكي القرى إلا وأهلها ظالمون) أي مشركون. قوله عز وجل (وما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها) أي تمتعون بها أيام حياتكم ثم هي إلى فناء وانقضاء (وما عند الله خير وأبى) لأن منافع الآخرة خالصة عن الشوائب وهي دائمة غير منقطعة ومنافع الدنيا كالذرة بالقياس إلى البحر العظيم (أفلا تعقلون) أي أن الباقي خير من الفاني وقيل من لم يرجح الآخرة على الدنيا فليس يعاقل ولهذا قال الشافعي من أوصى بثلاث ماله لأعقل الناس صرف ذلك الثلث إلى المشتغلين بطاعة الله لأن أعقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير وما هم إلا المشتغلون بطاعة الله تعالى (أفمن وعدناه وعدا حسنا) يعني الجنة (فهو لاقية) أي مصيبه وصائر إليه (كمن متعناه متاع الحياة الدنيا) أي وزول عنه عن قريب (ثم هو يوم القيامة من المحضرين) أي في النار، قيل هذا في المؤمن والكافر وقيل نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم وأبي جهل وقيل في علي وحمزة وأبي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة. قوله عز وجل (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) أي في الدنيا أنهم شركائي (قال الذين حق عليهم القول) أي وجب عليهم العذاب وهم رموس الضلالة (ربنا هؤلاء الذين أغويانا) أي دعوانهم إلى الفنى وهم الأتباع (أغويانهم كما غويانا) أي أضلناهم كما ضلنا (تبرأنا إليك ما كانوا إيانا يعبدون) معناه تبرأ بعضهم من بعض وصاروا أعداء (وقيل) يعني للكفار (ادعوا شركاءكم) أي الأصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوه فلم يستجيبوا لهم) أي لم يجيبوهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) معناه لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا مارأوا العذاب في الآخرة (ويوم يناديهم) أي يسأل الكفار (فيقول ماذا أجبت المرسلين) أي ما كان جوابكم لمن أرسل إليكم من النبيين (فعميت عليهم) أي خفيت واشتبهت عليهم (الأنبياء) يعني الأخبار والأعداء والحجج (يومئذ) فلم يكن لهم عذر ولا حجة (فهم لا يتساءلون) أي لا يجيبون ولا

وجب عليهم العذاب وهم رموس الضلالة (ربنا هؤلاء الذين أغويانا) أي دعوانهم إلى الفنى وهم الأتباع (أغويانهم كما غويانا) أضلناهم كما ضلنا (تبرأنا إليك) منهم (ما كانوا إيانا يعبدون) بريء بعضهم من بعض وصاروا أعداء كما قال تعالى في الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو، (وقيل) للكفار (ادعوا شركاءكم) أي الأصنام لتخلصكم من العذاب (فدعوه فلم يستجيبوا لهم) لم يجيبوهم (ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون) وجواب لو محذوف على تقدير لو أنهم كانوا يهتدون في الدنيا مارأوا العذاب (ويوم يناديهم) أي يسأل الله الكفار (فيقول ماذا أجبت المرسلين) فعميت خفيت واشتبهت (عليهم الأنبياء) أي الأخبار والأعداء وقال مجاهد الحجج (يومئذ) فلا يكون لهم عذر ولا حجة (فهم لا يتساءلون) لا يجيبون، وقال قتادة لا يحتجون، وقيل

يسكتون لا يسأل بعضهم بعضا (فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين) من السعداء الناجين . قوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) نزلت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا «لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم» ، يعنى الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفي أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم . قوله عز وجل (ما كان لهم الخيرة) قيل ما للآيات معناه ويختار الله ما كان لهم الخيرة أي يختار ما هو الأصلح والخير وقيل هو للثقي أي ليس إليهم الاختيار أو ليس لهم أن يختاروا على الله كما قال تعالى (١٨٠) «وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة»

والخيرة اسم من الاختيار ويقام مقام المصدر وهي اسم للمختار أيضا كما يقال محمد خيرة الله من خلقه ثم زه نفسه فقال (سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون) يظهرهم (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة) يحمد أولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الآخرة في الجنة (وله الحكم) فصل القضاء بين الخلق قال ابن عباس رضي الله عنهما حكم لأهل طاعته بالمغفرة ولأهل معصيته بالشقاء (وليه ترجعون) . قوله (قل أرأيتم) أخبروني يا أهل مكة (إن جعل الله عليكم الليل سرمدا) أي دائما (إلى يوم القيامة) (من إله غير الله يأتيكم بضياء) أي بنهار تطلبون فيه المعيشة (أفلا تسمعون) أي سماع فهم وقبول (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة) أي لاليل فيه (من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) أي ما أنتم عليه من الخطأ قيل إن من نعمة الله تعالى على الخلق أن جعل الليل والنهار يتعاقبان لأن المرء في حال الدنيا وفي حال التكليف مدفوع إلى التعب ليحصل ما يحتاج إليه ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار ولأجله يحصل الاجتماع فتتمكن المعاملات ومعلوم أن ذلك لا يتم إلا بالراحة والسكون بالليل فلا بد منهما فأما في الجنة فلا تعب ولا نصب فلا حاجة بهم إلى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء أبدا فيبين الله تعالى أنه القادر على ذلك ليس غيره فقال (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار) أي يتعاقبان بالظلمة والضياء (لتنسكوا فيه) أي في الليل (ولتنبتغوا من فضله) أي بالنهار (ولعلكم تشكرون) أي نعم الله فيهما (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) كثر ذلك النداء للمشركين لزيادة التوبيخ (ونزعنا) يعنى أخرجنا وقيل ميزنا (من كل أمة شهيدا) يعنى رسولهم يشهد عليهم بأنه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم (فقلنا) يعنى للأئمة المكذبة لرسولهم (هاتوا برهانكم) أي حججتكم بأن معى شريكنا (فعلموا أن الحق لله) أي التوحيد لله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي يخلقون

يخنجون وقيل يسكتون فلا يسأل بعضهم بعضا (فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين) أي من السعداء الناجين وعسى من الله واجب . قوله تعالى (وربك يخلق ما يشاء ويختار) نزلت هذه الآية جوابا للمشركين حين قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم يعنى الوليد بن المغيرة أو عروة بن مسعود الثقفي أخبر الله تعالى أنه لا يبعث الرسل باختيارهم لأنه المالك المطلق وله أن يخص ما يشاء بما يشاء لا اعتراض عليه البتة (ما كان لهم الخيرة) أي ليس لهم الاختيار، أوليس لهم أن يختاروا على الله وقيل معناه ويختار الله ما كان هو الأصلح والخير لهم فيه ، ثم زه الله تعالى نفسه فقال (سبحان الله وتعالى عما يشركون وربك يعلم ما تكن) أي تخفي (صدورهم وما يعلنون) أي يظهرون (وهو الله لا إله إلا هو له الحمد في الأولى والآخرة) أي يحمد أولياؤه في الدنيا ويحمدونه في الجنة (وله الحكم) أي فصل القضاء بين الخلق وقال ابن عباس رضي الله عنهما حكم لأهل طاعته بالمغفرة ولأهل المعصية بالشقاء (وليه ترجعون) قوله عز وجل (قل) أي قل يا محمد لأهل مكة (أرأيتم) يعنى أخبروني (إن جعل الله عليكم الليل سرمدا) أي دائما (إلى يوم القيامة) لانهار فيه (من إله غير الله يأتيكم بضياء) أي بنهار تطلبون فيه المعيشة (أفلا تسمعون) أي سماع فهم وقبول (قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة) أي لاليل فيه (من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) أي ما أنتم عليه من الخطأ قيل إن من نعمة الله تعالى على الخلق أن جعل الليل والنهار يتعاقبان لأن المرء في حال الدنيا وفي حال التكليف مدفوع إلى التعب ليحصل ما يحتاج إليه ولا يتم له ذلك لولا ضوء النهار ولأجله يحصل الاجتماع فتتمكن المعاملات ومعلوم أن ذلك لا يتم إلا بالراحة والسكون بالليل فلا بد منهما فأما في الجنة فلا تعب ولا نصب فلا حاجة بهم إلى الليل ولذلك يدوم لهم الضياء أبدا فيبين الله تعالى أنه القادر على ذلك ليس غيره فقال (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار) أي يتعاقبان بالظلمة والضياء (لتنسكوا فيه) أي في الليل (ولتنبتغوا من فضله) أي بالنهار (ولعلكم تشكرون) أي نعم الله فيهما (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) كثر ذلك النداء للمشركين لزيادة التوبيخ (ونزعنا) يعنى أخرجنا وقيل ميزنا (من كل أمة شهيدا) يعنى رسولهم يشهد عليهم بأنه بلغهم رسالة ربهم ونصح لهم (فقلنا) يعنى للأئمة المكذبة لرسولهم (هاتوا برهانكم) أي حججتكم بأن معى شريكنا (فعلموا أن الحق لله) أي التوحيد لله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) أي يخلقون

في الدنيا

تطلبون فيه المعيشة (أفلا تسمعون) سماع فهم وقبول (قل أرأيتم) أخبروني

يا أهل مكة (إن جعل الله عليكم النهار سرمدا إلى يوم القيامة) لاليل فيه (من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون) ما أنتم عليه من الخطأ (ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه) أي في الليل (ولتنبتغوا من فضله) بالنهار (ولعلكم تشكرون) نعم الله عز وجل (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم تزعمون) كثر ذلك النداء للمشركين لزيادة التوبيخ (ونزعنا) أخرجنا (من كل أمة شهيدا) يعنى رسولهم الذي أرسل إليهم كما قاله فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد (فقلنا هاتوا برهانكم) حججتكم بأن معى شريكنا (فعلموا أن الحق لله) التوحيد لله (وضل عنهم ما كانوا يفترون) في الدنيا.

قوله عز وجل (إن قارون كان من قوم موسى) كان ابن عمه لأنه قارون بن بصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب عليه السلام وموسى بن عمران بن قاهث . وقال ابن إسحاق كان قارون عم موسى كان أخا عمران وهما ابنا بصهر ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ للتوراة من قارون ولكنه نافق كما نافق السامري (فبغى عليهم) قيل كان عاملا لفرعون على بني إسرائيل فكان يبغى عليهم ويظلمهم ، وقال قتادة بغى عليهم بكثرة المال وقال الضحاك بغى عليهم بالشرك ، وقال شهر بن حوشب زاد في طول ثيابه شبرا وروينا عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ومن جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة وقيل بغى عليهم بالكبر والعلو (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه) هي جمع مفتاح وهو الذي يفتح به (١٨١) الباب هذا قول قتادة ومجاهد

وجماعة وقيل مفاتيح خزائنه كما قال «وعنده مفاتيح الغيب» أي خزائنه (لتنوء بالعصبة أولى القوة) لتثقلهم أي وتميل بهم إذا حملوها لتثقلها . قال أبو عبيدة هذا من المقلوب تقديره ما إن العصبة لتنوء بها يقال ناء فلان بكذا إذا نهض به مثقلا . واختلفوا في عدد العصبة قال مجاهد ما بين العشرة إلى خمسة عشر وقال الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهم ما بين الثلاثة إلى العشرة وقال قتادة ما بين العشرة إلى الأربعين وقيل أربعون رجلا وقيل سبعون ، وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان يحمل مفاتيحه أربعون رجلا أقوى ما يكون من

في الدنيا من الكذب على الله . قوله عز وجل (إن قارون كان من قوم موسى) قيل كان ابن عم موسى لأنه قارون بن بصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان عم موسى ولم يكن في بني إسرائيل أقرأ منه للتوراة ولكنه نافق كما نافق السامري (فبغى عليهم) قيل كان عاملا لفرعون على بني إسرائيل فظلمهم وبغى عليهم وقيل بغى عليهم بكثرة ماله وقيل زاد في طول ثيابه شبرا (ق) عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثيابه خيلاء» أخرجاه في الصحيحين وقيل بغى عليهم بالكبر والعلو (وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتيحه) جمع مفتاح وهو الذي يفتح به الأبواب وقيل مفاتيحه يعني خزائنه (لتنوء بالعصبة أولى القوة) معناه لتثقلهم وتميل بهم إذا حملوها لتثقلها قيل العصبة ما بين العشرة إلى الخمسة عشر وقال ابن عباس ما بين الثلاثة إلى العشرة وقيل إلى الأربعين وقيل إلى السبعين قال ابن عباس كان يحمل مفاتيحه أربعون رجلا أقوى ما يكون من الرجال وقيل كان قارون أينا ذهب تحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما كثرت وثقلت عليه جعلها من خشب فتثقلت فجعلها من جلود البقر كل مفتاح على قدر الأصبع وكانت تحمل معه إذا ركب على أربعين بغلا (إذ قال له قومه لا تفرح) يعني لا تبطر ولا تأسر ولا تفرح (إن الله لا يحب الفرحين) يعني الأشهرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم قيل إنه لا يفرح بالدنيا إلا من رضى بها واطمأن إليها فأما من يعلم أنه سيفارق الدنيا عن قريب لم يفرح ولقد أحسن من قال :

أشد الفرح عندي في سرور نيقن عنه صاحبه انقلبا

(وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) يعني اطلب فيما أعطاك الله من الأموال الجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفق في رضا الله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) أي لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا أن يعمل فيها للآخرة بالصدقة وصلة الرحم وقيل لأنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة . عن عمرو بن ميمون الأزدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه «اغتم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل

الرجال ، وقال جرير عن منصور عن خيشمة قال وجدت في الإنجيل أن مفاتيح خزائن قارون وقوسيتين بغلا ما يزيد منها مفتاح على أصبع لكل مفتاح كثر ويقال كان قارون أينا ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فتثقلت فجعلها من جلود البقر على طول الأصابع وكانت تحمل معه إذا ركب على أربعين بغلا (إذ قال له قومه) قال لقارون قومه من بني إسرائيل (لا تفرح) لا تبطر ولا تأسر ولا تفرح (إن الله لا يحب الفرحين) الأشهرين البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة) اطلب فيما أعطاك الله من الأموال والنعمة الجنة وهو أن تقوم بشكر الله فيما أنعم عليك وتنفق في رضا الله (ولا تنس نصيبك من الدنيا) قال مجاهد وابن زيد لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لأن حقيقة نصيب الإنسان من الدنيا أن يعمل للآخرة وقال السدي بالصدقة وصلة الرحم وقال

على لاتمس صحتك وشبابك وغناك أن تطلب بها الآخرة . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن شاذان أنا أبو يزيد حاتم بن محبوب الشامي أنا الحسن المرؤزي أنا عبد الله بن المبارك أنا جعفر بن برقان ، عن زياد بن الجراح عن عمرو ابن ميمون الأزدي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل وهو يعظه « اغتم خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك » الحديث صحيح مرسل قال الحسن أمر أن يقدم الفضل ويمسك ما يغنيه قال منصور بن زاذان في قوله « ولا تنس نصيبك من الدنيا » قال قوتك وقوت أهلك (وأحسن كما أحسن الله إليك) أي أحسن بطاعة الله كما أحسن الله إليك بنعمته ، وقيل أحسن إلي الناس كما أحسن الله إليك (ولا تبغ) لا تطلب (الفساد في الأرض) وكل من عصى الله فقد (١٨٢) طلب الفساد في الأرض (إن الله لا يحب المفسدين) قال (يعني قارون) إنما

أوتيته على علم عندي) شغلك وحياتك قبل موتك » هذا حديث مرسل وعمرو بن ميمون لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم (وأحسن كما أحسن الله إليك) أي أحسن بطاعة الله كما أحسن إليك بنعمته وقيل أحسن إلي الناس (ولا تبغ) أي ولا تطلب (الفساد في الأرض) وكل من عصى الله فقد طلب الفساد في الأرض (إن الله لا يحب المفسدين قال) يعني قارون (إنما أوتيته على علم عندي) أي على فضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلا لتلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره قيل هو علم الكيمياء قال سعيد ابن المسيب كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع ابن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخذعهما قارون حتى أضاف علمها إلى علمه فكان يصنع من الرصاص فضة ومن النحاس ذهباً وكان ذلك سبب كثرة أمواله وقيل كان علمه حسن التصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب قال الله عز وجل (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) أي للأموال (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) قيل معناه أن الله تعالى إذا أراد عقاب المجرمين فلا حاجة به إلى سؤالهم لأنه عالم بخاتمهم وقيل لا يسألون سؤال استعلام وإنما يسألون سؤال توبيخ وتقريع وقيل لا تسأل الملائكة عنهم لأنهم يعرفونهم بسياهم . قوله عز وجل (فخرج على قومه في زينته) قيل خرج هو وقومه وهم سبعون ألفاً عليهم الثياب الحمر والصفرة والمعصرات وقيل خرج على براذين بيض عليها سرج الأرجوان وقيل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب وعليه الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ثلثائة جارية بيضاء عليهم الخلى والثياب الحمر وهن على البغال الشهب) قال الذين يريدون الحياة الدنيا باليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم) أي من المال (وقال الذين أوتوا العلم) أي بما وعد الله في الآخرة وقال ابن عباس يعني الأحبار من بني إسرائيل للذين تمنوا مثل ما أوتى قارون (ويلكم ثواب الله) أي ما عند الله من الثواب والخير (خير لمن آمن) أي صدق بتوحيد الله (وعمل صالحاً) أي ذلك خير مما أوتى قارون في الدنيا

أوتيته على علم عندي) أي على فضل وخير علمه الله عندي فرآني أهلا لتلك ففضلني بهذا المال عليكم كما فضلني بغيره قيل هو علم الكيمياء قال سعيد ابن المسيب كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع ابن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوقنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخذعهما قارون حتى أضاف علمها إلى علمه وكان ذلك سبب كثرة أمواله ، وقيل على علم عندي بالتصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب . قوله تعالى (أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون الكافرة) (من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا) للأموال (ولا يسأل عن

ذنوبهم المجرمون) قال قتادة يدخلون النار بغير حساب ولا سؤال ، وقال مجاهد يعني لا يسأل الملائكة عنهم لأنهم يعرفونهم بسياهم ، قال الحسن لا يسألون سؤال استعلام وإنما يسألون سؤال تقريع وتوبيخ (فخرج على قومه في زينته) قال إبراهيم النخعي خرج هو وقومه في ثياب حمر وصفرة قال ابن زيد في سبعين ألفاً عليهم المعصرات قال مجاهد على براذين بيض عليها سرج الأرجوان قال مقاتل خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليه الأرجوان ومعه أربعة آلاف فارس وعليهم وعلى دوابهم الأرجوان ومعه ثلثائة جارية بيض عليهن الخلى والثياب الحمر وهن على البغال الشهب) قال الذين يريدون الحياة الدنيا باليت لنا مثل ما أوتى قارون إنه لذو حظ عظيم) من المال (وقال الذين أوتوا العلم) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني الأحبار من بني إسرائيل وقال مقاتل أوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة قالوا للذين تمنوا مثل ما أوتى قارون في الدنيا (ويلكم ثواب الله خير) يعني ما عند الله من الثواب والجزاء خير (لمن آمن) وصدق بتوحيد الله (وعمل صالحاً) مما أوتى قارون في الدنيا

(ولا يلقاها إلا الصابرون) قال مقاتل لا يؤتاها بعنى الأعمال الصالحة، وقال الكلبي لا يعطاها في الآخرة وقيل لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير إلا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الدنيا . قوله عز وجل (فخسفنا به وبداره الأرض) قال أهل العلم بالأخبار كان قارون أعلم بنى إسرائيل بعد موسى وهرون عليهما السلام وأقرأهم للتوراة وأجملهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطفى وكان أول طغيانه وعصيانه أن الله أوحى إلى موسى أن يأمر قومه أن يعلقوا في أردبتهم خيوطا أربعة في كل طرف خيطا أخضر كلون السماء يذكرونني به إذا نظروا إلى السماء ويعلمون أني منزل منها كلامي فقال موسى يارب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أردبتهم كلها خضرا فان بنى إسرائيل تحقر هذه الخيوط فقال له ربه يا موسى إن الصغير من أمري ليس بصغير فاذا هم لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير فدعاهم موسى عليه السلام وقال إن الله يأمركم أن تعلقوا في أردبتكم خيوطا خضرا كلون السماء لكي تذكروا ربكم إذا رأيتموها ففعلت بنو إسرائيل (١٨٣) ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال إنما يفعل هذه الأرياب بعيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدء عصيانه وبغيه فلما قطع

(ولا يلقاها إلا الصابرون) أي لا يؤتى الأعمال الصالحة إلا الصابرون وقيل لا يؤتى هذه الكلمة وهي قوله ويلكم ثواب الله خير إلا الصابرون أي على طاعة الله وعن زينة الدنيا . قوله تعالى (فخسفنا به وبداره الأرض) .

(ذكر قصة قارون)

قال أهل العلم بالأخبار والسير كان قارون أعلم بنى إسرائيل بعد موسى وهارون وأقرأهم للتوراة وأجملهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبغى وطفى وكان أول طغيانه وعصيانه أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن يأمر قومه أن يعلقوا في أردبتهم خيوطا أربعة في كل طرف خيطا أخضر كلون السماء يذكرونني به إذا نظروا إلى السماء ويعلمون أني منزل منها كلامي فقال موسى يارب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أردبتهم كلها خضرا فان بنى إسرائيل تستصغر هذه الخيوط فقال له ربه يا موسى إن الصير من أمري ليس بصغير فاذا لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير فدعاهم موسى فقال إن الله يأمركم أن تعلقوا في أردبتكم خيوطا خضرا كلون السماء لكي تذكروا ربكم إذا رأيتموها ففعل بنو إسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال إنما يفعل هذا الأرياب بعيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان هذا بدء عصيانه وبغيه فلما قطع موسى بنى إسرائيل البحر جعلت الحبورة لهارون وهي رياسة المذبح فكان بنو إسرائيل يأتون بهديهم إلى هارون فيضعه على المذبح فتزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون من ذلك من نفسه وأتى موسى فقال يا موسى لك الرسالة وهارون الحبورة ولست في شيء من ذلك وأنا أقرأ التوراة لأصبر لي على هذا فقال له موسى لك الرسالة وهارون الحبورة ولست في شيء من ذلك وأنا أقرأ التوراة لأصبر لي على هذا فقال أما أنا ماجعلتها لهارون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك حتى ترى بيانه فجمع موسى بنى إسرائيل فقال هاتوا عصيكم فحزمتها وألقاها في قبتها التي يتعبد فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحت عصا هارون قد اهترأها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون تري

بيانه فجمع موسى بنى إسرائيل فقال هاتوا عصيكم فحزمتها وألقاها في قبتها التي كان يعبد الله فيها فجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحت عصا هارون قد اهترأها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون تري هذا فقال قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يداريه للقراءة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد إلا اعتوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملائم بنى إسرائيل يغدون إليه وروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس رضى الله عنهما فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه عن كل ألف دينار على دينار وعن كل ألف درهم على درهم وعن كل ألف شاة على شاة وعن كل ألف شيء على شيء ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده كثيرا فلم تسمح بذلك نفسه فجمع بنى إسرائيل فقال لهم يا بنى إسرائيل إن موسى قد أمركم بكل شيء فاطعمتموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فمرنا بما شئت فقال أمركم أن تجيشوا بغلانة

البي فجعل لها جعلاً حتى تقذف موسى بنفسها فإذا فعلت ذلك خرج بنو إسرائيل عليه ورفضوه فدعاها فجعل لها قارون ألف درهم وقيل ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل لها إني أمولك وأخلطك بنسائي على أن تقذني موسى بنفسك غدا إذا حضر بنو إسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بنو إسرائيل ثم أتى موسى فقال إن بنو إسرائيل ينتظرون خروجك فتأمرهم وتنهاهم فخرج إليهم موسى وهم في براح من الأرض فقام فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة ومن (١٨٤) زنا وله امرأة رجما حتى يموت فقال له قارون وإن كنت أنت ؟ قال

هذا فقال له قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع من السحر واعتزل قارون موسى باتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه كل وقت ولا يزيد إلا عتوا ونجرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل لها بابا من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملائ من بنو إسرائيل يغدون إليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويصاحكونه قال ابن عباس فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فصالحه على كل ألف دينار عنها دينار وعلى كل ألف درهم عنها درهم وكل ألف شاة عنها شاة وكذلك سائر الأشياء ثم رجع إلى بيته فحسبه فوجده شيئا كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بنو إسرائيل وقال لهم إن موسى قد أمركم بكل شيء فاطعموه وهو يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فرنا بما شئت قال أمركم أن تجيشوا فلانة البغي وتجعلوا عليكم لها جعلاً على أن تقذف موسى بنفسها فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل فرفضوه فدعوا فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم وقيل طستا من ذهب وقيل قال لها قارون أترك وأخلطك بنسائي على أن تقذني موسى بنفسك غدا إذا حضر بنو إسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بنو إسرائيل ثم أتى موسى فقال إن بنو إسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم فخرج إليهم موسى وهم في مرج من الأرض فقام فيهم فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة جلدناه ومن زنى وله امرأة رجما إلى أن يموت فقال قارون وإن كنت أنت قال وإن كنت أنا قال فإن بنو إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة البغي قال ادعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها القسم وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة إلا صدقت فتداركها الله تعالي بالتوفيق وقالت في نفسها أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبيكى ويقول اللهم إن كنت رسولك فاعضب لي فأوحى الله إليه إني أمرت الأرض أن تطيعك فرها بما شئت فقال موسى يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليثبت مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون إلا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهما فأخذتهما بأقدامهم وقيل كان على سريره وفرشه فأخذته الأرض حتى غيبت سريره ثم قال يا أرض خذيهما فأخذتهما إلى الركب ثم قال يا أرض خذيهما فأخذتهما إلى الأوساط ثم قال يا أرض خذيهما فأخذتهما إلى الأعناق وأصحابه في ذلك يتضرعون إلى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل إنه ناشده أربعين

وإن كنت أنا قال فإن بنو إسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلانة فقال ادعوها فإن قالت فهو كما قالت فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها القسم وسألها بالذي فلق البحر لبني إسرائيل وأنزل التوراة إلا صدقت فتداركها الله تعالي بالتوفيق وقالت في نفسها أحدث اليوم توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا كذبوا ولكن جعل لي قارون جعلاً على أن أقذفك بنفسى فخر موسى ساجدا يبيكى ويقول اللهم إن كنت رسولك فاعضب لي فأوحى الله تعالي إني أمرت الأرض أن تطيعك فرها بما شئت فقال موسى يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليثبت

مرة

كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليثبت

مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا ولم يبق مع قارون إلا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهما فأخذته الأرض بأقدامهم وفي رواية كان على سريره وفرشه فأخذته حتى غيبت سريره ثم قال يا أرض خذيهما فأخذتهما إلى الركب ثم قال يا أرض خذيهما فأخذتهما إلى الأوساط ، ثم قال يا أرض خذيهما فأخذتهما إلى الأعناق وقارون وأصحابه في كل ذلك يتضرعون إلى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى روى أنه ناشده سبعين مرة وموسى عليه السلام في كل ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خذيهما فانطبقت عليهم الأرض فأوحى الله إلى موسى ما أعظمت قلبك استغاث بك سبعين مرة فلم تغثه أما وعزتي

وجلالى لو استغاث في مرة لأعنته . وفي بعض الآثار لأجعل الأرض بعدك طوعا لأحد قال قتادة خسف به فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قائمة رجل لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة قال وأصبحت بنو إسرائيل يتناجون فيما بينهم أن موسى إنما دعا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله ، فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض فذلك قوله عز وجل «فخسفنا به وبداره الأرض» (فما كان له من فئة) من جماعة (ينصرونه من دون الله) يمنعونه من الله (وما كانوا من المنتصرين) المنتصرين مما نزل به من الخسف (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس) صار أولئك الذين تمنوا مارزقه الله من المال والزينة يتندمون على ذلك التمتي والعرب تعبر عن الصيرورة بأضحى وأمسى وأصبح تقول أصبح فلان عالما وأضحى معدا وأمسى حزينا (يقولون ويكأن الله) اختلفوا في معنى هذه اللفظة قال مجاهد ألم تعلم وقال (١٨٥) قتادة ألم تر قال الفراء هي

مرة وقيل سبعين مرة وموسى في ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه ثم قال بأرض خديهم فأطبقت عليهم الأرض فأوحى الله إلى موسى ما أغلظ قلبك يستغيث بك قارون سبعين مرة فلم تغته أما وعزى وجلالى لو استغاث في مرة لأعنته وفي بعض الآثار لأجعل الأرض بعدك طوعا لأحد قال قتادة خسف به الأرض فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قائمة رجل لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة وأصبح بنو إسرائيل يقولون فيما بينهم إنما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض فذلك قوله تعالى (فما كان له من فئة) يعنى جماعة (ينصرونه من دون الله) يعنى يمنعونه من الله (وما كان من المنتصرين) من المنتصرين مما نزل به من الخسف (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس) يعنى صار أولئك الذين تمنوا مارزقه الله من الأموال والزينة يتندمون على ذلك التمتي (يقولون ويكأن الله) ألم تعلم وقيل ألم تر وقيل هي كلمة تقرير معناها أما ترى صنع الله وإحسانه وذكر أنه أخبره من سمع إعرابية تقول لزوجها أين ابنك؟ فقال ويكأن وراء البيت يعنى أما ترى وراء البيت وعن الحسن أنه كلمة ابتداء تقدره إن الله ييسر الرزق وقيل هو تنبيه بمنزلة إلا . وقال قطرب وبك يعنى وبك حدثت اللام منه كما قال عنترة :

ولقد شئى نفسى وأبرأ
سقمها
قول الفوارس وبك
عنتر أقدم
أبى وبك وأن منصوب
بإضمار أعلم أن الله . وقال الخليل وي مفضولة من كان ومعناها التعجب كما يقول وي لم فعلت ذلك وذلك أن القوم تندموا

مرة وقيل سبعين مرة وموسى في ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه ثم قال بأرض خديهم فأطبقت عليهم الأرض فأوحى الله إلى موسى ما أغلظ قلبك يستغيث بك قارون سبعين مرة فلم تغته أما وعزى وجلالى لو استغاث في مرة لأعنته وفي بعض الآثار لأجعل الأرض بعدك طوعا لأحد قال قتادة خسف به الأرض فهو يتجلجل في الأرض كل يوم قائمة رجل لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة وأصبح بنو إسرائيل يقولون فيما بينهم إنما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بداره وكنوزه وأمواله الأرض فذلك قوله تعالى (فما كان له من فئة) يعنى جماعة (ينصرونه من دون الله) يعنى يمنعونه من الله (وما كان من المنتصرين) من المنتصرين مما نزل به من الخسف (وأصبح الذين تمنوا مكانه بالأمس) يعنى صار أولئك الذين تمنوا مارزقه الله من الأموال والزينة يتندمون على ذلك التمتي (يقولون ويكأن الله) ألم تعلم وقيل ألم تر وقيل هي كلمة تقرير معناها أما ترى صنع الله وإحسانه وذكر أنه أخبره من سمع إعرابية تقول لزوجها أين ابنك؟ فقال ويكأن وراء البيت يعنى أما ترى وراء البيت وعن الحسن أنه كلمة ابتداء تقدره إن الله ييسر الرزق وقيل هو تنبيه بمنزلة إلا . وقال قطرب وبك يعنى وبك حدثت اللام منه كما قال عنترة :

ولقد شئى نفسى وأبرأ
سقمها
قول الفوارس وبك
عنتر أقدم
أبى وبك وأن منصوب
بإضمار أعلم أن الله . وقال الخليل وي مفضولة من كان ومعناها التعجب كما يقول وي لم فعلت ذلك وذلك أن القوم تندموا

(٢٤ - خازن بالبعوى - خامس) فقالوا وي منتدمين على ماسلف منهم وكان معناه أظن ذلك وأقدره كما تقول كان الفرح قد أتاك أى أظن ذلك وأقدره (يسطر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر) أى يوسع ويضيق (لولا أن من الله علينا لخسف بنا) قرأ حفص ويعقوب بفتح الحاء والسين وقرأ العامة بضم الحاء وكسر السين (ويكأنه لا يفلح الكافرون) قوله تعالى (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض) قال الكلبى ومقاتل استكبارا عن الإيمان وقال عطاء علوا واستطالة على الناس وتهاونا بهم وقال الحسن لم يطلبوا الشرف والعز عند ذي سلطانها وعن على رضي الله عنه أنها نزلت في أهل التواضع من الولاة وأهل القدرة (ولا فسادا) قال الكلبى هو الدعاء إلى عبادة غير الله وقال عكرمة أخذ أموال الناس بغير حق : قال ابن جرير ومقاتل العمل بالمعاصي (والعاقبة للمتقين) أى العاقبة المحمودة لمن اتقى عقاب الله بأداء أوامره واجتناب معاصيه قال قتادة الجنة للمتقين (من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسئنة فلا يجزيه الدين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون) تقدم تفسيره : قوله تعالى (إن الذي فرض

عليك القرآن) أي أنزل عليك القرآن على قول أكثر المفسرين وقال عطاء أوجب عليك العمل بالقرآن (لرادك إلى معاد) إلى مكة وهو رواية العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما وهو قول مجاهد قال الفتيبي معاد الرجل بلده لأنه ينصرف ثم يعود إلى بلده وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا إلى المدينة سار في غير الطريق مخافة الطلب فلما آمن ورجع إلى الطريق نزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق إلى مكة اشتاق إليها فاتاه جبريل وقال أنشاق إلى بلدك ومولدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول إن الذي

ولا مدينة وروى سعيد ابن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما لرادك إلى معاد إلى الموت وقال الزهري وعكرمة إلى القيامة وقيل إلى الجنة (قل رب أعلم من جاء بالهدى) أي يعلم من جاء بالهدى وهذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إنك لفي ضلال فقال الله عز وجل قل لهم رب أعلم من جاء بالهدى أي يعلم من جاء بالهدى يعني نفسه (ومن هو في ضلال مبین) يعني المشركين ومعناه أعلم بالفريقين . قوله عز وجل (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب) أي يوحى إليك القرآن (إلا رحمة من ربك) فأعطاك القرآن (فلا تكونن ظهيرا) أي معينا (للكافرين) على دينهم وذلك حين دعوه إلى دين آباؤه فذكره نعمه عليه ونهاه عن مظاهرهم على ما هم عليه (ولا يصدنك عن آيات الله) يعني القرآن (بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك) إلى معرفته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) قال ابن عباس الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أي ولا تظاهر الكفار ولا توافقهم (ولا تدع مع الله إلها آخر) معناه أنه واجب على الكل إلا أنه خاطبه به مخصوصا لأجل التعظيم : فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما من أن يدعو مع الله إلها آخر فافائدة هذا النهي : قلت الخطاب مع المراد به غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكيفا على أمورك كلها ولا تعتمد على غيره (لا إله إلا هو كل شيء هالك) أي فان (إلا وجهه) أي إلا هو والوجه يعبر به عن الذات وقيل معناه إلا ما أريد به وجهه لأن عمل كل شيء أريد به غير الله فهو هالك (له الحكم) أي فصل القضاء بين الخلق (واليه ترجعون) أي تردون في الآخرة فيجزئكم بأعمالكم والله أعلم بما عمده :

عليك القرآن) أي أنزل عليك القرآن وقيل معناه أوجب عليك العمل بالقرآن (لرادك إلى معاد) قال ابن عباس إلى مكة أخرجه البخاري عنه قال الفتيبي معاد الرجل بلده لأنه ينصرف فيعود إلى بلده وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجرا إلى المدينة سار على غير الطريق مخافة الطلب فلما آمن رجع في الطريق ونزل الجحفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها فاتاه جبريل عليه السلام وقال له أنشاق إلى بلدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد وهذه الآية نزلت بالجحفة ليست بمكية وقال ابن عباس أيضا لرادك إلى الموت وقيل إلى القيامة وقيل إلى الجنة (قل رب أعلم من جاء بالهدى) أيضا لرادك إلى الموت وقيل إلى القيامة وقيل إلى الجنة (قل رب أعلم من جاء بالهدى) هذا جواب لكفار مكة لما قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إنك لفي ضلال مبین فقال الله تعالى قل لهم رب أعلم من جاء بالهدى يعني نفسه (ومن هو في ضلال مبین) يعني المشركين ومعناه هو أعلم بالفريقين . قوله عز وجل (وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب) أي يوحى إليك القرآن (إلا رحمة من ربك) فأعطاك القرآن (فلا تكونن ظهيرا) أي معينا (للكافرين) على دينهم وذلك حين دعوه إلى دين آباؤه فذكره نعمه عليه ونهاه عن مظاهرهم على ما هم عليه (ولا يصدنك عن آيات الله) يعني القرآن (بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك) إلى معرفته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) قال ابن عباس الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أي ولا تظاهر الكفار ولا توافقهم (ولا تدع مع الله إلها آخر) معناه أنه واجب على الكل إلا أنه خاطبه به مخصوصا لأجل التعظيم : فان قلت النبي صلى الله عليه وسلم كان معصوما من أن يدعو مع الله إلها آخر فافائدة هذا النهي : قلت الخطاب مع المراد به غيره وقيل معناه لا تتخذ غيره وكيفا على أمورك كلها ولا تعتمد على غيره (لا إله إلا هو كل شيء هالك) أي فان (إلا وجهه) أي إلا هو والوجه يعبر به عن الذات وقيل معناه إلا ما أريد به وجهه لأن عمل كل شيء أريد به غير الله فهو هالك (له الحكم) أي فصل القضاء بين الخلق (واليه ترجعون) أي تردون في الآخرة فيجزئكم بأعمالكم والله أعلم بما عمده :

معناه لكن ربك رحمتك فأعطاك القرآن (فلا تكونن ظهيرا للكافرين) أي معينا لهم على دينهم وقال مقاتل وذلك حين دعى إلى دين آباؤه فذكر الله نعمه ونهاه عن مظاهرهم على ما هم عليه (ولا يصدنك عن آيات الله) يعني القرآن (بعد إذ أنزلت إليك وادع إلى ربك) إلى معرفته وتوحيده (ولا تكونن من المشركين) قال ابن عباس رضي الله عنهما الخطاب في الظاهر للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أهل دينه أي لا تظاهر الكفار ولا توافقهم (ولا تدع مع الله إلها آخر) لآله إلا هو كل شيء هالك (إلا وجهه) أي إلا هو وقيل إلا ملكه ، قال أبو العالية إلا ما أريد به وجهه (له الحكم) أي فصل القضاء (واليه ترجعون) تردون في الآخرة فيجزئكم بأعمالكم

(سورة العنكبوت ، مكية ، وهي تسع وستون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم أحسب الناس) أظن الناس (أن يتركوا) بغير اختبار ولا ابتلاء (أن يقولوا) أي بأن يقولوا (أمناء وهم لا يفتنون) لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم كلا لنتخبر بهم ليعين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب واختلفوا في سبب نزول هذه الآية . قال الشعبي نزلت في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يقبل فيكم الإقرار بالإسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين إلى المدينة فتبعهم المشركون فقاتلوهم فقتل منهم من قتل ومنهم من نجا فأرسل الله هاتين الآيتين قال ابن عباس رضي الله عنهما وأراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة (١٨٧) بن هشام وعياش بن ربيعة والوليد بن الوليد

(تفسير سورة العنكبوت وهي مكية)

وآياتها تسع وستون آية وكلما تها تسعمائة وثمانون كلمة وحروفها أربعة آلاف ومائة وخمسة وستون حرفاً :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ألم أحسب الناس) أي أظن الناس (أن يتركوا) أي بغير اختبار وابتلاء (أن) أي بأن (يقولوا آمنوا هم لا يفتنون) أي لا يبتلون في أموالهم وأنفسهم كلا لنتخبر بهم ليعين المخلص من المنافق والصادق من الكاذب قيل نزلت هذه الآية في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام فكتب إليهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أنه لا يقبل منكم الإقرار بالإسلام حتى تهاجروا فخرجوا عامدين إلى المدينة فأتبعهم المشركون فقاتلهم الكفار فقتل منهم من قتل ومنهم من نجا فأرسل الله هاتين الآيتين وقال ابن عباس أراد بالناس الذين آمنوا بمكة سلمة بن هشام وعياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وعمار بن ياسر وغيرهم . وقيل في عمار كان يعذب في الله تعالى وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر وكان أول من قتل من المسلمين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم « سيد الشهداء مهجع بن عبد الله وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع أبواه وامرأته فأرسل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال تعالى (ولقد فتنا الذين من قبلهم) يعني الأنبياء فمنهم من نشر بالمنشار ومنهم من قتل وابتلى بنو إسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب (فليعلمن الله الذين صدقوا) أي في قولهم (وليعلمن الكاذبين) والله تعالى عالم بهم قبل الاختبار ومعنى الآية فليظهروا الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه وقيل إن آثار أفعال الحق صفة يظهر فيها كل ما يتبع وما هو واقع . قوله تعالى (أم حسب الذين يعملون السيئات) يعني الشرك (أن يسبقونا) أي يعجزوننا فلا تقدر على الانتقام منهم (ساء ما يحكمون من كان يرجو لقاء الله) قال ابن عباس من كان يخشى البعث والحساب وقيل من كان يطمع في ثواب الله (فإن أجل الله لآت) يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب وقيل يوم القيامة لكائن

وعمار بن ياسر وغيرهم وقال ابن جريج نزلت في عمار بن ياسر كان يعذب في الله عز وجل وقال مقاتل نزلت في مهجع بن عبد الله مولى عمر كان أول قتيل من المسلمين يوم بدر فقال النبي صلى الله عليه وسلم « سيد الشهداء مهجع بن عبد الله وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فجزع أبواه وامرأته فأرسل الله هذه الآية وقيل « وهم لا يفتنون » بالأوامر والنواهي وذلك أن الله تعالى أمرهم في الابتداء بمجرد الإيمان ثم فرض

عليهم الصلاة والزكاة وسائر الشرائع فشق على بعضهم فأرسل الله هذه الآية ثم عزاهم فقال (ولقد فتنا الذين من قبلهم) يعني الأنبياء والمؤمنين فمنهم من نشر بالمنشار ، ومنهم من قتل وابتلى بنو إسرائيل بفرعون فكان يسومهم سوء العذاب (فليعلمن الله الذين صدقوا) في قولهم آمناء (وليعلمن الكاذبين) والله أعلم بهم قبل الاختبار ومعنى الآية وليظهروا الله الصادقين من الكاذبين حتى يوجد معلومه ، وقال مقاتل فليبين الله وقيل ليعين الله كقوله ولعز الله الحبيب من الطيب (أم حسب الذين يعملون السيئات) يعني الشرك (أن يسبقونا) يعجزونا ويفوتونا فلا تقدر على الانتقام منهم (ساء ما يحكمون) أي بئس ما حكموا حين ظنوا ذلك (من كان يرجو لقاء الله) قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ومقاتل من كان يخشى البعث والحساب والرجاء بمعنى الخوف وقال سعيد بن جبير رضي الله عنه من كان يطمع في ثواب الله (فإن أجل الله لآت) يعني ما وعد الله من الثواب والعقاب وقال مقاتل يعني يوم القيامة لكائن

كعذاب الله في الآخرة أي جزع من عذاب الناس ولم يضرب عليه فأطاع الناس كما يطبع الله من يخاف عذابه ، هذا قول السدي وابن زيد قالوا هو المنافق إذا أودى في الله رجح عن الدين وكفر (ولئن جاء نصر من ربك) أي فتح ودولة المؤمنين (ليقولن) يعني هؤلاء المنافقين للمؤمنين (إنا كنا معكم) على عدوكم وكنا مسلمين ، وإنما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فكذبهم الله وقال (أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) من الإيمان والنفاق (وليعلمن الله الذين آمنوا) صدقوا فثبتوا على الإسلام عند البلاء (وليعلمن المنافقين) بترك الإسلام عند نزول البلاء واختلقوا في نزول هذه الآية قال مجاهد نزلت في أناس كانوا يؤمنون بالسننهم فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم افتتوا وقال عكرمة (١٨٩) عن ابن عباس رضى الله

عنه نزلت في الذين أخرجهم المشركون معهم في بدر وهم الذين نزلت فيهم ، إن الذين توفاهم الملائكة ظلمى أنفسهم ، وقال قتادة نزلت في القوم الذين ردهم المشركون إلى مكة قال الشعبي هذه الآيات العشر من أول السورة إلى هاهنا مدنية ، وبقية السورة مكية (وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا) قال مجاهد هذا من قول كفار مكة لمن آمن منهم وقال الكلبي ومقاتل قاله أبو سفيان لمن آمن من قريش اتبعوا سبيلنا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله

وعذابهم كعذاب الله في الآخرة والمعنى أنه جزع من أذى الناس ولم يصبر عليه فأطاع الناس كما يطبع الله من يخاف عذابه وهو المنافق إذا أودى في الله رجح عن الدين وكفر (ولئن جاء نصر من ربك) أي فتح ودولة للمؤمنين (ليقولن) أي هؤلاء المنافقون للمؤمنين (إنا كنا معكم) أي على عدوكم وكنا مسلمين وإنما أكرهنا حتى قلنا ما قلنا فأكذبهم الله تعالى فقال (أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين) أي من الإيمان والنفاق (وليعلمن الله الذين آمنوا) أي صدقوا فثبتوا على الإيمان والإسلام عند البلاء (وليعلمن المنافقين) أي بترك الإسلام عند البلاء قيل نزلت هذه الآية في أناس كانوا يؤمنون بالسننهم فإذا أصابهم بلاء من الناس أو مصيبة في أنفسهم افتتوا وقال ابن عباس نزلت في الذين أخرجهم المشركون معهم إلى بدر وهم الذين نزلت فيهم والذين توفاهم الملائكة ظلمى أنفسهم وقيل هذه الآيات العشر من أول السورة إلى هاهنا مدنية وبقية السورة مكية (وقال الذين كفروا) يعني من أهل مكة قيل قاله أبو سفيان (للذين آمنوا) أي من قريش (اتبعوا سبيلنا) يعني ديننا وملة آبائنا ونحن الكفلاء بكل تبعة من الله نصيبكم فذلك قوله (ولنحمل خطاياكم) أي أوزاركم والمعنى إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم فأكذبهم الله عز وجل بقوله (وما هم بمأمليين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون) في قولهم لنحمل خطاياكم (وليحملن أثقاهم) أي أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم (وأنقلنا مع أثقاهم) أي أوزار من أضلوا وصلوا عن سبيل الله مع أوزار أنفسهم. فان قلت قد قال أولوا ما هم بمأمليين من خطاياهم من شيء وقال هاهنا وليحملن أثقاهم وأنقلنا مع أثقاهم فكيف الجمع بينهما . قلت معناه إنهم لا يرفعون عنهم خطيئة بل كل واحد يحمل خطيئة نفسه ورؤساء الضلال يحملون أوزارهم ويحملون أوزارا بسبب إضلال غيرهم فهو كقوله صلى الله عليه وسلم ومن من في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة ، من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء ، ورواه مسلم (وليسلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) أي سؤال توبيخ وتقريع لأنه تعالى علم بأعمالهم وأقراهم قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث) أي فأقام (فيهم) يدعوهم إلى عبادة الله وتوحيده (ألف سنة إلا خمسين عاما) فان قلت ما فائدة هذا الاستثناء وهلا قال تسعمائة وخمسين سنة قلت فيه فائدتان إحداهما أن الاستثناء يدل على التحقيق

تصديقكم فذلك قوله (ولنحمل خطاياكم) أوزاركم قال القراء لفظه أمر ومعناه خبر مجازة إن اتبعتم سبيلنا حملنا خطاياكم كقوله (فليقله اليم بالساحل) وقيل هو جزم على الأمر كأنهم أمروا أنفسهم بذلك فأكذبهم الله عز وجل فقال (وما هم بمأمليين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون) أي فيما قالوا من حمل خطاياهم (وليحملن أثقاهم) أوزار أعمالهم التي عملوها بأنفسهم (وأنقلنا مع أثقاهم) أي أوزار من أضلوا وصلوا عن سبيل الله مع أوزارهم نظيره قوله عز وجل (ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم) (وليسلن يوم القيامة عما كانوا يفترون) سؤال توبيخ وتقريع قوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما

فلان قبل ماوجه قوله ولا في السماء والمخاطب مع الأدميين وهم ليسوا في السماء ، قال الفراء معناه ولا من في السماء بمعجز كقول حسان بن ثابت :

فمن يهجو رسول الله منكم ومدحه وينصره سواء

أراد من مدحه ومن ينصره فأصغر من يرد لابعجزه أهل الأرض في الأرض ولا أهل السماء في السماء وقال قطرب معناه وما أنتم بمعجزين في الأرض ولا في السماء لو كنتم فيها كقول الفائل مايفوتني فلانها هنا ولا بالبصرة أي ولا بالبصرة لو كان بها (وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير) أي من ولي يمنعكم مني ، ولا نصير ينصركم من عذابي (والذين كفروا بآيات الله ولقائه) بالقرآن وبالبعث (أولئك يشوا من رحمتي) جنتي (١٩١) (وأولئك لهم عذاب أليم)

فهذه الآيات في تذكير أهل مكة وتحذيرهم وهي معرضة في قصة إبراهيم ثم عاد إلى قصة إبراهيم فقال جل ذكره (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه فأنجاه الله من النار) وجعلها عليه بردا وسلاما (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يعني يصدقون (وقال) يعني إبراهيم لقومه (إنما اتخذتم من دون الله آوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا) أي ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة وقيل معناه إنكم تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) تتبرأ الأوثان من عابديها وتتبرأ القادة من الأتباع ويلعن الأتباع القادة (ومأواكم النار) يعني العابدين والمعبودين جميعا (وما لكم من ناصرين) أي مانعين من عذابه (فأمن له لوط) أي صدقه برسالته لما رأي معجزاته وهو أول من صدق إبراهيم وأما في أصل التوحيد فانه كان مؤمنا لأن الأنبياء لا يتصور فيهم الكفر (وقال) يعني إبراهيم (إني مهاجر إلى ربِّي) إلى حيث أمرني ربِّي فهاجر من كوثي وهي من سواد الكوفة إلى حران ثم هاجر إلى الشام ومعه لوط وامرأته سارة وهو أول من هاجر إلى الله تعالى وترك بلده وسار إلى حيث أمره الله بالمهاجرة إليه قبل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة (إنه هو العزيز) أي الذي لا يغلب والذي يمنعني من أعدائي (الحكيم) الذي لا يأمرني إلا بما يصلحني : قوله تعالى (ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) يقال إن الله تعالى لم يبعث نبيا بعد إبراهيم إلا من نسله (وآتيناه أجره في الدنيا) هو الثناء الحسن فكل أهل الأديان يتولونه ويحبونه ويحبون الصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة

ولا من في السماء بمعجزين والمعنى أنه لا يعجزه أهل الأرض في الأرض ولا أهل السماء في السماء وقيل معنى قوله ولا في السماء لو كنتم فيها (وما لكم من دون الله من ولي) أي يمنعكم مني (ولا نصير) أي ينصركم من عذابي (والذين كفروا بآيات الله) يعني بالقرآن (ولقائه) أي البعث (أولئك يشوا من رحمتي) يعني الجنة (وأولئك لهم عذاب أليم) فهذا آخر الآيات في تذكير أهل مكة ثم عاد إلى قصة إبراهيم عليه السلام فقال تعالى (فما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقوه قال ذلك بعضهم لبعض وقيل قال الرؤساء للأتباع اقتلوه أو حرقوه) فأنجاه الله من النار) أي بأن جعلها عليه بردا وسلاما قيل إن ذلك اليوم لم ينتفع أحد بتار (إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) يصدقون (وقال) يعني إبراهيم لقومه (إنما اتخذتم من دون الله آوثانا مودة بينكم في الحياة الدنيا) أي ثم تنقطع ولا تنفع في الآخرة وقيل معناه إنكم تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) تتبرأ الأوثان من عابديها وتتبرأ القادة من الأتباع ويلعن الأتباع القادة (ومأواكم النار) يعني العابدين والمعبودين جميعا (وما لكم من ناصرين) أي مانعين من عذابه (فأمن له لوط) أي صدقه برسالته لما رأي معجزاته وهو أول من صدق إبراهيم وأما في أصل التوحيد فانه كان مؤمنا لأن الأنبياء لا يتصور فيهم الكفر (وقال) يعني إبراهيم (إني مهاجر إلى ربِّي) إلى حيث أمرني ربِّي فهاجر من كوثي وهي من سواد الكوفة إلى حران ثم هاجر إلى الشام ومعه لوط وامرأته سارة وهو أول من هاجر إلى الله تعالى وترك بلده وسار إلى حيث أمره الله بالمهاجرة إليه قبل هاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة (إنه هو العزيز) أي الذي لا يغلب والذي يمنعني من أعدائي (الحكيم) الذي لا يأمرني إلا بما يصلحني : قوله تعالى (ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) يقال إن الله تعالى لم يبعث نبيا بعد إبراهيم إلا من نسله (وآتيناه أجره في الدنيا) هو الثناء الحسن فكل أهل الأديان يتولونه ويحبونه ويحبون الصلاة عليه والذرية الطيبة والنبوة

في الآخرة وقرأ حمزة وحفص مودة نصبا بغير تنوين على الإضافة بوقوع الاتخاذ عليها، وقرأ الآخرون مودة منصوبة بمنوة بينكم بالنصب معناه إنكم إنما اتخذتم هذه الأوثان مودة بينكم في الحياة الدنيا تتوادون على عبادتها وتتواصلون عليها في الدنيا (ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا) تتبرأ الأوثان من عابديها وتتبرأ القادة من الأتباع ويلعن الأتباع القادة (ومأواكم) جميعا العابدون والمعبودون (النار) من ناصرين فأمن له لوط) يعني صدقه وهو أول من صدق إبراهيم وكان ابن أخيه (وقال) يعني إبراهيم (إني مهاجر إلى ربِّي) فهاجر من كوثي وهو من سواد الكوفة إلى حران ثم إلى الشام ومعه لوط وامرأته سارة وهو أول من هاجر إلى الله تعالى هاجر إبراهيم عليه السلام وهو ابن خمس وسبعين سنة (إنه هو العزيز الحكيم) ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب) يقال إن الله لم يبعث نبيا بعد إبراهيم إلا من نسله (وآتيناه أجره في الدنيا) وهو الثناء الحسن فكل أهل الأديان يتولونه وقال السدي هو الولد الصالح وقيل هو أنه أرى

مكانه في الجنة (وإنه في الآخرة لمن الصالحين) أي في زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح . قوله تعالى (ولو طأ إذ قال لقومه أنتم) قرأ أبو عمرو وحزمة والكسائي وأبو بكر أنتم بالاستفهام وقرأ الباقون بلا استفهام وانفقوا على استفهام الثانية (لتأتون الفاحشة) وهي إتيان الرجال (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) أنتم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) وذلك أنهم كانوا يفعلون الفاحشة بمن يمر بهم من المسافرين فترك الناس المعربهم وقيل تقطعون سبيل النسل بإيثار الرجال على النساء (وتأتون في ناديكم المنكر) النادي والنادي والمنندي مجلس القوم ومتحدثهم أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو العباس بن سهل بن محمد المروزي أنا جدي لأمي أبو الحسن العمودي أنا محمد بن إسحاق بن خزيمة أن بشر ابن معاذ حدثهم أنا يزيد بن (١٩٢) زريع أنا حاتم بن أبي صغيرة عن ممالك بن حرب عن أبي صالح مولى

من نسله هذا له في الدنيا (وإنه في الآخرة لمن الصالحين) أي في زمرة الصالحين قال ابن عباس مثل آدم ونوح . قوله عز وجل (ولو طأ إذ قال لقومه إنكم لتأتون الفاحشة) أي الفعل الفبيحة (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) أي لم يفعلها أحد قبلكم ثم فسر الفاحشة فقال (أنتم لتأتون الرجال) يعني أنكم تقضون الشهوة من الرجال (وتقطعون السبيل) وذلك أنهم كانوا يأتون الفاحشة بمن مر بهم من المسافرين فترك الناس المعربهم لأجل ذلك وقيل معناه تقطعون سبيل النسل بإيثار الرجال على النساء (وتأتون في ناديكم المنكر) أي مجالسكم والنادي مجلس القوم ومتحدثهم عن أم هاني بنت أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله (وتأتون في دنياكم المنكر) قالوا كانوا يحذفون أهل الأرض ويسخرون منهم وأخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب الخذف هو رمي الحصى بين الأصابع قيل إنهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى فإذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فأبهم أصابه كان أولي به وقيل إنه كان يأخذ مامعه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وقيل إنهم كانوا يجامعون بعضهم بعضا في مجالسهم وقيل إنهم كانوا يتضارطون في مجالسهم وعن عبد الله بن سلام كان يبرق بعضهم على بعض وقيل كان أخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف الأصابع بالحناء وحل الإزار والصفير والخذف والرمي بالجلهق واللوطية (فما كان جواب قومه) أي لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح (إلا أن قالوا) أي استهزاء (اثنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) أي إن العذاب نازل بنا فعند ذلك (قال رب انصرتني على القوم المفسدين) أي بتحقيق قولي إن العذاب نازل بهم : قوله عز وجل (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) أي من الله بإسحاق ويعقوب (قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية) أي قوم لوط والقرية سدوم (إن أهلها كانوا ظالمين قال) يعني إبراهيم إشفاقا على لوط وليعلم حاله (إن فيها لوطا قالوا) أي قالت الملائكة (نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين) أي من الباقين في العذاب (ولما أن جاءت رسلنا لوطا منى) بهم (أي ظنهم من الإنس فخاف عليهم ومعناه أنه جاءه ماساءه) وضاق بهم ذرعا) أي عجز عن تدبير أمرهم فحزن لذلك (وقالوا لا تخف) أي من قومك (ولا تخزن) علينا (إنا منجوك وأهلك) أي إنا مهلكوهم ومنجوك وأهلك

أم هاني بنت أبي طالب عن أم هاني قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قوله (وتأتون في ناديكم المنكر) قلت ما المنكر الذي كانوا يأتونه قال كانوا يحذفون أهل الطرق ويسخرون بهم ، وروي أنهم كانوا يجلسون في مجالسهم ، وعند كل رجل منهم قصعة فيه حصى فإذا مر بهم عابر سبيل حذفوه فأبهم أصابه كان أولي به وقيل إنه كان يأخذ مامعه وينكحه ويغرمه ثلاثة دراهم وهم قاض بذلك وقال القاسم بن محمد كانوا يتضارطون في مجالسهم وقال مجاهد كان يجامع بعضهم بعضا في مجالسهم وعن عبد الله ابن سلام قال كان يبرق

إلا

بعضهم على بعض وعن مكحول قال كان من أخلاق قوم لوط مضغ العلك وتطريف

الأصابع بالحناء وحل الإزار والصفير بالخذف واللوطية (فما كان جواب قومه) لما أنكر عليهم لوط ما يأتونه من القبائح (إلا أن قالوا) له استهزاء (اثنا بعذاب الله إن كنت من الصادقين) إن العذاب نازل بنا فعند ذلك (قال لوط) رب انصرتني على القوم المفسدين) بتحقيق قولي في العذاب (ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى) من الله بإسحاق ويعقوب (قالوا إنا مهلكوا أهل هذه القرية) يعني قوم لوط والقرية سدوم (إن أهلها كانوا ظالمين قال) إبراهيم للرسول (إن فيها لوطا قالوا) قالت الملائكة (نحن أعلم بمن فيها لننجينه) قرأ حمزة والكسائي ويعقوب لننجيه بالتخفيف وقرأ الباقون بالتشديد (وأهله إلا امرأته كانت من الغابرين) أي الباقين في العذاب (ولما أن جاءت رسلنا لوطا) ظن أنهم من الإنس (منى) بهم (حزن بهم) وضاق بهم) بحبيثهم (ذرعا وقالوا لا تخف) من قومك علينا (ولا تخزن) بإهلا كنا إبراهيم (إنا منجوك وأهلك

إلا امرأتك كانت من الغابرين) قرأ ابن كثير وحزمة والكسائي وأبو بكر ويعقوب منجوك بالتخفيف وقرأ الآخرون بالتشديد (إنا منزلون) قرأ ابن عامر بالتشديد وقرأ الآخرون بالتخفيف (على أهل هذه القرية رجوا) عذابا (من السماء) قال مقاتل الحسف والحصب (بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها) من قربات لوط (آية بينة) عبرة ظاهرة (لقوم يعقلون) يتدبرون الآيات تدبر ذوي العقول . قال ابن عباس : الآية البينة هي آثار منازلهم الخربة ؛ وقال قتادة هي الحجارة التي أهلكوا بها أبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الأمة ، وقال مجاهد هي (١٩٣) ظهور الماء الأسود على وجه الأرض (وإلى

(إلا امرأتك كانت من الغابرين إنا منزلون على أهل هذه القرية رجوا) أي عذابا (من السماء) قيل هو الحسف والحصب بالحجارة (بما كانوا يفسقون ولقد تركنا منها) أي من قربات لوط (آية بينة) أي عبرة ظاهرة (لقوم يعقلون) يعني أفلا يتدبرون الآيات تدبر ذوي العقول قال ابن عباس الآية البينة آثار منازلهم الخربة وقيل هي الحجارة التي أهلكوا بها أبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الأمة وقيل هي ظهور الماء الأسود على وجه الأرض . قوله تعالى (وإلى مدين) أي وأرسلنا إلى مدين ؛ ومدين اسم رجل وقيل اسم المدينة ؛ فعلى القول الأول يكون المعنى وأرسلنا إلى ذرية مدين وأولاده ؛ وعلى القول الثاني وأرسلنا إلى أهل مدين (أحاهم شعيبا فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) أي افعلوا فعل من رجوا اليوم الآخر وقيل مغناه اخشوا اليوم الآخر وخافوه (ولانعتوا في الأرض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة وذلك أن جبريل صاح فرجفت الأرض رجفة (فأصبحوا في دارهم جاثمين) أي وأهلكنا عادا وثمود (وقد تبين لكم) يا أهل مكة (من مساكنهم) أي منازلهم بالحجر واليمن (وزين لهم الشيطان أعمالهم) أي عبادتهم لغير الله (فصدهم عن السبيل) أي عن سبيل الحق (وكانوا مستبصرين) أي عقلاء ذوي بصائر وقيل كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون أنهم على هدى وهم على باطل وضلالة والمعنى أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين (وقارون وفرعون وهامان) أي أهلكنا هؤلاء (ولقد جاءهم موسى بالبينات) أي بالدلالات الواضحات (فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين) أي فأتين من عادنا (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم قوم لوط رموا بالحصبا وهي الحصا الصغار (ومنهم من أخذته الصيحة) يعني ثمود (ومنهم من خسفنا به الأرض) يعني قارون وأصحابه (ومنهم من أغرقنا) يعني قوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم) أي بالهلاك (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي بالإشراك . قوله تعالى (مثل الذين اتخاؤا من دون الله أولياء) يعني الأصنام يرجون نصرها وفعها (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها تأوي إليه وإن بيتها في غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حرا ولا بردا فكذلك الأوثان لا يملك لعبدها نفعا ولا ضرا وقيل معنى هذا المثل أن المشرك الذي يعبد الأصنام بالقياس إلى المؤمن الذي يعبد الله مثل العنكبوت تتخذ بيتا من نسجها بالإضافة إلى رجل بني بيتا بأجر وحص

وجه الأرض (وإلى مدين أحاهم شعيبا) أي وأرسلنا إلى مدين أحاهم شعيبا (فقال يا قوم اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر) أي واخشوا اليوم الآخر (ولا تفتوا في الأرض مفسدين فكذبوه فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين وعادا وثمود) أي وأهلكنا عادا وثمود (وقد تبين لكم) يا أهل مكة (من مساكنهم) منازلهم بالحجر واليمن (وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل) عن سبيل الحق (وكانوا مستبصرين) قال مقاتل والكلبي وقتادة كانوا معجبين في دينهم وضلالتهم يحسبون أنهم على هدى وهم على الباطل والمعنى أنهم كانوا عند أنفسهم مستبصرين قال الفراء كانوا عقلاء

(٢٥ - خازن بالبعوى - خامس) ذوي بصائر (وقارون وفرعون وهامان) أي وأهلكنا هؤلاء

(ولقد جاءهم موسى بالبينات) بالدلالات (فاستكبروا في الأرض وما كانوا سابقين) أي فأتين من عادنا (فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا) وهم قوم لوط والحاصب الريح التي تحمل العصا وهي الحصا الصغار (ومنهم من أخذته الصيحة) يعني ثمود (ومنهم من خسفنا به الأرض) يعني قارون وأصحابه (ومنهم من أغرقنا) يعني قوم نوح وفرعون وقومه (وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون . مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء) أي الأصنام يرجون نصرها وفعها (كمثل العنكبوت اتخذت بيتا) لنفسها تأوي إليه ، وإن بيتها في غاية الضعف والوهن لا يدفع عنها حرا ولا بردا

فكذلك الأوثان لا تمكك لعابديها نفعاً ولا ضراً (وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . إن الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم) قرأ أهل البصرة وعاصم يدعون بالياه لذكر الأُمم قبلها وقرأ الآخرون بالناه (وتلك الأمثال) الأشباه والمثل كلام سائر يتضمن تشبيه الآخر بالأول ، يريد أمثال القرآن التي شبه بها أحوال كفار هذه الأمة بأحوال كفار الأمم المتقدمة (نضربها) (١٩٤) نبيها (لناس) قال عطاء ومقاتل لكفار مكة (وما يعقلها إلا

العالمون) أي ما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله . أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه أنا ابن بردة أنا الحارث بن أبي أسامة أنا داود بن الحبير أنا عباد بن كثير عن ابن جريح عن عطاء وأبي الزبير عن جابر (أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية : وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب منتهى (خلق الله السموات والأرض بالحق) أي للحق وإظهار الحق (إن في ذلك لآية) أي دلالة (للمؤمنين) على قدرته وتوحيده . وقوله تعالي (اتل ما أوحى إليك من الكتاب) يعني القرآن (وأقم الصلاة) فإن قلت لم أمر بهذين الشيتين تلاوة الكتاب وإقامة الصلاة فقط . قلت لأن العبادة المختصة بالعبد ثلاثة: قلبية وهي الاعتقاد الحق ولسانية وهي الذكر الحسن وبدنية وهي العمل الصالح لكن الاعتقاد لا يتكرر فإن اعتقد شيئاً لا يمكنه أن يعتقه مرة أخرى بل ذلك يدوم مستمراً فبقى الذكر والعبادة البدنية وهما ممكنا التكرار فلذلك أمر بهما (إن الصلاة تنهى عن الفحشاء) أي ما قبح من الأعمال (والمنكر) أي ما لا يعرف في الشرع . قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومزجر عن معاصي الله فمن لم تأمره صلته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم تزد صلته من الله إلا بعدا . وقال الحسن وقتادة من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر فصلته وبال عليه وقيل من داوم على الصلاة جره ذلك إلى ترك المعاصي والسيئات كما روى عن أنس قال (كان في من الأنصار يصلي الصلوات مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لم يدع من الفواحش شيئاً إلا ركبه فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إن صلته ستهناه يوماً فلم يلبث أن تاب وحسنت حاله) وقيل معنى الآية أنه مادام في صلته فانها تنهاه عن الفحشاء والمنكر ومنه قوله (إن في الصلاة لشغلا) وقيل أراد بالصلاة القرآن وفيه ضعف لتقدم ذكر القرآن وعلى هذا يكون معناه أن القرآن ينهاه عن الفحشاء والمنكر كما روى عن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (إن رجلاً يقرأ القرآن الليل كله فإذا أصبح سرق قال ستهناه

العالمون) أي ما يعقل الأمثال إلا العلماء الذين يعقلون عن الله . أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرني ابن فنجويه أنا ابن بردة أنا الحارث بن أبي أسامة أنا داود بن الحبير أنا عباد بن كثير عن ابن جريح عن عطاء وأبي الزبير عن جابر (أن النبي صلى الله عليه وسلم تلا هذه الآية : وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون) قال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب منتهى . قوله عز وجل (خلق الله السموات والأرض بالحق) أي للحق وإظهار الحق (إن في ذلك) في خلقها (آية) لدلالة (للمؤمنين) على قدرته وتوحيده (اتل ما أوحى إليك من الكتاب) يعني القرآن (وأقم الصلاة) إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (مما قبح من

قراءته

الأعمال والمنكر ما لا يعرف في الشرع . قال ابن مسعود وابن عباس في الصلاة منتهى ومزجر

عن معاصي الله فمن لم تأمره صلته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزد بصلته من الله إلا بعدا . وقال الحسن وقتادة من لم تنه صلته عن الفحشاء والمنكر فصلته وبال عليه وروى عن أنس قال (كان في من الأنصار يصلي الصلوات الخمس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يدع من الفواحش شيئاً إلا ركبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم حاله فقال إن

صلاته نهاه يوما فلم يلبث أن تاب وحسن حاله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ألم أقل لكم إن صلته نهاه يوما
وقال ابن عون معنى الآية إن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء والمنكر مادام فيها؛ وقبل أراد بالصلاة القرآن كما قال تعالى
«ولا تجهر بصلواتك» أي بقراءتك؛ وقبل أراد أن يقرأ القرآن في الصلاة فالقرآن نهاه عن الفحشاء والمنكر. أخبرنا عبد الواحد
المليحي أنا عبد الرحمن بن أبي شريح أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا قيس بن الربيع عن الأعمش عن أبي سفيان
عن جابر قال قال النبي صلى الله عليه وسلم إن رجلا يقرأ القرآن الليل كله فإذا أصبح سرق قال سنهائه قراءته « وفي
رواية « قبل يارسول الله إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال إن صلته لتردعه ». قوله عز وجل (ولذكر الله أكبر) أي
ذكر الله أفضل الطاعات . أخبرنا أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري أنا أبو الحسن علي بن محمد بن بشران ي بغداد
أنا أبو علي الحسين بن صفوان البردعي أنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا أنا هارون بن معروف أنا أبو علي الضرير
أنا أنس بن عياض ثنا عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن زياد بن أبي زياد (١٩٥) مولى عبد الله بن عباس عن

قراءته « وفي رواية أنه قيل يارسول الله إن فلانا يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال إن صلته لتردعه »
وعلى كل حال فإن المراعى للصلاة لا بد وأن يكون أبعد عن الفحشاء والمنكر من لا يراعيها (ولذكر
الله أكبر) أي أنه أفضل الطاعات . عن أبي الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ألا
أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب
والورق وخير لكم من أن تلقوا عداءكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول
الله قال ذكر الله » أخرجه الترمذي وله عن أبي سعيد الخدري قال إن رسول الله صلى الله عليه
وسلم مثل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال إذا كرون الله كثيرا قالوا يارسول
الله والغازي في سبيل الله ؟ فقال لو ضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب
في سبيل الله كما كان إذا كرون الله كثيرا أفضل منه درجة « (م) عن أبي هريرة قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال إذا كرون الله كثيرا
والذاكرات « يروي المفردون بتشديد الراء وتخفيفها والتشديد أتم يقال فرد الرجل بتشديد الراء
إذا تفقه واعتزل الناس وحده مراعي للأمر والنهي وقيل هم المتخلفون عن الناس بذكر الله
لا يخلطون به غيره (خ) عن أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه
وسلم أنه قال « لا يقعد قوم يذكرون الله لإحفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة
وذكروهم الله فيمن عنده » وروي « أن أعرابيا قال يارسول الله أي الأعمال أفضل قال أن تفارق
الدنيا ولسانك رطب بذكر الله » وقال ابن عباس معنى « ولذكر الله أكبر ذكر الله إياكم أفضل
من ذكركم إياه » وروي ذلك مرفوعا عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابن عطاء

أبي غرمة عن أبي الدرداء
رضي الله عنهم قال : قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم « ألا أنبئكم بخير
أعمالكم وأزكاها عند
مليكم وأرفعها في
درجاتكم وخير لكم من
إفناق الذهب والورق
وخير لكم من أن تلقوا
عدوكم فتضربوا أعناقهم
ويضربوا أعناقكم؟ قالوا
بلى قال ذكر الله » أخبرنا
عبد الواحد المليحي أنا
أبو منصور محمد بن سمعان
أنا أبو جعفر محمد بن
أحمد بن عبد الجبار الرياني

أنا حميد بن زنجويه أنا أبو الأسود أنا أبو لهيعة عن دراج عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري « أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة ؟ قال إذا كرون الله كثيرا والذاكرات قيل يارسول الله
والغازي في سبيل الله قال لو ضرب بسيفه في الكفار والمشركين حتى ينكسر ويختضب كما كان إذا كرون الله أفضل منه درجة »
وروي « أن أعرابيا قال يارسول الله أي الأعمال أفضل قال أن تفارق الدنيا ولسانك رطب من ذكر الله » أخبرنا إسماعيل
ابن عبد القاهر الجرجاني أنا عبد الغافر بن محمد الفارسي أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم
ابن الحجاج القشيري أنا أمية بن بسطام العيسى أنا يزيد بن زريع أنا روح بن القاسم عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال
« كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير في طريق مكة فر على جبل يقال له جمندان فقال جبروا هذا جمندان سبق المفردون
قالوا وما المفردون يا رسول الله قال إذا كرون الله كثيرا والذاكرات » أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي
أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا خلاد بن أسلم ثنا النضر بن
شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت الأعرابي قال أشهد على أبي هريرة وأبي سعيد أنهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ولا يقعد قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده : وقال قوم معنى قوله ولذا ذكر الله أكبر أي ذكر الله إياكم أفضل من ذكركم إياه ويروي ذلك عن ابن عباس وهو قول مجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير ويروي ذلك مرفوعاً عن موسى بن عتبة عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال عطاء في قوله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذا ذكر الله أكبر قال ولذا ذكر الله أكبر من أن تبقى معه معصية (والله يعلم ما تصنعون) قال عطاء يريد لا يخفى عليه شيء : قوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب) لا تخاصمهم (إلا بالتي هي أحسن) أي بالقرآن والدعاء إلى الله بآياته والتنبية على حججه ، وأراد من قبل الجزية منهم (إلا الذين ظلموا منهم) أي أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فجادلواهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ومجاز الآية إلا الذين ظلموا لأن جميعهم ظالم بالكفر وقال سعيد بن جبير هم أهل الحرب ومن لا عهد له قال قتادة ومقاتل صارت منسوخة بقوله ، قائلوا الذين لا يؤمنون بالله ، (وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم) يريد إذا أخبركم واحد منهم ممن قبل الجزية بشيء مما في كتبهم فلا تجادلواهم عليموا تصدقوهم ولا تكذبوهم (١٩٦) ووقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم (وإلنا وإلهمك واحلوا نحن له مسلمون)

ولذا ذكر الله أكبر أي لن تبقى معه معصية (والله يعلم ما تصنعون) يعني لا يخفى عليه شيء ممن أمركم قوله عز وجل (ولا تجادلوا أهل الكتاب) أي ولا تخاصمهم (إلا بالتي هي أحسن) أي القرآن والدعاء إلى الله بآياته والتنبية على حججه وأراد بهم من قبل الجزية منهم (إلا الذين ظلموا منهم) يعني أبوا أن يعطوا الجزية ونصبوا الحرب فاجتوهم بالسيف حتى يسلموا أو يعطوا الجزية ومعنى الآية إلا الذين ظلموا لأن جميعهم ظالم بالكفر وقيل هم أهل الحرب ومن لا عهد له وقيل الآية منسوخة بآية السيف (وقولوا) أي للذين قبلوا الجزية إذا حدثوكم بشيء مما في كتبكم (آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلنا وإلهمك واحد ونحن له مسلمون) (خ) عن أبي هريرة قال كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ووقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا الآية . قوله عز وجل (وكذلك) أي كما أنزلنا إليهم الكتاب (أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) يعني مؤمنى أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه (ومن هؤلاء) يعني أهل مكة (من يؤمن به وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) وذلك أن اليهود عرفوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نبي والقرآن حق فجحودوا والجحود إنما يكون بعد المعرفة (وما كنت تتلو) يا محمد (من قبله من كتاب) معناه من كتب أي من قبل ما أنزلنا إليك الكتاب (ولا تحطه بيمينك) يعني ولا تكته والمعنى لم تكن تقرأ ولم تكتب قبل الوحي (إذا لارتاب المبطون) معناه لو كنت تكتب أو تقرأ قبل الوحي إليك لارتاب المشركون من أهل مكة وقالوا إنه يقرؤه من كتب الأولين أو يفسخه منها

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا محمد بن عبد الله بن عيسى أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن يسار أنا عثمان بن عمر أنا علي بن المبارك عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال : كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم ، ووقولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إليكم ، أخبرنا

أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري أنا عبد الصمد بن عبد الرحمن البزار أنا محمد بن زكريا العذافري أنا إسحاق وقيل ابن إبراهيم الدبري أنا عبد الرزاق أنا معمر عن الزهري أنا ابن أبي نمة الأنصاري أن أباه أبا نمة الأنصاري أخبره وأنه بينما هو جالس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء رجل من اليهود ومر بجنازة فقال يا محمد هل تتكلم هذه الجنازة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم ، فقال اليهودي إنها تتكلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم ووقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان كان باطلا لم تصدقوه وإن كان حقا لم تكذبوه ، قوله تعالى (وكذلك) يعني كما أنزلنا إليهم الكتاب (أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به) يعني مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه (ومن هؤلاء) يعني أهل مكة (من يؤمن به) وهم مؤمنو أهل مكة (وما يجحد بآياتنا إلا الكافرون) وذلك أن اليهود وأهل مكة عرفوا أن محمداً نبي والقرآن حق فجحودوا وقال قتادة الجحود إنما يكون بعد المعرفة (وما كنت تتلو) يا محمد (من قبله من كتاب) يعني من قبل ما أنزلنا إليك الكتاب (ولا تحطه بيمينك) يعني ولا تكته ، يعني لم تكن تقرأ ولا تكتب قبل الوحي (إذا لارتاب المبطون) يعني لو كنت تقرأ أو تكتب قبل الوحي لشك المبطون المشركون من أهل مكة وقالوا

إنه يقرؤه من كتب الأولين وينسخه منها قاله فتادة وقال مقاتل المبطلون هم اليهود ومعناه إذا لشكوا فيك واتهموك وقالوا إن الذي نجد نعته في التوراة أسمى لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت (بل هو آيات بينات) قال الحسن يعني القرآن آيات بينات (في صدور الذين أوتوا العلم) يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن وقال ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة بل هو يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لأنهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم (وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه) كما أنزل (١٩٧) على الأنبياء من قبل قرأ ابن كثير

وحمزة والكسائي وأبو

بكر آية على التوحيد وقرأ

الآخرين آيات من ربه :

قوله عز وجل (قل إنما

الآيات عند الله) وهو

القادر على إرسالها إذا شاء

أرسلها (وإنما أنا نذير

مبين) أنذر أهل المعصية

بالتار وليس إنزال الآيات

بيدي (أو لم يكفهم) هذا

جواب لقولهم لولا أنزل

عليه آية من ربه قال أو لم

يكفهم (أنا أنزلنا عليك

الكتاب يتلى عليهم)

يعني أو لم يكفهم من

الآيات القرآن يتلى

عليهم (إن في ذلك)

في إنزال القرآن (لرحمة

وذكرى لقوم يؤمنون)

أي تذكيرا وعظة لمن

آمن وعمل به (قل كفى

بالله بيني وبينكم شهيدا)

أي رسوله وهذا القرآن

كتابه (يعلم ما في السموات

والأرض والذين آمنوا

بالباطل) قال ابن عباس

بغير الله وقال فتادة بعبادة

وقبل المبطلون هم اليهود ومعناه أنهم إذا لشكوا فيه واتهموك وقالوا إن الذي نجد نعته في التوراة لا يقرأ ولا يكتب وليس هذا على ذلك النعت (بل هو آيات بينات) يعني القرآن (في صدور الذين أوتوا العلم) يعني المؤمنين الذين حملوا القرآن وقال ابن عباس يعني محمدا صلى الله عليه وسلم ذو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لأنهم يجدونه بنعته وصفته في كتبهم (وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) يعني اليهود (وقالوا) يعني كفار مكة (لولا أنزل عليه آية من ربه) أي كما أنزل على الأنبياء من قبل وقيل أراد بالآيات معجزات الأنبياء مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك (قل إنما الآيات عند الله) أي هو القادر على إنزالها إن شاء أنزلها (وإنما أنا نذير مبين) أي إنما كلفت الإنذار وليس إنزال الآيات بيدي (أو لم يكفهم أنا أنزلنا) هذا جواب لقولهم لولا أنزل عليه آية من ربه قال أو لم يكفهم أنا أنزلنا (عليك الكتاب يتلى عليهم) معناه أن القرآن معجزة أتم من معجزة من تقدم من الأنبياء لأن معجزة القرآن تدوم على ممر الدهور والزمان ثابتة لا تتضحل كما تزول كل آية بعد كونها (إن في ذلك) يعني القرآن (لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون) أي تذكيرا وعظة لمن آمن به وعمل صالحا (قل كفى بالله بيني وبينكم شهيدا) قال ابن عباس معناه يشهد لي أي رسوله والقرآن كتابه ويشهد عليكم بالتكذيب ، وشهادة الله إثبات المعجزة له بإنزال الكتاب عليه (يعلم ما في السموات والأرض) أي هو المطلع على أمرى وأمركم ويعلم حتى وباطلكم لا تخفى عليه خافية (والذين آمنوا بالباطل) قال ابن عباس بغير الله وقيل بعبادة الشيطان وقيل بما سوى الله لأن ماسوى الله باطل (وكفروا بالله) . فان قلت من آمن بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التأكيد قلت نعم فائدته أنه ذكر الثاني لبيان قبس الأول فهو كفول القائل أتقول الباطل وتترك الحق لبيان أن الباطل قبيح (أولئك هم الخاسرون) أي المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان . قوله عز وجل (يستعجلونك بالعذاب) نزلت في النضر بن الحارث حيث قال فأمطر علينا حجارة من السماء (ولولا أجل مسمى) قال ابن عباس ما وعدتكم أنى لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم إلى يوم القيامة وقيل مدة أعمارهم لأنهم إذا ماتوا صاروا إلى العذاب وقيل يوم بدر (لجاءهم العذاب وليأتينهم) يعني العذاب ، وقيل الأجل (بعثهم وهم لا يشعرون) يأتيانه (يستعجلونك بالعذاب) أعاده تأكيد (وإن جهنم لحيطعة بالكافرين) أي جماعة لهم لا يبقى منهم أحد إلا دخلها (يوم يغشاهم العذاب) أي يصيبهم (من فوقهم ومن تحت أرجلهم

الشيطان) وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون (يستعجلونك بالعذاب) نزلت في النضر بن الحارث حين قال فأمطر علينا حجارة

من السماء (ولولا أجل مسمى) قال ابن عباس ما وعدتكم أنى لا أعذب قومك ولا أستأصلهم وأؤخر عذابهم ، يعني لأنهم إذا

ماتوا صاروا إلى العذاب وقيل يوم بدر (لجاءهم العذاب وليأتينهم) يعني العذاب ، وقيل الأجل (بعثهم وهم لا يشعرون) يأتيانه

(يستعجلونك بالعذاب) أعاده تأكيد (وإن جهنم لحيطعة بالكافرين) جماعة لهم لا يبقى منهم أحد إلا دخلها (يوم يغشاهم)

بصيبهم (العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم) يعني إذا غشيهم العذاب أحاطت بهم جهنم كما قال وهم من جهنم مهاد ومن

فوقهم غواش (ويقول ذوقوا) قرأ نافع وأهل الكوفة ويقولون بالياء أى ويقول لهم الموكل بعد ما ذوقوا وقرأ الآخرون بالنون لأنما كان بامرته نسب إليه (ما كنتم تعملون) أى جزاء ما كنتم تعملون (يا عبادة الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون) قال مقاتل والكلبي نزلت في ضعفاء مسلمي مكة يقول إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة إن أرضى يعنى المدينة واسعة آمنة. قال مجاهد إن أرضى واسعة فهاجروا وجاهدوا فيها وقال سعيد بن جبير إذا عمل في الأرض بالمعاصى فاخرجوا منها فإن أرضى واسعة وقال عطاء إذا أمرتم بالمعاصى فاهربوا فإن أرضى واسعة وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصى ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى حيث يتبها له العبادة وقبل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فأمرهم بترك الخروج وقال مطرف بن عبد الله أرضى واسعة أى رزق لكم واسع (١٩٨) فاخرجوا (كل نفس ذائقة الموت) خوفهم بالموت لتتهون عليهم

ويقول ذوقوا ما كنتم تعملون (أى جزاء ما كنتم تعملون) قوله تعالى (يا عبادة الذين آمنوا إن أرضى واسعة فإياى فاعبدون) قبل نزلت في ضعفاء مسلمي أهل مكة يقول الله تعالى إن كنتم في ضيق بمكة من إظهار الإيمان فاخرجوا منها إلى أرض المدينة فإنها واسعة آمنة، وقبل نزلت في قوم تخلفوا عن الهجرة وقالوا نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فأمرهم بترك الخروج وقبل المعنى فهاجروا فيها أى فجاهدوا فيها. وقال سعيد بن جبير إذا عملوا في الأرض بالمعاصى فاهربوا فإن أرضى واسعة وقيل إذا أمرتم بالمعاصى فاهربوا فإن أرضى واسعة وكذلك يجب على كل من كان في بلد يعمل فيه بالمعاصى ولا يمكنه تغيير ذلك أن يهاجر إلى بلد تتبها له فيها العبادة وقيل معنى إن أرضى واسعة يعنى رزق لكم واسع فاخرجوا (كل نفس ذائقة الموت) يعنى كل أحد ميت خوفهم بالموت لتتهون الهجرة عليهم فلا يقيموا بدار الشرك خوفا من الموت (ثم إنا نرجعون) فنجزىكم بأعمالكم قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لننبوئنهم من الجنة غرفا) أى عللى جمع غرفة وهى العلية (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين) أى الله بطاعته (الذين صبروا) على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم وقبل صبروا على الهجرة ومفارقة الأوطان وعلى أذى المشركين وعلى المحن والمصائب وعلى الطاعات وعن المعاصى (وعلى ربهم يتوكلون) أى يعتمدون على الله فى جميع أمورهم. قوله عز وجل (وكأين من دابة لا تحمل رزقها) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون هاجروا إلى المدينة فقالوا كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فن بطعننا بها ويسقينا فأمر الله: وكأين من دابة لا تحمل رزقها أى لا ترفع رزقها معها لضعتها ولا تلدخ شيتا لعد مثل البهائم والطير (الله يرزقها وإياكم) حيث كنتم (وهو السميع) أى لأقوالكم (العليم) بما فى قلوبكم عن عمر بن الخطاب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لو أنكم تتوكلون على الله

الهجرة: أى كل واحد ميت أبنا كان فلا يقيموا بدار الشرك خوفا من الموت (ثم إنا نرجعون) فنجزىكم بأعمالكم وقرأ أبو بكر رجعون بالياء (والذين آمنوا وعملوا الصالحات لننبوئنهم) قرأ حمزة والسكاني بالياء ساكنة من غير همز فقال ثوى الرجل إذا أقام وأثوبته إذا أنزلته منزلا يقيم فيه وقرأ الآخرون بالياء وفتحها وتشديد الواو وهمزة بعدها أى لننزلهم (من الجنة غرفا) عللى (تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين الذين صبروا) على الشدائد ولم يتركوا دينهم لشدة لحقتهم (وعلى ربهم يتوكلون) يعتمدون

(وكأين من دابة لا تحمل رزقها) وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وقد آذاهم المشركون حتى هاجروا إلى المدينة فقالوا كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فن بطعننا بها ويسقينا فأمر الله: وكأين من دابة ذات حاجة إلى غذاء لا تحمل رزقها أى لا ترفع رزقها معها ولا تلدخ شيتا لعد مثل البهائم والطير (الله يرزقها وإياكم) حيث كنتم (وهو السميع العليم) السميع لأقوالكم لا نجد ما تنفق بالمدينة: العليم بما فى قلوبكم. وقال سفيان عن علي بن الأقر وكأين من دابة لا تحمل رزقها قال لا تلدخ شيتا لعد قال سفيان ليس شيء من خلق الله نجبا إلا الإنسان والفأرة والعملة. أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي أخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد الثقفي أنا عبد الله بن عبد الرحمن الدقاق أنا محمد بن عبد العزيز أنا إسماعيل بن زرارة الرقي أنا أبو العطف الجراح بن منهال عن الزهرى عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر، قال ودخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا من حوائط الأنصار فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلقط الرطب بيده

وياكل فقال كل يا ابن عمر قلت لأشتهيه يا رسول الله قال لكني أشتهيها وهذه صبح رابعة منذ لم أظعم طعاما ولم أجده فقلت
 إنا لله الله المستعان قال يا ابن عمر لو سألت ربي لأعطيني مثل ملك كسرى وقبصر أضعاقا مضاعفة ولكن أجمع يوما وأشبع
 يوما فكيف بك يا ابن عمر إذا عمرت وبقيت في حنالة من الناس يحبون رزق سنة ويضعف اليقين فنزلت هذه الآية : وكان
 من دابة لا تحمل رزقها . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد الحسين بن أحمد المجلدي أنا أبو العباس السراج أنا تقيبة بن
 سعيد أنا جعفر بن سليمان عن ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر شيئا لغدهم وروينا أن النبي صلى الله عليه
 وسلم قال : لو أنكم تتوكلون على الله حتى توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو (١٩٩) خاصا وروح بطانا :

أخبرنا أبو منصور محمد
 ابن عبد الملك المظفرى أنا
 أبو سعيد أحمد بن محمد
 ابن الفضل التقيبه أنا
 أبو نصر بن حمدونة
 المطوعى أنا أبو الموجه
 محمد بن عمرو أنا عبدان
 عن أبي حمزة عن إسماعيل
 هو ابن أبي خالد عن
 رجلين أحدهما زيد الياهم
 عن عبد الله بن مسعود
 عن النبي صلى الله عليه
 وسلم أنه قال : أيها الناس
 ليس من شيء يقربكم
 إلى الجنة ويباعدكم من النار
 إلا وقد أمرتكم به
 وليس شيء يقربكم إلى
 النار ويباعدكم من الجنة
 إلا وقد نهيتكم عنه وإن
 الروح الأمين قد نفث
 في روعي أنه ليس من
 نفس تموت حتى
 تستوفى رزقها فاتقوا

حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خاصا وروح بطانا » أخرجه الترمذى وقال حديث
 حسن ومعناه أنها تذهب أول النهار جياعا ضامرة البطون وروح آخر النهار إلى أوكارها شباعا
 ممتلئة البطون ولا تدخر شيئا قال سفيان بن عيينة ليس شيء من خلق الله يجأ إلا الإنسان
 والقارة والتملة عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : أيها الناس ليس من شيء
 يقاربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلا وقد أمرتكم به وليس شيء يقربكم من النار ويباعدكم
 من الجنة إلا وقد نهيتكم عنه ألا وإن الروح الأمين نفث في روعي : الروح : بضم الراء وبالعين
 المهملة هو القلب والعقل وبفتح الراء هو الخوف قال الله تعالى « فلما ذهب عن إبراهيم الروح »
 أى الخوف أنه ليس من نفس تموت حتى تستوفى رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ولا
 يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله عز وجل فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته
 قوله عز وجل (ولئن سألتهم) يعنى كفار مكة (من خلق السموات والأرض وسخر الشمس
 والقمر) ذكر أمرين أحدهما إشارة إلى اتحاد الذات والثاني إشارة إلى اتحاد الصفات وهى الحركة
 فى الشمس والقمر (ليقولن الله فأنى يؤفكون) قبل معناه أنهم يعتقدون هذا فكيف يصرفون
 عن عبادة الله مع إقرارهم أنه خلق السموات والأرض (الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده)
 لما ذكر الخلق ذكر الرزق لأن كمال الخلق ببقائه وبقاء الخلق بالرزق والله تعالى هو المتفضل
 بالرزق على الخلق فله الفضل والإحسان والطول والامتنان (ويقدر له) أى يضيق عليه إذا
 شاء (إن الله بكل شيء عليم) أى يعلم مقادير الحاجات ومقادير الأرزاق (ولئن سألتهم من
 نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله) ذكر سبب الرزق وموجد السبب
 موجد السبب فالرزق من الله تعالى (قل الحمد لله) أى على أن الفاعل لهذه الأشياء هو الله
 تعالى وقيل قل الحمد لله على إقرارهم ولزوم الحججة عليهم بأنهم خالق لهم (بل أكثرهم لا يعقلون)
 أى أنهم ينكرون التوحيد مع إقرارهم بأنه خالق هذه الأشياء . قوله تعالى (وما هذه الحياة
 الدنيا إلا لهو ولعب) الله هو الاستمتاع بلذة الدنيا وقيل هو الاشتغال بما لا يعنيه وما لا يهيم
 واللعب هو العبث وفى هذا تصغير للدنيا وإزهاؤها ومعنى الآية أن سرعة زوال الدنيا عن

الله وأجملوا فى الطلب ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصي الله فإنه لا يدرك ما عند الله إلا بطاعته » وقال هشيم عن
 إسماعيل بن زيد عن أخبره عن ابن مسعود . قوله تعالى (ولئن سألتهم) يعنى كفار مكة (من خلق السموات والأرض وسخر
 الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون) الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم (ولئن سألتهم
 من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله) ذكر سبب الرزق وموجد السبب موجد السبب فالرزق من الله
 تعالى وقيل قل الحمد لله على إقرارهم ولزوم الحججة عليهم بل أكثرهم لا يعقلون ؛ ينكرون التوحيد مع إقرارهم أنه الخالق
 لهذه الأشياء قوله تعالى (وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب) الله هو الاستمتاع بلذات الدنيا واللعب العبث محبت بهما لأنها

فانية (وإن الدار الآخرة هي الحيوان) أي الحياة الدائمة الباقية والحيوان بمعنى الحياة أي فيها الحياة الدائمة (لو كانوا يعلمون) فناء الدنيا وبقاء الآخرة. قوله تعالى (فإذا ركبوا في الفلك) وخافوا الغرق (دعوا الله مخلصين له الدين) وتركوا الأصنام (فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) هذا إخبار عن عنادهم وأهم عند الشدائد يقرون أن القادر على كشفها هو الله عز وجل وحده فإذا زالت عادوا إلى كفرهم قال عكرمة كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام فإذا اشتدت بهم الرياح ألقوها في البحر وقالوا يارب يارب (ليكفروا بما آتيناهم) هذا لام الأمر ومعناه التهديد. والوعيد كقولهم (اعملوا ما شئتم) أي ليحسدوا نعمة الله في إنجائهم إياهم (وليتمتعوا) (٢٠٠) قرأ حمزة والكسائي ساكنة ألام وقرأ الباقون بكسرهما نسقا على

قوله ليكفروا (فسوف يعلمون) وقيل من كسر اللام جعلها لام كوكذلك في ليكفروا والمعنى لافائدة لهم في الإشراف إلا الكفر والتمتع بما يتمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة (أولم يروا أننا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) يعني العرب يسي بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون (أفبالباطل) بالأصنام والشيطان (يؤمنون وبنعمة الله) بمحمد والإسلام (يكفرون) ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا (أفبالباطل) أي فرغم أن له شريكا فانه منزه عن الشركاء (أو كذب بالحق) أي بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين) معناه أما لهذا الكافر المكذب ماوى في جهنم : قوله عز وجل (والذين جاهدوا فينا) لتهديهم سبلنا) لثبنتهم ماقاتلوا عليه وقيل لزيدتهم هدى وقيل لتوفيتهم لإصابة الطرق المستقيمة وهي التي توصل إلى رضا الله تعالى قال سفيان بن عيينة إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور فإن الله تعالى يقول (والذين جاهدوا فينا لتهديهم سبلنا) وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لتهديهم سبل العلم والعمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فينا بإقامة السنة لتهديهم سبل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لتهديهم سبل ثوابنا (وإن الله لمع الحسنيين) أي بالنصرة والمعونة في دنياهم والمغفرة في عقباهم في الآخرة وثوابهم الجنة والله أعلم .

أهلها وتقبلهم فيها وموتهم عنها كما يلعب الصبيان ساعة ثم ينصرفون (وإن الدار الآخرة هي الحيوان) أي الحياة الدائمة الخالدة التي لا موت فيها (لو كانوا يعلمون) فناء الدنيا وبقاء الآخرة لما آتروا الفاني على الباقي . قوله عز وجل (فإذا ركبوا في الفلك) معناه هم على ما وصفوا به من الشرك والعناد فإذا ركبوا في الفلك (دعوا الله مخلصين له الدين) أي تركوا الأصنام ورجأوا إلى الله تعالى بالدعاء (فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون) أي عادوا إلى ما كانوا عليه من الشرك والعناد وقيل كان أهل الجاهلية إذا ركبوا البحر حملوا الأصنام فإذا اشتد الريح ألقوها في البحر وقالوا يارب يارب (ليكفروا بما آتيناهم) أي ليحسدوا نعمة الله في إجابته إياهم ومعناه التهديد والوعيد (وليتمتعوا) معناه لافائدة لهم في الإشراف إلا التمتع بما يستمتعون به في العاجلة ولا نصيب لهم في الآخرة (فسوف يعلمون) يعني عاقبة أمرهم فقيه تهديد ووعيد . قوله عز وجل (أولم يروا أننا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم) يعني العرب يسي بعضهم بعضا وأهل مكة آمنون (أفبالباطل) يعني الشيطان والأصنام (يؤمنون وبنعمة الله يكفرون) أي بمحمد صلى الله عليه وسلم والإسلام يكفرون (ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا) أي فرغم أن له شريكا فانه منزه عن الشركاء (أو كذب بالحق) أي بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن (لما جاءه أليس في جهنم مثوى للكافرين) معناه أما لهذا الكافر المكذب ماوى في جهنم : قوله عز وجل (والذين جاهدوا فينا) لتهديهم سبلنا) لثبنتهم ماقاتلوا عليه وقيل لزيدتهم هدى وقيل لتوفيتهم لإصابة الطرق المستقيمة وهي التي توصل إلى رضا الله تعالى قال سفيان بن عيينة إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور فإن الله تعالى يقول (والذين جاهدوا فينا لتهديهم سبلنا) وقيل المجاهدة الصبر على الطاعات ومخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لتهديهم سبل العلم والعمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا فينا بإقامة السنة لتهديهم سبل الجنة وقال ابن عباس والذين جاهدوا في طاعتنا لتهديهم سبل ثوابنا (وإن الله لمع الحسنيين) أي بالنصرة والمعونة في دنياهم والمغفرة في عقباهم في الآخرة وثوابهم الجنة والله أعلم .

بمعنى التفرير معناه أما لهذا الكافر المكذب ماوى في جهنم (والذين جاهدوا فينا) الذين جاهدوا المشركين (تفسير نصرة ديننا (لتهديهم سبلنا) لثبنتهم على ماقاتلوا عليه وقيل لزيدتهم هدى كما قال (ويزيد الله الذين اهتدوا هدى) وقيل لتوفيتهم لإصابة الطرق المستقيمة هي التي توصل بها إلى رضا الله عز وجل . قال سفيان بن عيينة إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور والثغور موضع مخالفة في بروج البلدان فإن الله قال (والذين جاهدوا فينا لتهديهم سبلنا) وقيل المجاهدة هي الصبر على الطاعات قال الحسن : أفضل الجهاد مخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لتهديهم سبل العمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في إقامة السنة لتهديهم سبل الجنة وروى عن ابن عباس : والذين جاهدوا في طاعتنا لتهديهم سبل ثوابنا (وإن الله لمع الحسنيين) بالنصر والمعونة في دنياهم وبالثواب والمغفرة في عقباهم .

(سورة الروم مكية وهي ستون آية وقيل تسع وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(ألم غلبت الروم في أدنى الأرض) سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون أنه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم لأن أهل فارس كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا إلى الروم واستعمل عليها رجلا يقال له شهرمان وبعث قيصر جيشا عليهم رجل يدعى بجن فالتقيا بأذرعاء وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمون بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الروم وإنكم إن قاتلتمونا لنظفرون عليكم (٣٠١) فانزل الله تعالى هذه الآيات

فخرج أبو بكر المصديق

إلى الكفار فقال فرحتم

بظهور إخوانكم فلا

تفرحوا فوالله لنظفرون

على فارس على ما أخبرنا

بذلك نبينا فقام إليه أبي

بن خلف الجمحي فقال

كذبت فقال أنت أكذب

ياعدو الله فقال اجعل

بيننا أجلا أناحبك عليه

والمناحية المراهنة على

عشر قلائص مني

وعشر قلائص منك فإن

ظهرت الروم على فارس

غرمت وإن ظهرت فارس

غرمت ففعلوا وجعلوا

الأجل ثلاث سنين فجاء

أبو بكر إلى النبي صلى الله

عليه وسلم فأخبره بذلك

وذلك قبل تحريم القمار

فقال النبي صلى الله عليه

وسلم ما هكذا ذكرت ؟

إنما البضع ما بين الثلاثة

إلى التسع فزايده في الخطر

(تفسير سورة الروم)

مكية وهي ستون آية وثمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفا :

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ألم غلبت الروم في أدنى الأرض) سبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون أنه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون أن تغلب فارس الروم لأن فارسا كانوا مجوسا أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشا إلى الروم واستعمل عليهم رجلا يقال له شهرمان وبعث قيصر رجلا وجيشا وأمر عليهم رجلا يدعى بجن فالتقيا بأذرعاء وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والعجم فغلبت فارس الروم فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم فإنكم إن قاتلتمونا لنظفرون عليكم فانزل الله هذه الآيات فخرج أبو بكر المصديق إلى كفار مكة فقال فرحتم بظهور إخوانكم فلا تفرحوا فوالله لنظفرون الروم على فارس . أخبرنا بذلك نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقام إليه أبي بن خلف الجمحي فقال أنت أكذب ياعدو الله فقال اجعل بيننا أجلا أناحبك عليه والمناحية بالخاء المهملة القمار والمراهنة أي أراهنك على عشر قلائص مني وعشر قلائص منك فإذا ظهرت فارس على الروم غرمت وإذا ظهرت الروم على فارس غرمت ففعلوا وجعلوا الأجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك قبل تحريم القمار فقال النبي صلى الله عليه وسلم ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاثة إلى التسع فزايده في الخطر

(٣٦ - خازن بالبعوى - خامس) وماده في الأجل فخرج أبو بكر ولقي أبا فقال لعلك ندمت قال لا فقال لا فتعال أزيدك

في الخطر وأمدك في الأجل فاجعلها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين وقيل إلى سبع سنين قال قد فأت فلما حشى أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه فلزمه وقال إني أخاف أن تخرج من مكة ، فأقم لي كفيلا فكفل له ابنه عبد الله بن أبي بكر فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه فقال لا والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلا فأعطاه كفيلا ثم خرج إلى أحد ثم رجع إلى أبي بن خلف فأت بمكة من جراحته التي جرحة رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين من مناجبتهم وقيل كان يوم بدر قال الشعبي لم تمض تلك المدة التي عقدوا المناحية بين أهل مكة وفيها صاحب قارهم أبي بن خلف والمسلمون وصاحب قارهم أبو بكر وذلك قبل تحريم القمار حتى غلبت الروم فارس وربطوا خيولهم بالمدائن وبنوا الرومية فقمير أبو بكر أبا وأخذ مال الخطر من وراثته فجاء به

الحدبية ففرح ومن معه فذلك قوله عز وجل «لم تغلبت الروم في أدنى الأرض» أي أقرب أرض الشام إلى أرض فارس، قال
عكرمة هي أذربايجان وكسركر، وقال مجاهد أرض الجزيرة وقال مقاتل الأردن وفلسطين (وهم من بعد غلبهم) أي الروم من بعد
غلبة فارس إياهم والغلبة لغتان (سيغلبون) فارس (في بضع سنين) والبضع مابين الثلاث إلى السبع وقيل مابين الثلاث
إلى التسع وقيل مادون العشرة وقرأ عبد الله بن عمر وأبو سعيد الخدري والحسن وعيسى بن عمر غلبت بفتح الغين واللام سيغلبون
بضم الباء وبفتح اللام وقالوا نزلت حين أخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن غلبة الروم فارس ومعنى الآية «لم تغلبت الروم فارس
في أدنى الأرض إليكم وهم من بعد غلبهم سيغلبهم المسلمون في بضع سنين» (٢٠٣) وعند انقضاء هذه المدة أخذ
المسلمون في جهاد الروم؛

لها قبة فيها ديباج فدخلها ومع كل واحد سكين ودعوا برجمان يترجم بينهما فقال شهرمان
إن الذي خرب بلادك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا وإن كسرى حسدنا وأراد أن يقتل أخي فأبیت
عليه ثم أمر أخي بقتلي فأبى عليه وقد خلعتاه جميعا ونحن نقائله معك فقال قد أصبنا وأشار
أحدهما إلى صاحبه أن السر بين اثنين فإذا جاوزهما فشاقتلا الرجمان معا بسكينهما فأدبیت
الروم على فارس عند ذلك وغلبوهم وقتلوهم ومات كسرى وجاء الخبر إلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم يوم الحدبية ففرح ومن كان معه من المسلمين بذلك فذلك قوله عز وجل «لم تغلبت
الروم في أدنى الأرض» يعني أقرب أرض الشام إلى فارس وقيل هي أذربايجان وقيل الأردن وقيل
الجزيرة (وهم من بعد غلبهم) أي فارس (سيغلبون) أي الروم لفارس (في بضع سنين)
البضع مابين الثلاثة إلى السبع وقيل إلى التسع وقيل مادون العشرة (لأنهم من قبل ومن بعد)
أي من قبل دولة الروم على فارس ومن بعدها فن غلب فهو بأمر الله تعالى وقضائه وقدره
(ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله) أي الروم على فارس وقيل فرح النبي صلى الله عليه وسلم
والمؤمنون بظهورهم على المشركين يوم بدر وفرحوا بظهور أهل الكتاب على أهل الشرك
(ينصر من يشاء) أي بيده النصر ينصر من يشاء (وهو العزيز) الغالب (الرحيم) أي بالمؤمنين
قوله تعالى (وعد الله) أي وعد الله وعدا بظهور الروم على فارس (لا يخلف الله وعده ولكن
أكثر الناس لا يعلمون) أي أن الله لا يخلف وعده؛ ثم قال تعالى (يعلمون ظاهرا من الحياة
الدنيا) يعني أمر معاشهم كيف يكسبون ويتجرون ومتى يفرسون ويزرعون ويحصلون وقال
الحسن إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه لا يخطيء وهو لا يحسن بصله وقيل
لا يعلمون الدنيا بحقيقتها إنما يعلمون ظاهرها وهو ملاذها وملاعها ولا يعلمون باطنها وهو
مضارها ومتاعها وقيل يعلمون وجودها الظاهر ولا يعلمون فناءها (وهم عن الآخرة هم
غافلون) أي ساهون عنها لا يتفكرون فيها ولا يعلمون بها. قوله عز وجل (أولم يتفكروا
في أنفسهم ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) يعني لإقامة الحق (وأجل مسمى)
أي لوقت معلوم إذا انتهت إليه فنيته وهو يوم القيامة (وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم
لكافرون أولم يسئروا في الأرض) أي يسافروا فيها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم)
أي ينظروا إلى مصارع الأمم قبلهم فيعتبروا (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض) أي حرثوها

الناس لا يعلمون. يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا) يعني أمر معاشهم كيف يكسبون ويتجرون ومتى يفرسون ويزرعون
ويحصلون وكيف ينون ويعيشون وقال الحسن إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه ولا يخطيء وهو
لا يحسن أن يصل (وهم عن الآخرة هم غافلون) ساهون عنها جاهلون لا يتفكرون فيها ولا يعلمون لها (أولم يتفكروا في أنفسهم
ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق) أي للحق وقيل لإقامة الحق (وأجل مسمى) أي لوقت معلوم إذا انتهت
إليه فنيته وهو يوم القيامة (وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم لكافرون أولم يسئروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم)
أولم يسافروا في الأرض فينظروا إلى مصارع الأمم قبلهم فيعتبروا (كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض) حرثوها

وقلبوها للزراعة (وعمرها أكثر مما يمررها) أي أكثر مما عمرها أهل مكة قيل قال ذلك لأنه لم يكن لأهل مكة حرث (وجاءتهم رسلهم بالبينات) فلم يؤمنوا فأهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) بتقص حقوقهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) يبخس حقوقهم (ثم كان عاقبة الذين أساءوا) أي أساءوا العمل (السوأى) يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل سوء اسم لجهنم كما أن الحسنى اسم للجنة (أن كذبوا) أي لأن كذبوا وقيل تفسير سوء ما بعده وهو قوله أن كذبوا ، يعني ثم كان عاقبة المسيئين التكذيب حملتهم تلك السيئات على أن كذبوا (بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) قرأ أهل الحجاز والبصرة عاقبة بالرفع أي ثم كان آخر أمرهم سوء وقرأ الآخرون (٢٠٤) بالنصب على خبر كان وتقديره ثم كان سوء عاقبة الذين أساءوا. قوله

وقلبوها للزراعة (وعمرها) يعني الأمم الخالية (أكثر مما عمرها) يعني أهل مكة (وجاءتهم رسلهم بالبينات) أي فلم يؤمنوا فأهلكهم الله (فما كان الله ليظلمهم) أي بتقص حقوقهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) أي يبخس حقوقهم (ثم كان عاقبة الذين أساءوا) أي أساءوا العمل فاستحقوا (السوأى) يعني الخلة التي تسوءهم وهي النار وقيل سوء اسم لجهنم ، ومعنى الآية أن عاقبة الذين عملوا سوء النار (أن كذبوا) أي لأنهم كذبوا وقيل معنى الآية ثم كان عاقبة المسيئين أن حملتهم تلك السيئات على أن كذبوا (بآيات الله وكانوا بها يستهزئون) قوله تعالى (الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أي خلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياء (ثم إليه يرجعون) أي فيجزئهم بأعمالهم ؛ قرأ أبو عمرو وأبو بكر يرجعون بالياء والآخرون بالناء (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) قال قتادة والكلبي يئأس المشركون من كل خير وقال الفراء ينقطع كلامهم وحجتهم وقال مجاهد يفتضحون (ولم يكن لهم من شركائهم التي عبدوها (شفعاء) أي يشفعون لهم (وكانوا بشركائهم كافرين) أي جاحدين متبرئين يتبرعون منها وتبرأ منهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يفرقون) أي يتميز أهل الجنة من أهل النار وقيل يفرقون بعد الحساب أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار فلا يجتمعون أبدا فهو قوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) أي في جنة وقيل الروضة البستان الذي هو في غاية النضارة (يجبرون) قال ابن عباس يكرمون وقيل يتنعمون ويسرون والخبرة السرور وقيل في معنى يجبرون هو السماع قال الأوزاعي ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من إسرافيل فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلواتهم وتسيبهم وقال إذا أخذ في السماع فلا يبقى في الجنة شجرة إلا وردته، وسأل أبا هريرة رجل هل لأهل الجنة من سماع فقال نعم شجرة أصلها من ذهب وأغصانها من فضة وثمارها المؤلؤ والزرجد والياقوت يبعث الله ريحا فيجاوب بعضها بعضا فما يسمع أحد أحسن منه (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أي البعث يوم القيامة (فأولئك في العذاب محضرون). قوله تعالى (فسبحان الله) أي فسبحوا الله ومعناه صلوا لله (حين تمسون) أي تدخلون في المساء وهي صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) أي تدخلون في الصباح وهي صلاة الصبح (وله الحمد في السموات

تعالى) الله يبدأ الخلق ثم يعيده) أي يخلقهم ابتداء ثم يعيدهم بعد الموت أحياء ولم يقل يعيدهم رده إلى الخلق (ثم إليه يرجعون) فيجزئهم بأعمالهم ؛ قرأ أبو عمرو وأبو بكر يرجعون بالياء والآخرون بالناء (ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون) قال قتادة والكلبي يئأس المشركون من كل خير وقال الفراء ينقطع كلامهم وحجتهم وقال مجاهد يفتضحون (ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء وكانوا بشركائهم كافرين) جاحدين متبرئين يتبرعون منها وتبرأ منهم (ويوم تقوم الساعة يومئذ يفرقون) أي يتميز أهل الجنة من أهل النار وقال مقاتل يفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار

(والأرض)

(فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة) وهي

البستان الذي في غاية النضارة (يجبرون) قال ابن عباس يكرمون وقال مجاهد يتنعمون وقال أبو عبيدة يسرون والخبرة السرور وقيل الخبرة في اللغة كل نعمة خسة والتجبر التحسين وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير يجبرون هو السماع في الجنة وقال الأوزاعي إذا أخذ في السماع لم يبقى في الجنة شجرة إلا وردت وقال ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من إسرافيل فإذا أخذ في السماع قطع على أهل سبع سموات صلواتهم وتسيبهم (وأما الذين كفروا وكذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة) أي البعث يوم القيامة (فأولئك في العذاب محضرون) قوله تعالى (فسبحان الله) أي سبحوا الله ومعناه صلوا لله (حين تمسون) أي تدخلون في المساء وهو صلاة المغرب والعشاء (وحين تصبحون) أي تدخلون في الصباح وهو صلاة الصبح (وله الحمد في السموات

والأرض) قال ابن عباس يحمده أهل السموات والأرض ويصلون له (وعشيا) أى صلوا لله عشيا يعنى صلاة العصر (وحيث تظهرون) تدخلون في الظهيرة وهو الظهر قال نافع بن الأزرق لابن عباس هل تجد صلاة الخمس في القرآن قال نعم ، وقرأ هاتين الآيتين وقال جمعت الآية صلاة الخمس ومواقيتها . أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مضعب عن مالك عن سمي مولى أبي بكر بن عبد الرحمن عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من قال سبحان الله وبحمده في أول النهار وآخره مائة مرة حطت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر» أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي أنا أبو ظاهر محمد بن محمد بن محمش الزياتي (٢٠٥) أنا أبو بكر محمد بن عمر بن

والأرض) قال ابن عباس يحمده أهل السموات والأرض ويصلون له (وعشيا) أى وصلوا لله عشيا يعنى صلاة العصر (وحيث تظهرون) أى تدخلون في الظهيرة وهى صلاة الظهر . قال نافع ابن الأزرق لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القرآن؟ قال نعم وقرأ هاتين الآيتين وقال جمعنا الصلوات الخمس ومواقيتها . واعلم أنه إنما خص هذه الأوقات بالتسبيح لأن أفضل الأعمال أدومها والإنسان لا يقدر أن يصرف جميع أوقاته إلى التسبيح لأنه محتاج إلى ما يعيشه من مأكول ومشروب وغير ذلك فحذف الله عنه العبادة في غالب الأوقات وأمره بها في أول النهار ووسطه وآخره وفي أول الليل وآخره فإذا صلى العبد ركعتي الفجر فكأنما سبح قدر ساعتين وكذلك باقي الركعات وهى سبع عشرة ركعة مع ركعتي الفجر فإذا صلى الإنسان الصلوات الخمس في أوقاتها فكأنما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بنى عليه سبع ساعات في جميع الليل والنهار وهى مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع أوقاته في التسبيح والعبادة .

(فصل في فضل التسبيح)

عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «من قال سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة مرة حطت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر» وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد عليه» أخرجهما الترمذي وقال فيهما حسن صحيح (ق) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» وهذا الحديث أخرجه في صحيح البخاري (م) عن جويرية بنت الحارث زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضى الله عنها وأن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وهى في مسجدتها فرجع بعد ما تعالى النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد؟ قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرار لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاه نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته» (م) عن سعد بن أبي وقاص قال كنا عند رسول الله صلى الله عليه

حفص التاجر ثنا السرى ابن خزيمة البيرودى ثنا المعلى ابن أسعد أنا عبد العزيز بن المختار عن سهيل عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال أو زاد» أخبرنا عبد الواحد ابن أحمد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا قتيبة بن سعيد أنا محمد بن فضيل أنا عمارة بن القعقاع عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان إلى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرباني أنا خيد بن زنجويه أنا علي بن المديني أنا ابن عيينة عن محمد بن عبد الرحمن مولى آل طلحة قال سمعت كريبا أبا رشدين يحدث عن ابن عباس عن جويرية بنت الحارث بن أبي ضاراه أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج ذات غداة من عندها وكان اسمها برة فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمها جويرية وكره أن يقال خرج من عندها فخرج وهى في مشجدها ورجع بعد ما تعالى النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضاه نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته» قوله تعالى

(يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون) قرأ حمزة والكسائي تخرجون بفتح التاء وضم الراء وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الراء (ومن آياته أن خلقكم من تراب) أي خلق أصلكم يعني آدم من تراب (ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) تنبسطون (٢٠٦) في الأرض (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) قيل من جنسكم

وسلم فقال: أيعجز أحدكم أن يكتب كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه قال كيف يكتب ألف حسنة قال يسبح الله مائة تسبيحة فيكتب له ألف حسنة ويحط عنه ألف خطيئة. وفي رواية غير مسلم ويحط عنه أربعين ألفاً قوله تعالى (يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي) أي يخرج النطفة من الحيوان ويخرج الحيوان من النطفة وقيل يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة وقيل يخرج المؤمن من الكافر ويخرج الكافر من المؤمن (ويحيي الأرض بعد موتها) أي بالمطر وإخراج النبات منها (وكذلك تخرجون) أي مثل إخراج النبات من الأرض تخرجون من القبور للبعث والحساب (ومن آياته أن خلقكم من تراب) أي خلق أصلكم وهو آدم من تراب (ثم إذا أنتم بشر تنتشرون) أي تنبسطون في الأرض (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا) أي جنسكم من بني آدم وقيل خلق حواء من ضلع آدم (لتسكنوا إليها) أي لتقبلوا للأزواج وتألفوهن (وجعل بينكم مودة ورحمة) أي جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان من غير سابقه معرفة ولا قرابة ولا سبب يوجب التعاطف وما شيء أحب إلي أحدهما من الآخر من غير ترأحم بينهما إلا الزوجان (إن في ذلك لآيات لقوم يفكرون) أي في عظمة الله وقدرته (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم) أي اختلاف اللغات العربية والعجمية وغيرهما وقيل أراد أجناس النطق وأشكاله خالف بينهما حتى لا تكاد تسمع منطقتين متفقين حتى لو تكلم جماعة من وراء حائط يعرف كل منهم بنطقه ونغمته لا يشبه صوت أحد صوت الآخر (وألوانكم) أي أسود وأبيض وأشقر وأسمر وغير ذلك من اختلاف الألوان وأنتم بنو رجل واحد ومن أصل واحد وهو آدم عليه السلام والحكمة في اختلاف الأشكال والأصوات للتعارف أي ليعرف كل واحد بشكله وحليته وصوته وصورته فلو اتفقت الأصوات والصور وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة وليعرف صاحب الخلق من غيره والعدو من الصديق والقريب من البعيد فسبحان من خلق الخلق على ما أراد وكيف أراد وفي ذلك دليل على سعة القدرة وكمال العظمة (إن في ذلك لآيات للعالمين) أي لعموم العلم فيهم (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) أي منامكم الليل للراحة وابتغاؤكم من فضله وهو طلب أسباب المعيشة بالنهار (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) أي سماع تدبر واعتبار (ومن آياته يرБК البرق خوفا) أي للمسافر ليستعد للمطر (وطمعا) أي للمقيم ليستعد المحتاج إليه من أجل الزرع ونسوية طرق المصانع (وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) أي قدرة الله وأنه القادر عليه (ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره) قال ابن عباس وابن مسعود قامتا على غير عمد وقيل يدوم قيامهما بأمره (ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض) قال ابن عباس من القبور (إذا أنتم تخرجون) أي منها وقيل معنى الآية ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون من الأرض

من بني آدم وقيل خلق حواء من ضلع آدم (لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة) جعل بين الزوجين المودة والرحمة فهما يتوادان ويتراحمان وما شيء أحب إلي أحدهما من الآخر من غير رحم بينهما (إن في ذلك لآيات لقوم يفكرون) في عظمة الله وقدرته (ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم) يعني اختلاف اللغات من العربية والعجمية وغيرهما (وألوانكم) أبيض وأسود وأسمر وأنتم ولد رجل واحد وامرأة واحدة (إن في ذلك لآيات للعالمين) قرأ حفص للعالمين بكسر اللام (ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فضله) أي منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار أي تصرفكم في طلب المعيشة (إن في ذلك لآيات لقوم يسمعون) سماع تدبر واعتبار (ومن آياته

وله

يربك البرق خوفا) للمسافر من الصواعق (وطمعا) للمقيم في المطر

(وينزل من السماء ماء فيحيي به) يعني بالمطر (الأرض بعد موتها) أي بعد يبسها وجذوبتها (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون) ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره (قال ابن مسعود قامتا على غير عمد بأمره وقيل يدوم قيامهما بأمره) ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض (قال ابن عباس من التقييد) (إذا أنتم تخرجون) منها وأكثر العلماء على أن معنى الآية ثم إذا دعاكم دعوة إذا

أنتم تخرجون من الأرض (وله من في السموات والأرض كل له قانتون) مطيعون قال الكلبي هذا خاص لمن كان منهم مطيعا عن ابن عباس كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العباداة (وهو الذي يبدؤ الخلق ثم يعيده) يخلقهم أولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث (وهو أهون عليه) قال الربيع بن خيثم وفتادة والكلبي أي هو هين عليه وما شئ عليه يعزير وهو رواية العوفي عن ابن عباس وقد يحىء أفعال بمعنى الفاعل كقول الفرزدق ١

إن الذي سملك السماء بنى لنا بيتا دعائمه أعر وأطول

أي عزيزة طويلة وقال مجاهد وعكرمة وهو أهون عليه أي أيسر؛ ووجهه أنه على طريق ضرب المثل أي هو أهون عليه على ما يقع في عقولكم فإن الذي يقع في عقول الناس أن الإعادة تكون (٢٠٧) أهون من الإنشاء أي الابتداء

وقيل هو أهون عليه عندكم وقيل وهو أهون عليه أي على الخلق يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطقا ثم علقا ثم مضغا إلي أن بصيروا رجالا ونساء وهذا معنى رواية ابن حبان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس (وله المثل الأعلى) أي الصفة العليا (في السموات والأرض) قال ابن عباس هي أنه ليس كذلك شئ وقال فتادة هي أنه لا إله إلا هو (وهو العزيز) في ملكه (الحكيم) في خلقه (ضرب لكم مثلا من أنفسكم) أي بين لكم شها بحالكم وذلك المثل من أنفسكم ثم بين المثل فقال (هل

(وله من في السموات والأرض كل له قانتون) مطيعون قال ابن عباس كل له مطيعون في الحياة والبقاء والموت والبعث وإن عصوا في العباداة (وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده) أي يخلقهم أولا ثم يعيدهم بعد الموت للبعث (وهو أهون عليه) أي هو هين عليه وما من شئ عليه يعزير وقيل معناه وهو أيسر عليه فإن الذي يقع في عقول الناس أن الإعادة تكون أهون من الإنشاء وقيل هو أهون على الخلق وذلك لأنهم يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم من أن يكونوا نطقا ثم علقا ثم مضغا إلي أن بصيروا نساء وهو رواية عن ابن عباس (وله المثل الأعلى) أي الصفة العليا قال ابن عباس ليس كذلك شئ عليه وقيل هو الذي لا إله إلا هو (في السموات والأرض وهو العزيز) أي في ملكه (الحكيم) أي في خلقه. قوله عز وجل (ضرب لكم مثلا) أي بين لكم شها بحالكم ذلك المثل (من أنفسكم) ثم بين المثل فقال تعالي (هل لكم من مملكت أيمانكم) أي عبيدكم وإمائكم (من شركاء فيما رزقناكم) أي من المال (فأنتم فيه سواء) يعني هل يشارككم عبيدكم في أموالكم التي أعطيناكم (تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أي تخافون أن يشاركوك في أموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر من شريكه الحر في المال يكون بينهما أن ينفرد فيه بأمره دون شريكه وتخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يجب أن ينفرد به وقال ابن عباس تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا فإذا لم تخافوا هذا من مماليتكم ولا ترضوه لأنفسكم فكيف ترضون أن تكون آهتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي (كذلك فصل الآيات) أي الدلالات والبراهين والأمثال (لقوم يعقلون) أي ينظرون في هذه الدلائل والأمثال بعقولهم (بل اتبع الذين ظلموا) يعني أشركوا بالله (أهواءهم) أي في الشرك (بغير علم) جهلا بما يجب عليهم (فمن يهدي من أضل الله) أي عن طريق الهدى (وما لهم من ناصرين) أي مانعين بمنعونهم عن عذاب الله. قوله تعالي (فأقم وجهك للدين) يعني أخلص دينك لله وقيل سدد عملك والوجه ما يتوجه إلى الله

لكم من مملكت أيمانكم) أي عبيدكم وإمائكم (من شركاء فيما رزقناكم) من المال (فأنتم) وهم (فيه سواء) أي شرع أي هل يشارككم عبيدكم في أموالكم التي أعطيناكم (تخافونهم كخيفتكم أنفسكم) أي تخافون أن يشاركوك في أموالكم ويقاسموكم كما يخاف الحر شريكه الحر في المال يكون بينهما أن ينفرد فيه بأمره دونه وكما يخاف الرجل شريكه في الميراث وهو يجب أن ينفرد به؛ قال ابن عباس تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا فإذا لم تخافوا هذا من مماليتكم ولم ترضوا ذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آهتكم التي تعبدونها شركائي وهم عبيدي ومعنى قوله أنفسكم أي أمثالكم من الأحرار كقوله ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا أي بأمثالهم (كذلك فصل الآيات لقوم يعقلون) ينظرون إلى هذه الدلائل بعقولهم (بل اتبع الذين ظلموا) أشركوا بالله (أهواءهم) في الشرك (بغير علم) جهلا بما يجب عليهم (فمن يهدي من أضل الله) أي أضله الله (وما لهم من ناصرين) مانعين بمنعونهم من عذاب الله عز وجل. قوله تعالي (فأقم وجهك للدين) أي أخلص دينك لله قاله سعيد

حجيز وإقامة الوجه إقامة الدين وقال غيره سدد عملك والوجه ما يتوجه إليه الإنسان ، ودينه وعمله مما يتوجه إليه لتسديده (حنيفا) مائلا إليه مستقبيا عليه (فطرة الله) دين الله وهو نصب على الإغراء أى الزم فطرة الله (أى فطر الناس عليها) أى خلق الناس عليها وهذا قول ابن عباس وجماعة من المفسرين أن المراد بالفطرة الدين وهو الإسلام وذهب قوم إلى أن الآية خاصة في المؤمنين وهم الذين فطرهم الله على الإسلام. أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي ، أنا أبو طاهر محمد بن محمد بن الزيادى أنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان أنا أحمد بن يوسف السلمى أنا عبد الرزاق أنا معمر بن همام بن منبه قال ثنا أبو هريرة قال: قال رسول الله (٢٠٨) صلى الله عليه وسلم « من يولد يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه

أو مجسانه كما تنتج البهيمة هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها قالوا يارسول الله أفرايت من يموت وهو صغير قال الله أعلم بما كانوا عاملين ورواه الزهري عن سعيد ابن المسيب عن أبي هريرة من غير ذكر من يموت وهو صغير وزاد ثم يقول أير هريرة أقرعوا إن شئتم فطرة الله التى فطر الناس عليها قوله « من يولد يولد على الفطرة يعنى على العهد الذى أخذ الله عليهم بقوله « ألت بربكم قالوا بلى » وكل مولود فى العالم على ذلك الإقرار وهو الخنيفة التى وقعت الخلقه عليها وإن عبد سألتم من خلقهم من الأرض ليقولن الله ولكن لا اعتبار بالإيمان الفطرى فى أحكام الدنيا وإنما يعتبر الإيمان الشرعى المأمور به المكتسب بالإرادة والفعل ألا ترى إلى قوله « فأبواه يهودانه أو ينصرانه فهو مع وجود الإيمان الفطرى فإنه محكوم له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر « يقول الله عز وجل إنى خلقت عبادة حنفاء فاجتالتم الشياطين عن دينهم » وحكى عن عبد الله بن المبارك أنه قال معنى الحديث أن كل مولود يولد على فطرته أى خلقته التى خلقه الله عليها فى علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر فى العاقبة إلى ما فطر عليه وعامل فى الدنيا بالعمل المشا كل لها فن أمارات الشقاوة للطفل أن يولد بين يهوديين أو نصرانيين فيحملته على اعتقاد دينهما وقيل معناه أن كل مولود فى مبدأ الخلقه على الفطرة أى على الجيلة السليمة والطبع المتهى لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لأن هذا الدين موجود حسنه فى العقول السليمة وإنما يعدل عنه من عدل إلى غيره لأنه من آفات التقليد ونحوه فمن سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره ثم تمثل لأولاد اليهود والنصارى واتباعهم لآبائهم والميل إلى أديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة بقوله « كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء أى كما تلد البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شئ » وقوله « هل تحسون فيها

تعالى به الإنسان ودينه وعمله مما يتوجه إليه لبيدده قوله تعالى (حنيفا) أى مائلا إليه مستقبيا عليه (فطرة الله) أى دين الله والمعنى الزموا فطرة (الله التى فطر الناس عليها) قال ابن عباس خلق الناس عليها والمراد بالفطرة الدين وهو الإسلام (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « مامن مولود إلا يولد على الفطرة ثم قال أقرعوا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم » زاد البخارى « فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو مجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء » ثم يقول أبو هريرة أقرعوا فطرة الله الأيقوضا فى رواية « قالوا يارسول الله أفرايت من يموت صغيرا قال الله أعلم بما كانوا عاملين » وقوله « مامن مولود يولد إلا على الفطرة يعنى على العهد الذى أخذ الله عليهم بقوله « ألت بربكم قالوا بلى » فكل مولود فى العالم على ذلك الإقرار وهى الخنيفة التى وضعت الخلقه عليها وإن عبد غير الله قال الله تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله ولكن لا اعتبار بالإيمان الفطرى فى أحكام الدنيا وإنما يعتبر الإيمان الشرعى المأمور به المكتسب بالإرادة والفعل ألا ترى إلى قوله « فأبواه يهودانه أو ينصرانه فهو مع وجود الإيمان الفطرى فإنه محكوم له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى قول النبي صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر « يقول الله عز وجل إنى خلقت عبادة حنفاء فاجتالتم الشياطين عن دينهم » وحكى عن عبد الله بن المبارك أنه قال معنى الحديث أن كل مولود يولد على فطرته أى خلقته التى خلقه الله عليها فى علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر فى العاقبة إلى ما فطر عليه وعامل فى الدنيا بالعمل المشا كل لها فن أمارات الشقاوة للطفل أن يولد بين يهوديين أو نصرانيين فيحملته على اعتقاد دينهما وقيل معناه أن كل مولود فى مبدأ الخلقه على الفطرة أى على الجيلة السليمة والطبع المتهى لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لأن هذا الدين موجود حسنه فى العقول السليمة وإنما يعدل عنه من عدل إلى غيره لأنه من آفات التقليد ونحوه فمن سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره ثم تمثل لأولاد اليهود والنصارى واتباعهم لآبائهم والميل إلى أديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة بقوله « كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء أى كما تلد البهيمة بهيمة مستوية لم يذهب من بدنها شئ » وقوله « هل تحسون فيها

ليقولن الله » وقالوا « ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » ولكن لا عبرة بالإيمان الفطرى فى أحكام الدنيا وإنما يعتبر الإيمان الشرعى المأمور به المكتسب بالإرادة والفعل ألا ترى أنه يقول « فأبواه يهودانه فهو مع وجود الإيمان الفطرى فيه محكوم له بحكم أبويه الكافرين وهذا معنى قوله صلى الله عليه وسلم « يقول الله تعالى إنى خلقت عبادة حنفاء فاجتالتم الشياطين عن دينهم » ويحكى هذا عن الأوزاعى وخادم بن سلمة وحكى عن عبد الله بن المبارك أنه قال معنى الحديث أن كل مولود يولد على فطرته أى على خلقته التى جبل عليها فى علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صائر فى العاقبة إلى ما فطر عليها وعامل فى الدنيا بالعمل المشا كل لها فن أمارات الشقاوة للطفل أن يولد بين يهوديين أو نصرانيين فيحملته لشقائه على اعتقاد دينهما وقيل معناه أن كل مولود يولد فى مبدأ الخلقه على الفطرة أى على الجيلة

السليمة والطبع المنهين لقبول الدين فلو ترك عليها لاستمر على لزومها لأن هذا الدين موجود حسنه في العقول وإنما يعدل عنه من يعدل إلى غيره لآفة من آفات النشوء والتقليد فلو سلم من تلك الآفات لم يعتقد غيره ثم يتمثل بأولاد اليهود والنصارى وأتباعهم لأبائهم والميل إلى أديانهم فيزلون بذلك عن الفطرة السليمة والحجة المستقيمة . ذكر أبو سليمان الخطابي هذه المعاني في كتابه . قوله (لا تبديل لخلق الله) فمن حمل الفطرة على الدين قال معناه لا تبديل لدين الله وهو خبر بمعنى النهي أي لا تبدلوا دين الله قال مجاهد وإبراهيم معنى الآية الزموا فطرة الله أي دين الله واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك (ذلك الدين القيم) المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وقيل لا تبديل لخلق الله أي ما جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاوة لا يبدل فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا وقال عكرمة ومجاهد معناه (٢٠٩) تحريم إحصاء البهائم (منيبين إليه) أي فاقم وجهك أنت

من جدعاء يعني هل تشعرون أو تعلمون فيها من جدعاء موهى المقطوعة الأذن والأنف . قوله عز وجل (لا تبديل لخلق الله) أي لا تبدلوا دين الله وقيل معنى الآية الزموا فطرة الله ولا تبدلوا التوحيد بالشرك وقيل معنى لا تبديل لخلق الله هو ما جبل عليه الإنسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعيد شقيا ولا الشقي سعيدا وقيل الآية في تحريم إحصاء البهائم (ذلك الدين القيم) أي المستقيم (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) قوله عز وجل (منيبين إليه) أي فاقم وجهك أنت وأمتك منيبين إليه لأن خطاب النبي صلى الله عليه وسلم يدخل فيه الأمة والمعنى راجع إلى الله تعالى بالتوبة مقبلين إليه بالطاعة (واقوه) أي ومع ذلك خافوه (واقبموا الصلاة) أي داوموا على أدائها في أوقاتها (ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا) أي صاروا فرقا مختلفة وهم اليهود والنصارى وقيل هم أهل البدع من هذه الأمة (كل حزب بما لديهم فرحون) أي راضون بما عندهم . قوله تعالى (وإذا مس الناس ضر) أي قحط وشدة (دعوا ربهم منيبين إليه) أي مقبلين إليه بالدعاء (ثم إذا أذاقهم منة رحمة) أي خصبا ونعمة (إذا فرقت منهم ربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) أي ليحجدوا نعمة الله عليهم (فتمتعوا) فيه تهديد ووعيد خاطب به الكفار (فسوف تعلمون) أي حالكم هذه في الآخرة (أم أنزلنا عليهم سلطانا) قال ابن عباس حجة وعذرا وقيل كتابا (فهو يتكلم) أي ينطق (بما كانوا به يشركون) أي بشركهم ويأمرهم به (وإذا أذقنا الناس رحمة) أي الخصب وكثرة المطر (فرحوا بها) أي فرحوا وبطروا (وإن نصبهم سينة) أي جذب وقلة مطر وقيل خوف وبلاء (بما قدمت أيديهم) من السيئات (إذا هم يقتلون) أي يياسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فإنه يشكر ربه عند الذممة ويرجو عند الشدة (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) تقدم تفسيره . قوله عز وجل (فآت ذا القربى حقه) أي من البر والصلة (والمسكين) أي حقه وهو التصديق عليه (وابن السبيل) أي المسافر وقيل هو الضيف (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) أي يظلمون ثواب الله بما كانوا يعملون (وأولئك هم المفلحون) قوله عز وجل (وما آتيتم) أي أعطيتم (من ربا

(٢٧) - مخازن بالبعوى - خامس) منهم ربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم) ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا هذا خطاب تهديد فقال (فتمتعوا فسوف تعلمون) حالكم في الآخرة (أم أنزلنا عليهم سلطانا) قال ابن عباس حجة وعذرا وقال قتادة كتابا (فهو يتكلم) ينطق (بما كانوا به يشركون) أي ينطق بشركهم ويأمرهم به (وإذا أذقنا الناس رحمة) أي الخصب وكثرة المطر (فرحوا بها) يعني فرح البطر (وإن نصبهم سينة) أي الجذب وقلة المطر ويقال الخوف والبلاء (بما قدمت أيديهم) من السيئات (إذا هم يقتلون) يياسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمن فإنه يشكر الله عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة (أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون) قوله تعالى (فآت ذا القربى حقه) من البر والصلة (والمسكين) وحقه أن يتصدق عليه (وابن السبيل) يعني المسافر؛ وقيل هو الضيف (ذلك خير للذين يريدون وجه الله) يظلمون ثواب الله بما يعملون (وأولئك هم المفلحون) . قوله عز وجل (وما آتيتم من ربا) قرأ ابن كثير آتيتم مقصورا

وقرأ الآخرون بالمد أى أعطيتم ومن قصر فعناه ما جئتم من ربا ومجيبهم ذلك على وجه الإعطاء كما يقول آتيت خطئا وآتيت صوابا فهو يثول في المعنى إلى قول من مد (ليربوا في أموال الناس) قرأ أهل المدينة ويعقوب لربوا بالناء وعونها وسكون الواو على الخطاب أى لربوا أنتم وتصيروا ذوى زيادة من أموال الناس وقرأ الآخرون بالياء وفتحها ونصب الواو وجعلوا الفعل للربا لقوله (فلا يربوا عند الله) في أموال الناس أى في اختطاف أموال الناس واجتذابها. واختلفوا في معنى الآية فقال سعيد بن جبير ومجاهد وطاوس وقتادة والضحاك وأكثر المفسرين هو الرجل يعطى غيره العطية ليثيبه أكثر منها فهذا جائز حلال ولكن لا ثواب عليها في القيامة وهو معنى قوله عز وجل « فلا يربوا عند الله » وكان هذا حراما على النبي صلى الله عليه وسلم خاصة لقوله تعالى « ولا تمنن تستكثر » أى لا تعط وتطلب أكثر مما أعطيت وقال النخعي هو الرجل يعطى صديقه أو قريبه ليكثر ماله (٢١٠) ولا يريد به وجه الله وقال الشعبي هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر

ليربوا في أموال الناس) أى في اجتلاب أموال الناس واجتذابها قبل في معنى الآية هو الرجل يعطى غيره العطية ليثيبه أكثر منها فهو جائز حلال ولكن لا ثواب عليها في القيامة وهذا قوله (فلا يربوا عند الله) وكان هذا حراما على النبي خاصة لقوله تعالى « ولا تمنن تستكثر » أى لا تعط وتطلب أكثر مما أعطيت وقيل هو الرجل يعطى صديقه أو قريبه ليكثر ماله لا يريد به وجه الله وقيل هو الرجل يلتزق بالرجل فيخدمه ويسافر معه فيجعل ربح ماله لا تناس عونه لا لوجه الله تعالى فلا يربو عند الله لأنه لم يرد بعمله وجه الله (وما آتيتم من زكاة) أى أعطيتم من صدقة (تريدون وجه الله) أى بتلك الصدقة (فأولئك هم المضعفون) أى يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها فالمضعف ذو الأضعاف من الحسنات خلقكم ثم رزقكم ثم يمتحنكم هل من شر كائكم من يفعل من ذلك من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) تقدم تفسيره : قوله تعالى (ظهر الفساد في البر والبحر) أى بسبب الشرك والمعاصي ظهر قحط المطر وقلة النبات في البراري والبيوادي والمفاوز والقفار والبحر قيل المدائن والقرى التى هي على المياه الجارية والعرب تسمى المصر محرا تقول أجذب البر وانقطعت مادة البحر وقيل البر ظهر الأرض الأمصار وغيرها والبحر هو المعروف وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر ينخلو أجواف الأصداف من التؤلؤ وذلك لأن الصدفة إذا جاء المطر ترتفع على وجه الماء وتفتح أفواها فما وقع فيه من المطر صار لؤلؤا (بما كسبت أيدي الناس) أى بسبب شؤم ذنوبهم وقال ابن عباس الفساد في البر قتل أحد ابني آدم أخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة قبل كانت الأرض خضرة موقنة لا يأتى ابن آدم شجرة إلا وجد عليها ثمرة وكان البحر عذبا وكان لا يقصد البقر الغنم فلما قتل قابيل هايبيل اقشعرت الأرض وشاكت الأشجار وصار ماء البحر ملحا زعافا وقصد الحيوان بعضها بعضا وقيل إن الأرض امتلأت ظلما وضلالة قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث رجع راجعون من بالناس وقيل أراد

معه فيجعل لمربح ماله التماس عونه لوجه الله فلا يربوا عند الله لأنه لم يرد به وجه الله تعالى (وما آتيتم من زكاة) أعطيتم من صدقة (تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون) يضاعف لهم الثواب فيعطون بالحسنة عشر أمثالها فالمضعف ذو الأضعاف من الحسنات تقول العرب القوم مهزولون ومسمونون إذا هزلت أو سمئت إبلهم (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يمتحنكم هل من شر كائكم من يفعل من ذلك من شيء سبحانه وتعالى عما يشركون) قوله عز وجل (ظهر الفساد في البر والبحر) يعنى قحط المطر أو قلة

النبات وأراد بالبر البيوادي والمفاوز وبالبحر المدائن والقرى التى هي على المياه الجارية. قال عكرمة العرب تسمى بالناس المصر محرا يقال أجذب البر وانقطعت مادة البحر (بما كسبت أيدي الناس) أى بشؤم ذنوبهم وقال عطية وغيره البر ظهر الأرض الأمصار وغيرها والبحر هو البحر المعروف وقلة المطر كما تؤثر في البر تؤثر في البحر ينخلو أجواف الأصداف لأن الصدفة إذا جاء المطر يرتفع إلى وجه البحر ويفتح فاه فما يقع في فيه من المطر صار لؤلؤا وقال ابن عباس وعكرمة ومجاهد الفساد في البر قتل أحد ابني آدم أخاه وفي البحر غصب الملك الجائر السفينة : قال الضحاك كانت الأرض خضرة موقنة لا يأتى ابن آدم شجرة إلا وجد عليها ثمرة وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد الأسد البقر والغنم فلما قتل قابيل هايبيل اقشعرت الأرض وشاكت الأشجار وصار ماء البحر ملحا زعافا وقصد الحيوان بعضها بعضا قال قتادة هذا قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم امتلأت الأرض ظلما وضلالة فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم رجع راجعون من الناس بما كسبت

أيدى الناس من المعاصي يعنى كفار مكة (ليذيقهم بعض الذى عملوا) أى عقوبة بعض الذى عملوا من الذنوب (لعلهم يرجعون) عن الكفر وأعمالهم الخبيثة (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية (كان أكثرهم مشركين) فأهلكوا بكفرهم (فأقم وجهك للدين القيم) المستقيم وهو دين الإسلام (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) يعنى يوم القيامة لا يقدر أحد على رده من الله (يومئذ يصدعون) أى يتفرقون فريق فى الجنة وفريق فى السعير (من كفر فعليه كفره) أى وبال كفره (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) يوطئون المضاجع ويسوونها فى القبور (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) قال ابن عباس ليشبههم الله أكثر من ثواب أعمالهم (إنه لا يحب الكافرين) . قوله عز وجل (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) تبشر بالمطر (٢١١) (وليديقمكم من رحمته) نعمة المطر

وهى الخصب (ولتجرى الفلك فى البحر) بهذه الرياح (بأمره ولتبتغوا من فضله) لتطلبوا من رزقه بالتجارة فى البحر (ولعلكم تشكرون) رب هذه النعم . قوله تعالى (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات) بالدلالات الواضحات على صدقهم (فانقمنا من الذين أجرموا) عذبنا الذين كذبوهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) إنجاؤهم من العذاب ، فى هذا تبشير للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر فى العاقبة والنصر على الأعداء قال الحسن أنجاهم مع الرسول من عذاب الأمم . أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي

بالناس كفار مكة (ليذيقهم بعض الذى عملوا) يعنى عقوبة الذى عملوا من الذنوب (لعلهم يرجعون) يعنى عن الكفر وأعمالهم الخبيثة (قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل) أى لتروا منازلهم ومساكنهم خاوية (كان أكثرهم مشركين) يعنى فأهلكوا بكفرهم (فأقم وجهك للدين القيم) يعنى لدين الإسلام (من قبل أن يأتى يوم لا مرد له من الله) يعنى يوم القيامة لا يقدر أحد على رده من الخلق (يومئذ يصدعون) يعنى يتفرقون ثم ذكر الفريقين فقال تعالى (من كفر فعليه كفره) يعنى وبال كفره (ومن عمل صالحا فلأنفسهم يمهدون) أى يوطئون المضاجع ويسوونها فى القبور (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله) قال ابن عباس ليشبههم الله ثوابا أكثر من أعمالهم (إنه لا يحب الكافرين) فيه تهديد ووعيد لهم . قوله تعالى (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) أى تبشر بالمطر (وليديقمكم من رحمته) أى بالمطر وهو الخصب (ولتجرى الفلك فى البحر) أى بهذه الرياح (بأمره ولتبتغوا من فضله) معناه لتطلبوا رزقه بالتجارة فى البحر (ولعلكم تشكرون) أى هذه النعم . قوله تعالى (ولقد أرسلنا من قبلك رسلا إلى قومهم فجاءوهم بالبينات) أى بالدلالات الواضحات على صدقهم (فانقمنا من الذين أجرموا) يعنى أنا عذبنا الذين كذبوهم (وكان حقا علينا نصر المؤمنين) أى مع إنجائهم من العذاب فبشر للنبي صلى الله عليه وسلم بالظفر فى العاقبة والنصر على الأعداء عن أبي الدرداء قال سمعت النبي ﷺ يقول «ما من مسلم برد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة» ثم تلا هذه الآية : وكان حقا علينا نصر المؤمنين . أخرجه الترمذى ولفظه «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة» وقال حديث حسن . قوله عز وجل (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا) يعنى تنشره (فيبسطه فى السماء كيف يشاء) يعنى مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على ما يشاء (ويجعله كسفا) أى قطعاً متفرقة (فترى الودق) أى المطر (يخرج من خلاله) أى من وسطه (فإذا أصاب به) يعنى بالودق (من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) يعنى يفرحون بالمطر (وإن كانوا) أى وقد كانوا (من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبسين) يعنى آيسين

أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الريانى أنا أحمد بن زنجويه أنا أبو شيخ الحرانى أنا أبو موسى بن أعين عن ليث بن أبي سليم عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «ما من مسلم برد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة» ثم تلا هذه الآية : وكان حقا علينا نصر المؤمنين . (الله الذى يرسل الرياح فتثير سحابا) أى ينشره (فيبسطه فى السماء كيف يشاء) مسيرة يوم أو يومين أو أكثر على ما يشاء (ويجعله كسفا) قطعاً متفرقة (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) وسطه (فإذا أصاب به) أى بالودق (من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون) يفرحون بالمطر (وإن كانوا) وقد كانوا (من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبسين) أى آيسين وقبل وإن كانوا أى وما كانوا إلا مبسين وأعاد قوله من قبله تأكيداً وقبل الأولى ترجع

إلى إزاحة المطر والثانية إلى إنشاء السحاب. وفي حرح عبد الله بن مسعود وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم لمبلس غير مكرر (فانظر إلى آثار رحمة الله) هكذا قرأ أهل الحجاز والبصرة وأبو بكر وقرأ الآخرون إلى آثار رحمة الله على الجمع أراد برحمة الله المطر أي انظر إلى حسن تأثيره في الأرض قال مقاتل أثر رحمة الله أي نعمته وهو النبت (كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لحجي الموتى) يعني إن ذلك الذي يحيي الأرض لحجي الموتى (وهو على كل شيء قدير ولئن أرسلنا ريحا) باردة مفسدة فأفسدت الزرع (فأرأوه مصفرا) أي رأوا النبت والزرع مصفرا بعد الخضرة (لظفوا) أفسدوا (من بعده) أي من بعد اصفرار الزرع (يكفرون) يجحدون ماصلف من النعمة يعني أنهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذابا على زرعهم جحدوا سالف نعمتي (فإنك لا تسمع الموتى) (٢١٢) ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم

(فانظر إلى آثار رحمة الله) يعني المطر والمعنى انظر إلى حسن تأثيره في الأرض وهو قوله تعالى (كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لحجي الموتى) يعني إن الذي أحيا الأرض بعد موتها قادر على إحياء الموتى (وهو على كل شيء قدير ولئن أرسلنا ريحا فأرأوه مصفرا) أي الزرع بعد الخضرة (لظفوا من بعده) أي من بعد اصفرار الزرع (يكفرون) أي يجحدون ماصلف من النعمة والمعنى أنهم يفرحون عند الخصب ولو أرسلت عذابا على زرعهم جحدوا سالف نعمتي (فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء إذا ولوا مدبرين وما أنت بهادي العمى عن ضلالتهم أن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون) تقدم تفسيره. قوله تعالى (الله الذي خلقكم من ضعف) أي بدأكم وأنشأكم على ضعف وقيل من ماء ذى ضعف وقيل هو إشارة إلى أحوال الإنسان كان جنينا ثم طفلا مولودا ومقطوما فهذه أحوال غاية الضعف (ثم جعل من بعد ضعف قوة) يعني من بعد ضعف الصغر شبابا وهو وقت القوة (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) يعني هرما (وشيبة) وهو تمام النقصان (خلق ما يشاء) أي من الضعف والقوة والشباب والشيبة وليس ذلك من أفعال الطبيعة بل بمشيئة الله وقدرته (وهو العليم) بتدبير خلقه (التقدير) على ما يشاء. قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) أي يخلف المشركون (مالبثوا) أي في الدنيا (غير ساعة) معناه أنهم استقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة وقيل معناه مالبثوا في قبورهم غير ساعة (كذلك كانوا يؤفكون) يعني يصرفون عن الحق في الدنيا وذلك أنهم كذبوا في قولهم مالبثوا غير ساعة كما كذبوا في الدنيا أن لا يعثوا والمعنى أن الله أراد أن يفضحهم فحلفوا على شيء تبين لأهل الجمع أنهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وقدره ثم ذكر إنكار المؤمن عليهم كذبهم فقال تعالى (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث) أي فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث في القبور وقيل معنى الآية وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله الإيمان يعني الذين يقيمون كتاب الله قالوا للمنكرين قد لبثتم إلى يوم البعث أي في قبوركم (فهذا يوم البعث) أي الذي كنتم تنكرونه في الدنيا (ولكنكم كنتم لا تعلمون) أي وقوعه في الدنيا فلا ينفعكم العلم به الآن

إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون الله الذي خلقكم من ضعف قرى بضم الصاد وفتحها فالضم لغة قریش والفتح لغة تميم ومعنى من ضعف أى من نطفة يريد من ذى ضعف أى من ماء ذى ضعف كما قال تعالى «الم تخلقكم من ماء مهين» ثم جعل من بعد ضعف قوة) أي من بعد ضعف الطفولية شبابا وهو وقت القوة (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) هرما (وشيبة يخلق ما يشاء) من الضعف والقوة والشباب والشيبة (وهو العليم) بتدبير خلقه (التقدير) على ما يشاء (ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون) يخلف المشركون (مالبثوا) في

بدليل

الدنيا (غير ساعة) إلا ساعة استقلوا أجل الدنيا لما عاينوا الآخرة ، وقال مقاتل والكلبي مالبثوا

في قبورهم غير ساعة كما قال «كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار» (كذلك كانوا يؤفكون) يصرفون عن الحق في الدنيا قال الكلبي ومقاتل كذبوا في قولهم غير ساعة كما كذبوا في الدنيا أن لا يعثوا والمعنى أن الله أراد أن يفضحهم فحلفوا على شيء تبين لأهل الجمع أنهم كاذبون فيه وكان ذلك بقضاء الله وقدره بدليل قوله يؤفكون أي يصرفون عن الحق ثم ذكر إنكار المؤمنين عليهم كذبهم فقال (وقال الذين أوتوا العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله) أي فيما كتب الله لكم في سابق علمه من اللبث في القبور وقيل في كتاب الله أي في حكم الله ، وقال قتادة ومقاتل فيه تقديم وتأخير تقديره وقال الذين أوتوا العلم في كتاب الله والإيمان لقد لبثتم إلى يوم البعث يعني الذين يعلمون كتاب الله وقرعوا قوله تعالى «ومن وراءهم برزخ إلى يوم يعثون» أي قالوا للمنكرين لقد لبثتم (إلى يوم البعث فهذا يوم البعث) الذي كنتم تنكرونه في الدنيا (ولكنكم كنتم لا تعلمون)

وقوعه في الدنيا فلا يتفعمكم العلم به الآن بدليل قوله تعالى (فيومئذ لا ينفذ الذين ظلموا معذرتهم) يعني عذرهم (ولا هم يستعتبون) لا يطلب منهم العتبي والرجوع إلى الدنيا قرأ أهل الكوفة لا ينفذ بالياء هاهنا وفي حم المؤمن وقرأ الباقون بالتاء فيهما (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل ولئن جنتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون) ما أنتم إلا على باطل (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) توحيد الله (فاصبر إن وعد الله حق) في نصرتك وإظهارك على عدوك (ولا يستخفك) لا يستجملك معناه لا يجعلك على الجهل واتباعهم في الغي وقيل لا يستخفن رأيك وحلمك (الذين لا يوقنون) بالبعث والحساب :

(سورة لقمان مكية وهي أربع وثلاثون آية) (٢١٣) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة) قرأ حمزة ورحمة بالرفع على الابتداء أي هو هدى ورحمة ، وقرأ الآخرون بالنصب على الحال (لمحسنين الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى

بدليل قوله تعالى (فيومئذ لا ينفذ الذين ظلموا معذرتهم ولا هم يستعتبون) أي لا تطلب منهم العتبي والرجوع في الآخرة وقيل لا تطلب منهم التوبة التي تزيل الجريمة لأنها لا تقبل منهم . قوله تعالى (ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل) فيه إشارة إلى إزالة الأعداء والإتيان بما فوق الكفاية من الإنذار (ولئن جنتهم بآية ليقولن الذين كفروا إن أنتم إلا مبطلون) يعني ما أنتم إلا على باطل وذلك على سبيل العناد . فإن قلت ما معنى توحيد الخطاب في قوله ولئن جنتهم والجمع في قوله إن أنتم إلا مبطلون . قلت فيه لطيفة وهي أن الله تعالى قال ولئن جنتهم بكل آية جاءت بها الرسل ويمكن أن يقال معناه أنكم كلكم أمها الرسل مبطلون (كذلك يطبع الله على قلوب الذين لا يعلمون) أي توحيد الله (فاصبر إن وعد الله حق) أي في نصرتك وإظهارك على عدوك (ولا يستخفك) يعني لا يجعلك على الجهل وقيل لا يستخفن رأيك (الذين لا يوقنون) يعني بالبعث والحساب ؛ والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده :

(تفسير سورة لقمان مكية)

(وهي أربع وثلاثون آية وخمسة وثمان وأربعون كلمة وألفان ومائة وعشرة أحرف)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (ألم تلك آيات الكتاب الحكيم هدى ورحمة للمحسنين) يعني الذين يعملون الحسنات ، ثم ذكرهم فقال (الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) قوله تعالى (ومن الناس من يشتري الآيات قال الكلبى ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة وكان ينجر فباتى الحيرة ويشترى أخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا أحدثكم بحديث رسم وأسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن فأنزل الله هذه الآية وقيل هو شراء التينات والمغنين ، ومعنى الآية (ومن الناس من يشتري ذات لو أودا لو الحديث ؛ وروى البيهقي بإسناد الثعلبي عن أبي أمامة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجعل تعلم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام ، وفي مثل ذلك نزلت هذه

من ربهم وأولئك هم المفلحون ومن الناس من يشتري لهو الحديث) الآية قال الكلبى ومقاتل نزلت في النضر بن الحارث ابن كلدة كان ينجر فباتى الحيرة ويشترى أخبار العجم فيحدث بها قريشا ويقول إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود وأنا

أحدثكم بحديث رسم وأسفنديار وأخبار الأكاسرة فيستمعون حديثه ويتركون استماع القرآن فأنزل الله هذه الآية وقال مجاهد يعني شراء التينات والمغنين ووجه الكلام على هذا التأويل من يشتري ذات لو أودا لو الحديث . أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا أبو طاهر محمد بن الفضل بن محمد بن إسحاق المزني ثنا جدى محمد بن إسحاق بن خزيمة أنا علي بن حجر أنا مشعمل بن ملحان الطائى عن مطروح بن يزيد عن عبد الله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم بن أبي عبد الرحمن عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجعل تعلم المغنيات ولا بيعهن وأثمانهن حرام وفي مثل هذا أنزلت هذه الآية (ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله وما من رجل رفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان بضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذى

يسكت» أخبرنا عبد الرحمن بن أحمد القفال أنا أبو منصور أحمد بن الفضل البروجردى أنا أبو أحمد بكر بن محمد بن خندان الصيرفي أنا محمد بن غالب بن تمام أنا خالد بن مرثد أنا حماد بن زيد عن هشام هو ابن حسان عن محمد هو ابن سيرين عن أبي هريرة « أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب الزمارة . قال مكحول من اشترى جارية ضاربة ليسكها لغنائها وضربها مقبها عليه (٢١٤) حتى يموت لم أصل عليه إن الله يقول «ومن الناس من يشتري لهو الحديث»

الآية ، وعن عبد الله بن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبیر قالوا هو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى قوله يشتري لهو الحديث أى يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن قال أبو الصهباء البكرى سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذى لا إله إلا هو ردها ثلاث مرات ، وقال إبراهيم النخعي الغناء ينبت النفاق فى القلب وكان أصحابنا يأخذون بأقواله السكك يخرقون الدفوف وقيل الغناء رقية الزنا وقال ابن جريج هو الطبل وعن الضحاك قال هو الشرك وقال قتادة هو كل لهو ولعب (ليفضل عن سبيل الله بغير علم) يعنى يفعله عن جهل قال قتادة بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث

الآية «ومن الناس يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله» وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله له شيطانين أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون هو الذى يسكت أخرجه الترمذى وهذا لفظه عن أبي أسامة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لا تتبعوا التبعيات المغنيات ولا تشتروهن ولا تعلموهن ولا خير فى تجارة فيهن وثمنهن حرام» وفى مثل هذا نزلت «ومن الناس من يشتري لهو الحديث» الآية وعن أبي هريرة « أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى عن ثمن الكلب وكسب المزامير» وقال مكحول من اشترى جارية ضاربة ليسكها لغنائها وضربها مقبها عليه حتى يموت لم أصل عليه إن الله تعالى يقول «ومن الناس من يشتري لهو الحديث الآية» وعن ابن مسعود وابن عباس والحسن وعكرمة وسعيد بن جبیر قالوا هو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشتري يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعازف على القرآن. وقال أبو الصهباء: سألت ابن مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذى لا إله إلا هو يرددها ثلاث مرات وقال إبراهيم النخعي الغناء ينبت النفاق فى القلب وكان أصحابنا يأخذون بأقواله السكك يخرقون الدفوف وقيل الغناء رقية الزنا وقال ابن جريج هو الطبل وعن الضحاك قال هو الشرك وقال قتادة هو كل لهو ولعب (ليفضل عن سبيل الله بغير علم) يعنى يفعله عن جهل قال قتادة بحسب المرء من الضلالة أن يختار حديث

الباطل على حديث الحق . قوله تعالى (ويتخذها هزوا) قرأ حزة والكسائى وحفص ويعقوب ويتخذها بنصب الذال عطفًا على قوله ليضل وقرأ الآخرون بالرفع نسقا على قوله يشتري (أولئك لهم عذاب مهين وإذا تتلى عليه آياتنا ولي مستكبرا كأن لم يسمعها كأن فى أذنيه وقرا فيمينا) فبشره بعذاب أليم إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم خالدين فيها وعد الله حقا) يعنى وعدهم الله ذلك وعدا حقا وهو لا يخلف الميعاد (وهو العزيز الحكيم) قوله تعالى (خلق السموات بغير عمد) قيل إن السماء خلقت مبسوطة كصفحة مستوية وهو قول المفسرين وهى فى الفضاء والغضاء لانهاية له وكون السماء فى بعضه دون بعض ليس ذلك إلا بقدره قادر مختار وإليه الإشارة بقوله بغير عمد (ترونها) أى ليس لها شىء يمنعها الزوال من موضعها وهى ثابتة لا تزول وليس ذلك إلا بقدرته الله تعالى . وفى قوله ترونها وجهان : أحدهما أنه راجع إلى السموات أى ليست هى بعمد وأنتم ترونها كذلك بغير عمد . الوجه الثانى أنه راجع إلى العمدة ومعناه بغير عمد مرئية (والقى فى الأرض رواسى أن يمتد بهم) أى لتلا تتحرك بهم (ويث فيها) أى فى الأرض (من كل دابة) أى يسكنون فيها (وأنزّلنا من السماء ماء) يعنى المطر وهو من إنعام الله على عباده وفضله (فأنبتنا فيها من كل زوج كريم) أى

(هذا) يعني الذي ذكرت مما تعابنون (خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) من آلهتكم التي تعبدونها (بل الظالمون في ضلال مبين) قوله تعالى (ولقد آتينا لقمان الحكمة) يعني العقل والعلم والعمل به والإصابة في الأمور. وقال محمد بن إسحاق هو لقمان بن ناعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر وقال وهب إنه كان ابن أخت أيوب وقال مقاتل ذكر أنه كان ابن خالة أيوب قال الواقدي كان قاضيا في بني إسرائيل واتفق العلماء على أنه كان حكيما ولم (٢١٥) يكن نبيا إلا عكرمة فإنه قال

كان لقمان نبيا وتفرد بهذا القول وقال بعضهم خير لقمان بن النبوة والحكمة فاختر الحكمة وروى أنه كان نائما نصف النهار فنودي بالقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض لتحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال إن خيرني ربى قبلت العاقبة ولم أقبل البلاء وإن عزم علي فسمعا وطاعة فإني أعلم إن فعل ذلك بي أعانني وعصمتي فقالت الملائكة بصوت لآبراهم لم بالقمان قال لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يفتشها الظلم من كل مكان إن يعن فبالجحى أن ينجو وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خيرا من أن يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة وهو يتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوى في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازر داود لحكته وقيل كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان خياطاً وقيل كان راعي غنم فروى أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألسنت فلانا الراعي قال بلى قال فمبلغت ما بلغت قال بصدق الحديث وأداء الأمانة وترك مالا يعينني وقيل كان عبدا أسود عظيم الشفتين مشفق القدمين وقيل خير السودان بلال بن رباح ومهجع مولى عمر وبقمان والنجاشي رابعهم أوتي الحكمة والعقل والفهم وقيل العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعها وقيل الحكمة المعرفة والإصابة في الأمور وقيل الحكمة شيء يجعله الله في القلب ينوره كما ينور البصر فيدرك المبصر. وقوله (أن أشكر الله) وذلك لأن المراد من العلم العمل به والشكر عليه (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه) أي عليه يعود نفع ذلك وكذلك كفرانه (ومن كفر) عليه يعود وبال كفره (فإن الله غني) أي غير محتاج إلى شكر الشاكرين (حميد) أي هو حقيق بأن يحمد وإن لم يحمده أحد. قوله تعالى (وإذ قال لقمان لابنه) قيل اسمه أنعم وقيل أشكم (وهو يعظه) وذلك لأن أعلى مراتب الإنسان أن يكون كاملا في نفسه مكثرا لغيره فقوله (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشكر الله) إشارة إلى الكمال وقوله (وإذ قال لقمان لابنه) وهو يعظه إشارة إلى التكميل لغيره وبدأ بالأقرب إليه وهو ابنه وبدأ في وعظه بالأهم وهو المنع من الشرك وهو قوله (بابي لا تشرك

أى من كل صنف حسن (هذا) يعني الذي ذكرت مما تعابنون (خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه) أى آلهتكم التي تعبدونها (بل الظالمون في ضلال مبين) قوله عز وجل (ولقد آتينا لقمان الحكمة) قيل هو لقمان بن باعوراء بن ناحور بن تارخ وهو آزر وقيل كان ابن أخت أيوب وقيل كان ابن خالته وقيل إنه كان قاضيا في بني إسرائيل. واتفق العلماء على أنه كان حكيما ولم يكن نبيا إلا عكرمة فإنه قال كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة. وروى أنه كان نائما نصف الليل فنودي بالقمان هل لك أن يجعلك خليفة في الأرض فتحكم بين الناس فأجاب الصوت فقال إن خيرني ربى قبلت العاقبة ولم أقبل البلاء وإن عزم علي فسمعا وطاعة. وإني أعلم أن الله إن فعل بي ذلك أعانني وعصمتي فقالت الملائكة بصوت لآبراهم لم بالقمان؟ قال إن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها يغشاها الظلم من كل مكان إن عدل فبالجحى أن ينجو وإن أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خيرا من أن يكون شريفا ومن يختر الدنيا على الآخرة وهو يتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترط لقمان فهوى في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو الله عنه وكان لقمان يوازر داود لحكته وقيل كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقيل كان خياطاً وقيل كان راعي غنم فروى أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألسنت فلانا الراعي قال بلى قال فمبلغت ما بلغت قال بصدق الحديث وأداء الأمانة وترك مالا يعينني وقيل كان عبدا أسود عظيم الشفتين مشفق القدمين وقيل خير السودان بلال بن رباح ومهجع مولى عمر وبقمان والنجاشي رابعهم أوتي الحكمة والعقل والفهم وقيل العلم والعمل به ولا يسمى الرجل حكيما حتى يجمعها وقيل الحكمة المعرفة والإصابة في الأمور وقيل الحكمة شيء يجعله الله في القلب ينوره كما ينور البصر فيدرك المبصر. وقوله (أن أشكر الله) وذلك لأن المراد من العلم العمل به والشكر عليه (ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه) أي عليه يعود نفع ذلك وكذلك كفرانه (ومن كفر) عليه يعود وبال كفره (فإن الله غني) أي غير محتاج إلى شكر الشاكرين (حميد) أي هو حقيق بأن يحمد وإن لم يحمده أحد. قوله تعالى (وإذ قال لقمان لابنه) قيل اسمه أنعم وقيل أشكم (وهو يعظه) وذلك لأن أعلى مراتب الإنسان أن يكون كاملا في نفسه مكثرا لغيره فقوله (ولقد آتينا لقمان الحكمة أن أشكر الله) إشارة إلى الكمال وقوله (وإذ قال لقمان لابنه) وهو يعظه إشارة إلى التكميل لغيره وبدأ بالأقرب إليه وهو ابنه وبدأ في وعظه بالأهم وهو المنع من الشرك وهو قوله (بابي لا تشرك

وهو يتكلم بها ثم نودي داود بعده فقبلها ولم يشترط ما اشترطه لقمان فهوى في الخطيئة غير مرة كل ذلك يعفو عنه. وكان لقمان يوازره بحكته. وعن خالد الربيعي قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا وقال سعيد بن المسيب كان خياطاً وقيل كان راعي غنم؛ فروى أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة فقال ألسنت فلانا الراعي فمبلغت ما بلغت؟ قال بصدق الحديث وأداء الأمانة وترك مالا يعينني؛ وقال مجاهد كان عبدا أسود عظيم الشفتين مشفق القدمين. قوله عز وجل (أن أشكر الله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه) ومن كفر فإن الله غني حميد وإذ قال لقمان لابنه (واسمك أنعم ويقال مشكم) وهو يعظه بابي لا تشرك

بأنه إن الشرك لظلم عظيم) قرأ ابن كثير يابني لا تشرك بالله بإسكان الياء وفتحها حفص والباقون بالكسر يابني أنها بفتح الياء حفص والباقون بالكسر يابني أقم الصلاة بفتح الياء اليزي عن ابن كثير وحفص وإسكانها القواسم والباقون بكسرها (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن) قال ابن عباس شدة بعد شدة وقال الضحاك ضعفا على ضعف قال مجاهد مشقة على مشقة ؛ وقال الزجاج المرأة إذا حملت توالى عليها الضعف والمشقة ويقال الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف (وفضاله) أي فطامه (في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير) المرجع قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أديار الصلوات (٢١٦) الخمس فقد شكر الوالدين (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم

فلا تطعها وماحبها في الدنيا معروفا) أي بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة (واتبع سبيل من أناب إلى) أي دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه قال عطاء عن ابن عباس يريد أبابكر وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف فقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فآمنوا به ثم حملهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فهؤلاء هم سابقا للإسلام أسلموا بآب بكر قال الله تعالى واتبع سبيل من أناب إلى يعني أبابكر (ثم إلي مرجعكم فأنبئكم

بأنه إن الشرك لظلم عظيم) لأن التسوية بين من يستحق العبادة وبين من لا يستحقها ظلم عظيم لأنه وضع العبادة في غير موضعها. قوله عز وجل (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن) قال ابن عباس شدة بعد شدة وقيل إن المرأة إذا حملت توالى عليها الضعف والتعب والمشقة وذلك لأن الحمل ضعف والطلق ضعف والوضع ضعف والرضاعة ضعف (وفضاله في عامين) أي فطامه في سنتين (أن اشكر لي ولوالديك إلى المصير) لما جعل الله بفضل الوالدين صورة التربية الظاهرة وهو الموجد والمربي في الحقيقة جعل الشكر بينهما فقال اشكر لي ولوالديك ثم فرق فقال إلى المصير يعني أن نعمتهما مخصصة بالدنيا ونعمتي عليك في الدنيا والآخرة وقيل لما أمر بشكره وشكر الوالدين قال الجزاء على وقت المصير إلي قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس فقد شكر الله ومن دعا للوالدين في أديار الصلوات الخمس فقد شكر الوالدين (وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعها) قال النخعي يعني أن طاعتهما واجبة فإن أفضى ذلك إلي الاشرار فلا تطعها في ذلك لأنه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق (وماحبها في الدنيا معروفا) أي بالمعروف وهو البر والصلة والعشرة الجميلة (واتبع سبيل من أناب إلى) أي اتبع دين من أقبل إلى طاعتي وهو النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وقيل من أناب إلى يعني أبابكر الصديق قال ابن عباس وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف وقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم إنه صادق فآمنوا به ثم حملهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فهؤلاء هم سابقا للإسلام أسلموا بإرشاد أبي بكر (ثم إلي مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل) وذلك أن ابن لقمان قال لأبيه يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله ؟ قال يابني إنها أي الخطيئة إن تك مثقال حبة من خردل أي في الصغر (فتسكن) أي مع صغرها (في صحرة) قال ابن عباس صحرة تحت الأرضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها وقيل خلق الله الأرض على حوت وهو النون والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك وقيل على ظهر نوز وهو على صحرة وهي التي ذكر لقمان ليست في الأرض ولا

بما كنتم تعملون) وقيل نزلت هاتان الآيتان في سعد بن أبي وقاص وأمه

وقد مضت القصة وقيل الآية عامة في حق كافة الناس (يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل) الكناية في قوله إنها راجعة إلى الخطيئة وذلك أن ابن لقمان قال لأبيه يا أبت إن عملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف يعلمها الله فقال يابني إنها إن تك مثقال حبة من خردل (فتسكن في صحرة) قال قتادة تسكن في جبل وقال ابن عباس في صحرة تحت الأرضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها قال السدي خلق الله الأرض على حوت وهو النون الذي ذكر الله عز وجل في القرآن أن تالقه والحوت في الماء والماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك والملك على صحرة وهي الصخرة التي ذكرها لقمان ليست

في السماء

في السماء ولا في الأرض والصخرة على الريح (أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف) باستخراجها (خبير) عالم بمكانها قال الحسن معنى الآية هي الإحاطة بالأشياء صغيرها وكبيرها . وفي بعض الكتب أن هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فانسقت مرارته من هيبتها فأت رحمة الله (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) يعني من الأذى (إن ذلك من عزم الأمور) يريد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى فهما من الأمور الواجبة التي أمر الله بها ، أو من الأمور التي يعزم عليها لوجوبها (ولا تصعر خدك للناس) قرأ ابن كثير وابن عامر وعاصم وأبو جعفر ويعقوب ولا تصغر بتشديد العين من غير الف وقرأ الآخرون تصاعر بالألف يقال صغر وجهه وصاعر إذا مال وأعرض تكبرا ورجل أصعر أي مائل العنق قال ابن عباس يقول (٢١٧) لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض

عنهم بوجهك إذا كلموك وقال مجاهد هو الرجل يكون بينك وبينه إحنة فتلقاه فيعرض عنك بوجهه وقال عكرمة هو الذي إذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقال الربيع بن أنس وقناة ولا تخفون الفقراء ليكن الفقر والغنى عندك سواء (ولا تمش في الأرض مرحا) خيلاء تكبرا (إن الله لا يحب كل مختال في مشية) فخور (واقصد في مشية) أي ليكن مشيتك قصد بين الإسراع والتأني فهو من الخيلاء وأما التأني فهو (واغضض) أي اخفض وقيل وانقص (من صوتك إن أنكرك) أي أقبح (الأصوات لصوت الحمير) لأن أوله زفير وآخره شهيق وهما صوت أهل النار وعن الثوري في هذه الآية قال صياح كل شيء تسبيح إلا الحمار وقيل معنى الآية هو العطسة القيحة المنكرة قال وهب تكلم لقمان بالثي عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم وقضاياهم ومن حكمته قيل أنه كان عبدا حبشيا فدفع إليه مولاة وشاة وقال له اذبحها واتني بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب ثم دفع إليه أخرى وقال له اذبحها واتني بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فسأله مولاة فقال ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا وقال لقمان ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس وقيل للقمان أي الناس شر قال الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئا . قوله عز وجل (لم تروا أن الله يخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ) أي أتم وأكمل (عليكم نعمه

في السماء فذلك قال (أو في السموات أو في الأرض) والصخرة على من الريح والريح على القدرة (يأت بها الله) معناه الله عالم بما قادر على استخراجها وهو قوله (إن الله لطيف) أي باستخراجها (خبير) أي بمكانها ومعنى الآية الإحاطة بالأشياء صغيرها وكبيرها قيل إن هذه الكلمة آخر كلمة قالها لقمان فانسقت مرارته من هيبتها وعظمتها فأت رحمة الله (يا بني أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما أصابك) من الأذى (إن ذلك من عزم الأمور) يعني إقامة الصلاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى من الأمور الواجبة التي أمر الله بها (ولا تصعر) وقرئ تصاعر (خدك للناس) قال ابن عباس لا تتكبر فتحقر الناس وتعرض عنهم بوجهك إذا كلموك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه محبة فيلقاك فتعرض عنه وقيل هو الذي إذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا تخفون الفقراء فليكن الفقير والغنى عندك سواء (ولا تمش في الأرض مرحا) أي خيلاء (إن الله لا يحب كل مختال) في مشية (فخور) أي على الناس (واقصد في مشية) أي ليكن في مشيتك قصد بين الإسراع والتأني أما الإسراع فهو من الخيلاء وأما التأني فهو أن يرى في نفسه الضعف زهدا وكلا الطرفين مذموم بل ليكن مشيتك بين السكينة والوقار (واغضض) أي اخفض وقيل وانقص (من صوتك إن أنكرك) أي أقبح (الأصوات لصوت الحمير) لأن أوله زفير وآخره شهيق وهما صوت أهل النار وعن الثوري في هذه الآية قال صياح كل شيء تسبيح إلا الحمار وقيل معنى الآية هو العطسة القيحة المنكرة قال وهب تكلم لقمان بالثي عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم وقضاياهم ومن حكمته قيل أنه كان عبدا حبشيا فدفع إليه مولاة وشاة وقال له اذبحها واتني بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب ثم دفع إليه أخرى وقال له اذبحها واتني بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فسأله مولاة فقال ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا وقال لقمان ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس وقيل للقمان أي الناس شر قال الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئا . قوله عز وجل (لم تروا أن الله يخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ) أي أتم وأكمل (عليكم نعمه

(٢٨ - خازن بالبغوي - خامس) (الأصوات) أقبح الأصوات (لصوت الحمير) أوله زفير وآخره شهيق وهما صوتا أهل النار وقال موسى بن عيينة سمعت سفيان الثوري يقول في قوله إن أنكرك الأصوات لصوت الحمير قال صياح كل شيء تسبيح لله إلا الحمار وقال جعفر الصادق في قوله إن أنكرك الأصوات لصوت الحمير قال هي العطسة القيحة المنكرة . قال وهب تكلم لقمان بالثي عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم وقضاياهم ومن حكمه قال خالد الربيعي كان لقمان عبدا حبشيا فدفع مولاة إليه شاة وقال اذبحها واتني بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب ؛ ثم دفع إليه شاة أخرى وقال اذبحها واتني بأطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فسأله مولاة فقال ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخبث منهما إذا خبثا قوله تعالى (لم تروا أن الله يخر لكم ما في السموات وما في الأرض وأسبغ عليكم) أتم وأكمل (نعمه) قرأ أهل المدينة وأبو عمرو وحفص نعمه بفتح العين وضم الهاء على الجمع وقرأ الآخرون منونة على الواحد ؛ ومعناها الجمع أيضا

تقوله « وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » (ظاهرة وباطنة) قال عكرمة عن ابن عباس النعمة الظاهرة الإسلام والقرآن والباطنة ماستر عليك من الذنوب ولم يعجل عليك بالنقمة وقال الضحاك الظاهرة حسن الصورة وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة وقال مقاتل الظاهرة تسوية الخلق والرزق والإسلام والباطنة الإيمان وقال الربيع الظاهرة الجوارح والباطنة القلب ؛ وقبل الظاهرة الإقرار باللسان والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة تمام الرزق والباطنة حسن الخلق ؛ وقال عطاء الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقال مجاهد الظاهرة ظهور الإسلام والنصر على الأعداء والباطنة الإمداد بالملائكة ، وقيل الظاهرة الإمداد بالملائكة والباطنة الفناء الرب في قلوب (٢١٨) الكفار وقال سهل بن عبد الله الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبة

ظاهرة وباطنة) قال ابن عباس النعمة الظاهرة الإسلام والقرآن والباطنة ماستر عليكم من الذنوب ولم يعجل عليكم بالنقمة ؛ وقيل الظاهرة تسوية الأعضاء وحسن الصورة والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة الرزق والباطنة حسن الخلق وقيل الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة الشفاعة وقيل الظاهرة ظهور الإسلام والنصر على الأعداء والباطنة الإمداد بالملائكة وقيل الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبة (ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت في النضر بن الحارث وأبي بن خلف وأميمة بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله في صفاته بغير علم (ولا هدى ولا كتاب منير وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل تتبع ما وجدنا عليه آباءنا) قال الله تعالى (أو لو كان الشيطان يدعوهم) معناه أفتبعونهم وإن كان الشيطان يدعوهم (إلى عذاب السعير) قوله عز وجل (ومن يسلم وجهه إلى الله) أي يخلص لله دينه ويفوض إليه أمره (وهو محسن) أي في عمله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) أي اعتصم بالعهد الأوثق الذي لا يخلف عهده ولا يخاف انقطاعه ويرتق بسببه إلى أعلى المراتب والغايات (وإلى الله عاقبة الأمور) أي مصير جميع الأشياء إليه (ومن كفر فلا يحزنك كفره) أي ما كفره إنا مرجعهم فنبتهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور (أي لا يخفى عليه سرهم وعلانيتهم) قوله تعالى (نمتهم قليلا) أي نهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا إلى انقضاء آجالهم (ثم نضطرهم) أي نلجئهم وزددهم (إلى عذاب غليظ) إلى النار في الآخرة (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والأرض إن الله هو الغني الحميد) تقدم تفسيره . قوله تعالى (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام) قال المفسرون لما نزلت بمكة « ويستلونك عن الروح » الآية وهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أنه أجبار اليهود وقالوا يا محمد بلغنا أنك تقول « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » أتعنينا أم قومك فقال عليه الصلاة والسلام كلا قد عنيت قالوا ألسنت تثلو فيها جاءك أنا أوتيتنا التوراة فيها علم كل شيء فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قليل وقد أتاكم الله بما إن عملتم به انتفعتم به قالوا كيف نزعهم هذا وأنت تقول « ومن يؤت الحكمة فقد أوفى خيرا كثيرا » فكيف يجتمع علم قليل مع خير كثير فأُنزل الله هذه الآية فعلى هذا تكون

(ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) نزلت في النضر بن الحارث وأبي بن خلف وأميمة بن خلف وأشباههم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله في صفاته بغير علم (ولا هدى ولا كتاب منير وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل تتبع ما وجدنا عليه آباءنا) قال الله عز وجل (أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) وجواب لو محذوف ومجازه يدعوهم فيتبعونه يعني يتبعون الشيطان وإن كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير . قوله تعالى (ومن يسلم وجهه إلى الله) يعني لله أي يخلص دينه ويفوض أمره إلى الله (وهو محسن) في عمله (فقد استمسك

هذه

بالعروة الوثقى) أي اعتصم بالعهد الأوثق الذي لا يخاف انقطاعه (وإلى الله عاقبة الأمور)

ومن كفر فلا يحزنك كفره إنا مرجعهم فنبتهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور نمتهم قليلا) أي نهلهم ليتمتعوا بنعيم الدنيا قليلا إلى انقضاء آجالهم (ثم نضطرهم) ثم نلجئهم وزددهم في الآخرة (إلى عذاب غليظ) وهو عذاب النار (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون لله ما في السموات والأرض إن الله هو الغني الحميد) قوله سبحانه وتعالى (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام) الآية قال المفسرون نزلت بمكة قوله سبحانه وتعالى « ويستلونك عن الروح » إلى قوله « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » فلما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة أنه أجبار اليهود فقالوا يا محمد بلغنا عنك أنك تقول « وما أوتيتم من العلم إلا قليلا » أتعنينا أم قومك ؟ فقال عليه الصلاة والسلام

كلا قد عنيت قالوا ألسنت تنلو فيما جاءك إنا أوئينا التوراة وفيها علم كل شيء . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هي في علم الله قبيل وقد أتاكم الله ما إن عملتم به انتفعتم قالوا يا محمد كيف تزعم هذا وأنت تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قبيل وخبر كثير فأرزل هذه الآية قال قتادة إن المشركين قالوا إن القرآن وما يأتي به محمد يوشك أن ينفذ فيقطع فنزلت ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام، أي برت أقلاما (والبحر عمده) قرأ أبو عمرو ويعقوب والبحر بالنصب عطفا على ما والباقون بالرفع على الاستثناء عمده : أي زيده وينصب فيه (من بعده) من خلفه (سبعة أبحر ما تقدمت كلمات الله) وفي الآية اختصار تقديره ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر (٢١٩) عمده من بعده سبعة أبحر

يكتب بها كلام الله ما تقدمت كلمات الله (إن الله عزيز حكيم) وهذه الآية على قول عطاه بن يسار مدنية وعلى قول غيره مكية وقالوا إنما أمر اليهود وقد قرئش أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بعد بمكة والله أعلم (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) أي كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعدر عليه شيء (إن الله جميع بصير) لم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بأن الله هو الحق المستحق للعبادة (وأن ما يدعون من دونه الباطل) يعني لا يستحق العبادة (وأن الله هو العلي) يعني في صفاته له الصفات العليا والأسماء الحسنى (الكبير) في ذاته لأنه أكبر من كل كبير . قوله تعالى (لم تر أن الفلك) يعني السفن والمراكب (تجري في البحر بنعمة الله) يعني ذلك من نعمة الله عليكم (فيريك من آياته) يعني من عجائب صنائعه (إن في ذلك لآيات لكل صبار) يعني على ما أمر الله (شكور) لإنعامه (وإذا غشيهم موج كالظلل) يعني كالجبال وقيل كالسحاب شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها (دعوا الله مخلصين له الدين) معناه أن الإنسان إذا وقع في شدة ابتهل إلى الله بالدعاء وترك كل من عداه ونسى جميع ما سواه فإذا نجا من تلك الشدة فنهم من يبق على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى (فلما نجاهم إلى البر فنهم مقتصد) يعني عدل موف في البر بما عاهد عليه الله في البحر من التوحيد والثبوت على الإيمان وقيل نزلت في عكرمة بن أبي جهل وذلك أنه هرب عام الفتح إلى البحر فجاهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن أئجنا الله من هذا لأرجعن إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولأضعن يده في يدي فسكت الريح ورجع عكرمة إلى مكة وأسلم وحسن إسلامه ومنهم من لم يوف بما

هذه الآية مدنية وقيل إن اليهود أمروا وفد قريش أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقولوا له ذلك وهو بمكة وقيل إن المشركين قالوا إن القرآن وما يأتي به محمد يوشك أن ينفذ فيقطع فأرزل الله تعالى « ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام، أي برت أقلاما وقيل بعدد كل شجرة قلم (والبحر عمده) أي زيده وينصب إليه (من بعده سبعة أبحر) أي مدادا والخلائق يكتبون به كلام الله (ما تقدمت كلمات الله) لأنها لانهائية لها (إن الله عزيز حكيم) قوله تعالى (ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) أي لا كخلق نفس واحدة وبعثها لا يتعدر عليه شيء (إن الله جميع) أي لأقوالكم (بصير) بأعمالكم (لم تر أن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري إلى أجل مسمى وأن الله بما تعملون خبير ذلك بأن الله هو الحق) يعني ذلك الذي هو قادر على هذه الأشياء التي ذكرت « و الحق المستحق للعبادة (وأن ما يدعون من دونه الباطل) يعني لا يستحق العبادة (وأن الله هو العلي) يعني في صفاته له الصفات العليا والأسماء الحسنى (الكبير) في ذاته لأنه أكبر من كل كبير . قوله تعالى (لم تر أن الفلك) يعني السفن والمراكب (تجري في البحر بنعمة الله) يعني ذلك من نعمة الله عليكم (فيريك من آياته) يعني من عجائب صنائعه (إن في ذلك لآيات لكل صبار) يعني على ما أمر الله (شكور) لإنعامه (وإذا غشيهم موج كالظلل) يعني كالجبال وقيل كالسحاب شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها (دعوا الله مخلصين له الدين) معناه أن الإنسان إذا وقع في شدة ابتهل إلى الله بالدعاء وترك كل من عداه ونسى جميع ما سواه فإذا نجا من تلك الشدة فنهم من يبق على تلك الحالة وهو المقتصد وهو قوله تعالى (فلما نجاهم إلى البر فنهم مقتصد) يعني عدل موف في البر بما عاهد عليه الله في البحر من التوحيد والثبوت على الإيمان وقيل نزلت في عكرمة بن أبي جهل وذلك أنه هرب عام الفتح إلى البحر فجاهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن أئجنا الله من هذا لأرجعن إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولأضعن يده في يدي فسكت الريح ورجع عكرمة إلى مكة وأسلم وحسن إسلامه ومنهم من لم يوف بما

هو الحق (وأن ما يدعون من دونه الباطل) وأن الله هو العلي الكبير لم تر أن الفلك تجرى في البحر بنعمة الله (إن ذلك من نعمة الله عليكم (ليريك من آياته) عجائبه (إن في ذلك لآيات لكل صبار) على أمر الله (شكور) لنعمه (وإذا غشيهم موج كالظلل) قال مقاتل كالجبال وقال الكلبي جمع الظلة شبه بها الموج في كثرتها وارتفاعها وجعل الموج وهو واحد كالظلل وهي جمع لأن الموج يأتي منه شيء بعد شيء (دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر فنهم مقتصد) أي عدل موف في البر بما عاهد الله عليه في البحر من التوحيد له يعني ثبت على إيمانه . قبل نزلت في عكرمة بن أبي جهل هرب عام الفتح إلى البحر فجاهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن أئجنا الله من هذا لأرجعن إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولأضعن يدي في يده فسكت الريح فرجع عكرمة إلى مكة فأسلم وحسن إسلامه وقال مجاهد فنهم مقتصد في القول مضمر

لكفر وقال الكلبى مقتصداً في القول أى من الكفار لأن بعضهم كان أشد قولاً وأعلى في الافتراء من بعض (وما يجحد بآياتنا إلا كل خنثار كفور) والخنثار أسوأ الغدر (بأياها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى) لا يفضى ولا يغنى (والد عن ولده ولا مولود هو جاز) مغن (عن والده شيئاً) قال ابن عباس كل امرئ تهمة نفسه (إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) (٢٢٠) يعنى الشيطان قال سعيد بن جبير هو أن يعمل المعصية ويمنى المغفرة :

عاهد وهو المراد بقوله (وما يجحد بآياتنا إلا كل خنثار) يعنى غدار (كفور) يعنى جحود لأنعمنا عليه . قوله تعالى (بأياها الناس اتقوا ربكم) يعنى خافوا ربكم (واخشوا) يعنى وخافوا (يوماً لا يجزى) يعنى لا يفضى ولا يغنى (والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً) قيل معنى الآية إن الله ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة وهما الوالد والولد فبني بالأعلى على الأدنى وبالأدنى على الأعلى فالوالد يجزى عن ولده لسكّال شفقتة عليه والولد يجزى عن والده لما له من حق التربية وغيرها فإذا كان يوم القيامة فكل إنسان يقول نفسى نفسى ولا بهم بقريب ولا بعيد كما قال ابن عباس كل امرئ تهمة نفسه (إن وعد الله حق) قيل إنه تحقيق اليوم معناه اخشوا يوماً هذا شأنه وهو كأن بوعد الله به ووعدته حق وقيل الآية تحقيق بعدم الجزاء يعنى لا يجزى والد عن ولده في ذلك اليوم والقول الأول أحسن وأظهر (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) يعنى لأنها فانية (ولا يغرنكم بالله الغرور) يعنى الشيطان . قال سعيد بن جبير يعمل بالمعاصي ويمنى المغفرة . قوله تعالى (إن الله عنده علم الساعة) الآية نزلت في الحارث بن عمرو بن حارثة ابن حفصة من أهل البادية « أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة ووقتها وقال إن أرضنا أجذبت فمى ينزل الغيث وتركت امرأتى حبل فمى تلد وقد علمت أن ولدت قبأى أرض أموت فأنزل الله هذه الآية (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير » ومعنى الآية إن الله عنده علم الساعة فلا يدري أحد من الناس متى تقوم الساعة في أى سنة أو أى شهر أو أى يوم ليلاً أو نهاراً (وينزل الغيث) فلا يعلم أحد متى ينزل الغيث ليلاً أو نهاراً إلا الله (ويعلم ما فى الأرحام) أذكر أم أنثى أحمر أم أسود تام الخلفة أم ناقص (وما تدري نفس ماذا تكسب غداً) من خير أو شر (وما تدري نفس بأي أرض تموت) يعنى ليس أحد من الناس يعلم أين مضجعه من الأرض في بر أو بحر في سهل أو جبل (إن الله عليم) يعنى بهذه الأشياء ويغيرها (خبير) أى بواطن الأشياء كلها ليس علمه محيط بالظاهر فقط بل علمه محيط بالظاهر والباطن قال ابن عباس هذه الخمسة لا يعلمها ملك مقرب ولا نبي مصطفي فمن ادعى أنه يعلم شيئاً من هذه فله كفر القرآن لأنه خالفه والله تعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه :

(تفسير سورة السجدة وهي مكية)

قال عطاء إلا ثلاث آيات من قوله أفمن كان مؤمناً وهي تسع وعشرون آية وقيل ثلاثون آية وثلاثمائة وثمانون كلمة وألف وخمسةائة وثمانية عشر حرفاً .

ابن عبد الله أنا إبراهيم بن سعد أنا ابن شهاب عن سالم (بسم) ابن عبد الله عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « مفاتيح الغيب خمس إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت » (إن الله عليم خبير)

(سورة الم - السجدة مكية وهي ثلاثون آية)

قال عطاء إلا ثلاث آيات من قوله أفمن كان مؤمناً إلى آخر ثلاث آيات :

قوله (إن الله عنده علم الساعة) الآية نزلت في الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب بن حفصة من أهل البادية « أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله عن الساعة ووقتها وقال إن أرضنا أجذبت فمى ينزل الغيث وتركت امرأتى حبل فمى تلد وقد علمت أن ولدت قبأى أرض أموت فأنزل الله هذه الآية (إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت) وقرأ أبى بن كعب بأية أرض والمشهور بأى أرض لأن الأرض ليس فيها من علامات التأنيث شئ عوقيل أراد بالأرض المكان أخيراً بعد الواحد المليح أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد العزيز

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الم تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين) قال مقاتل : لاشك فيه أنه تنزيل من رب العالمين (أم يقولون) بل يقولون (افترأه) وقيل الميم صلة أي يقولون افترأه استفهام توبيخ وقيل أم بمعنى الواو أي ويقولون افترأه وقيل فيه إضمار مجازه فهل يؤمنون أم يقولون افترأه ثم قال (بل هو الحق) يعني القرآن (من ربك لتتذر قوما ما أتاهم) يعني لم يأتيهم (من نذير من قبلك) قال قتادة كانوا أمة أمية لم يأتيهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقال ابن عباس ومقاتل ذلك في الفترة التي كانت بين عيسى عليه السلام وبين محمد صلى الله عليه وسلم (لعلهم) (٢٢١) يهتدون الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الم تنزيل الكتاب لاريب فيه) يعني لاشك فيه أنه (من رب العالمين أم يقولون) يعني بل يقولون يعني المشركين (افترأه) يعني اختلقه محمد صلى الله عليه وسلم من تلقاء نفسه (بل هو الحق) يعني القرآن (من ربك لتتذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك) يعني العرب كانوا أمة أمية لم يأتيهم نذير قبل محمد صلى الله عليه وسلم . وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما وذلك في الفترة التي كانت بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم . فإن قلت إذا لم يأتيهم رسول لم تقم عليهم حجة . قلت أما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك علمها إلا من جهة الرسل فلا وأما قيام الحجة بمعرفة الله وتوحيده فنعمة لأن معهم أدلة العقل الموصلة ، إلى ذلك في كل زمان (لعلهم يهتدون) يعني تتذبرهم راجيا اهتداءهم (الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش مالك من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون) تقدم تفسيره . قوله تعالى (يدبر الأمر) يعني يحكم الأمر وينزل القضاء والقدر (من السماء إلى الأرض) وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء إلى الأرض (ثم يعرج) يعني يصعد (إليه) جبريل بالأمر (في يوم) كان مقداره ألف سنة مما تعدون) يعني مسافة ما بين السماء والأرض خمسمائة سنة فيكون مقدار نزوله إلى الأرض ثم صعوده إلى السماء في مقدار ألف سنة لو ساره أحد من بني آدم وجبريل ينزل ويصعد في مقدار يوم من أيام الدنيا وأقل من ذلك وكذلك الملائكة كلهم أجمعون وقيل معنى الآية أنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا ثم يعرج إليه أي يرجع الأمر والتدبير إليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الأمر وحكم الحاكم في يوم كان مقداره ألف سنة وهو يوم القيامة . فإن قلت قد قال في موضع آخر تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فكيف الجمع بينهما . قلت أراد بقوله خمسين ألف سنة مدة المسافة بين الأرض وسندرة المنتهى التي هي مقام جبريل عليه السلام بقول يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا وقيل كلها في القيامة فيكون على بعضهم مثل ألف سنة وعلى بعضهم خمسين ألف سنة وهذا في حال الكفار وأما على المؤمنين فدون ذلك كما جاء في الحديث وإنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاها في الدنيا قال إبراهيم النخعي لا يكون على المؤمنين إلا كما يكون ما بين الظهر

سنة أيام ثم استوى على العرش مالك من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون الأمر) أي يحكم الأمر وينزل القضاء والقدر (من السماء إلى الأرض) وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء إلى الأرض (ثم يعرج) يعني يصعد (إليه) جبريل بالأمر (في يوم) كان مقداره ألف سنة مما تعدون) أي في يوم واحد من أيام الدنيا وقدره مسيرة ألف سنة خمسمائة نزوله وخمسمائة صعوده لأن ما بين السماء والأرض خمسمائة عام يقول لو سار فيه أحد من بني آدم لم يقطعه إلا في ألف سنة والملائكة يقطعون في يوم

واحد هذا في وصف عروج الملك من الأرض إلى السماء ، وأما قوله تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أراد مدة المسافة من الأرض إلى السماء إلى سندرة المنتهى التي هي مقام جبريل يقول يسير جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا هذا كله معنى قول مجاهد والضحاك وقوله إليه أي إلى الله وقيل على هذا التأويل إلى مكان الملك الذي أمره الله عز وجل أن يعرج إليه وقال بعضهم ألف سنة وخمسون ألف سنة كلها في القيامة يكون على بعضهم أطول وعلى بعضهم أقصر معناه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا ثم يعرج أي يرجع الأمر والتدبير إليه بعد فناء الدنيا وانقطاع أمر الأمراء وحكم الحكام في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وهو يوم

القيامة وأما قوله خمسين ألف سنة فإنه أراد على الكافر يجعل الله ذلك اليوم عليه مقدار خمسين ألف سنة وعلى المؤمن دون ذلك حتى جاء في الحديث أنه يكون على المؤمن كقدر صلاة مكتوبة صلاحها في الدنيا وقال إبراهيم التيمي لا يكون على المؤمن إلا كما بين الظهر والعصر ويجوز أن يكون هذا إخبار عن شدته وهوله ومشقته وقال ابن أبي مليكة دخلت أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان بن عفان على ابن عباس وسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن قوله خمسين ألف سنة فقال له ابن عباس أيام سماها الله لأدري ماهي وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم (ذلك عالم الغيب والشهادة) يعني ذلك الذي صنع ما ذكره من خلق السموات (٢٢٢) والأرض عالم ما غاب عن عيان الخلق وما حضر (العزيز الرحيم الذي

أحسن كل شيء خلقه)
 والعصر وقيل يحتمل أن يكون هذا إخبار عن شدته وهوله ومشقته وقال ابن أبي مليكة دخلت أنا وعبد الله بن فيروز مولى عثمان بن عباس فسأله ابن فيروز عن هذه الآية وعن مقدار خمسين ألف سنة فقال ابن عباس رضي الله عنهما أيام سماها الله تعالى لأدري ماهي وأكره أن أقول في كتاب الله ما لا أعلم (ذلك عالم الغيب والشهادة) يعني الذي صنع ما ذكر من خلق السموات والأرض هو عالم الغيب والشهادة أي ما غاب عن خلقه لا تخفى عليه خافية والشهادة بمعنى ما حضر وظهر (العزيز) أي الممتنع المنتقم من أعدائه (الرحيم) بأوليائه وأهل طاعته . قوله تعالى (الذي أحسن كل شيء خلقه) قال ابن عباس أتقنه وأحكمه وقيل علم كيف يخلق كل شيء وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض فكل حيوان كامل في صورته حسن في شكله وكل عضو من أعضائه مقدر على ما يصلح به معاشه وقيل معناه أنهم خلقه ما يحتاجون إليه وعلمهم إياه وقيل معناه أحسن إلى كل خلقه (وبدأ خلق الإنسان من طين) يعني آدم (ثم جعل نسله) يعني ذريته (من سلالة) أي من نطفة تنسل من الإنسان (من ماء مهين) أي ضعيف (ثم سواه) أي سوى خلقه (ونفخ فيه من روحه) أضاف إليه الروح لإضافة تشريف كبيت الله وناقة الله ثم ذكر ما يترتب على نفخ الروح في الجسد فقال (وجعل لكم) أي خلق بعد أن كنتم نطفة مواتا (السمع والأبصار والأفئدة) قيل قدم السمع لأن الإنسان يسمع أولا كلاما فينظر إلى قائله ليعرفه ثم يفكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه ووجد السمع لأن الإنسان يسمع الكلام من أي جهة كان (قليلا ماتشكرون) يعني أنكم لاتشكرون رب هذه النعمة فتوجدوه إلا قليلا . قوله تعالى (وقالوا) يعني منكروى البعث (أنذا ضللنا) هلكتنا (في الأرض) والمعنى صرنا ترابا (أننا لفي خلق جديد) استفهام إنكارى قال الله تعالى (بل هم بلبقاء ربهم كافرون) أي بالبعث بعد الموت (قل يتوفاكم) أي يقبض أرواحكم حتى لا يبقى أحد ممن كتب عليه الموت (ملك الموت) وهو عزرائيل عليه السلام الذي وكل بكم) أي أنه لا يغفل عنكم وإذا جاء أجل أحدكم لا يؤخر ساعة ولا يشغل له إلا ذلك روى أن ملك الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض أرواح الخلائق من مشارق الأرض ومغاربها وله أعوان من الملائكة ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وقال ابن عباس إن خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد

جعلت

الرجل (ثم سواه) ثم سوى خلقه (ونفخ فيه من روحه) ثم عاد

إلى ذريته فقال (وجعل لكم) بعد أن كنتم نطفة (السمع والأبصار والأفئدة قليلا ماتشكرون) يعني لاتشكرون رب هذه النعمة فتوجدونه (وقالوا) يعني منكروى البعث (أنذا ضللنا) هلكتنا (في الأرض) وصرنا ترابا وأصله من قولهم ضل الماء في اللبن إذا ذهب (أننا لفي خلق جديد) استفهام إنكارى قال الله عز وجل (بل هم بلبقاء ربهم كافرون) أي بالبعث بعد الموت (قل يتوفاكم) يقبض أرواحكم (ملك الموت الذي وكل بكم) أي وكل يقبض أرواحكم وهو عزرائيل والتوفى استيقاء العدد المضروب للخلق في الأزل معناه أنه يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد الذي كتب عليه الموت وروى أن ملك

الموت جعلت له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها ما أحب من غير مشقة فهو يقبض أنفس الخلق في مشارق الأرض ومغاربها وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فملائكة الرحمة للمؤمنين وملائكة العذاب للكافرين وقال ابن عباس إن خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت له الأرض مثل طست يتناول منها حيث يشاء وفي بعض الأخبار أن ملك الموت على معراج بين السماء والأرض فينزع أعوانه روح الإنسان فإذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت وروى خالد بن معدان عن معاذ بن جبل قال إن ملك الموت حرية تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فإما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فإذا (٢٢٣) رأى إنسانا قد انقضى أجله

ضرب رأسه بثلك الحرية

وقال الآن تنزل بك

سكرات الموت ؛ قوله

(ثم لي ربكم ترجعون)

أي تصيرون إليه أحياء

فيجزىكم بأعمالكم (ولو

ترى إذ المجرمون)

المشركون (ناكسوا

رؤوسهم) مطأطئو

رؤوسهم (عند رؤوسهم)

حياء منه وندما (رينا)

أي يقولون رينا (أبصرنا)

ما كنا به مكذبين (ومعنا)

منك تصديق ما أتينا به

رسلك ؛ وقيل أبصرنا

معاصينا ومعنا ما قيل

فيتا (فارجعنا) فارددنا

إلى الدنيا (نعمل صالحا

إنا موقنون) وجواب

لو مضى مجازه لرأيت

العجب (ولو شئنا لآتينا

كل نفس هاهنا)

جعلت له الأرض مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وقيل إن ملك الموت على معراج بين السماء والأرض فينزع أعوانه روح الإنسان فإذا بلغ ثغرة نحره قبضه ملك الموت. عن معاذ بن جبل قال إن الملك الموت حرية تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من أهل بيت إلا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فإذا رأى إنسانا قد انقضى أجله ضرب رأسه بثلك الحرية وقال له الآن تنزل بك سكرات الموت. وقوله (ثم لي ربكم ترجعون) أي تصيرون إلى ربكم أحياء فيجزىكم بأعمالكم. قوله عز وجل (ولو ترى إذ المجرمون (ناكسوا رؤوسهم عند رؤوسهم) أي يطأطئونها حياء من رؤوسهم وندما على ما فعلوا عند رؤوسهم يقولون (رينا أبصرنا) أي ما كنا به مكذبين (ومعنا) يعني منك تصديق ما أتينا به رسلك وقيل أبصرنا أبصرنا معاصينا ومعنا ما قيل فيها (فارجعنا) أي فارددنا إلى الدنيا (نعمل صالحا إنا موقنون) أي في الحال آمنة ولكن لا ينفذ ذلك الإيمان (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) أي رشدنا وتوفيقها للإيمان (ولكن حق القول مني) أي وجب القول مني (لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) أي من كفار الجن والإنس (فذوقوا) يعني فإذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة ذوقوا (بما نسيت لقاء يومكم) أي تركتم الإيمان في الدنيا (هذا إنا نسيناكم) يعني تركناكم بالسكينة غير ملتفت إليكم كما يفعل بالناس قطعاً لرجائكم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) أي من الكفر والتكذيب. قوله تعالى (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها) أي وعظوا بها (خروا سجداً) يعني سطوا على وجوههم ساجدين (وسبحوا بحمد ربهم) يعني صلوا بأمر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده (وهم لا يستكبرون) يعني عن الإيمان به والسجود له (ق) عن ابن عمر قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ السورة التي فيها السجدة فيسجد ويسجدون حتى ما يجد أحدنا مكاناً لوضع جبهته في غير وقت الصلاة (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وإذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي ويقول يا ويلتنا أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود فأبيت في النار وهذه من عزائم سجود القرآن فتسن للقارىء والمستمع. قوله تعالى (تتجافى جنوبهم) يعني ترتفع وتنبو (عن المضاجع) جمع مضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني القرش وهم المنتهجون بالليل الذي يقيمون

رشدنا وتوفيقها للإيمان (ولكن حق) وجب (القول مني لاملأن جهنم من الجنة، والناس أجمعين) وهو قوله لإبليس واملأن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين ثم يقال لأهل النار وقال مقاتل إذا دخلوا النار قالت لهم الخزنة (فذوقوا بما نسيت لقاء يومكم هذا) أي تركتم الإيمان به في الدنيا (إننا نسيناكم) تركناكم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) من الكفر والتكذيب. قوله عز وجل (إنما يؤمن بآياتنا الذين إذا ذكروا بها) وعظوا بها (خروا سجداً) سطوا على وجوههم ساجدين (وسبحوا بحمد ربهم) قبل صلوا بأمر ربهم وقيل قالوا سبحان الله وبحمده (وهم لا يستكبرون) عن الإيمان والسجود له (تتجافى) ترتفع وتنبو (جنوبهم عن المضاجع) - مع ضجع وهو الموضع الذي يضطجع عليه يعني القرش وهم المنتهجون بالليل الذين يقومون للصلاة. واختلفوا في المراد بهذه الآية قال أنس نزلت فينا معشر الأنصار كنا نصلى المغرب فلا ترجع

إلى رحالنا حتى نصل العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن أنس أيضا قال نزلت في أناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يصلون من صلاة المغرب إلى صلاة العشاء وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وقالوا هي صلاة الأوابين ، وروى عن ابن عباس رضي الله عنه قال إن الملائكة لتتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الأوابين وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة وعن أبي الدرداء ، وأبي ذر وعيادة بن الصامت رضي الله عنهم هم الذين يصلون العشاء الآخرة والفجر في جماعة وروينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ومن صلى العشاء في جماعة كان كمن قام نصف ليلة ومن صلى الفجر (٢٢٤) في جماعة كان كقيام ليلة . أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد

الصلاة وقال أنس نزلت فينا معاشر الأتصار كنا نصل المغرب فلا نرجع إلى رحالنا حتى نصل العشاء مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أنس في قوله « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » نزلت في انتظار الصلاة التي تدعى العتمة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح وفي رواية أبي دواد عنه قال كانوا يتنفلون ما بين المغرب والعشاء أي يصلون وهو قول أبي حازم ومحمد بن المنكدر وقيل هي صلاة الأوابين وروى عن ابن عباس قال إن الملائكة لتتحف بالذين يصلون بين المغرب والعشاء وهي صلاة الأوابين وقال عطاء هم الذين لا ينامون حتى يصلوا العشاء الآخرة والفجر في جماعة بدليل قوله صلى الله عليه وسلم « من صلى العشاء في جماعة فكأنما قام نصف الليل ومن صلى الصبح في جماعة فكأنما صلى الليل كله » أخرجه مسلم من حديث عثمان بن عفان (ق) عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوها » وأشهر الأقاويل أن المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك الأوزاعي وجماعة :

(فصل : في فضل قيام الليل والحث عليه)

عن معاذ بن جبل قال « كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوما قريبا منه وهو يسير فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم قرأ تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟ قلت بلى يا رسول الله قال رأس الأمر الإسلام وعموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله قال فأخذ بلسانه وقال اكف عيناك هذا فقلت يا رسول الله وإنا المؤمنون بما نتكلم فقال شكك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم وقال على مناخرهم إلا حصائد السننهم » أخرجه الترمذي عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة إلى ربكم وتكفير السيئات ومنهاة عن الآثام ومطرودة الداء عن الجسد » أخرجه الترمذي عن ابن مسعود

أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مضعب عن مالك عن سمي مولى أبي بكر ابن عبد الرحمن عن أبي صالح السمان عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا ولو يعلمون ما في التهجير لاستبقوا إليه ولو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوها » وأشهر الأقاويل أن المراد منه صلاة الليل وهو قول الحسن ومجاهد ومالك والأوزاعي وجماعة . أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحني أنا أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الله ابن بشم إن أنا أبو علي إسماعيل بن محمد الصغار أنا أحمد بن منصور

قال

الرمادي أنا عبد الرزاق أنا معمر بن عاصم بن أبي النجود

عن أبي وائل عن معاذ بن جبل قال « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوما قريبا منه وهو يسير فقلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت عن أمر عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه تعبد الله ولا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفى الخطيئة وصلاة الرجل في جوف الليل ثم تلا : تتجافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ جزاء بما كانوا يعملون » ثم قال ألا أدلك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الأمر الإسلام وعموده

الصلاة وذروة سنانه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قالت بلى يا نبي الله قال فأخذ بلسانه فقال انكف عنيك هذا فقلت يا نبي الله وإنما لو أخذون بما تشكلم به ؟ قال شكلك أمك يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو قال على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم حدثنا أبو الفضل زياد بن محمد بن زياد الحنفي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن أحمد المظفدي أنا محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرباني أنا حميد بن زنجويه أنا أبو عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح حدثني ربيعة ابن يزيد عن أبي إدريس الخولاني عن أبي أمامة الباهلي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وقربة لكم إلى ربكم وتكفير للسيئات ومنهاة عن الإثم أخبرنا عبد الواحد المليحي أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرباني أنا حميد بن زنجويه أنا روح بن أسلم أنا حماد بن سلمة أنا عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين جنبيه وأهله إلى صلواته فيقول الله للملائكة انظروا إلى عبدی ثار عن فراشه ووطائه من بين جنبيه وأهله إلى صلواته رغبة فيا عندي وشفقة مما عندي ورجل غزا (٢٢٥) في سبيل الله فانهزم مع أصحابه

فعل ما عليه في الانهزام
وماله في الرجوع فرجع
فقاتل حتى أهرق دمه
فيقول الله للملائكة
انظروا إلى عبدی رجع
رغبة فيا عندي وشفقة
مما عندي حتى أهرق
دمه أخبرنا أبو عثمان
الضبي أنا أبو محمد
الجراح أنا أبو العباس
الجبوي أنا أبو عيسى
الترمذي أنا قتيبة بن
سعيد أنا أبو عوانة عن
أبي بشر عن حميد بن
عبد الرحمن الحميري

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عجب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه ولحافه من بين جنبيه وأهله إلى صلواته فيقول الله عز وجل للملائكة انظروا إلى عبدی ثار عن فراشه ووطائه من بين جنبيه وأهله إلى صلواته رغبة فيا عندي وشفقة مما عندي ورجل غزا في سبيل الله وانهزم مع أصحابه فعل ما عليه في الانهزام وماله في الرجوع حتى أهرق دمه فيقول الله تعالى للملائكة انظروا إلى عبدی رجع رغبة فيا عندي وشفقة مما عندي حتى أهرق دمه أخرجه الترمذي بمعناه (م) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل (ق) عن عائشة قالت كان رسول الله ﷺ يقوم الليل حتى تورمت قدماه فقلت لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا عن علي قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة غرفا يرى باطنها من ظاهرها وظاهرها من باطنها أعداها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتاب الصيام وصلى بالليل والناس نيام أخرجه الترمذي (خ) عن الهيثم بن أبي سنان أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه في قصة يذكر النبي صلى الله عليه وسلم يقول إن أخا لكم لا يقول الرفث يعني بذلك ابن رواحة قال
وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقاوبنا به موقنات ما إذا قال واقع
بيت بجافي جنبه عن فراشه إذا استنقلت بالكافرين المضاجع

(٢٩ - خازن بالبغوى - خامس) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو الحسين بن بشران أنا إسماعيل بن محمد الصفار أنا أحمد بن منصور الرمادى أنا عبد الرزاق أنا معمر بن يحيى بن أبي كثير عن ابن معاذ عن أبي ماعز الأشعري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعداها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتاب الصيام وصلى بالليل والناس نيام أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أصبغ أخبرني عبد الله بن وهب أخبرني يونس عن ابن شهاب أن الهيثم بن أبي سنان أخبره أنه سمع أبا هريرة في قصصه يذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول إن أخا لكم لا يقول الرفث يعني بذلك عبد الله بن رواحة قال :
وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع
بيت بجافي جنبه عن فراشه إذا استنقلت بالكافرين المضاجع

وقوله عز وجل (يدعون ربهم خوفاً وطمعا) قال ابن عباس : خوفاً من النار وطمعاً في الجنة (وما رزقناهم ينفقون) قيل أراد به الصدقة المفروضة ، وقيل عام في الواجب والتطوع (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم) قرأ حمزة ويعقوب أخفى لهم ساكنة الياء أي أنا أخفى لهم ومن حجته قراءة ابن مسعود تخفى بالنون وقرأ الآخرون بفتحها (من قرأ أعين) مما تقر به أعينهم (جزاء بما كانوا يعملون) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا إسحاق بن نصر أنا أبو أسامة عن الأعمش أنا أبو صالح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخرنا له ما أطلعتم عليه ثم قرأ فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من (٢٢٦) قرأه أعين جزاء بما كانوا يعملون » قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له

وعن بعضهم قال : أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم قوله عز وجل (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستويون) نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط أخى عثمان لأمه وذلك أنه كان بينهما تنازع وكلام في شيء فقال الوليد بن عقبة لعلي اسكت فإنك صبي وأنا والله أنشط منك لساناً وأحد منك سناناً وأجيع منك حشواً في الكتبية فقال له علي اسكت فإنك فاسق فأنزل الله تعالى وأفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستويون ، ولم

أخرجه البخاري وليس للهيثم بن سنان عن أبي هريرة في الصحيحين غير هذا الحديث . وقوله تعالى (يدعون ربهم خوفاً وطمعا) قال ابن عباس خوفاً من النار وطمعاً في الجنة (وما رزقناهم ينفقون) قيل أراد به الصدقة المفروضة وقيل بل هو عام في الواجب والتطوع . قوله عز وجل (فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرأه أعين) أي مما تقر به أعينهم فلا يلتفتون إلى غيره قال ابن عباس هذا مما لا تفسير له وقيل أخفوا أعمالهم فأخفى الله ثوابهم (جزاء بما كانوا يعملون) أي من الطاعات في دار الدنيا (في) عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « يقول الله تبارك وتعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وافرءوا إن شئتم : فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرأه أعين » . قوله تعالى (أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستويون) نزلت في علي بن أبي طالب والوليد بن عقبة بن أبي معيط كان بينهما تنازع وكلام في شيء فقال الوليد لعلي اسكت فإنك صبي وأنا شيخ وإني أبسط منك لساناً وأحد منك سناناً وأجيع منك حشواً وأملأ منك حشواً في الكتبية فقال له علي اسكت فإنك فاسق فأنزل الله هذه الآية وقوله لا يستويون أراد جنس المؤمنين وجمس الفاسقين ولم يرد مؤمناً واحداً ولا فاسقاً واحداً (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) أي التي يأوي إليها المؤمنون (نزلاً) هو ما يبأ للضيف عند نزوله (بما كانوا يعملون) يعني من الطاعات في دار الدنيا (وأما الذين فسقوا فإواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون) قوله تعالى (ولنديقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر) أي سوى العذاب الأكبر قال ابن عباس العذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها ، وعنه أنه الحدود وقيل هو الجوع بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب سبع سنين وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر والأكبر هو عذاب جهنم (لعلهم يرجعون) أي إلى الإيمان يعني من بقي منهم بعد القحط وبعد بدر (ومن أظلم) أي لا أحد أظلم (ممن ذكر بآيات ربه) أي بدلائل وحدانيته وإنعامه عليه (ثم أعرض عنها) أي ترك الإيمان بها (إنا من المجرمين) يعني المشركين

يقول لا يستويان لأنه لم يرد مؤمناً واحداً وفاسقاً واحداً

(مستقيمون)

بل أراد جميع المؤمنين وجميع الفاسقين (أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى) التي يأوي إليها المؤمنون (نزلاً) بما كانوا يعملون وأما الذين فسقوا فإواهم النار كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون ولنديقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر (لعلهم يرجعون) قال ابن عباس كعب والضحاك والحسن وإبراهيم العذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وهو رواية الوالي عن ابن عباس ، وقال عكرمة عنه الحدود ، وقال مقاتل الجوع سبع سنين بمكة حتى أكلوا الجيف والعظام والكلاب ، وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يوم بدر وهو قول قتادة والسدي دون العذاب الأكبر يعني عذاب الآخرة لعلهم يرجعون إلى الإيمان يعني من بقي منهم بعد بدر وبعد القحط قوله عز وجل (ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين) يعني المشركين

(منتقمون) ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرة من لقاءه) يعني فلا تكن في شك من لقاء موسى ليلة المعراج ، قاله ابن عباس وغيره أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشار أنا غندر عن شعبة عن قتادة رحهما الله قال وقال لى خليفة (٢٢٧) أنا يزيد بن زريع أنا سعيد عن

قتادة عن أبي العالية قال (منتقمون) معناه أنهم لما لم يرجعوا بالعذاب الأدنى فإنا منهم منتقمون بالعذاب الأكبر . قوله تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب) أى التوراة (فلا تكن في مرة) أى في شك (من لقاءه) أى من لقاء موسى ليلة المعراج قاله ابن عباس (ق) عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ليلة أسرى في موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق إلى الحمرة وإلى البياض سبط الشعر ورأيت مالكاً خازن النار والدجال في آيات أراهن الله إياه فلا تكن في مرة من لقاءه (م) عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أتيت على موسى ليلة المعراج ليلة أسرى بي عند الكتيب الأحمر وهو قائم يصلى في قبره » . فإن قلت قد صح في حديث المعراج أنه رآه في السماء السادسة عند مراجعته في الصلوات فكيف اجتمع بين هذين الحديثين . قلت يحتمل أن تكون رؤيته في قبره عند الكتيب الأحمر كان قبل صعوده إلى السماء وذلك في طريقه إلى بيت المقدس ثم لما صعد إلى السماء السادسة وجده هناك قد سبقه لما يريد الله عز وجل وهو على كل شيء قدير . فإن قلت كيف تصح منه الصلاة في قبره وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو في دار الآخرة وليست دار عمل وكذلك رأى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الأنبياء وهم يحجون فما الجواب عن هذا . قلت يجاب عنه بأجوبة أحدها أن الأنبياء كالشهداء بل هم أفضل منهم والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون فلا يبعد أن يحجوا أو يصلوا كما صح في الحديث وأن يقتربوا إلى الله بما استطاعوا وإن كانوا قد ماتوا لأنهم بمنزلة الأحياء في هذه الدار التي هي دار العمل إلى أن تفتى ثم يرسلون إلى دار الجزاء التي هي الجنة الجواب الثاني أنه صلى الله عليه وسلم رأى حاله الذي كانوا عليه في حياتهم ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان حجهم وصلاتهم الجواب الثالث أن التكليف وإن ارتفع عنهم في الآخرة لكن الذكر والشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى «دعواهم فيها سبحانه اللهم وتحيتهم فيها سلام» وقال صلى الله عليه وسلم «يلهمون التسييح كما يلهمون النفس» فالعبد يعبد ربه في الجنة أكثر مما كان يعبد في الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار حاله مثل حال الملائكة الذين قال الله في حقهم «يسبحون الليل والنهار لا يفترون» غاية ما في الباب أن العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي على مقتضى الطبع والله أعلم وقيل في قوله «فلا تكن في مرة من لقاءه» أى من تلقى موسى كتاب الله بالرضا والقبول (وجعلناه) أى الكتاب (هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم) أى من بنى إسرائيل (أمم) أى قادة للخير يقتدى بهم وهم الأنبياء الذين كانوا في بنى إسرائيل وقيل هم أتباع الأنبياء (يهدون بأمرنا) يعنى يدعون الناس إلى طاعتنا (لما صبروا) يعنى على دينهم وعلى البلاء من عدوهم (وكانوا بآياتنا يوقنون) يعنى أنها من الله تعالى (إن ربك هو يفصل) أى يقضى ويحكم (بينهم يوم القيامة) أى كانوا فيه يختلفون) قبلهم الأنبياء وأممهم وقيل هم المؤمنون والمشركون قوله تعالى (أو لم يهد لهم)

أنا ابن عم نبيكم يعنى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « رأيت ليلة أسرى في موسى رجلا آدم طوالا جعدا كأنه من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلا مربوعا مربوع الخلق إلى الحمرة والبياض سبط الرأس ورأيت مالكاً خازن النار والدجال في آيات أراهن الله إياه فلا تكن في مرة من لقاءه » أخبرنا أبو صالح أحمد بن عبد الملك المؤذن أنا عبد الله الغاملى أنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن إبراهيم البزار أنا محمد بن يونس أنا عمر بن حبيب القاضى أنا سليمان التيمي عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لما أسرى في إلى السماء رأيت موسى يصلى في قبره » وروينا في المعراج أنه رآه في السماء السادسة ومراجعت في أمر الصلاة قال السدي فلا تكن في مرة من لقاءه أى من تلقى موسى كتاب الله بالرضا والقبول (وجعلناه)

يعنى الكتاب وهو التوراة وقال قتادة موسى (هدى لبني إسرائيل وجعلنا منهم) يعنى من بنى إسرائيل (أمم) قادة للخير يقتدى بهم يعنى الأنبياء الذين كانوا فيهم وقال قتادة أتباع الأنبياء (يهدون) يدعون (بأمرنا لما صبروا) قرأ حمزة والكسائي بكسر اللام وتخفيف الميم أى لصبرهم وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد الميم أى حين صبروا على دينهم وعلى البلاء من عدوهم بمصر (وكانوا بآياتنا يوقنون إن ربك هو يفصل) يقضى (بينهم يوم القيامة) فيما كانوا فيه يختلفون أو لم يهد لهم

كم أهلكنا من قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون (آيات الله وعظاته فيتعظون بها) (أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز) أي اليابسة الغليظة التي لانبات فيها قال ابن عباس هي أرض باليمن وقال مجاهد هي أرض أبين (فخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم) من العشب والتبن (وأنفسهم) من الحبوب والأقوات (أفلا يبصرون ويقولون منى هذا الفتح إن كنتم صادقين) قيل أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم بين العباد قال قتادة قال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم للكفار (٢٢٨) إن لنا يوماً نتنعم فيه ونستريح وبحكم بيننا وبينكم فقالوا استهزاء منى

هذا الفتح أي القضاء والحكم وقال الكلبي يعني فتح مكة وقال السدي يوم بدر لأن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون لهم ، إن الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون منى هذا الفتح (قل يوم الفتح) يوم القيامة (لا ينفع الذين كفروا إيمانهم) ومن حمل الفتح على فتح مكة والقتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا جاءهم العذاب وقتلوا (ولا هم ينظرون) لا يمهلون ليتوبوا ويعتدروا (فأعرض عنهم) قال ابن عباس نسختها آية السيف (وانتظروا) وانتظروا منهم منتظرون) قيل انتظر موعدي لك بالنصر عليهم (فأعرض عنهم) قال ابن عباس نسختها آية السيف (وانتظروا منهم منتظرون) قيل انتظر موعدي لك بالنصر إنهم منتظرون بك حوادث الزمان وقيل انتظر عذابنا فيهم فلأنهم منتظرون ذلك أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا

أي نيين لهم (كم أهلكنا) يعني كثرة من أهلكنا (من قبلهم من القرون) يعني الأمم الحالية (يمشون في مساكنهم) يعني أهل مكة يسبرون في بلادهم ومنازلهم إذا سافروا (إن في ذلك لآيات أفلا يسمعون) يعني آيات الله ومواعظه فيتعظون بها . قوله عز وجل (أو لم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز) أي الأرض اليابسة الغليظة التي لانبات فيها قال ابن عباس هي أرض باليمن وقيل هي أبين (فخرج به) أي بذلك الماء (زرعاً تأكل منه أنعامهم) يعني العشب والتبن (وأنفسهم) أي من الحبوب والأقوات (أفلا يبصرون) يعني فيعتبروا . قوله تعالى (ويقولون منى هذا الفتح إن كنتم صادقين) قيل أراد بيوم الفتح يوم القيامة الذي فيه الحكم والقضاء بين العباد وذلك أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا للكفار إن لنا يوماً نتنعم فيه ونستريح وبحكم بيننا وبينكم فقال الكفار استهزاء منى هذا الفتح أي القضاء والحكم وقيل هو فتح مكة وقيل يوم بدر وذلك أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كانوا يقولون للكفار إن الله ناصرنا ومظهرنا عليكم فيقولون منى هذا الفتح (قل يوم الفتح) يعني يوم القيامة (لا ينفع الذين كفروا إيمانهم) يعني لا يقبل منهم الإيمان ومن حمل يوم الفتح على فتح مكة أو القتل يوم بدر قال معناه لا ينفع الذين كفروا إيمانهم إذا جاءهم العذاب وقتلوا (ولا هم ينظرون) يعني يمهلون ليتوبوا ويعتدروا (فأعرض عنهم) قال ابن عباس نسختها آية السيف (وانتظروا) أي بك حوادث الزمان وقيل معناه انتظر عذابنا إياهم فهم منتظرون ذلك (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة ألم تنزيل الكتاب وهل أتى على الإنسان» عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم «كان لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل الكتاب وتبارك الذي بيده الملك» أخرجه الترمذي وقال مطاوس تفضلان عن كل سورة في القرآن بسبعين حسنة أخرجه الترمذي والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه :

(تفسير سورة الأحزاب)

مدينة وهي ثلاث وسبعون آية وألف ومائتان وثمانون كلمة وخمسة آلاف وسبعمائة وتسعون حرفاً

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (يا أيها النبي اتق الله

أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا أبو نعيم أنا سفيان عن سعد بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن هرم عن أبي هريرة قال «كان النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في الفجر يوم الجمعة ألم تنزيل السجدة وهل أتى على الإنسان» أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا أبو نعيم أنا سفيان عن ليث عن أبي الزبير عن جابر قال «كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ ألم تنزيل وتبارك الذي بيده الملك» (سورة الأحزاب مدينة وهي ثلاث وسبعون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها النبي اتق الله) نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور عمرو بن سفيان السلمى وذلك

أنهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر آهتنا اللات والعزى ومناة وقل إن لها (٢٣٩) شفاعة لمن عبدها وتدعك وربك

ولا تطع الكافرين والمنافقين) نزلت في أبي سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبي الأعور عمرو بن سفيان السلمى وذلك أنهم قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أبيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده عمر بن الخطاب ارفض ذكر آهتنا اللات والعزى ومناة وقل إن لها شفاعة لمن عبدها وتدعك وربك فشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يارسول الله ائذن لي في قتلهم فقال إني أعطيتهم الأمان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر أن يخرجهم من المدينة فأرسل الله تعالى ويا أيها النبي اتق الله أي دم على التقوى وقيل معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به أمته ولا تطع الكافرين يعني من أهل مكة يعني أبا سفيان وعكرمة وأبا الأعور والمنافقين يعني من أهل المدينة عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعمة (إن الله كان عليا) أي بخلقهم قبل أن يخلقهم (حكيا) أي فيما دبره لهم (واتبع ما يوحى إليك من ربك) يعني من وفاء العهد وترك طاعة الكافرين والمنافقين (إن الله كان بما تعملون خبيرا وتوكل على الله) أي ثق بالله وكل أمرك إليه (وكنى بالله وكيلا) يعني حافظا لك وقيل كفيلا برزقك. قوله تعالى (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) نزلت في أبي معمر جميل بن معمر الفهري وكان رجلا ليبيا حافظا لما يسمع فقالت قريش ماحتفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا وله قلبان وكان يقول إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم فلقبه أبو سفيان وإحدى نعله في يده والأخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس فقال انهزموا فقال له فما بال إحدى نعليك في يديك والأخرى في رجلك فقال أبو معمر ما شعرت إلا أنهما في رجلي فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسى نعله في يده وعن أبي ظبيان قال قلنا لابن عباس رأيت قول الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ما عني بذلك قال و قام نبي الله صلى الله عليه وسلم يوما يصلي فخطر خطرة فقال المنافقون الذين يصلون معه ألا تروا أن له قلبين قلبا معكم وقلبا معهم فأرسل الله ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وأخرجه الترمذي وقال حديث حسن قوله خطر خطرة يريد الوسوسة التي تحصل للإنسان في الصلاة قيل في معنى الآية أنه لما قال الله تعالى ويا أيها النبي اتق الله فكان ذلك أمرا بالتقوى فكانه قال ومن حقها أن لا يكون في قلبك تقوى غير الله فإن المرء ليس له قلبان حتى يتقى الله بأحدهما وبالأخر غيره وقيل إن هذا مثل ضربه الله تعالى للمظاهر من امرأته وللمتنبئ ولد غيره فكما لا يكون لرجل قلبان لأنه لا يخلو إما أن يفعل بأحدهما ما يفعل بالأخر من أفعال الكفار فالأخر فضلة غير محتاج إليه وإما أن يفعل بهذا ما لا يفعل بذلك فذلك يؤدي إلى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها عالما جاهلا موقنا شاكيا في حالة

فشق على النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم قوطم فقال عمر يارسول الله ائذن لنا في قتلهم فقال إني قد أعطيتهم الأمان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه فأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر أن يخرجهم من المدينة فأرسل الله تعالى ويا أيها النبي اتق الله أي دم على التقوى كالرجل يقول لغیره وهو قائم قم ها هنا أي اثبت قائما وقيل الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم والمراد به الأمة . وقال الضحاک معناه اتق الله ولا تنقض العهد الذي بينك وبينهم (ولا تطع الكافرين) من أهل مكة يعني أبا سفيان وعكرمة وأبا الأعور (والمنافقين) من أهل المدينة عبد الله بن أبي وعبد الله بن سعد وطعيمة (إن الله كان عليا) أي بخلقهم (حكيا) فيما دبره لهم (واتبع ما يوحى إليك من ربك) إن الله كان بما تعملون خبيرا) قرأ أبو عمرو ، يعملون كبيرا ويعملون بصيرا

بالباء فيها وقرأ غيره بالثاء (وتوكل على الله) ثق بالله (وكنى بالله وكيلا) حافظا لك وقيل كفيلا برزقك ، قوله عز وجل (ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه) نزلت في أبي معمر جميل بن معمر الفهري وكان رجلا ليبيا حافظا لما يسمع فقالت قريش ماحتفظ أبو معمر هذه الأشياء إلا وله قلبان وكان يقول إن لي قلبين أعقل بكل واحد منهما أفضل من عقل

محمد فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهزم أبو معمر فيهم فلقبه أبو سفيان وإحدى نعليه في يده والأخرى في رجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس قال انهزموا قال فمالك إحدى نعليك في يدك والأخرى في رجلك ؟ فقال أبو معمر ما شعرت إلا أنهما في رجلي فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسي نعله في يده ؛ وقال الزهري ومقاتل هذا مثل ضربه الله عز وجل للمظاهر من امرأته وللمتنبئ ولد غيره يقول فكما لا يكون لرجل قلبان كذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى تكون له أمان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين (وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم) قرأ أهل الشام والكوفة اللأئي هاهنا وفي سورة الطلاق بيا بعد الهمة وقرأ قالون عن نافع ويعقوب بغير ياء بعد الهمة وقرأ الآخرون بتلين الهمة وكلها لغات معروفة تظاهرون وقرأ عاصم بالألف وضم التاء وكسر الهاء مخففا وقرأ حمزة والكسائي بفتح التاء والهاء مخففا . وقرأ ابن عامر بفتحها وتشديد الظاء وقرأ الآخرون بفتحها وتشديد الظاء والهاء من غير ألف بينهما وصورة الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمي يقول (٢٣٠) الله تعالى ما جعل نساءكم اللائي تقولون لمن هذا في التحريم كأمهاتكم

واحدة وهما حالتان متناقضتان فكذلك لا تكون امرأة المظاهر أمه حتى يكون له أمان ولا يكون ولد واحد ابن رجلين ؛ قوله تعالى (وما جعل أزواجكم اللائي تظاهرون منهن أمهاتكم) وصورة الظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمي يقول الله وما جعل نساءكم التي تقولون لمن هذا في التحريم كأمهاتكم ولكنه منكم منكر وزور وفيه كفاة وسيأتي الكلام عليه إن شاء الله في سورة الاحقاف قوله تعالى (وما جعل أدعياءكم) يعني من يتبنونهم (أبناءكم) وفيه نسخ التبنّي وذلك أن الرجل في الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه إليه الناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعتق زيد بن حارثة ابن شراحيل الكلبي وتبناه قبل الوحي وأخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فأُنزل الله هذه الآية ونسخ به التبنّي (ذلكم قولكم بأفواهكم) أي لاجقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد وادعاء النسب لاجقيقة له (والله يقول الحق) يعني قوله الحق (وهو يهدي السبيل) يعني يرشد إلى سبيل الحق (ادعوهم لأبائهم) يعني الذين ولدوهم فقولوا زيد بن حارثة (هو أقسط عند الله) يعني أعدل عند الله (ق) عن ابن عمر قال « إن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله الآية » (فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين) يعني فهم إخوانكم (ومواليكم) أي كانوا محررين وليسوا ببنيكم أي فسموهم بأسماء إخوانكم في الدين وقيل معنى مواليكم أولياؤكم في الدين (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي قيل النهي فستبتموه إلى غير أبيه (ولكن ما تعدمت قلوبكم) أي من دعائهم إلى غير آبائهم بعد النهي وقيل فيما أخطأتم به أن

ولكنه منكر وزور وفيه كفاة نذكرها إن شاء الله تعالى في سورة الاحقاف (وما جعل أدعياءكم) يعني من يتبنونهم (أبناءكم) وفيه نسخ التبنّي وذلك أن الرجل في الجاهلية يتبنى الرجل فيجعله كالابن المولود يدعوه إليه الناس ويرث ميراثه وكان النبي صلى الله عليه وسلم أعتق زيد بن حارثة ابن شراحيل الكلبي وتبناه قبل الوحي وأخى بينه وبين حمزة بن عبد المطلب فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وكانت تحت زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فأُنزل الله هذه الآية ونسخ به التبنّي (ذلكم قولكم بأفواهكم) أي لاجقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد وادعاء النسب لاجقيقة له (والله يقول الحق) يعني قوله الحق (وهو يهدي السبيل) يعني يرشد إلى سبيل الحق (ادعوهم لأبائهم) يعني الذين ولدوهم فقولوا زيد بن حارثة (هو أقسط عند الله) يعني أعدل عند الله (ق) عن ابن عمر قال « إن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله الآية » (فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين) يعني فهم إخوانكم (ومواليكم) أي كانوا محررين وليسوا ببنيكم أي فسموهم بأسماء إخوانكم في الدين وقيل معنى مواليكم أولياؤكم في الدين (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) أي قيل النهي فستبتموه إلى غير أبيه (ولكن ما تعدمت قلوبكم) أي من دعائهم إلى غير آبائهم بعد النهي وقيل فيما أخطأتم به أن

تدعوه

زيد بن حارثة قال المنافقون تزوج محمد امرأة ابنه وهو ينهى الناس

عن ذلك فأُنزل الله هذه الآية ونسخ التبنّي (ذلكم قولكم بأفواهكم) لاجقيقة له يعني قولهم زيد بن محمد صلى الله عليه وسلم وادعاء نسب لاجقيقة له (والله يقول الحق) يعني قوله الحق (وهو يهدي السبيل) أي يرشدهم إلى سبيل الحق (ادعوهم لأبائهم) الذين ولدوهم (هو أقسط) أعدل (عند الله) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا معلى بن أسد أنا عبد العزيز بن الحنّان أنا موسى بن عقبة حدثني سالم عن عبد الله بن عمر أن زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوهم لأبائهم هو أقسط عند الله (فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم) في الدين (ومواليكم) إن كانوا محررين وليسوا ببنيكم ، أي سموهم بأسماء إخوانكم في الدين وقيل مواليكم أي أولياؤكم في الدين (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به) قبل النهي فستبتموه إلى غير أبيه (ولكن ما تعدمت قلوبكم) من دعائهم إلى غير آبائهم بعد النهي وقيل فيما أخطأتم به أن تدعوه لغير أبيه وهو يظن أنه كذلك ومحل

ما في قوله تعالى ما تعددت خفض ردا على ما التي في قوله فيما أخطأتم به مجازة ولكن فيما تعددت قلوبكم (وكان الله غفورا رحيما) أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد ابن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن بشار أنا غندر أنا شعبة عن عاصم قال سمعت أبا عثمان قال سمعت سعدا وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله وأبا بكره وكان قد تسور حصن الطائف في أناس فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالا سمعنا النبي صلى الله عليه وسلم يقول «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام» قوله عز وجل (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) يعني من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه فيهم ووجوب طاعته عليهم وقال ابن عباس وعطاء يعني إذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعوتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم أولى بهم من طاعتهم أنفسهم قال ابن زيد النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فيما قضى فيهم (٢٣١) كما أنت أولى بعبدك فيما

تدعوه إلى غير أبيه وهو يظن أنه كذلك (وكان الله غفورا رحيما) (ق) عن سعيد بن أبي وقاص وأبي بكره أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم أنه غير أبيه فالجنة عليه حرام» قوله عز وجل (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) يعني من بعضهم ببعض في نفوذ حكمه عليهم ووجوب طاعته وقال ابن عباس إذا دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم ودعوتهم أنفسهم إلى شيء كانت طاعة النبي صلى الله عليه وسلم أولى بهم من طاعة أنفسهم وهذا صحيح لأن أنفسهم تدعوهم إلى ما فيه هلاكهم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوهم إلى ما فيه نجاتهم وقيل هو أولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج إلى الجهاد فيقول قوم نذهب فتستأذن من آبائنا وأمهاتنا فنزلت الآية (ق) عن أبي هريرة قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة واقربوا إن شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأبما مؤمن ترك مالا فليتره عصبته من كانوا ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاة» عصبته الميت من يرثه سوي من له فرض مقدر وقوله أو ضياعاً أي عيالا وأصله مصدر ضاع يضيع ضياعاً وإن كسرت الضاد كان جمع ضائع . قوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) يعني أمهات المؤمنين في تعظيم الحرمة وتحريم نكاحهن على التأنيد لافي النظر إليهن والخلوقة بهن فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجانب ولا يقال لبناتهن من أخوات المؤمنين ولا لإخواتهن وأخواتهن من أخوات المؤمنين وخالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر وهي أخت عائشة أم المؤمنين ولم يقل هي خالة المؤمنين وقيل إن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن أمهات المؤمنين والمؤمنات الرجال والنساء وقيل كن أمهات الرجال دون النساء بدليل ما روى عن مسروق أن امرأة قالت لعائشة يأمه فقالت لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم فبان بذلك أن معنى الأمة إنما هو تحريم نكاحهن (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) يعني في الميراث قيل كان المسلمون يتوارثون بالهجرة وقيل أخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان يؤاخى بين الرجلين فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت وأولى الأرحام بعضهم أولى ببعض

قضيت عليه وقيل هو أولى بهم في الحمل على الجهاد وبذل النفس دونه وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج إلى الجهاد فيقول قوم نذهب فتستأذن من آبائنا وأمهاتنا فنزلت الآية أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن محمد أنا أبو عامر أنا فليح عن هلال بن علي عن عبد الرحمن بن أبي عمرو عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «ما من مؤمن إلا وأنا أولى به في الدنيا والآخرة اقربوا إن شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» فأبما مؤمن مات وترك

مالا فليتره عصبته من كانوا ومن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاة» قوله عز وجل (وأزواجه أمهاتهم) وفي حرف أبي وأزواجه أمهاتهم وهو أب فهم ومن أمهات المؤمنين في تعظيم حقهن وتحريم نكاحهن على التأنيد لافي النظر إليهن والخلوقة بهن فإنه حرام في حقهن كما في حق الأجانب قال الله تعالى «وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب» ولا يقال لبناتهن من أخوات المؤمنين ولا لإخواتهن وأخواتهن من أخوات المؤمنين وخالاتهم قال الشافعي تزوج الزبير أسماء بنت أبي بكر وهي أخت أم المؤمنين ولم يقل هي خالة المؤمنين . واختلفوا في أمهن هل كن أمهات النساء المؤمنات ؛ قيل كن أمهات المؤمنين والمؤمنات جميعاً وقيل كن أمهات المؤمنين دون النساء ؛ وروى الشعبي عن مسروق أن امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها يأمه فقالت لست لك بأم إنما أنا أم رجالكم فبان بهذا أن معنى هذه الأمة تحريم نكاحهن ؛ قوله عز وجل (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض

في كتاب الله (يعني في الميراث قال قتادة كان المسلمون يتوارثون بالهجرة قال الكلبي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الناس فكان يواخي بين رجلين فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت هذه الآية ، وأولى الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ، في حكم الله (من المؤمنين) الذين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (والمهاجرين) يعني ذوي القربيات بعضهم أولى بميراث بعض من أن يرثوا بالإيمان والهجرة . نسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة وصارت بالقربة ، قوله (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً) أراد بالمعروف الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك أن الله لما نسخ التوارث بالخلف والهجرة أباح أن يوصي الرجل لمن يتولاه بما أحب من ثلثه . وقال مجاهد أراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمات في الإيمان والهجرة . وقيل أراد بالآية إثبات الميراث بالإيمان والهجرة يعني وأولو الأرحام من المؤمنين والمهاجرين (٢٣٢) بعضهم أولى ببعض أي لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر

وقيل في معنى الآية لا توارث بين المسلم والكافر ولا بين المهاجر وغير المهاجر (في كتاب الله) أي في حكم الله (من المؤمنين) الذين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهم (والمهاجرين) يعني أن ذوي القربيات أولى بعضهم ببعض فنسخت هذه الآية الموارثة بالمؤاخاة والهجرة وصارت الموارثة بينهم بالقربة (إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً) يعني الوصية للذين يتولونه من المعاقدين وذلك أن الله تعالى لما نسخ التوارث بالخلف والإخاء والهجرة أباح أن يوصي لمن يتولاه بما أحب من ثلث ماله وقيل أراد بالمعروف النصرة وحفظ الحرمات في الإيمان والهجرة وقيل معناه إلا أن توصوا إلى قربائكم بشيء وإن كانوا من غير أهل الإيمان والهجرة (هذا قول قتادة وعطاء وعكرمة) كان ذلك في الكتاب مسطوراً أي كان الذي ذكرت من أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض في اللوح المحفوظ مسطوراً مكتوباً وقال القرظي في التوراة قوله عز وجل (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم) على الوفاء بما حملوا وأن يصدق بعضهم بعضاً ويبشر بعضهم بعضاً قال مقاتل أخذ ميثاقهم

وغير المهاجر إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً يعني إلا أن توصوا للذي قربائكم بشيء وإن كانوا من غير أهل الإيمان والهجرة وهذا قول قتادة وعطاء وعكرمة (كان ذلك في الكتاب مسطوراً) أي كان الذي ذكرت من أن أولى الأرحام بعضهم أولى ببعض في اللوح المحفوظ مسطوراً مكتوباً وقال القرظي في التوراة قوله عز وجل (وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم) على الوفاء بما حملوا وأن يصدق بعضهم بعضاً ويبشر بعضهم بعضاً قال مقاتل أخذ ميثاقهم

وقيل

على أن يعبدوا الله ويدعوا إلى عبادة الله ويصدق

بعضهم بعضاً وينصحوا لقومهم (ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) خص هؤلاء الخمسة بالذكر من بين النبيين لأنهم أصحاب الكتب والشرائع وأولو العزم من الرسل وقدم النبي صلى الله عليه وسلم بالذكر لما أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي أنا أبو إسحاق الثعالبي أخبرني الحسين بن محمد الحديقي أنا عبد الله بن أحمد بن يعقوب المقرئ ، أنا محمد بن محمد بن سليمان الساعدي أنا هارون بن محمد بن بكار بن بلال أنا أبي أنا سعيد ، يعني ابن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة قال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث ، قال قتادة ، وذلك قول الله عز وجل وإذا أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح ، فبدأ به صلى الله عليه وسلم قبلهم (وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً) عهداً شديداً على الوفاء بما حملوا (ليسأل الصادقين عن صدقهم) يقول أخذنا ميثاقهم لكي يسأل الصادقين عن تبليغهم الرسالة والحكمة في سؤالهم مع علمهم أنهم صادقون تكيت من أرسلوا إليهم وقيل ليسأل الصادقين عن عملهم لله عز وجل وقيل ليسأل

الصادقين بأفواههم عن صدقهم في قلوبهم (وأعد للكافرين عذابا أليما) . قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) وذلك حين حوصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أيام الخندق (إذ جاءكم جنود) يعنى الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير (فأرسلنا عليهم ريحا) وهى الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطأني نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال إن الحرة لا تسرى بالليل وكانت الريح التى أرسلت عليهم الصبا . أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا آدم أنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : نصرت بالصبا (٢٣٣) وأهلكت عاد بالنبور . قوله

تعالى (وجنودالم تروها) وهم الملائكة ولم تقاتل الملائكة يومئذ فبعث الله عليهم تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القصور وجالت الخيل بعضها في بعض وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كأن سيد كل حي يقول يا بنى فلان هلم إلى فلذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء

وقيل ليسأل الصادقين بأفواههم عن صدقهم في قلوبهم (وأعد للكافرين عذابا أليما) قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) وذلك حين حوصر المسلمون مع النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة أيام الخندق (إذ جاءكم جنود) يعنى الأحزاب وهم قريش وغطفان ويهود قريظة والنضير (فأرسلنا عليهم ريحا) يعنى الصبا قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الأحزاب انطأني نصر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت الشمال إن الحرة لا تسرى بالليل فكانت الريح التى أرسلت عليهم الصبا (ق) عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالنبور . وقيل الصبا ريح فيها روح ما هبت على عزون إلا ذهب حزنه . قوله تعالى (وجنودالم تروها) يعنى الملائكة ولم تقاتل ملائكة يومئذ فبعث الله عز وجل تلك الليلة ريحا باردة فقلعت الأوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطفأت النيران وأكفأت القصور وماجت الخيل بعضها في بعض وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كأن سيد كل حي يقول يا بنى فلان النجاء النجاء هلموا إلى فلذا اجتمعوا عنده قال النجاء النجاء فأنهزموا من غير قتال لما بعث الله عليهم من الرعب (وكان الله بما تعملون بصيرا) .

(ذكر غزوة الخندق وهى الأحزاب)

قال البخارى قال موسى بن عقبة كانت في شوال سنة أربع من الهجرة . وروى محمد بن إسحاق عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم في بعض إن نفرا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحبي بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهو ابن قيس وأبو عمار الوائلي في نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حاربوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعواهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا مختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير أم دينه قالوا دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم « ألم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت » إلى قوله « وكفى بجهنم سعيرا » قال فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا لما دعواهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا على

أبتم لما بعث الله عليهم من الرعب فأنهزموا من غير قتال (وكان الله بما تعملون بصيرا) قال محمد بن إسحاق حدثني يزيد بن رومان مولى آل الزبير عن عمرو بن الزبير ومن لأنهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك وعن الزهري وعاصم بن عمر ابن قتادة عن عبد الله

(٣٠ - خازن بالقبوى - خامس)

ابن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وعن محمد بن كعب القرظي وعن غيرهم من علمائنا دخل حديث بعضهم في بعض وأن نفرا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق وحبي بن أخطب وكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهودة بن قيس وأبي عمار الوائلي في نفر من بنى النضير ونفر من بنى وائل وهم الذين حاربوا الأحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعواهم إلى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا مختلف فيه نحن ومحمد فديننا خير أم دينه قالوا بل دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منهم قلل فهم الذين أنزل الله فيهم

والم تر إلى الذين أتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجحث والطاغوت إلى قوله «وكنى بهم سعيبراً» فلما قالوا ذلك لقريش حرهم ما قالوا ونشطوا لما دعواهم إليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمعوا لذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعواهم إلى ذلك وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وإن قریشاً قد بايعوهم على ذلك فأجابوهم فخرجت قریش وقائدها أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدها عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر في بني فزارة والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ومسعر بن ربيعة بن نورة بن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٣٤) بالخندق سلمان الفارسي وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله

صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا أحصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى أحكموه أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد الأصبهاني أنا محمد بن جعفر الطبري ثنا حماد ابن الحسن ثنا محمد بن خالد بن عثمة ثنا كثير ابن عبد الله عن عمرو ابن عوف حدثني أبي عن أبيه قال وخط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام الأحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعاً قال فاحتج المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي وكان

ذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان وقيس عيلان فاجتمعوا على ذلك وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه وإن قریشاً قد بايعوهم على ذلك فأجابوهم وخرجت قریش وقائدهم أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن بن حذيفة ابن بدر في بني فزارة والحارث بن عوف بن أبي حارثة المري في بني مرة ومسعر بن ربيعة بن نورة بن طريف فيمن تابعه من قومه من أشجع فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما اجتمعوا له من الأمر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخندق سلمان الفارسي وكان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حر فقال يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حصرنا ضربنا خندقاً علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى أحكموه. وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خط الخندق عام الأحزاب ثم قطع لكل عشرة أربعين ذراعاً فاختلف المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي وكان رجلاً قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الأنصار سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً فحفرنا حتى إذا كنا تحت أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة حتى كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره خبر هذه الصخرة فإذا أن يعدل عنها فإن المعدل قريب وإما أن يأمرنا فيها أمره فإنا لا نحب أن نتجاوز خطه قال فرقى سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يجيبنا منها شيء قليل ولا كثير فرنا فيها بأمرك فإنا لا نحب أن نتجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان إلى الخندق واستند على شق الخندق وأخذ عليه الصلاة والسلام المعول من سلمان وضربها به ضربة صدعها وبق منها برق أضواء ما بين لابلتها يعني المدينة حتى كأنه مصباح في جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيراً فتح وكبر المسلمون معه ثم ضربها رسول الله صلى الله

رجلاً قويا فقال المهاجرون سلمان منا وقال الأنصار سلمان منا فقال النبي صلى الله عليه وسلم سلمان منا أهل البيت قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعاً فحفرنا حتى إذا كنا نجذب ذي باب أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا وشقت علينا فقلنا يا سلمان ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره خبر هذه الصخرة فإذا أن يعدل عنها فإن المعدل قريب وإما أن يأمرنا فيها بأمره فإنا لا نحب أن نتجاوز خطه قال فرقى سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما يجيبنا فيها قليل ولا كثير فرنا فيها بأمرك فإنا لا نحب أن نتجاوز خطك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان إلى الخندق والتسعة على شفة الخندق فأخذ

وأخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا مسلم بن إبراهيم
أنا شعبة عن أبي إسحاق عن البراء قال : « كان النبي صلى الله عليه وسلم ينقل التراب يوم الخندق حتى اغتر بطنه أو اغتر
صدره وهو يقول : والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا فأنزلن سكينتنا علينا
وثبت الأقدام إن لاقينا إن الألى قد بغوا علينا إذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع بها صوته أبينا أبينا » رجعتنا إلى حديث ابن إسحاق قال فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت
قريش حتى نزلت بمجتمع الأسياك من دومة من الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم ومن تابعهم من بني كنانة
وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن (٢٣٦) تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذي ندى نعى إلى جانب أحد وخرج

رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك أسكروه والخندق بينه وبين القوم وأمر بالذراير والنساء فرفعوا إلى الآطام وخرج عدو الله حبي بن أخطب من بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وكان قد وأعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على قومه وعاهده على ذلك فلما سمع صوت ابن أخطب أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له فناداه حبي يا كعب افتح لنا فقال ويحك يا حبي إنك امرؤ مشوم إني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أرمه إلا وفاء وصدقا فقال ويحك افتح أكلمك قال ما أنا بفاعل قال والله إن أغلقت دوني إلا خوفا أن أكل معك فأحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبحرطام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسياك من دومة ويغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذي ندى نعى إلى جانب أحد قد عاهدوني وعاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه فقال له كعب جئتني والله بذل الدهر وبجرام قد يهرق ماؤه ويرعد وبرق ليس فيه شيء دعني ومحمدا وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء فلم يزل حبي بن أخطب بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه من الله عهدا وميثاقا لئن رجعت قريش ولم يصيبوا محمدا أن أدخل معك في حصنك حتى يصيبني ما أصابك فنقض كعب بن أسد العهد وبريء مما كان عليه فيما بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ أحد بني عبد الأشهل وهو يومئذ سيد الأوس وسعد ابن عباد أحد بني ساعدة وهو يومئذ سيد بني الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو الحارث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا ما بلغنا عن هؤلاء القوم أحق أم لا فإن كان حقا فالحنوا لي لحنا أعرفه ولا تفتوا أعضاد الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم مشوم وإني قد عاهدت محمدا فلست بناقض ما بيني وبينه ولم أرمه إلا وفاء وصدقا قال ويحك

على لي أكلمك قال ما أنا بفاعل قال والله إن أغلقت دوني إلا على حشيتك أن أكل معك منها فأحفظ الرجل ففتح له فقال ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبحرطام جئتك بقريش على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بمجتمع الأسياك من دومة ويغطفان على قادتها وسادتها حتى أنزلتهم بذي ندى نعى إلى جانب أحد وقد عاهدوني وعاهدوني أن لا يبرحوا حتى يستأصلوا محمدا ومن معه قال له كعب بن أسد جئتني والله بذل الدهر وبجرام قد هراق ماؤه ويرعد وبرق وليس فيه شيء فدعني ومحمدا وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا صدقا ووفاء فلم يزل حبي بن أخطب بكعب يفتله في الذروة والغارب حتى سمح له على أن أعطاه من الله عهدا وميثاقا ووفاء لئن رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدا إن أدخل معك في حصنك حتى

بصينتي ما أصابك فنقض كعب بن أسد عهده ونبرأ مما كان عليه فيما كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر وإلى المسلمين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن معاذ بن عبد الأشهل وهو يومئذ سيد الأوس وسعد بن عباد بن عبد بن ساعدة وهو يومئذ سيد الخزرج ومعهما عبد الله بن رواحة أخو الحارث بن الخزرج وخوات بن جبير أخو بني عمرو بن عوف فقال انطلقوا حتى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا فإن كان حقا فاحنوا إلى الحنا أعرقه ولا تفتوا في أعضاء الناس وإن كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا به جهرا للناس فخرجوا حتى أتوهم فوجدوهم على أخصب ما بلغهم منهم وقالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عقد بيننا وبين محمد ولا عهد فشا تمهم سعد بن عباد وشاتموه وكان رجلا فيه حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمهم فان (٢٣٧) ما بيننا وبينهم أربي من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد

على أخصب ما بلغهم عنهم وقالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا لا عقد بيننا وبينه ولا عهد فشا تمهم سعد بن عباد وشاتموه وكان رجلا عنده حدة فقال له سعد بن معاذ دع عنك مشاتمهم فما بيننا وبينهم أربي من المشاتمة ثم أقبل سعد وسعد ومن معهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسلموا وقالوا عضل والقارة لغدر عضل والقارة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحاب الرجيع خبيب بن عدي وأصحابه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين وعظم عند ذلك البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى ظن المؤمنون كل ظن ونجم النفاق من بعض المنافقين حتى قال معتب بن قشير أخو بني عمرو بن عوف كان محمد يعدنا أن نأكل كتوز كسري وقبصر وأحدنا لا يقدر أن يذهب إلى الغائط ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وقال أوس بن قبيط أحد بني حارثة يارسل الله إن بيوتنا لعورة من العدو وذلك على ملأ من رجال قومه فأذن لنا فلنرجع إلى ديارنا فإنها خارجة من المدينة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام المشركون عليها بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصى فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن وإلى الحارث بن عوف وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فجزى بينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عباد فاستشارهما فيه فقالا يارسل الله أشيء أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم أمر نحب فتصنعه أم شيء تصنعه لنا قال بلى شيء أصنعه لكم والله ما أصنع ذلك إلا أنى قدر رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يارسل الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الأصنام لا نعبد الله ولا نعرفه ولا يطعمون أن يأكلوا منا ثمرة واحدة إلا قرى أو يبعوا فحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله مانعناهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم

أن يذهب إلى الغائط ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا وحتى قال أوس بن قبيط أحد بني حارثة يارسل الله إن بيوتنا لعورة من العدو وذلك على ملأ من رجال قومه فأذن لنا فلنرجع إلى ديارنا فإنها خارجة من المدينة فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقام المشركون بضعا وعشرين ليلة قريبا من شهر ولم يكن بين القوم حرب إلا الرمي بالنبل والحصى فلما اشتد البلاء على الناس بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عيينة بن حصن وإلى الحارث بن عمرو وهما قائدا غطفان فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فجزى بينهما الصلح على ذلك حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عباد واستشارهما فيه فقالا يارسل الله أشيء أمرك الله به لا بد لنا من العمل به أم أمر نحب فتصنعه أم شيء تصنعه لنا ؟ قال بلى

شيء أصنع لكم والله ما أصنع ذلك إلا أني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة وكالبوكم من كل جانب فأردت أن أكسر عنكم شوكتهم فقال له سعد بن معاذ يارسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الأوثان لانعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأخذوا منا ثمرة واحدة إلا قري أو يبيعا فحين أكرمنا الله بالإسلام وأعزنا بك نعطيتهم أموالنا ما لنا بهذا من حاجة والله لانعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت وذلك فتناول سعد الصحيفة فحما ما فيها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش منهم عمرو بن عبد ود أخو بني عامر بن لؤي وعكرمة ابن أبي جهل وهيرة بن أبي وهب الخزوميان ونوفل بن عبد الله بن ضرار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب بن فهير قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم ومروا على بني كنانة فقالوا تهبثوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا على الخندق فلما رأوه قالوا والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا (٢٣٨) خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج

على بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي أقحموا منها خيلهم وأقبلت الفرسان تعتن نخوم وكان عمرو بن عبد ود مقاتل يوم بد حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليري مكانه فلما وقف هو وخيله قال له على يا عمرو إنك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلي خلتين إلا أخذت منه إحداها قال أجل قال له على فإني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام قال لا حاجة لي بذلك قال إني أدعوك إلى التزال قال ولم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك فقال على لكفى والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعفره وضرب وجهه ثم أقبل على فتناولا وتجاولا فقتله على وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلا من بني عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات بمكة

وسلم أنت وذلك فتناول سعد الصحيفة فحما ما فيها من الكتابة ثم قال ليجهدوا علينا فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون وعدوهم محاصروهم ولم يكن بينهم قتال إلا أن فوارس من قريش عمرو بن عبد ود أخو بني عامر بن لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهيرة بن أبي وهب الخزوميان ونوفل بن عبد الله بن ضرار بن الخطاب ومرداس أخو بني محارب بن فهير قد تلبسوا للقتال وخرجوا على خيلهم فمروا على بني كنانة فقالوا تهبثوا للحرب يا بني كنانة فستعلمون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا نحو الخندق حتى وقفوا عليه فلما رأوه قالوا والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها ثم تيمموا مكانا من الخندق ضيقا فضربوا خيولهم فاقتحمت منه فجالت بهم في السبخة بين الخندق وسلع وخرج على بن أبي طالب في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها وأقبلت الفرسان تعتن نخوم وكان عمرو بن عبد ود مقاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد أحدا فلما كان يوم الخندق خرج معلما ليري مكانه فلما وقف هو وخيله قال على يا عمرو إنك كنت تعاهد الله أن لا يدعوك رجل من قريش إلي خلتين إلا أخذت منه إحداها قال أجل قال له على فإني أدعوك إلى الله ورسوله وإلى الإسلام قال لا حاجة لي بذلك قال إني أدعوك إلى التزال قال ولم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك فقال على لكفى والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعفره وضرب وجهه ثم أقبل على فتناولا وتجاولا فقتله على وخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلا من بني عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات بمكة

إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام قال لا حاجة لي بذلك قال فإني أدعوك إلى التزال قال ولم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك قال على ولكفى والله أحب أن أقتلك فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعفره وضرب وجهه ثم أقبل على فتناولا وتجاولا فقتله على فخرجت خيله منهزمة حتى اقتحمت من الخندق هاربة وقتل مع عمرو رجلا من بني عثمان بن عبيد بن السباق بن عبد الدار أصابه سهم فمات بمكة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا بجسده وثمنه فماتتكم به فحلى بينهم وبينه قالت عائشة أم المؤمنين كنا يوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فرسعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة وهو يقول شعرا :

لبت قليلا ندرتك الهيجا حمل لا بأس بالموت إذا حان الأجل

فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ الْحَقُّ يَا بَنِي فَقَدْ وَاللَّهِ أُجِزْتَ قَالَتْ عَائِشَةُ فَقُلْتُ لَهَا يَا أُمَّ سَعْدٍ وَاللَّهِ لَوُدِدْتُ أَنْ دَرَعَ سَعْدٌ كَمَا تَأْتِي بِمَا هِيَ قَالَتْ وَخَفْتُ عَلَيْهِ حَيْثُ أَصَابَ السَّهْمُ مِنْهُ قَالَتْ فَرَمَى سَعْدٌ يَوْمَئِذٍ بِسَهْمٍ وَقَطَعَ مِنْهُ الْأَكْحَلَ ، رَمَاهُ خَبَابُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الْعِرْقَةِ أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ فَلَمَّا أَصَابَهُ قَالَ خَذَهَا وَأَنَا ابْنُ الْعِرْقَةِ فَقَالَ سَعْدٌ عَرَقَ اللَّهُ وَجْهَكَ فِي النَّارِ ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ أَبْقَيْتُ مِنْ حَرْبِ قَرِيشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا فَإِنَّهُ لَا قَوْمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَجَاهِدَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هُمْ آذَوُا رَسُولَكَ وَكَذَّبُوهُ وَأَخْرَجُوهُ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَضَعْتُ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْعَلْ لِي شَهَادَةً وَلَا تَمْتِنْنِي حَتَّى تَقْرَعَ عَيْنِي مِنْ بَنِي قَرِيظَةَ ، وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ وَمَوَالِيَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ عَنْ يَحْيَى بْنِ عِبَادِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ عَنْ أَبِيهِ عِبَادَ قَالَ كَانَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي قَارِعِ حِصْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ قَالَتْ وَكَانَ حَسَّانُ مَعَنَا فِيهِ مَعَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ قَالَتْ صَفِيَّةُ فَرَبْنَا رَجُلًا مِنَ الْيَهُودِ فَجَعَلَ يَطِيفُ بِالْحِصْنِ وَقَدْ حَارَبَتْ بَنُو قَرِيظَةَ فَقَطَعَتْ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَيْسَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ أَحَدٌ يَدْفَعُ عَنَّا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُسْلِمُونَ فِي نَحْوِ عَدُوهِمْ لَا يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَنْصَرَفُوا إِلَيْنَا عَنْهُمْ إِذْ أَنَا نَا آتٍ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا حَسَّانُ إِنَّ هَذَا الْيَهُودِيَّ كَمَا تَرَى يَطِيفُ بِالْحِصْنِ وَإِنِّي وَاللَّهِ (٢٣٩) لَمْ آمَنْهُ بِأَنْ يَدُلَّ عَلَيَّ عَوْرَاتِنَا

من وراها من يهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فأزول إليه فاقظه فقال يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا قالت فلما قال لي

ونوفل بن عبد الله بن المغيرة المخزومي وكان اقتحم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يامعشر العرب قتلة أحسن من هذه فنزل إليه على فقتله فغلب المسلمون على جسده فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا حاجة لنا في جسده وثمنه فشاؤكم به فدخل بينهم وبينه قالت عائشة أم المؤمنين كتابوم الخندق في حصن بني حارثة وكان من أحرز حصون المدينة وكانت أم سعد بن معاذ معنا في الحصن وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب فرمى سعد بن معاذ وعليه درع مقلصة قد خرجت منها ذراعه كلها وفي يده حربة وهو يقول :

• لا بأس بالموت إذا حان الأجل •

ذلك ولم أر عنده شيئا اعتجرت ثم أخذت عمودا ونزلت من الحصن إليه فضرته بالعمود حتى قتله فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت يا حسان أنزل إليه فأسلبه فإنه لم يمنعني من سلبه إلا أنه رجل فقال

فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ الْحَقُّ يَا بَنِي فَقَدْ وَاللَّهِ أُجِزْتَ قَالَتْ عَائِشَةُ يَا أُمَّ سَعْدٍ وَاللَّهِ لَوُدِدْتُ أَنْ دَرَعَ سَعْدٌ كَمَا تَأْتِي بِمَا هِيَ قَالَتْ وَخَفْتُ عَلَيْهِ حَيْثُ أَصَابَ السَّهْمُ مِنْهُ قَالَتْ فَرَمَى سَعْدٌ يَوْمَئِذٍ بِسَهْمٍ وَقَطَعَ مِنْهُ الْأَكْحَلَ رَمَاهُ خَبَابُ بْنُ قَيْسِ بْنِ الْعِرْقَةِ أَحَدُ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ فَلَمَّا أَصَابَهُ قَالَ خَذَهَا وَأَنَا ابْنُ الْعِرْقَةِ قَالَ سَعْدٌ عَرَقَ اللَّهُ وَجْهَكَ فِي النَّارِ ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ أَبْقَيْتُ مِنْ حَرْبِ قَرِيشٍ شَيْئًا فَأَبْقِنِي لَهَا فَإِنَّهُ لَا قَوْمَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَجَاهِدَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هُمْ آذَوُا رَسُولَكَ وَكَذَّبُوهُ وَأَخْرَجُوهُ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَضَعْتُ الْحَرْبَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ فَاجْعَلْهَا لِي شَهَادَةً وَلَا تَمْتِنْنِي حَتَّى تَقْرَعَ عَيْنِي مِنْ بَنِي قَرِيظَةَ وَكَانُوا حُلَفَاءَهُ وَمَوَالِيَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ فِيهَا بَلَّغَهُ أَنْ صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ كَانَتْ فِي قَارِعِ حِصْنِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ قَالَتْ وَكَانَ حَسَّانُ مَعَنَا مَعَ النِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ

مالي بسلبه من حاجة يا بنت عبد المطلب قالوا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله تعالى من الخوف والشدّة لنظائر عدوهم وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر من بني غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي فرني بما شئت فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان لهم نديما في الجاهلية فقال لهم يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم ؟ قالوا صدقت لست عندنا بمنهم فقال لهم إن قريشا وغطفان جاءوا لحرب محمد وقد ظاهرتموهم عليه وإن قريشا وغطفان ليسوا كهيتكم البلد بلدكم فيه أموالكم وأولادكم ونساؤكم لا تقدر على أن تتحولوا منه إلى غيره وإن قريشا وغطفان أموالهم وأولادهم ونساؤهم بعيدة إن رأوا نهرة وغنيمة أصابوها وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل والرجل ببلادكم لا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقائلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرفهم حتى تكون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى تناجزوه قالوا لقد أشرت برأى ونصح ثم خرج حتى أتى قريشا ، فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من

رجال قريش يامعشر قريش قد عرفتم ودي إياكم وفرافى محمدا وقد بلغتني أمر رأيت أن حقا على أن أباغكم نصحا لكم
 فاكنتموا على قالوا نفعنا قال تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمدا قد أرسلوا إليه أن قد ندمنا
 على ما فعلنا فهل برضيك عنا أن نأخذ من القبيلتين من قريش وغطفان رجالا من أشرافهم فنعطيك فنضرب أعناقهم ثم
 نكون معك على من بقي منهم فأرسل إليهم أن نعم فان بعثت إليكم يهود يلتمسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم
 رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يامعشر غطفان أنتم أصلي وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تهيموني قالوا
 صدقت قال فاكنتموا على قالوا نفعنا ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال
 ستة خمس وكان مما صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم أرسل أبوسفيان ورهوس غطفان إلى بني قريظة عنكرمة بن أبي جهل
 في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخف والحافر فاغدوا للقتال حتى تناجزوا محمدا ونفرغ
 مما بيننا وبينه فقالوا لهم إن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان أحدث بعضنا فيه حدثا فأصابه ما لم يخف
 عليكم ولنا مع ذلك بالذين نقاتل (٣٤٠) معكم حتى تعطوننا رهنا من رجالكم يكونون بأيدينا ثقة لنا حتى تناجز

محمدا فإننا نخشى إن
 ضرسكم الحرب واشتد
 عليكم القتال أن تسروا
 إلى بلادكم وتركونا
 والرجل في بلدنا ولا
 طاق لنا بذلك من محمد
 فلما رجعت إليهم الرسل
 بذلك الذي قالت بنو
 قريظة قالت قريش
 وغطفان تعلمون والله
 إن الذي حدثكم نعيم
 ابن مسعود لحق فأرسلوا
 إلى بني قريظة إنا والله
 لا ندفع إليكم رجلا
 واحدا من رجالنا وإن
 كنتم تريدون القتال
 فاخرجوا فقاتلوا فقال
 بنو قريظة حين انتهت

قالت صفية فربنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حاربت بنو قريظة وقطعت
 ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحر عدوهم لا يستطيعون أن يتصرفوا
 إلينا عنهم إذا أتانا آت قالت فقلت يا حسان إن هذا اليهودي كما ترى يعطيف بالحصن وإني
 والله ما آمنه أن يدل على عورتنا من وراءنا من اليهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وأصحابه فأزل إليه فاقتله فقال يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا
 بصاحب هذا قالت فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئا اعتجرت ثم أخذت عمودا ثم نزلت
 من الحصن إليه فضربت به بالعمود حتى قتله فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت يا حسان
 أزل إليه فاسلبه فإنه لم يمتنع من سلبه إلا أنه رجل قال مالي بسلبه حاجة يا بنت عبد المطلب
 قالوا وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لتظاهر
 عدوهم وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم ثم إن نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان أتى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني قد أسلمت وإن قومي لم يعلموا بإسلامي
 فأمرني بما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أنت فينا رجل واحد فخذل عنا إن
 استطعت فإن الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى أتى بني قريظة وكان ندما لهم في الجاهلية
 فقال لهم يا بني قريظة قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا صدقت لست عندنا بمتهم
 فقال لهم إن قريشا وغطفان جاءوا الحرب محمد وقد ظاهرتموه عليه وإن قريشا وغطفان ليسوا
 كهيتكم البلد بلدكم به أموالكم وأولادكم ونساءكم لا تقدر أن تتحولوا منه إلى غيره وإن

إليهم الرسل بهذا إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن وجدوا فرصة
 انتزوها وإن كان غير ذلك استمروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا والله
 لا نقاتل معكم حتى تأتوننا رهنا . فأبوا عليهم وخذل الله بينهم وبعث الله عليهم الريح في ليال شاتية شديدة البرد فجعلت
 تكفأ قلوبهم وتطرح آيتهم فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم دعا حذيفة بن اليمان فبعثه
 إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا فروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي . وروى غيره عن
 إبراهيم التيمي عن أبيه قال قال قتي من أهل الكوفة لحذيفة بن اليمان يا أبا عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبته
 قال نعم يا ابن أخي قال كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد فقال القتي والله لو أدركناه ما تركناه يمضي على الأرض
 ولحمنا على أعناقنا ولخدمناه وفعلنا وفعلنا . فقال حذيفة يا ابن أخي والله لقد رأيتني ليلة الأحزاب مع رسول الله صلى الله
 عليه وسلم فقال من يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بنجرهم أدخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم هونا من الليل ثم التفت إلينا فقال مثله فسكت القوم وما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

هونا من الليل ثم التفت إلينا فقال هل من رجل يقوم فينظر ما فعل القوم على أن يكون رفيق في الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يبق أحد دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة فربكمن لي يدمن المقام إليه حين دعاني فقلت ليبيك يا رسول الله وقت حتى أثبتته وإن جنبي ليضطربان فسح رأسي ووجهي ثم قال أنت هؤلاء القوم حتى تأتيني بنجرهم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع إلى ثم قال اللهم احفظه (٢٤١)

وعن عينة وعن شمالة
ومن فوقه ومن تحته
فأخذت مهيى وشددت
على سلاحى ثم انطلقت
أمشى نحوهم كأنما
أمشى في حمام فذهبت
فدخلت في القوم وقد
أرسل الله عليهم ريحا
وجنودا وجنود الله تفعل
بهم ما تفعل لا تقر لهم
قدرا ولا نارا ولا بناء
وأبوسفیان قاعد يصطل
فأخذت مهيما فوضعت
في كبد قوس فأردت
أن أرميه ولو رميته
لأصبتة فذكرت قول
النبي صلى الله عليه وسلم
لا تحدثن حدثا حتى ترجع
إلى فرددت مهيى في
كتاننى فلما رأى أبوسفیان
ما تفعل الرجح وجنود
الله بهم لا تقر لهم قدرا
ولا نارا ولا بناء قام فقال
يا معشر قريش ليأخذ
كل رجل منكم بيد
جليسه فينظر من هو
قال فأخذت بيد جليسى
فقلت من أنت فقال
سبحان الله أما تعرفنى
أنا فلان ابن فلان فإذا

قريشا وغطفان أمواهم وأبناؤهم ونساؤهم بغيره إن رأوا نهزة وغنيمة أصابوها وإن كان غير ذلك لحفوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين هذا الرجل والرجل ببلادكم لا طاقة لكم به إن خلاصكم فلا تقائلوا مع القوم حتى تأخذوا منهم رهنا من أشرافهم يكونون بأيديكم نقة لكم على أن يقائلوا معكم محمدا حتى تنجزوه ، قالوا لقد أشرت برأى ونصح ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودي إناكم وفرأني محمدا فقد بلغنى أمر رأيت حقا على أن أبلغكم نصحا لكم فاكنتموا على قالوا تفعل قال تعلمون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرضيك عنا أن نأخذ من قريش وغطفان رجلا من أشرافهم فنعطيك فنضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقى منهم فأرسل إليهم أن نعم فإن بعث إليكم يهود ياتسون رهنا من رجالكم فلا تدفعوا إليهم منكم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان أنتم أهلى وعشيرتى وأحب الناس إلى ولا أراكم تهتموننى قالوا صدقت قال فاكنتموا على قالوا تفعل فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل حذرهم فلما كانت ليلة السبت من شوال سنة خمس وكان مما صنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة ابن أبى جهل في نفر من قريش وغطفان فقالوا لهم إنا لسنا بدار مقام قد هلك الخلف والخافر فاغدوا للقتال حتى نناجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا إليهم أن اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابهم مالم يخف عليكم ولنا مع ذلك بالذي نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا من رجالكم يكون بأيدينا نقة لنا حتى نناجز محمدا فاننا نخشى إن ضرستكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تسيروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلدنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد فلما رجعت إليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمن والله إن الذى حدثكم به نعيم بن مسعود لحق فأرسلوا إلى بنى قريظة إنا والله لا ندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقالت بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا إن الذى ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلا أن يقائلوا فإن وجدوا فرصة انتهزوها وإن كان غير ذلك شعروا إلى بلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل في بلدكم فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا والله لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهنا فأبوا عليهم وحذل الله عز وجل بينهم وبعث عليهم الريح في ليل شانية شديدة البرد فجعلت تكفأ قدورهم وتطرح آيتهم فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم دعا حذيفة ابن اليان فبعثه إليهم لينظر ما فعل القوم ليلا وروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد عن محمد ابن كعب القرظى وروى غيره عن إبراهيم التيمي عن أبيه قال قال قتي من أهل الكوفة لحذيفة

(٣١ - خازن بالغيوى - خامس) هو رجل من هوازن فقال أبوسفیان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ولقد هلكنا وهلك الكراع والخلف وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا منهم الذى نكره ولغينا من هذه الريح ما روى فارتحلوا فأتى مرتحل ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله إلا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين إلى بلادهم قال فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنى أمشى

في حمام فأثبته وهو قائم يصلي (٢٤٢) فلما سلم أخبرته الخبر فضحك حتى بدت أنيابها في سواد الليل قال فلما

أخبرته وفرغت قررت
 وذهب عني الدفاء
 فأدناى النبي صلى الله
 عليه وسلم منه وأنا منى
 عند رجله وألقى على
 طرف ثوبه وألرق صدرى
 ببطن قدميه فلم أزل نائما
 حتى أصبحت فلما
 أصبحت قال قم يا نومان
 قوله عز وجل (إذ
 جاءوك من فوقكم) أي
 من فوق الوادي من
 قبل المشرق وهم أسد
 وغطفان وعليهم مالك
 ابن عوف النصرى
 وعيينة بن حصن
 الفزاري في ألف من
 غطفان ومعهم طليحة بن
 خويلد الأسدى في بنى
 أسد وحى بن أخطب
 في يهود قريظة
 (ومن أسفل منكم) يعنى
 من بطن الوادي من قبل
 المغرب وهم قريش
 وكنانة عليهم أبو سفيان
 ابن حرب في قريش ومن
 تبعه وأبو الأعور عمرو
 ابن سفيان السلمى من
 قبل الخندق وكان السبب
 الذى جر غزوة الخندق
 فيما قبل إجلاء رسول
 الله صلى الله عليه وسلم
 بنى النضير من ديارهم
 (وإذ زاغت الأبصار)
 مالت وشخصت من

ابن البيان يا أبا عبد الله رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبتوه قال نعم يا ابن أخي قال
 كيف كنتم تصنعون قال والله لقد كنا نجهد قال الفتى والله لو أدركناه ما تركناه بمشى على الأرض
 ولحملناه على أعناقنا وتحملناه وفعلنا معه وفعلنا فقال حذيفة يا ابن أخي والله لقد رأيتنى ليلة
 الأحزاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من يذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بنجرهم
 أدخله الله الجنة فما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هونا من الليل ثم التفت
 إلينا فقال مثله فسكت القوم وما قام منا رجل ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هونا من
 الليل ثم التفت إلينا فقال هل من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم على أن يكون رفيقى في الجنة
 فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع وشدة البرد فلما لم يقم أحد دعانى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقال يا حذيفة ولم يكن لى بد من القيام حين دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقلت لبيك يا رسول الله وقت حتى أثبته فأخذنى بيدي ومسح رأسى ووجهى
 ثم قال انت هؤلاء القوم حتى تأتيني بنجرهم ولا تحذثن شيئا حتى ترجع إلى ثم قال
 اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته
 فأخذت سهمى وشددت على أسلاني ثم انطلقت أمشى نحوهم كأنما أمشى في حمام فذهبت
 فدخلت في القوم وقد أرسل الله عليهم ريحا وجنودا وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لأنقر لهم
 قدرا ولا نارا ولا بناء قال وأبو سفيان قاعد يضطل فأخذت سهمي فوضعت في كبد قوسى
 فأردت أن أرميه ولو رميته لأصبته فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحذثن
 حدثا حتى ترجع فرددت سهمى في كنانتي فلما رأى أبو سفيان ما تفعل الريح وجنود الله بهم
 لأنقر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء قام فقال يا معشر قريش لياخذ كل منكم بيد جليسه فينظر
 من هو فأخذت بيد جليسى فقلت من أنت فقال سبحان الله أما تعرفنى أنا فلان ابن فلان رجل
 من هوازن فقال أبو سفيان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام لقد هلك الكراع
 والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ولقينا من هذه الريح ما يرون فارتحلوا
 فاني مرتحل ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق عقاله
 إلا وهو قائم وسمعت غطفان بما فعل قريش فاستمروا راجعين إلى بلادهم قال فرجعت إلى
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنى أمشى في حمام فأثبته وهو قائم يصلي فلما سلم أخبرته
 فضحك حتى بدت أنيابها في سواد الليل فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفاء
 فأدناى النبي صلى الله عليه وسلم فأنا منى عند رجله وألقى على طرف ثوبه وألصق صدرى ببطن
 قدميه فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يا نومان فذلك قوله عز وجل (إذ
 جاءوك من فوقكم) أى من فوق الوادي من قبل المشرق وهم أسد وغطفان وعليهم مالك بن
 عوف النصرى وعيينة بن حصن الفزاري في ألف من غطفان ومعهم طليحة بن خويلد الأسدى
 في بنى أسد وحى بن أخطب في يهود قريظة (ومن أسفل منكم) يعنى من بطن الوادي من قبل
 المغرب وهم قريش وكنانة عليهم أبو سفيان بن حرب من قريش ومن تبعه وأبو الأعور عمرو
 ابن سفيان السلمى من قبل الخندق وكان الذى جر غزوة الخندق فيما قبل إجلاء رسول الله صلى
 الله عليه وسلم بنى النضير من ديارهم (وإذ زاغت الأبصار) أى مالت وشخصت من الرعب
 وقيل مالت عن كل شىء فلم تنظر إلى عدوها (وبلغت القلوب الحناجر) أى زالت عن أماكنها

فزالت عن أماكنها حتى بلغت الحلوق من الفرع والنجرة جوف الحلقوم وهذا على التشليل عبر به عن شدة الخوف قال القراء
معناه أنهم جنبوا وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رثته فإذا انتفخت الرثة رفعت القلب إلى النجرة ولهذا يقال للجبان
انتفخ سمرة (وتظنون بالله الظنونا) أي اختلفت الظنون فظن المنافقون استئصال محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضى الله
عنهم وظن المؤمنون النصر والظفر لهم قرأ أهل المدينة والشام وأبو بكر الظنونا والرسولا والسبيل بإثبات الألف وصلوا ووفقا
لأنها مثبتة في المصاحف بالألف وقرأ أهل البصرة وحمة بغير الألف في الحاليين على الأصل وقرأ الآخرون بالألف في الوقف
دون الوصل لموافقة رموس الآي (هنالك ابتلى) أي عند ذلك احتسب (المؤمنون) بالحصر والقتال ليقين المخلص من المنافق
(وزلزلوا زلزالا شديدا) حركوا حركة شديدة (وإذ يقول المنافقون) معتب (٢٤٣) بن قشير وقيل عبد الله بن

أبي وأصحابه (والذين
في قلوبهم مرض) شك
وضعف اعتقاد (ما وعدنا
الله ورسوله إلا غرورا)
وهو قول أهل النفاق
بعدنا محمد فتح قصور
الشام وفارس وأحدنا
لا يستطيع أن يجاوز رحله
هذا والله الغرور (وإذ
قالت طائفة منهم) أي
من المنافقين وهم أوس
ابن قيس وأصحابه (يا أهل
يثرب) يعني المدينة
قال أبو عبيدة يثرب اسم
أرض مدينة الرسول
صلى الله عليه وسلم في ناحية
منها وفي بعض الأخبار
أن النبي صلى الله عليه
وسلم نهي أن تسمى
المدينة يثرب وقال هي
طابة كأنه كره هذا اللفظ
(لا مقام لكم) قرأ

حتى بلغت الحلقوم من الفرع والنجرة جوف الحلقوم وهذا على التشليل عبر به عن شدة الخوف
وقيل معناه إنهم جنبوا وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رثته وإذا انتفخت رثته رفعت
القلب إلى النجرة فهذا يقال للجبان انتفخ سمرة (وتظنون بالله الظنونا) أي اختلفت الظنون
بالله فظن المنافقون استئصال محمد وأصحابه وظن المؤمنون النصر والظفر لهم (هنالك ابتلى
المؤمنون) أي عند ذلك اختبر المؤمنون بالحصر والقتال ليقين المخلصون من المنافقين (وزلزلوا
زلزلا شديدا) أي حركوا حركة شديدة (وإذ يقول المنافقون) يعني معتب بن قشير وقيل عبد
الله بن أبي وأصحابه (والذين في قلوبهم مرض) أي شك وضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله
إلا غرورا) هو قول أهل النفاق بعدنا محمد فتح قصور الشام وفارس وأحدنا لا يستطيع أن
يجاوز رحله هذا هو الغرور . قوله تعالى (وإذ قالت طائفة منهم) أي من المنافقين وهم أوس
ابن قيس وأصحابه (يا أهل يثرب) يعني يا أهل المدينة وقيل يثرب اسم الأرض ومدينة الرسول
صلى الله عليه وسلم في ناحية منها سميت يثرب باسم رجل من العمالق كان قد نزلها في قديم
الزمان . وفي بعض الأخبار أن النبي صلى الله عليه وسلم نهي أن تسمى المدينة يثرب وقال هي
طيبة كأنه كره هذه اللفظة لما فيها من التثريب وهو التوبيخ (لا مقام لكم) أي لا مكان
لكم تنزلون وتقيمون فيه (فارجعوا) أي إلى منازلكم وقيل عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل عن القتال (ويستأذن فريق منهم النبي) يعني بني حارثة وبني سلمة (يقولون إن بيوتنا
عورة) أي خالية ضائعة وهي مما يلي العدو ونحشينا عليها السراق فكذبهم الله تعالى بقوله (وما
هي بعورة إن يريدون إلا فرارا) أي أنهم لا يخافون ذلك إنما يريدون الفرار من القتال (ولو
دخلت عليهم من أقطارها يعني لو دخل هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم وهم الأحزاب
من نواحي المدينة وجوانبها (ثم سئلوا الفتنة) أي الشرك (لآتوها) أي لجأوها وفعلوها ورجعوا
عن الإسلام (وما تلبثوا بها) أي ما احتسبوا عن الفتنة (إلا يسيرا) أي لأسرعوا الإجابة إلى
الشرك طيبة به نفوسهم وقيل معناه وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا قليلا حتى يهلكوا

العامة بفتح الميم أي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي وحفص بضم الميم : أي لا إقامة لكم
(فارجعوا) إلى منازلكم عن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال إلى مساكنكم (ويستأذن فريق منهم النبي) وهم
بنو حارثة وبني سلمة (يقولون إن بيوتنا عورة) أي خالية ضائعة وهو مما يلي العدو ونحشينا عليها السراق وقرأ أبو رجاء
العطاردى عورة بكسر الواو أي قصيرة الجدران يسهل دخول السراق عليها فكذبهم الله فقال (وما هي بعورة إن يريدون
إلا فرارا) أي ما يريدون إلا الفرار (ولو دخلت عليهم) أي لو دخل عليهم المدينة هؤلاء الجيوش الذين يريدون قتالهم
وهم الأحزاب (من أقطارها) جوانبها ونواحيها جمع قطر (ثم سئلوا الفتنة) أي الشرك (لآتوها) لأعطوها وقرأ أهل الحجاز
لآتوها مقصورا أي لجأوها وفعلوها ورجعوا عن الإسلام (وما تلبثوا بها) أي ما احتسبوا عن الفتنة (إلا يسيرا) ولأسرعوا
الإجابة إلى الشرك طيبة به أنفسهم هذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن والقراء وما أقاموا بالمدينة بعد إعطاء الكفر إلا

قليلًا حتى يهلكوا (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل^١) أي من قبل غزوة الخندق (لا يولون الأدبار) من عندهم أي لا ينهزمون قال يزيد بن رومان هم بنو حارثة هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة ، فلما نزل فيهم ما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها وقال قتادة هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن أشهدنا الله قتالا لقتلنا فساق الله إليهم ذلك وقال مقاتل والكلبي هم سبعون رجلا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقالوا اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشترط لربي أن تعينوه ولا تتركوا به شيئًا واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم قالوا فإذا فعلنا ذلك فإنا نبارسون الله قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة قالوا قد فعلنا ذلك فذلك عهدهم وهذا القول ليس بمرضى لأن الذين بايعوا محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة كانوا سبعين نفرًا (٣٤٤) لم يكن فيهم شاك ولا من يقول مثل هذا القول وإنما الآية في قوم

عاهدوا الله أن يقتلوا ولا يفروا فتقضى العهد (وكان عهد الله مستولا) أي مستولا عنه (قل) ثم (لئن ينفعكم الفرار إن فرزتم من الموت أو القتل) الذي كتب عليكم لأن من حضر أجله مات أو قتل لا بد من ذلك (وإذا لامتمون) أي بعد الفرار (إلا قليلا) أي مدة آجالكم وهي قليل (قل من ذا الذي يعصمكم) أي يمنعكم (من القتل) أي من القتل (وإذا لامتمون إلا قليلا) أي لا تمنعون بعد هذا الفرار إلا مدة آجالكم وهي قليل (قل من ذا الذي يعصمكم من الله) أي يمنعكم من عذابه (إن أراد بكم سوءاً) أي هزيمة (أو أراد بكم رحمة) أي نصر (ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً) أي ناصر (وقد يعلم الله الموقين منكم) أي المتقين الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا أن يقتلنا هاهنا انطلقوا بنا إلى إخواننا يعني اليهود فلم يزدوا المؤمنين بقول المنافقين إلا إيماناً واحساباً) أي بآثون البأس (يعني الحرب) (إلا قليلا) أي رياء وسمعة من غير

قوله عز وجل (ولقد كانوا عاهدوا الله من قبل) أي من قبل غزوة الخندق (لا يولون الأدبار) أي لا ينهزمون قال يزيد بن رومان هم بنو حارثة هموا يوم أحد أن يفشلوا مع بني سلمة فلما نزل عاهدوا الله أن لا يعودوا لمثلها وقال قتادة هم ناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر ورأوا ما أعطى الله أهل بدر من الكرامة والفضيلة قالوا لئن أشهدنا الله قتالا لقتلنا فساق الله إليهم ذلك وقال مقاتل والكلبي هم سبعون رجلا بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة وقالوا اشترط لربك ولنفسك ما شئت فقال النبي صلى الله عليه وسلم اشترط لربي أن تعينوه ولا تتركوا به شيئًا واشترط لنفسي أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم قالوا فإذا فعلنا ذلك فإنا نبارسون الله قال لكم النصر في الدنيا والجنة في الآخرة قالوا قد فعلنا ذلك فذلك عهدهم وهذا القول ليس بمرضى لأن الذين بايعوا محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة كانوا سبعين نفرًا (٣٤٤) لم يكن فيهم شاك ولا من يقول مثل هذا القول وإنما الآية في قوم عاهدوا الله أن يقتلوا ولا يفروا فتقضى العهد (وكان عهد الله مستولا) أي مستولا عنه (قل) ثم (لئن ينفعكم الفرار إن فرزتم من الموت أو القتل) الذي كتب عليكم لأن من حضر أجله مات أو قتل لا بد من ذلك (وإذا لامتمون) أي بعد الفرار (إلا قليلا) أي مدة آجالكم وهي قليل (قل من ذا الذي يعصمكم) أي يمنعكم (من القتل) أي من القتل (وإذا لامتمون إلا قليلا) أي لا تمنعون بعد هذا الفرار إلا مدة آجالكم وهي قليل (قل من ذا الذي يعصمكم من الله) أي يمنعكم من عذابه (إن أراد بكم سوءاً) أي هزيمة (أو أراد بكم رحمة) أي نصر (ولا يجدون لهم من دون الله ولياً ولا نصيراً) أي ناصر (وقد يعلم الله الموقين منكم) أي المتقين

لنفسهم أبوسفیان وأصحابه دعوا الرجل فإنه هالك . وقيل نزلت في المنافقين وذلك أن اليهود أرسلت إليهم ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه فإنهم إن قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم أحداً وإنما نشفق عليكم فأنتم إخواننا وجيراننا هلموا إلينا فأقبل عبد الله بن أبي ابن سلول وأصحابه على المؤمنين يعوقونهم ويخوفونهم بأبي سفيان ومن معه وقالوا لئن قدر اليوم عليكم لم يستبق منكم أحداً أما ترجعون عن محمد ما عنده خير ما هو إلا أن يقتلنا هاهنا انطلقوا بنا إلى إخواننا يعني اليهود فلم يزدوا المؤمنين بقول المنافقين إلا إيماناً واحساباً وقوله تعالى (ولا يأتون البأس) (يعني الحرب) (إلا قليلا) أي رياء وسمعة من غير

لنفسهم أبوسفیان وأصحابه دعوا الرجل فإنه هالك . وقيل نزلت في المنافقين وذلك أن اليهود أرسلت إليهم ما الذي يحملكم على قتل أنفسكم بيد أبي سفيان ومن معه فإنهم إن قدروا عليكم في هذه المرة لم يستبقوا منكم أحداً أما ترجعون عن محمد ما عنده خير ما هو إلا أن يقتلنا هاهنا انطلقوا بنا إلى إخواننا يعني اليهود فلم يزدوا المؤمنين بقول المنافقين إلا إيماناً واحساباً وقوله عز وجل (ولا يأتون البأس) (الحرب) (إلا قليلا) أي رياء وسمعة من غير احتساب ولو كان

ذلك القليل لله لكان كثيرا (أشحة عليكم) بخلاء بالشفقة في سبيل الله وقال قتادة بخلاء عند الغنيمة وصفهم الله بالبخل والجبن فقال (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم) في الرعوس من الخوف والجبن (كالذي يغشى عليه من الموت) أي كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت وذلك أن من قرب من الموت وغشيه أسبابه يذهب عقله وبشخص بصره فلا يطرف (فإذا ذهب الخوف سلقوكم) آذوكم ورموكم في حال الأمن (بالأسنة حداد) ذرية جمع حديد يقال للخطيب الفصيح الذرب اللسان مسلط ومصلى وصلات وصلات قال ابن عباس سلقوكم أي عضهركم وتناولوكم بالنقص والغيبة . وقال قتادة بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون أعطونا فإننا قد شهدنا معكم القتال فلستم أحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة أشح قوم وعند البأس أجبن قوم (أشحة على الخير) أي عند الغنيمة يشاحون (٢٤٥) المؤمنين (أولئك لم يؤمنوا فأحبط

الله أعمالهم) قال مقاتل احتساب ولو كان ذلك القليل لله لكان كثيرا (أشحة عليكم) أي بخلاء بالشفقة في سبيل الله والنصرة وصفهم الله بالبخل والجبن (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم) أي في رموسهم من الخوف والجبن (كالذي يغشى عليه من الموت) أي كدوران عين الذي قرب من الموت وغشيه أسبابه فإنه يذهب عقله وبشخص بصره فلا يطرف (فإذا ذهب الخوف) أي زال (سلقوكم) أي آذوكم ورموكم في حالة الأمن (بالأسنة حداد) أي ذرية تفعل كفعل الحديد قال ابن عباس معناه عضوكم وتناولوكم بالنقص والغيبة وقيل بسطوا ألسنتهم فيكم وقت قسمة الغنيمة يقولون أعطونا فإننا شهدنا معكم القتال فلستم بأحق بالغنيمة منا فهم عند الغنيمة أشح قوم وعند الحرب أجبن قوم (أشحة على الخير) أي يشاحون المؤمنين عند الغنيمة فعلى هذا المعنى يكون المراد بالخير الماء (أولئك لم يؤمنوا) أي لم يؤمنوا حقيقة الإيمان وإن أظهروا الإيمان لفظا (فأحبط الله أعمالهم) أي التي كانوا يأتون بها مع المسلمين قبل هي الجهاد وغيره (وكان ذلك على الله يسيرا) أي إحباط أعمالهم مع أن كل شيء على الله يسير . قوله تعالى (يحسبون) يعني هؤلاء المنافقين (الأحزاب) يعني قريشا وغطفان واليهود (لم يذهبوا) أي لم ينصرفوا عن قتالهم جينا وفرقا وقد انصرفوا (وإن أتت الأحزاب) أي رجعوا إليهم للقتال بعد الذهاب (يودوا لو أنهم يادون في الأعراب) أي يتمنون لو أنهم يادون في الأعراب مع الأعراب من الجبن والخوف (يسألون عن أنبيائكم) أي من أخباركم وما آل إليه أمرهم (ولو كانوا فيكم) يعني هؤلاء المنافقين (ما قاتلوا إلا قليلا) أي يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون قد قاتلنا معكم وقيل هو الرمي بالحجارة وقيل رياء من غير احتساب . قوله عز وجل (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) أي قدوة صالحة أي اقتدوا به اقتداء حسنا وهو أن تنصروا دين الله وتوازرروا رسوله ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذ قد كسرت ربايته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذى بضروب الأذى فصبر وواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضا واستنوا بسنته (لمن كان يرجو الله) يعني أن الأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله (واليوم الآخر) يعني ربحى يوم البعث الذي فيه الجزاء (وذكر الله كثيرا

(ولو كانوا) يعني هؤلاء المنافقين (فيكم ما قاتلوا إلا قليلا) تعذيرا أي يقاتلون قليلا يقيمون به عذرهم فيقولون قد قاتلنا قال الكلبي إلا قليلا أي رميا بالحجارة وقال مقاتل إلا رياء وسمعة من غير احتساب قوله عز وجل (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) فقرأ عاصم أسوة حيث كانت بضم الهزرة والباقون بكسرها وهما لغتان أي قدوة صالحة وهي فعلة من الالتساء كالقدوة من الاقتداء اسم ووضع المصدر أي به اقتداء حسن أن تنصروا دين الله وتوازرروا الرسول ولا تتخلفوا عنه وتصبروا على ما يصيبكم كما فعل هو إذ كسرت ربايته وجرح وجهه وقتل عمه وأوذى بضروب من الأذى فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا أنتم كذلك أيضا واستنوا بسنته (لمن كان يرجو الله) بدل من قوله لكم وهو تخصيص بعد تعميم للمؤمنين . يعني أن الأسوة برسول الله صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله وقال مقاتل يخشى الله (واليوم الآخر) أي يخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الأعمال (وذكر الله كثيرا) في جميع المواطن على السراء والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند

قاء الأحزاب فقال (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا) تسليما لأمر الله وتصديقا لوعده (هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله رسوله) وعد الله إنيهم ما ذكر في سورة البقرة «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم» إلى قوله «ألا إن صر الله قريب» فالآية تتضمن أن المؤمنين ياحقهم مثل ذلك البلاء فلما رأوا الأحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله (وما زادهم إلا إيمانا وتسليما) أي تصديقا لله وتسليما لأمر الله قوله عز وجل (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أي قاموا بما عاهدوا الله عليه ووفوا به (فمنهم من قضى نحبه) أي فرغ من نذره ووفى بعهده فصبر على الجهاد حتى استشهد والنحب الموت أيضا قال مقاتل قضى نحبه يعني أجله فقتل على الوفاء ، يعني حمزة وأصحابه وقيل قضى نحبه أي بذل جهده في الوفاء بالعهد من قول العرب نحب فلان في سيره ومه ولبه أجمع إذا مد فلم ينزل (ومنهم من ينتظر) الشهادة وقال محمد بن إسحاق . فمنهم من قضى نحبه من استشهد يوم بدر وأحد ومنهم من ينتظر يعني من بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الأمرين إما الشهادة أو النصر (وما بدلوا) عهدهم (تبديلا) أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن سعيد الخزازي أنا عبد الأعلى عن حميد قال سألت (٢٤٦) أنساح وحدثني عمرو بن زرارة أنا زياد حدثني حميد الطويل عن

أى في جميع المواطن على السراء والضراء ثم وصف حال المؤمنين عند لقاء الأحزاب فقال تعالى (ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله) أي قالوا ذلك تسليما لأمر الله وتصديقا بوعده (وصدق الله ورسوله) أي فبإ وعدا وهو في مقابلة قول المنافقين «ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا» وقولهم «وصدق الله ورسوله» ليس إشارة إلى ما وقع فلنهم كانوا يعرفون صدق الله ورسوله قبل الوقوع وإنما هو إشارة إلى البشارة في جميع ما وعد فيقع الكل مثل فتح مكة وفتح الروم وفارس وقيل إنهم وعدوا أن تلحقهم شدة وبلاء فلما رأوا الأحزاب وما أصابهم من الشدة قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله (وما زادهم إلا إيمانا) أي تصديقا لله (وتسليما) أي لأمره . قوله تعالى (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه) أي قاموا بما جاهدوا الله عليه ووفوا به (فمنهم من قضى نحبه) أي فرغ من نذره ووفى بعهده وصبر على الجهاد حتى استشهد وقيل قضى نحبه يعني أجله فقتل على الوفاء يعني حمزة وأصحابه وقيل قضى نحبه أي بذل جهده في الوفاء بالعهد وقيل قضى نحبه استشهد يوم بدر وأحد (ومنهم من ينتظر) يعني من بقي بعد هؤلاء من المؤمنين ينتظرون أحد الأمرين إما الشهادة أو النصر على الأعداء (وما بدلوا) يعني عهدهم (تبديلا) (ق) عن أنس قال غاب

أنس قال «غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما صنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء المشركين ثم تقدم فاستقبله

سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ریحها من دون أحد» قال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون فما عرفه أحد إلا أخيه بزانه قال أنس كنا نظن أو نرى أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه : من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، إلى آخر الآية أخبرنا أحمد بن عبد الله الضالحي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الخيري أنا حاجب بن أحمد الطوسي أنا محمد بن حماد أنا معاوية عن الأعمش عن سفيان عن شقيق عن نجباب بن الأرت قال «هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله نبتغي وجهه الله فوجب أجرنا على الله فإنا من مضى لم يأكل من أجره شيئا منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلا نخرة . فكاننا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه وإذا وضعناها على رجلاه خرج رأسه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعوا ما يلي رأسه واجعلوا على رجلاه شيئا من الأذخر» قال ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهدبها أخبرنا أبو المظفر محمد بن أحمد التميمي أنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان المعروف بابن أبي نصر أنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة الأطاربلسي أنا محمد بن سليمان الجوهري بأنطاكية أنا مسلم بن إبراهيم أنا الصلت بن دينار عن أبي نصر عن جابر بن عبد الله قال «نظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى طالحة بن عبد الله فقال : من أحب أن ينظر إلى رجل يمشي على وجه الأرض وقد قضى نحبه فإينظر إلي هذا» أخبرنا

عمي

عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن أبي شيبه أنا وكيع بن إسماعيل عن قيس قال رأيت يد طلحة شلاء، وفيها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد قوله عز وجل (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) أي جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء بالعهد (ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) فيهديهم إلى الإيمان (إن الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا) من قريش وخطفان (بغيتهم) لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا (لم يتالوا خيرا) ظفرا (وكفى الله المؤمنين القتال) بالملائكة والريح (وكان الله قويا عزيزا) قويا في ملكه عزرا في انتقامه (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب) أي عاونوا الأحزاب من قريش وخطفان على (٣٤٧) رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين وهم بنو قريظة

عمى أنس بن النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال المشركين ليرين الله ما صنع فلما كان يوم أحد انكشف المسلمون قال اللهم إني اعتذر إليك مما صنع هؤلاء يعني أصحابه وإبرأ إليك مما صنع هؤلاء يعني المشركين ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر إني أجد ريحا من دون أحد فقال سعد فما استطعت يا رسول الله ما صنع قال أنس فوجدنا به بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم ووجدناه قد قتل وقد مثل به المشركون لما عرفه أحد إلا أخته بينانه قال أنس كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه إلى آخر الآية (ق) عن خباب بن الارت قال «هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجهه فوق أجرتنا على الله فئامن مات ولم يأكل من أجره شيئا منهم مصعب بن عمير قتل يوم أحد وترك ثمرة وكنا إذا غطينا بها رأسه بدت رجلاه وإذا غطينا رجله بدت رأسه فأمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نغطي رأسه ونجعل على رجله من الأذخر ومنا من أينعت له ثمرته فهو يهديها الثمرة كساء ملون من صوف وقوله ومنا من أينعت أي أدركت ونضجت له ثمرته وهذه استعارة لما فتح الله لهم من الدنيا وقوله يهديها أي يحنئها ويقطعها عن أبي موسى بن طلحة قال «دخلت على معاوية فقال ألا أشرك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: طلحة ممن قضي نحبه» أخرجه الترمذي وقال هذا حديث غريب (خ) عن قيس بن أبي حازم قال «رأيت يد طلحة شلاء وفيها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد» قوله عز وجل (ليجزى الله الصادقين بصدقهم) أي جزاء صدقهم وصدقهم هو الوفاء بالعهد (ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم) أي فيهديهم إلى الإيمان ويشرح له صدورهم (إن الله كان غفورا رحيما ورد الله الذين كفروا) يعني من قريش وخطفان (بغيتهم) أي لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا (لم يتالوا خيرا) أي لم يشف صدورهم بنيل ما أرادوا (لم يتالوا خيرا) أي بالملائكة والريح (وكان الله قويا) أي في ملكه عزرا في انتقامه. قوله تعالى (وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب) أي عاونوا الأحزاب من قريش وخطفان على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وهم بنو قريظة (من صياصبهم) أي من حصونهم ومعاقلهم واحدا

(من صياصبهم) حصونهم
ومعاقلهم واحدا
صيصية ومنه قبل لقرن
ولشوكة الديك والحياكة
صيصية وذلك أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم
لما أصبح من الليلة التي
انصرف الأحزاب فيها
راجعين إلى بلادهم
وانصرف النبي صلى الله
عليه وسلم والمؤمنون عن
الختندق إلى المدينة
ووضعوا السلاح فلما
كان الظهر أتى جبريل
رسول الله صلى الله عليه
وسلم معتجرا بعمامة
من استبرق على بقلته
عليها رحالة وعليها
قطيفة من ديباج ورسول
الله صلى الله عليه وسلم
عند زينب بنت جحش

وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه فقال قد وضعت السلاح يا رسول الله قال نعم فقال جبريل عفا الله عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن إلا من طلب القوم وروى أنه كان الغبار على وجه جبريل عليه السلام وفرسه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه وعن وجه فرسه فقال إن الله يأمرك بالسير إلى بني قريظة وأنا معك إلى بني قريظة فانهر إليهم فإني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركهم في زلزال ولبال فأمر النبي صلى الله عليه وسلم متادبا فأذن أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب رضي الله عنه برابته إليهم وابتدرها الناس فصار على رضي الله عنه حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك أن لا تدنوا من هؤلاء

لأخبار قال لم أظنك سمعت لي منهم أذى قال نعم يا رسول الله قال لو قدروني لم يقولوا من ذلك شيئا فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا إخوان القردة والخنازير هل أخزاكم الله وأنزل بكم نعمته قالوا بأبنا القاسم ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه بالصور من قبل أن يصل إلى بني قريظة فقال هل مر بكم أحد فقالوا نعم يا رسول الله مر بنا دحية بن خليفة الكلبي على بغلة بيضاء عليها رحالة عليها قطيفة ديباج فقال عليه السلام ذاك جبريل بعث إلى بني قريظة يرزّل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل على بئر من آبارها في ناحية من أمواهم فتلاحق به الناس فأناه رجال من بعد صلاة العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر. لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فما عابهم الله بذلك ولا عتفهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب. وكان حبي بن أخيط دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطفان وفاء لكعب بن أسد بما كان عاهده فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير متصرف عنهم حتى يناجزهم قال كعب بن أسد يا معشر يهود إنه قد نزل بكم من الأمر ما روي وإني عارض عليكم خلا لا ثلاثا فخلتوا بها شتمت قالوا وما هن قال تنابح هذا الرجل ونصده فوالله إنه لقد تبين لكم أنه مرسل وأنه الذي تجدون في كتابكم فتأمّنوا على دياركم وأموالكم وأبناكم ونساءكم قالوا لا تفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره. قال كعب فإذا أيتم هذه فمهل فلتقتل أبناءنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد رجلا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا نقلايهمنا حتى يحكم الله بيننا وبين محمد فإن مهلك نهلك ولم تترك وراءنا شيئا نخشي عليه وأن يظهر فلعمري لتتخذن النساء والأبناء فقالوا اقتتل هؤلاء المساكين فما خير في العيش بعدهم قال فإن أيتم هذه قال الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن (٢٤٨) يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فيها فانزلوا علينا أن نصيب من محمد

وأصحابه غرة قالوا أنفسد
سبنا ونحدث فيه ما لم
يكن أحدث فيه من كان

قبلنا إلا من قد عملت فأصاهم من المسخ ما لم يخف عليك فقال ما بات رجل منكم

مند ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازما قال ثم إنهم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعت إلينا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا حلفاء الأوس نستشيره في أمرنا فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فلما رأوه قام إليه الرجال وهش إليه النساء والصبيان فيكون في وجهه فرق لهم فقالوا يا أبا لبابة أتري لنا أن ننزل على حكم محمد قال نعم قالوا ماذا يفعل بنا إذا نزلنا فأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدمي حتى عرفت أي قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمدته وقال لا أبرح من مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت وعاهد الله أن لا يبطأ أرض بني قريظة أبدا ولا يراني الله في بلد خنت الله ورسوله فيه أبدا فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبزه وأبطأ عليه. قال أما لو قد جاءني لاستغفرت له فأما إذا فعل ما فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم إن الله تعالى أنزل توبة أبي لبابة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك قلت مم تضحك يا رسول الله أضحك الله سنك قال تيب على أبي لبابة فقلت ألا أبشره بذلك يا رسول الله فقال بلى إن شئت فقامت على باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشر فقد تاب الله عليك قال فثار الناس عليه لبطوقه فقال لا والله حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خارجا إلى الصبح أطلقه قال ثم إن ثعلبة ابن سعيد وأسيد بن سعيد وأسيد بن عبيد وهم نفر من بني هذيل ليسوا من بني قريظة ولا النضير نسبهم فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرج في تلك الليلة عمرو ابن سعدى القرظي فرجس رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه محمد بن مسلمة الأنصاري تلك الليلة فلما رآه قال من هذا قال عمرو بن سعدي وكان عمرو قد أتى أن يدخل مع بني قريظة في غدوهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا أغدر بمحمد أبدا قال محمد بن مسلمة حين عرفه اللهم لا تحرمني من عثرات الكرام ثم خلى

سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري أين ذهب من ارض الله
 فذكر لرسول الله ﷺ شأنه فقال ذاك رجل قد نجاه الله بوفائه وبعض الناس يزعم أنه كان قد أوثق برمة فيمن أوثق من بني
 قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فأصبحت رفته ملقاة لا يدري أين ذهب فقال فيه رسول الله ﷺ تلك
 المقالة والله أعلم فلما أصبحوا نزلوا على حكم رسول الله فتواثبت الأوس فقالوا يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج وقد
 فعلت في موالي الخزرج بالأمس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا
 حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه فسألهم إياه عبد الله بن أبي بن مسعود فوجههم إياه فلما كلمه الأوس قال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ألا ترضون يا معشر الأوس أن يحكم فيكم رجل منكم قالوا بلى قال فذاك إلى سعد بن معاذ . وكان سعد بن معاذ قد
 جعله رسول الله صلى الله عليه وسلم في خيمة امرأة من المسلمين يقال لها ربيعة في مسجده وكانت تداوى الجرحى وتحسب
 بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم
 بالخذق اجعلوه في خيمة ربيعة حتى أعوده من قريب ؛ فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة أتاه قومه
 فاحتملوه على حمار قد وطأوا له بوسادة من آدم . وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم
 يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم وإنما ولاك ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال قد
 آن لسعد أن لا تأخذ في الله لومة لائم فرجع بعض من كان معه من قومه إلى دار بني عبد الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة
 من قبل أن يصل إليهم سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قوموا
 إلى سيدكم فأنزلوه فقاموا إليه فقالوا يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولاك مواليك لتحكم فيهم فقال سعد
 عليكم بذلك عهد الله وميثاقه إن الحكم فيها ما حكمت قالوا نعم قال وعلى من هاهنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وهو معرض عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلاله فقال (٢٤٩) رسول الله صلى الله عليه

وسلم نعم قال سعد فإني
 أحكم فيهم أن تقتل



(٣٢ - خازن باليغوى - خامس) الرجال وتقسم الأموال وتسيب الذراري والنساء فقال رسول الله لسعد لقد حكمت
 فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استنزلوا فحبسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحارث امرأة من بني
 النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخذق بها خندقا . ثم بعث إليهم
 فضربت أعناقهم في تلك الخنادق يخرج بهم إليه أرسالا أرسالا وفيهم عدو الله حبيبي بن أخيط وكعب بن أسد رئيسا القوم
 وهم ستائة أو سبعمائة والمكثرون يقول كانوا بين ثمانمائة إلى تسعمائة وقد قالوا لكعب بن أسد وهم يذهبون بهم إلى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم أرسالا يا كعب ما ترى ما يصنع بنا فقال كعب أي كل موطن لا تعقلون أما ترون الداعي لا يزرع وإن
 من يذهب به منكم لا يرجع هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأبي عبيد بن أخيط
 عدو الله عليه حلة تفاخية قد شققها عليه من كل ناحية كوضع الأئمة أئمة لئلا يسلبها مجموعة يدها إلى عنقه بحبل فلما
 نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أما والله ما لمت نفسي في عدواتك ولكنه من يخذل الله يخذل ثم أقبل على الناس
 فقال أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني إسرائيل ثم جلس فضربت عنقه وروى غرورة بن
 الزبير عن عائشة رضي الله عنها قالت لم يقتل من نساء بني قريظة إلا امرأة واحدة قالت والله إنها عندي تتحدث معي وتضحك
 ظهرا وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يزل يقتل رجالهم بالسيف إذ هتفت هاتف باسمها أين فلانة قالت أنا والله هي
 قالت قلت وبيك مالك قالت أقتل قلت ولم قالت حدث أحدثته قالت فانطلق بها فضربت عنقها وكانت عائشة تقول ما أنسى عجبا
 منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت أنها تقتل قال الواقدي وكان اسم تلك المرأة بنانة امرأة الحكم القرظي وكانت قتلت
 خلاد بن سويد رمت عليه رحي فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بها فضربت عنقها بخلاد بن سويد قال وكان علي والزبير
 يضربان أعناق بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هنالك وروى محمد بن إسحاق عن الزهري أن الزبير بن باطا
 القرظي وكان يكنى أبا عبد الرحمن كان قد من على ثابت بن قيس بن شماس في الجاهلية يوم بعث أخذه فجز ناصيته ثم شلى

سبيله فجاءه يوم قريظة وهو شيخ كبير فقال يا ابا عبد الرحمن هل تعرفني قال وهل يحفل مثلثي مثلث قال : اني اردت ان
 اجزيك بيدك عندي قال ان الكريم يجزي الكريم قال ثم اتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله قد كانت
 للزبير عندي يد وله على منة وقد اجيبت ان اجزيه بها فهب لي دمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال
 له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وهب لي دمك قال شيخ كبير لا اهل له ولا ولد فابصنع بالحياة فأتى ثابت رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أهله وماله قال هم لك فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطاني امراتك
 وولدتك فهم لك قال اهل بيت بالحجاز لامال لهم فما بقاؤهم على ذلك فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما فعل
 يا رسول الله قال هل لك قال فأتاه فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اعطاني مالك فهو لك فقال اى ثابت ما فعل
 الله بمن كان وجهه مرآة مضيتة تراهي فيها عذارى الحى كعب بن اسد قال قتل قال فما فعل سيد الخاضر والبادى حبي بن
 اخطب قال قتل قال فما فعل مقدمتنا اذا شدتنا وحامينا اذكررنا عزال بن شوال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بنى
 كعب بن قريظة وبنى عمرو بن قريظة قال ذهبوا قتلوا قال فلاني اسالك بيدى عندك يا ثابت الا ما لحتني بالقوم فوالله ما في
 العيش بعد هؤلاء من خير فما انا بصابر حتى اتى الأحية فقدمه ثابت فضرب عنقه فلما بلغ ابا بكر الصديق قوله اتى الأحية
 قال يلقاتهم والله في نار جهنم خالدا فيها مخلدا أبدا قالوا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد امر يقتل من أتيت منهم ثم
 قسم أموال بنى قريظة ونساءهم وأموالهم على المسلمين وأعزل في ذلك اليوم سهمان الخليل وسهمان الرجال وأخرج منهما
 الخمس فكان للفارس ثلاثة أسهم للفارس سهمان وللفارس سهم وللراجل من ليس له فرس سهم ؛ وكانت الخليل سنة
 وثلاثين فرسا وكان أول فيء وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد الأنصاري أخا بنى
 عبد الأشهل بسبايا من سبايا بنى قريظة (٢٥٠) إلى نجد فابتاع له بهم خيلا وسلاحا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد اصطفى لنفسه من نسايتهم ريحانة بنت عمرو بن خنانة إحدى نساء

صيصية (وقذف في قلوبهم الرعب) أى الخوف (فريقا تقتلون) يعنى الرجال يقال كانوا ستمائة
 (وتأسرون فريقا) يعنى النساء والذراري يقال كانوا سبعمائة قيل وخمسين (وأورثكم أرضهم وديارهم

بنى عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي وأموالهم
 في ملكه وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول
 الله بل تركني في ملكك فهو أخف على وعليك فتركها وقد كانت حين سبأها كرهت الإسلام وأبت إلا اليهودية فعزلها
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه بذلك من أمرها فيينا هو مع أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال إن هذا لثعلبة
 ابن شعبة يبشرنى بإسلام ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد أسلمت ريحانة فبشره بذلك فلما انقضى شأن بنى قريظة انفجر
 جرح سعد بن معاذ وذلك أنه دعا بعد أن حكم في بنى قريظة ما حكم فقال اللهم إنك قد علمت أنه لم يكن قوم أحب إلي أن
 أجاهدهم من قوم كذبوا رسولك اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش على رسولك شيئا فأبقيتها وإن كنت قد قطعت الحرب
 بينه وبينهم فأقبضني إليك فانفجر كلمه فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد قالت
 عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فوالذي نفسي بيده اني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وانى
 لى حجرني قالت وكانوا كما قال الله تعالى ورحماء بينهم وكان فتح بنى قريظة في آخر ذى القعدة سنة خمس من الهجرة . أخبرنا
 عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد الله بن محمد أنا يحيى بن
 آدم أنا إسرائيل سمعت أبا إسحاق يقول سمعت سليمان ابن صرد يقول سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول حين أجلى الأحزاب
 عنه الآن تغزوهم ولا يغزونا نحن نسبر إليهم أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا
 محمد بن إسماعيل أنا قتيبة أنا الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول
 لا إله إلا الله وحده عز جنده ونصر عبده وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده وقال الله تعالى في قصة بنى قريظة : وأنزّل
 الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيبهم (وقذف في قلوبهم الرعب فريقا تقتلون) وهم الرجال ، يقال كانوا ستمائة
 (وتأسرون فريقا) وهم النساء والذراري يقال كانوا سبعمائة وخمسين ويقال سبعمائة (وأورثكم أرضهم وديارهم

وأموالهم وأرضاء لم تطئوها) يعني بعد قبيل هي خيبر ويقال إنها مكة وقيل فارس والروم
وقبل هي كل أرض تفتح على المسلمين إلى يوم القيامة (وكان الله على كل شيء قديرا).

(ذكر غزوة بني قريظة)

قبيل كانت في آخر ذي القعدة سنة خمس وعلى قول البخاري المتقدم في غزوة الخندق عن
موسى بن عقبة أنها كانت في سنة أربع. قال العلماء بالسيرة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما أصبح من الليلة التي انصرف الأحزاب راجعين إلى بلادهم انصرف صلى الله عليه وسلم
والمؤمنون عن الخندق إلى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى جبريل عليه السلام
رسول الله صلى الله عليه وسلم متعمما بعمامة من إستبرق على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها
قطيفة من ديباج ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه
وقد غسلت شقه فقال جبريل يا رسول الله قد وضعت السلاح قال نعم قال جبريل غفا الله
عنك ما وضعت الملائكة السلاح منذ أربعين ليلة وما رجعت الآن إلا من طلب القوم. وروى
أنه كان الغبار على وجه جبريل وفرسه فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح الغبار عن وجهه
ووجه فرسه فقال إن الله تعالى يأمرك بالمسير إلى بني قريظة وأنا عامد إلى بني قريظة فانهر
إليهم فإنني قد قطعت أوتارهم وفتحت أبوابهم وتركهم في زلزال ولبال فأمر النبي صلى الله
عليه وسلم مناديا فأذن أن من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة وقدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم على بن أبي طالب يرأيه إليهم وابتدرها الناس وسار على حتى إذا دنا
من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله
صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث قال
أظنك سمعت لي منهم أذى قال نعم يا رسول الله قال لو قدر أوتي لم يقولوا من ذلك شيئا
فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال يا إخوان القردة قد أخزاكم الله وأنزل
بكم نعمته قالوا يا أبا القاسم ما كنت جهولا؛ ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه
بالصورين قبل أن يصل إلى بني قريظة فقال هل مر بكم أحد فقالوا يا رسول الله مر بنا دحية
ابن خليفة على بغلة بيضاء عليها رحالة وعليها قطيفة ديباج فقال صلى الله عليه وسلم ذلك
جبريل عليه السلام بعث إلي بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف الرعب في قلوبهم فلما أتى
رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل على بئر من آبارها في ناحية أموالهم وتلاحق به
الناس فأتاه رجال بعد صلاة العشاء الأخيرة ولم يصلوا العصر لقول النبي صلى الله عليه وسلم
«لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة» فصلوا العصر بها بعد العشاء الأخيرة فعايهم الله بذلك
ولا عنقهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال العلماء حاصرهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم خمسة وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار وقذف الله في قلوبهم الرعب وكان حبيبي بن أخطب
دخل على بني قريظة حصنهم حين رجعت عنهم قريش وعطفان ووفى لكعب بن أسد بما
كان عاهده فلما أيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير متصرف عنهم حتى يناجزهم
قال كعب بن أسد يا معشر يهود إنكم قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإني عارض عليكم خللا
ثلاثا فخذوا أيها شتم قالوا وما هن؟ قال تتابع هذا الرجل ونصده فو الله لقد تبين لكم أنه
نبي مرسل وأنه الذي تجدون في كتابكم فتؤمنون على دياركم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم فقالوا

وأموالهم وأرضاء لم تطئوها)
بعد قال ابن زيد ومقاتل
يعني خيبر قال قتادة
كنا نحدث أنها مكة
وقال الحسن فارس
والروم وقال عكرمة
كل أرض تفتح إلى
يوم القيامة (وكان الله
على كل شيء قديرا)

لا تفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال فإذا أبيتم هذه فهل فلنقتل أبناءنا ونساءنا
ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجلا مصليا بالسيف ولا تترك وراءنا نقلا يهنا حتى يحكم الله
بيننا وبين محمد فإن نهلك نهلك ولم تترك وراءنا شيئا نخشى عليه وإن نظهر فلهمري لتتخذن النساء
والأبناء قتلوا قتل هؤلاء المساكين فما في العيش بعدهم خير قال فإن أبيتم هذه الليلة ليلة السبت
وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد آمنوا فأنزلوا فلعننا أن نصيب من محمد وأصحابه غرة
قالوا نفسد سبتنا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من قبلنا إلا ما قد علمت فأصابهم من المسخ
ما لم يخف عليك قال ما بات رجل منكم منذ ولدته أمه حازما ليلة من الدهر ثم إنهم بعثوا إلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعت لنا أبا لبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف وكانوا
حلفاء الأوس نستشير في أمرنا فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فلما رأوه قام إليه
الرجال والنساء والصبيان يسكون في وجهه فرق لهم فقالوا يا أبا لبابة آرى أن تنزل على حكم
محمد قال نعم وأشار بيده إلى حلقه أنه الذبح قال أبو لبابة فوالله ما زالت قدماي حتى عرفت
أنى قد خنت الله ورسوله ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت النبي صلى الله عليه وسلم حتى
ربط في المسجد إلى عمود من عمده وقال والله لأبرح مكاني حتى يتوب الله علي مما صنعت
وعاهد الله لا يبطأ أرض بني قريظة أبدا ولا يراني الله في بلد قد خنت الله ورسوله فيه أبدا
فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وأبطأ عليه قال أما لو قد جاءني لاستغفرت له
فأما إذ فعل فما أنا بالذي أطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه ثم إن الله أنزل توبة أبي لبابة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة قالت أم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يضحك فقلت ثم ضحك يارسول الله أضحك الله سنك قال تيب علي أبي لبابة فقلت
ألا أبشرك بذلك يارسول الله قال بلى إن شئت قال فقامت علي باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب
عليهن الحجاب فقالت يا أبا لبابة أبشرك فقد تاب الله عليك قال فثار الناس إليه ليطلقوه فقال
لا والله حتى يكون رسول الله هو الذي يطلقني بيده فلما مر عليه خارجا إلى الصبح أطلقه قال
ثم إن ثعلبة بن سعيد وأسيد بن سعيد وأسيد بن عبيدوهم نفر من بني هذيل ليسوا من قريظة
ولا النصير نسبهم من فوق ذلك هم بنو عم القوم أسلموا تلك الليلة التي نزلت فيها بنو قريظة
على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج في تلك الليلة عمرو بن السعدى القرظي فبرحرس رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعليهم محمد بن مسلمة الأنصاري تلك الليلة فلما رآه قال من هذا
قال عمرو بن السعدى وكان عمرو قد أتى أن يدخل مع بني قريظة في غددهم برسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال لا أقدر بمحمد صلى الله عليه وسلم أبدا فقال محمد بن مسلمة اللهم لا تحرمني
من عثرات الكرام فحلى سبيله فخرج على وجهه حتى بات في مسجد رسول الله صلى الله
عليه وسلم في المدينة تلك الليلة ثم ذهب فلا يدري أين ذهب من أرض الله فذكر لرسول الله
صلى الله عليه وسلم شأنه فقال ذلك رجل نجاه الله بوفائه وبعض الناس يزعم أنه كان أوثق
برمة فيمن أوثق من بني قريظة حين نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصبحت
برمته ملقاة ولا يدري أين ذهب فقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة فلما أصبحوا
نزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فتواثب الأوس وقالوا يارسول الله إنهم موالينا
دون الخزرج وقد فعلت في موالى الخزرج بالأوس ما قد علمت وقد كان رسول الله صلى الله

عليه وسلم قبل بني قريظة حاصر بني قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فزولوا على حكمه فسأله
 إياهم عبد الله بن أبي بن سلول فوجههم له فلما كلمه الأوس قال رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ألا ترضون بامعشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم قالوا بلى قال فذلك إلي سعد بن
 معاذ وكان سعد جعله رسول الله عليه وسلم في مسجده في خيبة امرأة من المسلمين يقال لها
 ربيعة وكانت تداوى الجرحى وتحسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين
 وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال لقومه حين أصابه السهم بالخذق اجعلوه في خيبة
 ربيعة حتى أعوده من قريب فلما حكمه رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني قريظة أثناء قومه
 فحملوه على حمار قد وطئوا له وسادة من آدم وكان رجلا جسيما ثم أقبلوا معه إلى رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وهم يقولون يا أبا عمرو أحسن في مواليك فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إنما ولد ذلك لتحسن فيهم فلما أكثروا عليه قال قد آن لسعد أن لا تأخذ في اللومة لأنم فرجع
 بعض من كان معه من قومه إلى دار بني الأشهل فنعى لهم رجال بني قريظة قبل أن يصل إليهم
 سعد بن معاذ عن كلمته التي سمع منه فلما انتهى سعد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
 قوموا إلى سيدكم فأزولوه فقاموا إليه وقالوا يا أبا عمرو إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ولدك
 مواليك فتحكم فيهم فقال سعد عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم ما حكمت قالوا
 نعم قال وعلى من هاهنا في الناحية التي فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو معرض عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم إجلالا له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم قال سعد فاني
 أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقمم الأموال وتسي الدراري والنساء فقال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم لسعد لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استزلوا فحبسهم رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في دار بنت الحارث من نساء بني النجار ثم خرج رسول الله صلى الله عليه
 وسلم إلى سوق المدينة التي هي سوقها اليوم فخذق بها خنادق ثم بعث إليهم فضربت أعناقهم
 في تلك الخنادق يخرج بهم أرسالا وفيهم عدو الله ورسوله حبيبي بن أخطب وكعب بن أسد
 رأس القوم وهم سبائة أو سبعمائة والمكثرون يقول كانوا بين السبائة إلى التسعمائة وقد
 قالوا لكعب بن أسد وهم يذهب بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أرسالا يا كعب ما ترى
 ما يصنع بنا قال أي كل موطن لا تغفلون ألا ترون الداعي لا يترزع وأن من يذهب به منكم لا يرجع
 هو والله القتل فلم يزل ذلك الدأب حتى فرغ منهم النبي صلى الله عليه وسلم وأتى بحبيبي بن
 أخطب عدو الله وعليه حلة نفاخية قد شققها عليه من كل ناحية كوضع الأئمة أئمة لأئمة لئلا
 يسلبها مجموعة يداها إلى عنقه بحبل فلما نظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والله ما لمت
 نفسي في عداوتك ولكنه من بخذل الله بخذل ثم أقبل على الناس فقال أيها الناس إنه لا بأس
 بأمر الله كتاب وقدر وملحمة كتبت على بني إسرائيل ثم جلس فضرب عنقه وروى عن عائشة
 قالت لم يقتل من نساء بني قريظة إلا امرأة واحدة قالت والله إنها لعندي تتحدث معي وتضحك ظهرا
 وبطنا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقتل رجالهم بالسيف إذ هتف هاتف باسمها أن فلاتة
 قالت أنا والله قلت وبلك مالك قالت أقتل قلت ولم قالت حدثنا أحدثته قالت فانطلق بها فضرب
 عنقه وكانت عائشة تقول ما أنسى عجباً منها طيب نفس وكثرة ضحك وقد عرفت أنها تقتل
 قال الواقدي وكان اسم المرأة بنانة امرأة الحكم القرظي وكانت قتلت خلاد بن سويد قال وكان

على والزبير بضرمان أعناق بني قريظة ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس هناك . وروى
 محمد بن إسحاق عن الزهري أن الزبير بن باطا القرظي ويكنى أبا عبد الرحمن كان قد من على ثابت
 ابن قيس بن شماس في الجلية يوم بعث أخذه فجز ناصيته ثم خلى سبيله فجاءه يوم قريظة وهو
 شيخ كبير فقال يا أبا عبد الرحمن هل تعرفني قال وهل يجهل مثلي مثلك قال إني أريد أن أجزيك
 بيدك عندي قال إن الكريم يجزي الكريم قال ثم أتى ثابت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
 فقال يا رسول الله قد كان للزبير عندي يد وله على منة وقد أحببت أن أجزيه بها فهب لي دمه
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هو لك فأتاه فقال له إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد
 وهب لي دمعك قال شيخ كبير لأهل له ولا ولد فما يصنع بالحياة فأتى ثابت رسول الله صلى
 الله عليه وسلم فقال يا رسول الله أهله وأولاده فقال هم لك فأتاه فقال إن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أعطاني امرأتك وولدك فهم لك فقال أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم على
 ذلك فأتى ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ماله يا رسول الله قال هو لك فأتاه فقال
 إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطاني مالك فهو لك فقال أي ثابت ما فعل الذي كان
 وجهه مرآة صينية يترأى فيه عذارى الحى كعب بن أسد قال قتل قال فما فعل مقدمتنا إذا
 شددنا وحاميتنا إذا كرزنا عزال بن شحوال قال قتل قال فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن
 قريظة وبني عمرو بن قريظة قال قتلوا قال فإني أسألك بيدي عندك يا ثابت إلا ما ألحقتني بالقوم
 فو الله ما في العيش بعد هؤلاء من خير فما أنا بصابر حتى ألقى الأجابة فقدمه ثابت فضربت عنقه
 فلما بلغ أبا بكر الصديق قوله خنى بلقى الأجابة قال بلقاهم والله في نار جهنم خالدا مخلدا أبدا
 قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمر بقتل من أنبت منهم ثم قسم أموال بني قريظة
 ونساءهم على المسلمين وأغنم في ذلك اليوم سهمين للخيل وسهما للرجال فكان للفارس ثلاثة
 أسهم سهمان للفارس وللفارسه سهم وللراجل من ليس له فرس سهم وكانت الخيل ستة وثلاثين
 فرسا وكان أول يوم وقع فيه السهمان ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن زيد
 الأنصاري أخا بني الأشهل بسبايا من سبايا بني قريظة إلى نجد فابتاع له بهم خيلا وسلاحا وكان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفى لنفسه من نسايتهم ريحانة بنت عمرو بن خنانة إحدى
 نساء بني عمرو بن قريظة فكانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى توفي عنها وهي في ملكه
 وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص على أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب فقالت
 يا رسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف على وعليك فتركها وقد كانت حن سباها كرهت
 الإسلام وأبت إلا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجد في نفسه بذلك من أمرها
 فيينا هو بين أصحابه إذ سمع وقع نعلين خلفه فقال إن هذا للعلية بن شعبة يبشرني بإسلام
 ريحانة فجاءه فقال يا رسول الله قد أسلمت ريحانة فسرره ذلك فلما قضى شأن بني قريظة انفجر
 جرح سعد بن معاذ وذلك أنه دعا بعد أن حكم في بني قريظة ما حكم فقال اللهم إنك علمت
 أنه لم يكن قوم أحب إلى أن أجاهدكم من قوم كذبوا رسولاك اللهم إن كنت أبقيت من حرب
 قريش على رسولك شيئا فأبغضني له وإن كنت قد قطعت الحرب بينه وبينهم فأقبضني إليك
 فانفجر كلمه فرجعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيمته التي ضربت عليه في المسجد
 قالت عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر فو الذي نفس محمد بيده

قوله عز وجل (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنكم) متعة الطلاق (وأسرحنكم سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم أجرا عظيما) سبب نزول هذه الآية أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألته شيئا من عرض الدنيا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهم على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى أن لا يقربهن شهرا ولم يخرج إلى أصحابه فقالوا ماشأته وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لأعلمن لكم شأنه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أطلقتهن قال لا قلت يا رسول الله : إني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أفأترنل فأخبرهم أنك لم تطلقهن قال نعم إن شئت قال فقمت على باب المسجد وناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى

إني لأعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر وإني لفي حجرني قالت وكانوا كما قال الله تعالى فيهم رجاء بينهم (خ) عن سلمان بن صرد قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين أجلى الأحزاب والآن نغزوهم ولا يغزوننا نحن نسبر إليهم (ق) عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا إله إلا الله وحده لا شريك له أعز جنته ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده فلا شيء بعده . قوله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعنكم) أي متعة الطلاق (وأسرحنكم سراحا جميلا) أي من غير ضرر (وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكم أجرا عظيما) سبب نزول هذه الآية أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألته من عرض الدنيا شيئا وطلبن منه زيادة في النفقة وآذينه بغيرة بعضهم على بعض فهجرهن رسول الله صلى الله عليه وسلم وآلى أن لا يقربهن شهرا ولم يخرج إلى أصحابه فقالوا ماشأته وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لأعلمن لكم شأنه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أطلقتهن قال لا قلت يا رسول الله : إني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أفأترنل فأخبرهم أنك لم تطلقهن قال نعم إن شئت فقمت على باب المسجد وناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزلت هذه الآية ولوروده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه هذا الأمر وأنزل الله آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمسة من قريش وهن عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زمعة وأربع غير قرشيات وهن زينب بنت جحش الأسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيبي بن أخطب الخيرية وجورية بنت الحارث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت أحبهن إليه فخبرها وقرأ عليها القرآن فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعتها على ذلك فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيبي بن أخطب الخيرية وجورية بنت الحارث المصطلقية رضوان الله عليهن فلما نزلت آية التخيير بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة وكانت أحبهن إليه فخبرها وقرأ عليها القرآن فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة فرؤى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعتها على ذلك قال قتادة فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك فقال ولا يحل لك النساء من بعده أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفيان أنا مسلم بن الحجاج أنا زهير بن حرب أنا روح بن عبادة أنا زكريا بن إسحاق أنا أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال : دخل أبو بكر يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا يبابه ولم يؤذن لأحد منهم قال فأذن لأبي بكر فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد

يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فنزلت هذه الآية وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولوروده إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم قال فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر وأنزل الله آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت أبي بكر الصديق وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الأسدية

النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساؤه واجما ساكتا فقال لأقولن شيئا أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فقال :
 يارسول الله لو رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال
 من حولي كما ترى يسألتني النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول لانسألي
 رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ليس عنده ثم اعترفن شهرا أو تسعا وعشرين ثم نزلت هذه الآية :

(٢٥٦)

فقال تعالى «لايجل لك النساء من بعده» (م) عن جابر بن عبد الله قال «دخل أبو بكر يستأذن على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا يبابه لم يؤذن لأحد منهم فأذن لأبي بكر
 فدخل ثم أقبل عمر فاستأذن فأذن له فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا وحوله نساؤه
 واجما ساكتا فقال لأقولن شيئا أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله لقد
 رأيت بنت خارجة سألتني النفقة فقمت إليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه
 وسلم فقال من حولي كما ترى يسألتني النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة فوجأ عنقها وقام عمر
 إلى حفصة فوجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ليس عنده قلن
 والله لانسألي رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ليس عنده ثم اعترفن شهرا أو تسعا وعشرين
 حتى نزلت هذه الآية : يا أيها النبي قل لأزواجك إن كننن : حتى بلغ : للمحسنتات منكن أجرا
 عظيما قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة إنى أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن
 تستشيرى أبويك قالت وما هو يارسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يارسول الله استشير
 أبوي بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذي قلت قال
 لانسألي امرأة منهن إلا أخبرتها إن الله لم يعنى معتتولا ومتعتتولكن يعنى معلما مبشرا قوله واجما
 أى مهتا والواجم الذى أسكته لهم وعلته الكتابة وقيل الوجوم الحزن. قوله فوجأت عنقها أى
 دقتته وقوله لم يعنى معتتا العنت المشقة والصعوبة (م) عن الزهري « أن النبي صلى الله عليه
 وسلم أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهرا قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت لما
 مضت تسع وعشرون ليلة أعدهن دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم بدأني فقلت يارسول
 الله أقسمت أن لا تدخل علينا شهرا وإنك دخلت من تسع وعشرين أعدهن قال إن الشهر
 تسع وعشرون »

(فصل في حكم الآية)

اختلف العلماء في هذا الخيار هل كان ذلك تفويض الطلاق إليهن حتى يقع بنفس الاختيار
 أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويض الطلاق وإنما خيرهن على
 أنهن إذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى «فتعالبن أمتعنك وأسرحكن» بدليل أنه لم يكن جوابهن
 على الفور وأنه قال لعائشة «لا تعجلي حتى تستشيرى أبويك» وفي تفويض الطلاق يكون الجواب
 على الفور وذهب قوم إلى أنه كان تفويض الطلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقا . التفريع
 على حكم الآية اختلف أهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس إذا خير
 الرجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء وإن اختارت نفسها يقع طلاقا واحدا وهو قول

«يا أيها النبي قل لأزواجك
 حتى بلغ : للمحسنتات
 منكن أجرا عظيما . قال
 فبدأ بعائشة فقال يا عائشة
 إنى أريد أن أعرض
 عليك أمرا أحب أن
 لا تعجلي فيه حتى
 تستشيرى أبويك قالت
 وما هو يارسول الله فتلا
 عليها الآية قالت أفيك
 يارسول الله استشير
 أبوي بل اختار الله
 ورسوله وأختار الدار
 الآخرة وأسألك أن
 لا تخبر امرأة من نسائك
 بالذي قلت قال لانسألي
 امرأة منهن إلا أخبرتها
 إن الله لم يعنى معتتا ولا
 متعتتولكن يعنى معلما
 مبشرا » أخبرنا أحمد
 ابن عبد الله الصالحى أنا
 أبو الحسين بن بشران أنا
 إسماعيل ابن سعد الصغار
 أخبرنا أحمد بن منصور
 الرمادى أنا عبد الرزاق
 أنا معمر بن الزهري « أن
 النبي صلى الله عليه وسلم
 أقسم أن لا يدخل على

أزواجه شهرا قال الزهري فأخبرني عروة بن الزبير عن عائشة أنها قالت فلما مضت تسع وعشرون أعدهن
 دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت حين بدأني يارسول الله إنك أقسمت ألا تدخل علينا شهرا وإنك دخلت في
 تسع وعشرين أعدهن فقال إن الشهر تسع وعشرون واختلف العلماء في هذا الخيار أنه هل كان ذلك تفويض الطلاق إليهن
 حتى يقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقتادة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويض الطلاق وإنما خيرهن على أنهن
 إذا اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى «فتعالبن أمتعنك وأسرحكن سراحا جميلا» بدليل أنه لم يكن جوابهن على الفور فإنه قال

لعائشة لا تجعل حتى تستشير أبيك ، وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور. وذهب قوم إلى أنه كان تفويض الطلاق لو اخترن أنفسهن كان ملاقا واختلاف أهل العلم في حكم التخيير فقال عمر وابن مسعود وابن عباس إذا خير الرجل امرأته فاختارت زوجها لا يقع شيء وإن اختارت نفسها يقع طلاق واحدة ؛ وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي إلا أن عند أصحاب الرأي تقع طلاقه بائنة إذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال زيد بن ثابت إذا اختارت الزوج تقع طلاق واحدة وإذا اختارت نفسها ثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروى عن علي أيضا إذا اختارت زوجها تقع طلاق واحدة وإن اختارت نفسها فطلقه بائنة وأكثر العلماء على أنها إذا اختارت زوجها لا يقع شيء .

أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن إسماعيل أنا عمر بن حفص أنا أبي أنا الأعمش أنا مسلم عن مسروق عن عائشة قالت وخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٥٧) فاختارنا الله ورسوله فلم يعد

ذلك علينا شيئا . قوله عز وجل (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) بمعصية ظاهرة قيل هي كقوله عز وجل « لئن أشركت ليحبطن عملك » لأن منهن من أتت بفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة الشوز وسوء الخلق (يضاعف لها العذاب ضعفين) قرأ ابن كثير وابن عامر تضعف بالنون وكسر العين وتشديد العذاب نصب وقرأ الآخرون بالياء وفتح العين العذاب رفع ويشدها أبو جعفر وأهل البصرة وشده أبو عمرو هذه وحدها لقوله

عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلى وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي إلا أن عند أصحاب الرأي يقع طلاقه بائنة إذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال زيد بن ثابت إذا اختارت الزوج يقع طلاق واحدة وإذا اختارت نفسها ثلاث وهو قول الحسن وبه قال مالك وروى عن علي أنها إذا اختارت زوجها يقع طلاق واحدة وإذا اختارت نفسها فطلقه بائنة وأكثر العلماء على أنها إذا اختارت زوجها لا يقع شيء (ق) عن مسروق قال ما أبالي خيرت امرأتي واحدة أو مائة أو ألفا بعد أن تختارني ولقد سألت عائشة رضيت الله عنها فقالت خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان ملاقا وفي رواية فاختارناه فلم يعد ذلك شيئا . قوله تعالى (يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة) أي بمعصية ظاهرة قيل هو كقوله « لئن أشركت ليحبطن عملك » أي لأن منهن من أتت بفاحشة فإن الله تعالى صان أزواج الأنبياء عن الفاحشة وقال ابن عباس المراد بالفاحشة الشوز وسوء الخلق (يضاعف لها العذاب ضعفين) أي مثلين وسبب تضعيف العقوبة لمن شرفهن كتضعيف عقوبة الحررة على الأمة وذلك لأن نسبة النبي صلى الله عليه وسلم إلى غيره من الرجال كنسبة السادات إلى العبيد لكونه أولى بالمؤمنين من أنفسهم فكذلك أزواجه بالنسبة إلي غيره كنسبة الحررة إلى الأمة (وكان ذلك على الله يسيرا) أي عذابها (ومن يقنت منكن لله ورسوله) أي طمع الله ورسوله (وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) أي مثل أجر غيرها قيل الحسنه بعشرين حسنة وتضعف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه إشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين (وأعتدنا لها رزقا كريما) أي الجنة . قوله تعالى (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) قال ابن عباس يريد ليس قدركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم على وثوابكن أعظم لدى (إن اتقيتن) أي الله فأطعته فإن الأكرم عند الله هو الأتقى (فلا تخضعن بالقول) أي لا تلن بالقول للرجال ولا ترقصن الكلام

(٣٣ - خازن بالبغوي - خامس) ضعفين وقرأ الآخرون يضاعف بالألف وفتح العين العذاب رفع وهما لغتان ؛ مثل بعد وبعاد قال أبو عمرو وأبو عبيدة ضعفت الشيء إذا جعلته مثليه وضاعفته جعلته أمثاله (وكان ذلك على الله يسيرا) قال مقاتل كان عذابها على الله هينا وتضعف عقوبتهن على المعصية لشرفهن كتضعيف عقوبة الحررة على الأمة وتضعف ثوابهن لرفع منزلتهن وفيه إشارة إلى أنهن أشرف نساء العالمين (ومن يقنت) يطيع (منكن لله ورسوله) قرأ يعقوب من أتت منكن ونقنت بالثاء - فيهما وقرأ العامة بالياء لأن من أداة تقوم مقام الاسم يعبر به عن الواحد والجمع والمذكر والمؤنث (وتعمل صالحا نؤتها أجرها مرتين) أي مثل أجر غيرها قال مقاتل مكان كل حسنة عشرين حسنة وقرأ حمزة والكسائي يعمل يؤتها بالياء فيهما نسقا على قوله من يأت من يأت وقرأ الآخرون تعمل بالياء (وأعتدنا لها رزقا كريما) حسنا يعني الجنة (يا نساء النبي لستن كأحد من النساء) قال ابن عباس يريد ليس قدر ركن عندي مثل قدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم على وثوابكن أعظم لدى ولم يقل كواحدة لأن الأحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث قال الله تعالى لا نفرق بين أحد من رسله وقال فما منكم من أحد عنه حاجزين (إن اتقيتن) الله أطعته (فلا تخضعن بالقول) لا تلن بالقول للرجال ولا ترقصن

الكلام (فيقطع الذي في قلبه مرض) أي فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تفلن قولاً يجد مناقق أو قاجر به سبيلاً إلى الطمع فيكن والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع (وقلن قولاً معروفاً) ما يوجبه الدين والإسلام بتصريح وبيان من غير خضوع (وقرن في بيوتكن) قرأ أهل المدينة وعاصم وقرن بفتح القاف ؛ وقرأ الآخرون بكسر هاء فنح القاف فمعناه أقرن أي الزمن بيوتكن من قولهم قررت بالمكان أقر قراراً ويقال قررت أقر وقررت أقر، وهما لغتان فحذفت الراء الأولى التي هي عين الفعل لنقل التضعيف ونقلت حركتها إلى القاف كقولهم في ظلمت ظلت قال الله تعالى «فظلمننفسكنهن» وظلت عليه عاكفاً، ومن كسر القاف فقد قيل هو من قررت أقر معناه أقرن بكسر الراء فحذفت الأولى ونقلت حركتها إلى القاف كما ذكرنا وقيل هو الأصح أنه أمر من الوقار كقولهم من الوعد عدن ومن الوصل صلن أي كن أهل وقار وسكون من قولهم وقر فلان (٢٥٨) يقر وقرورا إذا سكن واطمأن (ولا تبرجن) قال مجاهد وقناة

(فيقطع الذي في قلبه مرض) أي فجور وشهوة وقيل نفاق والمعنى لا تفلن قولاً يجد المناقق والفاجر به سبيلاً إلى الطمع فيكن والمرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الأجانب لقطع الأطماع فيهن (وقلن قولاً معروفاً) أي يوجبه الدين والإسلام عند الحاجة إليه ببيان من غير خضوع وقيل القول المعروف ذكر الله تعالى . قوله عز وجل (وقرن في بيوتكن) أي الزمن بيوتكن وقيل هو أمر من الوقار أي كن أهل وقار وسكون (ولا تبرجن تبرج) قيل هو التكرس والتعنج والتبختر وقيل هو إظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال (الجاهلية الأولى) قيل الجاهلية الأولى هو ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقيل هو زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قميصاً من الدر غير مخيط الجانبين فيرى خلفها منه وقيل كان في زمن نمروذ الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي به وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال وقال ابن عباس الجاهلية الأولى ما بين نوح وإدريس وكانت ألف سنة وقيل أن بطنين من ولد آدم عليه الصلاة والسلام كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكانت رجال الجبل صباحاً وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحاً وفي الرجال دمامة وإن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل وأجره نفسه وكان يخدمه واتخذ شيئاً مثل الذي يزرع به الرعاة فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوله فأتوهم يستمعون إليه واتخذوا عيداً يجتمعون إليه في السنة فتتبرج النساء للرجال وتزين الرجال لهن وإن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهن فذلك قوله تعالى «ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى» وقيل الجاهلية الأولى ما قبل الإسلام والجاهلية الأخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان وقيل قد تذكر الأولى وإن لم تكن لها أخرى (وأقن الصلاة) أي الواجبة (وآتين الزكاة)

التبرج هو التكرس والتعنج وقال ابن أبي نجيب هو التبخر وقيل هو إظهار الزينة وإبراز المحاسن للرجال (تبرج الجاهلية الأولى) اختلفوا في الجاهلية الأولى قال الشعبي هي ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقال أبو العالية هي في زمن داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس قميصاً من الدر غير مخيط من الجانبين فيرى خلفها فيه . وقال السكبي كان ذلك في زمن نمروذ الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتمشي

أي

وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض نفسها على الرجال . وروى عن عكرمة

عن ابن عباس أنه قال الجاهلية الأولى بين نوح وإدريس وكانت ألف سنة وأن بطنين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحاً وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحاً وفي الرجال دمامة وأن إبليس أتى رجلاً من أهل السهل وأجره نفسه منه فكان يخدمه واتخذ شيئاً مثل الذي يزرع به الرعاة فجاء بصوت لم يسمع الناس بمثله فبلغ ذلك من حوله فأتوهم يستمعون إليه فاتخذوا عيداً يجتمعون إليه فيه في السنة فتتبرج النساء للرجال وتزين الرجال لهن وأن رجلاً من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فأتى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا إليهم فنزلوا معهم فظهرت الفاحشة فيهم فذلك قوله تعالى «ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى» وقال قتادة هي ما قبل الإسلام وقيل الجاهلية الأولى ما ذكرنا والجاهلية الأخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان وقيل قد تذكر الأولى وإن لم يكن لها أخرى كقوله تعالى «وأنه أهلك عاداً الأولى» ولم يكن لها أخرى . قوله تعالى (وأقن الصلاة وآتين الزكاة

وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت) أراد بالرجس الإثم الذي نهى الله النساء عنه قاله مقاتل. وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا وقال مجاهد الرجس الشك وأراد بأهل البيت نساء النبي ﷺ لأنهن في بيته وهو رواية سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وقوله «وإذا ذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهما إلى أنهم على وفاطمة والحسن والحسين ثناء أبو الفضل زياد بن محمد الحنفى أنا أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الأنصارى (٢٥٩) أنا أبو محمد يحيى بن محمد

ابن صاعدي أنا أبو همام الوليد بن شجاع أنا يحيى ابن زكريا بن زائدة أنا أنى عن مصعب بن شيبة عن صفية بنت شيبة الحجبية عن عائشة أم المؤمنين قالت «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مطبق من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء الحسن فأدخله فيه ثم جاء الحسين فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء حسن فأدخله فيه ثم جاء حسين فأدخله فيه ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت وأخرج الترمذي وقال حديث صحيح

أى المفروضة (وأطعن الله ورسوله) أى فيما أمر وفيما نهى (إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس) أى الإثم الذى نهى الله النساء عنه، وقال ابن عباس يعنى عمل الشيطان وما ليس لله فيه رضا وقيل الرجس الشك وقيل سوء (أهل البيت ويظهركم تطهيرا) هم نساء النبي صلى الله عليه وسلم لأنهن في بيته وهو رواية سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وتلا قوله تعالى «وإذا ذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة» وهو قول عكرمة ومقاتل وذهب أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم إلى أنهم على وفاطمة والحسن والحسين رضى الله عنهم يدل عليه ما روى عن عائشة أم المؤمنين قالت «خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة وعليه مرط مطبق من شعر أسود فجلس فأتت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء علي فأدخله فيه ثم جاء الحسن فأدخله فيه ثم جاء الحسين فأدخله فيه ثم قال إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا» أخرجه مسلم المرط الكساء والمرحل بالحاء المنقوش عليه صور الرجال وبالجميم المنقوش عليه صور الرجال، عن أم سلمة قالت «إن هذه الآية نزلت في بيته إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا» قالت وأنا جالسة عند الباب فقلت يا رسول الله أأنت من أهل البيت فقال إنك إلى خير أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قالت وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وفاطمة وحسن وحسين فجلتهم بكساء وقال اللهم هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» أخرجه الترمذي وقال حديث صحيح غريب عن أنس بن مالك «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر باب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول الصلاة بأهل البيت إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويظهركم تطهيرا» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وقال زيد بن أرقم أهل البيت من حرم الصدقة بعده آل سنى وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. قوله تعالى (وإذا ذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله) أى بجميع خلقه. قوله عز وجل (إن المسلمين والمسلمات) الآية وذلك «أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما بينا خير نذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة» نزل الله هذه الآية عن أم عمارة الأنصارية قالت «أثبت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ما لي أرى كل شيء إلى الرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء» فنزلت إن المسلمين والمسلمات» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل إن أم سلمة بنت أبي أمية وأنيسة بنت

ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قالت فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فاطمة وعلى والحسن والحسين فقال هؤلاء أهل بيتي فقلت يا رسول الله أما أنا من أهل البيت؟ قال بلى إن شاء الله قال زيد بن أرقم أهل بيته من حرم الصدقة عليه بعده آل على وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. قوله تعالى (وإذا ذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله) أى القرآن (والحكمة) قال وقتادة يعنى السنة وقال مقاتل أحكام القرآن ومواعظه (إن الله كان لطيفا) أى لطيفا بأوليائه وأهل طاعته (خبيرا) أى بجميع خلقه. قوله عز وجل (إن المسلمين والمسلمات) الآية وذلك «أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله إن الله ذكر الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فما بينا خير نذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة» نزل الله هذه الآية عن أم عمارة الأنصارية قالت «أثبت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت ما لي أرى كل شيء إلى الرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء» فنزلت إن المسلمين والمسلمات» أخرجه الترمذي وقال حديث غريب وقيل إن أم سلمة بنت أبي أمية وأنيسة بنت

ولم يذكر النساء بخير فما فيها خير نذكر به إنا نخاف أن لا يقبل الله منا طاعة فأُنزل الله هذه الآية قال مقاتل قالت أم سلمة بنت أبي أمية وأنبسة بنت كعب الأنصارية للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه تخشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت هذه الآية وروى أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إن النساء لفي خيبة (٢٦٠) وخسار قال وم ذلك قالت لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فأُنزل

الله هذه الآية إن المسلمين والمسلمات (والمؤمنين والمؤمنات والقانتين) المطيعين (والقانتات والصادقين) في إيمانهم وفيما ساءهم وسرهم (والصادقات والصابرين) على ما أمر الله به (والصابرات والخاشعين) المتواضعين (والخاشعات) وقيل أراد به الخشوع في الصلاة ومن الخشوع أن لا يلتفت (والمتصدقين) مما رزقهم الله (والمتصدقات والصابئين والصابئات والحافظين فروجهن) عما لا يحل (والحافظات والذاكرين الله كثيرا) قال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وروينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال وقد سبق المفردون قالوا وما المقفرون قال الذين كثروا الله كرات

كعب الأنصارية قالتا للنبي صلى الله عليه وسلم ما بال ربنا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه وتخشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت هذه الآية وروى أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار قال وم ذلك قالت لأنهن لم يذكرن بخير كما ذكر الرجال فأُنزل الله إن المسلمين والمسلمات فذكرهن عشر مراتب مع الرجال فمدحهن بها معهم الأولى الإسلام وهو الانقياد لأمر الله تعالى وهو قوله إن المسلمين والمسلمات الثانية الإيمان بما يراد به أمر الله تعالى وهو تصحيح الاعتقاد وموافقة الظاهر للباطن وهو قوله (والمؤمنين والمؤمنات) الثالثة الطاعة وهو قوله (والقانتين والقانتات) الرابعة الصلوة في الأقوال والأفعال وهو قوله (والصادقين والصادقات) الخامسة الصبر على ما أمر الله وفيما ساء وسر وهو قوله (والصابرين والصابرات) السادسة الخشوع في الصلاة وهو أن لا يلتفت وقيل هو التواضع وهو قوله (والخاشعين والخاشعات) السابعة الصدقة مما رزق الله وهو قوله (والمتصدقين والمتصدقات) الثامنة المحافظة على الصوم وهو قوله (والصابئين والصابئات) التاسعة اللغة وهو قوله (والحافظين فروجهن) يعني عما لا يحل (والحافظات) العاشرة كثرة الذكر وهو قوله (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات) وقيل لا يكون العيد منهم حتى يذكر الله قائما وقاعدا ومضطجعا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال «سبق المفردون قالوا يارسول الله وما المفردون قال الذين كثروا الله كثيرا والذاكرات» وقال عطاء بن أبي رباح من فوض أمره إلى الله فهو داخل في قوله إن المسلمين والمسلمات ومن أقرب إلى الله ربه ومحمدا رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله والمؤمنين والمؤمنات ومن أطاع الله في القرض والرسول في السنة فهو داخل في قوله والقانتين والقانتات ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن شماله فهو داخل في قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو داخل في قوله والمتصدقين والمتصدقات ومن صام في كل شهر أيام البيض وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله والصابئين والصابئات ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل في قوله والحافظين فروجهن والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو

والذاكرات قال عطاء بن أبي رباح من فوض أمره إلى الله عز وجل فهو داخل في قوله إن المسلمين والمسلمات ومن أقرب إلى الله ربه ومحمدا رسوله ولم يخالف قلبه لسانه فهو داخل في قوله: والمؤمنين والمؤمنات ومن أطاع الله في القرض والرسول في السنة فهو داخل في قوله والقانتين والقانتات ومن صان نفسه عن الكذب فهو داخل في قوله والصادقين والصادقات ومن صبر على الطاعة وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله والصابرين والصابرات ومن صلى فلم يعرف من عن يمينه وعن يساره فهو داخل في قوله والخاشعين والخاشعات ومن تصدق في كل أسبوع بدرهم فهو داخل في قوله:

والمصدقين والمتصدقات ومن صام في كل شهر أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله:
والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عما لا يحل فهو داخل في قوله والحافظين فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات
الخمسة بحقوقها فهو داخل في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات (أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما) قوله تعالى (وما كان
لمؤمن ولا مؤمنة، إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم) الآية نزلت في زينب بنت جحش الأسدية
وأخيها عبد الله بن جحش وأمهما أمية بنت عبد المطلب عمه النبي صلى الله عليه وسلم «خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم
زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا في الجاهلية بعكاظ فأعتقه وتبناه فلما خطب
رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيته وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما (٣٦١) علمت أنه يخطبها لزيد أبت

وقالت أنا ابنة عمك
يارسول الله فلا أرضاه
لنفسى وكانت بيضاء
جميلة فيها حدة وكذلك
كره أخوها ذلك فأُتزل
الله عز وجل «وما كان
لمؤمن ولا مؤمنة» يعني عبد الله بن
جحش «ولامؤمنة» يعني
أخته زينب «إذا قضى
الله ورسوله أمرا» أى
إذا أراد الله ورسوله أمرا
وهو نكاح زينب لزيد
«أن يكون لهم الخيرة من
أمرهم» قرأ أهل الكوفة
أن يكون بالياء للحائل
بين التأنيث والفعل
وقرأ الآخرون بالتاء
لتأنيث الخيرة من أمرهم
والخيرة الاختيار والمعنى
أن يريد غير ما أراد الله
أو يمنع مما أمر الله ورسوله
به (ومن يعص الله

داخل في قوله والذاكرين الله كثيرا والذاكرات (أعد الله لهم مغفرة) أى يمحو ذنوبهم (وأجرا
عظيما) يعنى الجنة. قوله تعالى (وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون
لهم الخيرة من أمرهم) نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش الأسدية وأخيها عبد الله بن جحش
وأمهما أمية بنت عبد المطلب عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن النبي صلى الله عليه
وسلم خطب زينب لمولاه زيد بن حارثة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشترى زيدا في
الجاهلية بعكاظ وأعتقه وتبناه فلما خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب رضيته وظنت
أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد بن حارثة أبت وقالت أنا ابنة عمك يارسول الله
فلا أرضاه لنفسى وكانت بيضاء جميلة وفيها حدة وكذلك كره أخوها ذلك فأُتزل الله تعالى
«وما كان لمؤمن ولا مؤمنة» يعنى عبد الله بن جحش «ولامؤمنة» يعنى أخته زينب «إذا قضى
الله ورسوله أمرا» أى نكاح زيد لزيد «أن تكون لهم الخيرة من أمرهم» أى الاختيار على ما قضى والمعنى أن
يريد غير ما أراد الله أو يمنع مما أمر الله ورسوله به (ومن يعص الله ورسوله فقد ضل
مبيئا) أى أخطأ خطأ ظاهرا فلما سمعت بذلك زينب وأخوها رضيها وسلما وجعلت أمرها بيد
رسول الله صلى الله عليه وسلم فأُنكحها زيدا ودخل بها وساق رسول الله صلى الله عليه وسلم
إليها عشرة دنانير وستين درهما وخمسة درعما وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا
من تمر. قوله عز وجل (وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك) الآية
نزلت في زينب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما زوجها من زيد مكثت عنده
حينئذ ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيدا ذات يوم لحاجة فأبصر زينب في درع وخمار
وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أم نساء قريش وقعت في نفسه وأعجبه حسنها فقال سبحان
الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت له ذلك ففطن زيد وألقى في نفسه كراهيتها
في الوقت وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال إني أريد أن أفارق صاحبتي فقال له مالك
أراك منها شئ قال لا والله يارسول الله ما رأيت منها إلا خيرا ولكنها تعظم على بشرها
وتؤذيني بلسانها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم «أمسك عليك زوجك واتق الله في أمرها» ثم
إن زيدا طلقها ذلك قوله عز وجل «وإذ تقول للذى أنعم الله عليه أى بالإسلام» وأنعمت عليه»

ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا) أى أخطأ خطأ ظاهرا فلما سمع ذلك رضيها بذلك وسلما وجعلت أمرها بيد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وكذلك أخوها فأُنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيداً فدخل بها وساق رسول الله صلى الله عليه
وسلم إليها عشرة دنانير وستين درهما وخمسة درعما وإزارا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر. قوله تعالى
(وإذ تقول للذى أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك) الآية نزلت في زينب وذلك أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما زوج زينب من زيد مكثت عنده حينئذ ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيدا ذات يوم لحاجة فأبصر زينب قائمة
في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أم نساء قريش فوقعت في نفسه وأعجبه حسنها فقال سبحان الله مقلب
القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت له ذلك ففطن زيد فألقى في نفس زيد كراهيتها في الوقت فأتى رسول الله صلى الله

عليه وسلم فقال إني أريد أن أفارق صاحبتني قال مالك أربك منها شيء قال لا والله يا رسول الله ما رأيت منها إلا خيرا ولكنها
تتعظم على لشرفها وتؤذيني بلسانها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك (واتق الله) في أمرها ثم طلقها زيد
فذلك قوله عز وجل «وإذ تقول للذي أنعم الله عليه بالإسلام وآنعمت عليه» بالتربية والإعتاق وهو زيد بن حارثة «أمسك عليك
زوجك» يعني زينب بنت جحش واتفق الله فيها ولا تفارقها (وتحفي في نفسك ما الله مبديه) أي تسر في نفسك ما الله مظهره أي
كان في قلبه لو فارقها لتزوجها ، وقال ابن عباس حبها ، وقال قتادة ود أنه طلقها (وتحفي الناس) قال ابن عباس والحسن
تستحييهم وقيل تحفي لأئمة الناس أن يقولوا أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها (والله أحق أن تخشاه) قال ابن عمر وابن
مسعود وعائشة ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد عليه من هذه الآية وروى عن مسروق
قال : قالت عائشة لو كنتم النبي (٢٦٢) صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى إليه لكنتم هذه الآية «وتحفي في نفسك

ما الله مبديه» وروى
سفيان بن عيينة عن
علي بن زيد بن
جدعان قال : سألتني
علي بن الحسين زين
العابدین ما يقول الحسن
في قوله «وتحفي في نفسك
ما الله مبديه وتحفي
الناس والله أحق أن تخشاه»
قلت يقول لما جاء زيد
إلى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال يا نبي الله إني
أريد أن أطلق زينب
فأعجبه ذلك فقال
«أمسك عليك زوجك
واتق الله» فقال علي
ابن الحسين ليس كذلك
بل كان الله تعالى قد
أعلمه أنها ستكون
من أزواجه وأن زيدا

أي بالإعتاق وهو زيد بن حارثة مولاه «أمسك عليك زوجك» يعني زينب بنت جحش (واتق
الله) أي فيها ولا تفارقها (وتحفي في نفسك) أي تسر وتضمهر في نفسك (ما الله مبديه) أي مظهره
قيل كان في قلبه لو فارقها لتزوجها قال ابن عباس حبها وقيل ود أنه طلقها (وتحفي الناس) قال
ابن عباس تستحييهم وقيل تخاف لأنهم أن يقولوا أمر رجلا بطلاق امرأته ثم نكحها (والله
أحق أن تخشاه) قال عمر وابن مسعود وعائشة ما نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية
هي أشد من هذه الآية وعن عائشة قالت لو كنتم رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا من الوحي
لكنتم هذه الآية : «وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وآنعمت عليه» أخرجه الترمذي وقال حديث
حسن غريب :

(فصل)

فإن قلت ما ذكره في تفسير هذه الآية وسبب زوالها من وقوع محبتها في قلب النبي صلى
الله عليه وسلم عند ما رآها وإرادته طلاق زيد لما فيه أعظم الحرج وما لا يليق بمنصبه صلى الله
عليه وسلم من مد عينيه لما نهى عنه من زهرة الحياة الدنيا . قلت هذا إقدام عظيم من قائله وقلة
معرفة بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل
يرأها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجن منه صلى الله عليه وسلم وهو زوجها لزيد فلا يشك في تنزيه النبي
صلى الله عليه وسلم عن أن يأمر زيدا بإمسакها وهو يجب تطليقه إناها كما ذكر عن جماعة من المفسرين . وأصح
ما في هذا الباب ما روى عن سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال سألتني زين العابدين
بن علي بن الحسين قال ما يقول الحسن في قوله تعالى «وتحفي في نفسك ما الله مبديه وتحفي الناس
والله أحق أن تخشاه» قلت يقول لما جاء زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله إني أريد أن
أطلق زينب أعجبه ذلك وقال أمسك عليك زوجك واتفق الله فقال علي بن الحسين ليس كذلك
فإن الله عز وجل قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وأن زيدا سيطلقها فلما جاء زيد قال إني أريد
أن أطلقها قال له أمسك عليك زوجك فعاتبه الله تعالى وقال لم قلت أمسك عليك زوجك

وقد

سيطلقها فلما جاء زيد وقال إني أريد أن أطلقها قال له أمسك عليك زوجك

فعبته الله وقال لم قلت أمسك عليك زوجك وقد أعلمت أنك ستكون من أزواجك وهذا هو الأول والأبني بحال الأنبياء
وهو مطابق للتلاوة لأن الله علم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال زوجنا كما فلو كان الذي أضمره
رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها أو إرادة طلاقها لأظهر ذلك لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه فلا يظهره فدل على أنه إنما عوتب
على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجة له وإنما أخفاه استحياء أن يقول لزيد إن التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي
وهذا قول حسن مرضي وإن كان القول الآخر وهو أنه أخفى محبتها ونكاحها لو طلقها لا يقدح في حال الأنبياء لأن العبد غير
ملوم على ما يقع في قلبه في مثل هذه الأشياء ما لم يقصد فيه المآثم لأن الود وميل النفس من طبع البشر وقوله «أمسك عليك
زوجك واتفق الله» أمر بالمعروف وهو حسن لا إثم فيه . قوله تعالى «والله أحق أن تخشاه» لم يرد به أنه لم يكن يخشى الله فيما سبق فإنه

عليه السلام قد قال و أنا أخشاكم لله وأتقاكم له، ولكنه لما ذكر الحشية من الثامن ذكر أن الله تعالى أحق بالحشية في عموم الأحوال وفي جميع الأشياء. قوله عز وجل (فلما قضى زيد منها وطرا) أي حاجة من نكاحها (زوجنا كها) وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة النبي تحمل بعد الدخول بها قال أنس كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب (٢٦٣) تقول للنبي صلى الله عليه وسلم إنى لأدل عليك بثلاث مامن

وقد أعلمتك أنها ستكون من أزواجك وهذا هو الأول والأليق بحال الأنبياء وهو مطابق للتلاوة لأن الله تعالى أعلم أنه يبدي ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير تزويجها منه فقال تعالى «زوجنا كها» فلو كان الذي أخفاه رسول الله صلى الله عليه وسلم محبتها أو إرادة طلاقها لكان يظهر ذلك لأنه لا يجوز أن يخبر أنه يظهره ثم يكتمه ولا يظهره فدل على أنه إنما عوب على إخفاء ما أعلمه الله أنها ستكون زوجته وإنما أخفى ذلك استحياها أن يخبر زيدا أن التي تحتك وفي نكاحك ستكون زوجتي وهذا قول حسن مرضى وكم من شيء يحتفظ منه الإنسان ويستحي من اطلاع الثامن عليه وهو في نفسه مباح منسوع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما كان الدخول في ذلك المباح سلما إلى حصول واجبات يعظم أثرها في الدين وهو إنما جعل الله طلاق زيدا لها وتزوج النبي صلى الله عليه وسلم إياها لازالة حرمة النبي وإبطال سنته كما قال الله تعالى وما كان محمد أبأ أحد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين خرج في أزواج أدعيائهم فإن قلت فما الفائدة في أمر النبي صلى الله عليه وسلم زيدا بإمسائها. قلت هو أن الله تعالى أعلم نبيه أنها زوجته فبهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها وأخفى في نفسه ما أعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس يتزوج امرأة ابنه فأمره الله تعالى بزواجها ليباح مثل ذلك لأتمته وقيل كان في أمره بإمسائها قعلا للشهوة وردا للنفس عن هواها وهذا إذا جوزنا القول المتقدم الذي ذكره المفسرون وهو أنه أخفى محبتها أونكاحها لوطيقها زيد ومثل ذلك لا يقدح في حال الأنبياء مع أن العبد غير ملوم على ما يقع في قلبه من مثل هذه الأشياء وأنه رآها فجأة فاستحسنها ومثل هذه لانكرة فيه لما طبع عليه البشر من استحسان الحسن ونظرة الفجأة معفو عنها ما لم يقصد مائما لأن الود وميل النفس من طبع البشر والله أعلم وقوله وأمسك عليك زوجك واتق الله أمر بالمعروف وهو حسن لا إثم فيه وقوله والله أحق أن نخشاه لم يرد به أنه لم يكن يخشى الله فيما سبق فإنه عليه الصلاة والسلام قد قال أنا أخشاكم لله وأتقاكم له ولكنه لما ذكر الحشية من الناس ذكر أن الله أحق بالحشية في عموم الأحوال في جميع الأشياء. قوله عز وجل (فلما قضى زيد منها وطرا) أي حاجته منها ولم يبق له فيها أرب وتقاشرت همتها عنها وطابت عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة النبي تحمل بعد الدخول بها (زوجنا كها) قال أنس كانت زينب تفتخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول زوجكن آباؤكن وزوجني الله من فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم إنى لأدل عليك بثلاث مامن امرأة من نسائك تدل بهن جدي وجدك واحد وإنى أنكحنيك الله في السماء وإن السفير جبريل عليه السلام (م) عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول

نسائك امرأة تدل بهن جدي وجدك واحد وإنى أنكحنيك الله في السماء وأن السفير جبريل عليه السلام. أخبرنا إسماعيل ابن عبد القاهر أنا عبد الغافر بن محمد أنا محمد بن عيسى الجلودي أنا إبراهيم بن محمد بن سفیان أنا مسلم بن الحجاج حدثني محمد بن حاتم بن ميمون أنا بهز أنا سليمان ابن المغيرة عن ثابت عن أنس قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد فاذكرها على قال فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجبنا قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليها ظهري ونكصت على عقبى فقلت يا زينب أرسلني

رسول الله صلى الله عليه وسلم إليك يذكرك قالت ما أنا بصائعة شيئا حتى أوامرني فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن قال ولقد رأينا وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطمعنا الخبز واللحم عابهن حتى امتد النهار فخرج الناس وبقى رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتبعته فجعل يتبع حجر نساته يسلم عليهم ويقولان يا رسول الله كيف وجدت أهلك قال فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أو أخبرني قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت أدخل معه. أتاني السمر بيني وبينه ونزل الحجاب. أخبرنا بهز الواحد الملبحي

أنا أحمد بن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا سليمان بن حرب أنا حماد عن ثابت عن أنس قال ما أولم النبي ﷺ على شيء من نسائه ما أولم على زينب أولم بشاة أخبرنا محمد بن عبد الله الصالحى ؛ أنا أبو سعيد محمد بن موسى الصيرفى أنا أبو العباس الأصم أنا محمد بن هشام بن ملاس الثمري أنا مروان الثقفي أنا حميد عن أنس قال أولم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ابنتى بزینب بنت جحش فأشيع المسلمین خبزاً ولحماً قوله تعالى (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) ثم (في أزواج أدعيائهم) (٣٦٤) إذا قضاوا منهن وطراً) والأدعياء جمع الدعي وهو المتبني يقول زوجناك

زينب وهي امرأة زيد الذي تبنيته ليعلم أن زوجة المتبني حلال للمتبني وإن كان قد دخل بها المتبني بخلاف امرأة ابن الصلب فإنها لا تحل للأب (وكان أمر الله مفعولاً) أى كان قضاء الله ماضياً وحكمه نافذاً وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قوله تعالى (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أى فيما أحل الله له (سنة الله) أى كسنة الله نصب بنزع الخافض وقيل نصب على الإغراء أى الزموا سنة الله في الذين خلوا من قبل) أى في الأنبياء الماضين أن لا يؤاخذهم بما أحل لهم ، قال الكلبي ومقاتل أولاً ؛ داود حين جمع بينه وبين المرأة التي هو

الله صلى الله عليه وسلم لزيد اذهب فاذا ذكرها على قال فانطلق زيد حتى أتاها وهي تخمر عجبها قال فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها فوليتها ظهري وتسكصت علي عقيبى فقلت يا زينب أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بذكرك قالت ما أنا بصانعة شيئاً حتى أوامر ربي فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن قال فلقد رأيتنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أطعمنا الخبز واللحم حتى امتد النهار فخرج الناس وبنى أناس يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وابتعته فجعل يتبع حجر نسائه يسلم عليهن ويقبلن يارسول الله كيف وجدت أهلك قال فما أدري أنا أخبرته أن القوم قد خرجوا أم غيري قال فانطلق حتى دخل البيت وذهبت لأدخل معه فألقى السرير بيني وبينه ونزل الحجاب (ق) عن أنس قال ما أولم النبي صلى الله عليه وسلم على شيء من نسائه ما أولم على زينب أولم بشاة وفي رواية أكثر وأفضل ما أولم على زينب قال ثابت بن أوفى قال أطعمهم خبزاً ولحماً حتى تركوه . قوله عز وجل (لكيلا يكون على المؤمنين حرج) أى لئم (في أزواج أدعيائهم) جمع الدعي وهو المتبني (إذا قضاوا منهن وطراً) يقول زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي كنت تبنيته ليعلم أن زوجة المتبني حلال للمتبني وإن كان قد دخل بها المتبني بخلاف امرأة ابن الصلب فإنها لا تحل للأب (وكان أمر الله مفعولاً) أى قضاء الله ماضياً وحكمه نافذاً وقد قضى في زينب أن يتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم . قوله تعالى (ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له) أى فيما أحل الله له من النكاح وغيره (سنة الله في الذين خلوا من قبل) معناه سن الله سنة في الأنبياء وهو أن لا حرج عليهم في الإقدام على ما أباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره فإنه كان لهم الحرار والسراري فقد كان لداود عليه السلام مائة امرأة ولسليمان ثلثمائة امرأة وسبعمائة سرية فكذلك من محمد صلى الله عليه وسلم في التسعة عليه كما سن لهم ووسع عليهم (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) يعنى قضاء مقضياً أن لا حرج على أحد فيما أحل له ثم أتى الله تعالى على الأنبياء بقوله (الذين يبلغون رسالات الله) يعنى فرائض الله وسننه وأوامره ونواهيه إلي من أرسلوا إليهم (ويخشونه) يعنى يخافونه (ولا يخشون أحداً إلا الله) يعنى لا يخافون قالت الناس ولا تمتهم فيما أحل لهم وفرض عليهم (وكنى بالله حسيباً) أى حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم . قوله عز وجل (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال الناس

هو بها فكذلك جمع بين محمد صلى الله عليه وسلم وبين زينب وقيل أشار بالسنة إلى النكاح فإنه من سنة الأنبياء عليهم السلام وقيل إلى كثرة الأزواج مثل داود وسليمان عليهما السلام (وكان أمر الله قدراً مقدوراً) قضاء مقضياً كأنها ماضياً (الذين يبلغون رسالات الله) يعنى سنة الله في الأنبياء الذين يبلغون رسالات الله (ويخشونه ولا يخشون أحداً إلا الله) أى لا يخشون قالة الناس ولا تمتهم فيما أحل لهم وفرض عليهم (وكنى بالله حسيباً) حافظاً لأعمال خلقه ومحاسبهم ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما تزوج زينب قال الناس إن محمداً تزوج امرأة ابنة فأرسل الله عز وجل (ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) يعنى زيد بن حارثة أى ليس أباً أحد من رجالكم

إن

الذين لم يلدنهم فيحرم عليه نكاح زوجته بعد فراقها فان قيل اليس إنه كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم كذلك الحسن والحسين فإن النبي ﷺ قال في الحسن وإن ابني هذا سيده قبل هؤلاء كانوا صغارا لم يكونوا رجالا والصحيح ما قلنا إنه أراد أبا أحد من رجالكم الذين لم يلدنهم (ولكن رسول الله وخاتم النبيين) ختم الله به النبوة وقرأ ابن عامر وعاصم خاتم بفتح التاء على الاسم أي آخرهم وقرأ الآخرون بكسر التاء على الفاعل لأنه ختم به النبيين فهو خاتمهم : قال ابن عباس يريد أول أئمتهم به النبيين لجملة له ابنا يكون بعده نبيا وروى (٣٦٥) عن عطاء عن ابن عباس أن

الله تعالى لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا (وكن الله بكل شيء عابدا) أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني أنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد الأشاهي أنا عبد الله بن محمد بن محمد بن الجوردي أنا يونس بن عبد الأعلى أنا ابن وهب أخبرني يونس عن يزيد عن ابن شهاب عن أبي سلمة قال كان أبو هريرة يقول قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مثل الأبياء كمثل قصر أحسن بنية ترك منه موضع بنية طاف به النظارة جيون بن حسن بنيانه إلا موضع تلك البنية لا يعيون سواها كنت أنا سددت موضع البنية ختم في البنية ختم في الرسل أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجورجاني أنا عدي بن أحمد الخراعي أنا

إن محمدا تزوج امرأة ابنته فأزل الله وما كان محمد أبا أحد من رجالكم يعني زيد بن حارثة والمعنى أنه لم يكن أبا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح . فإن قلت قد كان له أبناء القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم وقال للحسن إن ابني هذا سيد : قلت قد أخرجوا من حكم النبي بقوله من رجالكم وهؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال وقيل أراد بالرجال الذين لم يلدنهم (ولكن رسول الله) أي إن كل رسول هو أبو أمته فيما يرجع إلى وجوب التوقير والتعظيم له ووجوب الشفقة والتسوية لهم عليه (وخاتم النبيين) ختم الله به النبوة فلا نبوة بعده أي ولا معه قال ابن عباس يريد لو لم أختم به النبيين لجملة له ابنا ويكون بعده نبيا وعنه قال إن الله لما حكم أن لا نبي بعده لم يعطه ولدا ذكرا يصير رجلا (وكان الله بكل شيء عابدا) أي دخل في علمه أنه لا نبي بعده . فإن قلت قد صح أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر الزمان بعده وهو نبي قلت إن عيسى عليه السلام ممن نبيء قبله وحين ينزل في آخر الزمان ينزل عاملا بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ومصليا إلى قبلته كأنه بعض أمته (ق) عن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن مثلى ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى لنا فاحسته وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زوايا فجعل الناس يطوفون ويتعجبون له ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين» وعن جابر نحوه وفيه جئت فخنمت الأنبياء (ق) عن جبير بن مطعم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «في خمسة أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله الكفر بي وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب الذي ليس بعده نبي» وقد سماه الله موهبا رحيما (م) عن أبي موسى قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء فقال «أنا محمد وأنا أحمد وأنا الملقى وأنا التوبة ونبي الرحمة» الملقى هو المولى الذاهب يعني آخر الأنبياء المتبع لهم فإذا قفي فلا نبي بعده . قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) قال ابن عباس لم يفرض الله عز وجل على عباده فريضة إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا معلوما على عقله وأمرهم به في الأحوال كلها فقال تعالى «فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم» وقال تعالى «اذكروا الله ذكرا كثيرا» يعني بالليل والنهار في البر والبحر وفي الصحة والسقم وفي السر والعلانية وقيل

(٣٤ - خازن بالعباسي - خامس)

الميثم بن كليب الشاشي أنا أبو عيسى الترمذي أنا سعيد بن عبد الرحمن الخزومي وسير واحد قالوا أنا سفيان عن الزهري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «بن لي أسماء أنا محمد وأنا أحمد وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وأنا العاقب» العاقب الذي ليس بعده نبي . قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا) قال ابن عباس لم يفرض الله تعالى فريضة على عباده إلا جعل لها حدا معلوما وعذر أهلها في حال العذر غير الذكر فإنه لم يجعل له حدا ينتهي إليه ولم يعذر أحدا في تركه إلا معلوما على عقله لذلك أمرهم به في كل الأحوال

على آذاهم وقال الزجاج لانجازهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال (وتوكل على الله وكنى بالله وكيلا) حافظا . قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا إذا زكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن) فيه دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية إذا نكحتك فأنت طالق وقال كل امرأة أنكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهو قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة ، وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وأكثر أهل العلم رضي الله عنهم وبه قال الشافعي وروى عن ابن مسعود أنه يقع الطلاق وهو قول إبراهيم النخعي وأصحاب الرأي وقال (٢٦٧) ربيعة ومالك والأوزاعي إن عين امرأة يقع وإن عم فلا

يضع وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال كذبوا على ابن مسعود وإن كان قاطنا فزلة من عالم في الرجل يقول إن تزوجت فلانة فهي طالق يقول الله تعالى إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ، ولم يقل إذا طلقتموهن ثم نكحتموهن : أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا الحسين بن محمد الدينوري أنا عمر بن أحمد بن القاسم النهاوندي أنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري بمكة أنا الربيع ابن سليمان أنا أيوب بن سويد أنا ابن أبي ذئب عن عطاء عن جابر قال قال رسول الله صلى الله

أصبر على آذاهم وقيل لانجازهم عليه وهذا منسوخ بآية القتال (وتوكل على الله وكنى بالله وكيلا) أي حافظا . قوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أي نكحتموهن ، ففي الآية دليل على أن الطلاق قبل النكاح غير واقع لأن الله تعالى رتب الطلاق على النكاح حتى لو قال لامرأة أجنبية إذا نكحتك فأنت طالق أو قال كل امرأة أنكحها فهي طالق فنكح لا يقع الطلاق وهذا قول علي وابن عباس وجابر ومعاذ وعائشة وبه قال سعيد بن المسيب وعروة وشريح وسعيد بن جبير والقاسم وطاوس والحسن وعكرمة وعطاء وسليمان بن يسار ومجاهد والشعبي وقنادة وأكثر أهل العلم وبه قال الشافعي وروى عن ابن مسعود أنه يقع الطلاق وهو قول إبراهيم النخعي وأصحاب الرأي وقال ربيعة ومالك والأوزاعي إن عين امرأة وقع وإن عم فلا يقع وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال كذبوا على ابن مسعود وإن كان قاطنا فزلة من عالم في الرجل يقول إن تزوجت فلانة فهي طالق والله يقول إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن ، ولم يقل إذا طلقتموهن ثم نكحتموهن روى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا طلاق فيما لا تملك ولا تبيع فيما لا تملك » أخرجه أبو داود والترمذي بمعناه (خ) عن ابن عباس قال جعل الله الطلاق بعد النكاح أخرجه البخاري في ترجمة باب بغير إسناد وعن جابر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لا طلاق قبل النكاح » (فالكم عليهن من عدة تعتدونها) أي تحصونها بالأقراء والأشهر أجمع العلماء أنه إذا كان الطلاق قبل المسيس والخلوة فلا عدة وذبح أحد إلى أن الخلوة توجب العدة والصداق (فتموهن) أي أعطوهن ما يستمتعن به قال ابن عباس هذا إذا لم يكن سمي لها صداقا فلها المنعة وإن كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا منعة لها وقال قنادة هذه الآية منسوخة بقوله « فنصف ما فرضتم » وقيل هذا أمر ندب فالمنعة مستحبة لها مع نصف المهر وقيل إنها تستحق المنعة بكل حال لظاهر الآية (وسرحوهن سراحا جميلا) أي خلوا سبيلهن بالمعروف من غير إضرار بهن . قوله عز وجل (يا أيها النبي إنا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أي مهورهن (وما ملكت يمينك) أي من السبي فتملكها مثل صفية وجوهرية وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له إبراهيم (وبنات عمك وبنات عماتك) يعني نساء قريش (وبنات خالك وبنات خالاتك) يعني نساء بني زهرة

عليه وسلم « لا طلاق قبل النكاح » قوله عز وجل (من قبل أن تمسوهن) نكحتموهن (فالكم عليهن من عدة تعتدونها) تحصونها بالأقراء والأشهر (فتموهن) أي أعطوهن ما يستمتعن به . قال ابن عباس هذا إذا لم يكن سمي لها صداقا فلها المنعة ، فإن كان قد فرض لها صداقا فلها نصف الصداق ولا منعة لها . وقال قنادة هذه الآية منسوخة بقوله « فنصف ما فرضتم » وقيل هذا أمر ندب فالمنعة مستحبة لها مع نصف المهر وذبح بعضهم إلى أنها تستحق المنعة بكل حال لظاهر الآية (وسرحوهن سراحا جميلا) خلوا سبيلهن بالمعروف من غير ضرار قوله تعالى (يا أيها النبي إنا أحللتنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أي مهورهن (وما ملكت يمينك) أي من السبي فتملك مثل صفية وجوهرية وقد كانت مارية مما ملكت يمينه فولدت له (وبنات عمك وبنات عماتك) يعني نساء قريش (وبنات خالك وبنات خالاتك) يعني نساء بني

هرة (اللاتي هاجرن معك) إلى المدينة فمن لم يهاجر منهن معه لم يجز له نكاحها . وروى أبو صالح عن أم هانئ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما فتح مكة خطبني فأنزل الله هذه الآية فلم أحل له لأنني لم أكن من المهاجرات وكنت من الطلقاء ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) أي أحلنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق فأما غير المؤمنة فلا يحل له إذا وهبت نفسها منه . واختلفوا في أنه هل كان يحل للنبي صلى الله عليه وسلم نكاح اليهودية والنصرانية بالمهر فذهب جماعة إلى أنه كان لا يحل له ذلك لقوله وامرأة مؤمنة ، وأول بعضهم الهجرة في قوله اللاتي هاجرن معك ، على الإسلام أي أسلمن معك فبدل ذلك على أنه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان النكاح (٣٣٨)

(اللاتي هاجرن معك) إلى المدينة فمن لم يهاجر منهن لم يجز له نكاحها عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله إنا أحلنا لك أزواجك الآية قالت فلم أكن أحل له لأنني لم أهاجر كنت من الطلقاء أخرجه الترمذي وقال حديث حسن ثم نسخ شرط الهجرة في التحليل (وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين) أي أحلنا لك امرأة مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق فأما غير المؤمنة فلا يحل له إذا وهبت نفسها منه وهل تحل الكتبية بالمهر فذهب جماعة إلى أنها لا تحل له لقوله وامرأة مؤمنة ، فدل ذلك على أنه لا يحل له نكاح غير المسلمة وكان من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن النكاح يتعقد في حقه بمعنى الهبة من غير ولي ولا شهود ولا مهر لقوله خالصة لك من دون المؤمنين ، والزيادة على أربع ووجوب تخيير النساء واختلفوا في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الأمة فذهب أكثرهم إلى أنه لا يتعقد إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطاء وبه قال ربيعة ومالك والشافعي وقال إبراهيم النخعي وأهل الكوفة يتعقد بلفظ التملك والهبة ومن قال بالقول الأول اختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم فذهب قوم إلى أنه كان يتعقد في حقه صلى الله عليه وسلم بلفظ الهبة لقوله تعالى وخالصة لك من دون المؤمنين ، وذهب آخرون إلى أنه لا يتعقد إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج كما في حق سائر الأمة لقوله تعالى إن أراد النبي أن يستنكحها ، وكان اختصاصه في ترك المهر لاقى لفظ النكاح واختلفوا في التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم وهل كانت عنده امرأة منهن فقال ابن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين وقوله إن وهبت نفسها على سبيل القرض والتقدير وقال آخرون بل كانت عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الأنصارية الهلالية أم المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي أم شريك بنت جابر من بني أسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت

خصائصه صلى الله عليه وسلم في النكاح لقوله تعالى وخالصة لك من دون المؤمنين ، كالزيادة على الأربع ووجوب تخيير النساء كان من خصائصه لامشاركة لأحد معه فيه واختلف أهل العلم في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الأمة فذهب أكثرهم إلى أنه لا يتعقد إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج وهو قول سعيد بن المسيب والزهري ومجاهد وعطاء وبه قال ربيعة ومالك والشافعي وذهب قوم إلى أنه يتعقد بلفظ الهبة والتمليك وهو قول إبراهيم النخعي وأهل الكوفة

ومن قول لا يتعقد إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج اختلفوا في نكاح النبي صلى الله عليه وسلم فذهب قوم إلى أنه كان يتعقد في حقه بلفظ الهبة لقوله تعالى وخالصة لك من دون المؤمنين ، وذهب آخرون إلى أنه لا يتعقد إلا بلفظ الإنكاح أو التزويج كما في حق الأمة لقوله عز وجل إن أراد النبي أن يستنكحها ، وكان اختصاصه صلى الله عليه وسلم في ترك المهر لاقى لفظ النكاح . واختلفوا في التي وهبت نفسها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهل كانت عنده امرأة منهن ؟ فقال عبد الله بن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة إلا بعقد نكاح أو ملك يمين وقوله إن وهبت نفسها على طريق الشرط والجزاء وقال آخرون بل كانت عنده موهوبة واختلفوا فيها فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الهلالية يقال لها أم المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال علي بن الحسين والضحاك ومقاتل هي أم شريك بنت جابر من بني أسد وقال عروة

حكيم

ابن الزبير هي بحول بلت حكيم من بني سليم. قوله تعالى (قد علمنا ما فرضا عليهم) أي أوجبنا على المؤمنين (في أزواجهم) من الأحكام أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر (وما ملكت أيمانهم) أي ما أوجبنا من الأحكام في ملك اليمين (لكيلا يكون عليك حرج) وهذا يرجع إلى أول الآية أي أحلنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك لكي لا يكون عليك حرج وضيق (وكان الله غفورا رحيمًا) أي تؤخر (من تشاء منهم وتؤوي) أي تضم (إليك من تشاء) اختلف المفسرون في معنى الآية فأشهر الأقاويل أنه في القسم بينهن وذلك أن التسوية بينهن في القسم كانت واجبة عليه فلما نزلت هذه الآية سقط عنه وصار الاختيار إليه فيهن قال أبو رزين وابن زيد نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فحرمهن النبي صلى الله عليه وسلم شعرا حتى نزلت آية التخيير فأمره الله عز وجل أن يخبرهن بين (٣٦٩) الدنيا والآخرة وأن يخلي سبيل

من اختارت الدنيا ويملك من اختارت الله ورسوله والدار الآخرة على أنهن أمهات المؤمنين ولا يتكهن أبدا وعلى أنه يؤوى إليه من يشاء منهم ويرجى من يشاء فبرضين به قسم لمن أو لم يقسم أو قسم لبعضهن دون بعض أو فضل بعضهن في النفقة وما التهمة فيكون الأمر في ذلك إليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واختارنه على هذا الشرط واختلفوا في أنه هل أخرج أحدا منهم عن القسم قال بعضهم لم يخرج أحدا بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما جعله الله

حكيم من بني سليم. وقوله تعالى (قد علمنا ما فرضا عليهم) أي أوجبنا على المؤمنين (في أزواجهم) أي من الأحكام وهو أن لا يتزوجوا أكثر من أربع ولا يتزوجوا إلا بولي وشهود ومهر (وما ملكت أيمانهم) أي ما أوجبنا من الأحكام في ملك اليمين (لكيلا يكون عليك حرج) وهذا يرجع إلى أول الآية معناه أحلنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لكي لا يكون عليك ضيق (وكان الله غفورا) أي للواقع في الحرج (رحيمًا) أي بالتوسعة على عباده. قوله تعالى (برجى) يعنى تؤخر (من تشاء منهم وتؤوي إليك) أي تضم إليك (من تشاء) قبل هذا للقسم بينهن وذلك أن التسوية بينهن في القسم كانت واجبة عليه صلى الله عليه وسلم فلما نزلت هذه الآية سقط عنه الوجوب وصار الاختيار إليه فيهن وقيل نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة النفقة فهجرهن شهرا حتى نزلت آية التخيير فأمره الله تعالى أن يخبرهن فمن اختارت الدنيا فارقها ويملك من اختارت الله ورسوله على أنهن أمهات المؤمنين لا يتكهن أبدا وعلى أنه يؤوى إليه من يشاء منهم ويرجى من يشاء فبرضين به قسم لمن أو لم يقسم لبعضهن دون بعض أو فضل بعضهن في النفقة والكسوة فيكون الأمر في ذلك إليه يفعل كيف يشاء وكان ذلك من خصائصه فرضين بذلك واختارنه على هذا الشرط. واختلفوا في أنه هل أخرج أحدا منهم عن القسم فقال بعضهم لم يخرج أحدا بل كان صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم إلا سودة فإنها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعائشة وقيل أخرج بعضهن روي عن أبي رزين قال لما نزل التخيير أشفقن أن يطلقن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك وتقسك ماشئت ودعنا على حالنا فأرجى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهن وآوى إليه بعضهن فكان ممن آوى إليه عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وكان يقسم بينهن سواء وأرجى منهن خمساً أم حبيبة وميمونة وسودة وجورة وصفية فكان يقسم لمن ما يشاء وقال ابن عباس تطلق من تشاء

له من ذلك يسوي بينهن في القسم إلا سودة فإنها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها لعائشة وقيل أخرج بعضهن روي جرير عن منصور عن أبي رزين قال لما نزلت آية التخيير أشفقن أن يطلقهن فقلن يا نبي الله اجعل لنا من مالك وتقسك ماشئت ودعنا على حالنا فنزلت هذه الآية فأرجى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعضهن وآوى إليه بعضهن وكان ممن آوى إليه عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة فكان يقسم بينهن سواء وأرجى منهن خمساً أم حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجورة فكان يقسم لمن ما يشاء وقال مجاهد أرجى من تشاء منهم يعنى تعزل من تشاء منهم بغير طلاق وترد إليك من تشاء بعد العزل بلا تجديد عقده وقال ابن عباس تطلق من تشاء منهم وتمسك من تشاء وقال الحسن تترك نكاح من شئت وتتكح من شئت من نساء أمتك قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب امرأة لم يكن لغيره خطبتها حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من تشاء من المؤمنات اللاتي يهبن أنفسهن لك فتؤويهن إليك وتترك من تشاء فلا

تقبلها . أخبرنا عبدالواحد المديني أنا أحمد بن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا محمد بن سلام
أنا ابن فضيل أنا هشام عن أبيه قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت
عائشة أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل فلما نزلت «ترجى من تشاء منهم» قلت يا رسول الله ما أرى ربك إلا يسارع
في هواك . قوله تعالى (ومن ابتغيت ممن عزلت) أي طلبت وأردت أن تؤوي إليك امرأة ممن عزلتهن عن القسم (فلا جناح
عليك) لا إثم عليك فأباح الله له ترك القسم لمن حتى إنه ليؤخر من يشاء منهم في نوبتها ويطلب من يشاء منهم في نوبتها
ويرد إلى فراشه من عزلها تفضيلا له على سائر الرجال (ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن) أي التخيير الذي خيرتك في
صحبتهن أقرب إلى رضاهن وأطيب (٢٧٠) لأنفسهن وأقل لحزنهن إذا علمن أن ذلك من الله عز وجل (وبرضين

بما آتيتهن) أعطيتهن (كلهن) من تقرير
وإرجاء وعزل وإيواء
(والله يعلم ما في قلوبكم)
من أمر النساء والميل
إلى بعضهن (وكان الله
عليها حلما) قوله تعالى
(لا يحل لك النساء من
بعد ولا أن تبدل بهن
من أزواج) قرأ أبو عمرو
ويعقوب لا تحل بالناء
وقرأ الآخرون بالياء
«من بعد» يعني من بعد
هؤلاء التسع اللاتي خيرتهن
فاخترتك وذلك أن النبي
صلى الله عليه وسلم لما
خيرهن فاخترن الله
ورسوله شكر الله من
وحرّم عليه النساء سواهن
ونهاه عن تطليقهن وعن
الاستبدال بهن هذا
قول ابن عباس وقادة
والخلفاء في أنه هل أبيض

له النساء من بعد قالت عائشة مامات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحل له النساء سواهن وقال أنس مات
على التحريم وقال عكرمة والضحاك معنى الآية لا يحل لك النساء إلا اللاتي أحلنا لك وهو قوله «إنا أحلنا لك أزواجك» الآية
ثم قال لا يحل لك النساء من بعد إلا التي أحلنا لك بالصفة التي تقدم ذكرها وقيل لأبي بن كعب لو مات نساء النبي صلى الله
عليه وسلم أكان يحل له أن يتزوج قال وما يمنعه من ذلك قيل قوله عز وجل «لا يحل لك النساء من بعده» قال إنما أحل الله له
ضربا من النساء فقال «يا أيها النبي إنا أحلنا لك أزواجك» الآية ثم قال «لا يحل لك النساء من بعده» قال أبو صالح أمر أن لا يتزوج
أعرابية ولا عربية ويتزوج من نساء قومه من بنات العم والعمة والخالة إن شاء ثلثائة وقال مجاهد معناه لا يحل لك اليهوديات
ولا النصرانيات بعد المسلمات «ولا أن تبدل بهن» يقول ولا أن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى يقول لا تكون

أم المؤمنين يهوديولا نصرانية إلا ماملكت يمينك أحل له ماملكت يمينه من الكتابيات أن يتسرى بهن وروى عن الضحاك
 يعنى ولا أن تبدل بهن ولا أن تبدل بأزواجك اللاتي هن في خيالك أزواجا غيرهن بأن تطلقهن فتسكح غيرهن فحرم عليه
 طلاق النساء اللواتي كن عنده إذ جعلهن أمهات المؤمنين وحرمهن على غيره حين اخترنه فأما نكاح غيرهن فلم يمنع عنه وقال ابن زيد
 في قوله «ولا أن تبدل بهن من أزواج» كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وأبادلك
 بامرأتى تنزل لي عن امرأتك وأزل لك عن امرأتى فأزل الله ولا أن تبدل بهن من أزواج يعنى لا تبادل بأزواجك غيرك
 بأن تعطيه زوجك وتأخذ زوجته إلا ماملكت يمينك لا بأس أن تبدل بجارياتك ماشئت فأما الحرائر فلا وروى عن عطاء
 ابن يسار عن أبي هريرة قال «دخل عيينة بن حصن على النبي صلى الله عليه وسلم بغير إذن وعنده عائشة فقال له النبي صلى
 الله عليه وسلم «يا عيينة فأين الاستئذان قال يا رسول الله ما استأذنت على رجل من مضر منذ أدركت ثم قال من هذه
 الحميراء إلى جنبك فقال هذه عائشة أم المؤمنين فقال عيينة أفلا أزل لك (٢٧١) عن أحسن الخلق وتنزل لي
 عن هذه فقال رسول الله

أى بالمسلمات غيرهن من الكتابيات لأنه لا تكون أم المؤمنين يهودية ولا نصرانية إلا ماملكت
 يمينك أى من الكتابيات فتسرى بهن وقيل في قوله «ولا أن تبدل بهن من أزواج» كانت العرب
 في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل للرجل ازل لي عن امرأتك وأزل لك عن امرأتى
 فأزل الله تعالى «ولا أن تبدل بهن من أزواج» أى تبادل بأزواجك غيرك بأن تعطيه زوجته
 وتأخذ زوجته فحرم ذلك «إلا ماملكت يمينك» أى لا بأس أن تبادل بجارياتك ماشئت فأما
 الحرائر فلا (ولو أعجبك حسنهن) يعنى ليس لك أن تطلق أحدا من نسائك وتسكح بدلها
 أخرى ولو أعجبك جمالها قال ابن عباس يعنى أسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن
 أبى طالب لما استشهد جعفر أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطبها فنهى عن ذلك (إلا
 ماملكت يمينك) قال ابن عباس ملك بعد هؤلاء مارية (وكان الله على كل شىء رقيبا) أى
 حافظا وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء وبدل عليه ما روى عن
 جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى
 ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل» أخرجه أبو داود (م) عن أبي هريرة «أن رجلا أراد أن يتزوج
 امرأة من الأنصار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم انظر إليها فإن في عين الأنصار شيئا» قال
 الحميدى يعنى هو الصغر عن المغيرة بن شعبه قال «خطبت امرأة فقال لي النبي صلى الله عليه
 وسلم هل نظرت إليها قلت لا قال فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» أخرجه الترمذى
 وقال حديث حسن: قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن
 لكم) الآية قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في شأن ولية زينب بنت جحش حين بنى بها

عنى هذه فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ن
 الله قد حرم ذلك فلما
 خرج قالت عائشة من
 هذا يا رسول الله فقال
 هذا أحمق مطاع وإنه
 على ما ترى لسيد قومه
 قوله تعالى (ولو أعجبك
 حسنهن) يعنى ليس لك
 أن تطلق أحدا من نسائك
 وتسكح بدلها أخرى ولو
 أعجبك جمالها قال
 ابن عباس يعنى أسماء
 بنت عميس الخثعمية
 امرأة جعفر بن أبى طالب
 فلما استشهد جعفر أراد

رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخطبها فنهى عن ذلك (إلا ماملكت يمينك) قال ابن عباس رضى الله عنهما ملك بعد
 هؤلاء مارية (وكان الله على كل شىء رقيبا) حافظا. وفي الآية دليل على جواز النظر إلى من يريد نكاحها من النساء روى
 عن جابر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا خطب أحدكم المرأة فإن استطاع أن ينظر إلى ما يدعوه
 إلى نكاحها فليفعل» أخبرنا أبو الحسن على بن يوسف الجوبى أنا محمد بن محمد بن على بن شريك الشافعى أنا عبد الله بن
 محمد بن مسلم الجورندى قال أنا أحمد بن حنبل أنا أبو معاوية عن عاصم هو ابن سليمان عن بكر بن عبد الله عن المغيرة
 ابن شعبه «قال خطبت امرأة فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم هل نظرت إليها قلت لا قال فانظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم
 بينكما» أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي أنا عبد الله بن حامد أنا حامد بن محمد أنا بشر بن موسى أنا الحميدى
 أنا سعيد أنا يزيد بن كيسان عن أبي حازم عن أبي هريرة «أن رجلا أراد أن يتزوج امرأة من الأنصار فقال له النبي صلى الله
 عليه وسلم انظر إليها فإن في عين نساء الأنصار شيئا» قال الحميدى يعنى الصغر قوله عز وجل (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا
 بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم) الآية قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في شأن ولية زينب بنت جحش حين بنى بها

رسول الله صلى الله عليه وسلم . أخبرنا بدالواحد الملبحي أنا أحمد بن عبد الله النعمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل
أنا يحيى بن بكير أنا الليث عن عقيل عن ابن شهاب أخبرني أنس بن مالك أنه كان ابن عشر سنين مقدم رسول الله صلى
الله عليه وسلم المدينة قال وكانت أم هانيء توظيني على خدمة النبي صلى الله عليه وسلم فخدمته عشر سنين وتوفى النبي
صلى الله عليه وسلم وأنا ابن (٢٧٢) عشرين سنة فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل فكان أول ما أنزل

رسول الله صلى الله عليه وسلم (ق) عن أنس بن مالك « أنه كان ابن عشر سنين مقدم النبي
صلى الله عليه وسلم المدينة قال فكانت أم هانيء توظيني على خدمة رسول الله صلى الله عليه
وسلم فخدمته عشر سنين وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا ابن عشرين سنة وكنت
أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل وكان أول ما أنزل في مبعثي رسول الله صلى الله عليه وسلم
بزئب بنت جحش حين أصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم فأصابوا من
الطعام ثم خرجوا وبقى رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث فقام النبي صلى الله
عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا فمشى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت معه
حتى جاء عتبة حجرة عائشة ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى إذا دخل على
زئب فإذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى إذا بلغ عتبة
حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا فضرب النبي صلى
الله عليه وسلم بيني وبينه بالستر وأنزل الحجاب زاد في رواية قال دخل يعني النبي صلى الله عليه
وسلم البيت وأرخصي الستر وإني لفي الحجرة وهو يقول « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي
إلا أن يؤذن لكم » إلى قوله « والله لا يستحي من الحق » (ق) عن عائشة « أن أزواج النبي صلى الله
عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أبيض وكان عمر رضي الله عنه
يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعل
فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة
طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأنزل الله الحجاب
المناصع الخالية لفضاء الحاجة من البول أو الغائط والصعيد وجه الأرض والأبيض
الواسع (ق) عن أنس وابن عمر أن عمر قال « وافقت ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت
من مقام إبراهيم مصلى فزول « واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى » وقلت يا رسول الله يدخل على
سائلك البر والفاجر فلو أمرتهم أن يحتجبوا فزلت آية الحجاب واجتمع نساء النبي صلى الله
عليه وسلم في الغمرة فقلت عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن » فزلت كذلك. وقال
ابن عباس إنها نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحجبون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم
فيدخلون عليه قبل الطعام قبل أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه
وسلم يتأذى بهم فزلت الآية « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم » يعني
إلا أن تدعوا (إلى طعام) فيؤذن لكم فتأكلون (غير ناظرين إناه) يعني متظرين نضجه ووقت

في مبعثي رسول الله صلى
الله عليه وسلم بزئب
بنت جحش أصبح
النبي صلى الله عليه وسلم
بها عروسا فدعا القوم
فأصابوا من الطعام ثم
خرجوا وبقى رهط منهم
عند النبي صلى الله عليه
وسلم فأطالوا المكث
فقام النبي صلى الله عليه
وسلم فخرج وخرجت
معه لكي يخرجوا فمشى
النبي صلى الله عليه وسلم
ومشيت حتى جاء حجرة
عائشة ثم ظن أنهم قد
خرجوا فرجع ورجعت
معه حتى إذا دخل
على زئب - فإذا هم جلوس
لم يقوموا فرجع النبي
صلى الله عليه وسلم
ورجعت معه حتى إذا
بلغ عتبة حجرة عائشة
وظن أنهم قد خرجوا
فرجع ورجعت معه فإذا
هم قد خرجوا فضرب
النبي صلى الله عليه وسلم
بينى وبينه الستر وأنزل

الحجاب وقال أبو عثمان واسمه الجعد عن أنس قال فدخل رسول الله ﷺ البيت وأرخصي الستر وإني لفي الحجرة إدراكه
وهو يقول « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم » إلى قوله « والله لا يستحي من الحق » وروى عن ابن عباس أنها
نزلت في ناس من المسلمين كانوا يتحجبون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام إلى أن يدرك ثم
يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأذى بهم فزلت « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي
إلا أن يؤذن لكم » يقول إلا أن تدعوا (إلى طعام) فيؤذن لكم فتأكلونه (غير ناظرين إناه) غير متظرين إدراكه

ووقت نضجه يقال اني الحميم إذا انتهى حره وأني أن يفعل ذلك إذا حان إلى بكسر الهمزة مقصورة فإذا فتحها مددت فقلت الإناء وفيه لغتان أي يأتي وأن يشين مثل حان يحين (ولكن إذا دعيت فادخلوا فإذا طعمتم) أكلتم الطعام (فانتشروا) تفرقوا واخرجوا من منزله (ولا مستأنسين لحديث) ولا طالبين الأئس للحدث وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون طويلا فتهوا عن ذلك (إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لا يستحي من الحق) أي لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياء وإذا سأتموهن متاعا فاستلوهن من وراء حجاب) أي من وراء ستر فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة رسول الله صلى الله عليه وسلم متقببة كانت أو غير متقببة (ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن) من الريب وقد صح في سبب نزول آية الحجاب ما أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا يحيى بن بكير أنا الليث حدثني عقيل عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناصع وهو صعيد أبيض وكان عمر يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك (٢٧٣) فلم يكن رسول الله صلى

الله عليه وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالي عشاء وكانت امرأة طويلة فنأداها عمر الأقدع عرفناك ياسودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأزل الحجاب وأخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أنا أبو بكر محمد بن الحسن الحسرى أنا حاجب بن أحمد العلومى أنا عبد الرحيم بن منيب أنا يزيد بن هارون أنا حميد عن أنس قال قال عمر «وافقني ربي في ثلاث قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأزول الله واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى»

إدراكه (ولكن إذا دعيت فادخلوا فإذا طعمتم) أي أكلتم الطعام (فانتشروا) أي فاخرجوا من منزله وقرقوا (ولا مستأنسين لحديث) أي لا تظيلوا الجلوس ليستأنس بعضهم بحديث بعض وكانوا يجلسون بعد الطعام يتحدثون فهوا عن ذلك (إن ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم) أي فيستحي من إخراجكم (والله لا يستحي من الحق) أي لا يترك تأديبكم وبيان الحق حياء ولما كان الحياء مما يمنع الحي من بعض الأفعال قال لا يستحي من الحق بمعنى لا يمنع منه ولا يترك الحي منكم وهذا أدب أدب الله به الثغلاء وقيل بحسبك من الثغلاء أن الله لم يحتملهم (وإذا سأتموهن متاعا) أي وإذا سألتن نساء النبي صلى الله عليه وسلم حاجة (فاستلوهن من وراء حجاب) أي من وراء ستر فبعد آية الحجاب لم يكن لأحد أن ينظر إلى امرأة من نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم متقببة كانت أو غير متقببة (ذلكم أظهر لقلوبكم وقلوبهن) أي من الريب (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) أي ليس لكم أذاه في شيء من الأشياء (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) نزلت في رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا ننكحن عائشة قيل هو طلحة بن عبيد الله فأخبر الله أن ذلك محرم وقال (إن ذلكم كان عند الله عظيما) أي ذنبا عظيما وهذا من إعلام تعظيم الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وإيجاب حرمة حيا وميتا وإعلامه بذلك مما طيب نفسه وسر قلبه واستفرغ شكره فإن من الناس من تفرط غيرته على حرمة حتى يتمنى لها الموت قبله لئلا تنكح بعده (إن تبدوا شيئا) أي من أمر نكاحهن على أنفسكم (أو تحفوه) أي في صدوركم (فإن الله كان بكل شيء عليما) أي يعلم سركم وعلايتكم، نزلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قال رجل من الصحابة ما بالنا نمنع من الدخول على بنات أعمامنا فنزلت هذه الآية ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله ونحن أيضا

(٣٥ - خازن بالبغوى - خامس) وقلت يا رسول الله إنه يدخل عليك البر والتاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأزول الله آية الحجاب قال وبلغني بعض ما أذى به رسول الله صلى الله عليه وسلم نساؤه قال فدخلت عليهن فجعلت أستفرهن واحدة واحدة قلت والله لئنهن أوليبدلته الله أزواجا خيرا منكن حتى أتيت على زينب فقالت يا عمر ما كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت قال فخرجت فأزول الله عز وجل عسى ربه إن لا تطلقكن أن يبده أزواجا خيرا منكن إلى آخر الآية قوله عز وجل (وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله) ليس لكم أذاه في شيء من الأشياء (ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبدا) نزلت في رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال لئن قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنكحن عائشة قال مقاتل بن سليمان هو طلحة بن عبيد الله فأخبره الله عز وجل أن ذلك محرم وقال (إن ذلكم كان عند الله عظيما) أي ذنبا عظيما وروى معمر عن الزهري أن العالية بنت ظبيان التي طلقها النبي صلى الله عليه وسلم تزوجت رجلا وولدت له وذلك قبل تحريم أزواج النبي صلى الله عليه وسلم على الناس (إن تبدوا شيئا أو تحفوه فإن الله كان بكل شيء عليما)

زلت فيمن أضمر نكاح عائشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل: قال رجل من الصحابة ما بالنا نتمتع من الدخول على بنات أعمامنا فنزلت هذه الآية. ولما نزلت آية الحجاب قال الآباء والأبناء والأقارب لرسول الله ونحن أيضا بارسول الله نكلمهن من وراء الحجاب فأزل الله عز وجل (لا جناح عليهن في آباتهن ولا أبناهن ولا إخوانهن ولا أبناء إخوانهن ولا أبناء أخواتهن) أي لا إثم عليهن في ترك الاحتجاب من هؤلاء (ولا نساتهن) قيل أراد به النساء المسلمات حتى لا يجوز للكتابات الدخول عليهن في المسلمات والكتابات وإنما قال ولا نساتهن لأنهن من أجناسهن (ولا ماملكت أيمانهن) واختلفوا في أن عبد المرأة هل يكون محرما لها أم لا فقال قوم يكون محرما لها لقوله عز وجل «ولا ماملكت أيمانهن» وقال قوم هو كالأجانب والمراد من الآية الإمام دون العبيد (واقين الله) (٢٧٤) أن يراكن غير هؤلاء (إن الله كان على كل شيء) من أعمال العباد

(شهيذا) قوله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي) قال ابن عباس أراد أن الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعن ابن عباس أيضا يصلون بتركوا ومن الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أي ادعوا له بالرحمة (وسلموا تسليما) أي حيوه بتحية الإسلام:

(فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها)

اتفق العلماء على وجوب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ثم اختلفوا فقيل يجب في العمر مرة وهو الأكثر وقيل يجب في كل صلاة في التشهد الأخير وهو مذهب الشافعي وإحدى الروايتين عن أحمد وقيل يجب كلما ذكر واختاره الطحاوي من الحنفية والخلبي من الشافعية والواجب اللهم صل على محمد وما زاد سنة (ق) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال لقيت كعب بن عجرة فقال ألا أهدى لك هدية إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد (ق) عن أبي حميد الساعدي

أبو بكر أحمد بن زهير بن حرب أنا موسى بن إسماعيل أنا أبو سلمة أنا عبد الواحد بن زياد أنا أبو فروة حدثني عبد الله قال ابن عيسى بن عبد الرحمن بن أبي ليلى سمع عبد الرحمن بن أبي ليلى يقول لقيت كعب بن عجرة فقال ألا أهدى لك هدية سمعتها من النبي صلى الله عليه وسلم فقلت بلى فاهدنا لي فقال سألتنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلنا يارسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فإن الله قد علمنا كيف نسلم عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد اللهم بارك على محمد وعلى آل إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد أخبرنا أبو الحسن السرخسي أنا زاهر بن أحمد أنا أبو إسحاق الهاشمي أنا أبو مصعب عن مالك عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبيه عن عمرو بن سليم الزرقى أنه قال أخبرني أبو حميد الساعدي قال قالوا يارسول الله كيف نصلي عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما صليت

(شهيذا) قوله تعالى (إن الله وملائكته يصلون على النبي) قال ابن عباس أراد أن الله يرحم النبي والملائكة يدعون له وعن ابن عباس أيضا يصلون بتركوا ومن الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار (يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أي ادعوا له بالرحمة (وسلموا تسليما) أي حيوه بتحية الإسلام وقال أبو العالية صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة للدعاء أخبرنا أبو سعيد أحمد ابن محمد بن العباس الحميدي أنا عبد الله ابن محمد بن عبد الله الحافظ أنا أبو بكر أحمد ابن سليمان الفقيه ببغداد أنا

على إبراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد أخبرنا أبو عمرو محمد بن عبد الرحمن النسوي أنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحبري أنا محمد بن يعقوب أنا العباس بن محمد الدوري أنا خالد بن مخلد القطواني أنا موسى بن يعقوب الزمعي عن عبد الله بن كيسان أخبرني عبد الله بن شداد عن ابن مسعود قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقاني أنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني أنا عبد الله بن عمر الجوهري أنا أحمد بن علي (٢٧٥) الكشميهني أنا علي بن حجر

قال لولا يا رسول الله كيف نصلى عليك قال «قولوا اللهم صل على محمد وعلى أزواجه وذريته كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى أزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد» (م) عن أبي مسعود البدرى قال أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن في مجلس سعد ابن عباد فقال له بشير بن سعد أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله فكيف نصلى عليك فسكت رسول الله عليه وسلم حتى تمنيت أنه لم يسألني ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم» (م) عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشرة» قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من صلى على واحدة صلى الله عليه بها عشرة وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له عشر درجات» أخرجه الترمذي وله عن أبي طلحة «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشر في وجهه فقلت إنا لنرى البشر في وجهك قال : أتاني الملك فقال يا محمد إن ربك يقول أما رضيتك أنه لا يصلى عليك أحد إلا صليت عليه عشرًا ولا يسلم عليك أحد إلا سلمت عليه عشرًا» وله عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام» عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «إن أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وله عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل على» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب صحيح عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت ليقبل اللهم صل على محمد النبي الأمي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته وأهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد» أخرجه أبو داود . قوله عز وجل (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فأما اليهود فقالوا عزير ابن الله ويد الله مغلولة وقالوا إن الله فقير ونحن أغنياء وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة وأما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه (خ)

أمتك إلا صليت عليه عشرًا ولا يسلم عليك أحد من أمتك إلا سلمت عليه عشرًا» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو محمد عبد الرحمن ابن أبي شريح القاضي أنا أبو القاسم البغوي أنا علي بن الجعد أنا شعبة عن عاصم هو ابن عبيد قال سمعت عبد الله بن ربيعة عن أبيه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول «من صلى على صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى على فليقل العبد من ذلك أو ليكثر» حدثنا أبو القاسم يحيى بن علي الكشميهني أنا جناح بن يزيد المخازبي بالكوفة أنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشبستاني أنا أحمد بن حازم أنا عبيد الله بن موسى وأبو نعيم عن سفيان عن عبد الله بن السائب عن زاذان عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام» قوله تعالى (إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعد لهم عذابا مهينا) قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فأما اليهود فقالوا

عزير ابن الله ويد الله مغلوله وقالوا إن الله قسيز : وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله وثالث ثلاثة : وأما المشركون فقالوا
 الملائكة بنات الله والأصنام شركاؤه وروينا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : يقول الله سبحانه وتعالى شتمني عبدي يقول
 اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد ، وروينا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
 قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي الأمر أقلب الليل والنهار ، وقيل معنى يؤذون الله . أي يلحدون في
 أمماته وصفاته وقال عكرمة هم أصحاب التصاور أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا
 محمد بن إسماعيل أنا محمد بن العلاء أنا ابن فضيل عن عمارة عن أبي زرعة سمع أبا هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
 يقول : قال الله تعالى ومن أظلم ممن ذهب بخلق كخلقى فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو شعيرة ، وقال بعضهم

عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « يقول الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم
 يكن له ذلك وشتمني ولم يكن له ذلك فأما تكذيبه إياي فقله لن يعيدني كما بدأني وليس أول
 الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي فقله اتخذ الله ولدا وأنا الأحد الصمد الذي لم يلد
 ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد» (ق) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله عز وجل
 « يؤذيني ابن آدم يسب الدهر وأنا الدهر بيدي أقلب الليل والنهار ، معنى هذا الحديث أنه
 كان من عادة العرب في الجاهلية أن يذموا الدهر ويسبوه عند التوازل لاعتقادهم أن الذي
 يصيبهم من أفعال الدهر فقال الله تعالى أنا الدهر أي أنا الذي أحل بهم التوازل وأنا فاعل لذلك
 الذي تنسبونه إلى الدهر في زعمكم وقيل معنى يؤذون الله يلحدون في أمماته وصفاته وقيل هم أصحاب
 التصاور (ق) عن أبي هريرة قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول « قال الله عز وجل ومن
 أظلم ممن ذهب بخلق كخلقى فليخلقوا ذرة أو شعيرة » وقيل يؤذون الله أي يؤذون
 أولياء الله كما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « قال الله تعالى من أذى لي وليا فقد آذنته
 بالحرب » وقال تعالى من أهان لي وليا فقد بارزني بالمحاربة ومعنى الأذى هو مخالفة أمر الله تعالى
 وارتكاب معاصيه ذكر ذلك على ما يتعارفه الناس بينهم لأن الله تعالى منزه عن أن يلحقه أذى
 من أحد وأما إلقاء الرسول فقال ابن عباس هو أنه شج وجهه وكسرت ربايعته وقيل ساحر
 شاعر معلم مجنون (والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا) أي من غير أن عملوا
 ما أوجب أذاهم وقيل يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم (فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) قيل إنها
 نزلت في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويشتمونه وقيل نزلت في شأن عائشة وقيل نزلت
 في الزناة الذين يمشون في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهم فيتبعون
 المرأة فإن سكنت تبعوها وإن زجرتهم اتبوا عنها ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء ولكن كانوا
 لا يعرفون الحررة من الأمة لأن زي الكل كان واحدا تخرج الحررة والأمة في درع وخمار فشكوا
 ذلك إلى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت « والذين يؤذون المؤمنين
 والمؤمنات الآية ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء فقال تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك
 ونساء المؤمنين يدنين أي يرخين وينغطين) عليهن من جلايبهن) جمع جلاب وهو الملاءة التي

يؤذون الله أي يؤذون
 أولياء الله كقولته تعالى
 « واسأل القرية أي أهل
 القرية وروينا عن النبي
 صلى الله عليه وسلم قال
 قال الله تعالى « من غادى لي
 وليا فقد آذنته بالحرب »
 وقال « من أهان لي وليا
 فقد بارزني بالمحاربة »
 ومعنى الأذى هو مخالفة
 أمر الله تعالى وارتكاب
 معاصيه ذكره على
 ما يتعارفه الناس بينهم
 والله عز وجل منزه عن
 أن يلحقه أذى من أحد
 وإلقاء الرسول قال ابن
 عباس هو أنه شج
 في وجهه وكسرت ربايعته
 وقيل ساحر معلم
 مجنون (والذين يؤذون
 المؤمنين والمؤمنات بغير
 ما اكتسبوا) من غير أن
 عملوا ما أوجب أذاهم

وقال مجاهد يقعون فيهم ويرمونهم بغير جرم (فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً) وقال مقاتل نزلت في علي
 ابن أبي طالب كانوا يؤذونه ويشتمونه وقيل نزلت في شأن عائشة وقال الضحاك والسكلي نزلت في الزناة الذين كانوا يمشون
 في طرق المدينة يتبعون النساء إذا برزن بالليل لقضاء حوائجهم فيغمزون المرأة فإن سكنت أتبعوها وإن زجرتهم اتبوا عنها
 ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء ولكن كانوا لا يعرفون الحررة من الأمة لأن زي الكل كان واحدا يخرج في درع وخمار الحررة
 والأمة كذلك فشكوا ذلك إلى أزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الآية « والذين يؤذون
 المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحرائر أن يتشبهن بالإماء فقال جل ذكره (يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين
 يدنين عليهن من جلايبهن) جمع الجلاب وهو الملاءة التي تشمل بها المرأة فوق الدرع والخمار قال ابن عباس وأبو عبيدة

امر نساء المؤمنين أن يغطين رءوسهن ووجوههن بالجلاليب إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر (ذلك أدنى أن يعرفن) أنهن حرائر (فلا يؤذبن) فلا يتعرض لهن (وكان الله غفورا رحيما) قال أنس مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنة فعلاها بالدرة وقال بالكاع أتتسبهين بالحرائر ألقى القناع . قوله عز وجل (لئن لم ينته المنافقون) عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) فجور يعني الزنا (والمرجعون في المدينة) بالكذب وذلك أن ناسا منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس الرعب وإذا التحم القتال ولوا وانهمزوا ويقولون قد أتاكم العدو (٢٧٧) ونحوها وقال الكلبي كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في

تشتمل بها المرأة فوق الدرع والحمار وقيل هو الملحفة وكل ما يستتر به من كساء وغيره قال ابن عباس أمر نساء المؤمنين أن يغطين رءوسهن ووجوههن بالجلاليب إلا عينا واحدة ليعلم أنهن حرائر وهو قوله تعالى (ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذبن) أي لا يتعرض لهن (وكان الله غفورا رحيما) أي لما سلف من قال أنس مرت بعمر بن الخطاب جارية متقنة فعلاها بالدرة وقال بالكاع أتتسبهين بالحرائر ألقى القناع لكاع كلمة تقال لمن يستحقر به مثل العبد والأمة والحامل والقليل العقل مثل قولك يا حسيب: قوله تعالى (لئن لم ينته المنافقون) أي عن نفاقهم (والذين في قلوبهم مرض) أي فجورهم الزناة (والمرجعون في المدينة) أي بالكذب وذلك أن ناسا منهم كانوا إذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوقعون في الناس أنهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد أتاكم العدو ونحو هذا من الأراجيف وقيل كانوا يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا ونفشوا الأخبار (لنغربنك بهم) يعني لنحرسنك بهم ولنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا) أي لا يسكنونك في المدينة إلا قليلا أي حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتحل منهم المدينة (ملعونين) أي مطرودين (أي اتفقوا) أي وجدوا وأدركوا (أخذوا وقتلوا) أي أخذوا وقتلوا (تقتلوا) أي الحكم فيهم هذا على الأمر به (سنة الله) أي كسنة الله (في الذين خلوا من قبل) أي في المنافقين والذين فعلوا مثل ما فعل هؤلاء أن يقتلوا حينئذ اتفقوا (ولن تجد لسنة الله تبديلا) قوله عز وجل (يستلك الناس عن الساعة) قبل إن المشركين كانوا يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وقت قيام الساعة استعجالا على سبيل الخزي وكان اليهود يسألونه عن الساعة امتحانا لأن الله تعالى عمى عليهم علم وقتها في التوراة فأمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم بقوله (قل إنما علمها عند الله) يعني إن الله تعالى قد استأثر به ولم يطلع عليه نبيا ولا ملكا (وما يدريك) أي أي شيء يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها (لعل الساعة تكون قريبا) أي إنها قريبة الوقوع وفيه تهديد للمستعجلين وإسكات للممتحنين (إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تغلب وجوههم في النار) أي تغلب ظهر البطن حين يسحبون عليها (يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) أي في الدنيا (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءتنا) يعني رهوس الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه لهم (فأضلونا السبيلا) يعني عن سبيل الهدى (ربنا آتهم) يعنون السادة والكبراء (ضعفين من العذاب) يعني ضعفي عذاب غيرهم (والعظيم لعنا كبيرا) يعني لعنا متتابعا:

الذين آمنوا ويقشون الأخبار (لنغربنك بهم) لنحرسنك بهم ولنسلطنك عليهم (ثم لا يجاورونك فيها) لا يسكنونك في المدينة (إلا قليلا) حتى يخرجوا منها وقيل لنسلطنك عليهم حتى تقتلهم وتحل منهم المدينة (ملعونين) مطرودين نصب على الحال (أي اتفقوا) وجدوا وأدركوا (أخذوا وقتلوا) أي أخذوا وقتلوا (تقتلوا) أي الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به (سنة الله) أي كسنة الله (في الذين خلوا من قبل) من المنافقين والذين فعلوا مثل هؤلاء (ولن تجد لسنة الله تبديلا) قوله تعالى (يستلك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك) أي أي شيء يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها (لعل الساعة تكون قريبا إن

الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيرا خالدين فيها أبدا لا يجدون وليا ولا نصيرا يوم تغلب وجوههم في النار) ظهر البطن حين يسحبون عليها (يقولون يا ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسولا) في الدنيا (وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا) قرأ ابن عامر ويعقوب سادتنا بكسر التاء وألف قبلها على جمع الجمع وقرأ الآخرون بفتح التاء بلا ألف قبلها (وكبراءنا فأضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب) أي ضعفي عذاب غيرهم قوله تعالى (والعظيم لعنا كبيرا) قال السكابي أي عذابا كبيرا وقرأ الآخرون بالتاء كقوله تعالى «أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» وهذا بشهد للكثرة أي مرة بعد مرة . قوله عز وجل

(يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) فطهره الله مما قالوا (وكان عند الله وجيها) أي كريما
ذا جاه يقال وجه الرجل يوجه وجهه إذا كان ذا جاه وقدر . قال ابن عباس كان حظيا عند الله لا يسأل الله شيئا
إلا أعطاه وقال الحسن كان مستجاب (٢٧٨) الدعوة وقيل كان محببا مقبولا . واختلفوا فيما أودى به موسى فأخبرنا

عبد الواحد المليحي أنا
أحمد بن عبد الله النعماني
أنا محمد بن يوسف أنا
محمد بن إسماعيل أنا
إسحاق بن إبراهيم أنا
روح بن عبادة أنا عرف
عن الحسن بن محمد وخلاس
عن أبي هريرة قال قال
رسول الله صلى الله عليه
وسلم إن موسى كان رجلا
حييا سيرا لا يرى من جلده
شيء استحياء فأذاه من
آذاه من بني إسرائيل
فقالوا ما ستر موسى
هذا التستر إلا من عيب
بجلده إما برص أو
أدرة وإن الله أراد أن
يبرئه مما قالوا ففعل
وحده ليغتسل فوضع
ثوبه على الحجر ثم اغتسل
فلما فرغ أقبل إلى ثيابه
ليأخذها ولا أناس يجير
عده فأتى موسى عصاه
وطلب الحجر فجعل
يقول ثوب ثوب حجر
حجر حتى انتهى إلى
ملا من بني إسرائيل
فأراه عريانا ما خلق الله
وآراه مما يقولون وقام

قواء تعالي (يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا) يعني فطهره الله مما
قالوه فيه (وكان عند الله وجيها) يعني كريما ذا جاه وقدر قال ابن عباس كان حظيا عند الله لا يسأل
الله شيئا إلا أعطاه وقيل كان مستجاب الدعوة وقيل كان محببا مقبولا واختلفوا فيما أودى به موسى
فروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « كان بنو إسرائيل يقتلون
عراة ينظر بعضهم إلى سوءة بعض وكان موسى عليه السلام يغتسل وحده فقالوا والله
ما يمنع موسى أن يغتسل معنا إلا أنه آذر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على
حجر ففر الحجر بثوبه قال جمع موسى بأثره يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى نظرت
بنو إسرائيل إلى سوءة موسى فقالوا والله ما موسى من بأس فقام الحجر حتى نظر إليه قال فأخذ
ثوبه فطفق بالحجر ضربا قال أبو هريرة « والله إن بالحجر ندبا ستة أو سبعة من ضرب موسى
الحجر » أخرجه البخاري ومسلم والبخاري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « إن موسى كان
رجلا حيا سيرا لا يرى شيء من جسده استحياء منه فأذاه من آذاه من بني إسرائيل فقالوا
ما ستر هذا السر إلا من عيب بجلده إما برص وإما أدرة وإما آفة وأن الله أراد أن يبرئه مما قالوا
لموسى ففعل ما فعله وحده فوضع ثيابه على الحجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى ثيابه ليأخذها
وأن الحجر عدا بثوبه فأخذ موسى العصا وطلب الحجر وجعل يقول ثوبى حجر ثوبى حجر
حتى انتهى إلى ملا من بني إسرائيل ورأوه عريانا أحسن ما خلق الله وبرأه مما يقولون وقام الحجر
فأخذ ثوبه ولبسه وطقق بالحجر ضربا بعصاه فوالله إن بالحجر ندبا من أثر الضرب ثلاثا أو
أربعا أو خمسا » فذلك قوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا
وكان عند الله وجيها » الأدرة عظم الخصية لتفخة فيها وقوله فجمع أي أسرع وقوله ثوبى حجر
أي دع ثوبى يا حجر قوله وطقق أي جعل يضرب الحجر وقوله ندبا هو بفتح النون والذال
وهو الأصح وأصله أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد فثبته به الضرب بالحجر والمحدثون
يقولون ندبا بسكون الذال وقيل في معنى الآية أن أذاهم إياه أنه لما مات هارون في التيه ادعوا
على موسى أنه قتله فأمر الله تعالي الملائكة حتى مروا به على بني إسرائيل فعرفوا أنه لم يقتله
فبرأه الله مما قالوا وقيل إن قارون استأجر بغيا لتقذف موسى بنفسها على رأس الملائكة فعصمها
الله وبرأ موسى من ذلك وأهلك قارون (ق) عن عبد الله بن مسعود قال « لما كان يوم حنين آثر
رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسا في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطي
عينة بن حصن مثل ذلك وأعطي ناسا من أشراف العرب وآرهم في القسمة فقال رجل والله
إن هذه القسمة ما عدل فيها وما أريد بها وجه الله فقلت والله لأخبرن رسول الله صلى الله عليه
وسلم قال فأتيته فأخبرته بما قال فتغير وجهه حتى كان كالصفر ثم قال فمن يعدل إذا لم يعدل
الله ورسوله ثم قال برحم الله موسى قد أودى بأكثر من هذا فصبره الصفر بكسر الصاد

صبيغ
الحجر فأخذ ثوبه فلبسه وطقق بالحجر ضربا بعصاه فوالله إن بالحجر ندبا من
أثر ضربه ثلاثا أو أربعا أو خمسا فذلك قوله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان
عند الله وجيها » وقال قوم أذاهم إياه أنه لما مات هارون في التيه ادعوا على موسى أنه قتله فأمر الله الملائكة حتى مروا به على بني
إسرائيل فعرفوا أنه لم يقتله فبرأه الله مما قالوا وقال أبو العالية هو أن قارون استأجر مومسة لتقذف موسى بنفسها على رأس الملائكة

فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِرَأْسِ مَوْسَى مِنْ ذَلِكَ وَأَهْلَكَ قَارُونَ أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنِ أَحْمَدَ الْمَلِيحِيُّ أَنَا أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ النَّبَعِيُّ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ يُونُسَ أَنَا مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ أَنَا أَبُو الْوَلِيدِ أَنَا شُعْبَةُ عَنِ الْأَعْمَشِ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا وَائِلٍ قَالَ سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ قَالَ وَقَسَمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَسَمًا فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ هَذِهِ لِقَسْمَةٌ مَا أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَخْبَرْتُهُ فَغَضِبَ حَتَّى رَأَيْتُ الْغَضَبَ فِي وَجْهِهِ ثُمَّ قَالَ وَرَحِمَ اللَّهُ مَوْسَى لَقَدْ أَوْذَى أَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبْرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ صَوَابًا وَقَالَ قَتَادَةُ عَدْلًا وَقَالَ الْحَسَنُ صِدْقًا وَقِيلَ مُسْتَقِيمًا وَقَالَ عِكْرِمَةُ هُوَ قَوْلٌ لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ (يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَتَقَبَّلُ حَسَنَاتِكُمْ وَقَالَ مِقَاتٌ يَرْكُزُ أَعْمَالَكُمْ (وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) أَيُّ ظَفَرًا بِالْخَيْرِ كُلُّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) الْآيَةَ أَرَادَ بِالْأَمَانَةِ الطَّاعَةَ وَالْفَرَائِضَ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ عَرَضَهَا عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ (٢٧٩) عَلَى أَنَّهُمْ إِنْ أَدَوْهَا أَتَابَهُمْ وَإِنْ ضَيَعُوهَا عَذِبَهُمْ

وهذا قول ابن عباس وقال ابن مسعود الأمانة أداء الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان وأشد من هذا كله الودائع وقال مجاهد الأمانة الفرائض وحلود الدين . وقال أبو العالية ما أمروا به ونهوا عنه وقال زيد بن أسلم هو الصوم والغسل من الجارية وما ينحى من الشرائع وقال عبد الله بن عمرو ابن العاص أول ما خلق الله من الإنسان فرجه وقال هذه أمانة استودعها فالفرج أمانة والأذن أمانة والعين أمانة

صَبِيحٌ أَخْبَرَ بِصَبِيحٍ بِهِ الْأَدِيمُ . قَوْلُهُ تَعَالَى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ صَوَابًا وَقِيلَ عَدْلًا وَقِيلَ صِدْقًا وَقِيلَ قَوْلٌ لِإِلَهِ إِلَّا اللَّهُ (يُصَلِّحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَتَقَبَّلُ حَسَنَاتِكُمْ (وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) أَيُّ ظَفَرًا بِالْخَيْرِ الْعَظِيمِ . قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) الْآيَةَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ أَرَادَ بِالْأَمَانَةِ الطَّاعَةَ وَالْفَرَائِضَ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ عَرَضَهَا عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ عَلَى أَنَّهُمْ إِذَا أَدَوْهَا أَتَابَهُمْ وَإِنْ ضَيَعُوهَا عَذِبَهُمْ وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ الْأَمَانَةُ أداء الصلوات وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل في المكيال والميزان وأشد من هذا كله الودائع وقيل جميع ما أمروا به ونهوا عنه وقيل هي الصوم وغسل الجنابة وما ينحى من الشرائع وقال عبد الله بن عمرو بن العاص أول ما خلق الله من الإنسان الفرج وقال هذه الأمانة استودعها فالفرج أمانة والأذن أمانة والعين أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له وفي رواية عن ابن عباس هي أمانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمنا ولا معاهدا في شيء لا في قليل ولا كثير فعرض الله تعالى هذه الأمانة على أعيان السموات والأرض والجبال وهذا قول جماعة من التابعين وأكثر السلف فقال لمن أتحمّلن هذه الأمانة بما فيها قلن وما فيها قال إن أحسنن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن قلن يارب نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلن ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله تعالى أن لا يقوموا بها لامعصية ولا مخالفة لأمره وكان العرض عليهن تخيرا لا الزاما ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة لأمره ساجدة له قال بعض أهل العلم ركب الله تعالى فيهن العقل والفهم حين عرض عليهن الأمانة حتى عقلمن الخطاب وأجبن بما أجبن وقيل المراد من العرض على السموات والأرض هو العرض على أهلها من الملائكة دون أعيانها والقول الأول أصح وهو قول العلماء

أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له وقال بعضهم هي أمانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمنا ولا معاهدا في شيء لا في قليل ولا كثير وهي رواية الضحاك عن ابن عباس فعرض الله هذه الأمانة على أعيان السموات والأرض والجبال هذا قول ابن عباس وجماعة من التابعين وأكثر السلف فقال لمن أتحمّلن هذه الأمانة بما فيها قلن وما فيها قال إن أحسنن جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن قلن يارب نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثوابا ولا عقابا وقلنا ذلك خوفا وخشية وتعظيما لدين الله أن لا يقمن بها لامعصية ولا مخالفة وكان العرض عليهن تخيرا لا الزاما ولو ألزمهن لم يمتنعن من حملها والجمادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة ساجدة له كما قال جل ذكره في السموات والأرض «اتقيا طوعا أو كرها قلنا آتينا طائعين» وقال للحجارة «وإن منها لما يهبط من خشية الله» . وقال تعالى «ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب» الآية وقال بعض أهل العلم ركب الله عز وجل فيهن العقل والفهم حين عرض

الأمانة عليهن حتى علقن الخطاب واجبن بما أُجبن وقال بعضهم المراد من العرش على السموات والأرض هو العرش على أهل السموات والأرض عرضها على من فيها من الملائكة وقيل على أهلها كلها دون أعيانها كقوله تعالى «واسأل القرية» أي أهل القرية والأول أصح وهو قول العلماء (فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) أي خفن من الأمانة أن لا يؤدبنا فيلحقهن العقاب (وحملها الإنسان) يعني آدم عليه السلام فقال الله لآدم وإنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تقبلها فهل أنت آخذها بما فيها قال يارب وما فيها قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فتمحملها آدم وقال بين أذني وعاتقي قال الله تعالى أما إذا تحملت فسأعينك أجعل لبصرك حجبا فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل لك فارخ عليه حجابه وأجعل للسانك الحيين وغلافا فإذا خشيت فاعلق واجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال

(٢٨٠)

(فأبين أن يحملها وأشفقن منها) أي خفن من الأمانة أن لا يؤدبنا فيلحقهن العقاب (وحملها الإنسان) يعني آدم قال الله عز وجل لآدم إني عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم تقبلها فهل أنت آخذها بما فيها قال يارب وما فيها قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت فتمحملها آدم فقال بين أذني وعاتقي قال الله أما إذا تحملت فسأعينك وأجعل لبصرك حجبا فإذا خشيت أن لا تنظر إلى ما لا يحل لك فارخ عليه حجابه وأجعل للسانك الحيين وغلافا فإذا خشيت فاعلقه وأجعل لفرجك لباسا فلا تكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فما كان بين أن تحملها وبين أن يخرج من الجنة إلا مقدار ما بين الظهر والعصر وحكي النقاش بإسناده عن ابن مسعود أنه قال مثل الأمانة كصخرة ملقاة ودعيت السموات والأرض والجبال إليها فلم يقربوا منها وقالوا لا نطبق حملها وجاء آدم من غير أن ادعى وحرك الصخرة وقال لو أمرت بحملها لحملتها فقيل له احملها فحملها إلى ركبته ثم وضعها وقال والله لو أردت أن أزداد لزدت فقيل له احملها فحملها إلى حقوه ثم وضعها وقال والله لو أردت أن أزداد لزدت فقيل له احملها حتى وضعها على عاتقه فأراد أن يضعها فقال الله مكانك فإنها في عنقك وعنق ذريتك إلى يوم القيامة (إنه كان ظلوما جهولا) قال ابن عباس الأمانة ظلوما لنفسه جهولا لأمر الله وما احتمل من الأمانة وقال الكلبي ظلوما حين عصي ربه جهولا لا يدري ما العقاب في ترك الأمانة وقال مقاتل ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة ما تحمل وذكر الزجاج وغيره من أهل المعاني في قوله وحملها الإنسان قولا فقالوا إن الله ائتمن آدم وأولاده على شيء وائتمن السموات والأرض والجبال على شيء فالأمانة في حق بني آدم ما ذكرنا في الطاعة والقيام بالفرائض والأمانة في حق السموات والأرض والجبال هي الخضوع والطاعة لما خلقن له وقيل قوله فأبين أن يحملنها أي أدين الأمانة يقال فلان يحمل الأمانة أي أتم فيها بالحياة قال الله تعالى «وليبحملن أثقالهم أنه كان ظلوما جهولا» حكى عن الحسن على هذا التأويل أنه قال وحملها

مجاهد فما كان بين أن تحملها وبين أن يخرج من الجنة إلا مقدار ما بين الظهر والعصر وحكي النقاش بإسناده عن ابن مسعود أنه قال مثل الأمانة كصخرة ملقاة ودعيت السموات والأرض والجبال إليها فلم يقربوا منها وقالوا لا نطبق حملها وجاء آدم من غير أن ادعى وحرك الصخرة وقال لو أمرت بحملها لحملتها فقيل له احملها فحملها إلى ركبته ثم وضعها وقال والله لو أردت أن أزداد لزدت فقيل له احملها فحملها إلى حقوه ثم وضعها وقال والله لو أردت أن أزداد لزدت فقيل له احملها حتى وضعها على عاتقه فأراد أن يضعها فقال الله مكانك فإنها في عنقك وعنق ذريتك إلى يوم القيامة (إنه كان ظلوما جهولا) قال ابن عباس الأمانة ظلوما لنفسه جهولا لأمر الله وما احتمل من الأمانة وقال الكلبي ظلوما حين عصي ربه جهولا لا يدري ما العقاب في ترك الأمانة وقال مقاتل ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة ما تحمل وذكر الزجاج وغيره من أهل المعاني في قوله وحملها الإنسان قولا فقالوا إن الله ائتمن آدم وأولاده على شيء وائتمن السموات والأرض والجبال على شيء فالأمانة في حق بني آدم ما ذكرنا في الطاعة والقيام بالفرائض والأمانة في حق السموات والأرض والجبال هي الخضوع والطاعة لما خلقن له وقيل قوله فأبين أن يحملنها أي أدين الأمانة يقال فلان يحمل الأمانة أي أتم فيها بالحياة قال الله تعالى «وليبحملن أثقالهم أنه كان ظلوما جهولا» حكى عن الحسن على هذا التأويل أنه قال وحملها

(فصل)

في الأمانة (ق) عن حذيفة بن اليان قال حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين قد رأيت أحدهما وأنا انتظر الآخر حدثنا إن الأمانة نزلت في جدر قلوب الرجال ثم نزل القرآن فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ثم حدثنا عن رفع الأمانة فقال «ينام الرجل النومة فتنبض

على عاتقه فأراد أن يضعها فقال الله مكانك فإنها في عنقك وعنق ذريتك إلى يوم القيامة (إنه كان ظلوما جهولا) قال ابن عباس الأمانة ظلوما لنفسه جهولا لأمر الله وما احتمل من الأمانة وقال الكلبي ظلوما حين عصي ربه جهولا لا يدري ما العقاب في ترك الأمانة وقال مقاتل ظلوما لنفسه جهولا بعاقبة ما تحمل وذكر الزجاج وغيره من أهل المعاني في قوله وحملها الإنسان قولا فقالوا إن الله ائتمن آدم وأولاده على شيء وائتمن السموات والأرض والجبال على شيء فالأمانة في حق بني آدم ما ذكرنا في الطاعة والقيام بالفرائض والأمانة في حق السموات والأرض والجبال هي الخضوع والطاعة لما خلقن له وقيل قوله فأبين أن يحملنها أي أدين الأمانة يقال فلان يحمل الأمانة أي أتم فيها بالحياة قال الله تعالى «وليبحملن أثقالهم أنه كان ظلوما جهولا» حكى عن الحسن على هذا التأويل أنه قال وحملها

الإيمان يعنى الكافر والمنافق حملا الأمانة أي خاننا وقول السلف، ما ذكرنا. قوله عز وجل (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) قال مقاتل ليعذبهم بما خانوا الأمانة ونقضوا (٢٨١) الميثاق (ويتوب الله على المؤمنين

والمؤمنات وكان الله غفورا رحيمًا) يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الأمانة. وقال ابن تيمية أي عرضنا الأمانة ليعظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله ويظهر إيمان المؤمن فيتوب الله عليه أي يعود عليه بالرحمة والمغفرة إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات (سورة سبأ مكية وهي أربع وخمسون آية) (بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض ملكا وخلقًا (وله الحمد في الآخرة) كما هو له في الدنيا لأن النعم في الدارين كلها منه وقيل الحمد لله في الآخرة هو حمد أهل الجنة كما قال الله تعالى وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، والحمد لله الذي صدقنا وعده (وهو الحكيم الخبير يعلم ما يلج في الأرض) أي يدخل فيها من الماء والأموات (وما يخرج منها) من النبات والأموات إذا حشروا (وما ينزل

الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوكت ثم ينام الرجل النومه فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الجمل كجمرد خرجته على رجلك فنفض فتراه متبرا وليس فيه شيء ثم أخذ حصاة فدحرجها على رجله فيصبح الناس يتبايعون لا يكاد أحد يؤذي الأمانة حتى يقال إن في بني فلان رجلا أمينًا حتى يقال تزلزل ما أجده ما أظرفه ما عقله وما في قلبه مقال حبة من خردل من إيمان ولقد أتى على زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلما ليردته علي دينه ولئن كان نصرانيا أو يهوديا ليردته علي ساعيه وأما اليوم فما كنت لأبايع منكم إلا فلانا وفلانا، قوله نزلت الأمانة في جذر قلوب الرجال جذر الشيء أصله والوكت الأرابيسر كالنقطة في الشيء من غير لونه والمجل غلظ الجلد من أرب العمل وقيل إنما هو النفطات في الجلد وقد فسره الحديث والمتبر المتفخ وليس فيه شيء (خ) عن أبي هريرة قال «بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم فجاء أعرابي فقال متى الساعة فضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال وقال بعضهم لم نسمع حتى إذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله قال إذا ضيبت الأمانة فانتظر الساعة قال كيف إضاعتها يا رسول الله قال إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» وعنه قال قال النبي صلى الله عليه وسلم «أد الأمانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك» أخرجه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن غريب قوله تعالى (ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) أي بما خانوا الأمانة ونقضوا العهد (ويتوب الله على المؤمنين والمؤمنات) أي يهديهم ويرحمهم بما أدوا من الأمانة وقيل عرضنا الأمانة ليعظهر نفاق المنافق وشرك المشرك فيعذبهما الله ويظهر إيمان المؤمن فيتوب عليه أي يعود عليه بالرحمة والمغفرة إن حصل منه تقصير في بعض الطاعات (وكان الله غفورا رحيمًا) والله أعلم بما رده وأسرار كتابه.

(تفسر سورة سبأ مكية) (وهي أربع وخمسون آية وثمانمائة وثلاثة وثلاثون كلمة وألف وخمسمائة واثنان عشر حرفًا) (بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الحمد لله الذي له ما في السموات وما في الأرض) معناه أن كل نعمة من الله فهو الحقيقي بأن يحمد ويثنى عليه من أجلها، ولما قال الحمد لله وصف ملكه فقال الذي له ما في السموات وما في الأرض أي ملكا وخلقًا (وله الحمد في الآخرة) أي كما هو له في الدنيا لأن النعم في الدارين كلها منه فكما أنه المحمود على نعم الدنيا فهو المحمود على نعم الآخرة وقيل الحمد في الآخرة هو حمد أهل الجنة كما ورد ويلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس (وهو الحكيم) أي الذي أحكم أمور الدارين (الخبير) أي بكل ما كان وما يكون (يعلم ما يلج في الأرض) أي من المطر والكتوز والأموات (وما يخرج منها) أي من النبات والشجر والعيون والمعادن والأموات إذا بعثوا (وما ينزل من السماء) أي من المطر والثلج والبرد وأنواع البركات والملائكة (وما يهرج فيها) أي في السماء من الملائكة وأعمال العباد (وهو الرحيم الغفور) أي للمفترطين في أداء ماوجب عليهم من شكر نعمه. قوله تعالى (وقال الذين كفروا لآئنا الساعه) معناه أنهم أنكروا البعث وقيل استبطئوا ما وعدوه من قيام الساعة على سبيل القهر والسحرية (قل بلى وربى لتأتينكم) يعني الساعة (عالم الغيب) أي لا يفوت علمه شيء من الخفيات وإذا

(٣٦ - خازن بالبعوى - خامس) من السماء من الأمطار (وما يعرج) يصعد (فيها) من الملائكة وأعمال العباد (وهو الرحيم الغفور وقال الذين كفروا لآئنا الساعه قل بلى وربى لتأتينكم) الساعة (عالم الغيب) قرأ أهل المدينة والشام

علم بالرفع على الاستئناف وقرأ الآخرون بالجر على نعت الرب أي وربى عالم الغيب وقرأ حمزة والكسائي علام على وزن فعال وجر الميم (لا يعزب) لا يغيب (عنه مثقال ذرة) وزن ذرة (في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك) أي من الذرة (ولا أكبر إلا في كتاب مبين ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك) يعني الذين آمنوا وعملوا الصالحات (لهم مغفرة ورزق كريم) حسن يعني في الجنة (والذين سعوا في آياتنا) في إبطال أدلتنا (معاجزين) يحسبون أنهم يفوتوننا (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) قرأ ابن كثير وحفص ويعقوب بن سالم بالرفع هاهنا وفي الجاثية على نعت العذاب ، وقرأ الآخرون بالخفض على نعت الرجز وقال قتادة الرجز سوء (٢٨٢) العذاب (ويرى الذين) أي ويرى الذين (أوتوا العلم) يعني مؤمنى أهل الكتاب

عبد الله بن سلام وأصحابه وقال قتادة هم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (الذي أنزل إليك من ربك) يعني القرآن (هو الحق) يعني أنه من عند الله (ويهدى) يعني القرآن (إلى صراط العزيز الحميد) وهو الإسلام (وقال الذين كفروا) منكربين للبعث متعجبين منه (هل ندلكم على رجل ينبسكم) أي ينبسكم يعنون محمد صلى الله عليه وسلم (إذا مزقتم كل ممزق) أي قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل فريق (ولقد آتينا داود منا فضلا) يعني النبوة (والكتاب) وقيل الملك وقيل هو جميع ما أوتى من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به

كان كذلك اندرج في علمه وقت قيام الساعة وأنها آية (لا يعزب عنه) أي لا يغيب عنه (مثقال ذرة) يعني وزن ذرة (في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك) أي من الذرة (ولا أكبر إلا في كتاب مبين) يعني في اللوح المحفوظ (ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك لهم مغفرة) أي لذنوبهم (ورزق كريم) يعني الجنة (والذين سعوا في آياتنا) يعني في إبطال أدلتنا معجزين يعني يحسبون أنهم يفوتوننا (أولئك لهم عذاب من رجز أليم) قيل الرجز سوء العذاب (ويرى الذين أوتوا العلم) يعني مؤمنى أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (الذي أنزل إليك من ربك) يعني القرآن (هو الحق) يعني أنه من عند الله (ويهدى) أي القرآن (إلى صراط العزيز الحميد) أي إلى دين الإسلام (وقال الذين كفروا) أي المنكربين للبعث المتعجبين منه (هل ندلكم) أي قال بعضهم لبعض هل ندلكم (على رجل ينبسكم) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم معناه يحدثكم بأعجوبة من الأعاجيب وهي أنكم (إذا مزقتم كل ممزق) أي قطعتم كل تقطيع وفرقتم كل فريق وصرتم ترابا (إنكم لفي خلق جديد) أي يقول إنكم تبعثون وتنشئون خلقا جديدا بعد أن تكونوا رفاتا وترابا (أفترى على الله كذبا) أي أهو مفتر على الله كذبا فيما ينسب إليه من ذلك؟ (أم به جنة) أي جنون يومه ذلك ويلقيه على لسانه قال الله تعالى ردا عليهم ليس بمحمد صلى الله عليه وسلم من الافتراء والجنون شيء وهو مبرأ منهما (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة) يعني منكربى البعث (في العذاب والضلال البعيد) أي عن الحق في الدنيا (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) أي يفعلوا أنهم حيث كانوا في أرض وتحت سماء فإن أرض وسماى محيطه بهم لا يخرجون من أقطارها وأنا قادر عليهم (إن نشأ نخسف بهم الأرض) أي كما خسفنا بقارون (أو نسقط عليهم كسفا من السماء) أي كما فعلنا بأصحاب الأبيكة (إن في ذلك) أي فيما نرون من السماء والأرض (لآية) أي تدل على قدرتنا على البعث بعد الموت (لكل عبد متيب) أي قائب راجع إلى الله تعالى بقلبه : قوله عز وجل (ولقد آتينا داود منا فضلا) يعني النبوة والكتاب : وقيل الملك وقيل هو جميع ما أوتى من حسن الصوت وغير ذلك مما خص به

تعالى ردا عليهم (بل الذين لا يؤمنون بالآخرة في العذاب والضلال البعيد) من الحق في الدنيا . قوله تعالى (أفلم يروا إلى ما بين أيديهم وما خلفهم من السماء والأرض) فيعلموا أنهم حيث كانوا فإن أرض وسماى محيطه بهم لا يخرجون من أقطارها وأنا قادر عليهم (إن نشأ نخسف بهم الأرض) قرأ الكسائي نخسف بهم بإدغام الفاء في الباء (أو نسقط عليهم كسفا من السماء) قرأ حمزة والكسائي إن يشأ نخسف أو يسقط بالياء فهين للذكر الله من قبل ، وقرأ الآخرون بالنون فهين (إن في ذلك) أي فيما نرون من السماء والأرض (لآية) تدل على قدرتنا على البعث (لكل عبد متيب) قائب راجع إلى الله بقلبه . قوله تعالى (ولقد آتينا داود منا فضلا) يعني النبوة والكتاب وقيل الملك وقيل جميع ما أوتى من

حسن الصوت وتلين الحديد وغير ذلك مما خص به (يا جبال) أي وقلنا يا جبال (أوبي) أي سبحي معه) إذا سبح وقال القتيبي أصله من التأويب في السير وهو أن يسير النهار كله فينزل ليلا كأنه قال أوبي النهار كله بالتسبيح معه وقال وهب نوحى معه (والطير) عطف على موضع الجبال لأن كل منادى في موضع النصب وقيل معناه وسخرنا وأمرنا الطير أن تسبح معه وقرأ يعقوب والطبر بالرفع ردا على الجبال أي أوبي أنت والطير وكان داود إذا نادى بالنياحة أجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه فصدى الجبال الذى يسمعه الناس اليوم من ذلك وقيل كان داود إذا تحلل الجبال فسبح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ؛ وقيل كان داود عليه السلام ، إذ لحقته فتور أسمع الله تسبيح الجبال تنشيطا له (وألنا له الحديد) حتى كان الحديد في يده كالشمع والعجين يفعل فيه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة، وكان (٢٨٣) سبب ذلك على ما روى في الأخبار

أن داود عليه السلام لما ملك بنى إسرائيل كان من عادته أن يخرج الناس متنكرا فإذا رأى رجلا لا يعرفه يقدم إليه ويسأله عن داود ويقول له ما تقول في داود واليكم هذا أي رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود عليه السلام قال إنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغنى به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فالان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع وأنه أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح وقيل إنه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف فباع منها ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين وقد صرح في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده (أن اعمل سابغات) أي دروعا كوامل واسعات طولا تسحب في الأرض قيل كان يعمل كل يوم درعا (وقدر في السرد) أي ضيق في نسج الدرع وقيل قدر المسامير في حلق الدرع ولا تجعل المسامير دقاقا فضلت ولا تثبت ولا غلاظا فتكسر الحلق وقيل قدر في السرد أي اجعله على التقصد وقدر الحاجة (واعملوا صالحا) يريد داود وآله (إني بما تعملون بصير) قوله تعالى (ولسليمان الريح) أي وسخرنا لسليمان الريح (غدوها شهر ورواحها شهر) معناه أن مسير غدوتك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسير رواحها مسيرة شهر فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قيل كان يغدو من دمشق فبقيال باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة

(يا جبال أوبي معه) أي وقلنا احصل سبحي معه إذا سبح وقيل رجعي معه إذا رجع ونوحى معه إذا ناح (والطير) أي وأمرنا الطير أن تسبح معه فكان داود إذا نادى بالتسبيح أو بالنياحة أجابته الجبال بصداها وعكفت الطير عليه من فوقه وقيل كان داود إذا لحقه ملل أو فتور أسمع الله تعالى تسبيح الجبال فينشط له (وألنا له الحديد) يعنى كان الحديد في يده كالشمع أو كالعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة قيل سبب ذلك أن داود عليه السلام لما ملك بنى إسرائيل كان من عادته أن يخرج إلى الناس متنكرا فإذا رأى إنسانا لا يعرفه تقدم إليه وسأله عن داود فيقول له ما تقول في داود واليكم هذا أي رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فقيض الله له ملكا في صورة آدمي فلما رآه داود تقدم إليه علي عادته فسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود عليه الصلاة والسلام ذلك وقال ما هي يا عبد الله قال إنه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال فتنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغنى به عن بيت المال فيتقوت منه ويطعم عياله فالان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع وأنه أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح وقيل إنه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف فباع منها ويطعم عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين وقد صرح في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده (أن اعمل سابغات) أي دروعا كوامل واسعات طولا تسحب في الأرض قيل كان يعمل كل يوم درعا (وقدر في السرد) أي ضيق في نسج الدرع وقيل قدر المسامير في حلق الدرع ولا تجعل المسامير دقاقا فضلت ولا تثبت ولا غلاظا فتكسر الحلق وقيل قدر في السرد أي اجعله على التقصد وقدر الحاجة (واعملوا صالحا) يريد داود وآله (إني بما تعملون بصير) قوله تعالى (ولسليمان الريح) أي وسخرنا لسليمان الريح (غدوها شهر ورواحها شهر) معناه أن مسير غدوتك الريح المسخرة له مسيرة شهر ومسير رواحها مسيرة شهر فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قيل كان يغدو من دمشق فبقيال باصطخر وبينهما مسيرة شهر ثم يروح من اصطخر فيبيت بكابل وبينهما مسيرة

الله تعالى له الحديد وعلمه صنعة الدروع ، أنه أول من اتخذها ويقال إنه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف درهم فباع منها ويطعم منها عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين ويقال إنه كان يعمل كل يوم درعا يبيعهما بستة آلاف درهم فينفق ألفين منها على نفسه وعياله ويتصدق بأربعة آلاف على فقراء بنى إسرائيل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان داود عليه السلام لا يأكل إلا من عمل يده) (أن اعمل سابغات) دروعا كوامل واسعات ، طولا تسحب في الأرض (وقدر في السرد) والسرد نسج الدروع يقال لصانعه السراد والزراد يقول قدر المسامير في حلق الدرع ، أي لا تجعل المسامير دقاقا فضلت ولا غلاظا فتكسر الحلق ويقال السرد المسمار في الحلقة يقال درع مسرودة أي مسمورة الحلق وقدر في السرد اجعله على التقصد وقدر الحاجة (واعملوا صالحا) يريد داود وآله (إني بما تعملون بصير) قوله تعالى (ولسليمان الريح) أي وسخرنا لسليمان الريح وقرأ أبو بكر عن عادم الريح بالرفع أي سخر له الريح (غدوها شهر ورواحها شهر) أي سير غدوتك الريح المسخرة له مسيرة شهر وسير

رواحها مسيرة شهر وكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قال الحسن كان بغدوم من دمشق فيقبل باصطخر، وبينهما مسيرة شهر تم روح من اصطخر فيبيت لكابل وبينهما مسيرة شهر للراكب المسرع وقيل إنه كان يتغذى بالري ويتعشى بسمرقندى (وأسلنا له عين القطر) أي أذنبنا له عين النحاس والقطر النحاس قال أهل التفسير أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء وكان بأرض اليمن وإثنا ينضع الناس اليوم بما أخرج الله لسليمان (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه) بأمر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان وأمرهم بطاعته فيما أمرهم به (ومن يزغ) أي يعدك (منهم) من الجن (عن أمرنا) الذي أمرناه به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) في الآخرة وقال بعضهم في الدنيا وذلك أن الله عز وجل وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن أمر سليمان ضرب به ضربة أحرقتة (يعملون) (٢٨٤) له ما يشاء من محاريب) أي مساجد والأبنية المرتفعة وكان مما عملوا

في بيت المقدس ابتدأه داود ورفع قدر قامته رجل فأوحى الله إليه إني لم أقض ذلك على يدك ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أقضى تمامه على يده فلما توفاه الله استخلف سليمان فأحب إتمام بناء بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال فخص كل طائفة منهم بعمل يستصلحه لهم فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمياه الأبيض من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ربضا وأزل كل ربض منها سبطا من الأسباط وكانوا اثني عشر سبطا، فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ

شهر للراكب المسرع وقيل إنه كان يتغذى بالري ويتعشى بسمرقندى (وأسلنا له عين القطر) أي أذنبنا له عين النحاس قال أهل التفسير أجريت له عين النحاس ثلاثة أيام بلياليهن كجري الماء وكان بأرض اليمن وقيل أذاب الله لسليمان النحاس كما ألان لداود الحديد (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه) أي بأمر ربه قال ابن عباس سخر الله الجن لسليمان عليه الصلاة والسلام وأمرهم بطاعته فيما أمرهم به (ومن يزغ) أي يعدك (منهم) من الجن (عن أمرنا) أي الذي أمرناه به من طاعة سليمان (نذقه من عذاب السعير) قيل هذا في الآخرة وقيل في الدنيا وذلك أن الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ منهم عن طاعة سليمان ضرب به بذلك السوط ضربة أحرقتة (يعملون له ما يشاء من محاريب) أي مساجد وقيل هي الأبنية المرتفعة والقصور والمجالس الشريفة المصونة عن الابتدال وكان مما عملوا له بيت المقدس وذلك أن داود عليه الصلاة والسلام ابتدأه ورفع قدر قامته رجل فأوحى الله إليه لم أقض ذلك على يدك ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أقضى إتمامه على يديه فلما توفي داود عليه السلام واستخلف سليمان عليه الصلاة والسلام أحب إتمام بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال وخص كل طائفة بعمل فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والبلور من معادنها وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثني عشر ربضا وأزل على كل ربض منها سبطا من الأسباط فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ في بناء المسجد فوجه الشياطين فر قامتهم من يستخرج الذهب والفضة من معادنها ومنهم من يستخرج الجواهر واليواقيت والدر الصافي من أما كتبها ومنهم من يأتيه بالمسك والعنبر والطيب من أما كتبها فأتى من ذلك بشيء كثير لا يحصى إلا الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الأحجار وتصويرها ألواحا وإصلاح تلك الجواهر ونقب اليواقيت والآليء فبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين البلور الصافي وسقفه بأنواع الجواهر الثمينة وفضص سقفه وحيطانه بالآليء واليواقيت وسائر الجواهر وبسط أرضه بالواح الفيروزج فلم يكن على وجه تلك الأرض يومئذ بيت أبيه ولا أنور من ذلك المسجد فكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع إليه أخبار بني إسرائيل وأعلمهم أنه بناء لله

في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فرقا يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر للصافي من البحر وفرقا يقلعون الجواهر والحجارة من أما كتبها وفرقا يأتيه بالمسك والعنبر وسائر الطيب من أما كتبها فأتى من ذلك بشيء لا يحصى إلا الله عز وجل ثم أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الحجارة المرتفعة وتصويرها ألواحا وإصلاح تلك الجواهر ونقب اليواقيت والآليء فبنى المسجد بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وعمده بأساطين المياه الصافي وسقفه بالواح الجواهر الثمينة وفضص سقفه وحيطانه بالآليء واليواقيت وسائر الجواهر وبسط أرضه بالواح الفيروزج فلم يكن يومئذ في الأرض بيت أبيه ولا أنور من ذلك المسجد وكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلما فرغ منه جمع إليه أخبار بني إسرائيل فأعلمهم أنه بناء لله عز وجل وأن كل شيء فيه خالص لله واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً وروى

عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سأل ربه ثلاثا فأعطاه اثنين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة سأل حكما يصادف حكمه فأعطاه إياه وسأله ملكا لا يبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه وسأله أن لا يأتي هذا البيت أحد يصلي فيه ركعتين إلا أخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه ذلك قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد وأخذ ما كان في سقوفه وحيطاته من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر فحملة إلى دار مملكته من أرض العراق وبنى الشياطين لسليمان باليمن حصونا كثيرة عجيبة من الصخر قوله (وتماثيل) أى كانوا يعملون له (٢٨٥) تماثيل أى صورة من نحاس

وتعالي وأن كل شيء فيه خالص له واتخذ ذلك اليوم عيداً روى عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم «أن سليمان بن داود لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل حكماً يوافق حكمه فأوتيه وسأل الله تعالى ملكاً لا يبغي لأحد من بعده فأوتيه وسأل الله عز وجل حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه إلا أخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه وأخرجه التثاني ولغير التثاني سأل ربه ثلاثاً فأعطاه اثنين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة وذكر نحوه قوله لا ينهزه أى لا ينهزه إلا الصلاة قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه الصلاة والسلام حتى غزاه بختنصر فخرب المدينة وهدم المسجد وأخذ ما فيه من الذهب والفضة وسائر أنواع الجواهر وحملة إلى دار ملكه بالعراق وبنى الشياطين لسليمان باليمن قصوراً وحصونا عجيبة من الصخر . وقوله عز وجل (وتماثيل) أى أى ويعملون له تماثيل أى صورة من نحاس ورخام وزجاج قبل كانوا يصورون السباع والطيور وغيرها وقيل كانوا يصورون صور الملائكة والأنبياء والصالحين في المساجد ليراهم الناس فيزدادوا فيها فتكون طيراً يذن الله (وجفان) أى قصاع واحدها جفنة (كالجواب) كالخياض التى يجي فيها الماء أى يجمع واحدها جابية يقال كان يقعد على الجفنة الواحدة ألف رجل يأكلون منها (وقدور راسيات) ثابتات على أئنفها لا تحرك ولا تنزل عن أماكنها لعظمتها وكان يصعد إليها بالسلام وكانت باليمن (اعملوا آل داود شكراً) أى وقلنا يا آل داود اعملوا بطاعة الله تعالى شكراً على نعمه قيل المراد من آل داود نفسه وقيل داود وسليمان وأهل بيته قال ثابت البناني كان داود نبي الله عليه الصلاة والسلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم تكن تأتي ساعة من ليل أو نهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي (وقليل من عبادى الشكور) أى قليل العامل بطاعتي شكراً لنعمتي . قوله تعالى (فلما قضينا عليه الموت) أى على

بالسلام جمع السلم وكانت باليمن (اعملوا آل داود شكراً) أى وقلنا عملوا آل داود شكراً مجازة عملوا يا آل داود بطاعة الله شكراً له على نعمته (وقليل من عبادى الشكور) أى العامل بطاعتي شكراً لنعمتي قيل المراد من آل داود هو داود نفسه وقيل داود وسليمان وأهل بيته وقال جعفر بن سليمان سمعت ثابتاً يقول كان داود نبي الله عليه السلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم يكن تأتي ساعة من ساعات الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي (فلما قضينا عليه الموت) أى على سليمان قال أهل العلم كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والسنين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه طعامه وشرابه فأدخل في المرة التى مات فيها وكان بدء ذلك أنه كان لا يصبح يوماً إلا نبتت في محراب بيت المقدس شجرة فيسألها ما سمكت فتقول اسمى كذا فيقول لأى شيء أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع ، فان كانت نبتت لغرس

بالسلام جمع السلم وكانت باليمن (اعملوا آل داود شكراً) أى وقلنا عملوا آل داود شكراً مجازة عملوا يا آل داود بطاعة الله شكراً له على نعمته (وقليل من عبادى الشكور) أى العامل بطاعتي شكراً لنعمتي قيل المراد من آل داود هو داود نفسه وقيل داود وسليمان وأهل بيته وقال جعفر بن سليمان سمعت ثابتاً يقول كان داود نبي الله عليه السلام قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهله فلم يكن تأتي ساعة من ساعات الليل والنهار إلا وإنسان من آل داود قائم يصلي (فلما قضينا عليه الموت) أى على سليمان قال أهل العلم كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والسنين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه طعامه وشرابه فأدخل في المرة التى مات فيها وكان بدء ذلك أنه كان لا يصبح يوماً إلا نبتت في محراب بيت المقدس شجرة فيسألها ما سمكت فتقول اسمى كذا فيقول لأى شيء أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع ، فان كانت نبتت لغرس

غرمها وإن كانت لدواء كتب حتى نبئت الخروبة فقال لها ما أنت قالت الخروبة قال لأي شيء نبئت قالت لخراب مسجدك فقال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حتى أنت التي على وجهك هلاك وخراب بيت المقدس فزعرها وغرمها في حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى يعلم الإنسان أن الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الإنسان أنهم يعلمون من الغيب أشياء ويعلمون ما في غد ثم دخل الخراب فقام يصلي متكئا على عصاه فات قائما وكان للمحراب كوى بين يديه وخلفه ، وكانت الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياته وينظرون إليه يحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلواته قبل ذلك فسكتوا يدأبون له بعد موته حولا كاملا حتى أكلت الأرضة عصا سليمان فخر ميتا فعملوا بموته قال ابن عباس (٢٨٦) فشكرت الجن الأرضة فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب فذلك قوله

(مادهم على موته لإذابة الأرض) وهي الأرضة التي (تأكل منسأته) يعني عصاه قرأ أهل المدينة وأبو عمرو منسأته بغير همز وقرأ الباقون بالهمز وهما لغتان ويسكن ابن عامر الهمز وأصلها من نسأت الغم أي زجرتها وسقتها ومنه نساء الله في أجله أي أخره (فلما خر) أي سقط على الأرض (تبينت الجن) أي علمت الجن وأيقنت (أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) أي في التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت يظنونه حيا أراد الله بذلك أن يعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب ، لأنهم كانوا يظنون أنهم يعلمون الغيب لغلبة

سليمان قال العلماء كان سليمان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فدخله المرة التي مات فيها وكان سبب ذلك أنه كان لا يصبح يوما إلا وقد نبئت في محرابه ببيت المقدس محبرة فيسألها ما أصحك فتقول كذا وكذا فيقول لأي شيء خلقت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فإن كانت لغرس أمر بها فغرست وإن كانت لدواء كتب ذلك حتى نبئت الخروبة فقال لها ما أنت قالت أنا الخروبة قال ولأي شيء نبئت قال لخراب مسجدك قال سليمان ما كان الله ليخربه وأنا حتى أنت التي على وجهك هلاك وخراب بيت المقدس ثم زعرها وغرمها في حائط له ثم قال اللهم عم على الجن موتي حتى تعلم الإنسان أن الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الإنسان أنهم يعلمون من الغيب شيئا ويعلمون ما في غد ثم دخل المحراب وقام يصلي على عادته متكئا على عصاه فات قائما وكان للمحراب كوى من بين يديه ومن خلفه فكان الجن يعملون تلك الأعمال الشاقة التي كانوا يعملون في حياة سليمان وينظرون إليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرون احتباسه عن الخروج إلى الناس لطول صلواته وانقطاعه قبل ذلك فسكتوا يدأبون بعد موته حولا كاملا حتى أكلت الأرضة عصا سليمان فخر ميتا فعملوا بموته قال ابن عباس فشكرت الجن الأرضة فهم يأتونها بالماء والطين في جوف الخشب فذلك قوله تعالى (مادهم على موته لإذابة الأرض) يعني الأرضة (تأكل منسأته) قال البخاري يعني عصاه (فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين) معناه علمت الجن وأيقنت أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في التعب والشقاء مسخرين لسليمان وهو ميت يظنونه حيا أراد الله تعالى بذلك أن يعلم الجن أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا يظنون ذلك لجهلهم وقيل في معنى الآية أنه ظهر أمر الجن وانكشف للإنسان أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا قد شبهوا على الإنسان ذلك ذكر أهل التاريخ أن سليمان ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وبنى في الملك مدة أربعين سنة وشرع في بناء بيت المقدس لأربع سنين مضي من ملكه وتوفي وهو ابن ثلاث وخمسين . قوله عز وجل (لقد كان لسبا

الجهل عليهم وذكر الأزهرى أن معناه تبينت الجن أي ظهرت وانكشف الجن للإنسان أي في ظهر أمرهم أنهم لا يعلمون الغيب لأنهم كانوا قد شبهوا على الإنسان ذلك وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس تبينت الإنسان أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المهين أي علمت الإنسان وأيقنت ذلك وقرأ يعقوب تبينت بضم التاء وكسر الياء أي أعلمت الإنسان الجن ذكر بلفظ مالم يسم فاعله وتبين لازم ومتعد وذكر أهل التاريخ أن سليمان كان عمره ثلاثا وخمسين سنة ، ومدة ملكه أربعون سنة وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لأربع سنين مضي من ملكه : قوله عز وجل (لقد كان لسبا) روى أبو سبرة النخعي عن فروة بن مسيك القطيعي قال قال رجل يارسلو الله وأخبرني عن سبا كان رجلا أو امرأة أو أرضا قال كانه مهجلا من العرب وله عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشاء أربعة ، فأما الذين

ليموا فكئدة والاشعريون والأزد ومدحج وأثمار ولخير فقال رجل وما أثمار فقال الذين منهم نخمهم وبجيلة وأما الذين
 تشاءوا فعاملة وجدام ونخم وغسان وسبا هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان (في مسكنهم) قرأ حمزة وحفص مسكنهم بفتح
 الكاف على الواحد وقرأ الكسائي بكسر الكاف وقرأ الآخرون مسكنهم على الجمع وكانت مسكنهم بماء من اليمن (آية) دلالة
 على وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسر الآية فقال (جنتان) أي هي جنتان بستانان (عن يمين وشمال) أي عن يمين الوادي وشماله وقيل عن يمين
 من أتاها وشماله وكان لهما واد ؛ قد أحاطت الجنتان بذلك الوادي (كلوا) أي وقيل لهم كلوا (من رزق ربكم) يعني من ثمار
 الجنتين قال السدي ومقاتل كانت المرأة تحمل مكنتها على رأسها وتمر بالجنتين فيمتلئ مكنتها من أنواع الفواكه من غير أن
 تمس شيئاً بيدها (واشكروا له) أي على ما رزقكم من النعمة والمعنى أعملوا بطاعته (بلدة طيبة) أي أرض سبا بلدة طيبة
 ليست بسبخة قال ابن زيد لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة ولا ذباب ولا (٢٨٧) برغوث ولا عقرب ولا حية وكان

الرجل يمر ببلد هم وفي
 ثيابه القمل فيموت
 القمل كله من طيب
 الهواء فذلك قوله تعالى
 بلدة طيبة أي طيبة الهواء
 (ورب غفور) قال مقاتل
 وربكم إن شكرتموه فيما
 رزقكم رب غفور
 للذنوب (فأعرضوا)
 قال وهب أرسل الله إلي
 سبا ثلاثة عشر نبياً فدعاهم
 إلى الله وذكرهم نعمه
 عليهم وأنذروهم عقابه
 فكذبوهم وقالوا ما نعرف
 الله عز وجل علينا نعمة
 فقولوا لربكم فليحبس
 هذه النعم عنا إن استطاع
 فذلك قوله تعالى فأعرضوا
 (فأرسلنا عليهم سيل
 العرم) والعرم جمع عرمة
 وهو السكر الذي يحبس
 به الماء وقال ابن الأعرابي
 العرم السيل الذي لا يطاق

في مسكنهم آية) عن فروة بن مسيك المرادي قال لما أنزل في سبا ما أنزل قال رجل يا رسول
 الله : وما سبا أرض أو امرأة قال ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرة من العرب
 فتيا من منهم ستة وتشاءم منهم أربعة فأما الذين تشاءموا فلنخم وجدام وغسان وعاملة
 وأما الذين تيامنوا فالأزد والاشعريون وحمير وكئدة ومدحج وأثمار فقال رجل
 يا رسول الله وما أثمار ؟ قال الذين منهم نخمهم وبجيلة ؛ أخرجه الترمذي مع زيادة وقال
 حديث حسن غريب وسبا هو ابن يشجب بن يعرب بن قحطان في مسكنهم أي بما رب من
 أرض اليمن آية أي دلالة على وحدانيتنا وقدرتنا ثم فسر الآية فقال تعالى (جنتان) أي بستانان
 (عن يمين وشمال) يعني عن يمين الوادي وشماله وقيل عن يمين من أتاها وشماله وقيل كان لهم
 واد قد أحاطت به الجنتان (كلوا) أي قيل لهم كلوا (من رزق ربكم) أي من ثمار الجنتين قيل
 كانت المرأة تحمل مكنتها على رأسها وتمر بالجنتين فيمتلئ المكنتل من أنواع الفواكه من غير
 أن تمس بيدها شيئاً (واشكروا له) أي على ما رزقكم من النعمة وأعملوا بطاعته (بلدة طيبة)
 أي أرض مأرب وهي سبا بلدة طيبة فسيحة ليست بسبخة وقيل لم يكن يرى في بلدتهم بعوضة
 ولا ذباب ولا برغوث ولا حية ولا عقرب وكان الرجل يمر ببلدتهم وفي ثيابه القمل فيموت
 القمل من طيب الهواء (ورب غفور) قال وهب أي وربكم إن شكرتم على ما رزقكم رب غفور
 لمن شكره . قوله عز وجل (فأعرضوا) قال وهب أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً فدعاهم إلى
 الله تعالى وذكرهم نعمه عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف الله علينا نعمة فقولوا
 لربكم فليحبس هذه النعمة عنا إن استطاع فذلك اعراضهم (فأرسلنا عليهم سيل العرم) العرم
 الذي لا يطاق قيل كان ماء أحمر أرسله الله تعالى عليهم من حيث شاء وقيل العرم السكر الذي
 يحبس الماء وقيل العرم الوادي قال ابن عباس ووهب وغيرهما كان لهم سد بنته بلقيس وذلك
 أنهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فأمرت بواديهم فسد بالصخر القارين الجليلين وجعلت
 لهم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض وبنيت دونه بركة ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجاً

وقيل كان ماء أحمر أرسله الله عليهم من حيث شاء وقيل العرم الوادي وأصله من العرامة وهي الشدة والقوة وقال ابن عباس
 ووهب وغيرهما كان ذلك السد بنته بلقيس وذلك أنهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فأمرت بواديهم فسد بالعرم وهو
 المسناة بلغة حمير فسدت بين الجليلين بالصخر والقار وجعلت له أبواباً ثلاثة بعضها فوق بعض ، وبنيت من دونه بركة
 ضخمة وجعلت فيها اثني عشر مخرجاً على عدة أنهارهم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء وإذا استغنوا سدوها فإذا جاء المطر
 اجتمع إليه ماء أودية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه في البركة فكانوا يسقون
 من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث الأسفل فلا ينفذ الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على
 ذلك فبقوا على ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلب الله عليهم جرذاً يسمى الخلد ؛ فنقب السد من أسفله فغرق الماء
 جنتهم وغرب أرضهم قال وهب وكان مما يزعمون ويجحدون في علمهم وكهانتهم أنه نخر سدهم فارة فلم يتركوا فرجة

بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمانه وما أراد الله عز وجل بهم من التعريق أقبلت فيها يدكرون فارة حمراء كبيرة إلى هرة من تلك المهر فساورتها حتى استأخرت منها الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت عندها فتغلقت في السد ففتحت وحفرت حتى أوهنته للسيل وهم لا يدرون بذلك فلما جاء السيل وجد خللا ، فدخل فيه حتى قطع السد وقاض على أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل فتفرقوا وتمزقوا حتى صاروا مثلاً عند العرب يقولون صار بنو فلان أيدي سباً وأيادي سباً ، أي تفرقوا وتبددوا فذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل العرم (وبدلناهم جنتين ذواتي أكل حط) قرأ العامة بالتنون وقرأ أهل البصرة أكل حط بالإضافة (٢٨٨) والأكل الثمر والحط الأراش وثمره يقال له البربر هذا قول أكثر المفسرين

وقال المبرد والزجاج كل نبت قد أخذ طعاماً من المرارة حتى لا يمكن أكله هو حط وقال ابن الأعرابي الحط ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صورة الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به فن جعل الحط اسماً للمأكول فالتنون في أكل حسن ومن جعله أصلاً ، وجعل الأكل ثمرة فالإضافة ظاهرة والتنون سائغ تقول العرب في بستان فلان أعناب كرم يترجم عن الأعناب بالسكرم لأنها منه (وأثل وشي من سدر قليل) فالأثل هو الطرفاء وقيل هو شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه (وشي من سدر قليل) هو شجر معروف ينتفع بورقه في الغسل وثمره النبق ولم يكن السدر الذي يدلوه مما ينتفع به بل كان سدرا برياً لا يصلح لشيء قيل كان شجر القوم من خير الشجر فصبره الله من شر الشجر بأعمالهم وهو قوله تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا) أي ذلك الذي فعلنا بهم جزاء كفرهم (وهل نجازي إلا الكفور) أي هل يكافأ بعمله إلا الكفور لله في نعمه قيل المؤمن يجزي ولا يجزي بجزائه بحسناته ولا يكافأ بسيناته (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) أي بالماء والشجر وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) أي متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربها منها قيل كان متجرهم من اليمن إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقبلون بأخري وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام وقيل كانت قرأهم أربعة آلاف وسبعمائه قرية متصلة من سبأ

على عدة أنهارهم يفتحونها إذا احتاجوا إلى الماء وإذا استغنوا عنه سدوها فإذا جاءهم المطر اجتمع إليهم ماء أو دية اليمن فاحتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب الأعلى ففتح فجرى ماؤه إلى البركة فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث الأسفل فلا ينفذ الماء حتى يثوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا بعدها مدة فلما طغوا وكفروا سلط الله عليهم جرذا يسمى الخلد فتغيب السد من أسفله فغرق الماء جنانهم وأخرب أرضهم وقال وهب رأوا فيها يزعمون ويجدون في علمهم أن الذي يجرب سددهم فارة فلم يتركوا فرجة بين حجرين إلا ربطوا عندها هرة فلما جاء زمان ما أراد الله تعالى بهم من التعريق أقبلت فيها يدكرون فارة حمراء كبيرة إلى هرة من تلك المهر فساورتها حتى استأخرت عنها الهرة فدخلت في الفرجة التي كانت عندها فتغلقت في السد وحفرت حتى أوهنت السيل وهم لا يعلمون بذلك فلما جاء السيل وجد خللا فدخل منه حتى اقتلع السد وقاض الماء حتى علا أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الرمل فغرقوا ومزقوا كل ممزق حتى صاروا مثلاً عند العرب يقولون ذهبوا أيدي سباً وتفرقوا أيادي سباً فذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم سيل العرم (وبدلناهم جنتين ذواتي أكل حط) قيل هو شجر الأراك وثمره البربر وقيل كل نبت أخذ طعاماً من المرارة حتى لا يمكن أكله فهو حط وقيل هو ثمر شجر يقال له فسوة الضبع على صور الخشخاش يتفرك ولا ينتفع به (وأثل) قيل هو الطرفاء وقيل شجر يشبه الطرفاء إلا أنه أعظم منه (وشي من سدر قليل) هو شجر معروف ينتفع بورقه في الغسل وثمره النبق ولم يكن السدر الذي يدلوه مما ينتفع به بل كان سدرا برياً لا يصلح لشيء قيل كان شجر القوم من خير الشجر فصبره الله من شر الشجر بأعمالهم وهو قوله تعالى (ذلك جزيناهم بما كفروا) أي ذلك الذي فعلنا بهم جزاء كفرهم (وهل نجازي إلا الكفور) أي هل يكافأ بعمله إلا الكفور لله في نعمه قيل المؤمن يجزي ولا يجزي بجزائه بحسناته ولا يكافأ بسيناته (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) أي بالماء والشجر وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) أي متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربها منها قيل كان متجرهم من اليمن إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية ويقبلون بأخري وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام وقيل كانت قرأهم أربعة آلاف وسبعمائه قرية متصلة من سبأ

من ذلك بل كان سدرا برياً لا ينتفع به ولا يصلح ورقه لشيء قال قتادة كان شجر القوم من خير الشجر فصبره الله من شر الشجر بأعمالهم (ذلك جزيناهم بما كفروا) أي ذلك الذي فعلنا بهم جزيناهم بكفرهم (وهل نجازي إلا الكفور) قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب وهل نجازي بالنون وكسر الزاي الكفور نصب لقوله ذلك جزيناهم وقرأ الآخرون بالياء وفتح الزاي الكفور رفع أي وهل نجازي مثل هذا الجزاء إلا الكفور وقال مجاهد يجازي أي يعاقب ويقال في العقوبة يجازي وفي المثوبة يجزي قال مقاتل هل يكافأ بعمله السبأ إلا الكفور لله في نعمه قال القراء المؤمن يجزي ولا يجزي أي يجزي الثواب بعمله ولا يكافأ بسيناته (وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها) بالماء والشجر وهي قرى الشام (قرى ظاهرة) متواصلة تظهر الثانية من الأولى لقربها منها ، وكان متجرهم من اليمن إلى الشام فكانوا يبيتون بقرية

ويقبلون بأخرى وكانوا لا يحتاجون إلى حمل زاد من سبأ إلى الشام وقيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام (وقدرنا فيها السير) أي قدرنا سيرهم بين هذه القرى وكان سيرهم في الغدو الرواح على قدر نصف يوم فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار وقال قتادة كانت المرأة تخرج ومعها مغزها ؛ وعلى رأسها مكنلتها فتمتن بمغزها فلا تأتي بينها حتى تمتلئ مكنلتها من الثمار وكان ما بين اليمن والشام كذلك (سيروا فيها) أي وقتلنا لهم يروا فيها وقبل هو أمر بمعنى الخير أي مكناتهم من السير فكانوا يسرون فيها (ليالي وأياما) أي بالليالي والأيام أي وقت شتم (أمين) لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطروا وطغوا ولم يصبروا على العافية ؛ وقالوا لو كانت جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن نشبهه (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) فاجعل بيننا وبين الشام فلو ات ومفاوز لتركب فيها الرواحل وتزود الأزواد فاجعل الله لهم الإجابة وقال مجاهد بطروا التعمه ومشموا الراحة قرأ ابن كثير وأبو عمرو بعد بالتشديد من التباعد وقرأ الآخرون باعد بالألف وكل على وجه الدعاء والسؤال وقرأ يعقوب بن تارغيب الباء باعد بفتح (٣٨٩) العين والدال على الخير كأنهم

استبعدوا أسفارهم القرية

بطروا وأشروا (وظلموا

أنفسهم) بالبطر

والطغيان قوله تعالى

(فجعلناهم أحاديث)

عبرة لمن بعدهم يتحدثون

بأمرهم وشأنهم (ومزقناهم

كل ممزق) فرقناهم في

كل وجه من البلاد كل

التفريق قال الشعبي لما

غرقت قراهم تفرقوا في

البلاد أما غسان فلحقوا

بالشام ومر الأزد إلى

عمان وخزاعة إلى تهامة

ومر آل خزيمة إلى العراق

والأوس والخزرج إلى

يثرب وكان الذي قدم

منهم المدينة عمرو بن

عامر وهو جد الأوس

إلى الشام (وقدرنا فيها السير) أي قدرنا سيرهم بين هذه القرى فكان سيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار فكان ما بين اليمن والشام كذلك (سيروا) أي وقتلنا لهم سيروا (فيها ليالي وأياما) أي في أي وقت شتم (أمين) أي لا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا فبطروا التعمه ومشموا الراحة وطغوا ولم يصبروا على العافية فقالوا لو كانت جناتنا أبعد مما هي كان أجدر أن نشبهها وطلبوا الكد والتعب في الأسفار (فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) وقرئ باعد بين أسفارنا أي اجعل بيننا وبين الشام مفاوز وفلوات لتركب فيها الرواحل وتزود الأزواد فلما تمنا ذلك عجل الله لهم الإجابة (وظلموا أنفسهم) أي بالبطر والطغيان (فجعلناهم أحاديث) أي عبرة لمن بعدهم يتحدثون بأمرهم وشأنهم (ومزقناهم كل ممزق) أي فرقناهم في كل وجه من البلاد كل التفريق قال الشعبي لما غرقت قراهم تفرقوا في البلاد فأما غسان فلحقوا بالشام ومر الأزد إلى عمان وخزاعة إلى تهامة ومر الأوس والخزرج إلى يثرب ، وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الأوس والخزرج ولحق آل خزيمة بالعراق (إن في ذلك لآيات) أي لعبرا ودلالات (لكل صبار) أي عن المعاصي (شكور) أي لله على نعمه قيل المؤمن صابر على البلاء شاكر للنعماء وقيل المؤمن إذا أعطى شكر وإذا ابتلى صبر . قوله عز وجل (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) قيل على أهل سبأ وقيل على الناس كلهم (فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين) قال ابن عباس رضي الله عنهما يعني المؤمنين كلهم لأنهم لم يتبعوه في أصل الدين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة إن إبليس لما سأل النظره فأنظره الله قال لأغوينهم ولأضلنهم ولم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة

(٣٧) - خازن بالبعوى - خامس) والخزرج (إن في ذلك لآيات) لعبرا ودلالات (لكل صبار) عن معاصي الله (شكور)

لأنعمه قال مقاتل يعني المؤمن من هذه الأمة صبور على البلاء شاكر للنعماء قال مطرف هو المؤمن إذا أعطى شكر وإذا ابتلى

صبر قوله تعالى (ولقد صدق عليهم إبليس ظنه) قرأ أهل الكوفة صدق بالتشديد أي ظن فيهم ظنا حيث قال : « فبعزتك

لأغوينهم أجمعين ، ولا تجد أكثرهم شاكرين فصدق ظنه وحققه بفعله ذلك بهم واتباعهم إياه وقرأ الآخرون بالتخفيف أي

صدق عليهم في ظنه بهم أي على أهل سبأ وقال مجاهد على الناس كلهم إلا من أطاع الله (فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين)

قال السدي عن ابن عباس يعني المؤمنين كلهم لأن المؤمنين لم يتبعوه في أصل الدين وقد قال الله تعالى (إن عبادي ليس لك

عليهم سلطان) يعني المؤمنين وقيل هو خاص بالمؤمنين الذين يطيعون الله ولا يعصونه قال ابن قتيبة إن إبليس لما سأل النظره

فأنظره الله وقال لأغوينهم أجمعين ولأضلنهم لم يكن مستيقنا وقت هذه المقالة أن ما قاله فيهم يتم وإنما قاله ظنا فيهم ، فلما

اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم قال الحسن إنه لم يسأل عليهم سيقا ولا ضربهم بسوط وإنما وعدهم ومناهم فاغتروا وقال

الله تعالى (وما كان له عليهم من سلطان) أى ما كان تسليطنا إياه عليهم (إلا لنعلم من يؤمن بالأخرة ممن هو منها في شك) أى
إلا لنعلم أى لئرى ونميز المؤمن من الكافر وأراد علم الوقوع والظهور وقد كان معلوما عنده بالغيب (وربك على كل شىء
حفيظ) رقيب (قل) يا محمد لكفار مكة (ادعوا الذين زعمتم) أنهم آلهة (من دون الله) وفي الآية حذف أى ادعوهم ليكشفوا
الضر الذى نزل بكم في سنى الجرع ثم وصفها فقال (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) من خبر وشر ونفع
وضر (وما لهم) أى للآلهة (فيهما) في السموات والأرض (من شرك) من شركة (وما له) أى وما لله (منهم) منهم من ظهير
(ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن) (٢٩٠) أذن له (الله في الشفاعة) قاله تكديبا لهم حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا

عند الله ويجوز أن يكون
المعنى إلا لمن أذن الله له
أن يشفع له وقرأ أبو عمرو
وحزمة والكسائي أذن
بضم الهمزة (حتى إذا
فرغ من قلوبهم) قرأ ابن
عامر ويعقوب بفتح الفاء
والزاي وقرأ الآخرون بضم
الفاء وكسر الزاي أى
كشف الفزع وأخرج عن
قلوبهم فالتفريع إزالة
الفزع كالتفريع والتفريد
واختلفوا في الموصوفين
بهذه الصفة فقال قوم
هم الملائكة ثم اختلفوا
في ذلك السبب فقال
بعضهم إنما يفزع عن
قلوبهم من غشية تصيبهم
عند سماع كلام الله عز
وجل . وروينا عن أبي
هريرة أن نبي الله صلى
الله عليه وسلم قال «إذا
قضى الله الأمر في السماء
ضربت الملائكة بأجنحتها
خضعانا لقوله كأنه

أن ما قاله فيهم يتم وإنما قاله ظنا فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنهم وقال الحسن إنه لم
يسل عليهم شيئا ولا ضرهم بسوط وإنما وعدهم ومناهم فاعتروا (وما كان له عليهم من سلطان)
يعنى ما كان تسليطنا إياه عليهم (إلا لنعلم من يؤمن بالأخرة ممن هو منها في شك) يعنى لئرى
ونميز المؤمن من الكافر وأراد علم الوقوع والظهور إذ كان معلوما عنده لأنه عالم الغيب (وربك
على كل شىء حفيظ) يعنى رقيب وقيل حفيظ بمعنى حافظ . قوله تعالى (قل) يعنى قل يا محمد
لكفار مكة (ادعوا الذين زعمتم) يعنى أنهم آلهة (من دون الله) والمعنى ادعوهم ليكشفوا عنكم
الضر الذى نزل بكم في سنى الجرع ثم وصف عجز الآلهة فقال تعالى (لا يملكون مثقال ذرة
في السموات ولا في الأرض) يعنى من خبر وشر ونفع وضر (وما لهم) يعنى للآلهة (فيهما) يعنى
في السموات والأرض (من شرك) يعنى من شركة (وما له) يعنى لله (منهم) يعنى من الآلهة (من
ظهير) عون (ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له) يعنى أذن الله له في الشفاعة قاله تكديبا
للشركاء حيث قالوا هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقيل يجوز أن يكون المعنى إلا لمن أذن الله في أن
يشفع له (حتى إذا فرغ من قلوبهم) معناه كشف الفزع وأخرج عن قلوبهم قيل هم الملائكة وسبب
ذلك من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله تعالى (خ) عن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن
النبي صلى الله عليه وسلم قال «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها» فإذا فرغ
عن قلوبهم (قالوا ماذا قال ربكم قالوا) الحق (وهو العلى الكبير) وللمزمذى إذا قضى
الله في السماء أمرا ضربت الملائكة بأجنحتها خضعنا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فإذا فرغ
عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير» قال الترمذى حديث حسن صحيح
قوله خضعنا جمع خاضع وهو المتقاد المطمن والصفوان الحجر الأملس عن ابن مسعود رضى
الله عنه قال «إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السموات صلصلة كجبر السلسلة على الصفوة فيصعقون
فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم جبريل فإذا جاء فرغ عن قلوبهم فيقولون يا جبريل ماذا قال
ربك فيقول الحق فيقولون الحق» أخرجه أبو داود . الصلصلة صوت الأجراس الصلبة بعضها
على بعض وقيل إنما يفزعون حلدا من قيام الساعة قيل كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما
الصلاة والسلام خمسمائة سنة أو ستمائة لم تسمع الملائكة فيها صوت وحي فلما بعث الله محمدا
صلى الله عليه وسلم كلم جبريل بالرسالة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا

سلسلة على صفوان فإذا فرغ عن قلوبهم (قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق) أنها
وهو العلى الكبير) أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو إسحاق الثعلبي قال أنبأني محمد بن الفضل بن محمد . أنا أبو بكر محمد
ابن إسحاق بن خزيمة أنا زكريا بن يحيى بن أبان المصرى أنا نعيم بن حماد أنا أبو الوليد بن مسلم عن عبد الرحمن بن يزيد
ابن جابر عن ابن أبي زكريا عن رجاء بن حيوة عن النواص بن سمعان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إذا أراد الله
أن يوحى بالأمر تكلم بالوحي أخذت السموات منه رجفة أو قال رعدة شديدة خوفا من الله تعالى فإذا سمع بذلك أهل السموات
صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله من وحيه بما أراد ثم يمر جبريل على الملائكة كلما

مر على سماء سألته ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل فيقول جبريل قال الحق وهو العلي الكبير قال فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل فينتهي جبريل بالوحي حيث أمره الله وقال بعضهم إنما يفزعون حذرا من قيام الساعة قال مقاتل والكلبي والسدي كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام خمسين سنة وقيل ستمائة سنة لم تسمع الملائكة فيها وحيا فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل عليه السلام بالرسالة إلى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا أنها الساعة لأن محمدا صلى الله عليه وسلم عند أهل السموات بعثته من أشراط الساعة فصعقوا مما سمعوا خوفا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل جعل يمر بأهل كل سماء فيكشف عنهم فيرفعون رؤوسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا قال الحق يعني الوحي وهو العلي الكبير

وقيل الموصوفون بذلك هم المشركون وقيل إذا كشف الفزع عن قلوبهم عند نزول الموت قالت الملائكة لهم ماذا قال ربكم في الدنيا لإقامة الحجج عليهم قالوا الحق فأقروا به حين لم ينفعهم الإقرار وهو العلي الكبير أي ذو العلو والكبرياء . قوله عز وجل (قل من يرزقكم من السموات والأرض) يعني المطر والنبات (قل الله) يعني إن لم يقولوا إن رزاقنا هو الله فقل أنت إن رازقكم هو الله (وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين) معناه ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال وهذا ليس على طريق الشك بل جهة الالتزام والانصاف في الحجاج كما يقول القائل أحدنا كاذب وهو يعلم أنه صادق وصاحبه كاذب فالنبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال فكذبهم من غير أن يصرح بالتكذيب ومنه بيت حسان :

أهجوته ولست له بكفء فشر كما تخبر كما الفداء

وقيل أو بمعنى الواو ، ومعنى الآية إنا لعلى هدى وإنكم لفي ضلال مبين (قل لا تستلثون عما أجرمتنا) أي لا تؤاخذون به (ولا تستلث عما تعملون) أي من الكفر والتكذيب وقيل أراد بالإجرام الصغار والزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعامل الكفر والمعاصي العظام (قل يجمع بيننا ربنا) أي يوم القيامة (ثم يفتح) يعني يقضي ويحكم (بيننا بالحق) يعني بالعدل (وهو الفتح) يعني القاضي (العليم) يعني بما يقضي (قل أروني) أعلموني (الذين ألحقتم به) يعني بالله (شركاء) يعني الأصنام التي أشركوها معه في العبادة هل يخلقون أو يرزقون أو أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في إلحاق الشركاء بالله (كلا) كلمة ردع لهم عن مذهبهم والمعنى ارتدعوا فإنهم لا يخلقون ولا يرزقون (بل هو الله العزيز) أي الغالب على أمره (الحكيم) أي في تدبير خلقه فأني يكون له شريك في ملكه . قوله عز وجل (وما أرسلناك إلا كافة للناس) يعني للناس كلهم عامة

طريق الشك ولكن على جهة الإنصاف في الحجاج كما يقول القائل للآخر أحدنا كاذب وهو يعلم أنه صادق وصاحبه كاذب والمعنى ما نحن وأنتم على أمر واحد بل أحد الفريقين مهتد والآخر ضال . فالنبي صلى الله عليه وسلم ومن اتبعه على الهدى ومن خالفه في ضلال فكذبهم من غير أن يصرح بالتكذيب وقال بعضهم أو بمعنى الواو والألف فيه صلة كأنه قال وإنا وإياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين يعني نحن على الهدى وأنتم في الضلال (قل لا تستلثون عما أجرمتنا ولا تستلث عما تعملون) أي يجمع بيننا ربنا (يعني يوم القيامة) يفتح) يقضي (بيننا بالحق) وهو الفتح العليم قل أروني الذين ألحقتم به شركاء) أي أعلموني الذين ألحقتموهم به أي بالله شركاء في العبادة هل يخلقون وهل يرزقون (كلا) لا يخلقون ولا يرزقون (بل هو الله العزيز) الغالب على أمره (الحكيم) في تدبيره خلقه فأني يكون له شريك في ملكه قوله عز وجل (وما أرسلناك إلا كافة للناس)

بعض الناس أحمرهم وأسودهم (يشيرا ونذيرا) أي مبشرا ومنذرا (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) وروينا عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس عامة» وقيل كافة أي كانا بكفهم عما هم عليه من الكفر والهالك للمبالغة (ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) يعني القيامة (قل لكم ميعاد يوم لا تتأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) أي (٢٩٢) لا تتقدمون عليه يعني يوم القيامة وقال الضحاك يوم الموت لا تتأخرون عنه

ولا تتقدمون بأن يزداد في أجلكم أو ينقص منه (وقال الذين كفروا لن يؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) يعني التوراة والإنجيل (ولو ترى) يا محمد (إذ الظالمون موقوفون) محبسون (عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول) يرد بعضهم إلى بعض القول في الجدال (يقول الذين استضعفوا) استحقروا وهم الأتباع (الذين استكبروا) وهم القادة والأشراف (لولا أنتم لكننا مؤمنين) أي أنتم منعمونا عن الإيمان بالله ورسوله (قال الذين استكبروا) أجابهم المتبوعون في الكفر (الذين استضعفوا) للذين استضعفوا نحن صددناكم عن (أي بترك الإيمان) وقال الذين استكبروا بل مكر الليل والنهار (أي مكركم بنا في الليل والنهار وقيل مكر الليل والنهار هو طول السلامة في الدنيا وطول الأمل فيها) (إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أي هو قول القادة للأتباع إن ديننا الحق وإن محمدا كذاب ساحر وهذا تنبيه للكفار أن تصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا سبب عداوتهم في الآخرة (وأسرؤا الندامة) أي أظهروها وقيل أخفوها وهو من الأصداد (لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا) أي في النار الأتباع والمتبوعين جميعا (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) أي من الكفر والمعاصي في الدنيا (وما أرسلنا

أحمرهم وأسودهم عربهم وعجمهم وقيل الرسالة عامة لهم لأنها إذا شملتهم فقد كفتمهم أن يخرج منها أحد (ق) عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعطيت خمسا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا فإنيما رجل من امتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعث إلى الناس عامة». في الحديث بيان الفضائل التي خص الله بها نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم دون سائر الأنبياء وأن هذه الخمسة لم تكن لأحد من قبله من الأنبياء وفيه اختصاصه بالرسالة العامة لكافة الخلق الإنس والجن وكان النبي قبله يبعث إلى قومه أو إلى أهل بلده فعمت رسالة نبينا صلى الله عليه وسلم جميع الخلق وهذه درجة خص بها دون سائر الأنبياء عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام وقيل في معنى كافة أي كافأ فكفهم عما هم عليه من الكفر فتكون الهاء للمبالغة (بشيرا) أي لمن آمن بالجنة (ونذيرا) أي لمن كفر بالنار (ولكن أكثر الناس لا يعلمون ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين) يعني يوم القيامة (قل لكم ميعاد يوم لا تتأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون) معناه لا تتقدمون على يوم القيامة وقيل عن يوم الموت ولا تتأخرون عنه بأن يزداد في آجالهم أو ينقص منها (وقال الذين كفروا لن يؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه) يعني التوراة والإنجيل (ولو ترى) أي يا محمد (إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول) معناه ولو ترى في الآخرة موقفهم وهم يتجادبون أطراف المخاوردة ويتراجمونها بينهم لرأيت العجب (يقول الذين استضعفوا) وهم الأتباع (الذين استكبروا) وهم القادة والأشراف (لولا أنتم لكننا مؤمنين) أي أنتم منعمونا عن الإيمان بالله ورسوله (قال الذين استكبروا) أجابهم المتبوعون في الكفر (الذين استضعفوا) للذين استضعفوا نحن صددناكم (عن الهدى) أي عن الإيمان (بعد إذ جاءكم بل كنتم مجرمين) أي بترك الإيمان (الذين استضعفوا) للذين استضعفوا نحن صددناكم عن (أي بترك الإيمان) وقال الذين استكبروا بل مكر الليل والنهار (أي مكركم بنا في الليل والنهار وقيل مكر الليل والنهار هو طول السلامة في الدنيا وطول الأمل فيها) (إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا) أي هو قول القادة للأتباع إن ديننا الحق وإن محمدا كذاب ساحر وهذا تنبيه للكفار أن تصير طاعة بعضهم لبعض في الدنيا سبب عداوتهم في الآخرة (وأسرؤا الندامة) أي أظهروها وقيل أخفوها وهو من الأصداد (لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا) أي في النار الأتباع والمتبوعين جميعا (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) أي من الكفر والمعاصي في الدنيا (وما أرسلنا

في قرية الكلام كما قال الشاعر: * ونمت وما ليل المطي بناثم *

وقيل مكر الليل والنهار هو طول السلامة وطول الأمل فيهما كقوله تعالي وفطال عليهم الأمد فقتت قلوبهم (إذ تأمرونا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا وأسرؤا) الندامة) وقيل أخفوا وهو من الأصداد (لما رأوا العذاب وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا) في النار الأتباع والمتبوعين جميعا (هل يجزون إلا ما كانوا يعملون) من الكفر والمعاصي في الدنيا (وما أرسلنا

في قرية من نذير إلا قال من فوها) رؤساؤها وأغنياؤها (إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا) يعني قال المترفون للفقراء الذين آمنوا (نحن أكثر أموالا وأولادا) ولولم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل لم يخولنا الأموال والأولاد (وما نحن بمعذبين) أي إن الله أحسن إلينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا (قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني أن الله يبسط الرزق ويقدر ابتلاء وامتحانا لا يدل البسط على رضا الله عنه ولا التضييق على سخطه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أنها كذلك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلق) أي قرّبي قال الأخفش قرّبي اسم مصدر؛ كأنه قال بالتي تقرّبكم عندنا تقرّبا (إلا من آمن) يعني لكن من آمن (وعمل صالحا) قال ابن عباس يريد إيمانه وعمله يقربه مني (فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) أي يضعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشرة (٢٩٣) إلى سبعمائة قرأ يعقوب جزاء

منصوبا منونا الضعف رفع تقديره لهم الضعف جزاء وقر العامة بالإضافة (وهم في العرفات آمنون) قرأ حمزة في العرفة على واحدة وقرأ الآخرون بالجمع لقوله لنبوأنهم من الجنة عرفا (والذين يسعون) يعملون (في آياتنا) في إبطال حجتنا (معاجزين) معاندين يحسبون أنهم يعجزوننا ويفوتوننا (أولئك في العذاب محضرون قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) أي يعطى خلفه إذا كان في غير إسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه لا معوض سواه إما عاجلا بالمال أو بالفتنة التي هي كثر لا ينفد وإما بالثواب في الآخرة الذي كل خلف دونه وقيل ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم من خير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فإن الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينتق جميع ما في يده ثم يبق طول عمره في فقره ولا يتأولن وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فإن هذا في الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه (ق) عن ابن هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تبارك وتعالى: أنفق ينفق عليك» وللمسلم «يا ابن آدم أنفق أنفق عليك» (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا» (م) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» (وهو خير الرازقين) أي خير من يعطى ويرزق لأن

في قرية من نذير إلا قال من فوها) أي رؤساؤها وأغنياؤها (إنا بما أرسلتم به كافرون وقالوا) يعني المترفين والأغنياء للفقراء الذين آمنوا (نحن أكثر أموالا وأولادا) يعني لولم يكن الله راضيا بما نحن عليه من الدين والعمل الصالح لم يخولنا أموالا ولا أولادا (وما نحن بمعذبين) أي إن الله قد أحسن إلينا في الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا في الآخرة (قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يعني أنه تعالى يبسط الرزق ابتلاء وامتحانا ولا يدل البسط على رضا الله تعالى ولا التضييق على سخطه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أي إنها كذلك (وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقرّبكم عندنا زلق) أي بالتي تقرّبكم عندنا تقرّبا (إلا من آمن) أي لكن (من آمن وعمل صالحا) قال ابن عباس يريد إيمانه وعلمه يقربه مني (فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا) أي يضعف الله لهم حسناتهم فيجزى بالحسنة الواحدة عشر إلى سبعمائة (وهم في العرفات آمنون) والذين يسعون (في آياتنا) أي يعملون (في إبطال حجتنا) أي معاجزين (معاجزين) أي معاندين يحسبون أنهم يعجزوننا ويفوتوننا (أولئك في العذاب محضرون) . قوله عز وجل (قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) أي يعطى خلفه إذا كان في غير إسراف ولا تقتير فهو يخلفه ويعوضه لا معوض سواه إما عاجلا بالمال أو بالفتنة التي هي كثر لا ينفد وإما بالثواب في الآخرة الذي كل خلف دونه وقيل ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم من خير فهو يخلفه على المنفق قال مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه فليقتصد فإن الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينتق جميع ما في يده ثم يبق طول عمره في فقره ولا يتأولن وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فإن هذا في الآخرة ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه (ق) عن ابن هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال الله تبارك وتعالى: أنفق ينفق عليك» وللمسلم «يا ابن آدم أنفق أنفق عليك» (ق) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا» (م) عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما نقصت صدقة من مال وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزا وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله» (وهو خير الرازقين) أي خير من يعطى ويرزق لأن

وأنفقتم في الخير من نفقة فهو يخلفه على المنفق إما أن يعجله في الدنيا وإما أن يدخره له في الآخرة (وهو خير الرازقين) خير من يعطى ويرزق . وروينا عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قال الله تعالى أنفق يا ابن آدم أنفق عليك» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل ثنا إسماعيل ثنا أبي عن سليمان هو ابن بلال عن معاوية بن أبي مزرع عن أبي الجحباب عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان يقول أحدهما اللهم أعط متفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلفا» أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان أنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرباني أنا حميد بن زيحويه أنا ابن أبي أويس أنا عبد العزيز بن محمد عن العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما نقصت صدقة من مال

وما زاد الله عبدا بعفو إلا عزاً وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا أبو الربيع أنا عبد الحميد ابن الحسن الحلالي أنا محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكل معروف صدقة وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما وقى الرجل به عرضه كتب له به صدقة قلت ما يعنى ما وقى الرجل به عرضه قال ما أعطى الشاعر :

وذا اللسان للثنى وما أنفق المؤمن من نفقة فعلى الله خلفها ضامنا إلا ما كان من نفقة في بئان أو في معصية الله عز وجل قوله قلت ما يعنى يقول عبدا لحميد لمحمد بن المنكدر قال مجاهد إذا كان في يد أحدكم ثنى فليقتصد ولا يتأول هذه الآية وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه فإن الرزق مقسوم لعل رزقه قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه قوله تعالى (ويوم نحشرهم) قرأ يعقوب وحفص (٣٩٤) يحشرهم ويقول بالياء فيهما وقرأ الآخرون بالنون (جميعا) يعنى هؤلاء

الكفار (ثم نقول للملائكة هؤلاء إياكم كانوا يعبدون) في الدنيا قال قتادة هذا استفهام تقرير كقوله تعالى لعيسى «أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله» فتبرأ منهم الملائكة (قالوا سبحانك) تنزيها لك (أنت ولينا من دونهم) أى نحن نتولاك ولا نتولاهم (بل كانوا يعبدون الجن) يعنى الشياطين فان قلت قد عبدوا الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن . قلت أراد أن الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فأطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صوروا لهم صوراً وقالوا لهم هذه صور الملائكة فاعبدوها فعبدوها وقيل كانوا يدخلون في أجواف الأصنام فيعبدون بعبادتها (أكثرهم بهم مؤمنون) يعنى مصدقون للشياطين قال الله تعالى (فالיום لا يملك بعضكم لبعض نفعاً) أى شفاعة (ولا ضراً) أى بالعذاب يريد أنهم عاجزون ولا نفع عندهم ولا ضرر (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون وإذا تلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل) يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم (يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفاك مفترى) يعنون القرآن (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين وما آتيناهم) يعنى هؤلاء المشركين (من كتب يدرسونها) أى يقرءونها (وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) أى لم يأت العرب قبلك نبي ولا أنزل إليهم كتاب (وكذب الذين من قبلهم) أى من الأمم السالفة أرسلنا (وما بلغوا) يعنى هؤلاء المشركين (معشار) أى عشر (ما آتيناهم) أى أعطينا الأمم الحالية من القوة والثروة وطول الأعمار (فكذبوا ورسلى فكيف كان تكبير) أى إنكارى عليهم يحذر بذلك كفار هذه الأمة عذاب الأمم الماضية . قوله عز وجل (قل إنما أعظكم) أى أمركم وأوصيكم (بواحدة) أى بخصلة واحدة ثم بين تلك

كل ما رزق غيره من سلطان يرزق جنده أو سيد يرزق مملوكه أو رجل يرزق عياله فهو من رزق الله أجراه الله على أيدي هؤلاء وهو الرزاق الحقيقي الذى لا رازق سواه . قوله تعالى (ويوم نحشرهم جميعاً) يعنى هؤلاء الكفار (ثم نقول للملائكة هؤلاء إياكم كانوا يعبدون) أى في الدنيا وهذا استفهام تقرير وتقرير للكفار فتبرأ الملائكة منهم من ذلك وهو قوله تعالى (قالوا سبحانك) أى تنزيها لك (أنت ولينا من دونهم) أى نحن نتولاك ولا نتولاهم فينبوا بإثبات موالاته الله ومعاداة الكفار براعتهم من الرضا بعبادتهم لهم (بل كانوا يعبدون الجن) يعنى الشياطين . فان قلت قد عبدوا الملائكة فكيف وجه قوله بل كانوا يعبدون الجن . قلت أراد أن الشياطين زينوا لهم عبادة الملائكة فأطاعوهم في ذلك فكانت طاعتهم للشياطين عبادة لهم وقيل صوروا لهم صوراً وقالوا لهم هذه صور الملائكة فاعبدوها فعبدوها وقيل كانوا يدخلون في أجواف الأصنام فيعبدون بعبادتها (أكثرهم بهم مؤمنون) يعنى مصدقون للشياطين قال الله تعالى (فالיום لا يملك بعضكم لبعض نفعاً) أى شفاعة (ولا ضراً) أى بالعذاب يريد أنهم عاجزون ولا نفع عندهم ولا ضرر (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون وإذا تلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا رجل) يعنون محمداً صلى الله عليه وسلم (يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم وقالوا ما هذا إلا إفاك مفترى) يعنون القرآن (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين وما آتيناهم) يعنى هؤلاء المشركين (من كتب يدرسونها) أى يقرءونها (وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) أى لم يأت العرب قبلك نبي ولا أنزل إليهم كتاب (وكذب الذين من قبلهم) أى من الأمم السالفة أرسلنا (وما بلغوا) يعنى هؤلاء المشركين (معشار) أى عشر (ما آتيناهم) أى أعطينا الأمم الحالية من القوة والثروة وطول الأعمار (فكذبوا ورسلى فكيف كان تكبير) أى إنكارى عليهم يحذر بذلك كفار هذه الأمة عذاب الأمم الماضية . قوله عز وجل (قل إنما أعظكم) أى أمركم وأوصيكم (بواحدة) أى بخصلة واحدة ثم بين تلك

بهم مؤمنون) يعنى مصدقون للشياطين ثم يقول الله (فالיום لا يملك بعضكم لبعض نفعاً) بالشفاعة

(ولا ضراً) بالعذاب يريد أنهم عاجزون ولا نفع عندهم ولا ضرر (ونقول للذين ظلموا ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون وإذا تلى عليهم آياتنا بينات قالوا ما هذا إلا إفاك مفترى) يعنون القرآن (وقال الذين كفروا للحق لما جاءهم إن هذا إلا سحر مبين) أى بين (وما آتيناهم) يعنى هؤلاء المشركين (من كتب يدرسونها) يقرءونها (وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) أى لم يأت العرب قبلك نبي ولا أنزل عليهم كتاب (وكذب الذين من قبلهم) من الأمم أرسلنا وهم عاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط وغيرهم (وما بلغوا) يعنى هؤلاء المشركين (معشار) أى عشر (ما آتيناهم) أى أعطينا الأمم الحالية من القوة والثروة وطول العمر (فكذبوا ورسلى فكيف كان تكبير) أى إنكارى وتغييرى عليهم يحذر كفار هذه الأمة عذاب الأمم الماضية (قل إنما أعظكم) أى بخصلة واحدة ثم بين تلك الخصلة

فقال (أن تقوموا لله) أي لأجل الله (مثني) أي اثنين اثنين (وفرادي) أي واحدا واحدا (ثم تفكروا) جميعا أي تجتمعون
فتنظرون وتتحاورون وتتفكرون في حال محمد صلى الله عليه وسلم فتعلموا (ما بصاحبكم من جنة) أي جنون وليس
المراد من القيام القيام الذي هو ضد الجلوس وإنما هو قيام بالأمر الذي هو في طلب الحق كقوله « وأن تقوموا للقيام بالقسط »
(إن هو) ما هو (إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد) قال مقاتل ثم الكلام عند قوله ثم تفكروا أي في خلق السموات
والأرض فتعلموا أن خالقها واحد لا شريك له ثم ابتداء فقال ما بصاحبكم (٢٩٥) من جنة (قل ما سألتكم)

على تبليغ الرسالة (من
أجر) جعل (فهو لكم)
يقول قل لا أسألكم على
تبليغ الرسالة أجرا
فتهموني ومعنى قوله
فهو لكم أي لم أسألكم
شيئا كقول القائل مالي
من هذا فقد وهبته لك
يريد ليس لي فيه شيء
(إن أجرى) ما ثوابي
(إلا على الله وهو على
كل شيء شهيد قل إن
ربي يقذف بالحق)
والقذف الرمي بالسهم
والخصي والكلام ومعناه
يأتي بالحق وبالوحي ينزله
من السماء فيقذفه إلى
الأنبياء (علام الغيوب)
رفع بخبر إن أي وهو
علام الغيوب (قل جاء
الحق) يعني القرآن
والإسلام (وما يبدي
الباطل وما يعيد)

الخصلة فقال تعالى (أن تقوموا لله) أي لأجل الله (مثني) أي اثنين اثنين (وفرادي) أي واحدا
واحدا (ثم تفكروا) أي تجتمعوا جميعا فتنظروا وتتحاوروا وتفكروا في حال محمد صلى الله
عليه وسلم فتعلموا أن (ما بصاحبكم من جنة) ومعنى الآية إنما أعظكم بواحدة إن فعلتموها
أصبتم الحق وتحلصتم وهي أن تقوموا لله وليس المراد به القيام على القدمين ولكن هو الانتصاب
في الأمر والنهوض فيه بالهمة فتقوموا لوجه الله خالصا ثم تفكروا في أمر محمد صلى الله عليه
وسلم وما جاء به أما الاثنان فيتفكران ويعرض كل منهما محصول فكره على صاحبه لينظرا
فيه نظر متصادفين متنافسين لا يميل بهما اتباع الهوى وأما الفرد فيفكر في نفسه أيضا بعدل ونصفه
هل رأينا في هذا الرجل جنونا قط أو جرينا عليه كذبا قط وقد علمتم أن محمدا صلى الله عليه
وسلم ما به من جنة بل قد علمتم أنه من أرجح فريش عقلا وأوزنهم حلما وأحدهم ذهنا وأرضنهم
رأيا وأصدقهم قولا وأزكاهم نفسا وأجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحونه به وإذا علمتم
ذلك كفاكم أن تطالبوه بأية وإذا جاء بها تبين أنه نبي نذير مبين صادق فيما جاء به وقيل ثم
الكلام عند قوله ثم تفكروا أي في السموات والأرض فتعلموا أنه خالقها واحد لا شريك
له ثم ابتداء فقال ما بصاحبكم من جنة (إن هو إلا نذير لكم بين يدي عذاب شديد قل ما سألتكم)
أي على تبليغ الرسالة (من أجر) أي جعل (فهو لكم) أي لم أسألكم شيئا (إن أجرى) أي
ثوابي (إلا على الله وهو على كل شيء شهيد قل إن ربي يقذف بالحق) أي يأتي بالوحي من
السماء فيقذفه إلى الأنبياء (علام الغيوب) أي خفيات الأمور (قل جاء الحق) أي القرآن
والإسلام (وما يبدي الباطل وما يعيد) أي ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه بقية تبدي شيئا
أو تعيده وقيل الباطل هو إبليس والمعنى لا يخلق إبليس أحدا ابتداء ولا يعثه إذا مات وقيل
الباطل الأصنام (قل إن ضللت فلنمأصل على نفسي) وذلك أن كفار مكة كانوا يقولون له إنك
قد ضللت حين تركت دين آبائك فقال الله تعالى قل إن ضللت فبما ترغبون أنتم فلنمأصل على
نفسي أي لئم ضللتني على نفسي (وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي) أي من القرآن والحكمة
(إنه مهيئ قريب) قوله عز وجل (ولو ترى) أي يا محمد (إذ فرعوا) أي عند البعث أي حين
يخرجون من قبورهم وقيل عند الموت (فلا فوت) أي لا يفوتوننا ولا نجاه لهم (وأخذوا من مكان
قريب) قيل من تحت أقدامهم وقيل أخذوا من بطن الأرض إلى ظهرها وحينئذ كانوا فانهم
من الله قريب لا يفوتونه ولا يعجزونه وقيل من مكان قريب يعني عذاب الدنيا وهو القتل

أي ذهب الباطل وزهق فلم يبق منه بقية تبدي شيئا أو يعيد كما قال تعالى « بل تقذف بالحق على الباطل فيدمغه » وقال قتادة الباطل هو
إبليس أي ما يخلق أحدا ابتداء ولا يعثه وهو قول مقاتل والكلبي وقيل الباطل الأصنام (قل إن ضللت فلنمأصل على نفسي)
وذلك أن كفار مكة كانوا يقولون له إنك قد ضللت حين تركت دين آبائك فقال الله تعالى « قل إن ضللت فلنمأصل على نفسي »
أي لئم ضللتني على نفسي (وإن اهتديت فبما يوحي إلي ربي) من القرآن والحكمة (إنه مهيئ قريب ولو ترى إذ فرعوا) قال قتادة عند
البعث حين يخرجون من قبورهم (فلا فوت) أي فلا يفوتونني كما قال « ولات حين مناص » وقيل إذ فرعوا فلا فوت ولا نجاه (وأخذوا
من مكان قريب) قال الكلبي من تحت أقدامهم وقيل أخذوا من بطن الأرض إلى ظهرها وحينئذ كانوا فانهم من الله قريب

لا يفوتونه وقيل من كان قريب يعنى عذاب الدنيا وقال الضحاك يوم بدر وقال ابن أزي خسف بالبيداء وفي الآية حذف تقديره ولو ترى إذ فرغوا لرأيت أمرا تعتبر به (وقالوا آمنا به) حين عابوا العذاب قيل عند اليأس وقيل عند البعث (وأني) من أين (لهم التناوش) قرأ أبو عمرو وحزمة والكسائي وأبو بكر التناوش بالمد والهمزة وقرأ الآخرون بواو صافية من غير مد ولا همز ومعناه التناول أى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الإيمان والتوبة وقد كان قريبا في الدنيا فضيوعه . ومن همز قيل معناه هذا أيضا وقيل التناوش بالهمزة من النيش وهو حركة في إبطاء يقال جاء نيشا أى مبظا متاخرا والمعنى من أين لهم الحركة فيما لا حيلة لهم فيه وعن ابن عباس قال يسألون الرد إلى الدنيا فيقال وأني لهم الرد إلى الدنيا (من مكان بعيد) أى من الآخرة إلى الدنيا (وقد كفروا به) (٢٩٦) من قبل) أى بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن يهذبوا

العذاب وأهوال القيامة (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) قال مجاهد يرمون محمدا بالظن لا باليقين وهو قولهم ساحر وشاعر وكاهن ومعنى الغيب هو الظن لأنه غاب علمه عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون والمعنى يرمون محمدا بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون . وقال قتادة يرحمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) أى الإيمان والتوبة والرجوع إلى الدنيا وقيل نعيم الدنيا وزهرتها (كما فعل بأشياعهم) يعنى بنظرائهم ومن كان

يوم بدر وقيل هو خسف بالبيداء ومعنى الآية ولو ترى إذ فرغوا لرأيت أمرا تعتبر به (وقالوا آمنا به) أى حين عابوا العذاب قيل هو عند اليأس وقيل هو عند البعث (وأني لهم التناول والمعنى كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الإيمان والتوبة وقد كان قريبا منهم في الدنيا فضيوعه وقال ابن عباس يسألون الرد إلى الدنيا فيقال وأني لهم الرد إلى الدنيا (من مكان بعيد) أى من الآخرة إلى الدنيا (وقد كفروا به من قبل) أى بالقرآن وقيل بمحمد صلى الله عليه وسلم من قبل أن يعابوا العذاب وأهوال القيامة (ويقذفون بالغيب من مكان بعيد) قيل هو الظن لأن علمه غاب عنهم والمكان البعيد بعدهم عن علم ما يقولون ، والمعنى يرمون محمدا صلى الله عليه وسلم بما لا يعلمون من حيث لا يعلمون وهو قولهم إنه شاعر ساحر كاهن لا علم لهم بذلك وقيل يرحمون بالظن يقولون لا بعث ولا جنة ولا نار (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) أى الإيمان والتوبة والرجوع إلى الدنيا ونعيمها وزهرتها (كما فعل بأشياعهم) أى بنظرائهم ومن كان على مثل حالهم من الكفار (من قبل) أى لم يقبل منهم الإيمان والتوبة في وقت اليأس (إنهم كانوا في شك) أى من البعث ونزول العذاب بهم (مريب) أى موقع الريبة والتهمة ، والله أعلم بمراده وأسرار كتابه .

(تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة مكية)

(وهي خمس وأربعون آية وتسعمائة وسبعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله عز وجل (الحمد لله فاطر السموات والأرض) أى خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا) أى إلى الأنبياء (أولى أجنحة) أى ذوى أجنحة (مثنى وثلاث ورباع) أى بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة (يزيد في الخلق ما يشاء) أى يزيد في خلق الأجنحة ما يشاء قال عبدالله بن مسعود في قوله «لقد رأى من آيات ربه الكبرى» قال رأى جبريل في صورته له ستائة جناح وقيل في قوله «يزيد في الخلق

أى الإيمان والتوبة والرجوع إلى الدنيا وقيل نعيم الدنيا وزهرتها (كما فعل بأشياعهم) يعنى بنظرائهم ومن كان

ما يشاء

على مثل حالهم من الكفار (من قبل) أى لم يقبل منهم

الإيمان والتوبة في وقت اليأس (إنهم كانوا في شك) من البعث ونزول العذاب بهم (مريب) موقع لهم الريبة والتهمة .

(سورة الملائكة مكية وهي خمس وأربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله فاطر السموات والأرض) خالقهما ومبدعهما على غير مثال سبق (جاعل الملائكة رسلا) أى ذوى أجنحة (مثنى وثلاث ورباع) قال قتادة ومقاتل بعضهم له جناحان وبعضهم له ثلاثة أجنحة وبعضهم له أربعة أجنحة ويزيد فيها ما يشاء وهو قوله (يزيد في الخلق ما يشاء) وقال ابن مسعود في قوله عز وجل «لقد رأى من آيات ربه الكبرى» قال رأى جبريل في صورته له ستائة جناح . وقال ابن شهاب في قوله «يزيد في الخلق ما يشاء» قال حسن الصوت . وعن قتادة قال هو

الملاحقة في العينين وقيل هو العقل والتمييز (إن الله على كل شيء قدير ما يفتح الله للناس من رحمة) قيل من مطر ورزق (فلا ممسك لها) لا يستطيع أحد حبسها (وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز) فيما أمسك (الحكيم) فيما أرسل من مطر ورزق أخبرنا الإمام أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي أنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى بن الصلت أنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي أنا عبيد الله بن أسباط أنا أبي أنا عبد الملك بن عمير عن وراد عن المغيرة بن شعبة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة مكتوبة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا (٣٩٧) الجحد منك الجده (بأبها الناس

اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله) قرأ حمزة والكسائي غير بجر الراء وقرأ الآخرون برفعها على معنى هل خالق غير الله لأن من زيادة وهذا استفهام على طريق التقرير كأنه قال لا خالق غير الله (يرزقكم من السماء والأرض) أي من السماء المطر ومن الأرض النبات (لا إله إلا هو فأتى تؤفكون وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم (والى الله ترجع الأمور) أي عاوده بطاعة الله (إنما يدعوا حزبه) أي أشياعه وأوليائه (ليكونوا من أصحاب السعير) ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال تعالى (الذين كفروا لهم عذاب شديد. والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) قوله عز وجل (أفمن زين له سوء عمله) قال ابن عباس نزلت في أبي جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في أصحاب الأهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم وليس أصحاب الكبار من الذنوب منهم لأنهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم إياها ومعنى زين له شبه له وموه عليه قبيح عمله (فراء حسنا) وفي الآية حذف مجازة أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل

ما يشاء هو حسن الصوت وقيل حسن الخلق وتماه وقيل هو الملاحقة في العينين وقيل هو العقل والتمييز (إن الله على كل شيء قدير) أي مما يريد أن يخلق. قوله تعالى (ما يفتح الله للناس من رحمة) قيل المطر وقيل من خير ورزق (فلا ممسك لها) أي لا يستطيع أحد حبسها (وما يمسك فلا مرسل له من بعده) أي لا يقدر أحد على فتح ما أمسك (وهو العزيز) يعني فيما أمسك (الحكيم) أي فيما أرسل (م) عن المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول في دبر كل صلاة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجحد منك الجده والجد الغنى والبخت أي لا ينفع المبخوت والغنى حظه وغناه لأنهما منك إنما ينفعه الإخلاص والعمل بطاعتك. قوله عز وجل (بأبها الناس اذكروا نعمة الله عليكم) قيل الخطاب لأهل مكة ونعمة الله عليهم إسكانهم الحرم ومنع الغارات عنهم (هل من خالق غير الله) أي لا خالق إلا الله وهو استفهام تقرير وتوبيخ (يرزقكم من السماء) أي المطر (والأرض) أي النبات (لا إله إلا هو فأتى تؤفكون) أي من أين يقع لكم الإفك والتكذيب بتوحيد الله وإنكار البعث وأنتم مقرون بأن الله خالقكم ورازقكم (إن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك) يعزى نبيه صلى الله عليه وسلم (والى الله ترجع الأمور) أي فيجزى المكذب من الكفار بتكذيبه. قوله تعالى (بأبها الناس إن وعد الله حق) أي وعد القيامة (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) أي لا تغد عنكم بلذاتها وما فيها عن عمل الآخرة وطلب ما عند الله (ولا يغرنكم بالله الغرور) أي لا يقل لكم أعمالوا ما شئتم فإن الله يغفر كل ذنب وخطيئة ثم بين الغرور من هو فقال تعالى (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا) أي عاوده بطاعة الله ولا تطيعوه فيما يأمركم به من الكفر والمعاصي (إنما يدعوا حزبه) أي أشياعه وأوليائه (ليكونوا من أصحاب السعير) ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال تعالى (الذين كفروا لهم عذاب شديد. والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) قوله عز وجل (أفمن زين له سوء عمله) قال ابن عباس نزلت في أبي جهل ومشركي مكة وقيل نزلت في أصحاب الأهواء والبدع ومنهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم وليس أصحاب الكبار من الذنوب منهم لأنهم لا يستحلونها ويعتقدون تحريمها مع ارتكابهم إياها ومعنى زين له شبه له وموه عليه قبيح عمله (فراء حسنا) وفي الآية حذف مجازة أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل

(٣٨ - خازن بالبغوى - خامس) بطاعة الله ولا تطيعوه (إنما يدعوا حزبه) أي أشياعه وأوليائه (ليكونوا من أصحاب السعير) أي ليكونوا في السعير ثم بين حال موافقيه ومخالفيه فقال (الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير) قوله تعالى (أفمن زين له سوء عمله) قال ابن عباس نزلت في أبي جهل ومشركي مكة وقال سعيد بن جبز نزلت في أصحاب الأهواء والبدع وقال قتادة منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم فأما أهل الكبار فليسوا منهم لأنهم لا يستحلون الكبار أفمن زين شبه وموه عليه وحسن له سوء عمله أي قبيح عمله (فراء حسنا) زين له الشيطان ذلك بالوسواس وفي الآية حذف مجازة أفمن زين له سوء عمله فرأى الباطل حقا كمن هداه الله فرأى

الحق حقا والباطل باطلا (فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) وقيل جوابه تحت قوله (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) فيكون معناه اقم زين له سوء عمله فاضله الله ذهب نفسك عليه حسرة أى تتحسر عليه فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وقال الحسن بن الفضل فيه تقديم وتأخير مجازة اقم زين له سوء عمله فرآه حسنا فلا تذهب نفسك عليهم حسرات فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والحسرة شدة الحزن على ما فات من الأمر ومعنى الآية لانهم بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا وقرأ أبو جعفر فلا تذهب بضم التاء وكسر الهاء نفسك نصب (إن الله عليم بما يصنعون والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميث (٢٩٨) فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) من القبور قوله عز وجل

حقا كمن هداه الله فرأى الحق حقا والباطل باطلا (فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء) وقيل مجاز الآية اقم زين له سوء عمله فرآه حسنا (فلا تذهب نفسك عليهم حسرات) فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء والحسرة شدة الحزن على ما فات والمعنى لانهم بكفرهم وهلاكهم إن لم يؤمنوا (إن الله عليم بما يصنعون) فيه وعبد بالعقاب على سوء صنيعهم (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا) أى ترجيح من مكانه وقيل تجمعهم ونجى به (فسقناه) أى فسوقه (إلى بلد ميث فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور) أى مثل إحياء الموات نشور الأموات روى ابن الجوزى فى تفسيره عن أبى رزىن العقيلي قال بن قلت بارسول الله كيف يحيى الله الموتى وما آية ذلك فى خلقه فقال « هل مررت بواد أهلك محلا ثم مررت به بهتر خضر اقلت نعم قال كذلك يحيى الله الموتى وتلك آيته فى خلقه » قوله تعالى (من كان يريد العزة فلله العزة جميعا) قيل معناه من كان يريد أن يعلم لمن العزة فلله العزة جميعا وقيل معناه من كان يريد العزة فليتعزز بطاعة الله وهو دعاء إلى طاعة من له العزة أى فليطلب العزة من عند الله بطاعته وما يقال من كان يريد المال فالمال لفلان أى فليطلبه من عنده وذلك أن الكفار عبدوا الأصنام وطلبوا بها التعزز كما قال الله واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا وقال الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيتنون عندهم العزة فان العزة لله جميعا (إليه) أى إلى الله (يصعد الكلم الطيب) وهو قوله لا إله

(من كان يريد العزة)
قله العزة جميعا (قال
القراء معنى الآية من
كان يريد أن يعلم لمن
العزة فلله العزة جميعا
وقال قتادة من كان يريد
العزة فليتعزز بطاعة الله
معناه الدعاء إلى طاعة
من له العزة أى فليطلب
العزة من عند الله بطاعته
كما يقال من كان يريد المال
فالمال لفلان أى فليطلبه
من عنده وذلك أن
الكفار عبدوا الأصنام
وطلبوا بها التعزز كما
قال الله واتخذوا من دون
الله آلهة ليكونوا لهم
عزا كلا وقال الذين
يتخذون الكافرين أولياء
من دون المؤمنين أيتنون
عندهم العزة فان العزة
لله جميعا (إليه) أى
إلى الله (يصعد الكلم
الطيب) وهو قوله لا إله

إلا الله وقيل هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أبو منصور السمعاني أنا أبو جعفر الرياني أنا حميد بن زنجويه أنا الحجاج بن نصر أنا الشعودى عن عبد الله بن المحارق عن أبيه عن ابن مسعود قال إذا حدثتكم حديثا أنبأتكم بمصداقه من كتاب الله عز وجل « مامن عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر وتبارك الله إلا أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم صعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيى بها وجه رب العالمين » ومصداق ذلك من كتاب الله عز وجل قوله إليه يصعد الكلم الطيب ذكره ابن مسعود وقيل الكلم الطيب ذكر الله وعن قتادة إليه يصعد الكلم الطيب أى يقبل الله الكلم الطيب قوله (والعمل الصالح يرفعه) أى يرفع العمل الصالح الكلم الطيب فالهاتى فى قوله يرفعه راجعة إلى

الكلم الطيب وهو قول ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وعكرمة وأكثر المفسرين وقال الحسن وقناة الكلم الطيب ذكر الله والعمل الصالح أداء فرائضه فمن ذكر الله ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله . وليس الإيمان بالتمني ولا بالتحلي ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه العمل ذلك بأن الله يقول إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وجاء في الحديث ولا يقبل الله قولاً إلا بعمل ولا عملاً إلا بنية . وقال قوم الهاء في قوله يرفعه راجعة إلى العمل الصالح أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عمل إلا أن يكون صادراً عن التوحيد وهذا معنى قول الكلبي ومقاتل وقيل الرفع من صفة الله عن وجل معناه العمل الصالح يرفعه الله عز وجل وقال سفيان بن عيينة العمل الصالح هو الخالص يعني أن الإخلاص سبب قبول الخبرات من الأقوال والأفعال دليله قوله عز وجل «فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً» (٢٩٩) فجعل تقيض الصالح الشرك

والرياء (والذين يمكرون

السيئات) قال الكلبي أي

الذين يعملون السيئات

وقال مقاتل يعني الشرك

وقال أبو العالية يعني

الذين مكروا برسول الله

صلى الله عليه وسلم في دار

الندوة كما قال الله تعالى

«وإذا يمكرون بك الذين

كفروا ليبتئوك» وقال

بجاهد وشهر بن حوشب

هم أصحاب الرياء (هم

عذاب شديد ومكر

أولئك هو يبور) يبطل

ويهلك في الآخرة

قوله عز وجل (والله

خلقكم من تراب)

أي آدم (ثم من نطفة)

الله يقول إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وجاء في الحديث لا يقبل الله قولاً إلا بعمل ولا قولاً ولا عملاً إلا بنية وقيل الهاء في يرفعه راجعة إلى العمل الصالح أي الكلم الطيب يرفع العمل الصالح فلا يقبل عملاً إلا أن يكون صادراً عن توحيد وقيل معناه العمل الصالح يرفعه الله وقيل العمل الصالح هو الخالص وذلك أن الإخلاص سبب قبول الخبرات من الأقوال والأفعال (والذين يمكرون السيئات) أي يعملون السيئات أي الشرك وقيل يعني الذين مكروا برسول الله صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وقيل هم أصحاب الرياء (هم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور) أي يبطل ويهلك في الآخرة . قوله عز وجل (والله خلقكم من تراب) يعني آدم (ثم من نطفة) يعني ذريته (ثم جعلكم أزواجاً) يعني أصنافاً ذكرانا وإناثاً وقيل زوج بعضكم بعضاً (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر) يعني لا يطول عمر أحد (ولا ينقص من عمره) يعني عمر آخر وقيل ينصرف إلى الأول قال سعيد بن جبير مكتوب في أم الكتاب عمر فلان كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل من ذلك ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره وقيل معناه لا يطول عمر إنسان ولا يقصر إلا في كتاب قال كعب الأحبار حين حضرت عمر الوفاة والله لو دعا عمر ربه أن يؤخر أجله لأخر فقيل له إن الله تعالى يقول «فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون» قال هذا إذا حضر الأجل فأما قبل ذلك فيجوز أن يزداد ذلك وقرأ هذه الآية (إلا في كتاب) يعني اللوح المحفوظ (إن ذلك على الله يسير) أي كتابة الآجال والأعمال على الله هين . قوله تعالى (وما يستوى البحران) يعني العذب والمالح ثم وصفهما فقال (هذا عذب فرات) أي طيب يكسر العطش (سائغ شرابه) أي سهل في الخلق هنيء مريء (وهذا ملح أجاج) أي شديد الملوحة يحرق الخلق بملوحته وقيل هو المر (ومن كل تأكلون لحماً طرياً) يعني السمك (وتستخرجون) يعني من الملح دون العذب (حلية تلبسونها) يعني التؤلؤ والمرجان وقيل نسب التؤلؤ إليهما لأنه

يعني نسله (ثم جعلكم أزواجاً) ذكرانا وإناثاً (وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه وما يعمر من معمر)

لا يطول عمره (ولا ينقص من عمره) يعني من عمر آخر كما يقال لفلان عندي درهم ونصفه أي نصف درهم آخر

(إلا في كتاب) وقيل قوله ولا ينقص من عمره ينصرف إلى الأول قال سعيد بن جبير مكتوب في أم الكتاب عمر فلان

كذا وكذا سنة ثم يكتب أسفل من ذلك ذهب يومان ذهب ثلاثة أيام حتى ينقطع عمره وقال كعب الأحبار

حين حضر عمر رضى الله عنه الوفاة والله لو دعا عمر ربه أن يؤخر أجله لأخر فقيل له إن الله عز وجل يقول فإذا جاء

أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فقال هذا إذا حضر الأجل فأما قبل ذلك فيجوز أن يزداد وينقص . وقرأ هذه

الآية (إن ذلك على الله يسير) إن كتابة الآجال والأعمال على الله هين قوله تعالى (وما يستوى البحران) يعني العذب والمالح ثم ذكرهما

فقال (هذا عذب فرات) طيب (سائغ شرابه) أي جائز في الخلق هنيء (وهذا ملح أجاج) شديد الملوحة ، وقال الضحاك

هو المر (ومن كل تأكلون لحماً طرياً) يعني الحيتان من العذب والمالح جميعاً (وتستخرجون حلية) أي من الملح دون العذب (تلبسونها)

بمعنى التلوث وقيل نسب التلوث إليهما لأنه يكون في البحر الأجاج عيون عذبة تخرج بالملح فيكون التلوث من ذلك (و ترى الفلك فيه مواخر) جوارى مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا من فضله) بالتجارة (ولعلمكم تشكرون) الله على نعمه (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه) يعني الأصنام (ما يملكون من قطمير) وهو لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة (إن تدعوهم) يعني إن تدعوا الأصنام (لا يسمعون دعاءكم ولو سمعوا) (٣٠٠) ما استجابوا لكم) ما أجابوكم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) يتبرمون

يكون في البحر الملح عيون عذبة تخرج بالملح فيكون التلوث منهما (و ترى الفلك فيه مواخر) يعني جوارى مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لتبتغوا من فضله) يعني بالتجارة (ولعلمكم تشكرون) يعني تشكرون الله على نعمه (يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى ذلكم الله ربكم له الملك والذين تدعون من دونه) يعني الأصنام (ما يملكون من قطمير) هو لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة التي تكون على النواة (إن تدعوهم) يعني الأصنام (لا يسمعون دعاءكم) يعني أنهم جماد (ولو سمعوا) أي على سبيل الفرض والتمثيل (ما استجابوا لكم) أي ما أجابوكم وقيل ما نفعوكم (ويوم القيامة يكفرون بشرككم) أي يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياها (ولا يثبتك مثل خبير) يعني نفسه أي لا يثبتك أحد مثل لأخي عالم بالأشياء قوله تعالى (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) إلى فضل الله والفقير المحتاج (والله هو الغني الحميد) الغني عن خلقه المحمود في إحسانه إليهم (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) ما يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) أي بمتنع (ولا تزر وازرة وزر أخرى) يعني أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل إلا وزوها الذي اقترفته لا تؤاخذ بذنوب غيرها فان قلت كيف الجمع بين هذه الآية وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالهم أثقالهم. قلت هذه الآية في الضالين وتلك في المضلين أنهم يحملون أثقال من أضلوه من الناس مع أثقال أنفسهم وذلك كله من كسبهم (وإن تدع مثقلة إلى حملها) معناه وإن تدع نفس مثقلة بذنوبها إلى حمل ذنوب غيرها (لا يحمل منه شيء) ولو كان ذا قرين) يعني ولو كان المدعو ذا قرابة كالأب والأم والابن والأخ قال ابن عباس يعلق الأب والأم بالابن فيقول يابني احمل عني بعض ذنوبي فيقول لا أستطيع حسبي ماعلى (إنما تنذر الذين يخشون ربهم) يعني يخافون ربهم (بالغيب) يعني لم يروه والمعنى وإنما ينفع إنذارك الذين يخشون ربهم بالغيب (وأقاموا الصلاة ومن تزكى) يعني أصلح وعمل خيرا (فإنما يتركو لنفسه) يعني لها ثوابه (وإلى الله المصير وما يستوي الأعمى والبصير) يعني الجاهل والعالم وقيل الأعمى عن الهدى وهو المشرك والبصير بالهدى وهو المؤمن (ولا الظلمات ولا النور) يعني الكفر والإيمان (ولا الظل ولا الحرور) يعني الجنة والنار وقال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار (وما يستوي الأحياء ولا الأموات) يعني المؤمنين والكفار وقيل

منكم ومن عبادتكم إياها يقولون ما كنتم إيانا تعبدون (ولا يثبتك مثل خبير) يعني نفسه أي لا يثبتك أحد مثل خبير عالم بالأشياء (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) إلى فضل الله والفقير المحتاج (والله هو الغني الحميد) الغني عن خلقه المحمود في إحسانه إليهم (إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد) ما يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز) شديدا (ولا تزر وازرة وزر أخرى) وإن تدع مثقلة) أي نفس مثقلة بذنوبها غيرها (إلى حملها) أي حمل ما عليهما من الذنوب (لا يحمل منه شيء) ولو كان ذا قرين) أي ولو كان المدعو ذا قرابة له ابنه أو أباه أو أمه أو أخاه قال ابن عباس يلقى الأب والأم ابنه فيقول يابني احمل عني بعض ذنوبي فيقول

لا أستطيع حسبي ماعلى (إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) ولم يروه وقال الأخفش تأويله أي إنذارك إنما ينفع الذين يخشون ربهم بالغيب (وأقاموا الصلاة ومن تزكى) أصلح وعمل خيرا (فإنما يتركو لنفسه) لها ثوابه (وإلى الله المصير وما يستوي الأعمى والبصير) يعني الجاهل والعالم وقيل الأعمى عن الهدى والبصير بالهدى أي المؤمن والمشرك (ولا الظلمات ولا النور) يعني الجنة والنار قال ابن عباس الحرور الريح الحارة بالليل والسموم بالنهار ويكون بالنهار مع الشمس (وما يستوي الأحياء ولا الأموات)

العلماء

يعني المؤمنين والكفار وقيل العلماء والجهال (إن الله يسمع من يشاء) حتى يتعظ ويحجب (وما أنت بمسمع من في القبور) يعني الكفار شبههم بالأموات في القبور حين لم يجيبوا (إن أنت إلا نذير) ما أنت إلا منذر تخوفهم بالنار (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا وإن من أمة) ما من أمة فيما مضى (إلا خلا) سلفت (فيها نذير) نبي منذر (وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات وبالزبر) بالكتب (وبالكتاب المنير) الواضح كرر ذكر الكتاب بعد ذكر الزبر على طريق التأكيد (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان (٣٠١) تكبير) أي إنكاره (لم تر

أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد (جدد) طرق وخطط واحدها جده مثل مدة ومدد (بيض وحمرة) مختلف ألوانها وغريب سود) يعني سود غريب على التقديم والتأخير يقال أسود غريب أي شديد السواد تشبيها بلون الغراب أي طرائق سود (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه) ذكر الكناية لأجل من وقيل رد الكناية إلى ما في الإحصار مجازه (ومن الناس والدواب والأنعام ما هو مختلف ألوانه) (كذلك) يعني كما اختلف ألوان الثمار والجبال وتم الكلام ها هنا ثم ابتداء فقال (إنما يخشى الله من عباده) قال ابن عباس (كذلك) يعني من علم جبروتي وعزتي

العلماء والجهال (إن الله يسمع من يشاء) يعني حتى يتعظ ويحجب (وما أنت بمسمع من في القبور) يعني الكفار شبههم بالأموات في القبور لأنهم لا يجيبون إذا دعوا (إن أنت إلا نذير) أي ما أنت إلا منذر تخوفهم بالنار (إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا) يعني بشيرا بالثواب لمن آمن ونذيرا بالعقاب لمن كفر (وإن من أمة) أي من جماعة كثيرة فيما مضى (إلا خلا) أي سلفت (فيها نذير) أي نبي منذر. فان قلت كم من أمة في الفترة بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يحل فيها نذير. قلت إذا كانت آثار النذارة باقية لم تحل من نذير إلا أن تندرس وحين اندرست آثار رسالة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وآثار نذارته باقية إلى يوم القيامة لأنه لا نبي بعده (وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم جاءتهم رسلهم بالبينات) أي بالمعجزات الدالة على نبوتهم (وبالزبر) أي الصحف (وبالكتاب المنير) أي الواضح قبل أراد بالكتاب التوراة والإنجيل والزبور وقيل ذكر الكتاب بعد الزبر تأكيدا (ثم أخذت الذين كفروا فكيف كان تكبير) أي لم تر أن الله أنزل من السماء ماء (يعني المطر) فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها (يعني أجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب والرطب ونحوها وقيل يعني ألوانها في الحمرة والصفرة والخضرة وغير ذلك مما لا يحصر ولا يعد) (ومن الجبال جدد بيض وحمرة) يعني الخطط والطرق في الجبال (مختلف ألوانها) يعني منها ما هو أبيض ومنها ما هو أحمر ومنها ما هو أصفر (وغريب سود) يعني شديدة السواد كما يقال أسود غريب تشبيها بلون الغراب (ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه) يعني خلق مختلف ألوانه (كذلك) يعني كاختلاف الثمرات والجبال وتم الكلام ها هنا ثم ابتداء فقال تعالى (إنما يخشى الله من عباده العلماء) قال ابن عباس يريد (إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني وقيل عظموه وقدروه وحشوه حتى خشيته ومن ازداد به علما ازداد به خشية (ق) عن عائشة قالت صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال «ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعته فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية» قوطا فرخص فيه أي لم يشدد فيه قوطا فتنزه عنه أقوام أي تباعد عنه وكرهه قوم (ق) عن أنس قال خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبة ما سمعت مثلها قط فقال «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» فغضى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوههم لهم خزين الخزين بالخاء المعجمة هو البكاء مع غنة وانتشاق الصوت من الأنف وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاعتزاز بالله جهلا وقال

وسلطاني أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعيمي أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن اسمعيل أنا عمر بن حفص أنا أبي الأعشى أنا مسلم عن مسروق قال: قالت عائشة رضي الله عنها «صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله ثم قال: ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعته فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية» وقال النبي صلى الله عليه وسلم «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا» وقال مسروق كفى بخشية الله علما وكفى بالاعتزاز بالله جهلا وقال رجل للشعبي أنتي أيها العالم فقال الشعبي إنما العالم من خشية الله عز وجل

(إن الله عزير غفور) أي عزير في ملكه غفور لذنوب عباده قوله تعالى (إن الذين يتلون كتاب الله) يعني قرأوا القرآن (وأقوموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور) لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب قال القراء قوله يرجون جواب لقوله إن الذين يتلون كتاب الله (ليوفيهم أجورهم) جزاء أعمالهم بالثواب (وزيادهم من فضله) قال ابن عباس يعني سوي الثواب مما لم ترعين ولم تسمع أذن (إنه غفور شكور) قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم (والذي أوحينا إليك من الكتاب) يعني القرآن (هو الحق مصدقا لما بين يديه) من الكتب (إن الله بعباده خبير بصير ثم أورثنا الكتاب) يعني الكتاب الذي أنزلنا إليك الذي ذكر في الآية الأولى وهو القرآن جعلناه ينتهي إلى (الذين اصطفينا من عبادنا) ويجوز أن يكون ثم بمعنى الواو أي وأورثنا كقوله ثم كان من الذين آمنوا أي وكان من الذين آمنوا ومعنى أورثنا أعطينا لأن الميراث عطاء فله مجاهد وقيل أورثنا أي أخرجنا ومنه الميراث لأنه أخرج عن الميت ومعناه أخرجنا القرآن عن الأمم السالفة وأعطيناكموه وأهلنا له الذين اصطفينا من عبادنا قال ابن عباس (٣٠٢) يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم ثم قسمهم ورتبهم فقال (فمنهم

ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) روي عن أسامة بن زيد في قوله عز وجل: فمنهم ظالم لنفسه الآية قال قال النبي صلى الله وسلم كلهم من هذه الأمة أخبرنا أبو سعيد الشريحي أنا أبو اسحق الثعلبي أخبرني الحسين بن محمد ابن فنجويه أنا محمد بن علي بن الحسين بن القاضي أنا بكر بن محمد المروزي أنا أبو قلابة عمرو بن الحصين عن الفضل بن عميرة عن ميمون الكردى عن أبي

رجل للشعبي أفنى أيها العالم فقال الشعبي إنما العالم من خشى الله عز وجل وقال مقاتل أشد الناس خشية لله أعلمهم به وقال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم (إن الله عزير) أي في ملكه (غفور) يعني لذنوب عباده وهو تعليل لجوب الخشية لأنه المنيب المعاقب وإذا كان كذلك فهو أحق أن يخشى ويتقى. قوله عز وجل (إن الذين يتلون كتاب الله) أي يداومون على قراءته ويعلمون ما فيه ويعملون به (وأقاموا الصلاة) أي ويقومون الصلاة في أوقاتها (وأنفقوا مما رزقناهم) يعني في سبيل الله (سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور) يعني لن تفسد ولن تهلك والمراد من التجارة ما وعد الله من الثواب (ليوفيهم أجورهم وزيادهم من فضله) قال ابن عباس ثوى الثواب يعني مما لم ترعين ولم تسمع أذن (إنه غفور شكور) قال ابن عباس يغفر العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم (والذي أوحينا إليك من الكتاب) يعني القرآن (هو الحق مصدقا لما بين يديه) يعني من الكتب (إن الله بعباده خبير بصير) قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب) يعني أوحينا إليك الكتاب وهو القرآن ثم أورثناه يعني حكما بتورثه وقيل أورثناه بمعنى نورثه (الذين اصطفينا من عبادنا) قال ابن عباس يريد أمة محمد صلى الله عليه وسلم لأن الله اصطفاهم على سائر الأمم واختصهم بكرامته بأن جعلهم أتباع سيد الرسل وخصهم بحمل أفضل الكتب ثم قسمهم ورتبهم فقال تعالى (فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) روي عن أسامة بن زيد قال «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الأمة» ذكره البغوي بغير سند وعن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله

عبدان النهدي قال سمعت عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية عليه فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له» قال أبو قلابة فحدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه واختلف المفسرون في معنى الظالم والمقتصد والسابق أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحى أخبرنا أبو سعيد محمد ابن عيسى الصيرفي أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الصفا وحدثنا أحمد بن محمد بن عيسى البرقي حدثنا محمد ابن كثير أخبرنا سفيان عن الأعمش عن رجل عن أبي ثابت أن رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غريبي وآس وحشتي وسق إلى جليسا صالحا فقال أبو الدرداء لئن كنت صادقا لأنا أسعد بك منك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين قرأ هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فقال أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيحجب في المقام حتى يدخله الله ثم يدخل الجنة ثم قرأ هذه الآية وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا الغفور شكور» وقال عقبه ابن صهبان سألت عائشة عن قول الله عز وجل «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» الآية فقالت يا بني كلهم في الجنة

أما السابق بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأما المقتصد فمن اتبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم لنفسه فقتل ومثلكم فجعلت نفسها معناه وقال مجاهد والحسن وقتادة فمنهم ظالم لنفسه هم أصحاب المشأمة ومنهم مقتصد هم أصحاب الميمنة ومنهم سابق بالخيرات هم السابقون المقربون من الناس كلهم وعن ابن عباس قال السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرأى والظالم الكافر نعمة الله غير الجاهل لها لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال «جنات عدن يدخلونها» وقال بعضهم بذلك عن الحسن قال السابق من رجحت حسناته على سيئاته والمقتصد من استوت حسناته وسيئاته والظالم من رجحت سيئاته على حسناته (٣٠٣) وقيل الظالم من كان ظاهره

خيرا من باطنه والمقتصد الذي يستوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم من وحد الله بلسانه ولم يوافق فعله قوله والمقتصد من وحد الله بلسانه وأطاعه بجوارحه والسابق من وحد الله بلسانه وأطاعه بجوارحه وأخلص له عمله وقيل الظالم الثاني للقرآن والمقتصد القارىء له العالم به والسابق القارىء له العالم به العامل بما فيه وقيل الظالم أصحاب الكبائر والمقتصد أصحاب الصغائر والسابق الذي لم يرتكب كبيرة ولا صغيرة وقال سهل بن عبد الله السابق العالم والمقتصد المتعلم والظالم الجاهل قال

وسلم قال في هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله قال هؤلاء كلهم بمنزلة واحدة وكلهم في الجنة أخرجه الترمذي وقال حديث حسن غريب وعن عمر بن الخطاب أنه قرأ هذه الآية على المنبر ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له قال أبو قلابة أحد رواة فحدثت به يحيى بن معين فجعل يتعجب منه أخرجه البغوي بسنده وروى بسنده عن ثابت «أن رجلا دخل المسجد فقال اللهم ارحم غيبي وآس وحشي وسق إلى جليسا صالحا فقال أبو برداء لئن كنت صادقا لأنا أسعد بك منك سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق الخيرات قال أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله المم ثم يدخل الجنة ثم قرأ هذه الآية الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور» وقال عقبه بن صبيان سألت عائشة عن قول الله عز وجل «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا» الآية فقالت يابني كلهم في الجنة أما السابق فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وشهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وأما المقتصد فمن تبع أثره من أصحابه حتى لحق به وأما الظالم لنفسه فقتل ومثلكم فجعلت نفسها معناه وقال ابن عباس السابق المؤمن المخلص والمقتصد المرأى والظالم الكافر نعمة الله غير الجاهل لها لأنه حكم للثلاثة بدخول الجنة فقال «جنات عدن يدخلونها» وقيل الظالم هم أصحاب المشأمة والمقتصد أصحاب الميمنة والسابق هم السابقون المقربون من الناس كلهم وقيل السابق من رجحت حسناته على سيئاته والمقتصد من استوت سيئاته وحسناته والظالم من رجحت سيئاته على حسناته وقيل الظالم من كان ظاهره خيرا من باطنه والمقتصد الذي استوى ظاهره وباطنه والسابق الذي باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم الثاني للقرآن ولم يعمل به والمقتصد الثاني له العالم به والسابق القارىء له العالم به العامل بما فيه وقيل الظالم أصحاب الكبائر والمقتصد أصحاب الصغائر والسابق الذي لم يرتكب صغيرة ولا كبيرة وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم والسابق العالم. فان قلت لم قدم الظالم ثم المقتصد ثم السابق قلت قال جعفر الصادق بدأ بالظالمين إخبارا بأنه لا يتقرب

جعفر الصادق إنه بدأ بالظالمين إخبارا بأنه لا يتقرب إليه إلا بكرمه وأن الظلم لا يؤثر في الاصطفاء ثم نهي بالمقتصدين لأنهم بين الخوف والرجاء ثم حتم بالسابقين للتأمن أحد مكره وكلهم في الجنة وقال أبو بكر الوراق رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لأن أحوال العبد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم قربة فان عصي دخل في حيز الظالمين وإذا تاب دخل في جملة المقتصدين وإذا صححت التوبة وكثرت العبادة والمجاهدة دخل في عداد السابقين وقال بعضهم المراد بالظالم الكافر ذكره الكلبي وقيل المراد منه المنافق فعلى هذا لا يدخل الظالم في قوله «جنات عدن يدخلونها» وحمل هذا القائل الاصطفاء على الاصطفاء في الخلقة ولإرسال الرسول إليهم وإززال الكتب والأول هو المشهور أن المراد من جميعهم المؤمنون وعليه عامة

(أول نعمكم ما يتذكر فيه من تذكركم) قيل هو البلوغ وقال عطاء وقتادة والكاظم ثمان عشرة سنة وقال الحسن أربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة يروى ذلك عن علي وهو العمر الذي أعتذر الله تعالى إلى ابن آدم. أخبرنا عبد الواحد المليحي أنا أحمد بن عبد الله النعماني أنا محمد بن يوسف أنا محمد بن إسماعيل أنا عبد السلام بن مطهر حدثنا عمر بن علي عن معز بن محمد الغفاري عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أعذر الله تعالى إلى امرئ آخر أجله حتى بلغه ستين سنة» أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجديه حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا إبراهيم بن سهلويه حدثنا الحسن بن عرفة أنا الهاربي عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعمار أمي مابين الستين إلى السبعين» وأقلهم من يجوز ذلك. قوله (وجاءكم النذير) (٣٠٥) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم

هذا قول أكثر المفسرين وقيل القرآن وقال عكرمة وسفيان بن عيينة ووكيع هو الشيب معناه أول نعمكم حتى شبتهم ويقال الشيب نذير الموت وفي الأثر «ما من شعرة تبيض إلا قالت لا تحتها استعدي فقد قرب الموت». قوله (فلذوقوا فما للظالمين من نصير إن الله عالم غيب السموات والأرض إنه علم بذات الصدور هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) أي يخلف بعضكم بعضاً وقيل جعلكم

من الشرك والسيئات فيقول الله تعالى توبيخاً لهم (أو لم نعمكم ما يتذكر فيه من تذكركم) قيل هو البلوغ وقيل ثمان عشرة سنة وقيل أربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة ويروى ذلك عن علي وهو العمر الذي أعتذر الله تعالى لابن آدم (خ) عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «أعذر الله إلى كل امرئ آخر أجله حتى بلغ ستين سنة» وعنه بإسناد الثعلبي قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «أعمار أمي مابين الستين إلى السبعين» (وجاءكم النذير) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم بالقرآن قاله ابن عباس وقيل هو الشيب والمعنى أول نعمكم حتى شبتهم ويقال الشيب نذير الموت وفي الأثر «ما من شعرة تبيض إلا قالت لا تحتها استعدي فقد قرب الموت» (فلذوقوا) أي يقال لهم ذوقوا العذاب (فما للظالمين من نصير) أي ما لهم من مانع يمنعهم من عذابه (إن الله عالم غيب السموات والأرض إنه علم بذات الصدور) يعني إنه إذا علم ذلك وهو أخص ما يكون فقد علم غيب كل شيء في العالم. قوله تعالى (هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) أي يخلف بعضكم بعضاً وقيل جعلكم أمة خلفت من قبلها من الأمم ورأت ما ينبغي أن يعتبر به وقيل جعلكم خلفاء في أرضه وملكم منافعها ومقاليد التصرف فيها لتشكروه بالتوحيد والطاعة (فمن كفر) أي جحد هذه النعمة وغمطها (فعلية كفره) أي وبالكفره (ولا يزيد الكافرين كفرهم عند ربهم إلا مقناً) يعني غضباً وقيل المقت أشد البغض (ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً) يعني في الآخرة (قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) يعني الأصنام جعلتموها شركاء بزعمكم (أروني ماذا خلقوا من الأرض) يعني أي جزء استبدوا مخلقه من الأرض (أم لهم شرك في السموات) أي خلق في السموات والأرض (أم آتيناهم كتاباً فهم على بينة منه) أي على حجة وبرهان من ذلك (بل إن يعد الظالمون بعضهم) يعني الرؤساء (بعضاً إلا غروراً) يعني قولهم هؤلاء الأصنام شفاعؤنا عند الله. قوله عز وجل (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) يعني لكي لا تزولا فيمنعهما من الزوال والوقوع وكانتا جذرتين بأن تزولا وتهدهد العظم كلمة الشرك (ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده) يعني ليس بيمسكهما

(فمن كفر فعليه كفره) أي عليه وبالك كفره (ولا يزيد الكافرين

(٣٩ - خازن بالبغوي - خامس)

كفرهم عند ربهم إلا مقناً) غضباً (ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا خساراً قل أرايتم شركاءكم الذين تدعون من دون الله) أي جعلتموه شركائي بزعمكم يعني الأصنام (أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات أم آتيناهم كتاباً) قال مقاتل هل أعطينا كفار مكة كتاباً (فهم على بينة منه) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحمره وحفص بينة على التوحيد وقرأ الآخرون بينات على الجمع يعني دلائل واضحة منه في ذلك الكتاب من ضروب البيان (بل إن يعد) أي ما يعد (الظالمون بعضهم بعضاً إلا غروراً) والغرور ما يغتر الإنسان مما لا أصل له قال مقاتل يعني ما يعد الشيطان كفار بني آدم من شفاعمة الآهة لهم في الآخرة غرور وباطل. قوله تعالى (إن الله يمسك السموات والأرض أن تزولا) أي كيلا تزولا (ولئن زالتا إن أمسكهما

من أحد من بعده) أي ما عسكهما أحد من بعده أي أحد سواه (إنه كان حلياً غفورا) فإن قيل فما معنى ذكر الحليم هاهنا قيل لأن السموات والأرض همت بما همت به من عقوبة الكفار فأمسكهما الله تعالى عن الزوال لحلمه وغفرانه أن يعاجلهم بالعقوبة (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) يعني كفار مكة لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أنهم الرسل فكذبوهم وأقسموا بالله وقالوا لو أنانا رسول الله لشكونن أهدى ديننا منهم وذلك قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فأنزله الله عز وجل وأقسموا بالله جهد أيمانهم (لئن جاءهم نذير) رسول (ليكونن أهدى من إحدى الأمم) يعني من اليهود (٣٠٦) والنصارى (فلما جاءهم نذير) محمد صلى الله عليه وسلم (ما زادهم إلا نفورا) أي ما زادهم

أحد سواه (إنه كان حلياً غفورا) يعني غير معاجل بالعقوبة حيث أمسكهما وكانا قد همتا بعقوبة الكفار لولا حلمه وغفرانه (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) يعني كفار مكة وذلك لما بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا لعن الله اليهود والنصارى أنهم الرسل فكذبوهم وأقسموا بالله لو جاءنا نذير لشكونن أهدى ديننا منهم وذلك قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم فلما بعث محمد كذبوه فأنزله الله هذه الآية وأقسموا بالله جهد أيمانهم (لئن جاءهم نذير) يعني رسول (ليكونن أهدى من إحدى الأمم) يعني اليهود والنصارى (فلما جاءهم نذير) يعني محمداً صلى الله عليه وسلم (ما زادهم) مجيئه (إلا نفورا) يعني تباعداً عن الهدى (استكباراً في الأرض) يعني عتواً وتكبراً عن الإيمان به (ومكر السبي) يعني عمل القبيح وهو اجتماعهم على الشرك وقيل هو مكرهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (ولا يحق المكر السبي إلا بأهله) يعني لا يحل ولا يحيط إلا بأهله فقتلوا يوم بدر قال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك (فهل ينظرون) أي ينتظرون (إلا سنة الأولين) يعني أن ينزل العذاب بهم كما نزل عن مضي من الكفار (فلن نجد لسنة الله تبديلاً) أي تغييراً (ولن نجد لسنة الله تحويلاً) أي تحويل العذاب عنهم إلى غيرهم (أو لم يسبروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) معناه أنهم يعتبرون بمن مضى وبآثارهم وعلامات هلاكهم (وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه) أي ليفوت عنه (من شيء) في السموات ولا في الأرض إنه كان علياً قديراً ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا (أي من الجرائم) ما ترك على ظهرها) أي ظهر الأرض (من دابة) أي من نسمة تدب عليها يريد بني آدم وغيرهم كما أهلك من كان في زمن نوح بالطوفان إلا من كان في السفينة (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) يعني يوم القيامة (فإذا جاء أجلهم) فإن الله كان يعاهده بصيراً) قال ابن عباس رضي الله تعالى

عنه ما زادهم مجيئه إلا تباعداً عن الهدى (استكباراً في الأرض) نصب استكباراً على البدل من التطور (ومكر السبي) يعني العمل القبيح أضيف المكر إلى صفته قال الكلبى هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبي صلى الله عليه وسلم ، وقرأ حمزة مكر السبي ساكنة الهمزة تخفيفاً وهي قراءة الأعمش (ولا يحق المكر السبي) أي لا يحل ولا يحيط المكر السبي (إلا بأهله) فقتلوا يوم بدر وقال ابن عباس عاقبة الشرك لا تحل إلا بمن أشرك والمعنى إن وبال مكرهم راجع إليهم (فهل ينظرون) (إلا سنة

عنه ما يريد أهل طاعته وأهل معصيته وقيل بصيراً بمن يستحق العقوبة ومن يستحق الكرامة والله سبحانه وتعالى أعلم بمراده وأسرار كتابه

تم الجزء الخامس من تفسير الخازن
وبليه الجزء السادس ، وأوله سورة يس عليه الصلاة والسلام

الأولين) إلا أن ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار (فلن نجد لسنة الله تبديلاً ولن نجد لسنة الله تحويلاً أو لم يسبروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وما كان الله ليعجزه) يعني ليفوت عنه (من شيء) في السموات ولا في الأرض إنه كان علياً قديراً ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا (من الجرائم) ما ترك على ظهرها) يعني على ظهر الأرض كناية عن غير مذكور (من دابة) كما كان في زمان نوح أهلك الله ما على ظهر الأرض إلا من كان في سفينة نوح (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) فإذ جاء أجلهم فإن الله كان يعاهده بصيراً) قال ابن عباس رضي الله عنهما يريد أهل طاعته وأهل معصيته .

فهرست

فهرست الجزء الخامس

من تفسير القرآن العظيم للإمام علي بن محمد المعروف بالخازن

صحيفة

- ٢ (تفسير سورة الحج)
 ٨ فصل : في أن السجدة الأولى في هذه السورة من عزائم سجود القرآن
 ٢٨ فصل : في حكم سجود التلاوة في قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اركعوا
 واسجدوا) الآية
 ٣٠ (تفسير سورة المؤمنين)
 ٤٧ (تفسير سورة النور)
 ٧٨ فصل : في بيان التمثيل المذكور في قوله تعالى (الله نور السموات والأرض) الآية
 ٩٣ (تفسير سورة الفرقان)
 ١١٢ (تفسير سورة الشعراء)
 ١٣٢ فصل : في مدح الشعر
 ١٣٣ (تفسير سورة النمل)
 ١٤٣ فصل : وهذه السجدة من عزائم السجود وهي (ألا يسجدوا لله) الآية
 ١٦١ (تفسير سورة القصص)
 ١٦٢ ذكر القصة في ذلك : أي قوله تعالى (وأوحينا إلى أم موسى) الآية
 ١٨٣ ذكر قصة قارون
 ١٨٧ (تفسير سورة العنكبوت)
 ٢٠١ (تفسير سورة الروم)
 ٢٠٥ فصل في فضل التسبيح
 ٢١٣ (تفسير سورة لقمان)
 ٢٢٠ (تفسير سورة السجدة)
 ٢٢٤ فصل في فضل قيام الليل والحث عليه
 ٢٢٨ (تفسير سورة الأحزاب)
 ٢٣٣ ذكر غزوة الخندق وهي الأحزاب
 ٢٥١ ذكر غزوة بني قريظة
 ٢٥٦ فصل : في حكم قوله تعالى (يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتمن تودن الحياة
 الدنيا) الآية
 ٢٦٢ فصل : فيما ذكره في تفسير الآية : أي قوله تعالى (وإذا تقول للذي أنعم
 الله عليه) الآية

صيفة

- ٢٧٤ فصل في صفة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم
 ٢٨٠ فصل في الأمانة
 ٢٨١ (تفسير سورة سبأ)
 ٢٩٦ (تفسير سورة فاطر وتسمى سورة الملائكة)

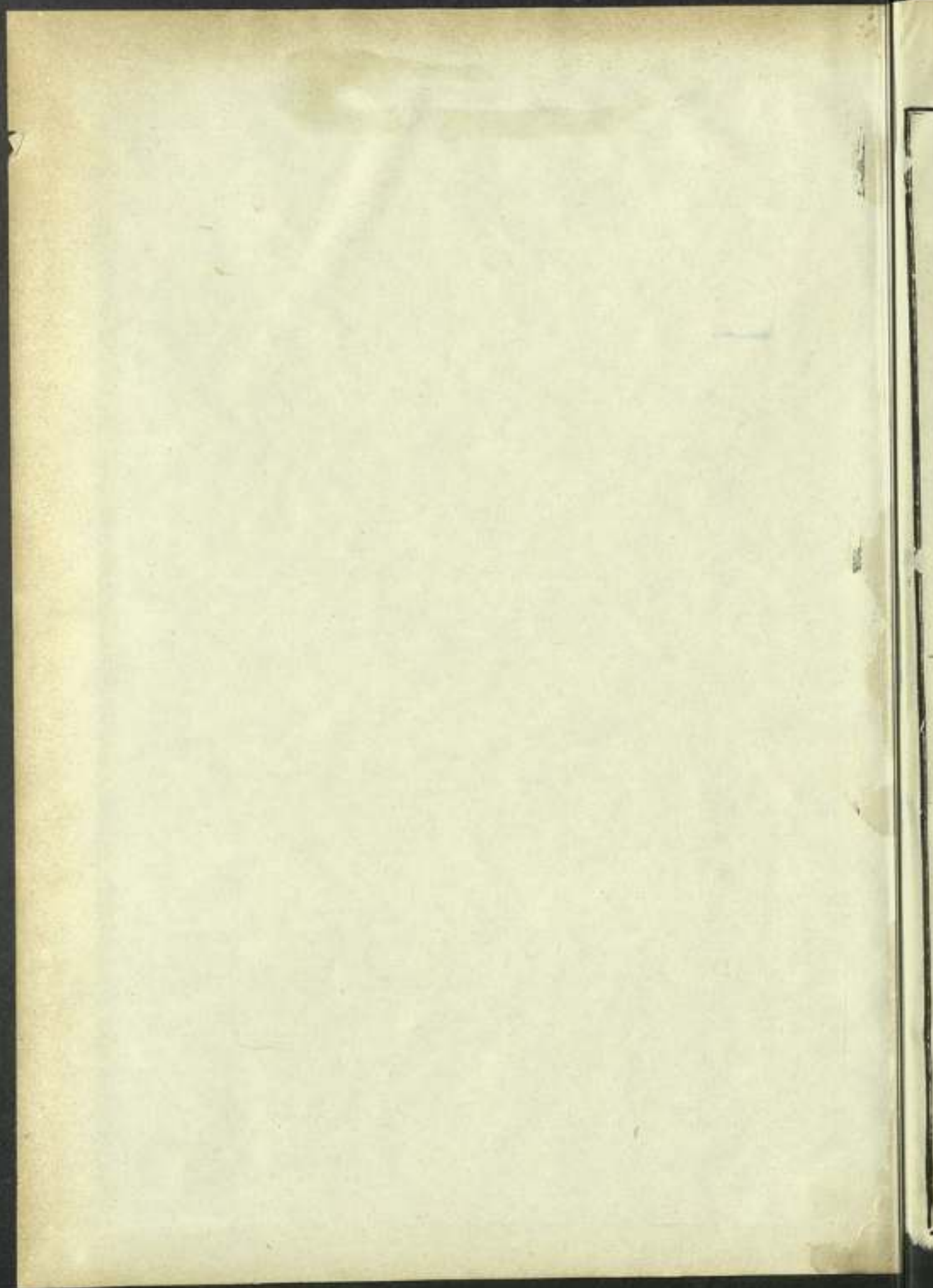
فهرست الجزء الخامس

من كتاب معالم التنزيل لمحيي السنة أبي الحسن الفراء البغوي
 (الذي بهامش الحازن)

صيفة

- ٢ (سورة الحج)
 ٣٠ (سورة المؤمنون)
 ٤٧ (سورة النور)
 ٩٣ (سورة الفرقان)
 ١١٢ (سورة الشعراء)
 ١٣٣ (سورة النمل)
 ١٦١ (سورة القصص)
 ١٨٧ (سورة العنكبوت)
 ٢٠١ (سورة الروم)
 ٢١٣ (سورة لقمان)
 ٢٢٠ (سورة الم السجدة)
 ٢٢٨ (سورة الأحزاب)
 ٢٨١ (سورة سبأ)
 ٢٩٦ (سورة الملائكة)

(تمت)



L

W

ZUB. LIBRARY

297.207:1139L2A:v.4-5.c.1
ابن الخازن الشافعي: علاء الدين عشر ب
تفسير الخازن: المسمى بباب التاريل في

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY



01009023

297.207
1139 L2A
v.4-5

